

الْجُمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ  
وِزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَابْحَثِ الْعِلْمِيِّ

الرَّقْمُ التَّسْلِسِيّ.....

رَقْمُ التَّسْجِيلِ.....

كُلِيَّةُ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ  
قِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

جَامِعَةُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ لِلْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
قَسْنَطِينَةَ

الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ

–بِنَيْتِهَا وَدَلَالَتِهَا–

بَحْثٌ مُقَدَّمٌ لِنَيْلِ شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاهِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ

إِعْدَادُ الطَّالِبِ:  
رَابِحُ بْنُ خُوَيْبَةَ

إِشْرَافُ الدُّكْتُورِ:  
د/ آمَالُ لُوَاتِي

لَجْنَةُ الْمُنَاقَشَةِ:

الاسم	الجامعة	الوظيفة
1-أ.د عزيز لعكايشي	منتوري قسنطينة	رئيساً
2-د. آمال لواتي	الأمير عبد القادر قسنطينة	مُشْرِفاً مَقْرَراً
3- د. محمد بن زاوي	منتوري قسنطينة	عُضْواً مُنَاقِشاً
4-د. سكينه قدور	الأمير عبد القادر قسنطينة	عُضْواً //
5-د. زينب بوصبيعة	الأمير عبد القادر قسنطينة	عُضْواً //
6- د. خليفة بوجادي	فرحات عباس	عُضْواً //

السَّنَةُ الْجَامِعِيَّةُ

1431هـ – 1432هـ / 2010م – 2011م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الْقَامَةُ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## 1- مَشْرُوعِيَّةُ الْبَحْثِ وَدَوَافِعُ اخْتِيَارِهِ:

لَقَدْ ظَهَرَ مُنْذُ خَمْسِينَاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي تَيَّارٌ أَدَبِيٌّ اُسْتُهْرَبَ بِـ(الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) لِيَكُونَ دَالًّا عَلَى الْحَرَكَةِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي نَشِطَتْ فِي سِيَاقِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِتِّزَامِ بِالْإِسْلَامِ وَأَسْلَمَةَ جَمِيعِ مَنَاحِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَمُعْبَّرًا عَنِ آلَامِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَمَالِهَا، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحُ (الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ الْإِتِّجَاهِ؛ أَيَّ عَلَى الْأَدَبِ الَّذِي يَنْطَلِقُ مِنَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلَّهِ وَلِلْإِنْسَانِ وَلِلْكَوْنِ، وَيَصُوغُ تَجْرِبَةَ الْمُسْلِمِ الْإِبْدَاعِيَّةَ، مِنْ حَيْثُ الْمَحْتَوَى أَوْ الْمَضْمُونُ وَمِنْ حَيْثُ الشَّكْلُ، صِيَاغَةً لُغَوِيَّةً فَنِيَّةً قَادِرَةً عَلَى نَقْلِ الْمَوْضُوعَاتِ (\*) الْمَعَالِجَةِ إِسْلَامِيًّا عَلَى تَعَدُّدِهَا وَثَرَاتِهَا فِي أَشْكَالٍ مُسْتَحْسَنَةٍ -فَنِيًّا- عَلَى تَنَوُّعِهَا وَغِنَاهَا.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الْمِصْطَلَحَ الدَّلَالَةَ عَلَى هَذَا الْإِتِّجَاهِ لَيْسَ بِجَدِيدٍ فِي الْإِسْتِعْمَالِ، فَقَدْ سَبَقَ تَوْظِيْفُهُ فِي الدَّرَاسَاتِ الَّتِي نَهْتَمُّ بِتَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مُحَدِّدًا أَدَبَ الْفِتْرَةِ الَّتِي تَلَتْ الْعَصْرَ الْجَاهِلِيَّ؛ أَيَّ أَدَبَ الْفِتْرَةِ الَّتِي بَزَغَ فِيهَا نُورُ الْإِسْلَامِ مَعَ بَدْءِ الْوَحْيِ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ، وَهِيَ الْفِتْرَةُ الْمُمْتَدَّةُ إِلَى الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَقَدْ صِيغَ هَذَا الْمِصْطَلَحُ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلَفَةٍ لِلِإِشَارَةِ إِلَى الْفِتْرَةِ الْمُحَدَّدَةِ، سَابِقًا، فَقِيلَ: (أَدَبُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ)، وَوَاضِحٌ أَنَّ دِلَالَةَ الْمِصْطَلَحِ فِي تَوْظِيْفِهِ الْقَدِيمِ قَائِمَةٌ عَلَى أَسَاسِ زَمَنِيٍّ تَارِيخِيٍّ بَعِيدًا عَنِ الْمَضْمُونِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي يُوجِّهُهُ الْإِسْلَامُ، فَقَدْ فَهِمَ (الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ) عَلَى أَنَّهُ (أَدَبُ فِتْرَةٍ لَا أَدَبُ فِكْرَةٍ)، وَقَدْ وُظِّفَ الْمِصْطَلَحُ، أَيْضًا، بِدِلَالَةٍ تَقْتَصِرُ عَلَى الْمَنْتُوجِ الْأَدَبِيِّ -مَنْظُومًا وَمَنْثُورًا- الْمُوَافِقِ أَوْ غَيْرِ الْمُوَافِقِ لِلتَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي أَنْتَجَتْهُ الشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُخْتَلَفَةُ. أَمَّا التَّوْظِيْفُ الْمَعَاوِرُ لِلْمِصْطَلَحِ فَيُقْصِرُهُ عَلَى الْأَدَبِ الصَّادِرِ عَنِ الْمُسْلِمِ الْمُتَزِمِ بِمَبَادِيِ الْإِسْلَامِ وَالْمُمَثِّلِ لِقِيَمِهِ فِي شِعْرِهِ وَنَثْرِهِ، وَفِي هَذَا الْإِطَارِ عُرِّفَ (الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ) عَلَى أَنَّهُ: "التَّعْبِيرُ الْفَنِّيُّ الْمَهَادِفُ عَنِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ فِي حُدُودِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لَهَا". (1) أَوْ عَلَى أَنَّهُ "التَّعْبِيرُ الْفَنِّيُّ الْمَهَادِفُ عَنِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ وَفَقَّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ". (2) أَوْ عَلَى أَنَّهُ "التَّعْبِيرُ النَّاشِئُ عَنِ امْتِنَاءِ النَّفْسِ بِالْمَشَاعِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ". (3)

وَقَدْ أَتَى (الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ) لِيُقَدَّمَ إِبْدَاعًا ذَا خُصُوصِيَّةٍ تَعَكِّسُ خُصُوصِيَّةَ الْأُمَّةِ الَّتِي يَصْدُرُ عَنْهَا، وَلِيُشَكِّلَ أَدَبًا نَسِيحًا وَحَدَهُ مِنَ الْقِيَمِ التَّعْبِيرِيَّةِ وَالْقِيَمِ الشُّعُورِيَّةِ الْمُتَقَاطِعَةِ لِحُمَةِ وَسَدَاةٍ، مُرْتَكِّزًا عَلَى التَّصَوُّرِ الَّذِي يُكُونُهُ الْأَدِيبُ

(\*) يكمن الفرق بين الموضوع والمضمون في أن المضمون ما يتحدث عنه الموضوع، فقد يكون الموضوع اجتماعيا أو سياسيا أو تاريخيا، بينما يكون المضمون إسلاميا أو شيوعيا أو علمانيا أو غير ذلك، فالموضوع يكون خارج الإنتاج الأدبي بينما المضمون هو ما يحمله النص تجاه الموضوع. ينظر: محمد بنعزوز: معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، 1427هـ-2006م، ص: 170.

(1) عبد الله صالح الوشمي: جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط: 1، 1426هـ-2005م، ص: 60.

(2) المرجع نفسه، ص: 60.

(3) سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، القاهرة، ط: 10، 1413هـ، ص: 28.

المسلم عن الحياة والإنسان والكون، وهو تصورٌ يستمدُّ أشكاله وأبعاده من العقيدة الإسلامية التي تُمثلُ إيديولوجيته الملتزمة- بالمصطلح الحديث- ومستويًا الشروط الفنية التي تُعدُّ محكَّ اختيار أدبيته ومقياسَ تصنيفه في إطار الأدب. فقد أنتج نماذج إبداعيةً متراكمةً جديدةً بالقراءة والدراسة في كلِّ أجناسه الأدبية الشعرية والسردية، وما هذا البحثُ إلا مقارنةٌ تهدفُ إلى التعرف والتعريف بمتن الشعر الإسلامي المعاصر، بوصفه خطابًا مهملاً ومهمشًا في مشهد الشعر العربي المعاصر، وإنزاله في سياقه الثقافي والتاريخي وإزالة موانع تلقيه بفعل قراءته وكشف بنياته الجمالية، إن هذا الخطابُ تصوغُ ظاهرة (الإسلامية) في تحلياتها الشعرية المعاصرة إشكاليته، ولا عجب أن تمُدَّ هذه الظاهرة/النصُّ جذورها متأصلةً في العمق وترسلُ فروعها متطلعةً في الأفق، فهي- من حيث رؤيتها المعاصرة- "أخذت تتأكدُ يوماً بعدَ يومٍ، في هذا الحصادِ العزيرِ عبرَ رُبعِ القرنِ الأخيرِ والمتمثلِ بتيارٍ من الأعمالِ الإبداعية، والتَّظهيرية، والتَّقديية التي فرضتْ نفسها، ليسَ في السَّاحةِ الثقافيةِ فَحسبُ، وليسَ في دوائرِ المعينين بالأدبِ فَحسبُ، بل مضتْ لكي تشقَّ طريقها إلى المعاهدِ والجامعاتِ، وترفعَ خطابها المتميزَ عبرَ بحوثِ التَّخرُّجِ ورسائلِ الدِّراساتِ العليا.. ومن خلالِ تخصيصِ السَّاعاتِ لتدريسِ هذه المادَّةِ في أقسامِ اللُّغةِ العربيَّةِ والآدابِ في الجامعاتِ، والذين كانوا يُنكرونَ هذه الظَّاهرة، أو يتنكَّرونَ لها حتى عهدٍ قريبٍ، وجدوا أنفسهمَ فجأةً أمامَ الأمرِ الواقعِ فاعترفوا بها، بل إنَّ بعضهم ومن خلالِ فتاواته الخاصَّةِ مضى لكي يندرجَ تحتَ لوائها".<sup>(1)</sup>

والواقعُ أنَّ هذه الظَّاهرة لم تُوثقْ أكلها خلالِ رُبعِ القرنِ الأخيرِ من القرنِ الماضي وإنَّ ظهرتْ في هذه الآونة آثارٌ أدبيةٌ إسلاميةٌ على درجَّةٍ من الإبداع، فهي أبعدُ من ذلك في الزَّمنِ، فظاهرة (الأدبِ الإسلامي)-رغمَ الإهمالِ الذي جوبهتْ به أو الموقفِ السلبيِّ الذي اتَّخذَ منها بوغيٌّ أو من غيرِ وعيٍ فيحوُلُ دونَ التَّفاعُلِ الإيجابيِّ معها- ظاهرةٌ على قدرٍ كبيرٍ من الأصالةِ والمعاصرة، معاً، ولها امتدادها في ساحةِ الأدبِ بعيداً عن ثنائِيَّة (المركز/الهامش)، فالأدباءُ المسلمونَ يُمثلونَ شريحةً واسعةً من المُجتمَعِ العربيِّ والإسلاميِّ المعاصرِ، ويعبِّرونَ بأدواتٍ فنيَّةٍ لا تقلُّ أهميَّةً عن الأدواتِ التي يوظفها الأدباءُ المعاصرونَ عن قضايا الأمةِ المعاصرةِ وواقعِ مُجتمعاتها الرَّاهنةِ وشواغلِ شعوبها، وإنَّ اختلقتْ الرؤى والمُنطلقاتُ. إنَّ الأدبَ الإسلاميَّ لا يعنِي "الحديثُ عن الماضي وعن الموعظِ والأدكارِ ولا المدحِ والإطراءِ للشخصياتِ والحياةِ القديمةِ أو المعاصرة، بل هو رؤيةٌ وتصورٌ خاصٌّ للكونِ والحياة، له طعمٌ ولونٌ خاصٌّ، يُمكنه أن يُرشدَ التَّجاربَ الأدبيَّةَ المعاصرةَ ويُدفعها إلى مزيدٍ من خطواتِ الكَشْفِ والإنجازِ والإبداع".<sup>(2)</sup> ومن ثمَّ فإنَّ الشعرَ الإسلاميَّ المعاصرَ وجهٌ أصيلٌ من وجوه تلك الظَّاهرةِ الإبداعيةِ، وإنَّ

(1) بهجت عبد الغفور الحديشي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط: 1، 2003، ص: 9.

(2) شلتاغ عبود: حدائق الشعر الإسلامي المعاصر، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1، 1422هـ-2002م، ص: 9.

مُقَارَبَتُهُ لِلوَقُوفِ عَلَى مَعَالِمِ الرُّؤْيَةِ فِيهِ وَمَلَامِحِ الإِبْدَاعِ لِإِحْدَى الصَّرُورَاتِ التَّقْدِيَةِ وَإِحْدَى مُهِمَاتِ النَّاقِدِ الَّتِي لَا تُعْرِفُ الإِلْغَاءَ أَوْ الإِقْصَاءَ وَالتَّغْيِيبَ أَوْ التَّهْمِيشَ، وَالَّتِي تُتَعَبَّأُ الإِبْدَاعَ فِي أَيِّ شَكْلِ تَجَلَّى وَبِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ تَمْظَهَرُ وَإِنْ تُكُنْ الرُّؤْيُ الَّتِي يَنْبَلِقُ مِنْهَا النَّاقِدُ أَوْ يَنْضَبُطُ بِهَا عَلَى خِلَافِ مَا يَرَى وَمَا يَعْتَقِدُ فَإِنَّ البُنَى الفَنِيَّةَ أَحَدُهَا بِالدَّرْسِ، وَإِنَّ الإِلْتِزَامَ العِلْمِيَّ المَوْضُوعِيَّ أَوْلَى بِالإِتِّبَاعِ وَأُخْرَى بِالإِنْصِياعِ لَهُ. وَالشَّعْرُ الإِسْلَامِيُّ حَقِيقٌ بِالدَّرْسِ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ تَجَارِبِ إِبْدَاعِيَّةٍ مُتْرَاكِمَةٍ\* تُمَثِّلُ شَيْئًا مِمَّا تَنْطَلِعُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ وَبَعْضًا مِمَّا تَهْفُو إِلَيْهِ القُلُوبُ، وَلِأَنَّهُ يَتَمَثَّلُ لُغَتَهُ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ إِحْسَاسٍ وَفِكْرٍ، وَيَتَوَهَّجُ مِنْ خِلَالِهَا تَعْبِيرًا مُتَمَيِّزًا لَا يَخْرُجُ عَنْ قَوَاعِدِهَا وَأُصُولِهَا وَيُعْطِي المُتَأَلِّقَ فِي آنٍ.<sup>(1)</sup>

وَيُعَدُّ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ عَامِلًا مَوْضُوعِيًّا كَافِيًّا لِاخْتِيَارِ الشَّعْرِ الإِسْلَامِيِّ المُعَاوِرِ مَوْضُوعًا لِلْبَحْثِ وَمُسَوِّغًا عِلْمِيًّا قَوِيًّا لِدَرْسِهِ، وَقَدْ قَلَّتِ الدَّرَاسَاتُ الَّتِي قَارَبَتْ مَتْنَهُ وَنَدَرَتِ البُحُوثُ الَّتِي تَنَاوَلَتْ مَدُونَتَهُ.

## 2- تَحْدِيدُ مَوْضُوعِ البَحْثِ:

وَاسْتِنَادًا إِلَى هَذَا العَامِلِ المَوْضُوعِيِّ، فَضَّلْنَا عَنْ العَامِلِ الذَّاتِيِّ، تَقْوَى عَزْمِي وَتَأَكَّدَتْ رَغْبَتِي وَازْدَادَ اقْتِنَاعِي بِمَشْرُوعِيَّةِ دَرْسِ الشَّعْرِ الإِسْلَامِيِّ المُعَاوِرِ، فَكَانَتْ مُقَارَبَتُهُ تَحْتَ العُنْوَانِ:  
(القَصِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ المُعَاوِرَةُ-بِنَيْتِهَا وَدِلَالَتِهَا-)

والمُلاحَظُ أَنَّ العُنْوَانَ يَضُمُّ أَكْثَرَ مِنْ مُفْرَدَةٍ اصْطِلَاحِيَّةٍ فِي فِضَائِهِ المُتَعَيَّنِ تَفْتَقِرُ إِلَى التَّحْدِيدِ، فَ(القَصِيدَةُ)، كَمُصْطَلَحٍ أَسَاسٍ، تَتَمَثَّلُ فِي النَّمَاذِجِ الشَّعْرِيَّةِ المُنتَخَبَةِ لِلدَّرَاسَةِ-وَصَفًا وَتَحْلِيلًا وَتَصْنِيفًا- وَبِهَذَا تَنْهَضُ (القَصِيدَةُ)، بِدِلَالَتِهَا الخَاصَّةِ عَلَى النَّمَاذِجِ المُنتَقَاةِ، بِدِيلًا عَنِ (الشَّعْرِ) فِي دِلَالَتِهِ العَامَّةِ، فَدَالَ التَّعْرِيفُ (ال-) المُتَّصِلُ بِالمُصْطَلَحِ مُقْتَصِرٌ عَلَى القَصِيدَةِ المُنتَخَبَةِ ضِمْنَ المَجْمُوعِ، وَبَعِيدٌ عَنِ الجِنْسِ الَّذِي يَتَّسِعُ لِلعُمُومِ، وَهَذَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ قَائِمٌ عَلَى أَسَاسَيْنِ، عَلَى أَسَاسِ أَنَّ التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ تُكْمِنُ فِي القَصِيدَةِ لِذَا يُأْمَلُ أَيُّ شَاعِرٍ أَنْ يَتَجَاوَزَ ذَاتَهُ فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ قَادِمَةٍ، وَرُبَّمَا يُجَرِّبُ سِلْسَلَةً مِنَ القَصَائِدِ وَصُورًا إِلَى قَصِيدَتِهِ المَشُودَّةِ، وَقَدْ يُنْفِقُ الكَثِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ كُلِّ أَعْمَارِهِمُ الشَّعْرِيَّةَ مِنْ دُونَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهَا، بِمَعْنَى أَنْ مَا يَتْرَأَى فِي المُخَيَّلَةِ الشَّعْرِيَّةِ أَبَدًا هُوَ القَصِيدَةُ المُحْتَمَلَةُ القَادِمَةُ، مِنْ غَيْرِ أَيِّ تَحْدِيدٍ مُمَكِّنٍ لِمَكَانِ الإِحْتِمَالِ أَوْ زَمَنِ القُدُومِ، لِذَا فَإِنَّ بَعْضًا مِنَ الشُّعْرَاءِ يَصِفُهُمُ التَّقْدُّ

(\*) يمكن التذليل على هذا التراكم الإبداعي من خلال العدد الكبير من الدواوين المفردة والمجموعات الشعرية المشتركة ككتاب ((من الشعر الإسلامي الحديث))، وقد اشتمل على نصوص شعرية لحوالي أربعين شاعرا من شعراء الرابطة، وديوان ((البوسنة والهرسك)) ضم نصوصا لتسعة وعشرين شاعرا، وهما من إصدار رابطة الأدب الإسلامي. بالإضافة إلى ما تضمنته كتاب ((شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)) لأحمد عبد اللطيف الجدد وحسن أدهم جزار بأجزائه، و((الوجيز في الأدب الإسلامي المعاصر وتاريخه)) لعابد توفيق الهاشمي بأجزائه، وكتاب ((من شعر الجهاد في العصر الحديث)) لمحمد رجب البيومي وعبد القدوس أبو صالح، والعدد الخاص الذي أصدرته مجلة الأدب الإسلامي ويضم نصوصا لأكثر من ستين شاعرا من شعراء الرابطة وغيرهم، وما نشر في الكثير من المجلات كمجلة الأدب الإسلامي والمشكاة وغيرهما.

(1) فايز الداية: علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1973، ص: 442.

بأنهم شعراء القصيدة الواحدة حيث تُخفق محاولات أيّ منهم في تجاؤز قصيدته الوحيدة، مُسخرًا كلّ شعره اللاحق للتتويج عليها وكتابتها من جديد. <sup>(1)</sup> و(القصيدة)، مُفردةً، في العنوان تُفيد أنّ المقاربة الرَّاهنة تبدأ من النَّصِّ وتتركز عليه وتمثّل لسلطته، لأنّ النَّصَّ مناطُ الإبداع ومجناه وأنّ على الناقد أن يوجه جهوده إليه في وضعه اللغوي. <sup>(2)</sup> وتفيد إلى جانب ذلك أنّ مقاربة البنية كوجودٍ بالفعل عبر نسقها النصّي الذي تتشكّل فيه غيرُ مقاربتها كوجودٍ بالقوة عبر نسقها الشعريّ النظريّ أو التقدي. وعلى أساس أنّ الصّفة (الإسلامية) التي تنعتُ القصيدة تُحقّق لها تميّزًا آخر مُتأتً من كون (القصيدة الإسلامية) بمواصفاتها وأصولها ومضامينها لم تظهر إلّا في العصر الحديث على خلاف (الشعر الإسلامي) الذي تعود نشأته إلى فجر الدعوة الإسلامية، أو إلى العصر الأمويّ أو العصر العبّاسيّ. <sup>(3)</sup> فمصطلح (القصيدة الإسلامية) لم يكن موجودًا من قبل وإن وجد مضمونه وكثير من خصائصه منذ فجر الدعوة الإسلامية، وهذا ما عملت الصّفة الثانية (المعاصرة) على صرفِ الذهن إليه، وهكذا يتّضح مدلولُ المصطلحين، فالشعر الإسلامي في مفهومه هو التعبير الجميل الموزون عن الإسلام عقيدةً ونظامًا شاملًا لشؤون الحياة كافةً، ويدخل ضمن هذا المفهوم كلّ شعر يتحدّث صاحبه عن الإسلام، ولا يخرج عن التّصوّر الذي رسمه الإسلام للكون والحياة والإنسان، وليس بالضرورة أن يكون الشاعر ملتزمًا حرفيًا بالإسلام، ويتّسحب هذا المفهوم على كلّ الشعر الإسلامي عبر العصور التاريخية التي جاءت بعد البعثة النبوية الشريفة إلى يومنا هذا على أنّ ذلك الشعر، يبقى شعرًا إسلاميًا ضمن المفهوم العام للإسلام. <sup>(4)</sup> بينما (القصيدة الإسلامية) هي "القصيدة التي تستمدُّ لغتها ومعانيها وأفكارها، وأخيلتها وصورها من زاوية التّصوّر الإسلامي للحياة والكون والإنسان، شريطة أن تحمّل رسالةً، وهي رسالة الإسلام والدعوة إلى تحقيقه وتطبيقه في الحياة وعلى مختلف صعداتها، السياسيّة والفكريّة والعقدية والاجتماعية وغيرها. <sup>(5)</sup> فالإسلامية مرتبطة بالرؤية التي تصدر عنها القصيدة، وهي كلُّ ما يمثله التّصوّر الإسلامي من أبعادٍ و(المعاصرة) متعلقة بالفترة الرّمبيّة التي نشأت فيها هذه القصيدة حديثًا وكلا ارتباط لها بالعصر الإسلامي أو الشعر الإسلامي الذي نشأ في ظلّ عصر الدعوة الإسلامية أو صدر الإسلام وما تلاه من عصورٍ وحقب، ومتّصلة بالقيمة الفنيّة الجماليّة لهذه القصيدة سواء في ملازمتها لجماليّات النمط العموديّ القديم أم في مفارقتها لها وانحراطها في النمط الحرّ وتحليلها بجماليّاته الجديدة، وبهذا الوصف تكون (المعاصرة) ذات بُعدٍ تاريخيّ (زمنيّ) يستوعب ما أنتج في حُدود الجيل الواحد الذي يمتدُّ عمره إلى ثلث القرن في المتوسّط أو إلى

(1) محمد صابر عبيد: جماليات القصيدة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2005، ص: 5.

(2) نعيم اليافي: أوهام الحداثة، دراسة في القصيدة العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1993، ص: 172.

(3) بهجت عبد الغفور الحديشي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، ص: 55.

(4) المرجع نفسه، ص: 59.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العُمُودِ الأربَعَةِ الأَخِيرَةِ، وَقَدْ يُرَادُفُ وَصْفُ القَصِيدَةِ بِـ(المُعَاصِرَةِ) وَصَفَهَا بِـ(الحَدِيثَةِ)، وَيَتَدَاخَلُ مَعَهَا وَيُنُوبُ عَنْهَا وَيَتَجَنَّبُ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي عُنْوَانِ هَذَا البَحْثِ، وَذَاتَ بَعْدِ فَنِيٍّ (أَدَبِيٍّ) يَسْتَحْضِرُ كُلَّ الأَدْوَاتِ الجَمَالِيَّةِ وَالأسَالِيْبِ الفَنِيَّةِ فِي الكِتَابَةِ وَالتَّنْظِيمِ الَّتِي ابْتَكَرَهَا العَصْرُ، وَيَشْمَلُ كُلَّ النُّصُوصِ الَّتِي اتَّسَمَتْ بِسِمَةِ خَاصَّةٍ فِي الرُّؤْيَةِ وَالتَّشْكِيلِ، فَالشُّعْرُ الحُرُّ وَالشُّعْرُ العَمُودِيٌّ سِوَاءٍ فِي ذَلِكَ فَقَدْ يَنْظُمُ الشَّاعِرُ عَلَى التَّمَطِّ العَمُودِيٍّ لَكِنَّ قَصِيدَتَهُ أَكْثَرُ مُعَاصِرَةً مَوْفِقًا وَمُضْمُونًا وَأَدَاةً تَشْكِيلِيًّا، وَمِنْ هَذَا المُنْطَلَقِ فَإِنَّ تَصْنِيفَ الشُّعْرِ إِلَى حُرٍّ وَعَمُودِيٍّ لَا يَحْمِلُ أَيَّ حُكْمٍ قِيَمِيٍّ.

وَلَعَلَّ وَصْفًا آخَرَ لِلْقَصِيدَةِ مَلْحُوظٌ فِي بِنْيَةِ العُنْوَانِ غَائِبٌ بِلَفْظِهِ حَاضِرٌ بِمَعْنَاهُ، لَمْ يُشْرَ عَلَيْهِ رَغْبَةً فِي الإِيجَازِ، هُوَ وَصَفُهَا بِـ(العَرَبِيَّةِ)، وَهُوَ وَصْفٌ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ وَلَيْسَ مِنْ دَاعٍ إِلَى ذِكْرِهِ لِأَنَّ البَحْثَ يَتَنَاوَلُ أَتَجَاهًا أَوْ تَبَارًا أَوْ لَوْنًا شِعْرِيًّا فِي الشُّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ تُمَيِّزُهُ رُؤْيَتُهُ الخَاصَّةُ، وَتُجَسِّدُهُ مَجْمُوعَاتٌ شِعْرِيَّةٌ تَنْقُلُ شَوَاعِلَ الشُّعْرَاءِ المُسْلِمِينَ وَتُخْبِرُ عَن هَوَاجِسِهِمْ وَتَحْفَلُ بِهِمُومِهِمْ، تَتَّخِذُ العَرَبِيَّةُ أَدَاةً تَوْصِيلِيًّا وَوَسِيلَةً تَعْبِيرِيًّا مُفِيدَةً مِمَّا تَهَيَّأُ لِهَذِهِ اللُّغَةِ مِنْ جَمَالِيَّاتٍ.

أَمَّا مُصْطَلَحُ (البِنْيَةِ) - أَوْ البِنْيَةُ<sup>(1)</sup> - فَلَا يَعْني الاستِعَانَةَ بِأَدْوَاتِ المَنْهَجِ البِنْيَوِيِّ فِي مُقَارَبَةِ القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِقَدْرِ مَا يَعْني النَّظَرَ إِلَى القَصِيدَةِ بِوَصْفِهَا بِنْيَةً قَائِمَةً عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ العَنَاصِرِ وَالعَلَاقَاتِ المُتَدَدَةِ عَلَى مُسْتَوِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ صَوْتِيَّةٍ وَتَرْكِيْبِيَّةٍ وَدِلَالِيَّةٍ - وَإِنْ شَكَلَ كُلُّ مُسْتَوَى بِنْيَةً عَلَى عِتَابِ القَصِيدَةِ مُتَعَدِّدَةَ البِنْيِ - وَمُؤَسَّسَةً كَلًّا مُتَشَابِكًا هُوَ القَصِيدَةُ، وَبِهَذَا المَفْهُومِ قَدْ تَلْتَقِيَ مَعَ مَفْهُومِ (الشُّكْلِ) الَّذِي تَتَّخِذُهُ عَنَاصِرُ اللُّغَةِ وَنَسَقِ عِلَاقَاتِهَا دَاخِلَ القَصِيدَةِ، إِلَى جَانِبِ إِفَادَتِهَا مَعْنَى (المَبْنَى الخَارِجِيِّ) أَوْ الشُّكْلِ الخَارِجِيِّ الَّذِي تَتَّحَلَّى مِنْ خِلَالِهِ القَصِيدَةُ، فَـ(الشُّكْلُ) "مَجْمُوعُ العَلَاقَاتِ المُعْقُودَةِ بِكُلِّ عُنْصُرٍ دَاخِلِ النَّسَقِ، وَمَجْمُوعُ هَذِهِ العَلَاقَاتِ هُوَ الَّذِي يَسْمَحُ لِعُنْصُرٍ مَا بِأَدَاءِ وَظِيْفَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ".<sup>(2)</sup> كَمَا يَعْني النَّظَرَ إِلَى أَنَّ شِعْرِيَّتَهَا "تَسْتَنِدُ إِلَى قَوَائِنِ مُوَلَّدَةٍ تَظَلُّ مُتَكْتِمَةً عَلَى نَفْسِهَا فِي صَمِيمِ النَّصِّ ذَاتِهِ، بَعْضُهَا عَلَى السُّطْحِ يَتَرَاوَى كإِبْمَاءَةٍ خَاطِفَةٍ، أَمَّا بَعْضُهَا الآخَرُ فَيَلُودُ بِالأَصْفَاقِ يَحْتَمِي بِهَا فَلَا تَطَالُهُ القِرَاءَةُ المُتَعَجَّلَةُ أَي تِلْكَ الَّتِي لَا تَعِي مَا تَمْتَلِكُهُ تِلْكَ القَوَائِنِ مِنْ مُقَدَّرَةٍ فَائِقَةٍ عَلَى الزَّبِيغِ وَالمُرَاوَعَةِ وَمِنْ طَاقَةٍ عَلَى المُخَاتَلَةِ بِمُوجِبِهَا تَتَبَادَلُ تِلْكَ القَوَائِنِ الأَدْوَارَ فِي مَا بَيْنَهَا".<sup>(3)</sup> فَـ(البِنْيَةُ)، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، "نِظَامٌ - أَوْ نَسَقٌ - مِنَ المَعْقُولِيَّةِ؛ فَلَيْسَتْ (البِنْيَةُ) هِيَ (صُورَةُ الشَّيْءِ) أَوْ (هَيْكَلُهُ) أَوْ (وَحَدَثُهُ المَادِيَّةُ) أَوْ (التَّصْمِيمُ الكُلِّيُّ) الَّذِي يَرِبُطُ أَجْزَاءَهُ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا هِيَ أَيْضًا (القَانُونُ) الَّذِي يُفَسِّرُ تَكْوِينَ الشَّيْءِ وَمَعْقُولِيَّتَهُ".<sup>(4)</sup> وَهِيَ، بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، "مَجْمُوعَةٌ مِنَ العَنَاصِرِ

(1) إبراهيم انيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، لبنان، ج: 1، ص: 72.

(2) جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط: 1، 1986، ص: 28.

(3) محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر، ص: 7.

(4) زكريا إبراهيم: مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 29.

المكوّنة لجهاز يقوم عليه النص، ولجهاز يكون مع أجهزة أخرى جهاز النص الأكبر، فالعناصر التي نهتم بها في الدرس، هي تلك العناصر المتفاعلة مع غيرها لا المتفرقة المعزولة، وكل بنية نسميها جهازاً ويجوز أن نسمي نظاماً أيضاً، وكما تتفاعل مختلف العناصر المكوّنة لبنية معينة تتفاعل البنى في النصوص المتعددة الأجهزة وأكثر النصوص أجهزة النصوص الأدبية".<sup>(1)</sup> فالبنية -في هذا البحث- هي التسق الكامن المستخلص من النص الشعري الذي نجسده علاقات العناصر فيما بينها -والعنصر يكون مفردة أو تركيباً أو رمزاً أو صورة أو إيقاعاً...- على تعدد العلاقات في محوريتها الأفقي والعمودي المفضية إلى التفاعل والتنظام والانسجام والاتساق، فهي، إذا، النص نفسه وهي في الآن ذاته الخطاب أو مجموعة النصوص الشعرية التي أنتجها الشعراء الإسلاميون في الحقبة الزمنية المحددة تمتلك من الشروط ما يجعلها بنية. وما يمنح (البنية)، كأداة إجرائية، قيمتها في الوصف، ويجعلها محوريتها في التحليل أنها تكفل الخروج من مأزق لم تستطع البلاغة القديمة ولا الحديثة أن تتجاوزته، وهو اعتبار الأشكال زخرفاً وزينة تضاف إلى القول لتحسينه، ففكرة الزخرف اللصيق بالعبارة لازمت مفاهيم الأشكال البلاغية حتى الآن، وليس هناك سوى مصطلح البنية للتخلص نهائياً من شبهة الزينة المضافة، لأنه يضيف إلى أصالة النموذج التعبيري في إنتاج الدلالة الأدبية وانبثاقه من طبيعة التكوين الداخلي لوحداته مما تستحيل معه إزالته دون نقض هذا التكوين ذاته، فهو بذلك يلغي المسافة الوهمية الفاصلة بين ما كان يعدّ تعبيراً أصلياً مباشراً وما يعدّ تعبيراً شعرياً مجملاً له".<sup>(2)</sup> وعلى كل فإن البنية، فيما يتصل بمنهج البحث، أحد مفردات المنهج الأسلوبية في اتجاهه البنيوي.

أما مصطلح (الدلالة) فينصرف إلى ما ينتج عن كل عنصر من عناصر بنية القصيدة ومكوناتها -الصوت والكلمة والتركيب...- أثناء أدائها لوظائفها، وكل ما ينبثق عن بنية القصيدة اللغوية، في نماذجها المتعددة، من طاقات جمالية وإمكانات فنية وإيحاءات شعرية تتجاوز التواصل المحرّد، فكل عنصر في القصيدة ذال من حيث علاقاته بغيره وله دوره في إنتاج وإبداع الدلالة؛ أي الدلالة على المستوى الإبداعي. وتعدّ البنية اللغوية للقصيدة هي المنبع الحقيقي للدلالات التي لا نجسد الأبعاد الجمالية فحسب، وإنما تكشف عن الرؤية الكامنة في التجربة الشعرية الناشئة، وتبني وظائف أساسية، في عملية التوصيل والتفاعل،<sup>(3)</sup> انفعالية أو تعبيرية وشعرية وإفهامية أو

(1) محمد الهادي الطرابلسي: تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، 5، د، ط-، 1992، ص: 115.

(2) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1413هـ/1992م، ع: 164، ص: 135.

(3) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط: 3، يوليو 1992، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ص: 120.

تَأْثِيرِيَّةٌ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ وَظَائِفٍ. (1) وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْبِنْيَةِ وَالِدَّلَالَةِ لَهُ مَا يُسَوِّغُهُ إِذِ الْبِنْيَةُ "وُجُودٌ دَالٌّ، بَلْ إِنَّهَا الْحَامِلُ النَّهَائِيُّ لِلدَّلَالَةِ". (2)

### 3- عَلاَقةُ البَحْثِ بِالدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ:

رَغِمَ التَّرَاكُمُ الْإِبْدَاعِيُّ الَّذِي حَقَّقَهُ الشُّعْرُ الْإِسْلَامِيُّ الْمَعَاصِرُ الْمَشَارِ إِلَيْهِ سَابِقًا فَإِنَّ حَظَّهُ مِنَ النَّقْدِ وَالتَّقْوِيمِ وَالتَّصْيِيمِ وَالدَّرْسِ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، كَانَ شَحِيحًا وَنَادِرًا وَلَمْ يُكُنْ فِي مُسْتَوَى ذَلِكَ الْإِنْتِاجِ الْغَزِيرِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَمْ يَقَعْ بَيْنَ يَدَيَّ أَيُّ مَرْجِعٍ أَوْ بَحْثٍ يَتَّصِلُ بِمَوْضُوعِ بَحْثِي، وَهُوَ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمَعَاصِرَةُ-بِنْيَتُهَا وَدَلَالَتُهَا- وَيَتَنَاوَلُ هَذَا الشُّعْرُ أَوْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْهَجِ التَّنَاوُلِ، بِاسْتِنَاءِ مَا كَتَبَهُ بِهِجَتِ عَبْدِ الْغَفُورِ الْحَدِيثِيِّ، وَهُوَ دِرَاسَتُهُ الْقَصِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَشُعْرَاؤَهَا الْمَعَاصِرُونَ فِي الْعِرَاقِ (3)، وَهَذِهِ الدِّرَاسَةُ وَإِنْ حَاوَلْتُ أَنْ تُقَدِّمَ مَفَاهِيمَ لِلشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَلِلْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتُعَرِّفَ بِشُعْرَاءِ إِسْلَامِيِّينَ عِرَاقِيِّينَ وَنَمَازِجَ مِنْ شِعْرِهِمْ فَإِنَّهَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى انْحِصَارِهَا فِي الْعِرَاقِ، ظَلَّتْ مُجَرَّدَ تَوْصِيفٍ سَطْحِيٍّ لَا يَبْحَثُ فِي أَيِّ قَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَا الْقَصِيدَةِ الْمَضْمُونِيَّةِ أَوْ الشُّكْلِيَّةِ وَلَا يَدْرُسُ أَيُّ بِنْيَةٍ مِنْ بِنْيَاتِهَا الْجَمَالِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَفَادَ الْبَحْثُ إِفَادَةً مَلْمُوسَةً، أَوَّلًا، مِنْ تِلْكَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي وَقَفَتْ عَلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ عُمُومًا وَاسْتَمْتَرَ الْمُلَاحَظَاتِ الْقِيَمَةَ الَّتِي أَبْدَاهَا الدَّارِسُونَ حَوْلَ دَوَاوِينِ أَوْ مَجْمُوعَاتِ شِعْرِيَّةٍ أَوْ قِصَائِدَ كَدِرَاسَةِ مُحَمَّدِ حَسَنِ بَرِيغَشٍ (فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاصِرِ دِرَاسَةٌ وَتَطْبِيقٌ)، فَقَدْ تَنَاوَلَ بِالنَّقْدِ فِي الْقِسْمِ التَّطْبِيقِيِّ مِنَ الدِّرَاسَةِ مَجْمُوعَاتٍ وَدَوَاوِينَ شِعْرِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ وَوَقَفَ عَلَى نَمَازِجَ شِعْرِيَّةٍ مِنْهَا، وَهِيَ مَجْمُوعَتَا (اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ) وَ(طَاقَةُ الرِّيْحَانِ) لِمُحَمَّدٍ مَنَلًا غَزِيلَ، وَدِيُونَ (عَصْرُ الشُّهَدَاءِ) لِنَجِيبِ الْكِيْلَانِيِّ، وَدِيُونَ (عَوْدَةُ الْعَائِبِ) لِمُحَمَّدِ الْحَسَنَائَوِيِّ، وَدِيُونَ (شُجُونُ غَرْبِ) لِأَبِي الْعَاصِمِ الْقَارِيِّ. (4)

وَكَدِرَاسَةِ أَحْمَدَ بَسَامَ سَاعِي (الْوَاقِعِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَدَبِ وَالتَّقْدِ، فَقَدْ وَقَفَ فِي الْبَابِ الثَّانِي (فِي الشُّعْرِ) فِي فَصْلَيْنِ؛ هُمَا الْفَصْلُ الْأَوَّلُ وَعَنْوَانُ (نَظْرِيَّةُ الشُّعْرِ الْحَدِيثِ الْقَاعِدَةُ وَالْمَنْهَجُ وَالْوَاقِعُ الْإِسْلَامِيُّ) وَالْفَصْلُ الثَّلَاثُ (مُحَمَّدُ هَاشِمُ رَشِيدٌ وَمُعَادَلَةُ الْخَيَالِ وَالْوَاقِعُ عِنْدَ الشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ) عَلَى نَمَازِجَ شِعْرِيَّةٍ مِنَ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاصِرِ كَتَحْلِيلِهِ لِمَقَاطِعٍ مِنْ قَصِيدَةِ (عَلَى بَابِ غَرْنَاطَةَ) لِمَأْمُونِ فَرِيزِ جَرَّارِ. (5) وَفِي الْمَنْحَى ذَاتِهِ يُدْرَجُ كِتَابُ (حَدَاتِقُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاصِرِ) (6) لِعُبُودِ شَلْتَاغَ وَكِتَابُ (الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ بَيْنَ النَّظْرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ) (1) لِصَابِرِ عَبْدِ الدَّائِمِ.

- (1) رومان ياكبسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1988، ص: 33.
- (2) كمال أبو ديب: البين المولدة في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط: 1، 1988، ص: 5.
- (3) بهجت عبد الغفور الحدِيثِي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط: 1، 2003.
- (4) محمد حسن بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر، دراسة وتطبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1418هـ.
- (5) أحمد بسام ساعي: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط: 1، 1405هـ-1985م، ص: 96.
- (6) شلتاغ عبود: حائق الشعر الإسلامي المعاصر، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1422هـ-2002م.

وأفاد البحث، ثانياً، من تلك الأبحاث الأكاديمية أو الأطاريح الجامعية التي تناولت شاعراً إسلامياً أو أكثر وعالجت قضيةً محدّدةً من وجهة نظرٍ معينةٍ كـ(الرؤية الإسلامية في شعر محمود حسن إسماعيل)<sup>(2)</sup> لآمال لواتي فقد خصّصت بحثها لشعر محمود حسن إسماعيل كأنموذج، وقد أضاء لي الفصل السادس (الرؤية الفنية) بعض مسارات بحثي التطبيقية. وكـ(مفهوم التناس وخصوصية التوظيف في الشعر الإسلامي المعاصر بالمغرب)<sup>(3)</sup> للمختار حسني، الذي خصّص بحثه لثلاثة شعراء مغاربة كأنموذج هم حسن الأمrani ومحمد علي الرباوي ومحمد بن عمارة، وقد أفادني من بحثه الباب الثاني الذي يمثل الجانب التطبيقي، وهو التناس في المجال الديني).

وأفاد البحث، ثالثاً، من الدراسات والمقالات ومن النصوص الشعرية-التي نشرت في مجلتي (المشكاة) و(الأدب الإسلامي) وكلاهما يعنى بالأدب الإسلامي وفنونه المختلفة إبداعاً ودراساً.

والملاحظة التي يمكن أن توصف بها هذه الأبحاث والأطاريح الأكاديمية والدراسات القيمة في موضوعاتها أنها تتسم-من وجهة نظري-بالجزئية والمحدودية والخصوصية بحكم منطلقاتها المنهجية وأهدافها البحثية، وهذا من إيجابياتها التي تحسب لها، ولكنها-دون أن يتفحص ذلك من أهميتها-هي لم تتجاوز مجالاتها البحثية المتعينة ولم تتناول بنية القصيدة الإسلامية المعاصرة بصورة أكثر سعة وأرحب فضاء حيث تعتمد متناً شعرياً تنوع فيه النماذج وتتعدّد النصوص بتعدّد الأشكال وتعدّد الشعراء وتعدّد الأقطار، وأغلب تلك الأبحاث والأطاريح لم تمس من بنية القصيدة الكلية إلا بنى جزئية ولم تهتم في الغالب إلا بالمضامين والموضوعات ولم تُعن بالأشكال الفنية والبنى الأسلوبية والأدوات التعبيرية كثيراً.

#### 4-تصميم البحث:

ومن هذا المنطلق، فقد ضمّ البحث مقدمةً ومدخلاً وثلاثة أبوابٍ وخاتمةً؛ حيث تناول في المقدمة مشروعية البحث ودوافع اختياره وتحديد الموضوع ومنهجه وتصميمه وعلاقته بالدراسات السابقة، وكان المدخل مقاربة اصطلاحية-أفقية ورأسيّة- تناولت أولاً مصطلح (الأدب الإسلامي) الذي تُعدّ القصيدة الإسلامية أحد أجناسه، بالوصف والتحليل كاشفة عن دلالاته والسياق التاريخي الذي ظهر فيه قديماً وحديثاً، ومشيئة إلى جملة من الخصائص التي تُحدّد بنيته المفهومية أو التصورية، وتناولت ثانياً مصطلح (الشعر الإسلامي) من خلال مصطلح (القصيدة الإسلامية) مبينة دلالاتها وأبرز سماتها. فهذا المدخل، في الحقيقة، توصيف لمصطلح (الأدب الإسلامي)

(1) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، القاهرة، ط: 1، 1442هـ-2002م.

(2) آمال لواتي: الرؤية الإسلامية في شعر محمود حسن إسماعيل، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1995م.

(3) المختار حسني: مفهوم التناس وخصوصية التوظيف في الشعر الإسلامي المعاصر بالمغرب، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني، 2000.

وَتَحْدِيدُ لِمُوصَفَاتِهِ، بِالدرَجَةِ الْأُولَى، بِوصْفِهِ الْمُصْطَلَحَ الرَّئِيسَ فِي مَنْطُومَتِهِ، لِأَنَّهُ يَحْمِلُ مَفْهُومًا جَدِيدًا مُخْتَلَفًا فِي التَّوْظِيفِ التَّقْدِي الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، وَيَسْتَوْعِبُ ظَاهِرَةَ (الأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) بِكُلِّ فُنُونِهِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ، وَيَتَّصِفُ بِمَبَادِي دَرْسِهِ وَتَقْدَمِهِ؛ فَهُوَ مُصْطَلَحٌ يَتَعَلَّقُ بِتَجَارِبِ إِبْدَاعِيَّةٍ خَاصَّةٍ، وَيَرْتَبِطُ بِتَقْيِيمِهَا وَتَقْوِيمِهَا مَضْمُونًا وَشَكْلًا فِي ضَوْءِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلأَدَبِ وَوَضَيْفَتِهِ أَوْ فِي ضَوْءِ التَّقْدِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي أَخَذَ فِي الظُّهُورِ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي إِطَارِ نَظْرِيَّةِ الأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ.

وَلَمْ يَكْتَفِ البَحْثُ بِمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي المَدْخَلِ مِنْ حَوَائِبَ نَظْرِيَّةٍ بَلْ أَتْبَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ تُمَثِّلُ الجَوَانِبَ التَّطْبِيقِيَّةَ وَتَتَنَاوَلُ بِنِيَّةَ القَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَبْعَادِهَا الْإِيقَاعِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ كَمَا تَبَرُّزُ فِي هَذِهِ النَّمَاذِجِ الْمُقْتَبَسَةِ مِنَ مَتْنِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ. فَتَنَاوَلُ البَحْثُ فِي البَابِ الْأَوَّلِ (بِنِيَّةِ الْإِيقَاعِ الشَّعْرِيِّ فِي القَصِيدَةِ) بِوصْفِهَا إِحْدَى مُكَوِّنَاتِ القَصِيدَةِ الرَّئِيسَةِ سِوَاءَ مَا تَشَكَّلَ مِنْهَا فِي إِطَارِ البِنِيَّةِ الْإِيقَاعِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ أَوْ الكَلَّاسِيكِيَّةِ لِلقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ أَيَّ فِي إِطَارِ التَّمَطِّ الْعَمُودِيِّ أَمْ مَا تَشَكَّلَ فِي إِطَارِ البِنِيَّةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ؛ أَيَّ فِي إِطَارِ التَّمَطِّ الحُرِّ أَوْ التَّفْعِيلِيِّ، وَقَدْ تَنَاوَلُ ذَلِكَ فِي فَصَلَيْنِ:

1- الفَصْلُ الْأَوَّلُ: بِنِيَّةِ الْإِيقَاعِ الحَارِجِيِّ فِي القَصِيدَةِ.

2- الفَصْلُ الثَّانِي: بِنِيَّةِ الْإِيقَاعِ الدَّاحِلِيِّ فِي القَصِيدَةِ.

وَقَفَ الفَصْلُ الْأَوَّلُ عَلَى (بِنِيَّةِ الْإِيقَاعِ الحَارِجِيِّ) أَوْ (بِنِيَّةِ (الوزن)، فَوَصَفَ وَحَلَّلَ وَأَحْصَى وَصَنَّفَ الأَنْسَاقَ الْإِيقَاعِيَّةَ ذَاتَ التَّوْظِيفِ الكَثِيفِ فِي المَتْنِ الشَّعْرِيِّ وَمُكَوِّنَاتِهَا مِنَ (الأَوْزَانِ وَالتَّفَاعِيلِ)، وَكَشَفَ عَنْ أَشْكَالِ الْإِيقَاعِ الْمُتَوَلَّدَةِ عَنْ تَحَوُّلِ البِنِيَّاتِ، بِالحَذْفِ أَوْ الزِّيَادَةِ أَوْ الإِبْدَالِ، أَيَّ عَنْ طَرِيقِ مَا يُعْرَفُ فِي عِلْمِ العُرُوضِ بِالنَّزْحَاتِ وَالعَلَلِ، وَعَنْ طَرِيقِ الدَّمْجِ بَيْنَ الأَوْزَانِ أَوْ البُحُورِ أَوْ الدَّمْجِ بَيْنَ التَّمَطِّينِ الْعَمُودِيِّ وَالحُرِّ مُحَاوِلًا رِبْطَ التَّشْكِيلِ الْإِيقَاعِيِّ بِالتَّشْكِيلِ الدَّلَالِيِّ فِي القَصَائِدِ الْمُخْتَلَفَةِ، وَقَدْ رَصَدَ البَحْثُ الْإِيقَاعَ النَّاشِئَ عَنْ بِنِيَّةِ البَيْتِ الشَّعْرِيِّ مِنْ تَدْوِيرٍ وَتَصْرِيحٍ وَتَوَافُقٍ بَيْنَ العُرُوضِ وَالصَّرْبِ وَكَشَفَ عَنْ عِلَاقَةِ كُلِّ ذَلِكَ بِالدَّلَالَةِ، وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ دَرَسَ بِنِيَّةَ القَافِيَةِ وَأَنْسَاقَهَا التَّفْقُويَّةَ الْمُتَنَوِّعَةَ وَأَهَمَّ الأَصْوَاتِ المُشْكَلَةِ لِروِيَّهَا، وَبَيَّنَّ الوَظِيفَةَ الَّتِي يَنْهَضُ بِهَا صَوْتُ الرُّوِيِّ فِي تَضَافُرِهِ مَعَ مُكَوِّنَاتِ الْإِيقَاعِ جَمِيعًا وَفِي تَعَالُفِهِ مَعَ دَلَالَاتِ القَصِيدَةِ وَمَضَامِينِهَا.

وَوَقَفَ الفَصْلُ الثَّانِي عَلَى (بِنِيَّةِ الْإِيقَاعِ الدَّاحِلِيِّ فِي القَصِيدَةِ)، فَوَصَفَ الأَنْسَاقَ الصَّوْتِيَّةَ المُكْرَّرَةَ البَارِزَةَ الَّتِي شَكَّلَتْ انْزِيَّاحَاتٍ أُسْلُوبِيَّةً مِنْ خِلَالِ مُعَدَّلَاتِ تَكَرَّرِهَا فِي قَصَائِدِ مِنَ المَتْنِ الشَّعْرِيِّ، وَرَصَدَ الدَّلَالَاتِ النَّاجِمَةَ عَنْ ذَلِكَ التَّلَوِينِ الْإِيقَاعِيِّ الصَّوْتِيِّ فِي السِّيَاقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ، وَذَلِكَ لِإِمْكَانِيَّةِ تَوْظِيفِ هَذِهِ الأَدْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ تَوْظِيفًا فَنِيًّا جَمَالِيًّا فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ وَتَسْخِيرِهَا لِإِحْدَاتِ الأَثَارِ الأُسْلُوبِيَّةِ وَالقِيمِ التَّعْبِيرِيَّةِ الْمُنْشُودَةِ وَذَلِكَ عَلَى

مُسْتَوَى التَّكْرَارِ الصَّوْتِيِّ، وَإِلَى جَانِبِهِ وَقَفَ الْبَحْثُ عَلَى نَسَقِ التَّصْرِيعِ بِنَوْعِيهِ وَمَا يَنْجُمُ عَنْهُ مِنْ إِيقَاعٍ، وَقَارِبَ فِي الْأَخِيرِ نَسَقَ التَّدْوِيرِ فِي الْبَيْتِ وَفِي الشَّطْرِ الشَّعْرِيِّ.

وَتَنَاوَلَ الْبَحْثُ فِي الْبَابِ الثَّانِي (بِنَيْةِ التَّرْكِيبِ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ) فَوْصَفَ وَحَلَّلَ وَصَنَّفَ الْبُنَى التَّرْكِيبِيَّةَ الْمُتَعَدَّدَةَ وَرَصَدَ الْوِظَائِفَ الْأُسْلُوبِيَّةَ التَّعْبِيرِيَّةَ وَالذَّلَالَاتِ الَّتِي تَنْتُجُ عَنْ أَنْسَاقِ التَّرَاكِبِ فِي السِّيَاقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَقَدْ مَهَّدَ الْبَحْثُ بِتَوْطِئَةٍ عَنِ (الْجُمْلَةِ) كَبْنِيَّةٍ تَرْكِيبِيَّةٍ إِذْ هِيَ النَّوَاةُ التَّعْبِيرِيَّةُ الْأَسَاسُ وَالْبِنْيَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ الْأُولَى قَبْلَ أَنْ تَتِمَّ مُقَارَبَةُ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ وَفَقَّ الْمَنْظُورِ الْمَحْدَدِ مِنْ خِلَالِ الْفَصَلَيْنِ الْآتِيَيْنِ:

1- الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْخَبْرِيِّ.

2- الْفَصْلُ الثَّانِي: بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْإِنْشَائِيِّ.

وَقَفَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ عَلَى (بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الْخَبْرِيِّ) الَّتِي تَجَسَّدَتْ فِي بِنْيَتَيْنِ رَيْسِيَّتَيْنِ؛ هُمَا بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْإِسْمِيِّ وَبِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ فَوْصَفَ وَحَلَّلَ أَنْسَاقًا مِنَ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ كَاشِفًا عَنْ دِلَالَاتِهَا الْمُتَعَدَّدَةِ فِي السِّيَاقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ تِلْكَ الْبُنَى عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَنْسَاقِ اللَّغَوِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالْأَنْسَاقِ الْفَرْعِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ الْبَحْثُ قَدْ اتَّخَذَ مَفْهُومَ الْإِنْزِيَاخِ الْأُسْلُوبِيِّ أَدَاةً إِجْرَائِيَّةً فِي مُقَارَبَةِ الْإِيْقَاعِ فَإِنَّهُ قَدْ أَفَادَ مِنْهَا فِي مُقَارَبَةِ الْبُنَى التَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي يُعَدُّ الْإِنْزِيَاخُ سِمَةً شَعْرِيَّةً مِنْ سِمَاتِهَا فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ وَغَيْرِهِمَا.

وَوَقَفَ الْفَصْلُ الثَّانِي عَلَى (بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الْإِنْشَائِيِّ) وَلِتَنْوَعِ الْبُنَى الْإِنْشَائِيَّةَ فِي الْقَصِيدَةِ فَقَدْ اخْتَارَ الْبَحْثُ بِنْيَةَ ذَاتِ حُضُورٍ كَثِيفٍ فِي مَتْنِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ لِتَكُونَ مَوْضُوعَ الْمُقَارَبَةِ، وَهِيَ بِنْيَةُ الْإِسْتِفْهَامِ، فَهِيَ بِنْيَةُ أُسْلُوبِيَّةٍ مُمَيَّزَةٌ تُثْبِرُ الْمُتَلَقِّيَّ وَتَفْتَحُ لَهُ آفَاقًا وَاسِعَةً لِلِإِسْتِفْهَامِ فِي إِتْجَانِ الدَّلَالَةِ وَفِي إِعَادَةِ الْقِرَاءَةِ وَتَأْوِيلِ الْمَقْرُوءِ وَمَلْءِ الْفَرَاقَاتِ النَّصْبِيَّةِ الْمُحْتَمَلَةِ، عَلَى مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ تِلْكَ الْبِنْيَةُ مِنْ تَحَوُّلَاتٍ وَانْزِيَاخَاتٍ.

وَتَنَاوَلَ الْبَابُ الثَّلَاثُ (بِنْيَةَ الدَّلَالَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ) مِنْ خِلَالِ الْفَصَلَيْنِ الْآتِيَيْنِ:

1- الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: بِنْيَةُ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ.

2- الْفَصْلُ الثَّانِي: بِنْيَةُ التَّنَاصُّ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ.

فَدَرَسَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ (بِنْيَةَ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ)، كَمَا كَوَّنَ فَاعِلٍ مِنْ مَكُونَاتِ الْبِنْيَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فِي ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ صُورِيَّةٍ تُشَكِّلُ ثَلَاثَةَ مَبَاحِثٍ؛ هِيَ نَسَقُ الصُّورَةِ الْمَفْرَدَةِ وَنَسَقُ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ وَنَسَقُ الصُّورَةِ الرَّمَزِيَّةِ، وَمِمَّا يُسَوِّغُ مُقَارَبَةَ بِنْيَةِ الصُّورَةِ فِي الْمُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ لِلْقَصِيدَةِ أَنَّ الصُّورَةَ بِكُلِّ أَنْسَاقِهَا تُؤَدِّي دَوْرَهَا عَنْ طَرِيقِ تَوْصِيلِ الْمَعْنَى وَإِبْلَاغِهِ، وَسَوَاءٌ أَكَانَ التَّوَصِيلُ وَالْإِبْلَاغُ مُبَاشِرًا بَسِيطًا تَقْرِيرِيًّا أَمْ كَانَ غَيْرَ مُبَاشِرٍ مُعَقَّدًا وَإِيْحَائِيًّا، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الصُّورَةَ لَا تَقُومُ بِوِظَائِفِهَا الْأُسْلُوبِيَّةِ التَّعْبِيرِيَّةِ تَجْسِيدًا وَتَجْسِيمًا وَتَشْخِيصًا وَغَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى الْمُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ.

وَقَدْ ارْتَأَى الْبَحْثُ تَصْنِيفَ نَمَازِجِ الصُّورِ الْمَرْصُودَةِ فِي عَيْنَاتٍ مِنْ مَتْنِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْأَنْسَاقِ الثَّلَاثَةِ اعْتِمَادًا عَلَى طَبِيعَةِ الصُّورَةِ، فَقَدْ تَقَعَّ بَعْضُ الصُّورِ مُفْرَدَةً فِي سِيَاقَاتٍ شَعْرِيَّةٍ وَلَا تُؤَلَّفُ إِلَّا صُورًا جُزْئِيَّةً تُمَثِّلُ مَعَانَ مُحَدَّدَةً

كَأَنَّ تَكُونَ صُورًا بَلَاغِيَّةً تَشْبِيهَاتٍ أَوْ اسْتِعَارَاتٍ أَوْ كِنَايَاتٍ أَوْ تَكُونَ صُورًا تَرَاسُلِيَّةً، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ تَنْدَرِجُ فِي النَّسَقِ الْمُرَدِّ، وَقَدْ تَكُونَ بَعْضُ الصُّوَرِ كَلِيَّةً أَيْ أَنَّهَا تُشَكِّلُ صُورَةً كُبْرَى أَوْ مُرَكَّبَةً تَتَعَلَّقُ فِي سِيَاقِهَا مَجْمُوعَةٌ أَوْ عَنَاقِيدُ مِنَ الصُّوَرِ الْجُزْئِيَّةِ الْفَائِمَةِ عَلَى التَّدَاعِي الْحُرِّ وَتَتَمَيَّزُ بِالتَّرَابُطِ وَالتَّكَامُلِ وَالتَّجَانُسِ وَالتَّوَاشُجِ، وَتَكُونَ بَعْضُ الصُّوَرِ رُمُوزًا، فَالرَّمْزُ وَثَبْتُ الصَّلَةِ بِالصُّورَةِ؛ أَيْ أَنَّهُ صُورَةٌ رَمَزِيَّةٌ وَقَدْ تَنَوَّعَتِ الرُّمُوزُ بَيْنَ التَّرَاتِيْبِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ وَالتَّطَبُّعِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ بِحَسَبِ كَيْفِيَّةِ تَعَامُلِ الشَّاعِرِ مَعَهَا عَلَى قِسْمَيْنِ: رُمُوزٍ خَاصَّةٍ وَأُخْرَى عَامَّةٍ أَوْ رُمُوزٍ كَلِيَّةٍ وَأُخْرَى جُزْئِيَّةٍ، وَيَنْدَرِجُ الْقِسْمَانِ فِي نَسَقِ الصُّورَةِ الرَّمَزِيَّةِ، وَقَدْ قَامَ الْبَحْثُ بِوَصْفِ بَنَى الصُّورَةِ وَتَحْلِيلِهَا وَقُوفًا عَلَى أَنْوَاعِهَا وَدِلَالَتِهَا وَوُظَائِفِهَا.

وَدَرَسَ الْفَصْلُ الثَّانِي (بِنِيَّةِ التَّنَاصُّ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ) بِوَصْفِهَا إِحْدَى الْأَدَوَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْهَامَّةِ فِي انْفِتَاحِ الْقَصِيدَةِ عَلَى الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ بِشَكْلِ عَامٍّ، وَقَدْ تَضَمَّنَ الْفَصْلُ مَفْهُومَ التَّنَاصُّ كَأَدَاةٍ إِجْرَائِيَّةٍ مُهِمَّةٍ فِي مُقَارَبَةِ الْقَصِيدَةِ لِيَصِلَ إِلَى مُقَارَبَةِ نَمَازِجِ مِنَ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ مُصَنَّفًا إِيَّاهَا فِي نَسَقَيْنِ؛ هُمَا نَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الْمُحَدَّدِ الْخَاصِّ وَيُمَثِّلُ (المُعَارَضَةَ وَالْمُنَاقِضَةَ) تَحْدِيدًا، وَهُوَ شَكْلٌ مِنَ التَّنَاصُّ الشَّعْرِيِّ يَمُسُّ الْبِنِيَّةَ وَالدَّلَالَةَ أَوْ الْمَبْنَى وَالْمَعْنَى مَعًا. وَنَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الْمُتَعَدِّدِ الْعَامِّ وَيُمَثِّلُ أَشْكَالَ التَّنَاصُّ الْمُخْتَلِفَةَ الْمَصَادِرِ تَارِيخِيًّا وَدِينِيًّا وَأَدْبِيًّا، تَلْكَ الْمَصَادِرُ الَّتِي تُحِيلُ إِلَيْهَا نُصُوصُ الْمَتْنِ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ.

أَمَّا الْخَاتِمَةُ فَكَانَتْ تَلْخِيصًا لِأَبْرَزِ النَّتَائِجِ الْمَوْفُوفِ عَلَيْهَا فِي الْبَحْثِ.

## 5- مِنْهَجُ الْبَحْثِ وَآلِيَّاتُهُ:

إِنَّ الْبَحْثَ بِقَدْرِ مَا هُوَ مُقَارَبَةٌ فِي بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مُسْتَوِيَاتِهَا الْإِقَاعِيَّةِ وَالتَّرَكِيْبِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ، هُوَ فِي الْآنِ ذَاتِهِ، مُقَارَبَةٌ فِي الْمَفَاهِيمِ وَالْأَدَوَاتِ الْإِجْرَائِيَّةِ الْمُوظَّفَةِ فِي التَّحْلِيلِ الْأُسْلُوبِيِّ بِمُخْتَلَفِ اتِّجَاهَاتِهِ، وَاسْتِمَارِهَا فِي دَرَسِنَا التَّقْدِي لِلنَّصِّ الْأَدْبِيِّ، وَالْمَوَاعِمَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَوَابِقِهَا فِي ثَرَاتِنَا اللَّسَانِيِّ وَالتَّقْدِي وَالبَلَاغِيِّ، دُونَمَا تَجَاهُلٍ لِخُصُوصِيَّةِ النَّصِّ الْمُدْرُوسِ الْمُتَأْتِيَّةِ مِنْ بِنِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ أَوَّلًا، وَمِنْ بِنِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ ثَانِيًا وَمِنْ بِنِيَّةِ التَّقَاتِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ ثَالِثًا، وَدُونَمَا اغْتِرَارٍ بِكِفَايَةِ الْمَنْهَجِ الْوَاحِدِ وَكِفَايَتِهِ فِي الْوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّفْسِيرِ.

وَبِنَاءً عَلَيْهِ، كَانَ الْمَنْهَجُ الْأُسْلُوبِيُّ بِكُلِّ آلِيَّاتِهِ الْوَصْفِيَّةِ وَالتَّحْلِيلِيَّةِ وَالْإِحْصَائِيَّةِ وَسِبَلَةَ مَوْضُوعِيَّةٍ مُهِمَّةٍ فِي مُقَارَبَةِ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ، عِلْمًا وَمَنْهَجًا، وَبِوَصْفِهَا فِي الْأَسَاسِ، مُقَارَبَةٌ لِسَانِيَّةٌ لِلنَّصِّ الْأَدْبِيِّ، أَقْدَرُ عَلَى تَنَاوُلِ النَّصِّ الْأَدْبِيِّ عَامَّةً وَالشَّعْرِيِّ مِنْهُ خَاصَّةً، وَأَكْفَى فِي وَصْفِ وَتَحْلِيلِ الْبِنَى الْأُسْلُوبِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ فِي مُسْتَوِيَاتِهَا الصُّوْبِيَّةِ وَالتَّرَكِيْبِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ. وَهِيَ مُقَارَبَةٌ مِنْهَجِيَّةٌ تَرُصِدُ السَّمَاتِ التَّعْبِيرِيَّةَ وَالْمُكَوَّنَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةَ الْبَارِزَةَ فِي ضَوْءِ دَوْرِهَا فِي إِتْنَاجِ الدَّلَالَةِ الْكَلِيَّةِ لِلنَّصِّ الشَّعْرِيِّ وَتَكْتَفِي بِالْبِنِيَّاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الرَّئِيْسَةِ الْأَكْثَرِ فَاعِلِيَّةً وَالتَّحْقِيقَةَ فِي النَّمَاذِجِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تُؤَلَّفُ فِي مَجْمُوعِهَا الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ دُونَ أَنْ تَكُونَ تَحْلِيلًا أُسْلُوبِيًّا

مُفَصَّلًا وَاصِفًا كُلَّ الْبُنَى، وَقَدْ مَكَّنَنِي هَذَا الْمَنْهَجُ مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى الْأَشْكَالِ أَوْ الْبُنَى الْفَنِّيَّةِ بَعِيدًا عَنِ تَنَاوُلِ الْمَوْضُوعَاتِ، بِصِفَةِ مُبَاشَرَةٍ، فَهِيَ لَمْ تَكُنْ هَدَفًا مِنْ أَهْدَافِ الْبَحْثِ.

وَحَسَبُ هَذِهِ الْمُقَارَبَةِ أَنْ تَتَنَاوَلَ النَّصَّ الشَّعْرِيَّ الْإِسْلَامِيَّ، فِي إِطَارِ الْمَثْنِ الشَّعْرِيِّ الْمَحْدَدِ، مِنْ مَنْظُورٍ أَنَّهُ "مَنْظُومَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَبَنِيَّةٌ فَنِّيَّةٌ لَهَا أَسْرَارُهَا الْخَاصَّةُ، الَّتِي تَعَكِّسُهَا بِصِدْقٍ لُغْتُهُ الْفَنِّيَّةُ، وَمَا تَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ أَنْسَاقِ أُسْلُوبِيَّةٍ عَلَى مُسْتَوَى التَّرْكِيبِ وَالذَّلَالَةِ وَالصَّوْتِ (الموسيقا)".<sup>(1)</sup> وَقَدْ أَتَاكَ الْمَنْهَجُ الْأُسْلُوبِيُّ أَثْنَاءَ هَذِهِ الْمُقَارَبَةِ الْاسْتِفَادَةَ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْآلِيَّاتِ الْقِرَائِيَّةِ وَالتَّقْدِيَّةِ الَّتِي طَوَّرَتْهَا الْمَدَارِسُ النَّقْدِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ بِقَصْدِ الْوُقُوفِ عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ لِهَذِهِ الْبَنِيَّةِ، مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الَّتِي تُمَثِّلُ مُقَارَبَةً عِلْمِيَّةً مَوْضُوعِيَّةً تُفِيدُ مِنَ الْمَعَارِفِ اللَّسَانِيَّةِ وَالْمَعْطِيَّاتِ الْبَلَاغِيَّةِ وَتَتَّخِذُ شَيْئًا مِنْ أَدَوَاتِهِمَا مِنْ مَتَّوَجِّهَاتٍ، مَفَاهِيمٍ وَاصْطِلَاحَاتٍ وَمَنَاهِجٍ، وَلَا تَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَهُمَا، وَهِيَ مُقَارَبَةٌ تَتَكَيُّ إِلَى الْوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّصْنِيفِ وَالتَّأْوِيلِ فَضْلًا عَنِ الْإِحْصَاءِ فِي تَعْيِينِ السَّمَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ، وَتَجْعَلُ مِنَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ مُبْتَدَأً وَمُنْتَهَى عَمَلِهَا فَتَكْشِفُ عَنْ بَنِيَّاتِهِ الْمُتَعَالِقَةِ وَمُقَوِّمَاتِهِ الْمُتَمَاسِكَةِ وَبَيِّنُ خَوَاصَّهُ الْمُمَيَّزَةَ تِلْكَ الَّتِي تُشَكِّلُ بَنِيَّةَ النَّصِّ أَوْ أُسْلُوبَهُ، مُتَدَرِّجَةً عَبْرَ مُسْتَوِيَاتِهِ الْإِقَاعِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ. وَهَذِهِ الْمُقَارَبَةُ، بِهَذَا التَّوْصِيفِ، لَا تَحُولُ دُونَ قِرَاءَةِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ مِنْ وَجْهَاتٍ نَظَرٍ مُخْتَلِفَةٍ وَبِمَنَاهِجٍ مُغَايِرَةٍ، فَهِيَ فِي الْوَاقِعِ حَقْلٌ يَكْرُ وَخِصْبٌ وَتَرِيٌّ إِقَاعًا وَتَرْكِيبًا وَرَمْزًا وَصُورَةً وَتَنَاصًّا وَمُعْجَمًا وَدَلَالَةً.

وَأَحِيرًا، لَا يَسْعُنِي إِلَّا أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ لِفَضِيلَةِ الْأَسَاتِذَةِ الدُّكْتُورَةِ آمَالِ لَوَاتِي الَّتِي أَشْرَفَتْ عَلَى هَذَا الْبَحْثِ أَحْسَنَ إِشْرَافٍ وَرَعْتَهُ أَحْسَنَ رِعَايَةٍ، وَوَجَّهَتْهُ الْوَجْهَةَ الصَّحِيحَةَ فَقَوِّمَتْ بِنَاءَهُ وَشَدَّ بَتِ أَبْوَابِهِ وَهَدَّ بَتِ فُصُولَهُ إِلَى أَنْ رَفِيَ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهَا.

وَإِنِّي، بَعْدَ ذَلِكَ، لَمَتَّوَجَّهْ بِالشُّكْرِ الْخَالِصِ لِلْأَسَاتِذَةِ أَعْضَاءِ لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ عَلَى مَا بَدَّلُوا مِنْ جُهْدٍ وَأَنْفَقُوا مِنْ وَقْتٍ فِي قِرَاءَةِ هَذَا الْبَحْثِ، تَقْوِيمًا وَتَقْيِيمًا، وَعَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ مَلْحُوظَاتٍ قِيَمَةٍ وَتَوْجِيهَاتٍ ثَمِينَةٍ، وَإِنِّي إِلَيْهَا لَفَقِيرٌ.

وَلَا أَدْعِي أَنِّي اسْتَوْفَيْتُ الْمَوْضُوعَ حَقَّهُ مِنَ الدَّرْسِ وَنَصِيئِهِ مِنَ الْبَحْثِ، وَلَكِنِّي أَرْجُو مَعَ ذَلِكَ أَنْ أَكُونَ قَدْ أَحْطْتُ بِجَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ وَبَدَّلْتُ فِيهِ مَا أَمَكَّنَنِي مِنْ جُهْدٍ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْبَحْثُ إِسْهَامًا فِي الْمَشْرُوعِ الْوَاعِدِ مَشْرُوعِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَقْدِهِ.

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ وَأَنْ يُحْسِنَ الثَّوَابَ.

(1) طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجمان، مصر، ط:1، 2000، ص: 14.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المدخلُ

الأدبُ الإسلاميُّ: النشأةُ والتَّعريفُ

## تَوْطئة:

يُعدُّ المصطلحُ المدخلُ الرئيسَ إلى أيِّ علمٍ أو معرفةٍ إذ "المصطلحاتُ - كما هو معروفٌ - مفاتيحُ العلوم، فيها تتركزُ خلاصةُ كلِّ علمٍ، وبها يُستطاعُ الدرسُ المتخصِّصُ، وعليها المَعوَلُ في تطوِيرِ مفاهيمِ العلومِ وضَبطِ فُرُوعِها وَمَناهجِها".<sup>(1)</sup> وعلى هذا الأساسِ، فالمنظومةُ الاصطلاحيةُ والمفهوميةُ لأيِّ علمٍ أو معرفةٍ هي جوهرُ هذا العلمِ وحقيقةُ كيانه وخلاصةُ ماهيته بما في ذلك مجموعُ العلاقاتِ التي تنهضُ بين مفاهيمِ هذا العلمِ.

وقد يشكُلُ المصطلحُ أكبرَ مشكلةٍ تُصادفُ العلمَ أو المعرفةَ حين يفقدُ دقتهُ ووضوحه وتحديدهُ أو يفقدُ انسجامه وانساقه مع نظائره في المنظومةِ الاصطلاحيةِ لهذا العلمِ أو ذلك من خلال الصياغة غير المناسبة، فيحول دون التعرفِ إلى القضايا التي يعبرُ عنها ويشوشُ على عمليّةِ الفهمِ والإدراكِ والاستيعابِ، وقد ترجعُ تلكَ المشكلةُ إلى أسبابٍ متعدّدةٍ كتعدّدِ المصطلحِ الدالِّ على المفهومِ الواحدِ أو تداخله أو اشتراكه مع غيره في الدلالةِ على مفاهيمٍ تتصلُ بحقولٍ معرفيةٍ مختلفةٍ وبسياقاتٍ علميةٍ متنوّعةٍ أو تناقضه في الدلالةِ إذا ما كان مصطلحًا قديمًا أعيدَ إحياءه أو تُرجمَ من لغةٍ أجنبيةٍ إلى العربيةِ أو عُرّب.

ولا تكمنُ مشكلةُ المصطلحِ في الأدبِ وثقدهِ في كونه مجردَ دالٍّ متفقٍ عليه يُحيلُ إلى مدلولٍ، وإنما تكمنُ في أن التحديدَ أيِّ مصطلحٍ نقديٍّ تحديداً دقيقاً ثابتاً أمرٌ متعذرٌ، ولأسيما المصطلحاتِ التي كثرَ فيها الجدلُ وتداخلتَ فيها الإيديولوجياتُ، ولذلك تظلُّ القضيةُ إشكاليةً تحتملُ وجهاتَ النظرِ الخلافيةِ في بعضِ جوانبِها الدقيقةِ، ولكن هذا القولُ لا يُعفي الدارسَ من أن يتلمّسَ الجوانبَ العامّةَ والجوانبَ الخاصّةَ في أيِّ مصطلحٍ، فثمةُ جوانبُ أتفقَ عليها وغدتَ معارفَ عامّةً أو بدهياتٍ، وثمةُ جوانبُ خاصّةٌ اختلفَ فيها ولا تزالُ مجالاً للآخذِ والردِّ.<sup>(2)</sup> ويُعدُّ مصطلحُ (الأدبِ الإسلاميِّ) أحدَ هذه المصطلحاتِ الأدبيةِ أو النقديةِ التي أثارَتُ بعضَ الجدلِ والنقاشِ ومثلتُ إشكالاً نقدياً نظراً للمفهومِ الذي يحملهُ أو التيارُ أو الاتجاهُ أو الحركةُ التي يمثّلها، وبسببِ حاجتهِ إلى التحديدِ والتوضيحِ، وهذا ما يجعلُ مقارنته اصطلاحاً ومفهوماً ضرورةً علميةً لا مناصَ منها في هذا البحثِ.

## 1-الأدبُ الإسلاميُّ: المصطلحُ والتعريفُ:

### 1-1-المصطلحُ:

ظهرَ مصطلحُ (الأدبِ الإسلاميِّ) في سياقِ الدعوةِ إلى الالتزامِ بالإسلامِ وأسلمةِ جميعِ مناحي حياةِ المسلمِ الثقافيةِ والفكريةِ والعلميةِ والسياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ وغيرها، وقد استعملَ للدلالةِ على الأدبِ الذي

(1) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1419هـ - 1999م، ص: 29.

(2) خليل الموسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهورية، دمشق، سورية، ط: 1، 1991، ص: 8.

يَنْطَلِقُ مِنْ نَظَرَةِ الْإِسْلَامِ أَوْ مِنَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِيُعْبَرَ عَنِ أَلَامِ الْمُسْلِمِينَ - بِصِفَةِ خَاصَّةٍ - وَأَمَالِهِمْ، وَالْإِنْسَانَ - بِصِفَةِ عَامَّةٍ - وَكَلِصُوغَ تَجْرِبَةِ الْأَدِيبِ الْمُسْلِمِ الْإِبْدَاعِيَّةَ صِبَاغَةَ لُغَوِيَّةٍ فَنِيَّةٍ بَدِيعَةً أَسْرَةً، تَحْمِلُ الْمَضَامِينَ الْفِكْرِيَّةَ وَالْوِجْدَانِيَّةَ الْمَقْبُولَةَ إِسْلَامِيًّا عَلَى تَعُدُّدِهَا وَتَرَائِفِهَا فِي أَشْكَالٍ مُسْتَحْسَنَةٍ فَنِيًّا عَلَى تَنَوُّعِهَا وَغِنَاهَا.

وَقَدْ تَصَدَّرَ تِلْكَ الدَّعْوَةَ أَبُو الْحَسَنِ النَّدَوِيُّ (1333هـ/1914م-1420هـ/2001م)، وَقَدْ أَشَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَأْفَتُ الْبَاشَا إِلَى ذَلِكَ حِينَ قَالَ: "وَقَدْ كَانَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي الْمَوْضُوعِ وَنَبَّهَ إِلَيْهِ فَضِيلَةَ الْعَالِمِ الْعَامِلِ الشَّيْخِ (أَبِي الْحَسَنِ النَّدَوِيِّ)، وَذَلِكَ حِينَ اخْتَبِرَ عَضُومًا فِي الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ فِي (دِمَشْقٍ). حَيْثُ قَدَّمَ بَحْثًا دَعَا فِيهِ إِلَى إِقَامَةِ أَدَبٍ إِسْلَامِيٍّ، وَالْعِنَايَةَ بِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ الدَّاعِينَ إِلَى ذَلِكَ وَطَلِيعَةَ الْمُنْبَهِينَ إِلَيْهِ".<sup>(1)</sup> وَقَدْ حَمَلَ ذَلِكَ الْبَحْثُ عُنْوَانَ (نَظَرَةَ حَدِيدَةَ إِلَى التَّرَاثِ الْأَدَبِيِّ الْعَرَبِيِّ)، وَقَدْ اكْتَمَلَتْ أBRُزُ مَلَامِحِ صُورَةِ الْبَحْثِ فِي كِتَابِهِ (نَظَرَاتٍ فِي الْأَدَبِ) الَّذِي تَوَلَّتْ رَابِطَةَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَالَمِيَّةَ إِصْدَارَهُ.<sup>(2)</sup> وَهُوَ - كَمَا يَقُولُ عَبْدُ الْبَاسِطِ بَدْرٍ فِي تَقْدِيمِهِ - "كِتَابٌ تَنْظِيرٌ وَتَفْعِيدٌ أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَبَادِيءِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، يُؤَصِّلُ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ وَغَيْرِ مُبَاشِرٍ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَعْرَافِ الْأَدَبِيَّةِ وَالتَّقْدِيَّةِ".<sup>(3)</sup> وَيَعُودُ اخْتِيَارُ أَبِي الْحَسَنِ النَّدَوِيِّ عَضُومًا فِي الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ بِدِمَشْقٍ إِلَى الْعَامِ 1377هـ/1957م.<sup>(4)</sup> وَإِنْ لَمْ يَتَضَمَّنْ بَحْثُهُ (نَظَرَةَ حَدِيدَةَ إِلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ) دَعْوَةً صَرِيحَةً إِلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ فَإِنَّ فِي تَرَاثِهِ الْكَثِيرِ مَا يَدُلُّ عَلَى دَعْوَتِهِ إِلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ بِشَكْلِ صَرِيحٍ وَالْبَحْثِ عَنْ نَمَازِجِهِ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَيَدُلُّ عَلَى جِدِّهِ فِي تَأْصِيلِ الْأَدَبِ وَتَوْجِيهِهِ وَجَهَةً دِينِيَّةً فِي مَرَاكِلِ مُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي فِيمَا كَانَ يُذِيعُهُ مِنْ مَقَالَاتٍ وَبُحُوثٍ.<sup>(5)</sup> ثُمَّ تَبِعَهُ سَيِّدُ قُطْبٍ فِي مَقَالٍ لَهُ، نُشِرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ (فِي التَّارِيخِ فِكْرَةٌ وَمَنْهَاجٌ)<sup>(6)</sup> وَفِي كِتَابِهِ (التَّقْدِ الْأَدَبِيِّ أُصُولُهُ وَمَنْهَاجُهُ) حَيْثُ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ عَنْ مَنْهَجِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ<sup>(7)</sup>. وَقَدْ كَانَتْ دَعْوَتُهُمَا بِمَثَابَةِ اللَّبَنَاتِ الْأُولَى فِي صَرْحِ هَذَا الْأَدَبِ، وَسَارَ - عَلَى دَرَبِهِمَا - مُحَمَّدٌ قُطْبٌ حَيْثُ تَوَسَّعَ فِي الْفِكْرَةِ وَبَسَطَهَا فِي كِتَابِهِ (مَنْهَجُ الْفَنِّ الْإِسْلَامِيِّ)<sup>(8)</sup> الَّذِي عُدَّ فَاتِحَةَ الْحَدِيثِ فِي (الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) بِوَصْفِهِ جُزْءًا لَا يَنْجَزُ مِنَ الْفَنِّ الْإِسْلَامِيِّ، كَمَا نَاقَشَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابَاتِهِ الْقِيَمَةِ.

- (1) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 4، 1418هـ-1998م، ص: 112.
- (2) أبو الحسن علي الحسن الندوي: نظرات في الأدب، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1408هـ-1988م.
- (3) المرجع نفسه، ص: 5.
- (4) عبد الله صالح الوشمي: جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي، ص: 105.
- (5) المرجع نفسه، ص: 105.
- (6) سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ص: 28.
- (7) سيد قطب: التقد الأدبي أصوله ومنهاجه، دار الشروق، القاهرة، ط: 8، 1424هـ-2003م، ص: 114.
- (8) محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط: 8، ص: 6.

وَوَاصِلَ الْمَسِيرَةِ - عَلَى هُدًى تَعَالِيمِ الْأَسَاتِذَةِ الرَّوَادِ - كُلٌّ مِنْ نَجِيبِ الْكِلَانِيِّ بِكِتَابِهِ (الإسلامية والمذاهب الأدبية) وَعِمَادُ الدِّينِ خَلِيلِ بِكِتَابِهِ (التقدي الإسلامي المعاصر)<sup>(1)</sup>، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الرَّوَادُ مُنْطَلَقَ الدَّعْوَةِ، ثُمَّ انْضَمَّ إِلَى هَذَا الرِّكْبِ الطَّيِّبِ غَيْرُهُمَا مِمَّنْ وَعَى الْقَضِيَّةَ وَتَحَمَّسَ لِلْفِكْرَةِ وَشَعَرَ بِشَرَفِ الْمِهْمَةِ وَنُبْلِ الرِّسَالَةِ، وَضُرُورَةَ الْقِيَامِ بِالْوَجِبِ، وَقَدْ وَطَّدَتِ الطَّرِيقَ مُحَاوَلَاتُ أَنْوَرِ الْجُنْدِيِّ الصَّادِقَةِ فِي تَخْلِيسِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مِنْ كُلِّ الشَّوَابِ الْعَرَبِيِّ الدَّخِيلَةِ عَلَيْهِ وَفِي تَحْرِيرِهِ مِنْ قَبْضَةِ الْمَنَاهِجِ الْوَافِدَةِ الَّتِي سَلَطَتْ عَلَيْهِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ خَطَأِ التَّجْرِبَةِ وَمَرَارَتِهِ وَعَدَمِ سَلَامَةِ الْمُنْهَجِ وَضُرُورَةَ إِصْلَاحِ الْوَضْعِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى جَادَّةِ الطَّرِيقِ بِقَوْلِهِ: "وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ بَعْدَ أَنْ مَرَّ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ عَامًا عَلَى تَطْبِيقِ هَذِهِ الْمَنَاهِجِ أَنْ تُنَاقَشَ وَتُدْرَسَ فِي ضَوْءِ الْإِسْلَامِ نَفْسَهُ مُنْشِئِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ وَصَانِعِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي بَدَأَ مُنْطَلِقًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا بَدَأَتْ عُلُومُ اللَّغَةِ وَالبَلَاغَةِ وَالتَّحْوِ وَغَيْرِهَا".<sup>(2)</sup> وَقَدْ مَكَّنَتْ مَسَاعِيهِ الْحَثِيثَةَ - مِنْ أَسْلَمَةِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ إِلَى إِنْشَاءِ أَدَبٍ إِسْلَامِيِّ<sup>(3)</sup> - مِنْ السَّيْرِ قَدَمًا فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ. وَلَقَدْ كَانَ هَذَا جُهْدَ أَفْرَادٍ أَمَّا جُهْدُ الْجَمَاعَةِ أَوْ الْهَيَاتِ فَتَجَسَّدَ فِي تَأْسِيسِ رَابِطَةِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَالَمِيِّ الَّتِي حَمَلَتْ عَلَى عَاتِقِهَا بِرِئَاسَةِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ التَّدْوِيِّ - مُنْذُ نَشَأَتِهَا فِي الْعَامِ 1405 هـ / 1984 م - مَسْئُولِيَّةَ التَّعْرِيفِ بِالْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ مَا أُتِيحَ لَهَا مِنْ وَسَائِلٍ؛ فَأَصْدَرَتْ سِتَّ مَجَلَّاتٍ، مِنْهَا ثَلَاثُ مَجَلَّاتٍ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَهِيَ (الأدب الإسلامي) وَ(المشكاة) وَتَصَدَّرَانِ عَنْ مَكْتَبِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ (وَمَنَارُ الشَّرْقِ) وَتَصَدَّرُ عَنْ مَكْتَبِ بَنْجَلَادِيشِ، وَأَتْنَتَانِ بَعِيرِ الْعَرَبِيَّةِ إِحْدَاهُمَا بِالْتَّرْكِيَّةِ وَهِيَ (الأدب الإسلامي) وَتَصَدَّرُ عَنْ مَكْتَبِ تُرْكِيَا، وَالثَّانِيَةُ بِالْأُورْدِيَّةِ وَهِيَ (قافلة الأدب) وَتَصَدَّرُ عَنْ مَكْتَبِ شِبَهِ الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ، وَمَجَلَّةٌ وَاحِدَةٌ ثَلَاثِيَّةُ اللَّغَةِ عَرَبِيَّةٌ - انْجَلِيزِيَّةٌ - أُورْدِيَّةٌ، وَهِيَ (قافلة الأدب الإسلامي) وَتَصَدَّرُ عَنْ مَكْتَبِ بَاكِسْتَانِ. وَقَدْ نُشِرَ مِنَ الدَّرَاسَاتِ وَالبُحُوثِ الْأَدَبِيَّةِ وَالتَّقْدِيَّةِ، النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ وَالمُنْجَزَاتِ الْإِبْدَاعِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ أَجْنَاسِ الْأَدَبِ مَا يُوضِّحُ مَعَالِمَ النَّظَرِيَّةِ وَيُؤَصِّلُ الْمَبَادِئَ وَيُقَرِّمُ الْمُصْطَلَحَاتِ وَالمَفَاهِيمَ وَيُقَدِّمُ التَّمَاذِجَ الْمُنْضَبَطَةَ فِكْرًا وَقَنًا. كَمَا أَعْلَنَتِ الرَابِطَةُ عَنْ الْمُسَابَقَاتِ تَشْجِيعًا وَدَعْمًا لِهَذَا الْمَسْعَى الْحَمِيدِ، وَعَقَدَتِ التَّدَوَاتِ، فَكَانَتِ التَّدْوَةُ الْأُولَى لِلْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ بِلَكْنَهُو (الهند) عَامَ 1401 هـ / 1981 م، وَالثَّانِيَةُ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ 1402 هـ / 1982 م وَالثَّلَاثَةُ بِجَامِعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالرِّيَاضِ عَامَ 1405 هـ / 1985 م.<sup>(4)</sup> وَلَمَّا بَدَأَ يَتَعَزَّزُ اتِّجَاهُ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ وَيَكْثُرُ أَنْصَارُهُ وَمُتَلَقُوهُ أُنْفَسَحَتْ لَهُ جَامِعَةُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْمَجَالِ وَنَصَبَتْ لَهُ مَنِيرًا، فَأَقْرَبَتْهُ مَادَّةٌ تَدْرِيسِيَّةٌ وَأَنْشَأَتْ لَهُ قِسْمَ التَّقْدِ وَالبَلَاغَةِ

(1) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والتقد، ص: 113.

(2) أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات التقدي الأدبي الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د، ت)، ص: 9.

(3) أنور الجندي: (من أسلمة الأدب العربي إلى إنشاء أدب إسلامي) مجلة الأدب الإسلامي، س: 2، ع: 7، محرم 1416 هـ، ص: 3.

(4) مأمون فريز حرار: نظرات إسلامية في الأدب والحياة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1414 هـ - 1993 م، ص: 24.

وَمَنْهَجِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، فَكَانَتْ الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ الَّتِي حَازَتْ عَلَى قَصَبِ السَّبْقِ فِي تَبْيِينِهَا لَهُ، وَاقْتَدَتْ بِهَذِهِ السُّنَّةِ الْحَمِيدَةِ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقَدْ نَحَوَّلَ الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ إِلَى ظَاهِرَةٍ أَدَبِيَّةٍ يَصْعُبُ تَجَاهُلُهَا<sup>(1)</sup> ثَبَتَ أَصْلُهَا فِي ثُرْبَةِ الْأَدَبِ وَامْتَدَّ فَرْعُهَا فِي الْأَفْقِ وَأَتْبَعَ ثَمَرُهَا، فَتَوَالَتِ الْكِتَابَاتُ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ تَنْظِيرًا وَإِبْدَاعًا وَدَرَسًا، وَبَلَّغَتْ مَبْلَغًا جَعَلَ رَابِطَةً الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ تَشْعُرُ بِضُرُورَةٍ وَضَعُ دَلِيلٍ لِمَكْتَبَةِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ يَكُونُ عَوْنًا لِلْبَاحِثِينَ وَمُرْشِدًا لِلدَّارِسِينَ فَأَوْصَتْ بِإِعْدَادِ دَلِيلٍ أَدَبِيِّ مُفَهَّرَسٍ (بِبَلْيُوغْرَافِيَا) لِلأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي أَنْتَجَهُ الأَدْبَاءُ الْإِسْلَامِيُّونَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَأُسْنَدَ هَذَا الْعَمَلِ إِلَى عَبْدِ الْبَاسِطِ بَدْرِ الَّذِي لَمْ يَتَقَاعَسْ عَنْ بَذْلِ الْجُهْدِ حَتَّى أَصْدَرَ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنَ الدَّلِيلِ، وَقَدْ اقْتَصَرَ عَلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَكْتُوبِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَذَلِكَ لِضَخَامَةِ الْعَمَلِ وَكَثْرَةِ الْمَادَّةِ الَّتِي تُشَكِّلُ مُدَوَّنَةَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ. وَقَدْ وَصَفَ تَجْرِبَتَهُ فِي إِنْجَازِ هَذَا الْعَمَلِ حِينَ قَالَ: "وَقَدْ أَهْتَمَّتْ رَابِطَةُ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَالَمِيَّةُ بِإِصْدَارِ هَذَا الدَّلِيلِ مِنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ، وَعَهَدَتْ إِلَيَّ بِإِعْدَادِهِ، وَشَرَعْتُ أَجْمَعُ الْمَادَّةَ الْأَوَّلِيَّةَ مِنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ وَالذُّوْرِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى، مِنْ الْكُتُبِ الَّتِي أَحْدَثَهَا فِي الْمَكْتَبَاتِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَالتَّجَارِيَةِ وَالرَّسْمِيَّةِ، فَوَجَدْتُ الْمِيدَانَ وَاسِعًا سَعَةً لَا تَكْفِيهِ جُهْدُ فَرْدِيَّةٍ مَهْمَا كَانَتْ دَوْرُوبَةً مُجْتَهِدَةً، فَالْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ مُمْتَدُّ مِنَ الْمُحِيطِ إِلَى الْخَلِيجِ، وَثَمَّةَ إِصْدَارَاتٍ خَارِجَ حُدُودِهِ تَزِيدُ الْمِيدَانَ سَعَةً وَتَزِيدُ الْبَاحِثِينَ مَشَقَّةً، وَلَا بُدَّ أَنْ تَتَكَاثَفَ الْجُهُودُ لِعُطْيَةِ الْمَسَاحَةِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي يَنْتَشِرُ فِيهَا الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ وَدِرَاسَاتُهُ".<sup>(2)</sup> وَقَدْ اِحْتَوَى هَذَا الْجُزْءُ مِنَ الدَّلِيلِ كُلَّ مَا اسْتَطَاعَ الْمُؤَلِّفُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْأَدَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ جَنْسٍ أَدَبِيٍّ سِوَا مَا كَانَ دِرَاسَةً أَمْ بَحْثًا أَمْ مَقَالَةً أَمْ تَرْجُمَةً أَمْ خَاطِرَةً أَمْ دِيْوَانَ شِعْرٍ أَمْ رِحْلَةً أَمْ قِصَّةً أَمْ مُخْتَارَاتٍ شِعْرِيَّةً أَمْ مُذَكَّرَاتٍ أَمْ مَسْرُحِيَّاتٍ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ مُصْطَلَحَ (الأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) لَيْسَ جَدِيدًا فِي الْإِسْتِعْمَالِ، فَقَدْ وُظِّفَ فِي الْكِتَابَاتِ الَّتِي تُعْنَى بِتَارِيخِ الْأَدَبِ مُشِيرًا إِلَى أَدَبِ الْفِتْرَةِ الَّتِي تَلَتْ الْعَصْرَ الْجَاهِلِيَّ وَمَا مَثَلَهُ مِنْ أَدَبِ أَيِّ الْفِتْرَةِ الَّتِي بَزَغَ فِيهَا نُورُ الْإِسْلَامِ مَعَ بَدْءِ الْوَحْيِ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ تَمْتَدَّ هَذِهِ الْفِتْرَةُ إِلَى الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ الَّتِي مَثَلَهَا كِبَارُ صَحَابَةِ الرُّسُولِ، وَقَدْ عُرِفَ هَذَا الْأَدَبُ -أَيْضًا- بِأَدَبِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَفِي هَذَا الْمَضْمَارِ يُحَدِّدُ نَافِيسٌ مَعْرُوفٌ مَفْهُومَ الْمِصْطَلَحِ بِقَوْلِهِ: "وَمَا يَعْنِينَا فِي هَذِهِ الْعُجَالَةِ هُوَ أَنَّ نُحَدِّدَ مَفْهُومَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي اتَّخَذْنَاهُ مَعْلَمًا لِكِتَابِنَا، وَقَصَرْنَاهُ عَلَى صَدْرِ الْإِسْلَامِ الَّذِي يَبْدَأُ بِعَصْرِ النَّبُوَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَيَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ؛ تِلْكَ الْحِقْبَةُ الَّتِي كَانَتْ، وَمَا زَالَتْ، وَسَبَقَتْ،

(1) عبد الباسط بدر: دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1413هـ - 1993م، ج: 1، ص: 5.  
(2) المرجع نفسه، ص: 9.

القِبْلَةَ الَّتِي تَهْفُو إِلَيْهَا الْقُلُوبُ، وَتَسْتَرْشِدُ بِهَا الْعُقُولُ، وَتَسْمُو بِسْمُوهَا النَّفُوسُ".<sup>(1)</sup> وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ تَحْدِيدَ الْمُصْطَلِحِ يَنْطَلِقُ مِنْ زَاوِيَةِ نَظَرٍ زَمْنِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ دُونَمَا إِلِمَامٍ بِالْمُضْمُونِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي كَانَ الْإِسْلَامُ الدَّافِعَ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ بِنَاءِ شَخْصِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ إِنْسَانِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ عَقْلًا وَوَجْدَانًا.<sup>(2)</sup> وَقَدْ فَهِمَ تَبَعًا لِهَذِهِ النَّظَرَةَ عَلَى أَنَّهُ "أَدَبٌ فِتْرَةٌ لَا أَدَبٌ فِكْرَةٌ".<sup>(3)</sup> وَقُصُورُ هَذِهِ النَّظَرَةِ بَيْنَ إِذْ يَكْمُنُ فِي عَدِّ الزَّمَنِ إِطَارًا لِمَفْهُومِ هَذَا الْأَدَبِ، وَالْإِطَارُ الزَّمَنِيِّ بِمِثَابَةِ الْوِعَاءِ الَّذِي يَتَّسِعُ لِكُلِّ الْأَفْكَارِ وَالرُّؤَى الْإِسْلَامِيَّةِ وَغَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَقَدْ وُظِفَ الْمُصْطَلِحُ مَرَّةً أُخْرَى وَاتَّسَعَتْ دَلَالَتُهُ لِتَشْمَلَ كُلَّ مَا أَنْتَجَتْهُ قِرَائِحُ أَفْذَادِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَجَادَتْ بِهِ أَقْلَامُهُمْ مِنْ مَنْظُومٍ وَمَنْثُورٍ، سِوَاءِ أَوْافِقِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ أَمْ لَمْ يُوَافِقْهُ، وَهَذَا التَّحْدِيدُ عِرْقِيٌّ قَوْمِيٌّ إِذْ يَتَّكِي عَلَى الْجِنْسِ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ هَذَا الْأَدَبُ.

وَلَعَلَّ تَوْظِيْفَ الْمُصْطَلِحِ بِهَذَا الْمَفْهُومِ تَوْظِيْفٌ اسْتِشْرَاقِيٌّ- فِي الْبَدءِ- مَهْدَلٌ لَهُ الْمُسْتَشْرِقُونَ ثُمَّ صَادَفَ اسْتِحْسَانًا فِي نَفُوسِ الْمُرِيدِينَ وَلَقِيَ قَبُولًا لَدَى الْمُتَقَفِينَ أَثَرَهُمْ مِنْ تَلَامِذَتِهِمُ الْعَرَبِ، إِذْ تَنْتَشِرُ فِي كِتَابَاتِهِمْ مُصْطَلِحَاتٌ مِنْ مِثْلِ: الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، أَدَبِ الشَّرْقِ الْمُسْلِمِ، الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ، أَدَبِ الْمُسْلِمِينَ، شِعْرُ عَالَمِ الْإِسْلَامِ، وَتَنْصَرِفُ دِلَالَةُ هَذِهِ الْمُصْطَلِحَاتِ إِلَى تَارِيخِيَّةِ الْأَدَبِ وَجُغْرَافِيَّتِهِ".<sup>(4)</sup> وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالْمُصْطَلِحُ مِنْ حَيْثُ صِيَاغَتُهُ اللَّغَوِيَّةُ مَأْلُوفٌ فِي الْبَيْئَةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ.

أَمَّا جِدَّةُ الْمُصْطَلِحِ فَتَنْجَسِدُ فِي تَوْظِيْفِهِ الْمُعَاصِرِ بِدِلَالَةِ مُفَارَقَةِ تَقْتَصِرُ عَلَى الْأَدَبِ الصَّادِرِ عَنِ الْمُسْلِمِ الْمُتَرْتِمِ بِمَبَادِيِ الْإِسْلَامِ وَقِيَمِهِ فِي شِعْرِهِ وَنَثَرِهِ، وَفِي ضَوْءِ هَذَا التَّحْدِيدِ يَتَنَحَّى مِنْ دَائِرَةِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ كُلُّ أَدَبٍ يُخَالِفُ مَا تَشْنُدُو إِلَيْهِ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ تَعَالِيمٍ مُشْرِقَةٍ وَمَبَادِيٍّ مُضِيئَةٍ وَقِيَمٍ سَامِيَّةٍ وَإِنْ صَدَرَ مِثْلُ هَذَا الْأَدَبِ عَنْ مُسْلِمٍ. فَتَلِكْ، إِذَا، دِلَالَةُ الْمُصْطَلِحِ الْعَامَّةُ؛ أَيُّ أَنْ يُطْلَقَ "وَيُرَادُ بِالْإِسْلَامِيَّةِ فِيهِ الْخُدُودُ الزَّمَانِيَّةُ لِعُصُورِ الْإِسْلَامِ الْأُولَى، وَمِنْ ثَمَّ فَالْمُرَادُ بِهِ أَدَبُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ نَرَاهُ فِي الدِّرَاسَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ مُتَقَدِّمَةً فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ قَبْلَ شَيْوَعِ مُصْطَلِحِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ وَإِطْلَاقِهِ عَلَى الْمَنْهَجِ فِي الْكِتَابَةِ، مِثْلَ كِتَابِ (دِرَاسَاتِ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) لِمَحْمَدِ خَلْفِ اللَّهِ أَحْمَدَ، وَدِرَاسَاتِ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) لِسَامِي مَكِّي الْعَلْبَانِي، وَ(مِنْ أَدَبِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِعَبَّاسِ الْجَرَّارِيِّ".<sup>(5)</sup> وَهَذِهِ دِلَالَةُ الْمُصْطَلِحِ الْخَاصَّةُ أَيُّ أَنَّهُ يُطْلَقُ "وَيُرَادُ بِهِ الْأَدَبُ ذُو الْمَنْحَى الْإِسْلَامِيِّ فِي التَّصَوُّرِ وَالتَّصْوِيرِ أَوْ الْمَذْهَبِيَّةِ

(1) نايف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار الفنائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 2، 1418هـ/1998م، ص: 7.

(2) المرجع نفسه، ص: 7.

(3) مأمون فريز حرار: خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة، للنشر والتوزيع، جدة، ط: 1، 1408هـ-1988م، ص: 13.

(4) عبد الله صالح الوشمي: جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1426هـ-2005م، ص: 66.

(5) أحمد محمد علي حنطور: (مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين) مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثانية، العدد الخامس، رجب 1415، ص: 16.

الإسلامية في الأدب".<sup>(1)</sup> وقد قدّم دارسو الأدب الإسلامي والداعون إليه جملة من المفاهيم في إطار هذه الدلالة تتسع حيناً فتدخل ما يوافق الأدب الإسلامي من الآداب العالمية بعده الأدب الذي يلتقي مع تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان سواءً أصدر عن أديب مسلم أم غير مسلم، وسواءً أكان ذلك يلتقي مع الحدود الزمانية والمكانية للإسلام أم يسبقها زمنًا ويتخطاها مكاناً إلى أدباء الحكمة المتقيّة مع توجهاته وأدباء الدعوات الإنسانية العامة من غير المسلمين، وذلك على أساس أن الإسلام دين الفطرة الإنسانية، وتضيق تلك الدلالة حيناً آخر فتتخصّر في الأدب الذي يدور في فلك تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان، ويصدر عن الأديب المتّزم بتصورات الإسلام ومبادئه وتطبيقاته العملية في الأقوال والأفعال.<sup>(2)</sup>

وقد يتضح أن الأدب الإسلامي قد يمثّل إشكالية في المصطلح والمفهوم، فدلالته لم تتبلور في مفهوم واحد ولم تستقر في تحديد أو تعريف دقيق-وهذا الأمر لا يشمل الأدب الإسلامي وحده فكثير من العلوم الإنسانية تفتقد مصطلحاته إلى الإجماع والضبط العلمي- ولعلّ ما يبدو من خلاف في مصطلح الأدب الإسلامي فهو يأتي من جهة الوصف أو مدى النسبة، أعني بذلك أن يطلق ويراد بالإسلامية فيه الاتفاق مع قيم الإسلام ومبادئه، وعلى قدر يتيح له الالتقاء معه، أو ضرورة أن ينطلق ذلك من قاعدة إسلامية يقينية لدى المنشي أو الأديب.<sup>(3)</sup>

وقد صادف مصطلح (الأدب الإسلامي)، في أوّل ظهوره، معارضة في الأوساط الأدبية، ولم يسلم من انتقاد الدارسين؛ انتقاداً يغلو حتى يصل إلى درجة رفض المصطلح بكليته فلا مبرر يسوغ استعمال هذا المصطلح ما دام الأدب العربي أدباً إسلامياً وإن وجدت فيه نصوص تنأى عن قيم الإسلام ومثله، فهي قليلة ولا تُغيّر من طبيعته أو صفته، وبناءً عليه لا يحق أن يكون هذا المصطلح الحديث بديلاً عن المصطلح القديم (الأدب العربي)، فهذا الأخير يُحقّق القصد وينفي بالعرض. والحق أن الأدب العربي إذا كان قد سلّم من الزيع وأمن الانحراف في عصر النبوة والخلافة الراشدة فإنه لم يكن بمأمن من الضلال والضياع في بعض حالاته وفي بعض أطواره في العصور التي تلت، ولا خوف على مصطلح (الأدب العربي)-الذي ينسب إلى اللغة في المنطلق- من مصطلح (الأدب الإسلامي) لانه مصطلح يرتكز على مضمون الأدب-الذي ينبغي أن يضبط بالتصوّر الإسلامي الصحيح-، فلا تعارض بينهما من حيث هذا الجانب.<sup>(4)</sup>

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 16 .

(2) المرجع نفسه، ص: 17.

(3) المرجع نفسه، ص: 16.

(4) عبد القدوس أبو صالح: (شبهة المصطلح) مجلّة الأدب الإسلامي، السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الثامن، ربيع الثاني

1416هـ/1995م، ص: 3.

ولم يكن موضوع الجدل حول مفهوم الأدب الإسلامي أو محتواه أو منهجه ولكن كل الجدل انصب على التسمية والاصطلاح، لأن المناخ الفكرية والثقافية والأدبية في تلك الفترة من القرن الماضي لم يكن مهيئاً بشكل كافٍ لتلقي المنظومة الاصطلاحية الإسلامية المعرفية المتنوعة كـ (الأدب الإسلامي) و (الفقيد الإسلامي) و (علم النفس الإسلامي) و (علم الاجتماع الإسلامي)، وما إلى ذلك من مصطلحات ومفاهيم أُنشئت الدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح لمواجهة الغزو الفكري والثقافي بشتى ألوانه. وكان الحكم يكاد يكون مجمعاً على أن هذا الضرب من الاصطلاحات "خلط غير علمي من جهة، ومن جهة أخرى هو حشر للدين في غير مجاله المحدود الذي لا ينبغي في نظرهم أن يتعداه، وهو أن يكون علاقة بين العبد والرب، محلها القلب، ولا صلة لها بواقع الحياة".<sup>(1)</sup>

وفي خضم هذا الجدل الذي أثاره المصطلح، فقد اقترحت بدائل اصطلاحية لتحل محل المصطلح الرئيس (الأدب الإسلامي)، وفي مقدمة تلك القائمة من المصطلحات مصطلح (أدب الدعوة) ومصطلح (الاتجاه الإسلامي) ومصطلح (الأدب المسلم) ومصطلح (آداب الشعوب الإسلامية) ومصطلح (الأدب الديني) ومصطلح (أدب العقيدة الإسلامية) ومصطلح (الأدب الأخلاقي). وجملة هذه المصطلحات لا ترقى -عند النظر في ماهيتها والتدقيق في علاقة دالها بمدلولها- إلى مستوى المصطلح الرئيس من حيث أداؤه لدلالته الحديثة الكلية واستيفائه للدلالات الجزئية التي تتضمنها المصطلحات البديلة، فالأدب الإسلامي "يشمل أي موضوع أو تجربة إنسانية تتعلق بالكون الفسيح والحياة المتشعبة والإنسان الذي يحيا حياته في هذا الكون".<sup>(2)</sup>

فالأدب الدعوة -على أهميته- لا يتسع للتعبير عن كل ما يمثل الأدب الإسلامي الذي يستوعب التجربة الدعوية ويتجاوزها إلى غيرها، أما قسيمه الآخر (الاتجاه الإسلامي) فهو يقزم الأدب الإسلامي ويهون من شأنه فيجعل منه مجرد اتجاه أو بعد ويحرمه صفة النظرية المتكاملة أو المذهب الأدبي القائم على الخصوصية الإسلامية المتميزة. ولا حرج في استعمال هذا المصطلح إلى جوار المصطلح الرئيس إذا ما قصدنا به وصف اتجاه محدد قد بدأ في أدب أديب معين، فالتجربة الإبداعية قد تتناولها اتجاهات متعددة ولا يمتنع أن يدرس الاتجاه الإسلامي فيها إذا ظهر في هذا الأدب ما ينم عنه من خصائص وسمات تخص الشكل والمضمون.

أما مصطلح (الأدب المسلم) فتعوزه إحدى شروط المصطلح، فهو يفتقر إلى التحديد والجمع والمنع لدلالته على الأدب الذي يصدر عن أي مسلم إذا ما وافق التصور الإسلامي، وقد رأى عبد القدوس أبو صالح أن الخروج من إشكالية النص ذي المضمون الموافق للتصور الإسلامي "أن نقول: إن هذا النص موافق للأدب الإسلامي ولم

(1) محمد قطب: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط: 1، 1423هـ-2003م، ص: 146.

(2) عبد القدوس أبو صالح: (شبهة المصطلح)، ص: 4.

تَخْرُجُ بِذَلِكَ عَنِ الْمَعْيَارِيَّةِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي اسْتَظْهَرَتْهَا مِنْ تَعْرِيفِ الرَّابِطَةِ لِلْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ بِأَنَّهُ "التَّعْبِيرُ الْفَنِّيُّ الْهَادِفُ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ وَفَقَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ".<sup>(1)</sup> وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَعْدُ أَبُو الرِّضَا حَيْثُ يَقُولُ: "يُمْكِنُنَا أَنْ نَصِفَ الْأَدَبَ ذَا الْخَصَائِصِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَدَبِ الْمُوَافِقِ".<sup>(2)</sup> وَإِنْ كَانَ سَعْدُ أَبُو الرِّضَا يُؤْتِرُ مُصْطَلِحَ (الْأَدَبِ الْمُوَافِقِ) فَهُوَ لَا يَرَى بِأَسَا أَنْ يَصْدُرَ الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ عَنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِ أَوْ عَنِ الْمُسْلِمِ غَيْرِ الْمُتَزِمِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُفْهَمَ مِنَ الصِّفَةِ (الْإِسْلَامِيَّةِ) -بِهَذِهِ النِّسْبَةِ التَّحْوِيَّةِ- إِلَّا الْأَدَبُ الصَّادِرُ عَنِ الْمُسْلِمِ الْمُتَزِمِ لِمَا فِي هَذَا الْفَهْمِ مِنْ تَضْيِيقِ لِرَاسِعِ. كَمَا أَنَّ صِفَةَ (الْمُسْلِمِ) لَا تَجْعَلُ الْإِسْلَامَ أَكْثَرَ اتِّصَالًا بِطَبِيعَةِ هَذَا الْأَدَبِ أَوْ أَشَدَّ وَضُوحًا فِيهِ، وَيَمِيلُ إِلَى الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ دِلَالَةَ لَفْظَةِ (الْإِسْلَامِيَّةِ) أَكْثَرَ تَحْقِيقًا لِلْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَدَبِ، وَهِيَ تَشِي بِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ تَصَوُّرٍ لِحَمَّتِهِ وَسَدَاهُ الْإِسْلَامَ بِقِيَمِهِ وَمَبَادِيئِهِ.<sup>(3)</sup> وَقَدْ تَبَّهَ مُحَمَّدٌ قُطْبٌ - وَهُوَ مِنَ الدَّاعِينَ الْأَوَائِلِ إِلَى ضَرُورَةِ وُجُودِ فَنٍّ وَأَدَبٍ إِسْلَامِيِّينَ - إِلَى وُجُودِ نَوْعٍ مِنَ الْأَدَبِ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَمِّيَهُ أَدَبًا إِسْلَامِيًّا لِأَنَّ أَصْحَابَهُ لَيْسُوا مُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّهُ يَلْتَقِي مَعَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ فِي بَعْضِ مَفَاهِيمِهِ، أَوْ بَعْضِ تَصَوُّرَاتِهِ، أَوْ بَعْضِ تَوْجُّهَاتِهِ، فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، وَأَفْتَرَحَ أَنْ نَقُولَ عَنْهُ -إِقْتِدَاءً بِمَوْقِفِ الرَّسُولِ ﷺ: "إِنَّهُ أَدَبٌ يَلْتَقِي فِي بَعْضِ حَوَانِيهِ بِالْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ وَنَقِفُ هُنَاكَ".<sup>(4)</sup>

وَيَبْدُو مُصْطَلِحَ (آدَابِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ) أَبْعَدَ مِنْ أَنْ يَصْلِحَ كَعُنْوَانٍ لِمَذْهَبٍ أَدَبِيٍّ أَوْ نَظْرِيَّةٍ فِي الْأَدَبِ، فَمِنْ جِهَةٍ قَدْ تَضَمَّنُ آدَابُ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَا يَتَنَافَى وَالْفِكْرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ اتِّجَاهَاتٍ وَمَذَاهِبَ قَائِمَةٍ عَلَى مُعْتَقَدَاتٍ وَإِيدِيُولُوجِيَّاتٍ تُعَارِضُ الْإِسْلَامَ، وَشَأْنُ هَذِهِ الْآدَابِ شَأْنُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي تَسْرِي فِي جَسَدِهِ تِيَّارَاتٌ مُتَنَاقِضَةٌ مُتَعَارِضَةٌ فِي قَدِيمِهِ وَحَدِيثِهِ. وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ لَيْسَ الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ أَدَبًا عَرَبِيًّا فَحَسْبُ أَوْ أَدَبَ الشُّعْبِ الْعَرَبِيِّ فَتَعَزَّلَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ آدَابُ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُعَبِّرُ بِلُغَاتِهَا الْخَاصَّةِ، فَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ هِيَ اللُّغَةُ الْأُولَى لِلْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ تُضَافُ إِلَيْهَا لُغَاتُ تِلْكَ الشُّعُوبِ، وَبِذَلِكَ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَشَكَّلَ مَنظُومَةُ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ شَامِلَةً آدَابَ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ تَأَصَّلَتْ قِيَمُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَذَلِكَ تَحْتَ مُصْطَلِحِ (الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) ذَلِكَ التَّرْكِيبُ الَّذِي شَاعَ بَيْنَنَا، وَأَصْبَحَ يَحْمِلُ هُوِيَّةَ ذَلِكَ الْأَدَبِ مُوَحَّدًا بَيْنَ دُعَاتِهِ، بَيْنَمَا تَرُكِبُ (آدَابِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ) قَدْ يَكُونُ مَدْعَاةً لِلتَّفَرِيقِ وَالتَّبَايُنِ".<sup>(5)</sup>

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 6.

(2) سعد أبو الرضا: (الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح) مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثانية، العدد السابع، محرم 1416هـ - 1995م، ص: 94.

(3) المرجع نفسه، ص: 95.

(4) محمد قطب: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 157.

(5) المرجع نفسه، ص: 94.

وَمِنَ الْمُصْطَلِحَاتِ الْوَجِيهَةَ مَا يَفْتَرِحُهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ إِبْرَاهِيمَ، حِينَ يَقُولُ: "إِنَّ التَّرْكِيزَ عَلَى صِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَعْنِي غَلْبَةَ الْمَضْمُونِ عَلَى الشَّكْلِ، وَإِنَّ السِّيَاقَ الْأَدَبِيَّ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمُصْطَلِحُ هُوَ (الْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ الْإِسْلَامِيُّ)". (1) وَقَدْ عَرَضَ هَذَا الْمُصْطَلِحَ فِي سِيَاقِ رَصْدِهِ لِلْمَاخِذِ الَّتِي تُلْحَظُ عَلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ غَلْبَةِ الْمَضْمُونِ عَلَى الشَّكْلِ وَالْمُبَاشَرَةِ أَوْ الْمَجَاهِرَةِ فِي عَرَضِ الْأَفْكَارِ وَإِهْمَالِ طَرِيقَةِ الْعَرَضِ، وَتَتَبَّحَةٌ لِذَلِكَ كَانَتْ صِفَةُ (الْإِسْلَامِيَّةِ) أَبْرَزَ مِنْ غَيْرِهَا وَأَكْثَرَ تَرَدُّدًا مِنْ صِفَةِ (الْعَرَبِيَّةِ) لِأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْمَضَامِينِ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِسْلَامُ إِلَى كُلِّ الْأَمَاكِنِ وَبِكُلِّ اللُّغَاتِ، بَيْنَمَا (الْعَرَبِيَّةُ) تَعْنِي اللُّغَةَ أَوْ الشَّكْلَ الَّذِي تُصَاغُ فِيهِ هَذِهِ الْمَضَامِينُ، وَمَا دُمْنَا فِي حَقْلِ الْأَدَبِ فَلَا يَجُوزُ الْإِسْتِعْنَاءُ عَنِ الشَّكْلِ، وَلَا مَنَاصَ مِنْ إِدْخَالِ عُنْصُرِ اللُّغَةِ فِي التَّقْيِيمِ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ طَاقَاتٍ وَإِمْكَانَاتٍ فَنِيَّةٍ وَجَمَالِيَّةٍ. وَفِي ظِلِّ هَذَا الْمُصْطَلِحِ يُعَرَّفُ الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ تَعْرِيفًا جَدِيدًا يَجْعَلُ مِنْهُ: "تَعْبِيرًا عَنْ رُوحِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي صِبَاغَةٍ فَنِيَّةٍ". (2) وَالْمُصْطَلِحُ نَفْسُهُ يَسْتَعْمَلُهُ عَابِدُ تَوْفِيقِ الْهَاشِمِيِّ فِي مُقَدِّمَةِ سِلْسِلَتِهِ (الْوَجِيزِ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاوِرِ وَتَارِيخِهِ) -الَّذِي تَعَرَّضَ فِيهِ إِلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاوِرِ وَتَارِيخِهِ شِعْرًا وَنَثْرًا فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ وَالْهِنْدِ وَالْيَمَنِ- حَيْثُ يَقُولُ: "هَذِهِ نَظْرَةٌ عَامَّةٌ حَاوَلْتُ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ أُرَكِّزَ عَلَى فِكْرَةِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَعْمَدُ إِلَى الْأَصُولِ وَيَسْتَلْهِمُهَا مِنْ أَجْلِ الْإِنْطِلَاقِ نَحْوِ الْإِبْدَاعِ وَالْإِبْتِكَارِ". (3)

وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ الْكَاتِبَ قَدْ اسْتَبَعَدَ إِشْكَالِيَّةَ الْمُصْطَلِحَاتِ مِنْ بَحْثِهِ وَصَرَّحَ بِذَلِكَ فِي مُسْتَهْلٍ مُقَدِّمَتِهِ إِذْ يَقُولُ: "هَذَا عَرَضٌ مُوجِزٌ لِتَارِيخِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاوِرِ مَعَ نُصُوصٍ قِيمَةٍ لِشِعْرَائِهِ الْمُبْدِعِينَ وَنَاثِرِيهِ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ وَلَا تُرِيدُ إِثَارَةَ إِشْكَالِيَّةِ الْمُصْطَلِحَاتِ الْأَدَبِيَّةِ". (4) لِأَنَّ هَمَّهُ كَانَ التَّرْكِيزَ عَلَى عَرَضِ النُّصُوصِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِيهَا حَلِيًّا الْمَفَاهِيمُ وَالْقِيمُ الْجَمَالِيَّةُ وَالْفَنِيَّةُ وَالتَّرْبُويَّةُ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةُ وَالْعَقْدِيَّةُ وَالْأَخْلَاقِيَّةُ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ. وَإِنْ كَانَ مِثْلُهُ إِلَى اسْتِخْدَامِ تَرْكِيبِ (الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ)، بَلْفَظِهِ وَمَعْنَاهُ، بَيْنَا فَهُوَ كَثِيرُ التَّرَدُّدِ فِي سِيَاقَاتِ الْبَحْثِ الْمُخْتَلِفَةِ بَدَأَ مِنْ الْعُنْوَانِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَفْهُومِ الَّذِي سَبَقَ إِقْرَارُهُ، وَهَذَا مَا نَلْمَحُهُ فِي قَوْلِهِ: "أَقَامَ قِسْمٌ مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالْكَتَّابِ وَمِنْ أَصْحَابِ الْفِكْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يُنَادُونَ بِضُرُورَةِ الْوُقُوفِ بَوَجْهِ الْعَزْوِ الْفِكْرِيِّ وَالْحَضَارِيِّ الَّذِي تَتَعَرَّضُ لَهُ الْأُمَّةُ". (5) وَفِي قَوْلِهِ -فِي مَعْرِضِ تَحْدِيدِ الصِّفَاتِ وَالضُّوَابِطِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْأَدِيبُ الْمُسْلِمُ-: "إِنَّا تُرِيدُ مِنَ الْأَدِيبِ أَنْ يَكُونَ مُبْدِعًا مُبْتَكِرًا، يَقُومُ أَدْبُهُ عَلَى الْمُقَوِّمَاتِ الْعَقْدِيَّةِ وَالْفَنِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ مُرَاعَاةِ عَدَمِ الْجُمُودِ عَلَى

(1) عبد الحميد إبراهيم: (الأدب الإسلامي والخروج من المأزق) مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثالثة، العدد الحادي عشر، ربيع الأول 1417هـ - 1996م، ص: 21.

(2) المرجع نفسه، ص: 24.

(3) عابد توفيق الهاشمي: الوجيز في الأدب الإسلامي المعاصر وتاريخه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م، ج: 2، ص: 9.

(4) المرجع نفسه، ص: 7.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نَمَطِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ، تَجْعَلُ أَدَبَهُ صَنَعَةً أَوْ مُحَاكَاةً تَقْلِيدِيَّةً لَأَرْوَحَ فِيهَا، فَأَسَاسُ الْقَضِيَّةِ فِي الْإِبْدَاعِ لَيْسَ فِي إِيجَادِ أَشْكَالٍ غَرِيْبَةٍ مُنْفَصِلَةٍ عَنِ رُوحِ الْأُمَّةِ وَهَوِيَّتِهَا".<sup>(1)</sup> وَبَلَا أَدْنَى شَكٍّ فَعَلَى أَقْوَالِ عَابِدِ تَوْفِيْقِ الْهَاشِمِيِّ الْإِلْحَاحُ عَلَى ضَرْوَرَةِ قِيَامِ هَذَا الْأَدَبِ عَلَى شَرْطَيْنِ مُهِمَّيْنِ، هُمَا الْفِكْرَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالصِّيَاغَةُ الْفَنِّيَّةُ الْمُتَجَاوِزَةُ لِلنَّمَطِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ.

وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى أَنَّ عَظَمَةَ الْمَوْضُوعِ وَسُمُوَّ أَفْكَارِهِ لَا يَرْفَعَانِ مِنْ قِيَمَةِ النَّصِّ إِنْ كَانَ هَشَّ الْبِنَاءِ ضَعِيفَ الْإِيْجَاءِ، وَبِالْمُقَابِلِ نَجِدُ أَنَّ ابْتِدَالَ الْمَوْضُوعِ وَبَسَاطَةَ أَفْكَارِهِ لَا يَجْعَلَانِ النَّصَّ مُنْحَطًّا، مَا دَامَ التَّعْبِيرُ فَنِيًّا مُسْتَوْفِيًّا شَرْوَطِ الْعَمَلِ الْإِبْدَاعِيِّ".<sup>(2)</sup> فَلِلشَّكْلِ أَوْ الْبِنَاءِ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ رَصِيدُهُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ لَا يُهْدَرَ فِي آيَةٍ مُمَارَسَةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ أَوْ مُقَارَبَةٍ نَقْدِيَّةٍ، وَزِينَتُهُ وَجَمَالُهُ الَّذِي يُفْتَرَضُ أَنْ لَا يُشَوِّهُ حَتَّى يُحَقِّقَ الْأَدَبُ أَدَبِيَّتَهُ، وَهَذَا مُسَوِّغٌ كَافٍ لِأَهْلِيَّةِ الْمَصْطَلَحِ الْأَخِيرِ إِذَا لَمْ يَنْصَرَفِ الْمَصْطَلَحُ الرَّئِيسُ إِلَى هَذِهِ الدَّلَالَةِ.

وَلَا تَتَوَفَّرُ بَقِيَّةُ الْمَصْطَلَحَاتِ الْمُقْتَرَحَةِ فِي تَرْكِيْبِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى مَا يُؤْهَلُهَا لِمُنَافَسَةِ الْمَصْطَلَحِ الرَّئِيسِ، فَهِيَ قَاصِرَةٌ مِنْ حَيْثُ مَفْهُومُهَا وَلَا تَسْتَوْعِبُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَوْعِبَهُ مُصْطَلَحُ (الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) مِنْ مَنَاحِي التَّجْرِبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الثَّرِيَّةِ، فَمُصْطَلَحُ (الْأَدَبِ الدِّيْنِيِّ) عَامٌّ إِذْ كُلُّ الْآدَابِ الْعَالَمِيَّةِ نَشَأَتْ فِي رِحَابِ الدِّيْنِ، وَهُوَ - كَبَدِيلِ عَنِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ - يَأْسِرُ الْأَدَبَ فِي زَاوِيَةٍ ضَيِّقَةٍ مِنْ زَوَايَا الْحَيَاةِ الْمُتَمَدِّدَةِ الْمُتَنَائِيَّةِ الْأَطْرَافِ وَيُلْزِمُهُ بِالتَّعْبِيرِ عَنِ مَوْضُوعَاتٍ لَا تَتَعَدَّى دَائِرَةَ الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ، وَفِي الْوَاقِعِ يُشَكِّلُ الْإِسْلَامُ نِظَامًا شَامِلًا مُتَمَرِّدًا وَمَنْهَجَ حَيَاةٍ مُتَمَيِّزًا لَا يَهْتَمُّ بِجَانِبٍ وَيُهْمِلُ جَانِبًا آخَرَ، وَالْأَدَبُ الَّذِي يَلْتَزِمُ بِالْإِسْلَامِ يُفْتَرَضُ فِيهِ أَنْ يُثَمِّلَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَهَذَا مَا يُنَاطُ بِالْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ. وَقَرِيبٌ مِنْ مُصْطَلَحِ (الْأَدَبِ الدِّيْنِيِّ) مُصْطَلَحُ (أَدَبِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) وَ(الْأَدَبِ الْأَخْلَاقِيِّ) الَّذِي يُوْحِيَانِ بَأَنَّهُمَا أَدْبَانِ يَعْكَفَانِ عَلَى مَوْضُوعَاتٍ جُزْئِيَّةٍ مِنَ الْعَقِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ، فَصَحِيحٌ أَنْ (الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ) يَنْطَلِقُ مِنْ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةِ وَأَخْلَاقِهِ الْمُثَلِّي إِلا أَنَّهُ يُحَلِّقُ بَعِيدًا فِي كُلِّ أَفْقٍ وَيُوقِعُ كُلَّ لَحْنٍ يَهْزُ الْفِطْرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ السَّلِيمَةَ. وَلَا يُمَكِّنُ تَجْرِيدَهُ مِنْ مُنْطَلَقِهِ الْأَخْلَاقِيِّ فَهُوَ أَحَدُ الْمَعَايِرِ التَّقْدِيَّةِ فِي النَّظَرِ إِلَى إِسْلَامِيَّةِ الْعَمَلِ الْأَدَبِيِّ وَالْحُكْمِ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ مُحْتَوَاهُ وَمَضْمُونُهُ، وَيُؤَكِّدُ بِهَجْتِ عَبْدُ الْعَفُورِ الْحَدِيثِيِّ أَهْمِيَّةَ هَذَا الْمَعْيَارِ بِقَوْلِهِ: "وَسَنْظَلُ نَعْتَقُدُ بِأَنَّ الْمَعْيَارَ الْأَخْلَاقِيَّ يَبْقَى دَاخِلًا فِي الْعَمَلِيَّةِ التَّقْدِيَّةِ وَلَوْ بِصُورَةٍ نَسْبِيَّةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اتِّجَاهِ التَّقْدِ الْحَدِيثِ إِلَى إِبْعَادِ الشُّعْرِ عَنِ كُلِّ الْمُؤَثَّرَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَالتَّرْكِيزِ عَلَى الصُّورَةِ الْفَنِّيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ الْمُتَكَوِّنَةِ مِنْ تِلْكَ الْعَلَاَقَاتِ اللَّغَوِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ تَجْرِيدُ الصُّورَةِ عَنِ إِشْعَاعَاتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ وَدَلَالَاتِهَا غَيْرِ الْفَنِّيَّةِ لَأَسِيْمَا أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ هِيَ مَصْدَرُ الْإِلْهَامِ وَهِيَ مَصْدَرُ الْحُكْمِ فِي الْفَنِّ عَامَّةً وَالشُّعْرِ خَاصَّةً وَأَنَّ الشَّيْءَ الْجَمِيلَ هُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي النَّفْسِ مَوْقِعَ الْقَبُولِ وَالْإِسْتِحْسَانِ لَيْسَ مِنَ النَّاحِيَّةِ الْفَنِّيَّةِ فَحَسْبُ بَلْ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي الَّتِي تُثْبِتُ فِي النَّفْسِ دَوَاعِي

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 9.

(2) أحمد محمد قدور: المختار في الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1414هـ-1993م، ص: 11.

الإستحسان والشُّعور بِالجمالِ".<sup>(1)</sup> فالْمَعْيَارُ الأَخْلَاقِيُّ أَحَدُ المَعَايِرِ إِلَى جَانِبِ مَعَايِرِ أُخْرَى تَخْتَصُّ بِالنَّظَرِ فِي جَمَالِيَّةِ العَمَلِ وَصُورَتِهِ الفَنِّيَّةِ فَيَقِيمُ عَلَى أَسَاسِهَا. وَهَذَا مَا يَجْعَلُ مُصْطَلَحَ (الأَدَبِ الأَخْلَاقِيِّ) ضَيِّقًا فِي دَلَالَتِهِ وَمَحْدُودًا فِي إِشَارَتِهِ، فَضَّلًا عَن أَنْ بَعْضَ آدَابِ الشُّعُوبِ غَيْرِ الإِسْلَامِيَّةِ قَدْ تَنَسَّمَ بِالأَخْلَاقِيَّةِ.

وَهُنَاكَ مُصْطَلَحٌ آخَرٌ مُتَدَاوِلٌ فِي النِّقْدِ الإِسْلَامِيِّ وَيَحْمِلُ مَا يَحْمِلُهُ مُصْطَلَحُ (الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ) مِنْ دَلَالَةٍ، وَهُوَ مُصْطَلَحُ (الوَاقِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ) الَّذِي يَقْتَرِحُهُ أَحْمَدُ بَسَّامٌ سَاعِي فِي كِتَابِهِ (الوَاقِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الأَدَبِ وَالنِّقْدِ)، وَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يُوضِّحَ مَفْهُومَ مُصْطَلَحِهِ مِنْ خِلَالِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْوَاعِ الوَاقِعِيَّاتِ الَّتِي عَرَفَهَا الأَدَبُ، فَالوَاقِعِيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ تُصَرُّ عَلَى أَنَّ "الإِنْسَانَ- مِنْ خِلَالِ وَاقِعِهِ الحَقِيقِيِّ- لَيْسَ عَقْلًا فَحَسْبُ، أَوْ قُلٌّ لَيْسَ مَادَّةً خَالِصَةً، إِنَّهُ رُوحٌ وَمَادَّةٌ، وَعَقْلٌ وَمَا وَرَاءَ العَقْلِ، وَوَاقِعٌ وَحَقِيقَةٌ، إِنَّ كُلًّا مِنَ الوَاقِعِ- الوَاقِعِ الأَرْضِيِّ المَادِّيِّ- وَالحَقِيقَةِ- الحَقِيقَةِ السَّمَاوِيَّةِ العُلْيَا- يَتَعَاضِدَانِ لِقِيَامِ الوَاقِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الأَدَبِ".<sup>(2)</sup> وَيُوظَّفُ حَلْمِي مُحَمَّدُ القَاعُودُ مُصْطَلَحَ (الوَاقِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ) كَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ (الوَاقِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي رِوَايَاتِ نَجِيبِ الكِيلَانِيِّ)، وَيُشِيرُ إِلَى اخْتِلَافِ الوَاقِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَنِ الوَاقِعِيَّةِ الأُورُوبِيَّةِ (الانْتِقَادِيَّةِ وَطَبِيعِيَّةِ) وَالوَاقِعِيَّةِ الإِشْتِرَاقِيَّةِ (المَارْكَسِيَّةِ) مَعَ وُجُودِ أُسُسٍ مَوْضُوعِيَّةٍ وَفَنِّيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَهُمَا وَيُؤَكِّدُ أَنَّ الوَاقِعِيَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ مَعَ انْتِقَادِهَا لِلوَاقِعِ "تَنْطَلِقُ فِي انْتِقَادِهَا مِنَ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَكُونُ دَائِمًا مُنْصَفًا، فَلَا يُبَالِغُ وَلَا يَهْوُلُ، أَيْضًا، لَأَ يَتَحَامَلَ بِسَبَبِ المَعَايِرَةِ فِي الإِثْمَاءِ، وَلَا يُجَبِّدُ الصَّرَاحَ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ كَمَا يَتَّبَعِي الوَاقِعِيُّونَ الإِشْتِرَاقِيُّونَ، فَضَّلًا عَن أَنَّ الأَمَلَ فِي الوَاقِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، هُوَ أَمَلٌ إِيمَانِيٌّ يَقُومُ عَلَى أُسَاسِ نُصْرَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ، حَيَاةً وَمَوْتًا".<sup>(3)</sup> كَمَا أَنَّ الوَاقِعِيَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ هَذَا المُنْطَلَقِ تُمَثِّلُ الصِّيَاغَةَ الفِكْرِيَّةَ وَالتَّطْبِيقِيَّةَ لِمَفْهُومِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ فِي صُورَتِهِ المَقْبُولَةِ وَالمُؤَثَّرَةِ فُؤِي مَجَالِ الرِّوَايَةِ وَالقِصَّةِ عَلَى الخُصُوصِ، حَيْثُ تُحَقِّقُ العَايَةَ الخُلُقِيَّةَ وَالفَنِّيَّةَ لِعَمَلِيَّةِ الإِبْدَاعِ الأَدْبِيِّ".<sup>(4)</sup> وَهَكَذَا، فَالمُصْطَلَحُ (الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ)- كَمَا وَضَّحَ وَوَلِدُ قِصَّابِ تَرْكِيبُ مُكُونٌ مِنْ لَفْظَتَيْنِ: (الأَدَبِ) وَ(الإِسْلَامِيِّ)، وَالأُولَى تُوحِّدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمِيعِ المَدَارِسِ الأَدْبِيَّةِ فِي الخِصَائِصِ الفَنِّيَّةِ وَالجَمَالِيَّةِ، وَفِي كُلِّ الأَدَوَاتِ الأَسْلُوبِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ، وَيُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الجَانِبَ الجَمَالِيَّ هُوَ جَوَازٌ مُرُورِ الكَلَامِ إِلَى عَالَمِ الأَدَبِ، وَهُوَ المُمَيِّزُ لِلأَدَبِ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ ضُرُوبِ القَوْلِ".<sup>(5)</sup> كَمَا أَنَّ هَذَا الجَانِبَ هُوَ مَوْضِعُ اتِّفَاقٍ بَيْنَ كَافَّةِ الاتِّجَاهَاتِ الأَدْبِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ المَشَارِبِ الفِكْرِيَّةِ وَالعَقْدِيَّةِ الَّتِي يَصْدُرُ عَنْهَا أَصْحَابُهَا، وَفِي هَذَا الصِّدَدِ

(1) بمجت عبد الغفور الحديثي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط: 1، 2003، ص: 50.

(2) أحمد بسام ساعي: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط: 1، 1405هـ-1985م، ص: 17.

(3) حلمي محمد القاعود: الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني دراسة نقدية، دار البشير، عمان، الأردن، ط: 1، 1416هـ-1996م، ص: 15.

(4) المرجع نفسه، ص: 16.

(5) وليد قصاب: في الأدب الإسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: 1، 1419هـ-1998م، ص:

يُلْفِتُ النَّظَرَ إِلَى حَقِيقَةِ هَامَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِاسْتِقْلَالِ التَّجَارِبِ الْأَدْبِيَّةِ عَنْ كُلِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحَدِّثَهُ مِنْ آثَارٍ مُتْرَبَّةٍ عَنْ مَضَامِينِهَا الْمُخْتَلَفَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ، كَذَلِكَ، أَنْ تَسْتَأْتِرَ آيَةٌ تَجْرِبِيَّةٌ بِقِيَمَةٍ مَا بِسَبَبِ هَذَا الْمُحْتَوَى الَّذِي قَدْ يَتَّصِلُ بِالْمُجْتَمَعِ بِصِلَةٍ أَوْ أُخْرَى، فَ"لِلتَّجْرِبَةِ الْأَدْبِيَّةِ قِيَمَةٌ مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الْآثَارِ النَّفْعِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَنْجُمُ عَنْهَا، أَيْ عَمَّا قَدْ يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ مَعْنَى خُلُقِيٍّ، أَوْ فِلْسَفِيٍّ، وَلَا يَجُوزُ لِلتَّجْرِبَةِ الْأَدْبِيَّةِ وَلَا لِلنَّظَرِيَّةِ التَّقْدِيَّةِ أَنْ تُهْمَلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْمُسْتَقَلَّةُ، أَوْ أَنْ تُقَصَّرَ فِي الْبَحْثِ عَنْهَا، وَكَشَفِ أَسْرَارِهَا، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْمَضْمُونُ بَدِيلًا لَهَا أَوْ شَاغِلًا عَنْهَا. (1) بَيْنَمَا اللَّفْظَةُ الثَّانِيَّةُ (الإسلامي) فِيهِ تَضْيِيفُ إِلَى الْأُولَى الرُّوْيَةَ الْفِكْرِيَّةَ الْمُنْطَلِقَةَ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى تَشْكِيلِ الْمَشَاعِرِ تَشْكِيلًا إِسْلَامِيًّا، هِيَ حَسَبَ مَا يُقُولُ: "أَنْ تَكُونَ الْعَقِيدَةُ هِيَ التَّرْبَةُ الَّتِي تَنْمُو فِيهَا هَذِهِ الْمَشَاعِرُ، لِتَكُونَ ثَمَارَهَا بَعْدَ ذَلِكَ هَذَا الْأَدَبُ الْمُمَيِّزُ مِنْ غَيْرِهِ. إِنَّهُ تَلَقَّى لِلْحَيَاةِ، وَالْإِحْسَاسِ بِهَا، وَالتَّعْبِيرِ عَنْهَا، مِنْ حِلَالٍ مَنَهَجَ هَذَا الدِّينِ، وَالتَّعْبِيَةَ لَهَا. (2) وَإِذَا كَانَ كُلُّ أَدَبٍ يَتَّفَاعَلُ فِي دَاخِلِهِ الْجَانِبَانِ الْفَنِّيُّ وَالْفِكْرِيُّ فَمُصْطَلِحُ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ يَعْكَسُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الثَّانِيَّةُ الثَّابِتَةُ.

إِنَّ مُصْطَلِحَ (الأدب الإسلامي)، بِهَذَا الْمَفْهُومِ وَبِكُلِّ بَدَائِلِهِ، لَيْسَ وَليدَ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ أَوْ تِتَاجِ الْعُقُودِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ بَلْ هُوَ عَرِيْقُ النَّشْأَةِ، فَلَقَدْ وَآكَبَ الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي لِحْظَةِ وِلَادَتِهَا الْأُولَى وَرَافَقَهَا فِي سِرِّهَا وَعَلْنَهَا وَنَافَحَ عَنْهَا فَدَفَعَ شَرَّ أَعْدَائِهَا وَرَدَّ كَيْدَ خُصُومِهَا، وَكَانَتْ أَدَاتُهُ فِي ذَلِكَ الْكَلِمَةُ فِي أَيِّ فَنٍّ أَنْخَرْتُمْ وَفِي أَيِّ جِنْسٍ انْتَضَمْتُمْ مِنَ الْفُنُونِ وَالْأَجْنَاسِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ مِنَ الزَّمَنِ. وَلَقَدْ "صَاحَبَ الشُّعْرُ الْإِسْلَامِيُّ فِكْرَةً وَدَعْوَةً وَدَوْلَةً ذَاتَ سِيَادَةٍ مُتَحَمَّلًا أَعْظَمَ الْأَدْوَارِ فِي هَذِهِ الْمَرَاحِلِ كُلِّهَا. (3) فَكَانَ لَهُ فِي ظِلَالِ الْإِسْلَامِ رِسَالَةٌ تَأْكِيدُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالدَّعْوَةَ إِلَى الْأُخُوَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى هَدْيِ هَذَا الْإِيمَانِ، كَمَا كَانَ تَصَوِيرًا لِلشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يُعَبِّرُ عَنْ ضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ وَاضْطِهَادِهِمْ وَيُعَبِّرُ عَنْ صُورِ الْإِسْتِمَاتَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْعَقِيدَةِ وَرَدِّ الْعُدُوَانِ. وَحِينَمَا اسْتَحَالَتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى دَوْلَةٍ ذَاتِ سِيَادَةٍ جَاءَ الشُّعْرُ تَعْبِيرًا عَنْ هَذِهِ السِّيَادَةِ فِي صُورَةِ الْمُبَادَاةِ بِالْقِتَالِ لِصَدِّ الْعُدُوَانِ، وَكَمَا أَسْهَمَ فِي بِنَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ وَسِيَادَتِهَا فَإِنَّهُ قَدْ أَسْهَمَ فِي الْمَعَارِكِ الْعَسْكَرِيَّةِ بِالْهَابِ الْحَمَاسِ وَإِنَارَةِ الشُّعُورِ وَتَحْرِيكِ الْوَجْدَانِ، وَأَسْهَمَ - كَذَلِكَ - فِي الْمَعَارِكِ النَّفْسِيَّةِ بِالْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنْ قُوَّةِ الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ أَدَّى دَوْرَهُ فِي الْمَعَارِكِ الْعَقْلِيَّةِ بِتَغْيِيرِهَا إِلَى عَقْلِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ وَجَاءَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ تَعْبِيرًا عَنْهَا. وَمَنْ ثُمَّ كَانَ لِلشُّعْرِ أَثْرٌ فِي الدَّعْوَةِ وَتَأْكِيدِ الْمَعَانِي الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِحْرَازِ النَّصْرِ بِسِلَاحِ الْكَلَامِ إِنْ أَعُوَزَ الْمُسْلِمِينَ سِلَاحُ الْقِتَالِ، وَمَا كَانَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ يَتَغَاضَى عَنْ دَوْرِ الشُّعْرِ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ وَإِسْلَامِ الْعَرَبِ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 26.

(2) المرجع نفسه، ص: 27.

(3) عبد الرحمن خليل إبراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول (ص)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م، ص: 13.

وإِحْرَازِ النَّصْرِ فِي الْمَعَارِكِ فَكَانَ يَجْعَلُ مِنْ لِسَانِ حَسَّانٍ سَيْفًا يَصِلُهُ عَلَى رِقَابِ الْمُشْرِكِينَ وَالْعَادِرِينَ.<sup>(1)</sup> وَبِهَذِهِ السَّيْرَةِ رَافَقَ فَنُّ الشُّعْرِ-بِالْمُؤَاوَاةِ مَعَ النَّثْرِ وَفُنُونِهِ-الإِسْلَامَ فِكْرًا وَدَعْوَةً وَدَوَلَةً عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَامْتِدَادِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ بِكُلِّ انْكِسَارَاتِهِ وَانْتِصَارَاتِهِ. وَفِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ عُنِيَ الأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ بِتَوْظِيْفِ الأَجْنَاسِ الأَدَبِيَّةِ الجَدِيدَةِ كَقَصِيدَةِ التَّفْعِيلَةِ وَالْقِصَّةِ الْقَصِيرَةِ وَالرُّوَايَةِ وَالْمَسْرُوحِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَتَسْخِيرِهَا لِأَدَاءِ فِكْرَتِهِ مُسْتَفِيدًا مِنْ عَنَاصِرِهَا الفَنِّيَّةِ وَمَقَوْمَاتِهَا الجَمَالِيَّةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنْهَا التَّجَارِبُ الْحَدِيثَةُ.

## 1-2-التعريف:

لَقَدْ أَفْرَزَتِ المُمَارَسَةُ التَّنْظِيرِيَّةُ فِي مَحَالِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ وَتَقْدَهُ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّعْرِيفَاتِ الَّتِي حَاوَلَتْ تَحْدِيدَ ذَلِكَ المِصْطَلَحِ وَضَبْطَ مَفْهُومِهِ فِي صِيَغَاتٍ مُوجِزَةٍ عَلَى سَبِيلِ الجَمْعِ وَالْمَنْعِ، وَيَأْتِي فِي صَدَارَةِ تِلْكَ التَّعْرِيفَاتِ التَّعْرِيفُ الَّذِي تَبَنَّاهُ رَابِطَةُ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ العَالَمِيَّةِ، وَهِيَ تَصِفُ الأَدَبَ الإِسْلَامِيَّ بِأَنَّهُ: "التَّعْبِيرُ الفَنِّيُّ الهَادِفُ عَنِ الإِنْسَانِ وَالحَيَاةِ وَالكَوْنِ فِي حُدُودِ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ لَهَا".<sup>(2)</sup> وَقَدْ يَأْخُذُ هَذَا التَّعْرِيفُ الصَّيْغَةَ الآتِيَةَ: "الأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ هُوَ التَّعْبِيرُ الفَنِّيُّ الهَادِفُ عَنِ الإِنْسَانِ وَالحَيَاةِ وَالكَوْنِ وَفَقِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ".<sup>(3)</sup> وَذَلِكَ بِوَصْفِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ المَصْدَرَيْنِ الأَسَاسِيَيْنِ لِلتَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ، فَهُمَا يُحَدِّدَانِ رُؤْيَا الأَدِيبِ المُسْلِمِ الَّتِي تَقِفُ خَلْفَ مَا يُعْبَرُ عَنْهُ.

وَتَتَوَسَّعُ الرَّابِطَةُ فِي مَفْهُومِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ بِإِضَافَةِ طَائِفَةٍ مِنَ السَّمَاتِ وَالحِصَائِصِ الَّتِي تُبْرِزُ صُورَةَ هَذَا الأَدَبِ البَدِيلِ وَوَضَائِعِهِ، فَهُوَ رِيَادَةٌ لِلأُمَّةِ، وَمَسْئُولِيَّةٌ أَمَامَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَدَبٌ مُلتَزِمٌ، وَالأَلْتِرَامُ فِيهِ نَابِعٌ مِنَ الأَلْتِرَامِ بِالعَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَرِسَالَتُهُ جُزْءٌ مِنَ رِسَالَةِ الإِسْلَامِ العَظِيمِ، وَهُوَ طَرِيقٌ مُهْمٌ مِنْ طَرِيقِ بِنَاءِ الإِنْسَانِ وَالمُجْتَمَعِ، وَأَدَاةٌ مِنَ أَدَوَاتِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّفَاعِ عَنِ الشَّخْصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ الإِسْهَامِ فِي إنْفَازِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ مَحَنَّتِهَا المُعَاصِرَةِ، وَهُوَ أَدَبُ الشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى اِخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَلُغَاتِهَا. وَتُعَدُّ حِصَائِصُهُ هِيَ الحِصَائِصُ الفَنِّيَّةُ المُشْتَرَكَةُ بَيْنَ آدَابِ الشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا، وَيَفْتَحُ الأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ صَدْرَهُ لِلْفُنُونِ الأَدَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَيَحْرِصُ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَهَا لِلنَّاسِ وَقَدْ بَرَّتْ مِنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ دِينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَنِيَتْ بِمَا فِي الإِسْلَامِ مِنْ قِيَمٍ سَامِيَّةٍ وَتَوْجِيهَاتٍ سَدِيدَةٍ. وَتُعَدُّ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ هِيَ اللُّغَةُ الأُولَى لِلأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَرْفُضُ العَامِيَّةَ، وَيُحَارِبُ الدَّعْوَةَ إِلَيْهَا.<sup>(4)</sup> إِنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ، مُجْتَمَعَةً، تَكْفُلُ الأَصَالََةَ الإِسْلَامِيَّةَ المُشَوَّدَةَ فِي مَحَالِ الأَدَبِ وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ "تَعْنِي" إِسْلَامِيَّةَ الأَدَبِ اِتِّمَاءً وَتَصَوُّرًا، فَهِيَ تَصُدِّرُ عَنِ نَظَرِهَا المُتَمَيِّزَةِ، وَتُصْهِرُ مُعْطِيَاتِ الأُمَّمِ الأُخْرَى

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 475 وما بعدها.

(2) عبد الله صالح الوشمي: جهود أبي الحسن التدويقي التقديري في الأدب الإسلامي، ص: 60.

(3) المرجع السابق نفسه، ص: 60.

(4) رابطة الأدب الإسلامي العالمية: تعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية، ط: 2، 1412هـ، ص: 23.

فِي بَوْتَتِهَا، فَلِكُلِّ أَدِيبٍ مَوْقِفٌ مِنَ الْوُجُودِ، تُحَدِّدُهُ طَرِيقَةُ تَصَوُّرِهِ لِهَذَا الْوُجُودِ، وَمَوْقِفُ الْأَدِيبِ الْمُسْلِمِ مُبْتَنًى عَنْ تَصَوُّرِهِ الْإِسْلَامِيِّ لِهَذَا الْوُجُودِ، بِوَصْفِهِ التَّصَوُّرَ الَّذِي يُثْبِتُ عَقِيدَتَهُ، وَشَخْصِيَّتَهُ، وَدَوْرَهُ فِي الْحَيَاةِ، وَغَايَةَ وُجُودِهِ، وَلَمَّا كَانَ الْإِعْتِقَادُ أَنَّ التَّصَوُّرَ الْإِسْلَامِيَّ لِلْوُجُودِ أَشْمَلُ تَصَوُّرٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ حَتَّى الْيَوْمِ، كَانَ الْأَدَبُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَنْبَثِقَ عَنْهُ أَرْفَعَ الْأَدَابِ الْبَشَرِيَّةِ.<sup>(1)</sup>

وَيُقَدِّمُ التَّصَوُّرَ الْإِسْلَامِيَّ لِلْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ أُصُولًا لِنَظَرِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ فِي الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ، وَقَدْ تَوَاجَدَتْ مَلَامِحُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ فِي النَّتَاجِ الْأَدَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الْمُمْتَدِّ عِبْرَ الْقُرُونِ الْمُتَوَالِيَةِ، كَمَا يَدْعُو إِلَى نَقْدٍ وَاصِحٍ بِنَاءٍ يَعْمَلُ عَلَى تَرْشِيدِ مَسِيرَةِ الْأَدَبِ، وَتَرْسِيخِ أُصُولِهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ أَدَبٌ لَا يَتَحَقَّقُ تَكَامُلُهُ إِلَّا بِتَأَزُّرِ الْمَضْمُونِ مَعَ الشَّكْلِ.<sup>(2)</sup>

وَقَدْ عَرَفَ أَبُو الْحَسَنِ التَّدْوِيَّ الْأَدَبِيَّ فِي صِيَغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بِأَنَّهُ كُلُّ تَعْبِيرٍ جَمِيلٍ صَادِقٍ عَنْ أَحْدَاثٍ هَزَّتِ الْوُجْدَانَ.<sup>(3)</sup> وَهُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ الْحَيَاةِ وَعَنِ الشُّعُورِ وَالْوُجْدَانِ فِي أُسْلُوبٍ مُفْهِمٍ مُؤَثِّرٍ لَا غَيْرِ.<sup>(4)</sup> وَهُوَ التَّعْبِيرُ الْمُؤَثِّرُ الْجَمِيلُ عَنِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَالْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.<sup>(5)</sup> فَهَذِهِ التَّعْرِيفَاتُ تَلْتَقِي فِي تَحْدِيدِ طَبِيعَةِ الْأَدَبِ وَهَدَفِهِ شَرِيطَةً أَنْ تَتَوَفَّرَ الصِّيَاغَةُ الَّتِي يَتَشَكَّلُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى قَدْرِ مِنَ الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ وَالْإِبْدَاعِ وَالتَّأثيرِ. وَفِي سِيَاقَاتِ كِتَابِهِ نَظَرَاتٌ فِي الْأَدَبِ وَمِنْ خِلَالِ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي عَالَجَهَا بَيْنَ التَّدْوِيِّ أَنَّ "الْأَدَبَ كَائِنْ حَيْثُ يَنْبُعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْوُجْدَانِ وَيَحْمِلُ لَهَبَ الْمَشَاعِرِ لِيُوقِدَ فِي صُدُورِ الْآخَرِينَ نَارَ الْحَيَوِيَّةِ وَالْإِبْدَاعِ، وَيَحْتُمُّهُ عَلَى بِنَاءِ شَخْصِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ، وَحَيَاةٍ مَثَالِيَّةٍ رَائِعَةٍ، وَكُلُّ مَا قَالَهُ إِقْبَالَ وَقَدَّمَهُ أَبُو الْحَسَنِ سَوَابِقُ نُؤَسُّسُ أَعْرَافًا وَأَحْكَامًا أُسَاسِيَّةً فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ وَنَقَدَهُ."<sup>(6)</sup>

أَمَّا سَيِّدُ قُطْبٍ فَيُعَرِّفُ الْأَدَبَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ - كَمَا وَرَدَ فِي (النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ) أُصُولُهُ وَمَنَاهِجُهُ) بِأَنَّهُ "التَّعْبِيرُ عَنِ تَجْرِبَةِ شُعُورِيَّةٍ فِي صُورَةٍ مُوَحِّيةٍ".<sup>(7)</sup> بَيْنَمَا يَخُصُّ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ بِتَعْرِيفٍ يَمُنِّحُهُ تَمَيِّزًا خَاصًّا، فَهُوَ "التَّعْبِيرُ النَّاشِئُ عَنِ امْتِنَاءِ النَّفْسِ بِالْمَشَاعِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ".<sup>(8)</sup> وَيَأْتِي هَذَا التَّعْرِيفُ لِيُقَدِّمَ أَدَبًا ذَا خُصُوصِيَّةٍ تَعَكِّسُ خُصُوصِيَّةَ الْأُمَّةِ الَّتِي يَصْدُرُ عَنْهَا، وَلِيُشَكِّلَ أَدَبًا نَسِيحًا وَحِدَهُ مِنَ الْقِيَمِ التَّعْبِيرِيَّةِ وَالْقِيَمِ الشُّعُورِيَّةِ الْمُتَقَاطِعَةِ لِحِمَّةٍ وَسَدَاةٍ، وَهَذَا الْأَدَبُ يَرْتَكِزُ عَلَى التَّصَوُّرِ الَّذِي يُكُونُهُ الْأَدِيبُ الْمُبْدِعُ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ وَالْكَوْنِ، وَهُوَ تَصَوُّرٌ يَسْتَمِدُّ أَشْكَالَهُ وَأَبْعَادَهُ

(1) محمد عادل الهاشمي: الإنسان في الأدب الإسلامي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 12.

(2) رابطة الأدب الإسلامي العالمية: تعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية، رابطة، ص: 23.

(3) أبو الحسن التَّدْوِي: نظرات في الأدب، دار القلم، ص: 11.

(4) المرجع نفسه، ص: 35.

(5) عبد الله صالح الوشمي: جهود أبي الحسن التَّدْوِيِّ التَّقْدِيَّةِ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، ص: 76.

(6) أبو الحسن التَّدْوِي: نظرات في الأدب، ص: 18.

(7) سيد قطب: النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ أُصُولُهُ وَمَنَاهِجُهُ، ص: 11.

(8) سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ص: 28.

مِنَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُمَثَّلُ إِيدْيُولُوجِيَّتَهُ، بِالمُصْطَلِحِ الحَدِيثِ، وَمَادَامَ "لِلْإِسْلَامِ تَصَوُّرُهُ الخَاصُّ فَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَّخِذَ التَّعْبِيرُ عَنِ الحَيَاةِ لَدَى الأَدِيبِ المُسْلِمِ لَوْنًا خَاصًّا".<sup>(1)</sup> وَالأَدَبُ لَا يَخْلُو مِنْ قِيمٍ يَنْشُدُهَا الأَدِيبُ بِحُكْمِ أَنَّهُ: "تَعْبِيرٌ مُوَحَّحٌ عَنْ قِيمٍ حَيَّةٍ يَنْفَعِلُ بِهَا ضَمِيرُ الفَنَّانِ هَذِهِ القِيمُ قَدْ تَخْتَلِفُ مِنْ نَفْسٍ إِلَى نَفْسٍ، وَمِنْ بَيْتَةٍ إِلَى بَيْتَةٍ، وَمِنْ عَصْرِ إِلَى عَصْرٍ، وَلِكِنَّهَا فِي حَالٍ تَنْبَثِقُ مِنْ تَصَوِيرٍ مُعَيَّنٍ لِلحَيَاةِ، وَالأَرْتِبَاطَاتِ فِيهَا بَيْنَ الإِنْسَانِ وَالكَوْنِ، وَبَيْنَ بَعْضِ الإِنْسَانِ وَبَعْضٍ".<sup>(2)</sup> وَالأَدَبُ وَثِيقُ الصَّلَةِ بِالقِيمِ الَّتِي يَتَّبَعُهَا مُنْشِئُهُ وَمِنَ العَبَثِ "أَنْ نُحَاوِلَ تَجْرِيدَ الأَدَبِ أَوْ الفُنُونِ عَامَّةً مِنَ القِيمِ الَّتِي تُحَاوِلُ التَّعْبِيرَ عَنْهَا مُبَاشِرَةً، أَوْ التَّعْبِيرَ عَنْ وَقَعِهَا فِي الحَسِّ الإِنْسَانِيِّ، فَإِنَّا لَوْ أَفْلَحْنَا-وَهَذَا مُتَعَدِّرٌ-فِي تَجْرِيدِهَا مِنْ هَذِهِ القِيمِ لَنْ نَجِدَ بَيْنَ أَيْدِينَا سِوَى عِبَارَاتٍ خَاوِيَةٍ، أَوْ خُطُوطٍ جَوْفَاءَ، أَوْ أَصْوَاتٍ غُفْلٍ أَوْ كُتَلٍ صَمَاءَ".<sup>(3)</sup> وَإِذَا كَانَ لِلْإِسْلَامِ تَصَوُّرُهُ الخَاصُّ، فَإِنَّ هَذَا التَّصَوُّرَ تَنْبَثِقُ عَلَيْهِ قِيمٌ خَاصَّةٌ تُمَثِّلُهُ وَتُمَيِّزُهُ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَأْتِيَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذِهِ القِيمِ فِي زِيٍّ مُخْتَلِفٍ وَبَلَوْنٍ مُتَفَرِّدٍ. وَيَذْهَبُ مُحَمَّدٌ قُطْبٌ إِلَى تَعْرِيفِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ-لِأَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ بِإِسْلَامِيَّةِ الفَنِّ الأَدَبِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ<sup>(4)</sup>-فِي مِضْمَارِ تَعْرِيفِهِ لِلْفَنِّ الإِسْلَامِيِّ بِأَنَّهُ: "التَّعْبِيرُ الجَمِيلُ عَنِ الكَوْنِ وَالحَيَاةِ وَالإِنْسَانِ، مِنْ خِلَالِ تَصَوُّرِ الإِسْلَامِ لِلكَوْنِ وَالحَيَاةِ وَالإِنْسَانِ".<sup>(5)</sup> وَيُعَرِّفُهُ مَرَّةً أُخْرَى بِأَنَّهُ: "التَّعْبِيرُ الجَمِيلُ عَنِ حَقَائِقِ الوُجُودِ، مِنْ زَاوِيَةِ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ لِهَذَا الوُجُودِ".<sup>(6)</sup> وَقَدْ عَرَضَ مُحَمَّدٌ قُطْبٌ مَفْهُومَهُ لِلأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ فِي مُنَاقَشَتِهِ لِقَضِيَّةِ المُصْطَلِحِ وَتَحْدِيدِهِ، وَقَدْ قَسَمَ الأَدَبُ بِوَصْفِهِ أَحَدَ أَلْوَانِ النِّشَاطِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الإِنْسَانُ فِي الأَرْضِ إِلَى قِسْمَيْنِ، هُمَا الأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ وَالأَدَبُ الجَاهِلِيُّ، وَهُوَ يُحَرَّرُ مُصْطَلِحَ (الجَاهِلِيَّةِ) مِنْ دِلَالَتِهِ التَّارِيخِيَّةِ أَي: حَالَةِ الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ أَوْ حَالِ البَشَرِيَّةِ قَبْلَ بَعْنَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَالجَاهِلِيَّةُ حَالَةٌ يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ حِينَ يَرْفُضُ النَّاسُ الإِدْعَانَ لِلْمَنَهْجِ الرَّبَّانِيِّ".<sup>(7)</sup> وَبِنَاءً عَلَيْهِ يَكُونُ "الأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ هُوَ الأَدَبُ الَّذِي يُنْتِجُهُ المُسْلِمُونَ المُتَرَمُّونَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ".<sup>(8)</sup> وَيُقَابِلُهُ الأَدَبُ الجَاهِلِيُّ وَهُوَ الأَدَبُ الَّذِي لَا يَلْتَزِمُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سِوَاءَ كَانَ صَاحِبُهُ مُعَاصِرًا أَوْ غَيْرَ مُعَاصِرٍ مُسْلِمًا أَوْ غَيْرَ مُسْلِمٍ".<sup>(9)</sup> وَلِكَوْنِ هَذَا التَّحْدِيدِ يَتَّخِذُ مِنَ المِضْمُونِ نُقْطَةَ الأَرْتِكَازِ وَيُعْطِي الأَوَّلِيَّةَ لِجَانِبِ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ الَّذِي يُرْفِدُهُ وَلَا يُشِيرُ إِلَى عُنْصُرِ الشِّكْلِ أَوْ التَّعْبِيرِ أَوْ الصِّيَاغَةِ، فَقَدْ نَبَّهَ مُحَمَّدٌ قُطْبٌ إِلَى أَهْمِيَّةِ هَذَا العُنْصُرِ حِينَ

(1) مأمون فريز جرّار: خصائص القصة الإسلامية، ص: 27.

(2) سيد قطب: التقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص: 114.

(3) المرجع نفسه، ص: 114.

(4) محمد قطب: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 145.

(5) محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، ص: 6.

(6) المرجع نفسه، ص: 119.

(7) محمد قطب: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 151.

(8) المرجع نفسه، ص: 152.

(9) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

قال: "أما الأدب الإسلامي، أي الإنتاج الذي يصدر عن مسلم ملتزم بما جاء من عند الله، فلا بد -بداهة- أن يكون مستوفياً للشروط الفنية التي تجعله يدخل في باب الأدب، وإلا فإنه لا يكون أدباً، ولو كان ملتزماً التزاماً كاملاً بما جاء من عند الله." (1)

فاستيفاء الأدب الإسلامي للشروط الفنية مقوم لا ينبغي التفريط فيه لأنه محك اختبار أدبيته ومقياس تصنيفه في خانة الأدب، بينما يظل غيره (أدباً جاهلياً)، أي: أدباً تتعارض مفاهيمه وتصوراته وخيالاته مع مفاهيم الدين وإن استوفى كل الشروط الفنية وبلغ قمة التعبير وبراعة التصوير وعمق التفكير. (2) ويبدو أن محمد قطب من خلال رؤيته للأدب الإسلامي قد أتجه وجهة إسلامية بحثة على خلاف نجيب الكيلاني الذي زواج بين النظرة الإسلامية والأدبية. (3)

وقد أضح مفهوم نجيب الكيلاني (1931م-1995م) للأدب الإسلامي من خلال ما عرضه في كتاباته المختلفة نظيراً وتطبيقاً، ومن بواكير كتاباته في هذا الميدان كتابه (الإسلامية والمذاهب الأدبية) الذي يذهب فيه إلى أن الإسلامية تعني "وجهة النظر الدينية للإنسان والطبيعة فيما يتعلق بالمفاهيم الأدبية". (4) ويرى أن الإسلامية لا يمكن النظر إليها على أنها مذهب كسائر المذاهب التي عرفها الأدب من واقعية ورومانسية ووجودية وبرناسية وغيرها من مستحدثات الأدب العربي، ويبرر ذلك على أساس أن الأدب في ماهيته أوسع من أن يكتفه مذهبٌ محدّد من المذاهب وأرحب من أن يتقيد بقيد معين من القيود، والإسلام في حقيقته دين إنساني شامل يتجاوز الزمان والمكان، وقد ينسجم مع طبيعتهما ويساير منطقتيهما المتطور والمتجدد شكلاً والثابت جوهرًا. (5) وفي ضوء هذه النظرة تبدو الإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية حقيقةً مطلقةً متعاليةً متجاوزةً لكل شرطٍ ومُتحررةً من كل قيد. (6) وللإسلامية، كما يرى الكيلاني، مظاهر متعدّدة، ومن أولى تلك المظاهر أن الحقيقة في نظر المسلم عبارة عن وحدة ذات ثلاثة أبعاد، تتمثل في الحق والخير، والجمال، ويجب على كل حركة فكرية أن تنتهي إلى الحق، وعلى كل سلوك أن يهدف إلى الخير، وعلى كل ما يوجه بصرتنا وإحساسنا وعاطفتنا أن يتوجه إلى جميل. (7) ويتضح مفهومه للأدب الإسلامي، كذلك، من خلال وصفه لبعض سمات هذا الأدب ككونه أدباً متفائلاً ووسطاً بين الذاتية والموضوعية، وكونه إبداعاً متجاوزاً للتقليد ومحاكاة الطبيعة، وكونه أدب فطرة مخالفاً للأدب

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 152.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والتقد، ص: 113.

(4) نجيب الكيلاني: الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1407هـ-1987م، ص: 47.

(5) المرجع نفسه، ص: 47.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، ص: 48.

المكشوف الفاضح، ووسطاً بين المحليّة والعالميّة، وتبعاً لهذه الرؤية تكون "سمات المفهوم الإسلامي للأدب سمات إنسانية عالمية ترتبط بالنفس المترجحة بموضوعات الوحي الإلهي والمبادئ الدينية القويمة".<sup>(1)</sup> ولا يختلف الكيلاني عن غيره فؤي الإقرار بأهمية الصياغة الفنية ودور التجربة البشرية المترجمة بالتصورات الإسلامية في الأدب أيّا كان مصدرها.<sup>(2)</sup> وهذا ما أعلنه في موضع آخر من كتابه حيث يقول: "إذا ما تكلمنا عن الأدب الإسلامي تكلمنا عن مضامينه الفكرية واتجاهاته الفلسفية، وحاوّلنا جدّين ألاً نتعرض للأشكال إلا من زاوية فنية بحثة لا صلة لها بالمبادئ الدينية، زاوية شخصية بحثة، ومن ثمّ فإنّ أحكامنا على الشكل الفني لا تلزم العقيدة بتفسير أو ارتباط بوجهة نظر معينة".<sup>(3)</sup> وهذا الإعلان يرسي دعامة من أهمّ دعائم الأدب الإسلامي ويُقرّ مبدأً من أخطر مبادئ التقدير الإسلامي، فمضامين هذا الأدب لها مرجعيتها الفكرية التي تُستفتى في مدى انسجام المضمون مع التصورات الإسلامية، وأشكاله لها مرجعيتها الفنية التي كرسّها أصول الصنعة الإبداعية وقواعد الفن المتعارف عليها في كلّ جنس أدبي. وإذا كان الأديب المسلم يستلهم مبادئ دينه ويُعبّر من خلال تصورات الإسلامية فهو يختار الشكل الذي يروق له، ويختار الوعاء الذي يصب فيه فكره ووجدانه ومشاعره، ويختار الإطار الذي يتواءم مع نتاج ريشته المبدعة، ولا تترقّب منه سوى صدق عمله الفني في النفس، إلى آية وجهه دفعها وآية مشاعر أثارها؟".<sup>(4)</sup> ويقدر ما يوجهه الإسلام الأديب بتصوّراته يفتح له آفاقاً للحرية ودروباً للإبداع.

ويكتمل مفهومه الشامل للأدب الإسلامي في كتابه (مدخل إلى الأدب الإسلامي) حيث يعرفه على أنّه: "تعبير فني جميل مؤثّر، تابع من ذات مؤمنه، مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعت للثمة والمنفعة، ومحرّك للوجدان والفكر، ومحفّز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما".<sup>(5)</sup> وهذا تعريف يبدو أكثر سعة ورعاية لأنّه يحاول أن يستجمع جملة من المعطيات ويُدرج عوامل ضرورية لتحديد ماهية هذا الأدب ووظائفه، فهو يستحضر طبيعة الأدب القائمة على الشكل أو الصياغة الفنية والمضمون أو التجربة الإنسانية، ويحدّد مصدره المتمثل في الذات المؤمنة المترجمة بالعقيدة الإسلامية، ويبيّن وظيفته الجامعة بين الإمتاع والإفادة، ويكشف عن أثره الإيجابي في النفس من خلال تحريك الوجدان والعقل وأثره في الواقع من خلال التحفيز والترغيب في اتخاذ المواقف الملموسة والقيام بالأعمال المحسوسة. ولهذا المفهوم، أيضاً، امتداداته في كتابات الكيلاني التي حاول فيها وضع تصوّر صحيح لمفهوم أدب الأطفال في ضوء تعاليم الإسلام وتجربته

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 69.

(2) المرجع نفسه، ص: 9.

(3) المرجع نفسه، ص: 79.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، ط: 2، 1413هـ-1992م، ص: 36.

الحضارية الفذة وتبيان خصوصية الكتابة في هذا المجال المهم، أو ما يصفه بـ "أسلمة أدب الأطفال دون إهدار للقيم الجمالية لكل نوع من أنواعه".<sup>(1)</sup> فيعرف هذا النوع من الأدب بأنه: "التعبير الأدبي الجميل المؤثر الصادق في إيجاءاته ودلالاته، والذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل عقلياً ونفسياً وسلوكياً وبدنياً، ويساهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطرية وقدراته المختلفة وفق الأصول التربوية الإسلامية".<sup>(2)</sup> وهذا مفهوم تتوفر فيه شروط الأدب الإسلامي من فكر بناء وتصور إسلامي واضح ومفنع وفن جميل أحاذ، ويراعي، مع ذلك، حاجات الطفل الأساسية النفسية والعقلية والسلوكية والبدنية التي تُعنى بها المعارف النفسية والتربوية وترشدها التعاليم الإسلامية.

وقد أسهم عماد الدين خليل في صياغة تعريف للأدب الإسلامي وتحديد مفهوم له وتلخيص لسماته في مجموعة معتبرة من كتاباته، تنظيراً وتطبيقاً، في الأدب الإسلامي ونقده، بدءاً من كتابه في النقد الإسلامي المعاصر الذي دعا فيه إلى نقد إسلامي،<sup>(3)</sup> على أساس أن المسلم وهو يعيش تجربته بكل أبعادها يعدو فتاناً أدبياً ونقاداً، ويصبح كل ما يصدر عنه من إبداع ونقد صادراً عن تجربته الإسلامية،<sup>(4)</sup> وعلى أساس اعتبار الأدب الإسلامي فرعاً من الفن الإسلامي الذي يمثل "أوسع نظرة جمالية منفتحة على الإنسان والآفاق، لأن نظرة (الإسلامي) في جوهرها نظرة كونية، ولأن الإنسان المسلم إنسان كوني لا تحده الحدود الإقليمية أو العنصرية، أو حتى الأرضية!! إنه يهفو لأن ينسجم ويتفاعل مع هذا الكون الذي هو بضعة منه، إنه يتناغم معه في حركة دائبة هدفها التطور الدائم المتجه إلى الله العظيم.. إنه يستهدف التوحيد المتوافق مع هذه الحركة الكونية على أسس جمالية".<sup>(5)</sup> وكما عبر الأدب الإسلامي عن مرونة في قضية المحتوى الفني فقد عبر عن مرونة مماثلة في مسألة الشكل، وهو "مفتوح للتعبير عن التجربة الفنية بأية وسيلة كانت: الكلمة، الصوت، الحركة، التشكيل.. ضمن الإطار الذي يرضيه.. ذلك أن إحدى معجزات القرآن الكريم نفسه تقديمه أمثلة علياً للأداء الفني الذي يعتمد الكلمة والصوت والصورة الفنية، في وحدة متجانسة رائعة تعبر عن مثل إلهي أعلى للعباءة الفني".<sup>(6)</sup> وتبدو تلك النظرة الإسلامية التي يستحضرها عماد الدين خليل حتى في بعض تحليلاته لنماذج من الأدب العالمي في تحليله لمسرحية (مركب بلا صياد) للباسني أليخاندر كاسونا يجد فيها "نموذجاً للأدب والفن اللذين يبتقان عن تصور إيماني للحياة والعالم والأشياء دون اعتساف ولا مباشرة ولا روح تعليمية.. هذا الابتاق العفوي للتصور الإيماني

(1) نجيب الكيلاني: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 4، 1419هـ-1998م، ص: 5.

(2) المرجع نفسه، ص: 14.

(3) عماد الدين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 1428هـ-2007م، ص: 7.

(4) المرجع نفسه، ص: 8.

(5) المرجع نفسه، ص: 40.

(6) المرجع نفسه، ص: 42.

الذي كثيراً ما تُفنا إليه في مُعطيات الإسلاميين الأدبية والفنية، فلم نجدَه إلَّا في القليل النَّادر. (1) وقد حاول أن يرسم خطوطاً عريضةً لنظرية في الأدب الإسلامي في كتابه (مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي) تلك النظرية التي تجمع بين الأداة الجمالية والرؤية الإسلامية في بناء النص الأدبي، ويعرّف الأدب الإسلامي من منظورها على أنه: "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود". (2) وبناءً على هذا التعريف يُقيم الأدب الإسلامي على ركنين أساسيين ومُتلازمين: التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة والتصور الإسلامي للوجود، وهكذا يستوي الأدب الإسلامي أدباً أداته الكلمة الجميلة القادرة على توصيل إبداع التجربة الذاتية إلى المتلقي والتأثير فيه، وإطاره التصور الإسلامي الشامل تجاه الكون والإنسان والحياة. (3) وقد أورد عبد الرحمن رأفت الباشا في كتابه (نحو مذهب إسلامي في الأدب وتقدمه) تعريفاً للأدب الإسلامي، في سياق التعبير عن الحاجة الماسة إلى أدب إسلامي معاصر يواكب حياتنا ويعبر عنها، يتلخص في "التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عزَّ وجلَّ ومخلوقاته". (4) وهو يريد بالفنية جمال التعبير وروعته وإبداع التصوير وإشراقه، ويشترط في هذا الأدب أن يكون هادفاً وممتعاً ونافعاً وشاملاً، وإيضاح ماهيته قدم نماذج من الأدب تبرز صورة الأدب الإسلامي وتوضح تميزه واختلافه. (5)

ولأهمية الأدب الإسلامي والإحساس بضرورة الدعوة إليه لما يمثله الأدب من وسيلة مؤثرة وفعالة في إذاعة الأفكار والترويج لها، يُعرّف وليد قصاب الأدب بأنه "تعبير جمالي شعوري عن تصور فكري معين للإنسان والكون والحياة". (6) ويعرّف الأدب الإسلامي بأنه "تعبير جمالي شعوري باللغة عن تصور إسلامي للإنسان والكون والحياة". (7) ويوضح مفهومه لهذا الأدب من خلال شرح مُفردات هذا التعريف، فالأدب الإسلامي "تعبير فني راق عن رؤية فكرية يحكمها التصور الإسلامي والمنهج الإسلامي، تُمليها عقيدة الإسلام بكل ما تمثله به الأديب من رؤية ومشاعر، وبما تُقدم له من مقاييس الحق والباطل، والخير والشر، والجمال والقبح، والعدل، والظلم، وبما تلون به نفسه من المشاعر والأحاسيس". (8) وهذا التعريف يتفق مضمونه مع ما تقدم من تعريفات.

(1) المرجع السابق نفسه، 67.

(2) عماد الدين خليل: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط: 1، 1428هـ - 2007م، ص: 64.

(3) المرجع نفسه، ص: 64.

(4) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والتقدم، ص: 113.

(5) المرجع نفسه، ص: 114.

(6) وليد قصاب: في الأدب الإسلامي، دار القلم، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: 1، 1419هـ - 1998م، ص: 25.

(7) المرجع نفسه، ص: 25.

(8) المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

وَتُعَدُّ تَجْرِبَةُ عَبْدِ الْبَاسِطِ بَدْرٍ فِي وَضْعِ دَلِيلٍ لِلأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ مُحَاوَلَةً عَمَلِيَّةً تَطْبِيقِيَّةً لِلإِحَاطَةِ بِمَفْهُومِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ، فَهِيَ تَنَائِي عَنِ الْمَسْعَى التَّنْظِيرِيِّ وَتَتَحَنَّبُ الْمَنَحَى التَّجْرِيدِيَّ، وَقَدْ تَحَلَّى مَفْهُومُهُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْمَقَائِسِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا فِي اخْتِيَارِهِ لِلنُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، هَذِهِ الْمَقَائِسُ الَّتِي وَجَّهَتْ عَمَلَهُ فِي جَمْعِ المَادَّةِ وَتَقْوِيمِهَا وَإِدْخَالِهَا تَحْتَ مِظَلَّةِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ<sup>(1)</sup>. وَقَدْ اقْتَضَتْ الخُطُوَّةُ الأُولَى فِي اتِّجَاهِ هَذَا العَمَلِ أَنْ يَتِمَّتْ أَوَّلُ مَقْيَاسٍ فِي بَلُورَةِ مَفْهُومِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ وَتَعْيِينِ لِحُدُودِهِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الإِجَابَةِ عَنِ الأَسْئَلَةِ الآتِيَةِ: مَا النَّصُّ الَّذِي يَشْمَلُهُ هَذَا المِصْطَلَحُ؟ وَلِمَاذَا؟ وَمَا النَّصُّ الَّذِي لَا يَشْمَلُهُ؟ وَلِمَاذَا؟. وَيَتِمَّتْ النَّصُّ الأَدَبِيُّ الإِسْلَامِيُّ، عِنْدَهُ، فِي "كُلِّ عَمَلٍ أَدَبِيٍّ يُعْرَضُ مَوْضُوعًا مَا مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرٍ إِسْلَامِيَّةٍ"<sup>(2)</sup>. وَفِي ظِلِّ هَذَا المَفْهُومِ يُعَدُّ كُلُّ نَصٍّ أَدَبِيٍّ يَحْمِلُ قَضِيَّةً مِنْ القَضَايَا أَوْ فِكْرَةً مِنْ الأَفْكَارِ أَوْ عَاطِفَةً مِنَ العَوَاطِفِ الإِسْلَامِيَّةِ، أَوْ يَهْدَفُ إِلَى تَعْزِيزِ قِيَمَةٍ مِنَ القِيَمِ الإِسْلَامِيَّةِ نَصًّا مِنْ نُصُوصِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ<sup>(3)</sup>. وَيُوضِحُ عَبْدُ البَاسِطِ بَدْرٌ مَفْهُومَهُ لِلأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ مِنْ خِلَالِ التَّرْكِيزِ عَلَى دِلَالَتَيْنِ أُسَاسِيَّتَيْنِ يُقُومُ عَلَيْهِمَا مَفْهُومُهُ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِمَا، تَتَعَلَّقُ الدَّلَالَةُ الأُولَى بِالصِّفَةِ الأَدَبِيَّةِ لِلنَّصِّ عَلَى أُسَاسِ أَنَّنَا نَتَعَامَلُ مَعَ الأَدَبِ، وَتُشَكِّلُ أَدَبِيَّةُ النَّصِّ شَرْطَ أُسَاسٍ لِاجْتِيَازِ البَوَابَةِ الأُولَى وَالْوُلُوجِ إِلَى عَالَمِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ، وَالأَدَبِيَّةُ "مَجْمُوعَةٌ صِفَاتٍ تَرَسَّخَتْ فِي مَيْدَانِ التَّقَدُّ، تُحَدِّدُ الأَجْنَاسَ الأَدَبِيَّةَ، وَشُرُوطَ كُلِّ جِنْسٍ وَتَتَرَكُّ هَوَامِشَ لِاخْتِلَافَاتٍ فِي وَجْهَاتِ النَّظَرِ بَيْنَ التَّقَادِ دَاخِلِ الإِطَارِ العَامِّ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ"<sup>(4)</sup>.

وَتَقْتَضِي أَدَبِيَّةُ كُلِّ جِنْسٍ شُرُوطَهُ الخَاصَّةَ وَمَبَادِئُهُ الفَنِّيَّةَ وَالجَمَالِيَّةَ الَّتِي تَكُونَتْ نَتِيجَةً لِلْمُحَاوَلَاتِ الإِبْدَاعِيَّةِ المُسْتَمْرَّةِ وَالتَّجَارِبِ المُتتَالِيَةِ وَالمُلاحِظَاتِ وَالأَحْكَامِ التَّقْدِيَّةِ المُتتَابِعَةِ، فَلِلشَّعْرِ أَدَبِيَّتُهُ وَلِلنَّصِّ أَدَبِيَّتُهُ تِلْكَ الأَدَبِيَّةُ الَّتِي تَتَأَسَّسُ عَلَى الشُّرُوطِ وَالأُسُسِ الفَنِّيَّةِ لِكُلِّيَّهِمَا، وَقَدْ بَنَى اخْتِيَارُهُ لِدَوَائِنِ الشَّعْرِ الإِسْلَامِيِّ فِي وَصْفِهِ لِشَعْرِيَّتِهِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الإِيْقَاعِ المُمَيِّزِ وَالصُّورَةِ الفَنِّيَّةِ وَاللُّغَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَبِنِيَةِ القَصِيدَةِ، وَهِيَ مَحَاوِرُ تُشَكِّلُ حُدُودًا اصْطِلَاحِيَّةً لِفَنَّ الشَّعْرِ، وَشُرُوطًا مُحَدَّدَةً لِهُوِيَّتِهِ وَخُصُوصِيَّتِهِ، وَقَدْ اعْتَبَرَ عَبْدُ البَاسِطِ بَدْرٌ هَذِهِ المَحَاوِرَ خُطُوطًا عَامَّةً عَرِيضَةً تَتَضَمَّنُ اخْتِلَافَاتِ التَّقَادِ وَتَبَايُنِ رُؤَاهِمِ حَوْلَ بَعْضِ الجُرْتِيَّاتِ أَوْ بَعْضِ التَّجَارِبِ الحَدِيثَةِ، مِمَّا يَتَرَكُّ فُسْحَةً لِثَوْرَةِ الإِبْدَاعِ وَتَدْفِيقِهِ وَفُرْصَةً لِحَرَكَةِ التَّقَدِّ وَتَجَدُّدِهِ.

وَفِي ضَوْءِ هَذَا المُعْطَى أَدْرَجَ فِي دَلِيلِهِ دَوَائِنَ الشَّعْرِ الإِسْلَامِيِّ عَلَى اخْتِلَافِ الشُّكْلِ الَّذِي تُقُومُ عَلَيْهِ القِصَائِدُ سِوَاءَ أَكَانَ عَمُودِيًّا أَمْ تَفْعِيلِيًّا<sup>(5)</sup>. وَتَتَعَلَّقُ الدَّلَالَةُ الثَّانِيَّةُ بِصِفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَتَسَّعُ لِكُلِّ الأَفْكَارِ وَالعَوَاطِفِ

(1) عبد الباسط بدر: دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، ج: 1، ص: 11.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص: 12.

والمواقف الإسلامية، ويرى عبد الباسط بدر أن "كل ما يؤدي إلى تعزيز قيمة من القيم الإسلامية يعد إسلامياً. وأي موضوع من موضوعات الحياة الإنسانية يمكن أن يكون إسلامياً إذا كانت وجهة النظر إليه أو العاطفة التي تحيط به إسلامية".<sup>(1)</sup> فكل قضية من القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تدور في المجتمع المعبر عنها أدبياً إذا انطلقت من وجهة نظر الإسلام فهي تنطوي في دائرة الأدب الإسلامي.

ويأتي المقياس الثاني متمماً لمفهوم الأدب الإسلامي - رغم الاعتراض عليه - فقد انصب اهتمامه على النص الأدبي الإسلامي في حد ذاته دونما التفات إلى المؤلف، فالعبرة بالنص وفي هذا يقول "إذا تحقق شرطاً الأدبية والإسلامية في النص اعتمده في الدليل أيًا كان مؤلفه، بل ولو كان لمؤلفه نصوص أخرى تخالف (الإسلامية)، فعملي منصب على النص الأدبي وليس على شخصية الأديب واتجاهه الفكري، وأنا مهتم بتقويم الأعمال الأدبية والبحث عن العمل الأدبي الإسلامي وليس تقويم شخصية الأديب وتصنيفه".<sup>(2)</sup> وهذا المقياس يقترب من الموضوعية ويجعل التقويم والتقييم ينصبان على النص باعتباره بنية مستقلة مكتملة مضموناً وشكلاً، وهي بنية صريحة مكشوفة يمكن وصفها وتحليلها والحكم عليها وإدماجها في مضمار هذا الأدب في انتظار أن يتناولها النقد الإسلامي مستخرجاً لقيمها ومبرزاً لجماليات العناصر المكونة لها. ويمكن اعتبار مقياسه هذا مبدأ من مبادئ النقد البيئوي اللساني الذي يعزل النص عن مؤلفه ومتلقيه ويجعل حقيقة النص كاملة في ذاته. أما المقياس الثالث فيعني بحجم الإسلامية في العمل الأدبي وبخاصة العمل الكبير ذا الوحدات المتعددة، فهو يكشف عن حجم الإسلامية في الأعمال الأدبية فقد يلتزم المبدع في بعض أعماله أو في موضع من عمله الخط الإسلامي ويصدر عن النظرة الإسلامية في تشكيل عمله فكراً وعاطفة وفناً وقد ينحرف عن هذا الخط وهذه النظرة لقصور في الفكر أو لعلبة هوى أو لمسايرة تقليد جارٍ أو لدواعٍ مجهولة في أعمال أخرى أو في مواضع أخرى من العمل الواحد، فيدرج، عندئذ، العمل الإسلامي الملتزم في باب الأدب الإسلامي لموافقته ويشار إلى الآخر بالمخالفة ويوضع في موضعه المخالف. وقد انتهى عبد الباسط بدر إلى هذا المقياس على اعتبار أن العمل متعدد الأصباغ، تظهر فيه الصبغة الإسلامية حيناً وتغيب حيناً آخر، بل وقد تظهر فيه تجاوزات لا يقبلها الوجدان المسلم. فما الموقف منها؟ وهل نشترط في العمل الأدبي الكبير النقاء التام والبراءة من كل تجاوز؟<sup>(3)</sup> وقد تركته حقيقة الأدب، بوصفه نتاجاً بشرياً يحمل آثار طبيعة الإنسان في ارتقائه وضعفه، يقبل العمل الأدبي الذي يكون

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 13.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص: 14.

فِي تَوْجِهِهِ الْعَامَّ نَصِيرًا لِلتَّحْقِيقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَلَوْ كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ هَوَامِشٌ وَمُلَاحَظَاتٌ مَحْدُودَةٌ. وَيَبْظُلُّ نَقَاءَ الْعَمَلِ الْأَدَبِيِّ الْأَصْلَ فِي إِسْلَامِيَّةِ أَيْ عَمَلٍ وَالضَّابِطَ لِأَيِّ اخْتِيَارٍ.<sup>(1)</sup>

وَبِالإِضَافَةِ إِلَى هَذِهِ التَّعَارِيفِ فَقَدْ قُدِّمَتْ تَعَارِيفُ أُخْرَى تَلْتَقِي مِنْ حَيْثُ مَضْمُونُهَا مَعَ سَابِقَاتِهَا، كَتَعْرِيفِ مُحَمَّدٍ حَسَنٍ بَرِيغَشٍ، فَهُوَ يُعَرِّفُ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ بِأَنَّهُ "الْأَدَبُ الَّذِي يُعْبَرُ عَنِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْحَيَاةِ بِكُلِّ أبعادِهَا وَأَلوانِهَا، وَهُوَ الْأَدَبُ الَّذِي يَحْمِلُ رَأْيَ الْإِسْلَامِ، وَيُؤَافِقُ شَرَعَ الْإِسْلَامِ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ إِطَارِهِ مَهْمَا تَكُنَ الْأَسْبَابُ".<sup>(2)</sup> وَيُشِيرُ مُحَمَّدٌ حَسَنٌ بَرِيغَشٌ إِلَى أَنَّ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ يَنْشِئُ أَدَبُهُ مِنْ مُنْطَلِقَاتِهِ وَتَصَوُّرَاتِهِ، وَيَسْتَفِيدُ مِنَ الْمَذَاهِبِ وَالْمَدَارِسِ دُونَ أَنْ يَنْهَزِمَ أَمَامَهَا أَوْ يَنْطَلِقَ مِنْهَا أَوْ يَجْعَلَ مِنْهَا هَدَفًا أَوْ قُدُوةً أَوْ مَنبَعًا لِأَدَبِهِ.<sup>(3)</sup> وَيَأْتِي تَعْرِيفُ مُحَمَّدٍ إِقبالٍ عَرُويٍّ مُنْسَجِمًا مَعَ مَا سَبَقَ فَلِأَدَبٍ هُوَ مَا يَنْطَلِقُ مِنَ الْمَذَهَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ".<sup>(4)</sup> وَيُعَرِّفُهُ عَمْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّارِيسِيِّ بِأَنَّهُ "التَّجْرِبَةُ الشُّعُورِيَّةُ الْخَاصَّةُ الْمُفْرَعَةُ فِي صُورَةٍ جَمِيلَةٍ مِنَ الْقَوْلِ الصَّادِرِ عَنِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ".<sup>(5)</sup> وَيُقَدِّمُ عَدْنَانُ عَلِيٌّ رِضَا النَّحْوِيِّ تَعْرِيفًا يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَجْمَعَ فِيهِ كُلَّ عَنَاصِرِ الْأَدَبِ وَأَبْعَادِهِ وَأَغْرَاضِهِ وَأَفَاقِهِ، وَيَسْتَنْبِطُهُ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ الْوَاقِعِ كَمَا يَعْزِضُ ذَلِكَ مِنْهَا جُ اللهُ وَفَهْمَهُ لِلْأَدَبِ وَمُهْمَتَهُ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْوَاقِعِ مِنْ خِلَالِ مَنْهَاجِ اللهُ وَمِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ الْوَاقِعِ، وَمِنْ خِلَالِ مُعَانَاتِهِ وَتَجْرِبَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، أَيْضًا، فِي مِيدَانِ الْأَدَبِ،<sup>(6)</sup> فَيَقُولُ فِي تَعْرِيفِهِ "الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ هُوَ وَمُضَّةُ التَّفَاعُلِ بَيْنَ الْفِكْرِ وَالْعَاطِفَةِ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ، تَمُدُّهَا الْأَحْدَاثُ وَالتَّجَارِبُ وَالْعُلُومُ، وَأَفَاقُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْكَوْنُ كُلُّهُ بِالزَّادِ وَالشَّحْنَاتِ، حِينَ تُنْطَلِقُ الْمَوْهَبَةُ وَمُضَّةُ التَّفَاعُلِ هَذَا، وَحِينَ يَرُوي الْإِيمَانُ وَالتَّوْحِيدُ وَصِدْقُ النَّبِيِّ طَاقَاتِ الْإِنْسَانِ الْعَامِلَةِ فِي فِطْرَتِهِ وَكَيَانِهِ، لِتَحْمِلَ الْوَمُضَّةَ مَعَهَا عَنَاصِرَ الْجَمَالِ الْفَنِيِّ، وَلِيُشَارِكَ الْأَدَبُ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا الْإِيمَانِيَّةِ الثَّابِتَةِ وَالْمَرْحَلِيَّةِ، وَلِيُسَاهِمَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ، وَبِنَاءِ حَضَارَةِ إِيْمَانِيَّةٍ طَاهِرَةٍ، وَحَيَاةٍ إِنْسانِيَّةٍ نَظِيفَةٍ، وَهُوَ يَخْضَعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِمَنْهَاجِ اللهُ-قُرْآنًا وَسُنَّةً- الْمَنْهَاجِ الَّذِي جَاءَ لِسَانًا عَرَبِيًّا مُبِينًا".<sup>(7)</sup> فَهَذَا التَّعْرِيفُ كَمَا يُسْتَشْفَى مِنْ دَلَالَةِ صِيَاغَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ يُحَدِّدُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ هَامَّةٍ، فَهُوَ، أَوَّلًا، يُحَدِّدُ مَنبَعَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَامِنَةَ فِي طَاقَاتِ الْإِنْسَانِ، فِكْرًا وَشُعُورًا، وَمُنْجَزَاتِهِ، ثِقَافَةً وَعِلْمًا، وَيُحَدِّدُ، ثَانِيًا، مَصَبَّهُ الْهَادِفَ إِلَى خِدْمَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ وَبِنَاءِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسانِيَّةِ، وَيُحَدِّدُ، ثَالِثًا،

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 15.

(2) محمد حسن بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر، دراسة وتطبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1418هـ، ص: 94.

(3) المرجع نفسه، ص: 94.

(4) محمد إقبال عرووي: جمالية الأدب الإسلامي، الدار البيضاء، ط: 1، 1986، ص: 19.

(5) عمر عبد الرحمن الساريسي: مقالات في الأدب الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 1417هـ-1966م، ص: 15.

(6) عدنان علي رضا النحوي: تقويم نظرية الحدائث وموقف الأدب الإسلامي منها، دار التحوي للنشر والتوزيع، ط: 2، الرياض،

1414هـ-1994م، ص: 185.

(7) المرجع نفسه، ص: 193.

مِسَاحَتُهُ الَّتِي تَسْتَوْعِبُ الكَوْنَ كُلَّهُ، وَتَتَسَّعُ لِعَالَمِ العَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَيُحَدِّدُ، رَابِعًا، المَوْجَّهَ لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَهُوَ مِنْهَاجُ الله، وَقَدْ نَلَمَحُ فِي التَّعْرِيفِ إِشَارَةً مُضْمَرَةً إِلَى كَوْنِ العَرَبِيَّةِ اللُّغَةِ الأُولَى لِهَذَا الأَدَبِ.

وَتَعْرِيفُ آخَرَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ العَشْمَاوِيِّ الشَّاعِرِ الإِسْلَامِيِّ المْتَمِيزِ، فَلَهُ تَجْرِبَةٌ وَاسِعَةٌ فِي الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ مِنْ خِلَالِ مَا أَسْهَمَ بِهِ مِنْ شَعْرِ طَمَحَ بِهِ إِلَى أَنْ يُمَثِّلَ مَاهِيَةَ هَذَا الأَدَبِ الَّذِي يَنْهَضُ عَلَى الرُّوْيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَيَنْطَلِقُ مِنْهَا عَلَى بَصِيرَةٍ فِي صَوْغِ تَجْرِبَتِهِ فِكْرًا وَشَعُورًا وَفَنًّا، وَيَقُومُ الأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ فِي نَظَرِهِ عَلَى قَاعِدَةٍ رَاسِخَةٍ مِنَ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ الصَّافِي لِلکَوْنِ وَالحَيَاةِ وَالإِنْسَانِ، هَذَا التَّصَوُّرُ الشَّامِلُ الفَسِيحُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ جَانِبًا مِنْ حَوَانِبِ الحَيَاةِ دُونَ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِيهِ وَيَتَفَكَّرَ، كَمَا أَنَّهُ تَصَوُّرٌ سَلِيمٌ مِنْ آفَاتِ الأَفْكَارِ وَالمَذَاهِبِ وَالمُعْتَقَدَاتِ البَشَرِيَّةِ المُحَرِّفَةِ القَائِمَةِ عَلَى قَرَارَاتٍ يُصَدِّرُهَا العَقْلُ البَشَرِيُّ العَاجِزُ عَجْزًا ظَاهِرًا أَمَامَ كَثِيرٍ مِنْ حَوَانِبِ الكَوْنِ الخَفِيَّةِ.<sup>(1)</sup> وَقَدْ رَدَّ العَشْمَاوِيُّ بَعْضَ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تَنَارُ حَوْلَ مُصْطَلَحِ (الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ)، وَتَشَكَّكُ فِي صِلَاحِيَّتِهِ وَرَأَى أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى التَّصَوُّرِ النَاقِصِ وَالفَهْمِ الكَسِيحِ لِمَعْنَى المُصْطَلَحِ وَالإِصْرَارِ عَلَى المَوْقِفِ الرَّافِضِ لَهُ، فَالأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ فِي الوَاقِعِ لَا يُلْغِي الأَدَبَ العَرَبِيَّ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الدَّاعِينَ إِلَى هَذَا الأَدَبِ بِإِلْغَاءِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ، وَيَرَى العَشْمَاوِيُّ، فِي ضَوْءِ الإِقْرَارِ بَأَنَّ التَّصَوُّرَ الإِسْلَامِيَّ هُوَ القَاعِدَةُ الَّتِي تَمْنَحُ هَذَا الأَدَبَ مَشْرُوعِيَّتَهُ، أَنَّ بَيْنَ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ وَالأَدَبِ العَرَبِيِّ عُمُومًا وَخُصُوصًا فَـ "الأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ أَعْمٌ مِنْ حَيْثُ شُمُولِيَّتُهُ لِكُلِّ أَدَبٍ انْتَبَقَ مِنَ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ سِوَاءَ أَكَانَ أَدَبًا مَكْتُوبًا بِالعَرَبِيَّةِ أَمْ بِغَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ الأُخْرَى الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا المُسْلِمُونَ فِي العَالَمِ، وَهُوَ أَخْصٌ لِأَنَّهُ لَا يُنْطَلِقُ إِلاَّ عَلَى الأَدَبِ المُتَّبَقِ مِنَ التَّصَوُّرِ، وَالأَدَبُ العَرَبِيُّ أَعْمٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ مَا كُتِبَ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ عَلَى اِخْتِلَافِ المَنَاهِجِ وَالأَفْكَارِ فَهُوَ يُنْطَلِقُ عَلَى الأَدَبِ الإِشْتِرَاقِيِّ وَالجُودِيِّ وَالسَّارِيِّ وَالقَوْمِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ، مَا دَامَ مَكْتُوبًا بِالعَرَبِيَّةِ، كَمَا أَنَّهُ أَخْصٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَشْمَلُ الأَدَبَ المَكْتُوبَ بِاللُّغَاتِ الأُخْرَى." <sup>(2)</sup> وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذِهِ النُّظْرَةِ أَنَّ كُلَّ نَصٍّ أَدَبِيٍّ عَرَبِيٍّ يَنْبَنِقُ مِنَ الرُّوْيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ أَوْ يَتَّفِقُ مَعَهَا فَهُوَ مِنَ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ وَمَا عَارَضَهَا فَهُوَ أَدَبٌ غَيْرُ إِسْلَامِيٍّ، بَلْ إِنَّ النِّصَّ الأَدَبِيَّ الَّذِي لَا يُؤَلِّدُ مِنْ رَحِمِ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ وَلَكِنَّهُ لَا يَتَّعَارِضُ مَعَهُ فَهُوَ مَقْبُولٌ فِي هَذَا الأَدَبِ. وَمَنْ مُنْطَلَقِ هَذَا التَّأَمُّلِ الوَاعِي وَالشُّمُولِيِّ الَّتِي يَنْفَرِدُ بِهَا المَنْهَجُ الإِسْلَامِيُّ تَسْقُطُ شُبُهَةٌ إِلْغَاءِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ الَّتِي قَدْ تُفْهَمُ مِنْ مُصْطَلَحِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ إِذَا لَمْ تُقْرَأْ دِلَالَتُهُ بِوَعْيٍ، إِنَّ صُدُورَ كَلِمَةِ إِلْغَاءِ فِي مَقَامِ الأَدَبِ لَدَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الوَعْيِ، فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْغِيَ اتِّجَاهًا أَدَبِيًّا مَهْمَا كَانَ انْحِرَافُهُ، وَالأَدَبُ الإِسْلَامِيُّ لَا يَمْلِكُ قَرَارَ مُصَادَرَةِ الأَدَابِ الأُخْرَى، وَكَيْسَ هُنَالِكَ مَنْ يَمْلِكُ هَذَا الأَمْرَ مِنَ البَشَرِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ، يَرَسُمُ أَمَامَ

(1) عبد الرحمن صالح العشماوي: علاقة الأدب بشخصية الأمة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1423هـ/2002م، ص: 49.

(2) المرجع نفسه، ص: 53.

الأجيال المسلمة طريقاً أدبياً سليماً حتى لا يتخبطوا في طرق الآداب المنحرفة عن منهج الإسلام".<sup>(1)</sup> ويرد العسماوي على من يدعي أن الأدب الإسلامي يحول بين الأدب والإبداع الفني على اعتبار أنه أدب وعظ وإرشاد فقط، لكن النظر الموضوعي إلى ما أُنتج في ضوء هذا الأدب على مستوى الإبداع والتقدُّم يوضح أن الإبداع الفني من شروطه، وهذا الإبداع لا يخضع لشروط مُفَتَّنة مُحدَّدة، وإنما هناك إطار عام مُتعارف عليه في مجال الأدب يتكوّن من سلامة اللغة، وحسن الأسلوب وصدق التجربة الشعورية، وجمال التصوير".<sup>(2)</sup> وللأدب الإسلامي، بعد ذلك، أن يستفيد من كل ما تقدّمه الممارسة الإبداعية من جماليات في كلِّ جنس أدبي، فليس هذا الجانب من اللوازم الجمالية الموقوفة على أدب دون غيره. ومن القضايا التي ينبغي التنبيه إليها في هذا الصدد قضيتا الوعظ والإرشاد، (والمُوضوح والمباشرة)، فقضية الوعظ والإرشاد لا تُعدُّ من العيوب الفنية في حدِّ ذاتها، وإنما تُعدُّ كذلك عندما تُعرضُ عاريةً خلواً من أيِّ جمالٍ أسرٍ أو تصويرٍ فنيٍّ مؤثّرٍ، فهذه النصوص إذا توفّر فيها الإبداع الفني صياغةً وخيالاً وصدقاً في التجربة، في نظر الأدب الإسلامي، هي أدبٌ جميلٌ رعمٌ وعظمتها، وإذا لم يتوفّر لها ذلك الإبداع فهي لا تحظى بالقبول الفني.<sup>(3)</sup> أمّا قضية (المُوضوح والمباشرة)، وهي ذاتُ علاقةٍ بقضية (الوعظ والإرشاد)، فمفادها أن الأدب الإسلامي يتسم بالوضوح والمباشرة في خطابه، وذلك ينتقص من فنية النصّ الأدبي الذي عدّ الغموض والإبهام من أبرز ملامحه في العصر الحديث بعد تأثير موجة (الرمزية) التي سعت إلى تغيير وظيفة اللغة الوضعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة تُعبّر عن موضوعاتٍ غير مألوفة، فامتدّت النصوص بالرموز والأساطير والإشارات التفسيرية الباطنية. ولم يكن الأدب العربي كعادته بمنأى عن أثر هذه الموجة فسرت لونة الغموض والرمزية العارقة في الإبهام في عددٍ غير قليلٍ من نصوصه بدعوى الحداثة.<sup>(4)</sup> وللأدب الإسلامي موقفه من هذا، فهو في المقام الأول يحترم الرمز المعبر الموحى الذي يُعلف الكلمة بغلاف رقيق يُطالعك من ورائه فكرة الأديب ولا يقف ضده، ويُفرّق بين الرمز الشعري الذي يستخدمه الشعر للدلالة على فكرة ما وبين الرمزية كمدّهب أدبيٍّ غربيٍّ، وهو بوصفه رسالةً مُلقاةً على عاتق الأديب المسلم يُعدُّ الوضوح والمباشرة وسيلتين هامتين لإيصال الأفكار والمشاعر إلى المتلقين، ويعيهما "عندما يطعنان على فنية العمل الأدبي فتصبح القصيدة كلماتٍ وجمالاً مصفوفةً لا يربط بينها إلا الوزن الشعري، وليس فيها روح الأدب، ولا جمال تصويره، ولا إيحاء عبارته".<sup>(5)</sup>

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 55.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه: 61.

(4) المرجع نفسه، ص: 76.

(5) المرجع نفسه، ص: 69.

وَيَبِينُ مِمَّا سَلَفَ أَنَّ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ الَّذِي لَا يُنْكَرُ حَاحَةَ الْأَدِيبِ الْمُسْلِمِ لِلرَّمْزِ الْمُوحِي وَيُلِحُّ عَلَى حُسْنِ اسْتِخْدَامِهِ وَتَوْظِيهِ، سَوَاءً أَكَانَ الرَّمْزُ تَارِيخِيًّا أَمْ مُعَاصِرًا وَسَوَاءً أَكَانَ بَشَرِيًّا أَمْ غَيْرَ بَشَرِيٍّ لِيُحَقِّقَ وَظِيفَتَهُ فِي التَّأثيرِ وَالإِمْتَاعِ، وَلَا يَقْبَلُ الْجُمُودَ وَالْجَفَافَ فِي النَّصِّ الْأَدَبِيِّ، قَدْ نَظَرَ إِلَى الْقَضِيَّةِ مِنْ زَاوِيَةِ تَقْدِيَّةِ سَلِيمَةٍ. وَأَخِيرًا فَهُوَ يَتَوَصَّلُ إِلَى أَنَّ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ تَتَجَسَّدُ فِي كَوْنِهِ أَدَبًا مُتَبَيَّنًا مِنَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِهَذَا الْوُجُودِ فَهُوَ يُعْبَرُ عَنْ خَلْجَاتِ النَّفُوسِ وَيُجَسِّدُ آمَلَهَا وَأَلَمَهَا، وَيُصَوِّرُ قَضَايَا الْأُمَّةِ الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى، وَالْهُمُومَ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ مِنْ خِلَالِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ وَالإِنْسَانِ. فَمَا اثْبَتَقَ مِنْ هَذَا التَّصَوُّرِ الشَّامِلِ فَهُوَ أَدَبٌ إِسْلَامِيٌّ، وَمَا وَافَقَهُ فَهُوَ أَدَبٌ مُوَافِقٌ لِلْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ أَدَبٌ غَيْرٌ إِسْلَامِيٌّ".<sup>(1)</sup> وَيُقَرَّرُ الْعَشْمَاوِي بِخُصُوصِ الْمِصْطَلَحِ الدَّالِّ عَلَى هَذَا الْأَدَبِ أَنَّ الْجِدَّةَ تَنْحَصِرُ فِي تَسْمِيَةِ الْمِصْطَلَحِ لَا فِي إِسْلَامِيَّةِ الْأَدَبِ الَّتِي وَطَّهَا الْإِسْلَامُ وَأَكَّدَهَا مُنْذُ ظُهُورِهِ، وَلَمْ تَكُنِ الْحَاجَةُ مُلِحَّةً إِلَى وَضْعِ مُصْطَلَحٍ يُحَدِّدُ هَذَا الْمَفْهُومَ وَيُشِيرُ إِلَيْهِ، بِالِإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الْإِنْحِرَافَ الْفِكْرِيَّ وَالْأَدَبِيَّ فِي تِلْكَ الْآوَانَةِ لَمْ يَكُنْ مُؤَسَّسًا إِيدِيُولُوجِيًّا وَفَلَسَفيًّا وَإِنَّمَا كَانَ فَرْدِيًّا شَخْصِيًّا، عَلَى عَكْسِ مَا يَحْدُثُ فِي الْعُصُورِ الْمُتَأَخِّرَةِ فَالْإِنْحِرَافُ الْفِكْرِيُّ وَالْأَدَبِيُّ فِيهَا "إِنْحِرَافٌ يَقُومُ عَلَى مَنَهِجٍ لَهُ أُسُسُهُ وَتَصَوُّرَاتُهُ، وَلَهُ رُؤَاؤُهُ وَدَعَائَتُهُ، بَلْ وَلَهُ دَوْلَتُهُ الَّتِي تَتَبَنَاهُ وَتَسْعَى إِلَى دَعْمِهِ وَنَشْرِهِ، وَقَدْ وَضَعَتْ لَهُ التَّظَرِّيَّاتِ وَالْمَنَاهِجِ، وَكَتَبَتْ عَنْهُ الدِّرَاسَاتِ وَالْبُحُوثِ الْأَكَادِمِيَّةِ، فَكَانَ لِرَافِعِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُتَزَمِينَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَنَهِجُهُمُ الْمُسْتَقَلُّ وَنَظَرِيَّتُهُمُ الْأَدَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْقَائِمَةُ عَلَى التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَنَهِجِيَّةَ هِيَ الَّتِي تَسْتَطِيعُ مُوَاجَهَةَ الْإِنْحِرَافِ الْأَدَبِيِّ (الْمَنَهِجِ) فِي عَصْرِنَا هَذَا، فَكَانَ مُصْطَلَحُ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ".<sup>(2)</sup> فَبِإِبْدَاعِ الْمِصْطَلَحِ لَيْسَ أَدَاةً مِنْ أَدَوَاتِ التَّجْدِيدِ وَلَكِنَّهُ أَيْضًا أَدَاةٌ إِجْرَائِيَّةٌ لِتَوْصِيفِ ظَاهِرَةِ أَدَبِيَّةٍ لَهَا جُذُورُهَا فِي أَدَبِنَا الْقَدِيمِ وَقَدْ تَمَكَّنَتْ مِنَ الثَّمُورِ عَبْرَ الْعُصُورِ وَهِيَ الْيَوْمَ أَكْثَرُ بُرُوزًا وَحُضُورًا فِي مَشْهَدِنَا الْأَدَبِيِّ وَالثَّقَافِيِّ.

إِنَّ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ الصِّيَاغَةَ اللَّغَوِيَّةَ، تُحَدِّدُ دِلَالَةَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي شَاعَ مُصْطَلَحُهُ فِي النَّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي لِيَدُلَّ عَلَى أَدَبٍ "يَتَأَسَّسُ عَلَى الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ تَصَوُّرٍ لِلْوُجُودِ وَيَسْعَى لِتَمَثُّلِهَا فِي مَا يَصْدُرُ عَنْهُ، سَوَاءً عَلَى مُسْتَوَى الْقَضَايَا وَالْاهْتِمَامَاتِ، أَوْ عَلَى مُسْتَوَى الشَّكْلِ وَاللَّغَةِ وَالْقِيمِ الْجَمَالِيَّةِ عُمُومًا".<sup>(3)</sup> وَقَدْ بَدَأَ مِنَ النَّظَرِ فِي هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ وَالْوُقُوفِ عَلَى كُلِّ أبعادِهَا، أَنَّ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ، وَهُوَ يُعْبَرُ عَنْ تَجْرِبَةِ الْأَدِيبِ الْمُسْلِمِ وَمَوْقِفِهِ مِنْ قَضَايَا أُمَّتِهِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْ كُلِّ مَا يَشْعَلُ فِكْرَهَا مِنْ اهْتِمَامَاتٍ وَمَا سَاوَرَهَا مِنْ طُمُوحَاتٍ وَمَا يُجَابِهُهَا مِنْ تَحَدِّيَّاتٍ، وَيُعْبَرُ عَنْ مَوْقِعِ تَجْرِبَتِهِ الْمُتَمَيِّزَةِ مِنَ التَّجَارِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 73.

(2) المرجع نفسه، ص: 81.

(3) ميحان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 2000، ص: 19.

وَالْعَالَمِيَّةِ، يَعْكِسُ رُؤْيَاةَ الْإِسْلَامِ الشَّامِلَةَ إِلَى الْإِنْسَانِ وَالْمَجْتَمَعِ وَالْوَاقِعِ وَكُلِّ الْوُجُودِ، مِنْ جَانِبٍ، وَيَسْمُو بِهَذَا التَّعْبِيرِ لِيَأْخُذَ حَلِيَّتَهُ مِنْ جَمَالِيَّاتِ اللُّغَةِ الَّتِي يَجْعَلُ مِنْ نَسْفِهَا أَدَاةَ تَعْبِيرٍ وَتَوَاصُلٍ وَمِنْ جَمَالِيَّاتِ الْفَنِّ الْأَدَبِيِّ الَّتِي يَجْعَلُ مِنْهَا شَكْلًا مُلَائِمًا لِنَقْلِ وَعَرْضِ تَجَارِبِهِ، مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَهُوَ لَيْسَ "بَعْنًا لِمَرْحَلَةٍ أَدَبِيَّةٍ سَالِفَةٍ، وَإِنْ كَانَ يُفِيدُ مِنْ عُسُورِنَا الْأَدَبِيَّةِ كُلِّهَا وَمِنْ تَرَاثِ الْأُمَّمِ، وَإِنَّمَا هُوَ طَرِيقٌ جَدِيدٌ لِلإِبْدَاعِ الْفَنِّيِّ مِنْ خِلَالِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ، يَرَعَى الْقِيَمَ الْإِنْسَانِيَّةَ عَلَى أَمِّ مَا يَرَعَاهُ أَدَبٌ أَوْ فِلْسَفَةٌ أَوْ تَصَوُّرٌ، لَهُ مِنْ آفَاقِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ الشَّامِلَةِ الْوَاسِعَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ الْأَثَرِ فِي النُّفُوسِ مَجَالَاتٍ خَصَبَةٌ ثَرَّةٌ تَجْتَذِبُ الْأَدْبَاءَ فِي كُلِّ لَوْنٍ وَفَنٍّ. إِنَّهُ أَدَبٌ عَرَبِيٌّ يَتَّخِذُ مِنَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْوُجُودِ مَضْمُونًا وَمُسْتَلْهِمًا فِي النَّظَرِ إِلَى قَضَايَا الْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ، وَلَكِنَّهُ أَدَبٌ يُجَاوِزُ الْمَحَاوِرَ الْإِقْلِيمِيَّةَ وَالْحُدُودَ الْقَوْمِيَّةَ لِيَشْمَلَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَقْطَارِهِمْ كَافَّةً، وَالْعَالَمَ بِأَسْرِهِ، إِنَّهُ أَدَبٌ يَبْشُرُ الْعَالَمَ بِخَطِّ جَدِيدٍ وَعَوَالِمَ جَدِيدَةٍ، وَيَضْمَنُ فِيهَا يَضْمَنُهُ سَلَامَةَ تَرَاثِنَا الْفِكْرِيِّ وَالْإِفَادَةِ مِنْ تَرَاثِنَا الْأَدَبِيِّ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ التَّوَلِيدِ وَالْإِبْدَاعِ الْمُتَجَدِّدِ".<sup>(1)</sup>

### 1-2-1- لتصوُّر الإسلامِي وخصائصه:

يَتَمَيَّزُ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ بِجُمْلَةٍ خَصَائِصٍ<sup>(\*)</sup> تُفْرِدُهُ مِنْ سَائِرِ التَّصَوُّرَاتِ، وَتَجْعَلُ لَهُ شَخْصِيَّةً مُسْتَقِلَّةً وَطَبِيعَةً الْخَاصَّةَ الَّتِي تَتَلَبَّسُ بِتَصَوُّرٍ آخَرَ، وَلَا تَسْتَمِدُّ مِنْ تَصَوُّرٍ آخَرَ. هَذِهِ الْخَصَائِصُ تَتَعَدَّدُ وَتَتَوَزَّعُ، وَلَكِنَّهَا تَتَضَامُ وَتَتَجَمَّعُ عِنْدَ خَاصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ الَّتِي تَتَبَيَّنُ مِنْهَا وَتَرْجِعُ إِلَيْهَا سَائِرُ الْخَصَائِصِ.. خَاصِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةِ. إِنَّهُ تَصَوُّرٌ رَبَّانِيٌّ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِكُلِّ خَصَائِصِهِ، وَبِكُلِّ مَقُومَاتِهِ، وَتَلَقَّاهُ الْإِنْسَانُ كَامِلًا بِخَصَائِصِهِ هَذِهِ وَمَقُومَاتِهِ لَا لِيَزِيدَ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ شَيْئًا، وَلَا لِيُنْقِصَ كَذَلِكَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَكِنْ لِيَتَكَيَّفَ هُوَ بِهِ وَيُطَبِّقَ مُقْتَضِيَّاتِهِ فِي حَيَاتِهِ".<sup>(2)</sup> وَتَتَمَثَّلُ هَذِهِ الْخَصَائِصُ فِيمَا يَلِي:

### 1-1-2-1- الرَّبَّانِيَّةُ:

فَـ(الرَّبَّانِيَّةُ) هِيَ الْخَاصِيَّةُ الْأَسَاسِيَّةُ الْأُولَى لِهَذَا التَّصَوُّرِ وَغَيْرُهَا يَتَبَيَّنُ عَنْهَا، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ التَّصَوُّرَ الْإِسْلَامِيَّ "تَصَوُّرٌ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ-سُبْحَانَهُ-وَمَحْضُورٌ فِي هَذَا الْمَصْدَرِ لَا يَسْتَمِدُّ مِنْ غَيْرِهِ...وَذَلِكَ تَمَيُّزًا مِنَ التَّصَوُّرَاتِ الْفِلْسَفِيَّةِ الَّتِي يُنْشِئُهَا الْفِكْرُ الْبَشَرِيُّ حَوْلَ الْحَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ الْحَقِيقَةِ الْكُونِيَّةِ أَوْ الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَرْتِبَاطَاتِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْحَقَائِقِ، وَتَمَيُّزًا لَهُ كَذَلِكَ مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ الْوَتْنِيَّةِ الَّتِي تُنْشِئُهَا الْمَشَاعِرُ وَالْأَخْيَلَةُ وَالْأَوْهَامُ وَالتَّصَوُّرَاتُ الْبَشَرِيَّةُ".<sup>(3)</sup> وَقَدْ احْتَفَظَ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ بِحَقِيقَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي حِينِ انْحَرَفَتْ تَصَوُّرَاتُ

(1) محمد عادل الهاشمي: الإنسان في الأدب الإسلامي، ص: 14.

(\*) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب(خصائص التصور الإسلامي ومقوماته)لسيد قطب وكتاب(منهج الفن الإسلامي)لحمد قطب.

(2) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط: 16، 1426هـ-2005م، ص: 41.

(3) المرجع نفسه، ص: 45.

الأديان السماوية الأخرى عن المنهج السوي، وقد نتج عن ذلك ركام من التصورات الوضعية التائهة في حضم الفلسفات المتناقضة والتي يقوم التالي منها على أنقاض السابق، وقد أثر ذلك الركام في تجارب الأدباء العربيين من قصاصين وشعراء وكتاب ملأهم وكتاب مسرحيات، ولا شك أن التصور الإسلامي يتأى عن التصورات الوثنية التي تُطبخ ببطرة الإنسان وتُلقي به في متاهات الخيرة والقلق والضيق.<sup>(1)</sup>

### 1-2-1-2- الثبات:

وتنبثق عن (الربانية) الخاصة الثانية، وهي (الثبات)، فبما أن التصور الإسلامي "رباني" صادر من الله، وظيفته الكيئونة الإنسانية فيه هي التلقي والاستجابة والتكيف والتطبيق في واقع الحياة، وبما أنه ليس نتاج فكر بشري، ولا بيعة معينة، ولا فترة من الزمن خاصة، ولا عوالم أرضية على وجه العموم.. إنما هو ذلك الهدى الموهوب للإنسان هبةً لدئية خالصة من خالق الإنسان رحمةً بالإنسان.. بما أنه كذلك، فمن الخاصة فيه تنشأ خاصية أخرى.. خاصية (الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت)..<sup>(2)</sup> ف"هناك (ثبات) في (مقومات) هذا التصور الأساسية، و(قيمه) الذاتية، فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير (ظواهر) الحياة الواقعية، و(أشكال) الأوضاع العملية.. فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكومًا بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور. ولا يقتضي هذا (تجميد) حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة- بل دفعها للحركة- ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت، وهذه السمة- سمة الحركة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت- هي طابع الصنعة الإلهية في الكون كله."<sup>(3)</sup> وتتجسد مظاهر الثبات في الحقائق الآتية؛ في حقيقة وجود الله، وفي حقيقة كون الكون كله من خلق الله وإبداعه، وحقيقة العبودية لله، وحقيقة الإيمان بالله كشرط لصحة الأعمال وقبولها، وحقيقة أن الدين عند الله الإسلام، وحقيقة أفضلية الإنسان على سائر الخلائق في الأرض، وحقيقة المساواة بين الناس وأن التفاضل لا يكون إلا بالتقوى، وحقيقة أن غاية الوجود الإنساني العبادة لله، وحقيقة أن العقيدة هي رابطة التجمع الإنساني لا الجنس ولا القوم ولا الأرض ولا اللون ولا الطبقة، وحقيقة أن الدنيا دار ابتلاء وعمل وأن الآخرة دار جزاء.

### 1-2-1-3- الشمول:

وتنشأ كذلك عن الخاصية الأولى الخاصة الثالثة، وهي خاصية الشمول، ف"الإنسان لأنه أولاً محدود الكيئونة من ناحية الزمان والمكان، إذ هو حادث في زمن، يبدأ بعد عدم، وينتهي بعد حدوث، ومتحيز في مكان، سواء كان فرداً أو كان جيلًا أو كان جنسًا، لا يوجد إلا في مكان، ولا يتطلق وراء المكان- كما أنه لا

(1) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: 39.

(2) المرجع نفسه، ص: 77.

(3) المرجع نفسه، ص: 78.

يُوجدُ إلَّا فِي زَمَانٍ وَلَا يَنْطَلِقُ وَرَاءَ الزَّمَانِ-وَلِأَنَّهُ مَحْدُودُ الكَيْنُونَةِ مِنْ نَاحِيَةِ العِلْمِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالِإِدْرَاكِ ، يَبْدَأُ عِلْمُهُ بَعْدَ حُدُوثِ ، وَيَصِلُ مِنَ العِلْمِ إِلَى مَا يَتَنَاسَبُ مَعَ حُدُودِ كَيْنُونَتِهِ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَحُدُودِ وَظِيفَتِهِ كَذَلِكَ-كَمَا أَسْلَفْنَا-وَلِأَنَّهُ فَوْقَ أَنَّهُ مَحْدُودُ الكَيْنُونَةِ-بِهَذِهِ الِاعْتِبَارَاتِ كُلِّهَا-مَحْكُومٌ بِضَعْفِهِ وَمَيْلِهِ وَشَهْوَتِهِ وَرَغْبَتِهِ-فَوْقَ مَا هُوَ مَحْكُومٌ بِقُصُورِهِ وَجَهْلِهِ. الإِنْسَانُ وَهَذِهِ ظُرُوفُهُ، حِينَمَا يُفَكِّرُ فِي إِنْشَاءِ تَصَوُّرٍ اعْتِقَادِيٍّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ، أَوْ فِي إِنْشَاءِ مَنْهَجٍ لِلْحَيَاةِ الوَاقِعِيَّةِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ كَذَلِكَ، يَجِيءُ تَفْكِيرُهُ مَحْكُومًا بِهَذِهِ السِّمَةِ الَّتِي تَحْكُمُ كَيْنُونَتَهُ كُلِّهَا، يَجِيءُ تَفْكِيرُهُ جُزْئِيًّا، يَصْلُحُ لِمَكَانٍ وَلَا يَصْلُحُ لِزَمَانٍ وَلَا يَصْلُحُ لِأَحْرَ، وَيَصْلُحُ لِأَحْرَ، وَيَصْلُحُ لِحَالٍ وَلَا يَصْلُحُ لِأَحْرَ، فَوْقَ أَنَّهُ لَا يَتَنَاوَلُ الأَمْرَ الوَاحِدَ مِنْ جَمِيعِ زَوَايَاهُ وَأَطْرَافِهِ، وَجَمِيعِ مُلَابَسَاتِهِ وَأَطْوَارِهِ، وَجَمِيعِ مُقَوِّمَاتِهِ وَأَسْبَابِهِ، لِأَنَّ هَذِهِ كُلِّهَا مُمْتَدَّةٌ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَمُتَمِّدَةٌ فِي الأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ، وَرَاءَ كَيْنُونَةِ الإِنْسَانِ ذَاتِهِ، وَمَجَالِ إِدْرَاكِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فَوْقَ مَا يَعْتَوِّرُ هَذَا التَّفْكِيرَ مِنْ عَوَامِلِ الضَّعْفِ وَالْمَهْوَى وَهُمَا سِمَتَانِ إِنْسَانِيَّتَانِ أَصِيلَتَانِ. وَكَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَجِيءَ فِكْرَةٌ بَشَرِيَّةٌ، وَلَا أَنْ يَجِيءَ مَنْهَجٌ مِنْ صُنْعِ البَشَرِيَّةِ يَتِمَثَّلُ فِيهِ ((الشُّمُولِ)) أَبَدًا، إِذْمَا هُوَ تَفْكِيرٌ جُزْئِيٌّ، وَتَفْكِيرٌ وَقْتِيٌّ، وَمِنْ جُزْئِيَّتِهِ يَبْعُ النَّقْصُ، وَمِنْ وَقْتِيَّتِهِ يَبْعُ الاضْطِرَابُ الَّذِي يُحْتَمُّ التَّغْيِيرُ، وَيَتِمَثَّلُ فِي الأَفْكَارِ الَّتِي اسْتَقَلَّ البَشَرُ بِصُنْعِهَا، وَفِي المَنَاجِحِ الَّتِي اسْتَقَلَّ البَشَرُ بِوَضْعِهَا دَوَامٌ ((التَّنَاقُضِ)) أَوْ دَوَامٌ ((الْحَدَلِ)) المُتِمَثِّلُ فِي التَّارِيخِ الأَوْرُبِيِّ. فَأَمَّا حِينَ يَتَوَلَّى اللهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَإِنَّ التَّصَوُّرَ الاعْتِقَادِيَّ وَكَذَلِكَ المَنْهَجَ الحَيَوِيَّ المُنبَشِقَ مِنْهُ يَجِيئَانِ بَرِيئَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَعْتَوِّرُ الصَّنْعَةَ البَشَرِيَّةَ مِنَ القُصُورِ وَالتَّقْصِ وَالضَّعْفِ وَالتَّفَاوُتِ، وَهَكَذَا كَانَ ((الشُّمُولِ)) خَاصِيَّةً مِنْ خَوَاصِّ ((التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ))." (1)

#### 1-2-1-4- التَّوَازُنُ:

وَتَتَّصِلُ بِخَاصِيَّةِ (الشُّمُولِ) خَاصِيَّةٍ أُخْرَى، وَهِيَ خَاصِيَّةُ (التَّوَازُنِ)، وَتَتِمَثَّلُ التَّوَازُنُ فِي جَوَانِبِ عِدَّةٍ مِنْ أَبْرَزِهَا "التَّوَازُنُ بَيْنَ الجَانِبِ الَّذِي تَتَلَقَّاهُ الكَيْنُونَةُ الإِنْسَانِيَّةُ لِتُدْرِكَهُ وَتُسَلِّمَ بِهِ، وَيُنْتَهِي عَمَلُهَا فِيهِ عِنْدَ التَّسْلِيمِ، وَالجَانِبِ الَّذِي تَتَلَقَّاهُ لِتُدْرِكَهُ، وَتَبْحَثَ حُجْجَهُ وَبَرَاهِينَهُ، وَتُحَاوِلَ مَعْرِفَةَ عِلَلِهِ وَغَايَاتِهِ وَتُفَكِّرَ فِي مُقْتَضِيَّاتِهِ العَمَلِيَّةِ وَتُطَبِّقَهَا فِي حَيَاتِهَا الوَاقِعِيَّةِ. وَالفِطْرَةُ الإِنْسَانِيَّةُ تُسْتَرِيحُ لِهَذَا وَلِهَذَا، لِأَنَّ كِلَيْهِمَا يُلَبِّي جَانِبًا أَصِيلًا مُودِعًا فِيهَا وَهِيَ تَخْرُجُ مِنْ يَدِ بَارِئِهَا، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّ الإِدْرَاكَ البَشَرِيَّ لَنْ يَتَّسِعَ لِكُلِّ أَسْرَارِ هَذَا الوُجُودِ، وَلَنْ يَقْوَى عَلَى إِدْرَاكِهَا كُلِّهَا، فَأَوْدَعَ فِطْرَتَهُ الإِرْتِيَاخَ لِلْمَجْهُولِ، وَالإِرْتِيَاخَ لِلْمَعْلُومِ، وَالتَّوَازُنُ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ فِي كَيْانِهَا كَالتَّوَازُنِ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ فِي صَمِيمِ الوُجُودِ." (2) وَهُنَاكَ صُورٌ أُخْرَى مِنَ التَّوَازُنِ فِي التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ كَالتَّوَازُنِ بَيْنَ طَلَاقَةِ المَشِيئَةِ الإِلَهِيَّةِ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 96.

(2) المرجع نفسه، ص: 119.

وَبَاتِ السُّنَنِ الْكُونِيَّةِ، وَكَالتَّوَازُنِ بَيْنَ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ الطَّلِيْقَةِ وَمَجَالِ الْمَشِيئَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَحْدُودَةِ، وَهِيَ قَضِيَّةُ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ أَوْ (الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ).

#### 1-2-1-5- الإيجائية:

وَالْخَاصِيَّةُ الْخَامِسَةُ هِيَ (الْإِيجَائِيَّةُ) "الْإِيجَائِيَّةُ الْفَاعِلَةُ فِي عِلَاقَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ، وَالْإِيجَائِيَّةُ الْفَاعِلَةُ كَذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةِ الْإِنْسَانِ ذَاتِهِ فِي حُدُودِ الْمَجَالِ الْإِنْسَانِيِّ.."<sup>(1)</sup> تَتَجَلَّى هَذِهِ الْإِيجَائِيَّةُ عَلَى صَعِيدِ الْإِنْسَانِ فِي إِيجَائِيَّةِ الْإِنْسَانِ فِي الْكَوْنِ وَإِيجَائِيَّةِ الْمُؤْمِنِ بِالْإِسْلَامِ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، فَهَذَا التَّصَوُّرُ "مَا يَكَادُ يَسْتَقَرُّ فِي الضَّمِيرِ حَتَّى يَتَحَرَّكَ لِیَحْفَقَ مَدْلُولُهُ فِي صُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ، وَلِيَتَرَجَمَ ذَاتُهُ فِي حَالَةٍ وَاقِعِيَّةٍ. وَالْمُؤْمِنُ بِهَذَا الدِّينِ مَا يَكَادُ الْإِيمَانُ يَسْتَقَرُّ فِي ضَمِيرِهِ حَتَّى يُحَسَّ أَنَّهُ قُوَّةٌ فَاعِلَةٌ مُؤَثِّرَةٌ فَاعِلَةٌ فِي ذَاتِ نَفْسِهِ وَفِي الْكَوْنِ مِنْ حَوْلِهِ."<sup>(2)</sup> فَالتَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ "لَيْسَ تَصَوُّرًا سَلْبِيًّا يَعِيشُ فِي عَالَمِ الضَّمِيرِ قَانِعًا بِوُجُودِهِ هُنَاكَ فِي صُورَةٍ مِثَالِيَّةٍ نَظْرِيَّةٍ أَوْ تَصَوُّفِيَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ إِنَّمَا هُوَ ((تَصْمِيمٌ)) لِوَاقِعٍ مَطْلُوبٍ إِنْشَاؤُهُ وَفَقَ هَذَا التَّصْمِيمِ، وَطَالَمَا هَذَا الْوَاقِعُ لَمْ يُوْجَدْ فَلَا قِيَمَةَ لِدَلِكِ التَّصْمِيمِ فِي ذَاتِهِ إِلَّا بِاعْتِبَارِهِ حَافِزًا لَا يَهْدَأُ لِتَحْقِيقِ ذَاتِهِ. هَذَا مَا يُبَيِّرُهُ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ فِي شُعُورِ الْمُسْلِمِ.. وَمِنْ ثَمَّ يَجِدُ دَائِمًا هَاتِفًا لِلْعَمَلِ، وَيُفْرَغُ طَاقَتَهُ الْإِيمَانِيَّةَ كُلَّهَا فِي هَذَا الْعَمَلِ الْإِيجَائِيِّ الْبِنَاءِ، وَفِي إِِنْشَاءِ وَاقِعٍ تَمَثَّلُ فِيهِ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ."<sup>(3)</sup> تَشْمَلُ الْإِيجَائِيَّةُ إِذَنْ إِيجَائِيَّةَ الْإِلَهِ فِي مُقَابَلَةِ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فِي التَّصَوُّرَاتِ الْآخَرَى غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِيجَائِيَّةَ الْإِنْسَانِ فِي الْكَوْنِ.

#### 1-2-1-6- الواقعية:

وَمِنْ خِصَائِصِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ (الْوَاقِعِيَّةِ)، فَالتَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ يَتَعَامَلُ مَعَ الْحَقَائِقِ الْمَوْضُوعِيَّةِ ذَاتِ الْوُجُودِ الْحَقِيقِيِّ الْمُسْتَبِينِ، وَالْآثَرِ الْوَاقِعِيِّ الْإِيجَائِيِّ لَا مَعَ تَصَوُّرَاتٍ عَقْلِيَّةٍ مُجَرَّدَةٍ وَلَا مَعَ ((مِثَالِيَّاتٍ)) لَا مُقَابِلَ لَهَا فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ أَوْ لَا وُجُودَ لَهَا فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ. ثُمَّ إِنَّ ((التَّصْمِيمِ)) الَّذِي يَضَعُهُ لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ يَحْمِلُ طَابِعَ الْوَاقِعِيَّةِ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَابِلٌ لِلتَّحْقِيقِ الْوَاقِعِيِّ فِي الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ وَاقِعِيَّةٌ مِثَالِيَّةٌ أَوْ مِثَالِيَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ لِأَنَّهَا تَهْدَفُ إِلَى أَرْفَعِ مُسْتَوَى وَأَكْمَلِ نَمُودَجٍ تَمْلِكُ الْبَشَرِيَّةُ أَنْ تَصْعَدَ إِلَيْهِ."<sup>(4)</sup> كَمَا يَتَعَامَلُ مَعَ الْإِنْسَانِ "هَذَا الْإِنْسَانِ الْوَاقِعِيِّ الْمُمَثَّلِ فِي هَؤُلَاءِ الْبَشَرِ كَمَا هُمْ بِحَقِيقَتِهِمُ الْمَوْجُودَةِ، مَعَ هَذَا الْإِنْسَانِ ذِي التَّرْكِيبِ الْخَاصِّ وَالْكِئُونَةِ الْخَاصَّةِ، الْإِنْسَانِ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَأَعْصَابٍ، وَعَقْلٍ وَنَفْسٍ وَرُوحٍ الْإِنْسَانِ ذِي التَّوَازِعِ وَالْأَشْوَاقِ وَالرَّغَائِبِ وَالضَّرُورَاتِ، الْإِنْسَانِ الَّذِي يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَحْيَا وَيَمُوتُ، وَيَبْدَأُ وَيَنْتَهِي، وَيُؤَثِّرُ وَيَتَأَثَّرُ، وَيُحِبُّ وَيَكْرَهُ،

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 151.

(2) المرجع نفسه، ص: 162.

(3) المرجع نفسه، ص: 162.

(4) المرجع نفسه، ص: 169.

وَيَرْجُ وَيَخَافُ، وَيَطْمَعُ وَيَيْئَسُ، وَيَعْلُو وَيَنْحَطُّ، وَيُؤْمِنُ وَيَكْفُرُن وَيَهْتَدِي وَيَضِلُّ، وَيَعْمُرُ الْأَرْضَ أَوْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَقْتُلُ الْحَرثَ وَالنَّسْلَ. إِلَى آخِرِ سِمَاتِ الْإِنْسَانِ الْوَاقِعِيِّ".<sup>(1)</sup> وَتَأْخُذُ خَاصِيَّةُ الْوَاقِعِيَّةِ كَمَا تَبَيَّنَ ثَلَاثَةَ مَظَاهِرَ، هِيَ التَّعَامُلُ مَعَ الْحَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ مُتَمَثِّلَةً فِي آثَارِهَا الْإِجَابِيَّةِ وَفَاعِلِيَّتِهَا الْوَاقِعِيَّةِ، وَالتَّعَامُلُ مَعَ الْحَقِيقَةِ الْكُونِيَّةِ مُتَمَثِّلَةً فِي مَشَاهِدِهَا الْمَحْسُوسَةِ الْمُؤَثِّرَةِ وَالتَّأَثِّرَةِ، وَالتَّعَامُلُ مَعَ الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُتَمَثِّلَةً فِي النَّاسِ كَمَا هُمْ فِي الْوَاقِعِ. فَهَذِهِ الْآفَاقُ الْوَاقِعِيَّةُ فِي التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ يُمَكِّنُ أَنْ تُمَثَّلَ مُرْتَكِزَاتِ الرُّوْيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَجَالِ الْإِبْدَاعِ الْأَدْبِيِّ، حَيْثُ تَنْفَتِحُ مَدَارِكُ الْأَدِيبِ الْمُسْلِمِ عَلَى مَعَالِمِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَآثَارِهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ".<sup>(2)</sup>

### 1-2-1-7- التَّوْحِيدُ:

وَتَمَثَّلُ الْخَاصِيَّةُ السَّابِعَةُ لِلتَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي خَاصِيَّةِ (التَّوْحِيدِ)، فَـ (التَّوْحِيدُ) هُوَ الْخَاصِيَّةُ الْبَارِزَةُ فِي كُلِّ دِينٍ جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَسُولٌ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ (الْمَقَوْمُ الْأَوَّلُ) فِي دِينِ اللَّهِ كُلِّهِ. وَأَنَّ (الإِسْلَامَ) -عَلَى- إِطْلَاقِهِ- كَانَ هُوَ الدِّينُ الَّذِي جَاءَ بِهِ كُلُّ رَسُولٍ، بِمَا أَنَّ الدِّينَ هُوَ إِسْلَامُ اللَّهِ الْوَجْهَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاتِّبَاعُ مَنْهَجِ اللَّهِ- وَحْدَهُ- فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَاةِ، وَالتَّلَقِّيُّ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ فِي هَذِهِ الشُّؤُونِ كُلِّهَا، وَالعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِطَاعَةِ مَنْهَجِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَنِظَامِهِ، وَالعِبَادَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ سِوَاءً فِي الشَّعَائِرِ التَّعْبُدِيَّةِ أَوْ فِي نِظَامِ الْحَيَاةِ الْوَاقِعِيَّةِ..".<sup>(3)</sup> وَيَقُومُ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ عَلَى أَسَاسٍ أَنَّ هُنَاكَ أُلُوهِيَّةً وَعِبُودِيَّةً، أُلُوهِيَّةً يَتَفَرَّدُ بِهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَعِبُودِيَّةً يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ مَنْ عَدَاهُ وَكُلُّ مَا عَدَاهُ، وَكَمَا يَتَفَرَّدُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ، كَذَلِكَ يَتَفَرَّدُ تَبَعًا لِهَذَا بِكُلِّ خِصَائِصِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَكَمَا يَشْتَرِكُ كُلُّ حَيٍّ وَكُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعِبُودِيَّةِ، كَذَلِكَ يَتَجَرَّدُ كُلُّ حَيٍّ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ خِصَائِصِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَهُنَاكَ إِذَنْ وَجُودَانِ مُتَمَيِّزَانِ، وَجُودُ اللَّهِ وَوُجُودُ مَا عَدَاهُ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ، وَالعِلَاقَةُ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ هِيَ عِلَاقَةُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، وَالإِلَهَ بِالْعَبِيدِ".<sup>(4)</sup>

إِنَّ هَذِهِ الْخِصَائِصَ تُشَكِّلُ الْمَلَامِحَ الرَّئِيسَةَ لِلتَّصَوُّرِ الَّذِي يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ الْأَدِيبُ الْمُسْلِمُ، وَفِي إِطَارِهِ تَنْطَلِقُ تَجَارِبُهُ مِنْ مَتَبَعِ إِيمَانِهِ الْفِيضِ بِالتَّسْلِيمِ الْمَطْلُوقِ لِخَالِقِ الْكَوْنِ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ يَمْرُجُ هَذِهِ الْإِنْتِلَاقَةَ الْإِيمَانِيَّةَ بِالتَّأْمُلِ فِي مَشَاهِدِ الْكَوْنِ، وَالتَّنَظَّرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاسْتِحْلَاءِ مَعَالِمِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي صَنْعَةِ هَذَا الْكَوْنِ الْبَدِيعِ الْمُتَنَاسِقِ. وَهُوَ فِي غَمْرَةِ تَجَارِبِهِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالتَّأْمُلِيَّةِ لَا يَكُونُ بِمَعزَلٍ عَنِ وَقَعِ الْحَيَاةِ وَمَشَاغِلِ الْإِنْسَانِ وَأَمَالِهِ وَأَحْلَامِهِ، فَهُوَ فِي إِيمَانِهِ يَتَأْمَلُ مَا خَفِيَ مِنْ أَسْرَارِ الْكَوْنِ، وَهُوَ فِي تَأْمُلَاتِهِ يَسْتَجْلِي أَسْرَارَ الْحَيَاةِ، وَيَبْحَثُ عَمَّ مَنَافِدِ الْخِلَاصِ لِلْإِنْسَانِ عَبْرَ رُويَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ تُصَاغُ مَعَالِمُهَا فِي قَلْبِ فَنِيِّ مُؤَثِّرٍ".<sup>(5)</sup> فَفِي ظِلِّ هَذَا التَّصَوُّرِ يُصْبِحُ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 180.

(2) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: 52.

(3) المرجع نفسه، ص: 189.

(4) المرجع نفسه، ص: 190.

(5) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: 20.

الأديب قادراً على تحقّق مقاصده النبيلة السامية وقادراً على تحطيم أغلال الإنسان، ومُنطلقاً في آفاق الرؤى الربانية المتوازنة الشاملة الإيجابية الواقعية الناطقة بالتوحيد الموشاة بحرية الإنسان المبتهجة بميلاده الجديد.\*

ينطلق الأدب الإسلامي من الرؤية الإسلامية أو التصور الإسلامي للخالق وللإنسان وللحياة وللكون، ذلك التصور الذي يعدّ الأساس الذي يقوم عليه الأدب الإسلامي، وينبثق منه، وبه يتمييز من غيره من الآداب، وهو تصورٌ مستمدٌ من القرآن الكريم والحديث النبوي، ومُنبتقٌ عن الإيمان بالله عزّ وجلّ، هذا الإيمان الذي يحدّد العلاقة بين الخالق ومخلوقاته، وبين الإنسان والكون من حوله، ويكشف للإنسان غاية حياته ومصدرها ومصيرها.<sup>(1)</sup> ويعكس ما تقدّم التصور الإسلامي للخالق وللإنسان وللحياة وللكون وللحياة، فالتصور الإسلامي للخالق يبدأ من "الحقيقة الإلهية التي يصدر عنها الوجود كله؛ ثم يسير مع هذا الوجود في كل صورته وأشكاله وكائنه وموجوداته، ويعنى عناية خاصة بالإنسان-خليفة الله في الأرض- فيعطيه مساحة واسعة من الصورة؛ ثم يعود بالوجود كله مرة أخرى إلى الحقيقة الإلهية التي صدر عنها وإليها يعود، وهو في هذه الجولة الواسعة من الله وإليه، يشمل كل دقائق الكون، لا يعادر منها شيئاً يقع في محيطه، سواء منها ما تُدرّكه الحواس وما لا تُدرّكه، وما يُدرّكه العقل بوعيه وما تُدرّكه الروح فيما وراء الوعي، ويشمل كل نشاط الإنسان وكل طاقاته، سواء نشاطه المادي ونشاطه الروحي، وسواء حياته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وسواء عمله في الحياة الدنيا، وفيما وراء هذه الحياة.<sup>(2)</sup> والخالق هو الله، و"صورته الإسلام في أوضح صورة وعماها الحس البشري، وفي أروع صورة كذلك، الله هو الخالق المدبّر القادر المهيمن.. الذي خلق كل شيء.. كل ما في الوجود خلقه، ولا خالق غيره في السماوات والأرض، وهو القادر الذي لا حدّ لقدرته، المهيمن على كل خلقه في السماوات والأرض، لا يقع في الوجود شيء إلا ما يريد أن يقع، ولا يكون شيء إلا ما أَرَادَهُ أَنْ يَكُونَ، قُدْرَةٌ مُطْلَقَةٌ لا يحدّها شيء ولا يقف في طريقها شيء، وهو واحدٌ مفردٌ أحدٌ.. لا شريك له في الخلق ولا في الهيمنة على شؤون الخلق، هو المتسلط وحده، وهو المدبّر وحده، وهو القادر وحده، وهو المتصرف وحده في ملكه العريض، بيده ملكوت كل شيء، وإليه ترجع الأمور. صورة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض.<sup>(3)</sup> ويكفي في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1) اللَّهُ الصَّمَدُ(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4)﴾<sup>(4)</sup>

(\* لخص صابر عيد الدائم هذه الخصائص في فصل(معالم التجربة الأدبية في ظل خصائص التصور الإسلامي) في كتابه الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: 19 وما بعدها.

(1) مأمون فريز جزار: خصائص القصة الإسلامية، ص: 14.

(2) محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، ص: 16.

(3) المرجع نفسه، ص: 16.

(4) سورة الإخلاص، الآيات: 1-2-3-4.

وَأَمَّا التَّصَوُّرُ الإِسْلَامِيُّ لِلإِنْسَانِ، فَيَعُدُّ الإِنْسَانَ مَخْلُوقًا مُكْرَمًا عِنْدَ اللَّهِ، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (70)<sup>(1)</sup>، وَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (2)<sup>(2)</sup>، وَقَدْ خُلِقَ الإِنْسَانُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَلَمْ يُخْلَقْ عَبْثًا، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (56)<sup>(3)</sup>، وَيَقُولُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (115)<sup>(4)</sup>، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (36)<sup>(5)</sup>، فَهَذَا التَّصَوُّرُ "فَائِمٌ عَلَى أَنَّهُ الخَلِيفَةُ المُكْرَمُ فِي الْأَرْضِ، لَمْ تُفْرِزْهُ التَّطَوُّرَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ كَمَا يُنْسَبُ ظُلْمًا إِلَى عِلْمِ الأَحْيَاءِ، مَسْئُولٌ عَلَى إِثْنَاءِ الحَضَارَةِ وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ، وَمَا الشَّرَائِعُ إِلَّا وَسِيلَةٌ لِهَدَايَتِهِ إِلَى تِلْكَ الأَهْدَافِ الحَضَارِيَّةِ الكُبْرَى، وَهُوَ، بَعْدَ ذَلِكَ، يَرْفُضُ كُلَّ المَذَاهِبِ الَّتِي سَعَتْ إِلَى تَهْمِيشِ الإِنْسَانِ، أَوْ إِخْضَاعِهِ لِلظُّرُوفِ الإِقْتِصَادِيَّةِ، أَوْ إِبْرَازِ جَوَانِبِ الضَّعْفِ وَالأَنْحِلَالِ وَالشَّرِّ، وَإِغْفَالِ قِيمِ القُوَّةِ وَالنَّمَاءِ وَالحَيْرِ".<sup>(6)</sup> وَيَقُومُ التَّصَوُّرُ الإِسْلَامِيُّ لِلْمُجْتَمَعِ عَلَى "أَسَاسِ الوَحْدَةِ البَشَرِيَّةِ، وَوَحْدَةِ فِي العَايَةِ، وَوَحْدَةِ فِي العَمَلِ وَالسُّلُوكِ، وَوَحْدَةِ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ... لَمْ يَقُمْ بِنَاؤُهُ عَلَى أَسَاسِ الصِّرَاعِ الطَّبِيعِيِّ أَوْ العِبُودِيَّةِ لِغَيْرِ كَعْبُودِيَّةِ المَالِ وَالتَّطَبُّقِ وَالأَشْخَاصِ...".<sup>(7)</sup> وَالإِنْسَانُ فِي هَذَا التَّصَوُّرِ "جَسَدٌ وَرُوحٌ، أَوْ قَبْضَةٌ مِنْ طِينٍ وَنَفْحَةٌ مِنْ رُوحِ اللَّهِ. وَلَا تَتَمُّ إِنْسَانِيَّةُ الإِنْسَانِ إِلَّا بِهَدْيَيْنِ العُنْصُرَيْنِ، وَلَا يَتَحَقَّقُ كَمَالُهُ إِلَّا بِتَوَازُنِهِمَا، فَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَخْسَرَ الجَسَدَ حَقَّهُ لِيَزِيدَ مِنْ حَقِّ الرُّوحِ، وَلَيْسَ لَهُ أَيْضًا أَنْ يَخْسَرَ الرُّوحَ حَقَّهَا لِمَرْضَاةِ الجَسَدِ. وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الإِسْلَامَ لَا يُؤْمِنُ بِحَيَوَانِيَّةِ الإِنْسَانِ كَمَا تَرَاهُ النُّظْرَةُ الدَّارُويْنِيَّةُ، وَلَا يُؤْمِنُ بِرَهْبَنِيَّةِ الإِنْسَانِ كَمَا تَرَاهُ النُّظْرَةُ البُودِيَّةُ وَالأَهِندُوكِيَّةُ وَإِنَّمَا تَتَجَلَّى عِبْقَرِيَّةُ الإِنْسَانِ فِي التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ—حِينَ نَجِدُهُ يَسِيرُ بِجِسْمِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَسْمُو بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ".<sup>(8)</sup> وَالإِنْسَانُ فِي التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ، أَيْضًا، هُوَ "الكَاتِنُ الوَحِيدُ المُكَلَّفُ، وَهُوَ الكَاتِنُ ذُو الضَّمِيرِ المُسْئُولِ الَّذِي يَحْمِلُ تَبِعَةَ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، وَيَكُونُ رَهْبِنًا بِمَا كَسَبَ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، وَالإِسْلَامُ لَمْ يُمَيِّزِ الإِنْسَانَ بِخَاصَّةِ التَّكْلِيفِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مَيَّزَهُ بِخَاصَّةِ العَقْلِ بِأَوْسَعِ مَعَانِي هَذِهِ الخَاصَّةِ، وَأَعْنَى وَظَائِفِهَا، فَلَا تَكْلِيفَ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ، ذَلِكَ لِأَنَّ العَقْلَ يَصِلُ بِالإِنْسَانِ—بِإِذْنِ رَبِّهِ—إِلَى حَقَائِقِ الأُمُورِ، وَهُوَ المُرْشِدُ الَّذِي يُمَكِّنُهُ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الهِدَايَةِ وَالضَّلَالِ. وَالنَّاسُ فِي التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ—بَعْدَ هَذَا—إِخْوَةٌ فِي البَشَرِيَّةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ نَشَأُوا مِنْ

(1) سورة الإسراء، الآية: 70.

(2) سورة البقرة، الآية: 30.

(3) سورة الذاريات، الآية: 56.

(4) سورة المؤمنون، الآية: 115.

(5) سورة الإسراء، الآية: 36.

(6) محمد إقبال عروي: جمالية الأدب الإسلامي، ص: 73.

(7) المرجع نفسه، ص: 73.

(8) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص: 137.

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَاشْتَرَكُوا فِي الْمَبْدِ وَالْمَصِيرِ".<sup>(1)</sup> وَيَتَّصِفُ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ لِلْإِنْسَانِ بِوَاقِعِيَّتِهِ "فَهُوَ يَتَنَاوَلُ الْإِنْسَانَ مِنْ جَوَانِبِهِ كُلِّهَا، وَلَا يُهْمَلُ شَيْئًا مِنْهَا، كَمَا لَا يَفْرَضُ عَلَيْهِ شَيْئًا خَارِجًا عَنْ طَبِيعَتِهِ، فَالطَّاقَاتُ الْجِنْسِيَّةُ، وَنَزْعَةُ التَّمَلُّكِ، وَالْحُبُّ وَالْكُرْهُ، وَالنُّزُوعُ إِلَى الْقُوَّةِ، وَالرَّغْبَةُ فِي التَّعَلُّبِ وَالْعَلْبِ، وَالطَّمُوحُ إِلَى الْعَايَاتِ الْكُبْرَى ذَوَاتِ الشَّانِ... حَقَائِقُ يَعْتَرِفُ بِهَا الْإِسْلَامُ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ هُوَ أَنَّهُ يَضَعُ لَهَا الضُّوَابِطَ وَالْقَوَاعِدَ حَتَّى لَا تَتَحَوَّلَ الرَّغْبَاتُ الْجِنْسِيَّةُ إِلَى فَوَاحِشٍ، وَلَا تَنْقَلِبُ نَزْعَةُ التَّمَلُّكِ إِلَى اغْتِصَابٍ وَلَا يَنْحَدِرُ الْحُبُّ وَالْكُرْهُ إِلَى التَّسْفَلِ وَالْأَدَى، وَلَا تَتَحَوَّلُ الْقُوَّةُ وَالرَّغْبَةُ وَالْعَايَاتُ الْكُبْرَى إِلَى الْعُدْوَانِ".<sup>(2)</sup>

إِنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ لِلْإِنْسَانِ "إِنَّهُ تَصَوُّرٌ شَامِلٌ، مُتَوَازِنٌ، وَاقِعِيٌّ... وَمِنَ الشُّمُولِ وَالتَّوَازُنِ وَالوَاقِعِيَّةِ يُمَكِّنُ أَنْ يَنْبَثِقَ أَدَبٌ إِسْلَامِيٌّ رَفِيعُ الْمُسْتَوَى، يَشْمَلُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ كُلِّهَا... بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا... وَيُصَوِّرُ سَائِرَ حَالَاتِ قُوَّتِهَا وَضَعْفِهَا، وَسُمُوَّهَا وَأَنْحِدَارِهَا، وَقَلْبِهَا وَطَمَأْنِينَتِهَا. كَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدَبُ أَعْظَمَ أَدَبٍ نَعَمَتْ بِهِ الْبَشَرِيَّةُ".<sup>(3)</sup> أَوْ هُوَ تَصَوُّرٌ وَاسِعٌ شَامِلٌ يَشْمَلُ حَيَاتَهُ كُلِّهَا بِجَمِيعِ دَقَائِقِهَا وَتَفْصِيْلَاتِهَا، وَهُوَ كَذَلِكَ تَصَوُّرٌ مُتَوَازِنٌ، لَا يَشْتَطُّ فِي تَقْدِيرِ قِيَمَةٍ مِنَ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى حِسَابِ قِيَمَةٍ أُخْرَى، وَلَا يَنْسَى أَحَدَ جَوَانِبِهِ لِيَذْكُرَ جَانِبًا أُمَكِّنُ آخَرَ، وَمِنْ هَذَا الشُّمُولِ وَالتَّوَازُنِ يُمَكِّنُ أَنْ يَنْبَثِقَ فَنٌّ (إِنْسَانِيٌّ) رَفِيعٌ، فَنٌّ يَشْمَلُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ كُلِّهَا، بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا، وَيَشْمَلُهَا فِي عَالَمِ الضَّرُورَةِ الْقَاهِرَةِ وَعَالَمِ الْأَشْوَاقِ الْمُرْفَرَفَةِ، فِي عَالَمِ (الْوَاقِعِ) وَعَالَمِ (الْمَثَالِ)، فِي دُنْيَا الْفَرْدِ وَعَالَمِ الْجَمَاعَةِ، فِي لَحْظَةِ الْإِنْتِاجِ الْعَقْلِيِّ وَلَحْظَةِ الْإِنْتِاجِ الرُّوحِيِّ، فِي لَحْظَةِ هُبُوطِهِ وَلَحْظَةِ رِفْعَتِهِ، وَيَكُونُ أَكْبَرَ فَنٍّ شَهِدَهُ الْإِنْسَانِ".<sup>(4)</sup>

أَمَّا التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ لِلْحَيَاةِ فَيَعُدُّ الْحَيَاةَ دَارَ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ لِلْإِنْسَانِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (2) ﴿(5)﴾، وَهِيَ مَجَالٌ وَاسِعٌ لِلتَّعَارُفِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لِبِنَاءِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (13) ﴿(6)﴾

بَيْنَمَا الْكَوْنُ فِي التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَجَالٌ وَاسِعٌ رَحْبٌ لِلتَّأْمُلِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّعْبُدِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 141.

(2) المرجع نفسه، ص: 142.

(3) المرجع نفسه، ص: 143.

(4) محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، ص: 44.

(5) سورة الملك، الآية: 1-2.

(6) سورة الحجرات، الآية: 13.

شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) ﴿<sup>(1)</sup> وَيَقُولُ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185)﴾<sup>(2)</sup>، وَيَقُولُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)﴾<sup>(3)</sup>، وَالكَوْنُ بَعْدَ ذَلِكَ مُسَخَّرٌ لِلْإِنْسَانِ لِيُعِينَهُ عَلَى آدَاءِ مَهْمَتِهِ الْأُولَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ الْعِبَادَةُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>(4)</sup> وَيَقُولُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ لَتَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14)﴾<sup>(5)</sup>. فَـ "الْكَوْنُ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ عَدَمٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهِ مُوجَّهٌ بِعِنَايَتِهِ، وَهُوَ- فِي حَرَكَتِهِ- يَخْضَعُ لِقَانُونٍ وَاحِدٍ لَا تَفَاوُتَ فِيهِ، وَتَتَجَسَّدُ فِيهِ صِفَتَانِ أَسَاسِيَّتَانِ هُمَا: التَّكَامُلُ وَالتَّعَاوُدُ، وَكَيْسَ التَّضَادُّ وَالتَّنَاقُضُ كَمَا فِي الْمَادِيَةِ الْجَدَلِيَّةِ، وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ تَسْرَانِ بِالْكَوْنِ فِي سِلْسِلَةٍ مِنَ التَّطَوُّرَاتِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي لَا تَصْطَدِمُ مَعَ مَبْدَأِ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ".<sup>(6)</sup> وَلِلْكَوْنِ فِي التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ "حَيَاةٌ وَإِحْسَاسٌ، وَقَبُولٌ وَرَفُضٌ-عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَهُوَ يُنَادِي فِيحْيِيهِ، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ فَيَأْبَاهُ".<sup>(7)</sup> يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا: أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11)﴾<sup>(8)</sup>، وَالْكَوْنُ يُشَارِكُ الْإِنْسَانَ فِي أَسْمَى حَالَاتِهِ، وَيُشَاطِرُهُ أَعْرَافَ رُوحِهِ، وَيَلْتَقِي مَعَهُ فِي الْعَايَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهَا، أَلَا وَهِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَتَسْبِيحُهُ، وَتَنْزِيهِهُ وَالتَّقْدِيسُ لَهُ".<sup>(9)</sup> يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ تَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41)﴾<sup>(10)</sup>. ذَلِكَ هُوَ الْكَوْنُ فِي التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ، وَتِلْكَ هِيَ مَلَامِحُ الرُّؤْيَا الْإِسْلَامِيَّةِ الْوَاضِحَةِ الْمُمَيَّزَةِ لِلْخَالِقِ وَالْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ.

## 1-2-2- خصائص الأدب الإسلامي:

يَتَّصِفُ الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْمُوصَفَاتِ (\*)، الَّتِي تُشَكِّلُ مَنْظُومَةَ التَّصَوُّرِ فِيهِ، فَهُوَ:

- (1) سورة العنكبوت، الآية: 20.
- (2) سورة الأعراف، الآية: 185.
- (3) سورة الأنعام، الآية: 99.
- (4) سورة لقمان، الآية: 20.
- (5) سورة النحل، الآية: 14.
- (6) محمد إقبال عروبي: جمالية الأدب الإسلامي، ص: 73.
- (7) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص: 133.
- (8) سورة فصلت، الآية: 11.
- (9) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص: 133.
- (10) سورة النور، الآية: 41.
- (11) لمزيد من التفصيل ينظر: وليد قصاب: من قضايا الأدب الإسلامي، ص: 28 وما بعدها، وفي الأدب الإسلامي، ص: 69 وما بعدها.

1-2-2-1- أدب عقدي: يرتبط بالعقيدة الإسلامية بمفهومها الواسع الذي يتسع للإنسان والكون والحياة، فهي تشمل كل صغيرة وكبيرة، وتنعكس على أنشطة الإنسان جميعها؛ فهي ليست مقصورة على الشعائر الدينية من صوم، وصلوة وجهاد، وما شاكل ذلك، بل هي تصور كامل شامل لكل شأن من شؤون الحياة، وكل أمر من أمور الإنسان، ومن ثم فلا خطر أن تغتال العقيدة الفن أو تقص من أجنحته. (1) وهو يصل بين السماء والأرض وبين الإنسان وحالقه عبر علاقة مستمرة لا تعرف الانقطاع، والعقيدة تجعل الإنسان في مأمن من برائن السقوط في متاهات الخوف والعزلة، واليأس والكفر، ولا تدفع به إلى رذيلة الوثنيات القديمة والحديثة في تحدي الله والقدر، ولا تجعل الموت كابوساً مزعجاً، ولا حجة للهروب من الحياة والجهاد الأعظم فيها، ولا تنظر إلى الحياة على أنها نهاية المطاف، وهي تشيع قيم الحب والخير والفضيلة، وتحلل الطيبات والاستمتاع بها بالأسلوب الصحيح، وتحرم الحباث والشرور لحماية الفرد والمجتمع، وتمجد العقل والوعي والنظر إلى الأمور بروية وحكمة واعتدال... حتى تتقدم الحياة في طريق النمو وتُعرف آيات الاطمئنان الرضى. (2) ولا يمكن أن يؤخذ الأدب الإسلامي على علاقته بالعقيدة، فكل الآداب تصدر عن معتقدات معينة أو إيديولوجيات محددة حتى تلك الآداب أو المذاهب التي تزعم الفن لأجل الفن فهي تُعبّر عن رؤى فكرية خاصة.

1-2-2-2- أدب غائي هادف ملتزم: ويترتب على ذلك أن يكون أدباً غائياً تنتفي فيه العبيية، فالأديب المسلم لا يجعل الأدب غاية لذاته - كما يدعو أصحاب (الفن للفن) - وإنما يجعله وسيلة إلى غاية، وتتخص هذه الغاية في ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في الصدور، وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس، وتفجير ما يكمن في الذات الإنسانية من طاقات الخير والصلاح. (3) كما أنه أدب يقوم بوظائف محددة ويسعى إلى غايات متسقا مع التصور الإسلامي الذي يتبنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)﴾ (4) وإذا كانت غاية الأدب في نظر الأديب المسلم تنطلق من غايته في الحياة، وهي خدمة العقيدة، وتحقيق العبودية لله عز وجل، وهي غاية مركزية، فإنها تتفرع عنها غايات جزئية؛ فهناك الغاية التربوية التي تهدف إلى نقل المعتقدات والأفكار والعادات والتقاليد المرغوب فيها، وهناك الغاية الجمالية التي تشيع في الإنسان ميله إلى الجمال، وتتصل ذوقه وترفعه ليصبح قادراً على استكشاف مظاهره في مجال الكون والحياة، وهناك الغاية الترويجية التي تهدف إلى التخفيف من أعباء الحياة وإعطاء النفس دفعة من

(1) وليد قصاب: من قضايا الأدب الإسلامي، ص: 29.

(2) نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص: 71.

(3) عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص: 145.

(4) سورة الأنعام، الآيتان: 162-163.

النشاط. (1) وتتحقق هذه الوظائف في العمل الأدبي انطلاقاً من رغبة الفنان في أن ينفعل جمهوره بالموضوع الذي يعرضه له، ويقف منه مثل موقفه، ويتحاز إلى صفه؛ أي أنه بوغي منه أو برغبة مستسرة في نفسه، يريد (توجيه) ذلك الجمهور وجهة معينة سياسية كانت أو اجتماعية أو فكرية أو شعورية أو جمالية. وهناك يلتقي التأثير الفني والتوجيه التربوي، فينفذان إلى النفس من منفذ واحد، أو من منفذين متجاورين، فالفن الصادق لا بد أن يؤدي وظيفة تربوية وعى الفنان ذلك وقصده، أم كان متضمناً في عمله بغير وعي منه، وسواء كان التوجيه التربوي المتضمن سامياً مرتفعاً أم هابطاً متكسفاً فهو في الحالين موجود ولا يمكن فصله عن العمل الفني. ويمتاز الفن الإسلامي عن غيره بأن الوظيفة التربوية فيه موجهة إلى القيم الفاضلة والتصورات الصحيحة، لا إلى قيم هابطة ولا تصورات منحرفة، وهنا يتخيل كثير من الناس أن الفن الإسلامي لا بد أن يتحول إلى مجموعة من المواعظ والتوجيهات الأخلاقية والدينية وهو وهم لا مبرر له. (2)

كما أن هذا الأدب ملتزم\* بقضية وبرسالة من جهة وملتزم بالتصور الذي يصدر عنه، فالالتزام هو الروح في حسد الأدب الإسلامي، ويتميز الالتزام في الأدب الإسلامي بسعته ورحابته، فإذا كان الالتزام الشيعي هو تبنى الدفاع عن العمال والفلاحين، وقضايا الصراع الطبقي وما شاكل ذلك من المفاهيم الضيقة التي لا تحفى على باحث والتي غدت (رواسم) متكررة في أدب هؤلاء القوم، وإذا كان الالتزام الوحدوي ضيقاً هو الآخر، مقصوراً على الدفاع عن حرية الإنسان، وتحريره من كل إرث وتحميله مسؤولية العيش في حياة عبثية لا تعرف بدايتها ولا نهايتها ولا العاية منها، فإن الالتزام في الأدب الإسلامي واسع رحب، فهو التزام العقيدة بكل ما تنطوي عليه من عالمية وشمول وصدور عن تصوراتها للكون والإنسان والحياة، وهو ليس طبقياً ولا فئوياً ولا محبوساً على قضايا معينة وجمهور خاص وزمان بعينه، إنه التزام بقضايا إنسانية عامة، لها صفة الديمومة والخلود، التزام الخير والحق في أشكالهما المجردة المطلقة، والدفاع عنها حيثما وجداً وعند من وجد، والصراع فيه ليس بين طبقات اقتصادية، بل بين العدل والظلم، بين الحق والباطل. والخير والحق يتمثلان فيما أرادته خالق العباد للعباد، وفيما شرعه وفيما سنه، والباطل ما خالف ذلك واحتكم إلى الطاغوت. (3) بالإضافة إلى أن الالتزام في الأدب الإسلامي التزام حقيقي نابع من داخل الأديب المسلم ولا يملأ أو يفرض عليه ولا يوجهه إليه أحد، إنه جزء من شخصيته وعقيدته، والالتزام بهذا المفهوم ليس قيداً على الأديب، ولا يتنافى مع حرّيته، فالأديب المسلم ملتزم حرّ يمتلك

(1) مأمون فريز جزار: خصائص القصة الإسلامية، ص: 24.

(2) محمد قطب: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 166.

(\*) لمزيد من التفصيل حول الالتزام في الأدب الإسلامي ينظر: ناصر بن عبد الرحمن الخنين: الالتزام الإسلامي في الشعر، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1424هـ-2004م.

(3) وليد قصاب: من قضايا الدب الإسلامي، ص: 32.

الإرادة والقُدرة والاختيار والقناعة. ويشتمل الالتزام في الأدب الإسلامي كلَّ ضروب الكلام، سواء أكان شعراً أم قصة أم مسرحية أم خطبة، فهو ليس مقصوداً على الشعر وحده، فكلُّ أشكال الكلمة في موضع الأمانة والمسؤولية، وهي رسالة لا بُدَّ أن تُوظف في خدمة الحق والخير والقيم الفاضلة.<sup>(1)</sup> ومن هنا كان الأديب المسلم ملتزماً بمنهج شامل في الحياة، يُعبّر عنه بالقول والعمل، ويمثله في وحدته مع نفسه، وفي اندماجه مع أفراد مجتمعه. وهذا المنهج الشامل ليس محصوراً في نظرية اقتصادية مغلقة، ولا يرتبط بأية بقعة على وجه البسيطة دون غيرها، ولا بدولة ذات مذهب بعينه، وإنما يتسم هذا المنهج بسمات إنسانية عالمية شاملة تتسع لبني البشر أجمعين، وتمجّد الفضائل البشرية من حب وأخوة وتعاون وعدالة ورحمة.<sup>(2)</sup> وتجدر الإشارة إلى أن "الأدب الإسلامي ينطلق من رؤية واضحة يلتزم بها الأديب، وإن كانت لهذه الرؤية دولة أو مؤسسات، لأنه ليس من شأن الأدب أن يكون ملتزماً بالإسلام من الناحية النظرية فقط، حتى إذا تجسّد في كيان أو دولة ثواجه الحياة وتحلُّ مشكلاتها على ضوء النظرية الإسلامية، قال الأديب المسلم بأنه لا يريد أن يُقيد فكره يلتزم بمبادئ الدولة أو الجماعة! إذ لا فرق لدى الأديب المسلم بين حياته في الإسلام قبل وجود الكيان السياسي له أو بعد وجود هذا الكيان، ولكن التزام الأديب المسلم هذا التزام ذاتي يُشرق من ذات الأديب كما تُشرق الأشعة من ذات الشمس أو كما يفوح العبير من ورد الربيع دون إكراه أو تكلف أو إلزام."<sup>(3)</sup>

إن الالتزام في الأدب الإسلامي بمنأى عن الإكراه تحت أي ظرف كان أو من أي طرف صدر وتحت أي شكل وقع، وبعيداً عن أي شعارات أو لافتات سلطوية، وهو بهذا المنظور يفتح المجال واسعاً أمام الأدباء للتعبير وللإبداع.

### 1-2-2-3- أدبٌ مُنفتحٌ مُتجددٌ:

إذا كان للأدب الإسلامي منظومته التصورية التي تميّزه، فهو أدبٌ مُنفتحٌ بحكم إنسانيته وعالميته على آداب الشعوب والأمم الأخرى، يرفض الانغلاق والانكفاء على الذات، ومُتطورٌ نام ومُتحركٌ مُجددٌ لا يُعادي التجديد ولا يرفضه، بل هو شديد الحماسة له، ولا يتحرّج من استخدام تقاناته المختلفة، ولا يضيق صدره بالانفتاح على مذاهب الفن جميعها، والاستفادة منها، ولكن ما يميّزه من غيره أنه يتعامل معها على بصيرة ورشاد، وأنه يملك معياره العقدي الذي يضبط خطواته، فلا يزل ولا يطغى، ولا ينساق وراء الجديد انسياقاً أعمى، بل يمضي وراء النافع منه، الذي يشكلُ إتراً لآفاقه، وتشفيقاً في ضروبه وأشكاله.<sup>(4)</sup> وهو الموقف ذاته الذي يتخذه تجاه الإبداع

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 34.

(2) نجيب الكيلاني: الإسلام والمذاهب الأدبية، ص: 31.

(3) شلتان عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة، دمشق، ط: 1، 1412هـ-1996م، ص: 70.

(4) وليد قصاب: من قضايا الأدب الإسلامي، ص: 35.

الفني، موقف التوسط والاعتدال أو الوسط بين الثابت والمتحول فهو من جهة رفض للسكون التام الذي يعني الشلل والموت، وهو من جهة أخرى- رفض للحركة العمياء، والقفز الأعشى الضرير، أي أنه أدب ملتزم منفتح متطور، ولكنه ليس أدباً متفلتاً (سائباً).. وهو لا يتعصب للقديم تعصباً مطلقاً، ولا يتعصب للحديث تعصباً مطلقاً، بل هو يحتب الوقوع في شرك أمرين يعدُّ كلا منهما غير إسلامي؛ لأنه لا يصمد أمام العقل والمنطق اللذين هما من صلب العقيدة الإسلامية ومركزاتها الأساسية، وهما العشق المطلق لكل من القديم والحديث والاحتقار المطلق لكل من القديم والحديث، ففي كل من القديم والحديث من الحق والخير نصيب، وفي كل منهما من الحق نصيب<sup>(1)</sup>. وهو منفتح على شتى المذاهب الفنية مادامت منسجمة في اتجاهاتها وتفصيلها مع حركة الكون والإنسان الإيجابية في سبيل الحق والعدل الأزليين، وفي إطار الجمال المبدع، بعيداً عن التزييف والكذب والتناقض، إنه مرن بحيث يتسع لكل المذاهب ويزيد عليها في سعة نظريته الكونية وعمقها وشمولها، إنه (كلاسيكي) حين يعبر عن التناسق الرائع للأشياء والقيم الخارجية، وحين يمجّد بطولة الإنسان وإيجابيته إزاء الأحداث وقدرته على تشكيل مصيره.. إنه (رمانسي) حين يعبر عن أعماق الإنسان المؤمن وعن تجاربه الشعورية المتنوعة التي تنبثق عن الإيمان بالله، وعن الحب الكبير الذي يتفجر عن هذا الإيمان ويتجه صوب كل الناس وكل الأشياء.. إنه (واقعي) حين يعلن ثورته الانقلابية على كل القيم المنحرفة عن الصراط المستقيم، وعلى كل الطواغيت التي لا تقرأها وحدانية الله والتي لا يأبأها التحرر الوجداني للإنسان المسلم، ذلك التحرر الذي يبدأ من أعماقه ليتهيء بالكون.. (واقعي) حين يصرخ في وجوه القوى المسيطرة التي تُعذب الإنسان بالظلم الاجتماعي وبالتناقض الطبقي بشتى مستوياته، وبخناق حرّيته والاستهانة بكرامته.. (واقعي) حين يعبر عن لحظات الضعف البشري أمام شتى المعريات- ولكنه لا يسلط عليها الأنوار باعتبارها لحظة الانتصار، ولكن باعتبارها لحظة الضعف- التي يستمد منها الإنسان القدرة على الصعود.. كما أنه (وجداني) في تعبيره عن نظرة الإنسان الشخصية المستمدة من تجاربه الإيمانية.. (وجداني) في تعبيره عن أعمق مجريات الإنسان النفسية وأحداث عالمه الباطني، تلك التي تسعى به دوماً إلى التناغم والتألف والتعاطف مع سائر الخلائق والأشياء.<sup>(2)</sup> وهو في مقابل ذلك وفي تعامله مع هذه المذاهب (\*) يأبى الانحراف<sup>(3)</sup> يأبى-مثلاً- تأليه الإنسان (كلاسيكياً)، وإغراقه الذاتي (رؤمانسياً)، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعيًا)، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي (وجوديًا).. فليس ثمة عبث ولا جدوى كما يرى (كامي)، وليس ثمة لا معقولة للحياة والوجود كما يرى (كافكا)، وليس ثمة حرية أخلاقية

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 37.

(2) عماد الدين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر، ص: 41.

(\*) لمزيد من التفصيل حول موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية الغربية ينظر: عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص: 33 وما بعدها، وحلمي محمد القاعد: الأدب الإسلامي الفكرة والتطبيق، ص: 43، وما بعدها.

مُطْلَقَةً مِنْ كُلِّ قَيْدٍ كَمَا يَرَى (سَارْتَر)، وَلَيْسَ ثَمَّةَ تَنَاقُضَاتٍ نَفْسِيَّةٍ، لَأَنَّ نِهَايَةَ لَهَا، تَنْتَهِي بِالضِّيَاعِ كَمَا يَرَى (دُوسْتُوْفَسْكِي)، ذَلِكَ أَنَّ الْفَنَّ الْإِسْلَامِيَّ يَسْتَمِدُّ تَجَارِبَهُ الْبَاطِنِيَّةَ مِنْ خِلَالِ الْحَقِيقَةِ لَأَنَّ الرَّيْفَ، وَمِنْ الْاسْتِقَامَةِ لَأَنَّ الْإِنْحِرَافَ. (1) وَمِنْ مُوَاصَفَاتِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الَّتِي نَذَكُرُهَا إِجْمَالًا دُونَ تَفْصِيلٍ أَنَّهُ أَدَبٌ وَاضِحٌ جَمَالِيٌّ وَاقِعِيٌّ وَإِنْسَانِيٌّ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ أَدَبٌ مُتَّفَائِلٌ، فَإِذَا شَكَلَتْ خَاصِيَّةُ التَّفَاوُلِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْاجْتِمَاعِيِّ شَحْنَةً رُوحِيَّةً لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ انْعَكَسَتْ عَلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي تَرَعَّرَعَ هُوَ الْآخِرُ فِي أَجْوَاءِ كُلِّهَا أَمَلٌ وَ تَفَاوُلٌ رَعْمَ السَّلْبِيَّاتِ الْوَاقِعِيَّةِ الَّتِي يُعَانِي مِنْ مَرَارَتِهَا الْأَدِيبُ وَيَتَلَطَّى بِشَرِّهَا. (2)

وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْمَقَارَبَةِ يَتَّضِحُ الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ مُصْطَلَحًا وَتَعْرِيفًا وَتَصَوُّرًا وَخَصَائِصَ، وَتَكْتَمِلُ أُسُسُهُ وَتَحْتَمِعُ شُرُوطُهُ بِوَصْفِهِ نَوَاطِءُ تَتَمَحَوَّرُ فِي حَقْلِهَا مُصْطَلَحَاتُ الْفُنُونِ أَوْ الْأَجْنَاسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهِ، وَأَقْرَبُهَا إِلَى بَحْثِنَا مُصْطَلَحُ (الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) أَوْ (الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ) بِصِفَةِ عَامَّةٍ.

## 2- الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ: الْبِنْيَةُ وَالْخُصُوصِيَّةُ:

تَعُودُ انْطِلَاقَةُ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ - وَلَيْسَ الشَّعْرُ الْإِسْلَامِيُّ وَحْدَهُ - إِلَى مَا تَبَّهَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي شَأْنِ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ، فَ"يَعُدُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْكَلَامِ وَالْقَوْلِ هُوَ الْبَدْرَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الْأُولَى لِلأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ؛ إِذْ ارْتَسَمَتْ مِنْ خِلَالِ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ مَلَامِحُ ضَرَبَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ وَضَرَبَيْنِ مِنَ الْأَدَبِ: أَحَدُهُمَا إِيْمَانِيٌّ إِسْلَامِيٌّ، وَالْآخَرُ جَاهِلِيٌّ فَاسِدٌ مُنْحَرِفٌ". (3) وَقَدْ وَرَدَتْ تِلْكَ التَّفْرِيقَةُ بَيْنَ الضَّرْبَيْنِ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)﴾ (4) فَهَذِهِ الْآيَاتُ كَمَا يَتَبَيَّنُ مِنْ تَفْسِيرِهَا بِصِفَةِ عَامَّةٍ\* تَرَسُّمُ صُورَةَ لِلسَّعْرِ الَّذِي يَرْضَى عَنْهُ الْإِسْلَامُ، وَصُورَةَ لِلسَّعْرِ الَّذِي يَرْفُضُهُ الْإِسْلَامُ، وَيَقَعُ قَائِلُوهُ تَحْتَ طَائِلَةِ التَّسْفِيهِ الْعَنِيفِ الَّذِي رَأَيْنَاهُ، وَهِيَ صُورَةٌ وَاضِحَةٌ شَدِيدَةٌ الْوُضُوحِ؛ إِنَّ الشَّعْرَ الَّذِي يَقْبَلُهُ الْإِسْلَامُ، وَبِوَاطِئِ رُؤْيَيْهِ الْعَقْدِيَّةِ، صِفَتُهُ الْخَيْرُ - الْإِتْرَامُ - الْإِنْضِبَاطُ - التَّوَازُنُ - الصِّدْقُ - الْبُعْدُ عَنِ الْعُلُوِّ وَالْإِدْعَاءِ الْكَاذِبِ - يَصْدُرُ عَنْ مُؤْمِنٍ يُقِرُّ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، وَالْإِيْمَانَ بِالْفِعْلِ، يُصَدِّقُ تَصَرُّفَهُ مَا وَقَرَ فِي قَلْبِهِ وَأَقْرَبَ بِهِ لِسَانَهُ، يُكْتَرُ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ، يَسْتَحْضِرُ اللَّهَ دَائِمًا فِيمَا يَقُولُ، فَيَعِصِمُهُ ذَلِكَ مِنَ السُّقُوطِ وَالزَّلَلِ، وَهُوَ لَا يَعْتَدِي، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْكُتُ عَلَى الْإِعْتِدَاءِ، انْتِصَافًا لِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ وَانْتِصَارًا

(1) عماد الدين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر، ص: 42.

(2) محمد إقبال عروي: جمالية الأدب الإسلامي، ص: 57.

(3) وليد قصاب: في الأدب الإسلامي، ص: 9.

(4) سورة الشعراء، الآيات: 224-225-226-227.

(\*) أي ما يستخلص مما ذكره ابن كثير في تفسيره، ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 3، دار صبح، ط: 5، 1430هـ-2009م، ص: 360.

لِلضَّمِّ الَّذِي أَصَابَهُ". (1) فَذَلِكَ مَا يُفِيدُهُ الْاسْتِنَاءُ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ، يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ: "وَلَكِنَّ هَذَا الْاسْتِنَاءَ يَدْخُلُ فِيهِ شُعْرَاءُ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ مَنْ كَانَ مُتَلَبِّسًا مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ بِدَمِّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ تَابَ وَأَنَابَ وَأَقْلَعَ وَعَمِلَ صَالِحًا، وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا فِي مُقَابَلَةِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ، فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَامْتَدَّحَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ فِي مُقَابَلَةِ مَا كَانَ يَذُمُّهُ..". (2) وَقَدْ وَرَدَ التَّنْبِيهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْكَلِمَةِ -وَالْأَدَبِ عَامَّةً أَوْ الشَّعْرِ خَاصَّةً هُمَا فَنُ الْكَلِمَةِ- وَخَطُورَةَ دَوْرَهَا وَمَدَى أَثَرِهَا فِي النَّفُوسِ خَيْرَةً كَانَتْ أَمْ شَرِّيرَةً، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)﴾ (3). فَتَقْسِيمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْكَلِمَةَ قِسْمَيْنِ: كَلِمَةً طَيِّبَةً، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْإِيمَانِيَّةُ، كَلِمَةً خَبِيثَةً، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الضَّالَّةُ الْمُنْحَرِفَةُ، أَوَّلُ بَدْرَةِ لِلْأَدَبِ الْإِيمَانِيِّ الْإِسْلَامِيِّ؛ إِذْ لَيْسَ كُلُّ الْكَلَامِ سَوَاءً؛ فَمِنْهُ مَا هُوَ إِيمَانِيٌّ، وَمِنْهُ مَا هُوَ هَجِينٌ زَائِعٌ غَيْرُ إِيمَانِيٍّ، مِنْهُ مَا هُوَ عَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَمِنْهُ مَا يَتَنَكَّبُ هَذِهِ الْجَادَّةَ، فَيَمْضِي فِي طَرِيقِ الْإِفْسَادِ وَالضَّلَالِ. (4)

وَالشَّعْرُ الْإِسْلَامِيُّ -أَوْ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ- فِي ضَوْءِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ هُوَ "الشَّعْرُ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْ رُؤْيَةِ الْإِسْلَامِ لِلْإِنْسَانِ وَالْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ، وَيَصْدُرُ عَنْ شَاعِرٍ مُسْلِمٍ". (5) تِلْكَ الرُّؤْيَةُ الَّتِي حُدِّدَتْ أَبْرَزُ سِمَاتِهَا فِيمَا تَقَدَّمَ، وَقَدْ تَمَّ تَمَّ اخْتِيَارُ مُصْطَلَحِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، هُنَا، لِيُنَسَّجَ مَعَ عُنْوَانِ الْبَحْثِ، وَلَا فَرْقَ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُصْطَلَحِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ، فَالشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ هُوَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ الَّذِي يَنْطِقُ مُعْظَمُ شِعْرِهِ بِالْعَاطِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيُعَالِجُ فِي قِسْمٍ مِنْ قَصَائِدِهِ مَشَاكِلَ الْإِسْلَامِ وَقَضَايَاهُ، عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ فِي سَائِرِ شِعْرِهِ مَا يُخَالِفُ عَقِيدَةَ الْإِسْلَامِ أَوْ يُنَاقِضُ مَوَاقِفَهُ الْإِسْلَامِيَّةَ الصَّادِقَةَ فِي قَصَائِدِهِ الْأُخْرَى. (6) فِي أَيِّ زَمَنٍ وَجَدَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ وَفِي أَيِّ مَكَانٍ، وَقَدْ وَظَّفَ مُصْطَلَحُ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عِنْدَ فَرِيقٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ لِيَحْمِلَ دِلَالَةً أَخْصَ مِنْ دِلَالَةِ مُصْطَلَحِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ حَيْثُ تَبَنَّى بِهِجَتِ عَبْدِ الْغَفُورِ مُصْطَلَحَ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي يَرَى أَنَّهَا "الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَسْتَمِدُّ لُغَتَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَفْكَارَهَا، وَصُورَهَا مِنَ الْإِسْلَامِ (مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ)، وَتُصَوِّرُ الْعَالَمَ مِنْ خِلَالِ زَاوِيَةِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ، وَتَحْمِلُ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ، تَدْعُو إِلَى نَشْرِهَا وَتَحْقِيقِهَا فِي دُنْيَا النَّاسِ

(1) وليد قصاب: في الأدب الإسلامي، ص: 16.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 3، ص: 362.

(3) سورة إبراهيم، الآيات: 24-25-26.

(4) وليد قصاب: في الأدب الإسلامي، ص: 20.

(5) محمد بنعزوز: معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، 1427هـ-2006م.

(6) أحمد عبد اللطيف الجدع وحسن أدهم جرار: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج: 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2،

1401هـ-1981م، ص: 17.

الْمَنْطُورَةِ".<sup>(1)</sup> وَيَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِمُؤَاصَفَاتِهَا وَأُصُولِهَا وَمَوْضُوعَاتِهَا لَمْ تَظْهَرْ إِلَّا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ عَلَى خِلَافِ (الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ) الَّذِي تَعُودُ نَشَأَتُهُ إِلَى فَجْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَوْ إِلَى الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ أَوْ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ.<sup>(2)</sup> وَيَرَى أَنَّ هَذَا الْمَصْطَلَحَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا مِنْ قَبْلُ وَإِنْ وُجِدَ مَضمُونُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ خِصَائِصِهِ مِنْذُ فَجْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.<sup>(3)</sup> وَتَتَضَحُّ رُؤْيَتُهُ الَّتِي تُمَيِّزُ، اصْطِلَاحِيًا الْقَصِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنَ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي مُحَاوَلَةِ تَحْدِيدِهِ لِلدَّلَالَةِ هَذَيْنِ الْمَصْطَلَحَيْنِ، فَالشَّعْرُ الْإِسْلَامِيُّ فِي مَفْهُومِهِ هُوَ "التَّعْبِيرُ الْجَمِيلُ الْمَوْزُونُ عَنِ الْإِسْلَامِ عَقِيدَةً وَنِظَامًا شَامِلًا لِشُؤُونِ الْحَيَاةِ كَافَّةً، وَيَدْخُلُ ضِمْنَ هَذَا الْمَفْهُومِ كُلُّ شِعْرٍ يَتَحَدَّثُ صَاحِبُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَخْرُجُ عَنِ التَّصَوُّرِ الَّذِي رَسَمَهُ الْإِسْلَامُ لِلْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ، وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ مُلْتَمِزًا حَرْفِيًّا بِالْإِسْلَامِ، وَيَنْسَحِبُ هَذَا الْمَفْهُومُ عَلَى كُلِّ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ عِبْرَ الْعُصُورِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ الْبِعْتَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الشَّعْرَ يَبْقَى شِعْرًا إِسْلَامِيًّا ضِمْنَ الْمَفْهُومِ الْعَامِّ لِلْإِسْلَامِ".<sup>(4)</sup> أَمَّا الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَهِيَ "الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَسْتَمِدُّ لُغَتَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَفْكَارَهَا، وَأَخِيلَتَهَا وَصُورَهَا مِنْ زَاوِيَةِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ، شَرِيحَةً أَنْ تَحْمِلَ رِسَالَةً، وَهِيَ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ وَالْدَّعْوَةِ إِلَى تَحْقِيقِهِ وَتَطْبِيقِهِ فِي الْحَيَاةِ وَعَلَى مُخْتَلَفِ صُعُدِهَا، السِّيَاسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْعَقْدِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيْرِهَا".<sup>(5)</sup> فَالْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِهَذَا الْمَفْهُومِ يَنْبَغِي أَنْ تَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ الْهَدَفِ الْأَسْمَى الَّذِي قَامَتْ عَلَى أُسَاسِهِ مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَعَقِيدَةٍ وَكَنِظَامِ حَيَاةٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَمَّ ذَلِكَ التَّفَاعُلُ الْعَمِيقُ الْخَلَّاقُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَعَقِيدَتِهِ. فَ"الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ غَائِيَّةٌ، غَايَتُهَا الْإِسْلَامُ وَالْدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَنَشْرُ مَبَادِئِهِ وَقِيَمِهِ وَتَعَالِيمِهِ وَالسَّعْيُ إِلَى تَحْقِيقِهَا فِي مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ كَافَّةً".<sup>(6)</sup>

وَيَخْلُصُ فِي ضَوْءِ هَذَا التَّحْدِيدِ لِلْمَصْطَلَحَيْنِ إِلَى أَنَّ الْقَصِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لَمْ تَرَ النُّورَ، بِالْمَفْهُومِ الْخَاصِّ، إِلَّا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَمَا سِوَى هَذَا فَهُوَ مِنَ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْمَفْهُومِ الْعَامِّ، وَمَا يَمْنَحُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ خُصُوصِيَّتَهَا، فَنِيًّا وَمَوْضُوعِيًّا "وُجُودَ عَشْرَاتِ الشُّعْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، بِلِ مِائَاتِ الشُّعْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَالتَّزَمُوا بِمَصْطَلَحِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ التَّزَامًا حَرْفِيًّا، وَلَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ. وَفِي كُلِّ مَجَامِعِهِمُ الشَّعْرِيَّةِ، مَعَ تَفَاعُلٍ عَمِيقٍ بَيْنَ عَقِيدَتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ وَنَتَاجِهِمُ الشَّعْرِيِّ، تَفَاعُلًا رُوحِيًّا وَفِكْرِيًّا وَفَنِيًّا، لَمْ نَشْهَدْ لَهُ مَثِيلًا فِيمَا مَضَى مِنْ عُصُورِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ".<sup>(7)</sup> وَإِذَا لَمْ يُشْتَرَطْ فِي الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْمَفْهُومِ الْعَامِّ، أَنْ يَصْدُرَ عَنِ شَاعِرٍ

(1) بمجت عبد الغفور الحديثي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، ص: 12.

(2) المرجع نفسه، ص: 55.

(3) المرجع نفسه، ص: 59.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص: 59.

(6) المرجع نفسه، ص: 60.

(7) المرجع نفسه، ص: 61.

مُسْلِمٍ مُلتَزِمٍ التَّزَامًا كَامِلًا بِالْإِسْلَامِ، فَضَابِطُ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ الْمُسْلِمُ "مُلتَزِمًا بِالْإِسْلَامِ مُؤْمِنًا بِمَا يَقُولُ مُتَّفَاعِلًا مَعَ عَقِيدَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مُسْتَمِدًّا مَا يَقُولُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ".<sup>(1)</sup> وَقَدْ وَضَعَ شِلْتَاغُ عَبُودَ مَفْهُومًا لِلشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ "لَا يَتَّسِعُ إِلَى إِدْرَاجِ الشُّعْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، وَلَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْفَرَائِضَ الدِّينِيَّةَ فَقَطْ، بَلْ يَخُصُّ تِلْكَ الْفِتْنَةَ الَّتِي تَحْمِلُ الْإِسْلَامَ هَمًّا يَوْمِيًّا، وَتَدْعُو إِلَى مُمَارَسَتِهِ فِي مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ كَافَّةً. وَتُعَانِي - مِنْ جَرَءِ هَذَا - الْمَحَنَ وَالْعَذَابَ وَالْغُرْبَةَ، وَهِيَ تَسْتَمِرُّ هَذَا وَتَعْتَبِرُهُ نَمْنًا لِلوَلَاءِ وَالْإِنْتِمَاءِ إِلَى شَرِيعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".<sup>(2)</sup> وَهَذَا مَا أَكَّدَ عَلَيْهِ نَجِيبُ الْكِيْلَانِي حِينَ رَأَى أَنَّ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ "لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصْدُرَ إِلَّا عَنْ ذَاتٍ نَعَمَتْ بِالْيَقِينِ، وَسَعِدَتْ بِالْإِفْتِنَاعِ، وَتَشَبَّعَتْ بِمَنْهَجِ اللَّهِ، وَنَهَلَتْ مِنْ يَنَابِيعِ الْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ وَمِنْ ثَمِّ أَفْرَزَتِ أَدَبًا صَادِقًا، وَعَبَّرَتْ عَنِ التَّزَامِهَا الذَّاتِي الدَّاحِلِي دُونَ مَا قَهَرَ أَوْ إِرْغَامًا".<sup>(3)</sup>

وَيَدْعُمُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مَا يَقُولُهُ وَلَيْدُ قَصَّابٍ، فَالْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ الْحَقِيقِيُّ "لَا يَصْدُرُ عَنْ أَدِيبٍ غَيْرِ مُسْلِمٍ، قَدْ يَصْدُرُ عَنْ هَذَا الْأَدِيبِ - مِنْهُ وَحْيِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ - مَا يُوَافِقُ رُوحَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ يَعْكِسُ مَا لَا يَتَّحَافَى مَعَ هَذِهِ الرُّوحِ، وَلَكِنَّ أَدَبَهُ - مَعَ ذَلِكَ - لَا يُسَمَّى أَدَبًا إِسْلَامِيًّا".<sup>(4)</sup> وَيُؤَسِّسُ رَأْيُهُ هَذَا عَلَى حُمْلَةٍ مِنَ الْإِعْتِبَارَاتِ كَكَوْنِ مَا يَقُولُهُ غَيْرُ الْمُسْلِمِ لَا يَصْدُرُ عَنْ تَصَوُّرٍ إِسْلَامِيٍّ، فَقَدْ يَكُونُ صَادِرًا عَنِ انْفِعَالِ آنِيٍّ أَوْ إِحْسَاسٍ مُوقَّتٍ أَوْ تَجْرِبَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ بِشَكْلِ وَاحٍ مَقْصُودٍ عَنْ مُعْتَرَفٍ إِسْلَامِيٍّ.<sup>(5)</sup> كَمَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي النَّظَرُ إِلَى الْمَقُولِ دُونَ الْقَائِلِ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ كُلَّ مَا وَاطَأَ الْإِسْلَامَ فِي التَّصَوُّرِ هُوَ إِسْلَامِيٌّ وَإِنْ صَدَرَ عَنْ نَصَارَى أَوْ يَهُودٍ أَوْ مَجُوسٍ أَوْ وَثَنِيِّينَ أَوْ زَنَادِقَةٍ.<sup>(6)</sup>

إِنَّ التَّزَامَ الشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ شَرْطٌ يَرْقَى بِشِعْرِهِ إِلَى مُسْتَوَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، وَيَسْمَحُ بِتَعْرِيفِ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى أَنَّهُ "كُلُّ شِعْرٍ لَا يُخَالِفُ مَبَادِيءَ الْإِسْلَامِ".<sup>(7)</sup> وَتَعْرِيفُ الشَّاعِرِ الْإِسْلَامِيِّ بِأَنَّهُ "ذَلِكَ الشَّاعِرُ الَّذِي التَّزَمَ بِشِعْرِهِ الْأَهْدَافَ وَالْمَثَلِ الْإِسْلَامِيَّةَ وَلَمْ يَتَّصِفْ بِشِعْرِهِ مَا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ وَمَبَادِيئَهُ".<sup>(8)</sup> فَهُوَ الشَّاعِرُ الْمُلتَزِمُ بِإِسْلَامِهِ سُلُوكًا وَانْفِعَالًا وَقَوْلًا وَقَصِيدًا، فَهُوَ "فِي سُلُوكِهِ يُمَثِّلُ الْمَبَادِيءَ الْإِسْلَامِيَّةَ كَمَا أَرَادَهَا الْإِسْلَامُ، وَهُوَ فِي انْفِعَالِهِ إِنَّمَا يَنْفَعَلُ بِالْقَضَايَا الَّتِي تَمَسُّ أُمَّتَهُ وَدِينَهَا وَمَبَادِيئَهَا، وَفِي حَدِيثِهِ مُلتَزِمٌ بِمَبَادِيءِ الْإِسْلَامِ الْحَقَّةِ فَلَا يَنْطِقُ هَذَرًا وَلَا يَقُولُ إِلَّا

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 62.

(2) شِلْتَاغُ عَبُود: حُدُوقُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاوِرِ، دَارُ الْمَلِكِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، بَيْرُوتَ، ط: 1، 1422هـ - 2002م، ص: 7.

(3) نَجِيبُ الْكِيْلَانِي: مَدْخَلُ إِلَى الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، ص: 36.

(4) وَلَيْدُ قَصَّابٍ: فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، ص: 33.

(5) المرجع نفسه، ص: 33.

(6) المرجع نفسه، ص: 34.

(7) أَحْمَدُ الْجَدْعُ: دَرَاوِسَاتُ فِي الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ، دَارُ الضِّيَاءِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، عَمَّانَ، الْأُرْدُنِ، ط: 1، 1422 - 2001، ص: 78.

(8) المرجع نفسه، ص: 78.

حَقًّا، وَشِعْرُهُ يُعْبَرُ عَنْ تَجْرِبَةٍ ذَاتِيَّةٍ مُنْدَفِعَةٍ مَعَ شُعُورِهِ بِأَنَّهُ يُمَثِّلُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَبَادِئَهَا، مُتَنَدِّبٌ مِنْ دَاخِلِهِ لِلدَّفَاعِ عَنْ قَضَايَا الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ حَتَّى فِي التَّعْبِيرِ عَنْ خَلَجَاتِ نَفْسِهِ إِنَّمَا يَنْدَفِعُ مِنَ التَّرَامِهِ بِدِينِهِ الْقَوِيمِ". (1)

إِنَّ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةَ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْأَدَبُ الْإِسْلَامِيُّ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَالشُّعْرُ الْإِسْلَامِيُّ أَوْ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ يُفْضَلُ تَصَوُّرُهَا التَّابِعِ مِنَ الرُّؤْيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا تَجْعَلُ مِنْهَا جِنْسًا أَدْبِيًّا لَا يَتَّصِلُ بِالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، فَلَيْسَتْ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بَدْعًا مِنَ الْبِدَعِ فِي عَالَمِ الشُّعْرِ، وَلَمْ تَأْتِ مِنْ فَرَاغٍ، قَدَرًا مَا هِيَ امْتِدَادٌ لِلْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى هِيَ بِنْتُ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وُلِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ وَتَرَعَّرَعَتْ فِي أَحْضَانِهِ وَبَسَقَتْ وَتَفَرَّعَتْ وَاشْتَدَّ عَوْدُهَا حَتَّى أَتَتْ أَكْلَهَا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ... جَاءَتْ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ لِتُعِيدَ إِلَى الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ رَوْقَهَا، وَبِهَاءَهَا وَخَصْبَهَا، وَعَطَاءَهَا الْهَادِفَ السَّلِيمَ الدَّافِقَ بِالْحَيَوِيَّةِ، الْمُتَدَفِّقَ بِالْقُوَّةِ وَبِالْقَوْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي يَحْمِلُ إِلَى جَانِبِ رِسَالَةِ الْجَمَالِ رِسَالَةَ سَامِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ سَمَاوِيَّةٍ... جَاءَتْ رَدًّا عَلَى الشُّعْرِ السَّقِيمِ، وَعَلَى زُخْرَفِ الْقَوْلِ غُرُورًا وَعَبَثًا وَإِسَادًا لِلذُّوْقِ وَإِشَاعَةً لِلرَّذِيلَةِ وَالْفَسَادِ الَّذِي حَشَدَهُ الشُّعْرَاءُ اللَّاهُتُونَ الرَّاكِضُونَ وَرَاءَ كُلِّ سَرَابٍ... جَاءَتْ لِتُنْقِلَ الْقَارِئَ مِنْ عَالَمِ الْأَوْهَامِ إِلَى الْوَاقِعِ وَإِلَى صِدْقِ التَّجَارِبِ، وَتُبْلِ الْعَوَاطِفِ وَسُمُو الْأَخْلَاقِ عَبْرَ تَنَاغُمِ بَيْنِ الشُّكْلِ وَالْمَضْمُونِ". (2)

وَتَتَمَيَّزُ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِنَيْبَةٍ فَنِّيَّةٍ قَائِمَةٍ عَلَى وَحْدَةِ الْفِكْرِ وَوَحْدَةِ الْهَدَفِ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الدَّارِسِينَ إِلَى تَشْبِيهِهَا بِالْقَصِيدَةِ الْقَدِيمَةِ، فِي تَعَدُّدِ الْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَغْرَاضِ، فَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى نِظَامٍ بِنَائِيٍّ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِنَائِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْمَوْضُوعَاتِ، حَيْثُ يَضْحُ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ فِي قَصِيدَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَوْضُوعٍ كَالطَّلَلِ وَالنَّسِيبِ وَالتَّاقَةِ وَالْفَرَسِ وَالْمَدِيحِ وَالْفَخْرِ وَالْهَجَاءِ... الخ وَكَذَلِكَ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ، يَضْحُ فِيهَا الشَّاعِرُ الْمُسْلِمُ أَكْثَرَ مِنْ مَوْضُوعٍ كَالْحَدِيثِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْجِهَادِ وَالْإِسْتِعْمَارِ وَالْقَضَايَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الْأُمَّةُ وَعَيْرُهَا... وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي حَشَدَهَا الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ فِي قَصِيدَتِهِ، قَدْ لَا تَكُونُ بَيْنَهَا عِلَاقَةٌ وَلَا وَحْدَةٌ عُضُويَّةٌ وَلَا فِكْرِيَّةٌ... أَمَّا الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، فَإِنَّ لَهَا هَدَفًا وَغَايَةً يُحَقِّقُهَا الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي تَوَازُنٍ شِعْرِيٍّ بَيْنَ الشُّكْلِ وَالْمَضْمُونِ مِنْ خِلَالِ وَحْدَةِ فِكْرِيَّةٍ". (3) وَإِذَا صَحَّ هَذَا الْحُكْمُ عَلَى نَمَازِجٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَوْ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ تَطَوُّرِهَا أَوْ عَلَى فَرِيقٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ نَظَرَةٍ تَعْمِيمِيَّةٍ وَعَدَمِ إِطْلَاعٍ فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ كَمَا نَقَرْنَا نَمَازِجَهَا مَعَ الْأَمْرَانِيِّ وَالْعُمَارِيِّ وَالرِّبَاوِيِّ وَوَلِيدِ قِصَّابٍ وَالْعَشْمَاوِيِّ وَغَيْرِهِمْ بَلَغَتْ مَرْتَبَةً فَنِّيَّةً تُضَارِعُ مَرْتَبَةَ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 183.

(2) بمحنت عبد الغفور الحديثي: القصيدة الإسلامية، ص: 86.

(3) المرجع نفسه، ص: 86.

المعاصرة في جوانبها الفنية ومستوياتها الجمالية، إيقاعاً وتركيباً وتصويراً ولغةً، وتحتفظ مع كل ذلك بخصوصية الرؤية التي تصدر عنها.

وقد تحررت القصيدة الإسلامية من ضيق موضوعاتها التقليدية، من مدح وتصوف وإلهيات ومناسبات إسلامية كالإسراء والمعراج والمولد والهجرة وما إلى ذلك، إلى سعة التجارب ورعاية المجالات، فقد عمل الشعراء الإسلاميون في هذا العصر على أن ينقوا ما علق في أذهان الناس من مفاهيم خاطئة عن الشعر الإسلامي، ونجحوا إلى حد بعيد في تغيير المفهوم الذي كان شائعاً حتى أوائل هذا القرن من أن الشعر الإسلامي يقتصر على ذلك الشعر الذي يقال في التصوف والإلهيات والمناسبات الإسلامية كالإسراء والمعراج والمولد والهجرة... واستطاعوا أن يبينوا بجملاء ووضوح أن صفة الشمول التي اتصفت بها الإسلام كدين، نستطيع أن نطبقها على الشعر الإسلامي، فتصرفوا بشعرهم في فنون كثيرة، وطرقوا أهدافاً متنوعة وعالجوا مشاكل متعددة... عالجوا مشاكل الأسرة-مثلاً-وأبدعوا في إظهار أسمى العواطف الإنسانية في هذا المجال، كما عالجوا المشاكل السياسية-كمثال ثانٍ-وعبروا عن آمال الأمة الإسلامية وعن مطالبها بعبارة مشرقة صادقة، وصوت مدوّ، وإخلاص شديد، وفي الوقت نفسه لم يهمل الشعراء الإسلاميون الأغراض التقليدية بل أعطوها حقها وطوروا طريقة تناولها ومزجوها بمشاكل الأمة وأهدافها، فأخرجوا من ذلك قصائد حيّة".<sup>(1)</sup> إن القصيدة الإسلامية قصيدة حيّة ناتجة عن المعاناة الحقيقية والصادقة، وليس معنى المعاناة "تهويماً في إفرزات النفس المنحطة، وكروماً من حميم الشهوات الآسن وحلولاً في رماد المادية الهامد، أو شدوذاً عن السوء الإنساني، أو انحرافاً عن الفطرة الراشدة، أو إعلان حرب على الأخلاق الفاضلة، أو السخرية من التماذج الإنسانية العليا... إن المعاناة أوسع من هذا التصور المقيت، بكثير، إنها معايشة الإنسان لهذا العالم بكل ما فيه من تناقضات، ومن ابتلاءات، وأخذ زاده الفكري والروحي والشعوري من أنواع التناقض وصور الابتلاء، ليتصدد بها إلى عالم أرحب، عالم الشمول، أن يكون فاعلاً بصير ونبات، ووعي وبصيرة في عالم الشهادة، بما يرضي عالم الغيب والشهادة، وإذا قومت من عوج عالم الشهادة وأقمت ميزان فنك على موازين القلب والعقل اللذين يعترفان من منبع السماء الذي لا ينضب، ويفتبان من شمس الحقيقة التي لا تغرب، فلا عليك إن أرضيت الغيب، وكان في رضاه سخط عالم الشهادة، فمن رضا الغيب يأخذ الفن الحقيقي زاده في رحلة الفوز بالحق والخير والجمال".<sup>(2)</sup> وفوق كل ذلك تعدد القصيدة الإسلامية من الشعر الرسالي الذي لا ينزل تحت أي ظرف عن الأداء الفني الذي به يتمييز، ومن خلاله يتألق".<sup>(3)</sup>

(1) أحمد الجدة: دراسات في الشعر الإسلامي، ص: 78.

(2) مصطفى محمد الغماري: في النقد والتحقيق، دار مدني، (د، ط)، 2003، ص: 8.

(3) المرجع نفسه، ص: 37.

وَقَدْ تَنَوَّرَعَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي مَتْنِ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاوِرِ عَلَى أَشْكَالٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ بِأَنْزِيَا حَهَا الشُّعْرِيَّ عَلَى مُسْتَوَى الْإِيْقَاعِ وَالتَّرْكِيبِ وَالصُّورَةِ وَالرَّمْزِ وَالتَّنَاصُّ وَاللُّعَّةِ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البابُ الأوَّلُ

بِنْيَةُ الإيقاعِ الشَّعْرِيِّ فِي القَصِيدَةِ الإِسْلامِيَّةِ

الفصلُ الأوَّلُ: بِنْيَةُ الإيقاعِ الخَارِجِيِّ فِي القَصِيدَةِ

الفصلُ الثَّانِي: بِنْيَةُ الإيقاعِ الدَّاخِلِيِّ فِي القَصِيدَةِ

## توطئة:

يتشكّل الإيقاع في القصيدة الشعرية عبر مستويين هامين، هما: مستوى الإيقاع الخارجي وأبرز عنصريه الوزن والقافية-والوزن مجموعة الأزمنة المتساوية المكررة التي يتألف منها البيت والتي عرفت بالتفعيلات، والقافية وحدة موسيقية في نهاية السطر الشعري تعتمد على عدد معين من الحركات والسكنات.<sup>(1)</sup> -ومستوى الإيقاع الداخلي بعناصره المتعددة، حيث تقوم بنية (الوزن)، بوصفها شكلاً، في القصيدة بتجسيد المستوى الإيقاعي الخارجي الذي يحتوي التجربة الشعرية من جهة، وتعمل بنية (الدلالة)، بوصفها مضموناً، بتمثيل المستوى المضموني الذي يكون مادة تلك التجربة، وتشكيل (الإيقاع) من جهة ثانية، تشكيلاً جديداً يمنح التجربة خصوصيتها الفنية في الوقت ذاته. وعلى هذا الأساس فإن الوزن في شكله الأساسي مجرد هو الوعاء أو المحيط الإيقاعي الذي يخلق المناخ الملائم لكل الفعاليات الإيقاعية في النص، وهو في ذلك كالأرض الصالحة للزراعة التي لا تكتسب شكلها إلا من خلال النوع المزروع فيها، وهو يخلق منها صورة على نحو خاص تتغير مادة وإيقاعاً بتغير النوع، فالوزن الشعري، هنا، تعبيرية، بمعنى أن بؤرة الدلالة وظلالها هي التي تُعطي للوزن شكله الإيقاعي الخاص، وعلى قدر ما يكون الانسجام الواجب تحققه بين الدلالة والوزن الشعري، فإنه يتمخض ضرورة عن التحام جدي متطور بين فضاء الوزن والفضاء الدلالي في النص الشعري يزيد من أهمية الوزن، وتزداد هذه الأهمية أكثر كلما أصبح الوزن عنصراً دلاليًا في النص، على مستوى تعميق البنية الدلالية في ذاتها وتجسيدها، إذ يبدأ من هنا باكتساب جماليته الخاصة التي لا يمكن لها أن تتحقق من دون الوصول بالوزن إلى هذه المرحلة من الالتحام والتفاعل مع بؤرة المعنى وما يتمخض عنها من آفاق دلالية متشعبة، قادرة على التعبير عن التجربة الشعرية بكل عمقها وثرائها وتعقيدها.<sup>(2)</sup>

إن الإيقاع الخارجي يشكّل، وزناً وقافيةً، النسيج الإيقاعي لبنية القصيدة، ولا يفصله الوصف بـ (الخارجي) عن علاقته بالتجربة الشعرية، ولا يحول نغمته بـ (موسيقى الإطار) -أي "ما يتولد من إيقاع موسيقي عام عن تركيب الأصوات في القصيدة بمقتضى (الوجوب) ونعني بالوجوب ما يندرج في اختيارات الشاعر المبدئية في نظم الشعر، ويشمل ذلك البحور والقوافي".<sup>(3)</sup> -دون تفاعله البيوي مع المضمون الشعري، فالقافية، مثلاً، تلعب دوراً مهماً في بناء القصيدة، فهي تحقق رابطاً نغمياً بين أبياتها، إذ يشد التوازي الصوتي الموجود في نهايات الأبيات

(1) السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط: 3، 1404-1984م، ص: 165.

(2) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص: 7.

(3) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، الجمهورية التونسية، 1981، ص: 20-21.

أجزاء القصيدة بعضها إلى بعض، ولما شكَّ في أن تلك النهايات المشابهة تحمِلُ -إلى جانب حرسها الموسيقي- تقارباً دليلاً أي أن للقافية هدفين الأول إحداث الأثر الموسيقي والآخر دليلاً يبرز المعنى المعرفي والشعوري للمبدع داخل النص". (1)

إن وظيفة الإيقاع في تكوين بنية القصيدة لا ينهضُ بها إيقاع (الإطار)، وحده، ولكن يصحب ذلك الإيقاع القارئ-أي الوزن- إيقاعاً متغيراً، يبنى نسيج القصيدة، يغيب ويحضر في موقع دون موقع، ونصٌ دون نصٌ يحضر بكتابة في هذا المقطع وبندرة في ذلك المقطع، ويمثل الإيقاع القارئ بالنسبة إلى الإيقاع المتغير المصدر الذي يحتضنه ويستقطبه، كما يستقطب الأصل الفرع، والكلُّ الجزء. وعليه يجوز اعتبار الوزن أصلاً، وضروب الإيقاع الأخرى فرعاً". (2)

إن هذا المنظور يمثل مفهوماً إجرائياً يستند إليه البحث في مقارنة بنية الإيقاع وأنساقها المنوعة في القصيدة الإسلامية.

(1) محمد علوان سلمان: الإيقاع في شعر الحداثة، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط: 1، 2008، ص: 171.

(2) يوسف إسماعيل: بنية الإيقاع في الخطاب الشعري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004، ص: 15.

الفصل الأول

بِنْيَةُ الإِيقَاعِ الخَارِجِيِّ فِي القَصِيدَةِ

أولاً: بِنْيَةُ الوِزْنِ

ثانياً: بِنْيَةُ القَافِيَةِ

ثالثاً- بِنْيَةُ الرُّوِيِّ

أولاً: بنية الوزن

1- الأَسَاقُ الإِيقَاعِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ

1-1- النَّسَقُ الإِيقَاعِيُّ الْمَفْرَدُ فِي الْقَصِيدَةِ

1-2- النَّسَقُ الإِيقَاعِيُّ الْمُتَعَدِّدُ فِي الْقَصِيدَةِ

2- الأَنْمَاطُ الإِيقَاعِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ

2-1- التَّحْوِيلُ مِنَ النَّمَطِ الْعَمُودِيِّ إِلَى النَّمَطِ الْحُرِّ

2-2- التَّحْوِيلُ مِنَ النَّمَطِ الْحُرِّ إِلَى النَّمَطِ الْعَمُودِيِّ

- 1- الأَسَاقُ الإِيقَاعِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ
- 1-1- النَّسَقُ الإِيقَاعِيُّ الْمَفْرَدُ فِي الْقَصِيدَةِ
- 1-2- النَّسَقُ الإِيقَاعِيُّ الْمُتَعَدِّدُ فِي الْقَصِيدَةِ

## 1- الأنساق الإيقاعية في القصيدة:

يعدُّ كلُّ وزنٍ شعريٍّ من الأوزان المندرجة في البناء العروضي للقصيدة العربية نسقاً إيقاعياً خاصاً تُؤلّفه مجموعة صورٍ إيقاعيةٍ جزئيةٍ لها أنظمتها المعين بوصفها عناصر إيقاعية متعلّقة داخل البنية الإيقاعية، ويضمن هذا النسق الإيقاعي التكرارَ الصوريَّ الصوتيةً بنفسها في صورة التفعيلات، ويخلق توازنات صوتيةً تنتظم بها الألفاظ والعبارات، فتخلق إيقاعاً موسيقياً يُعابّر في جوهره اللغة العادية. (1) وهو يُعلن بذلك عن وظيفته المزدوجة في ترسيخ مبدأ المعيارية الإيقاعية الذي يُكرّس قاعدة الثبات من خلال المحافظة على أنساقه الإيقاعية حتى في تلك المحاولات الطامحة إلى التجديد والتي انتهت بتحويلات خفيفة في الشكل أو البناء أو المعمار أو إعادة توزيع للعناصر، وفي ترسيخ مبدأ الانزياحية الإيقاعية من خلال تلك المحاولات التي عكست نزوعاً إلى العُدول عمّا استقرّ من أنساق ومن خلال التصرف في الوحدات الإيقاعية كما وكيفاً.

وقد استفادت القصيدة الإسلامية من الإمكانيات الإيقاعية التي أتاحتها مجموعة الأنساق الإيقاعية (الأوزان) في تشكيل بنيتها على مستوى الإيقاع الخارجي، ولم تكن هذه الأنساق على درجة واحدة في التوظيف، فقد حظي بعضها بنسبة بتواتر وشيوع في المتن الشعري الإسلامي أكثر من غيرها، وهو الأمر الذي تُثبته إحصائية الأنساق الإيقاعية في المتن المحدد للمقاربة\* - في الجدول الآتي:

شيوخ الأنساق الإيقاعية في القصيدة الإسلامية			
الوزن/النسق	رتبته	تواتره	نسبته
الكامل	1	169	28.26
الرمل	2	107	17.89
السيط	3	83	13.87
الخفيف	4	68	11.37
الوافر	5	46	7.69
الطويل	6	44	7.35
المقارب	7	35	5.85
المتدارك	8	17	2.84
الرجز	8	17	2.84
السريع	9	8	1.33
الهرج	10	2	0.33
الجيث	11	1	0.16
المنسرح	11	1	0.16
مجموع الأوزان 13		598	%100

يُوضّح الجدول المنحى العام لشيوخ الأنساق الإيقاعية (الأوزان) في القصيدة الإسلامية المعاصرة، ويتبين أن هذه القصيدة تُوظف ثلاثة عشر وزناً من مجموع الستة عشر وزناً المعروفة في عروض القصيدة العربية، وقد

(1) محمد علوان سلمان: الإيقاع في شعر الحدائث، ص: 136.

(\*) يشتمل المتن على أكثر من ثلاثين ديواناً شعرياً لأكثر من خمسة عشر شاعراً إسلامياً، وقد ضم خمسمائة واثنين وعشرين (522) قصيدة عمودية مثلت نسبة (87.29%)، وإحدى عشرة (11) قصيدة متعدّدة الأنماط (عمودية/حرّة)، مثلت (1.83%)، وخمسة وستين (65) قصيدة حرّة، وهي تمثل نسبة (10.86%).

تَوَاتَرَتِ الْأَوْزَانُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ فِي خَمْسِمِائَةٍ وَائْتَيْنِ وَعِشْرِينَ (522) قَصِيدَةً عُمُودِيَّةً وَفِي إِحْدَى عَشْرَةَ قَصِيدَةً مُتَعَدِّدَةً الْأَنْمَاطِ (عُمُودِيَّةً/حُرَّةً)، وَتَوَاتَرَتْ مِنْهَا ثَمَانِيَةَ أَوْزَانٍ فِي خَمْسٍ وَسِتِّينَ (65) قَصِيدَةً حُرَّةً بِنَسَبٍ مُتَفَاوِتَةٍ.\*

تَنْتَظِمُ قِصَائِدُ الْمَثْنِ عَلَى الْأَنْسَاقِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْآتِيَةِ بِهَذَا التَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ:

#### -النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ الْأَوَّلُ:

(الكامل) ووزن صافٍ موحَّدٌ التَّفْعِيلَةُ (مُتَفَاعِلُن)، وَرَدَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى بَتَوَاتُرٍ بَلَغَ مِائَةً وَتِسْعًا وَسِتِّينَ (169) مَرَّةً؛ أَيْ آتَهُ وَرَدَ فِي مِائَةٍ وَتِسْعٍ وَسِتِّينَ قَصِيدَةً مِمَّا جَعَلَ نِسْبَتَهُ تَصِلُ إِلَى (28.26%)، وَقَدْ تَنَوَّعَ بَيْنَ شَكْلَيْهِ التَّامِ وَالْمَجْزُوءِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا فِي مِائَةٍ وَسِتِّ وَثَلَاثِينَ (136) قَصِيدَةً، وَشَكْلٌ نِسْبَةً (26.45%)، فَالشَّكْلُ التَّامُّ لِلْكَامِلِ تَوَزَّعَ عَلَى مِائَةٍ وَإِحْدَى عَشْرَةَ قَصِيدَةً وَتَوَزَّعَ الشَّكْلُ الْمَجْزُوءُ إِحْدَى عَشْرَةَ (11) قَصِيدَةً. وَوَرَدَ الْكَامِلُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى، أَيْضًا، فَتَوَاتَرَ فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ قَصِيدَةً (28)، وَحَقَّقَ نِسْبَةً (53.07%). وَبِمُقَارَنَةِ شُبُوعِ الْأَوْزَانِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِشُبُوعِهَا فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ الْكَامِلَ يَحْتَلُّ مَرْتَبَةَ الطَّوِيلِ فَلَيْسَ بَيْنَ بُحُورِ الشُّعْرِ مَا يُضَارِعُ الْبَحْرَ الطَّوِيلَ فِي نِسْبَةِ شُبُوعِهِ. فَقَدْ جَاءَ مَا يُقَارِبُ مِنْ ثُلُثِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ مِنْ هَذَا الْوِزْنِ. <sup>(1)</sup> أَمَّا فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ فَقَدْ بَدَأَ يُنَافِسُ الطَّوِيلَ فِي مَرْتَلَتِهِ الْقَدِيمَةِ. <sup>(2)</sup> وَ(الْكَامِلُ)، فِي كُلِّ الْحَالَاتِ، مِنْ بُحُورِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى، وَيَسْتَعْمَلُ بِكَثْرَةٍ فِي شَكْلَيْهِ التَّامِّ وَالْمَجْزُوءِ. <sup>(3)</sup> وَإِنْ نَزَلَ، قَدِيمًا، فِي الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ بَعْدَ الطَّوِيلِ وَالْبَسِيطِ وَالْوَافِرِ. <sup>(4)</sup>

#### -النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ الثَّانِي:

(الرَّمْلُ) وَوزنٌ صَافٍ مُوَحَّدٌ التَّفْعِيلَةُ (فَاعِلَاتِن)، جَاءَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَبَلَغَ تَوَاتُرُهُ مِائَةً وَسَبْعَ (107) مَرَّاتٍ وَجَسَّدَ نِسْبَةً (17.89%)؛ حَيْثُ اسْتُخْدِمَ فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ فِي تِسْعِينَ (90) قَصِيدَةً وَأَنْجَزَ نِسْبَةً (17.44%)، وَوَرَدَ تَامًّا فِي ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ (78) قَصِيدَةً وَمَجْزُوءًا فِي اثْنَيْ عَشَرَ (12) قَصِيدَةً، وَوُظِّفَ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ (14) مَرَّةً؛ أَيْ بِنِسْبَةٍ (21.53%). وَيَأْتِي (الرَّمْلُ) فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ حَيْثُ شُبُوعِهِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ. <sup>(5)</sup> وَيَأْتِي فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْحَدِيثَةِ فَقَدْ شَهِدَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ نَهْضَةً كَبِيرَةً أَوْشَكَتْ أَنْ تُنَزِلَهُ الْمَنْزِلَةَ الثَّانِيَةَ فِي أَوْزَانِ الشُّعْرِ. <sup>(6)</sup>

(\*): تم إخراج القصائد المتعددة الأنساق (الأوزان) من هذا المجموع لتدرس على حدة في مبحث خاص.

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط: 4، (د، ت)، ص: 69.

(2) المرجع نفسه، ص: 219.

(3) مصطفى حركات: نظرية الوزن، الشعر العربي وعروضه، دار الآفاق، الجزائر، 2005، ص: 139.

(4) المرجع نفسه، ص: 167.

(5) المرجع نفسه، ص: 93.

(6) المرجع نفسه، ص: 220.

### -النسق الإيقاعي الثالث:

(البسيط) وزن مُزدوج التفعيلة (مستفعلن فاعلن)، ورد في المرتبة الثالثة فقد تواتر في ثلاث وثمانين (83) قصيدة، منها واحدة مجزوءة، وشكل نسبة (13.87%) في القصيدة العمودية، ولم يرد هذا الوزن في القصيدة الحرة. ويمثله في المرتبة (المتدارك)، فقد قدر تواتره بسبع مرات ونسبة (10.76%)، وللمتدارك حضور قوي في بعض القصائد الإسلامية؛ ففي ديوان (الأحجار الفوارة)، مثلاً، يُوظف محمد علي الرباوي المتدارك سبع مرات في قصائد مستقلة ويتداخل مع وزنين آخرين في قصيدتين، وتتجاوز نسبة استعماله في هذا الديوان (70%)<sup>(1)</sup>.

### -النسق الإيقاعي الرابع:

(الخفيف) وزن ثلاثي التفعيلة (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن)، وقد ورد في المرتبة الرابعة حيث وُظف في ثمان وستين (68) قصيدة، منها ثلاث قصائد مجزوءة، وشكل نسبة (11.37%)، وتقتصر هذه النسبة على القصيدة العمودية إذ تخلو منه القصيدة الحرة. ويُقابل الخفيف في هذه المرتبة (المقارب)، فقد نُظمت على نسقه ست قصائد، ومثل نسبة (9.23%).

### -النسق الإيقاعي الخامس:

(الوافر) وزن موحّد التفعيلة (مفاعلتن)، وورد في المرتبة الخامسة، وتواتر ستاً وأربعين (46) مرة، وشكل نسبة (7.69%) من نسبة مجموع القصائد، وهي المرتبة نفسها التي يحتلها في القصيدة العمودية؛ حيث تواتر أربعاً وأربعين (44) مرة، ومثل نسبة (7.69%)، وقد جاء تاماً في ست وثلاثين (36) قصيدة ومجزوءاً في ثمانين قصيدة. والمرتبة الخامسة هي المرتبة ذاتها التي حظي بها في القصيدة الحرة التي استخدم فيها مرتين، ومثل نسبة (3.07%).

### -النسق الإيقاعي السادس:

(الطويل) وزن مُزدوج التفعيلة (فَعولُن مفاعيلن)، ورد في المرتبة السادسة، وقد تواتر أربعاً وأربعين مرة، وشكل نسبة (7.35%)، ولم يرد في نماذج القصيدة الحرة في المتن الشعري المدروس لكنه استخدم بقلّة خارج نماذج المتن الشعري المحدد؛ حيث بنى عليه الرباوي مقاطع في بعض قصائده المتعددة الأوزان وهذا ملحوظ في ديوانه (أول الغيث)<sup>(2)</sup>. ويُقابل الطويل في القصيدة الحرة كل من (السريع) و(الهرج) اللذين نُظمت عليهما قصيدتان، ومثلاً معاً نسبة (1.53%).

### -النسق الإيقاعي السابع:

(1) محمد علي الرباوي: الأحجاب الفوارة، منشورات المشكاة، وحدة المغرب، ط: 1، 1991.

(2) محمد علي الرباوي: أول الغيث، منشورات المشكاة، وحدة المغرب، ط: 1، 1995.

(المتقارب) ووزن موحّد التّفعلية (فَعُولُنْ)، وردّ في المرتبة السّابعة في القصيدة الإسلاميّة، وقد تواترَ خمسًا وثلاثين (35) مرّةً، وحقّق نسبةً (5.85%)، فوردَ في المرتبة السّادسة في القصيدة العموديّة؛ حيثُ تواترَ تسعًا وعشرين مرّةً؛ أيّ بنسبة (5.85%).

–النّسقُ الإيقاعي الثامن:

(المتدارك) ووزن موحّد التّفعلية (مُسْتَفْعِلُنْ)، وردّ في المرتبة الثامنة في القصيدة الإسلاميّة، وتواترَ سبع عشرة مرّةً ومثّل نسبةً (2.84%)، وقد حلّ (المتدارك) في المرتبة السّابعة في القصيدة العموديّة، وتواترَ تسع مرّات، وشكّل نسبةً (1.72%).

–النّسقُ الإيقاعي التاسع:

(الرجز) ووزن موحّد التّفعلية (فَاعِلُنْ)، وردّ في المرتبة الثامنة في القصيدة الإسلاميّة، فتواترَ سبع عشرة مرّةً وأنجزَ نسبةً (2.84%)، ووردَ (الرجز) في المرتبة الثامنة في القصيدة العموديّة، ونظّمت على نسقه إحدى عشرة (11) قصيدةً، وشكّل نسبةً (2.10%)، ولم يرد مجزوعاً إلّا مرّةً واحدةً. والملاحظ أنّ النسقين (المتدارك والرجز) قد وردا في المرتبة ذاتها.

–النّسقُ الإيقاعي التاسع:

(السريع) ووزن ثلاثي التّفعلية (مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ)، وردّ في المرتبة التاسعة في القصيدة الإسلاميّة، فقد تواترَ ثمان (8) مرّاتٍ وحقّق نسبةً (1.33%). وقد شغل المرتبة ذاتها في القصيدة العموديّة، إذ نظّمت على نسقه سبع قصائد، ومثّل نسبةً (1.34%)، واحتلّ المرتبة السّادسة في القصيدة الحرّة حيثُ تواترَ مرّةً واحدةً، وشكّل نسبةً (1.53%).

–النّسقُ الإيقاعي العاشر:

(الهرج) ووزن موحّد التّفعلية (مَفَاعِلُنْ)، وردّ في المرتبة العاشرة في القصيدة الإسلاميّة، فقد تواترَ مرّتين وشكّل نسبةً (0.33%). وهي المرتبة ذاتها التي احتلّها في القصيدة العموديّة، فقد تواترَ فيها مرّةً واحدةً بنسبة (0.19%)، بينما وردّ في المرتبة السّادسة في القصيدة الحرّة، فتواترَ مرّةً واحدةً، ومثّل نسبةً (1.53%).

–النّسقُ الإيقاعي الحادي عشر:

(المجثّ) ووزن ثنائي التّفعلية (مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ)، وردّ في المرتبة الحادية عشرة في القصيدة الإسلاميّة؛ إذ تواترَ مرّةً واحدةً، وشكّل نسبةً (1.16%). ويقع المجثّ في القصيدة العموديّة في المرتبة العاشرة، فقد تواترَ مرّةً واحدةً وشكّل نسبةً (0.19%).

–النّسقُ الإيقاعي الثاني عشر:

(المنسرح) وزنٌ ثلاثيُّ التفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ)، وَرَدَ فِي الْمُرْتَبَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَوَاتَرَ مَرَّةً وَاحِدَةً وَشَكَلَ نِسْبَةً (1.16%). وَيَحُلُّ فِي الْمُرْتَبَةِ الْعَاشِرَةَ فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ، فَقَدْ تَوَاتَرَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَشَكَلَ نِسْبَةً (0.19%). وَالْمَلَاظُ أَنْ التَّسْقِينِ (المُجْتَثِّ وَالْمُنْسَرِحِ) وَرَدَا فِي الْمُرْتَبَةِ ذَاتِهَا فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَيَتَضَحُّ أَنَّ الْأَنْسَاقَ الْمُهَيْمَنَةَ عَلَى بِنْيَةِ الْإِيْقَاعِ الْخَارِجِيِّ لِلْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سِتَّةُ أَنْسَاقٍ إِيْقَاعِيَّةٍ أُسَاسِيَّةٍ، وَهِيَ: (الْكَامِلُ) وَ(الرَّمْلُ) وَ(الْبَسِيطُ) وَ(الْخَفِيفُ) وَ(الْمُتَدَارِكُ) وَ(الْمُتَقَارِبُ)، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَنْسَاقُ التَّامَّةُ مِنْهَا فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ أَرْبَعِمِائَةً وَأَتْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ (472) مَرَّةً وَنِسْبَةً (90.42%)، وَتَوَاتَرَتْ الْمَجْزُوءَةُ خَمْسِينَ (50) مَرَّةً وَنِسْبَةً (9.57%)، وَشَكَلَ مَجْزُوءُ (الْكَامِلِ) نِصْفَهَا؛ أَيُّ بِنِسْبَةٍ (4.78%)، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى أَنَّ النَّسَقَ التَّامَّ "يَمْنَحُ الشَّاعِرَ امْتِدَادًا فِي التَّعْبِيرِ، وَالتَّحْرُكَ عِبْرَ الْمَسَافَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ الْمُمْتَدَّةِ، بِكَثْرَةِ التَّفْعِيلَاتِ، وَوَفْرَةِ الْمَقَاتِعِ الصَّوْتِيَّةِ".<sup>(1)</sup> وَهَذَا مَا لَا يَتَوَفَّرُ فِي النَّسَقِ الْمَجْزُوءِ الَّذِي تَقِلُّ وَحْدَاتُهُ الْإِيْقَاعِيَّةُ (تَفَاعِيلُهُ) وَمَقَاتِعُهُ، وَتَنْحَسِرُ مَسَاحَةُ التَّعْبِيرِ.

وَيُمْكِنُ تَصْنِيفُ الْأَنْسَاقِ الْإِيْقَاعِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى أَنْسَاقٍ صَافِيَّةٍ، وَهِيَ الَّتِي يَتَأَلَّفُ شَطْرًا الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ فِيهَا مِنْ تَكَرُّرِ تَفْعِيلَةٍ وَاحِدَةٍ.<sup>(2)</sup> أَيُّ الْأَنْسَاقِ ذَاتُ الْوَحْدَةِ الْمُفْرَدَةِ،<sup>(3)</sup> وَهِيَ: (الْكَامِلُ، الرَّمْلُ، الْمَزْجُ، الرَّجْزُ، الْمُتَدَارِكُ، الْمُتَقَارِبُ، الْوَافِرُ)، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ، جَمِيعًا، فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ ثَلَاثِمِائَةً وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ (321) مَرَّةً، وَشَكَلَتْ نِسْبَةً (61.49%). وَقَدْ تَوَاتَرَتْ، جَمِيعًا، فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ (64) مَرَّةً، وَشَكَلَتْ نِسْبَةً (98.46%). وَتَكُونُ الْأَنْسَاقُ الصَّافِيَّةُ، بِهَذَا التَّوَاتُرِ، قَدْ شَكَلَتْ نِسْبَةً (65.58%) فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ-مَجْمُوعُ الْقَصَائِدِ الْعُمُودِيَّةِ وَالْحُرَّةِ (587)-.

وَأَنْسَاقٌ مَمْزُوجَةٌ، وَهِيَ الَّتِي يَتَأَلَّفُ الشَّطْرُ فِيهَا مِنْ أَكْثَرِ مِنْ تَفْعِيلَةٍ وَاحِدَةٍ.<sup>(4)</sup> أَيُّ ذَاتُ الْوَحْدَةِ الْمُرَكَّبَةِ.<sup>(5)</sup> وَهِيَ: (الطَّوِيلُ، الْبَسِيطُ، الْخَفِيفُ، السَّرِيعُ، الْمُنْسَرِحُ، الْمُجْتَثُّ)، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ مِائَتَيْنِ وَمَرَّةً وَاحِدَةً (201)، وَشَكَلَتْ نِسْبَةً (38.50%)، وَتَوَاتَرَ مِنْهَا فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ (السَّرِيعُ) مَرَّةً وَاحِدَةً وَشَكَلَ نِسْبَةً (1.53%). وَتَكُونُ الْأَنْسَاقُ الْمَمْزُوجَةُ، بِهَذَا التَّوَاتُرِ، قَدْ شَكَلَتْ نِسْبَةً (34.41%) فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُمُودِيَّةِ وَالْحُرَّةِ.

- (1) عبد الباسط محمود: دراسة في لغة الشعر، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، (د، ط)، 2005، ص: 61.
- (2) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 6، 1981، ص: 83-84.
- (3) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، ط: 1، 1420هـ-1999م، ص: 32.
- (4) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 85.
- (5) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 99.

والملاحظ أن الشاعر الإسلامي وظف في البنية الإيقاعية للقصيدَة ثلاثة عشر نسقاً إيقاعياً، شكّلت نسبة (81.25%)، ولم يوظف ثلاثة أنساقٍ، هي: (المديد، المقتضب، المضارع)، ولعله لم يجد في إيقاعاتها ما يحفز على الصوغ على أنساقها، فـ(المديد): "بحر اعترف أهل العروض بقلة المنظوم منه، وعللوا هذا في بعض كتبهم بأن فيه ثقلاً!! ولأ أدري ماذا عنوا بالثقل ونحن نشعر بانسجام موسيقاه، ولأ نرى فيها ما في المنسرح مثلاً من بعض الاضطراب".<sup>(1)</sup> وأما(المقتضب)و(المضارع) فهما من البحور التي لم ترد لها شواهد صحيحة النسبة في الأشعار العربية القديمة، فقد "وجد العرب الخلل بوزنين غريين أنكرهما الأخفش، وأكد عدم ورودهما عن العرب وهما بحر المضارع والمقتضب. وقد جعل الخليل لهذين البحرين أصلاً وفرعاً وأدعى أنهما لم يسمعا إلا مجزئين. وأتاك لو بحثت فيما روي لنا من أشعار عربية عن أمثلة لهذين الوزنين لا تكاد تظفر بأمثلة صحيحة النسبة".<sup>(2)</sup>

والملاحظ، أيضاً، أن الشاعر الإسلامي، من خلال هذا التوظيف، يعد الأنساق الإيقاعية في بنية القصيدة العربية العمودية نموذجاً إيقاعياً مكتملاً واجب الاحتذاء، فكل "التجارب الشعرية الناضجة استقامت في تشكيلها الموسيقي على ما ألف من أوزان الشعر العربي القديم، وعلى الإيقاع المنظم والقوافي المعروفة، التي كانت -وما زالت- سمة الشعر العربي قديمه وحديثه".<sup>(3)</sup> ولم يستثمر كل الإمكانيات الإيقاعية المتاحة في عروض القصيدة العربية، فبعض الأنساق قليلة الاستخدام في القصيدة الإسلامية كـ(الهمزج والجنح والمنسرح). بالإضافة إلى ذلك فقد وظف الشاعر الإسلامي الأنساق الصافية أكثر من الممزوجة، وهي الأنساق التي تُهيمن على بنية القصيدة الحرة بشكل كبير.

ويمكن، مرة ثانية، تصنيف الأنساق الإيقاعية في القصيدة الإسلامية إلى ثلاث مجموعات على أساس عدد المقاطع المكونة لكل نسق ودائرته العروضية، فالمجموعة الأولى تضم (الكامل) و(الوافر)، ويقوم النسق أو الوزن فيها على ثلاثين (30) مقطعاً -منها (18) قصيراً و(12) طويلاً- وهما من دائرة المؤلف<sup>(4)</sup>. فقد احتل (الكامل) المرتبة الأولى بنسبة (28.26%)، واحتل (الوافر) المرتبة الخامسة بنسبة (7.69%)، وهكذا تأتي دائرة المؤلف من حيث توظيف أنساقها الإيقاعية في المرتبة الأولى، وتشكل نسبة (35.95%). وتضم المجموعة الثانية (الطويل) و(البسيط)، ويقوم كل نسق منها على ثمانية وعشرين (28) مقطعاً -منها (8) قصيرة و(20) مقطعاً طويلاً- وهما من دائرة المؤلف<sup>(5)</sup>. وقد احتل (البسيط) المرتبة الثالثة بنسبة (13.87%)، واحتل (الطويل) المرتبة السادسة بنسبة (7.35%)، وهكذا تأتي

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط: 4، (د، ت)، ص: 111.

(2) المرجع نفسه، ص: 63.

(3) إبراهيم الخاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1404هـ/ 1984م، ص: 244.

(4) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 271.

(5) المرجع نفسه، ص: 274.

دائرة المختلف من حيث توظيف أنساقها الإيقاعية في المرتبة الثانية، وتشكل نسبة (21.23%) من مجموع نسبة الدوائر الموظفة. وتضم المجموعة الثالثة (الهزج، الرجز، الرمل/الخفيف، السريع، المنسرح، المحتث/المتدارك، المتقارب)، ويقوم النسق فيها على أربعة وعشرين (24) مقطعاً—منها (6) قصيرة و(18) مقطعاً طويلاً— وينتمي (الهزج، والرجز، والرمل) إلى دائرة المشتبه<sup>(1)</sup>. وقد شغل (الرمل) المرتبة الثانية بنسبة (17.89%)، وشغل (الرجز) المرتبة الثامنة بنسبة (2.84%)، وشغل (الهزج) المرتبة العاشرة بنسبة (0.33%)، وبهذا تحتل دائرة المشتبه المرتبة الثالثة، وتشكل نسبة (21.07%). وينتمي (السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المحتث) إلى دائرة المحتلب<sup>(2)</sup>. فقد احتل (الخفيف) المرتبة الرابعة بنسبة (11.37%)، واحتل (السريع) المرتبة التاسعة بنسبة (1.31%)، واحتل (المنسرح) المرتبة الحادية عشرة بنسبة (1.16%)، واحتل (المحتث) المرتبة نفسها بنسبة (1.16%)، ولم يرد كل من (المضارع) و(المقتضب)، وبهذا تحتل دائرة المحتلب المرتبة الرابعة، وتشكل نسبة (13.04%). وينتمي (المتقارب) و(المتدارك) إلى دائرة المتفق<sup>(3)</sup>. فقد احتل (المتقارب) المرتبة السابعة (5.82%)، واحتل (المتدارك) المرتبة الثامنة بنسبة (2.84%)، وبهذا تأتي دائرة المتفق المرتبة الخامسة، وتشكل نسبة (8.69%).

يكشف تصنيف الأنساق الإيقاعية بحسب كثافة المقاطع والدائرة العروضية عن طبيعة الأنساق الإيقاعية الرئيسية التي يعتمدها الشعراء الإسلامي في بناء إيقاع تجاربه الشعرية، فهي أنساق تتسم بالانسجام والتألف والتناسب مع المضامين الشعرية الفكرية والشعورية.

### 1-1- النسق الإيقاعي المفرد في القصيدة:

تتوزع قصائد المتن الشعري الإسلامي من حيث النسق الإيقاعي الذي بُنى على منواله على صنفين؛ أحدهما تنفرد فيه القصيدة بنسق إيقاعي واحد ملتزم، ويشمل كثيراً من القصائد العمودية والحرّة والثاني يتعدّد فيه النسق الإيقاعي في القصيدة، ويشمل كثيراً من القصائد الحرّة.

وتتناول مقارنة بنية الإيقاع في القصيدة ذات النسق المفرد نسق (الكامل) كنموذج للوصف والتحليل، في القصيدة العمودية والقصيدة الحرّة للتعرف إلى خصوصية التوظيف الفني لهذا النسق الإيقاعي المهيمن في ضوء التفاعل بين النسق الإيقاعي والمضمون الشعري، يقوم نسق (الكامل) على بنية موحدة التفعيلة، أي ذات تفعيلة واحدة<sup>(4)</sup>، فهو يتأسس على الوحدة الإيقاعية (التفعيلة) (متفاعِلن) التي تتكرّر ستّ مرّات، ثلاثة منها في الشطر الأوّل والثلاثة الأخرى في الشطر الثاني، وهي بهذا الشكل تامّة، وتأخذ الصورة الآتية:

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 272.

(2) المرجع نفسه، ص: 276.

(3) المرجع نفسه، ص: 274.

(4) صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي بين النبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة (د، ت)، ص: 81.

مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ

وَكَمَا يُوظَّف نَسَقُ(الكَامِل) تَامًا، يُوظَّف مَجْزُوءًا<sup>(1)</sup>، فَيَتَكُونُ حِينئِذٍ مِنْ أَرْبَعِ وَحَدَاتٍ، وَتَأْخُذُ الصُّورَةَ الْآتِيَةَ:

مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ

يَتَمَيَّزُ نَسَقُ(الكَامِل)، بِكَثَافَةِ مَقَاطِعِهِ فِي حَالِ تَمَامِهِ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِي هَذَا إِلَّا نَسَقُ(الوَافِر)، كَثَرَ النَّظْمُ عَلَى مَنَوَالِهِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ فِي خَمْسِينَاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي، فَلَجَأَ إِلَيْهِ مُعْظَمُ الشُّعْرَاءِ لَمَّا يُوفِّرُهُ لَهُمْ مِنْ مُتَطَلِّبَاتِهِمُ الْإِيْقَاعِيَّةِ وَصِيَائِغَاتِهِمُ الْعَرُوضِيَّةِ، ثُمَّ أَحْذَ الرَّجْزُ يَحْتَلُّ الصَّدَارَةَ فِي مَرَحَلَةٍ لَاحِقَةٍ لَمَّا يَتَقَبَّلُهُ فِي وَحَدَاتِهِ الْإِيْقَاعِيَّةِ مِنْ زِحَافَاتٍ وَعِلَلٍ تُكْسِرُ مِنْ حَدَثِهِ، لِيَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى هَيْمَنَةِ كُلِّ مِنْ نَسَقِي الْمَتَدَارِكِ وَالْمُتَقَارِبِ، وَهَذَا التَّنَوُّعُ الْإِيْقَاعِيَّ فِي إِثَارِ بَحْرِ دُونَ غَيْرِهِ تُفَسِّرُهُ عَوَامِلٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا مَا يَرْتَبِطُ بِطَبِيعَةِ الْوِزْنِ الشُّعْرِيِّ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِرِصِيدِ الْوِزْنِ مِنَ التُّرَاثِ الْمَنْظُومِ، وَمِنْهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى مُسْتَوَى الشَّاعِرِ الْفِكْرِيِّ وَالْوَجْدَانِيِّ<sup>(2)</sup>. وَبِمَثَلِ النَّضْحِ الْفَنِّي الْمَتَّائِي مِنْ عُمُقِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ وَوَأَقِعِ الْمُمَارَسَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ عَامِلًا مِنْ عَوَامِلِ اخْتِيَارِ الْأَنْسَاقِ الْمُنَاسِبِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَبْقَى "مَقْدَرَةُ الشَّاعِرِ عَلَى التَّشْكِيلِ هِيَ الْأَسَاسُ فِي اخْتِيَارِ الْإِطَارِ الْمُنَاسِبِ، كَمَا أَنَّ الْوَعْيَ بِالتَّجْرِبَةِ مِنَ الْعُنَاصِرِ الْبَارِزَةِ وَالْمَهْمَةِ فِي حَتْمِيَّةِ هَذَا الْاِخْتِيَارِ وَجُودَتِهِ"<sup>(3)</sup>. وَدَلِيلُ شِيوعِ نَسَقِ(الكَامِل) فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ وَالْمُعَاوِرِ أَنَّ مُعَدَّلَ تَكَرَّارِهِ لَدَى الشُّعْرَاءِ الْمُحْدَثِينَ بَلَغَ نِسْبَةَ (18.6%)، فَهُوَ أَعْلَى الْأَنْسَاقِ اسْتِخْدَامًا عِنْدَ السِّيَابِ، مَثَلًا، إِذْ بَلَغَ نِسْبَةَ (22.20%) مِنْ جُمْلَةِ قِصَائِدِهِ<sup>(4)</sup>.

### 1-1-1- نَسَقُ(الكَامِل) فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ:

وَظَّفَ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ نَسَقَ(الكَامِل) فِي تَشْكِيلِ إِيقَاعِ قِصْدَتِهِ الْعَمُودِيَّةِ تَامًا وَمَجْزُوءًا:

- نَسَقُ(الكَامِل) التَّام:

تُعَدُّ قِصِيدَةُ(يَا فَارِسَ الْكُرْسِيِّ) لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَشْمَاوِيِّ فِي رِثَاءِ الشَّهِيدِ أَحْمَدَ يَاسِينَ-رَحِمَهُ اللهُ- مِنْ نَمَازِجِ هَذَا التَّوْظِيفِ، وَهِيَ مِنْ دِيَوَانِهِ(قَوَافِلِ الرَّاحِلِينَ)الَّذِي يَضُمُّ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مَرْتِبَةً؛ وَرَدَّ(الكَامِل) فِي تِسْعِ قِصَائِدَ مِنْهَا، وَشَكَّلَ نِسْبَةَ(29.03%). وَوَرَدَ(الوَافِر) فِي سَبْعِ قِصَائِدَ، وَشَكَّلَ نِسْبَةَ(22.58%). وَوَرَدَ(الرَّمْل) فِي سَبْعِ قِصَائِدَ، وَشَكَّلَ نِسْبَةَ(22.58%). وَوَرَدَ(الطَّوِيل) فِي أَرْبَعِ قِصَائِدَ، وَشَكَّلَ نِسْبَةَ(12.90%). وَوَرَدَ(الْبَسِيط) فِي ثَلَاثِ قِصَائِدَ، وَشَكَّلَ نِسْبَةَ(9.67%). وَوَرَدَ(الْمَتَدَارِك) فِي قِصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ وَشَكَّلَ نِسْبَةَ(3.22%).

(1) المرجع نفسه، ص: 89.

(2) علي جعفر العلق: في حدائث النص الشعري، دار الشروق لنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 2003، ص: 76.

(3) إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1404هـ/ 1984م، ص: 209.

(4) صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط: 1، 1995، ص: 64.

وَيَأْتِي نَسَقُ (الْكَامِل) فِي الْمُرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْ حَيْثُ نِسْبَةُ شُيُوعِهِ فِي مَثْنِ الْعَشْمَاوِيِّ فَقَدْ تَوَاتَرَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ (34) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (28.57%)<sup>(\*)</sup>، وَيَرِدُ فِي الْمُرْتَبَةِ الْأُولَى فِي الدِّيَّوَانِ الْمَذْكُورِ آفَافًا، وَهُوَ بِذَلِكَ يَتَقَدَّمُ عَلَى (الطَّوِيلِ) الَّذِي لَمْ تَتَجَاوَزْ نِسْبَتُهُ (12.90%) رَغْمَ هَيْمَنَتِهِ عَلَى عَدَدِ كَبِيرٍ مِنْ قِصَائِدِ الرَّثَاءِ.<sup>(1)</sup>

تَتَأَلَّفُ قِصِيدَةُ (يَا فَارِسَ الْكُرْسِيِّ) مِنْ ثَمَانِيَةِ وَثَلَاثِينَ (38) بَيْتًا، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلَاهَا<sup>(2)</sup>:

هُمْ أَكْسَبُوكَ مِنَ السَّبَاقِ رِهَانَا      فَرَجَحْتَ أَنْتَ وَأَذْرَكُوا الْخُسْرَانَا  
هُمْ أَوْصَلُوكَ إِلَى مُنَاكَ بَعْدَرِهِمْ      فَأَذَقْتَهُمْ فَوْقَ الْهُوَانِ هَوَانَا  
إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ بِنَارِهِمْ      لَمَّا رَمَوْكَ بِهَا بَلَغْتَ جَنَانَا  
عَدَرُوا بِشَيْتِكَ الْكَرِيمَةَ جَهْرَةً      أَبْشِرْ فَقَدْ أَوْرَثْتَهُمْ خُدْلَانَا  
أَهْلُ الْإِسَاءَةِ هُمْ وَلَكِنْ مَا دَرَوْا      كَمْ قَدَّمُوا لِشُمُوحِكَ الْإِحْسَانَا  
لَقَبُ الشَّهَادَةِ مَطْمَحٌ لَمْ تَدَّخِرْ      وَسُعَا لَتَحْمِلُهُ فَكُنْتَ وَكَانَا  
يَا أَحْمَدُ الْيَاسِينَ، كُنْتَ مُفَوَّهَا      بِالصَّمْتِ كَانَ الصَّمْتُ مِنْكَ بَيَانَا

بَنَى الشَّاعِرُ قِصِيدَتَهُ عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ)، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ وَجَدَ فِي نَسَقِهِ الْمَتَّسِعِ فِي مَقَاتِعِهِ مَا يَسْتَوْعِبُ تَجَرِبَتَهُ الشُّعُورِيَّةَ الرَّاهِنَةَ لِيَفْرِغَ مَا فِي نَفْسِهِ الْمَتَّقِدَةَ أَلَمًا مِنْ زَحَمٍ وَجَدَانِيٍّ كَثِيفٍ، وَلَعَلَّ "مَوْضُوعَ الْقِصِيدَةِ يَفْرِضُ شَكْلَهَا وَيُحَدِّدُ مَعَالِمَهَا."<sup>(3)</sup> وَبِعِبَارَةٍ أَوْضَحَ فَإِنَّ "الْوَاقِعَ الْمَوْضُوعِيَّ يَفْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقِصِيدَةِ وَيُلْبَسُهَا اللَّبَاسَ الْمُنَاسِبَ."<sup>(4)</sup> فَالْمَوْتُ بِجَلَالِهِ وَمَهَابَتِهِ شَيْءٌ تَضَعُفُ النَّفُوسُ فِي مُجَابَهَتِهَا وَلَا تَرْغَبُ فِي لِقَائِهِ، يَتَحَوَّلُ فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ وَالْوَطَنِ إِلَى غَايَةٍ يَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ طَلَبًا لِلشَّهَادَةِ، وَقَدْ أَذَلَّ أَحْمَدُ يَاسِينَ عَدُوَّهُ الْمُعْتَصِبَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَهُوَ الْقَعِيدُ الَّذِي لَا يَتَحَرَّكُ، يَحْمِلُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ رُوحًا جَبَّارَةً قَهَرَتْ الْعَدُوَّ الصَّهْيُونِيَّ. إِنَّ الْمَوْتَ/الشَّهَادَةَ كَمَوْضُوعٍ شِعْرِيٍّ يَسْتَدْعِي نَسَقًا (الْكَامِلِ) إِيقَاعِيًّا مُتَمَيِّزًا بِالرَّحَابَةِ وَالسَّعَةِ وَاللَّيْنِ وَالشَّدَّةِ مَعًا، وَلَمَّا كَانَ نَسَقُ (الْكَامِلِ) "أَقْرَبَ إِلَى الشَّدَّةِ مِنْهُ إِلَى الرِّفْقَةِ، وَيَمْتَّازُ بِحِرْسٍ وَأَضْحٍ يَتَوَلَّدُ مِنْ كَثْرَةِ حَرَكَاتِهِ الْمُتَلَاخِقَةِ الَّتِي تَنْحُو بِهِ نَحْوَ الرَّتَابَةِ لَوْلَا كَثْرَةُ مَا يَدْخُلُهَا مِنْ إِضْمَارٍ، فَيُصِيرُ (مُتَفَاعِلِنَ): مُسْتَفْعِلِنَ."<sup>(5)</sup> كَانَ شَكْلًا إِيقَاعِيًّا مَلَأْتًا لَصُوغِ الْقِصِيدَةِ الْمُرْتَبَةِ.

(\*) يتألف متن العشماوي موضوع المقاربة من أربعة دواوين، وهي ديوان (القدس أنت) 2003، و(عناقيد الضياء) 2003، وديوان (إلى أمي) 2006، وديوان (يا أمة الإسلام) 2006.

(1) عبد العزيز السبيل: (ثنائية النص)، قراءة في رثائيات مالك بن الربيع مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج: 27، ع: 1، يوليو/سبتمبر 1998، ص: 65.

(2) عبد الرحمن العشماوي: قوافل الراحلين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1428هـ/2007م، ص: 104.

(3) جمال يونس: لغة الشعر عند سميح القاسم، مؤسسة النوري، دمشق، ط: 1، 1991، ص: 201.

(4) المرجع نفسه، ص: 204.

(5) إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1411هـ/1991م، ص: 114.

وقد تدرّج الشعْرُ في عَرْضِ تَجْرِبَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ عَلَى امْتِدَادِ ثَمَانِيَةِ وَثَلَاثِينَ بَيْتًا، بَلَغَتْ وَحْدَاتُهَا الإِيقَاعِيَّةُ (تَفَاعِيلُهَا) مِائَتَيْنِ وَثَمَانَ وَعِشْرِينَ (228) وَحِدَةً، تَنَوَّعَتْ صُورُهَا بَيْنَ الصُّورِ المِيعَارِيَّةِ أَوِ النَّمُوذَجِيَّةِ وَالصُّورِ المُنزَاحَةِ الَّتِي خَضَعَتْ لِتَحْوِيلَاتٍ (زَحَافَاتٍ وَعِلَلٍ) لِعَايَاتٍ جَمَالِيَّةٍ إِيْقَاعِيَّةٍ وَدِلَالِيَّةٍ، تُجَسِّدُ الانعْطَافَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا التَّجْرِبَةُ، وَالجَدُولُ الآتِي يَفْصَلُ تَوَاتُرَ الوَحَدَاتِ الإِيْقَاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ وَالمُنزَاحَةِ وَنَسْبَتَهُ فِي القَصِيدَةِ:

الوحدات الإيقاعية المعيارية والمنزاحة في قصيدة (يا فارس الكرسي)			
الوحدة	شكلها	تواترها	نسبتها
صحيحة	0//0//	86	37.71
مضمرة	0//0/0/	104	45.61
مقطوعة	0/0//	12	5.26
مضمرة/مقطوعة	0/0/0/	26	11.40
المجموع		228	%100

والمُلاحِظُ، مِنْ حِلَالِ الجَدُولِ، أَنَّ الوَحْدَةَ الإِيْقَاعِيَّةَ المِيعَارِيَّةَ الَّتِي يَقُومُ نَسَقُ (الكَامِلِ) عَلَى تَكَرَّارِهَا بِانْتِظَامٍ، هِيَ الوَحْدَةُ أَوِ (التَّفْعِيلَةُ) (مُتَفَاعِلُنْ=0//0//)، وَوَرَدَتْ، فِي القَصِيدَةِ، فِي شَكْلِهَا المِيعَارِيَّ (السَّالِمِ/الصَّحِيحِ) سِتًّا وَثَمَانِينَ (86) مَرَّةً وَبِنِسْبَةِ (37.71%)، وَوَرَدَتْ فِي شَكْلِهَا المُحَوَّلِ المُنزَاحِ مِائَةً وَاثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ (142) مَرَّةً وَبِنِسْبَةِ (62.27%)، وَهَذِهِ الكِنَافَةُ الوَاضِحَةُ فِي تَوَاتُرِ الشَّكْلِ المُحَوَّلِ تُشَكِّلُ انزِيَاحًا ذَا قِيَمَةٍ تَعْبِيرِيَّةٍ عَلَى إِيْقَاعًا دَلَالَةً، فَكِنَافَةُ الشَّكْلِ المُنزَاحِ أَحَدَتْ خَرْفًا هَزَّ رَتَابَةَ الإِيْقَاعِ الرَّاسِخَةِ فِي نَسَقِ (الكَامِلِ) وَفِي إِيْقَاعِ القَصِيدَةِ، وَأَحَدَتْ تَوَثُّرًا شُعُورِيًّا فِي المُلْتَقِي يَنْسَجِمُ حَجْمَ التَّوَثُّرِ الَّذِي هَزَّ الوَاقِعَ العَرَبِيَّ وَالإِسْلَامِيَّ بِاغْتِيَالِ الشَّهِيدِ (أحمد ياسين). وَتَنَوَّزَعُ الأشْكَالُ المُنزَاحَةُ المُحَوَّلَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ صُورٍ إِيْقَاعِيَّةٍ:

-الصُّورَةُ الإِيْقَاعِيَّةُ الأُولَى (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0/):

نَتَجَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الإِيْقَاعِيَّةُ بِوِاسِطَةِ آليَّةِ تَحْوِيلِيَّةٍ هِيَ الزَّحَافُ، وَهُوَ (الإِضْمَارُ) هُنَا، الَّذِي تَمَّ بِإِسْكَانِ الثَّانِي المُتَحَرِّكِ؛ فَانزَاحَتْ أَوْ تَحَوَّلَتْ الوَحْدَةُ الإِيْقَاعِيَّةُ المِيعَارِيَّةُ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0//) إِلَى الصُّورَةِ الإِيْقَاعِيَّةِ الجَدِيدَةِ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0/) الَّتِي تُعَادِلُ إِيْقَاعِيًّا الوَحْدَةَ الإِيْقَاعِيَّةَ (مُسْتَفْعِلُنْ). وَقَدْ تَوَاتُرَتْ الصُّورَةُ الإِيْقَاعِيَّةُ الجَدِيدَةُ مِائَةً وَأَرْبَعًا (104) مَرَّاتٍ وَبِنِسْبَةِ (45.61%)، وَتَأْتِي القِيَمَةُ التَّعْبِيرِيَّةُ لِهَذِهِ الصُّورَةِ الإِيْقَاعِيَّةِ مِنْ تَكْوِينِ بِنِيَّتِهَا القَائِمَةِ عَلَى سَبَبَيْنِ خَفِيفَيْنِ وَوَتَدِ مَجموع (0//+0/+0/)، وَهِيَ بِنِيَّةٌ مُنَاسِبَةٌ إِيْقَاعِيًّا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الحُزْنِ وَالأَسَى الشَّدِيدَيْنِ وَالتَّعْبِيرِ وَالأَسْفِ عَنِ الحُسْرَةِ لِقَدِّ الشَّهِيدِ بِصُورَةٍ مُفْجِعَةٍ عَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنَ العَالَمِ كُلِّهِ، إِنَّ شَهَادَةَ (أحمد ياسين) -رَمَزِ الجِهَادِ فِي فِلَسْطِينَ- تَأْتِي تَأْكِيدًا عَلَ التَّضْحِيَّةِ بِالنَّفْسِ وَالتَّنْفِيسِ مِنْ أَجْلِ فِلَسْطِينَ/العَقِيدَةِ، وَتَكْذِيبًا لِكُلِّ دَعَوَاتِ

السُّلْمُ الْمُسْمُومُ الَّتِي تَجْهَرُ بِهَا أَفْوَاهُ الْمَنَافِقِينَ وَالْمُنَافِرِينَ، إِنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةَ حُجَّةٌ عَلَى سُقُوطِ حُلْمِ الصُّلْحِ وَهَمِّ التَّطْبِيعِ.

وَقَدْ بَلَغَتْ كَثَافَةُ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ مَجَسَّدَةً الشُّعُورَ الْمُتَوَثِّرَ، فَقَدْ تَحَوَّلَ صَمْتُ (الشَّهِيدِ) الْمُعْتَالِ بَيَانًا مُدَوِّيًّا وَإِعْلَانًا صَاحِبًا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

يَا أَحْمَدُ الْيَاسِينَ، كُنْتُ مَفُوهًا بِالصَّمْتِ كَانَ الصَّمْتُ مِنْكَ بَيَانًا

-الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الثَّانِيَّةُ (مُتَفَاعِلٌ = 0/0/0):

تَنَجَّتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ بِوَاسِطَةِ آليَّةِ تَحْوِيلِيَّةٍ هِيَ الْعِلَّةُ بِالنَّقْصِ، وَهِيَ (الْقَطْعُ) هُنَا؛ أَيِ حَذْفِ سَاكِنِ الْوَتْدِ الْمَجْمُوعِ وَتَسْكِينِ مَا قَبْلَهُ، فَانْزَاحَتْ أَوْ تَحَوَّلَتْ الْوَحْدَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمِعْيَارِيَّةُ (مُتَفَاعِلُنْ = 0//0//0) إِلَى الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْجَدِيدَةِ (مُتَفَاعِلٌ = 0/0/0) الَّتِي تُعَادِلُ، إِيقَاعِيًّا، (فَعْلَانُنْ)، وَتَظْهَرُ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي تَقْفِيَةِ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَطْلَعِ الْمُصَرَّعِ وَفِي أَضْرَبِ بَعْضِ الْآيَاتِ. وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْجَدِيدَةُ انْتِنِي عَشْرَةَ مَرَّةً (12)، وَبِنِسْبَةِ (5.26%)، وَتَأْتِي هَذِهِ الصُّورَةُ، مِثْلًا، فِي مَقْطَعِ شِعْرِيٍّ يَسْتَوْقِفُ فِيهِ الشَّاعِرُ الْمُتَلَقِّيُّ مُصَحِّحًا لِمَفَاهِيمِ الرِّيحِ وَالْخَسَارَةِ مِنْ مُنْطَلَقِ إِيمَانِيٍّ وَتَصَوُّرٍ إِسْلَامِيٍّ:

هُمْ أَكْسَبُوكَ مِنَ السَّبَاقِ رِهَانًا فَرَجَحْتَ أَنْتَ وَأَدْرَكُوا الْخُسْرَانَا  
هُمْ أَوْصَلُوكَ إِلَى مُنَاكَ بَعْدَرِهِمْ فَأَذَقْتَهُمْ فَوْقَ الْهُوَانِ هَوَانَا  
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ بِنَارِهِمْ لَمَّا رَمَوْكَ بِهَا بَلَغْتَ حِنَانَا

-الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الثَّالِثَةُ (فَعْلَانُنْ = 0/0/0):

تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ بِوَاسِطَةِ آليَّةِ تَحْوِيلِيَّةٍ مُرْدَوِجَةٍ، هِيَ الرَّحَافُ وَالْعِلَّةُ، وَهِيَ هُنَا (الِإِضْمَارُ) وَالْقَطْعُ؛ أَيِ حَذْفِ سَاكِنِ الْوَتْدِ الْمَجْمُوعِ وَتَسْكِينِ مَا قَبْلَهُ ثُمَّ إِسْكَانِ الثَّانِي الْمُنْزَاحِ، فَانْزَاحَتْ أَوْ تَحَوَّلَتْ الْوَحْدَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمِعْيَارِيَّةُ (مُتَفَاعِلُنْ = 0//0//0) إِلَى الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْجَدِيدَةِ (فَعْلَانُنْ = 0/0/0). وَقَدْ تَوَاتَرَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ سِتًّا وَعِشْرِينَ (26) مَرَّةً بِنِسْبَةِ (11.40%)، وَتَأْتِي هَذِهِ الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمُنْزَاحَةُ فِي الضَّرْبِ مُنْسَجِمَةً مَعَ الْمَفَارِقَةِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي تَنْجُمُ عَنْ تَحَوُّلِ الْعَدْرِ بِالْآخِرِ إِلَى حَذْلَانِ لِلْعَادِرِ وَالِإِسَاءَةِ إِلَى إِحْسَانٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ<sup>(2)</sup>:

غَدَرُوا بِشَيْبَتِكَ الْكَرِيمَةَ جَهْرَةً أَبْشِرْ فَقَدْ أَوْرَثْتَهُمْ حَذْلَانَا  
أَهْلُ الْإِسَاءَةِ هُمْ وَلَكِنْ مَا دَرَوْا كَمْ قَدَّمُوا لِشُمُوحِكَ الْإِحْسَانَا

(1) عبد الرحمن العشماوي: قوافل الراحلين، ص: 104.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والملاحظ أن التحويلات الإيقاعية التي تمت على مستوى الوحدات الإيقاعية لا تؤدي إلى تغيير النسق الموسيقي أو النظام الإيقاعي العام للقصيدة، وإنما تؤدي إلى التنوع في الإيقاع المؤدي إلى الحد من الرتابة الإيقاعية المتواصلة، وترتبط هذه التحولات الإيقاعية بسياق التجربة الشعرية بما في ذلك التوتر الشعوري والدلالي؛ فالسياق الشعوري والوجداني يتحكم في مسار التجربة، ويضبط بنية الإيقاع محققاً الأثر المتوخى إحدائه في المتلقي. فالشاعر يلجأ إلى كسر رتابة الإيقاع التي تُصيب المتلقي بالملل والسآمة، فيعمد إلى إجراء الزحاف المناسب كإلية لتنوع استجابة للسياق الشعوري، فيظهر الزحاف في أكثر صورته كثافةً، وهي الصورة الإيقاعية (المضمرة) (0//0/0).

والعلاقة بين كثافة الأنزياح الإيقاعي والمنحنى الشعوري المتوتر، استواء وتصاعداً وانحداراً، تكشف عن تلازم بين البنيتين الشعورية النفسية والإيقاعية الصوتية، فالبنية الشعورية النفسية في المقطع الثاني في القصيدة (من البيت التاسع إلى البيت الثالث عشر) تعكس حالة من الاستقرار العاطفي ومن الاستواء الانفعالي نتيجة لتوازن حالي الحزن والفرح، فالشاعر يصف فرحه بنيل الشهيد مناه ويصف امتزاج دمه ببشارته، ويصف، كذلك، علاقة الشهيد بربه، وهي علاقة وثقة، فهذه البنية تُسأرها البنية الإيقاعية التي هيمنت فيها الصورة الإيقاعية المعيارية (متفعلن=0//0//)، وتصبح، مع ذلك، الصورة الإيقاعية المعيارية إطاراً إيقاعياً معبراً عن حالة الرضا والتسليم. فالمقطع المحدد تواترت فيه الصورة الإيقاعية المعيارية (0//0//) تسع عشرة (19) مرة، وتواترت فيه الصورة الإيقاعية المنزاحة (0//0/0) ست (6) مرات، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

فَرَحِي بِنَيْلِ مُنَاكَ يَمْزُجُ دَمْعِي      بِبِشَارَتِي وَيُخَفِّفُ الْأَحْزَانَا  
وَتَقْتَ بِاللَّهِ أَتَصَالِكَ حِينَمَا      صَلَّيْتَ فَجَرَكَ تَطْلُبُ الْغُفْرَانَا  
وَتَلَوْتَ آيَاتِ الْكِتَابِ مُرْتَلَاً      مُتَأَمِّلاً تَتَدَبَّرُ الْقُرْآنَا  
وَوَضَعْتَ جِبْهَتَكَ الْكَرِيمَةَ سَاجِداً      إِنَّ السُّجُودَ لَيَرْفَعُ الْإِنْسَانَا  
وَحَرَجْتَ يَتْبَعُكَ الْأَحِبَّةُ مَا ذَرَوْا      أَنَّ الْفِرَاقَ مِنَ الْأَحِبَّةِ حَانَا

وتعود الصورة الإيقاعية المنزاحة إلى الهيمنة بمجرد تحول السياق الشعوري من الاستقرار إلى الانفعال وإلى الدلالة على الغضب والثورة نتيجة الجحود الذي تلقاه الشهيد من القريب والبعيد. إن التحول على مستوى البنية الشعورية النفسية أدى إلى تحول البنية الإيقاعية، وكانت الصورة الإيقاعية المنزاحة ملأمة لإيقاع السياق الشعوري في المقطع الجديد (من البيت العشرين إلى البيت السادس والعشرين)، فقد تحول الموقف والخطاب، واحتاج الشاعر إلى خلخلة النسق الإيقاعي بتجاوز رتابة الوحدات الإيقاعية وأنسيابية المقاطع وإيجاد نسق متوثب كفيلاً بتأدية

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 105.

الدَّلالاتِ الطَّارِئَةِ ومَسَائِرِ للتَّدْفِيقِ الوَجْدَانِيِّ المَشْحُونِ بِالغَضَبِ والثَّوْرَةِ وَالإِنكَارِ كَمَا تَدُلُّ عَلَيَّ ذَلِكَ بُنَى  
الِاسْتِفْهَامِ. تَتَضَاعَفُ الصُّورُ الإيقاعِيَّةُ المُنزَاحَةُ فِي هَذَا السِّيَاقِ بِبُلُوغِهَا سِتًّا وَعَشْرِينَ (26) صُورَةً، بَيْنَمَا اسْتَوَفَتْ  
الصُّورُ الإيقاعِيَّةُ المَعْيَارِيَّةُ عَشْرًا (10) صُورًا، وَهَذَا مَا يَتَضَحُّ فِي المَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

إِنِّي لَتَسْأَلِنِي العَدَالَةُ بَعْدَمَا لَقَيْتَ جُحُودَ القَوْمِ وَالتُّكْرَانَا  
هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْفَانُ أَمْرِيكَ اللُّظِي؟ أَمْ أَنَّهُ لَا تَمْلِكُ الأَحْفَانَا؟  
وَعِيُونَ أوروْبَا تُرَاهَا لَمْ تَزَلْ فِي غَفْلَةٍ لَا تُبْصِرُ الطُّغْيَانَا  
هَلْ أَبْصَرُوا حَسَدًا عَلَيَّ كُرْسِيَّهَ لَمَّا تَنَاطَرَ فِي الصَّبَاحِ عِيَانَا؟  
أَيْنَ الحَضَارَةُ أَيُّهَا العَرَبُ الَّذِي جَعَلَ الحَضَارَةَ حَمْرَةً وَدُخَانَا؟  
عُدْرًا فَمَا هَذَا سُؤَالَ تَعَطُّفٍ قَدْ ضَلَّ مَنْ يَسْتَعَطِفُ البِرْكَانَا  
هَذَا سُؤَالَ لَا يُجِيبُ جَوَابَهُ مَنْ يَعْبُدُ الأَهْوَاءَ وَالشَّيْطَانَا

وَتُفَرِّزُ كَثَافَةَ الصُّورِ الإيقاعِيَّةِ المُنزَاحَةِ سِمَةً إيقاعِيَّةً تُثَبِّهُ المُنْقَلَبِي، وَتَأْتِي كَنَتِيحَةً لوظيفةِ القَانُونِ التَّنْفِيسِيِّ  
الإيقاعيِّ الَّذِي يَضْبُطُ العِلَاقَةَ بَيْنَ البِنِيَتَيْنِ الشُّعُورِيَّةِ وَالِإيقاعِيَّةِ، وَبِمَوْجِبِهِ تَتَجَاوَبَانِ وَتَتَفَاعَلَانِ. وَإِذَا كَانَ الحُزْنَ  
الشَّدِيدُ الوَطَاةَ، الَّذِي يُكْرِسُهُ الدَّلَالُ اللُّغَوِيُّ (أَبْكَي) المَكْرُرُ حَمْسَ مَرَّاتٍ وَبِدَلَالَتِهِ الزَّمْنِيَّةِ عَلَيَّ الحَالِ وَبِاسْتِنَادِهِ إِلَى  
الشَّاعِرِ، إِذَا كَانَ هَذَا الحُزْنَ هُوَ مُحْتَوَى البِنِيَّةِ الشُّعُورِيَّةِ فَإِنَّ الصُّورَ الإيقاعِيَّةَ المُنزَاحَةَ الَّتِي بَلَغَ تَوَاتُرُهَا أَرْبَعًا  
وَعَشْرِينَ (24) مَرَّةً هِيَ مَادَّةُ البِنِيَّةِ الإيقاعِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا المَقْطَعِ<sup>(2)</sup>:

يَا أَحْمَدَ اليَاسِينَ إِنْ وَدَّعْتَنَا فَلَقَدْ تَرَكْتَ الصِّدْقَ وَالإِيمَانَا  
أَنَا إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا أَبْكَي عَلَيَّ مَلِيَارِنَا لَمَّا غَدَوْا قَطْعَانَا  
أَبْكَي عَلَيَّ هَذَا الشَّتَاتِ لِأُمَّتِي أَبْكَي الحِلَافَ المُرَّ وَالْأَضْغَعَانَا  
أَبْكَي وَلِي أَمَلٌ كَبِيرٌ أَنْ أَرَى فِي أُمَّتِي مَنْ يَكْسِرُ الأَوْتَانَا  
يَا فَارِسَ الكُرْسِيِّ وَجْهَكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا رَيْبَعًا بِأَهْدَى مُزْدَانَا

وَبِالطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا تَتَفَاعَلُ البِنِيَّةُ الإيقاعِيَّةُ مَعَ البِنِيَّةِ الشُّعُورِيَّةِ، فَكُلَّمَا أَخَذَ الشُّعُورُ فِي التَّوَثُّرِ أَحَدَتِ البِنِيَّةُ  
الإيقاعِيَّةُ، بِدَوْرِهَا فِي التَّحَوُّلِ مِنْ حِلَالِ الارتفاعِ فِي نِسْبَةِ الصُّورِ الإيقاعِيَّةِ المُنزَاحَةِ، وَتُرَافِقُ شِدَّةَ التَّوَثُّرِ وَحِدَّتَهُ  
سُرْعَةً فِي الأَدَاءِ رَغْبَةً فِي تَوْصِيلِ المَعْنَى وَفِي نَقْلِ الشُّعُورِ عَلَيَّ نَحْوِ أَسْرَعٍ، فَالصُّورَةُ الإيقاعِيَّةُ المُنزَاحَةُ بِوَأَسِطَةٍ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 106.

(2) المصدر نفسه، ص: 107.

الرَّحَافِ الَّذِي طَرَأَ عَلَى بَنِيهَا تَنْطَوِي عَلَى اخْتِصَارٍ فِي الْمُدَّةِ وَحَذْفٍ فِي الْأَصْوَاتِ؛ أَيْ اخْتِصَارٍ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ أَوْ تَقْلِيصٍ فِي عَدَدِ الْمُتَحَرِّكَاتِ يُؤَدِّبَانِ إِلَى اخْتِصَارِ الزَّمَنِ، وَلِهَذَا فَهُوَ يَتَّفِقُ وَحَالَةَ الْإِنْفِعَالِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ السَّرْعَةَ.<sup>(1)</sup> وَتُسَمُّهُمُ الصُّورُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمُنْزَاحَةُ الْمَشْكَلَةُ لِأَضْرَبِ الْقَصِيدَةِ فِي سُرْعَةِ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ الَّتِي يَدْفَعُ إِلَيْهَا الْإِنْفِعَالُ الْمُتَمَامِي، فَالصُّورُ الْإِيقَاعِيَّةُ لِأَضْرَبِ أَخَذَتِ الصُّورَتَيْنِ الْإِيقَاعِيَّتَيْنِ:

-الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ (0/0//).

-الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ (0/0/0).

وَبِالنَّظَرِ إِلَى مَجْمُوعِ صُورِ الْأَضْرَبِ الَّتِي بَلَغَتْ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ (38) صُورَةً، فَإِنَّ نِسْبَةَ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ (0/0/0) تَكُونُ (68.42%)، وَنِسْبَةَ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ (0/0//) تَكُونُ (31.57%). وَلِلصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ لِلضَّرْبِ قِيَمَةٌ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ قِيَمَةِ بَقِيَّةِ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ فِي بِنْيَةِ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ وَفِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ، فَهَذِهِ الْقِيَمَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ لَصُورَةِ الضَّرْبِ تَكْمُنُ فِي كَوْنِهَا تُشَكِّلُ الْوَقْفَةَ الْأَخِيرَةَ فِي بِنْيَةِ الْبَيْتِ الَّتِي تُؤَدِّنُ بِانْتِهَائِهِ وَتُمَهِّدُ لِبَيْتٍ آخَرَ، وَقَدْ تَكْتَمِلُ عِنْدَهَا دَوْرَةُ الْإِنْفِعَالِ وَتَتَمُّ دَلَالَةُ تَرْكِيهِهِ. وَمِنْ نَاحِيَةٍ دَلَالِيَّةٍ فَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الصُّورُ بِنْيٌ مُجَرَّدَةٌ لِكَلِمَاتٍ وَلِمُفْرَدَاتٍ تُسَلِّكُ فِي حَقُولِ دَلَالِيَّةٍ، وَهِيَ فِي الْقَصِيدَةِ تَتَوَزَّعُ عَلَى مَحَوْرَيْنِ أَسَاسِيَيْنِ؛ مَحَوْرٍ إِبْجَائِيٍّ تَدْوُرُ فِي فَلَكِهِ مُفْرَدَاتٌ لَهَا عِلَاقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بِمَوْضُوعَةِ (الشَّهِيدِ) فِي الْقَصِيدَةِ، مِنْهَا: (جَنَانًا، إِحْسَانًا، بَيَانًا، غُفْرَانًا، قُرَانًا، إِنْسَانًا، عُنُونًا، إِيمَانًا، مُزْدَانًا، أَغْصَانًا، بُسْتَانًا...)، وَمَحَوْرٍ سَلْبِيٍّ تَدْوُرُ فِي فَلَكِهِ مُفْرَدَاتٌ لَهَا عِلَاقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بِمَوْضُوعَةِ (الْعَدُوِّ الصَّهْبُونِيِّ)، مِنْهَا: (الْخُسْرَانًا، هَوَانًا خُذْلَانًا، الْعُدُونًا، الْخَوَانًا، الطُّغْيَانًا، الشَّيْطَانًا، جَبَانًا...).

وَتَكْتَسِبُ الصُّورُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمُنْزَاحَةُ فِي حُدُودِ الْوِظِيْفَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ خُصُوصِيَّةً صَوْتِيَّةً أُخْرَى تَنْجَلِي بِالْمَقَارَنَةِ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الْإِيقَاعِيَّتَيْنِ الْمُنْزَاحَتَيْنِ (0/0/0) وَ(0/0//)، فَهَنَّاكَ فَارِقٌ فِي الْأَدَاءِ أَوْ الْإِنْعَازِ الصَّوْتِيِّ، فَالصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْأُولَى (المُضْمَرَةُ/المَقْطُوعَةُ=0/0/0) تُشَكِّلُ مَقَاطِعَهَا الصَّوْتِيَّةَ الْجَدِيدَةَ، أَحْيَانًا، مُمَهَّلَاتٍ صَوْتِيَّةً تَكْبُحُ سُرْعَةَ الْأَدَاءِ وَتُطِيلُهُ زَمَنِيًّا لِيَسْتَوْعِبَ آهَاتِ الْحُزَنِ الْعَمِيقَةِ وَالْأَمِّ الْأَسَى، وَتَجْعَلُهَا عَسِيرَةً مَرِيرَةً-وَإِنَّهَا فِي الْقَصِيدَةِ لَكَذَلِكَ-نَتِيجَةٌ لِبِنْيَةِ الصُّورَةِ الْمَبْدُوعَةِ بِالْمَقْطَعِ الصَّوْتِيِّ الْمُتَوَسِّطِ الْمُعْلَقِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

فِي شَعْرٍ لَحَيْتِكَ الْكَرِيمَةَ صُورَةً      لِلْفَجْرِ حِينَ يُبَشِّرُ الْأَكْوَانَا  
فَرَحَتْ بِكَ الْحُورُ الْحَسَانُ كَأَنِّي      بِكَ عِنْدَهُنَّ مُعَرِّدًا جَدْلَانَا

وَيُرِزُّ التَّحْلِيلُ الصَّوْتِيُّ الْمَقْطَعِي صُعُوبَةَ الْأَدَاءِ النَّسْبِيِّ الْمَحْسُوسَةِ فِي بِنْيَةِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ، فَهَذِهِ الصُّورَةُ (0/0/0) تَتَجَسَّدُ فِي الْمُفْرَدَتَيْنِ (أَكْوَانَا) وَ(جَدْلَانَا)، تَتَأَلَّفُ الْأُولَى مِنْ ثَلَاثَةِ مَقَاطِعَ صَوْتِيَّةٍ (أَكْ/وَا/وَا/نَا)، وَتَتَأَلَّفُ

(1) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 2001، ص: 33.

(2) عبد الرحمن العشماوي: قوافل الراحلين، ص: 107.

الثانية من ثلاثة مقاطع صوتية (جذذ/+/لا/+/نا/)، ويختلف الأداء الصوتي وتختفي تلك الصعوبة في الصورة الإيقاعية الثانية (0/0//) التي تشكل الوحدة الإيقاعية الأخيرة في بنية البيت<sup>(1)</sup>:

هُمُ أَوْصَلُوكَ إِلَىٰ مُنَاكَ بَعْدَرِهِمْ فَأَذْفَقْتَهُمْ فَوْقَ الْهَوَانِ هَوَانَا

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ بِنَارِهِمْ لَمَّا رَمَوْكَ بِهَا بَلَعْتَ حِنَانَا

تتألف الصورة الإيقاعية المنزاحة من المقطع الصوتي أو الصوت الصامت والصائت في (ن) آخر المفردة (الهوان) ومن المقاطع الصوتية أو مجموعة صوامت وصوائت المفردة (هوانا)؛ أي أن الصورة تتجسد في (ن+ هوانا)، وتتألف من المقاطع الصوتية (ن/+/هـ/+/وا/+/نا/)، وتتألف الصورة الإيقاعية الثانية المتجسدة في (ت+حنانا) من المقاطع الصوتية (ت/+/ج/+/نا/+/نا/).

تتميز الصورة الإيقاعية المنزاحة (0/0//) بالحنة والانسبابية ويسر الأداء على المستوى التلظي مقارنة بالصورة الإيقاعية المنزاحة (0/0/0).

إن المقاربة الإيقاعية والصوتية للصورة السابقة تُفضي إلى مقاربة بنية القافية التي لا تنفصل عن بنية الصورة الإيقاعية، وتتصل بالنسق الإيقاعي للكامل، فالقصيدة تلتزم بنية تفغوية موحدة مطلقاً مردفة، رويها الثون ومجرأه الفتحه، وينشأ عن صوت المد أو حرف (الألف) مد صوتي يشكل مقطعاً متوسطاً مفتوحاً/نا/مشملاً على صامت/ن/ وصائت طويل/ـا/، و(الثون) صوت أسناني مجهور<sup>(2)</sup>، يتسرب الهواء معه من التحريف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف ويلتقي طرف اللسان بأصول الناياعليا، فتتكون الثون العربية<sup>(3)</sup>، وفي صوته الأغن إيجاء بالحزن والأسى وفي المد إيجاء بعمق الحزن وطول الأسى في النفس، وباجتماع صوت (الثون) بالوصل؛ أي بالحركة الطويلة الناتجة عن إشباع حركة الروي، ينطلق صوت النحيب بشكل أقوى وأوضح، ففي الصوت تحسيداً للمعنى أو للحدث..

وترد بنية القافية في القصيدة ثنائية المقطع؛ فهي تتألف من مقطعين متساويين صوتياً ومتمثلين عروضياً، وتأخذ الشكل العروضي (0/0) الذي يتجاوز فيه سببان حفيفان، ويتأبع فيه مقطعان متوسطان مفتوحان. وترسخ بنية القافية لطبيعة التكوين الصوتي إيقاعاً بكائياً ممتداً، فالمقطع الصوتي المضاعف في البنية يقوم بوظيفة تعبيرية، فهو القناة التي تُعبر من خلالها النفس المفجوعة عن الألم الناتج عن فقد الشيخ الشهيد أحمد الياسين - رمز المقاومة الإسلامية - المعتال غدراً.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 104.

(2) غازي مختار طليمات: في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط: 3، 2007، ص: 143.

(3) رمون طحان: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 2، 1981، ص: 46.

إنَّ نَسَقَ (الكامل) الإيقاعي، بِخِصَائِصِهِ الإيقاعيَّةِ وَسِمَاتِهِ الصَّوْتِيَّةِ، مَنَحَ القَصِيدَةَ إيقاعًا حَزِينًا مأساويًا مُتَمَيِّزًا، أَسْهَمَ بِالتَّضَافِرِ مَعَ مُكوِّنَاتِ القَصِيدَةِ الأُخْرَى فِي تَصْوِيرِ كَثِيرٍ مِنَ المَفَارِقَاتِ الدَّلَالِيَّةِ، كالمَفَارِقَةِ بَيْنَ (كُرْسِيِّ) الشَّيْخِ الشَّهِيدِ الَّذِي أَضْحَى رَمَزَ وِفَاءٍ وَإِبَاءٍ رَاسِحًا كَالطُّودِ، وَ(كِرَاسِي) الزُّعَمَاءِ الرَّاجِفَاتِ رَمَزَ الذَّلَّةِ وَالهُوَانَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

وَحَرَجْتَ يَتْبَعُكَ الأَحِبَّةُ، مَا دَرَوْا      أَنَّ الفِرَاقَ مِنَ الأَحِبَّةِ حَانَا  
كُرْسِيَّكَ المُتَحَرِّكَ اِخْتَصَرَ المَدَى      وَطَوَى بِكَ الآفَاقَ وَالأَزْمَانَ  
عَلَّمْتَهُ مَعْنَى الإِبَاءِ، فَلَمْ يَكُنْ      مِثْلَ الكِرَاسِي الرَّاجِفَاتِ هَوَانَا  
مَعَكَ اسْتَلَذَّ المَوْتَ صَارَ وَفَاؤُهُ      مَثَلًا وَصَارَ إِبَاؤُهُ عُنْوَانَا

تَشَكَّلُ بِنِيَّةُ الإيقاعِ فِي القَصِيدَةِ عَلَى أساسِ العَلَاقَةِ بَيْنَ البِنِيَّتَيْنِ الشُّعُورِيَّةِ وَالإيقاعيَّةِ أَوْ بَيْنَ الانْفِعَالِ وَالإيقاعِ، وَتَتَحَوَّلُ هَذِهِ البِنِيَّةُ إِلَى إيقاعِ نَفْسِيٍّ يَتَجَلَّى فِي الصُّورِ الإيقاعيَّةِ الَّتِي يَزْحَرُ بِهَا نَسَقُ (الكامل) التَّامِّ وَفِي المَظَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِالإيقاعِ الدَّاخِلِيِّ.

وَنَخْلُصُ إِلَى القَوْلِ بِأَنَّ نَسَقَ (الكامل) يَخْتَصُّ، إيقاعِيًّا، بِمُرُونَةٍ تُفَسِّحُ المَجَالَ لِتَأْطِيرِ التَّجَارِبِ الشُّعُورِيَّةِ المُتَنَوِّعَةِ، وَيَنْفَرِدُ، بِوصْفِهِ إيقاعًا صَافِيًا ثَابِتًا، بِوَقْعِهِ المُتَمَيِّزِ عَنِ الإيقاعِ المُتَمَرِّجِ المُتَعَدِّدِ، وَهُوَ "بِتَوْحُّدِ إيقاعِهِ التَّغْمِيِّ، وَبِتَكَرُّرِهِ فِي حَالَةٍ تَمَامِهِ، وَبِوَفْرَةِ مَقَاطِعِهِ يَمُنَحُ الشَّاعِرَ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الدِّينَامِيكِيَّةِ فِي التَّحَرُّكِ عِبْرَ المَسَافَةِ الإيقاعيَّةِ المُتَمَدِّدَةِ مِنْ أَوَّلِ البَيْتِ الشُّعْرِيِّ إِلَى آخِرِهِ، مِمَّا يُعْطِي مُرُونَةً فِي التَّعْبِيرِ، تَتَنَاسَقُ وَتَتَمَوَّسَقُ فِي الوَقْتِ ذَاتَهُ مَعَ مَا يُرِيدُ الشَّاعِرُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ فِي دَاخِلِهِ." (2).

– نَسَقُ (الكامل) المَجْزُوءِ:

يُعْنَى مُصْطَفَى العُمارِي بِنِيَّةِ الإيقاعِ فِي تَجْرِبَتِهِ الشُّعْرِيَّةِ، بِوصْفِ الإيقاعِ أْبْرَزَ مُسْتَوِيَّاتِ الأَدَاءِ الشُّعْرِيِّ فِي القَصِيدَةِ، فَلَهُ حَمَالِيَّاتُهُ وَلَهُ دَلَالَاتُهُ، وَقَدْ جَعَلَ مِنَ النَّسَقِ الإيقاعيِّ لِلْكَامِلِ إيقاعًا أساسِيًّا فِي مَنَنِهِ الشُّعْرِيِّ<sup>(\*)</sup>، فَقَدْ تَوَاتَرَ هَذَا النَّسَقُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ (31) مَرَّةً وَمِثْلَ نِسْبَةِ (34.83%) مِنْ مَجْمُوعِ النِّسْبَةِ الكُلِّيَّةِ لِلأَنسَاقِ الإيقاعيَّةِ، وَتَوَاتَرَ

(1) عبد الرحمن العشماوي: قوافل الرَّاحِلين، ص: 105.

(2) عبد الباسط محمود: دراسات في لغة الشعر، عند إيليا أبو ماضي، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، (د، ط)، 2005، ص: 61.

(\*) يتألف المتن موضوع المقاربة من ستة دواوين، وهي ديوان (عرس في مأتم الحجاج) 1982، وديوان (قصائد مجاهدة) 1982، وديوان (قراءة في آية السيف) 1983، وديوان (بوح في موسم الأسرار) 1985، وديوان (مقاطع من ديوان الرفض) 1989، وديوان (العيد والقدس = والمقام) 1994، وهي تمثل نسبة 27.27%، وإن كان مجموع ما أنتج في هذه الفترة سبعة عشر ديوانًا، أي بنسبة 77.27%، ومجموع ما أنتجه الشاعر يُقارب أربعة وعشرين ديوانًا.

أربع مراتٍ في ديوانه (قراءة في آية السيف)، ومثل نسبة (23.52%)، وتنتظم قصيدة (سل الأمير...) في هذا الديوان على نسق (الكامل) المجزوء، وقد بلغ النفس الشعري فيها تسعة وثمانين (89) بيتاً، يقول الشاعر في المطلع<sup>(1)</sup>:

أَسْجُدُ لِرَبِّكَ وَأَقْتَرِبُ وَإِلَيْهِ فِي الْجَلَى أَنْبُ

تتوزع بنية المطلع على أربع وحدات إيقاعية (تفاعيل)، يقوم التصريح فيها علامة على أصالتها الفنية، ويدل على النسق التفقوي الذي يضبط إيقاع القافية البائية المقيدة، ويؤذن بالولوج إلى عوالم القصيدة الممتدة، وتتخذ بنية المطلع الصورة الآتية:

مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ

تحدد بنية المطلع الصورتين الإيقاعيتين اللتين ينتظم عليهما نسق (الكامل) في القصيدة، فالصورة الأولى هي الصورة المعيارية (الثابتة/التمط) (0//0///=0//0//متفاعِلُنْ)، والصورة الثانية هي الصورة المنزاحة (المتحولة) (0//0/0//متفاعِلُنْ) - بالإضمار -، وبين طرفي ثنائية المعيار (الثبات) والانزياح (التحول) يتراوح الإيقاع في تموجاته بين الشدة واللين آخذاً من إيقاع الفاصلة القرآنية ما يُقوي منحه ويدعم وقعه، ويثري دلالاته، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه بالتناص الإيقاعي الذي يتم بنقل نص تام ديني أو أدبي من بيئته الأصلية إلى بيئة جديدة لها نفس تكوينه الإيقاعي<sup>(2)</sup>. ويتجلى إبداع الشاعر في القدرة على تحقيق الانسجام بين النص المستعار وإيقاع نصه المبتدع<sup>(3)</sup>، وتندرج هذه الظاهرة ضمن ظواهر تأثير الشاعر الإسلامي بالبيان القرآني، فقد "تأثر الشاعر بالبيان القرآني صياغةً وفكراً وشعوراً، فلبنات شعره تستمد حرسها العذب من المعجم القرآني ألفاظاً وتراكيباً، ورؤيته الشعرية تنطلق من الآفاق القرآنية، وتنبع من مقومات التصور الإسلامي للحياة عقيدة وعبادة وعملاً".<sup>(4)</sup>

ولهذا التناص أثره الإيقاعي الملموس في المصراع الأول من بنية المطلع، ذلك الأثر الآتي من فاصلة الآية الكريمة في قوله ﷻ<sup>(5)</sup>: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾، بعد أن عدل أو حور الشاعر في بنية الآية (أسجد واقترب) بالحدف وإضافة شبه جملة معترضة (لربك) ليستوي إيقاع المصراع الأول (أسجد لرّبك واقترب) على نسق إيقاع (الكامل) المجزوء، ويكون بنظمه الجديد ميزاناً إيقاعياً تُنسج على منواله أبيات القصيدة. والعلاقة بين الآية والمصراع أكثر وضوحاً في الفاصلة (اقترب) التي تشكل التفافية الداخلية لبنية المطلع، إن موقع الفاصلة في الآية يشبه موقع القافية في البيت الشعري، وكما أن القافية في البيت عنصرٌ متميز، فإن الفاصلة كذلك في الآية عنصرٌ

(1) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1983، ص: 11.

(2) محمود عسران: موسيقى الشعر، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، (د، ط)، 2006، ص: 399.

(3) المرجع نفسه، ص: 398.

(4) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، القاهرة، ط: 2، 1422هـ-2002م، ص: 68.

(5) سورة: العلق، الآية: 19.

مُمَيِّزٌ، وَلَكِنَّهَا - كَالْقَافِيَةِ - تَبْقَى جُزْءًا أَصِيلاً مِنَ الْآيَةِ، غَيْرُ مُفَصَّلٍ عَنْهَا. (1) وَإِذَا كَانَتْ بِنْيَةُ الْقَافِيَةِ تُوظَّفُ لِتَأْدِيَةِ قِيَمَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ دَلَالِيَّةٍ فَكَذَلِكَ الْفَاصِلَةُ الْقُرْآنِيَّةُ تُرَدُّ وَهِيَ تَحْمِلُ شَحْنَتَيْنِ فِي آنٍ وَوَاحِدٍ: شَحْنَةُ الْوَقْعِ الْمَوْسِيقِيِّ، وَشَحْنَةُ مِنَ الْمَعْنَى الْمَتَمِّمْ لِلآيَةِ. (2) وَفِي الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ بِهَذِهِ الْوَضِيْفَةِ الْمَزْدُوْجَةِ مِنَ الْقُوَّةِ مَا أَعْرَى الشَّاعِرَ الْإِسْلَامِيَّ بِمُحَاكَاتِهَا فِي تَشْكِيلِ قَوَائِمِهَا وَتَنْوِيْعِ رَوِيَّاتِهَا، وَقَدْ تُكُونُ هَذِهِ (الْمُحَاكَاةُ) قَبْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَثْرًا نَاتِجًا عَنِ الرُّؤْيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُسْتَمِدَّةِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَفِي الْقَصِيْدَةِ أَصْدَاءُ إِيقَاعِيَّةٌ لِقَصَائِدِ غَرَاءَ فِي تَارِيخِ الْجَزَائِرِ الْأَدْبِيِّ وَتَارِيخِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَقَصِيْدَةِ (شُعْبِ الْجَزَائِرِ مُسَلِّمٍ) لِعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَادِيْسٍ وَقَصِيْدَةِ (فَتْحِ عَمُورِيَّةِ) لِأَبِي تَمَّامٍ.

تَنْهَضُ قَصِيْدَةُ الْعُمَارِيِّ عَلَى ثَنَائِيَّةِ (المِعْيَارِ/الانْزِيَاخِ) أَوْ (النَّبَاتِ/التَّحْوُلِ) الَّتِي تُشَكِّلُ فِيهَا الْوَحْدَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمِعْيَارِيَّةُ قُطْبَ (النَّبَاتِ)، وَتُشَكِّلُ الْوَحْدَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمُنْزَاحَةُ قُطْبَ (التَّحْوُلِ)، وَلَا يَتَوَقَّفُ أَثْرُ هَذِهِ الثَّنَائِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ، لَكِنَّهُ فِي وَقَعِهِ أَحَدُ تَحْلِيَّاتِ الْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى ثَنَائِيَّةٍ مُمَثَّلَةٍ (النَّبَاتِ/التَّحْوُلِ)؛ حَيْثُ يُشَكِّلُ الْأَحْرَارُ الْمَجَاهِدُونَ مِنْ أْبْنَاءِ الْجَزَائِرِ مَحْوَرَ (النَّبَاتِ)، وَيُمَثِّلُ الْخَائِنُونَ وَالْمُنْسَلِحُونَ الْمَفْرُطُونَ مِنْ أْبْنَائِهَا مَحْوَرَ (التَّحْوُلِ). وَقَدْ تَمَّ الْانْزِيَاخُ فِي الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ مِنْ حِلَالِ (الرَّحَافِ) الَّتِي يَعْْمَلُ عَلَى إِثْرَاءِ الْإِيقَاعِ، فَ(الرَّحَافِ) بِوصْفِهِ "تَوَيْعًا" فِي مُوسِيقَى الْقَصِيْدَةِ يُخَفِّفُ مِنْ سَطْوَةِ التَّعْمَاتِ ذَاتِهَا الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي إِطَارِ الْوِزْنِ الْوَاحِدِ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيْدَةِ إِلَى آخِرِهَا. (3) وَهَذَا مَا يُلْمَسُ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيْدَةِ مِنْ حِلَالِ رِصْدِ صُورِهَا الْإِيقَاعِيَّةِ فِي ثَلَاثَةِ مِنْ أَهْمِ مَقَاطِعِهَا الشُّعْرِيَّةِ:

- الْمُقْطِعُ الشُّعْرِيُّ الْأَوَّلُ (1-10) (4):

تَنْوَرُّعُ صُورِ الْمُقْطَعِ الْإِيقَاعِيَّةِ عَلَى بِنْيَةِ بَيْتٍ مُدَوَّرٍ عَلَى نَسْقِ الْإِيقَاعِيِّ لِلْكَامِلِ الْمُجْزِءِ، وَتَنْوَعُ بَيْنَ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمِعْيَارِيَّةِ وَصُورِ إِيقَاعِيَّةِ مُنْزَاحَةٍ، وَتُرَدُّ بِهَذَا الشَّكْلَ:

ب1: أَسْجُدْ لِرَبِّكَ وَأَقْتَرِبْ وَإِلَيْهِ فِي الْحُلِيِّ أَنْبُ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

ب2: وَقُلْ: الْجَزَائِرُ، وَاَرَوْ عَن حَيْلٍ مُطَهَّمَةٍ عُرْبُ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

ب3: حَيْلُ الْجِهَادِ الْوَرْدُ يَخْطُرُ فِي النَّوَاصِي وَاللَّهْبُ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

ب4: حَيْلُ الْمَدَى الْفِهْرِيِّ يَا كِبْرَ الْجُدُودِ.. وَيَا نَسْبُ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

ب5: يَطْوَِي الْحُدُودَ صَهِيْلَهَا فَتَحًا تَفْتَحُ بِالْعَجَبِ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

(1) بكرى شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط: 2، 1396هـ-1986م، ص: 203.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت) ص: 172.

(4) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 11.

- ب6: وتكادُ تشربهُ الرَّمالُ يَكادُ يَقْطُرُ كالحَبِّ - 0//0/// - 0//0/// - 0//0/// - 0//0///  
 ب7: نَعْمُ أَجَلٌ مِنْ الأُلَى كَانُوا فَأزْهَرَتِ الكُتُبُ - 0//0/// - 0//0/// - 0//0/// - 0//0///  
 ب8: تَتَمَاوَجُ الصَّحْرَاءُ فِي أَيامِهِ الخُضْرُ القُشْبُ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0///  
 ب9: وترى عَلَى أَيامِهِ أُرَاسَ يَهْزَأُ بالثُوبِ - 0//0/// - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0///  
 ب10: بالقَادِمِينَ مِنَ الظُّلَامِ عَلَى سَفَائِنٍ مِنْ رَهَبٍ - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0/// - 0//0///

ويبدو من توزيع الصور الإيقاعية المعيارية (0//0///) والمنزاحة (0//0/0/) في هذا المقطع أن الشاعر سعى إلى إقامة توازن إيقاعي بواسطة إيجاد نوع من التناغم والتناسق بين الصور الإيقاعية أو (التفاعيل) المتناظرة على مستوى البيت الشعري المجزوء ذي الأربع صور، فالصورة الإيقاعية الأولى والصورة الثالثة - وهما متناظرتان - قد تقاربت فيهما عدد مرّات الزحاف، فقد زوحت الأولى خمس مرّات وزوحت الثالثة ست مرّات، والصورة الإيقاعية الثانية والصورة الرابعة - وهما متناظرتان - قد تقاربت عدد الزحاف فيهما؛ فالثانية زوحت أربع مرّات والرابعة زوحت ثلاث مرّات، وبالمقابل فإن الصورة الإيقاعية الأولى والصورة الثالثة قد تقاربتا في المحافظة على نمطيهما؛ فالأولى وردت صحيحة سالمة خمس مرّات ووردت الثالثة صحيحة سالمة أربع مرّات، والصورة الثانية والرابعة - وهما متناظرتان - قد تقاربتا في المحافظة على نمطيهما، أيضاً، فالثانية وردت صحيحة ست مرّات ووردت الرابعة صحيحة سبع مرّات، وإذا كانت الصورة الإيقاعية الرابعة هي الأكثر ثباتاً واستقراراً على نمطيتها والأقل انزياحاً، فإن هذا التقارب على مستوى الصور المعيارية والمنزاحة قد أدى إلى إيجاد تناغم وتناسق إيقاعي ملحوظ في بنية المقطع.

-المقطع الشعري الثاني (60-69)<sup>(1)</sup>:

تتوزع الصور الإيقاعية المعيارية والصور المنزاحة في المقطع بهذه الطريقة:

- ب60: أُرَاسُ يَا سَيْفًا يَثُورُ وَيَا خَيْولًا تُرْتَقِبُ - 0//0/0/-0//0///-0//0/0/-0//0/0/  
 ب61: أَشْرِقُ بتاريخ الجهاد ومدّ ملحّة الرهب - 0//0///-0//0///-0//0/0/-0//0/0/  
 ب62: واقراً عيون الشمس تقرأ سورة الفتح الأشب - 0//0/0/-0//0/0/-0//0/0/-0//0/0/  
 ب63: وخض السباق فإئماً الغايات تُدرِكُ بالحَبِّ! - 0//0///-0//0/0/- 0//0///-0//0///  
 ب64: أَشْرِقُ فَإِنَّ صَبَاحَ الحُرِّ المضيء قد اقترب - 0//0///-0//0/0/- 0//0///-0//0/0/  
 ب65: وانسخ بآيات الجهاد خرافة القول الكذب! - 0//0/0/-0//0///- 0//0/0/-0//0/0/  
 ب66: الحُرُّ يُولَدُ من جَدِيدٍ في المَاسِي لا الطَّربُ - 0//0/0/-0//0/0/-0//0///-0//0/0/  
 ب67: لا كَانَ من أَلْفِ الضِّياعِ المرِّ واحترَفَ الطَّلَبُ - 0//0///-0//0/0/- 0//0///-0//0/0/

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 11.

ب68: الحَقُّ يُدْرِكُ بِالْحَدِيدِ وَليْسَ يُدْرِكُ بِالخُطْبِ - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0/// - 0//0///

ب69: وَقَضَى الْجِهَادُ فَمَدَّ أَوْرَاسُ شُؤْسًا مِنْ غَضَبٍ - 0//0/// - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

إنَّ تَوْزِيعَ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمِعْيَارِيَّةِ وَالصُّورِ الْمُنْزَاحَةِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ يَكْشِفُ عَنْ دَرَجَةِ يَسِيرَةٍ مِنْ خَلْخَلَةِ التَّنَاسُقِ الْقَائِمِ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْأَوَّلِ، فَالْبِنْيَةُ الشُّعُورِيَّةُ وَالذَّلَالِيَّةُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ تُمَثِّلُ انْعِطَافَةً جَدِيدَةً فِي مَسَارِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ، وَذَلِكَ مَا يَفْرَضُ تَحْوُلًا إِيقَاعِيًّا عَلَى مُسْتَوَى الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ يَكُونُ دَالًّا عَلَى تِلْكَ الْانْعِطَافَةِ وَمُصَاحِبًا لَهَا. إِنَّ دُخُولَ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي مَرَحَلَةٍ مُخْتَلِفَةٍ يَجْعَلُ الصُّورَ الْإِيقَاعِيَّةَ الْمُنْزَاحَةَ تَأْخُذُ فِي الْازْدِيَادِ وَتَقِلُّ مَعَهُ الصُّورَ الْإِيقَاعِيَّةَ الْمِعْيَارِيَّةَ؛ فَالصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْأُولَى - الْأُولَى فِي كُلِّ بَيْتٍ - زُوْحِفَتْ ثَمَانِي مَرَّاتٍ وَسَلِمَتْ مِنَ الرَّحَافِ مَرَّتَيْنِ، وَمَوْعِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ فِي بِنْيَةِ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ يُعْلَنُ عَنِ التَّحْوُلِ فِي مَسَارِ التَّجْرِبَةِ.

وَقَدْ اقْتَصَرَ التَّنَاسُقُ وَالتَّنَاغُمُ، تَنَاظْرِيًّا، عَلَى مُسْتَوَى الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الثَّانِيَةِ وَالصُّورَةِ الرَّابِعَةِ؛ فَقَدْ زُوْحِفَتْ الثَّانِيَةُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَالرَّابِعَةُ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَفِي الْمَقَابِلِ التَّرَمَّتِ الثَّانِيَةُ نَمَطِيَّتَهَا سِتَّ مَرَّاتٍ وَالرَّابِعَةُ خَمْسَ مَرَّاتٍ.

- الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ الثَّلَاثُ (70-79)<sup>(1)</sup>:

تَتَوَزَّعُ الصُّورُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمِعْيَارِيَّةُ وَالصُّورُ الْمُنْزَاحَةُ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ:

ب70: وَامْتَدَّ مِنْ أَعْيَادِهِ سَبْعًا مُضِيَّاتٍ خُضِبَ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

ب71: بِدِمَاءٍ مَنْ كَانُوا فَكَانَ الْوَعْدُ يَخْتَرِقُ الْحُجْبَ - 0//0/// - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0///

ب72: أَبْنَاءُ عُقْبَةٍ كَبُرُوا يَا خَيْرَ أَبْنَاءِ وَأَبٍ - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0/0/ - 0//0/0/

ب73: جِيلاً حُسَيْنِي الرَّسَالَةَ لَا يَزِيدِي اللَّقَبَ! - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0/0/ - 0//0/0/

ب74: حَمَلُ الدَّرُوبِ قَصِيدَةً عَطَشِي وَأَمَالًا قُشْبَ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0///

ب75: حَتَّى ارْتَوَتْ مِنْ جُرْحِهِ سُمُرُ الدَّرُوبِ وَمَا شَرِبَ! - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0///

ب76: لَا الْقَهْرُ يُثْنِي مِنْ خَطَاةٍ وَلَا الشَّقَاءُ وَإِنْ حَزَبَ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0///

ب77: لَمْ تُعْرِهِ الْأَطْمَاعُ إِنْ يُعْرِى سِوَاهُ فَيُسْتَلَبَ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0///

ب78: مِنْ فِلْسُفُوكَ وَمَنْ تَمَارَوْا فِي انْتِمَائِكَ بِالرَّيْبِ؟ - 0//0/0/ - 0//0/// - 0//0/0/ - 0//0///

ب79: رَسَمُوا الْحَيَاةَ وَكَمْ تُهَوِّنُ بِمَنْجَلٍ صَدِيَّ خَرِبَ! - 0//0/// - 0//0/// - 0//0/// - 0//0///

وَيُظْهِرُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ الثَّلَاثُ تَحْوُلًا إِيقَاعِيًّا تَسُوْدُهُ الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمُنْزَاحَةُ (0//0/0/) الَّتِي تَعَكِّسُ جَانِبًا مِنَ التَّحْوُلِ عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ، فَقَدْ تَرَاجَعَ ذَلِكَ التَّنَاسُقُ إِلَى مُسْتَوَى أَدْنَى لِقِيَامِ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ بِتَشْكِيلِ إِيقَاعٍ مُتَنَوِّعٍ يُخَالِفُ تِلْكَ التَّعَمَّةَ الْمَأْلُوفَةَ فِي الصُّورِ الْمِعْيَارِيَّةِ، وَانْحَصَرَ التَّنَاسُقُ فِي الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْأُولَى وَالصُّورَةِ الثَّلَاثَةِ، وَهُمَا مُتَنَاظِرَتَانِ، فَقَدْ زُوْحِفَتْ الْأُولَى سَبْعَ مَرَّاتٍ وَزُوْحِفَتْ الثَّلَاثَةُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَفِي الْمَقَابِلِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 11.

النَزَمَتِ الصُّورَتَانِ نَمَطَيْتَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَقَدْ اتَّضَحَ أَنَّ التَّنَاسُقَ وَالتَّنَاغُمَ الإيقاعيَّ الَّذِي يَتِمُّ بَيْنَ الصُّورِ الإيقاعيَّةِ، تَنَاطُرِيًّا، يَأْتِي كَوَسِيلَةٍ فَنِيَّةٍ تَكْسِرُ رَتَابَةَ النَّسَقِ الإيقاعيِّ، وَرَتَابَةَ إيقاعِ صُورِهِ الإيقاعيَّةِ المِيعاريَّةِ المِهْمَنَةِ فِي هَذَا النَّسَقِ. وَيَتَرَاوَجُ التَّنَاسُقُ عِنْدَمَا تَتَضَاعَفُ صُورُ الإيقاعيَّةِ المُنزَاحَةِ، فَالتَّنَاسُقُ المُنْتَظَمُ فِي المَقَاطِعِ الثَّلَاثَةِ، بِهَذِهِ الوَظِيفَةِ، تَقْنِيَّةٌ مِنْ تَقْنِيَّاتِ الإيقاعِ الَّذِي " يَعْنِي انْتِظَامَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ فِي سِيَاقٍ كَلْبِيِّ، أَوْ سِيَاقَاتٍ جُزْئِيَّةٍ تَلْتَمُّ فِي سِيَاقٍ كَلْبِيِّ جَامِعٍ يَجْعَلُ مِنْهَا نِظَامًا مَحْسُوسًا أَوْ مُدْرَكًا، ظَاهِرًا أَوْ خَفِيًّا، يَتَّصِلُ بغيرِهِ مِنْ بَنَى النَّصِّ الأَسَاسِيَّةِ وَالجُزْئِيَّةِ وَيَعْبُرُ عَنْهَا كَمَا يَتَحَلَّى فِيهَا".<sup>(1)</sup>

وَيُوضِّحُ الجَدُولُ الآتِي عَدَدَ الصُّورِ الإيقاعيَّةِ المِيعاريَّةِ وَالصُّورِ المُنزَاحَةِ وَكَيْفِيَّةَ تَوَزِيعِهَا فِي بِنْيَةِ البَيْتِ المَجْزُوءِ فِي المَقَاطِعِ الشَّعْرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ القَصِيدَةِ:

الانزياحُ الإيقاعيُّ فِي قصيدة (سل الأُمير) للغماري						
البَيْتُ الشَّعْرِيُّ المَجْزُوءُ						
المجموع	الشَّطْرُ الثَّانِي		الشَّطْرُ الأوَّلُ		الصُّورَةُ الإيقاعيَّةُ ( التفعيلة )	
	التفعيلة 4	التفعيلة 3	التفعيلة 2	التفعيلة 1		
22	7	4	6	5	مِيعاريَّة	المقطع (1)
18	3	6	4	5	مُنزَاحَة	
17	5	4	6	2	مِيعاريَّة	المقطع (2)
23	5	6	4	8	مُنزَاحَة	
16	6	3	4	3	مِيعاريَّة	المقطع (3)
24	4	7	6	7	مُنزَاحَة	
<b>120</b>	<b>30 بيتاً</b>				المجموع	

يَتَضَحُّ، إِذَا، أَنَّ مَقَاطِعَ القَصِيدَةِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُؤَلَّفُ ثَلَاثِينَ بَيْتًا تَضُمُّ مِائَةً وَعِشْرِينَ صُورَةً إيقاعيَّةً، تَوَاتَرَتْ فِيهَا الصُّورُ الإيقاعيَّةُ المِيعاريَّةُ (0//0//0) حَمْسًا وَخَمْسِينَ (55) مَرَّةً، وَشَكَلَتْ نِسْبَةً (45.83%)، وَتَوَاتَرَتْ الصُّورُ الإيقاعيَّةُ المُنزَاحَةُ (0//0/0) حَمْسًا وَسِتِّينَ (65) مَرَّةً، وَشَكَلَتْ نِسْبَةً (54.16%)، وَهِيَ نِسْبَةٌ مُرْتَفَعَةٌ تُفَسِّرُ بِمَوْضُوعِيَّةِ ظَاهِرَةِ الانزياحِ الإيقاعيِّ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ الشَّاعِرُ إِلَى تَنْوِيعِ إيقاعِ القَصِيدَةِ وإيقافِ مَا يَمْتَدُّ مِنْ رَتَابَةٍ مُرْتَبَّةٍ عَنْ هِمْمَنَةِ الصُّورِ الإيقاعيَّةِ المِيعاريَّةِ (0//0//0)، وَتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى تَنْوِيعِ إيقاعِهِ بِمَا يُوَافِقُ تَدَاعِيَّاتِ الشُّعُورِ وَإِجَاءَاتِ المَعْنَى عَلَى مُسْتَوَى بِنْيَةِ البَيْتِ وَالمَقْطَعِ، وَيُلْحِظُ أَنَّ آليَّةَ هَذَا الانزياحِ الإيقاعيِّ هِيَ إِسْكَانُ المُتَحَرِّكِ الثَّانِي؛ أَي مَا يُعْرَفُ بِـ(الإِضْمَارِ) وَلَمْ يُعْرَفِ النِّزَاحُ آليَّةَ غَيْرِهِ، فَلَمْ تَتَجَاوَزِ الصُّورُ الإيقاعيَّةُ المِيعاريَّةُ (0//0//0) نَمَطًا وَاحِدًا مِنَ التَّنَوُّعِ الَّذِي تَحَلَّى فِي الصُّورِ الإيقاعيَّةِ المُنزَاحَةِ ذَاتِ الشَّكْلِ (0//0/0).

(1) علوي الهاشمي: فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط: 1، 2006، ص: 53.

وإذا كان توزيع الصور الإيقاعية الجديدة عبر الأبيات يُنشئ علاقات من التماثل والتقارب والتطابق في الاتجاه العمودي ويولد علاقة التناظر في الاتجاه الأفقي فإن الحركة الإيقاعية في بنية القصيدة تتراوح بين طرفي الثنائية الدلالية (الثبات/التحول)، تلك المحددة سلفاً.

والملاحظ، أيضاً، أن الحركة الإيقاعية في المقاطع الثلاثة تختلف من مقطع إلى آخر، فهي في المقطع الشعري الأول تجنح نحو النغمة الأساسية الثابتة؛ أي التي توفرها الصورة الإيقاعية المعيارية (0//0//) بدليل كثافة هذه الصور، فقد وردت اثنتين وعشرين (22) مرة، في حين أن الصور المنزاحة (0//0/0) وردت ثمانياً عشرة (18) مرة، وحركة الإيقاع لا تشد عن حركة الدلالة المتمحورة على وصف ما للجزائر من آثار ساطعة ووقائع لامعة في تاريخها المجيد، وهو وصف أقرب منه إلى الفخر الموضوعي الذي يقوي الشخصية ويعزز الثقة بالنفس، ويمنّي الاعتزاز بالتماء الحضاري، أما الفارق الضئيل -نسبياً- بين الصورتين الإيقاعيتين فيكشف عن سكون في الشعور ناتج عن تلك الثقة وذلك الاعتزاز.

وتبدأ الحركة الإيقاعية في المقطع الشعري الثاني في التدرج نحو النغمة المتنوعة التي تُنحجها الصور الإيقاعية المنزاحة (0//0/0) كما يدل على ذلك ارتفاع تواترها الذي بلغ ثلاثاً وعشرين (23) مرة، وانخفاض تواتر الصور المعيارية إلى سبع عشرة (17) مرة، ولا يخفى ما لهذا الارتفاع المتدرج من علاقة مُحكّمة بحركة الشعور وتوجهه في بنية المقطع إذ تجسدت حركته من خلال مجموعة البنى الأسلوبية كبنية النداء المتكررة ثلاث مرات وما تحتويه من شحنة انفعالية، وكنية الأمر بصيغتها الفعلية المتكررة خمس مرات وكنية النفي المكرر ثلاث مرات وكالبنى التركيبية الفعلية المتكررة أكثر من تسع عشرة مرة الدالة الحركة والتجدد. وتبلغ الحركة الإيقاعية ذروتها في بنية المقطع الشعري الثالث أين ترتفع أصداؤه النغمة الطارئة ويخفت جرس النغمة المعهودة بتواتر الصور الإيقاعية المنزاحة أربعاً وعشرين (24) مرة وتواتر الصور الإيقاعية المعيارية إلى ست عشرة (16) مرة. وبلا شك فإن البنية الدلالية تكمن وراء التشكيل الإيقاعي في المقطع الشعري، فقد تحققت وعد (الحريّة) الذي اخترق الحجب على أيدي أبناء عقبة وبدمائهم، وعلى أيدي الجيل الحسيني الرسالة المجاهد الصابر، وقد حول الشاعر ولقح الإيقاع في القصيدة من مقطع إلى آخر كما حول ذلك الجيل واقع الحياة وحول إيقاع التاريخ.

إن توظيف النسق الإيقاعي للكامل المجزوء يشير إلى التخلص من امتداد الإيقاع على مستوى بنية البيت والاختزال من طول (الوزن) وتحقيق نوع من الاقصاد (العروضي) بواسطة الحذف أو الإسقاط من بنية الوزن أو النسق الإيقاعي التام -المعياري- الذي يفرض ثلاث وحدات إيقاعية في الشطر وست وحدات في البيت. والجزء وضع مُزاح عن الوضع التام، وهذا ما يمنح القصيدة سرعة في الإيقاع في أغلب مقاطعها باستثناء المقطعين الثاني والثالث، ففي هذين المقطعين أراد الشاعر أن يقف قليلاً أمام صورة (البطولة) المتمثلة في (أوراس) وفي (أبناء عقبة)،

ورغبَ في أن يعرضَ إعجابَه الكبيرَ وتفاؤله العريضَ بهذا الجليلِ الحسيبيِّ الرِّسالةِ في مهلٍ، واحتاجَ إلى وسيلةٍ فنيَّةٍ لتبطينِ الإيقاعِ من خلالِ مضاعفةِ الصُّورِ الإيقاعيَّةِ المنزاحةِ (0//0/0) التي بلغَ تواترها في المقطعِ الثاني ثلاثاً وعشرينَ صورةً، وفي المقطعِ الثالثِ أربعاً وعشرينَ صورةً، فالصورةُ الإيقاعيَّةُ المنزاحةِ (0//0/0) بحكمِ تكوينِها العروضيِّ والصوتيِّ تتألفُ من ثلاثةِ سواكنٍ وأربعِ متحرِّكاتٍ (متفاعلن=0//0/0) أو تتألفُ من أربعةِ مقاطعٍ ثلاثةٍ منها متوسِّطةٍ-الأوَّل والثالثُ مُغلَقان والثاني مفتوح-وواحدٌ قصيرٌ مفتوح، بينما تتألفُ الصورةُ الإيقاعيَّةُ المعياريَّةُ (0//0//) بحكمِ تكوينِها العروضيِّ والصوتيِّ من ساكنينِ وخمسةِ متحرِّكاتٍ (متفاعلن=0//0//)، أي تتألفُ من ثلاثةِ مقاطعٍ قصيرةٍ مفتوحةٍ ومقطعينِ متوسطينِ (الأوَّل مفتوح والثاني مُغلَق). وهكذا يكونُ مجموعُ المقاطعِ المتوسِّطةِ في الصورةِ المنزاحةِ ثلاثةَ مقاطعٍ (الأوَّل والثالثُ مُغلَق والثاني مفتوح)، ويكونُ مجموعُها في الصورةِ المعياريَّةِ مقطعينِ (الأوَّل مفتوح والثاني مُغلَق) وزيادةُ المقاطعِ المتوسِّطةِ تُؤدِّي بِشكلٍ مُباشرٍ إلى بُطءِ الإيقاعِ بالإضافةِ إلى ما يمارسه المقطعُ المُغلَقُ من (إعاقَة) في حركةِ الإيقاعِ ويمكنُ تأكيدُ هذه الحقيقةِ العروضيَّةِ والصوتيَّةِ المتمثلةِ في بُطءِ الإيقاعِ انسجاماً مع دلالةِ (المضمون) الشعريِّ بالعودةِ إلى توزيعِ الصُّورِ الإيقاعيَّةِ في المقاطعِ الثاني والثالثِ.

وفي مُستهلِّ المقطعِ الثاني تتباطأُ حركةُ الإيقاعِ بنسبةٍ عاليَّةٍ، فعلى مُستوى البيتِ الأوَّل (ب60) تتباطأُ حركةُ الإيقاعِ مُستجيبةً لحركةِ النفسِ الممتلئةِ إعجاباً وذهُولاً ولحركةِ الشعورِ المتناميِ على مهلٍ وإشعاعِ الدلالاتِ الإيحائيَّةِ من النواةِ المركزيَّةِ (أوراس)، وتتوازنُ حركةُ الإيقاعِ في البيتِ (ب61) لأنَّ دلالتَه تتأرجحُ بينَ التاريخِ (الماضي) والواقعِ (الحاضر) ليأخذَ (أوراس) من التاريخِ الإسلاميِّ ما يمدُّ به ملحمتَه في الواقعِ، وتفتُرُ هذه الحركةُ أو تتباطأُ، بدرجةٍ كبيرةٍ، في البيتِ (ب62) ليقراءَ (أوراس) متمعناً متأملاً متمهلاً غيرَ متعجلٍ أسفارَ البطولةِ والمجدِ وصورَ الفتحِ الخالدةِ، فزحافُ (الإضمار) الواقعِ في كلِّ صورةٍ إيقاعيَّةٍ يستوقفُ القارئَ لحظةً بعدَ لحظةٍ من الرِّمَنِ كأنَّه يصعدُ السلمَ درجةً درجةً، يقولُ الشاعرُ:

ب60: أوراسُ يا سيِّفاً يثورُ ويا خيولاً تُرتقبُ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0// - 0//0/0/

ب61: أشرقُ بتاريخِ الجهادِ ومدِّ ملحمةِ الرِّهَبِ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0// - 0//0//

ب62: واقراً عيونَ الشمسِ تقرأُ سورةَ الفتحِ الأشبِ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

وينشأُ عن حرَكِتي الدلالةِ والإيقاعِ في المقطعِ الشعريِّ الثالثِ تناسقٌ ملحوظٌ في بنيةِ البيتِ الشعريِّ، ففي البيتِ السَّبعينِ (ب70) يتناسبُ بُطءُ الإيقاعِ معَ دلالاتِ المُفرداتِ اللُّغويَّةِ الدَّالةِ على الامتدادِ والانتشارِ والسَّعةِ وظلالِها الإيحائيَّةِ (امتدَّ، أبعاد، سبعا، مضيئات)، فإيقاعُ البيتِ البطنيِّ المتناقلِ يُحاكي حركةَ المعنى الممتدَّةِ الشَّاسعةِ، فيطولُ أداءُ البيتِ إلى أقصى فترةٍ زمنيَّةٍ، قراءةً وأداءً، بالقدرِ الذي يعكسُ طولَ الحدَثِ، وفي البيتِ الواحدِ والسَّبعينِ (ب71) يستوي الإيقاعُ ليجمعَ بينَ دلالةِ الفعلينِ (كانوا) و(كان) في بنيةِ الشرطِ. والملاحظُ أنَّ توزيعَ الصُّورِ

الإيقاعية المنزاحة في البيت الشعري يأتي مفصلاً حسب ترتيب المفردات ودلالاتها في السياق الشعري، فسرعة الإيقاع حاصلة في الصورة الإيقاعية المعيارية الأولى وفي الصورة الإيقاعية الرابعة لأن الشاعر يريد طي ماضي الاحتلال العاصب بوعد الثورة التي اخترقت سريعاً كل الحجب؛ فالبيت يُقرأ أو يُتلفظ به بشيء من السرعة والعجلة في بدايته وفي خاتمته وبشيء من البطء أو التمهّل في وسطه حيث تتمركز صورتان الإيقاعيتان المنزاحتان- الصورة الثانية والصورة الثالثة-، ليقف القارئ، ملياً، عند جملة (فكان الوعد) متأولاً دلالتها، وبهذه الطريقة يتساقط الإيقاع والدلالة فيتباطأ الإيقاع كلما كان في البيت ما يدعو إلى التأمل والنظر والتركيز من أحداث ودلالات كما هو الحال في البيتين الشعريين (ب72) و(ب73)، يقول الشاعر:

ب70: وامتدّ من أبعاده سبعا مضيئات خضب - 0//0/0/-0//0/0/- 0//0/0/-0//0/0/

ب71: بدماء من كانوا فكان الوعد يخرق الحجب - 0//0/0/-0//0/0/- 0//0/0/-0//0/0/

ب72: أبناء عقبة كبروا يا خير أبناء وأب - 0//0/0/-0//0/0/- 0//0/0/-0//0/0/

ب73: جيلاً حسيني الرسالة لا يزيدني اللقب! - 0//0/0/-0//0/0/- 0//0/0/-0//0/0/

ومما تقدم يتبين أن الشاعر الإسلامي يمتلك علوة على تصوّره الإسلامي الذي يعد الشرط الأول للأدب حساً جمالياً محيطاً بكل آفاق الإبداع ورؤية فنية ملمة بكل أدوات الشعرية، ونطلقاً من ذلك الوعي ينوع في بناء الإيقاعية بحسب تنوع سياقاته الشعرية دلالة وشعوراً، ويكسب بنية القصيدة الإيقاعية طاقةً وحيويةً وخصوبةً.

ومقاربة البنية الإيقاعية في القصيدة العمودية من حيث الجوانب السابقة تؤكد القول بأن النظم العروضي للقصيدة الموزونة المقفأة رتيب وممل؛ قول فيه تجن على الواقع، ذلك لأن التغييرات الطارئة على البحر العروضي تكسر هذه الرتابة وهذا الملل المزعومين، كما أن الأصوات الأخرى المصاحبة والتي تختلف من شاعر إلى آخر، بل من بيت إلى بيت داخل القصيدة الواحدة، والتي يمكن تجاهلها تكسر أيضاً هذه الرتابة وهذا الملل المزعومين.<sup>(1)</sup>

### 1-1-2- نسق (الكامل) في القصيدة الحرة:

تعد القصيدة الحرة أو ما يُعرف بشعر (التفعيلية)، بالنسبة إلى الشاعر الإسلامي "نمطاً فنياً جديداً".<sup>(2)</sup> وهي نمط إيقاعي، في مستوى من مستويات البناء الفني فيها، مجرد من تبعات الحدائث الشعرية ولوازمها التي ارتبط بها منذ نشأته، ومظهر من مظاهر التجديد في الشكل الإيقاعي للقصيدة العربية بل هو "التجديد الأكثر سطوعاً، في بداياته الأولى، ولعله يكون أكثر المستويات استثناءاً للحوار والتفاسير والجدل بين المؤيدين والمعارضين، في خمسينيات هذا القرن، حتى بدا، أحياناً، وكأنه التجديد الأوحّد الذي جاءت به الحدائث ويمكن تسوية الجدل

(1) أحمد عثمان أحمد: المعلقات دراسة أسلوبية، دار طيبة، القاهرة، (د، ط)، 2007، ص: 104.

(2) عبد الرحمن العشماوي: يا ساكنة القلب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 2، 1426هـ-2005م، ص: 6.

بأنَّ شِعْرَ الحِداثَةِ، بِشِكلِهِ الإِيقاعِيَّ المُخْتَلِفِ، قَدْ تَجَاوَزَ المُستَوَى الأَكثَرَ سَطوعاً، فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ، وَفِي وَحْدَةِ البَيْتِ الشَّعْرِيِّ القَائِمِ عَلى شَطْرَيْنِ مُتَعَادِلَيْنِ مُوسِيقِيًّا.<sup>(1)</sup>

وَلَا يَتَعَلَّقُ التَّمَطُّ الحُرُّ أَوْ شِعْرُ التَّفْعِيلَةِ فِي القَصِيدَةِ الإِسْلامِيَّةِ المُعاصِرَةِ بِمفْهُومِ الحِداثَةِ كَـ"مَنْهَجِ فِكْرِيّ يَنْطَلِقُ مِنْ قَاعِدَةِ الرِّفْضِ لِكُلِّ قَدِيمٍ وَالتَّحَرُّرِ مِنْ هَيْمَتِهِ".<sup>(2)</sup> فَشِعْرُ (التَّفْعِيلَةِ) "أَسْلُوبٌ حَدِيثٌ فِي كِتَابَةِ الشَّعْرِ، لَهُ إِيقاعُهُ المُسْتَمَدُّ-غالبًا- مِنْ تَفْعِيلَاتِ بُحُورِ الشَّعْرِ العَرَبِيِّ المُعْرُوفَةِ، وَلَهُ صُورُهُ المُنبَتِقَةُ مِنْ رُؤْيِ العَصْرِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، وَفِي نَمادِجِهِ مَا هُوَ جَيِّدٌ غَايَةَ الجُودَةِ، وَفِيهَا مَا هُوَ رَدِيءٌ غَايَةَ الرَّداءَةِ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ كُلِّ أَسْلُوبٍ أدَبِيٍّ أَوْ فَنِّيٍّ، وَلَا أَرى أَنَّ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ مِنَ الكِتَابَةِ بِهِ، مَا دُمْنَا لَمْ نُفَرِّطْ فِي أَعْمَدَةِ الشَّعْرِ الثَّابِتَةِ: الإِيقاعِ أَوْ الوَزنِ، وَالعَاطِفَةِ الصَّادِقَةِ، وَالصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ المُؤثِّرَةِ، أَمَّا الحِداثَةُ فَهِيَ ذَلِكَ المَنْهَجُ الفِكْرِيُّ الَّذِي يُعْلِنُ دُعائِهِ التَّمَرُّدَ عَلى القِيمِ الرَّاسِخَةِ فِي حَيَاةِ الأُمَّةِ، تَمَرُّدًا يَظْهَرُ فِي جُرأتِهِم (المَمقُوتَةِ) عَلى الرِّسالاتِ السِّمَاقِيَّةِ وَالأَنْبِياءِ وَالمُصلِحِينَ، بَلْ حَتَّى عَلى اللَّهِ ذِي العِزَّةِ وَالجَلالِ... وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الأُمَرَيْنِ".<sup>(3)</sup>

وَالشَّعْرُ الحُرُّ لَمْ يَقْطَعْ صِلَتَهُ بِالقَصِيدَةِ العَمُودِيَّةِ فَهُوَ "ظاهِرَةٌ عَرُوضِيَّةٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الشَّكْلَ المُوسِيقِيَّ لِلقَصِيدَةِ وَيَتَعَلَّقُ بِعَدَدِ التَّفْعِيلَاتِ فِي الشَّطْرِ، وَيُعْنَى بِتَرْتِيبِ الأَشْطُرِ وَالقَوافي، وَأَسْلُوبِ اسْتِعمالِ التَّدْوِيرِ وَالرِّحافِ وَالوَدِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ قَضايا عَرُوضِيَّةٌ بَحْتَهُ".<sup>(4)</sup>

وَتَقُومُ بِنِيَّةِ الإِيقاعِ فِي القَصِيدَةِ الحُرَّةِ عَلى نِظامِ (التَّفْعِيلَةِ) كَوَحْدَةٍ إِيقاعِيَّةِ أَساسِيَّةٍ تَتَكَرَّرُ فِي صُورٍ مِعياريَّةٍ أَوْ مُنْزَاحَةٍ غَيْرِ أَنَّ القَاعِدَةَ الجَدِيدَةَ لاسْتِخدامِ التَّفْعِيلَةِ اِختَلَفَتْ مِنْ حَيْثُ (الكَمِّ) عَنِ القَاعِدَةِ القَدِيمَةِ لاسْتِخدامِ البَحْرِ، فَللشَّاعِرِ الحُرِّيَّةُ فِي أَنْ يَخْتارَ العَدَدَ المُناسِبَ لِلتَّفْعِيلَةِ داخِلَ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ الوَاحِدِ، فَقَدْ يَقْتَصِرُ هَذَا العَدَدُ عَلى تَفْعِيلَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَدْ يَطُولُ حَتَّى يَصِلَ إِلى تِسْعِ تَفْعِيلَاتٍ، إِذِ المُسأَلَةُ مُرتَبِطَةٌ بِالحالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلشَّاعِرِ، وَبالدَّفْقَةِ الشُّعُورِيَّةِ الَّتِي لَا تَتِمُّ إِلا بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ مِنَ التَّفْعِيلَاتِ يَراهُ الشَّاعِرُ الأَنسَبَ لِحالَتِهِ".<sup>(5)</sup> وَمِنْ نَمادِجِ تَوْظِيْفِ نَسَقِ الكَاملِ الإِيقاعِيِّ فِي القَصِيدَةِ الإِسْلامِيَّةِ الحُرَّةِ قَصِيدَةُ (جَبيلِ الصَّحُورَةِ) لِمَحْمُودِ مَفْلَحٍ مِنْ دِيوانِهِ (عَنها الصَّحُورَةُ..) الَّذِي يُهَيِّمُنُ نَسَقُ (الكَاملِ) عَلى بِنِيَّتِهِ الإِيقاعِيَّةِ حَيْثُ تَوَاتَرَ فِيهِ عَشْرَ (10) مَرَّاتٍ وَبِنِسْبَةِ (32.25%)<sup>(\*)</sup>، فَالقَصِيدَةُ مَنْظُومَةٌ

(1) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، دراسات جمالية في الحداثة العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1997، ص: 31.

(2) عبد الرحمن العشماوي: يا ساكنة القلب، ص: 6.

(3) المصدر نفسه، ص: 7.

(4) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 69.

(3) إبراهيم الحايي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص: 245.

(\*) القصيدة من ديوانه (إنها الصحوة.. إنها الصحوة) الذي يضم إحدى وثلاثين قصيدة عمودية وحرّة، تتوزع على سبعة أنساق إيقاعية؛ تواتر فيها (الكامل) عشر (10) مرات بنسبة (32.25%)، و (البسيط) ست (6) مرات بنسبة (19.35%)، و (الخفيف) خمس (5) مرات بنسبة (16.12%)، و (الوافر) خمس (5) مرات بنسبة (16.12%)، و (الطويل) مرتين بنسبة (6.45%)، و (الرملي) مرتين بنسبة (6.45%)، و (المقارب) مرة واحدة بنسبة (3.23%).

على وحدة إيقاعية أو صورة إيقاعية أساسية (متفاعِلن) تتوزع توزيعاً سطرانياً حراً مفتوحاً غير ملترزم بتلك الصوابط التي تتقيد بها القصيدة العمودية من حيث العدد المنتظم للصور الإيقاعية أو من حيث الأنساق التقفوية الموحدة. إن هندسة توزيع الصور الإيقاعية في بنية القصيدة يحدد معالمها (الانفعال الشعري) أو الشعور الذي يكتنف مخاض التجربة الشعرية، وتصبح بنية الإيقاع معادلاً له بحسب حالاته في المقاطع السبعة المؤلفه لبنية القصيدة (جيل الصحوة) - موضوع هذه المقاربة - فتتفاوت المقاطع في عدد سطوها الشعرية طوفاً وقصراً في الوقت الذي تتفاوت فيه بنية كل سطر عن غيرها في عدد الصور الإيقاعية المكونة لها، يقول الشاعر في المقطع الأول<sup>(1)</sup>:

وأقول للجيل الجديد / مُتفاعِلن - مُتفاعِلان  
أقول للجيل المحصن بالعقيدة والتوج بالصبح / مُفاعِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلان  
.. وأقول يا جيل الكفاح / مُتفاعِلن - مُتفاعِلان  
إننا بلونا الليل والأشبه والموت المؤجل والجراح / مُتفاعِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلان  
.. وأقول يا جيل المصاحف / مُتفاعِلن - مُتفاعِلن - مُت  
.. يا خمير الأرض... يا طلق الولادة / فاعِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلان  
ها أنت كالنبوع تدفق في صحارينا... / مُتفاعِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلان  
.. وتمنحنا الوثيقة والشهادة... / عِلن - مُتفاعِلن - مُتفاعِلان

تألف بنية المقطع الشعري الأول من ثمانية سطور، يرتفع عدد الصور الإيقاعية المعيارية والمنزاحة في بنية كل سطر بحسب الدفقة الشعورية، وتراوحت السطور بين أدنى حد وأقصى حد، فقد تألفت بيننا السطر الأول والثالث من صورتين إيقاعيتين، وتألفت بنية السطر الثاني والرابع من خمس صور إيقاعية، وتقوم بنية الإيقاع في المقطع على تكرار وحدة إيقاعية أساسية (متفاعِلن=0//0//)، فهي "أساس النظام الصوتي الذي يقوم بتكراره الشعري".<sup>(2)</sup> وقد تواترت الوحدات الإيقاعية خمساً وعشرين (25) مرة؛ ووردت منها تسع صور إيقاعية معيارية (0//0//)، ووردت منها ست عشرة (16) صورة إيقاعية منزاحة، وقد تم الانزياح أو التحويل في الصورة الإيقاعية بواسطة أربع إجراءات؛ هي (الإضمار) بإسكان المتحرك الثاني (والوقف) بحذف ثاني التفعيل المتحرك - والوقف تغيير شاذ ونادر في تفعيل الكامل (متفاعِلن)<sup>(3)</sup> - (الترفيف) بزيادة سبب خفيف في آخر الوتد المجموع، (التذليل) بزيادة ساكن في آخر الوتد المجموع، وقد يتدخل أكثر من إجراء في تحويل الصورة كـ (الإضمار) (الترفيف) في الصورة (متفاعِلان=0//0//0//0//)، وتعمل هذه الإجراءات الأربعة على تنويع الإيقاع فياخذ كل

(1) محمود مفلح: إما الصحوة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط: 2، 1412هـ - 1991م، ص: 37.  
(2) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، 2007، ص: 83.  
(3) صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر العربي، ص: 73.

سَطْرٌ خُصُوصِيَّتُهُ الْإِيقَاعِيَّةُ النَّاشِئَةُ عَنِ الْمَرَاوِحَةِ بَيْنَ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمَعْيَارِيَّةِ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0//) وَالصُّورَةِ الْمُنْزَاحَةِ الَّتِي أَخَذَتْ الْأَشْكَالَ الْآتِيَةَ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0/) / (مُفَاعِلُنْ=0//0//) / (مُتَفَاعِلَاتُنْ=0/0//0/0/) / (مُتَفَاعِلَانْ=00//0//) (مُتَفَاعِلَانْ=00//0/0/).

تَتَمَيَّزُ بِنَيْةِ الْمَقْطَعِ بِإِيقَاعٍ مُتَنَوِّعٍ مُتَجَدِّدٍ بَعِيدٍ عَنِ الرِّتَابَةِ وَتَتَابِعِ التَّعَمَّاتِ الْمُتَشَابِهَةِ الَّتِي أَوْقَفَتْ اطِّرَادَهَا تَنَوُّعَ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَاخْتِلَافِ السُّطُورِ الشُّعْرِيَّةِ قِصْرًا وَطُولًا، وَهَذَا نَتَجَتْ عَنْهُ مُوسِيقَى خَاصَّةٌ تَلَوْنٌ كُلُّ مَقْطَعٍ مِنْ حَلَالِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ فِي حَرَكَةِ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُتَفَاوِتَةِ الَّتِي تَتَقَدَّمُ فِي سَطْرٍ وَتَتَأَخَّرُ فِي سَطْرٍ آخَرَ، فَتَتَأَرَّجِحُ بِنَيْ السُّطُورِ بَيْنَ الْإِمْتِدَادِ وَالْإِنْحِسَارِ بِمَا يُقَابِلُ حَالَتِي الْإِنْقِبَاضِ وَالْإِنْبَسَاطِ فِي النَّفْسِ، وَتَتَمَيَّزُ بِنَيْةِ السُّطْرِ الشُّعْرِيِّ جُرِّيَّةٍ أَوْسَعٍ وَمُرُونَةٍ لَمْ تَكُنْ مَعْهُودَةً فِي بِنَيْةِ الْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ، وَيَكْفِي "أَنْ يَكُونَ عَدَدُ التَّفْعِيلَاتِ الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي السُّطْرِ الْوَاحِدِ غَيْرَ مُحَدَّدٍ وَغَيْرَ ثَابِتٍ - وَأَنَّهُ لَمْ يَعْذُ هُنَاكَ لِزِمَامِ خَارِجِيٍّ بِتَسَاوِيٍّ عَدَدِ التَّفْعِيلَاتِ الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي كُلِّ سَطْرٍ مِنَ السُّطُورِ فِي الْقَصِيدَةِ - يَكْفِي هَذَا لِأَنَّ نُدْرِكَ مَدَى التَّنَوُّعِ الْمُسِيقِيِّ الَّذِي يُتِيحُهُ الْإِطَارُ الْجَدِيدُ".<sup>(1)</sup> لَقَدْ تَمَكَّنَتْ الْقَصِيدَةُ مِنْ أَدَاءِ وَظْفَتِهَا التَّعْبِيرِيَّةِ بِكُلِّ حُرِّيَّةٍ فَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا التَّكْلُفُ بِأَنَّ تَمَلَأَ الْفَرَاعَاتُ لِئِكْتَمَلَ شَطْرًا الْبَيْتِ، فَقَانُونُ الدَّفْقَةِ الشُّعُورِيَّةِ هُوَ قَانُونُهَا الْجَدِيدُ فَأَيْنَمَا تَمَّتِ الدَّفْقَةُ وَاسْتَوْفَى السُّطْرُ شَعُورَهُ وَدِلَالَتَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَهِيَ.

وَتَتَأَلَّفُ بِنَيْةُ الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ الثَّانِي مِنْ ثَلَاثَةِ سَطُورٍ شُّعْرِيَّةٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

أَنْتَ الَّذِي سَيِّدَلُ الْأَوْزَانَ وَالْأَحْزَانَ / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ

.. يَزْرَعُ فِي الْعْيُونِ نَحِيلَهَا / لَنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ

فَلَكُمْ تَبَاطُأً فِي الرَّحِيلِ عَنِ الْقَرَى عَامُ الرَّمَادَةِ / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَاتُنْ

يَتَوَزَّعُ عَلَى السُّطُورِ الشُّعْرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ شَكْلَانِ مِنَ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ، صُورٌ تَتَّخِذُ الشَّكْلَ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0/)، وَصُورٌ إِيقَاعِيَّةٌ تَتَّخِذُ الشَّكْلَ (مُتَفَاعِلَاتُنْ=0/0//0/0/). وَيُشَكِّلُ التَّدْوِيرُ رَابِطًا بَيْنَ السُّطُورِ الشُّعْرِيَّةِ وَوَصْلًا إِيقَاعِيًّا بَيْنَ بُنَى الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ، وَيَقُومُ التَّدْوِيرُ بِرَبْطِ بِنَيْتِي السُّطْرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ حَلَالِ تَقْسِيمِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0/) إِلَى جُزْأَيْنِ فَيَقَعُ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0/) فِي نَهَائَةِ السُّطْرِ الْأَوَّلِ، وَيَقَعُ الْجُزْءُ الثَّانِي فِي مِنَ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ (لَنْ=0//0/) فِي بَدَائَةِ السُّطْرِ الثَّانِي مِمَّا يُلْغِي الْوَقْفَةَ الشُّعْرِيَّةَ الْمَأْلُوفَةَ فِي نَهَائَةِ الْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ الْعَمُودِيِّ، وَبِذَلِكَ تَتَأَحَّلُ لِحِظَةُ الصَّمْتِ أَوْ السُّكُوتِ إِلَى نَهَائَةِ السُّطْرِ الثَّلَاثِ. وَمَعَ التَّدْوِيرِ تَنْخَفِضُ حَرَكَةُ الْإِيقَاعِ حَتَّى تَكَادُ تَنْقَطِعُ بِانْتِهَاءِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ النَّاقِصَةِ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0/) ثُمَّ

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 83.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تُعوذُ إلى الارتفاعِ سريعا لاستكمالِ الصورةِ الإيقاعيةِ ناقصةً (لن=0)، والصورةُ الإيقاعيةُ الناقصةُ هي التي تتوزعُ بينَ بيتين، ولا يُمكنُ، في هذه الحالة، أن تكونَ التفعيلةُ ناقصةً إلا في نهايةِ بيتٍ وبدايةِ البيتِ الموالي له، فلا تشملُ بذلكَ وسطَ البيتِ فضلا عن بدايةِ البيتِ الأول. (1)

تتألفُ بنيةُ المقطعِ الثالثِ من سبعةِ أسطرٍ شعريّةٍ، يرُدُّ التّدويرُ في السطرِ الخامسِ، فالسطرُ ينتهي بصورةٍ إيقاعيةٍ ناقصةٍ (مت=//)، ويبدأ السطرُ السادسُ بصورةٍ إيقاعيةٍ ناقصةٍ (فاعلن=0//0)، ولا تكتملُ الصورةُ الإيقاعيةُ إلا بالوصلِ بينَ الجزأينِ الناقصينِ، يقولُ الشاعرُ (2):

وأقولُ حيَّ على الفلاحِ / مُتفاعِلن- مُتفاعِلان

..أقولُ حيَّ على السّلاحِ / مفاعِلن- مُتفاعِلان

فإنَّ فيكَ النَّبضَ يُورِقُ بينَ ترتيلِ الظّهيرةِ والمساءِ / مفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلان

..وأقولُ يا جيلَ الفداءِ / مُتفاعِلن- مُتفاعِلان

..أكلتُ مواسمنا الجنادِبُ / مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُت

..واستبدَّ بنا الحوَاهُ / فاعِلن- مُتفاعِلان

وغادرتنا آخرُ السُّحبِ الحميمةِ فوي السماءِ / مفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلان

وتتألفُ بنيةُ المقطعِ الشعريِّ الرَّابِعِ من ثلاثةِ أسطرٍ خلا منها التّدويرُ، فقد وردت صورها الإيقاعيةُ المعياريةُ والمنزاحةُ تامةً، ويتَّسِمُ الإيقاعُ بالانسجامِ في بدايةِ المقطعِ ونهايته، فتتوزعُ على السطرِ الأوَّلِ ثلاثُ صورٍ إيقاعيةٍ مُنزاحةٍ وتتوزعُ على السطرِ الثالثِ ثلاثُ صورٍ إيقاعيةٍ أخرى مُنزاحةٍ، ويشدُّ عن هذه القاعدةِ السطرُ الثاني الذي يحتوي على خمسِ صورٍ إيقاعيةٍ، وقد شدَّ إيقاعيا هذا السطرُ من حيثِ الصورِ الإيقاعيةِ كما وكيفا لتنوعِ الخطابِ بينَ ضميرِ المخاطبِ المُفردِ (أنت) في الحديثِ إلى جيلِ الصّحوةِ في السطرينِ الأوَّلِ والثالثِ وضميرِ الغائبِ الجمعِ (هم) في الحديثِ عن أحبارِ اليهودِ، ولأهميّةِ الخبرِ الذي تنقله الجملتانِ الاسميّتانِ في هذا السطرِ المُعبرتانِ عن التّحذيرِ من خطرِ اليهودِ، (3):

أنتَ الَّذِي يفتاتُ جمرَ المرحلهِ / مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلن

ها إنَّ أحبارَ اليهودِ تجمَعوا..ها إنهم حشدوا لنا / مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلن

..فاقرأ على تلكِ الرؤوسِ ((الزلزله)).. / مُتفاعِلن- مُتفاعِلن- مُتفاعِلن

وتتنوعُ الصورُ الإيقاعيةُ في المقطعِ الشعريِّ الخامسِ بينَ معياريةٍ ومُنزاحةٍ وهي الأكثرُ تواترا بشتى أشكالها، ويأتي التّدويرُ في أكثرَ من سطرٍ، حيثُ يقعُ في السطرِ الثالثِ الذي ينتهي بصورةٍ إيقاعيةٍ مُنزاحةٍ ناقصةٍ

(1) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 1996، ص: 130.

(2) محمود مفلح: إنها الصحوة، ص: 38.

(3) المصدر نفسه، ص: 38.

(مُتْ=0//) تَكْتَمِلُ بِالْجُزْءِ (فَاعِلُنْ=0//0) الْوَارِدِ فِي بَدَايَةِ السَّطْرِ الرَّابِعِ، وَيَقَعُ فِي السَّطْرِ الْخَامِسِ بَصُورَةً إِيقَاعِيَّةً نَاقِصَةً (مُتْ) وَتَمَامُهَا بِالْجُزْءِ (فَاعِلُنْ=0//0) فِي السَّطْرِ السَّادِسِ، وَيَقَعُ فِي نِهَائَاتِ السَّطْرِ السَّابِعِ وَالثَّامِنِ وَالثَّامِنِ. وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ التَّدْوِيرَ يَقْطَعُ اسْتِمْرَارَ الْإِيْقَاعِ بِهَذَا التَّوَقُّفِ الْمَفَاجِئِ الْمُرْبِكِ الَّذِي يَزُولُ بِالانتِقَالِ السَّرِيعِ إِلَى السَّطْرِ التَّالِيِ وَصَلًّا لِمَسَارِ الْإِيْقَاعِ الْمُتَقَطِّعِ وَالْمَعْنَى النَّاقِصِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَقْرَأُ عَلَيْنَا بِاسْمِ رَبِّكَ مَا تَيْسَّرُ يَا بِلَالُ / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانُ  
 . الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانُ  
 وَنَحْنُ فِي وَقْدِ الظَّهِيرَةِ / مَفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ  
 .. كَمْ نَتَوَقُّ إِلَى الظُّلَالِ / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانُ  
 أَقْرَأُ عَلَيْنَا ((المُؤْمِنُونَ)) وَشَدَّ قَوْسَكَ .. / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ  
 .. إِنَّ قَوْسَكَ لَا تَطِيشُ بِهَا النَّبَالَ / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانُ  
 كَمْ ذَا سَأَلْتَ فَلَمْ يُجِيبُوا / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ  
 .. كَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يُجِيبُوا / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ  
 أَنْتَ وَحَدِّكَ مَنْ يُجِيبُ عَنِ السُّؤَالِ... / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانُ

وَتُلغِي الصُّورُ الْإِيْقَاعِيَّةُ الْمُتَزَاخَةَ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ السَّادِسِ الْوَقْفَاتِ الْمَفْرُوضَةَ فِي نِهَائَةِ السَّطْرِ الثَّانِيِ وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَتَوْجُّلَهَا إِلَى السَّطْرِ الْخَامِسِ حَيْثُ يَكْتَمِلُ الْمَعْنَى وَيَسْتَنْفِدُ الشُّعُورُ طَاقَتَهُ، فَتَتَابَعُ السُّطُورُ وَيَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَيَسْتَعِينُ الشَّاعِرُ بِوَقْفَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ السَّطْرُ الْخَامِسُ بِوَقْفَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ وَشُعُورِيَّةٍ وَأَضِحَةٍ. وَيُسَهِّمُ التَّكْرَارُ وَغِيَابُ أَدَوَاتِ الرِّبْطِ بَيْنَ بُنَى التَّرَاكِيِبِ الْاسْمِيَّةِ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ فِي تَوَاصُلِ الْإِيْقَاعِ وَتَدْفِيقِهِ<sup>(2)</sup>:

يَا أَيُّهَا الْجَلِيلُ الْجَدِيدُ.. وَيَا سَلِيلَ الطُّهْرِ... يَا بَرْدَ الْيَقِينِ / مُتَّفَاعِلُنْ - مَفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانُ  
 كُنْ بِاسْمِ رَبِّكَ قَلْعَةً لِلْخَائِفِينَ.. وَمَنْهَلًا لِلظَّالِمِينَ / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ  
 .. وَكُنْ رَصَاصًا.. كُنْ قِصَاصًا.. / تَفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ  
 .. كُنْ جُدُورًا.. كُنْ طُبُورًا / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ

كُنْ كَمَا شَاءَتْ لَكَ ((الأَعْرَافُ)) فِي الزَّمَنِ الْعَجِينِ / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانُ  
 وَلَا تَنْدَرِجُ الصُّورُ الْإِيْقَاعِيَّةُ الْمُتَزَاخَةَ فِي النَّسَقِ الْإِيْقَاعِيِّ لِلْكَامِلِ فِي تَشْكِيلَةِ إِيقَاعِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَالتَّشْكِيلَةُ الْإِيْقَاعِيَّةُ هِيَ "الصُّورُ الْفَرَعِيَّةُ الَّتِي يَتَنَاوَلُهَا الْعَرُوضِيُّونَ بِاعْتِبَارِهَا أَنْوَعًا مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالضُّرُوبِ".<sup>(3)</sup>

(1) المصدر السابق نفسه، الصَّفحة نفسها.

(2) المصدر السابق نفسه، ص: 39.

(3) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 88.

فـ(الكامل) يمتلك تسعة صورٍ أو أضربٍ موزعةٍ مع أعاريضه في حالة التمام<sup>(1)</sup>، فالصورة الأولى والثانية والثالثة تكون فيها العروض صحيحة ويكون الضرب صحيحاً (متفاعلاً) ومقطوعاً (متفاعلاً).<sup>(\*)</sup> وأحد مضمراً (متفاعلاً).<sup>(\*)</sup> والصورة الرابعة والخامسة تكون العروض حذاء ويكون الضرب أحد (متفاعلاً) وأحد مضمراً (متفاعلاً).

وفي حالة الجزء، فالصورة السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة تكون العروض صحيحة ويكون الضرب صحيحاً (متفاعلاً)، ومقطوعاً (متفاعلاً) ومذليلاً (متفاعلاً)،<sup>(\*)</sup> ومرفلاً (متفاعلاً).<sup>(\*)</sup>

وفي القصيدة العمودية لا تسمح القاعدة العروضية بالجمع بين ضربين مختلفين.<sup>(6)</sup> بينما تنزاح القصيدة الحرة عن هذه القاعدة فتتوزع ضرباتها، وتتنوع في تشكيلاتها الإيقاعية، وقد وظفت قصيدة (جيل الصحوة) أكثر من تشكيلات إيقاعية طلباً للتنوع في الإيقاع وتجنباً للرتابة التي تلاحظ في القصيدة التي تلتزم تشكيلات إيقاعية واحدة لا تخرج عنها في كل أبياتها تحقيقاً للتجانس والانسجام والتآلف.

تجتمع في القصيدة، إذا، ثلاثة أضرب مختلفة من أضرب نسق (الكامل) - والتفعيلة الأخيرة في السطر هي العروض والضرب معاً<sup>(7)</sup> - وبذلك تتحقق ثلاث تشكيلات إيقاعية من التشكيلات التسعة في نسق (الكامل)، وهي:

- التشكيلات الأولى وضربها (متفاعلاً).

- التشكيلات الثانية وضربها (متفاعلاً).

- التشكيلات الثالثة وضربها (متفاعلاً).

وتتجلى هذه التشكيلات الإيقاعية في هذا المقطع الشعري من القصيدة، يقول الشاعر<sup>(8)</sup>:

يا أيها الجيل الجديد / متفاعلاً

وقفت مندهشاً على عتبات خطوتك الجديدة / متفاعلاً

.. وقرأت نبضك وانطلقت بلا عنان / متفاعلاً

من سورة ((الإسراء)) جئت.. ومن نقاء الفجر / متفاعلاً

.. والسبع المثاني. / لن - متفاعلاً

ورأيت من خلف الدخان وجوههم / متفاعلاً

.. وبلوت عربرة الدخان / متفاعلاً

(1) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 42 وما بعدها.

(\*) القطع حذف السابغ الساكن وإسكان ما قبله فتصير (متفاعلاً) إلى (متفاعلاً).

(\*) الحذف الودد المجموع فتصير (متفاعلاً) إلى (متفاعلاً) ومع الإضمار تصير (متفاعلاً).

(\*) التذييل زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع فتصير (متفاعلاً) إلى (متفاعلاً).

(\*) الترفيل زيادة سبب خفيف فتصير (متفاعلاً) إلى (متفاعلاً).

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: ظواهر نحوية في الشعر الحر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 40.

(3) المرجع نفسه، ص: 40.

(4) محمود مفلح: إنها الصحوة، ص: 39.

وَحَمَلَتْ جُرْحَكَ وَالْهَجِيرَ / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُ  
 حَمَلَتْ جُرْحَكَ وَالْعَبِيرَ / تَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُ  
 فَمَا الَّذِي حَمَلْتَهُ أَعْرَبَةُ الزَّمَانِ؟! / تَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَانْ

والملاحظ أن هذه التشكيلات الثلاثة تتوافق مع تشكيلات النسق المجزوء في الكامل، وهي التشكيلات السادسة والثامنة والتاسعة.

إن تنوع التشكيلات الإيقاعية في بنية القصيدة الحرة يمنح الشاعر حرية كافية في تشكيل إيقاع تجربته الشعرية بما يخدم دلالاته، ولا تختلف وظيفة التشكيلات الإيقاعية - صور العروض والضرب - في النسق الإيقاعي في القصيدة الإسلامية الحرة عن الوظيفة التي تقوم به الأنساق الإيقاعية المتعددة في القصيدة ذاتها.

**1-2- النسق الإيقاعي المتعدد في القصيدة:**

وهي ظاهرة تتعلق بالصنف الثاني من قصائد المتن الشعري الإسلامي الذي يتعدد فيه النسق الإيقاعي في القصيدة، فيتداخل أكثر من نسق إيقاعي في بنية الإيقاع الخارجي للقصيدة، ويعد (التداخل) أو (المزج) أو التعدد في الأنساق الإيقاعية من الظواهر الإيقاعية في بنية الشعر العربي الحديث والمعاصر قبل أن تتحول إلى لازمة من لوازم التجديد في الشكل الإيقاعي مع حركة الشعر الحر، فقد زواج حسن كامل الصيرفي في القصيدة العمودية بين نسقي (المديد) و(الخفيف) حيث تنتظم صدور الأبيات على نسق (المديد) وتنتظم أعجازها على نسق (الخفيف)، ويكون الانتقال من نسق إيقاعي إلى آخر داخل البيت ذاته. (1) وزواج سعيد عقل في القصيدة الحرة بين نسقي (الرجز) و(المتقارب)، فيبدأ بأسطر من نسق ثم ينتقل في الأسطر التي تلي إلى نسق آخر. (2) وقد جرب بدر شاكر السياب (1926م-1964م) - علاوة على المزج بين التمتين العموديين والحر - تعدد الأنساق الإيقاعية في القصيدة الواحدة في عدد غير قليل من قصائده بلغ أربع عشرة (14) قصيدة، (3) فقد مزج في قصيدة (جيكور والمدينة) بين نسقي (المتقارب) و(الرجز)، ومزج في قصيدة (رؤيا) في عام 1956 بين (الرمل) و(الرجز) و(المتدارك)، ومزج في قصيدة (مدينة السندباد) بين (الرجز) و(المتقارب)، ومزج في قصيدة (في المغرب العربي) بين (الوافر) و(الرجز)، ومزج في قصيدة (العودة لجيكور) بين (السريع) و(البسيط). (4) وتندرج هذه الظاهرة الإيقاعية ضمن التجريب الإيقاعي والموسيقى الذي يمارسه الشاعر العربي المعاصر بحثاً عن أشكال تنغيمية جديدة، وليس في مقدور أي ناقد أن يمنع الشاعر من التجريب، ولكن التجريب الناجح يتبعه تقليد وشيوع أما التجريب الشاذ فلا

(1) محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط: 3، 1984، ص: 396.

(2) المرجع نفسه، ص: 397.

(3) صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، ص: 65.

(4) حسن ناظم: البنى الأسلوبية، دراسة في (أنشودة المطر) للسياب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط: 1، 2002، ص: 88.

يُخْلَفُ غَيْرَ الْمُهْجَرِ وَالْقَطِيعَةِ، وَالشَّاعِرِ الْمَعَاوِرِ كَأَيِّ شَاعِرٍ سَبَقَ، يَمْلِكُ مِنْ حُرِّيَةِ الْكَشْفِ وَالْإِرْتِيَادِ مِثْلَ مَا امْتَلَكَ سَابِقُوهُ، وَلَكِنْ لَا يَبْقَى غَيْرَ مَا يَنْفَعُ وَيُضِيفُ". (1)

وَيُشَكِّلُ تَعَدُّدُ الْأَنْسَاقِ الْإِقَاعِيَّةِ تَجْرِبِيًّا إِقَاعِيًّا يَتَوَخَّى تَطْوِيرًا فِي بِنْيَةِ الْإِقَاعِ، تَطْوِيرًا يَتِمَّاشِي وَمُضَامِينِ الْقَصِيدَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ وَالتَّوَثُّرَاتِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يُعَالِجُهَا الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ تَنْوِيعِ الْإِقَاعِ. وَإِذَا كَانَتْ الْمُرَاجَعَةُ الْإِقَاعِيَّةُ إِحْدَى سِمَاتِ الْمَتْنِ الشُّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ فَإِنَّهَا أَكْثَرُ حُضُورًا فِي الْقَصَائِدِ الْحُرَّةِ، وَيَتَمَيَّزُ مَتْنُ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ الرَّبَاوِيِّ بِهَذِهِ السِّمَةِ الْإِقَاعِيَّةِ الْفَارِقَةِ، فَهِيَ تَجَلَّى فِي أَكْثَرِ مِنْ قَصِيدَةٍ وَفِي أَكْثَرِ مِنْ دِيْوَانٍ (\*)؛ فَفِي دِيْوَانِهِ الْأَحْجَارِ الْفَوَارَةِ يَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ إِقَاعِيَّةٍ، هِيَ (الْمُتَقَارِبُ) وَ(الْمُتَدَارِكُ) وَ(الرَّجْزُ) فِي قَصِيدَةِ (العَاشِقِ الْمِلْحَاحِ)، (2) وَيَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ إِقَاعِيَّةٍ، هِيَ (الْمُتَقَارِبُ) وَ(الْمُتَدَارِكُ) وَ(الرَّمْلُ) فِي قَصِيدَةِ (أَجْلِي حَبْك) (3). وَفِي دِيْوَانِهِ (أَوَّلِ الْغَيْثِ) يَجْمَعُ بَيْنَ نَسَقَيْنِ إِقَاعِيَيْنِ، هُمَا (الْمُتَقَارِبُ) وَ(الْمُتَدَارِكُ) فِي قَصِيدَةِ (مَنْطِقِ الْوَرْدِ) (4)، وَيَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ إِقَاعِيَّةٍ، هِيَ (الْمُتَدَارِكُ) وَ(الرَّمْلُ) وَ(الْكَامِلُ) فِي قَصِيدَةِ (مَعْرِبْنَا وَطَنْنَا) (5)، وَيَجْمَعُ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْسَاقٍ إِقَاعِيَّةٍ، هِيَ (الْكَامِلُ) وَ(الرَّمْلُ) وَ(الْمُتَقَارِبُ) وَ(الطَّوِيلُ) فِي قَصِيدَةِ (الدَّارِ الْبَيْضَاءِ) (6)، وَيَجْمَعُ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْسَاقٍ إِقَاعِيَّةٍ، هِيَ (الْمُتَقَارِبُ) وَ(الْمُتَدَارِكُ) وَ(الرَّجْزُ) وَ(الْوَافِرُ) فِي قَصِيدَةِ (كَأْسٍ مِنْ رَمَادِ) (7)، وَيَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ إِقَاعِيَّةٍ، هِيَ (الرَّجْزُ) وَ(الْمُتَدَارِكُ) وَ(الطَّوِيلُ) فِي قَصِيدَةِ (إِغَاثَةِ الْأُمَّةِ بِكَشْفِ الْعُمَّةِ). (8)

وَمِمَّا يُلَاخِظُ عَلَى تَوْظِيفِ الْأَنْسَاقِ الْإِقَاعِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحُرَّةِ، كَمَا يَتَّضِحُ فِي نَمُودَجِ الرَّبَاوِيِّ، حُضُورُ نَسَقِ (الْمُتَدَارِكِ) (\*) - فِي شَكْلِ (الْحَبِّ) - بِكَثَافَةٍ فِي التَّأْلِيفَاتِ الْإِقَاعِيَّةِ، وَحُضُورُ الْأَنْسَاقِ الصَّافِيَّةِ وَالْمَمْزُوجَةِ كَنَسَقِ (الطَّوِيلِ) (\*). وَالتَّدَاخُلُ بَيْنَ التَّمَطِّينِ الْعَمُودِيِّ وَالْحُرِّ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ كَقَصِيدَةِ (مَعْرِبْنَا وَطَنْنَا) وَقَصِيدَةِ (الدَّارِ الْبَيْضَاءِ) وَقَصِيدَةِ (إِغَاثَةِ الْأُمَّةِ) وَقَصِيدَةِ (مَدَدٍ مِنْ مِشْكَاةِ الْغَيْبِ) مِنْ دِيْوَانِ (أَوَّلِ الْغَيْثِ).

(1) مصطفى السَّعْدِي: التَّجْرِيْبُ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوِرِ "بَيْنَ التَّجْرِيْبِ وَالْمَغَامِرَةِ"، مَنَشَأَةُ الْمَعَارِفِ، الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، (د، ت)، ص: 125. (\*) يَشْتَمِلُ دِيْوَانُهُ (أَوَّلِ الْغَيْثِ) عَلَى سِتِّ قِصَائِدٍ كُلُّهَا مُتَعَدِّدَةُ الْأَنْسَاقِ، وَيَشْتَمِلُ دِيْوَانُهُ (الْأَحْجَارِ الْفَوَارَةِ) عَلَى عَشْرِ قِصَائِدٍ اثْنَتَانِ مِنْهَا مُتَعَدِّدَةُ الْأَنْسَاقِ.

(2) مُحَمَّدُ عَلِيُّ الرَّبَاوِيِّ: الْأَحْجَارِ الْفَوَارَةِ، مَنَشُورَاتُ الْمَشْكَاةِ، وَجِدَةُ الْمَغْرِبِ، ط: 1، 1991، ص: 31.

(3) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص: 69.

(4) مُحَمَّدُ عَلِيُّ الرَّبَاوِيِّ: أَوَّلُ الْغَيْثِ، ص: 7.

(5) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص: 10.

(6) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص: 16.

(7) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص: 19.

(8) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص: 26.

(\*) وَرَدَ نَسَقُ (الْمُتَدَارِكِ) فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْ حَيْثُ شَبَّوعُ الْأَنْسَاقِ الْإِقَاعِيَّةِ فِي مَتْنِ الرَّبَاوِيِّ، فَبَلَّغَ تَوَاتُرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَمِثْلُ نِسْبَةِ (42.85%).

(\*) وَرَدَ نَسَقُ (الطَّوِيلِ) فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ حَيْثُ شَبَّوعُهُ، وَبَلَّغَ تَوَاتُرُهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَمِثْلُ نِسْبَةِ (11.42%).

وَيَتَّخِذُ الْمَرْجُ أَوْ التَّدَاخُلُ بَيْنَ الْأَنْسَاقِ الْإِيقَاعِيَّةِ فِي بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ طَرِيقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا التَّحْوُلُ مِنْ صُورَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ مِنْ نَسَقٍ مُعَيَّنٍ إِلَى صُورَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ مِنْ نَسَقٍ آخَرَ، كَالْتَّحْوُلِ مِنْ صُورَةٍ (فَعُولُنْ) مِنْ نَسَقِ (الْمُتَقَارِبِ) إِلَى صُورَةٍ (فَاعِلُنْ) مِنْ نَسَقِ (الْمُتَدَارِكِ)، وَيَجْرِي كُلُّ ذَلِكَ التَّحْوُلِ أَوْ الْإِنْتِقَالِ مِنْ مَقْطَعٍ مِنْ مَقَاطِعِ الْقَصِيدَةِ إِلَى مَقْطَعٍ مُمَاطِلٍ. وَالطَّرِيقَةُ الثَّانِيَةُ يَجْرِي التَّحْوُلُ مِنْ نَسَقٍ إِلَى آخَرَ مِنْ خِلَالِ التَّحْوُلِ مِنْ نَسَقٍ عَمُودِيٍّ وَإِلَى نَسَقٍ حُرٍّ؛ أَيْ يَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الْعَمُودِيُّ عَلَى نَسَقٍ إِيقَاعِيٍّ وَيَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الْحُرُّ عَلَى نَسَقٍ إِيقَاعِيٍّ آخَرَ كَانَتْظَامِ الْمَقْطَعِ الْعَمُودِيِّ عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ) وَانْتِظَامِ الْمَقْطَعِ الْحُرِّ عَلَى نَسَقِ (الرَّمَلِ)، وَتَبْمُ كُلُّ هَذِهِ التَّحْوُلَاتِ الْإِيقَاعِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ.

يَتَنَوَّعُ الْإِيقَاعُ فِي الْقَصِيدَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَنْسَاقِ بَعْدُدِ الْأَنْسَاقِ الْمُدْمَجَةِ فِي بَنِيَّتِهَا وَطَبِيعَةِ تَرْكِيبِهَا صَافِيَةً أَوْ مَمْرُوحَةً وَطَبِيعَةِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهَا مُتَأَلِّفَةً أَوْ مُتَخَالِفَةً مِنْ حَيْثُ الدَّوَائِرُ الْعَرُوضِيَّةُ الْمُتَمَيِّزَةُ إِلَيْهَا، وَتَنَوَّعُ طُرُقِ إِدْمَاجِ الْأَنْسَاقِ فِي أَنْمَاطِ عَمُودِيَّةٍ أَوْ حُرَّةٍ، وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ تَتَكَوَّنُ أَشْكَالُ الْقَصِيدَةِ، فَهِيَ تَأْتِي ذَاتَ نَسَقٍ إِيقَاعِيٍّ ثُنَائِيٍّ أَوْ نَسَقٍ إِيقَاعِيٍّ ثَلَاثِيٍّ أَوْ نَسَقٍ إِيقَاعِيٍّ رُبَاعِيٍّ، وَفِي ضَوْءِ هَذَا التَّشْكِيلِ الْإِيقَاعِيٍّ تُقَارَبُ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ.

### 1-2-1- النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ الثَّنَائِيُّ:

تُمَثِّلُ الْقَصِيدَةُ الْمُنتَظِمَةُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ بَنِيَّةً ثُنَائِيَّةً الْإِيقَاعِ، فَالْنَسَقُ الْإِيقَاعِيُّ فِيهَا مَحْمُوعٌ نَسَقَيْنِ إِيقَاعِيَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وَقَدْ تَجَسَّدَ النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ الثَّنَائِيُّ مِنْ خِلَالِ النَّسَقِ (الْمُتَقَارِبِ/الْمُتَدَارِكِ) الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِأَنْسَجَمِهِ وَتَأَلُّفِهِ، فَالْنَسَقَانِ فِيهِ صَافِيَانِ - أَوَّلُهُمَا قَائِمٌ عَلَى تَكَرُّرِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ (فَعُولُنْ)، وَثَانِيَهُمَا قَائِمٌ عَلَى تَكَرُّرِ عَلَى تَكَرُّرِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ (فَاعِلُنْ) - مُتَمَيِّانِ إِلَى دَائِرَةِ الْمُتَّفَقِ مِمَّا يَجْعَلُ التَّحْوُلَ مِنْ نَسَقِ (الْمُتَقَارِبِ) إِلَى (الْمُتَدَارِكِ) يَسِيرًا غَيْرَ مُضْطَرِّبِ التَّعْمَةِ وَغَيْرِ مُتَقَطِّعِ الْمَجْرَى خَاصَّةً إِذَا أَسْعَفَهُ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ، فَالنَّسَقُ (الْمُتَدَارِكِ) "مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ الْقَصِيدَةَ مُدَوَّرَةً مِثْلَهُ كَمَثَلِ الْمُتَقَارِبِ كَمَا نَوَهْنَا أَنْفًا مُحَقَّقًا بِذَلِكَ التَّدْفِيقَ التَّعْبِيرِيَّ وَالْإِنْثِيَالَ الشُّعُورِيَّ مِمَّا يَفِي بِأَغْرَاضِ الْقَصِيدِ الدِّرَامِيِّ، إِذْ يَجْعَلُهُ شَبِيهَاً بِالتَّأْلِيفِ السِّمْفُونِيِّ الْمُتَّبَاعِ التَّعْمِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ دُونَ تَوْقُفٍ". (1)

وَيُرِدُ النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ الثَّنَائِيُّ فِي قَصِيدَةِ (مَنْطِقِ الْوَرْدِ) (2)، فَفِي بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ تَتَبَادَلُ الصُّورَتَانِ الْإِيقَاعِيَّتَانِ (فَعُولُنْ) وَ(فَاعِلُنْ) الْمَوَاقِعَ خِلَالَ الْمَقَاطِعِ، فَيَبْدَأُ الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ بِنَسَقِ (الْمُتَقَارِبِ)، وَيَقُومُ (التَّدْوِيرُ) بِرَبْطِ السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ فِي جُمْلٍ شَعْرِيَّةٍ طَوِيلَةٍ يَخْتَفِي مَعَهَا أَيُّ أَثَرٍ لِلنَّسَقِ التَّقْفُويِّ (3):

هُوَ الْبَحْرُ يَمْتَدُّ فِي نَخْلٍ ذَاتِي، وَيَرَسُمُ فِيهَا شَوَاطِئُ  
لَا تَنْتَهِي. أَيْنَ فِي هَذِهِ الْبَيْدِ خَيْلِي، لَعَلَّ سَنَابِكَهَا تَضْرِبُ

(1) حسن فتح الباب: (الإيقاع المتوتر على قيثارة الاغتراب والحنين في ديوان "الأعشاب البرية") مجلة المشكاة، المغرب، مج: 8، ع: 29، 1998/1419، ص: 75.

(2) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 7.

(3) المصدر نفسه، ص: 7.

الْبَحْرَ، ثُمَّ تَشُقُّ مَدَارِحَ هَدْيِ الْمِيَاهِ الَّتِي بَلَغَتْ جَسَدِي  
 الْمَهَالِكِ. كَيْفَ الْخُرُوجُ مِنَ الشَّطِّ، وَالْمَاءُ غَطَّى جِبَالِي،  
 وَأَعْطَى عَضَاهُ الشَّجَى حَقًّا أَنْ يَتَرَبَّعَ، مِثْلَ الطَّبَّاءِ، عَلَى  
 عَرْشِ ذَاتِي. هُوَ الْبَحْرُ يَمْتَدُّ فِي نَحْلِهَا، وَالرِّيَّاحُ تَهْبُّ مِنْ  
 الْعَرْبِ. هَلْ يَطْلُعُ الثَّوْرُ مِنْ غَايَةِ لَمْ يَمُرْ بِهَا الْعَيْثُ، لَمْ  
 تَحْتَرِقْ بِرُضَابِ غَزَالَةِ هَذَا الصَّبَاحِ؟ فَأَيْنَ اخْتَفَى وَجْهُ  
 هَذَا الْغَزَالَةِ؟ أَيْنَ اخْتَفَى وَجْهُ هَذَا الْغَزَالَةِ؟

وَيَبْدَأُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيَّ الثَّانِي بِنَسَقِ (الْمُتَدَارِكِ) (1):

أَه يَا بُلْبُلًا يَمُخَّرُ الْجَمْرَ وَالْقَفْرَ، أَنْتَ خَبِرْتَ  
 الطَّرِيقَ. فَخُذْنِي إِلَى وَرْدَةٍ فِي الصَّمِيعِ، الطَّرِيقُ إِلَيْهَا طَوِيلٌ  
 فَإِنْ أَغْرَقَ الْقَفْرُ فُلْكَ، وَشَاهَدْتَ فِي الصَّوْءِ نَحْلِي  
 وَأَيْكِي، فُرْشٌ عَلَاتِلَهَا بِلَهَيْبِ دَمِي. هُوَ مَشْرُبُهَا وَهِيَ آكِلُ  
 قَلْبِي مُحْصَبُهَا. وَسَتَائِرُ نَفْسِي السَّجِينَةِ مَنْحَرُهَا. رُشَّهَا  
 بِدَمِي الْمَرَّ رَشًّا، عَسَاهَا تُطَوِّفُنِي بِسَحَابَةٍ رَحْمَتِهَا وَرِضَاهَا.  
 عَسَاهَا تُطَوِّفُنِي ثُمَّ تَلْبَسُنِي وَتُدْنُرُ ذَاتِي بِأَزْهِى غِلَالِهِ.

تَقُومُ بِنَيْةِ الْإِيقَاعِ فِي الْقَصِيدَةِ عَلَى تَعَالُقِ وَتَجَاوُرِ الصُّورَتَيْنِ الْإِيقَاعِيَّتَيْنِ (فَعُولُنْ=0//0) وَ(فَاعِلُنْ=0//0)،  
 الْمُتَقَارِبَتَيْنِ فِي التَّكْوِينِ، فَعُنْصُرَا الصُّورَةِ السَّبَبِ الْخَفِيفِ (0/) وَالْوَتْدُ الْجَمُوعِ (0//)، وَالْفَرْقُ فِي مَوْجِعِ الْعُنْصُرَيْنِ فِي  
 الصُّورَةِ، يَتَأَخَّرُ السَّبَبُ الْخَفِيفُ فِي الْأُولَى وَيَتَقَدَّمُ فِي الثَّانِيَةِ فِي مُنَاوَبَةٍ تَطْبَعُ الْقَصِيدَةَ بِإِيقَاعِ أَنْسِيَابِيٍّ شَدِيدِ الْخَفَّةِ  
 خَاصَّةً حِينَ تَنْخَلِّصُ الصُّورَةَ الْإِيقَاعِيَّةُ (فَاعِلُنْ) مِنَ الثَّقَلِ الَّذِي يُسَبِّبُهُ الْوَتْدُ الْجَمُوعُ بَعْدَ السَّبَبِ الْخَفِيفِ، فَتَسْتَحْوَلُ  
 أَوْ تَنْزَاحُ إِلَى صُورَةٍ (فَعُلُنْ) الَّتِي تُنْتِجُ إِيقَاعًا مُتَوَثِّبًا يَنْسَحِمُ مَعَ دَلَالَةِ الْقَصِيدَةِ وَحَرَكَةِ الشَّعُورِ فِيهَا، فَهَذَا الْإِيقَاعُ  
 يَسِيرُ بِالْمُؤَاوَاةِ مَعَ حَرَكَةِ عَاصِرِ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ (الْفُلْكَ، النَّخْلُ، الدَّمُ، الطَّبَّاءُ، الرِّيحُ، الْغَزَالَةُ...)، إِنَّ الْإِيقَاعَ هَهُنَا  
 يَأْتِي مُتَجَاوِبًا مَعَ الرُّوحِ فِي سَعْيِهَا إِلَى الْكَمَالِ وَمُعَانَقَةِ الْمَطْلَقِ فِي سِيَاقِ صُوفِيٍّ شَفَافٍ.

وَقَدْ حَظِيَ النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ الثَّنَائِيُّ (الْمُتَقَارِبُ + الْمُتَدَارِكُ) بِأَهَمِّيَّةٍ خَاصَّةٍ لِخُصُوصِيَّتِهِ الْإِيقَاعِيَّةِ، فَهُوَ ظَاهِرَةٌ فِي  
 مُوسِيقَى الشَّعْرِ الْحُرِّ، وَقَدْ يَرْجِعُ ذَلِكَ الْخَلْطُ وَالْمَزْجُ إِلَى التَّشَابُهِ التَّكْوِينِيِّ بَيْنَ التَّفْعِيلَتَيْنِ، فَتَفْعِيلَةُ الْمُتَدَارِكِ  
 ((فَاعِلُنْ)) تَتَكَوَّنُ مِنْ سَبَبٍ خَفِيفٍ ((فَا))، وَوَتْدٍ مَجْمُوعٍ ((عِلُنْ))، وَتَفْعِيلَةُ بَحْرِ الْمُتَقَارِبِ ((فَعُولُنْ)) تَتَكَوَّنُ مِنْ وَتْدٍ  
 مَجْمُوعٍ ((فَعُو)) وَسَبَبٍ خَفِيفٍ ((لُنْ))، وَأَحْيَانًا يَحْدُثُ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ سَطْرِ شَعْرِيٍّ إِلَى سَطْرِ شَعْرِيٍّ آخَرَ أَنْ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 8.

يُحذف الوتد المجموع من آخر ((فاعل))، ويبدأ السطر الثاني بوَ تَدِ مجموع تكملة للسطر السابق، ثم يذكُر الشاعرُ سبباً خفيفاً- بداية للتفعيلة الثانية- فيتكوّن من الوتد المجموع والسبب الخفيف تفعيلة جديدة هي ((فعلون))، ويستمر الشاعرُ في هذا الإيقاع. ولذلك هناك بعض القصائد يُمكن قراءتها مرتين: مرة على وزن ((فاعل))، ومرة أخرى على وزن ((فعلون)) بعد بداية القصيدة بسطرٍ واحدٍ أو عدّة أسطرٍ. (1)

### 1-2-2- النسق الإيقاعي الثلاثي:

تُمثل القصيدة المنتظمة على هذا الشكل بنية ثلاثية الإيقاع، فالنسق الإيقاعي فيها مجموع ثلاثة أنساق إيقاعية مختلفة، وقد تحسّد النسق الإيقاعي الثلاثي من خلال النسق (المتقارب+المتدارك+الرجز)، وتلتقي في النسق الثلاثي ثلاث صور إيقاعية (فعلون+فاعل+مستفعلن)، وإذا كانت وظيفة النسق الإيقاعي الثلاثي تنويع الإيقاع وإثراء الموسيقى في القصيدة تجاوزاً لرتابة النسق المتكرر. ويردّ النسق الإيقاعي الثلاثي في قصيدة (العاشق الملحاح) (2) التي تتكوّن من تداخل ثلاثة أنساق بانتظام، وتتبادل الصور الإيقاعية الثلاثة (فعلون+فاعل+مستفعلن) المواقع في بنية القصيدة متفاعلة مع سياقها الدلالي والشعوري.

وتندرج الأنساق الإيقاعية الثلاثة في دائرتين مختلفتين؛ فنسقا (المتقارب) و(المتدارك) من دائرة (المتفق) ونسق (الرجز) من دائرة (المشتبه). ولا يُؤدّي اختلاف الدائرتين وتعدّد الصور الإيقاعية المختلفة إلى اضطراب الإيقاع وفقد الانسجام في القصيدة، فالواقع أننا حين نتحدّث عن أنساق إيقاعية غير منسجمة فإننا في الحقيقة نطلق من هذه الأنساق باعتبارها أنساقاً نظرية ذهنية. لكن في حالة الإنجاز فإن الأمر يختلف؛ لأن عناصر أخرى كالأصوات اللغوية وكالإنشاد (...) تتدخل فتقرب بين الأنساق وتجعلها منسجمة. (3) وبالإضافة إلى أن الأنساق الإيقاعية تُحقّق انسجامها داخل سياق التجربة الشعرية وبالتفاعل مع عناصر الإيقاع الأخرى فإن النسق الإيقاعي الثلاثي يأخذ في القصيدة شكلاً منتظماً إذ يوزع بانتظام أنساقه الجزئية على مقاطع القصيدة، فنسق (المتقارب) يحدّد إيقاع المقطع الآتي الذي يُشير فيه الخطاب إلى شخص شعري أنثوي غير مُحدّد أو إلى حقيقة من طبيعة أخرى (4):

ثُرِيدِينِ (...)

يُؤْلَمْنِي أَنْ تَظَلِّي هُنَا

عَلَمًا لَيْسَ يَلْتَفُّ مِنْ حَوْلِهِ الْجُنْدُ.

(1) صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر العربي، ص: 228.

(2) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوّارة، ص: 32.

(3) محمد علي الرباوي: (أوراق مهربة من زمن الحصار-دراسة تحليلية-)، مجلة المشكاة، المغرب، ص: 26.

(4) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوّارة، ص: 31.

يُؤْلَمِنِي أَنْ تَظَلِّي هُنَا

فِي السَّمَاءِ

قَمْرًا يَتَلَأَلُ نُورًا،

وَلَيْسَ يُشَارِكُهُ فِي السَّمَاءِ

حُزْنُهُ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَيُحَدِّدُ نَسَقَ (الْمُتَدَارِكِ) الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ الْآتِي الَّذِي يَتَوَجَّهُ فِيهِ الشَّاعِرُ بِالْحِطَابِ إِلَى (حَبِيبِهِ) مُشِيرًا إِلَى حَالِهِ

وَحَالِ بَلَدِهِ<sup>(1)</sup>:

مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ رَمَزًا وَإِشَارَةً

مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ حَبِيبِي

فَأَبْعَثَ لِي مِنْكَ إِشَارَةً

مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ حَبِيبِي

هَلْ فِي بَلَدِي

مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ؟

وَيُحَدِّدُ نَسَقَ (الرَّجْحِ) إِيقَاعِ الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ الْآتِي الَّذِي يَتَحَوَّلُ فِيهِ حِطَابُ الشَّاعِرِ إِلَى (صَغِيرَتِهِ) مُحَدِّثًا إِيَّاهَا

عَمَّا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ (مَحْبُوبِهِ)<sup>(2)</sup>:

صَغِيرَتِي...

قَابِيلُ كَانَ جُنَّةً تُزْهِرُ فِي ذَاتِي

وَكَانَ الْعَنْكَبُوتُ.

يَرْتَمِي بَيْنِي

وَبَيْنَ وَجْهِ مَحْبُوبِي.

فَكَيْفَ مِنْ جَنَاحِ الْعَنْكَبُوتِ.

يَا صَغِيرَتِي الْخَلَّاصُ؟

وَالْمَلَّاخِظُ عَلَى النَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ الثَّلَاثِيِّ أَنَّ الصُّورَ الْإِيقَاعِيَّةَ الْمَشْكَلَةَ لِلنَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ الْحُزْنِيِّ تَنْزَاحٌ عَنِ الصُّورَةِ

الْمَعْيَارِيَّةِ، فَفِي نَسَقِ (الْمُتَقَارِبِ) تَنْزَاحُ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ عَنْ (فَعُولُنْ = /0/0/) إِلَى (فَعُولٌ = /0//)، وَفِي نَسَقِ (الْمُتَدَارِكِ) تَنْزَاحُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 36.

(2) المصدر نفسه، ص: 44.

الصُّورُ الإيقاعِيَّةُ عن (فَاعِلِنُ=0//0) إلى (فَعِلُنُ=0///) أو (فَعِلُنُ=0/0)-شكل (الْحَبَبُ)-، وفي نَسَقِ (الرَّجَزِ) تَنْزَاحُ الصُّورُ الإيقاعِيَّةُ عن (مُسْتَفْعِلُنُ=0//0/0) إلى (مُتَفَعِلُنُ=0//0//).

وَيَرِدُ النِّسَقُ الإيقاعِيُّ الثَّلَاثِيُّ فِي قَصِيدَةِ (أَجْلِي حُبِّكَ) (1) الَّذِي يَقُومُ عَلَى تَدَاخُلِ ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ، هِيَ (الْمُتَقَارِبُ وَالْمُتَدَارِكُ وَالرَّمَلُ)، وَيُؤَلَّفُ النِّسَقُ الإيقاعِيُّ الثَّلَاثِيُّ (فَعُولُنُ+فَاعِلِنُ+فَاعِلَانُ) بِنِيَّةِ الإيقاعِ فِي القَصِيدَةِ، وَيُحْدِثُ النِّسَقُ فِيهَا تَنْوِيحًا إيقاعِيًّا دَاخِلِيًّا بِالاحتِفَاطِ بِالنِّسَقَيْنِ الجُزئِيَّيْنِ (الْمُتَقَارِبِ) وَ(الْمُتَدَارِكِ) اللَّذَيْنِ يُشكِّلَانِ نَسَقًا إيقاعِيًّا ثَنَائِيًّا مُتَلَازِمًا فِي القَصَائِدِ المُتَعَدِّدَةِ الأنسَاقِ، وَبِإِضَافَةِ نَسَقِ جُزئِيٍّ ثَالِثٍ؛ هُوَ نَسَقُ (الرَّمَلِ).

وَيَنْشَأُ، بِهَذَا التَّأْلِيفِ، النِّسَقُ الثَّلَاثِيُّ الجَدِيدُ (الْمُتَقَارِبُ+الْمُتَدَارِكُ+الرَّمَلُ) الَّذِي يَنْتَمِي فِيهِ نَسَقًا (الْمُتَقَارِبِ) وَ(الْمُتَدَارِكِ) إِلَى دَائِرَةِ المُتَّفِقِ، وَيَنْتَمِي نَسَقُ (الرَّمَلِ) إِلَى دَائِرَةِ المُشْتَبِهِ. وَحَذَفُ نَسَقِ جُزئِيٍّ وَإِدْرَاجُ نَسَقِ جُزئِيٍّ حَدِيدٍ مَكَانَهُ يَتْرُكُ أَثْرًا عَلَى إيقاعِ القَصِيدَةِ؛ فَبِنِيَّةِ الإيقاعِ فِي قَصِيدَةِ (العَاشِقِ المِلْحَاحِ) نَشَأَتْ مِنَ النِّسَقِ الإيقاعِيِّ العَامِّ (الْمُتَقَارِبِ/الْمُتَدَارِكِ/الرَّجَزِ)؛ أَيُّ مِنَ الصُّورِ الإيقاعِيَّةِ (فَعُولُنُ/0/0//)+ (فَاعِلِنُ/0//0)+ (مُسْتَفْعِلُنُ/0//0/0)، وَتَنْشَأُ فِي قَصِيدَةِ (أَجْلِي حُبِّكَ) مِنَ النِّسَقِ العَامِّ (الْمُتَقَارِبِ/الْمُتَدَارِكِ/الرَّمَلِ)؛ أَيُّ مِنَ (فَعُولُنُ/0/0//)+ (فَاعِلِنُ/0//0)+ (فَاعِلَانُ/0/0//0).

وَبِالمَقَارَنَةِ بَيْنَ النِّسَقَيْنِ الإيقاعِيَّيْنِ فِي القَصِيدَتَيْنِ يَبِينُ أَنَّ مَوْضِعَ التَّحْوُلِ فِي الإيقاعِ يَكْمُنُ فِي النِّسَقِ الجُزئِيِّ الثَّلَاثِ الَّذِي تَتَمَثَّلُ صُورَتُهُ الإيقاعِيَّةُ فِي (مُسْتَفْعِلُنُ=0//0/0) فِي القَصِيدَةِ الأُولَى، وَتَتَمَثَّلُ فِي (فَاعِلَانُ=0/0//0) فِي القَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ، وَتَسَاوَى الصُّورَتَانِ الإيقاعِيَّتَانِ فِي المَدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ، فَكِلَاهُمَا يَتَرَكَّبُ مِنَ سَبْعِينَ حَفِيْفَيْنِ (0-0/0) وَوَتَدٌ مَجْمُوعٌ (0//)، وَكِلَاهُمَا يَخْتَلِفُ فِي تَرْتِيبِ المَكُونَاتِ حَيْثُ يَتَوَسَّطُ الوَتَدُ (0//) فِي الصُّورَةِ (0/0//0)، وَيَتَأَخَّرُ فِي الصُّورَةِ (0//0/0). وَيَتَوَزَّعُ النِّسَقُ الثَّلَاثِيُّ العَامُّ (الْمُتَقَارِبِ/الْمُتَدَارِكِ/الرَّمَلِ) عَلَى مَقَاطِعِ القَصِيدَةِ بِانْتِظَامٍ، فَيُهَيِّمُنُ نَسَقُ جُزئِيٍّ مُعَيَّنٌ عَلَى مَقْطَعِ شِعْرِيٍّ مُعَيَّنٍ مِنْ حِلَالِ صُورِهِ الإيقاعِيَّةِ المَعْيَارِيَّةِ وَالْمُنزَاحَةِ، وَيَخْتَصُّ كُلُّ مَقْطَعٍ بِالنِّسَقِ الَّذِي يُلَاقِيهِ إيقاعًا وَدَلَالَةً وَشُعُورًا، فَتَقُومُ بِنِيَّةِ المَقْطَعِ الشِّعْرِيِّ الآتِي عَلَى نَسَقِ (الْمُتَقَارِبِ)، وَتَتَوَزَّعُ صُورُهُ الإيقاعِيَّةُ عَلَى سَطُورِهِ مُنْسَجِمَةً مَعَ حَالِ الشَّاعِرِ وَهُوَ يُعَبِّرُ عَنْ شُكُوَاهُ، فَيَتَوَجَّهُ بِالمُخَاطَبِ إِلَى هَذَا (الشَّخْصِ) المَعْنَوِيِّ الأَثْوِيِّ (الْفِتْنَةِ) المَقْتَحِمِ لِدَاتِهِ المَعْدَبَةَ المُمزَقَةَ فِي سِيَاقِ صُوفِيٍّ، تُمَثَّلُ فِيهِ بِنِيَّةِ الإِسْتِفْهَامِ بُوْرَةَ الدَّلَالَةِ وَالشُّعُورِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

لِمَاذَا اقْتَحَمْتَ عَلَيَّ حُصُونِي، / فَعُولُنُ-فَعُولُنُ-فَعُولُنُ-فَعُولُنُ  
وَكَانَ الصَّدَى يَتَمَدَّدُ فِي دَاخِلِي / فَعُولُنُ-فَعُولُنُ-فَعُولُنُ-فَعُولُنُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 69.

(2) المصدر نفسه، ص: 69.

/ لن-فَعُولُن-فَعُو

قَبْلَ أَنْ تَضْرِبِي

... /

-ذَاتَ يَوْمٍ-حَيَامَكَ فِيهَا؟

لِمَاذَا مَرَّارًا أَمُوتُ أَنَا

حِينَ أَشْعُرُ أَنَّ فُؤَادَكَ

يَنْخَرُ أَمْوَاجَ حُبِّي الْمَكْتَفِّ؟

وَتَقُومُ بِنِيَّةِ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي عَلَى نَسَقِ (الْمُتْدَارِكِ)، وَتَتَوَزَّعُ صُورُهُ الْإِيقَاعِيَّةُ عَلَى سُطُورِهِ مَنْسَجَمَةً إِيْقَاعِيًّا مَعَ الدَّلَالَةِ الشُّعُورِ الْمُخْتَلِفِينَ نَسْبِيًّا فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ، حَيْثُ يَتَوَجَّهَ الشَّاعِرُ بِالْحِطَابِ الْأَمْرِ إِلَى هَذِهِ (الْفِتْنَةِ) الْمُقْتَحِمَةِ الْمُعْرَبَةِ، وَيُخَيَّرُ عَمَّا فِي ذَاتِهِ مِنْ ظَمِيمٍ لِلْمَالِ وَالْبَيْنِ، وَتُمَثِّلُ بِنِيَّةِ الْأَمْرِ بُؤْرَةَ الدَّلَالَةِ وَالشُّعُورِ فِي الْمَقْطَعِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

/ فَاعِلُن-فَاعِل-فَعْلُن-فَاعِلُن-فَاعِلُ

أَجَلِي حُبِّكَ حَتَّى مَوْعِدِ آخِرِ

/ فَعْلُن-فَاعِلُن

أَوْ عَنِّي أَكْتُمِيهِ.

/ فَاعِلُن-فَاعِل-فَعْلُن

إِنَّ فِي غَابَةِ ذَاتِي

... /

عَشَّشْتَ نَفْسٌ حَوَاشِيهَا رَقِيقَةً.

هِيَ كَمْ تَأْمُرُ أَنْ أُفْتَنَ بِالْمَالِ

وَبِالْأَطْفَالِ.

هَلْ أَقْدِرُ أَنْ أَعْصِي أَمْرًا

وَتَقُومُ بِنِيَّةِ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي عَلَى نَسَقِ (الرَّمْلِ)، وَتَتَوَزَّعُ صُورُهُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْمِعْيَارِيَّةُ وَالْمُنْزَاحَةُ عَلَى سُطُورِهِ الْمُتَفَاوِثَةَ قَصْرًا وَطَوَّلًا بِحَسَبِ دَفْقَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى، وَيُشَكِّلُ هَذَا الْمَقْطَعُ نُقْطَةَ التَّحْوُلِ فِي الْإِيقَاعِ وَالخُرُوجِ مِنْ دَائِرَةِ (الْمُقَارَبِ/الْمُتْدَارِكِ) إِلَى نَسَقِ جُزْئِيٍّ حَدِيدٍ قَائِمٍ عَلَى صُورَةِ إِيْقَاعِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي مُدَّتِهَا الزَّمَنِيَّةِ (فَاعِلَاتُن=//0/0)، وَيَتِمُّ التَّحْوُلُ بِيَسْرٍ وَمُرُونَةٍ وَخَفَّةٍ لِتُقَارَبِ تَكْوِينِ الصُّورَةِ الْجَدِيدَةِ مِنَ الصُّورَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، فَصُورَةُ (الرَّمْلِ) تَتَأَلَّفُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ: (سَبَبٌ خَفِيفٌ+وَتَدُّ مَجْمُوعٌ+سَبَبٌ خَفِيفٌ=//0/+0/0)، فَهِيَ تَزِيدُ بِسَبَبِ خَفِيفٍ عَنْ غَيْرِهَا فِي أَوَّلِ الصُّورَةِ أَوْ فِي آخِرِهَا، فَإِذَا حُذِفَ هَذَا السَّبَبُ مِنْ أَوَّلِ الصُّورَةِ صَارَتْ إِلَى صُورَةِ (الْمُقَارَبِ) وَإِذَا حُذِفَ مِنْ آخِرِ الصُّورَةِ صَارَتْ إِلَى صُورَةِ (الْمُتْدَارِكِ). فَالْمَقْطَعُ مَنْسَجَمٌ تَمَامَ الْإِنْسِجَامِ مَعَ الْمَقْطَعِ السَّابِقِ إِيْقَاعًا-مَعَ اخْتِلَافٍ طَفِيفٍ-وَدِلَالَةً وَشُعُورًا، وَتُمَثِّلُ بِنِيَّةِ الْأَمْرِ الْمُكْرَّرِ بُؤْرَةَ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ فِي بِنِيَّةِ الْمَقْطَعِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 74.

(2) المصدر نفسه، ص: 75.

أَجَلِي حُبِّكَ... / فاعلاتن-فَع  
 آه حَرَّرِينِي مِنْهُ لِحَظَّة. / لَأْتَن-فاعلاتن-فاعلاتن  
 حَرَّرِينِي، أَنَا مَدْعُو / فاعلاتن-فاعلاتن  
 إِلَى قَوْمٍ ذَوِي بَأْسٍ شَدِيد. / ...  
 حَرَّرِينِي، أَنَا مَدْعُو  
 إِلَى مَأْدَبَةِ الْفَجْرِ الْجَدِيد.

والملاحظ أن علاقة البنية الإيقاعية بالبنية الدلالية مستمرة في المقطع من خلال التناوب بين الصور الإيقاعية المعيارية والمنزاحة وفي القصيدة من خلال التناوب بين الأنساق الإيقاعية الثلاثة، فالإيقاع مؤشّر واضح حركة المعنى وعلى حركة الشعور في القصيدة، وقد تُسهم ببنى تركيبية إنشائية كالاستفهام والأمر بإيقاعها الخاص في بلورة المعنى والشعور معاً.

وتختلف تأليفة النسق الإيقاعي الثلاثي في بنية الإيقاع في قصيدة (مغربنا وطننا)<sup>(1)</sup>، فهذه التأليفة لم تحتفظ من الثنائية الإيقاعية (المتقارب/المتدارك) الأساسية الثابتة في التماذج السابقة إلا بنسق (المتدارك) مضافاً إليه نسقين إيقاعيين جديدين في القصيدة، هما نسق (الرمّل) و(الكامل). وبذلك ينتج النسق الإيقاعي الثلاثي (المتدارك/الرمّل/الكامل)، ويتميز بصوره الإيقاعية (فاعلن/0//0)+فاعلاتن(0/0//0)+مفاعِلن(0//0//0).

ويتوزع هذا النسق الثلاثي بأنساقيه الجزئية على مقاطع القصيدة، فينتظم المقطع الشعري الآتي على نسقه الجزئي الأول (المتدارك) مؤطراً بحركته حركة الشعور والمعنى خاصة بصورته الإيقاعية المنزاحة (فعلن=0/0)، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

آتٍ مِنْ وَرَّانٍ.  
 آتٍ ..  
 آتٍ ..  
 تُشْرِقُ عَيْنَاهُ صَلَاةً مُلْتَهَبَةً،  
 وَتُرَدِّدُ جَهْرًا شَفَاةً  
 آيَاتٍ مِنْ سُورٍ تَتَأَجَّجُ نُورًا تَجَّاجًا.  
 فَتَرْجُلُ يَا هَذَا الْمُتَكَبِّرُ  
 لَنْ تُمْسِكَ كَفَاهُ رِكَابَ جَوَادِكُ.

وينتظم المقطع الثاني على نسق (الرمّل)، وقد تمّ التحوّل الإيقاعي بسلاسة من صورة (فعلن=0/0-0//0) إلى صورة (فاعلاتن=0/0//0)، ليمتاز المقطع بحركة إيقاعية سريعة ثلاثية الشكل الدائري للمقطع، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

(1) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 10.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أَيُّهَا الطَّالِعُ مِنْ جَمْرِ الخَزَامِي قَطْرَةً حَمْرَاءَ تَخْضُرُ بِهَا كُلُّ  
بَسَاتِينُ بِلَادِي. بُحْتُ بِالْعَشْقِ، وَلَيْلَى طِفْلَةٌ نَمَّ عَلَيْهَا نُورُهَا الْوَهَّاجُ. مَا  
إِنْ سَلَّمْتَ حَتَّى بَكَتْ عَيْنُكَ عَشْقًا وَالتَّهَابًا. بُحْتُ بِالسَّرِّ، وَكَانَ  
السُّكْرُ يَسْرِي بَيْنَ أَدْغَالِكَ لَيْلًا. آه يَا لَيْلَى! مُرِي أَنْ أَقْتَلَ اللَّحْظَةَ.....

وَيَنْتَظِمُ المَقْطَعُ الثَّلَاثُ عَلَى نَسَقِ (الكامل)، وَهُوَ النِّسْقُ الإِيْقَاعِيُّ الجُزْئِيُّ الثَّلَاثُ الَّذِي وَسَمَ الإِيْقَاعَ بِصُورَتِهِ  
الجَدِيدَةِ المِعْيَارِيَّةِ (مُتَّفَاعِلُنْ=0//0//، وَالمُنْزَاخَةُ (مُتَّفَاعِلُنْ=0//0/0/، وَهُوَ يُؤَشِّرُ عَلَى تَحْوُلِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ مِنْ نَسَقِ  
إِيْقَاعِي إِلَى آخَرَ وَمِنْ نَمَطِ شَعْرِيٍّ آخَرَ، فَقَدْ انْتَقَلَتِ القَصِيدَةُ مِنْ نَمَطٍ حُرٍّ وَمُدَوَّرٍ إِلَى النَّمَطِ العَمُودِيِّ المَجْزُوءِ،  
وَانتَظَامِ الإِيْقَاعِ، هُنَا، بِحَسَبِ بِنْيَةِ البَيْتِ انْعِكَاسَ فِي البِنْيَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ لِلْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي هَيَمَّتْ عَلَيْهِ  
بُنَى الاسْتَفْهَامِ بِإِيْقَاعَاتِهَا المَعْبُورَةَ عَنِ الشُّعُورِ المُنَوَّرِ، وَمَالَ إِلَى التَّعْبِيرِ المَبَاشِرِ مُتَّجِنِبًا لُغَةَ الرَّمْزِ الَّتِي سَادَتْ مَقَاتِعَ  
سَابِقَةً، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

مَا لِلْمَسَاجِدِ لَمْ تُعَدُّ مَلَأَى بِأَسْرَابِ الشَّبَابِ  
مَا لِلْمَآذِنِ لَمْ تُعَدُّ كَالْأَمْسِ تَخْتَرِقُ السَّحَابِ  
مَنْ عَلَّمَ العُلَمَاءَ هَذَا العَامَ تَقْدِيسَ التُّرَابِ  
مَنْ قَالَ لِلْمُفْتِي بِأَنْ يُفْتِيَ بِمَا تَهْوَى الذُّنَابِ  
مَنْ قَالَ لِلْأَحْبَابِ إِذْ بَاحُوا بِأَسْرَارِ الكِتَابِ  
هَذِي الصَّلَاةُ سِيَّاسَةً، وَسِيَّاسَةُ هَذَا الحِجَابِ

يَتَحَدَّدُ إِيْقَاعُ القَصِيدَةِ العَامُ بِانْتِظَامِ تَوْزِيعِ الأَنْسَاقِ الإِيْقَاعِيَّةِ الجُزْئِيَّةِ بِصُورِهَا المُخْتَلِفَةِ عَلَى فِضَاءِ القَصِيدَةِ،  
وَانتِظَامِ القَصِيدَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْمَاطٍ شَعْرِيَّةٍ فِي بِنْيَةٍ مُلْتَحِمَةٍ فِكْرًا وَشَعْرًا.

وَيَتَجَلَّى النِّسْقُ الإِيْقَاعِيُّ الثَّلَاثِيُّ، مَرَّةً أُخْرَى، فِي دِيْوَانِ (الْوَلَدِ المُرِّيِّ) فِي بِنْيَةِ قَصِيدَةِ (فَصَلْ مِنْ كِتَابِ الشِّدَّةِ)<sup>(3)</sup>،  
الَّتِي تَقُومُ بِبِنْيَتِهَا الإِيْقَاعِيَّةِ عَلَى الأَنْسَاقِ الثَّلَاثَةِ (الطَّوِيلِ) وَ(المُنْتَقَارِ) وَ(الْوَافِرِ)، وَيَتَمَيَّزُ النِّسْقُ الإِيْقَاعِيُّ الثَّلَاثِيُّ فِي  
القَصِيدَةِ بِإِدْمَاجِ نَسَقِ جُزْئِيٍّ جَدِيدٍ مُرَكَّبٍ أَوْ مَمْزُوجٍ، هُوَ (الطَّوِيلُ) الَّذِي تَتَكَرَّرُ فِيهِ صُورَتَانِ إِيْقَاعِيَّتَانِ  
(فَعُولُنْ=0/0//) وَ(مَفَاعِلُنْ=0/0/0//)، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى إِنتَاجِ نَسَقٍ أَكْثَرَ تَرْكِيبِيًّا، يَأْخُذُ الشَّكْلَ (فَعُولُنْ-مَفَاعِلُنْ  
(0/0// - 0/0// + 0/0//) + مَفَاعِلُنْ (0//0//)).

وَيَبْدُو أَنَّ النِّسْقَ الجُزْئِيَّ المُرَكَّبَ (الطَّوِيلِ) قَدْ هَيَمَنَ عَلَى بِنْيَةِ الإِيْقَاعِ فِي القَصِيدَةِ بِتَكَرُّرِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ  
مَوْضِعٍ، وَلِمُمَاثَلَةِ صُورَتَيْهِ الإِيْقَاعِيَّتَيْنِ لِصُورِ النِّسْقَيْنِ الآخَرَيْنِ، وَهُوَ يُنَاسِبُ بِإِيْقَاعِ نَسَقِهِ العَامِّ الشُّعُورَ المُنَازِمَ مِنْ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 11.

(2) المصدر السابق نفسه، ص: 14.

(3) محمد علي الرباوي: الولد المر، منشورات المشكاة، وحدة، المغرب، ط: 1، 1989، ص: 25.

حَالَاتِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى وَالْأَلَمِ الَّتِي تَكْتَنِفُ التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ. وَتَتَوَزَّعُ تِلْكَ الْأَنْسَاقُ الْإِقَاعِيَّةُ الْجَزْئِيَّةُ عَلَى مَقَاطِعِ الْقَصِيدَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ. يَأْتِي الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ الْأَوَّلُ عَمُودِيًّا فِي تَشْكِيلِ سَطْرِيٍّ، وَيَنْبَنِي إِيقَاعُهُ عَلَى نَسَقِ (الطَّوِيلِ) بِصُورِهِ الْإِقَاعِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةَ الْمُتَفَعِّلَةَ مَعَ مَشْهَدِ الْبُكَاءِ وَانْسِكَابِ الْعِبْرَاتِ، وَقَدْ نَاسَبَ النَّسَقُ بِطُولِهِ وَمُدَّتِهِ طُولَ الْمَشْهَدِ وَمُدَّتِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

لَقَدْ سَجَمْتُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي عِبْرَةً،  
وَحُقَّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَيَّ صَحْبِي.

وَيَأْتِي الْمَقْطَعُ الثَّانِي حُرًّا مُدَوَّرًا تَحَوَّلَ فِيهِ الْإِقَاعُ مِنْ نَسَقِ (الطَّوِيلِ) إِلَى نَسَقِ (الْمُقَابَرِ) الَّذِي بَدَأَتْ صُورَتُهُ فِي تَشْكِيلِ إِيقَاعِ الْمَقْطَعِ بِمَا يَنَاسِبُ مُحتَوَاهُ الْعَاطِفِيَّ وَالْفِكْرِيَّ الَّذِي بَرَزَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْبِنْيَةِ الْقَصَصِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

وُقُوفًا بَعَارِ حِرَاءِ الْمُعَذَّبِ - صَحْبِي - لَعَلَّ بِهِ أَثْرًا لِلْأَحِبَّةِ.  
هُمُو دَخَلُوا، رَكَعُوا رَكَعَتَيْنِ، وَفِي السَّجْنِ  
أَنَّهُمُ تَشْهَدُهُمْ، ثُمَّ قَالُوا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ السَّلَامَ  
مَلَائِكَةٌ تَتَلَّأُ بَيْنَ شَفَاهِهِمْ سُورَةَ الْفَتْحِ، إِنَّا فَتَحْنَا  
طَرِيقًا إِلَى الْفَجْرِ بِالرَّاحِلِينَ مَعَ الْفَجْرِ، لَا تَعْجَبُوا  
أَنْ سَمِعْتُمْ زَغَارِيدَ أُمِّي، فَأُمِّي قَدْ أَلْفَتْ اخْتِطَافَ بَنِيهَا،  
وَلَكِنْ نُصِرْتُ عَلَيَّ أَنْ تَظَلَّ وَوُلُودًا.

وَيَأْتِي الْمَقْطَعُ الثَّلَاثُ مِنَ الْقَصِيدَةِ عَمُودِيًّا عَلَى نَسَقِ (الطَّوِيلِ) مَرَّةً أُخْرَى تَرْسِيخًا لِإِقَاعِهِ فِي الْبِنْيَةِ الْإِقَاعِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ، فَقَدْ رَبَطَهُ الشَّاعِرُ بِمَوْضُوعَةِ (الْبُكَاءِ عَلَى الصَّحْبِ) مِنْذُ بَدَأَ الْقَصِيدَةَ، وَقَدْ كَانَ لَصُورِ (الطَّوِيلِ) الْإِقَاعِيَّةِ تَأْثِيرٌ فِي بِنَاءِ التَّرَاكِيِبِ الْمُتَوَازِيَةِ فَاسْتَهَمَتْ بِدَوْرِهَا فِي إِثْرَاءِ الْمَقْطَعِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وُقُوفًا فَعَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبًا  
تَبْكِي عَلَيَّ صَحْبِ، وَمَا أَنْ تَرَى صَحْبًا،  
أَلَا إِنَّ صَحْبًا فِي السُّجُونِ تَكَاثَرُوا،  
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لَهُمْ قُرْبًا؟  
هُمُو نَازَلُوا الدُّنْيَا، فَمَا اسْتَسَلَّمُوا لَهَا،  
وَمَا عَرَفُوا خَوْفًا، وَمَا اجْتَرَحُوا ذَنْبًا،

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص: 25.

(3) المصدر نفسه، ص: 26.

سَوَى أَنَّهُمْ قَدْ هَاجَرُوا فِي حَيَاتِهِمْ  
إِلَى جُزْرِ العُشَّاقِ ثُمَّ اكْتَوَوْا حُبًّا،

وَيَنْتَظِمُ المَقْطَعُ الشَّعْرِيَّ الأَخِيرُ عَلَى النَّسَقِ الإيقاعيِّ الجزئيِّ الثالثِ الَّذِي يُجسِّدُهُ (الوافر) بِصُورَتِهِ الإيقاعيَّةِ  
المُعْيارِيَّةِ (مفاعلتُنْ=0///0//) والمُنزَاحَةِ-مَعصُوبَةً وَمَقْطُوفَةً-(مفاعلتُنْ=0/0/0//) فَعُولُنْ=0/0//، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

كَأَنَّا نَحْنُ لَنْ نُدْعَى إِلَى الجُلَى  
كَأَنَّا ثِيَابَنَا البِيضَاءَ لَنْ تُنْدَى،  
وَنَحْنُ نَخُوضُ أمْوَاجَ البِحَارِ المَهِوجِ،  
يَا نَفْسِي الرِّقِيقَةَ خَلَّصِينِي مِنْ سَكَكِينِي،  
حُذِينِي، ثُمَّ رُشِّينِي بِأَحْلَامِ الرِّياحِينِ،  
حُذِينِي زَلْزَلِي ذَاتِي بِآيَاتِ مِنَ الأَنْفَالِ وَالرَّعْدِ،  
دَعِي لَهَبَ التَّلُوجِ يَحْطُ فِي جَسَدِي،  
لَعَلَّ التَّلَجَّ يَحْمِينِي  
إِذَا ضَيْفًا نَزَلْتُ عَلَى صَحَابَتِي المَسَاكِينِ.

والمُلاحِظُ عَلَى بِنْيَةِ الإيقاعِ فِي هَذَا المَقْطَعِ أَنَّ التَّحَوُّلَ لَمْ يَمِمْ مِنْ نَسَقِ إِلَى آخَرَ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا مِنْ نَمَطٍ  
شِعْرِيٍّ إِلَى آخَرَ، أَيْضًا، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ أُخْرَى لِلتَّعَدُّدِ الأَنساقِ تَقُومُ "عَلَى الأَنْتِقَالِ المُفاجِئِ الاعْتِبَاطِيِّ مِنْ وَزْنٍ إِلَى  
وَزْنٍ آخَرَ وَهَذَا الأَنْتِقَالُ رُبَّمَا يَكُونُ مُرْتَبِطًا بِالمَعْنَى وَلَهُ مَبْرَرَاتُهُ الفَنِيَّةُ، وَرَبَّمَا يَكُونُ غَيْرَ مُرْتَبِطٍ بِهِ، إِنَّمَا هُوَ ائْتِقَالٌ  
لِإِحْدَاثِ هَزَّةٍ فِي الإيقاعِ لَدَى المُتَلَقِّيِّ فَقَطْ.، وَقَدْ يَكُونُ الأَنْتِقَالُ بِصُورَةٍ أُخْرَى، إِذْ يَجْعَلُ الشَّاعِرُ بَعْضَ قَصِيدَتِهِ  
عَلَى شَكْلِ شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ، وَبَعْضَهَا عَلَى الشَّكْلِ العُمُودِيِّ، وَرَبَّمَا يَتَّفِقَانِ فِي الوِزْنِ، وَرَبَّمَا يَخْتَلِفَانِ فِيهِ، فَيَكُونُ  
لِكُلِّ شَكْلٍ وَزْنُهُ الخَاصُّ بِهِ." (2).

### 1-2-3- النَّسَقُ الإيقاعيُّ الرُّباعيُّ:

تُمَثِّلُ القَصِيدَةُ المُنتَظِمَةُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ بِنْيَةً رُباعيَّةَ الإيقاعِ، فَالنَّسَقُ الإيقاعيُّ فِيهَا حَاصِلٌ أَرْبَعَةَ أُنساقِ  
إيقاعيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَقَدْ وَرَدَ النَّسَقُ الإيقاعيُّ الرُّباعيُّ فِي أَكْثَرِ مِنَ نَسَقِ عَامٍّ لِاخْتِلافِ الأُنساقِ الجُزئيَّةِ المُوظَّفَةِ فِي بِنْيِ  
القَصَائِدِ، فَقَدْ تَجَسَّدَ فِي النَّسَقِ الإيقاعيِّ الرُّباعيِّ (الكامل/الرَّمَلِ/المُتقَارِبِ/الطَّويلِ) فِي قَصِيدَةِ (الدَّارِ البِيضَاءِ)<sup>(3)</sup>،  
وَوَتَلَقَّى فِي هَذَا النَّسَقِ الرُّباعيِّ أَرْبَعُ صُورٍ إيقاعيَّةٍ (مُتفاعِلُنْ+فاعِلاتُنْ+فَاعِلُنْ+فَعُولُنْ مفاعِلُنْ). والمُلاحِظُ أَنَّ  
الأُنساقَ الثَّلَاثَةَ الأُولَى تَنْتَمِي إِلَى أُنساقِ صَافِيَةٍ والنَّسَقُ الرَّابِعُ يَنْتَمِي إِلَى نَسَقِ مُرَكَّبٍ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 27.

(2) محمد علوان سلمان: الإيقاع في شعر الحدادنة، ص: 155.

(3) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 16.

يَنْتَمِي النَّسَقُ الْأَوَّلُ إِلَى دَائِرَةِ (المؤتلف) وَيَنْتَمِي النَّسَقُ الثَّانِي إِلَى دَائِرَةِ (المشتبه) وَيَنْتَمِي النَّسَقُ الثَّلَاثُ إِلَى دَائِرَةِ (المتفق) وَيَنْتَمِي النَّسَقُ الرَّابِعُ إِلَى دَائِرَةِ (المختلف)، وَقَدْ اخْتَفَى نَسَقُ (المتدارك) وحلَّ محله (المتقارب) قرينه في تلك الثنائية الإيقاعية، ورغم هذا الاختلاف بين الأنساق الأربعة فإنَّ وظيفتها الإيقاعية رهينةٌ بالسياق الشعري الذي تُوظفُ فيه.

وَتَوَزَّعَ هَذِهِ الْأَنْسَاقُ بِانْتِظَامٍ عَلَى مَقَاطِعِ الْقَصِيدَةِ، فَيَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الْعَمُودِيُّ الْمَوْسُومُ بِالِافْتِتَاحِيَّةِ عَلَى نَسَقِ (الكامل)، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ صُورُهُ الْإِيْقَاعِيَّةُ الْمِعْيَارِيَّةُ وَالْمُنْزَاحَةُ (مُتَّفَاعِلُنْ = /0//0/0/) /مُتَّفَاعِلُ/ (0/0/0/) /مُتَّفَاعِلُ/ (0/0///) عَلَى بَيْتَيْنِ عَمُودِيَّتَيْنِ تَامَّيْنِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ بِالْبَيْضَاءِ  
مِنْ أَجْلِ مَالِكٍ مِنْ يَدٍ بِيضَاءِ  
إِنَّ الْبِيَّاضَ لِنَصْفِ حُسْنِ ذَوِي الْبَهَا  
وَبِيَّاضِ حُسْنِكَ حَازَ كُلَّ بَهَاءِ

وَيَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ الْحُرُّ الْمُدَوَّرُ الْمَوْسُومُ بِالْحَرَكَةِ الْأُولَى عَلَى نَسَقِ (الرمل) بِصُورِهِ الْإِيْقَاعِيَّةِ الْمِعْيَارِيَّةِ (فَاعِلَاتْنِ) وَالْمُنْزَاحَةِ (فَاعِلَاتْنِ)، وَقَدْ أَتَى نَسَقُ (الرمل) فِي هَذَا الْمَقْطَعِ بَعْدَ التَّمْهِيدِ لَهُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ بَيْتٍ مِنْ (الكامل)، صُورَةُ الْعُرُوضِ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَصُورَةُ الضَّرْبِ مَقْطُوعَةٌ (مُتَّفَاعِلُ = /0/0//) الَّتِي تُعَادِلُ (فَاعِلَاتْنِ = /0/0//) - وَالْقَطْعُ عُلَّةٌ تَتَمُّ بِحَذْفِ سَاكِنِ الْوَتْدِ الْمَجْمُوعِ وَإِسْكَانِ مَا قَبْلَهُ. " (2) - وَصُورَةُ (فَاعِلَاتْنِ) تُمَثِّلُ وَصَلًا بَيْنَ نَسَقَيْنِ إِيْقَاعِيَّيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ يَنْتُجُ عَنْهُ انْسِجَامٌ إِيْقَاعِيٌّ بَيْنَ نِهَائِيَّةِ مَقْطَعٍ وَبِدَائِيَّةِ مَقْطَعٍ، أَيْ يَنْتَهِي الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ بِالصُّورَةِ (فَاعِلَاتْنِ) مِنْ نَسَقِ الْكَامِلِ، وَيَبْدَأُ الْمَقْطَعُ الثَّانِي بِالصُّورَةِ (فَاعِلَاتْنِ) - الْمَحْذُوفَةِ الثَّانِي السَّاكِنِ - مِنْ نَسَقِ الرَّمْلِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

أَبَدًا مَا أَنْتِ بِيضَاءُ. وَلَكِنَّكَ بِيْدَاءُ تُعْطِي غَابَةً مِنْ شَجَرِ  
الْإِسْمِنْتِ مِرَاتِكِ. وَجَهَانَ كَبِيرَانَ لَكَ السَّاعَةَ: وَجْهٌ أَيْضٌ  
مِثْلُ بِيَّاضِ الطَّيْرِ حِينَ الْحَبِّ يَرْمِي بِحَبَّاتٍ مِنَ الصَّبْحِ، وَوَجْهٌ  
تَحْرِقُ الشَّمْسُ خَلَايَاهُ. لِبَارِيَسَ نَشِيدٌ يَنْتَشِي حِينَ عَلَى إِيْقَاعِهِ  
تُرْقِصُ أَغْصَانُكَ رَقْصًا. قَدْ عَبَّرْتُ الْبَحْرَ مَا فَكَّرْتُ فِي مُرَاكَشِ  
الْحَمْرَاءِ عَامَ اكْتَسَحَ الْجُوعُ جُمُوعَ النَّخْلِ. تَسَاقَطَتْ جَذَلِي  
كَالْفَرَاشَاتِ عَلَى عَاصِفَةِ الضَّوْءِ الَّذِي قَالَ احْرِقِي الْفُلْكَ،

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر العربي، ص: 77..

(3) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 16.

فَكَانَ الْفُلُكُ فِي مُسْتَنْفَعِ النَّارِ هَشِيمًا.

وَيَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيَّ الثَّلَاثُ الْمَوْسُومُ بِذَيْلِ الْحَرَكَةِ الْأُولَى عَلَى نَسَقِ (الْمُقَارِبِ) الَّذِي يُلَائِمُ بِصُورَتِهِ الْإِيقَاعِيَّةَ (فَعُولُنْ = 0/0/0)، النَّمَطُ الشَّعْرِيُّ الْحُرِّ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ، وَتَنْبِيهِ سَطُورُهُ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ الشَّعُورِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

إِذَا طَعَنَاتُ الْحَنِينِ إِلَى الْأَهْلِ  
أَزَّتْ بِصَدْرِكَ يَوْمًا فَكَيْفَ الرَّجُوعُ؟  
أَمَا لَكَ قَلْبٌ تَضُمُّ غَلَائِلَهُ الْحُمَرَ هَذَا الضُّلُوعُ؟  
سَيَخْفِقُ يَوْمًا فَتَشْتَعِلُ النَّارُ فِيكَ  
وَتَمَلَأُ عَيْنَيْكَ حُزْنًا دُمُوعُ  
فَكَيْفَ الرَّجُوعُ؟  
فَكَيْفَ الرَّجُوعُ؟

وَيَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ الرَّابِعُ الْمَعْنُونُ بِالْحَرَكَةِ الثَّانِيَّةِ عَلَى نَسَقِ (الطَّوِيلِ)، وَتَنْوِزُ صُورُهُ الْإِيقَاعِيَّةَ الْمُرَكَّبَةَ عَلَى هَذَا الْمَقْطَعِ الْحُرِّ الْمَدْوَرِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

مَسَاءً دَخَلْتُ الدَّارَ ضَيْفًا عَلَى الْخِصَالِ مَا اسْتَقْبَلْتَنِي  
قَامَةً الرَّجُلِ الْبَدَوِيِّ. فِي قَاعَةِ الْأَضْيَافِ يَجْلِسُ رُومِيٌّ مِنْ  
القَارَةِ السَّوْدَاءِ. يَا قَلْبُ لَا تَسْأَلْ عَنِ الصَّحْبِ. هُمْ غَابُوا عَنِ  
الدَّارِ مُنْذُ الْفَجْرِ، إِذْ فَتَكَتْ غَزَلَانُ نَجْدٍ بِهِمْ فَاسْتَسَلَمُوا  
لِلْهَيْبِ الْحُبِّ. يَا قَلْبُ لَا تَحْزَنْ، غَدًا يُبْعَثُ الصَّحْبُ الْكِرَامُ.  
غَدًا تَدْمَى جِرَاحُهُمْ: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيْحُ مَسْكَ وَغَنَبِرُ.

وَيَرِدُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ الْخَامِسُ الْمَعْنُونُ بِذَيْلِ الْحَرَكَةِ الثَّانِيَّةِ عَلَى نَسَقِ (الكَامِلِ)، وَقَدْ بَدَأَتْ الْقَصِيدَةُ بِهِ فِي نَمَطٍ عُمُودِيٍّ، بَيْنَمَا يَرِدُ هُنَا فِي نَمَطٍ حُرٍّ، وَهَذَا التَّوْظِيفُ يُضْفِي عَلَى بِنْيَةِ الْإِيقَاعِ فِي الْقَصِيدَةِ تَمَاسُكًا، وَيَحْفَظُ وَحْدَةَ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

يَا دَارُ خَدَعُوكِ إِذْ قَالُوا  
بَأَنَّكَ كَالضُّحَى الْفَتَّانِ، أَوْ كَالنَّجْمَةِ الْعَذْرَاءِ.  
كَمْ غَرَّ الثَّنَاءُ الْمُرُّ مِنْ صَفْصَافَةِ حَسَنَاءِ.  
خَدَعُوكِ يَا وَحْشِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ إِذْ سَمَّوكِ بِالْبَيْضَاءِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 17.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 18.

مَنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ الْبَيَاضُ وَأَنْتِ مَقْبَرَةٌ تَضُمُّ مَوَاجِعَ  
الْفُقَرَاءِ؟

وبهذا التوظيف الفني يوزع النسق الإيقاعي الرباعي أنساقه الجزئية على مقاطع القصيدة مستوعباً تحولات الدلالة ومحتويها تداعيات المعنى وحركات الشعور في أنماطها الشعرية المتعددة العمودية والحرّة والمدوّرة. ويكون نسق (الكامل) بمقاطع الطويلة وبدوره الإيقاعي البارز النسق المهيم على بنية الإيقاع في القصيدة. وفي نموذج شعري آخر يتجلى النسق الإيقاعي الرباعي، ففي قصيدة (أوراق مهربة من زمن الحصار)<sup>(1)</sup>، يُقيم حسن الأمرائي بنيتها الإيقاعية على الأنساق الإيقاعية الجزئية الأربعة (الخفيف/الكامل/الوافر/الرمل)، والملاحظ على النسق الرباعي في هذه القصيدة أن أنساقها الجزئية منسجمة، إيقاعياً، فثلاثة منها صافية بسيطة تتكرر فيها وحدة إيقاعية عدداً من المرات، وهي (الكامل) و(الوافر) و(الرمل)، ونسق إيقاعي واحد ممزوج مركب تتكرر فيه وحدتان إيقاعيتان، وهو (الخفيف). وإذا كانت الأنساق الصافية هي التي تطبع إيقاع القصيدة بطابعها الخاص، فإن النسق المركب له أثره الإيقاعي وإن كان يُوطر جانباً أو مقطّعا من تجربة شعرية ليست جزءاً أصيلاً من تجربة الشاعر وإنما وُظفت على سبيل (التناص)، ووحدتاه الإيقاعيتان (فاعلاتن=0/0//0) و(مستفعلن=0//0/0) تتماثل نغمياً مع صور الأنساق الصافية المعيارية والمنزاحة.

ولما تدرج هذه الأنساق تحت دائرة عروضية واحدة، فـ(الكامل) و(الوافر) يندرجان تحت دائرة المؤلف، ويندرج (الخفيف) تحت دائرة المجتلب، ويندرج (الرمل) تحت دائرة المشتبه.<sup>(2)</sup> وإن كان هذا الاختلاف يخدم حلقات التجربة الشعرية وتنوعها في القصيدة، فإن أنساق هذه الأنساق في بوتقة التجربة الإبداعية وتفاعلها مع العناصر الأساسية فيها من فكر وشعور وخيال ولغة، كل ذلك ينح بنية القصيدة وحدتها وتماسكها، فالقصيدة ينظّمها شعورٌ واحدٌ وموضوعٌ واحدٌ، فهي تصويرٌ بطريقة ما لحال الأمة ولحال الشعب الفلسطيني.

تتألف قصيدة (أوراق مهربة من زمن الحصار) من ستة مقاطع شعرية متفاوتة الطول، يحمل فيها كل مقطع عنوان (الورقة)، فهي ست ورقات، وتتوزع الأنساق الإيقاعية الأربعة على مقاطع القصيدة الستة بانتظام، فتسجد (الورقة الأولى) من نسق (الخفيف) إيقاعاً لها بصوره المعيارية والمنزاحة، وقد مثلت هذه الورقة ثلاثة أبيات عمودية مستدعاة من شعر أبي الطيب المتنبي لمناسبتها الموضوع، يقول الشاعر<sup>(3)</sup>:

أنت طول الحياة للروم غازٍ فمتى الوعد أن يكون القبول

(1) حسن الأمرائي: من الشعر الإسلامي الحديث، مختارات من شعر الرابطة، دار البشير للنشر والتوزيع عمان، ط: 1، 1409هـ-1989م، ص: 363.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 271 وما بعدها.

(3) حسن الأمرائي: من الشعر الإسلامي الحديث، ص: 363.

وَسَوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ      فَعَلَى أَيِّ حَانَبَيْكَ تَمِيلُ  
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا      كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ  
وَيَنْتَظِمُ (الْوَرَقَةُ الثَّانِيَّةُ) عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ) فِي مَقْطَعٍ حُرٍّ، فَتَتَعَدَّدُ صُورُهُ الْإِيقَاعِيَّةَ الْمُنْرَاحَةَ، وَتَتَنَوَّعُ تَشْكِيلَاتُهُ  
الْإِيقَاعِيَّةُ - صُورُ الْعُرُوضِ وَالضَّرْبِ - يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

يَتَطَاوَلُ اللَّيْلُ الْمُسَرِّدِقُ فِي الْقُلُوبِ وَفِي الْعُيُونِ  
وَيُؤَزُّنَا أَرْأَا كَنَارِ الدَّمْعِ فِي الْأَحْدَاقِ  
أَوْ كَاشْتَعَالَ الشُّوقِ فِي الْأَعْمَاقِ  
وَحِبَالُ رَحْلِنَا تَطُولُ كَأَنَّمَا الصَّبْرُ الْحَوُونَ  
سَيْفٌ بِكَفِّ الْجُنْدِ يَشْرَبُ دَمَنَا الْمُسْتُونَ  
(دُمُونَ إِنَّا مَعَشْرُ..)

لَا نُسَلِّمُ الْأَصْحَابَ فِي التَّعْمَى وَحِينَ الْبَأْسِ يَا دُمُونَ  
لَا تَرْفَعِ الرَّايَاتِ غَدْرًا لِلْأَحْبَةِ  
ضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَسِيحَةُ أَوْ بَدَتْ كَالْأَفْقِ رَحْبَةً

وَيَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ فِي (الْوَرَقَةِ الرَّابِعَةِ) عَلَى نَسَقِ (الْوَافِرِ) مُنْبِهَا عَلَى تَحْوِيلِ الدَّلَالَةِ وَالشُّعُورِ مِنَ الْإِخْبَارِ  
وَالْإِفْضَاءِ بِمَا فِي دَاخِلِ النَّفْسِ مِنْ إِخْلَاصٍ لِلْأَحْبَةِ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ تَسْلِيمِ السَّلَاحِ وَالْإِطْمِئْنَانِ إِلَى الْغَيْرِ، وَكَمَا دَلَّ  
الْإِيقَاعُ عَلَى تَغْيِيرِ نَعْمَةِ الْخِطَابِ دَلَّ تَغْيِيرَ التَّمَطِّ مِنَ الْحُرِّ إِلَى الْعُمُودِيِّ مِنْ جَدِيدٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

حَذَارِ حَذَارٍ لَا تُسَلِّمُ سِلَاحَكَ  
وَلَا تُسَكِّنُ - إِذَا انْتَشَرَتْ - رِيَاحَكَ  
طَرِيقَكَ؟ مُرْهَفَاتُ الْعَدْرِ فِيهَا  
تَوُدُّ، تَوُدُّ لَوْ قَعَصَتْ رِمَاحَكَ  
فَكُنْ فَرَسًا جَمُوحًا تُمَّتَ اجْعَلْ  
جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي الْهَيْجَا وَشَاحَكَ

وَيَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ فِي (الْوَرَقَةِ السَّادِسَةِ) عَلَى نَسَقِ (الرَّمْلِ) بِصُورِهِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِسِيَاقِ الْجِدِّ وَالصَّلَابَةِ وَالْحَمَاسَةِ  
فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الْحُرِّ الَّذِي يَحْتَكِمُ إِلَى دَقِّقَةِ الشُّعُورِ الْمُتَعَاظِمِ فِي بِنَاءِ سَطُورِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

هَبَّتِ النَّارُ عَلَى الْأَحْرَفِ فَالْأَحْرَفُ نَارُ  
يَسْقُطُ الْآنَ الْحِصَارُ

(1) المصدر السابق نفسه، الصَّفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص: 364.

(3) المصدر نفسه، ص: 366.

لَا تَقُلْ: نَحْنُ أَنْتَهَيْنَا  
إِنَّا نَبْتَدِئُ الْآنَ وَفَوْقَ الْجُرْحِ نَوَّارٌ وَغَارٌ  
إِنَّا نَفْتَحُ بَوَابَ تَارِيخِ فِلِسْطِينَ الْمَجِيدَةَ  
إِنَّا نَرْفَعُ، بِاسْمِ اللَّهِ فَوْقَ السُّورِ وَالصَّخْرَةِ  
وَالْقُبَّةِ وَالْقُدْسِ الْعَتِيدَةَ  
رَايَةَ التَّوْحِيدِ وَالْعَوْدَةِ..  
فَاقْرَأْ (سُورَةَ الْفَتْحِ) لَقَدْ حَمَّ الْقَرَارُ.

يَنْتَظِمُ الْمَقْطَعُ الثَّلَاثُ - (الْوَرَقَةُ الثَّلَاثَةُ) - عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ) بِصُورَتَيْهِ الْمِعْيَارِيَّةِ وَالْمُنْزَاحَةِ، مَنْسَجِمًا مَعَ الشُّعُورِ الْمُتَوَثِّرِ سَلْبًا فِي الْبِدَايَةِ وَإِجَابًا فِي النَّهَائَةِ، وَقَدْ اسْتَوْفَى هُنَا عَشْرَ سَطُورٍ، اسْتَهْلَهَا بِنِيَّةِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ دَالَّةٍ عَلَى الْإِنْكَارِ، وَإِيرَادُ (أَمْ) الْمُنْقَطِعَةِ مَعَ (هَلْ) الْمَفِيدَةِ لِلتَّصْدِيقِ بِجَعْلِهَا لِلإِضْرَابِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ أَنَّ الْفِلِسْطِينِيَّ لَمْ يَلْقَ مِنْ إِخْوَتِهِ إِلَّا الْمَحَاصِرَةَ وَالتَّسْلِيمَ لِلْأَعْدَاءِ لَا التَّنَصُّرَةَ وَالْمُؤَاذِرَةَ كَمَا يُشَاعُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْفِلِسْطِينِيَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ الْبُطُولَةَ وَالشَّهَادَةَ، وَقَدْ دَلَّتْ بَنِيْنَا النَّدَاءِ - (يَا) عَلَى الْإِعْجَابِ بِهَذَا الْفِلِسْطِينِيِّ الْفَارِسِ الْحُلَمِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

هَلْ نَاصِرُونَ وَأَزْرُوكَ كَمَا تُرَدُّهُ الْإِذَاعَةُ وَالْجَرِيدَةُ  
أَمْ حَاصِرُونَ وَأَسْلَمُوا لِلرُّومِ قَلَعَتِكَ الْعَتِيدَةَ  
قَدْ غَيَّبُوا وَغَيَّبُوا الْأَنْصَارَ فِي (أَنْصَارِ)  
يَا أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمَوْسُومُ بِالْإِيمَانِ  
يَا حُلْمًا فِلِسْطِينِي  
عَلَّمْتَهُمْ كَيْفَ امْتِشَاقُ السِّيفِ..  
كَيْفَ يَكُونُ لَوْنُ الْمَوْتِ أَخْضَرَ..  
فِي سَبِيلِ الْأَرْضِ وَالشَّعْبِ الْمَطَارِدِ وَالْعَقِيدَةِ

وَيَتَّجِدُ نَسَقُ (الْكَامِلِ) بِإِبْقَاعِ صُورِهِ الْمُنَوَّعَةِ فِي الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ - (الْوَرَقَةُ الْخَامِسَةُ) - وَيُعَدُّ هَذَا الْمَقْطَعُ الطَّوِيلُ تَفْرِيحًا لِلدَّلَالَةِ النَّوَاةِ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ - (الْوَرَقَةُ الْأُولَى) - وَالْمُرَادُ مُحَاصِرَةُ الْقَضِيَّةِ الْفِلِسْطِينِيَّةِ وَمُصَادَرَةُ حَقِّ الشَّعْبِ الْفِلِسْطِينِيِّ فِي أَرْضِهِ وَمَصِيرِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

(أَمِنْ أزدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرَّقْبَاءُ)  
إِذْ مِثْلَمَا قَدَّامَكَ الْأَعْدَاءُ  
مِنْ خَلْفِكَ الْأَعْدَاءُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 364.

(2) المصدر نفسه، ص: 364.

وَعَلِيَّ الْمُتَوَفِّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ  
يُزَجِّي الصُّفُوفَ مُطَالِبًا بِدَمِ الْحُسَيْنِ جِهَارَةً  
وَيُرَاسِلُ الْأَعْدَاءَ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ  
(الطَّالِبُونَ دَمَ الْحُسَيْنِ  
ذَبَحُوا الْحُسَيْنِ!...) .

والملاحظ أن نسق (الكامل) يُمثل إيقاعاً رئيساً ضمن النسق الإيقاعي الرباعي في بنية القصيدة، فهو النسق الإيقاعي الأنسب في بنية السطر الشعري في أغلب مقاطع القصيدة؛ فقد استوعب المقطع الثاني-الورقة الثانية-الذي اشتمل أربعة عشر سطرًا، واستوعب المقطع الثالث-الورقة الثالثة-الذي اشتمل على عشرة سطور، واستغرق في المقطع الخامس-ورقة الخامسة-أثنين وثلاثين سطرًا، وشكل نسبة (73.68%) من النسبة الكلية لمجموع الأنساق الأربعة في القصيدة في حين لم تتجاوز نسبة (الخفيف) و(الوافر) و(الرملي) مجتمعين (26.31%). كما أن المزاوجة الإيقاعية بين النسقين (الكامل) و(الوافر) في النسق الإيقاعي الرباعي، لها ما يبررها على المستوى الفني فالتسقان أصلح الأنساق التي ينظم عليها الشعراء للقاء فصائدهم قصد التأثير في المتلقي، وهذا راجع إلى طبيعة النواة الإيقاعية التي يتكون منها التسقان المذكوران، هذه النواة هي الفاصلة الصغرى الوند المجموع أو الوند المجموع+الفاصلة الصغرى، وتتميز الفاصلة الصغرى بنعمة سريعة، بينما يتسم الوند بإيقاع بطيء، والجمع بين هذين العنصرين يحدث توازنًا داخل النواة، ودخل النسق. وهذا التوازن حاصل حتى في حالة الإضمار، أو في حالة العصب، وهذا هو التحويل الوحيد الذي يلحق أجزاء هذين النسقين على مستوى الإنجاز، بخلاف الرمل الذي تتألف نواته من سببين خفيفين يتوسطهما وتد مجموع، فهذه النواة تُصبح في حالة حبنها مكونة من فاصلة وسبب خفيف، وهذا ما يجعل النسق يعرف ذبذبات غير منتظمة انظام (الكامل) أو (الوافر)، ولهذا صلح (الكامل) و(الوافر) للقاء نظرًا لصفاء نغمهما واتزان إيقاعهما. (1)

والملاحظ، أيضًا، نسق (المتدارك) في القصيدة الحرة المتعددة الأنساق له أهميته وخصوصيته الإيقاعية، فقد ورد في المرتبة الثامنة من حيث شيوعه في متن الشعر الإسلامي المعاصر، وتواتر سبع عشرة (17) مرة، أي بنسبة (2.84%)، وورد في القصيدة الحرة في المرتبة الرابعة، فقد تواتر سبع مرات، ومثل نسبة (10.76%).

ويعدُّ نسقًا إيقاعيًا أساسيًا أكثر كثافة في القصيدة الحرة المتعددة الأنساق الإيقاعية، ففي ديوان (الأحجار الفوارة) عشر قصائد، انتظمت سبع قصائد على نسقه وتداخل مع غيره في قصيدتين في نسق ثلاثي، وخطا من قصيدة واحدة، وبلغت الأرقام يكون (المتدارك) قد مثل نسبة (90%) من نسبة مجموع الأنساق. وفي ديوان (أول

(1) محمد علي الرباوي: (أوراق مهربة من زمن الحصار-دراسة تحليلية-)، ص: 27.

الغَيْثِ<sup>(\*)</sup> سِتُّ قَصَائِدَ حُرَّةٍ مُتَعَدِّدَةِ الْأَنْسَاقِ يَرِدُ (الْمُتَدَارِكُ) فِي خَمْسٍ مِنْهَا مُتَدَاخِلًا مَعَ غَيْرِهِ فِي أَنْسَاقٍ ثُنَائِيَّةٍ وَثَلَاثِيَّةٍ وَرُبَاعِيَّةٍ، وَغَالِبًا مَا يَتَدَاخَلُ الْمُتَدَارِكُ مَعَ الْمُتَقَارِبِ وَالرَّجْزِ وَالرَّمَلِ وَالْكَامِلِ وَالْوَافِرِ وَالطَّوِيلِ. وَيَكْتَسِبُ نَسَقُ (الْمُتَدَارِكِ) أَهَمِّيَّتَهُ الْإِيقَاعِيَّةَ مِنْ حَيْثُ خُصُوصِيَّةُ صُورِهِ الْإِيقَاعِيَّةَ لِمُنْرَاحَةِ؛ فَإِنَّ صُورَتَهُ الْمَعْيَارِيَّةَ فَاعِلُنَ (0//0) - وَهِيَ نَادِرَةٌ الْوُجُودِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ - تَنْزَاحٌ إِلَى صُورَةِ (فَعِلُنَ=0///) أَوْ (فَعْلُنَ=0/0) أَوْ (فَاعِلَانُ=00//0)، أَوْ (فَعِلَاتُنَ=0/0///)، وَ(فَعْلَانُ=00///) أَوْ (فَاعِلُ=//0)، وَإِذَا كَانَتْ الصُّورُ الْإِيقَاعِيَّةُ (فَعْلُنَ) وَ(فَعِلَانُ) وَ(فَعِلَاتُنَ) مُجَازَةً عَرُوضِيًّا، فَإِنَّ الصُّورَ (فَعْلُنَ) وَ(فَعْلَانُ) وَ(فَعِلَاتُنَ) نَادِرَةٌ، بَيْنَمَا تُعَدُّ (فَاعِلُ) حَدِيدَةً.

أَمَّا مَنْ حَيْثُ خُصُوصِيَّةُ تَشْكِيلَاتِهِ الْإِيقَاعِيَّةِ فِي حَالَتِي التَّمَامِ وَالْجُزْءِ فَلَهُ فِي حَالَةِ التَّمَامِ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ يَكُونُ كُلُّ مِنَ الْعَرُوضِ وَالضَّرْبِ صَحِيحَيْنِ (فَاعِلُنَ)<sup>(1)</sup>، وَلَهُ فِي حَالَةِ الْجُزْءِ ثَلَاثُ صُورٍ تَأْتِي الْعَرُوضُ فِيهَا صَحِيحَةً (فَاعِلُنَ) وَيَأْتِي الضَّرْبُ صَحِيحًا (فَاعِلُنَ) أَوْ مُذَالًا (فَاعِلَانُ) أَوْ مَخْبُونًا مُرْفَلًا (فَعِلَاتُنَ)<sup>(2)</sup>.

وَيَمْنَحُ ذَلِكَ التَّعَدُّدُ فِي الصُّورِ وَالتَّشْكِيلَاتِ تَنوعًا يُثْرِي إِيْقَاعَ الْقَصِيدَةِ، وَيَتَفَاعَلُ مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى مِنْ جِهَةٍ وَحَرَكَةِ الشُّعُورِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَّةٍ، وَأَوْضَحُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ التَّفَاعُلُ بَيْنَ الْإِيْقَاعِ وَالشُّعُورِ وَالْمَعْنَى عِنْدَمَا يَأْتِي الْمُتَدَارِكُ فِي شَكْلِ (الْحَبِّ) فَيَتَمَيَّزُ بِخَفَّتِهِ وَحَرَكَتِهِ وَسُرْعَتِهِ وَحَيَوِيَّتِهِ، وَبِهَذِهِ الصِّفَاتِ يَرِدُ (الْمُتَدَارِكُ) فِي قَصِيدَةِ (النَّارِ) الَّتِي يَسْتَمْتِرُ فِيهَا الشَّاعِرُ إِمْكَانَاتِ النَّسَقِ الْإِيقَاعِيَّةِ، وَتَتَأَلَّفُ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ مِنْ خَمْسَةِ مَقَاطِعِ مُرْقَمَةٍ مِنْ (1) إِلَى (5)، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ رَقْمَ (1) مِنَ الْقَصِيدَةِ<sup>(3)</sup>:

النَّارُ!

النَّارُ.. النَّارُ.. النَّارُ

وَعَدُّ يَنْصَبُ عَلَيَّ عَيْنِي فَتَشْبُ النَّارُ

قَدَمِي فِي الْبَحْرِ وَفِي الْأَفَاقِ يُضِيءُ فَنَارُ

مَا بَيْنَ اللَّحْظَةِ وَالْأُخْرَى سَيَجِيءُ قَرَارُ

عُمْرِي يَمْضِي.. وَالْوَعْدُ نَهَارُ

لَكِنَّ اللَّيْلَ يُلَازِمُنِي وَيَدُورُ حِصَارُ

وَيَشُدُّ الْقَيْدَ عَلَيَّ قَدَمِي وَيَعِزُّ فَرَارُ

الْأَفُقُ أَمَامِي مُمْتَدُّ فَحْدَارٍ حَذَارُ

(\*) الديوانان لمحمد علي الرباوي كما تقدم.

(1) صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر العربي، ص: 101.

(2) المرجع نفسه، ص: 102.

(3) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط: 1، 1427هـ-2006م،

ص: 16.

وَيَضِيعُ الْأَصْحَابُ عَلَى دَرْبِي وَيَعْرِزُ الْجَارُ

يَبْدُو إِيقَاعُ الْمَقْطَعِ مُهْتَزًّا مُتَوْتِرًا مُتَوْتِبًا تَنْتَظِمُهُ صُورَةُ الْمُتَدَارِكِ الْمُتْرَاوِحَةِ بَيْنَ (فِعْلِن=0///) و(فَعْلُن=0/0) و(فَعْلَان=00/0) مُنْسَجِمَةً مَعَ الْإِنْفَعَالِ النَّائِرِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ وَفِي سَائِرِ مَقَاتِعِ الْقَصِيدَةِ، وَتَفَاوَتْ سَطُورُ الْمَقْطَعِ الْعَشْرَةَ قَصْرًا وَطُولًا، فَالسَّطْرُ الْأَوَّلُ يَرْتَكِزُ عَلَى صُورَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ تَمَثِيلٌ لِلْكَلِمَةِ الْوَحِيدَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ بِنْيَةَ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ، وَهِيَ كَلِمَةُ (النَّارِ)، وَتَتْرَاوِحُ بَقِيَّةُ السَّطُورِ بَيْنَ أَرْبَعِ صُورٍ وَسِتِّ صُورٍ، تَنْوَعُ بَيْنَ (فَعْلِن) و(فَعْلَان) و(فَعْلَانُتْن)، وَقَدْ أَسْهَمَ تَكَرُّرُ الْكَلِمَةِ (النَّارِ) سِتَّ مَرَّاتٍ مَعَ الْكَلِمَاتِ الْمُجَانِسَةِ لَهَا (فَنَارٍ، قَرَارٍ، فِرَارٍ...)، وَتَكَرُّرُ الصَّوْتِ الْمَجْهُورِ (الرَّاءِ) فِي تَشْكِيلِ الْإِيقَاعِ الْمُتَوْتِرِ، إِضَافَةً إِلَى إِيقَاعِ صَيْغَةِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ (يَنْصَبُ، تَشْبُ، يَشْدُ...).

وَتُمَثِّلُ الْمُرْدَّةُ (النَّارِ)، بِتَوَاتُرِهَا الَّذِي بَلَغَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً فِي عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ وَمُنْتَهَا، نَوَاءً إِيقَاعِيَّةً وَدَلَالِيَّةً كَثِيفَةً الْإِيحَاءَاتِ وَالظَّلَالِ تَدُورُ حَوْلَهَا مَعَانِي الثُّورَةِ وَالانْطِلَاقِ وَالقُوَّةِ وَالثِّقَةِ وَالِإِصْرَارِ.

أَمَّا الْمَقَاتِعُ الشَّعْرِيَّةُ فَتَبَايَنَتْ فِي قِصْرِ وَطُولِهَا، فَبِنْيَةُ الْمَقْطَعِ الثَّانِي (2) تَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ سَطْرًا شِعْرِيًّا، تَنْوَعُ فِيهَا الصُّورُ الْإِيقَاعِيَّةُ بَيْنَ (فَعْلِن) و(فَعْلَان)، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ (3) مِنْ ثَلَاثَةِ عَشَرَ سَطْرًا شِعْرِيًّا، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ الْمَقْطَعِ الرَّابِعِ (4) مِنْ سِتَّةِ عَشَرَ سَطْرًا. وَتَمْتَدُّ بِنْيَةُ الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ (5) إِلَى تِسْعَةِ عَشَرَ سَطْرًا، وَهِيَ أَطْوَلُ الْمَقَاتِعِ سَطُورًا.

وَيَلَاخِظُ بِصِفَةِ عَامَّةٍ أَنَّ الْقَصِيدَةَ الْمُتَعَدَّدَةَ الْأَنْسَاقِ فِي الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ تَتَدَاخَلُ فِيهَا الْأَنْسَاقُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْبَسِيطَةُ الصَّافِيَّةُ أَوْ الْمُرَكَّبَةُ الْمَمْزُوجَةُ يُعْبَرُ عَنِ طَبِيعَةِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَمُرْتَبِطٌ بِهَا. وَأَنَّ هَذَا التَّدَاخُلَ بَيْنَ الْأَنْسَاقِ أَوْ الْإِنْتِقَالَ دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ مِنْ سَطْرِ قَائِمٍ عَلَى صُورَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ إِلَى سَطْرِ آخَرَ قَائِمٍ عَلَى صُورَةٍ أُخْرَى قَدْ تَمَّ بِالشَّرْطِ الْفَنِيِّ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا، وَهِيَ:

1- أَنْ يَكُونَ السَّطْرُ الْجَدِيدُ بَدَايَةَ لِمَقْطَعٍ جَدِيدٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ.

2- أَوْ أَنْ يُعْبَرَ هَذَا السَّطْرُ عَنِ انْتِقَالٍ فِي الْمَوْقِفِ الشَّعْرِيِّ.

3- فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا ذَلِكَ فَيَتَحْتَمُّ عِنْدَئِذٍ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ ((عَلَاقَةٌ تَدَاخُلُ)) بَيْنَ التَّفْعِيلَةِ الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي

السَّطْرِ الْأَوَّلِ وَالتَّفْعِيلَةِ الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي السَّطْرِ الَّذِي يَلِيهِ، عَلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي اعْتِبَارِ الشَّاعِرِ اسْتِعْغَالُ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ فَنِيًّا. (1) بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ التَّدَاخُلَ قَدْ تَمَّ بَيْنَ أَنْسَاقٍ إِيقَاعِيَّةٍ مُتَقَارِبَةٍ فِي تَكْوِينِهَا الْإِيقَاعِيِّ كَالْتَدَاخُلِ بَيْنَ (الْمُتَقَارِبِ) وَ(الْمُتَدَارِكِ) وَمِنْ تَمَّ لَا تَعْظُمُ الْمَفَارِقَةُ الَّتِي يُحْسِنُهَا الْمُتَلَقِّي فِي انْتِقَالِهِ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْإِنْتِقَالُ فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ ذَاتِهِ. (2)

(1) عزّ الدّين إسماعيل: الشّعْر العربيّ المعاصر، ص: 102.

(2) محمّد فتوح أحمد: الرّمز والرّمزيّة في الشّعْر المعاصر، ص: 396.

- 2- الأَظْماط الإيقاعية في القصيدة:
- 2-1- التَّحْوُلُ من النَّمَطِ العَمُودِيِّ إِلَى النَّمَطِ الحُرِّ
- 2-2- التَّحْوُلُ من النَّمَطِ الحُرِّ إِلَى النَّمَطِ العَمُودِيِّ

لَقَدْ تَعَرَّضَتْ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ إِلَى "مُنْعَطَفَاتٍ مُهِمَّةٍ فِي تَشْكِيلِ مُوسِقَاهَا مِمَّا لَمْ تَعْرِفُهُ الْقَصِيدَةُ الْعُمُودِيَّةُ وَلَمْ تَشْهَدْهُ بِحُكْمِ عَوَامِلَ كَثِيرَةٍ، لَعَلَّ فِي مُقَدِّمَتِهَا الطَّبِيعَةُ الْمَرْنَةُ لِلشَّكْلِ الشَّعْرِيِّ الْحَدِيثِ وَقَدْ تَمَحَّوَرَتْ هَذِهِ الْإِنْعِطَافَاتُ حَوْلَ نَمَازِجٍ مِنَ الْمَزَاجَةِ الْمَوْسِيقِيَّةِ، سِوَاءُ بَيْنَ بَحْرِ شِعْرِيٍّ وَبَحْرٍ آخَرَ، أَوْ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالشَّرِّ، أَوْ بَيْنَ الشَّكْلِ الْحَدِيثِ (الْحُرِّ) وَالشَّكْلِ الْقَدِيمِ (الْعُمُودِيِّ)، مَا أَضْفَى عَلَيْهَا فِيمَا مُوسِيقِيَّةً حَدِيدَةً أَهْلَتْهَا عَلَى نَحْوِ أَكْبَرَ لَاسْتِيعَابِ تَجْرِبَةِ الْعَصْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِتَشْكِيلَاتِهَا وَتَعْقِيدَاتِهَا".<sup>(1)</sup> وَقَدْ شَكَّلَ تَدَاخُلُ النَّمَطَيْنِ الشَّعْرِيَّيْنِ الْعُمُودِيِّ وَالْحُرِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ إِحْدَى الظُّوَاهِرِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوِرِ الَّتِي عُرِفَتْ تَحْتَ مُصْطَلَحَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ فَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهَا، أَحْيَانًا، مُصْطَلَحُ (الْإِزْدِوَاجِ الْمَوْسِيقِيِّ بَيْنَ الشَّعْرِ الْمُقَفَّى وَشِعْرِ التَّفْعِيلَةِ)،<sup>(2)</sup> وَتُعْرَفُ الْقَصِيدَةُ الْمُتَعَدَّدَةُ الْأَنْمَاطِ - كَتَجْرِبَةِ شِعْرِيَّةٍ مُعَاوِرَةٍ - بِأَنَّهَا "مَا يُزَاجُ فِيهَا أَصْحَابُهَا بَيْنَ ((شِعْرِ الشَّطْرَيْنِ)) وَ((شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ))، بَحَيْثُ تُخْتَمُ الْقَصِيدَةُ بِأَيِّاتٍ مِنْ ((شِعْرِ الشَّطْرَيْنِ)) أَوْ تُتَخَلَّلُ الْقَصِيدَةُ بَعْضُ الْمَقَاطِعِ الشَّعْرِيَّةِ مِنْ ((شِعْرِ الشَّطْرَيْنِ))، وَهَذِهِ الْأَيِّاتُ لَا تُمَثَّلُ عِبًّا عَلَى التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ بَلْ تُمَثَّلُ إِحْدَى ((الْبُنَى)) الْأَسَاسِيَّةِ فِي هَيْكَلِ الْقَصِيدَةِ وَمِعْمَارِهَا الْفَنِيِّ - الْمَوْسِيقِيِّ وَالشَّعْرِيِّ وَاللُّغَوِيِّ - وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْأَيِّاتُ مِنْ شِعْرِ الشَّاعِرِ، وَقَدْ تَكُونُ مُقْتَبَسَةً مِنْ شَاعِرٍ آخَرَ قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ".<sup>(3)</sup> وَقَدْ أَضَافَ الْقَوْلُ إِلَى التَّعْرِيفِ طَرِيقَةً إِدْمَاجِ النَّمَطِ الْعُمُودِيِّ وَمَوْقِعِهِ فِي الْقَصِيدَةِ وَمَصْدَرِهِ، فَقَدْ يَقَعُ النَّمَطُ الْعُمُودِيُّ الْأَصِيلُ أَوْ الْمُقْتَبَسُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ أَوْ فِي وَسْطِهَا أَوْ فِي نَهَائِهَا، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَهُوَ بِنِيَّةٍ أُسَاسِيَّةٍ مِنْ بِنَى الْقَصِيدَةِ وَتَتَضَحُّ عِلَاقَتُهُ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ عَلَى مُسْتَوَى الْإِيْقَاعِ وَعَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ.

وَتَتَحَلَّى ظَاهِرَةُ التَّدَاخُلِ أَوْ تَعَدُّدِ الْأَنْمَاطِ الشَّعْرِيَّةِ فِي مَثْنِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاوِرِ، بِشَكْلِ وَاضِحٍ، فِي إِحْدَى عَشْرَةَ قَصِيدَةً - فِي إِطَارِ الْمَثْنِ الشَّعْرِيِّ الْمُحَدَّدِ - وَتَكْمُنُ وَظِيفَتُهَا الْفَنِيَّةُ وَالْجَمَالِيَّةُ وَالتَّفْسِيحُ فِي التَّنْوِيعِ فِي النَّمَطِ الْإِيْقَاعِيِّ لِلْقَصِيدَةِ وَفِي مَظْهَرِهَا الْهَيْكَلِيِّ بِمَا يُخَفِّفُ مِنْ حِدَّةِ النَّمَطِ الْمَوْرُوثِ وَرَتَابَةِ إِيْقَاعَاتِهِ وَيَدُلُّ عَلَى جَمَالِيَّةِ مِعْمَارِ الْقَصِيدَةِ، وَتَكْمُنُ تِلْكَ الْوِظِيفَةُ فِي إِيجَادِ التَّفَاعُلِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالتَّلَقِّيِّ مِنْ خِلَالِ التَّصَرُّفِ الْفَنِيِّ فِي الْمَزَاجَةِ بَيْنَ النَّمَطَيْنِ الشَّعْرِيَّيْنِ تَصَرُّفًا يَفْرِضُهُ اتِّجَاهُ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ نَحْوَ الْغَنَائِيَّةِ أَوْ الدَّرَامِيَّةِ وَتَفْرِضُهُ مَقْصِدِيَّةُ الشَّاعِرِ.

وَيَتَّخِذُ التَّدَاخُلُ أَوْ تَعَدُّدُ الْأَنْمَاطِ فِي مَسَارِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ شَكْلَيْنِ مِنَ التَّحْوُلِ لِمُسَوِّغَاتٍ جَمَالِيَّةٍ وَفَنِيَّةٍ، فَقَدْ يَكُونُ التَّحْوُلُ مِنَ النَّمَطِ الْعُمُودِيِّ إِلَى النَّمَطِ الْحُرِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ النَّمَطِ الْحُرِّ إِلَى النَّمَطِ الْعُمُودِيِّ.

(1) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 213.

(2) صابر عبد اللّام: موسيقى الشعر العربي، ص: 225.

(3) المرجع نفسه، ص: 225.

## 2-1- التحوُّل من النمط العمودي إلى النمط الحر:

إنَّ التَّحوُّلَ أو الانتِقَالَ "من الشَّكْلِ الحرِّ إلى الشَّكْلِ العموديِّ يَصَاحِبُهُ نَقْلٌ كَامِلٌ فِي طَرِيقَةِ مُعَالَجَةِ الْحَالِ الشُّعْرِيَّةِ إِيقَاعِيًّا، بِمَا يَدْفَعُ بِالْمُتَلَقِّيِّ إِلَى اسْتِحْضَارِ ذَاتِقَتِهِ وَخَبْرَتِهِ التَّقْلِيدِيَّةِ فِي الاسْتِحَابَةِ لِهَذَا التَّحوُّلِ الشَّكْلِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ، وَمِنْ ثَمَّ التَّقْلِيلِ مِنْ حِدَّةِ الْمَسَارِ الْإِيقَاعِيِّ الْمُوَحَّدِ الضَّاعِطِ عَلَى فِضَاءِ الْقَصِيدَةِ الْمَوْسِيقِيِّ، وَكَذَلِكَ الْحَالِ فِي الْإِنْتِقَالِ الْمُعَاكِسِ مِنَ الشَّكْلِ الْعَمُودِيِّ إِلَى الشَّكْلِ الْحُرِّ، وَالَّذِي يَزِيدُ مِنْ حِدَّةِ الْمَسَارِ الْإِيقَاعِيِّ وَيُصْعَدُّ مِنْ غِنَائِيَّةِ الْقَصِيدَةِ".<sup>(1)</sup> وَيَتِمُّ الشَّكْلُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّحوُّلِ فِي التَّحوُّلِ أَوْ الْإِنْتِقَالِ مِنَ النَّمَطِ الْعَمُودِيِّ إِلَى النَّمَطِ الْحُرِّ، وَيُحَدِّدُ اتِّجَاهَ التَّحوُّلِ مَوْقِعَ النَّمَطِ الْعَمُودِيِّ بِأَنْ يَكُونَ فِي أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ أَوْ فِي وَسْطِهَا، وَتُجَسَّدُ قَصِيدَةٌ (أَوْ رَاقٌ مُهَرَّبَةٌ مِنْ زَمَنِ الْحِصَارِ) نَمُودًا لِهَذَا الشَّكْلِ مِنَ التَّحوُّلِ فِي مَوْضِعَيْنِ، فَهِيَ تَبْدَأُ بِمَقْطَعِ عَمُودِيٍّ قَائِمٍ عَلَى انْتِظَامِ الشُّطْرَيْنِ عَلَى نَسَقِ (الْحَفِيفِ) لِلْمُنْتَبِيِّ<sup>(2)</sup> تَحْتَ عُنْوَانِ (الْوَرَقَةِ الْأُولَى مِنْ دِيْوَانِ أَبِي الطَّيِّبِ) يَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثَةِ آيَاتٍ، وَهُوَ فِي سِيَاقِهِ الْجَدِيدِ أَصْبَحَ بِنِيَّةٍ جَزْئِيَّةً دَاخِلَ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْكُلِّيَّةِ<sup>(3)</sup>:

أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ  
وَسَوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ  
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ

وَالْمُلاحِظُ أَنَّ هَذِهِ الْبِنِيَّةَ الشُّعْرِيَّةَ الْعَمُودِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ تُعَدُّ مُتَفَاعِلًا نَصْبِيًّا؛ أَيَّ أَنَّهَا أُخِذَتْ مِنْ نَصِّ سَابِقٍ وَأُدْمِجَتْ فِي هَذَا النَّصِّ دُونَ تَحْوِيرٍ فَقَدْ التَّحَمَّتْ فِي نَسِيجِ الْقَصِيدَةِ وَتَحَوَّلَتْ إِلَى جُزْءٍ مِنْهَا دُونَ أَنْ تَتَسَبَّبَ فِي أَيِّ اضْطِرَابٍ أَوْ هَلْهَلَةٍ لِهَذَا النَّسِيجِ الشُّعْرِيِّ، وَهِيَ تَصُبُّ فِي السِّيَاقِ ذَاتَهُ الْفِكْرِيَّ وَالشُّعُورِيَّ الَّذِي تَتَخَلَّقُ فِيهِ التَّجْرِبَةُ الشُّعْرِيَّةُ، وَهِيَ تُمَثِّلُ الْمَوْقِفَ ذَاتَهُ الَّذِي يَتَّخِذُهُ الشَّاعِرُ، وَتُمَثِّلُ، بِوَصْفِهَا تَوَاطُفًا، عَتَبَةً لِلْمَضْمُونِ الشُّعْرِيِّ فِي النَّصِّ، وَإِذَا كَانَ الْمَقْطَعُ الْعَمُودِيُّ بِنَسَقِهِ الْإِيقَاعِيِّ يَصِفُ وَضْعًا قَدِيمًا لِقَائِدٍ كـ(سَيْفِ الدَّوْلَةِ) بَيْنَ أَعْدَاءِ الْخَارِجِ (الرُّومِ) وَأَعْدَاءِ الدَّاخِلِ (الْمُتَأَمِرِينَ)، فَهُوَ يُؤَمِّئُ إِلَى وَضْعِ حَدِيثٍ وَضَعَ الشَّعْبُ الْفِلَسْطِينِيَّ بَيْنَ أَعْدَائِهِ. وَتَتَحَوَّلُ الْقَصِيدَةُ مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ الْعَمُودِيِّ إِلَى مَقْطَعٍ حُرٍّ غَيْرٍ مُنْفَصِلٍ عَنِ السِّيَاقِ وَالْحَالِ الشُّعْرِيِّ الْعَامِّ، فَهُوَ يُشَكِّلُ بِنِيَّةً جَزْئِيَّةً ثَانِيَةً مِنْ بِنَى الْقَصِيدَةِ، ثَلَاثُ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِلِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ بِلِ الْمَرَحَلَةِ الْأُولَى فِيهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْوَرَقَةِ الثَّانِيَةِ<sup>(4)</sup>:

يَتَطَاوَلُ اللَّيْلُ الْمُسَرِّدِقُ فِي الْقُلُوبِ وَفِي الْعَيْونِ

(1) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 220.

(2) المنتبي: الديوان، دار صادر، بيروت، 2006، ص: 277.

(3) حسن الأمراني: من الشعر الإسلامي الحديث، رابطة الأدب الإسلامي، ص: 363.

(4) المصدر نفسه، ص: 363.

وَيُؤَزِّنَا أَرْزَا كَنَارِ الدَّمْعِ فِي الأَحْدَاقِ  
أَوْ كَاشْتَعَالِ الشَّقِيقِ فِي الأَعْمَاقِ  
وَحِبَالِ رَحْلَتِنَا تَطُولُ كَأَنَّمَا الصَّبْرُ الخُزُونُ  
سَيْفٌ يَكْفُ الجُنْدِ يَشْرَبُ دَمَنَا المَسْتُونُ  
دَمُونُ إِنَّا مَعْشَرٌ ..)

لَا نُسَلِّمُ الأَصْحَابَ فِي التُّعْمَى وَحِينَ البَاسِ يَا دَمُونُ  
لَا نَرْفَعُ الرَّايَاتِ غَدْرًا لِلأَحِبَّةِ  
ضَاقَتْ بِنَا الأَرْضُ الفَسِيحَةُ أَوْ بَدَتْ كَالأَفْقِ رَحْبَةً

يُوقِفُ التَّحَوُّلُ إِلَى التَّمَطِّ الحُرِّ مِنْ حِدَّةِ المَسَارِ الإيقاعِي المُوَحَّدِ التِّي يُكْرِسُهَا المَقْطَعُ العَمُودِي بِانْتِظَامِ المَقْطَعِ الجَدِيدِ عَلَى نَسَقِ (الكَامِلِ) الَّذِي تَتَوَزَّعُ صُورَتُهُ الإيقاعِيَّةُ بِأَعْدَادٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ سَطْرٍ إِلَى آخَرَ، وَيَمْنَحُ التَّمَطُّ الحُرُّ مَجَالًا فَسِيحًا لِلتَّبَعِيرِ عَنْ مَوْقِفِ الشَّاعِرِ لِنِ يَعْدِرَ بِأَحِبَّتِهِ وَلَنْ يُسَلِّمَ أَصْحَابَهُ، وَيَجَسِّدُ هَذَا المَقْطَعُ رُؤْيَا مُخْتَلِفَةً لِرُؤْيَا المَقْطَعِ السَّابِقِ وَإِنْ ظَلَّتْ هِيَ الرُّؤْيَا الكَامِنَةُ فِي القَصِيدَةِ. وَيَأْتِي المَقْطَعُ الرَّابِعُ فِي القَصِيدَةِ عَمُودِيًّا مُنْتَظَمًا عَلَى نَسَقِ (الوَافِرِ) فِي ثَلَاثَةِ آيَاتٍ مُجَسَّدًا لِلتَّحَوُّلِ، مَرَّةً ثَانِيَةً، مِنْ التَّمَطِّ العَمُودِيِّ إِلَى التَّمَطِّ الحُرِّ الَّذِي يَتَخَلَّلُ أَوْ يَتَوَسَّطُ القَصِيدَةَ، وَبِذَلِكَ تَعُودُ القَصِيدَةُ إِلَى إِيقَاعِ الشُّطْرَيْنِ المُتَمَيِّزِ بِإيقَاعِهِ المُوَحَّدِ لِيُمَثِّلَ إِعْلَانًا عَنْ مَوْقِفِ جَدِيدٍ فِي عِبَارَةٍ مُخْتَزَلَةٍ مُنْتَظَمَةٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

حَذَارِ حَذَارٍ لَّا تُسَلِّمُ سِلَاحَكَ  
وَلَا تُسَكِّنُ- إِذَا انْتَشَرَتْ- رِيَاحَكَ  
طَرِيقَكَ؟ مُرْهَفَاتُ العَدْرِ فِيهَا  
تَوُدُّ، تَوُدُّ لَوْ قَعَصَتْ رِمَاحَكَ  
فَكُنْ فَرَسًا جَمُوحًا ثَمَّتَ اجْعَلْ  
جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي المَهِيحَا وَشَاحَكَ

يَتَحَوَّلُ مَسَارُ القَصِيدَةِ مِنَ التَّمَطِّ العَمُودِيِّ إِلَى التَّمَطِّ الحُرِّ مُحْتَفِظًا بِوَحْدَةِ السِّيَاقِ الشُّعُورِيِّ وَوَحْدَةِ المَوْضُوعِ، مِمَّا يَجْعَلُ كُلَّ بَنَى القَصِيدَةِ مُتْرَابِطَةً يَنْتَظِمُهَا سِلْكُ التَّجْرِبَةِ، وَالاِنْتِقَالُ إِلَى حَالَةٍ شِعْرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ يَفْرَضُ شَكْلًا خَاصًّا يَحْتَوِي المَضْمُونِ الجَدِيدِ، كَمَا يَفْرَضُ طَرِيقَةً خَاصَّةً فِي تَلْقِيهِ، وَقَبْلَ هَذَا الاِنْتِقَالِ يُهَيِّئُ الشَّاعِرُ مُتَلْقِيَهُ بِشَطْرٍ شِعْرِيٍّ عَمُودِيٍّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الوَرَقَةِ الخَامِسَةِ<sup>(2)</sup>:

(أَمِنْ أزدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءِ)

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 364

(2) المصدر نفسه، ص: 364.

إِذْ مَثَلَمَا قَدَّامَكَ الْأَعْدَاءُ  
مِنْ خَلْفِكَ الْأَعْدَاءُ  
وَعَلِيُّ الْمُتَوَفِّزُ بْنُ مُحَمَّدٍ  
يُزْجِي الصُّفُوفَ مُطَالِبًا بِدَمِ الْحُسَيْنِ جِهَارَةً  
وَيُرَاسِلُ الْأَعْدَاءَ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ  
(الطَّالِبُونَ دَمَ الْحُسَيْنِ  
ذَبَحُوا الْحُسَيْنِ!...) .

وما يلاحظ في التحول من النمط العمودي إلى الحر أن كل نمط يستقل بنسقه الإيقاعي الخاص، فلا يستمر الإيقاع ذاته في النمطين، ويشعر المتلقي مع التحول النمطي بتحول الإيقاع وطريقة نظم التراكيب، وكل ذلك يدغم القصيدة القائمة على تعدد الإيقاعات والأشكال وتعدد الأصوات وعلى تعدد النزعات الغنائية والدرامية. إن التشكيل الإيقاعي النمطي في القصيدة الإسلامية فضلاً عن تولين نسيج البنية الإيقاعية للقصيدة يشير إلى أن هناك قصداً للتمسك بالنمط الإيقاعي الذي كرسته القصيدة العمودية القديمة والإفادة من جمالياته، وأن هناك قصداً آخر إلى التحديد والتنويع في الإيقاع وفي معمار القصيدة من خلال تكريس النمط الحر بجمالياته. وغير صحيح أن هذه الثنائية النمطية "تشي - من حيث الشكل على الأقل - أن الشاعر لا يزال متردداً وقلقا في اختيار نسق القصيدة، يراه متسقاً مع طبيعة تكوينه الذاتية وفلسفته الفنية الخاصة".<sup>(1)</sup> ولا يعد هذا التمان متضادين أو ظاهرة سلبية تعكس تداخلاً في الرؤية والتشكيل وتعبيراً عن قلق فني "دونما فارق واضح في الرؤية الموحية بالتعبير"<sup>(2)</sup>، أو رغبة في التحديث كما يرى طه وادي في قوله: "حدث قدر من التداخل العفوي أو الفوضوي في الرؤية الفنية، وأخذ بعض الشعراء نتيجة لذلك ينتقلون بين أشكال الكتابة الشعرية دون عاصم فكري، يهب الشاعر اقتناعاً فنياً بأن شكلاً ما من أشكال التعبير، هو الجدير أو الملائم لكي يعكس وجهة نظره الفنية، ولكن الرغبة في ركوب أحدث الموجات الشعرية أدت إلى تأرجح الشعراء مع أكثر من شكل فني في صياغة القصيدة".<sup>(3)</sup>

والحقيقة أن الرؤية الفنية الإبداعية هي ذاتها التي ثملي على الشاعر تولين بني قصيدته، وتمنحه الحرية في توظيف أدواته الشعرية ووسائله الفنية، وتوظيف نمط شعري عمودي أو حر في صياغة التجربة الشعرية أحد هذه

(1) طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، مصر، ط: 1، 2000، ص: 256.

(2) المرجع نفسه، ص: 239.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأدواتِ والوسائلِ، وقد سبقَ روادُ القصيدةِ الحرّةِ في الشعرِ العربيِّ إلى التّنويعِ بينَ الأنماطِ الشّعريّةِ في قصائدهم كبدْرِ شاكرِ السيّابِ في مُواشجاتهِ الوزنيّةِ والشكليّةِ.<sup>(1)</sup>

ويَتَجلّى التّحوُّلُ من النّمتِ العموديِّ إلى الحرِّ في قصيدةِ (حَنِينِ إلى خَضْرَاءِ الظُّلَلِ)<sup>(2)</sup>، ويتمُّ فيها التّحوُّلُ التّمطيُّ في بنيةِ القصيدةِ دونَ تعيينٍ أو تحديدٍ مقطعيٍّ لمكانِ التّحوُّلِ أو فضائه، فكلُّ نمطٍ في القصيدةِ يأتي دونَ مؤشِّرٍ إيقاعيٍّ ينبئُه إلى هذا التّحوُّلِ سوى الشكْلِ أو التّمطِ الَّذي يُعلنُ عن اختلافه، فالنّمطانِ المتداخِلانِ مُنتظِمانِ على نسقٍ إيقاعيٍّ واحدٍ حيثُ يَنبني إيقاعُ القصيدةِ كلّها على نسقِ (الرَّمْلِ)، عكسَ القصيدةِ السّابقةِ الّتي يَنتنِظِمُ فيها كلُّ نمطٍ على نسقٍ مُغايرٍ للآخر، مما يعني أنّ التّعدُّدَ التّمطيِّ قد يكونُ مُرتبطاً بتعدُّدِ نسقيِّ، فينفردُ في هذهِ الحالةِ كلُّ نمطٍ بنسقٍ إيقاعيٍّ مُحدّد، وقد يكونُ مُنفصلاً عن التّعدُّدِ النَّسقيِّ، وفي هذهِ الحالةِ يشتركُ النّمطانِ في النَّسقِ الإيقاعيِّ ذاته، فالنّوعُ الأوّلُ وُجدَ في قصائدِ محمّدِ عليِّ الرِّبّايِ وحسنِ الأُمرايِّ وحسّدَ القصيدةِ المتعدّدةِ نسقاً ونمطاً، ووُجدَ النّوعُ الثّاني في قصائدِ مصطفىِّ العُمّاريِّ وعبدِ الرّحمنِ العِشماويِّ وحسّدَ القصيدةِ المتعدّدةِ نمطاً والموحّدةِ نسقاً.

وتُعدُّ قصيدةُ (حَنِينِ إلى خَضْرَاءِ الظُّلَلِ) من النّوعِ الثّاني المتعدّدِ نمطاً والموحّدِ نسقاً، ويتحقّقُ فيها التّحوُّلُ التّمطيُّ في الاستهلالِ فقد بدأتُ ببنيةِ عموديّةٍ مُكوّنةٍ من بيتينِ على نسقِ (الرَّمْلِ) المجرؤِ القائمِ على أربعِ صورٍ إيقاعيّةٍ، يقولُ الشّاعرُ<sup>(3)</sup>:

لَيْلَةُ الْوَجْدِ انْفِسَاحٌ مُبْهَمٌ الرَّؤْيَا حَزِينُ  
وَعَصَافِيرُ الشِّتَاءِ الْبَيْضُ يُدْمِيهَا الْحَيْنُ

يُشكّلُ، إذا، البيتانِ بنيةً عموديّةً تتوزّعُ فيها صورُ النَّسقِ الإيقاعيِّ بالتساويِّ على الشّطرينِ المُنتظَمينِ، وتتنوّعُ الصّورُ بينَ (فاعلاتنِ) المعياريةِ و(فعلاتنِ) المنزاحتينِ، وتلتزمُ بنسقٍ تقفويٍّ موحّدٍ برويِّ (الثّون). وبعدَ هذهِ البنيةِ العموديّةِ تتحوّلُ القصيدةُ إلى بنيةٍ حرّةٍ مُكوّنةٍ من سُطورٍ شعريّةٍ قائمةٍ على النَّسقِ الإيقاعيِّ المألوفِ سابقاً ذاته دونما وقفٍ أو هزٍّ لمَسارِ الإيقاعِ في بنيةِ القصيدةِ، لأنَّ التّعدُّدَ النَّسقيِّ مَقْصودٌ لإحداثِ الانتقالِ المفاجئِ الَّذي من شأنه هزُّ المتلقّي وإحداثِ لَوْنٍ من ألوانِ الانتباهِ.<sup>(4)</sup> يقولُ الشّاعرُ<sup>(5)</sup>:

الْحَيْنُ الْمُرُّ هَذَا..

أَمْ مَسَافَاتُ السِّنِينِ..؟

(1) حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص: 89.

(2) مصطفى محمد الغمّاري: قراءة في آية السيف، ص: 57.

(3) المصدر نفسه، ص: 57.

(4) محمّد علوان سلمان: الإيقاع في شعر الحدّاث، ص: 158.

(5) مصطفى محمد الغمّاري: قراءة في آية السيف، ص: 57.

مُرَّةٌ كَالْحَمْرِ آه..  
مُرَّةٌ كَالثَّلَجِ آه  
مُرَّةٌ كَالْمَوْتِ يَنْقُضُ عَلَى حُلْمٍ دَفِينٍ  
مُرَّةٌ هَذِي الْمَرَايَا...

وما يُمكنُ ملاحظتهُ على التَّحوُّلِ مِنَ التَّمَطِّ العَمُودِيِّ إِلَى الحُرِّ اسْتِمْرَارُ الإيقاعِ دُونَ حُدُوثِ فَاصِلٍ أَوْ وُجُودِ فَجْوَةٍ تَدُلُّ عَلَى انْقِطَاعِ مَسَارِ الإيقاعِ، وإعادةُ تَوْزِيعِ اللَّصُورِ الإيقاعِيَّةِ بِشَكْلِ غَيْرِ مُنْتَظَمٍ، وتَقْفُ حَرَكَةُ الشُّعُورِ والمعنى سندا لهذا التَّحوُّلِ مِنَ التَّمَطِّ إِلَى آخَرَ، وما تُكادُ البنيةُ الحرَّةُ تستقرُّ حَتَّى تَتحوَّلَ القصيدَةُ مِنْ حديدٍ إِلَى بِنْيَةٍ عَمُودِيَّةٍ حديدَةٍ تُمثِّلُ انعطافَهُ أُخْرَى لِمَسَارِ القصيدَةِ مَعَ المُحافظةِ عَلَى التَّسْقِي الإيقاعيِّ المَجْرُوءِ وإعادةُ تَوْزِيعِ صُورِهِ فِي شَكْلِ مُنْتَظَمٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

.....

آه يَا سَيْفًا مُحَاصِرًا!  
كِبْرُهُ فِي شَمَخَةِ الفَتْحِ وَفِي إِصْرَارِ ثَائِرٍ  
مَا أَرَادُوا قَهْرَهُ إِلَّا اسْتَوَى مُهْرًا مُغَامِرٍ  
بَيْنَ حَدْبِهِ المِضَاءِ الصَّعْبِ والجَرْحِ المِصَابِرِ

إِنَّ حَرَكَةَ الشُّعُورِ أَوْ حَرَكَةَ الانْفِعَالِ تَتَحَكَّمُ فِي سَيْرِوَرَةِ الإيقاعِ فِي بِنْيَةِ القصيدَةِ، فَحِينَ يَرْتَبِطُ الانْفِعَالُ المُعتَدِلُ الهادئُ بِالمضمونِ الشَّعْرِيِّ الإيجابيِّ يَتحوَّلُ مَسَارُ القصيدَةِ إِلَى التَّمَطِّ العَمُودِيِّ، وَحِينَما تَخْتَلُّ حَرَكَةُ الانْفِعَالِ يَتحوَّلُ مَسَارُ القصيدَةِ إِلَى التَّمَطِّ الحرِّ، فَتتَّارِحُ الصُّورُ الإيقاعِيَّةُ المُشكَّلةُ لِلسَّطْرِ الشَّعْرِيِّ بَيْنَ الانْحِسَارِ أَوْ الاتِّسَاعِ عَلَى المُستوى الأفقيِّ لِلسَّطْرِ مُستوعِبَةً حَجْمَ الانْفِعَالِ وَحَجْمَ النَّفْسِ الشَّعْرِيِّ المُتَدَفِّقِ. وَيَحْتَفِظُ التَّمَطُّ الشَّعْرِيُّ المُدمَجُ بِخُصُوصِيَّتِهِ الإيقاعِيَّةِ النَّاتِجَةِ عَنِ تَكْوِينِ صُورِهِ الإيقاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ وَالمُنزَاحَةِ كَانزِيَاحِ الصُّورَةِ الإيقاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ لِلرَّمْلِ (فاعِلاتُنْ=0/0//0) إِلَى الصُّورَةِ المُنزَاحَةِ (فَعِلاتن=0/0//) بِوِاسِطَةِ إِجْرَاءِ تَحْوِيلِيٍّ، هُوَ الحَبْنُ- حَذْفُ الثَّانِي السَّاكِنِ- وَإِلَى الصُّورَةِ المُنزَاحَةِ (فَاعِلات=00//0) بِوِاسِطَةِ إِجْرَاءِ تَحْوِيلِيٍّ هُوَ القَصْرُ- حَذْفُ سَاكِنِ السَّبَبِ الخَفِيفِ وَإِسْكَانُ مُتَحَرِّكِهِ مِنْ آخِرِ التَّفْعِيلَةِ<sup>(2)</sup> - وَكَالتَدْوِينِ الَّذِي أُجْرِيَ فِي التَّمَطِّ العَمُودِيِّ وَالحُرِّ بِوَصْلِ الشَّطْرَيْنِ وَوَصْلِ السَّطُورِ، وَكحُرِّيَّةِ التَّصْرُفِ فِي بِنْيَةِ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي بَلَغَ أَقْصَى اتِّسَاعِهِ خَمْسَ صُورٍ إيقاعِيَّةٍ<sup>(3)</sup>:

لَنْ يَنَالُوا مِنْهُ إِلَّا مَا يَنَالُ السَّيْلُ مِنْ غُلْبِ الجِبَالِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 60.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدَة العربيَّة، ص: 86.

(3) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السَّيْفِ، ص: 60.

فَبِنْيَةِ السَّطْرِ تَسْتَطِيلُ مُرْتَبِطَةً بِحَرَكَةِ الشُّعُورِ، وَكُلُّ "مَنْ عَانَى تَجْرِبَةَ الشُّعْرِ يَعْرِفُ كَيْفَ تَمَتَّدَ الدَّفْقَةُ الشُّعُورِيَّةُ فِي النَّفْسِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَتَبْلُغُ حَدًّا مِنْ الطُّوْلِ لَا يَقْبَلُهُ إِطَارُ الْبَيْتِ التَّقْلِيدِيِّ الْمَحْدُودِ الطُّوْلِ، الْمُعْلَقِ بِقِفْلِ الْقَافِيَةِ، كَمَا لَا يَكْفِيهِ السَّطْرُ الشُّعْرِيُّ الْوَاحِدُ وَإِنْ اِمْتَدَّتْ زَمَنِيًّا إِلَى تِسْعِ تَفْعِيلَاتٍ. وَقَدْ كَانَ الشَّاعِرُ التَّقْلِيدِيُّ مُضْطَرًّا-بِحُكْمِ تَحْرُكِهِ عَمَلِيًّا فِي إِطَارِ الْبَيْتِ-لِأَنْ يُمَزَّقَ هَذِهِ الدَّفْقَةُ الشُّعُورِيَّةُ الْمُمْتَدَّةُ وَيَقْسِمَهَا مُوسِيقِيًّا عَلَى عِدَّةِ آيَاتٍ، أَيْ عِدَّةِ وَحَدَاتٍ مُوسِيقِيَّةٍ، يَنْفَصِلُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ وَيَسْتَقِلُّ. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الدَّفْقَةَ الشُّعُورِيَّةَ الْمُمْتَدَّةَ لَا تَظْفَرُ مِنَ الشَّاعِرِ بِنْيَةِ مُوسِيقِيَّةٍ مُوَحَّدَةٍ وَمُوَازِيَةٍ وَمُسَاوِيَةٍ لِهَذِهِ الدَّفْقَةِ". (1)

وَفِي كُلِّ الْحَالَاتِ فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَلْجَأُ إِلَى هَذِهِ الْوَسِيلَةِ الشُّعْرِيَّةِ-التَّنْوِيعِ التَّمْطِيِّ-مَنْ مُنْطَلَقِ رُؤْيَتِهِ الْفَنِّيَّةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي تُؤَنِّرُ الْإِنْسِحَامَ بَيْنَ النَّمَطِ الشُّعْرِيِّ وَجَانِبٍ مِنْ حَوَائِبِ التَّجْرِبَةِ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ. وَيَرِدُ التَّعَدُّدُ النَّمَطِيِّ غَيْرَ مُرْتَبِطٍ بِالتَّعَدُّدِ النَّسَمِيِّ فِي بِنْيَةِ قَصِيدَةٍ (هَذِي الْمَصَاحِفُ.. يَا إِلَهَ) الَّتِي تَنْتَظِمُ عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ)، وَتَتَخَلَّلُ الْقَصِيدَةَ أَكْثَرَ مِنْ بِنْيَةِ عَمُودِيَّةٍ مُوَحَّدَةٍ النَّسَقِ الْإِقَاعِيِّ وَمُوَحَّدَةٍ النَّسَقِ التَّفَقُويِّ مُنَوَّعَةِ الرَّوِيِّ. وَيَتِمُّ التَّحَوُّلُ مِنَ النَّمَطِ الْعَمُودِيِّ إِلَى الْحُرِّ، مِنْهَا هَذِهِ الْبِنْيَةُ الْعَمُودِيَّةُ الَّتِي تُمَثِّلُ مُنْعَطَفَ التَّحَوُّلِ وَقِيَامَهَا بَيْنَانٍ غَيْرِ تَامَانَ، وَيَتَأَلَّفُ كُلُّ بَيْتٍ مُدَوَّرٍ فِيهَا مِنْ أَرْبَعِ صُورٍ إِقَاعِيَّةٍ مُتَنَوَّعَةٍ بَيْنَ مِعْيَارِيَّةٍ وَمُنْزَاحَةٍ، وَيَأْتِي بَعْدَهُمَا أَرْبَعَةُ أُسْطُرٍ شِعْرِيَّةٍ، هِيَ أَقْرَبُ إِلَى النَّمَطِ الْعَمُودِيِّ مِنْهَا إِلَى النَّمَطِ الْحُرِّ إِذْ يُمَكِّنُ إِعَادَةَ تَشْكِيلِهَا فِي بَيْنَيْنِ شِعْرِيَيْنِ عَمُودِيَيْنِ دُونَ فَارِقٍ يُلْحَظُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

الليلُ يَلْتَهُمُ الْمَسَافَةَ أَحْمَرُ الرُّوْيَا حَقُودٌ  
وَجَهًا فِرْنَسِيَّ الحُدُودِ وَإِنْ تَقَنَّعَ بِالْجُدُودِ  
الدَّرْبُ يَعْرِفُ وَشَمَهُ..  
مَا أَبْشَعَ الْوَجْهَ الْكُنُودِ!  
عَبَدُوا الصَّلِيبَ..

وَبِاسْمِهِ يَجْنُونَ مِنْ ثَمَرِ الْوَعُودِ!!  
وَيَتَحَوَّلُ مَسَارُ الْقَصِيدَةِ مِنَ النَّمَطِ الْعَمُودِيِّ إِلَى الْحُرِّ، فَتَرِدُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ الْحُرَّةُ فِي السِّيَاقِ الشُّعْرِيِّ ذَاتِهِ، وَتَنْسَجِمُ الْبِنْيَةُ الْحُرَّةُ مَعَ الْإِنْفِعَالِ الْحَادِّ فِي السِّيَاقِ كَمَا تَعَكِّسُ ذَلِكَ بُنْيَ النَّدَاءِ الصَّارِخِ وَبِنْيَةَ الْاسْتِفْهَامِ، وَقَدْ كَانَ الْإِنْفِعَالُ هَادِتًا قَارًّا فِي الْبِنْيَةِ الْعَمُودِيَّةِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَهَيِّمُنُ فِيهَا، تَرْكِيبيًّا، الْجُمْلَةُ الْخَبْرِيَّةُ<sup>(3)</sup>:  
هَذِي الْمَسَاجِدُ تَشْتَكِي..

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 109.

(2) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 81.

(3) المصدر نفسه، ص: 82.

هَدِي الْمَصَاحِفُ.. يَا إِلَه!

مَا ذُبُّهَا..؟

حَتَّى تُمَزَّقَ أَوْ تُحَرِّقَ.. يَا إِلَه

رَكَّبُوا الظَّلَامَ لَهَا..

وَعَاثُوا فِي كِتَابِكَ.. يَا إِلَه

مَدُّوا خَنَاجِرَ حَقْدِهِمْ

فِي عِزِّ بَيْتِكَ يَا إِلَه

تَتَوَزَّعُ الصُّورُ الإيقاعيةُ فِي النَّمَطِ العَمُودِيِّ عُلَى بَيْتَيْنِ مَجْزُوعَيْنِ تَوَزِيعًا مُنْتَظَمًا، وَبَعْدَ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ يَعْمَدُ إِلَى البَيْتِ الثَّالِثِ-السَّطْرِ الثَّالِثِ والرَّابِعِ- وَقَدْ أBRَزَ شَطْرِيهِ بِطَرِيقَةٍ سَطْرِيَّةٍ مُتَحَرِّرَةٍ مِنَ (التَّدْوِيرِ)، تُعِيدُ تَوَزِيعَ البَيْتِ الشَّعْرِيِّ ذِي الشَّطْرَيْنِ المُتَنَاطِرَيْنِ عُلَى مَسَاحَةِ البَيَاضِ الوَرَقِيِّ، تَمْهِيدًا لِلانْتِقَالِ إِلَى النَّمَطِ الحُرِّ الَّذِي بَدَأَ بِسَطْرِ شِعْرِيٍّ مُدَوَّرٍ مُكَوَّنٍ مِنْ صُورَةٍ إيقاعيةٍ تَامَّةٍ وَأُخْرَى نَاقِصَةٍ، وَتَكُونُ السَّطْرُ الثَّانِي مِنْ ثَلَاثِ صُورٍ إيقاعيةٍ مَعْيَارِيَّةٍ وَمُنْزَاحَةٍ مُذْيَلَةٍ (مُتَفَاعِلَانِ 00//0//)- وَالتَّذْيِيلُ زِيَادَةٌ حَرْفٍ سَاكِنٍ عُلَى مَا آخِرُهُ وَتَدُّ مَجْمُوعٌ<sup>(1)</sup>- وَيَتَوَلَّدُ عَنِ الصُّورَةِ المُنْزَاحَةِ مَدُّ صَوْتِيٍّ فِي بَيْتِيهِ المَقْطَعِ الأَخِيرِ الطَّوِيلِ المُعْلَقِ مُعَبَّرٌ عَنِ آهَاتِ وَآلَامِ الشَّاعِرِ النَّفْسِيَّةِ وَهُوَ يَرَى المَسَاجِدَ تُحَرِّقُ وَالمَصَاحِفَ تُمَزَّقُ وَالقَوْمُ غَافِلُونَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ.. / مُتَفَاعِلُنْ مُ

وَبِاسْمِهِ يَجْنُونَ مِنْ ثَمَرِ الوَعُودِ! ! / تَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلَانْ

هَدِي المَسَاجِدُ تَشْتَكِي.. / مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

هَدِي المَصَاحِفُ.. يَا إِلَه! / مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلَانْ

تَقُومُ البَيْتَةُ الحُرَّةُ عُلَى آسَاسِ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ، وَقَاعِدَتُهُ (الامتداد/الارتداد) بغيرِ تَوَزِيعِ مُنْتَظَمٍ لِلصُّورِ الإيقاعيةِ، فَ"القَاعِدَةُ الجَدِيدَةُ لِاسْتِخْدَامِ التَّفْعِيلَةِ اخْتَلَفَتْ مِنْ حَيْثُ (الكَمِّ) عَنِ القَاعِدَةِ القَدِيمَةِ لِاسْتِخْدَامِ البَحْرِ، فَلِلشَّاعِرِ الحُرِّيَّةُ فِي أَنْ يَخْتَارَ العَدَدَ المُنَاسِبَ لِلتَّفْعِيلَةِ دَاخِلَ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ الوَاحِدِ، فَقَدْ يَقتَصِرُ هَذَا العَدَدُ عُلَى تَفْعِيلَةِ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ يَطُولُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى تِسْعِ تَفْعِيلَاتٍ، إِذِ المَسْأَلَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلشَّاعِرِ، وَبِالدَّفْقَةِ الشُّعُورِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَمُّ إِلَّا بَعْدَ مُعَيَّنٍ مِنَ التَّفْعِيلَاتِ يَرَاهُ الشَّاعِرُ أَنَّهُ الأنسَبُ لِحَالَتِهِ".<sup>(2)</sup> وَالمُلاحِظُ أَنَّ التَّدْوِيرَ تَحَوَّلَ إِلَى آليَّةٍ لِلرِّبْطِ بَيْنَ السُّطُورِ مِنْ جِهَةِ وَالسَّمَاكِ لِلإيقاعِ بِالاستمرارِ وَالشُّعُورِ بِالتَّدْفِيقِ حَتَّى يُدْرِكَ السَّطْرُ أَو (الجُمْلَةُ) غَايَتَهُ الدَّلَالِيَّةَ وَالإيقاعيةَ وَالتَّرْكِيبِيَّةَ عِنْدَ أَقْرَبِ وَقْفَةٍ تَفْهُوِيَّةٍ مُمَكِّنَةٍ.

(1) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 54.

(2) إبراهيم الحاي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص: 245.

## 2-2- التحوُّلُ من التَّمَطِّ الحرِّ إلى التَّمَطِّ العموديِّ:

ويَتَّخِذُ التَّدَاخُلُ أو تَعَدُّدُ الأَنْمَاطِ فِي مَسَارِ التَّجَرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ شَكْلًا ثَانِيًا مِنَ التَّحْوُلِ، يَمَثَلُ فِي التَّحْوُلِ مِنَ التَّمَطِّ الحرِّ إِلَى التَّمَطِّ العموديِّ. وتُمَارِسُ القَصِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ التَّعَدُّدَ التَّمَطِّيَّ كَوَسِيلَةَ إِلَى التَّنْوِيحِ فِي بِنْيَةِ القَصِيدَةِ الإيقاعِيَّةِ والمعماريَّةِ، فالشَّاعِرُ يَسْعَى إِلَى "إِيجَادِ نَوْعٍ مِنَ التَّدَاخُلِ الشَّكْلِيِّ بَيْنَ الشَّكْلَيْنِ الحرِّ والعموديِّ، فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهُ لِتَحْقِيقِ مُزَاوَجَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ عَلَى المُسْتَوَى السَّمْعِيِّ، إِذْ أَنَّ الشَّعْرَ العموديَّ يَعْمَلُ دَائِمًا عَلَى خَلْقِ غِنَائِيَّةٍ عَالِيَةٍ لَا يُخْطِئُهَا السَّمْعُ بِحُكْمِ طَبِيعَةِ مُقَوِّمَاتِ نَظْمِهَا القَائِمَةِ أَساسًا عَلَى ذَلِكَ، فِي حِينٍ يُحَقِّقُ الشَّعْرَ الحرَّ لَوْنًا مِنَ الدِّرَامِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى إِيجَادِ تَوَازُنٍ وَتَنَاسُبٍ بَيْنَ المُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ وَالمُسْتَوَى الإيقاعِيِّ مِمَّا يَجْعَلُهَا أَقْلَ غِنَائِيَّةً وَذَاتَ وَاقِعٍ مُوسِيقِيٍّ أَقْلَ هُدُوءًا بِمَا يُنَاسِبُ طَبِيعَةَ التَّجَرِبَةِ وَمَرَاحِلَ نُموها المُتَعَدِّدَةِ".<sup>(1)</sup>

ويَتَحَلَّى التَّحْوُلُ مِنَ التَّمَطِّ الحرِّ إِلَى العموديِّ فِي قَصِيدَةِ (مَنْ جَعَفَرَ الطَّيَّارِ إِلَى نَصْرٍ جَرَّارٍ)<sup>(2)</sup>، وَتَقُومُ القَصِيدَةُ عَلَى التَّدَاخُلِ بَيْنَ بِنْيَةِ حُرَّةٍ وَأُخْرَى عَمُودِيَّةٍ، وَتَخْتَصُّ كُلُّ بِنْيَةٍ بِنَسَقِهَا الإيقاعِيِّ المُحَدَّدِ الَّذِي يُنَاسِبُ الحَالَةَ الشَّعْرِيَّةَ، فَتَتَّخِذُ البِنْيَةُ الحُرَّةُ مِنْ نَسَقِ (المُتَدَارِكِ) إيقاعًا لَهَا، وَتَجْعَلُ البِنْيَةُ العَمُودِيَّةُ نَسَقَ (البَسِيطِ) إيقاعًا لَهَا. وَيَعْمَلُ هَذَا التَّحْوُلُ التَّمَطِّيُّ وَالنَّسَقِيُّ بَيْنَ البِنْيَتَيْنِ عَلَى التَّخْفِيفِ مِنْ حَدَّةِ الإيقاعِ وَرَتَابَتِهِ الَّتِي تَنْتُجُ عَنْ هَيْمَنَةِ النَّسَقِ المُفْرَدِ، وَالتَّزْوِجِ إِلَى الدِّرَامِيَّةِ أَكْثَرَ مِنَ الغِنَائِيَّةِ لِأَسْوَاعِ التَّمَطِّ الحرِّ فِي فِضَاءِ القَصِيدَةِ، فَبِنْيَةُ القَصِيدَةِ بِنْيَةٌ دِرَامِيَّةٌ تَتَعَدَّدُ فِيهَا الأَصْوَاتُ مِنْ خِلَالِ حُضُورِ شَخْصِيَّتَيْنِ/مَزَيْنِ مِنْ رُمُوزِ الشَّهَادَةِ وَالتَّضْحِيَّةِ فِي سَبِيلِ المَبْدَأِ والعَقِيدَةِ؛ وَهُمَا (نَصْرُ جَرَّارٍ) -الشَّهِيدُ الفِلِسْطِينِي الَّذِي بَتَرَتْ قَدَمَاهُ فِي (جَنِينِ) - (جَعَفَرَ الطَّيَّارِ) - وَقدْ بَتَرَتْ يَدَاهُ فِي (مُؤْتَةٍ) -.

تَبْدَأُ القَصِيدَةُ بِمَقْطَعِ شِعْرِيٍّ اسْتِهْلَالِيٍّ يُشَكِّلُ بِنْيَةً حُرَّةً تَنْتَظِمُ عَلَى نَسَقِ (المُتَدَارِكِ)، وَتَمَّازُ بِتَرْكِيبِهَا الإِسْتِفْهَامِيِّ المُتَنَوِّعِ الأَدْوَاتِ وَالَّذِي مِثْلُ سِمَةِ أُسْلُوبِيَّةٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

مَا هَذَا النُّورُ السَّاطِعُ، مَا هَذَا النُّورُ؟!

مَا هَذَا النُّورُ السَّاطِعُ يَا عَيْنَ الزَّمَنِ الآتِي

مِنْ أَيْنَ تَدْفَقُ.. كَيْفَ تَأَلَّقَ حَتَّى أَصْبَحَ يَسْرِقُ نَظْرَاتِي

وَيُحَرِّكُ سَاكِنَ نَبْضَاتِي

وَيَجْمَعُ شَارِدَ خَطَرَاتِي؟!

مِنْ أَيِّ جِهَاتِ المَشْرِقِ أَشْرِقَ هَذَا النُّورُ

(1) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 220.

(2) عبد الرحمن العشماوي: القدس أنت، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط: 1، 1424هـ-2003م، ص: 68.

(3) المصدر نفسه، ص: 68.

ولماذا أشعر أن الأرض تدور  
وأرى الأعوام تضيق مساحتها..  
فكان الأعوام شهور  
ولماذا أشعر أن التاريخ تلمم حتى..  
أصبح كلمات في بضع سطور  
ما هذا النور الساطع، ما هذا الثور؟!

وتتسع بنية النمط الحر في القصيدة بتساع المقاطع الشعرية الحرة وبانطلاق حركة الشعور المتوتر الذي  
نعكسه كثافة بنى الاستفهام وبنى الحوار الناشئة عنه، ذلك الشعور الذي يناسبه تدفق الصور الإيقاعية المنزاحة  
(فعلن=0//) و(فعلن=0/0) أو (فعلاتن=0/0//) أو كثافة رويي(الراء)، يقول الشاعر في مقطع(تفاصيل)<sup>(1)</sup>:

((من أنت؟))، سمعت سؤالاً يحمل لعة الإصرار  
من أنت؟، وثار الإعصار  
من أنت؟

و((مؤتة)) تشهد أن كؤوس الموت تدار  
الرأية عندي الآن فلا عاش الكفار  
جيش حرار..

يزحف بالرمل وبالأحجار  
من أنت؟

و((مؤتة)) تهتف باسمي ليل نهار  
فلديها من جسدي آثار  
وأنا جعفرها الطيار

ويتم التحول إلى النمط العمودي في آخر القصيدة متزامناً مع تحول النسق الإيقاعي من نسق المتدارك إلى  
نسق(البسيط)، فتأتي البنية العمودية في هذا المقطع متميزة بإيقاعها الخاص الذي تشكله الصور الإيقاعية المعيارية  
(مستفعلن=0//0/0) و(فعلن=0//0) والمنزاحة(مفعلن=0//0//) و(فعلن=0/0) و(فعلن=0/0//)، والتصريع في  
المطلع والنسق التقفوي الموحد ورويي(الراء) ومجرأه الكسرة، والملاحظ أن التحول النسقي قد تم من نسق بسيط  
إلى نسق مركب، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

من أرض((مؤتة)) من عزمي وإصراري

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 70.

(2) المصدر نفسه، ص: 75.

لَكَ التَّحِيَّةُ يَا نَصْرُ بْنُ جَرَّارٍ  
 مِنْ أَرْضِ مُؤْتَةَ، وَالْمَيْدَانُ مُحْتَفِلٌ  
 بِفَارِسٍ مِنْ بَنِي الْإِسْلَامِ مِغْوَارٍ  
 مِنْ هَاهُنَا وَخَيْوَلُ الْمَجْدِ رَاكِضَةٌ  
 وَالنَّقْعُ يَنْشَقُّ عَنْ أَضْوَاءِ بَنَارٍ  
 وَالْبَحْرُ يَخْلِفُ أَنَّ اللَّجَّةَ انشَطَرَتْ  
 شَطْرَيْنِ، تُنبئُ عَنْ إِقْدَامِ بَحَّارٍ

وَيَتَّضِحُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ التَّعَدُّدَ النَّسَقِيَّ وَالتَّعَدُّدَ التَّمْطِيَّ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَدَوَاتٌ شِعْرِيَّةٌ لِتَنْوِيعِ الْإِيقَاعِ وَالشَّكْلِ مِنْ خِلَالِ التَّحْوُلِ مِنْ نَسَقٍ إِيقَاعِيٍّ إِلَى نَسَقٍ آخَرَ وَمِنْ نَمَطٍ شِعْرِيٍّ إِلَى آخَرَ بِالْمُؤَازَاةِ مَعَ التَّحْوُلِ النَّسَقِيِّ أَوْ بَدْوَانِهِ، وَلَا يَتِمُّ هَذَا التَّحْوُلُ بِمَنَآئِيٍّ عَنْ دَلَالَةِ الْقَصِيدَةِ وَالشُّعُورِ السَّائِدِ فِيهَا، وَيَكْشِفُ التَّعَدُّدُ عَنْ بُنْيِ عَمُودِيَّةٍ وَحُرَّةٍ تُشَكِّلُ بِنْيَةً شِعْرِيَّةً مُلْتَحِمَةً، شُعُورٌ وَدَلَالَةٌ، تَتَفَاعَلُ فِيهَا كُلُّ حَرَكَاتِ الْقَصِيدَةِ وَنَزَعَاتِهَا الْغِنَائِيَّةِ وَالدَّرَامِيَّةِ. وَتَسْتَفِيدُ الْقَصِيدَةُ فِي ظِلِّ هَذَا التَّعَدُّدِ مِنْ جَمَالِيَّاتِ بِنْيَةِ الْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ الْمُتَّصِفِ بِشَطْرِيَّةِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ وَالتَّمْتَازِ فِيهِ، فَالْبَيْتُ الشُّعْرِيُّ "كَمِيَّةٌ مِنَ الْكَلَامِ الْمُوزُونِ يَنْتَهِي بِقَافِيَةٍ، وَتَتَحَقَّقُ لَهُ الْوَحْدَةُ الْفِكْرِيَّةُ".<sup>(1)</sup> وَالتَّمْيِيزُ بِالْتَّصْرِيحِ، وَهُوَ عَلَامَةُ الْإِسْتِهْلَالِ فِي الْقَصِيدَةِ، وَبِالتَّوْدِيرِ.

وَتَسْتَفِيدُ مِنْ بِنْيَةِ السَّطْرِ، فَالسَّطْرُ "تَرْكِيْبَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ لِلْكَلامِ، لَا تَرْتَبِطُ بِالشَّكْلِ الْمُحَدَّدِ لِلْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ، وَلَا بِأَيِّ شَكْلِ خَارِجِيٍّ ثَابِتٍ، وَإِنَّمَا تَتَّخِذُ هَذِهِ التَّرْكِيبُ دَائِمًا الشَّكْلَ الَّذِي يَرْتَاخُ لَهُ الشَّاعِرُ، أَوَّلًا، وَالَّذِي يَتَّصُرُ أَنْ الْآخَرِينَ كَذَلِكَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَرْتَاخُوا لَهُ".<sup>(2)</sup> وَلَمْ يَتَّجَرَّدِ السَّطْرُ عَنْ إِيقَاعِيَّةِ الْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ، كَلِيَّةً، فَقَدْ احْتَفَظَ مِنْ صُورَةِ النِّظَامِ الْقَدِيمِ لِلْبَيْتِ بِالْوَحْدَةِ الْمُوسِيقِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تَتَكَرَّرُ فِيهِ وَهِيَ (التَّفْعِيلَةُ)، فَهِيَ أَسَاسُ النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ الَّذِي يَقُومُ بِتَكَرَّرِهِ الشُّعْرُ.<sup>(3)</sup> وَقَدْ وَجَدَ فِيهِ الشَّاعِرُ حُرِّيَّةً لِلتَّبْعِيرِ لِأَنَّ حَجْمَهُ غَيْرُ ثَابِتٍ وَعَدَدُ التَّفْعِيلَاتِ فِيهِ غَيْرُ مُسْتَقَرٍّ وَأَمْرُهُ مَتْرُوكٌ لِلشَّاعِرِ الَّذِي يَخْتَارُ حَجْمَ السَّطْرِ تَبَعًا لِلتَّدَاخُلِ الْحَاصِلِ بَيْنَ شُعُورِهِ وَرُؤْيَيْهِ فِي لَحْظَةِ الْإِبْدَاعِ.<sup>(4)</sup> وَتَسْتَفِيدُ مِنَ الْجُمْلَةِ الشُّعْرِيَّةِ كَتَشْكِيلٍ مُتَطَوِّرٍ عَنِ السَّطْرِ، فَإِذَا كَانَ السَّطْرُ الشُّعْرِيُّ بِنْيَةً مُوسِيقِيَّةً تَشْغَلُ مِنْ حَيْثُ الْحَيْزُ سَطْرًا مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَصِلُ امْتِدَادُهُ الزَّمَنِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَفِي أَقْصَى الْحَالَاتِ إِلَى تِسْعِ تَفْعِيلَاتٍ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْبِنْيَةُ مُكْتَفِيَةً بِذَاتِهَا وَإِنْ مَثَلَتْ جُزْئِيَّةً تَرْتَبِطُ مُوسِيقِيًّا بِبَاقِي الْجُزْئِيَّاتِ وَتَتَفَاعَلُ مَعَهَا-فَإِنَّ الْجُمْلَةَ

(1) عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د، ط)، 1994، ص: 44.

(2) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 83.

(3) المرجع نفسه، ص: 83.

(4) عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، ص: 49.

الشَّعْرِيَّةُ بِنِيَّةٍ مُوسِيقِيَّةٍ أَكْبَرُ مِنَ السَّطْرِ وَإِنْ ظَلَّتْ مُحْتَفِظَةً بِكُلِّ حَصَائِصِهِ، فَهِيَ تَشَعَّلُ أَكْثَرَ مِنْ سَطْرٍ، وَقَدْ تَمَتَّدَتْ  
أَحْيَانًا إِلَى خَمْسَةِ أَسْطُرٍ أَوْ أَكْثَرَ. <sup>(1)</sup>

وَأَمَامَ هَذَا التَّنُوعِ فِي الْأَشْكَالِ الشَّعْرِيَّةِ وَجَبَ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ أَنْ يُجَرِّبُوا الْأَشْكَالَ الشَّعْرِيَّةَ الْحَدِيثَةَ  
مَتَى مَا تَوَفَّرَ فِيهَا الْإِيقَاعُ وَالْمُوسِيقَى الشَّعْرِيَّةُ، وَأَنْ يَرْتَفِعُوا بِالصُّورَةِ الْفَنِّيَّةِ إِلَى الْمُسْتَوَى الَّذِي يَسْمُو بِأَشْعَارِهِمْ إِلَى  
الْجَمَالِيَّةِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ فِي الْعَمَلِ الْأَدَبِيِّ. <sup>(2)</sup>

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 108.

(2) بهجت عبد الغفور الحديشي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط: 1،  
2003، ص: 87..

- ثانيا: بنيةُ القافية
- 1- الأنساقُ التَّفْويَّةُ في القصيدةِ العموديةِ
  - 2- الأنساقُ التَّفْويَّةُ في القصيدةِ الحُرَّةِ

## توطئة:

إن بنية (القافية) هي أبرز مكونات النسق الإيقاعي، وإحدى أطر الإيقاع الخارجي الذي التزم به الشعر العربي، فهي ركن من أركان البناء الموسيقي للقصيدة، والوزن مشتمل عليها وحالب لها ضرورة<sup>(1)</sup>، وهي شريكه في "الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية".<sup>(2)</sup> وتتكون بنية القافية من أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن.<sup>(3)</sup> وقد حفظت للقصيدة العربية خصوصية نظامها الإيقاعي وفراة بنائها الموسيقي إلى الآن.

والملاحظ أن هذا النظام الإيقاعي الثابت الموحد الذي يصدر نغماً رتياً متشابهاً كأنه مقطوعة موسيقية واحدة متكررة، دعا الشعراء إلى تجريب وسائل شعرية متعددة لكسر تلك الرتابة التي تعمل على بعث الملل، وتحول دون الانسجام والانساق بين حركة الشعور وحركة الإيقاع في التجربة الشعرية، وذلك من خلال التنويع في الأنساق التقفوية بما يلائم السياق الشعري، شعوراً ودلالة، فليست الأنساق التقفوية "جزءاً منفصلاً مكملاً يدخل في صميم العملية الشعرية من الخارج، كما أنها ليست أداة قابلة للحذف والاستبدال والتعويض".<sup>(4)</sup> وهذه الأنساق، في سياقاتها الشعرية، لا تُحدد نهاية البيت، بل نهاية البيت هي التي تُحددّها.<sup>(5)</sup> ولا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها بالمعنى.<sup>(6)</sup> وإذا كان النسق التقفوي يعتمد على التكرار المطرد للفونيمات ولمجموعة من الفونيمات المتناسبة، فإن ذلك يعني ارتكاب تبسيط مفرط بدل معالجة القافية من زاوية الصوت فحسب، فالقافية تستلزم بالضرورة علاقة دلالية بين الوحدات التي ترتبط بها.<sup>(7)</sup> وللسنق التقفوي علاقة أخرى قوية بحركة الانفعال وحركة الشعور، فمن القيم البارزة في فهم دور القافية في الشعر الحديث إدراك العلاقة بين صورة القافية- كتشكيل موسيقي- وبين الحالة النفسية والشعورية، باعتبار أن الموسيقى تتحكم في صورة الانفعال

(1) يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس، بيروت، ط: 2، 1982، ص: 176.  
(2) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 1، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ج: 1، 1424هـ-2004م، ص: 135.  
(3) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 273.  
(4) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 85.  
(5) جان كوهين: بنية اللغة الشعرية، ص: 74.  
(6) المرجع السابق نفسه، ص: 74.  
(7) رومان ياكسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1988، ص: 46.

المُرْتَبِطُ بِهَا، وَمِنْ ثَمَّ فِي اخْتِيَارِ الْكَلِمَةِ الْأَخِيرَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ الْإِنْفِعَالِ بَحَيْثُ تَنَوُّعِ النَّعْمَاتِ وَفَقًا لِتَنَوُّعِ الْمَشَاعِرِ،  
وَدُونَ أَنْ تَفْقَدَ الْقَصِيدَةُ وَحَدَّتْهَا الصَّوْتِيَّةُ الْمُتَمَاسِكَةَ وَتَرَابُطَهَا الْوَاضِحَ".<sup>(1)</sup>

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص: 251.

- 1- الأنساق التَّفَوِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ
- 1-1- النَّسَقُ التَّفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ الْمَطْلَقُ وَالْمَقْيَدُ
- 1-2- النَّسَقُ التَّفَوِيُّ الْمُنَوَّعُ الْمَطْلَقُ وَالْمَقْيَدُ

تتكئى مُقَابَرَةُ الْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي تَحْدِيدِ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ إِلَى الْمَفَاهِيمِ الْعَرُوضِيَّةِ وَالصَّوْتِيَّةِ الَّتِي قَدِمَتْ لِلْقَافِيَةِ وَأَنْوَاعِ الْأَنْسَاقِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ وَالْحُرَّةِ، فَهِيَ، عَرُوضِيًّا، مِنْ "أَخْرَجَ حَرْفٍ فِي الْبَيْتِ إِلَى أَوَّلِ سَاكِنٍ يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ مَعَ حَرَكَةِ الْحَرْفِ الَّذِي قَبْلَ السَّاكِنِ". (1) أَوْ هِيَ "أَخْرَجَ كَلِمَةً مِنَ الْبَيْتِ". (2) أَوْ هِيَ "مَا بَيْنَ أَقْرَبِ مُتَحَرِّكٍ يَلِيهِ سَاكِنٌ إِلَى مُتَقَطِعِ الْقَافِيَةِ وَبَيْنَ مُنْتَهَى مَسْمُوعَاتِ الْبَيْتِ الْمُقْفَى". (3) وَهِيَ، صَوْتِيًّا، أَوْضَحُ مَا فِي الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ وَعِنْدَهَا يَنْتَهِي، وَتَتَرَكَّزُ فِيهَا الْعِنَايَةُ، وَإِذَا كَانَ الْبَيْتُ عَدَدًا مُتَسَاوِيًّا مِنْ الْمَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُنْتَظَمَةِ بِطَرِيقَةٍ مَخْصُوصَةٍ فَالْقَافِيَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى الْمَقْطَعِ الْمُتَّحِدِ فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا فِي أَوَاخِرِ الْآيَاتِ. (4) وَتَمْتِيزُ الْقَافِيَةُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَنْسَاقِ الْمُتَعَدِّدَةِ؛ فَعَلَى مُسْتَوَى التَّوَاتُرِ تَكُونُ مُتَكَرِّرَةً أَوْ مُزْدَوِجَةً أَوْ مُرْسَلَةً. (5) وَعَلَى مُسْتَوَى الْمَوْقِعِ فِي الْقَصِيدَةِ، تَتَّخِذُ الْقَافِيَةُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ، فَقَدْ تَكُونُ بَسِيطَةً مُوَحَّدَةً\*، وَتَرْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْكَالٍ؛ هِيَ تَقْفِيَةُ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ\*، وَتَقْفِيَةُ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ\*، وَالتَّقْفِيَةُ الْمُخْتَلِطَةُ\*. وَقَدْ تَكُونُ مُرَكَّبَةً مُنَوَّعَةً\*، وَتَرْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْكَالٍ؛ وَهِيَ التَّقْفِيَةُ الْحُرَّةُ الْمُقْطَعِيَّةُ\*، وَالتَّقْفِيَةُ الْحُرَّةُ الْمُتَقَاطِعَةُ\*، وَالتَّقْفِيَةُ الْحُرَّةُ الْمُتَغَيِّرَةُ\*، وَقَدْ تَكُونُ مُرْسَلَةً دَاحِلِيَّةً\*.

وَتَرْدُ هَذِهِ الْأَنْسَاقُ التَّقْفُويَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي نَمَطِهَا الْعَمُودِيِّ وَالْحُرِّ تَحْتَ نَسَقَيْنِ تَقْفُويَيْنِ رَئِيسَيْنِ؛ هُمَا النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُوَحَّدُ (المطلق/المقيد) وَالنَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ (المطلق/المقيد)\*.

- (1) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج:1، ص: 135.
  - (2) إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص: 347.
  - (3) أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق وتحت: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1981، ص: 275.
  - (4) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 167.
  - (5) جمال يونس: لغة الشعر عند سميح القاسم، ص: 208.
- (\* وهي قافية بسيطة واحدة لا تتغير، وهي امتداد للتقفية في القصيدة العمودية المركزة على قافية واحدة من بداية القصيدة حتى نهايتها.
- (\* تقوم على تكرار قافية موحدة في كل سطر شعري.
- (\* تقوم على قافية واحدة تنتظم كل الجمل الشعري في القصيدة.
- (\* تقوم على توزيع قافية موحدة توزيعاً لا يخضع لنظام ثابت.
- (\* وهي التي تخضع لأشكال متعددة من التنوع في الاستخدام التقفوي.
- (\* تقوم على تنوع وتكرار قافية موحدة أو منوعة عند حد كل مقطع وتتجدد القافية في المقطع الآتي بعده.
- (\* تقوم على تكرار وتوزيع القوافي على أساس نظام هندسي خاص تتقاطع فيه القوافي تقاطعاً هندسياً منتظماً، وحتى هذا التقاطع الهندسي يختلف في نظمه بين قصيدة وأخرى وانطلاقاً من طبيعة التجربة التي تقدمها كل قصيدة.
- (\* يقوم هذا النوع من التقفية على توزيع القوافي المنوعة دوناً مراعاة لنظام محدد ودوناً منتظماً في توزيعها.
- (\* يقوم هذا النمط على التحرر من التزام أي قافية خارجية.
- (\* تقسم القافية بحسب حركة الروي، إلى قافية مطلقة بأن يكون الروي فيها محرّكاً، ويسمى الروي المتحرّك مطلقاً، وقافية مقيدة بأن يكون الروي فيها غير محرّك، ويسمى الروي غير المتحرّك (السّاكن) مقيداً، وهذا التقسيم قائم على حركة الروي نفسه، والهاء التي تكون وصلاً، ساكنة أو متحرّكة، لا يعتدّ بحركتها.

يَخْتَصُّ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ بِدَوْرٍ إِيقَاعِيٍّ نَاتِجٍ عَنِ مَكَانَتِهِ فِي الْبَيْتِ أَوِ السَّطْرِ أَوِ الْجُمْلَةِ، وَيَسْتَقْبَلُ بِدَوْرٍ تَعْبِيرِيٍّ نَاتِجٍ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي يُؤَدِّيهِ فِي الْقَصِيدَةِ، فَـ"الْصِّفَةُ الْإِحْتِمَائِيَّةُ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِهَا الْقَافِيَةُ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ فِي الْبَيْتِ أَمْ فِي الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ أَوِ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ أَوْ عُمُومِ الْقَصِيدَةِ، لَا يُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَكْتَفِيَ بِدَوْرِ الضَّابِطِ الْمَوْسِقِيِّ الْمَجْرَدِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ تَفْقَدُ بِذَلِكَ جُزْءًا مُهِمًّا مِنْ حَيَوِيَّتِهَا وَقُوَّةِ أَدَائِهَا، إِذْ لَا بُدَّ لَهَا أَنْ تَشْتَرِكَ اشْتِرَاكًا فَاعِلًا فِي التَّشْكِيلِ الدَّلَالِيِّ".<sup>(1)</sup> وَيَتَمَيَّزُ بِدَوْرٍ تَأْثِيرِيٍّ نَاتِجٍ عَنِ مَوْقِعِهِ فِي الْمَتَلَقِّي، فَمَا "يَجِبُ فِي الْقَافِيَةِ مِنْ جِهَةِ عِنَايَةِ النَّفْسِ بِمَا يَقَعُ فِيهَا وَاسْتِهْزَاءِ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِمَّا يَحْسُنُ أَوْ يَقْبَحُ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَلَّا يُوقَعَ فِيهَا إِلَّا مَا يَكُونُ لَهُ مَوْقِعٌ مِنَ النَّفْسِ بِحَسَبِ الْعَرَضِ، وَأَنْ يَتَبَاعَدَ بِهَا عَنِ الْمَعَانِي الْمَشْتَوَعَةِ وَالْأَلْفَاظِ الْكَرِيهَةِ وَلَا سِيَمَا مَا يَقْبَحُ مِنْ جِهَةِ مَا يَتَفَاعَلُ بِهِ، فَإِنَّ مَا يُكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا وَقَعَ فِي أَثْنَاءِ الْبَيْتِ جَاءَ بَعْدَهُ مَا يُعْطِي عَلَيْهِ وَيَشْعَلُ النَّفْسَ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ؛ وَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقَافِيَةِ جَاءَ فِي أَشْهَرِ مَوْضِعٍ وَأَشَدَّهُ تَلَبُّسًا بِعِنَايَةِ النَّفْسِ وَبَقِيَتِ النَّفْسُ مُتَفَرِّغَةً لِمُلَاحَظَتِهِ وَالِاسْتِغْعَالَ بِهِ وَلَمْ يَعْقُهَا عَنْهُ شَاغِلٌ".<sup>(2)</sup> وَقَدْ وَظَّفَتِ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ النَّسْقَ التَّقْفُويَّ الْمُوَحَّدَ وَالْمُنَوَّعَ مُطْلَقِينَ وَمُقَيَّدِينَ فِي مَتْنِ الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ، بِنِسْبٍ مُتَفَاوِتَةٍ، كَمَا يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْجَدْوَلُ الْآتِي:

النسق التقفوي				
في القصيدة الإسلامية العمودية				
النسق التقفوي	تواتره	نسبته	تواتره	نسبته
النسق المطلق	407	77.96	469	89.84
النسق المقيد	62	11.87		
النسق المنوع	53	10.15		10.15
الاجموع	522	%100		%100

وَيَتَضَحُّ مِنْ خِلَالِ الْجَدْوَلِ أَنَّ النَّسْقَ التَّقْفُويَّ الْمُوَحَّدَ تَوَاتَرَ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَرْبَعِمِائَةً وَتِسْعًا وَسِتِّينَ (469) مَرَّةً، وَمَثَلَ نِسْبَةً (89.84%) مِنْ النِّسْبَةِ الْكُلِّيَّةِ لِمَجْمُوعِ الْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ، وَتَوَاتَرَ النَّسْقُ الْمَطْلُوقُ مِنْهُ أَرْبَعِمِائَةً وَسَبْعَ (407) مَرَّاتٍ، وَمَثَلَ نِسْبَةً (77.96%)، فِي حِينِ تَوَاتَرَ النَّسْقُ الْمُقَيَّدُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ (62) مَرَّةً، وَمَثَلَ نِسْبَةً (11.87%). وَيُشَكِّلُ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُقَيَّدُ انْزِيَاحًا فِي التَّوْظِيفِ عَنِ الْمِعْيَارِ، فَإِذَا كَانَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ قَلِيلَ الشُّيُوعِ وَلَا يَتَجَاوَزُ الْوَاحِدَ بِالمِائَةِ (1%)<sup>(3)</sup>، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْمَتْنِ يَنْحَرِفُ عَنِ هَذِهِ النِّسْبَةِ وَيَرْتَفِعُ إِلَى (9.98%)، أَمَا النَّسْقُ الْمَطْلُوقُ فَهُوَ كَثِيرُ الشُّيُوعِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ<sup>(4)</sup>، فَمَا يَقْرُبُ مِنْ (90%) بِالمِائَةِ مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ جَاءَ مُحْرَكَ الرَّوِيِّ<sup>(5)</sup> وَتَوَاتَرَ فِي هَذَا الْمَتْنِ بِنِسْبَةِ (90.01%)، فَالنَّسْقُ الْمَطْلُوقُ يَخْضَعُ مِنْ حَيْثُ شُيُوعُهُ لِلْمِعْيَارِ، بَيْنَمَا يَنْزَاحُ النَّسْقُ الْمُقَيَّدُ عَنِ هَذَا الْمِعْيَارِ وَلِهَذَا الْانْزِيَاحِ دِلَالَتُهُ، كَقِيَمَةِ إِيقَاعِيَّةٍ، فِي السِّيَاقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ الدَّلَالِيَّةِ وَالْوَجْدَانِيَّةِ.

### 1-1- النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُوَحَّدُ الْمَطْلُوقُ وَالْمُقَيَّدُ:

(1) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 87.

(2) أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلاغ وسراج الأبداء، ص: 276.

(3) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 289.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص: 286.

يَتَمَثَّلُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ المُوَحَّدُ فِي القَصِيدَةِ العَمُودِيَّةِ الَّتِي تَلْتَزِمُ قَافِيَةَ مُوَحَّدَةً فِي كُلِّ أَيْبَاتِهَا، مُطْلَقَةً أَوْ مُقَيَّدَةً.\* ومُقَارَبَةٌ هَذَا النَّسْقِ التَّفْقُويِّ مِنْ حَيْثُ تَرْتِيبُ مُكَوِّنَاتِهِ مِنَ الحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ يَسْمَحُ بِرِصْدِ إيقَاعِهِ المُتَنَوِّعِ، فَلِهَذَا النَّسْقِ حَمْسُ صُورٍ مِنْ حَيْثُ تَرْتِيبُ حَرَكَاتِهِ وَسَكِّنَاتِهِ، هِيَ: "أَنْ يَتَوَالَى فِي القَافِيَةِ سَاكِنَانِ مِنْ غَيْرِ فَاصِلٍ بِحَرَكَةٍ، وَيُسَمَّى المُتْرَادِفُ نَحْو: قَالَ بِسَكِينِ اللَّامِ. وَأَنْ يَتَوَالَى فِيهَا سَاكِنَانِ مَفْصُولٍ بَيْنَهُمَا بِحَرَكَةٍ، وَيُسَمَّى المُتَوَاتِرُ نَحْو: أَيُّهَا الطَّلُّ البَالِي. وَأَنْ يَتَوَالَى فِيهَا حَرَكَتَانِ نَحْو مَنزِلٍ، وَيُسَمَّى المُتَدَارِكُ. وَأَنْ يَتَوَالَى فِيهَا ثَلَاثُ مُتَحَرِّكَاتٍ نَحْو السَّنَدِ، وَيُسَمَّى المُتْرَاكِبُ. وَأَنْ يَتَوَالَى فِيهَا أَرْبَعُ حَرَكَاتٍ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الرَّجْزِ". (2) وَيُسَمَّى بِالمُتَكَوِّسِ نَحْو: زَلْتُ بِهِ إِلَى الحَضِيضِ قَدُمَهُ. (3) وَيَتَجَلَّى هَذَا النَّسْقُ فِي القَصِيدَةِ مِنْ حِلَالِ أَرْبَعِ صُورٍ، وَهِيَ النَّسْقُ المُتْرَادِفُ (00/0)، وَالنَّسْقُ المُتَوَاتِرُ (0/0)، وَالنَّسْقُ المُتْرَاكِبُ (0//0)، وَالنَّسْقُ المُتَدَارِكُ (0//0).

### 1-1-1- النَّسْقُ التَّفْقُويُّ المُوَحَّدُ المُتْرَادِفُ المُقَيَّدُ (00/0):

يَتَأَلَّفُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ المُوَحَّدُ المُتْرَادِفُ مِنْ تَوَالِي سَاكِنَيْنِ بِلَا فَاصِلٍ بِحَرَكَةٍ، وَيَخْتَصُّ بِالأَنْسَاقِ التَّفْقُويَّةِ المُقَيَّدَةِ، فَهُوَ يَتَحَقَّقُ فِي نَسْقِ (الرَّمَلِ) فِي صُورَتِهِ التَّامَّةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي تَرُدُّ فِيهَا العَرُوضُ مَحْدُوفَةً (فاعلاً=0//0) وَالضَّرْبُ مَقْصُورًا (فاعلات=00//0)، (4) وَيَتَوَاتَرُ هَذَا النَّسْقُ فِي قَصِيدَةِ (آه يَا إِيْمَانِ)، فَقَدْ بَلَغَتْ أَيْبَاتُهَا تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا التَّرَمَّتْ نَسَقَلْ تَقْفُويًّا مُتْرَادِفًا مُقَيَّدًا، يَقُولُ الشَّاعِرُ (5):

أَيُّ ذَنْبٍ خَائِنٍ أَيُّ قَطِيعٍ أَيُّ غَدْرِ فِي رَوَابِيهَا يَشِيعُ؟  
 أَيُّ جُرْحٍ فِي حِمَاهَا نَازِفٍ أَيُّ مَأْسَاةٍ، لَهَا وَجْهٌ مُرِيعُ؟  
 أَيُّ عَصْرِ، لَمْ يَزَلْ قَانُونُهُ يَمْنَحُ العَارِي تَوْبًا مِنْ صَقِيعُ؟  
 يَمْنَحُ الجَائِعَ رَكْلًا فِي القَفَا صَائِحًا فِي وَجْهِهِ كَيْفَ تَجُوعُ؟!

يَنْتَظِمُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ فِي المَقْطَعِ الأوَّلِ (1-4) مِنَ القَصِيدَةِ عَلَى صُورَةِ النَّسْقِ المُوَحَّدِ المُتْرَادِفِ (00/0)، وَيَتَمَثَّلُ بِحَسَبِ كُلِّ بَيْتٍ فِي الشَّكْلِ الآتِي- يَرْمُزُ الحَرْفُ (ق) إِلَى النَّسْقِ التَّفْقُويِّ، وَالحَرْفُ (أ) إِلَى تَمَائِلِ الأنْسَاقِ:

ق1= (أ) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (عُ) = (شِيعُ - لَاتُ = 00/0).

ق2= (أ) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (عُ) = (رِيعُ - لَاتُ = 00/0).

ق3= (أ) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (عُ) = (قِيعُ - لَاتُ = 00/0).

ق4= (أ) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (عُ) = (جُوعُ - لَاتُ = 00/0).

(\*): تَقْسَمُ القَافِيَةُ إِلَى قَسْمَيْنِ: مُطْلَقَةً، وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الرُّوْيُ مُتَحَرِّكًا، وَمُقَيَّدَةً: وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الرُّوْيُ سَاكِنًا.

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 275.

(2) صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي، ص: 176.

(3) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيد العربية، ص: 76.

(4) عبد الرحمن العشماوي: القس أنت، ص: 109.

يَتَكَرَّرُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ ذَاتُهُ ((أ)+(أ)+(أ)+(أ)) فِي كُلِّ بَيْتٍ، وَيُشَكِّلُ تَمَاتِلًا إِيقَاعِيًّا مِنْ خِلَالِ تَكَرَّرِ الْمَقْطَعِ الصَّوْتِيِّ نَفْسِهِ ((شيع)+(ريع)+(قيع)+(جوع))، وَالرَّوِي السَّاكِنِ (ع) نَفْسِهِ الَّذِي يَجْعَلُ النَّسْقَ مُقَيَّدًا، وَيُوَحِّدُ إِيقَاعَ الْمَقْطَعِ الْمُنْسَقِ مَعَ الشُّعُورِ بِالْحُزَنِ الْعَمِيقِ، وَيَسْتَمِرُّ هَذَا الْإِيقَاعُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَهْ يَا إِيْمَانُ، يَا رَاحِلَةً قَبْلَ أَنْ تُكْمَلَ سُقْيَاهَا الضُّرُوعُ  
أَنْتِ كَالشَّمْسِ الَّتِي غِيَبَهَا لَيْلُهَا قَبْلَ بَدَايَاتِ السُّطُوعِ  
أَنْتِ كَالنَّجْمَةِ لَمَّا أَفْلَتَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَكْمَلَ الضُّوءُ اللُّمُوعُ  
أَطْلُقُوا نَحْوَكُمْ صَارُوحًا فَيَا خَجَلَةَ الْقَصْفِ مِنَ الطُّفْلِ الْوَدِيعِ  
دُمُكَ الْعَالِي بَيَانُ صَارِخٍ فَارْفَعِي الصَّوْتِ، وَقُولِي لِلْجَمِيعِ  
يَا ضِيَاعَ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي تَرْضِي أَنْ يُقْتَلَ الطُّفْلُ الرَّضِيعِ

وَيَتَكَرَّرُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ ذَاتُهُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ، حَيْثُ يَلْتَزِمُ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ مُعَبَّرًا عَنِ آلَمِ الشَّاعِرِ وَآلَمِهِ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَيَتِمَثَّلُ فِي الشَّكْلِ الْآتِي:

ق43=(أ) وصورته الصوتية والعروضية (ع)=(رو ع-لات =/00).

ق44=(أ) وصورته الصوتية والعروضية (ع)=(طو ع-لات =/00).

ق45=(أ) وصورته الصوتية والعروضية (ع)=(مو ع-لات =/00).

ق46=(أ) وصورته الصوتية والعروضية (ع)=(دي ع-لات =/00).

ق48=(أ) وصورته الصوتية والعروضية (ع)=(مي ع-لات =/00).

ق49=(أ) وصورته الصوتية والعروضية (ع)=(ضي ع-لات =/00).

والملاحظ أن النسق التفقوي الموحّد المقيد المترادف ينسجم في إيقاعه مع سياق التجربة الشعورية والدلالية، ويعمل على تماسك مقاطع القصيدة وحده الشعور.

### 1-1-2- النسق التفقوي الموحّد المتواتر المطلق (0/0):

يتألف النسق التفقوي الموحّد المتواتر من ساكنين مفصول بينهما بحركة، ويختص بالأنساق التفقوية المطلقة، ويتحقق في النسق التفقوي للطويل وغيره في صورته الثالثة التي ترد فيها صورة الضرب الإيقاعية صحيحة (مفاعيلن=//0/0/0)<sup>(1)</sup>، ويتجسّد النسق التفقوي الموحّد المتواتر في قصيدة (أصون الهوى) التي تتكوّن من تسعة عشر بيتًا، تواتر النسق في جميع أبيانها مطلقًا، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

أصونُ الهوى من أن يُحيطَ به الطينُ وأهتفُ باسمِ السّينِ إنْ عرَبَدتْ شينُ!!  
أصونُ الهوى رمزاً على سفرِ الهوى وملاءُ يدي وردُ يشفُ ونسرِينُ!

(1) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 104.

(2) مصطفى محمد الغماري: بوح في موسم الأسرار، مطبعة لا فوميك، الجزائر، (د، ط)، أبريل 1985، ص: 39.

أَصُونُ الْهَوَى مِنْ عَالَمٍ مُتَخَشِّرٍ حُمَيَّاهُ.. هُجَيْرَاهُ مُهْلٌ وَغَسَلِينُ!  
أَصُونُ الْهَوَى أَفْدِيكَ يَا وَاحَةَ الْهَوَى بِنَفْسِي وَهَانَتْ فِي رِضَاكِ الْقَرَائِينُ!  
أَصُونُ الْهَوَى مِنِّي.. إِذَا اسْوَدَّتِ الرُّؤَى وَفَحَّتْ بِصَحْرَاءِ الْعَرِيبِ النَّعَائِينُ  
وَأَفْنَى وَأَفْنَى حَيْثُ لَا حَيْثُ.. إِنَّنِي أَنَا الْحَبُّ.. وَالْأَحْقَادُ ضِعْتُ وَسَجِينُ!

يَتَأَلَّفُ هَذَا الْمُقْطَعُ الشَّعْرِيُّ مِنْ سِتَّةِ آيَاتٍ، الْأَرْبَعِ الْأُولَى (1-2-3-4) مِنْ بَدَايَةِ الْقَصِيدَةِ، وَالْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ (18-19) مِنْ آخِرِهَا، وَيَتَوَزَّعُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ الْمُتَوَاتِرُ عَلَى جَمِيعِ الْآيَاتِ، وَيَتَكَرَّرُ بِالشَّكْلِ ذَاتِهِ ((أ)+(أ)+(أ)+(أ)+(أ)+(أ)) مِنْ خِلَالِ تَكَرَّرِ الْمَقْطَعَيْنِ الصَّوْتِيَيْنِ فِي كُلِّ بَيْتٍ ((شِينُ)+(رِينُ)+(لِينُ)+(بِينُ)+(جِينُ)) وَتَكَرَّرِ رَوِيِّ (الْتُونِ) الْمُتَحَرِّكِ (ن) الَّذِي يَجْعَلُ النَّسَقَ مُطْلَقًا، وَيَتِمُّثَلُ ذَلِكَ فِي الشَّكْلِ الْآتِي:

ق1= (أ) وَصُورُتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن) = (شِينُ = عِيلُن = 0/0).

ق2= (أ) وَصُورُتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن) = (رِينُ = عِيلُن = 0/0).

ق3= (أ) وَصُورُتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن) = (لِينُ = عِيلُن = 0/0).

ق4= (أ) وَصُورُتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن) = (بِينُ = عِيلُن = 0/0).

ق18= (أ) وَصُورُتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن) = (بِينُ = عِيلُن = 0/0).

ق19= (أ) وَصُورُتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن) = (جِينُ = عِيلُن = 0/0).

وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ النَّسَقَ التَّقْفَوِيَّ الْمُوَحَّدَ الْمُتَوَاتِرَ الْمَطْلُوقَ بِتَكَرَّرِهِ يُنتِجُ نَعَامًا إِيقَاعِيًّا يَتَّفِقُ مَعَ الدَّلَالَةِ الْمُحَوَّرِيَّةِ الْمُتَكَرِّرَةِ فِي الْقَصِيدَةِ، فَالْقَصِيدَةُ تَحْتَضِنُ تَجْرِبَةً صُوفِيَّةً تُؤَكِّدُ صِبَاغَةَ (الْهَوَى)، وَتَسْرِي فِي أَوْصَالِ الْقَصِيدَةِ مُتَجَلِّيةً عَبْرَ أَكْثَرِ مَنْ رَمَزَ (الْهَوَى، الْحَبُّ، الْفَنَاءُ...)، وَيَتَسَقُّ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ مَعَ الْبُنَى الْمُتَرَدِّدَةِ (أَصُونُ الْهَوَى، أَفْنَى...). وَهُوَ بِمَقْطَعَيْهِ الصَّوْتِيَيْنِ يُعَبِّرُ عَنِ الشُّعُورِ بِرِقَّةِ (الْحَبِّ).

1-1-3- النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ الْمُتَرَكَبُ الْمَطْلُوقُ (0//0):

يَتَأَلَّفُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ الْمُتَرَكَبُ الْمَطْلُوقُ مِنْ ثَلَاثَةِ حَرَكَاتٍ تَتَوَسَّطُ السَّاكِنَيْنِ، وَيَتَجَسَّدُ فِي النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ لِلْبَسِيطِ وَغَيْرِهِ، فِي صُورَتِهِ الْأُولَى فِي حَالَةِ التَّمَامِ الَّتِي تَرُدُّ فِيهَا الصُّورَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ لِلْعَرُوضِ مَحْبُونَةً (فَعِلُن = 0//) وَتَرُدُّ صُورَةَ الصَّرْبِ مَحْبُونَةً مِثْلَهَا (فَعِلُن = 0//). (1) وَيَتَجَسَّدُ هَذَا النَّسَقُ الْمُوَحَّدُ الْمُتَرَكَبُ الْمَطْلُوقُ

(1) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 108.



1-1-4-النسق التقفوي الموحّد المتدارك المطلق (0//0):

يتألف النسق التقفوي الموحّد المتدارك المطلق من توالي حركتين (0//0)، ويتجسّد في الصورة الثالثة لنسق (الرمّل) لتأمّ وغيره التي تردّ فيها صورنا العروض والضرب محدوفتين (فاعلاً=0//0)<sup>(1)</sup>، ويتحقّق هذا النسق التقفوي في قصيدة (الشروق في القبور)<sup>(\*)</sup>، وهي تضمّ عشرين بيتاً تماثل النسق في كلّ أبياتها، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

عَصْفَرُ الشَّرْقِ ضِيَاءٌ أُنْبَجُ وَمَحَا سَطَرَ الدِّيَاجِي السَّائِدَةَ  
ظُلُمَاتُ اللَّيْلِ حَالَتْ مُزْقًا دَامِيَاتٍ لَيْسَ مِنْهَا ضَامِدَةٌ!  
وَرَفِيفُ الشُّوقِ مِنْ هَدَأْتِهَا نَفَخَتْ فِيهَا الرِّيَّاحُ الرَّاكِدَةَ  
تُرْسِلُ الأُورَاقُ هَمْسًا سِرَّهَا وَذُؤَابَاتِ العُصُونِ الجَامِدَةَ  
وَسُكُونُ المَوْتِ قَدْ رَانَ عَلَى نَسَمَاتِ هَاجِعَاتِ هَامِدَةَ!  
بَشَعَ المَوْتُ ظَلَامًا قَاسِيًا يُفْرِغُ النَّفْسَ وَنَجْوَى الأَفْنَدَةَ  
بَشَعَ المَوْتُ وَلَوْ أَنِّي إِلَى وَرْدِهِ الأَنْكَدِ نَفْسِي مُورِدَةَ

يتألف هذا المقطع الشعري من سبعة أبيات، الخمسة الأولى (1-2-3-4-5) من بداية القصيدة، والبيتان الأخيران (18-20) من آخرها، ويتوزّع النسق التقفوي، ويتكرّر النسق التقفوي بالشكل ذاته ((أ)+(أ)+(أ)+(أ)+(أ)+(أ)+(أ)) من خلال تكرار مقاطعه الصوتية الثلاثة في كلّ بيت ((سائده)+(ضامده)+(راكده)+(جامده)+(هامده)+(أفنده)+(مورده))، وتكرار روي (الدال) المتحرك (د) و(هاء) الوصل التي يكون النسق معها مطلقاً، ويتمثّل ذلك في الشكل الآتي:

- ق1= (أ) وصورته الصوتية والعروضية (د)= (سائده)= فاعلاً= (0//0).  
ق2= (أ) وصورته الصوتية والعروضية (د)= (ضامده)= فاعلاً= (0//0).  
ق3= (أ) وصورته الصوتية والعروضية (د)= (راكده)= فاعلاً= (0//0).  
ق4= (أ) وصورته الصوتية والعروضية (د)= (جامده)= فاعلاً= (0//0).  
ق5= (أ) وصورته الصوتية والعروضية (د)= (هامده)= فاعلاً= (0//0).  
ق18= (أ) وصورته الصوتية والعروضية (د)= (أفنده)= فاعلاً= (0//0).  
ق20= (أ) وصورته الصوتية والعروضية (د)= (مورده)= فاعلاً= (0//0).

ينسجم النسق التقفوي الموحّد المتدارك بالصيغة الصرفية المشتقة التي وردت من خلالها مع وصف مشهد (الشروق في مقبرة)، وترسم مقاطع النسق الصوتية المتميزة بـ(هاء) الوصل الساكنة حالة الشعور الهادئ مع

(1) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 77.

(\*) محمد الغزالي: الحياة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ط: 1، 1418هـ-1998م، ص: 142.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مَوْضُوعَةِ (المَوْتِ) وَظِلَالِهِ وَمَا يُثْرُهُ فِي النَّفْسِ مِنْ فَزَعٍ وَقَسْوَةٍ بِفِعْلِهِ المَوْحِدِ المُتَكَرِّرِ، فَالمَقْطَعُ الصَّوْتِيُّ المُنْتَهَ بِهَذِهِ (المَاءِ) السَّاكِنَةُ يُحَاكِي مَا فِي النَّفْسِ مِنْ ذُهُولٍ وَمِنْ نُفُورٍ تُؤَكِّدُهُ البِنْيَةُ الفِعْلِيَّةُ المُتَكَرِّرَةُ الدَّالَّةُ بِشِعِّ (المَوْتِ).

يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ النِّسْقَ التَّقْفُويَّ المَوْحِدَ المَطْلُوقَ وَالمُقَيَّدَ، بِأَنْوَاعِهِ الأَرْبَعَةَ، فِي القَصِيدَةِ العَمُودِيَّةِ يَمْتَلِكُ "حَصَائِصَ إِيقَاعِيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً وَجَمَالِيَّةً تَتَحَاوَبُ مَعَ بِنَاءِ النَّصِّ أَفْقِيًّا، وَتَتَوَاشَجُ عَمُودِيًّا عَبْرَ عَلاَقَاتٍ تَتَابُعِيَّةٍ تَمَائِلِيَّةٍ تَخْلُقُ مَظْهَرًا نَعْمِيًّا هَامًّا يُضْفِي عَلَيْهَا دِلَالَاتٍ نَابِعَةٌ مِنْ بِنْيَتِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالتَّحْوِيَّةِ؛ وَهِيَ بِذَلِكَ وَبَعْيَرِهِ لَيْسَتْ قِيدًا يُعْرَفُ بِهِ الشَّعْرُ مِنْ عَدَمِهِ. هَذَا مِنْ تَرَكَمَاتِ رُؤْيَةٍ مَعْيَارِيَّةٍ حَاطِنَةٍ، مِمَّا خَلَقَ نُفُورًا مِنْهَا وَكَيْفَ لَا يَكُونُ وَهِيَ غِلٌّ مِنْ أَغْلالِ المَعْيَارِيَّةِ الَّتِي صَرَفَتْ الأَذْهَانَ عَنْ حَصَائِصِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَالجَمَالِيَّةِ وَالبِنَائِيَّةِ".<sup>(1)</sup> وَفِي ضَوْءِ هَذَا المَبْدَأِ الوَظِيفِيِّ لِلنِّسْقِ التَّقْفُويِّ يَتَكَامَلُ المَكُونَانِ الإِيقَاعِيُّ وَالدَّلَالِيُّ فِي تَحْقِيقِ القِيمَةِ الأُسْلُوبِيَّةِ التَّعْبِيرِيَّةِ للإِيقَاعِ وَالقِيمَةِ النَّصْبِيَّةِ لَهُ المِثْمَلَةُ فِي إِيجَادِ الأَنْسَجَامِ وَالتَّمَاسُكِ بَيْنَ عَنَاصِرِ القَصِيدَةِ.

### 1-2-1- النِّسْقُ التَّقْفُويُّ المُنَوَّعُ المَطْلُوقُ وَالمُقَيَّدُ:

يُهَيِّمُنُ النِّسْقُ التَّقْفُويُّ المَوْحِدَ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ العَمُودِيَّةِ، وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَتَابَةِ الإِيقَاعِ مِمَّا دَفَعَ بِالشَّعْرَاءِ مِنْذُ القَدِيمِ إِلَى الخُرُوجِ عَلَى ذَلِكَ النِّسْقِ، فَظَهَرَ النِّسْقُ التَّقْفُويُّ المُنَوَّعُ مَعَ ظُهُورِ الشَّعْرِ المَشْطَرِّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى الأَشْطَرِّ لَا عَلَى الأَبْيَاتِ وَيَتَّخِذُ فِيهِ كُلُّ شَطْرٍ وَحِدَةً مُسْتَقِلَّةً، وَمِنْ الشَّعْرِ المَشْطَرِّ المِثْلَثَاتُ الَّتِي تَتَغَيَّرُ فِيهَا القَافِيَةُ كُلُّ ثَلَاثَةٍ مِنَ الأَشْطَرِّ، وَالمُرْبِعَاتُ الَّتِي يُقَسِّمُ فِيهَا الشَّاعِرُ قَصِيدَتَهُ إِلَى أَقْسَامٍ يَتَضَمَّنُ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا أَرْبَعَةَ أَشْطَرِّ تَخْضَعُ لِنِظَامٍ فِي التَّقْفِيَّةِ يَتَغَيَّرُ كُلُّ شَطْرٍ، وَالمُخَمَّسَاتُ الَّتِي تَتَّبِعُ النِّظَامَ نَفْسَهُ فِي الأَشْطَرِّ، وَالمُسَمَّطَاتُ الَّتِي تَتَكَرَّرُ فِيهَا قَافِيَتَانِ أَوْ أَكْثَرَ كُلُّ عَدَدٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الأَشْطَرِّ، وَالمَوْشَحَاتُ الَّتِي تَتَعَدَّدُ نِظْمُهَا التَّقْفُويَّةُ وَالَّتِي تُعَدُّ مِنَ المُسَمَّطَاتِ.<sup>(2)</sup> وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَّتِ القَصِيدَةُ العَرَبِيَّةُ تَتَسَمُّ بِطَابَعِهَا العَمُودِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشَّعْرَ المُلْتَزِمَ بِالشَّطْرَيْنِ المُتَمَسِّكَ بِالعُرُوضِ الخَلِيلِيِّ لَمْ يَتَجَمَّدْ عِنْدَ القَالِبِ الوَاحِدِ المُلْتَزِمِ بِالقَافِيَةِ الوَاحِدَةِ، بَلْ تَعَدَّدَتْ قَوَالِبُ هَذَا الشَّعْرِ المَوْسِيقِيَّةِ".<sup>(3)</sup> كَالَّتِي تَضَمَّنَهَا الشَّعْرُ المَشْطَرُّ. وَقَدْ اسْتَفَادَتِ القَصِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ مِنْ هَذِهِ المَحَاوَلَاتِ الشَّعْرِيَّةِ المُنْحَزَةِ فِي تَنْوِيحِ بِنَائِهَا الإِيقَاعِيَّةِ فِي قَصِيدَتِهَا العَمُودِيَّةِ.

يَتَوَزَّعُ النِّسْقُ التَّقْفُويُّ المُنَوَّعُ فِي القَصِيدَةِ بِحَسَبِ المُسْتَوَى الَّذِي يَجْرِي فِيهِ التَّنْوِيحُ، فَقَدْ يَجْرِي عَلَى مُسْتَوَى الشَّطْرِ أَوْ عَلَى مُسْتَوَى البَيْتِ أَوْ عَلَى مُسْتَوَى الشَّطْرِ وَالبَيْتِ مَعًا.

### 1-2-1-1- النِّسْقُ التَّقْفُويُّ المُنَوَّعُ عَلَى مُسْتَوَى الشَّطْرِ:

(1) أحمد حاسم الحسين: الشعرية، قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 2001، ص: 145.  
(2) السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، ص: 209. وإبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 332 وما بعدها.  
(3) صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر العربي، ص: 199.

إِنَّ أَوَّلَ مَلْمَحٍ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ الْمُنَوَّعِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُمُودِيَّةِ، يَتَجَلَّى فِي (المشطر)، وَهُوَ نَمُودَجٌ شِعْرِيٌّ يَكُونُ فِيهِ الشُّطْرُ بِمَثَابَةِ الْبَيْتِ أَوْ الشُّطْرَيْنِ، وَيَسْتَقِلُّ بِنَسَقِهِ التَّقْفَوِيِّ الْخَاصِّ، وَقَدْ نَلَحَظُ فِي (المشطر) صِلَتَهُ بِنِيَّةِ التَّصْرِيحِ فِي الْقَصِيدَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَبْدَأُ "بَيْتٍ مُصْرَعٍ يُسَمَّى عَادَةً بِالْمَطْلَعِ، وَفِيهِ تُرَاعَى الْقَافِيَةُ فِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ كَمَا هِيَ مُرَاعَاةٌ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي".<sup>(1)</sup> غَيْرَ أَنَّ بِنِيَّةَ التَّصْرِيحِ لَمْ تَتَجَاوَزْ الْمَطْلَعِ، غَالِبًا، وَلَمْ تُلْغِ الْبَيْتَ وَتَحْتَفِظْ الْقَصِيدَةَ مَعَهَا بِنَسَقِهَا التَّقْفَوِيِّ الْمُوَحَّدِ عَلَى خِلَافِ أَشْكَالِ (المشطر) الَّتِي تَقُومُ عَلَى تَنْوِيحِ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ، وَمِنْ أَشْكَالِ الْمَشْطَرِ (المزدوجة) و(المثلثة) و(المربعة) و(المخمسة) و(المسطة) و(الموشحة)، وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالتَّنْوِيحِ عَلَى مُسْتَوَى الشُّطْرِ:

#### 1-2-1-1-المزدوجة:

تَتَصِفُ الْمَزْدُوجَةُ بِأَنَّهَا تَتَمَيَّزُ الْقَافِيَةُ مَعَ كُلِّ بَيْتٍ، وَيُرَاعَى النَّظْمُ فِي الْمَزْدُوجِ أَنْ تَكُونَ الْأَبْيَاتُ مُصْرَعَةً، فَقَافِيَةُ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ هِيَ نَفْسُ قَافِيَةِ الشُّطْرِ الثَّانِي".<sup>(2)</sup> وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ لِبِنِيَّةِ التَّصْرِيحِ مَوْقِعٌ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ، فِي هَذَا التَّوْظِيفِ جُنُوحٌ إِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْأَشْكَالِ الْإِيقَاعِيَّةِ الَّتِي أَنْتَجَتْهَا بِنِيَّةُ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ. وَيَتَنَوَّعُ النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ فِي هَذَا الشَّكْلِ مِنْ بَيْتٍ إِلَى آخَرَ فَلِكُلِّ شَطْرٍ نَسَقُهُ التَّقْفَوِيُّ. وَيَتَجَلَّى النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُنَوَّعُ فِي قَصِيدَةِ (عَوْدَةَ الْعَائِبِينَ)<sup>(3)</sup>، الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (المُتْقَارِبِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ بَيْتًا أَوْ مِنْ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ شَطْرًا، حَيْثُ يَشْتَرِكُ كُلُّ شَطْرَيْنِ فِي نَسَقٍ تَقْفَوِيٍّ مُتَمَاثِلٍ، وَيُشَكِّلُ الشُّطْرَانِ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ<sup>(4)</sup>:

وَأَسْأَلُ قَلْبِي عَنِ الْعَائِبِينَ  
وَعَنْ حُرْقَةِ السُّوقِ عَبْرَ السِّنِينَ  
فَيَنْسَكِبُ الدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِيَا  
وَيَرْتَعِشُ الْكَأْسُ فِي رَاحَتِيَا  
وَتَعْمُرُنِي مَوْجَةٌ مِنْ حَيْنٍ  
وَتَقْدِفُ بِي نَحْوَ شَطِّ حَزِينٍ  
خَوَاءً..جَفَاءً..وَلَا زَهْرَ فِيهِ  
وَهَلْ تُصَدِّحُ الطَّيْرُ فِي قَلْبِ تَيْهِ

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 331.

(2) المرجع نفسه، ص: 233.

(3) نجيب الكيلاني: مدينة الكبار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1409هـ-1988م، ص: 17.

(4) المصدر نفسه، ص: 17.

وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويَّ الْمُنَوَّعُ فِي كُلِّ بَيْتٍ أَوْ شَطْرَيْنِ الشَّكْلِ الْآتِي: (أ-أ)/(ب-ب)/(أ-أ)/(ج-ج)/(د-د-

(د/ه-ه)/(و-و)/(ج/ه-ه)/(ب-ب)/(و-و)/(أ-أ)/(ز-ز).

والملاحظ أن النسق التقفوي في كل قسم يرد قائماً على التوافق بين صورة العروض والصرّب، فتوافق الصورة الإيقاعية (فعلون-//00) في العروض الصورة الإيقاعية في الضرب (فعلون-//00)، وتشكّلان النسق (أ-أ). وينشأ عن ذلك التوافق إيقاع معبر عن غيبة الأحباب الطويلة والشوق المحرق عبر السنين ومجسد للشعور، ويتكرر هذا النسق (أ-أ) ذاته في القسم الثالث وفي القسم الحادي عشر لإثارة الشعور بالحزن والحين في المتلقي، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

بربك أخبر فؤادي الحزين  
متى تجتمع الشمّل بالعائين؟  
متى ييزغ الحب فوق الربوع؟  
ويشرق بالبشر وجه الربيع؟

ويتكرر النسق التقفوي (ب-ب) في القسم الثاني الذي توافقه فيه صورة العروض (فعلون=//0/0) صورة الضرب (فعلون-//0/0)، ويضطلع إيقاع النسق بتصوير انسكاب الدمع من المقلتين ورعشة الكأس في الراحتين، ويتردد النسق التقفوي (ه-ه) في القسم السادس وفي القسم الثامن، ويرتكز إيقاعه على صوت الروي (الميم) المحجور الشفوي، وهو إيقاع ينسجم ودلالة السياق المعبر عن الوحدة والضياع في مهمه من الحيرة والحزن، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

لأغرق في مهمه من وجوم  
بلا قمر عاشق أو نجوم  
وأين الغناء الشجي التعم؟  
على ربوة لم تطأها قدم؟

والملاحظ أن النسق التقفوي المنوع مطلقاً ومقيداً في القصيدة يتيح مجالاً رحباً للتنفيس عما يضطرب في النفس من حين إلى الأوبة العائين وما يحول فيها من ذكريات غائمة، ويسهم المقطع الأخير في النسق في إنتاج الشعور والإيحاء بالدلالة.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 18.

(2) المصدر نفسه، ص: 17.

وَيَرِدُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ مُطْلَقًا فِي قَصِيدَةِ (أَحْلَامِ قَدِيمَةٍ) (1)، الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسْقِ (الرَّمَلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ شَطْرًا أَوْ مِنْ سِتَّةِ عَشَرَ قِسْمًا، يَتَكُونُ الْقِسْمُ مِنْ شَطْرَيْنِ مُلْتَرَمِينَ نَسَقًا تَقْفُويًا مُتَمَاثِلًا، أَيْ تَتَفَقُّ صُورَةُ الْعَرُوضِ مَعَ صُورَةِ الضَّرْبِ - بِوَصْفِ الشَّطْرَيْنِ بَيْتًا - وَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّوَافُقِ إِيقَاعٌ مُتَأَلَفٌ، وَيَأْخُذُ الشَّكْلَ (أ-أ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ (2):

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ لِي أَرْضٌ وَبَيْتٌ  
مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ  
كَانَ لِي حَقْلٌ، وَقَمْحٌ، وَغِلَالٌ  
وَخَصَادٌ، آخِرَ الْعَامِ، وَمَالٌ

يَقُومُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ (أ-أ) فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ عَلَى التَّوَافُقِ بَيْنَ الصُّورَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ فِي الْعَرُوضِ (0/0=لاتن) فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَبَيْنَ الصُّورَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ فِي الضَّرْبِ (0/0-لاتن) فِي الشَّطْرِ الثَّانِي. وَيَقُومُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ (ب-ب) فِي الْقِسْمِ الثَّانِي الْقَائِمِ عَلَى التَّوَافُقِ بَيْنَ الصُّورَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ فِي الْعَرُوضِ (0/0=لاتن) فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَبَيْنَ الصُّورَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ فِي الضَّرْبِ (0/0=لاتن) فِي الشَّطْرِ الثَّانِي، وَيَتَنَوَّعُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ بِتَنَوُّعِ الرَّوِيِّ فِي الْقِسْمَيْنِ، حَيْثُ تَتَجَسَّدُ الْأَنْسَاقُ التَّفْقُويَّةُ فِي شَكْلِ ثُنَائِيٍّ.

فِي الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي يَتَشَكَّلُ نَسْقُ التَّفْقِيَّةِ فِي الشَّطْرَيْنِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْآتِيَّةِ:

ق 1: (أ-أ)=(ت-ت)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ بَيْتٌ=0/0=لاتن-بَيْتٌ=0/0=لاتن.

ق 2: (ب-ب)=(ل-ل)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ لَالٌ=0/0=لاتن-مَالٌ=0/0=لاتن.

وَفِي الْقِسْمَيْنِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ (3):

كُنْتُ مِثْلَ النَّسْرِ عِزًّا وَإِبَاءً  
وَإِخْتِيَالًا، وَشُمُوخًا، وَعَلَاءً  
كُنْتُ أَحْيَا فَوْقَ أَرْضِي فِي سَلَامٍ  
فِي صَفَاءٍ وَأَمَانٍ وَوَيْثَامٍ

يَتَشَكَّلُ نَسْقُ التَّفْقِيَّةِ فِي الْقِسْمَيْنِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْآتِيَّةِ:

ق 3: (ج-ج)=(ء-ء)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ بَاءٌ=0/0=لاتن-لَاءٌ=0/0=لاتن.

ق 4: (د-د)=(م-م)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ لَامٌ=0/0=لاتن-ثَامٌ=0/0=لاتن.

وَفِي الْقِسْمِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ (1):

(1) ولید قصاب: صور من بلادی، المكتبة الحديثة، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط: 2، 1416هـ-1986م، ص: 40.

(2) المصدر نفسه، ص: 40.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ثُمَّ هَدَّتْنِي جِرَاحُ دَامِيَاتُ  
 دَخَلَ الْأَوْغَادُ أَرْضِي وَالطُّعَاةُ  
 دَخَلُوهَا لَعْنَةً صَبَّتْ وَمَقْتًا  
 وَبَلَاءً شَامِلًا بَيْتًا فَبَيْتًا

يَتَشَكَّلُ نَسَقُ التَّقْفِيَةِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ:

ق5: (أ-أ)=(ت-ت)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ رِيَاتُ=0/0/لاتن-غاتُ=0/0/لاتن).

ق6: (أ-أ)=(ت-ت)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (مَقْتًا)=0/0/لاتن-بَيْتًا=0/0/لاتن).

وَفِي الْقِسْمَيْنِ السَّابِعِ وَالثَّامِنِ<sup>(2)</sup>:

نَزَلُوهَا ذَاتَ يَوْمٍ كَالْقَضَاءِ  
 كَالرِّزَايَا كَالْحِجَاتِ كَالْبَلَاءِ  
 تَرَكُوا الدُّنْيَا عَوِيلًا وَبُكَاءَ  
 وَنِسَاءً تَاكَلَاتِ وَدِمَاءَ

يَتَشَكَّلُ نَسَقُ التَّقْفِيَةِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ:

ق7: (ج-ج)=(ء-ء)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ضَاءُ=0/0/لاتن-لاءُ=0/0/لاتن).

ق8: (ج-ج)=(ء-ء)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ كَاءُ=0/0/لاتن-مَاءُ=0/0/لاتن).

وَفِي الْقِسْمَيْنِ التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ<sup>(3)</sup>:

مَنْ بَقُوا صَارُوا قَطِيعًا كَالْكِلَابِ  
 بَيْتُهُمْ فِي الرِّيحِ وَالْقَفْرِ الْيَبَابِ  
 صَارَتِ الْآهَةُ لَحْنًا لِلْكِبَارِ  
 مَاتَتِ الْبِسْمَةُ فِي عَيْنِ الصَّغَارِ

يَتَشَكَّلُ نَسَقُ التَّقْفِيَةِ عَلَى الطَّرِيقَةِ:

ق9: (ه-ه)=(ب-ب)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ لَابُ=0/0/لاتن-بابُ=0/0/لاتن).

ق10: (و-و)=(ل-ل)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ بَارُ=0/0/لاتن-غَارُ=0/0/لاتن).

وَفِي الْقِسْمَيْنِ الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ<sup>(4)</sup>:

ثُمَّ أَضْحَى وَطَنِي الْعَالِي سَرَابًا  
 بَعْدَمَا أُمْسَتْ مَعَانِيهِ يَبَابًا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 41.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص: 41.

إِنَّهُ الْيَوْمَ ظِلَالٌ فِي الْخِيَالِ  
كُلُّ مَنْ فِيهِ مَضُوا نَحْوَ الزَّوَالِ

يَتَشَكَّلُ نَسْقُ التَّقْفِيَةِ عَلَى الطَّرِيقَةِ:

ق11: (ه-ه)=(م-م)، وصورته الصوتية والعروضية (رابا=0/0=لاتن-بابا=0/0=لاتن).

ق12: (ب-ب)=(ل-ل)، وصورته الصوتية والعروضية (يال=0/0=لاتن-وال=0/0=لاتن).  
وَفِي الْقِسْمَيْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ وَالرَّابِعِ عَشَرَ (1):

الرِّفَاقُ الْعُرُّ وَالرَّبِيعُ الْكِرَامُ  
وَالْأَمَانِي، وَالْحَكَايَا، وَالْعَرَامُ  
كُلُّ شَيْءٍ صَارَ ذِكْرِي لَا تُطَالُ  
صَارَ كَالْعَيْمِ بَعِيدًا لَا يُنَالُ

يَتَشَكَّلُ نَسْقُ التَّقْفِيَةِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ:

ق13: (د-د)=(م-م) وصورته الصوتية والعروضية (رام=0/0=لاتن-رام=0/0=لاتن).

ق14: (ب-ب)=(ل-ل)، وصورته الصوتية والعروضية (طال=0/0=لاتن-نال=0/0=لاتن).  
وَفِي الْقِسْمَيْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ وَالسَّادِسِ عَشَرَ (2):

إِنَّا الْيَوْمَ حَيَامٌ فِي الْبَوَادِي  
وَجُمُوعٌ شَرَّدَتْ فِي كُلِّ نَادٍ  
لَمْ نَعُدْ نَاسًا لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ  
مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

يَتَشَكَّلُ نَسْقُ التَّقْفِيَةِ عَلَى الطَّرِيقَةِ:

ق15: (ز-ز)=(د-د)، وصورته الصوتية والعروضية (وادي=0/0=لاتن-ناد=0/0=لاتن).

ق16: (أ-أ)=(ت-ت)، وصورته الصوتية والعروضية (بيت=0/0=لاتن-بيت=0/0=لاتن).

ثُمَّ مَوْضُوعَةُ (الْوَطَنِ) الْمَسْلُوبِ بُؤْرَةَ الدَّلَالَةِ فِي الْقَصِيدَةِ، وَقَدْ أْبْرَزَتْ حَالَ الشَّعْبِ قَبْلَ اغْتِصَابِ الْأَرْضِ  
حَيْثُ نَعَمَ بِالرِّخَاءِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلْمِ وَبَعْدَ الْإِغْتِصَابِ حَيْثُ شَقِيَ بِالْبُؤْسِ وَالتَّشَرُّدِ وَالْخَوْفِ، وَبِحَسَبِ الْحَالَيْنِ تَنَوَّعَ  
الْإِيْقَاعُ بِتَنَوُّعِ الْأَنْسَاقِ التَّقْفَوِيَةِ الْمُؤَطَّرَةِ لِمَشَاهِدِ الصُّورَةِ الْكَلْبِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ، وَأَضْفَى عَلَى كُلِّ صُورَةٍ جَزْئِيَّةً نَسْقًا  
تَقْفَوِيًّا مُلَائِمًا إِيقَاعِيًّا.

فَقَدْ تَنَوَّعَتْ حَرَكَةُ الْإِيْقَاعِ مُنْسَجِمَةً مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ فِي أَقْسَامِ الْقَصِيدَةِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 42.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هِيَ "ضَرْبٌ مِنْ الشَّعْرِ الْمَشْطَرِ تُلْتَزِمُ فِيهِ قَافِيَةٌ خَاصَّةٌ مَعَ كُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْأَشْطَرِ".<sup>(1)</sup> وَتَشْكَلُ الْأَشْطَرُ الثَّلَاثَةُ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ الْقَصِيدَةِ، يَتَنَوَّعُ فِيهِ النَّسَقُ الْإِيقَاعِيُّ بِتَنَوُّعِ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ قِسْمٍ وَفِي بَقِيَّةِ الْأَقْسَامِ. وَقَدْ وَرَدَ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُنَوَّعُ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا فِي قَصِيدَةِ (الْبَدْرِ)<sup>(2)</sup> الَّتِي تَقُومُ عَلَى (الرَّجَزِ)، وَتَتَكَوَّنُ مِنْ خَمْسِ أَقْسَامٍ أَوْ (مُثَلَّثَاتٍ) أَوْ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ شَطْرًا، يَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ قِسْمٍ أَوْ (مُثَلَّثَةٍ) نَسَقٌ تَقْفَوِيٌّ مُعَيَّنٌ، فَفِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ<sup>(3)</sup>:

مَا أَحْمَلُ الْحَيَاةَ!

هَادِيَةَ الْأَمَانِي

تُنِيرُهَا يَا بَدْرُ

يَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ عَلَى الشَّكْلِ (أ-ب-ج)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ وَالصَّوْتِيَّةُ (ة-ن-ر).

وَفِي الْقِسْمِ الثَّانِي:

وَأَعْدَبَ الشُّعَاعَا

مِنْ عَالَمِ الرِّضْوَانِ

تُرْسِلُهُ يَفْتَرُ!

يَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ عَلَى الشَّكْلِ (د-ب-ج)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ وَالصَّوْتِيَّةُ (ع-ن-ر).

وَفِي الْقِسْمِ الثَّلَاث:

فِي مُسْعِدِ الْأَحْلَامِ

وَنَجْوَةِ الْأَمَانِي

يَقْنُوهُ ضَوْءُ طُهُرُ

يَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ عَلَى الشَّكْلِ (ه-ب-ج)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ وَالصَّوْتِيَّةُ (م-ن-ر).

وَفِي الْقِسْمِ الرَّابِع:

قَدْ أَضْفَتِ الْأَضْوَاءُ

فِي الْأَفْقِ الْمُرْدَانِ

جَمَلَهُ الْبِشْرُ!

يَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ عَلَى الشَّكْلِ (و-ب-ج)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ وَالصَّوْتِيَّةُ (ع-ن-ر).

(1) إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص: 394.

(2) محمد الغزالي: الحياة الأولى، ص: 148.

(3) المصدر نفسه، ص: 148.

وَفِي الْقِسْمِ الْخَامِسِ:

يُثِيرُ فِي الْحَيَاةِ  
عَالَمُكَ الثَّانِي  
وَدَاعَةَ يَا بَدْرُ

يَرِدُ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ عَلَى الشَّكْلِ (أ-ب-ج)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ وَالصَّوْتِيَّةُ (ة-ن-ر).

وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ النَّسْقَ التَّقْفَوِيَّ يَتَرَدَّدُ بِانْتِظَامٍ فِي كُلِّ قِسْمٍ بِوَسِطَةِ تَكَرُّرِ نَسْقِ التَّقْفِيَّةِ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي (ب) وَنَسْقِ التَّقْفِيَّةِ فِي الشَّطْرِ الثَّلَاثِ (ج) وَبِوَسِطَةِ إِعَادَةِ النَّسْقِ التَّقْفَوِيِّ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ (أ-ب-ج=ة-ن-ر) فِي الْقِسْمِ الْأَخِيرِ فَشَكْلٌ مَدْحَلًا/مَخْرَجًا إِيقَاعِيًّا لِلْقَصِيدَةِ، وَيَعَكْسُ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ حَرَكَةَ الشُّعُورِ بِالْإِرْتِيَاكِ وَالْمُتَعَةَ الَّذِي يَتْرُكُهُ الْبَدْرُ فِي النَّفْسِ، وَيُبِيرُهُ فِي الْوَجْدَانِ وَالنَّشْوَةِ الَّتِي تَسْرِي فِي الرُّوحِ، هَذِهِ الْحَرَكَةُ الْمَصْحُوبَةُ وَفَقًا بِإِيقَاعِ هَادِي خَافَتْ مُتَدَرِّجٌ مُتَنَاوِبٌ يَنْتَقِلُ مِنْ عَتَبَةٍ إِلَى أُخْرَى مُكَوَّنًا ثُنَائِيَّةً إِيقَاعِيَّةً طَرَفُهَا (الثَّابِتُ) هُوَ قَافِيَةُ الشَّطْرِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ، وَطَرَفُهَا (الْمُتَحَوِّلُ)، فَالنَّسْقُ (ب-ج=ن-ر) ثَابِتٌ فِي كُلِّ قِسْمٍ وَالْأَسَاقُ (أ)، وَ(د) وَ(ه) وَ(و) وَ(أ) مُتَحَوِّلَةٌ.

### 1-2-1-3-المربعة:

وَهِيَ "ذَلِكَ الشَّعْرُ الَّذِي يُقَسَّمُ فِيهِ الشَّاعِرُ قَصِيدَتَهُ إِلَى أَقْسَامٍ يَتَضَمَّنُ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا أَرْبَعَةَ أَشْطُرٍ، وَيُرَاعِي الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَشْطُرِ الْأَرْبَعَةِ نِظَامًا مَا لِلْقَافِيَةِ، فَقَدْ تَكُونُ كُلُّهَا مُقْفَاةً بِقَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ وَوَزْنَ وَاحِدٍ". (1) وَيَتَنَوَّعُ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ فِي كُلِّ قِسْمٍ وَمَعَهُ يَتَجَدَّدُ الْإِيقَاعُ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ مُتَفَاعِلًا مَعَ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ. وَقَدْ وَرَدَ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُنَوَّعُ الْمَطْلُوقُ وَالْمُقَيَّدُ فِي قَصِيدَةِ (ذِكْرَى وَعَزَاءِ) (\*الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسْقِ الرَّمْلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسِ مُرَبَّعَاتٍ أَوْ مِنْ عِشْرِينَ شَطْرًا مُوزَّعَةً عَلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ يَضُمُّ كُلُّ قِسْمٍ أَرْبَعَةَ أَشْطُرٍ، تَسْتَقِلُّ فِيهَا كُلُّ مُرَبَّعَةٍ بِنَسْقَيْنِ تَقْفَوِيَّيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَنْتَظِمُ الشَّطْرَيْنِ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي وَالثَّانِي يَنْتَظِمُ الشَّطْرَيْنِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعَ، كَمَا فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ (2):

فِي لَيْالٍ لَا يُرَى فِيهَا قَمَرٌ  
لَا حَ فِي الْأَفْقِ، وَلَا نَجْمُ السَّمَرِ  
أُرْجِعِ الطَّرْفَ إِلَى الْمَاضِي الْقَدِيمِ  
ثُمَّ تَسْرِي رَعِشَةً عَبْرَ أَدِيمِي

وَالْقِسْمِ الثَّلَاثِ (3):

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 236.  
(\*) وليد قصاب: فارس الأعلام القديمة، دار الثقافة، الدوحة، 1410هـ-1990م، ص: 32.  
(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.  
(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ثُمَّ ذَرَّتْهَا رِيَا حُ لَا تَلِينُ  
فِي زَوَايَا الْمَوْتِ، تَبْكِيهَا السُّنُونُ  
صَارَ ذِكْرِي، وَخَيَالَاتِ دَفِينَةٍ  
ذَلِكَ الْمَاضِي، وَأَنْعَاماً حَزِينَةً

وَقَدْ يَتَوَحَّدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ فِي أَشْطَرِ بَعْضِ الْأَقْسَامِ، كَمَا هُوَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَالْقِسْمِ الرَّابِعِ وَالْقِسْمِ  
الْخَامِسِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ<sup>(1)</sup>:

كَانَ لِي حُلْمٌ وَأَصْدَاءٌ وَذِكْرِي  
كَانَ حُبِّي يَمَلُّ الْآفَاقَ سِحْرًا  
كَانَ شِدْوًا وَغِنَاءً وَشَجُونًا  
وَأَمَانِيًا عَذَابًا وَفُتُونًا  
\* \* \*

وَيَتَوَزَّعُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ فِي أَقْسَامِ الْقَصِيدَةِ عَلَى الشَّكْلِ الْآتِي (ق=قسم):

- ق1: (أ-أ-ب-ب) وصورته العروضية (فاعلا) / (لاتن) = (0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).  
ق2: (ج-ج-د-د) وصورته العروضية (لاتن) / (لاتن) = (0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).  
ق3: (ه-ه-و-و) وصورته العروضية (لات) / (لاتن) = (0/0/-0/0/-00/-00/).  
ق4: (ز-ز-ح-ح) وصورته العروضية (لاتن) / (لاتن) = (0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).  
ق5: (د-د-ط-ط) وصورته العروضية (لاتن) / (لاتن) = (0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).

والملاحظ أن الروي مع هذا التماثل والاختلاف في النسق التقفوي بوظيفة إيقاعية بواسطة تنوعه بين الرء الساكنة (ر) والميم (م) في القسم (1) وبين الرء المتحركة (ر) والتون المتحركة (نا) في القسم الثاني وبين التون الساكنة (ن) والتون المتحركة (ن) في القسم الثالث وبين الميم المتحرك (م) واللام المتحركة (ل) في القسم الرابع وبين التون المتحركة (ن) والهمزة المتحركة (ه) في القسم الخامس، وهذا التنوع في صوت الروي والنسق التقفوي الذي يندرج فيه يعكس شعور النفس بالتوتر وهي تسترجع ذكريات الماضي الدفينة التي تُغير الحزن والأسى. ويسهم الروي في نسقه من خلال إطلاقه وتقييده -ورد النسق مطلقاً في ستة عشر شطراً ومقيداً في أربعة عشر شطراً- وتغيير مجراه بين الكسرة والفتحة والضمة في تلوين الإيقاع بحسب حركات الشعور وحركات الدلالة في كل قسم.

(1) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها.

بهذا الإيقاعي الثري، إذا، يتحقق النسق التقفوي في بنية القصيدة منزاحاً ومتجاوزاً وحدة القافية والروي إلى تناوب القافية وتحطيم وحدة الروي، فالنسق التقفوي المتزاح أو المتناوب يفتح فضاءاً للحرية والتخلص من سلطة النسق التقفوي الموحد وتُمارس نوعاً من التجديد الإيقاعي والتنوع الموسيقي الذي يوافق أغراضاً خاصة بالشعراء لم يكن النمط العمودي ينسقه الموحد ملئاً لتأديتها، فقد اتخذ الشعراء لهذا التجديد في القوافي ركناً صعباً يلجأ إليه بعضهم كلما أملت القافية والتقيّد بقيودها التي التزمها القدماء في أشعارهم، كما قصرُوا هذا النوع من الأشعار على أغراض خاصة بهم، فيها ينفسون عن مشاعرهم وأحاسيسهم التي كانوا يرونها ملكاً لهم دون غيرهم، ولذا نرى هذا النوع من الأشعار يمثل الشعر الغنائي في أوضح صورة. (1) والنسق التقفوي المنوع، هنا، يعزز المنحى الغنائي لقصيدة.

وقد ورد النسق التقفوي المنوع في قصيدة (ليل وقضبان) \* التي تقوم على نسق (الخفيف) تتألف من ست أسام تتهج نسقاً تقفويًا يختلف نظام التقفية فيه عن نظام التقفية السابق، فالشطر الثالث في المربعة يأتي مختلف التقفية، فتشترك أشطره الأول والثاني والرابع في قافية واحدة ويختص الشطر الثالث بقافية مختلفة، ويتمثل هذا النسق التقفوي في الشكل (أ-أ-ب-أ)، يقول الشاعر في القسم الأول (2):

كَلَّمَا قُلْتُ لِلْفُؤَادِ تَحَمَّلْ  
إِنَّمَا الصَّبْرُ لِلْأَسَى خَيْرٌ مَنْزِلٌ  
وَتَزَوَّدَ مِنَ الْيَقِينِ بِزَادٍ  
ثَارَ فِي خَاطِرِي الْإِبَاءُ وَرَزَلُ

ويقول في القسم الرابع (3):

يَا خَلِيلِي.. لَأُبَالِي بِقَيْدِي  
إِنَّ رُوحِي تُعْبُ مِنْ خَيْرٍ وَرِدٍ  
خَابَ فَأَلُ الْجَلَادِ حِينَ تَوَلَّى  
وَضَعُ أَفْكَارَنَا الْكِبَارِ بِقَيْدِ

يتخذ النسق التقفوي المنوع مطلقاً ومقيداً في القسم الأول منتظماً على الشكل الآتي (أ-أ-ب-أ)، فقد تكررت قافية اللام (ل) الساكنة في الشطر الأول والثاني والرابع، وتأتي قافية الدال (د) المتحركة في الشطر الثالث،

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 332.

(\*) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1407هـ-1987م، ص: 7.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص: 8.

وَيَأْتِي النَّسَقُ التَّقْفُويُّ مُنْتَظَمًا فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ عَلَى الشَّكْلِ (ب-ب-أ-ب)، فَتَكَرَّرَ قَافِيَةُ (الرَّاءِ) الْمُتَحَرِّكَةُ فِي الشَّطْرِ  
الأوَّلِ والثَّانِيِ والرَّابِعِ وَتَرَدُّ قَافِيَةُ (هَاءِ) الْمُتَحَرِّكَةُ فِي الشَّطْرِ الثَّالِثِ.

وَيُنْتِجُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ عَلَى مُسْتَوَى كُلِّ قِسْمٍ وَعَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ إِيقَاعًا خَاصًّا مُتَمَوِّجًا، فَبِئْسَ كُلُّ قِسْمٍ  
يَمَازِلُ الإِيْقَاعَ فِي الشَّطْرِ الأوَّلِ والثَّانِيِ وَيَتَوَقَّفُ لِيُخْتَلَفَ فِي الشَّطْرِ الثَّالِثِ وَيَعُودُ إِلَى التَّمَاثُلِ فِي الشَّطْرِ الرَّابِعِ.  
وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ فِي تَنْظِيمِ الإِيْقَاعِ وَتَوْزِيْعِهِ تَجْعَلُهُ قَائِمًا عَلَى قَاعِدَةِ التَّمَاثُلِ وَالِاخْتِلَافِ عَلَى الْمُسْتَوِيِّينَ فِي إِطَارِ  
النَّسَقِ الإِيْقَاعِيِّ (الخَفِيفِ) الْعَامِّ، وَيَأْتِي ذَلِكَ التَّنْوِيعُ الإِيْقَاعِيُّ نَتِيجَةً لِلشُّعُورِ الَّذِي يَنْبَسُّ دَلَالَةً كُلِّ قِسْمٍ مِنَ  
الْقَصِيدَةِ، فَتَخْرُجُ كُلُّ فِكْرَةٍ فِي كُلِّ قِسْمٍ مُمَيَّزَةً بِنَسَقٍ تَقْفُويٍّ مُحَدَّدٍ، فَقَدْ عَرَضَ الشَّاعِرُ، مَثَلًا، خِطَابَهُ إِلَى فُؤَادِهِ  
حَآنًا إِيَّاهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّرْوُدِ مِنَ اليَقِينِ فِي نَسَقٍ مُمَيَّزٍ بِالنَّسَقِ التَّقْفُويِّ (أ-أ-ب-أ)، وَحِينَ تَحَدَّثَ عَنْ عَدَمِ  
اِكْتِرَائِهِ بِالْفَيْدِ اخْتَارَ النَّسَقَ التَّقْفُويِّ (ب-ب-أ-ب).

وَبِهَذِهِ الصِّيغَةِ الواضِحَةِ (1-2-1-1) يَطْرُدُ الإِيْقَاعُ فِي الْقَصِيدَةِ عَلَى الشَّكْلِ:

ق1: (أ-أ-ب-أ) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ (ل-ل-د-ل).

ق2: (ج-ج-د-ج) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ (ر-ر-ه-ر).

ق3: (ه-ه-و-ه) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ (ح-ح-ع-ح).

ق4: (ب-ب-أ-ب) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ (د-د-ل-د).

ق5: (ز-ز-ح-ز) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ (ي-ي-ن-ي).

ق6: (ح-ح-أ-ح) وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ (ن-ن-ل-ن).

وَيَكْشِفُ هَذَا التَّنْظِيمُ الإِيْقَاعِيُّ لِلانْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ عَنْ بُرُوزِ تَلْوِينِ إِيقَاعِيٍّ ثَانَوِيٍّ نَاشِئٍ عَنْ تَبَادُلِ الْمَوَاقِعِ بَيْنَ  
الْقَوَافِي، كَمَا يَتَضَحُّ فِي نَسَقِ الْقِسْمِ الأوَّلِ (أ-أ-ب-أ=ل-ل-د-ل) وَنَسَقِ الْقِسْمِ الرَّابِعِ (ب-ب-أ-ب=د-د-ل-ل-  
د)، فَكِلَاهُمَا يُعِيدُ تَرْتِيبَ وَتَوْزِيعَ قَوَافِيهِ حَيْثُ تَنْتَقِلُ قَافِيَةُ (اللَّامِ) مِنَ الشَّطْرِ الأوَّلِ والثَّانِيِ والرَّابِعِ مِنَ الْقِسْمِ الأوَّلِ،  
وَتَتَمَوَّقِعُ فِي قَافِيَةِ الشَّطْرِ الثَّالِثِ مِنَ الْقِسْمِ الرَّابِعِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ تَتَحَوَّلُ قَافِيَةُ الشَّطْرِ الثَّالِثِ (الدَّالِ) مِنَ الْقِسْمِ  
الأوَّلِ عَنْ مَوْقِعِهَا، لِتَحْتَلَّ مَوَاقِعَ قَوَافِي الشَّطْرِ الأوَّلِ والثَّانِيِ وَالثَّالِثِ مِنَ الْقِسْمِ الرَّابِعِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْقِسْمِ  
الرَّابِعِ.

وَتَحْتَلُّ قَافِيَةُ اللَّامِ، مَرَّةً أُخْرَى، مَوْقِعَ قَافِيَةِ الشَّطْرِ الثَّالِثِ مِنَ الْقِسْمِ السَّادِسِ بِحُكْمِ هَيْمَنَتِهَا عَلَى النَّسَقِ  
التَّقْفُويِّ فِي الْقَصِيدَةِ إِذْ تَوَاتَرَتْ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَكَمْ تَتَجَاوَزُ بَقِيَّةَ الْقَوَافِي هَذَا الْعَدَدَ مِنَ التَّوَاتُرِ، فَقَافِيَةُ الدَّالِ تَوَاتَرَتْ

أَرْبَعُ مَرَّاتٍ وَقَافِيَةُ الرَّاءِ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ وَقَافِيَةُ التُّونِ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ وَقَافِيَةُ الحَاءِ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ وَقَافِيَةُ الهَمْزَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَقَافِيَةُ (الياء) ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، فَقَافِيَةُ اللَّامِ ذَاتُ قِيَمَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْقِسْمِ السَّادِسِ<sup>(1)</sup>:

أَمْزَجَ الدَّمْعَ بِالدَّمَاءِ وَغَنَّ  
وَأَسْكَبَ الْآهَ فِي أَبَارِيقٍ فَنَّ  
وَأَمَلًا الْأَرْضَ ثَوْرَةً وَاشْتَعَالَ  
سَتَّظَلُّ الْأَمَالَ أُرْوَعَ لَحْنِ

إِنَّ التَّشْكِيلَ الْإِيْقَاعِيَّ، عَلَى مُسْتَوَى التَّقْفِيَّةِ، يَشْتَرِكُ فِي صِيَاغَةِ الْمَضْمُونِ الْفِكْرِيِّ وَالْوَجْدَانِيِّ لِلتَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فَالنَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ بَرَوِيٌّ (التُّون) الْمُطْلَقُ - وَصَوْتُ (التُّون) مَجْهُرٌ أَعْنُ - فِي الْأَشْطَرِ الثَّلَاثَةِ وَالنَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ بَرَوِيٌّ (اللَّام) - وَصَوْتُ اللَّامِ مَجْهُورٌ وَجَانِبِيٌّ - فِي الشَّطْرِ الثَّلَاثِ يُعْبِرَانِ عَنِ التَّجْرِبَةِ الْحَزِينَةِ الْمُتَأَوِّهَةِ الْأَمَلَةِ الَّتِي لَا تَنْكِفِي عَلَى ذَاتِهَا وَإِنَّمَا تَنْطَلِقُ ثَوْرَةً فِي الْأَفَاقِ تَنْشُدُ أَمَالَهَا الْمُرْتَقِبَةَ. وَيَسْتَمِرُّ الشَّاعِرُ الشُّكْلَ (المُرْبَع) لِلْقَصِيدَةِ فِي مَتْنِهِ الشَّعْرِيِّ فِي أَكْثَرِ مِنْ قَصِيدَةٍ.\*

وَيَرِدُ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُنَوَّعُ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا فِي قَصِيدَةِ (يَا نَائِمًا)\* الَّتِي تَبْنِي عَلَى نَسْقِ (السَّرِيعِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ، يَأْخُذُ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ فِي كُلِّ قِسْمٍ مِنْهَا الشُّكْلَ (أ-أ-ب-أ)، فَالْتَّمَاثُ قَائِمٌ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالرَّابِعِ، وَيَقَعُ الْإِحْتِلَافُ فِي الشَّطْرِ الثَّلَاثِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

يَا نَائِمًا مُسْتَعْرِقًا فِي الْمَنَامِ  
قُمْ فَادْكُرِ الْحَيَّ الَّذِي لَا يَنَامُ  
مَوْلَاكَ يَدْعُوكَ إِلَى ذِكْرِهِ  
وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِطِيبِ الْمَنَامِ

وَيُمْكِنُ التَّمْثِيلُ لِنِيَّةِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ بِالشُّكْلِ الْآتِي:

ق 1: (أ-أ-ب-أ) = (م-م-ر-م)، حَيْثُ يَكُونُ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ فِي كُلِّ شَطْرِ، كَالْآتِي:

ش 1+2 = (أ-أ) وصورته العروضية (المنام) = 00//0/ = فاعلان/لا ينام = 00//0/ = فاعلان

ش 3+4 = (ب-أ) وصورته العروضية (ذكره) = 0//0/ = فاعلن/المنام = 00//0/ = فاعلان.

وَيَتَمَيَّزُ النَّسْقُ التَّقْفَوِيُّ بِالْإِطْلَاقِ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالرَّابِعِ وَبِالتَّقْيِيدِ فِي الشَّطْرِ الثَّلَاثِ. وَيَأْتِي النَّسْقُ

التَّقْفَوِيُّ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي شُكْلًا آخَرَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 8.

(\*) كـ (أحزان جيل) وقصيدة (عودة) و(خواطر سجين) و(نشيد) وغيرها.

(\*) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2000، ص: 47.

(2) المصدر نفسه، ص: 47.

شَغَلَتِ بِالْعَشِيِّ بَعْدَ الْعَدَاهُ  
غَرْقَانَ فِي لُجَّةِ بَحْرِ الْحَيَاةِ  
وَالْقَلْبُ عَنْ مَوْلَاهُ سَاهٍ وَوَلَاهُ  
يَا وَيْلَ مَنْ يُلْهِمُهُ عَنْهُ الْحُطَامُ

وَيَتَّخِذُ هَذَا الْقِسْمَ النَّسَقَ التَّقْفُويَّ الشَّكْلَ الْآتِي:

ق2: (ج-ج-ج-ج-أ)=(ه-ه-ه-م)، حَيْثُ يُكُونُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِي كُلِّ شَطْرٍ، كَالْآتِي:

ش1+ش2=(ج-ج) وصورته العروضية(الغداة=00//0/0=فاعلان/الحياه-00//0/0-فاعلان).

ش3+ش4=(ب-أ) وصورته العروضية(ه ولاه=00//0/0=فاعلان/الحطام=00//0/0-فاعلان).

وَيَتَمَيَّزُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِي الْقِسْمِ بِالتَّقْيِيدِ.

وَعَلَى شَاكِلَةِ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي تَشَكَّلُ أَنْسَاقُ الْأَقْسَامِ السِّتَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ مُنَوَّعَةً فِي كُلِّ قِسْمٍ وَمُتَمَاثِلَةً فِي الشَّطْرِ الرَّابِعِ مِنْ كُلِّ قِسْمٍ بِرُويِّهَا الميمِ السَّاكِنَةِ(م)، وَهِيَ تَقُومُ بِالرِّبْطِ بَيْنَ الْأَقْسَامِ، إِيقَاعِيًّا، فِي إِطَارِ هَذَا التَّنَوُّعِ الَّذِي يَسْمُ بِبَيْتَةِ الْقَصِيدَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ، وَيَرْتَبِطُ بِحَرَكَةِ الشُّعُورِ وَحَرَكَةِ الْمَعْنَى كَمَا هُوَ مُلَاحَظٌ فِي الْقِسْمِ الْأَخِيرِ الَّذِي يُنْطَوِي عَلَى الْمَوْعِظَةِ الْمَادَّةِ وَالتَّذْكَرَةِ الْمَادْفَةِ، وَعَلَى الشُّعُورِ الْمُنْكَسِرِ الَّذِي تُعْبِرُ بِنِي التَّعَجُّبِ الَّتِي تُشَكِّلُ قَوَافِي الْأَشْطُرِ(مَا أَسْرَعَهُ!، مَا أَفْجَعَهُ!، فَمَا أَفْطَعَهُ!)، يَقُولُ الشَّاعِرُ(2):

فَا ذَكَرْ مَسِيرَ الْعُمْرِ، مَا أَسْرَعَهُ!  
وَارْقُبْ هُجُومَ الْمَوْتِ مَا أَفْجَعَهُ!  
وَاسْتَحْضِرِ الْقَبْرَ فَمَا أَفْطَعَهُ!  
وَازْرَعْ لِكِي تَحْصِدَ يَوْمَ الرَّحَامِ

يَتَنَوَّعُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ بِتَنَوُّعِ رُويَّاتِهِ فِي الْأَشْطُرِ الثَّلَاثَةِ فِي كُلِّ قِسْمٍ وَيَتَّوَحَّدُ فِي الشَّطْرِ الرَّابِعِ مِنْهَا لِيُنْشِئَ إِيقَاعًا مُنْتَظِمًا عَبْرَ مَسَافَاتٍ مُحَدَّدَةٍ. وَفِي مَتْنِ الشَّاعِرِ قِصَائِدٌ أُخْرَى تَأْتِي عَلَى هَذَا الشَّكْلِ(المُرْبَعَات) كَقَصِيدَةِ (نَشِيدِ الْعُودَةِ)(\*) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ(الكَامِلِ) وَتَتَأَلَّفُ مِنْ سَبْعَةِ أَقْسَامٍ وَتَتَّخِذُ نَسَقًا تَقْفُويًّا مُطْلَقًا مُوَحَّدًا عَلَى مُسْتَوَى كُلِّ قِسْمٍ وَمُنَوَّعًا عَلَى مُسْتَوَى أَقْسَامِ الْقَصِيدَةِ، وَيَجْرِي كُلُّ قِسْمٍ عَلَى نَسَقِ مُطَّرِدٍ يَتَحَقَّقُ مِنْ خِلَالِ الصِّيغَةِ(أ-أ-أ-أ). وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ عَلَى الشَّكْلِ(أ-أ-أ-أ=د-د-د-د)، يَقُولُ الشَّاعِرُ(3):

أَنَا عَائِدٌ أَقْسَمْتُ أَنِّي عَائِدٌ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 47.

(2) المصدر نفسه، ص: 48.

(\*) يوسف القرضاوي: فحاحات ولفحات، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط: 1، 1422هـ-2001م ص: 119.

(3) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

وَالْحَقُّ يَشْهَدُ لِي، وَنِعْمَ الشَّاهِدُ  
وَمَعِيَ الْقَدِيفَةُ وَالْكِتَابُ الْخَالِدُ  
وَيَقُودُنِي الْإِيمَانُ، نِعْمَ الْقَائِدُ

وَفِي الْقِسْمِ الثَّانِي عَلَى الشَّكْلِ (ب-ب-ب-ب=ت-ت-ت-ت)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَنَا قَدْ مَلَّتُ الشُّعْرَ يَنْدُبُ نَكْبَتِي  
وَرَفَضْتُ أَسْمِعُ غَيْرَ شِعْرِ الثُّورَةِ  
فَدَعُوا النَّحِيبَ فَلَيْسَ يُرْجِعُ بِلَدَّتِي  
إِلَّا زَيْبُ النَّارِ يَوْمَ الْغَارَةِ

وَفِي الْقِسْمِ الثَّلَاثِ عَلَى الشَّكْلِ (ج-ج-ج-ج=م-م-م-م)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

لُعَةُ الدِّمَاءِ لِعَتِي، وَلَيْسَ سِوَى الدِّمَاءِ  
أَنَا عَنْ فُنُونِ الْقَوْلِ أَغْلَقْتُ الْفَمَا  
وَتَرَكْتُ لِلرَّشَّاشِ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
لِيُحِيلَ أَوْكَارَ الْعَدُوِّ جَهَنَّمَ

وَفِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ عَلَى الشَّكْلِ (ب-ب-ب-ب=ت-ت-ت-ت)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

صَنِمُ الْمَخَافِ وَالْهَوَى حَطَمْتُهُ  
وَرَتِيبُ عَيْشِي عَفْتُهُ وَسَمَمْتُهُ  
وَالْحَقْدُ فِي صَدْرِي الْمَغِيطُ كَتَمْتُهُ  
حَتَّى يُنْفَسَ عَنْهُ مَا صَمَمْتُهُ

وَيَأْتِي النَّسَقُ التَّفْقُويُّ فِي الْأَقْسَامِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ عَلَى الشَّكْلِ:

ق 5: (أ-أ-أ-أ)=(د-د-د-د).

ق 6: (د-د-د-د)=(ل-ل-ل-ل).

ق 7: (أ-أ-أ-أ)=(د-د-د-د).

وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ الْأَنْسَاقَ التَّفْقُويَّةَ فِي الْأَقْسَامِ السَّابِقَةِ تَأْخُذُ، تَجْرِيدِيًّا، الصِّيغَةَ الْعَامَّةَ (1-1-1-1)، وَقَدْ تَتَكَرَّرُ

بَعْضُ الْأَنْسَاقِ كَالنَّسَقِ التَّفْقُويِّ (أ-أ-أ-أ=د-د-د-د) فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي يَتَرَدَّدُ صَدَاهُ الْإِيْقَاعِي فِي الْقِسْمِ

الْخَامِسِ (أ-أ-أ-أ)=(د-د-د-د) وَالسَّابِعِ (أ-أ-أ-أ)=(د-د-د-د) مَعَ اخْتِلَافِ بَجْرَى رَوِيَّاتِ هَذِهِ الْأَنْسَاقِ.

(1) المصدر السابق نفسه، الصَّفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، الصَّفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصَّفحة نفسها.

وَيَرِدُ النَّسْقُ التَّفْقُوبِيُّ الْمُنَوَّعُ مُطْلَقًا فِي قَصِيدَةِ (فَتَى الْقُرْآنِ) (\*) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسْقِ (الْكَامِلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ سِتَّةِ أَقْسَامٍ عَلَى شَكْلِ (الرُّبْعَةِ)، وَيَتَّبِعِي كُلُّ قِسْمٍ عَلَى نَسْقٍ مُوَحَّدٍ تَتَّفَقُ فِيهِ الْأَنْسَاقُ فِي كُلِّ شَطْرٍ مِنَ الْأَشْطَرِ الْأَرْبَعَةِ، وَتَتَّخِذُ الصَّيْغَةَ الْعَامَّةَ (1-1-1-1)، وَتَتَنَوَّعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كُلِّ قِسْمٍ، فَفِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ تَأْخُذُ الشَّكْلَ (أ-أ-أ-أ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَنَا إِنْ سَأَلْتَ الْقَوْمَ عَنِّي: مَنْ أَنَا؟  
أَنَا مُؤْمِنٌ سَاعِيشٌ دَوْمًا مُؤْمِنًا!  
فَلْيَعْلَمْ الْفَجَّارُ أَنِّي هَاهُنَا  
لَنْ أُنْحِنِي، لَنْ أَثْنِي، لَنْ أَرْكَنَا!

يَأْتِي الْإِيْقَاعُ فِي هَذَا الْقِسْمِ مُتَّسِقًا وَمُنْسَجِمًا، حَيْثُ يَتِمَثَّلُ نَسْقُ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ فِي (مَنْ أَنَا=0//0=فاعلن) وَالثَّانِي فِي (مُؤْمِنًا=0//0=فاعلن) وَالثَّلَاثُ فِي (هَاهُنَا=0//0=فاعلن) وَالرَّابِعُ مِنْ (أَرْكَنَا=0//0=فاعلن). وَفِي الْقِسْمِ الثَّانِي يَأْخُذُ النَّسْقُ التَّفْقُوبِيُّ الشَّكْلَ (ب-ب-ب-ب)، حَيْثُ يَتِمَثَّلُ نَسْقُ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ فِي (وَإِنَّهُ=0//0=فاعلن)، وَالنَّسْقُ الثَّانِي فِي (أَنَّهُ=0//0=فاعلن)، وَالنَّسْقُ الثَّلَاثُ فِي (نَانَهُ=0//0=فاعلن)، وَالنَّسْقُ الرَّابِعُ فِي (مَا نَهُ=0//0=فاعلن)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ فِي أَكْوَانِهِ  
وَسَمِعْتُ صَوْتَ الْحَقِّ فِي قُرْآنِهِ  
وَلَمَسْتُ حِكْمَتَهُ وَفَيْضَ حَنَانِهِ  
فِي سِيرَةِ الْمُخْتَارِ.. فِي إِيمَانِهِ

وَفِي الْقِسْمِ الثَّلَاثِ يَأْخُذُ النَّسْقُ التَّفْقُوبِيُّ الشَّكْلَ (ج-ج-ج-ج)، فَيَتِمَثَّلُ النَّسْقُ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ فِي (مُسْلِمًا=0//0=فاعلن) وَفِي الشَّطْرِ الثَّانِي فِي (أَظْلَمًا=0//0=فاعلن)، وَفِي الشَّطْرِ الثَّلَاثِ فِي (كُوْظَمًا=0//0=فاعلن)، وَفِي الشَّطْرِ الرَّابِعِ فِي (مِي الْحَمِي=0//0=فاعلن)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

أَنَا مُسْلِمٌ، هَلْ تَعْرِفُونَ الْمُسْلِمًا؟  
أَنَا نُورٌ هَذَا الْكُونِ إِنَّهُ هُوَ أَظْلَمًا!  
أَنَا فِي الْخَلِيقَةِ رِيٌّ مَنْ يَشْكُو الظُّمَأَ  
وَإِذَا دَعَا الدَّاعِيَ أَنَا حَامِي الْحَمِي!

(\*) المصدر السابق نفسه، ص: 121.

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَفِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ يَأْخُذُ الشَّكْلَ (د-د-د-د)، فَيَتَمَثَّلُ نَسَقُ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ فِي (م) يُرَى (=0//0=فاعلن) وَنَسَقُ الشَّطْرِ الثَّانِي فِي (قَ الثَّرَى=0//0=فاعلن)، وَفِي الشَّطْرِ الثَّلَاثِ فِي (سُخْرًا=0//0=فاعلن)، وَفِي الشَّطْرِ الرَّابِعِ فِي (قَ الْوَرَى=0//0=فاعلن)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَنَا مُصْحَفٌ يَمْشِي وَإِسْلَامٌ يُرَى  
أَنَا نَفْحَةٌ غُلُوبِيَّةٌ فَوْقَ الثَّرَى  
الْكُونُ لِي وَلِخِدْمَتِي قَدْ سُخْرًا  
وَلِمَنْ أَنَا؟ لِلَّذِي خَلَقَ الْوَرَى

وَيَتَّخِذُ فِي الْقِسْمِ الْخَامِسِ الشَّكْلَ (ه-ه-ه-ه)، وَفِي الْقِسْمِ السَّادِسِ الشَّكْلَ (و-و-و-و)، وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ كُلَّ قِسْمٍ يَخْتَصُّ بِنَسَقِهِ التَّقْفُويِّ الَّذِي يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ الْمَوْضُوعِ، فَكُلُّ قِسْمٍ يَضُمُّ جُزْءًا أَوْ جَانِبًا مِنَ الْمَوْضُوعِ الْعَامِّ أَوْ الْفِكْرَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ إِلَى فِكْرٍ ثَانَوِيَّةٍ، وَيُلَوِّثُهُ شَيْءٌ مِنَ الشُّعُورِ الْإِيْجَابِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ.

#### 1-2-1-4-المُخَمَّسَةُ:

وَهِيَ "أَنَّ يُؤْتَى بِخَمْسَةِ أَقْسِمَةٍ كُلِّهَا مِنْ وَزْنٍ وَاحِدٍ وَخَامِسُهَا بِقَافِيَةٍ مُخَالَفَةٍ لِلرَّابِعَةِ قَبْلَهُ".<sup>(2)</sup> أَوْ "أَنَّ يُقَسِّمَ الشَّاعِرُ مَقْطُوعَتَهُ إِلَى أَقْسَامٍ يَتَضَمَّنُ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا خَمْسَةَ أَشْطُرٍ، لَهَا نِظَامٌ خَاصٌّ فِي قَوَافِيهَا وَقَدْ يَكُونُ كُلُّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ مُسْتَقْلَلًا تَامًّا الْإِسْتِقْلَالَ فِي قَوَافِيهِ وَأَوْزَانِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَخْمَسُ الْحَقِيقِيُّ".<sup>(3)</sup> وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَتَنَوَّعُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ اخْتِصَاصِ كُلِّ قِسْمٍ فِيهَا بِنَسَقٍ مُحَدَّدٍ. وَقَدْ وَرَدَ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ مُطْلَقًا فِي قَصِيدَةِ (عِشْقٌ وَرَاءَ الزَّمَانِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْمُتَقَارِبِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ سِتَّةِ أَقْسَامٍ مُخَمَّسَةٍ يَبْنِي كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا عَلَى نَسَقٍ مُوَحَّدٍ تَتَّفَقُ فِيهِ الْأَنْسَاقُ فِي كُلِّ شَطْرِ مِنَ الْأَشْطُرِ الْخَمْسَةِ، وَتَتَنَوَّعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كُلِّ قِسْمٍ، فَبِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ يَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الشَّكْلَ (أ-أ-أ-أ-أ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ<sup>(4)</sup>:

سُؤَالٌ يُلِحُّ عَلَيْهَا طَوِيلًا  
تَظُنُّ نَسِيَتُ الْوِدَادَ الْجَلِيلًا  
وَعَهْدَ الصَّفَاءِ الْقَدِيمِ الْجَمِيلًا  
وَأَنِّي عَشَقْتُ سِوَاهَا بَدِيلَهُ  
وَأَنِّي اتَّخَذْتُ سِوَاهَا خَلِيلَهُ

(1) المصدر السابق نفسه، الصَّفحة نفسها.

(2) صابر عبد الدَّام: موسيقى الشعر العربي، ص: 206.

(3) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 339.

(4) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، دار القلم للنشر والتوزيع، دولة الإمارات العربيَّة المتحدَّة، ط: 1، 1415هـ-1994م، ص: 35.

وَيُمْكِنُ التَّمثِيلُ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ شَطْرٍ بِالشَّكْلِ (أ-أ-أ-أ-أ=ل-ل-ل-ل-ل)، وَيَتَّخِذُ الصُّورَةَ العَرُوضِيَّةَ (ويلا/ليلا/ميلا/ديلة/ليله=0/0=عولن).

وَفِي القِسْمِ الثَّانِي يَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الشَّكْلَ (أ-أ-أ-أ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

حَلَفْتُ أَحَبُّكَ عَدَّ الرِّمَالِ  
شَبَّيْتُ وَأَنْتِ رُؤْيَى فِي خَيَالِي  
وَأَنْتِ مُنَايَ وَسِرُّ الْجَمَالِ  
وَحُلْمٌ أَثِيرٌ عَزِيزُ الْمَنَالِ  
رَسَمْتُكَ رَسَمَ الْمُحِبِّ الْمُغَالِي

وَيُمْكِنُ التَّمثِيلُ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ شَطْرٍ بِالشَّكْلِ (أ-أ-أ-أ=ل-ل-ل-ل-ل)، وَيَتَّخِذُ الصُّورَةَ العَرُوضِيَّةَ (مال/يال/مال/نال/غال=0/0=عولن).

وَفِي القِسْمِ الثَّلَاثِ يَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الشَّكْلَ (ب-ب-ب-ب-ب)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

وَلَكِنْ عَدَوْتُ خَيْالًا شَرُودًا  
وَصِرْتُ أَهَابٌ إِلَيْكَ الصُّعُودًا  
كَبِرْنَا فَصَارَ الْقَرِيبُ بَعِيدًا  
وَصَارَ الْيَسِيرُ عَصِيًّا عَنِيدًا  
عَدَوْتُ خَيْالًا قَدِيمًا وَدُودًا

وَيُمْكِنُ التَّمثِيلُ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ شَطْرٍ بِالشَّكْلِ (ب-ب-ب-ب-ب=د-د-د-د-د)، وَيَتَّخِذُ الصُّورَةَ العَرُوضِيَّةَ (رودا/عودا/عيدا/نيدا=دودا=0/0=عولن).

وَفِي القِسْمِ الرَّابِعِ يَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الشَّكْلَ (ج-ج-ج-ج-ج)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

عَشَقْنَا قَدِيمًا وَكُنَّا صِغَارًا  
صَفَاءً وَوُدًّا وَقَلْبًا نُضَارًا  
وَصَدْرًا تَرَدَّى الْوَفَاءَ دَنَارًا  
وَمَرَّ الزَّمَانُ بِنَا وَاسْتَدَارًا  
بَقِينَا صِغَارًا وَصِرْتُمْ كِبَارًا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 35.

(2) المصدر نفسه، ص: 36.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَيُمْكِنُ التَّمثِيلُ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ شَطْرِ بِالشَّكْلِ (ج-ج-ج-ج-ج=ر-ر-ر-ر-ر)، وَيَتَّخِذُ الصُّورَةَ العَرُوضِيَّةَ (غار/ضار/ثار/دار/بار=0/0=عولن).

وَفِي القِسْمِ الخَامِسِ يَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الشَّكْلَ (د-د-د-د-د)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

غَدَوْتُ المَحَالَ عُلًّا وَارْتِقَاءَ  
شَبَابًا وَجَاهًا وَوَجْهًا وَضَاءَ  
وَنَجْمًا قَصِيًّا يَجُوزُ الفَضَاءَ  
رَقِيْتُ وَعُدْتُ أَجْرُ العَنَاءِ  
وَأَلْفَيْتُ دَرْبِي امْتِدَادًا هَبَاءَ

وَيُمْكِنُ التَّمثِيلُ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ شَطْرِ بِالشَّكْلِ (د-د-د-د-د=ء-ء-ء-ء-ء) وَيَتَّخِذُ الصُّورَةَ العَرُوضِيَّةَ (فاء/ضاء/ضياء/ناء/باء=0/0=عولن).

وَفِي القِسْمِ السَّادِسِ يَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الشَّكْلَ (ه-ه-ه-ه-ه)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

خُلِقْتُ لَعَيْرِي بِهَذَا الزَّمَانِ  
زَمَانَ الجَسُورِ أَخِي الصَّوْلِجَانِ  
وَمَوْتَ الوَفَاءِ وَعَهْدِ الحَنَانِ  
عَشِقْنَا زَمَانَ الرُّؤْيَى وَالْأَمَانِي  
وَقَدْ صِرْتُ بَعْدُ وَرَاءَ الزَّمَانِ

وَيُمْكِنُ التَّمثِيلُ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ شَطْرِ بِالشَّكْلِ (ه-ه-ه-ه-ه=ن-ن-ن-ن-ن) وَيَتَّخِذُ الصُّورَةَ العَرُوضِيَّةَ (مان/جان/نان/مان/مان=0/0=عولن).

وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ المُنَوَّعُ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا فِي قَصِيدَةٍ (فِي بِلَادِ المُتَعَبِينَ)<sup>(\*)</sup> الَّتِي تَقُومُ عَلَيَّ نَسَقِ (الرَّمَلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ يَسْتَقْبَلُ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا بِنَسَقٍ تَقْفَوِيٍّ خَاصٍّ بِهِ، فَفِي القِسْمِ الأوَّلِ، مَثَلًا، يَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الشَّكْلَ (أ-أ-أ-أ-أ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

حَيْثَمَا سِرْتُ تَرَى الحُزْنَ الدَّفِينُ  
ضَارِبًا فِي الأَرْضِ بِالْجِذْرِ المَكِينُ  
وَتَرَى الأَحْيَاءَ فِيهَا مَيِّتِينَ  
فِي مُحْيَاهُمْ شُرُودٌ وَحِينُ

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص: 37.

(\*) المصدر نفسه، ص: 9.

(3) المصدر نفسه، ص: 9.

وَهُمُومٌ كَاللَّظَى فَوْقَ الْجَبِينِ

وَيُمْكِنُ التَّمْثِيلُ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ الْمُقَيَّدِ فِي كُلِّ شَطْرٍ بِالشُّكْلِ (أ-أ-أ-أ=ن-ن-ن-ن)، وَيَتَّخِذُ الصُّورَةَ العَرُوضِيَّةَ (00=لات). وَيَتَنَوَّعُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ مِنْ قِسْمٍ إِلَى آخَرَ مِنْ أَقْسَامِ القَصِيدَةِ عَلَى الشُّكْلِ الآتِي:

ق1: (أ-أ-أ-أ)=(ن-ن-ن-ن).

ق2: (أ-أ-أ-أ)=(ن-ن-ن-ن).

ق3: (ب-ب-ب-ب)=(د-د-د-د).

ق4: (ب-ب-ب-ب)=(د-د-د-د).

ق5: (ج-ج-ج-ج)=(ه-ه-ه-ه).

ق6: (ب-ب-ب-ب)=(د-د-د-د).

ق7: (د-د-د-د)=(ت-ت-ت-ت).

ق8: (ه-ه-ه-ه)=(ي-ي-ي-ي).

والملاحظ أن النسق التقفوي المطلق أكثر حضوراً في القصيدة، وتتردد بعض الأنساق أكثر من غيرها كنسق الدال الذي ورد مطلقاً وكنسق النون الذي ورد مطلقاً مرةً ومقيداً مرةً أخرى.

ويتواتر هذا النسق التقفوي المتنوع في إطار القصيدة (المخمسة) في متن الشاعر، إذ يمتاز به عدد من القصائد كقصيدة (أوهام) وقصيدة (بعد أن لقيتك)\* وغيرهما، وقد يجري الشاعر بعض التعديلات على هذا النسق كإضافة لازمة-تتألف من صورتين إيقاعيتين- تتكرر في مستهل بعض أقسام القصيدة وتختفي من بعضها الآخر. ويرد النسق التقفوي المتنوع المطلق في قصيدة (الفجر)<sup>(1)</sup> التي تتألف من خمسة أقسام يقوم كل قسم على ستة أشطر يصف فيها الشاعر مشاهد من الليل والفجر، ففي القسم الأول، مثلاً، يأخذ النسق التقفوي الشُّكْلَ (أ-أ-أ-أ-ب)، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

مَا ذَوَّبَ العَيْاهِبَا؟

وَعَرَّبَ الكَوَاكِبَا؟

وَشَيَّبَ الذَّوَابَا؟

فَكَادَ يُخْفِي هَارِبَا

صَمَتِ الظَّلَامِ المُطْبِقِ؟!!

(\*) وليد قصاب: فارس الحلام القديمة، ص: 22 وما بعدها.

(1) محمد الغزالي: الحياة الأولى، ص: 140.

(2) المصدر نفسه، ص: 140.

وَأَبْنَاءُ الْقَصِيدَةِ عَلَى شَكْلِ (المُخَمَّسَاتِ) يُجَسَّدُ تَنْوِيْعًا فِي بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ وَتَنْوِيْعًا آخَرَ فِي نَسَقِهَا التَّفْقُويِّ الْعَامِّ الَّذِي يَضْبِطُ الْإِيْقَاعَ بِوَاسِطَةِ الْأَنْسَاقِ الْجُزْئِيَّةِ الْمُطْرَدَةِ فِي الْقَصِيدَةِ، الَّتِي تَأْخُذُ الصُّورَةَ (أ-أ-أ-أ-ب) الْمَتَمَاتِلَةَ فِي كُلِّ قِسْمٍ، وَالَّتِي يُوَافِقُ الصُّورَةَ الصَّوْتِيَّةَ وَالْعَرُوضِيَّةَ الْمُمَيِّزَةَ بِصَوْتِ الرَّوِيِّ (ب-ب-ب-ب-ق)، فَالْنَسَقُ التَّفْقُويُّ فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ مُطْلَقًا حَيْثُ يَكُونُ مُجْرَى الرَّوِيِّ فِي الْأَشْطَرِ الْأَرْبَعَةِ الْفَتْحَةَ وَفِي الشَّطْرِ الْخَامِسِ الْكَسْرَةَ كَمَا يَتَبَيَّنُ فِي الْقِسْمِ الْخَامِسِ (1):

أَحْيَا الْحِرَاكَ الذَّاهِبَا  
فِي اللَّيْلِ كَانَ غَارِبَا  
لِلنُّورِ يَبْدُو صَاحِبَا  
هَآ هُوَ ذَا مُخَاطِبَا  
لِلَّيْلِ أَنْ أَنْطَلِقَ

وَالْمُلاحِظُ أَنَّ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ الْمُنَوَّعَ الْمُعْتَمِدَ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَنْسَجِمُ مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ بِأَبْهَارِ النَّفْسِ بِمَشْهَدِ اللَّيْلِ وَمَا يَكْتَنِفُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ وَمِنْ صَمْتٍ، وَمَعَ مَشْهَدِ بُرُوعِ الْفَجْرِ وَوِلَادَةِ الضُّوءِ وَالنُّورِ مِنْ رَحِمِ الدُّجَى إِذْأَنَا بِيَوْمِ جَدِيدٍ حَافِلٍ بِالْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ.

1-2-1-5-المُسَدَّسَةُ:

تَقُومُ بَنِيَّةُ الْقَصِيدَةِ فِي الشَّكْلِ السُّدَّاسِيِّ عَلَى أَقْسَامٍ مُخْتَلِفَةٍ، يَرْتَكِزُ كُلُّ قِسْمٍ عَلَى سِتَّةِ أَشْطَرٍ، وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ أَشْكَالًا مِنَ التَّنَوِيْعِ، مِنْهُ الشَّكْلُ الْبَارِزُ فِي هَذَا الْقِسْمِ وَالَّذِي يَرِدُ عَلَى الصُّورَةِ (أ-أ-أ-أ-أ-أ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

يَصْدَعُ النَّاسُ بِمَا يُرْضِي الْأَمِيرَا  
وَتَرَى قَوْلَهُ الْقَوْلَ الْأَثِيرَا  
إِنْ يُسَمِّ اللَّيْلَ صُبْحًا مُسْتَنِيرَا  
فَهُوَ صُبْحٌ عَمِيَتْ عَنْهُ الْبَصِيرَةُ  
إِنْ يَقُلْ: النَّجْمُ يَبْدُو فِي الظَّهِيرَةُ  
صَدَقَ النَّاسُ بِنَجْمٍ فِي الظَّهِيرَةُ

وَيُمْكِنُ التَّمَثِيلُ لِهَذَا النَّسَقِ التَّفْقُويِّ الْمَطْلُوقِ بِالشَّكْلِ: (أ-أ-أ-أ-أ-أ)=(ر-ر-ر-ر-ر-ر).

1-3-النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ عَلَى مُسْتَوَى الْبَيْتِ:

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 12.

يَتَحَلَّى النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا عَلَى مُسْتَوَى الْبَيْتِ فِي بِنْيَتَيْنِ شِعْرِيَّتَيْنِ، تَتَمَثَّلُ الْأُولَى فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى تَقْسِيمِ آيَاتِهَا إِلَى رُبَاعِيَّاتٍ.

### 1-3-1-النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ فِي الْبِنْيَةِ الْمَقْطَعِيَّةِ:

يَتَمَثَّلُ الْمَظْهَرُ الْإِقَاعِيُّ الْأَوَّلُ لِتَنْوِيعِ النَّسَقِ التَّفْقُويِّ، عَلَى مُسْتَوَى الْبَيْتِ، فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي يَنْتَسِمُ بِنَاوِئِهَا إِلَى مَقَاطِعَ شِعْرِيَّةٍ يَضُمُّ كُلُّ مَقْطَعٍ مَجْمُوعَةَ آيَاتٍ، وَيَخْتَصُّ بِنَسَقٍ تَقْفُويٍّ خَاصٍّ يَخْتَلِفُ عَنِ نَسَقِ غَيْرِهِ، فِي الْغَالِبِ، وَقَدْ يَتَّفِقُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَقَاطِعِ، أَحْيَانًا، وَتَنْتَظِمُ الْمَقَاطِعَ الشَّعْرِيَّةَ عَلَى نَسَقٍ إِقَاعِيٍّ وَاحِدٍ.

وَيَرِدُ هَذَا النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمُقَيَّدُ فِي قَصِيدَةِ (حَيْمَةَ)\*، الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الكامل)، وَتَتَكَوَّنُ مِنْ أَرْبَعَةِ مَقَاطِعَ تَخْتَلِفُ حَجْمًا مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الْآيَاتِ، وَنَوْعًا مِنْ حَيْثُ اخْتِلَافُ النَّسَقِ التَّفْقُويِّ لِكُلِّ مَقْطَعٍ عَنِ الْآخَرِ، فَيَتَّصِفُ الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ بِنَسَقٍ تَقْفُويٍّ رَوِيَّهُ الثُّنُونُ وَالْمَقْطَعُ الثَّانِي بِنَسَقٍ رَوِيَّهُ الرَّاءُ وَالْمَقْطَعَانِ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ بِنَسَقٍ رَوِيَّهُ الْهَمْزَةُ. يَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ مِنْ ثَمَانِيَةِ آيَاتٍ، وَيَتَّخِذُ نَسَقَهُ التَّفْقُويُّ الشَّكْلَ (أ-أ-أ-أ-أ-أ-أ-أ) وَصُورَتَهُ الْعَرُوضِيَّةَ (0//0=فاعلن)، وَيَتَسَقُّ إِقَاعُ الْمَقْطَعِ مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى الَّتِي يُعْذِيهَا الْحَوَارُ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَتَمَحَوَّرُ فِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَى مَوْضُوعَةِ (الوطن) الَّذِي اسْتَحَالَ إِلَى خِيَامٍ وَاهِيَةٍ مُتَنَاهِرَةٍ فِي الْعَرَاءِ، وَيَتَسَقُّ الْإِقَاعُ-وَالنَّسَقُ التَّفْقُويُّ جُزْءًا مِنْهُ- مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ الَّتِي تُذَكِّيهَا حَيْرَةُ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَكَرِّرِ وَهَشَاشَةِ الْوَطَنِ الْمَرْغُومِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ<sup>(1)</sup>:

سَأَلَ الصَّعَارُ عَنِ الْوَطَنِ      أَحْيَاؤُنَا هَذَا الْوَطَنِ؟  
 أَلَهَا يُغْنِي النَّاسُ مِنْ      مَهْدِ الْحَيَاةِ إِلَى الْكَفَنِ؟  
 أَلَهَا يُقَالُ: بِرُوحِنَا      نَفْدِيكَ فِي يَوْمِ الْمِحَنِ  
 وَتُقَدَّمُ الْمُهْجُ الْكَرِيمَةُ      إِنْ أُرِيدَ لَهَا ثَمَنٌ؟  
 أَحْيَاؤُنَا هَذَا الَّتِي      أَكَلَتْهَا أَلْسِنَةُ الْعَفَنِ  
 وَتَقَوَّفَعَتْ فِيهَا الْقَذَا      رُهُ وَالْوَسَاخَةَ وَالْعَطَنِ  
 لَا أَمَّنَ فِيهَا لِلزَّرْبِ      لَ، وَلَا حَيَاةَ وَلَا سَكَنَ  
 أَهْيَ الَّتِي-إِنْ تُذَكَّرِ الْأَ      وَطَانُ يَا أَبَتِي-الْوَطَنِ؟

(\* ) يضم متن وليد قصاب الشعري ما يتجاوز عشرين قصيدةً مقطعيةً متنوعةً النسق التَّفْقُوي  
 (1) وليد قصاب: فارس الأحلام القديمة، ص: 48.

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الثَّانِي مِنْ سِتَّةِ آيَاتٍ، وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويَّ (ب-ب-ب-ب-ب-ب)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ (المطر=0//0=0فاعلن)، وَيَتَمَيَّزُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ بِرُويِّ الرَّاءِ (ر) السَّاكِنَةِ الْمُتَنَاسِبِ مَعَ دِلَالَةِ الْمَقْطَعِ الْمُتَّارِحِحَةِ بَيْنَ الْخَطَرِ وَالْحَذَرِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي (1):

أَحْيَا مُنَا هَازِي الَّتِي تَهْوِي إِذَا زَحَفَ الْمَطْرُ  
وَيَكَادُ يَحْرِقُهَا الْمَصِيبُ فُ إِذَا تَوَهَّجَ وَاسْتَعْرُ  
رِيحُ الشَّمَالِ إِذَا أَتَتْ لَمْ تُبْقِ مِنْهَا مِنْ أَثَرِ  
كَمْ مَرَّةً بَنَيْنَا عَلَى خَوْفِ الْقَضَاءِ الْمُتَنْظَرِ  
تَهْتَرُ خَيْمَتُنَا الصَّغِيرِ رَةٌ تَحْتَ أَمْوَاجِ الْخَطَرِ  
كَمْ يَغْتَمِضُ جَفْنُ لَنَا فَالْنَوْمُ يَأْكُلُهُ الْحَذَرُ

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الثَّلَاثُ مِنْ سِتَّةِ آيَاتٍ، وَيَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِيهِ الشَّكْلَ:

- (ج-ج-ج-ج-ج-ج)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ (الكرى)=(0//0) (فاعلن).

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الرَّابِعُ مِنْ تِسْعَةِ آيَاتٍ، وَيَأْخُذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِيهِ الشَّكْلَ:

- (د-د-د-د-د-د-د-د-د)، وَصُورَتُهُ الْعَرُوضِيَّةُ (الهناء)=(00//0) (فاعلن).

تَقُومُ بِنِيَّةِ الْإِيْقَاعِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَرْتَكِزُ عَلَى الْبِنَاءِ الْمَقْطَعِيِّ، عَلَى تَنْوُوعِ الْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ فِي مَقَاطِعِهَا بِمَا يُحْدِثُ انْسِجَامًا بَيْنَ حَرَكَةِ الْإِيْقَاعِ الْمُتَمَوِّجِ وَحَرَكَةِ الشُّعُورِ الْمُتَوَثِّرِ وَالْمَعْنَى الْمُوحِي مُسَهِّمَةً فِي ذَلِكَ بِنَى الْحِوَارِ الْمُتَحَسِّدَةِ مِنْ خِلَالِ بِنَى الْإِسْتِنْفَهَامِ الْمُتَكَرِّرَةِ.

وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُتَنَوِّعُ فِي الْقَصِيدَةِ ذَاتِ الْبِنَاءِ الْمَقْطَعِيِّ فِي قَصِيدَةِ (الطُّبْشُور.. جُرْح) (2)، الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الرَّمَلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ سَبْعَةِ مَقَاطِعَ، تَتَنَوَّعُ فِيهَا الْأَنْسَاقُ التَّقْفُويَّةُ مِنْ مَقْطَعٍ إِلَى آخَرَ، فَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ مِنْ خَمْسَةِ آيَاتٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

يَا غِرَاسًا فِي ضَمِيرِ الْأَفْقِ وَالْحُلْمِ الْجَمِيلِ  
يَا خَطِيَّ وَتَّابَةً تَعْدُو عَلَى الدَّرْبِ الطَّوِيلِ  
إِنِّي أَلْمَحُ فِي أَعْيُنِكُمْ أَلْفَ دَلِيلِ  
إِنِّي أَلْمَحُ سِرَّ الْفَجْرِ.. أَعْرَاسَ النَّخِيلِ  
وَأَرَى جَيْلًا مِنَ الْإِيمَانِ يَأْتِي بَعْدَ جِيلِ

وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الشَّكْلَ:

(1) وليد قصاب: فارس الأحلام القديمة، ص: 48.

(2) محمود مفلح: إما الصحوة، ص: 87.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(أ-أ-أ-أ=ل-ل-ل-ل)

وَصُورَتُهُ العَرُوضِيَّةُ (مِيل/وَيْل/لَيْل/خَيْل/جَيْل/=0/0=لاتن).

وَيَتَأَلَّفُ المَقْطَعُ الثَّانِي مِنْ خَمْسَةِ آيَاتٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

يَا أَحِبَّائِي وَيَا عِطْرَ وُجُودِي  
يَا نُسُورًا ضَرَبْتَ فِي العَيْمِ..جَدَّتْ فِي الصُّعُودِ  
يَا كُنُوزَ الأَرْضِ..يَا أَحْرَفَ مِيلَادِي الجَدِيدِ  
أَنْتُمْ التَّبَعُ الَّذِي يَدْفُقُ فِي كُلِّ صَعِيدِ  
أَنْتُمْ المُسْتَقْبَلُ الوَعْدُ..وإِقَاعُ النَّشِيدِ  
وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِي المَقْطَعِ الشَّكْلَ:

(ب-ب-ب-ب=د-د-د-د)

وَصُورَتُهُ العَرُوضِيَّةُ (جُودِي/عُود/دِيد/شِيد/=0/0=لاتن).

وَيَتَأَلَّفُ المَقْطَعُ الثَّالِثُ مِنْ خَمْسَةِ آيَاتٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

إِنِّي لَأَ أَمْلِكُ اليَوْمَ سِوَى بَعْضِ الحُرُوفِ  
نَبَعْتُ مِنْ عُمُقِ أَعْمَاقِي وَمِنْ حِسِّي الرَّهِيْفِ  
صُعْنَهَا مِنْ أَجْلِكُمْ يَا بَرْقَ أَنْصَالِ السُّيُوفِ  
صُعْنَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ أَمْضِيَ لِأَيَّامِ خَرِيْفِي  
عَلَّنِي أُشْعِلُ فِيهَا شَمْعَةً فَوْقَ الرَّصِيْفِ  
وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الشَّكْلَ:

(ج-ج-ج-ج=ف-ف-ف-ف)

وَصُورَتُهُ العَرُوضِيَّةُ (رُوف/هِيف/يُوف/رِيْف/صِيْف/=0/0=لاتن).

وَيَتَأَلَّفُ المَقْطَعُ الرَّابِعُ مِنْ سِتَّةِ آيَاتٍ، وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الشَّكْلَ:

(د-د-د-د=ت-ت-ت-ت)

وَصُورَتُهُ (عِشْت/يَعِشْت/وَتَقْت/سَهْرَت/كَتَبْت/انْتَشَيْت/=0/0=لاتن).

وَيَتَأَلَّفُ المَقْطَعُ الخَامِسُ مِنْ خَمْسَةِ آيَاتٍ، وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الشَّكْلَ:

(ه-ه-ه-ه=ل-ل-ل-ل)

(1) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص: 88.

وَصُورَتُهُ: (طفل/كحل/ظل/نعلو/يجلو=0/0=لاتن).

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ السَّادِسُ مِنْ سِتَّةِ آيَاتٍ، وَيَتَّخِذُ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الشَّكْلَ:

(د-د-د-د-د=ت-ت-ت-ت-ت)

وَصُورَتُهُ: (خطواتي/كلماتي/أمنيات/قسمات/نبراتي/نكاتي=0/0=لاتن).

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ السَّابِعُ مِنْ سِتَّةِ آيَاتٍ، وَيَتَّخِذُ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الشَّكْلَ:

(و-و-و-و=و-ح-ح-ح-ح-ح)

وَصُورَتُهُ: (شرح/المح/يصحو/مدح/مزح/جرح=0/0=لاتن).

لَقَدْ وَظَّفَتِ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْأَنْسَاقَ التَّقْفُويَّةَ الْمُتَوَعَّةَ فِي الْقَصِيدَةِ ذَاتِ الْبِنَاءِ الْمَقْطَعِيِّ لِلتَّنْوِيعِ فِي إِيقَاعِ تَجْرِبَتِهَا الشَّعْرِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ اسْتَفَادَتْ مِنْ ذَلِكَ التَّنْوِيعِ فِي تَجْرِبِ الْأَشْكَالِ الشَّعْرِيَّةِ السَّابِقَةِ، فَتِلْكَ الْأَشْكَالُ وَإِنْ مَكَّنَتْ الشَّاعِرَ مِنْ تَحْقِيقِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ التَّنْوِيعِ لَكِنَّهَا لَمْ تَتِمَّكَّنْ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، فَالشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ وَهُوَ يَبْحَثُ عَنْ شَكْلِ إِيقَاعِيٍّ خِصْبٍ اسْتَفَادَ مِمَّا أُنْجِزَ فِي الثَّرَاثِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَشْكَالٍ حَاوَلَتْ كَسْرَ رِتَابَةِ الْإِيْقَاعِ الَّذِي يَطْعَى وَقَعَهُ فِي النَّسْقِ التَّقْفُويِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ. فَكَانَ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُتَوَعُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْمَقْطَعِيَّةِ مُحَاوَلَةً حَدِيدَةً نَفْسِحَ حُرِّيَّةً أَكْبَرَ لِلتَّبْعِيرِ وَالتَّنْوِيعِ فِي شَكْلِ التَّجَارِبِ الشَّعْرِيَّةِ.

### 1-3-2- النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُتَوَعُّ فِي الْبَنَى الرَّبَاعِيَّةِ:

تَخْتَلِفُ الْقَصِيدَةُ الرَّبَاعِيَّةُ أَوْ مَا يُعْرَفُ بِـ(الرَّبَاعِيَّاتِ) عَنِ الْقَصِيدَةِ (الرَّبْعَةِ) أَوْ مَا يُعْرَفُ بِـ(الرَّبْعَاتِ)، فَالْقَصِيدَةُ الرَّبَاعِيَّةُ تَقُومُ عَلَى آيَاتٍ شَعْرِيَّةٍ تُشَكِّلُ أَقْسَامًا، يَضُمُّ كُلُّ قِسْمٍ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ لَهَا نَسْقُهَا التَّقْفُويُّ الْمُتَمَيِّزُ فِي كُلِّ قِسْمٍ أَوْ رَبَاعِيَّةٍ، بَيْنَمَا الْقَصِيدَةُ (الرَّبْعَةُ) تَقُومُ عَلَى أَشْطَارٍ شَعْرِيَّةٍ تُشَكِّلُ أَقْسَامًا يَضُمُّ كُلُّ قِسْمٍ أَرْبَعَةَ أَشْطَارٍ لَهَا نِظَامٌ مَخْصُوصٌ فِي تَقْفِيَّتِهَا، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الشَّكْلَيْنِ أَنَّ الْأُولَى تَتَكَيُّ عَلَى بَنِيَّةِ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ وَالثَّانِيَّةُ تَرْتَكِزُ عَلَى بَنِيَّةِ الشَّطْرِ الشَّعْرِيِّ. وَتُمَثِّلُ الْبَنَى الرَّبَاعِيَّةُ فِي هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْقَصَائِدِ إِجْدَى تَجْلِيَّاتِ النَّسْقِ التَّقْفُويِّ الْمُتَوَعُّ، فَهُوَ يَتَجَلَّى فِي قَصِيدَةِ (رَبَاعِيَّاتٍ مِنْ فِلِسْطِينِ)<sup>(1)</sup>، الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسْقِ (الرَّمَلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَوْ (رَبَاعِيَّةً)، تَسْتَقِلُّ كُلُّ رَبَاعِيَّةٍ بِعُنْوَانٍ خَاصٍّ وَعَتَبَةً نَثْرِيَّةً، وَنَسْقٍ تَقْفُويٍّ.

تَأْتِي الرَّبَاعِيَّةُ الْأُولَى تَحْتَ عُنْوَانِ (15 آيَار!) مُسْتَهْلَةً بِـ".. وَجَاءَ الْخَامِسُ عَشْرَ مِنْ آيَارٍ.. فَتَذَكَّرْتُ النَّكْبَةَ وَالْمَأْسَاةَ وَالْعَارَ.." وَمَوْطِئَةً لِإِيْقَاعِ الْحُزْنِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

بُعْثَرْتُ أَيَّامُنَا عَامًا فَعَامًا      وَزَرَعْنَا الْأَرْضَ بُؤْسًا وَخِيَامًا  
وَطَوَيْنَا بِسَمَةِ الْعُمْرِ عَلَى      أَمَلِ الْعُودَةِ.. أَوْ نَقْضِي كِرَامًا

(1) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1403هـ-1983م، ص: 7.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لَا تَسْلِنِي يَا أَحِي فِي عَجَبٍ لِمَ لَا تَمْلَأُ دُيَاكَ ابْتِسَامًا؟  
 أَنَا مُذْ مَزَقَ قُدْسِي غَاصِبٌ صَارَتِ الْبَسْمَةُ فِي شَرْعِي حَرَامًا؟  
 وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمَطْلُوقُ فِي الرَّبَاعِيَّةِ الشَّكْلَ:

(أ-أ-أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (م-م-م-م-م) / (ياما/راما/ساما/راما=0/0=لاتن).

وَيَتَمَيَّزُ بِرُويِّ الميمِ وَأَلِفِ الوصلِ وَأَلِفِ الرَّدْفِ الْمُتْرَمَةِ-الألفِ قَبْلَ الرَّويِّ- وَتَنْسَجُمُ خِصَائِصُ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ مَعَ الشُّعُورِ بِالْحُزَنِ وَالْأَسَى وَإِيحَاءِ الْمَعْنَى بِالضِّيَاعِ وَالتَّشْرُدِ وَالبُؤْسِ، وَيُسْنَهُمُ الْإِيْقَاعُ الدَّاحِلِيَّ فِي تَكْرِيسِ الشُّعُورِ بِالوَجَعِ وَالْفَجِيعَةِ مِنْ حِلَالِ تَوْزِيعِ صَوْتِ (العين) عَلَى مَسَافَاتٍ مُنْتَزِمَةٍ فِي فِضَاءِ الرَّبَاعِيَّةِ، وَمِنْ حِلَالِ كِنَافَةِ أَصْوَاتِ الْمَدِّ. وَيَتَسَمُّ مَطْلَعُ الرَّبَاعِيَّةِ بِنَيْبَةِ تَصْرِيْعِيَّةٍ مِمَّا يَكْشِفُ عَنْ تَوَازٍ نَاشِئٍ عَنْ تَقْسِيمِ الْمَطْلَعِ إِيقَاعِيًّا وَتَرْكِيْبِيًّا مِنْ حِلَالِ تَوْزِيعِ عَنَاصِرِ التَّرْكِيبِ أَفْعَالًا وَأَسْمَاءً وَأَدْوَاتٍ عَلَى مُسْتَوَى شَطْرِي الْبَيْتِ:

بُعْثَرَتْ / أَيَّامُنَا / عَامًا / فَعَامًا

وَزَرَعْنَا / الْأَرْضَ / بُؤْسًا / وَحِيَامًا

0/0//0/-0/0//0/-0/0//0/

فاعلاتن - فاعلاتن - فاعلاتن

وَيَتَرَدَّدُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمَطْلُوقُ فِي تِسْعِ عَشْرَةَ رُبَاعِيَّةً، مِنْهَا إِحْدَى عَشْرَةَ رُبَاعِيَّةً تَتَسَمُّ بِالتَّصْرِيْعِ كَالرَّبَاعِيَّةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (ق-ق) فِي مَطْلَعِهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

خَنْدَقِي فَبِرِّي، وَفَبِرِّي خَنْدَقِي وَزِنَادِي صَامِتٌ لَمْ يَنْطِقِ

وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(ب-ب-ب-ب)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ق-ق-ق-ق).

وَكَالرَّبَاعِيَّةِ الْخَامِسَةِ الَّتِي يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (ه-ه) فِي مَطْلَعِهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

((رَوْضَةُ الْأَطْفَالِ)) مَاذَا قَدْ دَهَاها وَبِنَارِ الْمَوْتِ ((صَهْيُونَ)) رَمَاهَا

وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(د-د-د-د)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ه-ه-ه-ه).

وَكَالرَّبَاعِيَّةِ الثَّامِنَةِ الَّتِي يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (م-م) فِي مَطْلَعِهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

فَوْقَ سُورِ الْقُدْسِ عِنْدَ الْحَرَمِ رَبَّضَ الْإِخْوَةَ أَحْرَارُ الدَّمِ

وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(أ-أ-أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (م-م-م).

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 8.

(2) المصدر نفسه، ص: 11.

(3) المصدر نفسه، ص: 14.

وَالرُّبَاعِيَّةُ الثَّامِنَةُ الَّتِي يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (ن-ن) فِي مَطْلَعِهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:  
أَثْرَعَ الْخَائِنُ كَأْسًا مِنْ دِمَانًا وَسَقَاهَا لِبَغِيٍّ أَرْجُوَانًا  
وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(ه-ه-ه)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن-ن-ن-ن).

وَالرُّبَاعِيَّةُ الثَّامِنَةُ الَّتِي يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (ب-ب) فِي مَطْلَعِهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:  
مَوْطِنِي صَارَ عَلَيَّ الْإَيَّامُ سَبَّهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ إِبَاءً وَمَحَبَّهُ  
وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(ز-ز-ز-ن)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ب-ب-ب-ب).

وَالرُّبَاعِيَّةُ السَّادِسَةُ عَشْرُ الَّتِي يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (س-س) فِي مَطْلَعِهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:  
حَدَّثَنِي حُرَّةٌ فِي الْمَجْلِسِ بِحَدِيثِ الطُّهْرِ عَفَّ النَّفْسِ  
وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(ك-ك-ك-ك)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (س-س-س-س).

وَيَتَرَدَّدُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمُقَيَّدُ فِي أَرْبَعِ رُبَاعِيَّاتٍ، مِنْهَا اثْنَتَانِ مُصْرَعَتَانِ، وَهُمَا الرُّبَاعِيَّةُ السَّابِعَةُ الَّتِي  
يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (ن-ن) فِي مَطْلَعِهَا<sup>(4)</sup>:

رَدَّدَ الْكَوْنَ نِدَاءَاتِ الْأَمَانِ أَحْمَلَ الْأَلْحَانَ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ

وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(م-م-م-م)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ن-ن-ن-ن).

وَالرُّبَاعِيَّةُ الْعِشْرُونَ الَّتِي يَقَعُ التَّصْرِيْعُ (ب-ب) فِي مَطْلَعِهَا<sup>(5)</sup>:

أَنَا فِي جَوْفِي نَارٌ وَلَهَبٌ أَنَا فِي صَدْرِي حِقْدٌ وَعَظَبٌ

وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(ع-ع-ع-ع)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ب-ب-ب-ب).

وَمِنْهَا اثْنَتَانِ غَيْرُ مُصْرَعَتَيْنِ، وَهُمَا الرُّبَاعِيَّةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مَطْلَعِهَا<sup>(6)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 15.

(2) المصدر نفسه، ص: 17.

(3) المصدر نفسه، ص: 22.

(4) المصدر نفسه، ص: 13.

(5) المصدر نفسه، ص: 28.

(6) المصدر نفسه، ص: 20.

وَطَيْبٍ عَادَنِي فِي عِلْتِي وَمَضَى يَكْتُبُ لِي خَيْرَ دَوَاءٍ

وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(ن-ن-ن)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ء-ء-ء-ء-ء).

وَالرُّبَاعِيَّةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مَطْلَعِهَا<sup>(1)</sup>:

قُلْتُ لِلزَّائِرِ إِذْ يَسْأَلُنَا ((كَيْفَ حَالُ)) الْقَوْمِ فِي هَذِي الرُّبُوعِ

وَتَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي:

(س-س-س)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (ع-ع-ع-ع-ع).

إِنَّ بِنْيَةَ الرُّبَاعِيَّةِ تُقِيمُ عِلَاقَاتٍ بَيْنَ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ - وَهُوَ جُزْءٌ مِنَ النَّسَقِ الْإِقَاعِيِّ - وَبَيْنَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى فِي مَسَارِ الْقَصِيدَةِ، وَذَلِكَ فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا، فَالنَّسَقُ التَّقْفُويُّ (0///0=تن فعلا) المقيّد برويّ البناءِ الصَّوْتِ الْمَجْهُورِ الْإِنْفِجَارِيِّ وَالنَّسَقُ الْإِقَاعِيُّ بِصُورَتِهِ الْمُنْزَاحَةِ (0///=فعلا) - مَخْبُونَةٌ مَحْدُفَةٌ -، مَثَلًا، يَنْتُجُ عَنْهُ إِقَاعٌ يَكْتَنِفُ الشُّعُورَ بِالثُّورَةِ وَالْعَضْبَ فِي سِيَاقِ الرُّبَاعِيَّةِ الْعِشْرِينَ، تَعَضُّدُهُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْإِسْمِيِّ الْمُتَوَازِي فِي الْمَطْلَعِ مَعَ مَا يَتَحَلَّلُ بِنْيَتِهِ مِنْ اعْتِرَاضٍ وَمِنْ تَقْدِيمٍ لَضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُنْفَصِلِ وَمَا يُوصَفُ بِهِ الْمُسْنَدُ مِنْ تَنْكِيرٍ وَعَطْفٍ عَلَيْهِ، وَمِنْ تَكَرَّرٍ لِلِاسْتِفْهَامِ الدَّالِّ عَلَى الْإِسْتِبْطَاءِ وَالِاسْتِعْجَالِ فِي الْآنِ نَفْسِهِ وَسُخْرِيَّةِ الْجَوَابِ، وَمِنْ تَكَرَّرٍ لِلوَحْدَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْإِنْفِعَالِ السَّلْبِيِّ وَالْمُوجِيةِ بِالتَّوَثُّرِ (نار، غَضَبٌ، حَقْدٌ، غَضَبٌ، لَهَبٌ...)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

أَنَا فِي جَوْفِي نَارٌ وَلَهَبٌ أَنَا فِي صَدْرِي حَقْدٌ وَغَضَبٌ  
فَمَتَى يَلْفِظُ جَوْفِي لَهَبًا؟ عِنْدَمَا يَخْجَلُ حُكَّامُ الْعَرَبِ!  
وَمَتَى يَنْفُثُ صَدْرِي غَضَبًا؟ عِنْدَمَا يَصْمَتُ (سَحْبَانُ) الْخُطْبِ!  
عِنْدَمَا نَسْحَقُ أَعْدَاءَ الْحَمَى وَنُبَارِي فِي الْعُلَى.. هَامَ الشُّهَبِ!

وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ تَنْتَظِمُ رُبَاعِيَّاتُ الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَبْدُؤُا أحيانًا كَأَنَّهَا قِصَائِدٌ مُسْتَقْلَةٌ عَنْ بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْكُبْرَى لَوْلَا رَابِطُ النَّسَقِ الْإِقَاعِيِّ وَرَابِطُ الْمَوْضُوعِ الْمُتَمَثِّلِ فِي الْفَضَاءِ الْفِلَسْطِينِيِّ بِكُلِّ تَضَارِيصِهِ.

وَيَتَحَلَّى النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا فِي قِصِيدَةِ (الرُّبَاعِيَّاتِ)<sup>(3)</sup>، الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْمُتَقَارِبِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ أَرْبَعِينَ رُبَاعِيَّةً مُرَقَّمةً مِنْ (1) إِلَى (40) مُجَرَّدَةٌ مِنْ إِشَارَاتِ الْعُنُونَةِ، تَنْفَرِدُ كُلُّ رُبَاعِيَّةٍ بِنَسَقِ تَقْفُويٍّ خَاصٍّ، وَيُجَسِّدُ مَجْمُوعَ الرُّبَاعِيَّاتِ مَبْدَأَ التَّنَوُّعِ فِي الْكُلِّ وَالتَّوَحُّدِ فِي الْأَجْزَاءِ وَهُوَ مَا يَسَمُّ بِبِنْيَةِ الرُّبَاعِيَّاتِ،

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 21.

(2) المصدر نفسه، الصَّفحة نفسها.

(3) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، ص: 108.

فَالأَنْسَاقُ التَّقْفَوِيَّةُ فِي الرُّبَاعِيَّاتِ الخَمْسَةِ الأُولَى، مَثَلًا، تُشَكَّلُ نَسَقًا تَقْفَوِيًّا مُنَوَّعًا بِالنَّظَرِ إِلَى الكُلِّ وَنَسَقًا تَقْفَوِيًّا مُوَحَّدًا بِالنَّظَرِ إِلَى كُلِّ رُبَاعِيَّةٍ عَلَى حَدِّهِ.

فَنَسَقُ الكُلِّ-أَوْ مَجْمُوعِ الرُّبَاعِيَّاتِ الخَمْسَةِ-يَتَّخِذُ الشَّكْلَ (أ-ب-ج-د-هـ)، وَيَتَّخِذُ نَسَقُ الرُّبَاعِيَّةِ الأُولَى الشَّكْلَ (أ-أ-أ-أ)، وَيَتَّخِذُ نَسَقُ الرُّبَاعِيَّةِ الثَّانِيَةِ الشَّكْلَ (ب-ب-ب-ب)، وَيَتَّخِذُ نَسَقُ الرُّبَاعِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الشَّكْلَ (ج-ج-ج-ج)، وَيَتَّخِذُ نَسَقُ الرُّبَاعِيَّةِ الرَّابِعَةِ الشَّكْلَ (د-د-د-د)، وَيَتَّخِذُ نَسَقُ الرُّبَاعِيَّةِ الخَامِسَةِ الشَّكْلَ (هـ-هـ-هـ-هـ)، وَالمُلاحَظُ أَنَّ النَّسَقَ التَّقْفَوِيَّ المُنَوَّعَ يَهَيِّمُ عَلَى بِنْيَةِ الرُّبَاعِيَّاتِ، إِذْ تَتَمَيَّزُ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ رُبَاعِيَّةً بِنَسَقٍ تَقْفَوِيٍّ مُنَوَّعٍ، وَيُمْكِنُ تَوْضِيحُ تَنْظِيمِ الأَنْسَاقِ التَّقْفَوِيَّةِ المُنَوَّعَةِ فِي الرُّبَاعِيَّاتِ الخَمْسِ الأُولَى عَلَى الشَّكْلِ الآتِي (ق=نَسَقٍ تَقْفَوِيٍّ):

ق1= (أ-أ-أ-أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (ح-ح-ح-ح).

ق2= (ب-ب-ب-ب)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (ي-ي-ي-ي).

ق3= (ج-ج-ج-ج)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (ب-ب-ب-ب).

ق4= (د-د-د-د)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (ض-ض-ض-ض).

ق5= (هـ-هـ-هـ-هـ) وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالعَرُوضِيَّةُ (ن-ن-ن-ن).

وَتَعَلَّقُ الأَنْسَاقُ التَّقْفَوِيَّةُ المُنَوَّعَةُ فِي الرُّبَاعِيَّاتِ المُنَوَّعَةِ إِيقَاعِيًّا بِالدَّلَالَاتِ المُنَبِّثَةِ عَنِ الرُّؤْيَةِ الَّتِي تَضْبُطُ التَّأْمُلَاتِ وَالفِكْرَ المَعْرُوضَةَ مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى التَّفَاؤُلِ وَالسُّمُومِ وَالرَّقِيِّ الرُّوحِيِّ وَالاِنْتِطَاقِ وَالتَّحَرُّرِ وَالرَّجَاءِ وَالاِنْفِعَالِ مَعَ إِيقَاعِ الكَوْنِ، وَيَبْرُزُ هَذَا التَّنَوُّعُ الإِيْقَاعِيُّ الدَّلَالِيُّ فِي النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ (ق3) المُلْتَزِمِ فِي الرُّبَاعِيَّةِ الثَّلَاثَةِ حَيْثُ تَرْتَكِزُ دَلَالَتُهَا عَلَى الإِيْحَاءِ بِالتَّشَاؤُمِ وَالشُّعُورِ بِالصِّيقِ وَالاِنْتِبَاضِ وَالاِنْفِعَالِ السَّلْبِيِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

هِيَ الأَرْضُ قَدْ تَسْتَحِيلُ اعْتِقَالًا      تَضِيقُ بِنَا فَنُودٌ هُرُوبًا  
وَنَمْضِي إِلَى كُلِّ هَمٍّ قَرِيبٍ      وَنَعْبُرُهَا فِي مَدَاهُ دُرُوبًا  
سُمُومُ الأَعَاصِيرِ تَجْتَا حُنَا      وَتَسْفُو مِنَ المَهْلِكَاتِ ضُرُوبًا  
وَلَكِنَّا لَوْ عَرَفْنَا الطَّرِيقَ      لَمَا ضَيِّقَتْ بُكْرَةً وَغُرُوبًا

وَيَعَلَّقُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ المُنَوَّعُ فِي الرُّبَاعِيَّةِ الخَامِسَةِ عَلَى الإِيْحَاءِ بِدَلَالَةِ التَّفَاؤُلِ وَالشُّعُورِ بِالسَّعَةِ وَالاِنْتِشِرَاحِ وَالاِنْفِعَالِ الإِيْجَابِيِّ بِمَا فِي الكَوْنِ مِنْ حَمَالٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

حَسِيسُ الوُجُودِ يَقُولُ لَنَا      نَعَالُوا إِلَى عَالَمِ الخَفِّقَانِ  
يُعَازِلُنَا النَّبْضُ فِي كُلِّ شَيْءٍ      وَيَحْكِي هَوَاهُ بِأَلْفِ لِسَانِ  
دَمَاءُ الشَّقَاقِ تَنْزِفُ عَشَقًا      وَيَزْهُو البَنْفَسَجُ بِالأَرْجُوانِ  
وَيَقِي نِدَاءَ العُرُوبِ وَتَبَقَى      تَبَارِيحُهُ فِي حَوَافِي الزَّمَانِ!

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 100.

(2) المصدر نفسه، ص: 101.

وَتَمَيَّزُ رُبَاعِيَّةً وَاحِدَةً بِنَسَقٍ مُقَيَّدٍ، وَهِيَ الرُّبَاعِيَّةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ، الَّتِي تَمَيَّزُ بِدِلَالَةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَتَمَثَّلُ فِي الإِصْرَارِ عَلَى الإِنْتِطَاقِ فِي دُرُوبِ الحَيَاةِ بِهَدَفِ عِمَارَةِ الأَرْضِ وَإِقَامَةِ الدِّينِ وَبِالأَحْرَى اسْتِثْنَاءِ حَضَارَةِ الإِيمَانِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

وَحَتَّى قِيَامِ التَّفِيرِ الأَخِيرِ سَنَمْضِي لِتَرْيِينِ هَذِي الحَيَاةِ  
وَنَجْتَازُ كُلَّ صَحَارِي الوُجُودِ سِرَاعًا فَنَعْمُرُهَا بِالمِيَاهِ  
نُفَجِّرُ فِي كُلِّ دَارٍ رَوَاءَ وَنَرْفَعُ فِي كُلِّ حَيٍّ صِلَاهُ  
وَنَبْقَى الفَسَائِلُ مُخْضِرَةً وَيَبْقَى التَّطَلُّعُ نَحْوَ الإِلَاهِ!

وَتَخْلُو بُنَى الرُّبَاعِيَّاتِ مِنَ التَّصْرِيحِ فَلَا يَقَعُ إلَّا فِي الرُّبَاعِيَّةِ العِشْرِينَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الرُّبَاعِيَّةِ<sup>(2)</sup>:

وَجَوْهَرُ هَذِي الحَيَاةِ رَحِيلٌ فَتَمْضِي وَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَحِيلٌ  
نُؤَمِّلُ فِي الفَجْرِ وَصَلًّا جَمِيلًا وَلَكِنَّهُ فِي السَّمَاءِ يَحُولُ  
وَنَرْجُوهُ رَعْمٌ تَحْدِي الفَنَاءِ طَوِيلًا وَلَكِنَّهُ لَا يَطُولُ  
فَمَا ذَا لَوْ أَنَا عَرَفْنَا المَصِيرَ وَجَنَّنَاهُ وَالرَّكْبُ بَعْدُ ذُلُولُ؟

تَقُومُ بِنِيَّةِ التَّصْرِيحِ (ل-ل) فِي المَطْلَعِ بِدَعْمِ دِلَالَةِ الرُّبَاعِيَّةِ الرَّبِيسَةِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا ثَنَائِيَّةُ (الحَيَاةِ/الأَحْرَةِ) الَّتِي يَرِبُطُ طَرَفَيْهَا المُتَقَابِلَيْنِ قَانُونُ (الرَّحِيلِ) المُشَاهِدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، فَالإِيقَاعُ النَّاشِئُ عَنِ تَقْسِمِ البَيْتِ إِلَى مِصْرَاعَيْنِ مُتَنَاطِرَيْنِ وَمُتَسَاوِيَيْنِ وَإِقَامَةِ تَقْفِيَّةٍ دَاخِلِيَّةٍ تَتَوَافَقُ فِيهَا كُلُّ مِنْ صُورَتَيْ العُرُوضِ وَالصَّرْبِ، يَتَسَقُّ مَعَ الثَّنَائِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ أَوْ التَّضَادِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنْهُ بَعْضُ الوَحَدَاتِ المُعْجَمِيَّةِ (الفَجْرِ#المَسَاءِ) وَ(نُؤَمِّلُ#يَحُولُ) وَ(طَوِيلًا#لَا يَطُولُ).

وَتَتَنَوَّعُ هَذِهِ الأَنْسَاقُ التَّقْفُويَّةُ بِتَنَوُّعِ الدَّلَالَةِ الَّتِي تُنتَجِهَا كُلُّ رُبَاعِيَّةٍ وَتَنَوُّعِ الشُّعُورِ، وَبِحِجْمِهَا رَابِطُ النِّسَقِ الإِيقَاعِيِّ وَرَابِطُ الدَّلَالَةِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ نَوَاةٍ مَعْنَوِيَّةٍ تَنْشَطِرُ فِي كُلِّ الرُّبَاعِيَّاتِ (التَّأْمَلَاتِ) صَادِرَةً عَنْ رُؤْيَةِ إِسْلَامِيَّةٍ إِلَى الإِنْسَانِ وَالحَيَاةِ وَالوُجُودِ .

وَقَدْ وَرَدَ النِّسَقُ التَّقْفُويُّ المُنَوَّعُ المُطْلَقُ فِي قَصِيدَةِ (يَا شَبَابَ الحَقِّ) <sup>(\*)</sup> الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الرَّمْلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ سِتِّ مُرَبِّعَاتٍ أَوْ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ شَطْرًا مُوزَعَةً عَلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ يَضُمُّ كُلُّ قِسْمٍ أَرْبَعَةَ أَشْطُرٍ، فَفِي الرُّبَاعِيَّةِ الأُولَى يَأْخُذُ النِّسَقُ الشُّكْلَ:

ق 1: (أ-أ-أ-أ = ب-ب-ب-ب)، وَصُورَتُهُ العُرُوضِيَّةُ (لأتن) = (0/0/-0/0/-0/0/-0/0).

وَيَتَمَثَّلُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(3)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 105.

(2) عماد الدين خليل: ابتهاجات في زمن الغربة، ص: 108.

(\*) عبد الرحمن العشماوي: إلى أمتي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1423هـ/2002م، ص: 139.

(3) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، أَجْلُو كُلَّمَا يَشْكُوهُ قَلْبِي  
وَأَزِيلُ الْبُؤْسَ مِنْ نَفْسِي، وَأَهْوَأِي وَكَسْبِي  
وَأُنَادِي إِخْوَتِي، وَالْحَقُّ يَا رَحْمَنُ دَرْبِي  
كَحَلُّوا بِالْعَزْمِ جَفْنَ الْمَجْدِ، لَأَتَأْسُوا لِيخْطُبَ

وَيَأْخُذُ فِي الرَّبَاعِيَّةِ الثَّانِيَةِ الشَّكْلِ:

ق2: (ب-ب-ب-ب=ح-ح-ح-ح)، وصورته العروضية (لاتن)=(0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).

وَيَتَمَثَّلُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(1)</sup>:

زَحَزَحُوا بِالتُّورِ لَيْلَ الْيَأْسِ عَنْ صَدْرِ الْكِفَاحِ  
وَأَنْشُرُوا الْإِسْلَامَ، فَالِإِسْلَامُ عُنْوَانُ السَّمَاخِ  
أَسْمَعُوا الدُّنْيَا نِدَاءَ الْحَقِّ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ  
فَالْعُلَمَاءُ، إِنَّ عَزَّ دَاعِيَ السَّلْمِ، فِي وَخْزِ الرَّمَاحِ

وَيَأْخُذُ فِي الرَّبَاعِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الشَّكْلِ:

ق3: (ج-ج-ج-ج=د-د-د-د)، وصورته العروضية (لاتن)=(0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).

وَيَتَمَثَّلُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(2)</sup>:

يَا شَبَابَ الْحَقِّ، أَنْتُمْ قَادَةُ النَّشْرِ الْجَدِيدِ  
لَمْ يَزَلْ طَرْفُ الْعُلَمَاءِ يَرْتَوِي إِلَى الْمَجْدِ التَّلِيدِ  
دِينِكُمْ دِينَ الْمَعَالِي، كَيْفَ يَرْضَى بِالرُّكُودِ؟  
فَامْلَأُوا الدُّنْيَا بُنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ حُدُودِ

وَتَتَوَزَّعُ الْأَنْسَاقُ التَّفْقُويَّةُ الْأَخِيرَةُ عَلَى الشَّكْلِ الْآتِي:

ق4: (د-د-د-د)، وصورته العروضية (لاتن)=(0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).

ق5: (ه-ه-ه-ه)، وصورته العروضية (لاتن)=(0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).

ق6: (و-و-و-و)، وصورته العروضية (لاتن)=(0/0/-0/0/-0/0/-0/0/).

وَقَدْ تَنَوَّعَ الرَّوِيُّ فِي التَّسْقِ التَّفْقُويِّ الْعَامِّ فِي الْقَصِيدَةِ بَيْنَ صَوْتِ الْبَاءِ وَالْحَاءِ وَالذَّالِ وَالْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ،  
وَاخْتَلَفَ مَجْرَاهُ مُتَجَاوِزًا رَتَابَةَ الْمَجْرَى الْمُوَحَّدِ، وَمُحَدِّثًا إِيقَاعًا مُتَلَوِّنًا يَتِمَاشَى وَدِلَالَةً كُلِّ رَبَاعِيَّةٍ، فَخُرُوجُهُ مِنْ  
الْكَسْرَةِ إِلَى الضَّمَّةِ فِي الرَّبَاعِيَّةِ الْأَخِيرَةِ يَعْكُسُ حَرَكَةَ الدَّلَالَةِ فِي الْخُرُوجِ مِنْ حَالِ الضِّيَاعِ الَّتِي يَحْيَاهَا الشَّبَابُ

(1) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

المسلم بعيداً عن دين الله في ذلٍ وخنوعٍ واستسلامٍ إلى حال العزّة والرّفعة التي معها يُمكن التّطلع إلى استرجاع المسجد الأقصى السليب، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

يَا شَبَابَ الْحَقِّ أَدْعُوكُمْ، وَفِي قَلْبِي لَهَيْبُ  
أُمَّتِي تَشْكُو الْأَسَى، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى سَلِيبُ  
كَيْفَ قَلْبُ مُسْلِمٍ لِلَّهِ بِالذُّلِّ يَطِيبُ؟!  
يَا شَبَابَ الْحَقِّ هَيْبًا لَيْسَ يُجَدِّدُنَا النَّحِيبُ

وتتوفّر القصيدة الإسلامية المعاصرة على نماذجٍ من القصائد التي تجسّد فيها التنويع على مستوى البيت في الأنساق التقفويّة استجابةً للمضامين الشعريّة الدلاليّة والوجدانيّة، وقد جرّبت القصيدة الشكليّين السابقين- القصيدة المقطعيّة والرباعيّة- في إثراء كثيرٍ من التجارب الشعريّة الإسلاميّة.

#### 1-4-4-1- النسق التقفويّ المنوع على مستوى الشطر والبيت:

ويتمثّل في بنية الموشحة:

#### 1-4-4-1- الموشحة:

وبالإضافة إلى ما سبق فقد يقع التنويع في النسق التقفويّ على مستوى البيت والشطر في بنية الموشحة الشعريّة، فقد نظّم الشاعر الإسلامي شيئاً غير قليلٍ من تجاربه الشعريّة في إطار بنية الموشحة الشعريّة، وربما كانت بنيتها الإيقاعيّة هي ما دعاه إلى النظم على منوالها، فالموشحة، في الواقع، هي قصيدة تنوّعت فيها القوافي وانتحلت نظاماً جديداً.<sup>(2)</sup> وهي ذات تفعيلات متناسقة، سواء استعمل الشّاح عدداً واحداً من التفعيلات أو أعداداً متباينة المقدار، فالإيقاع فيها عربيّ خالص.<sup>(3)</sup> وهذا ما شجّع الشاعر الإسلامي على أن يمارس نوعاً من التجريّة الشعريّة في قالب تراثي وهو مطمئن إلى التزامه بأصالته الفنيّة التي يجسدها هذا الشكل (الأندلسي) من أشكال القصيدة التراثيّة، وقد لاحظ بوعيه الفنيّ الملامح الأسلوبية البارزة في بنية الموشحة؛ أي أنه لاحظ أنّها تركز على فكرة التّضيد المتساوق المتوازي، فتبتدع نسقاً مرتباً وتُحافظ عليه، وهي وإن كانت تُخل بأطوال السطور الشعريّة-مثل الشعر الحر- إلا أنّها تعتمد على تكرار النمط الذي تتخذه وتلتزم به، بالإضافة لتكرار القافية المتنوّعة.<sup>(4)</sup> وما هذا النمط المتكرر سوى بنية الموشحة.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 141.

(2) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والرابطين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 5، 1978، ص: 246.

(3) المرجع نفسه، ص: 227.

(4) صلاح فضل: (طراز التوشيح بين الانحراف والتناص) مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مج: 8، ع: 1 و2، ماي 1989، ص: 71.

وَتَكُونُ بِنِيَةِ الْمُوشَّحَةِ الشُّعْرِيَّةِ مِنْ عِدَّةِ عَنَاصِرٍ؛ مِنَ الْمَطَّلَعِ، وَيَكُونُ فِي الْمُوشَّحَةِ التَّامَّةِ، وَيَتَكَوَّنُ عَادَةً مِنْ شَطْرَيْنِ أَوْ غُصْنَيْنِ، وَقَدْ يَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ. وَمِنَ الدَّوْرِ وَهُوَ مَجْمُوعَةُ الْآيَاتِ الَّتِي تَلِي الْمَطَّلِعَ أَوْ الَّتِي يُسْتَهَلُّ بِهَا الْمُوشَّحَةُ إِذَا كَانَتْ مِنَ الشَّكْلِ الْأَقْرَعِ، وَيَتَكَوَّنُ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ لَا تَقْلُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، وَقَدْ يَتَكَوَّنُ مِنْ أَكْثَرٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ، شَرْطَ أَنْ يَتَكَرَّرَ بِالْعَدَدِ نَفْسِهِ فِي بَقِيَّةِ الْمُوشَّحِ، وَأَنْ تَكُونَ مِنْ وَزْنِ الْمَطَّلَعِ، وَلَكِنْ بِقَافِيَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.<sup>(1)</sup> وَمِنَ السَّمَطِ، وَهُوَ كُلُّ شَطْرٍ مِنْ أَشْطُرِ الدَّوْرِ، وَقَدْ يَكُونُ الشَّطْرُ مُفْرَدًا أَوْ مُرَكَّبًا مِنْ جُزْئَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ. وَمِنَ الْقُفْلِ وَهُوَ مَا يَلِي الدَّوْرَ مُبَاشَرَةً وَهُوَ شَبِيهُ بِالْمَطَّلَعِ وَزْنًا وَقَافِيَةً وَتَرْكِيبًا. وَمِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يَتَأَلَّفُ مِنَ الدَّوْرِ وَالْقُفْلِ. وَمِنَ الْغُصْنِ، وَهُوَ كُلُّ شَطْرٍ مِنْ أَشْطُرِ الْمَطَّلَعِ أَوْ الْقُفْلِ أَوْ الْخُرْجَةِ، وَتَتَسَاوَى الْأَغْصَانُ فِي الْمُوشَّحَةِ عَدَدًا وَتَرْكِيبًا وَقَافِيَةً. وَأَخِيرًا مِنَ الْخُرْجَةِ وَهِيَ الْقُفْلُ الْأَخِيرُ فِي الْمُوشَّحَةِ.<sup>(2)</sup> وَبِنَاءِ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِنِيَةِ الْمُوشَّحَةِ الشُّعْرِيَّةِ أَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً، وَتَنْقَسِمُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَطَّلَعِ إِلَى قِسْمَيْنِ؛ هُمَا الْمُوشَّحَةُ الشُّعْرِيَّةُ التَّامَّةُ الْمُسْتَهَلَّةُ بِمَطَّلَعٍ-وهي الْأَصْلُ- وَتَحِيُّ عَلَى الشَّكْلِ الْآتِي:

المَطَّلَعُ: غُصْن (شَطْر) + غُصْن (شَطْر)  
 الدَّوْرُ: سَمَط (شَطْر)  
 سَمَط (شَطْر)  
 البَيْتُ:  
 القُفْلُ: غُصْن (شَطْر) + غُصْن (شَطْر)

وَالْمُوشَّحَةُ الشُّعْرِيَّةُ غَيْرُ التَّامَّةِ-أَيِ الْمُوشَّحِ الْأَقْرَعِ-وهي الَّتِي لَا يُسْتَهَلُّ فِيهَا بِمَطَّلَعٍ، وَتَحِيُّ عَلَى الشَّكْلِ الْآتِي:

الدَّوْرُ: سَمَط (شَطْر)  
 سَمَط (شَطْر)  
 سَمَط (شَطْر)  
 البَيْتُ:

القُفْلُ: غُصْن (شَطْر) + غُصْن (شَطْر)

وَقَدْ وَرَدَتْ بِنِيَةُ الْمُوشَّحَةِ الشُّعْرِيَّةِ (رَمَزَ الْفَخْرُ) الَّتِي أُخْتِيرَتْ لِتَوْصِيفِ أَنْسَاقِهَا التَّقَفُويَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ عَلَى مِنْوَالِ الْقِسْمِ الثَّانِي الَّذِي لَا يُسْتَهَلُّ فِيهِ بِالْمَطَّلَعِ، يَقُولُ وَلِيدُ الْأَعْظَمِيِّ (1930م-....)<sup>(3)</sup>:

نَحْنُ رَمَزُ الْفَخْرِ عُنْوَانُ الْإِبَابِ

(1) انطوان محسن القوال: الموشحات الأندلسية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 3، 1424هـ-2003م، ص: 10.

(2) المرجع نفسه، ص: 11.

(3) عابد توفيق الهاشمي: الوجيز في الأدب الإسلامي المعاصر وتاريخه، ج: 2، ص: 94.

كَمْ رَفَعْنَا لِلْمَعَالِي طُنْبَا  
 وَسَلَّلْنَا لِلْأَعَادِي قُضْبَا  
 أُمَّةٌ قَامَتْ بِتَوْجِيهِ النَّبِيِّ سَأَلُوا التَّارِيخَ عَنَّا هَلْ نَخِيبُ؟!  
 رَفَرَقَتْ فَوْقَ السُّهَى رَايَاتُنَا  
 وَسَمَتْ عَالِيَةً غَايَاتُنَا  
 وَصَفَتْ خَالِصَةً نِيَّاتُنَا  
 عِنْدَنَا الْحَقُّ بَعِيدٌ وَقَرِيبٌ وَاحِدٌ مِيزَانُهُ فِي الرَّتْبِ  
 نَحْنُ لَا نَنْفَكُ مِنْ طُلَّابِهِ  
 لَمْ نَرَ الذَّلَّ وَلَكِنْ نَرْضَى بِهِ  
 وَلَقَدْ عَشْنَا بِذِكْرِ نَابِهِ  
 وَمِنَ الْعِلْيَاءِ أَسْمَى مُنْصَبٍ فَمِنْ الْمَجْدِ لَنَا أَوْفَى نَصِيبِ  
 قَدْ رَضَعْنَا الْعِزَّ مِمَّنْ سَلَفَا  
 وَتَشَانَا بَيْنَ أَحْضَانِ الْوَفَا  
 نَحْنُ أَحْفَادُ الْأَبَاءِ الشُّرَفَا  
 وَيُمْكِنُ التَّمثِيلُ لَهَا بِحَسَبِ النَّسَقِ التَّفْقُويِّ فِي بِنْتَيْهَا بِالشَّكْلِ:

أ	سمط (شَطْر)	
أ	سمط (شَطْر)	الدَّوْرُ
أ	سمط (شَطْر)	
		الْبَيْتُ
ب	ب	القُفْلُ

وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ فِي كُلِّ شَطْرٍ مِنَ الدَّوْرِ هُوَ نَسَقٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ فِي كُلِّ شَطْرٍ مِنَ  
 الْقُفْلِ وَاحِدٌ، لَكِنَّ النَّسَقَيْنِ مُخْتَلِفَانِ أَوْ مُتَقَابِلَانِ، فَالْمُوشَّحَةُ تَزْدَانُ بِالْقَوَافِي الْمُنَوَّعَةِ وَالْأَوْزَانَ الْمُتَعَدِّدَةَ، وَلَكِنْ مَعَ  
 التَّقَابِلِ فِي أَجْزَائِهَا الْمُتَمَاثِلَةِ. (1)

وَقَدْ بُنِيَ إِيقَاعُ الْمُوشَّحَةِ الْخَارِجِيِّ عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ تَتَنَوَّعْ فِيهَا الْأَوْزَانُ عَلَى غِرَارِ الْمُوشَّحَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ  
 الَّتِي انْزَاحَتْ عَنِ نِظَامِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي "الاعْتِمَادِ عَلَى التَّفْعِيلَةِ بِوَصْفِهَا وَحِدَةً لِلْوِزْنِ بَدَلًا مِنَ الْبَحْرِ، وَمَزَجَ  
 الْبُحُورَ فِي الْمُوشَّحَةِ الْوَاحِدَةِ، وَارْتِكَازَ الْإِيقَاعَ عَلَى اللَّحْنِ الْمَصَاحِبِ لَا عَلَى الْوِزْنِ الْعَرْضِيِّ فَحَسَبُ". (2) وَوَرَدَتْ

(1) صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص: 209.

(2) صلاح فضل: (طراز التوشيح بين الانحراف والتناس)، ص: 71.

عَلَى وَزْنِ (الرَّمَلِ)، وَهُوَ مِنَ الْأَوْزَانِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي فَنَّ الْمَوْشَّحَاتِ فَمِنْهَا مَا نُظِمَ عَلَى بَعْضِ الْأَبْحُرِ الْقَدِيمَةِ كَالرَّمَلِ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ. (1)

وَيُمْكِنُ تَفْسِيمُ بِنْيَةِ الْمَوْشَّحَةِ الشَّعْرِيَّةِ إِلَى أَرْبَعِ فِقْرَاتٍ حَيْثُ تُشَكِّلُ الْفَقْرَةُ بَيْتًا مُكَوَّنًا مِنَ الدَّوْرِ وَالْقُفْلِ، وَيَتَأَلَّفُ الدَّوْرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْطُرٍ وَرَدَتْ عَلَى نَسَقٍ تَقْفَوِيٍّ وَاحِدٍ، بَيْنَمَا يَتَأَلَّفُ الْقُفْلُ مِنْ شَطْرَيْنِ أَوْ غُصْنَيْنِ وَرَدَا عَلَى نَسَقٍ تَقْفَوِيٍّ وَاحِدٍ، أَوْ هُوَ يَتَأَلَّفُ مِنْ بَيْتٍ مُصَرَّعٍ. وَيَتَنَوَّعُ نَسَقُ الدَّوْرِ التَّقْفَوِيِّ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ وَيَحْتَفِظُ الْقُفْلُ بِنَسَقِهِ التَّقْفَوِيِّ نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ. وَقَدْ شَكَّلَ الْبَيْتُ أَوِ الدَّوْرُ وَالْقُفْلُ مَعًا الْوَحْدَةَ الْأَسَاسِيَّةَ أَوِ الْبِنْيَةَ الرَّئِيسَةَ الَّتِي تَتَكَرَّرُ مُنْتَجَةً الْبِنْيَةَ الْكُبْرَى أَوْ بِنْيَةَ الْمَوْشَّحَةِ.

وَيَتَضَحُّ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ فِي بَرَصِدِهَا فِي فِقْرَاتِهَا الْأَرْبَعَةِ:

1- الْفَقْرَةُ الْأُولَى:

نَحْنُ رَمَزُ الْفَخْرِ عُنْوَانُ الْإِبَابِ  
كَمْ رَفَعْنَا لِلْمَعَالِي طُوبَى  
وَسَلَّلْنَا لِلْأَعَادِي قُضْبًا  
أُمَّةٌ قَامَتْ بِتَوْجِيهِ النَّبِيِّ سَأَلُوا التَّارِيخَ عَنَّا هَلْ نَحِيبُ؟!  
وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ فِيهَا بِهَذَا التَّوْزِيعِ: (أ-أ-أ)+(ب-ب-ب).

2- الْفَقْرَةُ الثَّانِيَّةُ:

رَفَّرَقْتَ فَوْقَ السُّهَى رَايَاتِنَا  
وَسَمَتَ عَالِيَةً غَايَاتِنَا  
وَصَفَتَ خَالِصَةً نَيَّاتِنَا  
عِنْدَنَا الْحَقُّ بَعِيدٌ وَقَرِيبٌ وَاحِدٌ مِمِزَانُهُ فِي الرَّتَبِ  
وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ فِيهَا بِهَذَا التَّوْزِيعِ: (ج-ج-ج)+(ب-ب-ب).

3- الْفَقْرَةُ الثَّلَاثَةُ:

نَحْنُ لَا نَنْفَكُ مِنْ طُلَّابِهِ  
لَمْ نَرَ الدُّلَّ وَكُنْ نَرْضَى بِهِ  
وَلَقَدْ عَشْنَا بِذِكْرِ نَابِهِ  
وَمِنَ الْعِلْيَاءِ أَسْمَى مَنْصِبٍ فَمِنَ الْمَجْدِ لَنَا أَوْفَى نَصِيبِ  
وَيَرِدُ فِيهَا النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ بِهَذَا التَّوْزِيعِ: (د-د-د)+(ب-ب-ب).

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي، ص: 245.

قَدْ رَضَعْنَا الْعِزَّ مِمَّنْ سَلَفًا  
وَنَشَأْنَا بَيْنَ أَحْضَانِ الْوَفَا  
نَحْنُ أَحْفَادُ الْأَبَاةِ الشُّرَفَا  
ذَكَرَهُمْ يَعْلُو وَيَحْلُو وَيَطِيبُ وَمِنَ الْأَجْدَادِ أَخْلَاقُ الصَّبِي  
وَيَرْدُ فِيهَا النَّسَقُ التَّفْقُويُّ بِهَذَا التَّوْزِيعِ: (ه-ه-ه)+(ب-ب).

وَفِي إِعَادَةِ تَرْتِيبِ الْأَنْسَاقِ التَّفْقُويَّةِ بِشَكْلِ عَمُودِيٍّ فِي أَشْطَرِ الْأَدْوَارِ فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ مَلَاخِظَةَ التَّبَايُنِ الْإِيقَاعِيِّ

بِطَرِيقَةٍ أَوْضَحَ:

ف1: النَّسَقُ التَّفْقُويُّ (أ-أ-أ)

ف2: النَّسَقُ التَّفْقُويُّ (ج-ج-ج)

ف3: النَّسَقُ التَّفْقُويُّ (د-د-د)

ف4: النَّسَقُ التَّفْقُويُّ (ه-ه-ه)

فَهَذِهِ الْمَوْشَحَةُ تَتَمَيَّزُ بِتَنَوُّعِ النَّسَقِ التَّفْقُويِّ فِي كُلِّ دَوْرٍ، فَالْقُفْلُ يَعْمَلُ عَلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَى تَمَاسُكِ بِنْيَةِ الْمَوْشَحَةِ وَأَنْسَجَامِهَا وَأَنْسَاقِهَا إِيقَاعِيًّا بِنَسَقِهِ الثَّابِتِ وَيَعْمَلُ الدَّوْرُ عَلَى تَنْوِيعِ الْإِيقَاعِ بِنَسَقِهِ الْمُتَغَيِّرِ، فَيُتِيحُ لِلشَّاعِرِ التَّخَلُّصَ مِنْ رَتَابَةِ النَّسَقِ الْوَاحِدِ الْمُطْرَدِ السَّاكِنِ وَالْإِبْدَاعَ الْحُرِّ فِي إِطَارِ هَذَا النَّسَقِ الْمُتَغَيِّرِ الْمُتَحَرِّكِ، وَمِنْ ثَمَّ يُتِيحُ لَهُ التَّعْبِيرَ عَنِ فَخْرِهِ فِي فِقْرَاتٍ يَتَلَوَّنُ فِيهَا الْإِيقَاعُ التَّفْقُويُّ بِتَلَوُّنِ الْفِكْرِ وَالشُّعُورِ.

وَقَدْ نَجَدْنَا أَشْكَالًا أُخْرَى مِنَ التَّنْسِيقِ التَّفْقُويِّ تَجَسَّدَتْ فِي الْمَوْشَحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَمَا تُطَالَعُنَا نَمَازِجُ مِنْهَا فِي شِعْرِ سَيِّدِ قُطْبٍ، فِي النَّمُودَجِ (الصَّدِيقِ الْمَفْقُودِ!) تَتَأَلَّفُ الْمَوْشَحَةُ مِنْ سِتَّةِ فِقْرَاتٍ تَتَنَوَّعُ فِيهَا أَنْسَاقُ التَّقْفِيَّةِ فِي الْبَيْتِ (الدَّوْرُ وَالْقُفْلُ)، فَبِنْيَةُ الْمَوْشَحَةِ تَتَّخِذُ بَعْدَ الْمَطْلَعِ الْمُقْفَى بِالصُّورَةِ (ق/ر=أ/ب) وَالْمُتَّفِقِ مَعَ الْحَرْجَةِ وَمَعَ كُلِّ قُفْلٍ فِي الْمَوْشَحَةِ، وَهُوَ:

أَبْحَثُوا لِي مَا اسْتَطَعْتُمْ عَنْ صَدِيقٍ فَلَقَدْ أَعْيَانِي الْبَحْثُ الْكَثِيرُ!

مُخْلِصِ الطَّبَعِ لَهُ قَلْبٌ رَقِيقٌ خَالِصِ الْإِحْسَاسِ فَيَاضُ الشُّعُورِ

الشَّكْلَ الْآتِي:

سمط (شَطْرُ)

سمط (شَطْرُ) : الدَّوْرُ:

سمط (شَطْرُ)

الْبَيْتُ:

القُفْلُ: غصن (شَطْرُ) + غصن (شَطْرُ)

غصن (شَطْرُ) + غصن (شَطْرُ)

وَيَطْرُدُ هَذَا الشَّكْلُ فِي بِنْيَةِ الْمُوشَّحَةِ مَعَ تَنَوُّعِ التَّفْقِيَةِ فِي كُلِّ دَوْرٍ وَفِي قَفْلِ الْفَقْرَةِ الرَّابِعَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْفَقْرَةِ الْأُولَى مِنَ الْمُوشَّحَةِ<sup>(1)</sup>:

إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ يَهْفُو أَبَدًا  
لصَدِيقٍ أَصْطَفِيَهُ مُفْرَدًا  
وَأُرِيدُ الْوَدَّ رَطْبًا كَالنَّدَى

غَيْرَ أَنَّ الْكَوْنَ ذُو طَبْعٍ صَفِيْقٍ نَاضِبَ الْإِحْسَاسِ مَمْسُوخِ الضَّمِيرِ  
يَحْقِرُ الْإِخْلَاصَ فِي الْقَلْبِ الشَّفِيقِ وَيَرَى الْعَدْرَ بِإِعْجَابٍ جَدِيرٍ

وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ فِي بَيْتِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ (الدَّوْرُ (د/د/د)=(ج/ج/ج) وَالْقَفْلُ (ق/ق+ق/ق)=(أ/ب+أ/ب)) بِهَذَا التَّوْزِيْعِ: (أ-أ)+(ب-ب)+(ج-ج).

وَإِذَا كَانَ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ لِلدَّوْرِ يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ فَقْرَةٍ وَيَتَّحَمُّدُ فِي الْقَفْلِ فَإِنَّهُ فِي الْفَقْرَةِ الرَّابِعَةِ يُحَدِّثُ نَوْعًا مِّنَ التَّجْدِيدِ فِي تَغْيِيرِ تَقْفِيَّتِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

إِنَّ هَذَا الْعَطْفَ رَمَزٌ لِلخُلُودِ  
وَعِذَاءِ الرُّوحِ فِي هَذَا الْوُجُودِ  
كُلُّ مَا فِي الْكَوْنَ لَوْلَاهُ زَهِيدٌ

وَرَحِيبُ الْعَيْشِ لَوْلَا الْعَطْفُ ضَيْقٌ وَالنَّعِيمُ الْعِزْبُ مَسْلُوبُ النَّعِيمِ  
وَأَرَى الْإِنْسَانَ بِالْعَطْفِ خَلِيقٌ فِي جَحِيمِ الْعَيْشِ وَالْعَيْشُ جَحِيمٌ

وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ فِي بَيْتِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ (الدَّوْرُ (د/د/د)=(ج/ج/ج) وَالْقَفْلُ (ق/م+ق/م)=(أ/ز+أ/ز)) بِهَذَا التَّوْزِيْعِ: (ج-ج-ج)+(أ+ز)+(أ-ز).

فَتَقْفِيَّةُ الدَّوْرِ (د/د/د) وَرَمَزُهَا (ج/ج/ج) بَيْنَمَا يَنْتَهِي الْقَفْلُ أَوْ غُصْنَاهُ (أَوْ شَطْرَاهُ) بِتَقْفِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ (ق/م+ق/م) وَرَمَزُهَا (أ/ز+أ/ز).

وَتَطْرُدُ التَّقْفِيَّةُ فِي الْفَقْرَاتِ الْمُتَبَقِّيَّةِ بِهَذَا التَّوْزِيْعِ (ف=فقْرَة):

ف2: الدَّوْرُ: (ع/ع/ع)=(د/د/د).

القَفْلُ: (ق/ق+ق/ق)=(أ/ب+أ/ب).

ف3: الدَّوْرُ: (ب/ب/ب)=(هـ/هـ/هـ).

القَفْلُ: (ق/ق+ق/ق)=(أ/ب-أ/ب).

(1) سيد قطب: ديوان سيد قطب، جمع وتوثيق عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط: 4، 1430هـ-2009م، ص: 56.

(2) المصدر نفسه، ص: 57.

ف5: الدَّور: (ء/ء/ء)=(د/د/د).

القُفْل: (ق/ق)=(ق/ا)=(أ/ب-أ/ب).

ف6: الدَّور: (ل/ل/ل)=(و/و/و).

وتتنوعُ بِنَى الموشحاتِ في شعرِ سيدِ قطبٍ مع تنوعِ أنساقِها التَّفْويَّةِ، وهذا ما نلَمَسُه في بِنَى الموشحاتِ التَّالِيَةِ (المَاضِي)<sup>(1)</sup> و(عَهْدِ ذَاهِبِ)<sup>(2)</sup> و(الْبَعْثِ)<sup>(3)</sup> و(الشُّعَاعِ الخَائِبِي)<sup>(4)</sup> و(في الصَّحْرَاءِ)<sup>(5)</sup> و(غَيْرِهَا).  
ويُمْكِنُ القَوْلُ، أخيراً، إنَّ الشَّاعِرَ لَجَأَ إلى القَصِيدَةِ الموشَّحَةِ لِأنَّهُ وَجَدَ في بِنِيَةِ الموشَّحَةِ أداةً دَلَّةً على إمكانيَّةِ تحديثِ الشَّعْرِ العَرَبِيِّ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْرُجَ على أصالتهِ المُمَثِّلَةِ بِتَرْكِيبِهِ وإيقاعِهِ.<sup>(6)</sup>  
والمُلاحَظُ أنَّ الأنساقَ التَّفْويَّةَ الموحَّدةَ والمُنوعَةَ في القَصِيدَةِ الإسلاميَّةِ العَمُوديَّةِ تَكْشِفُ عَن عنايةِ الشَّاعِرِ الإسلاميِّ بإيقاعِ النَّسَقِ التَّفْويِّ في مَنه الشَّعْرِيِّ على أساسِ أنَّ النَّسَقَ التَّفْويِّ أحدُ المكوِّناتِ الشَّعْرِيَّةِ الفاعِلَةِ في بِنِيَةِ الإيقاعِ الخَارِجِيِّ للقَصِيدَةِ، وأنَّ ما يَتَّصِفُ بِهِ النَّسَقُ التَّفْويُّ مِنْ تَنْوِيعٍ وتَوْحِيدٍ أو مِنْ إطلاَقٍ أو تقييدٍ لَهُ عِلاَقَةٌ بالمضامينِ الدَّلاليَّةِ والوجدانيَّةِ إنَّ لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ هُوَ أحدُ تحليَّاتِ هَذِهِ البِنِيَةِ العميقةِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 76.

(2) المصدر نفسه، ص: 80.

(3) المصدر نفسه، ص: 111.

(4) المصدر نفسه، ص: 113.

(5) المصدر نفسه ص: 115.

(6) أنطوان محسن القوال: الموشحات الأندلسية، ص: 13.

- 2- الأَسَاقُ التَّقْفُويَّةُ فِي القَصِيدَةِ الحُرَّةِ
- 2-1- النَّسَقُ التَّقْفُويُّ المُوَحَّدُ المُنْتَظَرُ والمُقَيَّدُ
- 2-2- النَّسَقُ التَّقْفُويُّ المُنَوَّعُ المُنْتَظَرُ والمُقَيَّدُ

أَخَذَ النَّسَقُ التَّقْفُوِيَّ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ "وَجُودًا خَاصًّا يَتَنَاسَبُ مَعَ بِنَاءِ الْقَصِيدَةِ وَيَتَفَاعَلُ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ الْمُقَوِّمَاتِ الَّتِي تَسْتَوْعِبُهَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، فَالْقَافِيَةُ لَمْ يَعدْ لَهَا ذَلِكَ الْإِيقَاعُ الرَّتِيبُ مِنْ خِلالِ إِعَادَةِ الْأَصْوَاتِ كَمَا فِي شِعْرِنَا الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ، بَلْ صَارَتْ تَتَمَاشَى مَعَ طَلَاقَةِ الشَّعْرِ وَتَلْقَائِيَّتِهِ بِمَا تَفْرِضُهُ عَمَلِيَّةُ التَّفَاعُلِ بَيْنَ الْعَامِلِينَ الذَّاتِيَّ وَالْمَوْضُوعِيَّ فِي الْعَمَلِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ كَامِلَةً".<sup>(1)</sup> وَلَمْ يَخْتَفِ النَّسَقُ التَّقْفُوِيُّ مِنْ بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ، فَالشَّاعِرُ يَسْتَحْدِمُ نَوْعًا مِنَ التَّفْقِيَّةِ لِتَنَسِيقِ مُوسِيقَى جَاءَتْ فِي نِهَآيَةِ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ وَفِي نِهَآيَةِ الْوَقْفَةِ النَّفْسِيَّةِ الْكَامِلَةِ وَأَجْزَائِهَا فِي الْقَصَائِدِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الدُّورَاتِ التَّعْمِيَّةِ وَالْمَوْجَاتِ الشَّعْرِيَّةِ، وَلِهَذَا كَانَ لِرِزَامًا عَلَى الْقَافِيَةِ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ أَنْسَبَ صَوْتٍ يُمكنُ أَنْ تَنْتَهِيَ عِنْدَهَا الْوَقْفَةُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ وَالْإِنْتِقَالُ مِنْهَا إِلَى دَفْعَةٍ جَدِيدَةٍ، أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ مُشْكَلَةِ الرَّوِيِّ الَّذِي تَحْوُلُ بِدَوْرِهِ إِلَى أَنْ يَكُونَ صَوْتًا مُتَنَقِّلًا مُتَغَيِّرًا أَوْ مُتَّفِقًا لِكِنَّهُ لَا يَخْضَعُ لِتَنْظِيمٍ خَارِجِيٍّ مَفْرُوضٍ".<sup>(2)</sup> وَيَخْتَلِفُ النَّسَقُ التَّقْفُوِيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ مِنْ قَصِيدَةٍ إِلَى أُخْرَى، فَهُنَاكَ نَوْعٌ تَخَلَّصَتْ قَصَائِدُهُ مِنْ الْقَافِيَةِ تَمَامًا، وَهُنَاكَ نَوْعٌ اخْتَارَتْ فِيهِ الْقَصِيدَةُ عَدَمَ التَّفْقِيَّةِ فِي جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْهَا وَقَفَّتْ جُزْءًا طَوِيلًا مِنْهَا تَفْقِيَّةً مُكْتَفَةً، وَثَمَّةَ نَوْعٌ ثَالِثٌ اخْتَارَتْ قَصَائِدُهُ أَنْ تَكُونَ الْأَبْيَاتُ طَوِيلَةً جَدًّا وَأَنْ يَخْتِمَ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا بِقَافِيَةٍ مُتَّفِقَةٍ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَبْيَاتِ، وَأَخِيرًا هُنَاكَ نَوْعٌ رَابِعٌ صَارَتْ الْقَصِيدَةُ فِيهِ كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ مَهْمَا طَالَتْ الْقَصِيدَةُ، وَلَا مَجَالَ لِلْقَافِيَةِ فِيهَا مُطْلَقًا".<sup>(3)</sup>

وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّقْفُوِيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحُرَّةِ شَكْلَيْنِ تَقْفُوِيَيْنِ رَئِيسِيَيْنِ، هُمَا:

## 2-1- النِّسَقُ التَّقْفُوِيُّ الْمُوَحَّدُ (الْمَطْلُقُ وَالْمَقْيَدُ):

يَعْدُ النَّسَقُ التَّقْفُوِيُّ الْمُوَحَّدُ امْتِدَادًا لِلنَّسَقِ التَّقْفُوِيِّ الْمُوَحَّدِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَمُودِيَّةِ الَّتِي تَرْتَكِزُ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَدَايَةِ الْقَصِيدَةِ حَتَّى نِهَآيَتِهَا، وَقَدْ تَكُونُ الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى الَّتِي وُلِدَتْ فِيهَا الْقَصِيدَةُ الْحُرَّةُ مِنْ أَكْثَرِ الْمَرَاحِلِ انْتِشَارًا بِهَذَا الْإِسْتِحْدَامِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوحَ التَّرَاتِيْبِيَّةَ الْفَنِّيَّةَ مَا زَالَتْ هِيَ الْمُهَيِّمَةَ، كَمَا أَنَّ رُوحَ التَّمَرُّدِ وَالْإِنْفِلَاتِ مِنْ قُبُودِ الشَّكْلِ مَا زَالَتْ فِي بَدَايَتِهَا".<sup>(4)</sup> يَتَجَلَّى هَذَا النَّسَقُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ عَلَى مُسْتَوَيْنِ شَعْرِيَيْنِ؛ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ<sup>(\*)</sup> وَعَلَى مُسْتَوَى الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ<sup>(\*)</sup>.

## 2-1-1- النَّسَقُ التَّقْفُوِيُّ الْمُوَحَّدُ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ:

(1) جمال يونس: لغة الشعر عند سميح القاسم، ص: 208.

(2) السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، ص: 210.

(3) حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيد العربية، ص: 262.

(4) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 96.

(\*) السطر الشعري بنية جزئية غير مستقلة في القصيدة تستند إلى البنى الأخرى المشكلة لهيكل القصيدة العام.

(\*) الجملة الشعرية بنية جزئية إيقاعية مكثفة بذاتها من بنية القصيدة.

يَتَحَلَّى النَّسَقُ التَّفْقُويُّ المُوَحَّدُ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ فِي قَصِيدَةِ النَّارِ<sup>(1)</sup> الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْمِتْدَارِكِ)، وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ فِيهَا مُقَيَّدًا مُتْرَادِفًا (00/) مُمَثِّلًا صُورَةً إِيقَاعِيَّةً مُنْزَاحَةً، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي المَقْطَعِ رَقْمَ (1)<sup>(2)</sup>:

النَّارُ!

النَّارُ.. النَّارُ.. النَّارُ.. النَّارُ

وَعَدُّ يَنْصَبُ عَلَى عَيْنِي فَتَشْبُ النَّارُ

قَدَمِي فِي البَحْرِ وَفِي الآفَاقِ يُضِيءُ فَنَارُ

مَا بَيْنَ اللَّحْظَةِ وَالْأُخْرَى سَيَجِيءُ قَرَارُ

عُمْرِي يَمْضِي.. وَالوَعْدُ نَهَارُ

لَكِنَّ اللَّيْلَ يَلْزَمُنِي وَيَدُورُ حِصَارُ

وَيَشُدُّ القَيْدَ عَلَى قَدَمِي وَيَعِزُّ فِرَارُ

الْأُفُقُ أَمَامِي مُمْتَدُّ فَحَذَارِ حَذَارُ

وَيَضِيعُ الأَصْحَابُ عَلَى دَرْبِي وَيَعِزُّ الجَارُ

وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ المُوَحَّدُ المَقْيَدُ فِي هَذَا المَقْطَعِ الشَّكْلَ الآتِي (س=سطر):

س1=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نارُ=لانُ=00/.

س2=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نارُ=لانُ=00/.

س3=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نارُ=لانُ=00/.

س4=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نارُ=لانُ=00/.

س5=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=رارُ=لانُ=00/.

س6=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نارُ=لانُ=00/.

س7=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=صارُ=لانُ=00/.

س8=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=رارُ=لانُ=00/.

س9=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=ذارُ=لانُ=00/.

س10=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=جارُ=لانُ=00/.

وَيَتَكَرَّرُ هَذَا النَّسَقُ التَّفْقُويُّ المُوَحَّدُ فِي كُلِّ سَطْرٍ القَصِيدَةِ بِالشَّكْلِ المُتْرَادِفِ المُتَقَدِّمِ ذَاتِهِ (00/)، يَقُولُ

الشَّاعِرُ فِي المَقْطَعِ رَقْمَ (4)<sup>(3)</sup>:

النَّارُ!

(1) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، ص: 16.

(2) المصدر نفسه، ص: 16.

(3) المصدر نفسه، ص: 18.

النَّارُ..النَّارُ..النَّارُ

شَيْءٌ يَنْصَبُ عَلَيَّ حَسَدِي فَتَشَبُّ النَّارُ

أَمْضِي لَكِنْ يَمْنَعُنِي فِي الدَّرْبِ جِدَارٌ

وَأَحْسُ بِأَنِّي لَمْ أُعْطِ خِيَارًا

وَبِأَنِّي لَأَ أَمْلِكُ مَا يَدْفَعُنِي لِعُبُورِ النَّارِ

وَأَظَلُّ أَنْادِي مَنْ يُتَقَدُّنِي..فَيَزِيدُ عَثَارًا

وَجَعَّ الإِحْسَاسَ يَهِيحُ قَلِيلًا فَيَصِيرُ سَعَارًا

فَالنَّسَقُ التَّفْقُويُّ المُوَحَّدُ يَتَّخِذُ الصُّورَةَ (00/) فِي جَمِيعِ السُّطُورِ، فِي السُّطُورِ الثَّمَانِيَةِ الأُولَى يَرِدُ عَلَيَّ

الشَّكْلُ:

س1=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نار=لان=00/.

س2=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نار=لان=00/.

س3=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نار=لان=00/.

س4=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=دار=لان=00/.

س5=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=حار=لان=00/.

س6=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نار=لان=00/.

س7=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=ثار=لان=00/.

س8=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=عار=لان=00/.

وَيَرِدُ فِي السُّطْرَيْنِ الأَخِيرَيْنِ عَلَيَّ الشَّكْلُ:

س13=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=وار=لان=00/.

س14=(أ)، وَصُورُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ ((ر))=نار=لان=00/.

وَإِذَا كَانَ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ فِي الأُسْطُرِ الشَّعْرِيَّةِ يُشَكِّلُ نَوْعًا مِنَ الأَنْسَاقِ المُتَكَرِّرَةِ المُتَوَالِيَةِ الَّتِي تُكْرَسُ إِيقَاعًا

رَتِيبًا حَادًّا وَبَارِزًا فَإِنَّ هَذَا النَّسَقَ يَتَوَلَّدُ نَتِيجَةً لِلإِنْفِعالِ العَنِيفِ والشُّعُورِ المُتَوَتِّرِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُكْهَرِبُ التَّجْرِبَةَ

الشَّعْرِيَّةَ وَيَتَفَاعَلُ مَعَهَا سَطْرًا سَطْرًا، وَيُصْبِحُ إِيقَاعُهُ أَكْثَرَ وَضُوحًا فِي القَصِيدَةِ، وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُ أَنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مِنْ

فِكْرَةٍ نَبَذَ القَافِيَةَ وَإِرسَالَ الشَّعْرِ فَإِنَّ الشَّعْرَ الحُرَّ بِالأَذَاتِ يَحْتَاجُ إِلَى القَافِيَةِ احتِياجًا حَاصًّا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ شِعْرٌ يَفْقَدُ

بَعْضَ المَزَايَا المُوسِيقِيَّةِ المُتَوَافِرَةِ فِي شِعْرِ الشُّطْرَيْنِ الشَّائِعِ، إِنَّ الطُّولَ الثَّابِتَ لِلشُّطْرِ العَرَبِيِّ الحَلِيلِيِّ يُسَاعِدُ السَّامِعَ

عَلَى التِّقَاطِ النَّبْرَةِ المُوسِيقِيَّةِ وَيُعْطِي القَصِيدَةَ إِيقَاعًا شَدِيدَ الوُضُوحِ بِحَيْثُ يُخَفِّفُ ذَلِكَ مِنَ الحَاجَةِ إِلَى القَافِيَةِ

الصَّلْدَةِ الرِّثَانَةِ الَّتِي تُصَوِّتُ فِي آخِرِ كُلِّ شَطْرٍ فَلَا يَعْغَلُ عَنْهَا إِنْسَانٌ. وَأَمَّا الشَّعْرُ الحُرُّ فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَابِتَ الطُّولِ وَإِنَّمَا

تَتَغَيَّرُ أَطْوَالُ أَشْطُرِهِ تَغْيِيرًا مُتَّصِلًا، فَمِنْ ذِي تَفْعِيلَةٍ إِلَى ثَانِ ذِي ثَلَاثِ إِلَى ذِي اثْنَيْنِ وَهَكَذَا، وَهَذَا التَّنَوُّعُ فِي العَدَدِ،

مَهْمَا قُلْنَا فِيهِ، يُصَيِّرُ الْإِيْقَاعَ أَقْلًا وَضُوحًا وَيَجْعَلُ السَّمْعَ أضعْفَ قُدْرَةَ عَلَى التَّقَاطِ النَّعْمِ فِيهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنْ مَجِيءَ الْقَافِيَةِ فِي آخِرِ كُلِّ سَطْرٍ، سَوَاءً أَكَانَتْ مُوَحَّدَةً أَمْ مُنَوَّعَةً، يُعْطِي هَذَا الشَّعْرَ الْحُرَّ شِعْرِيَّةً أَعْلَى. (1)

وَيَتَجَلَّى النَّسْقُ التَّفْقُويُّ الْمُوَحَّدُ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ فِي قَصِيدَةِ (لَا تَقُولِي) (2)، الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسْقِ (الرَّمْلِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ تِسْعَةِ عَشَرَ سَطْرًا، وَرَدَّ فِيهَا النَّسْقُ مُقَيَّدًا مُتْرَادِفًا مُتَوَالِيًا فِي كُلِّ السُّطُورِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِيهَا (3):

لَا تَقُولِي: الْحُزْنَ شَاعٌ

إِنَّهُ شَاعٌ وَذَاعٌ

كَيْفَ لَأ.. وَالْأُمَّةُ الْعَرَاءُ فِي دَرْبِ الضِّيَاعِ

لَمْ تَزَلْ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ الَّذِي.. يَقْتُلُ أَحْلَامَ الشَّرَاعِ

كَيْفَ لَأ.. وَالْعَالَمُ الْمَسْكُونُ بِالْوَهْمِ يُعَذِّبُهُ الصَّرَاعِ

كَيْفَ لَأ.. وَالْأَرْضُ نَعْرٌ بَائِسُ اللَّفْظِ يُنَادِي أَيْنَ يَا قَوْمُ وَمَا هَذَا الصُّدَاعِ

لَا تَقُولِي.. فَوْقَ مَا قُلْتَ فَبَعْضُ الْقَوْلِ يَا لَأَيْمَتِي لَا يُسْتَطَاعُ

أَنَا لَمْ أَسْتَوْقِفُ الْفَجْرَ وَلَمْ أُسْرِقْ مِنَ الشَّمْسِ الشُّعَاعِ

أَنَا أَبْصَرْتُ عَلَى دَرْبِ الْأَسَى طِفْلًا لَهُ عَيْنٌ وَرِجْلٌ وَذِرَاعُ

وَلَهُ ذَاكِرَةٌ مَتَّقُوبَةٌ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَمِنْ جَوْرِ النَّزَاعِ

أَنَا أَبْصَرْتُ عَلَى بَابِ الْأَسَى أُمَّا لَهَا بَاعُ

وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْفَرَحَةِ بَاعٌ...

لَا تَقُولِي الْحُزْنَ شَاعٌ.. إِنَّهُ شَاعٌ وَذَاعٌ

مُنْذُ أَنْ أُغْلِقَ بَابَ الْمَجْدِ، وَالْمِفْتَاحُ ضَاعُ

لَمْ يَضِعْ.. لَكِنَّ مَنْ يُحْسِنُ فَتْحَ الْبَابِ ضَاعُ

يَبْتَنِّظُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ نَسْقُ تَقْفُويُّ مُوَحَّدٌ تَتَكَرَّرُ صُورَتُهُ (لَات = /00) عَلَى مُسْتَوَى كُلِّ سَطْرٍ، وَيَتَّخِذُ هَذَا

النَّسْقُ فِي السُّطُورِ الْخَمْسَةِ الْأُولَى الشَّكْلَ الْآتِي:

س1=(أ)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (رَع)=شَاع=لَات=/00).

س2=(أ)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (رَع)=ذَاع=لَات=/00).

س3=(أ)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (رَع)=يَاع=لَات=/00).

س4=(أ)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (رَع)=رَاع=لَات=/00).

س5=(أ)، وَصُورَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ (رَع)=رَاع=لَات=/00).

(1) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 191.

(2) عبد الرحمن العشماوي: القدس أنت، ص: 218.

(3) المصدر نفسه، ص: 218.

وَيَتَّخِذُ الشَّكْلَ ذَاتَهُ فِي السَّطْرَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ:

س16=(أ)، وصورته الصوتية والعروضية (ع) = ضاع = لات = /00).

س17=(أ)، وصورته الصوتية والعروضية (ع) = ضاع = لات = /00).

وَوَاضِحٌ أَنَّ الْقَصِيدَةَ تَلْتَزِمُ بِالنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ الْمُوَحَّدِ الْمُقَيَّدِ الَّذِي يَرْتَكِزُ عَلَى رَوِيِّ الْعَيْنِ السَّاكِنِ الْمَسْبُوقِ بِصَوْتِ مَدٍّ طَوِيلٍ، مِمَّا يُكُونُ مَقْطَعًا صَوْتِيًّا مُمْتَدًّا عَلَى مَدَى السُّطُورِ مُنْتَجًا إِيقَاعًا رَتِيبًا مُسْتَمِرًّا يُصَوِّرُ الْوَجَعَ الَّذِي يَحْمِلُهُ الشَّاعِرُ، وَقَدْ أَلْفَ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَمُودِيِّ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّقْفِيَّاتِ الْمُتَجَانِسَةِ (شَاعٍ، ذَاعٍ، بَاعٍ، ضَاعٍ...) الَّتِي تَدْعُمُ الْإِيْقَاعَ الْمَاسَاوِيَّ الْعَامَّ وَالشُّعُورَ الْمُتَّازِمَ فِي الْقَصِيدَةِ، فَهُوَ بِمِثَابَةِ اللَّازِمَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ الْمُتَجَسِّدَةِ فِي تَكَرَّرِ أَصْوَاتِ مُنْسَجِمَةٍ مَعَ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلشَّاعِرِ الَّذِي لَا تَتَّحَدُّ رُؤْيَاهُ فِي الْكَلِمَةِ وَالْوِزْنَ فَقَطْ، وَإِنَّمَا فِي الْقَافِيَةِ أَيضًا.<sup>(1)</sup> وَيُعَدُّ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ" مِنْ أَبْسَطِ أَنْوَاعِ التَّقْفِيَّةِ الْبَسِيطَةِ الْمُوَحَّدَةِ، إِذْ أَنَّهُ تَنْهَضُ عَلَى أَسَاسِ تَكَرَّرِ قَافِيَةٍ مُوَحَّدَةٍ فِي كُلِّ سَطْرِ شَعْرِيٍّ، قَدْ تَعَاقَبَ تَعَاقُبًا لَا انْقِطَاعَ فِيهِ وَقَدْ تَنْقَطِعُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ لَكِنَّهَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ تَعْتَمِدُ السَّطْرَ أَسَاسًا لَهَا".<sup>(2)</sup>

## 2-1-2- النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ عَلَى مُسْتَوَى الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ:

يَتِمَّتْ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ عَلَى مُسْتَوَى الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي تَكَرَّرِ نَسَقِ تَقْفَوِيٍّ وَاحِدٍ يَقَعُ فِي نِهَائِيَّاتِ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ، وَيَعُدُّ هَذَا النَّسَقُ أَكْثَرَ فَنِيَّةً وَأَبْعَدَ تَأْثِيرًا مِنَ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ الْمُوَحَّدِ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ وَ"ذَلِكَ بِسَبَبِ قَلَّةِ التَّقْفِيَّاتِ الْمُسْتَحْدَمَةِ قِيَاسًا إِلَى تَقْفِيَّةِ السَّطْرِ، مِمَّا يُقَلِّلُ مِنَ الْمَلَلِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُحْدِثَهُ الضَّعْفُ الْمُتَوَاصِلُ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَدَايَةِ الْقَصِيدَةِ حَتَّى نِهَائِيَّتِهَا وَبِتَكَرَّرِ مُتَّالٍ لَا يَتَوَقَّفُ وَبِدُونِ فَوَاصِلٍ مَعْقُولَةٍ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ التَّقْفِيَّةُ الْفَنِيَّةُ لَا تَكَادُ تَخْتَلِفُ عَنْهَا كَثِيرًا فَكِلَاهُمَا يَعْتَمِدُ النَّظَامُ التَّقْفَوِيَّ نَفْسَهُ".<sup>(3)</sup>

وَيَتَحَلَّى النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُوَحَّدُ الْمَطْلُوقُ عَلَى مُسْتَوَى الْجُمْلَةِ فِي قَصِيدَةِ (الكَأْسِ)<sup>(4)</sup> الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْمُتَدَارِكِ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ تِسْعِ جُمَلٍ شَعْرِيَّةٍ، يَقَعُ فِي نِهَائِيَّةِ كُلِّ جُمْلَةٍ نَسَقُ تَقْفَوِيٍّ مُوَحَّدٍ، فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ يَرِدُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمَطْلُوقُ فِي نِهَائِيَّةِ الْجُمْلَتَيْنِ الشَّعْرِيَّتَيْنِ عِنْدَ كَلِمَةِ (الْأَيَّامِ) فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى وَعِنْدَ كَلِمَةِ (حَمَامِ) فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَّةِ، وَيَأْخُذُ الشَّكْلَ (يَامُ=0/0-مَامُ=0/0)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

يَا هَذَا الْجَسَدَ الْمُرْشُوقَ بِعَاصِفَةِ الْحُزْنِ

(1) ناصر علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 2001ص: 227.

(2) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 97.

(3) المرجع نفسه، ص: 105.

(4) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوارة، ص: 13.

(5) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

القَارِسِ، مَا فَعَلْتَ بِشَوَارِعِكَ الْآيَامُ؟

أَتَرَى مَا زَالَ هَجِيرُ الصَّحْرَاءِ يَهْزُ

بِحَارِكَ هَزًّا تَسَاقُطُ أَنْتَ عَلَى كَنَفِكَ

رِصَاصًا يُشْعَلُ فِي رِثْتِكَ الرَّعْبَ، فَيَسْقُطُ

مِنْ عَيْنِكَ حَمَامٌ وَيَطِيرُ حَمَامٌ.

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ الثَّانِي مِنْ حُمْلَتَيْنِ شَعْرِيَّتَيْنِ، تَنْتَهِي الْأُولَى عِنْدَ كَلِمَةِ (غَمَامٌ)، وَتَنْتَهِي الثَّانِيَةُ عِنْدَ

كَلِمَةِ (نِظَامٌ)، وَيَتَشَكَّلُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ الْمُوَحَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ (مَامٌ=0/0)، وَ(ظَامٌ=0/0)، وَيُمَيِّزُهُمَا صَوْتُ

الرَّوِيِّ (الميم)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَتَرَى مَا زِلْتَ وَرَاءَكَ تَلَهْتُ كَالْمَخْمُورِ

وَفِي الرَّمْلِ الْعَضْبَانَ تَسُوخُ حَوَافِرِكَ الظَّمْأَى

فَإِذَا أَشْجَارُ الْمَلْحِ الْهَائِجِ تُورِقُ فِي

عَيْنِكَ فَلَا جُرْحَ يُحْيِيكَ وَلَا يُحْيِيكَ

غَمَامٌ.

يَا جَسَدِي أَتَجِدُ شَوْقِي الْفَوَاحِ، وَأَتِهِمْ

حُزْنِي ضِدَانٍ بَدَاتِي لَنْ يُجْتَمِعَا، وَشَتَاتِي

لَيْسَ لَهُ الدَّهْرَ نِظَامٌ.

وَيَقَعُ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ الْمُوَحَّدُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ فِي نَهَايَةِ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ الشَّدِيدَةِ الطُّوْلِ عِنْدَ كَلِمَةِ (كَرَامٌ)،

وَيَأْخُذُ الشَّكْلَ (رَامٌ=0/0)، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَشْعَلُ سِتَّةَ عَشْرَ سَطْرًا مِنْ فِضَاءِ

الْوَرَقَةِ<sup>(2)</sup>:

يَا جَسَدِي.....

أَنَا مَا زِلْتُ عَلَى كَنَفِي أَحْمِلُ أَحْجَارًا

عِنْدَ طُلُوعِ الْعَضْبِ الْجَبَّارِ عَلَى بَلَدِي

الْمَسْرُوقِ جَهَارًا، بَلَدِي أَعْشَبَ وَادِيهِ وَنَمَا

بِهِ الزَّهْرُ الْفَاتِنُ، لَكِنْ أَسْأَلُهُ خُبْرًا

يُعْطِينِي حَجْرًا. بَلَدِي هَذَا الْمَسْرُوقُ وَإِنْ

جَارَ عَلَيَّ عَزِيزٌ، وَالْأَهْلُ وَإِنْ قَطَعُوا

حَبْلَ الْوَصْلِ عَلَيَّ كِرَامٌ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 14.

(2) المصدر نفسه، ص: 15.

وَيَقَعُ النَّسَقُ التَّفْوِيءُ الْمُوَحَّدُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ فِي نِهَائِهِ الْجُمْلَةُ الشَّعْرِيَّةُ عِنْدَ كَلِمَةِ (الْأَنْسَامِ)، وَتُعَدُّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ أَقْلًا امْتِدَادًا مِنَ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ، وَيَأْخُذُ النَّسَقُ الشَّكْلَ (سَامٌ=0/0)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

جَسَدِي، مَنْ يَرْمِيكَ بَعِيدًا عَنِّي؟ مَنْ  
يَرْمِيكَ بَعِيدًا؟ مَنْ يَرْمِيكَ؟ هِيَ الْآبَارُ  
تَمُرُّ بِهَا حَيْلِي عِنْدَ اللَّيْلِ، فَلَا بَرُّ  
تَأْوِيكَ، وَلَكِنْ أُسْقَطُ. يَبْقَى حَبْلٌ مِنْ  
مَسَدٍّ يَرْبِطُنَا. تَبْقَى أَنْتَ عَلَى الشَّطِّ  
تُصَافِحُكَ الْأَنْسَامُ، وَلَا تُذَكِّي فِيكَ لَهَيْبَ  
الثُّورَةِ هَذَا هَذَا الْأَنْسَامِ.

وَيَقَعُ النَّسَقُ التَّفْوِيءُ الْمُوَحَّدُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ فِي نِهَائِهِ الْجُمْلَةُ الشَّعْرِيَّةُ عِنْدَ كَلِمَةِ (حَرَامٌ)، وَيَأْخُذُ النَّسَقُ الشَّكْلَ (رَامٌ=0/0)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

.....فَمَنْ يَرْمِينِي  
عَنكَ بَعِيدًا؟ مَنْ يَرْمِينِي حَتَّى أَخْرَجَ مِنِّي؟  
هَذَا إِنِّي أَنْتَفِضُ الْآنَ، وَأُفْشِي السَّرَّ، لَأُقْتَلَ  
بَيْنَ مُرُوجِ خَلِيصٍ وَعَسْفَانَ، هَلِ الْقَتْلُ  
حَبِيبِي بِيَدَيْكَ حَرَامٌ.

وَيَقَعُ النَّسَقُ التَّفْوِيءُ الْمُوَحَّدُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ فِي نِهَائِهِ الْجُمْلَتَيْنِ الشَّعْرِيَّتَيْنِ عِنْدَ كَلِمَةِ (مَلَامٌ) فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى وَعِنْدَ كَلِمَةِ (الْأَيَّامِ) فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ، وَيَأْخُذُ النَّسَقُ الشَّكْلَ (لَامٌ=0/0-يَامٌ=0/0)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

أَهْ خَلِيلِي نَاوِلِنِي الْكَأْسَ، فَإِنَّ عِظَامِي  
تَشْكُو ظَمًا قَتَالًا. نَاوِلِنِي الْكَأْسَ عَسَاهَا  
تَمَخَّرُ أَدْعَالَ رَمَادِي. نَاوِلِنِيهَا.. قَدْ  
يَنْفَدُ مَا بَقَرَارَتِهَا. وَتَظَلُّ ضُلُوعِي تَبْحَثُ  
عَنْ كَأْسٍ أُخْرَى تُطْفِئُ مَا بِخَمَائِلِهَا مِنْ  
لَهَبٍ تَجَّاحٍ. نَاوِلِنِي الْكَأْسَ، وَلَا تَسْقُ  
فِيَا فِي ذَاتِي سِرًّا إِنْ أَمَكْنَ أَنْ تَسْقِيَهَا  
بِالْجَهْرِ، فَلَيْسَ عَلَيَّ الْمَحْنُونَ مَلَامٌ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 16.

(2) المصدر نفسه، ص: 19.

(3) المصدر نفسه، ص: 20.

نَاوِلْنِي الكَأْسَ وَلَا تَسْأَلْ مَا فَعَلْتَ

بِشَوَارِعِي الأَيَّامِ.

والملاحظ أن النسق التقفوي الموحد في القصيدة تشكل من الأنساق التقفوية لكل جملة شعرية من الجمل التسعة، وأخذ الشكل الآتي (ج=جملة شعرية):

ج1: (يأم=0/0) + ج2: (مأم=0/0) + ج3: (مأم=0/0) + ج4: (ظأم=0/0) + ج5: (رأم=0/0) + ج6: (سأم=0/0) + ج7: (رأم=0/0) + ج8: (لام=0/0) + ج9: (يأم=0/0).

وقد أتت هذه الأنساق على مسافات متباعدة في أكثر الجمل لطول بعض الجمل استجابة للدقة الشعورية، فإذا كانت المسافة بين النسق التقفوي الأول (ج1: (يأم=0/0)) والنسق الثاني (ج2: (مأم=0/0)) ثلاثة أسطر فإن المسافة بين النسق التقفوي الرابع (ج4: (ظأم=0/0)) والنسق الخامس (ج5: (رأم=0/0)) خمسة عشر سطرًا. ويعمل هذا التوزيع للأنساق التقفوية من خلال هذه المسافات على تخليص القصيدة من رتابة الإيقاع، وفي الوقت نفسه على تأكيد أهمية هذه الأنساق بوصفها فواصل قوية بين الجمل تُثير في النفوس أنغامًا وأصداءً و"الشعر الحرُّ أحوج ما يكون إلى الفواصل خاصة بعدما أغرقوه بالثرثرة الباردة".<sup>(1)</sup>

ومن الوسائل التي لجأت إليها القصيدة لقطع تيار الرتابة المحتملة للنسق التقفوي الموحد المتتالي وتعويض الإيقاع المترجح إحداث أنساق تقفوية داخلية مختلفة في حشو الجمل الشعرية يمكن الاستراحة عندها والوقوف لأخذ النفس في قصيدة مدورة بشكل واضح، كالتسقين (كفبك-رتبك) والتسقين (حمام) و(حمام) و(الفتان-الأحزان-الآن)، وتقوم بعض الأنساق التقفوية بمضاعفة كثافتها الإيقاعية حين تشكل بني متجانسة (حمام-غمام-كرام-حرام).

## 2-2- النسق التقفوي المتنوع المطلق والمقيد:

يأتي النسق التقفوي المتنوع في القصيدة الحرة استجابة للشرط الفني الإيقاعي والنسبي الشعوري، الذي تُعلن عنها العلاقة "بين صورة القافية-كشكيل موسيقي-وبين الحالة النفسية والشعورية، باعتبار أن الموسيقى تتحكم في صورة الانفعال المرتبط بها، ومن ثم في اختيار (الكلمة الأخيرة) المناسبة لذلك الانفعال بحيث تتنوع النغمات وفقًا لتنوع المشاعر، ودون أن تفقد القصيدة وحدتها الصوتية المتناسكة وترابطها الواضح".<sup>(2)</sup> ويتخذ النسق التقفوي المتنوع في القصيدة الإسلامية الحرة شكلين أساسيين، وهما:

## 2-2-1- النسق التقفوي المتنوع المتقاطع:

(1) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 192.

(2) إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص: 251.

يَرُدُّ النَّسْقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمُتَقَاطِعُ\* فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ التَّقَاطِعِ الْمُنْتَظَمِ بَيْنَ نَسَقَيْنِ تَقْفُويَيْنِ، فَيَتَعَادَلُ إِيقَاعُهُمَا، وَقَدْ يُهَيِّمُنُ أَحَدُ النَّسَقَيْنِ عَلَى الْآخَرِ فَيَكُونُ بِإِيقَاعِهِ النَّسْقَ التَّقْفُويَّ الْأَسَاسِيَّ أَوْ الْمِحْورِيَّ، وَيَكُونُ النَّسْقُ الْآخَرَ تَانُويًّا أَوْ هَامِشِيًّا، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا النَّسْقُ مُقَيَّدًا مُتَنَاوِبًا عَبْرَ مُزَاجَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ فِي قَصِيدَةِ النَّشِيدِ الْإِسْلَامِيِّ<sup>(1)</sup> الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْ سَبْعَةِ مَقَاطِعَ، وَيَتَقَاطِعُ أَوْ يَتَنَاوَبُ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ مِنْهَا نَسْقَانِ تَقْفُويَانِ، وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ مِنْ سَبْعَةِ سُطُورٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

عَقِيدَتِي تَقُودُنَا عَبْرَ الطَّرِيقِ  
يَصُونُهَا الْيَقِينُ

تَكْلُوهَا رِعَايَةُ الرَّحْمَنِ مِنْ مَخَاطِرِ الطَّرِيقِ

فَتَطْمَئِنُّ لِلْوُصُولِ فِي يَقِينِ

وغيرُنا تَاهُوا عَلَى الطَّرِيقِ

إِذْ آتَرُوا أَنْ يَرَحُلُوا بِلَا يَقِينِ

فَاضْطَرَبَتْ مَسَالِكُ الْمَسِيرِ.. ضَلَّ عَنْهُمْ الطَّرِيقُ

وَيَتَّخِذُ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمُتَقَاطِعُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ الشَّكْلَ الْآتِي (ق=نسق تقفوي):

ق 1 = (أ-ب-أ-ب-أ-ب-أ=ق-ن-ق-ن-ق-ن-ق).

فَالْتَنَاوُبُ جَارٍ بَيْنَ النَّسَقَيْنِ (أ=ق) وَ(ب=ن) عَلَى مَدَى السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ السَّبْعَةِ، فَيَتَكَرَّرُ النَّسْقُ (أ=ق) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَيَتَكَرَّرُ النَّسْقُ (ب=ن) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الثَّانِي مِنْ سَبْعَةِ سُطُورٍ شَعْرِيَّةٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

عَقِيدَتِي تُخَاطِبُ الْإِنْسَانَ

تَمْنَحُهُ الصِّرَاطَ نَحْوَ اللَّهِ فِي مَفَاوِزِ الْأَمَادِ

تُزِيلُ مِنْ طَرِيقِهِ الْأَوْثَانَ

تُنْقِذُهُ مِنْ وَجَعِ الْإِذْلالِ وَالضِّيَاعِ وَالْفَسَادِ

تُخْرِجُهُ مِنْ زَحْمَةِ الدُّنْيَا، وَضَيِّقِهَا، مِنْ عَبَثِ السُّلْطَانِ

وَمِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ

تَعُدُّهُ بِالْخَيْرِ، وَالسَّلَامِ، وَالْأَمَانِ

وَيَتَّخِذُ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمُتَقَاطِعُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي الشَّكْلَ:

(\* وهو نفسه النسق التقفوي المتناوب أو المتروج أو المزدوج.

(1) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، ص: 77.

(2) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ق2=(ج-د-ج-د-ج-د-ج=ن-د-ن-د-ن-د-ن).

وَيَتِمُّ التَّنَاوُبُ بَيْنَ النَّسَقَيْنِ (ج=ن) وَ(د=د) عَلَى فِي السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ السَّبْعَةِ، فَيَتَكَرَّرُ النَّسَقُ (ج=ن) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَيَتَكَرَّرُ النَّسَقُ (د=د) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الثَّلَاثُ مِنْ سَبْعَةِ سَطُورٍ شَعْرِيَّةٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

عَقِيدَتِي تُلَاحِقُ الضَّلَالُ

تُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنَ الْفُجُورِ وَالْآثَامِ

تُرِيدُهَا دُنْيَا يَسُودُهَا النَّقَاءُ وَالْكَمَالُ

وَتَحْتَفِي الْأَوْجَاعُ وَالْآلَامُ

تُرِيدُهَا دَفْقًا مِنَ الْآمَالِ

تُخْفِقُ فِي جَنَاتِهَا الْأَحْلَامُ

يَنْصَبُ فِي بُسْتَانِهَا الشَّلَالُ

وَيَتَّخِذُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمَقْطَاعِ فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ الشَّكْلَ:

ق3=(ه-و-ه-و-ه-و-ه=ل-م-ل-م-ل-م-ل).

وَيَتِمُّ التَّنَاوُبُ بَيْنَ النَّسَقَيْنِ (ه=ل) وَ(و=م) عَلَى فِي السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ السَّبْعَةِ، فَيَتَكَرَّرُ النَّسَقُ (ه=ل) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَيَتَكَرَّرُ النَّسَقُ (و=م) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَعَلَى هَذَا الْإِنْتِظَامِ تَطَرَّدُ الْأَنْسَاقُ التَّفْقُويَّةُ مُتَقَاطِعَةً مُتَنَاوِبَةً فِي الْمَقَاطِعِ الْأَرْبَعَةِ، وَتَتَّخِذُ الْأَشْكَالَ:

ق4=(ح-ط-ح-ط-ح-ط-ح=ع-ب-ع-ب-ع-ب-ع).

ق5=(ك-ل-ك-ل-ك-ل-ك=ع-ت-ع-ت-ع-ت-ع).

ق6=(م-ط-م-ط-م-ط-م=ح-ب-ح-ب-ح-ب-ح).

ق7=(ن-ل-ن-ل-ن-ل-ن=ي-ت-ي-ت-ي-ت-ي).

وَيُهَيِّمُنُ فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعِ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ السَّطْرُ الْأَوَّلُ مِنْ كُلِّ مَقْطَعٍ، أَيْ أَنَّ الْأَنْسَاقَ ((ح=ع) وَ(ك=ع) وَ(م=ح) وَ(ن=ي)) هِيَ الْأَنْسَاقُ الرَّئِيسَةُ الَّتِي تُمَيِّزُ إِيقَاعَ الْقَصِيدَةِ الْمُنَوَّعِ، وَيَكُونُ إِيقَاعُهُ أَكْثَرَ انْتِشَارًا وَامْتِنَادًا إِذْ تُحِيطُ بِالْمَقْطَعِ وَتَتَخَلَّلُهُ.

وَيَتَشَكَّلُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ تَبَعًا لِقَانُونِ التَّنَاوُبِ الَّذِي يَحْكُمُ عِلَاقَةَ الْمَشَابَهَةِ وَالْمُخَالَفَةِ بَيْنَ السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ، فَالسَّطْرُ الشَّعْرِيُّ الْأَوَّلُ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ يَخْتَلِفُ مَعَ السَّطْرِ الثَّانِي وَيَتَّفِقُ مَعَ السَّطْرِ الثَّلَاثِ، وَهَكَذَا بِهِذِهِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 78.

الْحَرَكَةِ يَتِمُّ ابْنَاءُ الْأَنْسَاقِ التَّفْقُويَّةِ إِلَى آخِرِ سَطْرٍ، وَيُلَاحِظُ هَذَا فِي النَّسَقِ التَّفْقُويِّ الَّذِي يُمَيِّزُهُ رَوِيُّ الْعَيْنِ  
الْمَجْهُورِ الْمُقَيَّدِ فِي الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ (1):

عَقِيدَتِي تُفَجِّرُ الْإِبْدَاعَ  
تَنْفُخُ نَارَ اللَّهِ فِي أَوْرِدَةِ الْحَيَاةِ  
فَيُخَفِّقُ الشَّرَاعَ  
وَتَنْطَلِقُ مَوَاكِبُ الْوَعُودِ فِي الْعِدَاةِ  
آمَنَةً مِنْ لُجَّةِ الصِّيَاغِ  
مَحْفُوظَةً بِكَلِمَةِ الْإِلَهِ مِنْ غَوَائِلِ الْخَلْجَانِ مِنْ مَهَامِهِ الْفَلَاةِ  
تَعُودُ كَيْ تَمْنَحَنَا الثَّمَارَ وَالْمَتَاعَ

إِنَّ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ (ع) هُوَ النَّسَقُ الرَّئِيسُ فِي الْمَقْطَعِ مِنْ حَيْثُ وَصَفَهُ الصَّوْتِيُّ وَتَوَزِيعُهُ الْمَكَانِي إِذْ يُعْطَى  
بِإِقَاعِهِ فِضَاءَ الْمَقْطَعِ كُلِّهِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ وَفِي السَّطْرِ السَّابِعِ وَتَوَسَّطَ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ وَفِي السَّطْرِ  
الْخَامِسِ، فَهُوَ بِهَذَا التَّكْرَارِ أَكْثَرُ حُضُورًا، وَتَرَاجَعَ نَسَقُ (ت) الَّذِي يَتَّصِفُ فِيهِ صَوْتُ الرَّوِيِّ بِالْهَمْسِ  
وَالْإِنْفِجَارِيَّةِ (2) وَبِالْخَفَاءِ إِذْ لَمْ يَرِدْ إِلَّا فِي السَّطْرِ الثَّانِي وَالرَّابِعِ وَالسَّادِسِ، فَهِيَ أَقَلُّ حُضُورًا مِنْ نَسَقِ (ع) الَّذِي  
يَتَّصِفُ فِيهِ صَوْتُ الرَّوِيِّ بِالْجَهْرِ وَالِاحْتِكَائِيَّةِ (3) وَبِالْعُمُقِ وَبِالْوُضُوحِ.

وَفِي الْمَقْطَعِ السَّادِسِ يَتَقَدَّمُ نَسَقُ (ح) بِوَصْفِهِ النَّسَقُ الرَّئِيسُ الْأَكْثَرُ تَوَاتُرًا، وَيَتَرَاجَعُ نَسَقُ (ب) بِوَصْفِهِ نَسَقًا  
ثَانِيًا أَقَلَّ تَوَاتُرًا، وَيَنْسَجِمُ إِيقَاعُ النَّسَقِ الْمُهِمِّنِ مَعَ دَلَالَةِ الْمَقْطَعِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِعَوَالِمِ الرُّوحِ وَالْغَيْبِ وَالْقَلْبِ، وَهِيَ  
عَوَالِمُ خَافِيَّةٌ مُوَعَّلَةٌ فِي الْخَفَاءِ يُنَاسِبُهَا إِيقَاعُ نَسَقِ (ح) الْمَوْصُوفِ، صَوْتِيًّا، بِالْعُمُقِ وَالْهَمْسِ وَالِاحْتِكَائِيَّةِ. (4) أَكْثَرُ مَنْ  
إِيقَاعِ نَسَقِ (ب) الْمَوْصُوفِ بِالشَّفْوِيَّةِ وَالْجَهْرِ وَالِإِنْفِجَارِيَّةِ (5)، وَيَعُدُّ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ الْمُنَوَّعُ فِي الْمَقْطَعِ أَنْسَبَ وَقْفَةً  
مُوسِيقِيَّةً يَسْتَدْعِيهَا السِّيَاقُ الْمَعْنَوِيُّ وَالْمُوسِيقِيُّ وَالنَّفْسِيُّ كَمَا يُدْرِكُهَا الشَّاعِرُ وَإِنَّهَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْحَاسَّةِ الْمُوسِيقِيَّةِ  
الْكَامِنَةِ فِي الْأَلْفَافِ كَأَصْوَاتٍ لَهَا دِلَالَاتٌ عِنْدَ الشَّاعِرِ. (6) يَقُولُ الشَّاعِرُ (7):

عَقِيدَتِي تُقَطِّرُ الْفُيُوضَ فِي الْأُرُوحِ  
تَمْنَحُهَا الطُّيُوبُ  
فَتَنْطَلِقُ فِي رِحْلَةِ الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 79.

(2) محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د، ت)، ص: 154.

(3) المرجع نفسه، ص: 178.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص: 154.

(6) السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، ص: 211.

(7) عماد الدين خليل: ابتهاجات في زمن الغربة، ص: 80.

تَحْتَازُ فِي طَرِيقِهَا الْعُيُوبُ

رُبَّانَهَا مَلَّاحٌ

عَقِيدَتِي تَكْسِرُ رَيْنَ الْإِلْفِ عَنِ مَسَارِبِ الْقُلُوبِ

وَتَمْنَحُ الْمِفْتَاحَ

وَيَتَّضِحُ أَنَّ الْأَنْسَاقَ التَّقْفُويَّةَ ((ق/ن/ل/ع/ح/ي)) الْمُتتَالِيَةَ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ وَالْمُتتَاوِبَةَ الْمُتَقَاطِعَةَ فِي الْقَصِيدَةِ تُمَثِّلُ الْمُسْتَوَى الْإِيقَاعِيَّ الْأَعْلَى، فَقَدْ بَلَغَتْ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ (28) نَسْقًا، وَتُمَثِّلُ الْأَنْسَاقُ التَّقْفُويَّةَ ((ن/د/م/ب/ب/ت)) الْمُتتَالِيَةَ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ وَالْمُتتَاوِبَةَ الْمُتَقَاطِعَةَ فِي الْقَصِيدَةِ الْمُسْتَوَى الْإِيقَاعِيَّ الْأَدْنَى، فَقَدْ بَلَغَتْ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ (21) نَسْقًا.

إِنَّ مَا يُلْحَظُ عَلَى الْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ، وَقَدْ بَلَغَتْ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ نَسْقًا أَنَّهَا تَرُدُّ مُقَيَّدَةً وَبِذَلِكَ تَتَرَاخُ عَمَّا يُوصَفُ بِهِ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ مِنْ إِطْلَاقٍ. فَالْتَّسُقُ التَّقْفُويُّ الْمُقَيَّدُ كَثِيرُ الشُّبُوحِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحُرَّةِ فَ"مُعْظَمُ الْفَوَافِي تَنْتَهِي بِحَرْفٍ رَوِيٍّ سَاكِنٍ سِوَاءِ أَكَانَ مُوَحَّدًا فِي الْأَسْطُرِ جَمِيعًا أَمْ مُنَوَّعًا، نَقُولُ تَحَاوُزًا إِنْ مُعْظَمَهَا يَنْتَهِي بِالْفَوَافِي السَّاكِنَةِ. وَهَذَا السُّكُونُ هُوَ الْخَاتِمَةُ الْمُنَاسِبَةُ الَّتِي تَمْنَحُ حَرَكَةَ التَّمُوجِ وَالتَّكْوِينِ الْمُسِيْقِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ وَقَعًا مُنْظَمًا تَأَلَّفَهُ النَّفْسُ وَتَرْتَاخُ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ أَيَّْ إِهْمَالٍ فِي إِبْرَازِ الْفَافِيَّةِ السَّاكِنَةِ - كَمَا هِيَ - يَشْتُلُ الْحَرَكَةَ الْإِيقَاعِيَّةَ فِي الْقَصِيدَةِ، وَيَضِيعُ الْوِزْنَ كُلِّيًّا." (1)

## 2-2-2- التَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمُنْعَرِ:

تَمَيَّزَ النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ فِيمَا تَقَدَّمَ بِصِفَةِ الْإِنْتِظَامِ، فَقَدْ تَوَزَّعَتِ الْأَنْسَاقُ التَّقْفُويَّةُ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ مُتَقَاطِعَةً أَوْ مُتتَاوِبَةً وَفَقَّ قَاعِدَةٌ ثَابِتَةٌ أَمَكُنَ رَصْدُهَا وَصِيَاغَتُهَا عَلَى الشَّكْلِ (أ-ب-أ-ب-أ-ب-...)، أَمَّا النَّسْقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ الْمُنْعَرِ فَإِنَّهُ لَا يَتَّصِفُ بِالْإِنْتِظَامِ، فَالْتَّسُقُ التَّقْفُويُّ تَتَوَزَّعُ بِغَيْرِ إِنْتِظَامٍ وَلَا تَخْضَعُ لِأَيِّ قَاعِدَةٍ، وَيُمْكِنُ صِيَاغَتُهَا عَلَى الشَّكْلِ (ب-أ-د-ه-ز-ن-أ-و-ي-م-...) الَّذِي تَرْمُزُ فِيهِ الْحُرُوفُ الْأَبْجَدِيَّةُ إِلَى الْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ غَيْرِ الْمُنْتِظَمَةِ، وَقَدْ يَنْطَبِقُ عَلَى هَذَا النَّسْقِ مُصْطَلَحُ النَّسْقِ الْمُرْسَلِ الَّذِي يَتَرَدَّدُ فِيهِ "عِدَّةُ قَوَافٍ عَلَى امْتِدَادِ الْقَصِيدَةِ، تَتَنَازَعُ فِيهَا بَعْضُ الْأَحْرَفِ السَّيْطَرَةَ عَلَى نِهَايَاتِ الْأَسْطُرِ الشَّعْرِيَّةِ." (2)

وَيُؤَدِّي عَدَمُ الْإِنْتِظَامِ فِي تَوَزُّعِ الْأَنْسَاقِ إِلَى عَدَمِ وَضُوحِهَا وَإِلَى خُفُوتِ إِيقَاعِهَا بِسَبَبِ التَّنَازُعِ بَيْنَ عِدَّةِ أَنْسَاقٍ، مِمَّا يَفْرِضُ عَلَى الشَّاعِرِ مُهِمَّةً "تَحْقِيقِ التَّوَافُقِ وَالْإِنْسِحَامِ وَالْإِنْتِظَامِ الْمُسِيْقِيِّ دَاخِلَ كِيَانِ الْقَصِيدَةِ، وَهَذِهِ مُهِمَّةٌ لَيْسَتْ سَهْلَةً مَعَ غِيَابِ ضَابِطِ مُوسِيْقِيِّ خَارِجِيٍّ كَانَ يَسْمَحُ لِلشَّاعِرِ دَائِمًا بِالْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ

(1) إبراهيم الحواوي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص: 250.

(2) محمد علوان سلمان الإيقاع في شعر الحداثة، ص: 105.

الإنسجام المطلوب". (1) ومهما كان شكل النسق التقفوي فإنه مرتبط بالتجربة الشعرية التي تُنظم مكوناتها من داخلها وفقاً لقانونها الخاص.

ويتجلى النسق التقفوي المنوع المتغير في قصيدة (مقام الحزن) (2) التي تتوزع أنساقها التقفوية المنوعة توزيعاً حراً بغير انتظام، فيرد النسق فيها متغيراً أو مُرسلاً، ومجموع تلك الأنساق ثمانية ويتخذ الشكل الآتي - (أ) رمزاً للنسق (ن)... الخ:-

(أ-ب-ج-د-ه-و-ز-ح=ن-ر-ي-ء-ب-م-ن-د)

ويُبرز هذا المقطع الشعري الذي يتألف من سبعة عشر سطرًا التوزيع العفوي للأنساق، يقول الشاعر (3):

أنا سليل الحزن

لست أحسني كأسبي إلا من حواني الحزن

يشق لي الحزن طريقاً يبساً في البحر

يحملني على جناح المزن،

سمعت صوتاً قادمًا من ملكوت الفجر

يقول: ((إن وجدتني وجدت كل شيء

وإن أنا فتك يا ابن آدم فاتك كل شيء)).

أقول: يا فتحي مصاريعك يا أيتها البيداء

وظللي الفارس بالسحابه

تفتح الكنبان بالظلال والعيون والأنداء

أيتها البيداء

ها إنني أحمل سيف البرق في كف

وفي كف نشيد الوصل والصبايه

أنا سليل الحزن

لأستل إلا من دمي الأشعار

وإنني أقيم بين النار والإعصار

يأخذ النسق التقفوي المنوع في هذه السطور الشكل (أ-ب-ج-د-ه-ن-ر-ي-ء-ب)، ويتحقق من خلال

التوزيع الحر غير المنتظم للأنساق التقفوية السطرية الخمسة، فالنسق التقفوي (أ) يمثل النسق (ن) في المقطع الشعري يرد في السطر الأول والثاني والرابع والخامس عشر والسادس والعشرين والثامن والعشرين، والنسق التقفوي (ب)

(1) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 136.

(2) حسن الأمراني: مملكة الرماد، المطبعة المركزية، وحدة، (د، ط)، 1987م، ص: 77.

(3) المصدر نفسه، ص: 77.

يُمَثِّلُ النَّسَقُ (ر)، وَيَرِدُ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ عَشَرَ وَالسَّابِعِ عَشَرَ، وَالنَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ (ج) يُمَثِّلُ النَّسَقُ (ي)، وَيَرِدُ فِي السَّطْرِ السَّادِسِ وَالثَّامِنِ، وَالنَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ (د) يُمَثِّلُ النَّسَقُ (هـ) وَيَرِدُ فِي السَّطْرِ الثَّاسِعِ وَالْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ، وَالرَّمْزُ (هـ) يُمَثِّلُ (ب) وَيَرِدُ فِي السَّطْرِ الرَّابِعِ وَالْعَاشِرِ.

وَتَتَوَزَّعُ الْأَنْسَاقُ التَّقْفَوِيَّةُ الْمُتَبَقِّيَّةُ الَّتِي لَمْ تَرِدْ فِي الْمَقْطَعِ بِالطَّرِيقَةِ التَّالِيَةِ، فَالنَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ (و) وَيُمَثِّلُ النَّسَقُ (م) يَرِدُ فِي السَّطْرِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ وَالرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ، وَالنَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ (ز) وَيُمَثِّلُ النَّسَقُ (د) يَرِدُ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ وَالنَّوَالِثِينَ وَالرَّابِعِ وَالنَّوَالِثِينَ وَالْخَامِسِ وَالنَّوَالِثِينَ.

وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْسَاقِ التَّقْفَوِيَّةِ الْمُتَنَازِعَةِ تَرُدُّدًا فِي الْقَصِيدَةِ هُوَ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ (ب) الَّذِي يُمَثِّلُ النَّسَقُ (ر)، وَقَدْ تَوَاتَرَ فِي ثَمَانِيَةِ سَطُورٍ، وَأَقَلُّ الْأَنْسَاقِ تَرُدُّدًا هُوَ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ (ج) الَّذِي يُمَثِّلُ النَّسَقُ (ي)، وَقَدْ تَوَاتَرَ مَرَّتَيْنِ.

وَقَدْ أَفْسَحَ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُنَوَّعُ الْمُتَغَيِّرُ الْمَجَالَ لِحَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى أَنْ تَتَمَّوَّ فِي التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ الدَّائِيَّةِ دُونَ فَيُودٍ تَحُدُّ مِنْ اسْتِرْسَالِهَا، وَالتَّجْرِبَةُ تَحْتَضِنُ مَعَانَاةً رُوحِيَّةً وَجَدَانِيَّةً وَصُوفِيَّةً شَفَافَةً رَامِزَةً تَنْتَهِي بِإِعْلَانِ الْبُشْرَى لِلصَّحَابِ حِينَ يُوَلَّدُ الْعُبَارُ، فَالنَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ يَتَغَيَّرُ وَيَنْوَعُ بِحُرِّيَّةٍ مَعَ كُلِّ مَرَحَلَةٍ وَيَخْضَعُ لِحَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى كَحَرَكَةِ الرُّوحِ الْبَاحِثَةِ عَنِ الْحَقِّ. وَيَتَبَيَّنُ أَنَّ النَّسَقَ التَّقْفَوِيَّ يَتَشَكَّلُ فِي بَوْتَقَةِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ مُنْصَهَرًا مَعَ كُلِّ عَنَاصِرِهَا فِي اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا وَلَيْسَ شَكْلًا مُنْفَصِلًا يَرُصَّدُ لَهَا سَابِقًا وَإِطَارًا خَارِجِيًّا تَتَزَيَّنُ بِهِ لَاحِقًا.

وَيَتَجَلَّى النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ الْمُنَوَّعُ الْمُتَغَيِّرُ فِي قَصِيدَةِ (البشارة)<sup>(1)</sup> الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الكامل)، وَهِيَ نَمُودَجٌ لِلْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ الَّتِي لَمْ يُعَدِّ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ فِيهَا نَهَايَةَ ضَرُورِيَّةٍ لَكُمْ مَتَسَاوٍ مُنْظَمٍ مِنَ الْمَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ، فَقَدْ فَقَدَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ تَكَرَّرَ الْعَنَاصِرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَطْرُدُ فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا وَفَقَدَتْ مَعَهَا تَوَقُّعَ الْقَافِيَةِ لِأَنَّ هَذِهِ مُرْتَبَّةٌ عَلَى السَّابِقَةِ.<sup>(2)</sup> يَتَنَوَّعُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ فِي الْقَصِيدَةِ إِلَى دَرَجَةِ يَخْتَفِي إِيقَاعُهُ لَوْلَا بَعْضُ الْأَنْسَاقِ الَّتِي تَتَكَرَّرُ مِنْ سَطْرِ إِلَى آخَرَ مُنْبَهَةً بِوَقْعِهَا الْمُتَمَيِّزِ إِلَى بُرُوزِ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ، فَأَنْسَاقُهَا التَّقْفَوِيَّةُ تَتَوَزَّعُ بِغَيْرِ انْتِظَامٍ وَلَا تَخْضَعُ لِأَيِّ قَاعِدَةٍ مُطَّرَدَةٍ، وَيُمْكِنُ صِيَاعَةُ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ عَلَى الشَّكْلِ (ب-أ-د-ه-ز-ز-ن-أ-و-ي-م-...) الَّذِي تَرْمِزُ فِيهِ الْحُرُوفُ الْأَبْجَدِيَّةُ إِلَى الْأَنْسَاقِ التَّقْفَوِيَّةِ غَيْرِ الْمُنتَظِمَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ<sup>(3)</sup>:

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ رِصَاصَتَيْنِ  
.. وَتَبَزُّغُ الشَّمْسِ الَّتِي رَحَلَتْ  
.. وَتَكْتَمِلُ الْقَصِيدَةُ  
ثُمَّ يَشْتَعِلُ الْحَوَارُ

(1) محمود مفلح: إلهام الصحوه، ص: 57.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيد العربية، ص: 247.

(3) محمود مفلح: إلهام الصحوه، ص: 57.

تَعْتَمِدُ الْقَصِيدَةُ عَلَى التَّدْوِيرِ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ مِمَّا يَعْمَلُ عَلَى إضْعَافِ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ، وَإِذَا كَانَتْ الْأُسْطُرُ الْأَرْبَعَةُ فِي الْمَقْطَعِ تَنْتَهِي بِالْأَصْوَاتِ (ن-ت-د-ر) فَإِنَّ السَّطْرَ الْأَخِيرَ وَحْدَهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَمَيَّزَ بِنَسَقِهِ التَّقْفَوِيِّ الْمُقَيَّدِ (ر) الَّذِي يَأْخُذُ الشَّكْلَ الْمُتْرَادِفَ (وَار=00)، وَتَحْلُو الْأُسْطُرُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى مِنْ أَيِّ أَثَرٍ لِلنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ، فَالْمَقْطَعُ شَبِيهٌ بِالْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي لَا يَفْعُ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ إِلَّا فِي نَهَائِهَا. وَيَتَأَلَّفُ الْمَقْطَعُ الثَّانِي مِنْ أَرْبَعَةِ أُسْطُرٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

الشَّمْسُ يَكْتُبُهَا الَّذِينَ تَمَزَّقَتْ أَجْسَادُهُمْ عَبْرَ الزَّانِرِ  
..أَدْمُنُوا الْإِيمَانَ فِي زَمَنِ التَّكْسَبِ  
..كَابِدُوا حَتَّى الشَّهَادَةِ  
أَوْغَلُوا فِي الْجُرْحِ حَتَّى الْإِخْضِرَارِ..

تَرِدُ فِي نَهَائِهِ أُسْطُرُ الْمَقْطَعِ الثَّانِي أَرْبَعَةَ أَصْوَاتٍ (ن-ب-د-ر)، وَلَا يَتَّصِفُ بِأَيِّ نَسَقٍ تَقْفَوِيٍِّّ مَا عَدَا السَّطْرَ الْأَخِيرَ فِيهِ فَإِنَّهُ يَتَمَيَّزُ بِنَسَقِ تَقْفَوِيِّ (ر) يَأْخُذُ الشَّكْلَ الْمُتْرَادِفَ (رَار=00). وَبِالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْمَقْطَعَيْنِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ يُمَكِّنُ عَدُّ النَّسَقِ (د) فِي نَهَائِهِ السَّطْرَ الثَّلَاثِ فِي كُلِّ مَقْطَعٍ نَسَقًا تَقْفَوِيًّا مِنَ الشَّكْلِ الْمُتَوَاتِرِ (صِيدَه=0/0)/ (هَادَه=0/0)، وَبِذَلِكَ يَحْتَوِي الْمَقْطَعَانِ عَلَى نَسَقَيْنِ تَقْفَوِيَّيْنِ مُتَّوَعَيْنِ يُرْمَزُ لِهَيْمَاهُمَا بِـ(أ) وَ(ب)، وَيَبْقَى إِبْقَاعُهُمَا خَافِتًا لِعَدَمِ اطْرَادِهِمَا فِي كُلِّ السُّطُورِ.

وَيَتَكَيُّ الْمَقْطَعُ الثَّلَاثُ عَلَى التَّدْوِيرِ، بِصِفَةِ كَامِلَةٍ، يَكَادُ يُحَوِّلُهَا إِلَى نَفْسٍ وَاحِدٍ لَا يَتَوَقَّفُ حَتَّى يَصِلَ مُنْتَهَاهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَبْرُزُ أَكْثَرُ مِنْ نَسَقِ تَقْفَوِيٍِّّ تَسْتَدْعِيهِ حَرَكَةُ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

يَا أَيُّهَا الْمُنْتَائِرُونَ عَلَى رِمَالِ الْوَهْمِ  
..يَا حَطَبًا بِلَا نَارٍ  
وَيَا مَوْتَى بِلَا حُفْرٍ أَفِيقُوا  
مَرْقُوا الْأَسْمَالَ وَالْأَغْلَالَ.. وَارْتَفِعُوا إِلَى أَفْقِ الْمَصَاحِفِ  
إِنَّهَا الْآيَاتُ مُثْقَلَةٌ يَطِيرُ بِهَا الدُّعَاءُ  
..وَأِنَّهُ الْفَجْرُ الَّذِي شَهِدَ التَّلَاوَةَ  
إِنَّهَا الْآيَاتُ تَقْرَعُ سَمْعَكُمْ وَتُضِيئُكُمْ  
..وَتَشْدُكُمْ صَوْبَ الصَّفَافِ  
..يَا أَيُّهَا الْبَشَرُ الْخِرَافِ  
لَمْ تَبْقَ غَيْرَ رِصَاصَتَيْنِ.. وَحُثَّتَيْنِ  
..وَتَسْقُطُ الْخُوذُ الَّتِي لَمَعَتْ بِلَيْلِ الْعَارِ  
تَنْثِقُ الْمَوَاوِيلُ الَّتِي انْطَفَأَتْ بِأَعْيُنِكُمْ

..وَتَرْتَشِفُونَ شَهْدَ النَّصْرِ  
تَدْفُقُ بِالْحَلِيبِ نَسَاؤُكُمْ فَيَبْرَعُمُ الْأَطْفَالَ  
تَحْتَشِدُ الْبَلَابِلُ فِي حَنَاجِرِهِمْ  
وَيَنْهَمِرُونَ فِي زَمَنِ الْجَفَافِ

تَتَنَوَّعُ الْأَنْسَاقُ التَّقْفُويَّةُ الْمُتَغَيِّرَةُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ وَلَا تَلْتَزِمُ بِنِظَامٍ مُحَدَّدٍ، وَيُمْكِنُ رِصْدُ ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ بَارِزَةٍ، هِيَ نَسَقُ (م) الَّذِي يَرِدُ فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّابِعِ وَالثَّانِي عَشَرَ وَالْحَامِسِ عَشَرَ، وَنَسَقُ (ر) الَّذِي يَرِدُ فِي السَّطْرِ الثَّانِيِ وَالْحَادِي عَشَرَ وَالثَّلَاثِ عَشَرَ، وَنَسَقُ (ف) الَّذِي يَرِدُ فِي السَّطْرِ الرَّابِعِ وَالثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ وَالسَّادِسِ عَشَرَ، وَيُعَدُّ النَّسَقُ الْأَخِيرُ (ف) أَوْضَحَ الْأَنْسَاقِ فَقَدْ تَوَاتَرَ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ وَتَوَالَى فِي السَّطْرَيْنِ الثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ مِمَّا يَجْعَلُ إِيقَاعَهُ أَعْلَقَ بِالسَّمْعِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ النَّسَقَ التَّقْفُويَّ الْمُنَوَّعَ يَغِيبُ فِيهِ صَوْتُ الرَّوِيِّ عَنِ الظُّهُورِ وَالسَّيْطَرَةِ وَيَسْتَقِلُّ كُلُّ سَطْرِ بِرَوِيَّةٍ وَمَنْ ثُمَّ يَغِيبُ عَنِ الْمُتَلَقِّي إِيقَاعَ النَّهَائِيَّةِ الْمُتَوَقَّعِ<sup>(1)</sup>، وَهُوَ، بِهَذِهِ الصِّفَةِ، يُشْبِهُ النَّسَقَ التَّقْفُويَّ الْخَافِتَ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ "عَدْمٌ وَضُوحٌ الْقَافِيَّةِ، فَهِيَ خَافِتَةٌ التَّغْمِ دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ، وَمُعْيِيَةٌ دَاخِلَ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ".<sup>(2)</sup>

إِنَّ التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ تَكْمُنُ وَرَاءَ تَوْزِيْعِ الْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ الْمُنَوَّعَةِ عَلَى السُّطُورِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَكْسِرُ حِدَّةَ الْإِيْقَاعِ الطَّاعِيِ وَتَتْرِكُ الْإِنْطِبَاعَ بِخُفُوْتِهِ مِنْ خِلَالِ تَفْكِكِهِ وَإِلْغَاءِ التَّرْكِيزِ عَلَى نَسَقٍ مُعَيَّنٍ، فَهِيَ تَجْرِبَةٌ هَادِئَةٌ مُسْتَقْرَّةٌ شُعُورِيًّا تَبْتَعِدُ عَنِ الْإِيْقَاعِ الصَّاحِبِ الَّذِي تَجْلِبُهُ الْأَنْسَاقُ التَّقْفُويَّةُ الْمُتَقَاطِعَةُ، وَهِيَ تَجْرِبَةٌ تُهَيِّمُنُ عَلَى بِنْيَتِهَا التَّرْكِيبِيَّةِ الْبُنَى الْخَبْرِيَّةَ الْإِسْمِيَّةَ وَتَقِلُّ فِيهَا الْبُنَى الْإِنْشَائِيَّةَ، وَهِيَ تُخْبِرُ عَنِ بَشَارَةِ قَادِمَةٍ لَا تَزَالُ طَيِّ الْعَيْبِ وَعَنْ عَدِّ مَأْمُولٍ تَصْنَعُهُ التَّضْحِيحَاتُ الْجَسِيمَةُ، وَتَتَضَمَّنُ دَعْوَةً إِلَى الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ الْعَزِيزَةِ فِي آفَاقِ الْقُرْآنِ.

وَقَدْ أَسْهَمَ النَّسَقُ الْإِيْقَاعِيُّ (الْكَامِلُ) فِي خِدْمَةِ الْمَقْصِدِ الدَّلَالِيِّ وَالتَّعْبِيرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ صُورِهِ الْإِيْقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ الْمُتَغَيِّرَةِ، فَقَدْ أَصْبَحَتِ الصُّورُ الْإِيْقَاعِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ وَحَدَاتٍ زَمْنِيَّةً مُتَغَيِّرَةً بِاسْتِمْرَارٍ وَلَمْ تَعُدْ وَحَدَاتٍ زَمْنِيَّةً مُعْلَقَةً<sup>(3)</sup>. وَنَشَأَتْ عَنِ التَّدْوِيرِ الْإِسْيَائِيَّةِ فِي السُّطُورِ نَاتِجَةً عَنِ إِزَالَةِ الْوَقْفَاتِ الْإِيْقَاعِيَّةِ الْمُرْتَفَعَةِ الَّتِي بِإِمْكَانِهَا أَنْ تَمْنَعُ تَدْفُقَ السُّطُورِ وَائْتِيَالِهَا، فَتَحَوَّلَتِ الْقَصِيدَةُ فِي بَعْضِ مَقَاطِعِهَا عَنِ بِنْيَةِ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ إِلَى بِنْيَةِ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ الْمَقْطَعِ.

(1) محمد علوان سلمان: الإيقاع في شعر الحداثة، ص: 107.

(2) المرجع نفسه، ص: 104.

(3) صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي، ص: 218.

وَيَرِدُ النَّسَقُ التَّفْوِيءِيُّ الْمُنَوَّعُ الْمُتَعَيِّرُ فِي الْقَصِيدَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَنْمَاطِ الَّتِي يَتَدَاخَلُ فِيهَا النَّمَطُ الْعُمُودِيُّ وَالنَّمَطُ الْحُرُّ، فَتَنْوَعُ الْأَنْسَاقُ التَّفْوِيءِيَّةُ تَبَعًا لَتَنْوَعِ الشُّكْلِيِّينَ الشُّعْرِيِّينَ، وَقَدْ نَحَلَّى ذَلِكَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْقَصَائِدِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَنْمَاطِ فِي الْمَتْنِ الشُّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ كَقَصِيدَةِ (أوراق مَهْرَبَةٌ مِنْ زَمَنِ الْحِصَارِ) لِحَسَنِ الْأَمْرَانِيِّ.\*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(\* حسن الأمراني: من الشعر الإسلامي الحديث، رابطة الأدب الإسلامي، ص: 363.

ثالثاً-بنية الرّويّ

1-شُيُوعُ الرّويّ في القصيدة

2- وظيفَةُ الرّويّ في القصيدة

إِنَّ عِلَاقَةَ الرَّوِيِّ بِالنَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ هِيَ عِلَاقَةُ الْجُزْءِ بِالْكُلِّ، أَوْ هِيَ عِلَاقَةُ الْعُنْصُرِ بِنَسَقِهِ، يَدْخُلُ فِي تَشْكِيلِهِ وَيَتَحَقَّقُ بِهِ، وَإِذَا كَانَ النَّسَقُ التَّقْفَوِيُّ عِدَّةَ أَصْوَاتٍ تَتَكَرَّرُ فِي أَوَاحِرِ الْأَشْطُرِ أَوْ الْآيَاتِ مِنَ الْقَصِيدَةِ. (1) فَإِنَّ الرَّوِيَّ هُوَ "أَقْلُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُرَاعَى تَكَرُّرُهُ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يَشْتَرِكَ فِي كُلِّ قَوَافِي الْقَصِيدَةِ ذَلِكَ الصَّوْتُ الَّذِي تَنْبَنِي عَلَيْهِ الْآيَاتُ". (2) وَيَشْكَلُ أَهَمُّ الْعَنَاصِرِ الصَّوْتِيَّةِ فِي النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَقُومُ بِوِطَائِفِ إِيقَاعِيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ، فَهُوَ يَمْتَلِكُ قِيمًا تَعْبِيرِيَّةً تُفَسِّرُ اخْتِيَارَ الشُّعْرَاءِ لِلرُّوِيَّاتِ الْمُنَاسِبَةِ فِي تَنْسِيقِ قَوَافِي الْقَصَائِدِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي يَحْسُنُ وَقَعُهَا فِي الْأُذُنِ وَيَعْدُبُ صَدَاهَا فِي النَّفْسِ، وَالْمُلَاحَظُ، مَثَلًا، أَنَّ كَثْرَةَ وُرُودِ حَرْفِ الْعَيْنِ رُويًا لِقَصَائِدِ الرَّثَاءِ، الْأَمْرُ الَّذِي يُلْفِتُنَا إِلَى مَا فِي جَرَسِ الْعَيْنِ مِنْ مَرَارَةٍ وَتَعْبِيرٍ عَنِ الْوَجَعِ وَالْجَزَعِ وَالْفَزَعِ وَالْهَلَعِ، كَمَا يُلَاحَظُ وُرُودُ حَرْفِ السَّيْنِ رُويًا لِقَصَائِدِ كَثِيرَةٍ عَاطَفَتُهَا الْأَسَاسِيَّةُ الْأَسْفُ وَالْأَسَى وَالْحَسْرَةُ... وَحِينَ تَتَأَمَّلُ النَّمَازِجَ الشُّعْرِيَّةَ الْجَيِّدَةَ تَرَى هَذَا التَّمَازُجَ بَيْنَ الْقِيمَةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْقِيمَةِ النَّفْسِيَّةِ، فَالتَّشْكِيلُ الصَّوْتِيُّ صَدَى لِالشُّعُورِ الْقَائِمِ فِي النَّفْسِ، يُبَيِّنُ عَنْهُ وَيُجَسِّدُهُ، وَيُنْبِئُ عَنْ صِدْقِ التَّجْرِبَةِ، وَتَفُوقِ الْأَدَاءِ الشُّعْرِيِّ. (3)

### 1- بَيِّنَةُ الرَّوِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ:

وَضَفَّتِ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ عَمُودِيَّةً وَحُرَّةً مَجْمُوعَةً أَصْوَاتٍ فِي رُويَاتٍ أُنْسَقِيهَا التَّقْفَوِيَّةَ بِمَا يُحَقِّقُ وَظِيفَةَ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ وَيَنْسَجِمُ مَعَ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ، وَمِمَّا يُيسِّرُ التَّعَرُّفَ إِلَى هَذِهِ الرُّوِيَّاتِ رَصْدُهَا فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ الَّتِي تُمَثِّلُ النَّسَبَةَ الْكُبْرَى فِي الْمَتْنِ الْمَدْرُوسِ (\*)، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى رُويَاتِ الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ، وَمُقَارَنَتِهَا بِنِسَبَةِ شَيْعِ الْأَصْوَاتِ فِي رُويِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَحْدِيدِ مَدَى الْإِنْزِيَاكِ الَّذِي أَنْجَزْتُهُ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْمَعْيَارِ الَّذِي اسْتَخْلَصَهُ إِبْرَاهِيمُ أَنَيْسُ فِي رَصْدِهِ شَيْعِ الْأَصْوَاتِ فِي رُويِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ "مُعْظَمَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَفَعَ رُويًا، وَلَكِنَّهَا تَخْتَلَفُ فِي نِسَبَةِ شَيْعِهَا، فَوْقَ الرَّاءِ رُويًا كَثِيرٌ شَائِعٌ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، فِي حِينِ أَنَّ وَقُوعَ الطَّاءِ قَلِيلٌ أَوْ نَادِرٌ وَيُمْكِنُ أَنْ تُقَسَّمَ حُرُوفُ الْهَجَاءِ الَّتِي تَفَعُّ رُويًا إِلَى أَقْسَامٍ أَرْبَعَةٍ حَسَبَ نِسَبَةِ شَيْعِهَا فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ:

- (أ) حُرُوفٌ تَجِيءُ رُويًا بِكَثْرَةٍ وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ نِسَبَةُ شَيْعِهَا فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ وَتَلْكَ هِيَ: الرَّاءُ. اللَّامُ. الميمُ. التَّوْنُ. الباءُ. الدَّالُ. السَّيْنُ. العَيْنُ.
- (ب) حُرُوفٌ مُتَوَسِّطَةٌ الشُّيُوعِ وَتَلْكَ هِيَ: القافُ. الكافُ. الميمزةُ. الحاءُ. الفاءُ. الياءُ. الجيمُ.

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص: 273.

(2) المرجع نفسه، ص: 274.

(3) صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي، ص: 161.

(\*) إذ شكَّلتِ القصيدة العمودية نسبة (87.29%)، وشكَّلتِ القصيدة الحرة نسبة (10.86%)، وشكَّلتِ القصيدة المتعددة الأنماط نسبة (1.83%).

(ج) حُرُوفٌ قَلِيلَةٌ الشُّبُوعِ: الضَّادُ. الطَّاءُ. الهَاءُ. التَّاءُ. الصَّادُ.

(د) حُرُوفٌ نَادِرَةٌ فِي مَجِيئِهَا رَوِيًّا: الذَّالُ. الغَيْنُ. الحَاءُ. الشَّيْنُ. الزَّايُ. الطَّاءُ. الواوُ. (1)

وقد وردت الأصوات رويًّا في القصيدة الإسلامية العمودية على النحو الآتي:

وَقَعَ صَوْتُ الرَّاءِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى فَقَدْ تَوَاتَرَ ثَمَانِينَ (80) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (17.05%)، وَوَقَعَ صَوْتُ التَّوْنِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ، فَقَدْ تَوَاتَرَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ (58) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (12.36%)، وَوَقَعَ صَوْتُ البَاءِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ تَوَاتَرَ خَمْسَةٌ وَخَمْسِينَ (55) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (11.72%)، وَوَقَعَ صَوْتُ الذَّالِ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ، فَقَدْ تَوَاتَرَ خَمْسِينَ (50) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (10.66%)، وَوَقَعَ صَوْتُ المِيمِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ فَقَدْ تَوَاتَرَ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ (46) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (9.80%)، وَوَقَعَ صَوْتُ اللَّامِ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ فَقَدْ تَوَاتَرَ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ، مَرَّةً (39)، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (8.31%)، وَوَقَعَ صَوْتُ الهَمْزَةِ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّابِعَةِ فَقَدْ تَوَاتَرَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ (25) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (5.33%)، وَوَقَعَ صَوْتُ العَيْنِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّامِنَةِ فَقَدْ تَوَاتَرَ عِشْرِينَ (20) مَرَّةً وَمِثْلَ نِسْبَةِ (4.26%)، وَوَقَعَ كُلُّ مِنْ صَوْتِ التَّاءِ وَصَوْتِ الْقَافِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّاسِعَةِ فَقَدْ تَوَاتَرَ كُلُّ مِنْهُمَا ثَمَانِي عَشْرَةَ (18) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (3.83%)، وَوَقَعَ صَوْتُ فَالْحَاءِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعَاشِرَةِ فَقَدْ تَوَاتَرَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ (12) مَرَّةً وَمِثْلَ نِسْبَةِ (2.55%)، وَوَقَعَ صَوْتُ الهَاءِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ فَقَدْ تَوَاتَرَ عَشْرًا (10) مَرَّاتٍ وَمِثْلَ نِسْبَةِ (2.13%)، وَوَقَعَ كُلُّ مِنْ صَوْتِ السَّيْنِ وَالْفَاءِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ فَقَدْ تَوَاتَرَ كُلُّ مِنْهُمَا سِتًّا مَرَّاتٍ وَمِثْلَ نِسْبَةِ (1.27%)، وَوَقَعَ صَوْتُ الذَّالِ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ فَقَدْ تَوَاتَرَ خَمْسَ (5) مَرَّاتٍ وَمِثْلَ نِسْبَةِ (1.06%)، وَوَقَعَ صَوْتُ الكَافِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ فَقَضَدَ تَوَاتَرَ ثَلَاثَ (3) مَرَّاتٍ وَمِثْلَ نِسْبَةِ (0.63%)، وَوَقَعَ كُلُّ مِنْ صَوْتِ الصَّادِ وَالْجِيمِ وَالزَّايِ وَالطَّاءِ وَالْحَاءِ وَالضَّادِ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ فَقَدْ تَوَاتَرَ كُلُّ صَوْتٍ مَرَّةً وَاحِدَةً وَمِثْلَ نِسْبَةِ (0.21%). وَلَمْ تَحْظَ الْأَصْوَاتُ الْمُتَبَقِّيَّةُ (التَّاءُ، وَالشَّيْنُ وَالطَّاءُ وَالغَيْنُ وَالْوَاوُ) بِأَيِّ تَوَاتُرٍ. وَيُمْكِنُ تَوْزِيْعُ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ بِحَسَبِ شُبُوعِهَا عَلَى أَرْبَعَةِ مَرَاتِبٍ:

1- الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: رَوِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ الشُّبُوعِ، وَهِيَ (ر-ن-د-ب-م-ل-ء-ع).

2- الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: رَوِيَّاتٌ مُتَوَسِّطَةٌ الشُّبُوعِ، وَهِيَ (ت-ق-ح-ي-ه-س-ف-ذ).

3- الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: رَوِيَّاتٌ قَلِيلَةٌ الشُّبُوعِ، وَهِيَ (ك-ص-ج-ز-ط-خ-ض).

4- الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: رَوِيَّاتٌ نَادِرَةٌ الشُّبُوعِ، وَهِيَ (ث-ش-ظ-غ-و).

وَيَتَضَحُّ مِنَ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ شُبُوعِ الرُّوِيَّاتِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَشُبُوعِهَا فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنَّ بَعْضَ الرُّوِيَّاتِ حَافِظٌ عَلَى مَرْتَبَتِهِ وَنِسْبَةِ شُبُوعِهِ مِمَّا يُطَابِقُ الْمَعْيَارَ الْمُحَدَّدَ فِي الشُّبُوعِ، وَأَنَّ بَعْضَهَا الْآخَرَ قَدْ انْزَاحَ عَنِ مَرْتَبَتِهِ وَنِسْبَةِ شُبُوعِهِ، فَرَوِيٌّ (الرَّاءِ) وَرَدَّ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْ حَيْثُ كَثْرَةُ الشُّبُوعِ إِذْ تَوَاتَرَ فِي ثَمَانِينَ

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي، ص: 375.

قَصِيدَةً، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (17.05%)، وَهُوَ بِهَذَا التَّوَاتُرِ يُطَابِقُ المَعْيَارَ إِذْ يَحْتَلُّ المَرْتَبَةَ الأُولَى مِنْ حَيْثُ شُيُوعُهُ فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ. أَمَّا رَوِيٌّ (س) فَقَدْ أَتَى فِي المَرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ فِي القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ إِذْ تَوَاتَرَ فِي سِتِّ قَصَائِدَ وَمَثَلُ نِسْبَةِ (1.27%)، وَهُوَ يَرُدُّ فِي لِمَرْتَبَةَ الأُولَى مِنْ حَيْثُ شُيُوعُهُ فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ، فَهُوَ بِهَذَا التَّحْدِيدِ يُشَكِّلُ انْتِزَاحًا عَنِ المَعْيَارِ، وَيَنْدَرِجُ ضِمْنَ الأَصْوَاتِ القَلِيلَةِ الشُّيُوعِ.

وَإِذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَنَيْسَ يَرَى أَنَّ كَثْرَةَ الشُّيُوعِ أَوْ قَلَّتْهَا فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ لَا تُعْزَى إِلَى ثِقَلِ فِي الأَصْوَاتِ أَوْ خِفَةِ بِقَدْرِ مَا تُعْزَى إِلَى نِسْبَةِ وُرُودِهَا فِي أَوَاحِرِ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ. (1) فَإِنَّ كَثْرَةَ شُيُوعِهَا أَوْ قَلَّتْهَا فِي القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ تُعْزَى إِلَى التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ دَلَالَةً وَشُعُورًا فِي سِيَاقَاتِهَا المُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَسْتَدْعِي أَصْوَاتًا مُعَيَّنَةً كَمَا تَسْتَدْعِي نِسْقًا إِيقَاعِيًّا مُحَدَّدًا وَمُعْجَمًا لُغَوِيًّا خَاصًّا.

## 2- وَظِيفَةُ الرُّوِيِّ فِي القَصِيدَةِ:

إِنَّ نِسْبَةَ الشُّيُوعِ الَّتِي حَقَّقَهَا صَوْتًا الرَّاءِ (ر) وَالسِّينِ (س) تَعَكِّسُ الخُصُوصِيَّةَ الصَّوْتِيَّةَ وَالِإِيقَاعِيَّةَ وَالدَّلَالِيَّةَ لِلرُّوِيِّ فِي بِنْيَةِ القَصِيدَةِ، فَرَوِيٌّ (الراءِ) يُبْنَى عَنْ هَيْمَنَةِ الصَّوْتِ المَجْهُورِ الَّذِي بَلَغَ تَوَاتُرُهُ رَوِيًّا ثَلَاثِمِائَةً وَثَمَانِ وَسِتِّينَ (368) مَرَّةً، وَشَكَّلَ نِسْبَةَ (78.46%) فِي سِيَاقَاتِ شَعْرِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَعَلَاقَاتِهِ بِمَعَانٍ وَمَشَاعِرٍ مُعَيَّنَةٍ، فِي حِينِ أَنَّ رَوِيَّ السِّينِ، وَهُوَ أَخْفَضُ تَوَاتُرًا، يُبْنَى عَنْ حُضُورِ الصَّوْتِ المَهْمُوسِ الَّذِي تَوَاتَرَ مِائَةً وَمَرَّةً وَاحِدَةً (101)، وَشَكَّلَ نِسْبَةَ (78.46%) فِي سِيَاقَاتِ أُخْرَى وَعَلَاقَاتِهِ بِمَعَانٍ وَمَشَاعِرٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَكثَافَةُ بَعْضِ الرُّوِيَّاتِ تَرْتَبِطُ بِالسِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ ارْتِبَاطًا كَلْبِيًّا.

وَفِي إِطَارِ ثُنَائِيَّةِ (الجَهْرِ/الهَمْسِ) تُشَكِّلُ أَصْوَاتُ الرُّوِيِّ فِي القَصِيدَةِ ثُنَائِيَّاتٍ صَوْتِيَّةً إِيقَاعِيَّةً كَالثَّنَائِيَّةِ (ر/س)، وَ(ع/ق)، وَ(ح/هـ)، وَ(م/ن)، وَهَذِهِ الثَّنَائِيَّاتُ تُشِيرُ إِلَى جَانِبٍ مِنَ المِحَاكَاةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي الشَّعْرِ النَّاشِئَةِ فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ اللُّغَوِيَّةِ بَيْنَ الدَّوَالِ وَالمَدْلُولَاتِ، أَوْ بَيْنَ الأَصْوَاتِ وَالمَعَانِي، فَلِأَصْوَاتٍ قُدْرَةً عَلَى التَّكْيِيفِ وَالتَّوَافُقِ مَعَ ظِلَالِ المَشَاعِرِ فِي أَدَقِّ حَالَاتِهَا، وَتَرْتَبِطُ الظُّلَالُ المُخْتَلِفَةُ لِأَصْوَاتِ بِلِجَاهِ الشُّعُورِ، وَهُنَا تُشْرَى اللُّغَةُ ثَرَاءً لَا حُدُودَ لَهُ، وَلَا تُتْرَكُ تِلْكَ الظُّلَالُ-باعتبارها عناصر ذات قيم أسلوبية في العمل الفني اللغوي-تحت حكم الإلقاء، وَإِنَّمَا تَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ بِالمُضْمُونِ الشَّعْرِيِّ". (2) إِنَّ تِلْكَ المِحَاكَاةَ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي تَنْفِي العَلَاقَةَ الإِعْتِبَاطِيَّةَ جُزْئِيًّا بَيْنَ الدَّلَالِ الصَّوْتِيِّ وَالمَدْلُولِ المَعْنَوِيِّ وَالشَّعْرِيِّ فِي اللُّغَةِ، وَتَنْفِيهَا إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ فِي الشَّعْرِ الَّذِي لَا تَهْدَفُ وَظِيفَتُهُ الشَّعْرِيَّةُ إِلَى التَّوَاصُلِ المُبَاشِرِ مَعَ المُنْتَلَقِي بِقَدْرِ سَعِيهِ إِلَى الإِتِّفَافِ حَوْلَ بِنْيَتِهِ، إِنَّ تِلْكَ المِحَاكَاةَ الصَّوْتِيَّةَ تُمَكِّنُ الصَّوْتَ مِنْ تَأْدِيَةِ مَعْنَاهُ وَالإِيحَاءِ بِهِ، فَ"كُلَّمَا زِدَادَتِ العِبَارَةُ شَبَهًا بِالمَعْنَى كَانَتْ أَدَلَّ عَلَيْهِ وَأَشْهَدَ بِالغَرَضِ فِيهِ". (3) وَتَنْدَرِجُ عِلَاقَةُ الرُّوِيِّ بِسِيَاقِهِ بِمَا عَبَّرَ عَنْهُ بِعِلَاقَةِ اللَّفْظِ بِالمَعْنَى، فَ"مُقَابَلَةُ الأَلْفَافِ بِمَا يُشَاكِلُ أَصْوَاتِهَا مِنْ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 376.

(2) محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي، دار المعارف، القاهرة، ط: 1، 1988. ص: 14.

(3) ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ج: 2، ص: 154.

الأحداثِ فَبَابٌ وَاسِعٌ، وَنَهَجٌ مُتَلَبٌّ عِنْدَ عَارِفِيهِ مَأْمُومٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَجْعَلُونَ أَصْوَاتِ الحُرُوفِ عَلَى سَمْتِ الأَحْدَاثِ المُعَبَّرِ عَنْهَا فَيَعْدِلُونَهَا بِهَا وَيَحْتَدُونَهَا عَلَيْهَا... وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: خَضَمٌ، وَقَضَمٌ. فَالْخَضَمُ لِأَكْلِ الرُّطْبِ، كَالْبَطِيخِ وَالْقَثَاءِ، وَمَا كَانَ نَحْوَهُمَا مِنَ المَأْكُولِ الرُّطْبِ. وَالْقَضَمُ لِلصَّلْبِ اللَّيَّاسِ، نَحْوُ قَضَمَتِ الدَّابَّةِ شَعِيرَهَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ.. فَاخْتَارُوا الحَاءَ لِرِخَاوَتِهَا لِلرُّطْبِ، وَالْقَافَ لِصِلَابَتِهَا لِلْيَاسِ، حَذْوًا لِمَسْمُوعِ الأَصْوَاتِ عَلَى مَحْسُوسِ الأَحْدَاثِ.<sup>(1)</sup> وَتَتَضَحُّ العِلَاقَةُ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالْمَعْنَى فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ مِنْ حِلَالِ الارتِبَاطَاتِ الصَّوْتِيَّةِ وَالإيقَاعِيَّةِ المُلْحَوظَةِ بَيْنَ صَوْتِ الرَّوِيِّ كَصَوْتِ رَئِيسٍ فِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ وَفِي بِنْيَةِ البَيْتِ أَوْ السَّطْرِ وَمَا يُصَاحِبُهُ مِنْ أَصْوَاتِ بَارِزَةٍ فِي حَشْوِ البَيْتِ أَوْ السَّطْرِ أَوْ فِي السِّيَاقِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الارتِبَاطَاتُ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنْ الثَّنَائِيَّاتِ مِنْهَا:

## 2-1- الثَّنَائِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ الإيقَاعِيَّةُ (ع/ق):

تَتَجَلَّى العِلَاقَةُ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالْمَعْنَى فِي قَصِيدَةِ جِدَارِ المَسْجِدِ المُنْهَارِ فِي البوسنة<sup>(2)</sup> الَّتِي تُقَوْمُ عَلَى نَسَقِ (البسيطِ)، وَتَلْتَزِمُ نَسَقًا تَقْفُويًّا مُوَحَّدًا مُتْرَاكِبًا مُطْلَقًا (0///0)، وَتَضُمُّ مَجْمُوعَةً مِنَ الثَّنَائِيَّاتِ الصَّوْتِيَّةِ مِنْهَا الثَّنَائِيَّةُ (ع/ق) الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْ صَوْتَيْنِ أَحَدُهُمَا رَئِيسٌ وَيُمَثِّلُ صَوْتِ الرَّوِيِّ (ع) (\*)، وَالثَّانِي تَانُويٌّ وَيُمَثِّلُ الصَّوْتِ (ق) المُصَاحِبَ الَّذِي يَتَّبِعُ صَوْتِ الرَّوِيِّ فِي سِيَاقِهِ، أَي فِي حَشْوِ البَيْتِ أَوْ السَّطْرِ فِي القَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

رَأَيْتُهُ وَسَيَاطُ العَدْرِ تَدْفَعُهُ      شَيْخًا تَسِيلُ عَلَى خَدَيْهِ أَدْمَعُهُ  
وَكَلَّمَا هَزَّهُ رِيحٌ لِيُسْقِطَهُ      تَشَشَّتْ رِجْلُهُ بِالأَرْضِ تَمْنَعُهُ  
تَضَجُّ مِنْ حَوْلِهِ البَلُوى تَزْحِزِحُهُ      وَقَدْ تَحَصَّنَ خَلْفَ الدَّهْرِ مَوْقِعُهُ  
خَلْفَ القُرُونِ قَدِ ارْتَاخَتْ قَوَاعِدُهُ      وَأَوَّغَلَتْ رَأْسُهُ فِيهَا وَأَضْلَعُهُ  
لَمْ يَجْرُؤِ الدَّهْرُ يَوْمًا أَنْ يَلَامِسَهُ      وَأَنْ يَمُدَّ لَهُ كَفًّا تُزْعِرُهُ

وَأَبْرَزُ الأَصْوَاتِ الَّتِي تُشكِّلُ النَّسَقَ التَّقْفُويَّ فِي القَصِيدَةِ العَنَاصِرُ الصَّوْتِيَّةُ التَّالِيَةُ: الرَّوِيُّ المَطْلُوقِ (ع) - وَمُجْرَاهُ الضَّمُّ - وَمِنْ هَاءِ الوَصْلِ المُتَحَرِّكَةِ والخُرُوجِ النَّاشِئِ عَنِ إِشْبَاعِ حَرَكَةِ هَاءِ الوَصْلِ وَهُوَ الوَاوُ النَّاتِجَةُ عَنِ الضَّمِّ، وَقَدْ تَوَاتَرَ صَوْتُ (ع) تِسْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً رَوِيًّا، وَتَوَاتَرَ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً فِي غَيْرِ رَوِيٍّ، وَيَنْسَجِمُ هَذَا الصَّوْتُ مَعَ حَرَكَةِ الدَّفْعِ وَالرَّعْرَعَةِ فِي سِيَاقَاتِ القَصِيدَةِ الَّتِي تُشَخِّصُ حَالَ (المَسْجِدِ المُنْهَارِ)، فَبَيْنَ الصَّوْتِ وَالْمَعْنَى عِلَاقَةٌ إِيجَازِيَّةٌ

(1) المرجع السابق نفسه، ج: 2، ص: 157.

(2) محمد التهامي: يا إلهي، دار البشير، عمان، الأردن، ط: 1، 1414هـ-1994م، ص: 71.

(\*) وتتمثل أهمية الروي كصوت نيس في القصيدة أن القصائد تنسب إليه أحيانا، فيقال سينية البحري وهمزية شوقي.

(4) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 71.

مُصَوَّرَةٌ لِحَرَكَةِ الدَّلَالَةِ والشُّعُورِ، وَقَدْ صَاحَبَ العَيْنَ صَوْتُ القَافِ فِي حَشْوِ البَيْتِ الَّذِي عَبَّرَ بِدَوْرِهِ عَنِ العَلَاقَةِ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالْمَعْنَى والشُّعُورِ، فَقَدْ أَوْحَى بِالِاخْتِنَاقِ الَّذِي يُجَسِّدُ شَيْئًا مِنْ حَالِ المَسْجِدِ المَأْزُومِ.

وإلى جانب ذلك فإن صوت الهاء شكل ثنائية صوتية مهموسة (ه/هـ) موازية للأولى يتوزع طرفاها على شطري البيت ويقعان في نهايتهما متفقين مع صورتَي العروض والضرب المنزاحتين (0///-0///) لنسق البسيط التام، وقد تواتر صوت الهاء في نهاية الشطر الأول والثاني ثمان وثلاثين مرة، مشكلا مقطعا صوتيا متوسطا مفتوحا يناسب معنى الانهيار والسقوط والشعور بالحزن والأسى والهم.

## 2-2- الثنائية الصوتية الإيقاعية (ح/ه):

يُمَثِّلُ صَوْتُ الحَاءِ الصَّوْتِ الرَّئِيسِ فِي هَذِهِ الثَّنَائِيَّةِ بَيْنَمَا يُمَثِّلُ صَوْتُ الهَاءِ الصَّوْتِ الثَّانَوِيَّ فِيهَا، وَتَرْدُ فِي (فارس بدر)<sup>(1)</sup> الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الوافر) المَجْزُوءِ ذِي الضَّرْبِ المَعْصُوبِ (مُفَاعَلْتُنْ=0/0/0)، وَتَلْتَزِمُ نَسَقًا تَقْفُويًا مُوَحَّدًا مُتَوَاتِرًا مُطْلَقًا (0/0)، وَأَبْرَزُ أَصْوَاتِهِ صَوْتُ الرَّوِيَّ (ح) المَهْمُوسِ وَجِزَاهُ الفَتْحَةُ وَصَوْتُ الوَصْلِ وَهُوَ الحَرَكَةُ الطَّوِيلَةُ (الألف) النَّاتِجَةُ عَنِ إِشْبَاعِ حَرَكَةِ الرَّوِيَّ، وَقَدْ وَقَعَ صَوْتُ الحَاءِ رَوِيًّا عِشْرِينَ مَرَّةً، مُشْكَلا مَعَ وَصْلِهِ مَقْطَعًا صَوْتِيًّا مُعْبِّرًا عَنِ الانْفِعَالِ وَالمَبَالِغَةِ فِي الفِعْلِ وَفِي (الحَدَث) بِمَقْدَارِ المَدِّ الآتِي مِنَ الحَلْقِ المُحْتَكِّ بِالمَجْرَى الصَّوْتِيَّ وَالمُنْطَلِقِ فِي الفِضَاءِ وَالإِيجَاءِ بِلَا مَحْدُودِيَّةِ الحَدَثِ، فِي حَرَكَةِ هَامِسَةٍ تُصَوَّرُ بِمُوصَفَاتِهَا الصَّوْتِيَّةِ المَوْقِفِ أَو المَضْمُونِ الشَّعْرِيِّ؛ أَي مَوْقِفِ المُنْتَظَرِ الَّذِي يَتَرَقَّبُ أَوَانَ الصَّدْعِ وَالجَهْرِ بِدَعْوَتِهِ لِيَنْطَلِقَ، بَعْدَ القَهْرِ وَالحَبْسِ، نَاتِرًا فِي الآفَاقِ وَسَيْلَتِهِ الكَلِمَةُ وَالسَّيْفُ.

إِنَّ لِصَوْتِ الرَّوِيَّ (الحاء) قِيَمَةً تَعْبِيرِيَّةً تَخْدُمُ الإِيقَاعَ وَالدَّلَالَةَ مَعًا، فَيُمْكِنُ عُدُّهُ مَدْخَلًا صَوْتِيًّا يُفَسِّرُ حَرَكَةَ المَعْنَى وَإِيجَاءَاتِهِ فِي القَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

تَحَصَّنَ فِي جِدَارِ الأَمْنِ      يَمْسَحُ جُرْحَهُ مَسْحًا  
فَأَيْقَنَ أَنَّ جُرْحَ الأَمْسِ      فِيهِ لَمْ يَعْذُ جُرْحًا  
وَأَنَّ الحَقَّ حِينَ يَقْرُ      يَبْنِي حَوْلَهُ صَرْحًا  
يُجَلِّجُ فَوْقَ هَامَتِهِ      وَيُشْرِقُ فَوْقَهُ صُبْحًا  
وَيُسْفِرُ عَنِ هُوِيَّتِهِ      كَمَا رَحَمَانُهُ أَوْحَى  
هُوَ الحَقُّ.. وَيَكْفِي      الحَقُّ مَا قَاسَى وَمَا ضَحَّى  
وَيَكْفِي أَنْ قَضَى زَمْنَا      يُعَانِي القَهْرَ وَالكَبْحَا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 22.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وتَقُومُ كَلِمَةُ (الجُرْح) بِوَضَائِفِ النَّوَاةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تَشِعُّ فِي الْقَصِيدَةِ ظَلَالًا نَفْسِيَّةً شَفَافَةً فَقَدْ تَرَدَّدَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مُرْتَبِطَةً بِذَلِكَ بِالسِّيَاقِ الصَّوْتِيِّ لِلْحَاءِ، وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ تَقُومُ مَجْمُوعَةُ (الحَاءَاتِ) الْكَثِيفَةِ الْمُنْتَثِرَةِ فِي فِضَاءِ النَّصِّ مُعَبَّرَةً عَنِ الْأَلَامِ النَّفْسِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

وَهَا قَدْ فُكَّ سَاعِدُهُ      وَهَزَزَ بِكَفِّهِ الرُّمَحَا  
وَلَنْ يَرْضَى سُكُوتَ الْأَمْسِ      حِينَ تَمَلَّكَ الْبُوحَا  
سَيَفْنَى فِي قَضِيَّتِهِ      وَيَطْرَحُ عَدْلَهَا طَرَحَا  
وَإِنْ أَعْيَاهُ مَنْطِقُهُ      تَوَلَّى سَيْفُهُ الشَّرْحَا  
تَشْتَقُّ الظُّلْمَ يُمْنَاهُ      لِيُبْرِئَ فِي الْحَشَا جُرْحَا  
يُنْحَى ظُلْمَةَ الْبُطْلَانِ      يَبْنِي فَوْقَ مَا نَحَى  
وَيَحْرِقُ غَابَةَ الْأَشْوَاكِ      يَغْرِسُ فَوْقَهَا دَوْحَا  
وَإِنْ نَادَوْا عَلَى دَمِهِ      فَمَا وَلَّى وَمَا شَحَا  
فَإِنَّ الرُّوحَ تَقْدِي الْحَقَّ      تَفْتَحُ دَرْبَهُ فَتْحَا  
تَمُوتُ لِتَقْدِي الْحَقَّ      وَتَرْبَحُ مَوْتَهَا رِبْحَا  
فَإِنَّ الْعَيْشَ دُونَ الْحَقِّ      لَيْلٌ لَا يَرَى صُبْحَا  
وَمَوْتُ بَلٍ يَزِيدُ عَلَى      مَرَارَةٍ مَوْتِنَا قُبْحَا  
وَمَنْ يَحْيَا بِدُونِ الْحَقِّ      يَذْبَحُ نَفْسَهُ ذَبْحَا

يَفْرِضُ صَوْتُ الْحَاءِ تَنْسِيقًا صَوْتِيًّا إِيقَاعِيًّا عَلَى بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ تَوْزِيْعِهِ الْمُنْتَظَمِ كَرَوِيٍّ فِي نِهَائِيَّاتِ الْأَيَّاتِ وَمِنْ خِلَالِ تَوْزِيْعِهِ الْمُنْتَوِّعِ كَصَوْتِ حُرٍّ فِي فِضَائِهَا، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ فِي الْحَالَتَيْنِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَيَتَّبَعُ التَّوْزِيْعَانِ الطَّرِيقَةَ الْآتِيَةَ:

وَرَدَّ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي فِضَاءِ الْبَيْتِ فِي (ب=بيت):

ب1: تَحَصَّنَ فِي جِدَارِ الْأَمْنِ      يَمْسَحُ جُرْحَهُ مَسْحَا

ح ————— ح ————— ح ————— ح ————— ح

ب3: وَأَنَّ الْحَقَّ حِينَ يَقْرُ      يَبْنِي حَوْلَهُ صَرْحَا

ح ————— ح ————— ح ————— ح ————— ح

ب16: فَإِنَّ الرُّوحَ تَقْدِي الْحَقَّ      تَفْتَحُ دَرْبَهُ فَتْحَا

ح ————— ح ————— ح ————— ح ————— ح

ب20: وَمَنْ يَحْيَا بِدُونِ الْحَقِّ      يَذْبَحُ نَفْسَهُ ذَبْحَا

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ح ————— ح ————— ح —————  
وَرَدَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي فِضَاءِ الْبَيْتِ فِي:

ب6: هُوَ الْحَقُّ.. وَيَكْفِي الْحَقُّ مَا قَاسَى وَمَا ضَحَّى

ح ————— ح ————— ح —————  
ب17: تَمُوتُ لِتَفْدِي الْحَقَّ وَتَرْبِحُ مَوْتَهَا رِبْحًا

ح ————— ح ————— ح —————  
وَرَدَ مَرَّتَيْنِ فِي فِضَاءِ الْبَيْتِ، فِي شَطْرَيْهِ أَوْ فِي شَطْرِهِ الثَّانِي:

ب2: فَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ جُرْحَ الْأَمْسِ فِيهِ لَمْ يَعْذُ جُرْحًا

ح ————— ح ————— ح —————  
ب5: وَيُسْفِرُ عَنْ هُوَيْتِهِ كَمَا رَحْمَانُهُ أَوْحَى

ح ————— ح ————— ح —————  
ب9: وَلَنْ يَرْضَى سَكُوتَ الْأَمْسِ حِينَ تَمْلِكُ الْبُوحَا

ح ————— ح ————— ح —————  
ب10: سَيْفِي فِي قَضِيئِهِ وَيَطْرَحُ عَدْلَهَا طَرْحًا

ح ————— ح ————— ح —————  
ب11: تَشْتَقُّ الظُّلْمَ يُمْنَاهُ لِيُرَى فِي الْحِشَا جُرْحًا

ح ————— ح ————— ح —————  
ب12: يُنْحِي ظُلْمَةَ الْبُطْلَانِ يَبْنِي فَوْقَ مَا نَحَى

ح ————— ح ————— ح —————  
ب13: وَيَحْرِقُ غَابَةَ الْأَشْوَاكِ يَعْرِسُ فَوْقَهَا دَوْحًا

ح ————— ح ————— ح —————  
ب18: فَإِنَّ الْعَيْشَ دُونَ الْحَقِّ لَيْلٌ لَا يَرَى صُبْحًا

ح ————— ح ————— ح —————

وَيَتَجَاوَبُ صَوْتُ الْهَاءِ بِوَصْفِهِ صَوْتًا تَانَوِيًّا وَطَرْفًا تَانِيًّا فِي الثَّنَائِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ (ح/هـ) مَعَ صَوْتِ الْهَاءِ، فَهُمَا مِنَ الْمَجْمُوعَةِ الصَّوْتِيَّةِ ذَاتَاهَا، فَـ(الهاءُ)صوتٌ "صَامِتٌ مَهْمُوسٌ حُنْجَرِيٌّ احْتِكَائِيٌّ". (1) وَيُوصَفُ بِأَنَّهُ صَوْتُ النَّفْسِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا يَلْقَى أَثْنَاءَ مُرُورِهِ بِالْمَجْرَى الصَّوْتِيِّ اعْتِرَاضًا. (2) وَقَدْ تَوَاتَرَ صَوْتُ (الهاءِ)ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ مَرَّةً فِي فِضَاءِ الْقَصِيدَةِ، وَتَوَزَّعَ بِالطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ:

(1) محمود السعران: علم اللغة، ص: 179.

(2) المرجع نفسه، ص: 178.

وَرَدَّ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي فِضَاءِ الْبَيْتِ، اثْنَتَانِ فِي مِصْرَاعِهِ الْأَوَّلِ وَاثْنَتَانِ فِي مِصْرَاعِهِ الثَّانِي:

ب8: وَهَاقِدُ فُكِّ سَاعِدِهِ وَهَزَّ بِكَفِّهِ الرُّمْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

وَوَرَدَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي فِضَاءِ الْبَيْتِ، اثْنَتَانِ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَوَاحِدَةٌ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي:

ب4: يُجَلِّجِلُ فَوْقَ هَامَتِهِ وَيُشْرِقُ فَوْقَهُ صُبْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب5: وَيُسْفِرُ عَنْ هُوَيْتِهِ كَمَا رَحِمَانُهُ أَوْحَى

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب11: وَإِنْ أَعْيَاهُ مَنَاطِقُهُ تَوَلَّى سَيْفُهُ الشَّرْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

وَوَرَدَ مَرَّتَيْنِ فِي فِضَاءِ الْبَيْتِ، وَاحِدَةٌ فِي شَطْرِهِ الْأَوَّلِ وَالْأُخْرَى فِي الشَّطْرِ الثَّانِي:

ب10: سَيْفِي فِي قَضِيَّتِهِ وَيَطْرَحُ عَدْلَهَا طَرْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

وَوَرَدَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي فِضَاءِ الْبَيْتِ؛ فِي شَطْرِهِ الْأَوَّلِ فِي بَيْتَيْنِ، وَفِي شَطْرِهِ الثَّانِي فِي خَمْسَةِ أَيْيَاتٍ:

ب12: تَشَقُّ الظُّلْمَ يُمْنَاهُ لِيُبْرِيَ فِي الْحِشَا جُرْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب15: وَإِنْ نَادَوْا عَلَى دَمِهِ فَمَا وَلَّى وَمَا شَحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب7: وَيَكْفِي أَنْ قَضَى زَمْنَا يَعَانِي الْقَهْرَ وَالْكَبْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب14: وَيَحْرِقُ غَابَةَ الْأَشْوَاكِ يَعْرِسُ فَوْقَهَا دَوْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب16: فَإِنَّ الرُّوحَ تَقْدِي الْحَقَّ تَفْتَحُ دَرْبَهُ فَتَحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب17: تَمُوتُ لِتَقْدِي الْحَقَّ وَتَرَبِّحُ مَوْتَهَا رَبْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

ب20: وَمَنْ يَحْيَا بِدُونِ الْحَقِّ يَذْبَحُ نَفْسَهُ ذَبْحَا

\_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_ ه \_\_\_\_\_

وقد تنوعت أشكال تحلي صوت الهاء فقد ورد صوتاً أو وحدة صوتية (فونيمًا) في بنية الكلمة في ست كلمات، وورد ست عشرة مرة ضميراً متصلاً ومنفصلاً، أي وحدة صرفية (مورفيماً) (\*) يحيل إلى الفارس البدري دون تحديد -موضوعه النص الأساسية- كما يشير السياق، ويحيل في خمس مرات إلى غير ذلك، إلا أن نوعاً من العموض الفني يحيط بمرجعية الضمائر في القصيدة يمنحنا فرصة التأويل اعتماداً على السياق اللغوي. والملاحظ أن هذا التوزيع للصوتين المهموسين يترك أثراً بارزاً على إيقاع القصيدة، كما أن هذا التنسيق الصوتي الظاهر في توزيع الأصوات المصاحبة للروي والدائرة في فلكه يشير إلى أن القصيدة تستمد إيقاعها وموسيقاها من وجود نظام داخلي ضمني غير معلن من التوترات الصوتية والدلالية المميزة، مستغل تمام الاستقلال عن التنسيق التركيبي النحوي لهذه القصائد، ويضاف نظام التوترات هذا إلى نظام القافية الخارجي والصارم والمقنن. (1).

ويستقطب صوت الحاء، بوصفه الصوت الرئيس على مستوى النسق التقفوي وعلى مستوى البيت ولعلاقة إيقاعه بالتجربة الشعرية كثيراً من العناصر اللغوية أسماء وأفعالاً التي يدخل في تركيب بنيتها ككلمة (الحق) التي تكررت أربع مرات، وكثيراً من العناصر التي تشكل النسق التقفوي والتي تشتمل على هذا الصوت، وتنبئ صيغتها الصرفية على الصيغة الثلاثية (ف-ع-ل) مما يضيف على القصيدة إيقاعاً موحداً متجانساً ناتجاً عن تكرار الصيغة، فمن العناصر الاسمية (مسح، صرح، كبج، بوح، طرح، ذبح، دوح، جرح، صبح، فبح، ربح، ربح...)، ومن العناصر الفعلية (أوحى، نحى، شحأ، ضحى...). ويتميز النسق التقفوي بالاسمية فالملاحظ أن القافية الاسم تتجاوز من حيث كثافتها القافية الفعل، فقد بلغت الأولى ستة عشر اسماً (16)؛ أي نسبة (80%)، وبلغت الثانية أربعة أفعال ثلاثية البنية؛ أحدها (أوحى) مزيد بالالف والبقية (نحى، شحأ، ضحى) مزيدة بتضعيف (العين) للدلالة على التكرير والمبالغة في معنى الفعل، وكما لصيغة الفعل دلالة خاصة فلها إيقاع متجاوب مع حركة الدلالة، يقول الشاعر في البيت السادس:

هُوَ الْحَقُّ.. وَيَكْفِي الْحَقُّ مَا قَاسَى وَمَا ضَحَّى

في البيت تأكيد على التضحية في سبيل الحق تضحيات جسيمة كفاء هذا الحق، وقد أدى الفعل المضغف (ضحى) ببنيته وسياقه اللغوي هذا المعنى. ويؤدي الفعل (نحى) معنى المثابرة في محاربة الباطل وتضحية ظلمته، يقول الشاعر في البيت الثالث عشر:

(\*) الوحدة الصوتية أو الفونيم (phonème) هي أصغر عنصر صوتي غير دال ويكون صامتاً أو صائتاً. والوحدة الصرفية أو المورفيم (morphème) هي أصغر عنصر لغوي دال.  
(1) جوزيف ميشال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 2، 1407هـ - 1987م، ص: 90.

يُنْحِي ظُلْمَةَ الْبُطْلَانِ يَبْنِي فَوْقَ مَا نَحَى

وَيُؤَدِّي الْفِعْلَ (شَحًا) مَعْنَى الْمُبَالَغَةِ فِي الشُّحِّ بِالْذَّمِّ، وَهَذِهِ دَلَالَةٌ سَلْبِيَّةٌ تَنْقَلِبُ فِي سِيَاقِ التَّنْفِي إِلَى الْإِيجَابِ؛ أَي إِلَى مُنْتَهَى الْبَذْلِ وَمُنْتَهَى الْجُودِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ عَشَرَ:

وَإِنْ نَادَوْا عَلَى دَمِهِ فَمَا وَلَى وَمَا شَحًا

أَمَّا أَنْسَاكُ التَّنْفِيَةِ الْأَسْمَاءِ، فَإِلَى جَانِبِ دَوْرِهَا الْإِيقَاعِيِّ النَّاتِجِ عَنِ اطِّرَادِهَا عَلَى صِيغَةِ (فَعْل) فِي تِسْعِ قَوَافٍ وَعَلَى صِيغَةِ (فَعْل) فِي سِتِّ قَوَافٍ وَعَلَى صِيغَةِ (فَعْل) فِي ثَلَاثِ قَوَافٍ، فَإِنَّهَا تُسَهِّمُ فِي تَرْسِيخِ دَلَالَاتِ الْأَحْدَاثِ وَتَأْكِيدِهَا وَتَقْوِيَّتِهَا. وَقَدْ وَرَدَتِ الْكَلِمَاتُ الْقَوَافِي فِي بُنَى تَرْكِيبِيَّةٍ دَلَّتْ عَلَى تَكَرُّرِ الْأَحْدَاثِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْأَفْعَالِ مِنْ خِلَالِ وُرُودِ الْكَلِمَةِ (المصدر) وَفِعْلِهَا مَعًا، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

تَحَصَّنَ فِي جِدَارِ الْأَمْنِ يَمْسَحُ جُرْحَهُ مَسْحًا

وَتَقُومُ الْوِظِيفَةُ النَّحْوِيَّةُ بِالذَّوْرِ ذَاتِهِ فَالْكَلِمَةُ الْقَافِيَةُ الْمَنْصُوبَةُ عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ تُؤَكِّدُ الْفِعْلَ، فَالْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ (مَسْحًا) يَعْمَلُ عَلَى تَأْكِيدِ الْفِعْلِ (يَمْسَحُ) الَّذِي يَطَالُ جُرْحَ الْفَارِسِ إِعْدَادًا لَوَثْبَتِهِ، وَيَقُومُ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ بِالْوِظِيفَةِ ذَاتِهَا فِي تَأْكِيدِ الْفِعْلِ (يَطْرَحُ) فِي الْبَيْتِ الْعَاشِرِ:

سَيْفَنِي فِي قَضَيْتِهِ وَيَطْرَحُ عَدْلَهَا طَرْحًا

وَيَعْمَلُ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ (فَتْحًا) وَ(رَبْحًا) عَلَى تَأْكِيدِ الْفِعْلَيْنِ (يَفْتَحُ) وَ(يَرْبِحُ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتَيْنِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ عَشَرَ:

فَإِنَّ الرُّوحَ تَفْدِي الْحَقَّ تَفْتَحُ دَرْبَهُ فَتَحًا

تَمُوتُ لَتَفْدِي الْحَقَّ وَتَرْبِحُ مَوْتَهَا رَبْحًا

وَيَعْمَلُ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ (ذَبْحًا) عَلَى تَأْكِيدِ الْفِعْلِ (يَذْبَحُ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الْعِشْرِينَ:

وَمَنْ يَحْيَا بِذَوْنِ الْحَقِّ يَذْبَحُ نَفْسَهُ ذَبْحًا

وَالْوِظِيفَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي تَشْعُلُهَا الْكَلِمَةُ الْقَافِيَةُ فَهِيَ وَظِيفَةُ (المفعول به)، وَقَدْ بَلَّغَتِ الْكَلِمَاتُ الْقَوَافِي الْوَاقِعَةَ مَفْعُولًا أَوْ مَعْطُوفَةً عَلَيْهِ عَشْرَةَ كَلِمَاتٍ (صَرَحًا، كَبَحًا، بَوْحًا، شَرَحًا، دَوْحًا، جُرْحًا، صُبْحًا...).

وَتُمَثِّلُ بَعْضُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بُنَى مُتَّجَانِسَةً تُدْعَمُ الْبِنْيَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ التَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ الْمُتَمَاثِلِ (صَرَحُ/شَرَحُ/جُرْحُ).

وَيَتَبَيَّنُ أَنَّ مِنْ خِلَالِ مُقَارَبَةِ الرَّوِيِّ فِي نَسَقِهِ التَّنْفُويِّ وَفِي سِيَاقِهِ الشَّعْرِيِّ مَا لِلرَّوِيِّ مِنْ عُلَاقَاتٍ بَعِيرَةٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ وَمَا لِلنَّسَقِ التَّنْفُويِّ مِنْ وَظَائِفَ عَلَى مُسْتَوَى الْمَحْوَرِ الْأَفْقِيِّ (التَّرْكِيبِيِّ/التَّأْلِيفِيِّ) حَيْثُ يَكُونُ عُنْصُرًا نَحْوِيًّا يَضْطَلَعُ بِوِظِيفَةٍ نَحْوِيَّةٍ أَوْ عَلَى الْمَحْوَرِ الْعَمُودِيِّ الْاسْتِبْدَالِيِّ حَيْثُ يَكُونُ عُنْصُرًا مُعْجَمِيًّا أَوْ

صَرَفِيًّا، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي إِطَارِ الْإِيْقَاعِ الَّذِي يُنتِجُهُ، أَوَّلًا وَآخِرًا، وَهُوَ إِيقَاعٌ هَامِسٌ نَابِعٌ مِنَ الْمَوْقِفِ النَّفْسِيِّ وَلَحْظَةِ الْإِشْرَاقِ الرُّوحِيِّ فِي التَّجْرِبَةِ. وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ وَظِيفَةَ الْإِيْقَاعِ لَيْسَتْ فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ "مُقْتَصِرَةً عَلَى التَّنْغِيمِ، فَفِي الْإِيْقَاعِ يَكْمُنُ الْمَضْمُونُ الضَّمْنِيُّ الَّذِي يَحْمِلُ النَّفْسَ إِلَى فِضَاءِ الشَّعْرِ، وَهُوَ أَحَدُ مُكَوِّنَاتِ الشَّاعَرِيَّةِ الَّذِي يَتِمُّ بِوَسَايَةِ التَّأَثُّرِ وَالتَّأَثِيرِ وَالتَّلَاقِحِ بَيْنَ الدَّالِّ وَالمَدْلُولِ وَهُوَ الرِّبَاطُ الَّذِي يَصِلُ الحُرُوفَ بِالكَلِمَاتِ وَالصَّوْتِ بِالمَعْنَى، وَهَذَا مَا يَخْلُقُ المِنَاحَ الشَّعْرِيَّةَ". (1)

وَيَرْتَبِطُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ المَطْلُوقُ بِظَاهِرَةِ الوُضُوحِ فِي القَصِيدَةِ عَلَى غِرَارِ الوُضُوحِ فِي القَصِيدَةِ القَدِيمَةِ لِأَنَّ الإِطْلَاقَ يُسَاعِدُ عَلَى التَّعْرِفِ عَلَى الوَظِيفَةِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي تَشغُلُهَا الكَلِمَةُ/القَافِيَةُ(2)، وَتَدْعُو هَذِهِ الظَّاهِرَةَ إِلَى الإِشَارَةِ السَّرِيعَةِ إِلَى المَجْرَى فِي القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَحَرَكَةُ الرُّوْيِ دَوْرٌ فِي الإِيْحَاءِ بِالمَعْنَى وَبِالشُّعُورِ، وَإِنَّ لِكَسْرَةِ، مَثَلًا، فِي شِعْرِ الحُنْسَاءِ "أَهْمِيَّةً كُبْرَى وَدَوْرًا رَئِيسِيًّا فِي الإِيْحَاءِ بِجَوِّ الحُزْنِ وَمَعْنَى الإِنْكَسَارِ وَالحَسْرَةِ، بِحَيْثُ يُمَكِّنُنَا القَوْلُ بِأَنَّ الكَسْرَةَ فِي شِعْرِ الحُنْسَاءِ هِيَ (المُعَادِلُ الصَّوْتِيُّ) لِلحُزْنِ الَّذِي تَرَدِّحُمُ بِهِ بِكَاثِبَاتِهَا فِي أَحْيَاهَا (صَخْر)". (3)

فَقَدْ تَوَاتَرَ الرُّوْيُ المُتَحَرِّكُ بِالكَسْرَةِ فِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ المُوَحَّدِ فِي القَصِيدَةِ العَمُودِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِائَةً وَسِتًّا وَسِتِّينَ (166) مَرَّةً وَمَثَلُ نِسْبَةِ (35.39%)، وَتَوَاتَرَ الرُّوْيُ المُتَحَرِّكُ بِالفَتْحَةِ مِائَةً وَتِسْعَ (109) مَرَّاتٍ، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (23.24%)، وَتَوَاتَرَ الرُّوْيُ المُتَحَرِّكُ بِالضَّمَّةِ مِائَةً وَاثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ (132) مَرَّةً، وَمَثَلُ (28.14%)، أَيْ أَنَّ الرُّوْيَ المَطْلُوقَ تَوَاتَرَ أَرْبَعِمِائَةً وَسِتِّينَ (407) مَرَّاتٍ، وَمَثَلُ (86.78%)، بَيْنَمَا تَوَاتَرَ الرُّوْيُ المُقَيَّدُ السَّاكِنُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ (62) مَرَّةً، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (13.21%)، وَتَخْتَلِفُ هَذِهِ المَعْطِيَّاتُ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي القَصِيدَةِ الحُرَّةِ الَّتِي قَدْ تَعَمَّدُ الأَنْسَاقَ التَّقْفُويَّةَ المُقَيَّدَةَ فِي عَدَدٍ غَيْرِ قَلِيلٍ مِنْ نَمَاجِهَا.

وَبِالنَّظَرِ إِلَى مَا تَقَدَّمَ يَتَأَكَّدُ نَزُوعُ القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنْ بَعْضِ الحِصَاصِ الشَّعْرِيَّةِ الإِيْقَاعِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ العَمُودِيَّةِ، وَمُحَاوَلَةُ التَّنْوِيْعِ فِي بِنَى الإِيْقَاعِ مِنْ حِلَالِ التَّنْوِيْعِ فِي الأَنْسَاقِ الإِيْقَاعِيَّةِ وَالأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ.

وَمِنَ المَفِيدِ أَنَّ نُوجِزَ أَهَمَّ مَا وَفَّ عَلَيْهِ البَحْثُ مِنْ نَتَائِجِ فِي هَذَا الفَصْلِ، فَقَدْ قَارَبَ البَحْثُ بِنِيَّةِ الإِيْقَاعِ الشَّعْرِيِّ فِي القَصِيدَةِ عَلَى مُسْتَوَى الإِيْقَاعِ الخَارِجِيِّ وَانْتَهَى إِلَى الكَشْفِ عَنِ تَنَوُّعِ بِنَى الإِيْقَاعِ بِتَنَوُّعِ الأَنْسَاقِ الإِيْقَاعِيَّةِ المُوظَّفَةِ فِي القَصِيدَةِ، فَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ الإِسْلَامِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ- فِي حُدُودِ المَتْنِ- ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَزْنًا أَوْ نَسَقًا إِيْقَاعِيًّا مِنْ مَجْمُوعِ السِّتَّةِ عَشَرَ وَزْنًا المَعْرُوفَةَ فِي عَرُوضِ القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ. وَقَدْ تَوَاتَرَتْ هَذِهِ الأَوْزَانُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ

(1) خليل الموسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهورية، دمشق، سورية، ط: 1، 1991، ص: 94.

(2) محمد علي الرباوي: (أوراق مهربة من زمن الحصار-دراسة تحليلية-)مجلة المشكاة، ص: 37.

(3) محمد العبد: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، ص: 29.

فِي خَمْسِمِائَةٍ وَاِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ (522) قَصِيدَةً عَمُودِيَّةً- وَهِيَ تُمَثِّلُ نِسْبَةَ (87.29%) - وَفِي إِحْدَى عَشْرَةَ قَصِيدَةً مُتَعَدِّدَةً الْأَنْمَاطِ (عَمُودِيَّةً/حُرَّةً)- وَهِيَ تُمَثِّلُ (1.83%) -، وَتَوَاتَرَ مِنْهَا ثَمَانِيَةٌ أَوْزَانٍ فِي خَمْسٍ وَسِتِّينَ (65) قَصِيدَةً حُرَّةً- وَهِيَ تُمَثِّلُ نِسْبَةَ (10.86%) -، وَهِيَ الْأَوْزَانُ أَوْ الْأَنْسَاقُ الْإِيقَاعِيَّةُ الْآتِيَةُ: (الكَامِلُ-الرَّمْلُ-الْبَسِيطُ-الْحَفِيفُ-الْوَافِرُ-الطَّوِيلُ-الْمُتَقَارِبُ-الْمُتَدَارِكُ-الرَّحْزُ-السَّرِيعُ-الْهَزْجُ-المُحْتَثُ-الْمُنْسَرِحُ) فِي شَكْلِهَا التَّامِّ وَالْمَجْزُوءِ. وَيَرْجِعُ هَذَا التَّوْظِيفُ إِلَى اعْتِبَارَاتٍ فَنِّيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ قَائِمَةٍ عَلَى أَسَاسِ الْمُرُونَةِ الَّتِي تَنْسِمُ بِهَا الْأَنْسَاقُ الْإِيقَاعِيَّةُ مِنْ حَيْثُ انْسِحَامُهَا مَعَ طَبِيعَةِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ خَاصَّةً الْأَنْسَاقَ الصَّافِيَّةَ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى الْقَصِيدَةِ ذَاتِ النَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ الْمَفْرَدِ-عَمُودِيَّةً وَحُرَّةً- اسْتَعْمَلَ الْقَصِيدَةُ الْمُتَعَدِّدَةَ الْأَنْسَاقِ مِنْ خِلَالِ الْمَزْجِ بَيْنَ الْأَنْسَاقِ الْإِيقَاعِيَّةِ أَوْ الْأَوْزَانِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ وَالتَّنْوِيعِ بَيْنَ صُورِهَا الْإِيقَاعِيَّةِ (تَفَاعِيلِهَا)، وَاسْتَعْمَلَ الْقَصِيدَةُ الْمُتَعَدِّدَةَ الْأَنْمَاطِ مِنْ خِلَالِ الْمَزَاجَةِ بَيْنَ النَّمَطِينَ الْعَمُودِيِّ وَالْحُرِّ فِي بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ، وَقَدْ أَفْضَى هَذَا التَّنْوِيعُ الْإِيقَاعِيُّ الْمُتَعَدِّدُ وَذَلِكَ التَّوْظِيفُ الْفَنِّيُّ إِلَى إِثْرَاءِ الْبَنِيَّةِ الْإِيقَاعِيَّةِ بِمَا يَعْكُسُ الدَّلَالَةَ الْمُتَّحَةَ وَالشُّعُورَ الْكَامِنَ فِي التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُتَكَوِّنَةِ مِنْ قَصِيدَةٍ إِلَى قَصِيدَةٍ.

كَمَا كَشَفَ، مِنْ مُقَارَبَةِ بَنِيَّةِ (القَافِيَةِ) فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، عَنِ الْأَهْمِيَّةِ الَّتِي يُؤَلِيهَا الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ لِلتَّنْسِيقِ التَّقْفُويِّ عَلَى غِرَارِ التَّنْسِيقِ الْإِيقَاعِيِّ، فَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ أَنْسَاقًا مُتَنَوِّعَةً مِنَ التَّقْفِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ وَالْحُرَّةِ. وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا التَّنْوِيعُ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ الَّتِي تَلْتَزِمُ النَّسَقَ التَّقْفُويَّ الْمُوَحَّدَ مُتَجَاوِزَةً رَتَابَتَهُ بِوَاسِطَةِ التَّنْوِيعِ فِي الْأَنْسَاقِ الْجُزْئِيَّةِ (النَّسَقِ الْمُرَادِفِ الْمُقَيَّدِ/00)، النَّسَقِ الْمُتَوَاتِرِ (0/0)، النَّسَقِ الْمُتْرَاكِبِ (0///0)، النَّسَقِ الْمُتَدَارِكِ (0//0)، وَتَلْتَزِمُ النَّسَقَ التَّقْفُويَّ الْمُنَوَّعَ عَلَى مُسْتَوَى الشَّطْرِ فَيَتَنَوَّعُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِي مَوْضِعِهِ وَفِي شَكْلِهِ، كَالْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهَا فِي الْقَصِيدَةِ (المُزْدَوِجَةِ) وَ(المُرْبَعَةِ) وَ(المُخَمَّسَةِ) وَ(المُسَدَّسَةِ)، وَيَتَنَوَّعُ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ عَلَى مُسْتَوَى الْبَيْتِ كَالْأَنْسَاقِ التَّقْفُويَّةِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهَا فِي الْقَصِيدَةِ (المَقْطَعِيَّةِ) وَ(الرُّبَاعِيَّةِ)، كَمَا يَتَنَوَّعُ هَذَا النَّسَقُ عَلَى مُسْتَوَى الشَّطْرِ وَالْبَيْتِ كَمَا هُوَ مُلَاحَظٌ فِي الْقَصِيدَةِ (المُوشِحَةِ).

وَقَدْ تَلَزَمَ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ النَّسَقَ التَّقْفُويَّ الْمُوَحَّدَ عَلَى مُسْتَوَى السَّطْرِ وَعَلَى مُسْتَوَى الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الْقَافِيَةِ الْمُتَتَابِعَةِ أَوْ الْمُتَوَالِيَّةِ فِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ السَّطْرِيِّ وَالْجُمْلِيِّ. وَالتَّلَزُّمُ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ الْمُنَوَّعَ مِنْ خِلَالِ نَسَقِ التَّقْفِيَّةِ الْمُتَقَاطِعَةِ أَوْ الْمُتَنَاقِظَةِ وَنَسَقِ التَّقْفِيَّةِ الْمُتَعَيَّرَةِ أَوْ الْمُرْسَلَةِ. إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ وَظَّفَ نَسَقًا جَدِيدًا مِنَ التَّقْفِيَّةِ وَهُوَ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُنَوَّعُ الَّذِي يُلَاحَظُ فِي الْقَصِيدَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَنْمَاطِ. وَقَدْ هَيَّأَ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمَطْلُوقُ عَلَى قَافِيَةِ الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ وَبَرَزَ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ الْمُقَيَّدُ كَسِمَةٍ إِيقَاعِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ الَّتِي لَمْ تَتَخَلَّ عَنِ النَّسَقِ الْمَطْلُوقِ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا التَّنْوِيعِ الْإِيقَاعِيِّ التَّقْفُويِّ مِنْ أَبْعَادٍ دَلَالِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ.

وَبِالنَّسْبَةِ إِلَى (الرَّوِيِّ) فَلَمْ يَكُنْ حَظُّهُ أَقْلَ مِنَ التَّنْوِيعِ التَّقْفُويِّ فَقَدْ نَوَّعَ فِيهِ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى صَوْتٍ ثَابِتٍ تَرْتَكِزُ عَلَيْهِ نِهَائِيَّاتُ الْآيَاتِ فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ. وَقَدْ شَكَّلَ (الرَّوِيُّ) فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ أَزْوَاجاً صَوْتِيَّةً ذَاتَ مَرْدُودٍ إِيقَاعِيٍّ دِلَالِيٍّ طَرَفُهَا الْأَسَاسُ صَوْتُ الرَّوِيِّ وَطَرَفُهَا الثَّانَوِيُّ الصَّوْتُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي فَلَكِهِ وَيُنْجِزُ كَثَافَةً صَوْتِيَّةً مَلْحُوظَةً. وَأَصْوَاتُ الرَّوِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَاضِعَةٌ لِلْمَعْيَارِ فِي شُبُوعِ الْأَصْوَاتِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِنْ انْزَاحَ بَعْضُهَا عَنِ هَذَا الْمَعْيَارِ فِي سِيَاقَاتٍ شِعْرِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ.

الفصل الثاني

بنية الإيقاع الداخلي في القصيدة

أولاً: بنية التكرار

ثانياً: بنية التصريح

ثالثاً: بنية التدوير

## توطئة:

تتمثل بنية الإيقاع الداخلي للقصيدة في تحليات البنية الصوتية المتنوعة والمتظمة التي تعكس انتظام النص الشعري بجميع أجزائه في سياق كلي، أو سياقات جزئية تلتئم في سياق كلي جامع يجعل منها نظاماً محسوساً أو مدركاً، ظاهراً أو خفياً، يتصل بغيره من بنى النص الأساسية والجزئية ويعبر عنها كما يتجلى فيها، والانتظام يعني كل علاقات التكرار والمزاوجة والمفارقة والتوازي والتداخل والتنسيق والتآلف والتجانس، مما يعطي انطباعاً بسيطرة قانون خاص على بنية النص العامة مكون من إحدى تلك العلاقات أو بعضها، وعادة ما يكون عنصر التكرار فيها هو الأكثر وضوحاً من غيره، خاصة أن التكرار يتصل بتجربة الأذن المدربة جيداً على التقاطه، وليس يعني أي من تلك العناصر الإيقاعية في تكويناته الجزئية الصغيرة والمبعثرة في النص شيئاً ذا بال، إذا هو لم ينتظم في بنية إيقاعية أساسية وشاملة تجمع النص من مختلف أطرافه.<sup>(1)</sup> وعلى هذا الأساس تتحول العناصر الصوتية المكررة بانتظام، مفردة أو مجتمعة إلى مواد التشكيل الإيقاعي من خلال الأنساق التي تتخذها في تحلياتها الشعرية.

وتتناول بنية الإيقاع الداخلي ما يتولد من إيقاع موسيقي متميز عن تركيب الأصوات في البيت الشعري بمقتضى (الجواز)، ومعنى بالجواز ما لم يندرج في اختيارات الشاعر المبدئية في نظم شعره، وما لم يكن جوهرياً، بحيث قد يستخدم في بيت دون آخر، أو في مجموعة أبيات دون أخرى، فوجوده أو انعدامه لا ينجر عنه خلل موسيقي أو تحريف، فهذه المظاهر الموسيقية الخاصة بالحشو تلتفت الانتباه من حيث هي إما قصدت لذاتها وإما قصدت لصلتها بالمعاني.<sup>(2)</sup> وتضم بنية ذلك الإيقاع، أيضاً، التركيب اللغوي حين ينتظم في أنساق من الموازاة والتقطيع والتكرار، وفق أشكال موظفة لتأدية دلالتها، والتوزيع والتقسيم على مستوى جسم القصيدة وبهدف دلالي محدد والتوقيع على جرس بعض الألفاظ المعجمية والموازاة بين حروفها.<sup>(3)</sup> وتتوزع تلك التحليات الصوتية الإيقاعية في القصيدة الإسلامية العمودية والحرّة، على ثلاث بنى رئيسية، هي بنية التكرار الصوتي، وبنية التصريع وبنية التدوير.

(1) علوي الهاشمي: فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، ص: 53.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 20-21.

(3) يحيى العيد: في معرفة النص، دراسات في التقدير الأدبي، دار الآداب، بيروت، ط: 4، 1999، ص: 106.

أولاً: بنية التكرار

- 1- الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ فِي الْقَصِيدَةِ
- 2- الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ فِي الْقَصِيدَةِ
- 3- الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ وَالْمَجْهُورُ

يَتَحَقَّقُ التَّكْرَارُ فِي الْقَصِيدَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ مُسْتَوِيَّاتٍ، هِيَ الصَّوْتُ وَالْكَلِمَةُ وَالْجُمْلَةُ وَالْمَقْطَعُ، وَيُعَدُّ التَّكْرَارُ عَلَى مُسْتَوَى الصَّوْتِ أَهَمَّ هَذِهِ الْمُسْتَوِيَّاتِ، فَالْقَصِيدَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَنْظِيمٌ لِنَسَقٍ مِنْ أَصْوَاتِ اللَّغَةِ. (1) تَتَحَوَّلُ مَعَهُ طَبَقَةُ الصَّوْتِ إِلَى جُزْءٍ مِنَ التَّأثيرِ الْجَمَالِيِّ. (2) وَهِيَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ الْمُنطِقَةُ الَّتِي تَتَحَوَّلُ فِيهَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالْمَعْنَى مِنْ عِلَاقَةٍ خَفِيَّةٍ إِلَى عِلَاقَةٍ جَلِيَّةٍ وَتَمَّظَهَرُ بِالطَّرِيقَةِ الْمَلْمُوسَةِ جِدًّا وَالْأَكْثَرُ قُوَّةً. (3) وَمُقَابَرَةُ (الصَّوْتِ) هِيَ مُقَابَرَةٌ تَنْطَلِقُ مِنْ أَصْغَرِ وَحْدَةٍ فِي النَّصِّ عَلَى أَسَاسٍ أَنْ يَأْمَكَانِ أَيُّ تَرَدُّدٍ لَهُ أَوْ نَبْرٍ فِيهِ أَوْ تَنْغِيمٍ أَنْ يُنْتِجَ دَلَالَاتٍ هَامِشِيَّةً فِي السِّيَاقِ، وَيَأْمَكَانُ سِمَاتِهِ الصَّوْتِيَّةُ أَنْ تُسَهِّمَ فِي تَلْوِينِ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ وَفِي تَصْوِيرِ شَيْءٍ مِنْهَا؛ فَـ (الصَّوْتِ) مَظَهَرٌ يُقَاعِي سِوَاءَ عَبْرٍ جَرَسٌ ذَلِكَ الصَّوْتِ بِمَلْمَحِ صَوْتِيٍّ أَسَاسِيٍّ قَائِمٍ عَلَى الْهَمْسِ أَوْ الْجَهْرِ أَمْ عَبْرٍ بِمَلْمَحِ صَوْتِيَّةٍ نَائِيَّةٍ كَالصَّفِيرِ وَالتَّفْخِيمِ وَالتَّكْرَارِ وَغَيْرِهَا مِنْ الصِّفَاتِ النَّائِيَّةِ. (\*)

وَتَنْتُجُ الْقِيَمَةُ التَّعْبِيرِيَّةُ لِلتَّكْرَارِ الصَّوْتِيِّ حِينَ تُعْبَرُ كَنَافَتُهُ فِي السِّيَاقِ عَنِ مَحْتَوَى التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ دِلَالَةً وَشُعُورًا، تِلْكَ الْكَنَافَةُ الَّتِي تُجَسِّدُ ظَاهِرَةً أُسْلُوبِيَّةً عَلَى الْمُسْتَوَى الصَّوْتِيِّ بِانْزِيَاكِهَا عَنِ الْمَعْيَارِ، وَإِذَا كَانَ قِيَاسُ الْانْزِيَاكِ فِي الْمُسْتَوَى الصَّرْفِيِّ أَوْ التَّرْكِيبِيِّ أَوْ الدَّلَالِيِّ لَا يُضَادِفُ صُعُوبَةً، فَإِنَّهُ عَلَى الْمُسْتَوَى الصَّوْتِيِّ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَحْدِيدِ الْمَعْيَارِ الَّذِي تُقَاسُ إِلَيْهِ دَرَجَةُ الْانْزِيَاكِ، وَقَدْ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمَ أَنَيْسَ مَعْيَارًا صَوْتِيًّا مُنَاسِبًا لِقِيَاسِ دَرَجَةِ الْانْزِيَاكِ الصَّوْتِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَقَدْ وَضَعَ هَذَا الْمَعْيَارَ بَعْدَ عَمَلِيَّةٍ إِحْصَائِيَّةٍ لِشُبُوحِ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (\*). وَقَدْ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْإِحْصَائِيَّةُ الْمَعْيَارَ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الدَّارِسُونَ لِمَعْرِفَةِ دَرَجَةِ انْزِيَاكِ أَصْوَاتِ اللَّغَةِ. (6)

وَيَمَثِّلُ هَذَا الْمَعْيَارُ فِي الْجَدْوَلِ الْآتِي (7):

(1) رينيه ويليك وأوستين وارين: نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، ص: 205.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) رومان ياكسون: قضايا الشعرية، ص: 54.

(\*) تصنف الأصوات تبعاً لتلك الملامح في مجموعات، فالأصوات (المجهورة) هي: (ب، م، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، ن، و، ي) و(المهموسة) هي: (ء، ح، ث، هـ، ش، خ، ص، ط، ف، ق، س، ك، ت) و(الشديدة) هي: (ب، ض، د، ط، ت، ك، ق، ء). و(الرخوة) هي: (ث، ح، خ، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ع، غ، ف، هـ). و(المطبقة) هي: (ص، ض، ظ، ط) ودونها غير المطبقة (المنفتحة). و(المستقلة) هي: (ث، ب، ت، ع، ز، م، ن، ي، ج، و، د، ح، ر، ف، هـ، س، ل، ء، ذ، ش، ك). و(المستعلية) هي: (ص، ض، ط، خ، ع، ق). و(الذلقية) هي: (م، ر، ب، ن، ف، ل) ودونها (المصمتة). و(الصفيرية) هي: (ص، س، ز). و(القلقلة) هي: (ج، د، ق، ط، ب). و(اللينية) هي: (و، ي). و(التكرارية) هي: (ر). و(المتفشية) هي: (ش). و(المستطيلة) هي: (ض)، ينظر غازي مختار طليمان: في علم اللغة، ص: 133. وأحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، ط: 2، 1419هـ - 1999م، ص: 80-88.

(\*) يوضح إبراهيم أنيس الطريقة التي تمت بها تلك الإحصائية بالقول: "ولقد حصرت عدد كل منها في عشرات من صفحات القرآن الكريم، الذي لا شك أنه يمثل أصدق الأساليب العربية، وقد اتخذت هذه الصفحات كنماذج يقاس عليها، ثم استعنت بأهل الرياضة فأجروا لي تلك العملية الرياضية التي تستخدم في علم الإحصاء وفي كثير من العلوم الحديثة، لتغنينا عن استقراء جميع أفراد الأصوات." إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 238.

(4) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: 5، 1979، ص: 24.

(5) المرجع نفسه، ص: 238. ومحمد بونجمة: الرمزية الصوتية في شعر أدونيس، الدلالة الصوتية والصرفية، مطبعة الكرامة (د. ت)، ص:

شيوغ الأصوات اللغوية في القرآن الكريم			
الصوت	شيوغه	الصوت	شيوغه
ل	12.7	س	2
م	12.4	د	2
ن	11.2	ذ	1.8
ء	7.2	ج	1.6
هـ	5.6	ح	1.5
و	5.2	خ	1
ت	5	ص	0.8
ي	4.5	ش	0.8
ب	4.3	ض	0.6
ك	4.1	غ	0.5
ر	3.8	ث	0.5
ف	3.7	ز	0.4
ع	3.7	ط	0.4
ق	2.3	ظ	0.3

وتتشكل أنساق التكرار الصوتي في مجموعات صوتية تشترك في صفة أو أكثر من الصفات الصوتية، ويمكن رصدها في المتن الشعري الإسلامي من خلال أنساق التكرار في القصائد الآتية:

### 1- الصوت المهموس في القصيدة:

ويرد في القصائد الآتية:

#### 1-1- الصوت المهموس في قصيدة (أندلس أخرى!) (1):

تمثل قصيدة (أندلس أخرى!) (2) رسالة، بالمفهوم الشعري، تُهيمن فيها الوظيفة الشعرية (3) المتجاوزة للتواصل اللساني المجرد، وقد هدفت الشاعر إلى إقامة قناة للتواصل تصهر فيها الأداة اللغوية الفكر والفن في بوتقة جمالية، تتجه إلى المرسل إليه/المتلقي لتكسر أفق انتظاره بدءاً من بنية العنوان (أندلس أخرى!) إلى بنية المفارقة في آخر بيت من القصيدة، ويحيل سياق الرسالة إلى مأساة مسلمي (البوسنة) و(الهرسك)، ويمثل الشاعر المرسل الذي ترتبط به الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية وهو يباشرها بالإفصاح عن موقفه تجاه هذه المأساة الإنسانية، وبالإعلان عن أساه وأسفه وغضبه وسخطه.

والملاحظ أن الوظيفة الانفعالية في القصيدة تنصدر الوظائف الأخرى المتعلقة بالرسالة من حيث سيرورتها اللسانية ومن حيث كونها فعلاً تواصلياً، ولا تتجلى هذه الوظيفة عبر النسيج اللفظي اللغوي للنص الشعري في صيغ التعجب المتميزة بتشكيلها الصوتي والتركيبي، فالوظيفة الانفعالية الظاهرة في صيغ التعجب، تلون إلى درجة ما أقوالنا على المستويات الصوتية والنحوية والمعجمية، وإذا حللنا اللغة من زاوية الإخبار الذي تنقله، فإنه لا

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 83.

(2) المصدر نفسه، ص: 83.

(3) رومان ياكسون: قضايا الشعرية، ص: 43.

يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَخْتَرِلَ مَفْهُومَ الْإِخْبَارِ إِلَى الْمَطْهَرِ الْمَعْرِفِيِّ لِلْعَةِ، إِنَّ ذَاتًا مُتَكَلِّمَةً تَسْتَخْدِمُ عَنَاصِرَ تَعْبِيرِيَّةً لِلإِشَارَةِ إِلَى السُّخْرِيَّةِ أَوْ الْعَيْظِ تَنْقُلُ فِي الظَّاهِرِ إِخْبَارًا.<sup>(1)</sup> وَتَظْهَرُ الْوِظِيفَةُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ فِي بُنَى الْقَصِيدَةِ كَبِنِيَّةِ التَّرْكِيبِ فِي نَمَطِهَا الْخَبْرِيِّ وَالْإِنْشَائِيِّ وَفِي نَمَطِهَا الْفِعْلِيِّ وَالْإِسْمِيِّ وَفِي نَمَطِهَا الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ.

تَبْدُو الْوِظِيفَةُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ عَلَى مُسْتَوَى الْعُنْوَانِ (أَنْدَلُسُ أُخْرَى!) مِنْ خِلَالِ عِلَامَةِ التَّعَجُّبِ (!) الَّتِي تَقُومُ كَدَالٌ سِيمِيَّائِيٌّ، بِالِإِشَارَةِ إِلَى تِلْكَ الْوِظِيفَةِ، فَهِيَ عِلَامَةٌ تَحْمِلُ أَكْثَرَ مِنْ دِلَالَةٍ كَالدَّلَالَةِ عَلَى الْمَفَاجَأَةِ بِالضِّيَاعِ فِي سِيَاقِ يُبَيِّرُ الشُّعُورَ بِالتَّعَجُّبِ وَالذَّهْشَةَ وَالِاسْتِعْرَابَ، وَمِنْ ثَمَّ يَحْطَى هَذَا الْعُنْوَانُ الْجُمْلَةَ الْبَسِيطَةَ بِأَكْثَرَ مِنْ تَأْوِيلٍ لِلْمَعْنَى عَلَى مُسْتَوِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَتَسْتَدْعِي مَا يَكُونُ قَدْ حُذِفَ مِنْ عَنَاصِرِ الْبِنْيَةِ/الْعَتَبَةِ، بِوَصْفِ الْجُمْلَةِ، نَحْوِيًّا، جُزْءًا مِنْ جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ خَبْرِيَّةٍ حُذِفَ فِيهَا الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ (الْمُبْتَدَأُ)، وَقَدْ يُقَدَّرُ عَلَى أَنَّهُ الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ (هِيَ)، وَذَكَرَ الْإِنْفِعَالِيَّةُ الْمُسْنَدُ (الْخَبْرُ) الْجُمْلَةَ الْحَاضِرَةَ، وَبِحُكْمِ الْخَبْرِ وَصَفًا وَحُكْمًا عَلَى الْمُبْتَدَأِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى<sup>(2)</sup>، فَإِنَّهُ يَسْتَدْعِي الْمَوْصُوفَ الْغَائِبَ أَوْ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ، وَقَدْ اسْتَفْرَفَ فِي ذَاكِرَةِ الْمُتَلَقِّي أَنَّهُ أَنْدَلُسًا وَاحِدَةً مَعْلُومَةً ضَاعَتْ مِنْ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَتْ مِنْ جُغْرَافِيَا الْإِسْلَامِ، فَأَيُّ أَنْدَلُسٍ تُشِيرُ إِلَيْهَا عِلَامَةٌ (أُخْرَى)، سَوَاءً أَكَانَتْ خَيْرًا لِمُبْتَدَأِ ثَانٍ أَمْ صِفَةً لِلْخَبْرِ الْمُفْرَدِ؟ فَيَكْسِرُ هَذَا التَّرْكِيبُ بَعْرَابَةَ دِلَالَتِهِ وَتَنَاقُضَهَا الظَّاهِرِيَّ أَفْقَ انْتِظَارِ الْمُتَلَقِّي، وَيَنْزَاحُ عَنِ الدَّلَالَةِ الْأُولَى نَحْوَ دِلَالَةِ ثَانِيَّةٍ، هِيَ ضِيَاعُ أَرْضِ حَدِيدَةَ (البوسنة) الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الْأَنْدَلُسِ.

وَيَدْعُمُ عَدُّ بِنْيَةِ الْعُنْوَانِ بِنِيَّةً اسْمِيَّةً دِلَالَةَ الضِّيَاعِ وَالْفَقْدِ، وَلَوْ عُدَّتْ هَذِهِ الْبِنْيَةُ جُزْءًا (مُسْنَدًا) (فَاعِلًا) مِنْ جُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ (فِعْلُهَا الْمَضَارِعُ) (تَضْيَعُ) لَأَنْصَرَفَتِ الدَّلَالَةُ إِلَى تَجَدُّدِ ضِيَاعِ أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِمْرَارِهِ<sup>(3)</sup>. وَلَكِنَّ عِلَامَةَ التَّعَجُّبِ تُعَزِّزُ الْقَوْلَ بِإِنْشَائِيَّةِ الْجُمْلَةِ وَأَنَّهَا مُصَاغَةٌ عَلَى نَمَطِ الْإِسْتِفْهَامِ بِالْهَمْزَةِ (أ) الْمَحْذُوفَةِ وَالْفِعْلِ الْمَقْدَّرِ، فَالْجُمْلَةُ الْإِنْشَائِيَّةُ الْجَدِيدَةُ (أَتَضْيَعُ أَنْدَلُسُ أُخْرَى؟! تَبَعْتُ "الْحَرَكَةَ التَّسَاوُلِيَّةَ الْفَاعِلَةَ فِي بَدَايَةِ الْقَصِيدَةِ وَهُوَ أَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوفَّرَ لَنَا الْجُمْلَةُ الْخَبْرِيَّةُ".<sup>(4)</sup> وَهِيَ ذَاتُ قِيَمَةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ/تَعْبِيرِيَّةٍ يَزْدَوُجُ فِيهَا الْإِنْكَارُ وَالتَّعَجُّبُ، وَبِنْيَةُ الْإِسْتِفْهَامِ فِي الْمَطْلَعِ وَفِي تَضَاعِيفِ الْقَصِيدَةِ، وَبِنْيَةُ التَّعَجُّبِ وَبِنْيَةُ التَّكْرَارِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْبِنْيِ الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ تَعَكُّسُ الْوِظِيفَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ/الْإِنْفِعَالِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْإِسْتِهْلَالِ<sup>(5)</sup>:

أَفْلِسْطِينًا أَمْ أَنْدَلُسًا      فِي الْبُوسْنَةِ نَشَهَدُهَا بِأَسَى؟!  
سَرِيْفُو تَبْكِ مِحْتَتَهَا      كَالْقُدْسِ وَمَا أَعْلَى الْقُدْسَا!

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 28.

(2) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، دار الهداية، قسنطينة، الجزائر، ط: 2، 1410هـ-1990م، ص: 43.

(3) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، بيروت 1964، ص: 86. و خليل أحمد عميرة: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدة المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1404هـ-1984م، ص: 81.

(4) أحمد بسام ساعي: الواقعية الإسلامية في الأدب والتقد، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط: 1، 1405هـ-1985م، ص: 133.

(5) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 83.

أَنْدَلَسُ أُخْرَى الْيَوْمَ وَقَدْ كُنَّا أَنْسِينَا الْأَنْدَلَسَا!

وَتَنَكَّشِفُ سُلْطَةَ هَذِهِ الْوَضِيفَةِ، أَيْضًا، فِي آخِرِ بَيْتٍ مِنْ الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ الْمَضْمُونِ الْوَجْدَانِيِّ فِي بِنْيَةِ الدُّعَاءِ وَفِي بِنْيَةِ الْمَفَارِقَةِ اللَّفْظِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى انْتِقَالِ فِي الدَّلَالَةِ أَوْ عَلَى تَضَادٍّ بَيْنَ مَعْنَى الْكَلِمَةِ وَدَلَالَتِهَا أَوْ مَعْنَى الْمَعْنَى، وَقَدْ تَتَكَوَّنُ الْمَفَارِقَةُ اللَّفْظِيَّةُ حِينَ يُؤَدِّي الدَّالُّ مَدْلُولَيْنِ نَقِضَيْنِ: أَحَدُهُمَا قَرِيبٌ نَتِيجَةً تَفْسِيرِ الْبِنْيَةِ اللَّغَوِيَّةِ حَرْفِيًّا، وَالْآخَرُ سِيَاقِي حَفِيًّا يَجْهَدُ الْقَارِئُ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ وَاكْتِشَافِهِ. (1) إِذْ يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

أَنْفَذَهَا مِنْ قَادَةِ سُوءٍ لِعِدَاهَا قَدْ بَاتُوا عَسَسَا

وَتَنْشَأُ الْمَفَارِقَةُ مُعْتَمِدَةً عَلَى السِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، فَهِيَ قَائِمَةٌ فِي الْمَفْرَدَتَيْنِ (قَادَةُ/عَسَسَ)، فَدَلَالَةُ اللَّفْظَةِ (قَادَةُ) إِجْبَائِيَّةٌ، لُغَوِيًّا، إِذْ تَنْصَرِفُ إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى الرِّجَالِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَعْبَاءَ الْأُمَّةِ وَيَتَوَلَّوْنَ دَفَّةَ الْقِيَادَةِ فِيهَا فِي صَعَائِرِ الْأُمُورِ وَكِبَائِرِهَا، وَلَكِنَّهَا تَحَوَّلَتْ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الْإِجْبَائِيَّةِ إِلَى دَلَالَةٍ سَلْبِيَّةٍ بِتَخْصِيصِهَا بِإِضَافَةِ الْكَلِمَةِ (سَوْءٌ)، وَدَلَالَةُ اللَّفْظَةِ (عَسَسَ) تَحْمِلُ قِيَمَةً إِجْبَائِيَّةً عِنْدَمَا تُشِيرُ إِلَى الرِّجَالِ الْحَمَاءِ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ الْأُمَّةَ وَيَقْفُونَ عَلَى نُغُورِهَا، وَلَكِنَّهَا فِي هَذَا السِّيَاقِ تَنْزَاحُ إِلَى دَلَالَةٍ سَلْبِيَّةٍ بِتَخْصِيصِهَا بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ (لِعِدَاهَا)، وَشَتَانٌ بَيْنَ الدَّلَالَتَيْنِ. وَتَنْطَوِي بِنْيَةُ الْمَفَارِقَةِ عَلَى مَضْمُونِ وَجْدَانِيٍّ يَتِمَثَّلُ فِي التَّعَجُّبِ وَالسُّخْرِيَّةِ وَالْإِزْدِرَاءِ، وَتَأْخُذُ الْمَفَارِقَةُ فِي الشُّعْرِ الْحَدِيثِ مَفَاهِيمَ أَعْمَقَ وَدَلَالَاتٍ أَحْصَبَ.

وَتَنْصَحُ الْوَضِيفَةُ التَّعْبِيرِيَّةُ فِي الْأَنْسَاقِ الصَّوْتِيَّةِ التَّكْرَارِيَّةِ الَّتِي تُشَكِّلُ أَحَدَ مُسْتَوِيَاتِ الْإِيقَاعِ الدَّاحِلِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ، فَقَدْ وَظَّفَتْ مَجْمُوعَةَ الْأَصْوَاتِ الْهَامِسَةِ فِي السِّيَاقَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ فِيهَا الشُّعُورُ ذِرْوَتَهُ مِنَ الْأَسَى وَالْأَسْفِ وَالْحُزْنِ، مُسْتَفِيدَةً مِنَ الْإِمْكَانَاتِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَالطَّاقَاتِ الْإِجْبَائِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهَا هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ، وَوَضَّفَتْ مَجْمُوعَةَ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ فِي السِّيَاقَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي يَتَأَزَّمُ فِيهَا الشُّعُورُ وَتَزْدَادُ حِدَّتُهُ مِنَ الْعُضْبِ وَالْقَلْقِ وَالثُّورَةِ حِينَ لَا تَجِدُ نِدَاءَاتِ الْإِسْتِعَاثَةِ وَدَعَوَاتِ النُّصْرَةِ إِذْ بَدَأَتْ صَاعِيَةً فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَمَا وَلَّى زَمَنُ (الْمُعْتَصِمِ)، مُسْتَفِيدَةً مِنَ الْإِمْكَانَاتِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَالطَّاقَاتِ الْإِجْبَائِيَّةِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِهَا هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ.

تَقُومُ الْقَصِيدَةُ، أَوَّلًا، عَلَى نَسَقِ (الْمُتَدَارِكِ) الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِـ "حِفَّتِهِ وَسُرْعَةِ وَتَلَاخُقِ أَنْعَامِهِ، وَهَذِهِ الْحِفَّةُ وَتِلْكَ السَّرْعَةُ تَجْعَلَانِهِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْأَعْرَاضِ الْخَفِيفَةِ الظَّرِيفَةِ، وَإِلَّا لِلْأَجْوَاءِ التَّصْوِيرِيَّةِ الَّتِي يَصِحُّ فِيهَا أَنْ يَكُونَ النَّعْمُ عَالِيًّا، وَإِنَّمَا يَثْبُتُ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَةُ مَا نَرَاهُ مِنْ تَقْطَعِ أَنْعَامِهِ، فَكَأَنَّ النَّعْمَ يَقْفُزُ مِنْ وَحْدَةٍ إِلَى وَحْدَةٍ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنْ (فَعِلُنْ) تَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثِ حَرَكَاتٍ مُتتَالِيَةٍ يَلِيهَا سَاكِنٌ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْفَاصِلَةِ الصُّعْرَى، وَهَذَا التَّوَالِي الَّذِي يَعْقِبُهُ

(1) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 2002، ص: 64.

(2) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 86.

سُكُونٌ فِي كُلِّ تَفْعِيلَةٍ يُسْبِغُ عَلَى الْوِزْنِ صِفَتَهُ الْمَحْظُوظَةَ فَكَأَنَّهُ يَقْفِزُ". (1) وَهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ الْإِيقَاعِيَّةُ لِلنَّسَقِ تَنْسَجُمُ مَعَ الشُّعُورِ الْمُتَأَزِّمِ الْقَلْبِ الْمُضْطَّرِبِ حَسْرَةً وَأَسْفًا وَغَضَبًا.

وَلَا يَتَعَلَّقُ هَذَا النَّسَقُ بِالْأَعْرَاضِ الْخَفِيفَةِ الظَّرِيفَةِ، فَالْوَاقِعُ الشُّعْرِيُّ الْمَعَاوِرُ يَكْشِفُ عَنْ كَثَافَةِ هَذَا النَّسَقِ وَشُيُوعِ إِيقَاعِهِ فِي الْقَصِيدَةِ الْمَعَاوِرَةِ، فَتَجَارِبُ الشُّعْرَاءِ الْمُحَدِّثِينَ مُكْنَفَةٌ وَتَجَنُّحٌ إِلَى الرَّمَزِ وَالْإِيقَالِ وَتَنَائِي فِي مُعْظَمِهَا عَنْ الْأَعْرَاضِ الْخَفِيفَةِ الظَّرِيفَةِ حَيْثُ تَنْسَمُ تَجَارِبُ الشُّعْرِ الْحَرِّ بِالْعُمُوضِ وَالتَّكْثِيفِ، وَالْعَوَاصِ وَرَاءَ الْحَقَائِقِ، وَالْبَعْدِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّقْرِيرِيَّةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ مُوسِيقَى هَذَا الْبَحْرِ الْوَائِبَةِ، تُنَاسِبُ سُرْعَةَ الْإِيقَاعِ فِي الْعَصْرِ، وَهِيَ أَيْضًا أَنْعَكَاسٌ لِشِدَّةِ الْإِنْفِعَالِ وَتَأَجُّجِ الْعَاطِفَةِ وَتَوَقُّدِهَا". (2)

وَتَتَحَاوَزُ الْوِظِيفَةُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ التَّعْبِيرِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ النَّسَقِ الْإِيقَاعِيَّ بِصُورِهِ الْإِنْزِيَاخِيَّةِ إِلَى مَظَاهِرِ الْإِيقَاعِ الْآخَرَى، فَالْإِيقَاعُ بِالْمَفْهُومِ التَّقْدِيمِيِّ الْحَدِيثِ، يَدُلُّ عَلَى شَبَكَةٍ مِنْ التَّشْكِيلَاتِ وَالْعَلَاقَاتِ الَّتِي قَدْ يَتَبَلَّوْرُ بَعْضُهَا مِنْ بُحُورٍ مُتَمَيِّزَةٍ قَائِمَةٍ بِذَاتِهَا بَيْنَمَا يُشَكِّلُ بَعْضُهَا جُزْءًا لِحَمِيًّا مِنْ تَشْكِيلَاتٍ إِيقَاعِيَّةٍ أَوْسَعِ. (3) وَيُعَدُّ التَّكَرُّارُ الصَّوْتِيُّ فِي قَصِيدَةِ (أَنْدَلُسٍ أُخْرَى!) تَشْكِيلَةً إِيقَاعِيَّةً مِنْ تِلْكَ التَّشْكِيلَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَقَدْ أَتَّضَحَ فِي نَسَقَيْنِ صَوْتِيَيْنِ؛ هُمَا مَجْمُوعَةُ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ وَمَجْمُوعَةُ الْأَصْوَاتِ الْمَهْمُوسَةِ، وَيُحَدِّدُ الْجَدْوَلُ الْآتِي نِسْبَةَ شُيُوعِ أَصْوَاتِ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ مُقْتَرَنَةً بِمَعْيَارِ الشُّيُوعِ الْمَعْيَنِ سَلْفًا:

الصَّوْت	شُيُوعُهُ فِي اللَّغَةِ	شُيُوعُهُ فِي الْقَصِيدَةِ (أَنْدَلُسٍ أُخْرَى)	الصَّوْت	شُيُوعُهُ فِي اللَّغَةِ	شُيُوعُهُ فِي الْقَصِيدَةِ (أَنْدَلُسٍ أُخْرَى)
ل	12.7	8.33	س	2	7.56
م	12.4	8.33	د	2	4.25
ن	11.2	6.73	ذ	1.8	0.59
ء	7.2	6.26	ج	1.6	1.71
ه	5.6	3.13	ح	1.5	2.54
و	5.2	6.56	خ	1	1.30
ت	5	5.49	ص	0.8	1.95
ي	4.5	6.73	ش	0.8	1.30
ب	4.3	6.02	ض	0.6	0.70
ك	4.1	2.24	غ	0.5	1.53
ر	3.8	6.02	ث	0.5	0.41
ف	3.7	2.65	ز	0.4	0.35
ع	3.7	2.83	ط	0.4	0.70
ق	2.3	3.54	ظ	0.3	0.23

(1) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 132-133.

(2) صابر عبد اللّام: موسيقى الشعر العربي، ص: 101.

(3) كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص: 105.

والملاحظ أن أصوات القصيدة تتوزع على مجاميع قائمة على ملامحها الصوتية، هي، كالاتي،  
مجموعة الأصوات الانفجارية (ء، ب، د، ت، ق)، وتمثل مجتمعة نسبة (55.99%)، ومجموعة الأصوات  
الاحتكاكية (ف، س، ح، هـ)، وتمثل مجتمعة نسبة (40.61%)، والصوت المنحرف (ل)، ويمثل منفردا نسبة  
(13.66%)، والصوت المركب (ج)، ويمثل نسبة (2.81%)، والصوت الأغن (ن)، ويمثل نسبة (14.04%)،  
والصوت المكرر (ر)، ويمثل نسبة (9.88%)، وبهذا تشكل المجاميع الصوتية اللحمة والسدى في التسيج الصوتي  
للقصيدة.

وتتميز مجموعة الأصوات المجهورة (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي) <sup>(1)</sup> بكثافة  
ملحوظة، فقد بلغ تواترها ألفا واثنين وثلاثين (1032) مرة، وتمثلت نسبة (60.92%)، في حين بلغ تواتر مجموعة  
الأصوات المهموسة (ء، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ) <sup>(2)</sup> ستمائة واثنين وستين (662) مرة،  
وتمثلت نسبة (39.07%)، وبالمقارنة بين النسبتين يتضح أن مجموعة الأصوات الصامتة المجهورة أعلى نسبة من  
مجموعة الأصوات الصامتة المهموسة، وقد شكلت بعض أصوات المجموعة الصامتة المهموسة انزياحا عن المعيار  
منحها بعض الخصوصية فتواترها المحسوس على سطح البنية الصوتية دلالتة فهو انعكاس لحركة المعنى والشعور  
على مستوى البنية الدلالية في القصيدة، فقد اختلفت نسبة تواتر أصوات هذه المجموعة، فصوت (س) مثل نسبة  
(19.33%)، ومثل صوت (ء) نسبة (16.01%)، ومثل صوت (ت) نسبة (14.04%)، ومثل صوت (ق) نسبة (9.09%)،  
ومثل صوت (هـ) نسبة (8%)، ومثل صوت (ح) نسبة (6.49%)، ومثل صوت (ف) نسبة (6.79%)، ومثل صوت (ك)  
نسبة (5.74%)، ومثل صوت (ص) نسبة (4.98%)، ومثل صوت (ش) نسبة (3.32%)، ومثل صوت (خ) النسبة ذاتها،  
ومثل صوت (ط) نسبة (1.81%)، ومثل صوت (ث) نسبة (1.05%).

ويبدو من خلال المقارنة بين نسب تواتر الأصوات أن صوت السين (س) أعلىها كثافة، فهو يقع في المرتبة  
الأولى في مجموعة الأصوات المهموسة يليه صوت الهمزة (ء) في المرتبة الثانية، ويقع في المرتبة الثالثة يسبقه صوتا  
اللام (ل) و(الميم) (م) من أصوات المجموعة المجهورة. وقد تمثل الصوت المهموس في الأصوات الآتية:

### 1-1-1- الصوت المهموس الاحتكاكي (السين):

يعد (السين)، من الناحية الصوتية، صامتا مهموسا احتكاكيا (رخوا) ينتج بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة فلا  
يحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو كما تقدم عند التقاء طرف  
اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدا يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك

(1) محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص: 122.

(2) المرجع نفسه، ص: 121.

الصَّغِيرَ الْعَالِي. " (1) وَتَرْتَبُطُ هَذِهِ الْخَصَائِصُ الصَّوْتِيَّةُ بِبَعْضِ حَالَاتِ الشُّعُورِ فِي السِّيَاقَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَيُعَدُّ، مِنْ النَّاحِيَةِ الْإِقَاعِيَّةِ، صَوْتًا رَئِيسًا مُهِمًّا بِسِمَاتِهِ الْإِقَاعِيَّةِ مِنْ (صَغِيرٍ) وَ(وَسُوسَةٍ) عَلَى إِقَاعِ النَّصِّ وَجَادِبًا لِأَصْوَاتِ مَجْمُوعَتِهِ الَّتِي تَحْمِلُ السَّمَاتِ ذَاتَهَا.

وَقَدْ بَلَغَ تَوَاطُرُ السَّيْنِ فِي الْقَصِيدَةِ مِائَةً وَثَمَانٍ وَعِشْرِينَ (128) مَرَّةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (19.33%) مِنْ نِسْبَةِ مَجْمُوعِ الْأَصْوَاتِ الْمَهْمُوسَةِ، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (7.56%) مِنْ نِسْبَةِ مَجْمُوعِ أَصْوَاتِ الْقَصِيدَةِ، وَبِمُقَارَنَةِ نِسْبَةِ شُيُوعِهِ فِي الْقَصِيدَةِ (7.56%) بِنِسْبَةِ شُيُوعِهِ فِي اللَّغَةِ، أَيْ بِمَعْيَارِ شُيُوعِ الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمُحَدَّدَةِ بِـ(2%)، يَتَبَيَّنُ انْتِزَاعُ الْكَبِيرِ الدَّالِّ عَلَى حَرَكَةِ الشُّعُورِ الْمُتَأَزِّمِ، وَقَدْ وَسَمَ مِنْ خِلَالِ كَثَافَتِهِ وَتَوَازُعِهِ الْقَصِيدَةَ بِطَابَعِ الْأَسَى وَالْحَسْرَةِ وَالْحَسْرَةِ، وَهِيَ مَشَاعِرٌ تَتَعَمَّقُ نَفْسَ الشَّاعِرِ وَتَشْبَعُ فِي حَسَدِ النَّصِّ.

يَرِدُ صَوْتُ السَّيْنِ (س) فِي بَنِيَّةِ الْمَطْلَعِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَيَتَوَزَّعُ عَلَى مَسَافَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ، فِي نَسَقِ تَقْفِيَةِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ وَنَسَقِ تَقْفِيَةِ الْمِصْرَاعِ الثَّانِي نَاشِئَةً عَنِ التَّصْرِيحِ الَّذِي تَتَّفِقُ فِيهِ صُورَتَا الْعُرُوضِ (فعلن=0//) وَالضَّرْبِ (فعلن=0//) فِي الْكَلِمَتَيْنِ (أندلسا/بأسى)، وَيَتَوَزَّعُ عَلَى مَسَافَاتٍ شَبِيهَةٍ مُنْتَظِمَةٍ فِي حَشْوِ الشَّطْرِ وَفِي حَشْوِ الشَّطْرِ الثَّانِي، وَقَدْ شَكَلَ انْتِظَامُ التَّوْزِيعِ نَسَقًا تَكَرَّرِيًّا صَوْتِيًّا، وَأَدَّى إِلَى انْتِشَارِ الصَّوْتِ فِي فِضَاءِ الْمَطْلَعِ، صَدْرًا وَعَجْزًا، وَفِي فِضَاءِ الْقَصِيدَةِ حَشْوًا وَرَوِيًّا مَعَ انْتِشَارِ شُعُورِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى وَالْحَسْرَةِ مِنْ أَوَّلِ مَلْفُوظٍ فِي النَّصِّ إِلَى آخِرِ مَلْفُوظٍ فِيهِ، فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (2):

أَفَلِسْطِينًا أَمْ أَنْدَلْسَا فِي الْبُوسَنَةِ نَشْهَدُهَا بِأَسَى!؟

وَيُحَقِّقُ صَوْتُ السَّيْنِ قِيمَتَهُ التَّعْبِيرِيَّةَ مِنْ حَيْثُ هُوَ أَصْعَرُ وَحْدَةً إِقَاعِيَّةً فِي الْمُرَدَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي نَسِجِ الْقَصِيدَةِ الشُّعْرِيَّةِ، وَيَكْتَسِبُ فِي دُخُولِهِ الشُّعْرِيَّ قِيمَةً إِقَاعِيَّةً مُضَافَةً، مِنْ خِلَالِ الْفَعَالِيَّاتِ الَّتِي تَنْهَضُ بِهَا مَجْمُوعَةُ الْأَصْوَاتِ الْمُتَجَانِسَةِ وَالْمُتَنَابِرَةِ، وَهِيَ تُؤَلِّفُ مَوْجَّهَاتٍ تُقَارِبُ قِيمًا مَدْلُولِيَّةً مُعَيَّنَةً، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ بَأْيٍ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِقْصَاءُ إِقَاعِ الْمُرَدَّةِ الشُّعْرِيَّةِ عَنْ مَحْتَوَاهَا الدَّلَالِيَّ. " (3) وَلَا يُمَكِّنُ إِقْصَاءُ الْمُرَدَّةِ الشُّعْرِيَّةِ عَنْ مَحْتَوَاهَا الْوَجْدَانِيَّ وَالشُّعُورِيَّ فَمُرَدَّةُ (فلسطين) أَوْ (أندلس) أَوْ (البوسنة) ارتبطت بالأسى والحزن والحسرة في السِّيَاقَاتِ الشُّعْرِيَّةِ.

وَيُشَكِّلُ التَّكَرُّارُ الصَّوْتِيَّ لِصَوْتِ السَّيْنِ مِنْ حَيْثُ تَوَازُعُهُ أَنْسَاقًا مُتَنَوِّعَةً، فَقَدْ يَرِدُ فِي شَكْلِ النَّسَقِ الرَّبَاعِيِّ أَوْ النَّسَقِ الثَّلَاثِيِّ أَوْ النَّسَقِ الثَّنَائِيِّ، وَقَدْ عُدَّ هَذَا التَّوَعُّعُ مِنَ التَّكَرُّارِ الصَّوْتِيِّ نَسَقًا عَلَى أَسَاسِ أَنَّ النَّسَقَ "يَعَايُنُ مِنْ

(1) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 76.

(2) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 83.

(3) محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة، ص: 6.

حَيْثُ هُوَ عَمَلِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ نَتَائِيَّةٌ أَيْ أَنَّهَا فِي جُذُورِهَا تَتَّبَعُ مِنْ تَمَائِزِ ظَوَاهِرِ مُعَيَّنَةٍ فِي حَسَدِ النَّصِّ أَوْ الْحِكَايَةِ ثُمَّ تَكَرَّرَهَا عَدَدًا مِنَ الْمَرَّاتِ ثُمَّ انْحِلَّالَ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ وَاخْتِفَاؤَهَا، بِهَذِهِ الصَّفَةِ يَكْتَسِبُ النَّسَقُ طَبِيعَةً جَدَلِيَّةً، إِذْ أَنْ مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ التَّكَرَّرَ ظَاهِرَةٌ نِهَائِيَّةٌ، لِأَنَّ لَهَا نِهَائِيَّتَهُ تَعْنِي انْتِهَاءَهُ، إِذْ أَنَّهَا تَمْنَعُ التَّمَائِزَ وَالتَّضَادَ اللَّذَيْنِ لَا بُدَّ أَنْ يَتَوَفَّرَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَشَكَّلَ نَسَقٌ مَا بِالدرَجَةِ الْأُولَى". (1) وَيُمْكِنُ التَّمَثِيلُ لِتَشْكِيلِ النَّسَقِ بِسِلْسِلَةِ الْأَرْقَامِ (1231451671891...)، فَالنَّسَقُ يَتَشَكَّلُ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ مِنَ التَّمَائِزِ بَيْنَ الرَّقْمِ (1) وَبَقِيَةِ الْأَرْقَامِ، وَمِنْ تَكَرَّرِهِ فِي حِيْزَاتٍ مُحَدَّدَةٍ وَعَلَى مَسَافَةٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الْأَرْقَامِ الَّتِي تَتَّبَعُهُ، وَيَتَّضِحُ هَذَا النَّسَقُ بِالطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ (x..x..x..x..x) (2)، وَفِي الْقَصِيدَةِ يَتَشَكَّلُ النَّسَقُ مِنَ التَّمَائِزِ وَالاخْتِلَافِ بَيْنَ صَوْتِ السِّينِ كَعُنْصُرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ الْأَصْوَاتِ الْمَكُونَةِ لِلْمَلْفُوظِ وَالتَّكَرَّرِ فِي حِيْزَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، وَيَأْخُذُ هَذَا النَّسَقُ الصَّوْتِي الشَّكْلَ (س...س...س...س)، وَيَتَّضِحُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (3):

أَفَلَسْطِينًا أَمْ أَنْدَلُسًا      فِي الْبُوسَنَةِ نَشْهَدُهَا بِأَسَى؟!  
سَرِيْفُو تَبْكَي مَحَنَّتِهَا      كَالْقُدْسِ وَمَا أَعْلَى الْقُدْسَا!  
أَنْدَلَسٌ أُخْرَى الْيَوْمَ وَقَدْ      كُنَّا أَنْسِينَا الْأَنْدَلُسَا!  
دَرْسٌ فِي الْحَقْدِ نُلَقِّنُهُ      أَحْيَا دَرْسًا قَبْلُ أَنْدَرْسَا  
الصَّرْبُ صَهَائِنُ أُوْرُبَا      بَلْ فَاقُوا الْأَصْلَ الْمُقْتَبَسَا  
وَالْبُوسَنَةُ صِنُوْ فِلَسْطِينِ      سَكَّيْنُ الْعَدْرِ بِهِ أَنْعَرْسَا  
صِرِّيَّةُ الْكُبْرَى إِسْرَائِيلُ      الْوَجْهَ الْآخِرَ مُنْعَكِسَا

يَتَّخِذُ النَّسَقُ الصَّوْتِي فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ (1-7) التَّوْزِيعَ الْآتِي حَيْثُ يُشِيرُ الرَّمْزُ (Ø) إِلَى اخْتِفَاءِ الْعُنْصُرِ النَّسَقِيِّ أَوْ تَعْوِيْضِهِ:

س + س + س + س  
س + Ø + س + س  
س + Ø + Ø + س  
س + Ø + س + Ø  
س + س + س + س  
Ø + س + Ø + س

(1) كمال أبو ديب: جدلية الحفاء والتعلي، ص: 109.

(2) المرجع نفسه، ص: 109.

(3) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 83.

والملاحظ على هذا التوزيع أن النسق الصوتي للمحافظة على الإيقاع واتزان واستمرار النسق ولموافقة وحدة الشعور في المقطع يقوم بتعويض الصوت النسقي الأساسي في الحيز الذي يختفي فيه بصوت مجانس له يتوفر على إحدى ملامحه الصوتية الرئيسية، والصوت المجانس في هذا السياق هو صوت الصاد(ص)، فالصوتان النسقي(س) والبديل(ص) يشتركان في أكثر من ملامح صوتي أهمها(الهمس) و(الصغير)، وبهذا التعويض تستدرك كمية(الصغير) أو(الوسوسة) المنخفضة ويستوي الإيقاع. وهذان الملمحان الصوتيان يمان عما في نفس الشاعر من مشاعر الأسى والحزن والأسف فهو يرى شعباً مسلماً يباد والصمت مخيم على مسلمي العالم والسكوت مطبق على منظماته الحقوقية والإنسانية وما ذلك إلا لأن الدم المراق دم المسلمين!، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

الصَّربُ صَهاينُ أوربا بَلْ فاقوا الأَصْلَ المُقبَسَا  
والبُوسنةُ صِنُو فِلسطِينِ سَكِينُ العَدْرِ بِهِ انْعَرَسَا  
صِربِيَّةُ الكُبرى إِسرائِيلُ الوَجْهُ الأخرُ مُنْعَكَسَا

ويتخذ النسق الصوتي الجديد المعتمد على صوتي(ص) و(س) التوزيع الآتي، فيكون رباعياً:

ص + ص + ص + س

ويكون ثنائياً:

ص + س + Ø + س

ويكون ثنائياً:

ص + س

في قول الشاعر<sup>(2)</sup>:

شَعْبٌ يُقْتَادُ لِمَصْرَعِهِ يَا لَلْمَنْكُوبِينَ البُوسَا

ويقوم النسق الصوتي بفاعليته الإيقاعية من خلال اكتماله ثم انحلاله، وهو بهذه الطريقة يعمل على توطيد بنية ثنائية ضدية تتبع من التمايز بين عنصرين أساسيين، وقد يفسر ما يقال هنا جزءاً من حيوية(ديناميكية)عملية التلقي الأدبي، ويجلو سر عنصر رئيسي في الفن هو عنصر التوقع وعنصر آخر مرتبط به وتابع منه هو عنصر المفاجأة التي تستند أساساً إلى تغذية التوقع وتنميته ثم إخراج البنية عن مسارها المتوقع وخلخلة بنية التوقعات المتشكلة في الذهن.<sup>(3)</sup> ويقوم النسق الصوتي بفاعليته الدلالية من خلال تجلية ثنائية(الامتلاك/الفقد)التي تمثلها هذه الفضاءات الثلاثة(الأندلس) و(فلسطين) و(البوسنة)، وينبني عنصر التوقع في هذا النسق على امتلاك أندلس

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 83.

(2) المصدر نفسه، ص: 83.

(3) كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي، ص: 110.

أُخْرَى فَإِذَا الْوَاقِعُ يُفَاجِئُ بَعْزِ الْمُنْتَظَرِ وَيَفْجَعُ بَعْزِ الْمَتَوَقِّعِ بِفَقْدِ أُندُلُسٍ أُخْرَى، وَذَلِكَ عُنْصُرُ الْمَفَاجَأَةِ. وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الثَّنَائِيَّةُ مِنْ تَحْلِيَّاتِ الثَّنَائِيَّةِ الْعَمِيقَةِ (الْأَنَا/الْآخَرِ)، أَوْ (الْمُسْلِمُ/ غَيْرِ الْمُسْلِمِ) وَالْعَلَاقَةُ الْمَتَوَثِّرَةُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا.

إِنَّ هَذَا التَّكْرَارَ الصَّوْتِيَّ يُجَسِّدُ هَنْدَسَةَ الْإِيقَاعِ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ التَّوْزِيعِ الْمَتْرَنِ لِلْأَصْوَاتِ الْمَهْمُوسَةِ وَالِانْتِشَارِ الْوَاسِعِ لِصَوْتِ السَّيْنِ الْمُدْعَمِ بِصَوْتِ مُمَائِلٍ لَهُ، وَهُوَ صَوْتُ الصَّادِ الَّذِي مِثْلَ نِسْبَةِ (4.98%)، وَبِإِضَافَةٍ هَذِهِ النِّسْبَةِ إِلَى نِسْبَةِ السَّيْنِ يَكُونُ الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ السَّيْنِ الْأَوْسَعُ انْتِشَارًا فِي النَّصِّ بِنِسْبَةِ (24.31%)، وَالْأَكْثَرُ انْسِجَامًا مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ فِي ثَمَانِيَّةٍ وَسِتِّينَ بَيْتًا، وَهِيَ مَجْمُوعُ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ. وَالْمُلَاحِظَةُ أَنَّ صَوْتَ السَّيْنِ يَتَكَرَّرُ فِي مَتْنِ الْقِرْضَاوِيِّ الشُّعْرِيِّ فِي أَكْثَرِ مِنْ قَصِيدَةٍ مُعَبَّرًا بِإِيقَاعِهِ عَنْ حَالَاتِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى وَالْأَسْفِ وَالْحَسْرَةِ فِي أَنْسَاقٍ صَوْتِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، فَفِي قَصِيدَةِ (سَرَابِ السَّلَامِ أَوْ سَلَامِ السَّرَابِ)<sup>(1)</sup> يَتَرَدَّدُ صَوْتُ السَّيْنِ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ (140) مَرَّةً مُتَعَلِّقًا بِمَوْضُوعَةِ (فِلَسْطِينِ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ<sup>(2)</sup>:

عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّأْسِ سَلَامُ الْحَبْرِ وَالطُّرْسِ!  
 سَلَامُ الصَّجَّةِ الْكُبْرَى كَأَنَّ الْقَوْمَ فِي عُرْسِ!  
 عَلَامَ؟ وَلَا عَرُوسَ هُنَا وَلَمْ تَشْهَدْ سِوَى الْبُؤْسِ  
 وَلَمْ نَسْمَعْ زَعَارِيدَ الشُّرُورِ وَفَرَحَةَ الْأُنْسِ  
 سِوَى صَرَخَاتِ كُلِّ الشُّعْرِ بِمِنْ رَفْحٍ لِنَابِلِسِ  
 وَأَنَاتِ ثِكَالِي الظُّلْمِ مِنْ أُمَّ وَمِنْ عُرْسِ  
 وَزَمَجْرَةَ احْتِجَاجِ الشُّمِّ مِ اسْرِي السَّجْنِ وَالْحَبْسِ

فَالسَّيْنُ يُمَثِّلُ صَوْتًا رَئِيسًا فِي النَّسْقِ التَّقْوِيَّ كَرَوِيٍّ لِلْقَصِيدَةِ، وَيُمَثِّلُ صَوْتًا بَارِزًا فِي حَشْوِ الْبَيْتِ، يَسْتَدْعِي أَصْوَاتَ مَجْمُوعَتِهِ الْمَهْمُوسَةِ خَاصَّةً تِلْكَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَشْتَرِكُ مَعَهُ فِي صِفَةِ الصَّفِيرِ وَهِيَ (ص، ز)، وَيَسْتَدْعِي بَعْضَ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ كَصَوْتِ الرَّاءِ الَّذِي يُلَاقِي بِتَكَرَّرِيَّتِهِ الشُّعُورَ الْمُتَأَزِّمَ الْمُضْطَرِبَّ. بِالإِضَافَةِ إِلَى مَجْرَى الرَّوِيِّ وَهُوَ الْكَسْرَةُ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِنْكَسَارِ، وَيَتَّخِذُ النَّسْقُ الصَّوْتِيُّ التَّوْزِيعَ الْآتِيَّ:

س + س + س  
 س + س  
 س + س + س  
 س + س + س  
 س + س  
 س  
 س + س + س

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 78.

(2) المصدر نفسه، ص: 78.

وَتَدْعُمُ هَذَا النَّسْقُ بَعْضُ أَصْوَاتِ مَجْمُوعَتِهِ الْمُحَانِسَةِ لَهُ كَالصَّوْتِ الْمُتَفَشِّي (ش) فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ، وَيَتَّخِذُ التَّوْزِيعَ الْآتِي:

س + ش + س + س

وَكَصَوْتِ الرَّأْيِ (ز) فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ، وَيَتَّخِذُ التَّوْزِيعَ الْآتِي:

س + س + ز + س

وَكَصَوْتِ الصَّادِ (ص) فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ، وَيَتَّخِذُ التَّوْزِيعَ الْآتِي:

س + ص + س

وَكَصَوْتِ الثَّاءِ (ء) فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ، وَيَتَّخِذُ التَّوْزِيعَ الْآتِي:

ث + س

وَكَصَوْتِ الْحَاءِ (ح) فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ، وَيَتَّخِذُ التَّوْزِيعَ الْآتِي:

ح + س + س + س

كَمَا يَتَوَاتَرُ صَوْتُ السَّيْنِ بِخَصَائِصِهِ الْإِيْقَاعِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ يَتَوَاتَرُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ فِي قَصِيدَةِ (المُسلِمُونَ قَادِمُونَ)<sup>(1)</sup>، وَتُمَثِّلُ الْقَصِيدَةُ \*تَجْرِبَةٌ شَعْرِيَّةٌ فَرِيدَةٌ عَلَى النَّمَطِ الْحُرِّ فِي مَتْنِ الْقَرَضَاوِيِّ، فَهِيَ تَقُومُ عَلَى نَسْقِ (الرَّجْزِ) الَّذِي تَتَنَوَّعُ وَتَتَعَدَّدُ صُورُهُ الْإِيْقَاعِيَّةُ (مُسْتَفْعِلُنْ=0//0/0-مُتَفَعِلُنْ=0//0//0-مُفْتَعِلُنْ=0//0//0) بِحَسَبِ الدَّفْقَةِ الشُّعُورِيَّةِ فِي كُلِّ سَطْرِ شَعْرِيٍّ، وَهِيَ ذَاتُ نَفْسٍ شَعْرِيٍّ طَوِيلٍ، فَقَدْ بَلَغَ مَجْمُوعُ سَطُورِهَا الشُّعْرِيَّةِ أَرْبَعِمِائَةَ (400) سَطْرٍ شَعْرِيٍّ وَتَكَرَّرَتْ فِي فِضَائِهَا اللَّازِمَةُ الْإِيْقَاعِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ (المُسلِمُونَ قَادِمُونَ) سِتَّ عَشْرَةَ (16) مَرَّةً، وَتَقَعُ فِي مَطْعِ كُلِّ مَقْطَعٍ شَعْرِيٍّ وَفِي نِهَائِهِ وَأَحْيَانًا فِي نَوَائِهِ. وَبِذَلِكَ يَتَجَاوَزُ التَّكَرُّارُ الصَّوْتِيُّ تَكَرُّارَ الصَّوْتِ الْمُرْفَدِ وَتَكَرُّارَ اللَّفْظِ الْمُرْفَدِ إِلَى تَكَرُّارِ التَّرْكِيبِ أَوْ الْجُمْلَةِ تَكَرُّارًا نَسَقِيًّا فَاعِلًا فِي بِنْيَةِ الْإِيْقَاعِ، فَهَذِهِ اللَّازِمَةُ مَظْهَرٌ إِيْقَاعِيٌّ يَكْشِفُ عَنِ الْفِكْرَةِ الْمُسَيَّرَةِ عَلَى الشَّاعِرِ وَالْحَالَةَ الشُّعُورِيَّةَ الطَّاعِيَّةَ عَلَى مَضْمُونِ النَّصِّ، كَمَا أَنَّ اللَّازِمَةَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْإِيْقَاعِ لَا يُمَكِّنُ تَطْوِيرُهَا، فِيمَا يُبْدُو، إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْإِنْتِقَالِ بِهَا مِنْ مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ التَّكَرُّارِيَّةِ إِلَى مُسْتَوَى الْوِظِيفَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ.<sup>(2)</sup> وَتُشَكَّلُ بِالْمُوَازَاةِ مَعَ وَظِيفَتِهَا الْإِيْقَاعِيَّةِ اللَّازِمَةُ، أَيْضًا، التَّوَاةُ الْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي تَتَوَلَّدُ عَنْهَا دَلَالَاتُ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 121.

(\*) فقد ضم ديوانه (المسلمون قادمون) أربعاً وعشرين قصيدةً، جميعها قصائد على النمط العمودي ما عدا واحدة فهي قصيدة حرة على النمط الحر، وهي القصيدة الأخيرة في الديوان وتحمل عنوان (المسلمون قادمون) ومنها أخذ الديوان عنوانه، وتعد هذه القصيدة تجريباً شعرياً إيقاعياً لقصيدة التفعيلة بعدما ظهرت تجارب شعرية إسلامية ناجحة في متن الشعر الإسلامي.

(2) ناصر علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص: 253.

(3) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 121.

المُسلِّمُونَ قَادِمُونَ؟..

الدِّينُ وَالْمَنْطِقُ وَالتَّارِيخُ وَالْوَاقِعُ يَقْضِي: إِنَّهُمْ لَقَادِمُونَ؟

قُلْتُ لِمَنْ حَوْلِي: نَعَمْ، المُسلِّمُونَ قَادِمُونَ..

قَالُوا عَجِيبٌ مَا تَقُولُ..

كَيْفَ تَقُولُ: المُسلِّمُونَ قَادِمُونَ؟

والمُسلِّمُونَ هَاهُمْ الْيَوْمَ قَائِمُونَ!

هُمْ أَلْفُ مَلِيُونٍ إِذَا عُدُّوا، وَهُمْ يَزِيدُونَ!

قُلْتُ لَصَحْبِي: اتَّذُوا، لَا تَعْجَلُوا، لَتَعْلَمُوا إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

وَيُبْرِزُ الْمَقْطَعُ مَجْمُوعَةَ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ وَالْمَهْمُوسَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ إِيقَاعَهُ الدَّاحِلِيَّ، فَيَتَمَثَّلُ الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ

فِي صَوْتِي (النُّون) الْأَعْنُ وَالْإِنْفِجَارِيَّ، وَقَدْ وَرَدَا رَوِيَيْنِ فِي نَسَقَيْنِ تَقْفُويَيْنِ مُتَنَوِّعَيْنِ، وَتَمَثَّلُ الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ

فِي صَوْتِ (السِّين) الْإِحْتِكَائِيَّ وَقَدْ تَرَدَّدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَتَوَزَّعَ عَلَى السُّطُورِ الشُّعْرِيَّةِ بِأَعْدَادٍ مُتَفَاوِثَةٍ مُنْسَجِمًا

مِنْ حَيْثُ كَتَفَتْهُ مَعَ حَرَكَةِ الْإِنْفِعَالِ فِي بُنَى الْحَوَارِ الْهَادِيَّ الْهَادِفِ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْأَسْطُرِ الْأُولَى

بِمُعَدَّلٍ مَرَّةً فِي كُلِّ سَطْرِ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْارْتِفَاعِ مُسَائِرًا حَرَكَةَ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى، فَيَتَرَدَّدُ فِي السَّطْرِ الْعَاشِرِ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ وَفِي السَّطْرِ الْحَادِي عَشَرَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَفِي السَّطْرِ الثَّانِي عَشَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>

المُسلِّمُونَ قَادِمُونَ..

لَيْسُوا الْمُسْجَلِينَ بِالْإِسْلَامِ فِي شَهَادَةِ الْمِيلَادِ!

لَيْسُوا الَّذِينَ يُحْسَبُونَ مُسْلِمِينَ سَاعَةَ الْإِحْصَاءِ وَالتَّعْدَادِ!

وَيُدْفَنُونَ-إِنْ تَوَفَّوْا- فِي قُبُورِ الْمُسْلِمِينَ، تَبَعًا لِسُنَّةِ الْأَجْدَادِ!

لَيْسُوا الْمُسَمَّيْنَ بِأَسْمَاءِ النَّبِيِّ وَالصَّحَابِ الْعُرِّ وَالْعِبَادِ

..وَأِنْ تَكُنْ أفعالُهُمْ أَفعالَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ

لَيْسُوا الَّذِينَ يُعْرَضُونَ عَنْ نَدَاءِ اللَّهِ إِنْ نَادَاهُمْ الْمُنَادِي:

حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْجِهَادِ

### 1-1-2- الصوتُ المَهْمُوسُ الْإِنْفِجَارِيَّ (المَهْمُوزَةُ):

يَنْدَرُجُ صَوْتُ الْمَهْمُوزَةِ\*، مِنْ النَّاحِيَةِ الصَّوْتِيَّةِ، فِي مَجْمُوعَةِ الْأَصْوَاتِ الْإِنْفِجَارِيَّةِ (ء، ب، د، ت، ق)،

وَيَنْتُجُ الصَّوْتُ الْإِنْفِجَارِيُّ بِأَنْ يُحْبَسَ مَجْرَى الْهَوَاءِ الْخَارِجِ مِنَ الرَّئِثَيْنِ حَبْسًا تَامًا فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ، وَيَنْتُجُ

عَنْ هَذَا الْحَبْسِ أَوْ الْوَقْفِ أَنْ يُضْغَطَ الْهَوَاءُ ثُمَّ يُطْلَقَ سَرَّاحَ الْمَجْرَى الْهَوَائِيِّ فَجَاءَةً، فَيَنْدَفِعُ الْهَوَاءُ مُحْدَثًا صَوْتًا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 121.

(\*) يلاحظ هنا اختلاف علماء الأصوات في تصنيف صوت الهَمْزَة (ء)، فصوت الهَمْزَة لا مجهور ولا مهموس عند فريق، وهو مهموس عند آخرين إلا أن التجارب الصوتية الحديثة تدرجه ضمن أصوات (الجهر)، ينظر محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، ص: 121.

انفجاريًا".<sup>(1)</sup> ويُعدُّ صوتًا انفجاريًا شديدًا، وهو من أشقِّ الأصوات إذ يحتاج النطق به إلى جهدٍ عضليٍّ قد يزيدُ على ما يحتاج إليه أيُّ صوتٍ آخر<sup>(2)</sup>، وهو الصوتُ الثاني بعد السين في مجموعة الأصوات المهموسة من حيث كثافة التواتر؛ إذ تردَّد مائة وست (106) مرَّات، ومثَّل نسبة (16.01%) من نسبة مجموع أصوات الهمس، ومثَّل نسبة (6.26%) من نسبة مجموع أصوات القصيدة. ومثَّل مجموعته الانفجارية مُجمَّعة نسبة (55.99%) متفوقًا على المجموعة الاحتكاكية (ف، س، ح، هـ) التي مثَّلت نسبة (40.61%) والتي يُعدُّ صوتُ السين أحدَ أفرادها. ومن الناحية الإيقاعية، صوتًا رئيسًا مهميماً بِسماته الإيقاعية من (انفجارية) و(شدة) على إيقاع المقطع وحاذبًا لأصوات مجموعته التي تحمِلُ السمات ذاتها. وينزاح صوتُ الهمزة في القصيدة بنسبته تلك عن النسبة الثابتة في المعيار والمقدَّرة بـ (7.2%)، ويؤدِّي دلالته في السياق الشعريِّ حين يُسهم في الإيحاء بالشدة والجرأة والإصرار من جانب، ويُعبِّر عن الألم والوجع من جانبٍ آخر، فهو من أشقِّ الأصوات إذ يحتاج النطق به إلى جهدٍ والألم والوجع النفسِي من أشقِّ المشاعر والأحاسيس.

ويردُّ هذا الصوتُ المميِّزُ بتواترٍ ملحوظٍ في المقطع الذي يُعلن فيه الشاعرُ رأيه الصريحَ الجريءَ وموقفه الراسخَ الثابتَ من المؤسسات الدينية والإنسانية والعالمية التي تقفُ في صفِّ الظالم المعتدي وتدين المظلوم المعتدى عليه، وتنصُرُ الجلاد وتخذل الضحَّية، وحين يشعُرُ بالألم تجاه مواقف الشعوب المسلمة ومواقف قادتها وأنظمتها الحاكمة، يقول الشاعر<sup>(3)</sup>:

أَيْنَ الْمُؤْتَمَرِ الْإِسْلَامِيِّ؟	أَحْيَى أَمْ عَدِمَ النَّفْسَا؟
مَا بَالُ الْأُمَّةِ غَائِبَةٌ؟	لَا تَمْلِكُ غَيْرَ (لَعْل، عَسَى)
مَلِيَارٌ فِي التَّعْدَادِ وَلَا	أَثَرٌ، مَا ثَارَ وَلَا حَمَسَا
أَيْنَ الْعُلَمَا؟ أَيْنَ الزُّعَمَا؟	أَيْنَ الْأَمْرَا؟ أَيْنَ الرُّؤَسَا؟
مَا سَلُّوا سَيْفًا أَوْ رُمَحَا	لِلنَّجْدَةِ أَوْ رَكَبُوا فَرَسَا
مَا صَاخُوا صِيْحَةَ إِنْذَارٍ	لِلْغَرْبِ وَمَا قَرَعُوا جَرَسَا

إنَّ حركةَ الشعور المتواترِ في المقطع تتراءى على مُستوى البنية الصوتية من خلال كثافة الأصوات الانفجارية الشديدة (ء، ب، د...)، وتتجسَّد تلك الحركة، أيضًا، على مُستوى البنية التركيبية من خلال بُنى الاستفهام الكثيفة وبنى النفي، وقد تردَّد صوتُ الهمزة سبع عشرة مرَّةً مُرتبطةً في أكثرِ المرَّاتِ بدالِ الاستفهام، وقد أنتجت كثافة الصوتِ إيقاعًا شديدًا ثقيلًا كشدة الألم وغصصه، وأنتجت بُنى الاستفهام نغمًا متواترًا صاعدًا مُتناميًا مع حركة

(1) كمال محمد بشر: علم اللغة العام، الأصوات، ص: 100.

(2) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 90.

(3) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 85.

الانفعال الصاعدة في الأبيات الأربعة الأولى من المقطع وأنتجت بُنى النَّفْيِ فِي الْبَيْتَيْنِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ نَعْمًا مُتَوَاتِرًا مُنْكَسِرًا هَابِطًا مُوَازِيًا لِهَبُوطِ الْإِنْفِعَالِ وَانْكَسَارِ النَّفْسِ.

إِنَّ صَوْتَ الْهَمْزَةِ بِخَصَائِصِهِ الصَّوْتِيَّةِ مِنْ شِدَّةٍ وَانْفِجَارِيَّةٍ وَعُمُقِ الْمَخْرَجِ الْخُنْجَرِيِّ<sup>(1)</sup> يُحَاكِي حَرَكَةَ الشُّعُورِ بِدُخُولِهِ فِي بِنْيَةِ الْمَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُغْلَقَةِ (أَيِ، /أَوْ، /أَمْ... ) عَلَى خِلَافِ مَا تَقُومُ بِهِ الْمَقَاطِعُ الْمَفْتُوحَةُ (مَا، /بَا، /غَا، /صَا، /حُو، /عُو... ) وَالْمَقَاطِعُ الْمَفْتُوحَةُ فِي النَّسَقِ التَّفْقُويِّ الْمُوَحَّدِ الْمُتَكَرِّرِ (سَا، /سَا، /سَا... ) الَّتِي تُنْفِذُ بِنْيَةَ اللَّغَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي الْمَقْطَعِ مِنْ حَدِيثِهَا الْمَفْرِطَةِ.

وَيَرِدُ صَوْتُ الْهَمْزَةِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ الْمُتَوَاتِرِ، مُعْبِّرًا بِإِقَاعِهِ الْحَادِّ عَنْ مَنَاخِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ<sup>(2)</sup>:

أَيْنَ الْعَرَبُ الدِّمْقِرَاطِيُّ؟ نُرَاهُ تَرَاجَعَ وَانْتَكَسَا؟  
كَمْ قَبْلُ سَمِعْنَا زَأْرَتَهُ إِنَّ غَرْبِي مِنْهُ احْتَبَسَا!  
وَأَقَامَ الْأَرْضَ وَأَقْعَدَهَا إِنَّ صُهِبُونِي قَدْ لِمَسَا!  
وَالْيَوْمَ يُبَادُ بِهِ شَعْبٌ فِي الْبُوسَنَةِ أَمْسَى مُحْتَسِبَا  
إِمَّا اسْتَسْلَامٌ أَوْ ذَبْحٌ أَوْ هَجْرَةٌ شَعْبٌ مُبْتَسَا  
الْيَوْمَ يُقْتَلُ أَهْلُونَا فَإِذَا هُوَ أَبْكُمْ قَدْ خَرَسَا؟  
مَا زَالَ الْعَرَبُ صَالِبِيًّا مُصْطَحِبًا ذَا الْحِقْدِ الدَّنَسَا  
لَمْ يَنْسَ مَعَارِكِ حِطِّينَ وَلَطَى الْمَنْصُورَةَ وَالْقُدْسَا  
مَا زَالَ النَّاسُكَ بُطْرُسَ حَيًّا مَهْمَا بَدَلَ مَا لَبَسَا!

يَتَوَاتَرُ صَوْتُ الْهَمْزَةِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ (14) مَرَّةً فِي سِيَاقِ السُّخْرِيَّةِ الْمَرِيرَةِ مِنَ الْمَوْقِفِ الْمَزْدُوجِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ الْعَرَبُ الدِّمْقِرَاطِيُّ، وَيَأْتِي حِينًا عُنُصْرًا فِي دَالِّ الْإِسْتِفْهَامِ (أَيْنَ) وَحِينًا فِي بِنْيَةِ الْفِعْلِ وَالْمَصْدَرِ (أَقَامَ، أَقْعَدَ، زَأْرَتَهُ... )، فَيَتَحَوَّلُ إِلَى مُثِيرِ إِيقَاعِيٍّ قَوِيٍّ يَعْكَسُ الْإِنْفِعَالُ الْقَوِيَّ بِوَاسِطَةِ مُوَاصَفَاتِهِ الصَّوْتِيَّةِ مِنْ انْفِجَارِيَّةٍ وَشِدَّةٍ وَحِدَّةٍ، تِلْكَ الْمَوَاصَفَاتُ الَّتِي تُلَاقِي الدَّلَالَاتِ الَّتِي تُنْتِجُهَا السِّيَاقَاتُ الشُّعْرِيَّةُ. وَفِي هَذِهِ السِّيَاقَاتِ لَا يَقُومُ صَوْتُ الْهَمْزَةِ بِمُفْرَدِهِ بِالْوِظَيفَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ، فَهُوَ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ يَظَلُّ تَأْتِيًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى صَوْتِ السَّيْنِ الَّذِي يَحْتَفِظُ بِإِقَاعِهِ الْمُسْتَمَرِّ، فَقَدْ يَخْفُتُ وَيَفْتُرُّ وَلَكِنْ لَا يَنْقَطِعُ، بَيْنَمَا يَتَوَاتَرُ غَيْرُهُ فِي مَوَاضِعَ وَيَخْتَفِي، فَهِيَ هِيَ صَوْتُ السَّيْنِ يَنْتَشِرُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ مُعْبِّرًا عَنِ الرَّجَاءِ الْمُتَنْظَرِ الَّذِي يُوَارِيهِ الْعَيْبُ وَمُعْبِّرًا عَمَّا فِي النَّفْسِ مِنْ أَمَانٍ

(1) غازي مختار طليعات: في علم اللغة، ص: 140.

(2) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 84.

غائرة، فقد يرتبط هذا الصوت بحركة المعاني الخفية والمشاعر المضمرة، وإلى جانب ذلك تقوم المقاطع الصوتية المتوسطة المفتوحة بتجسيد تلك المضامين الوجدانية، يقول الشاعر في المقطع<sup>(1)</sup>:

يَا جُنْدَ الشَّرِّ، لَقَدْ فُقْتُمْ فِرْعَوْنَ، وَلَمْ تَرَعُوا قُدْسًا  
يَا شَرًّا مِنْ إِبْلِيسَ فَكَمْ وَلَى إِبْلِيسَ، وَكَمْ خَسَا  
يَا صِرْبُ اعْثُوا فِي الْأَرْضِ، فَلَنْ نَسَى تَارِيحَكُمْ التَّجَسَا  
نَخْتَزِنُ الْبُغْضَ لَكُمْ، حَتَّى يَتَفَجَّرَ يَوْمًا مُنْبَجَسَا  
سَيَثُورُ الْمَارِدُ، فَارْتَقِبُوا لَنْ يَبْقَى الْمَارِدُ مُحْتَبَسَا  
سَيُؤَدِّبُ مَنْ غَلَّوْ يَدُهُ وَسَيَجْنِي الْغَارِسُ مَا غَرَسَا  
سَيَعُودُ الْفَاتِحُ مُتَّصِرًا لِلْحَقِّ وَيَظْهَرُ مَا انْطَمَسَا  
وَسَيُشْرِقُ لِلْإِسْلَامِ ضُحَى وَيُولِي لَيْلٌ قَدْ دَمَسَا  
رَبَّاهُ، تَدَارِكُ أُمَّتَنَا وَأَضِيءُ فِي ظُلْمَتِهَا قَبَسَا  
أَنْقِذْهَا مِنْ قَادَةِ سُوءٍ لِعِدَاهَا قَدْ بَأثُوا عَسَسَا

ويتميز صوت السين بحفيفه الكثيف كثافة الأفعال المضارعة المستقبلية (سيثور، سيؤدب، سيعود، سيجني، سيشرق...)، وقد افترن بها السين كوحدة صرفية سابقة دالة على المستقبل القريب، ومشكلة إيقاعاً محيطاً بالبيت كله فهي الصوت الأول والأخير فيه:

سَيَثُورُ الْمَارِدُ، فَارْتَقِبُوا لَنْ يَبْقَى الْمَارِدُ مُحْتَبَسَا  
سَيُؤَدِّبُ مَنْ غَلَّوْ يَدُهُ وَسَيَجْنِي الْغَارِسُ مَا غَرَسَا  
سَيَعُودُ الْفَاتِحُ مُتَّصِرًا لِلْحَقِّ وَيَظْهَرُ مَا انْطَمَسَا

س

+

س

يتعلق صوت السين في هذا السياق الشعري بالوعد المنتظر في ثورة (المارد) - الرمز الذي اتخذهُ الشاعر للإسلام - وفي عودة (الفتاح) - و(الفتاح) رمز القائد المسلم المنتصر - وينساب السين بعد ذلك بجرسه المميز بالسلاسة والعدوية في القصيدة كأنسياب الآمال في أعماق النفس والدعاء في آفاق السماء، وبذلك يسائر نعمة التفاؤل التي تميز الشعر المنطلق من التصور الإسلامي.

وبالنظر إلى الانتشار الصوتي للصوتين المهموسين (السين) و(الهَمْزة) بصفتيهما الذاتية والسياقية وتوافقهما مع حركة الشعور والمعنى يمكن القول إنه "كُلَّمَا تَشَابَهَتْ الْبِنْيَةُ اللُّغَوِيَّةُ فَإِنَّهَا تُمَثَّلُ بِنِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ مُتَشَابِهَةٍ مُنْسَجِمَةٍ تَهْدَفُ إِلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ عَنْ طَرِيقِ التَّكْرَارِ وَالْإِعَادَةِ، عَلَى أَنْ التَّكْرَارَ قَدْ يَكُونُ مُتَجَاوِرًا وَقَدْ يَكُونُ مُتَبَاعِدًا".<sup>(2)</sup>

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 86.

(2) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 3، يوليو 1992، ص: 39.

## 1-2-1- الصوتُ المهْمُوسُ في قصيدة (رحلة في المصير)<sup>(1)</sup>:

يتمثل الصوتُ المهْمُوسُ المكررُ فيمايلي:

### 1-2-1- الصوتُ المهْمُوسُ الاحتكاكي (الفاء):

تتقدّم نسبة الأصوات المهْمُوسَة الاحتكاكية عن غيرها من الأصوات في القصيدة، ويتصدّر صوتُ الفاءِ أصواتَ المجموعة، فقد تكرّر مائة وسبعًا وأربعين (147) مرةً، ومثّل نسبة (28.43%) من نسبة الأصوات المهْمُوسَة. ويتّصف صوتُ الفاءِ بأنه شفويٌّ أسنانيٌّ رخوٌ مهْمُوسٌ، يتكوّن بأن يندفع الهواءُ مرًا بالحجرّة دون أن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواءُ مجراه في الحلق والفمّ حتّى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين الشفّة السفلى وأطراف الثنايا، ويضيق المجرى عند مخرج الصوت، فنسمع نوعًا عاليًا من الحفيف هو الذي يميّز الفاء بالرخاوة.<sup>(2)</sup> ويتّسجم الصوتُ بالإيقاع الناتج عن تكرّره بالشعور بالحيرة وبالضياع المرتبط بدلالات القصيدة.

ويتميّز الصوتُ بالحفيف الذي ينتشر مع النفس ويعكس الشعور بالاغتراب الذي يكشف عنه الشاعرُ في عنوان ديوانه (ابتهالات في زمن العرّبة) وفي عنوان قصيدته (رحلة في المصير)، وتشكّل (الحيرة) موضوعاً رئيسةً بجلاء في القصيدة كما تتجلّى في هذا المقطع عبر بني الاستفهام وبني التّفني، ومن خلال الثعوتِ المختلفة، ويُسهم التّسقُ التّفقويُّ المنوعُ بين اللّام والثون والرّاء والدال في التّعبير عن الحيرة والقلق الوجوديين، يقول الشاعر<sup>(3)</sup>:

يلوح بكلّ ضميرٍ نقيّ سؤالٌ  
بأعماق كلّ الذين طوى عصراً  
بعالمنا المتعب الرّاهن  
إلى أين؟ كيف يكون المأل؟  
ولم يبق في يدنا أمرنا  
نحذف في زمن أسن؟  
ولم ندر أنّ السفينة  
إذا قادها رائدٌ باقتدار  
فعمّا قريب سيطلع النهار  
وترسو بمرفئها آمنه  
ولكن سفينة عالمنا  
غدت من زمان بعيد رهينه

(1) عماد الدّين خليل: ابتهالات في زمن العرّبة، ص: 81.

(2) إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغويّة، ص: 46.

(3) عماد الدّين خليل: ابتهالات في زمن العرّبة، ص: 81.

بأيدي طواغيتِ عالمنا!  
فإن لم نَفَقْ وَتَرُدَّ القِيَادُ  
إِلَى العُصْبَةِ الْمُؤْمِنَةِ  
فَعَمَّا قَرِيبٍ سَتَهْوِي بِنَا  
بلى.. سَوْفَ تَهْوِي بِنَا  
وَلَمْ نَعْنِ إِلَّا مَرِيرَ الحِصَادِ  
وَيَبْقَى السُّؤَالُ  
يُلُوحُ بِكُلِّ ضَمِيرٍ نَقِيٍّ  
إِلَى أَيْنَ؟ كَيْفَ يَكُونُ المَالُ؟

تَوَاتَرَ صَوْتُ الفَاءِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ (14) مَرَّةً، وَأَخَذَ شَكْلَيْنِ لِسَانَيْنِ؛ شَكْلَ الوَحْدَةِ الصَّرْفِيَّةِ (في) - كَأدَاةِ حِرٍّ - الَّتِي تَسْتَقِلُّ بِدَلَالَتِهَا عَلَى (الدَّاحِلِ) وَ(البَاطِنِ) وَ(الإيغَالِ)، وَقَدْ وَرَدَتْ (في) فِي سِيَاقِ اسْتِفْهَامِيٍّ يَشِيءُ بِالحَبِيرَةِ وَالحَوْفِ المُتَسَرِّبِ إِلَى النَّفْسِ مِنَ المَالِ المُتَنَظَّرِ. وَالمَلَّاخِظُ أَنَّ الأَدَاةَ (في) تُمَثِّلُ مَقْطَعًا صَوْتِيًّا مُتَوَسِّطًا مَفْتُوحًا نَاتِجًا عَنْ مَدِّ الصَّائِتِ القَصِيرِ (حَرَكَةِ الكَسْرِ)، وَيَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ تَنَاسُبٌ صَوْتِيٌّ وَدَلَالِيٌّ بَيْنَ حَرَكَةِ الكَسْرِ فِي (الفَاءِ) وَالمَدِّ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مُضَاعَفَةِ حَرَكَةِ الكَسْرِ وَمُضَاعَفَةِ الصَّوْتِ لِيَسْتَعْرِقَ زَمَنًا طَوِيلًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى حَالَةِ الإِنْكَسَارِ وَالحُضُوعِ وَالإِذْلالِ الَّذِي نُعَاشِيهِ فِي عَالَمِنَا المُعَاصِرِ، وَالَّذِي يَبْتِطِنُ وَعَيْنًا وَلا وَعَيْنًا وَيُوشِكُ أَنْ يَغْدُو سِمَةً مِنْ سِمَاتِ شَخْصِيَّتِنَا الرَّاهِنَةِ. وَتَأْخُذُ شَكْلَ الوَحْدَةِ الصَّرْفِيَّةِ (الفَاءِ) - كَأدَاةِ رِبْطٍ وَعَطْفٍ وَاسْتِثْنَاءٍ - الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِ تَمَاسُكِ النَّصِّ مِنْ خِلَالِ تَمَاسُكِ جُمْلِهِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ إِضَافَةٌ إِلَى صَوْتِ الفَاءِ صَوْتُ الهَاءِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ (14) مَرَّةً فِي المَقْطَعِ التَّاسِعِ مِنَ القَصِيدَةِ، وَ(الهاءُ) صَوْتُ مَهْمُوسٍ رَخْوٍ يُحْدِثُ النُّطْقُ بِهِ حَفِيفًا يُسْمَعُ فِي أَقْصَى الحَلْقِ أَوْ دَاخِلِ المِزْمَارِ. (1) وَيَتَضَافَرُ الصَّوْتَانِ المَهْمُوسَانِ بِتَوَاطُرِهِمَا المَلْحُوظِ فِي بِنْيَةِ النَّسِيحِ الإيقَاعِيِّ تَعزِيزًا للشُّعُورِ السَّائِدِ فِي القَصِيدَةِ.

### 1-3-3- الصَّوْتُ المَهْمُوسُ فِي قَصِيدَةِ (سَبِيلِ المَعَانَاةِ) (2):

وَيَتِمَثَّلُ الصَّوْتُ المَهْمُوسُ المُكْرَّرُ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ فِيمَا يَلِي:

#### 1-3-1- الصَّوْتُ المَهْمُوسُ (الفَاءِ):

وَيَتَعَلَّقُ صَوْتُ الفَاءِ المَهْمُوسِ بِالمُضَامِينِ الوَحْدَانِيَّةِ الرَّقِيقَةِ كَتِلْكَ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِالحِلْمِ وَالحُبِّ وَالهَوَى، أَوْ تَلْكَ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِالمَعَانَاةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي يُكَابِدُهَا الشَّاعِرُ المُسْلِمُ وَهُوَ يَسْعَى إِلَى نَيْلِ رِضَا مَحْبُوبِهِ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي

(1) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 88.

(2) مصطفى محمد الغماري: بوح في موسم الأسرار، ص: 37.

قَصِيدَةٍ (سَبِيلِ المَعَانَاةِ) الَّتِي تُمَثِّلُ تَجْرِبَةَ ذَاتِيَّةً صُوفِيَّةً، يَتَرَدَّدُ فِيهَا صَوْتُ الفَاءِ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ سِتِّ عَشْرَةَ مَرَّةً فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَفْرَدَاتِ مُتَّجَاوِبًا مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

إِذَا الحُلْمُ الوَرْدِيُّ رَفَرَفَ عَطْرُهُ وَمَاجَتْ بِأَوْتَارِ الحَيَاةِ أَغَانِ  
وَدَاعَبَ طَيْرُ الشُّوقِ أَهْدَابَ رَفَرَفٍ أَفَانِينَ مِنْ فَيْضِ الوِصَالِ حَسَانِ  
حَمَلْتُ الهَوَى طِفْلًا وَلَذْتُ بِدَفْنِهِ وَمِنْ دَفْنِهِ قُرْبَى وَنَهْرٌ حَنَانِ  
وَصَلَّيْتُ فِي أَعْتَابِهِ مُتْرَهَبًا وَمِنْ عَطْرِهِ مَا شَتَّتْ مِنْ فَيْضَانِ

يَرِدُ صَوْتُ الفَاءِ فِي مَجْمُوعَةِ المَفْرَدَاتِ (رَفَرَفٍ، أَفَانِينَ، فَيْضٌ، طِفْلًا، دَفْنٌ، فَيْضَانٌ، الحَفَقَانُ، كَيْفٌ...)، فَفِي مُفْرَدَةٍ (رَفَرَفٍ) تَرَدَّدَ صَوْتُ الفَاءِ مَرَّتَيْنِ كَمَا تَرَدَّدَ صَوْتُ الرَّاءِ مُصَوِّرِينَ بِهِذِهِ البِنْيَةَ الصَّوْتِيَّةَ التَّمْيِيزَةَ حَرَكَةَ الحَدَثِ الخَفِيفَةَ المُتَكَرِّرَةَ، فَالصُّورَةُ الصَّوْتِيَّةُ أَوْ الدَّلَالُ تُحَاكِي الصُّورَةَ المَعْنَوِيَّةَ أَوْ المَدْلُولَ. وَيُسْنَهُمُ صَوْتُ الفَاءِ بِحَرَسِهِ الخَفِيفِ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ عَنِ الشُّعُورِ النَّفْسِيِّ الدَّاحِلِيِّ وَالإِحْسَاسِ الرُّوحِيِّ الخَفِيِّ الَّذِي يَعْمرُ نَفْسَ الشَّاعِرِ فِي حِفَّةِ وَرِقَّةٍ وَعُدُوبَةٍ وَطَلَّاقَةٍ.

## 2- الصَّوْتُ المَجْهُورُ فِي القَصِيدَةِ:

تَمَثَّلُ وَظِيفَةُ الصَّوْتُ المَجْهُورِ فِي إِسْهَامِهِ فِي أَداءِ الدَّلَالَةِ والتَّعْبِيرِ عَنِ الشُّعُورِ فِي السِّيَاقِ الَّذِي يَتَوَاتَرُ فِيهِ بِكثَافَةٍ، وَهَذَا مَا نَرُصُّدُهُ فِي سِيَاقَاتِ القَصَائِدِ الآتِيَةِ.

### 2-1- الصَّوْتُ المَجْهُورُ فِي قَصِيدَةِ (عِيدِ)<sup>(2)</sup>:

وَيَتَحَسَّدُ مِنْ خِلَالِ الصَّوْتَيْنِ الآتِيَيْنِ:

### 2-1-1- الصَّوْتُ المَجْهُورُ التَّكْرَارِيُّ (الرَّاءِ) وَالانْفِجَارِيُّ (الدَّالُ):

يَبْرُزُ التَّكْرَارُ الصَّوْتِيُّ فِي القَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ التَّوَاتُرِ المَلْحُوظِ لِلصَّوْتَيْنِ المَجْهُورَيْنِ التَّكْرَارِيِّ (الرَّاءِ) وَالانْفِجَارِيِّ (الدَّالُ)، فَهُمَا يَقُومَانِ بِوَضِيفَةِ تَعْبِيرِيَّةٍ أَكْثَرُ إِيجَاءً بِمَا فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ مِنْ حَيْرَةٍ وَحُزْنٍ وَأَسَى، فَالرَّاءُ تَرَدَّدُ سَعَةً عَشْرَةَ مَرَّةً وَيَتَرَدَّدُ الدَّالُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مَرَّةً، وَتَتَفَارَبُ أَوْضَاحُ المَلَامِحِ الصَّوْتِيَّةِ لِلرَّاءِ مِنْ جَهْرٍ وَتَكْرَارٍ مَعَ أَقْوَى المَلَامِحِ الصَّوْتِيَّةِ للدَّالِ مِنْ جَهْرٍ وَشِدَّةٍ وَانْفِجَارِيَّةٍ، فَيَنْشَأُ عَنِ ذَلِكَ التَّعَالُقِ الصَّوْتِيِّ إِيقَاعٌ مُتَوَاتِرٌ يُجَسِّدُ حَرَكَةَ الشُّعُورِ المُتَوَاتِرِ فِي التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

هُوَ العِيدُ عِيدٌ

بِأَيَّةِ حَالٍ يُعُودُ؟

بِمَا قَدْ مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ جَدِيدٍ؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 37..

(2) محمد علي الرباوي: الولد المرء، ص: 21.

(3) المصدر نفسه، ص: 21.

أَمَّا الْأَحَبَّةُ، فَالْبَيْدُ دُونَهُمْ،

وَأَمَّا ثَبِيرٌ، فَمَا عَادَتِ الْعُصْمُ تَأْمَنُ فِيهِ،  
وَأَمَّا حِرَاءٌ، فَإِنَّ الصَّنَوْبِرَ يُورِقُ فِي جَوْفِهِ، ثُمَّ يَمْتَدُّ بَيْنَ  
الْمُحِبِّينَ، أَغْصَانُهُ تَتَسَلَّلُ جَهْرًا إِلَى صَدْرِ عَشِيقٍ،  
عَسَاهَا تَفُكُّ طَلَّاسِمَ دَفَّاتِ الْقُلُوبِ. وَأَمَّا الْجُنُودُ، فَمَا  
عَسَكَرُوا فِي الثُّغُورِ، وَمَا زَيْنُوا بِالِدِّمَاءِ الثُّغُورَا.  
وَلَكِنَّهُمْ عَسَكَرُوا مُوهِنًا فِي الْبُيُوتِ، وَعِنْدَ الضُّحَى  
طَارَدُوا فِي الْحُقُولِ الطُّيُورَا.

هُوَ الْعِيدُ، مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ هَذَا الْجَدِيدُ فَإِنِّي بِأَزْهَارِهِ  
مَا لَقَيْتُ السُّرُورَا؟

هُوَ الْعِيدُ، مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ، وَالصَّحْبُ لَيْسُوا حُضُورَا؟

وَيَتَّفِقُ تَنَوُّعُ الْإِيْقَاعِ الصَّوْتِيِّ النَّاجِمِ عَنِ التَّكْرَارِ الصَّوْتِيِّ مَعَ تَنَوُّعِ النَّسَقِ الْإِيْقَاعِيِّ بَيْنَ (الْمُتْقَارِبِ) وَ(الْمُتْدَارِكِ)  
فِي مُنَاوَبَةٍ حَيَوِيَّةٍ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الْإِيْقَاعِيَّتَيْنِ (فَعُولُنْ) وَ(فَاعِلُنْ)، وَمَعَ التَّدْوِيرِ الَّذِي يُحَوِّلُ السُّطُورَ أَحْيَانًا إِلَى جُمْلَةٍ  
شِعْرِيَّةٍ طَوِيلَةٍ تُعَدِّيهِمَا الدَّفَقَاتُ الشُّعُورِيَّةُ الْمُمْتَدَّةُ، وَبِلَاءُ التَّجْرِبَةِ الذَّاتِيَّةِ الْوَجْدَانِيَّةِ الَّتِي تَنْهَضُ الْقَصِيدَةَ مُعَادِلًا فَنِيًّا  
لَهَا. وَقَدْ مَنَحَ كُلُّ ذَلِكَ الْقَصِيدَةَ "صِفَةَ التَّمَّاسُكِ وَالْوَحْدَةَ الشُّعُورِيَّةِ، وَأَضْفَى عَلَى الْمَزْجِ بَيْنَ هَدْيَيْنِ الْبَحْرَيْنِ الصِّيغَةَ  
الْفَنِيَّةِ الْمَلَائِمَةَ لِرُوحِ التَّجْرِبَةِ".<sup>(1)</sup> وَتُمَثِّلُ الْبِنْيَةُ الصَّوْتِيَّةُ الْإِيْقَاعِيَّةُ مُحَاكَاةً لِحَرَكَةِ الشُّعُورِ الْقَلِقِ وَالْإِنْفِعَالِ الْمَتَوَثِّرِ فِي  
هَذِهِ التَّجْرِبَةِ.

2-2- الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ فِي قَصِيدَةِ (مَقَاطِعِ مِنْ دِيْوَانِ الرَّفْضِ)<sup>(2)</sup>:

وَيَرِدُ مِنْ حِلَالِ:

2-2-1- الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ التَّكْرَارِيُّ (الرَّاءِ):

تَتَمَيَّزُ بِنْيَةُ الْعُنْوَانِ<sup>(\*)</sup> فِي الْقَصِيدَةِ بِعَلَامَةِ لُغَوِيَّةٍ دَالَّةٍ، هِيَ الْعَلَامَةُ (الرَّفْضُ) الَّتِي تُشَكِّلُ بُرْزَةً دَلَالِيَّةً تَمَحَّوْرَ حَوْلَهَا  
النُّصُوصُ، وَيُؤَدِّي الْعُنْوَانُ بِوَصْفِهِ نَصًّا مُوَازِيًّا عِدَّةً وَظَائِفَ فَلَهُ وَظَيْفَتُهُ الْجَمَالِيَّةُ الَّتِي تَكْمُنُ فِي تَرْكِيْبَتِهِ وَحُرُوفِهِ  
وَكَتَابَتِهِ الْخَطِّيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ وَلَهُ وَظَيْفَتُهُ الْإِيْقَاعِيَّةُ وَالْبَلَاغِيَّةُ وَلَهُ وَظَيْفَتُهُ الدَّلَالِيَّةُ الْمُبَاشِرَةُ أَوْ غَيْرُ الْمُبَاشِرَةِ وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ

(1) صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر العربي، ص: 229.

(2) مصطفى محمد الغماري: مقاطع من ديوان الرفض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص: 21.

(\*) تشكل مجموعة من عناوين الدواوين في متن الشعر الإسلامي ظاهرة، ولأهمية العناوين في قراءة النصوص فإنها تنتظر المقاربة التي تنفذ في صميم أبنيتها.

يَتَّخِذُ كِمِفْتَا حِ تَأْوِيلِيٍّ لِلْكَشْفِ عَنِ الْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ. (1) وَتَنَجَلِيٍّ فِي الْعُنْوَانِ دِلَالَاتٍ مَرَكَزِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالنَّصِّ مِمَّا يُسْنِدُ لَهُ وَظِيفَةُ الْعُنْصُرِ الْمَوْسُومِ سِيمِيُولُوجِيًّا فِي النَّصِّ فَيُصْبِحُ الشَّرُوعُ فِي تَحْلِيلِ الْعُنْوَانِ أَسَاسِيًّا بِوَصْفِهِ عُنْصُرًا بِنْيُويًّا يَقُومُ بِوِظِيفَةٍ حَمَالِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ مَعَ النَّصِّ أَوْ فِي مُوَاجَهَتِهِ (2) وَقَدْ يُشِيرُ إِلَى الطَّابَعِ الْفِكْرِيِّ أَوْ الْإِيدِيُولُوجِيِّ لِلنَّصِّ، كَمَا يُؤَدِّي دَوْرَ الرَّمْزِ الْإِسْتِعَارِيِّ الْمَكْتَفِ لِلدَّلَالَاتِ النَّصِّ. (3) وَقَدْ يُشِيرُ إِلَى أَمْرٍ غَائِبٍ فِي النَّصِّ، فَيُصْبِحُ التَّقَابُلُ بَيْنَهُمَا هُوَ الْبِنْيَةُ الْمَوْلُودَةُ لِلدَّلَالَةِ وَالْجَدِيدَةُ بِأَوْلِيَّةِ التَّحْلِيلِ. (4)

يُعْلِنُ الْعُنْوَانُ مَبْدَأَ الرَّفْضِ مِنْذُ الْوَهْلَةِ لِأَيِّ مُحَاوَلَةٍ سَاعِيَةٍ إِلَى حُكْمِ الشَّعْبِ الْمُسْلِمِ بِنِظَامٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ وَلِأَيِّ إِيدِيُولُوجِيَّةٍ هَادِفَةٍ إِلَى تَغْرِيْبِ ثِقَافَتِهِ وَتَخْرِيْبِ شَخْصِيَّتِهِ، وَيَتَضَمَّنُ الْعُنْوَانُ دِلَالَةَ الثَّوْرَةِ، وَكَمَا تَنَجَلِيٍّ هَذِهِ الدَّلَالَةُ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ الْعَمِيْقَةِ فَهِيَ تَنَجَلِيٍّ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ مُمَثَّلَةٌ فِي الْبِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَمِنْ خِلَالِ التَّكْرَارِ الصَّوْتِيِّ لِأَصْوَاتِ ذَاتِ قِيَمَةٍ تَعْبِيرِيَّةٍ كَالصَّوْتِ الْمَجْهُورِ التَّكْرَارِيِّ الرَّاءِ.

تَنْمُ بِنْيَةُ الْإِيقَاعِ فِي الْقَصِيدَةِ عَنْ وَعْيٍ شِعْرِيٍّ بِالْقِيَمَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ لِلصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ فِي الْإِيْحَاءِ بِالدَّلَالَةِ وَتَمَثِيلِ الشُّعُورِ فِي التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَقَدْ تَجَسَّدَ هَذَا الْوَعْيُ الشَّعْرِيُّ بِقِيَمَةِ الصَّوْتِ فِي الْعَمَلِيَّةِ الْإِيدِيُولُوجِيَّةِ مِنْ خِلَالِ فَاعِلِيَّةِ التَّمَرُّكُزِ الصَّوْتِيِّ الَّذِي يُؤَلِّفُ قِيَمَةً إِيقَاعِيَّةً مُعَيَّنَةً تَنْتَاسِبُ مَعَ وَاقِعِ الْحَالِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَفْرُضُ نَوْعًا مُحَدَّدًا مِنْ التَّمَرُّكُزِ الصَّوْتِيِّ مِنْ جِهَةٍ، وَمَعَ طَبِيعَةِ الصَّوْتِ وَحُجْمِ كَثَافَتِهِ وَتَنَوُّعِهِ وَنَوَازِعِهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَتُنْفِضِي هَذِهِ الْقِيَمَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ بِالضَّرُورَةِ إِلَى قِيَمَةٍ دِلَالِيَّةٍ بِسَبَبِ ارْتِبَاطِ كَثَافَةِ الصَّوْتِ وَتَجْمَعِهِ بِمَا يَسْتَجِيبُ لِمُعْطِيَّاتِ تَتَعَلَّقُ بِمُسْتَوَى نُمُوِّ التَّجْرِبَةِ وَتَطَوُّرِهَا دَاخِلِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ. (5) وَيَتَكَوَّنُ التَّمَرُّكُزُ الصَّوْتِيُّ مِنْ تَجْمَعَاتِ صَوْتِيَّةٍ مُتَمَازِلَةٍ أَوْ مُتَجَانِسَةٍ مَجْهُورَةٍ وَمَهْمُوسَةٍ. وَالْمَلَاخِظُ فِي الْقَصِيدَةِ أَنَّ مَجْمُوعَةَ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ حَقَّقَتْ نِسْبَةً أَعْلَى مُقَارَنَةً بِنِسْبَةِ مَجْمُوعَةِ الْأَصْوَاتِ الْمَهْمُوسَةِ، فَقَدْ تَوَاتَرَ الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ سَبْعِمِائَةً وَأَرْبَعًا وَسِتِّينَ (764) مَرَّةً، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (59.13%)، وَتَوَاتَرَ الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ خَمْسِمِائَةً وَثَمَانٍ وَعِشْرِينَ (528) مَرَّةً، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (40.86%)، وَيُشِيرُ هَذَا الْفَارَقُ بَيْنَ النِّسْبَتَيْنِ إِلَى الْقِيَمَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ الَّتِي يَحْطَى بِهَا الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ فِي النَّصِّ، فَهُوَ أَكْثَرُ حَرَكَةً وَحَيَوِيَّةً وَنَشَاطًا وَتَوَثُّرًا بِمَلَامِحِهِ الصَّوْتِيَّةِ الرَّئِيسَةِ، مِمَّا يَطْبَعُ بِنْيَةَ الْإِيقَاعِ بِالْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ وَالتَّوَثُّرِ مُنْسَجِمَةً مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَحَرَكَةِ الْمَعْنَى الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ دِلَالَةِ الرَّفْضِ).

(1) مُحَمَّدُ الْهَادِي الْمَطْوِي: (شِعْرِيَّةُ عُنْوَانِ كِتَابِ السَّاقِ عَلَى السَّاقِ فِي مَا هُوَ الْفَارِيَاقِ) بِمَجَلَّةِ عَالَمِ الْفِكْرِ، الْمَجْلِسُ الْوَطْنِي لِلتَّقَاةِ وَالْفُنُونِ وَالْآدَابِ، الْكُوَيْتِ، مَج: 28، ع: 1، سِبْتَمْبَرِ 1999، ص: 458.

(2) صِلَاحُ فَضْلٍ: بِلَاغَةُ الْخُطَابِ وَعِلْمُ النَّصِّ، سِلْسِلَةُ عَالَمِ الْمَعْرِفَةِ، الْمَجْلِسُ الْوَطْنِي لِلتَّقَاةِ وَالْفُنُونِ وَالْآدَابِ، الْكُوَيْتِ، ع: 164، صَفْرُ 1413 هـ/أَغْصُطُسِ، آبِ 1992 م، ص: 236.

(3) الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص: 236.

(4) الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص: 236.

(5) مُحَمَّدُ صَابِرُ عَيْدٍ: حَمَالِيَّاتُ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، مَنَشُورَاتُ وَزَارَةِ التَّقَاةِ، دَمَشَقِ، 2005، ص: 139.

ويعُدُّ صَوْتُ الرَّاءِ صَامِتًا مَجْهُورًا مُتَوَسِّطًا مُكَرَّرًا يَنْتُجُ بِأَنَّ الْيَنْدَفِعَ الْهَوَاءُ مِنَ الرَّتَيْنِ مَرًّا بِالْحُنْجَرَةِ فَيُحْرِكُ الْوَتْرَيْنِ الصَّوْتَيْنِ، ثُمَّ يَتَّخِذُ مَجْرَاهُ فِي الْحَلْقِ وَالْفَمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَخْرَجِهِ وَهُوَ طَرَفُ اللِّسَانِ مُلْتَقِيًا بِحَافَةِ الْحَنَكِ الْأَعْلَى فَيَضِيقُ هُنَاكَ مَجْرَى الْهَوَاءِ. (1) وَمُكَرَّرًا لِأَنَّ التَّقَاءَ طَرَفِ اللِّسَانِ بِحَافَةِ الْحَنَكِ مِمَّا يَلِي الشَّيَا الْعُلْيَا يَتَكَرَّرُ فِي التُّطْقِ بِهَا، كَأَنَّمَا يَطْرُقُ طَرَفُ اللِّسَانِ حَافَةَ الْحَنَكِ طَرَقًا لَيْنًا يَسِيرًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لِتَتَكَوَّنَ الرَّاءُ الْعَرَبِيَّةُ. (2) وَإِنَّ لِلصَّوْتِ الْمَجْهُورِ (الرَّاءِ) مَرْدُودًا تَعْبِيرِيًّا فِي النَّصِّ تُفْصِحُ عَنْهُ كَثَافَتُهُ، أَوَّلًا، وَكثَافَةُ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ، ثَانِيًا، وَتَخْتَلِفُ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَصْوَاتُ الْمَجْهُورَةُ فِيمَا بَيْنَهَا مِنْ حَيْثُ تَوَاتُرُهَا، وَيَنْزَاحُ بَعْضُهَا عَنِ نِسْبَةِ الشُّبُوحِ فِي اللَّغَةِ كَمَا تَتَضَحُّ فِي الْجَدُولِ الْآتِي:

الصَّوْتُ	شُبُوحُهُ فِي اللَّغَةِ	شُبُوحُهُ فِي قَصِيدَةِ (مَقَاطِعِ مِنْ دِيْوَانِ الرَّفْضِ)	الصَّوْتُ	شُبُوحُهُ فِي اللَّغَةِ	شُبُوحُهُ فِي قَصِيدَةِ (مَقَاطِعِ مِنْ دِيْوَانِ الرَّفْضِ)
ل	12.7	4.56	س	2	2.78
م	12.4	7.66	د	2	3.56
ن	11.2	9.44	ذ	1.8	0.46
ء	7.2	5.65	ج	1.6	2.55
ه	5.6	4.17	ح	1.5	2.70
و	5.2	4.79	خ	1	0.92
ت	5	9.05	ص	0.8	2.01
ي	4.5	3.63	ش	0.8	1.70
ب	4.3	5.10	ض	0.6	1.08
ك	4.1	3.25	غ	0.5	1.08
ر	3.8	9.75	ث	0.5	0.61
ف	3.7	4.87	ز	0.4	1.54
ع	3.7	3.79	ط	0.4	0.85
ق	2.3	2.24	ظ	0.3	0.07

يَرِدُ صَوْتُ الرَّاءِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى؛ إِذْ تَوَاتَرَ مِائَةٌ وَسِتًّا وَعِشْرِينَ (126) مَرَّةً، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (9.75%) مِنْ نِسْبَةِ مَجْمُوعِ الْأَصْوَاتِ، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (16.49%) مِنْ نِسْبَةِ مَجْمُوعِ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ، وَبِمُقَارَنَةِ نِسْبَةِ تَوَاتُرِهِ فِي الْقَصِيدَةِ (9.75%) بِنِسْبَةِ شُبُوحِهِ فِي اللَّغَةِ (3.80%) يَتَضَحُّ الْانْتِزَاحُ الصَّوْتِيُّ الْكَبِيرُ الَّذِي حَقَّقَهُ الصَّوْتُ بِعُدُولِهِ عَنِ التَّوْظِيفِ الْإِعْتِبَادِيِّ إِلَى التَّوْظِيفِ الْفَنِيِّ الَّذِي يَعْكِسُ قِيمًا إِيقَاعِيَّةً وَدَلَالِيَّةً. وَيَتَوَزَّعُ الصَّوْتُ بِأَعْدَادٍ مُتَفَاوِتَةٍ عَبْرَ فِضَاءِ الْقَصِيدَةِ مُتَنَاعِمًا مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ الْمُتَوَاتِرِ فِيهَا مُحَسَّدًا بِحَرَكَتِهِ وَحَيَوِيَّتِهِ قُوَّةَ الْإِصْرَارِ وَصَلَابَةَ الْعَزِيمَةِ وَالرَّغْبَةَ الْقَوِيَّةَ فِي التَّعْبِيرِ الْإِجَابِيِّ الْمُنْشُودِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الشَّاعِرُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَيَتَكَرَّرُ الصَّوْتُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ ثَلَاثًا

(1) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 66.

(2) المرجع نفسه، ص: 66.

وثلاثين(33)مرةً مُصَوِّراً انطِلاقَ الشَّاعِرِ الوَاعِدِ الآتِي مِنْ زَمَنِ الفَتْحِ وَمِنْ بَيْنِ حُرُوفِ المِصْحَفِ كالفَجْرِ المُبَشِّقِ مِنْ ظِلْمَةِ لَيْلٍ طَوِيلٍ، إِنَّ إيقاعَ الصَّوْتِ المُتَوَثِّرِ يَلْتَقِي بِإيقاعِ الفِعْلِ المُتَكَرِّرِ المُسْتَمِرِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

آتيك مِنْ بَوَابَةِ الجُسُورِ  
جُسُورُنَا المُتَمَدِّدَةُ العَرِيقَةَ  
بِحَجْمِ قِصَّةٍ مِنْ الفَتْحِ المُطْلِ بِالحَقِيقَةِ  
آتيك مِنْ أَهدَابِ  
فَرَحِي بِخَيْطِ الثَّوْرِ.. بِأَنسِكَابِ  
العِطْرِ فِي إِطْلَالَةِ الأَحْبَابِ  
آتيك مِنْ كِتَابِ  
أَسْرَارِهِ الخِضْرَاءِ فِي أَسْفَارِنَا انْقِلَابِ  
أَوْتَارِهِ..  
وَتُزْهِرُ الشَّفَاهُ..

وَيَتَرَدَّدُ الصَّوْتُ فِي المَقْطَعِ الثَّانِي مُهَيِّمًا عَلَى الإيقاعِ بَاعْتِثًا فِيهِ حَيَوِيَّةً أُخْرِجَتْهُ مِنْ حَالَةِ الرُّثُوبِ وَالسُّكُونِ إِلَى حَالَةِ التَّجَدُّدِ وَالحَرَكَةِ، وَحَوَّلَتْ سِياقَهُ مِنَ الانْكِفَاءِ وَالاِنْغِطَاقِ إِلَى الاِنْفِتَاحِ وَالاِنْطِلاقِ، وَ"هَكَذَا تَتَفَاعَلُ بِنِيَّةِ المُنْطَوِقِ مَعَ بِنِيَّةِ المَدْلُولِ فَيَتَحَوَّلُ التَّسْيِجُ الصَّوْتِيُّ إِلَى تَنْعِيمِ إيقاعيٍّ عَلَى حَدِّ مَا يَتَحَوَّلُ البِنَاءُ إِلَى حَرَكَةٍ".<sup>(2)</sup> وَيَتَوَاتَرُ الصَّوْتُ ثَمَانِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَيَخْتَلِفُ فِي كُلِّ سَطْرِ بِحَسَبِ الشُّعُورِ وَدَقِّقَتِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وَتَكْبُرُ الصَّلَاةُ فِي إِشْرَاقَةِ الجِبَاهِ  
فِي شَهْقَةِ الجُرُوحِ، فِي تَكْبِيرَةِ اللِّهَاهِ  
آتيك فَجْرًا يَزْرَعُ الأَكْوَاحَ بِالحَنِينِ..  
بِأَيَّةِ ثُورِقُ فِي أَيَّامِهَا السَّنِينِ  
وَتَلْعَنُ المُفَكَّرَ العَيْنِ!!  
مَنْ لَأيرى فِي(الكُوخِ) غَيْرَ لَذَّةِ الأَيْنِ!  
غَيْرَ انْتِحَارِ!  
يُنْعَتُ بِالْيَسَارِ!!  
لِلْكَفْرِ غَنَى طَائِرُ تَمُوتُ فِي أَشْعَارِهِ الأَشْعَارِ!  
وَيَصْعُرُ الأَلَمُ

(1) مصطفى محمد الغماري: مقاطع من ديوان الرِّفْضِ، ص: 21.

(2) عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي والمتني والجاحظ وابن خلدون، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس(د، ت)، ص: 24.

(3) مصطفى محمد الغماري: مقاطع من ديوان الرِّفْضِ، ص: 22.

وَتَقُومُ مَجْمُوعَةُ الْأَصْوَاتِ الْمُنْزَاحَةِ الْمَجْهُورَةِ وَالْمَهْمُوسَةِ بِالْوِظْفَةِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا صَوْتُ الرَّاءِ، وَذَلِكَ فِي السِّيَاقَاتِ الْجُرْتَبِيَّةِ الْفَرَعِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ.

### 3-الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ وَالْمَجْهُورُ فِي الْقَصِيدَةِ:

وَيَرِدُ هَذَانِ الصَّوْتَانِ فِي الْقَصَائِدِ الْآتِيَةِ:

### 3-1- الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ وَالْمَجْهُورُ فِي قَصِيدَةِ (فَتَلِكَ مَصَارِعُهُمْ)<sup>(1)</sup>:

وَيَتَمَثَّلَانِ فِيمَا يَلِي:

### 3-1-1- الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ الْإِنْفِجَارِيُّ (التَّاء):

وَيَتَمَيَّزُ النَّسِيجُ الصَّوْتِيُّ لِلْقَصِيدَةِ بِكثَافَةِ صَوْتِي التَّاءِ وَالدَّلَالِ الْإِنْفِجَارِيِّينِ، فَهُمَا يُمَثِّلَانِ قَمَتَيْنِ إِيقَاعِيَّتَيْنِ، فَالتَّاءُ مَهْمُوسٌ شَدِيدٌ يَخْتَلِفُ عَنِ الدَّلَالِ فِي أَنَّ التَّاءَ مَهْمُوسٌ وَالدَّلَالُ نَظِيرُهَا الْمَجْهُورُ، فَمَعَ التَّاءِ لَا يَتَحَرَّكُ الْوَتْرَانِ الصَّوْتِيَانِ وَيَتَّخِذُ الْهَوَاءَ مَجْرَاهُ فِي الْحَلْقِ وَالْفَمِّ حَتَّى يَنْحَسِبُ بِالتَّقَاءِ طَرْفِ اللِّسَانِ بِأَصُولِ الثَّنَائِيَا الْعُلْيَا فَإِذَا انْفَصَلَا انْفِصَالًا فُجَائِيًّا سَمِعَ ذَلِكَ الصَّوْتُ الْإِنْفِجَارِيُّ<sup>(2)</sup>. وَقَدْ تَوَاتَرَ صَوْتُ (التَّاءِ) فِي الْقَصِيدَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ (31) مَرَّةً وَحَقَّقَ نِسْبَةً (15.81%)، فَقَدْ تَرَدَّدَ إِحْدَى عَشْرَةَ (11) مَرَّةً فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مُضْفِيًّا بِإِنْفِجَارِيَّتِهِ عَلَى النَّصِّ شَيْئًا مِنَ الْقُوَّةِ الْمُنْسَجِمَةِ مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى فِي الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَالتَّوْبِيخِ الْحَادِّ وَفِي نَبْرَةِ الْخِطَابِ الْحَازِمَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

صَبَّتَ عَلَيْهِمْ جَمَامَ الْوَعِيدِ فَتَهُ يَا (زَعِيم) فَأَنْتَ الْوَحِيدُ!  
وَصِرَ فِي (العِرَاقِ) إِلَهًا كَبِيرًا كَمَا صَارَ مِنْ قَبْلِ (نُورِي السَّعِيدِ)  
وَأَنْزَلَ سَيَاطِكَ مَا الشَّعْبُ إِلَّا قَطِيعٌ يَسُوقُهُ رَاعٍ شَدِيدُ  
وَمَا هُوَ إِلَّا ضَحَايَا إِلَهٍ سَتَذْبَحُ لِلرَّبِّ فِي يَوْمِ عِيدِ  
وَعِيدِكَ أَنْتَ مَجَازِرُ شَعْبِي فَهَاتِ الْخُمُورَ وَنَادِ بَعُودِ  
عَلَى رَنَّةِ الْحُزْنِ تُحْيِي اللَّيَالِي وَآهَاتِ نِكَلِي تَكُونُ الْوَعُودُ!  
وَتَشْرَبُ وَالصَّحْبُ مِلءَ الْكُؤُوسِ خُمُورًا، وَيَشْرَبُ شَعْبِي الصَّدِيدُ

وَعَلَقَتْ بِصَوْتِ التَّاءِ الْإِنْفِجَارِيِّ شِحْنَةً مِنَ الْإِنْفِعَالِ الْمُتَوَتِّرِ خَاصَّةً فِي صِيغَةِ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ مُتَّصِلًا وَمُتَّفَصِّلًا، ذَلِكَ الْإِنْفِعَالُ الْمَلْمُوسُ فِي بَنَى الْأَمْرِ (تَهُ، صِرَ، أَنْزَلَ..)، وَقَدْ تَحَوَّلَ الصَّوْتُ إِلَى تَشْخِيسِ طَرْفِ مُهِمٍّ فِي ثَنَائِيَّةِ (الْحَاكِمِ الْمُسْتَبَدِّ/الْمَحْكُومِ الضَّعِيفِ) الَّتِي تُكُونُ الْمَحْوَرَّ الدَّلَالِيَّ الرَّئِيسَ فِي الْقَصِيدَةِ.

### 3-1-2- الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ الْإِنْفِجَارِيُّ (الدَّلَال):

(1) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، ص: 53.

(2) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 61.

(3) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، ص: 53.

وَتَوَاتَرَ صَوْتُ الدَّالِ أَرْبَعِينَ (40) مَرَّةً، وَمَثَلَ نِسْبَةَ (12.82%)، وَهَذِهِ النَّسْبَةُ تَجْعَلُ الصَّوْتَ يَحْتَلُّ الرُّبْعَةَ الأُولَى وَيَتَّصِدَّرُ مَجْمُوعَةَ الأَصْوَاتِ المَجْهُورَةِ وَالْمَهْمُوسَةِ، فَيَكُونُ لَهُ أَثَرُهُ الإِيقَاعِيُّ عَلَى النَّصِّ، بِمَا لَهُ مِنْ خُصُوصِيَّةٍ تَتِمُّثَلُ فِي القَلْقَلَةِ الكُبْرَى الَّتِي هِيَ إِحْدَى صِفَاتِهِ.<sup>(1)</sup> فِي المَقْطَعِ الأَوَّلِ تَوَاتَرَ صَوْتُ الدَّالِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ (12) مَرَّةً، وَتَوَاتَرَ فِي المَقْطَعِ الثَّالِثِ خَمْسَ عَشْرَةَ (15) مَرَّةً، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

إِلَى اللَّهِ سَوْفَ يَعُودُ الشَّهِيدُ وَهَذَا جَزَاءُ الَّذِي لَا يَحِيدُ  
يَقُولُ الحَقِيقَةَ رَغَمَ الرِّصَاصِ يُوْرُ بَعْدِرٍ وَيُنْصَبُ عُوْدُ  
فَقُلْ (لِنَزْعِيمِ) بَأَنَّ الصَّحَايَا سَتَمْضِي إِلَى الخُلْدِ كَي لَا يَعُودُ  
فَوَاللَّهِ لَنْ يَسْتَمِرَّ الطُّغَاةُ عَلَى كَيْدِهِمْ يَنْكُثُونَ العُهُودُ  
وَكَيْفَ؟ وَإِسْلَامُنَا نُورَةٌ عَلَى الظُّلْمِ هَدَامَةٌ لِلْقُيُودِ؟  
وَكَيْفَ وَقُرَّانَنَا فِي يَدِ وَيُرْعَدُ فِي الأُخْرَى صَوْتُ الحَدِيدِ؟

وَيُلَاحِظُ عَلَى مُسْتَوَى البِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْمَقْطَعِ أَنَّ صَوْتَ الدَّالِ أَكْثَرَ انْتِشَارًا وَأَشَدُّ بُرُوزًا مُقَارَنَةً بِمَجْمُوعَةِ الأَصْوَاتِ الشَّدِيدَةِ الانْفِجَارِيَّةِ (ء، ب، ت، د، ض، ط، ق، ك)<sup>(3)</sup>، الَّتِي هُوَ أَحَدُ أَفْرَادِهَا، وَيَمْتَّازُ الصَّوْتُ فِي هَذِهِ المَجْمُوعَةِ، بِالإِغْلَاقِ التَّامِ لِمَسَارَاتِ الهَوَاءِ "حَيْثُ يَسُدُّ السَّبِيلَ فِي نِقْطَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي القَنَاةِ الصَّوْتِيَّةِ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْشَأَ ضَعْفٌ هَوَائِيٌّ خَلْفَ هَذَا الإِغْلَاقِ، ثُمَّ يَنْدَفِعُ الهَوَاءُ المَجْبُوسُ خَلْفَ الإِغْلَاقِ مُحْدِثًا انْفِجَارًا بَعْدَ زَوَالِ الإِغْلَاقِ".<sup>(4)</sup> وَيَأْخُذُ الدَّالُ خُصُوصِيَّةً الإِيقَاعِيَّةً مِنْ وَقُوعِهِ، كَذَلِكَ، رَوِيًّا فِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ المُقَيَّدِ إِلَى جَانِبِ خِصَائِصِهِ الأُخْرَى مِنْ شِدَّةِ وَحِدَّةِ وَغَلْظَةِ وَمِنْ تِلْكَ الخِصَائِصِ القَلْقَلَةُ الكُبْرَى الَّتِي تَصْحُبُهُ فِي نِهَائِهِ كُلِّ بَيْتٍ، وَصَوْتُ الدَّالِ بِسِمَاتِهِ الصَّوْتِيَّةِ مِنْ انْفِجَارِيَّةٍ وَجَهْرٍ يَنْفِقُ والشُّعُورَ بِالثُّورَةِ وَالْعَضْبِ. وَقَدْ قَامَ النَّسَقُ التَّقْفُويُّ المُقَيَّدُ المَرْدُوفُ بِالبَيَاءِ مِنْ خِلَالِ مَقْطَعِهِ الصَّوْتِيِّ الطَّوِيلِ المُعْلَقِ بِتَنْظِيمِ الإِيقَاعِ عَلَى مُسْتَوَى القَصِيدَةِ بِمَا يُعْبَرُ عَنْ حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى فِيهَا.

3-2- الصوتُ المَهْمُوسُ وَالمَجْهُورُ فِي قَصِيدَةِ (رُبَاعِيَّاتٍ مِنْ فِلَسْطِينِ)<sup>(5)</sup>:

وَيَتِمُّثَلُ فِيهَا بِمَا يَأْتِي:

3-2-1- الصوتُ المَهْمُوسُ الإِخْتِكَائِيُّ (الحَاءِ) وَ(الْهَاءِ):

يَقُومُ النَّسَقُ هُنَا عَلَى تَكَرُّرِ صَوْتِي الحَاءِ وَالْهَاءِ، فَصَوْتُ الحَاءِ صَوْتُ مَهْمُوسٌ يَنَاطِرُ صَوْتَ العَيْنِ، وَمَخْرَجُهُمَا وَسَطُ الحَلْقِ.<sup>(6)</sup> وَصَوْتُ الهَاءِ صَوْتُ رَخْوٍ مَهْمُوسٌ يَظَلُّ المَزْمَارُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ مُنْبَسِطًا ذُوْنَ أَنْ يَتَحَرَّكَ الوَتْرَانُ

(1) محمود السعران، علم اللُّغَةِ، ص: 160.

(2) عماد الدين خليل: ابتِهالات في زمن الغربة، ص: 55.

(3) محمَّد محمَّد داود: العربية وعلم اللُّغَةِ الحديث، ص: 123.

(4) شحداة فارح وآخرون: مقدِّمة في اللُّغَوِيَّاتِ المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط: 1، 2000، ص: 64.

(5) يوسف العظم: رباعيَّات من فلسطين، ص: 20.

(6) إبراهيم أنيس: الأصوات اللُّغَوِيَّة، ص: 88.

الصَوْتِيَانِ، وَلَكِنَّ انْدِفَاعَ الْهَوَاءِ يُحْدِثُ نَوْعًا مِنَ الْحَفِيفِ يُسْمَعُ فِي أَقْصَى الْحَلْقِ أَوْ دَاخِلِ الْمِزْمَارِ، وَيَتَّخِذُ الْفَمُّ عِنْدَ التُّنْقِ بِالْهَاءِ وَضَعًا يُشْبِهُ الْوَضْعَ الَّذِي يَتَّخِذُهُ عِنْدَ التُّنْقِ بِأَصْوَاتِ اللَّيْنِ. (1) وَيَشْتَرِكُ الصَّوْتَانِ فِي الْعُمُقِ وَالْحَفِيفِ الَّذِي يُنَاسِبُ حَرَكَةَ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى فِي سِيَاقَاتٍ شِعْرِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَالْحَاءُ يَتَوَاتَرُ فِي هَذَا السِّيَاقِ مُتَجَاوِبًا مَعَ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْهَمْ الْعَمِيقِ الَّذِي يَحْمِلُهُ الشَّاعِرُ، يَقُولُ (2):

وَطَيْبٍ عَادَنِي فِي عَلْتِي وَمَضَى يَكْتُبُ لِي خَيْرَ دَوَاءٍ  
ظَنَّ فِي صَدْرِي دَاءً هَدَّنِي وَرَأَى الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ الْعَنَاءِ  
كَيْفَ يَا (جِرَاحُ) أَرْضَى رَاحَةً أَنَا جُنْدِيٌّ عَلَى خَطِّ الْفِدَاءِ  
وَجِرَاحُ الصَّدْرِ لَا تُؤْلَمُنِي إِنَّمَا يَسْحَقُنِي.. جِرْحُ الْإِبَاءِ

وَيَتَوَاتَرُ صَوْتُ الْهَاءِ الْمَهْمُوسِ مُصَوَّرًا الذُّهُولَ الَّذِي أَصَابَ الشَّاعِرَ، وَيَجَسَّدُ الصَّوْتُ هَذَا الشُّعُورَ حِينَ يُشَكِّلُ مَقْطَعًا صَوْتِيًّا مُتَوَسِّطًا مَفْتُوحًا مَعَ الصَّائِطِ الطَّوِيلِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمَقَاطِعِ يُهَيِّئُ عَلَى الْبِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ الْمَقْطَعِيَّةِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

أَتَرَعَ الْخَائِنُ كَأَسًا مِنْ دَمَانَا وَسَقَاهَا لِبَغِيٍّ أَرْجُونَا  
لَيْلَةً حَمْرَاءُ مَا أَنْعَسَهَا مُلْتًا ذُلًّا رَهِيْبًا وَهَوَانَا  
وَصِمَّةَ الْعَارِ عَلَى هَامَاتِنَا أَنْ نَرَى فِي الْمَوْكِبِ الدَّامِي جَبَانَا  
وَإِذَا الدَّارُ بَنُوها فَرَطُوا لَا تَلُومُوا الذُّبَّ.. أَنْ يَرُعَى حِمَانَا

وَيَتَحَقَّقُ فِي اتِّصَالِ الْهَاءِ بِالْفِ الْمَدِّ فِي (سَقَاهَا، أَنْعَسَهَا، رَهِيْبًا، هَوَانَا، هَامَاتِنَا، بَنُوها...) اتِّسَاقًا صَوْتِيًّا فِي أَجْزَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّ الْفَمَّ يَتَّخِذُ عِنْدَ التُّنْقِ بِالْهَاءِ وَضَعًا شَبِيهًا بِالْوَضْعِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ عِنْدَ التُّنْقِ بِأَصْوَاتِ اللَّيْنِ (4)، فَإِنَّ الْأَصْوَاتَ الَّتِي تَتَشَكَّلُ مَعَ الْهَاءِ تُشْبِهُ التَّأَوُّهَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى النَّفْسِ الْعَمِيقِ، وَالتَّشْكِيلِ الصَّوْتِيَّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يُوحِي بِالْمَعْنَى وَيَعْبُرُ عَنِ الشُّعُورِ.

### 3-2-2- الصوتُ المَجْهُورُ الأَعْنُ (الثون):

يَقُومُ التَّكْرَارُ الصَّوْتِيُّ، هُنَا، عَلَى تَكَرُّرِ الصَّوْتِ الْمَجْهُورِ الأَعْنُ (الثون)، وَيُوصَفُ هَذَا الصَّوْتُ بِالْأَعْنِ أَوْ بِالْأَنْفِيِّ، فَهُوَ صَوْتُ مَجْهُورٌ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الشَّدَّةِ وَالرَّخَاوَةِ وَمَعَ التُّنْقِ بِهِ يَنْدَفِعُ الْهَوَاءُ مِنَ الرَّتَّتَيْنِ مُحَرِّكًا الْوَتْرَيْنِ الصَّوْتِيَيْنِ، ثُمَّ يَتَّخِذُ مَجْرَاهُ فِي الْحَلْقِ أَوَّلًا، حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْحَلْقِ هَبَطَ أَقْصَى الْحَنَكِ الأَعْلَى فَيَسُدُّ بِهَبُوطِهِ فَتْحَةَ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 88.

(2) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 20.

(3) المصدر نفسه، ص: 15.

(4) المصدر نفسه، ص: 88.

الْفَمِّ وَيَسْرَبُ الْهَوَاءَ مِنَ التَّجْوِيفِ الْأَنْفِيِّ مُحْدَثًا فِي مُرُورِهِ نَوْعًا مِنَ الْحَفِيفِ لَا يَكَادُ يُسْمَعُ<sup>(1)</sup>، وَتَشْمَلُ الْعُنَّةُ، كَمَلَمَحٍ صَوْتِيٍّ، صَوْتِي التُّونِ وَالْمِيمِ.

وَقَدْ تَوَاتَرَ صَوْتُ التُّونِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً حُرًّا وَمُنْتَظَمًا، وَيُعَدُّ صَوْتًا رَئِيسًا بَتَرَائِكِهِ الْكَمِّيِّ فِي الْمَقْطَعِ وَبِوَصْفِهِ رَوِيًّا فِي التَّنْسِقِ التَّقْفُويِّ الْمُوحَدِّ الْمُطْلَقِ، وَيُوجِي صَوْتُ التُّونِ إِضَافَةً إِلَى التَّنْوِينِ الَّذِي هُوَ نُونٌ سَاكِنَةٌ بِالْحُزْنِ وَالْأَسَى وَالشَّجَى، فَقَدْ وَصِفَ بِالصَّوْتِ النَّوَّاحِ لِارْتِبَاطِهِ بِالْبُكَاءِ وَمَا يُسَبِّبُ الْبُكَاءَ، وَيَتَنَاسَبُ مِنْ حَيْثُ قِيمَتُهُ الْإِيقَاعِيَّةُ مَعَ التَّعْبِيرِ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى وَأَدَائِهِ.<sup>(2)</sup> فَالصَّوْتُ يَنْدِمِجُ فِي صَمِيمِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَيُنْتِجُ نَعَمَاتٍ مُنْكَسِرَةً شَبِيهَةً بِالْأَنَاتِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

نَحْنُ يَا فَيْرُوزُ مَا عَادَ لَنَا أُذُنٌ تَهْفُوا.. وَلِلْحَنِ تَحْنُ  
كُلُّ مَا فِينَا جِرَاحٌ وَدَمٌ نَازِفٌ مِنْ كَبِدِ حَرَى تَحْنُ  
إِنَّمَا تَطْرَبُ أُذُنٌ حُرَّةٌ إِنَّمَا يَفْرَحُ قَلْبٌ مُطْمَئِنُّ  
وَطَنِي يَحْمِيكَ نَارٌ وَلَطَى لَيْسَ يَحْمِيكَ أَغَارِيدٌ وَفَنُّ

وَالْمُلَاحِظُ أَنَّ صَوْتَ التُّونِ يُحَاكِي الْمَعْنَى فِي الْكَلِمَةِ فَيُوجِي بِالسَّكِينَةِ وَالْوَدَاعَةِ وَالْإِطْمِينَانِ فِي (الْأَمَانِ) وَالْأَلْحَانِ، وَيُوجِي بِالذَّلَّةِ وَالْإِنْكَسَارِ فِي (هَوَانٍ)، وَقَدْ تَوَاتَرَ الصَّوْتُ فِي الْمَقْطَعِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مَرَّةً مُنْتَظَمًا فِي التَّنْسِقِ التَّقْفُويِّ الْمُقَيَّدِ وَحُرًّا فِي حَشْوِ الْآيَاتِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

رَدَّدَ الْكَوْنَ نِدَاءَاتِ الْأَمَانِ أَحْمَلُ الْأَلْحَانَ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ  
دَعْوَةً لِلْحَقِّ فِي أَجْوَانِنَا كُلِّهَا خَيْرٌ وَبَرٌّ وَحَنَانٌ  
لَوْ عَرَفْنَا اللَّهَ مَا شَطَّتْ بِنَا سُبُلُ التَّضَلِيلِ.. أَوْ ذُقْنَا الْهَوَانَ  
غَيْرَ أَنَّا أُمَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ خَيْرٌ مَا فِيهَا حَدِيثٌ وَلِسَانٌ!!

3-3- الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ وَالْمَجْهُورُ فِي قَصِيدَةِ (صُورٍ مِنَ الْمَأْسَاةِ)<sup>(5)</sup>:

قَصِيدَةُ (صُورٍ مِنَ الْمَأْسَاةِ) قَصِيدَةٌ حُرَّةٌ تَقُومُ عَلَى تَكَرُّرِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ (فَاعِلَاتِن = 0/0//0)، وَهِيَ مِنَ التَّنْسِقِ الْإِيقَاعِيِّ لِلرَّمَلِ، وَتَنْصِفُ بِنِيَّةِ الْإِيقَاعِ الدَّاخِلِيِّ فِيهَا بَتَوَاتُرِ الصَّوْتِ الْمَهْمُوسِ الْإِنْفِجَارِيِّ (الْهَمْزَةُ) وَالصَّوْتِ التَّكْرَارِيِّ الْمَجْهُورِ (الرَّاءِ) فِي سِيَاقِ التَّحَسُّرِ وَالِاسْتِنْكَارِ لِلْوَضْعِ فِي الْبُوسْنَةِ.

3-3-1- الصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ الْإِنْفِجَارِيُّ (الْهَمْزَةُ):

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 66.

(2) أماني سليمان داود: الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط: 1، 1423هـ-2002م، ص: 85.

(3) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 10.

(4) المصدر نفسه، ص: 13.

(5) يحيى حاج يحيى: ديوان البوسنة والمهرسك، رابطة الأدب الإسلامي، دار البشير، عمان، ط: 2، 1414هـ-1993م، ص: 59.

تَوَاتَرَ صَوْتُ الْهَمْزَةِ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، وَمَثَلُ نِسْبَةِ (23.87%) مِنْ مَجْمُوعِ أَصْوَاتِ الْقَصِيدَةِ، وَهِيَ أَرْفَعُ نِسْبَةً فِي مَجْمُوعَةِ الْأَصْوَاتِ الْمَهْمُوسَةِ، وَيَرِدُ هَذَا الصَّوْتُ مُتَعَلِّقًا بِبِنْيِ الْاسْتِفْهَامِ (أَيُّ خَيْرٍ أَيُّهَا الْعَالَمُ يَبْقَى؟) (أَيُّ خَيْرٍ بَعْدَمَا يَذْوِي الرَّبِيعُ؟!)) إِذْ يَدْخُلُ فِي بِنْيَةِ دَالِ الْاسْتِفْهَامِ (أَيُّ)، وَهُوَ بِذَلِكَ يُسْهِمُ فِي تَصْوِيرِ حَرَكَةِ الشُّعُورِ الْمُتَوَاتِرِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

عِنْدَمَا يَرْتَسِمُ الْحُزْنُ عَلَى وَجْهِ الطُّفُولِ  
عِنْدَمَا تُدْرَفُ دَمْعَاتُ عَلَى أُمِّ قَتِيلَةٍ  
عِنْدَمَا يَبْحَثُ فِي الْأَنْقَاضِ عَنْ نَدْيِ رَضِيعٍ  
عِنْدَمَا يَصْرُخُ مِنْ جُوعٍ.. وَأَهَاتٍ تَضِيعُ  
أَيُّ خَيْرٍ أَيُّهَا الْعَالَمُ يَبْقَى؟  
أَيُّ خَيْرٍ بَعْدَمَا يَذْوِي الرَّبِيعُ!!

يَتَرَدَّدُ صَوْتُ الْهَمْزَةِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ سِتَّ مَرَّاتٍ مُعْبَرًا بِإِيقَاعِهِ عَنْ نَبْرَةِ الْحَسْرَةِ وَالْأَسْفِ، وَيَرْتَفِعُ تَوَاتُرُهُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقَصِيدَةِ إِذْ يَبْلُغُ حَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَيَزْدَادُ جَرْسُهُ تَأْثِيرًا فِي بِنْيَةِ الْإِيقَاعِ بِتَحْوِيلِهِ إِلَى رَوِيٍّ وَبِدْخُولِهِ فِي النَّسْقِ التَّقْفُويِّ الْمُقَيَّدِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

عِنْدَمَا تَتْرُكُ أَحْسَادُ النَّسَاءِ  
فِي عِرَاءِ الْبُؤْسِ، فِي حُزْنِ الشَّقَاءِ  
عِنْدَمَا يَمْتَصُّ عَرِيْبُ دِمَاءِ الْأَبْرِيَاءِ  
وَالْأَيَامَى وَالثَّكَالَى هَائِمَاتٍ فِي الْعِرَاءِ  
أَيُّ خَيْرٍ أَيُّهَا الْعَالَمُ يَبْقَى؟  
عِنْدَمَا يُثْقَلُ شَعْبٌ مِنْ بِلَاءٍ لِبِلَاءٍ!؟

وَيَبْضَحُ أَنْ صَوْتَ الْهَمْزَةِ يُحَسِّدُ غُصَّةَ الْأَلَمِ وَالشُّكِّ فِي قِيَمِ الْعَالَمِ الزَّائِفَةِ الَّتِي لَا تَحْمِي عَرِضًا وَلَا تَذُودُ عَنْ أَرْضٍ وَلَا تَعْرِفُ حُرْمَةً لِإِنْسَانٍ أَوْ دِينٍ مِمَّا يَجْعَلُ الشُّعُورَ بِالشُّكِّ وَالْحَيْرَةِ يَتَوَعَّلَانِ فِي النَّفْسِ، وَقَدْ عَمِلَ تَكَرُّرُ اللَّفْظِ (عِنْدَمَا) سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً فِي السُّطُورِ الشُّعْرِيَّةِ وَتَكَرُّرُ بِنْيَةِ الْاسْتِفْهَامِ (أَيُّ خَيْرٍ أَيُّهَا الْعَالَمُ يَبْقَى؟) عَلَى تَكْرِيسِ نَبْرَةِ الْحُزْنِ وَالْإِنْكَسَارِ وَالْإِنْتِكَاسِ الْمَعْنَوِيِّ.

### 3-3-2- الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ التَّكَرَّارِيُّ (الرَّاء):

يُعَدُّ صَوْتُ الرَّاءِ، مِنَ النَّاحِيَةِ الصَّوْتِيَّةِ، صَوْتًا مَجْهُورًا لَثْوِيًّا مُتَوَسِّطًا تَكَرَّرِيًّا<sup>(1)</sup> يَنْتُجُ عَنْ طَرَقِ اللِّسَانِ لِلْحَنَكِ مِمَّا يَلِي الثَّنَائِيَا الْعُلْيَا عِنْدَ التَّنْطِقِ بِهِ طَرَقًا مُتَكَرِّرًا<sup>(2)</sup>، وَيُعَدُّ مِنَ النَّاحِيَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ صَوْتًا مُلَائِمًا لِحَالَاتِ الشُّعُورِ الْمُتَأَزِّمِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 59.

(2) المصدر نفسه، ص: 59.

المُتَوَثِّر، فَهُوَ صَوْتُ يَعْكِسُ الْحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ لِلشَّاعِرِ وَيُنِيرُ مَجْمُوعَةً مِنَ الدَّلَالَاتِ وَالِإِيحَاءَاتِ<sup>(3)</sup>، فَقَدْ تَوَاتَرَ فِي الْقَصِيدَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ مَرَّةً، وَمَثَلَ نِسْبَةَ (8.04%)، وَوَرَدَ رَوِيًّا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِمَّا وَسَمَهُ بِنَعْمٍ مُتَرَدِّدٍ عَلَى فتراتٍ زمنيةٍ مُحَاكِيًا الرَّغْبَةَ الْمُلِحَّةَ فِي الْإِنْطِلَاقِ وَالْحَرَكَةَ وَالتَّحْلُصَ مِنْ فُيُودِ الْحُزَنِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَصِيدَةِ<sup>(4)</sup>:

عِنْدَمَا يُهْدَمُ مِحْرَابٌ وَسُورٌ؟  
عِنْدَمَا تُنْبَشُ أَمْوَاتٌ.. وَتُجْتَاخُ الْقُبُورُ  
وَيَلْفُ الصَّمْتُ دُنْيَانَا، فَلَا يَصْحُو شُعُورُ  
أَيُّ خَيْرٍ أَيُّهَا الْعَالَمُ يَبْقَى؟

عِنْدَمَا تَخْلُو مِنَ الْإِنْسَانِ، أَوْ يَعْفُو الضَّمِيرُ؟!  
وَالْمُلَاحِظُ أَنَّ صَوْتَ الرَّاءِ يَرْتَبِطُ بِالْكَلِمَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْإِنْفِعَالِ الْمُتَوَثِّرِ (تَذْرِفُ، يَصْرُخُ، الرِّزَايَا، جِرَاحَاتٌ...)، وَفِي هَذَا الْمَقْطَعِ يَتَرَدَّدُ الصَّوْتُ فِي السِّيَاقَاتِ ذَاتِهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

عِنْدَمَا يُرْسَلُ مَأْفُونٌ جُنُودًا فِي الظَّلَامِ  
وَيَبَاحُ الْوَطَنِ الْمَصْفُودُ قَهْرًا لِلنَّامِ  
عِنْدَمَا يَنْبَعَثُ الْأَحْيَاءُ مِنْ بَيْنِ الرُّكَامِ  
عِنْدَمَا تُمَسِّي الصَّبَايَا كَالسَّبَايَا فِي الْحِيَامِ  
أَيُّ خَيْرٍ أَيُّهَا الْعَالَمُ يَبْقَى؟  
وَلِمَاذَا الصَّمْتُ فِي وَقْتِ الْكَلَامِ؟!

وَيَتَعَلَّقُ صَوْتُ الرَّاءِ فِي هَذِهِ الْبَنِيَاتِ اللَّفْظِيَّةِ بِدِلَالَةِ الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي يَقِفُ وَرَاءَهَا الشُّعُورُ الْمُتَوَثِّرُ فِي سِيَاقَاتِ الْقَصِيدَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَلِأَنَّ مَا فِي عَمَلِيَّةِ إِخْرَاجِ هَذَا الصَّوْتِ مِنَ الْجِهَازِ الصَّوْتِيِّ مِنْ تَكَرُّرٍ تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الصَّوْتِ وَمُمَيِّزَاتِهِ اللَّغَوِيَّةِ يَزِيدُ تَقْوِيَةً تَرْدِيدِهِ فِي الْبَيْتِ مِنَ الشُّعْرِ<sup>(6)</sup>. وَلَا تَخْلُو الْقَصِيدَةُ مِنْ مَوَاضِعَ يَتَسَمُّ بِنِيَّةِ السَّطْرِ الصَّوْتِيَّةِ بِالسَّاسَةِ وَاللُّيُونَةِ وَالضَّعْفِ حِينَ يَمِيلُ الشُّعُورُ إِلَى الْإِنْكِسَارِ وَيَجْحُ النِّعَمُ إِلَى الْهَبُوطِ اسْتِجَابَةً لِحَرَكَةِ الْمَعْنَى فَتَتَوَاتَرُ الْأَصْوَاتُ الْمَهْمُوسَةُ وَتَتَوَزَّعُ بِحَيْثُ يَنْتَشِرُ إِيقَاعُهَا مُوحِيًّا بِالشُّعُورِ وَالدَّلَالَةِ وَمَصُورًا لَهُمَا، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي هَذَا السَّطْرِ:

(1) غازي مختار طلبمات: في علم اللغة، ص: 133.

(2) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 66.

(3) محمد بو نجمة، الرمزية الصوتية في شعر أدو نيس، ص: 27.

(4) المصدر نفسه، ص: 60.

(5) يحي حاج يحي: ديوان البوسنة والمهرسك، ص: 60.

(6) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 56.

عندما تُمسي الصبَايا كَالسَّبَايا فِي الْخِيَامِ

وَلَمْ يَتَمَيَّزْ صَوْتُ الرَّاءِ بِتَكَرُّارٍ مُنْتَظَمٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ أُنْسَاقٍ إِيقَاعِيَّةٍ ثَابِتَةٍ مَا عَدَا مَا أَتَّصَفَ بِهِ  
النَّسَقُ التَّقْفُويُّ فِي أَحَدِ الْمَقَاطِعِ، فَهُوَ تَكَرُّارٌ حُرٌّ يُمَثِّلُ قَانُونًا يَكْتَسِبُ حَتْمِيَّتَهُ مِنْ مَحْدُودِيَّةِ الرُّمُوزِ (الْفُونِيمَاتِ) فِي  
أَيَّةِ لُغَةٍ، وَمِنْ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِنْشِحَانِ بِالِدَّلَالَةِ رَغْمَ هَذِهِ الْمَحْدُودِيَّةِ، وَمُثُولُ الذَّهْنِ الشَّعْرِيِّ وَرَاءَ هَذِهِ الْأَنْمَاطِ  
الصَّوْتِيَّةِ يُجَنَّبُهَا الْإِقْتِرَانُ الْإِعْتِبَاطِيُّ بِالِدَّلَالَةِ".<sup>(1)</sup>

إِنَّ لِلتَّكَرُّارِ الصَّوْتِيِّ بِأَنْسَاقِهِ الْمُتَنَوِّعَةَ الْمُنتَظِمَةَ وَالْحُرَّةَ قِيَمَةً إِيقَاعِيَّةً وَدَلَالِيَّةً، فَهُوَ يَسْمَحُ بِالتَّنْوِيعِ فِي بُنَى الْإِيقَاعِ  
الدَّاخِلِيِّ تَنْوِيعًا مُرْتَبَطًا بِحَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى فِي سِيَاقِ النَّصِّ مِمَّا يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ بِأَنَّ "الصَّوْتِ وَالْوِزْنَ يَجِبُ أَنْ  
يُدْرَسَا كَعُنْصُرَيْنِ فِي مُجْمَلِ الْعَمَلِ الْفَنِّيِّ، وَلَيْسَ بِمَعْزُولٍ عَنِ الْمَعْنَى".<sup>(2)</sup>

(1) مصطفى السعدي: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، (د. ت)، ص: 33.  
(2) رينيه ويليك وأوستين وارين: نظرية الأدب، ص: 221.

- ثانياً: بنية التصريح
- 1- التصريح الاستهلاكي:
  - 2- التصريح الداخلي:

يَتَّجِجُ إِيقَاعُ التَّصْرِيعِ عَنِ تَكَرُّرٍ مُنْتَظَمٍ لِعُنْصُرَيْنِ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ أَوْ فِي غَيْرِ الْمَطْلَعِ، وَيَقُومُ التَّصْرِيعُ عَلَى تَوَافُقٍ وَأَنْسِجَامٍ صُورَتَيْنِ إِيقَاعِيَّتَيْنِ؛ هُمَا صُورَتَا (تَفْعِيلَاتَا) الْعُرُوضِ وَالضَّرْبِ، وَالتَّوَافُقُ أَنْ تَأْتِيَ هَاتَانِ التَّفْعِيلَاتَانِ فِي الْبَيْتِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ<sup>(1)</sup>، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ التَّغْيِيرَاتِ الْمَسْمُوحَ بِهَا فِي التَّفْعِيلَةِ إِذَا حَدَّثَتْ فِي الْحَشْوِ لَا يَلْزَمُ أَنْ تَحْدُثَ فِي جَمِيعِ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ، أَمَّا التَّغْيِيرَاتُ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الْعُرُوضِ أَوْ الضَّرْبِ فَإِنَّهَا تَلْزَمُ وَتَتَكَرَّرُ فِي جَمِيعِ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ إِذَا حَدَّثَتْ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْهَا".<sup>(2)</sup> فَتَتَعَدَّدُ تَشَكِيلَاتُ النَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ بِتَنَوُّعِ صُورَتِي الْعُرُوضِ وَالضَّرْبِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُشَكِّلُ التَّصْرِيعُ نَسَقًا خَاصًّا يُمَيِّزُ بِنَيْةِ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ، وَيُؤَدِّي وَظِيفَةً إِيقَاعِيَّةً دَلَالِيَّةً، فَهُوَ يَكْشِفُ عَنِ اتِّسَاقِ النَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ وَأَطْرَادِ نَسَقِهِ التَّفَقُّوِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ كَمَا يَكْشِفُ دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ عَنِ تَحْوُلِ دِلَالِيٍّ مِنْ مَوْضُوعٍ إِلَى آخَرَ أَوْ تَحْوُلِ وَجْدَانِيٍّ مِنْ شَعُورٍ إِلَى آخَرَ.

وَتَبْتَكَدُ أَهَمِّيَّتُهُ فِي عَدَمِ تَخَلِّي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ عَنْهُ، فَهُوَ يَأْتِي فِي مُفْتَتِحِ الْقَصَائِدِ حِرْصًا مِنَ الشُّعْرَاءِ عَلَى الْجَانِبِ الْإِيقَاعِيِّ الْمُؤَثِّرِ فِي النَّفْسِ، حَيْثُ تُسْتَجِيبُ عَنْ طَرِيقِ ذَلِكَ الْإِيقَاعِ الصَّوْتِيَّ لِمَا يُرِيدُ الشَّاعِرُ أَنْ يَطْرَحَهُ مِنْ قَضَايَا وَأَفْكَارٍ، وَالْمُسْتَوَى الدَّلَالِيَّ مَعَ الْمُسْتَوَى الْإِيقَاعِيِّ يُجَسِّدُهُمَا الْبِنَاءُ اللَّغَوِيُّ وَهُوَ مَا يُسَمَّى عِنْدَ الْقَدَمَاءِ بِالتَّنْسِيقِ الْمَخْصُوصِ".<sup>(3)</sup>

وَيَتَجَلَّى التَّصْرِيعُ فِي الْمَثْنِ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، فَهُوَ يَرِدُ فِي مَطْلَعِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْقَصَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَوْ يَرِدُ فِي نَتَائِهَا، فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ وَقَدْ يَرِدُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ الَّتِي "تَتَحَرَّكُ مِنْ خِلَالِ السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يَسْتَلْزِمُ نِهَآيَةَ لَهَا إِيقَاعَهَا الْخَاصَّ، كَمَا تَتَحَرَّكُ أحيانًا مِنْ خِلَالِ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَتَحَرَّرُ مِنَ الْإِلْتِزَامِ الْخَاصِّ فِي نِهَآيَةِ السَّطْرِ، إِذْ هِيَ بِطَبِيعَتِهَا تَمْتَدُّ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ سَطْرٍ وَإِنْ ظَلَّ لَهَا إِيقَاعُ السَّطْرِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ".<sup>(4)</sup> وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ مِنْ خِلَالِ تَوَافُقِ الصُّورَتَيْنِ أَوْ التَّفْعِيلَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّطْرِ الثَّانِي. وَيَتَّخِذُ التَّصْرِيعُ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مَوْقِعُهُ شَكْلَيْنِ:

(1) التصريع ظاهرة أشار إليها ابن رشيق في (باب التفغية والتصريع) بالقول: "أما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته نحو قول امرئ القيس في الزيادة:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياؤه منذ أزمان

وهي في سائر القصيدة مفاعلن وقال في النقصان:

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني

فالضرب فعولن والعروض مثله لمكان التصريع وهي في سائر القصيدة مفاعلن كالأولى فكل ما جرى هذا المجرى في سائر الأوزان فهو مصرع.. والتفغية أن يتساوى الجزاء من غير نقص ولا زيادة فلا يتبع العروض الضرب في شيء إلا السجع خاصة مثال ذلك قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومزمل بسقط اللوى بين الدخول فحولم

فهما جميعا مفاعلن إلا أن العروض مقفى مثل الضرب فكل ما لم يختلف عروض بيته الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة إلا في السجع فقط فهو مقفى". ينظر ابن رشيق: العمدة، ج: 1، ص: 156.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: 26.

(3) صابر عبد اللاتم: موسيقى الشعر العربي، ص: 50.

(4) المرجع نفسه، ص: 50.

## 1- التّصريح الاستهلاكي:

يَقَعُ التّصريحُ الاستهلاكيُّ في مَطَلَعِ القَصيدةِ أو في الاِبتداءِ، وَيَشْمَلُ أَغْلَبَ مَطَالِعِ القَصائدِ الإسلاميَّةِ، ففِي ديوانِي القرضَاوي (المسلمون قادمون) وَ(نَفَحَاتِ وَنَفَحَاتِ) يَقَعُ التّصريحُ الاستهلاكيُّ في مَطَلَعِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ (41) قَصيدةً مِنْ مَجْمُوعِ ثَلَاثِ وَأَرْبَعِينَ قَصيدةً عَمُودِيَّةً، وَيُشكِّلُ نِسْبَةً (95.34%)، ففِي قَصيدةِ (أَنْدَلُسُ أُخْرَى!) يَرِدُ فِي مَطَلَعِ القَصيدةِ وَيَقَعُ التّوافُقُ الإيقاعيُّ بَيْنَ صُورَتِي (تَفْعِلْتِي) العَرُوضِ وَالضَّرْبِ، فَتَحَوَّلُ الصُّورَةُ الإيقاعيَّةُ الأَساسيَّةُ فِي المِتَدَارِكِ فِي العَرُوضِ وَالضَّرْبِ -بَعْدَ الحَبْنِ- إِلَى (فَعْلُن=0///)، وَيَتَضَحُّ ذَلِكَ مِنْ حِلَالِ الوَصْفِ العَرُوضِيِّ لِلثَّلَاثِ الأُولَى فِي القَصيدةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أفليسطينا أم أندلسا في البوسنة تشهدنا بأسي؟!  
 0///-0/0/ -0/0/ -0/0/ 0///-0/0/ -0/0/ -0/0/  
 فَعْلُنْ - فَعْلُنْ-فَعْلُنْ-فَعْلُنْ فَعْلُنْ-فَعْلُنْ-فَعْلُنْ-فَعْلُنْ  
 سَرِيْفُو تَبْكِ مَحْتَنَهَا كَالْقُدْسِ وَمَا أَعْلَى الْقُدْسَا!  
 0///-0/0/-0/// -0/0/ 0/// -0/0/ -0/0/ -0/0/

فَالْمَلْحَظُ أَنَّ الصُّورَةَ الإيقاعيَّةَ لِلعَرُوضِ (دَلْسًا=0///=فَعْلُنْ) فِي المِصْرَاعِ الأَوَّلِ تُوافِقُ صُورَةَ الضَّرْبِ (بَأْسَى=0///=فَعْلُنْ) فِي المِصْرَاعِ الثَّانِي، وَتَتطَابَقُ الصُّورَتَانِ عَلَى الشَّكْلِ (0///=0///). وَيُنشَأُ عَنِ تَوافُقِ الصُّورَتَيْنِ وَاتِّفَاقِ بِنْيَتَيْهِمَا المَقْطِعيَّةِ (د/ل+/سا/=ب/أ+/سا/) إيقاعٌ يَنْسَجِمُ مَعَ الشُّعُورِ بالأَسَى والحَزْنِ، وَيَقْدِرُ مَا يُؤَسِّسُ التّصريحُ "لقافيَّةِ القَصيدةِ فِي ذَهْنِ المِتَلَقِّي وَحِسِّهِ المُوَسِّيقِي".<sup>(2)</sup> يُؤَسِّسُ مِنْذُ المِصْرَاعِ الأَوَّلِ لِنَعْمَةِ الأَسَى الَّذِي يَنْتَشِرُ فِي فَضَاءِ القَصيدةِ.

وَيَرِدُ التّصريحُ الاستهلاكيُّ فِي مَتْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العِشْمَاوِيِّ الشَّعْرِيِّ-والَّذِي يَضُمُّ هُنَا أَرْبَعَةَ دَوَائِرٍ- فِي مَطَلَعِ مِائَةٍ وَسِتِّ عَشْرَةَ (116) قَصيدةً مِنْ مَجْمُوعِ مِائَةٍ وَتِسْعِ عَشْرَةَ (119) قَصيدةً، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (97.47%)، ففِي ديوانِهِ (القُدْسُ أَنْتِ)<sup>(3)</sup>، وَقَعَ فِي ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ قَصيدةً عَمُودِيَّةً<sup>(\*)</sup>، وَمِثْلَ نِسْبَةِ (88.46%)، وَفِي ديوانِهِ (عِناقيدِ الضِّيَاءِ)<sup>(4)</sup>-مَوْضُوعِ المِقَارَبَةِ-الَّذِي ضَمَّ عِشْرِينَ قَصيدةً، مِنْهَا تِسْعُ عَشْرَةَ قَصيدةً عَمُودِيَّةً، وَواحدةً حُرَّةً<sup>(\*)</sup>، فَقَدُ

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 83.

(2) أماني سليمان داود: الأسلوبية والصوفية، ص: 54.

(3) عبد الرحمن العشماوي: القدس أنت، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط: 1، 1424هـ-2003م.

(\*) يضم الديوان ثلاثاً وثلاثين (33) قصيدة منها ست وعشرون (26) قصيدة عمودية وست قصائد حرة، وواحدة متعددة الأنماط. أي أن نسبته (96%) من مجموع القصائد العمودية.

(4) عبد الرحمن العشماوي: عنقايد الضياء، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 2، 1424هـ/2003م، ص: 5.

(\*) وهي قصيدة (عندما يتشامخ البدوي) على نسق إيقاعي مركب هو (البيسط)، يقول في المقطع الأول (فاتحة):

يا كاشف الغمّة! / مستفعلن - فاعل  
 الليل يستشري / مستفعلن - فاعل

وَقَعَ التَّصْرِيعُ فِي مَطْلَعِ ثَمَانِي عَشْرَةَ قَصِيدَةً\*، وَمِثْلُ نِسْبَةِ (94.73%) مِنْ مَجْمُوعِ الْقَصَائِدِ الْعُمُودِيَّةِ، وَتَعَكُّسُ هَذِهِ النِّسْبَةُ هَيْمَنَةُ التَّصْرِيعِ كَعُنْصُرٍ إِيقَاعِيٍّ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَيَقُومُ التَّصْرِيعُ فِي مَطَالِعِ الْقَصَائِدِ عَلَى التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورِ الْأَعَارِضِ وَالْأَضْرَبِ، وَيَرِدُ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

يَقَعُ التَّصْرِيعُ الْاسْتِهْلَالِيُّ فِي قَصِيدَةِ (عَنَاقِيدِ الضِّيَاءِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ) فِي الصُّورَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ (لِسَارِي) = 0/0/0 = مُتَّفَاعِلٌ وَالصُّورَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الْمِصْرَاعِ الثَّانِي (مُحْتَارٍ) = 0/0/0 = مُتَّفَاعِلٌ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

هَلَّ الْهَلَالُ فَكَيْفَ ضَلَّ السَّارِي؟ وَعَلَامَ تَبَقَى حَيْرَةُ الْمُحْتَارِ؟

0/0/0/-0//0/0/-0//0// 0/0/0/-0//0//0/-0//0/0/

مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةِ (اعْتِرَافِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الطَّوِيلِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ (بِأَخْطَائِي = 0/0/0// = مَفَاعِيلُنْ) وَ(بِخَطَّائِي = 0/0/0// = مَفَاعِيلُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

تَقُولِينَ: إِنِّي لَا أَقْرُ بِأَخْطَائِي وَمَنْ ذَا الَّذِي فِي النَّاسِ لَيْسَ بِخَطَّاءِ؟

0/0/0// - /0// - 0/0/0// - 0/0// 0/0/0// - /0// - 0/0/0// - 0/0//

فَعُولُنْ - مَفَاعِيلُنْ - فَعُولُنْ - مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ - مَفَاعِيلُنْ - فَعُولُنْ - مَفَاعِيلُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (مَنْ هُنَا يَبْدَأُ الطَّرِيقَ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْخَفِيفِ) مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (دَ الصَّبَّاحِ = 0/0//0// = فَاعِلَاتُنْ) وَالضَّرْبِ (ي الرَّمَاحِ = 0/0//0// = فَاعِلَاتُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

سَابِقِ الرِّيْحِ يَا جَوَادَ الصَّبَّاحِ وَدَعِي الطَّعْنَ يَا بَقَايَا الرَّمَاحِ

0/0//0/-0//0// - 0/0// 0/0//0/-0//0// - 0/0//0/

والأرضُ لا تدري / مستفعلن - فاعلٌ

عن غاية الظلمة / مستفعلن - فاعلٌ

يا كاشف الغمّة! / مستفعلن - فاعلٌ

اليأسُ يستشري / مستفعلن - فاعلٌ

في خاطر الأمّة / مستفعلن - فاعلٌ

وهي التي تجري بالذلّ معتمّة / مستفعلن - فاعلٌ - مستفعلن - فاعلٌ

يا كاشف الغمّة..! / مستفعلن - فاعلٌ - ينظر: عبد الرحمن العشماوي، عنانيد الضياء، ص: 92.

(\* القصيدة الوحيدة غير المصرفة هي قصيدة (هذي القصائد)، اختفى التصريع وحل التدوير الذي يضطلع بتأدية دلالة التواصل والاستمرار وهي معان تجعل التدوير يهيمن على جل أبيات القصيدة عدا البيت الأخير منها، والقصيدة من نسق (الكمال) الجزوء، يقول الشاعر في مطلعها:

أَحْمَلُ بَقَايَا مَا كَتَبْتُ مَسَّ عَلَى سَوَاعِدِ ذِكْرِيَاتِكَ

0//0/0/ - 0//0/0/ م 0//0// - 0//0//

مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ م مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَاتُنْ

(1) عبد الرحمن العشماوي: عنانيد الضياء، ص: 5.

(2) المصدر نفسه، ص: 18.

(3) المصدر السابق نفسه، ص: 19.

فَاعِلَاتْنُ - مُتَفَعِّلُنْ - فَاعِلَاتْنُ      فَعِلَاتْنُ - مُتَفَعِّلُنْ - فَاعِلَاتْنُ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي (وَقْفَةً عَلَى مَشَارِفِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْحَفِيفِ) مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (رِ الرَّوَابِي = 0/0//0 = فَاعِلَاتْنُ) وَالضَّرْبِ (بِالْبَابِ = 0/0//0 = فَاعِلَاتْنُ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

يَا جَنَى اللُّوزِ فَوْقَ حَضْرِ الرَّوَابِي      يَا قُشُورًا مَسْكُونَةً بِالْبَابِ

0/0//0/-0//0/0/-0/0//0/      0/0//0/ -0//0// -0/0//0/

فَاعِلَاتْنُ - مُتَفَعِّلُنْ - فَاعِلَاتْنُ      فَاعِلَاتْنُ - مُتَفَعِّلُنْ - مُسْتَفَعِّلُنْ - فَاعِلَاتْنُ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (ابْتِهَالِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الطَّوِيلِ) مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (رِي الرَّحْبِ = 0/0/0// = مَفَاعِيلُنْ) وَالضَّرْبِ (أَيَا رَبِّي = 0/0/0// = مَفَاعِيلُنْ)، وَيَنْسَجِمُ إِيقَاعُ التَّصْرِيعِ مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ فِي هَذَا الدُّعَاءِ (أَيَا رَبِّي)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

أُزْحِرْ هَذَا اللَّيْلَ عَن صَدْرِي الرَّحْبِ      إِذَا قُلْتُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ: أَيَا رَبِّي

0/0/0// -0// -0/0/0// -0/0//      0/0/0// -0/0// -0/0/0// -0//

فَعُولٌ - مَفَاعِيلُنْ - فَعُولُنْ - مَفَاعِيلُنْ      فَعُولُنْ - مَفَاعِيلُنْ - فَعُولٌ - مَفَاعِيلُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (حِدَاءِ فِي مَوْكِبِ المَهْجَرَةِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الكَامِلِ)، مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (مُ إِلَى السَّرِيِّ = 0//0//0 = مُتَفَاعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (جُمُهُ الكَرَى = 0//0//0 = مُتَفَاعِلُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

تَسْرِي، فَيَرْتَا حُ الظَّلَامِ إِلَى السَّرِيِّ      وَيَفْرُ مِنْ أَجْفَانِ أَنْجُمِهِ الكَرَى

0//0//0 - 0//0/0/ - 0//0//0/      0//0//0 - 0//0/0/ - 0//0/0/

مُسْتَفَعِّلُنْ - مُسْتَفَعِّلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ      مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُسْتَفَعِّلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (لَكَ اللهُ يَا صَوْتَ الضَّمِيرِ) الَّتِي تَقُومُ نَسَقِ (الطَّوِيلِ) مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (يَطِيرُ = 0/0//0 = مَفَاعِي = فَعُولُنْ) وَالضَّرْبِ (غَزِيرُ = 0/0//0 = مَفَاعِي = فَعُولُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

فَوَادِكُ مِنْ شَوْقٍ يَكَادُ يَطِيرُ      وَدَمْعُكَ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ غَزِيرُ

0/0//0 -0//0//0 -0/0//0//0//      0/0//0 -0//0//0 -0/0//0//0//

فَعُولٌ - مَفَاعِيلُنْ - فَعُولٌ - مَفَاعِي      فَعُولٌ - مَفَاعِيلُنْ - فَعُولٌ - مَفَاعِي

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (طَبِيعَةِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الكَامِلِ) مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (رُ سَرِيعًا = 0//0//0 = مُتَفَاعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (تَ مُطِيعًا = 0//0//0 = مُتَفَاعِلُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

هَلْ أَنْتَ فِي حُلْمٍ يَمُرُّ سَرِيعًا      لَمَّا دَعَاكَ إِلَيْهِ جِئْتَ مُطِيعًا!؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 26.

(2) المصدر نفسه، ص: 34.

(3) المصدر نفسه، ص: 36.

(4) المصدر نفسه، ص: 48.

(5) المصدر نفسه، ص: 55.

0/0///-0/0///-0/0/0/      0/0///-0/0///-0/0/0/

مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ      مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ فِي قَصِيْدَةِ (هَطَلَ الْعَيْثُ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْحَفِيْفِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُوْرَتَيْ العُرُوْضِ (بِي يَطُوْفُ = 0/0//0/ = فَاعِلَاتْنِ) وَالضَّرْبِ (لُو الْوُقُوْفُ = 0/0//0/ = فَاعِلَاتْنِ)، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

فِي الْمَطَافِ الطُّهُوْرِ قَلْبِي يَطُوْفُ      وَوَرَاءَ الْمَقَامِ يَحْلُو الْوُقُوْفُ

0/0//0/ - 0/0// - 0/0///      0/0//0/ - 0/0// - 0/0//0/

فَاعِلَاتْنِ - مُتَّفَاعِلُنْ - فَاعِلَاتْنِ      فَاعِلَاتْنِ - مُتَّفَاعِلُنْ - فَاعِلَاتْنِ

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ فِي قَصِيْدَةِ (رِسَالَةَ إِلَى طَائِرٍ مُعْتَرِبٍ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الرَّكْمَلِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُوْرَتَيْ العُرُوْضِ (لَا يُوصَفُ = 0/0/0/ = مُتَّفَاعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (بِي يَهْتَفُ)، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

بِي مِنْ حَبِيْبِ الْقَلْبِ مَا لَا يُوصَفُ      شَوْقٌ عَلَى أَغْصَانِ قَلْبِي يَهْتَفُ

0/0//0/ - 0/0//0/ - 0/0//0/      0/0//0/ - 0/0//0/ - 0/0//0/

مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ      مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ فِي قَصِيْدَةِ (عِنْدَمَا تَلْفَعْتُ بِالصَّمْتِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الرَّمْلِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُوْرَتَيْ العُرُوْضِ (فَاعِذْرِيْنِي = 0/0//0/ = فَاعِلَاتْنِ) وَالضَّرْبِ (قِي اِحْمِلِيْنِي = 0/0//0/ = فَاعِلَاتْنِ)، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وَرَمْتِ أَجْفَانَ شِعْرِي فَا عِذْرِيْنِي      وَعَلَى مَرَكَبِ أَشْوَاقِي اِحْمِلِيْنِي

0/0//0/ - 0/0// - 0/0///      0/0//0/ - 0/0//0/ - 0/0//

فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ      فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ فِي قَصِيْدَةِ (عِنْدَمَا يُورِقُ غُصْنُ السَّعَادَةِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الرَّكْمَلِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُوْرَتَيْ العُرُوْضِ (مِئْنَانُ = 0/0/0/ = مُتَّفَاعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (رِيْحَانُ = 0/0/0/ = مُتَّفَاعِلُنْ)، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

قَالُوا: أَتَى فِي وَجْهِهِ اِطْمِئْنَانٌ      وَعَلَى يَدَيْهِ الْفُلُّ وَالرِّيْحَانُ

0/0//0/ - 0/0//0/ - 0/0//0/      0/0//0/ - 0/0//0/ - 0/0//0/

مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ      مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ فِي قَصِيْدَةِ (آفَاقُ أُمَّمِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الرَّمْلِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ العُرُوْضِ (فُ الْقَلَمُ = 0//0/ = فَاعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (هَ الْأَلَمُ = 0//0/ = فَاعِلُنْ)، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

لَا تَقُوْلِي هَجَرَ الْحَرْفِ الْقَلَمُ      أَنَا مَا زِلْتُ أُغَذِّيهِ الْأَلَمُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 85.

(2) المصدر نفسه، ص: 62.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص: 72.

(5) المصدر نفسه، ص: 78.

0//0/ - 0/0/// - 0/0///      0//0/ - 0/0/// - 0/0//0/

فَاعِلُنْ - فَعْلَانُنْ - فَعْلَانُنْ      فَاعِلُنْ - فَعْلَانُنْ - فَعْلَانُنْ

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (مِنْ هَا هُنَا مَرَّ تَارِيخِي) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْبَسِيطِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ  
العَرُوضِ (قَمَرٍ = 0/// = فَعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (سَحَرٍ = 0/// = فَعِلُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

لَهُ مِنَ اللَّيْلِ شَوْقُ النَّجْمِ وَالْقَمَرِ      وَبَسْمَةٌ تَتَعَنَّى فِي فَمِ السَّحَرِ

0/// - 0//0/0/ - 0/// - 0//0//      0/// - 0//0/0/ - 0//0/ - 0//0//

مُتَفَعِّلُنْ - فَاعِلُنْ - مُسْتَفَعِّلُنْ - فَعِلُنْ      مُتَفَعِّلُنْ - فَعِلُنْ - مُسْتَفَعِّلُنْ - فَعِلُنْ

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (وَضُوحِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْوَافِي) مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ  
(وَرُوحًا = 0/0// = فَعُولُنْ) وَالضَّرْبِ (صَبُوحًا = 0/0// = فَعُولُنْ)، وَالِإيقَاعِ النَّاشِئُ عَنْ بِنْيَةِ التَّصْرِيعِ يَعْكَسُ انْفِتَاحَ  
الشَّاعِرِ عَلَى الآخَرِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

حَمَلْتُ إِلَيْكُمْ قَلْبًا وَرُوحًا      غَبُوقًا لِلْمَشَاعِرِ أَوْ صَبُوحًا

0/0// - 0/0/0// - 0//0/0//      0/0// - 0/0/0// - 0//0/0//

مُفَاعَلَتُنْ - مُفَاعَلَتُنْ - فَعُولُنْ      مُفَاعَلَتُنْ - مُفَاعَلَتُنْ - فَعُولُنْ

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (يَا قَارِيَّ الْقُرْآنِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ  
فِي المِصْرَاعِ الْأَوَّلِ (بِ نَشِيدِي = 0/0/// = مُتَفَاعِلٌ) وَالضَّرْبِ فِي المِصْرَاعِ الثَّانِي (لِ وَرِيدِي = 0/0/// = مُتَفَاعِلٌ)، يَقُولُ  
الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وَقَفْتُ حُرُوفِي عِنْدَ بَابِ نَشِيدِي      وَالشَّوْقُ يَرَكُضُ فِي مَجَالِ وَرِيدِي

0/0/// - 0//0/0/ - 0//0//      0/0/// - 0//0/0/ - 0//0//

مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلٌ      مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلٌ

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةِ (قِفْ أَيُّهَا التَّارِيخُ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ) مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ  
العَرُوضِ فِي المِصْرَاعِ الْأَوَّلِ (دِدَعَانَا = 0/0/// = مُتَفَاعِلٌ) وَالضَّرْبِ فِي المِصْرَاعِ الثَّانِي (وَرَانَا = 0/0/// = مُتَفَاعِلٌ)، يَقُولُ  
الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

صَوْتُ مِنْ الْأَفْقِ الْبَعِيدِ دَعَانَا      لَمَّا رَأَى اسْتِسْلَامَنَا، وَرَانَا

0/0/// - 0//0/0/ - 0//0//      0/0/// - 0//0/0/ - 0//0//

مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلٌ      مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلٌ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 80.

(2) المصدر نفسه، ص: 90.

(3) المصدر نفسه، ص: 101.

(4) المصدر نفسه، ص: 107.

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي قَصِيدَةٍ (يَا مَنْ يُلُومُ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ (الْكَامِلِ) مِنْ حِلَالِ لِتَوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ  
 الْعُرُوضِ (كَلِمَاتِي = 0/0/// = مُتَفَاعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (نَبَضَاتٍ = 0/0/// = مُتَفَاعِلُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

مِنْ عُمُقٍ وَجِدَانِي سَرَتِ كَلِمَاتِي فَهِيَ الصَّدَى الْمَشْحُونُ بِالنَّبَضَاتِ

0/0/// - 0//0/0/ - 0//0/0/      0/0/// - 0//0/0/ - 0//0/0/

مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ      مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ

وَيَبْدُو مِنْ حِلَالِ إِجْرَاءِ التَّرْصِيعِ الْإِسْتِهْلَالِيِّ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ حِرْصُ الشَّاعِرِ عَلَى تَقْوِيَةِ الْإِيقَاعِ وَإِنْتِاجِ نَعْمٍ  
 مُكْتَنَفٍ عَلَى مُسْتَوَى بِنْيَةِ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ وَإِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ لِلإِنجَازِ وَقَفَاتٍ تَتَجَاوَبُ مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى، وَحِرْصُهُ  
 عَلَى اسْتِثْمَارِ كُلِّ الْوَسَائِلِ الشَّعْرِيَّةِ الْعُرُوضِيَّةِ وَالْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى إِثْرَاءِ الْإِيقَاعِ.

وَقَدْ حَقَّقَ التَّصْرِيعُ فِي الْقَصِيدَةِ أَمْرَيْنِ؛ الْأَوَّلُ إِيقَاعِيٌّ فَالتَّصْرِيعُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يُعْلِنُ عَنْ بَدْءِ وَحْدَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ  
 مُتَكَرِّرَةٍ، سَيَنْهَضُ بِهَا الرَّوِيُّ فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ، وَيَتَنَاغَمُ هَذَا الرَّوِيُّ مَعَ بَعْضِ مَوَاقِعِ التَّكْرَارِ بِخَلْقِ تَوَافُقٍ صَوْتِيٍّ  
 أَفْقِيًّا وَعَمُودِيًّا فِي الْقَصِيدَةِ، الثَّانِي: دَلَالِيٌّ، يَتِمُّثَلُ بِالرَّبْطِ بَيْنَ مُسْتَوِيَّاتِ الْحُقُولِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا النَّصُّ، مِمَّا  
 يَخْلُقُ شُعُورًا بِالْوَحْدَةِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي تَعُمُّ النَّصَّ، وَتَتَضَافَرُ مَعَ الْوَحْدَةِ الْمَوْسِيقِيَّةِ لِتَشْكِيلِ الْقَصِيدَةِ.<sup>(2)</sup>

إِنَّ التَّصْرِيعَ الْإِسْتِهْلَالِيَّ ظَاهِرَةٌ إِيقَاعِيَّةٌ يَقْصِدُ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ عَنْ وَعْيٍ بِوُضُوعِهَا وَلَيْسَ مُجَرَّدَ تَقْلِيدِ شِعْرِيٍّ  
 مَوْرُوثٍ عَنِ الْقَصِيدَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ فَحَسْبُ، وَهُوَ يُسَهِّمُ فِي دَعْمِ بِنْيَةِ الْإِيقَاعِ الدَّاخِلِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ عَنْ طَرِيقِ تَلْكَ  
 التَّوَافُقَاتِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْإِيقَاعِيَّةِ الَّتِي تَتِمُّ بَيْنَ صُورِ الْأَعَارِيزِ وَالْأَضْرَبِ فِي الْمَطْلَعِ.

## 2- التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ:

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ فِي دَاخِلِ الْقَصِيدَةِ أَوْ فِي غَيْرِ الْإِبْدَاءِ، وَإِذَا كَانَ التَّصْرِيعُ فِي الْمَطْلَعِ دَالًّا عَلَى حُسْنِ  
 الْإِسْتِهْلَالِ لِمَا يُضْفِيهِ مِنْ إِيقَاعِيَّةٍ زَائِدَةٍ تُسَايِرُ التَّوَثُّرَ الْإِنْفِعَالِيَّ الَّذِي يَكْتَنِفُ التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ فِي لَحْظَةٍ تَدْفُقُهَا  
 الْأُولَى فَإِنَّهُ فِي ثَنَائِهَا الْقَصِيدَةَ أَوْ فِي مَطْلَعِ مَقْطَعٍ مِنْ مَقَاطِعِهَا دَالٌّ عَلَى تَجَدُّدِ التَّجْرِبَةِ وَعَوْدَةِ الْإِنْفِعَالِ الْإِبْدَاعِيِّ  
 الْخَلَّاقِ إِلَى ذِرْوَتِهِ مَعَ الشُّرُوعِ فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ التَّجْرِبَةِ، وَيَكُونُ التَّصْرِيعُ دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ بِمِثَابَةِ إِفَاقَةٍ وَإِثَارَةٍ  
 السَّمَاعِ أَوْ الْقَارِئِ الَّذِي مَضَى مَعَ مَا قَبْلَ تِلْكَ الدَّفْقَةِ مَعَ آيَاتٍ مُوَحَّدَةٍ الْإِيقَاعِ، وَصَارَ فِي حَاجَةٍ إِلَى انْتِبَاهَةٍ  
 تُخْرِجُهُ وَتُدْخِلُهُ فِي آنٍ وَاحِدٍ لِحَوِّ الْقَصِيدَةِ، وَكَمَا أَنَّ التَّصْرِيعَ فِي الْمَفْتَحِ لَيْسَ شَرْطًا حَتْمِيًّا فِي الْقَصِيدَةِ، فَكَذَلِكَ  
 تِلْكَ الدَّفْقَةُ دَاخِلُهَا لَيْسَتْ شَرْطًا نَقُولُ مَعَ إِنَّهَا ضَرْوْرِيَّةٌ، وَعَدَمُ وُجُودِهَا يُخِلُّ بِإِيقَاعِ الْقَصِيدَةِ، وَلَكِنْ نَقُولُ إِنَّهَا  
 شَيْءٌ وَجُودُهُ يَمْنَحُ الْقَصِيدَةَ مَا قَلْبَاهُ، وَعَدَمُهُ لَا يُخِلُّ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ بِإِيقَاعِ الْقَصِيدَةِ الْأَسَاسِيِّ، ذَلِكَ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 118.

(2) يوسف إسماعيل: بنية الإيقاع في الخطاب الشعري، ص: 119.

الإيقاع الذي لم يتولد عن مجرد العناصر الفونولوجية من وزن وقافية، ولكن عن كل شيء داخل مساحة البيت الشعري، وداخل رُقعة القصيدة، ويكون من شأنه إحداث إيقاع تنغمي، يُعظم من شأن القصيدة الإيقاعي".<sup>(1)</sup>

وقد أشار قدامة بن جعفر إلى بنية التصريع الداخلي في (نعت القوافي) بـ "أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج، وأن تُقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنهن وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحرهِ...".<sup>(2)</sup>

وإذا كان التصريع الاستهلاكي أكثر شيوعاً في القصيدة الإسلامية العمودية فإن التصريع الداخلي أقل شيوعاً فيها، فمثلاً يقع التصريع في ديوان محمد التهامي (يا إلهي) الذي يضم ثلاثاً وأربعين (43) قصيدة، في مطلع إحدى وأربعين (41) قصيدة، ويمثل نسبة (95.34%)، ويخلو من قصيدتين، بينما يقع التصريع الداخلي في أربعة عشر قصيدة، ويمثل نسبة (32.55%)، ويرد على النحو الآتي:

يقع التصريع الداخلي ثلاث مرات في قصيدة (في ذكرى المولد)\* التي تقوم على نسق الوافر، فبعد التصريع الاستهلاكي بين صورتَي العروض (يها الذكرى=0/0/0//مفاعلتن) والضرب (رة أخرى=0/0/0//مفاعلتن) في المطلع، يقول الشاعر<sup>(3)</sup>:

تَعَالَى أَيُّهَا الذُّكْرَى	وَطُوفِي مَرَّةً أُخْرَى
0/0/0//0/0/0//	0/0/0//0/0/0//
مُفَاعَلْتُنْ - مُفَاعَلْتُنْ	مُفَاعَلْتُنْ - مُفَاعَلْتُنْ

ويقع التصريع الداخلي الأول في البيت الواحد والعشرين من خلال التوافق بين صورتَي العروض (يها الذكرى=0/0/0//مفاعلتن) والضرب (لنا أدرى=0/0/0//مفاعلتن)، يقول الشاعر<sup>(4)</sup>:

تَعَالَى أَيُّهَا الذُّكْرَى	فَأَنْتِ بِحَالِنَا أَدْرَى
0/0/0//0/0/0//	0/0/0//0//0//
مُفَاعَلْتُنْ - مُفَاعَلْتُنْ	مُفَاعَلْتُنْ - مُفَاعَلْتُنْ

ويقع التصريع الداخلي الثاني في البيت الثامن والعشرين من خلال التوافق بين صورتَي العروض (توي ذعراً=0/0/0//مفاعلتن) والضرب (طوي قهراً=0/0/0//مفاعلتن)، يقول الشاعر<sup>(5)</sup>:

(1) عبد الباسط محمود: دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضي، ص: 110.

(2) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تج: عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: 1، 1398هـ-1978م، ص: 86.

(\*) شكّل التوزيع في هذه القصيدة نسبة (50%) من مجموع أبياتها البالغة اثنين وثلاثين (32) بيتاً

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 9.

(4) المصدر نفسه، ص: 9.

(5) المصدر نفسه، ص: 10.

فَطَوْرًا نَلْتَوِي دُعْرًا وَطَوْرًا نَنْطَوِي قَهْرًا

0/0/0//0/0/0// 0/0/0//0/0/0//

مُفَاعَلْتُنْ- مُفَاعَلْتُنْ مُفَاعَلْتُنْ- مُفَاعَلْتُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ الثَّلَاثُ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُوْرَتِي الْعُرُوْضِ (يُهَيَّا

الذِّكْرَى=0/0/0//مُفَاعَلْتُنْ) وَالضَّرْبِ (حَنَّا تَبْرًا=0/0/0//مُفَاعَلْتُنْ)، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

تَعَالَى أَيُّهَا الذِّكْرَى لَعَلَّ جِرَاحَنَا تَبْرًا

0/0/0//0//0// 0/0/0//0/0/0//

مُفَاعَلْتُنْ- مُفَاعَلْتُنْ مُفَاعَلْتُنْ- مُفَاعَلْتُنْ

وَيَتَفَاعَلُ إِيقَاعُ التَّصْرِيْعِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُوْرَتِي الْعُرُوْضِ وَالضَّرْبِ، وَاتِّحَادِ الْمِصْرَاعَيْنِ فِي النَّسَقِ التَّقْفُوِيِّ الْمَطْلُوقِ وَاتِّحَادِ الرَّوِيِّ (الرَّاءِ) وَمَجْرَاهُ مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُوْرِ وَالْمَعْنَى، فَصَوْتُ الرَّاءِ بِخِصَائِصِهِ الصَّوْتِيَّةِ يَنْسَجِمُ مَعَ حَدَثِ الذِّكْرَى النَّبَوِيِّ الَّذِي تَنْطَلِعُ إِلَيْهِ أَرْوَاحُ الْمُسْلِمِينَ وَتَتَلَهَّفُ إِلَيْهِ قُلُوْبُهُمْ، فَهِيَ ذِكْرَى تَطْرُقُ حَيَاتَنَا حِينَ بَعْدَ حِينَ وَمَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، تَغِيْبُ ثُمَّ مَا تَلَبَّثُ أَنْ تَعُوْدَ، تَخْتَفِي ثُمَّ مَا تَلَبَّثُ أَنْ تَظْهَرَ. وَتُوَكِّدُ الْبِنِيَّةَ التَّكْرَارِيَّةَ (تَعَالَى أَيُّهَا الذِّكْرَى) ذَلِكَ الْإِيْقَاعَ وَتَعْمَلُ عَلَى اسْتِدَامَتِهِ.

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ مَرَّتَيْنِ فِي قَصِيْدَةِ (نُورِ الْمِيْلَادِ) الَّتِي تَقُوْمُ عَلَى نَسَقِ الْبَسِيْطِ، فَبَعْدَ التَّصْرِيْعِ الْاسْتِهْلَالِيِّ فِي الْمَطْلُوعِ النَّاتِجِ عَنِ اتِّفَاقِ صُوْرَتِي الْعُرُوْضِ (أَفَقِ=0///فَعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (تَلِقُ=0///فَعِلُنْ)، وَيَمْنَحُهُ عُدُوْبَةً نَعَمٌ وَسَلَاسَةً إِيقَاعٍ، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

نُورٌ يُضِيءُ بِهِ فِي دَرْبِنَا الْأَفْقُ يَزُوْرُنَا فِي الدَّجَى دَوْمًا وَيَأْتِلِقُ

0///-0//0/0/-0//0/-0//0// 0///-0//0/0/-0///-0//0/0/

مُسْتَفْعَلُنْ-فَعِلُنْ-مُسْتَفْعَلُنْ-فَعِلُنْ مُتَّفَعِلُنْ-فَاعِلُنْ-مُسْتَفْعَلُنْ-فَعِلُنْ

يَقَعُ التَّصْرِيْعُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْقَصِيْدَةِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُوْرَتِي الْعُرُوْضِ (طَلَقُو=0///فَعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (سَبَقُو=0///فَعِلُنْ)، يَقُوْلُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وَأَنَّ مِنْ أَهْلِهَا قَوْمًا إِذَا أَنْطَلَقُوا مَعَ الْمَلَائِكِ فِي إِيمَانِهِمْ سَبَقُوا

0///-0//0/0/-0///-0//0// 0///-0//0/0/-0//0/-0//0//

مُسْتَفْعَلُنْ-فَاعِلُنْ-مُسْتَفْعَلُنْ-فَعِلُنْ مُتَّفَعِلُنْ-فَعِلُنْ-مُسْتَفْعَلُنْ-فَعِلُنْ

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 11.

(3) المصدر نفسه، ص: 12.

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَصِيدَةِ (أَهْلًا رَمَضَانَ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الْوَافِرِ فَبَعْدَ التَّصْرِيعِ  
الاسْتِهْلَالِيِّ فِي الْمَطَّلَعِ مِنْ خِلَالِ الْإِتْفَاقِ بَيْنَ صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (ضِيَاءٌ=0/0//=فَعُولُن) وَالضَّرْبِ  
(دَوَاءٌ=0/0//=فَعُولُن)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

تَهَادَى فِي مَرَابِعِنَا ضِيَاءٌ وَأَشْرَقَ فِي مَوَاجِعِنَا دَوَاءٌ  
0/0//0-0//0//0-0//0//0// 0/0//0-0//0//0-0/0/0//  
مُفَاعَلَتْنِ-مُفَاعَلَتْنِ-فَعُولُن مُفَاعَلَتْنِ-مُفَاعَلَتْنِ-فَعُولُن

يَقَعُ التَّصْرِيعُ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ مِنَ الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (دُعَاءٌ=0/0//=فَعُولُن)  
وَالضَّرْبِ (رِضَاءٌ=0/0//=فَعُولُن)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

يَطُوفُ عَلَى جَوَارِحِنَا دُعَاءٌ يُحِيلُ عِنَادَهَا الْبَاغِي رِضَاءً  
0/0//0-0/0/0//0-0//0//0// 0/0//0-0//0//0-0//0//0//  
مُفَاعَلَتْنِ-مُفَاعَلَتْنِ-فَعُولُن مُفَاعَلَتْنِ-مُفَاعَلَتْنِ-فَعُولُن

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ مَرَّةً فِي قَصِيدَةِ (صَحْوَةَ الْحَقِّ فِي بَدْرِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الْبَسِيطِ، فَبَعْدَ التَّصْرِيعِ  
الاسْتِهْلَالِيِّ بَيْنَ الْعُرُوضِ (عِدَّةٌ=0///=فَعِلُن) وَالضَّرْبِ (عِدَّةٌ=0///=فَعِلُن) فِي الْمَطَّلَعِ<sup>(3)</sup>:

أَوْى إِلَى الْحِصْنِ حَتَّى اشْتَدَّ سَاعِدُهُ وَاسْتَمَهَلَ الْحَقَّ حَتَّى حَانَ مَوْعِدُهُ  
0///0-0//0/0/-0//0/-0//0/0/ 0///0-0//0/0/-0//0/-0//0/0/  
مُسْتَفْعِلُن-فَاعِلُن-مُسْتَفْعِلُن فَعِلُن مُسْتَفْعِلُن-فَاعِلُن-مُسْتَفْعِلُن فَعِلُن

يَقَعُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ فِي الْبَيْتِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (رَدَّةٌ=0///=فَعِلُن)  
وَالضَّرْبِ (نِدَّةٌ=0///=فَعِلُن)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

إِنْ كَانَ عَانِدُهُ كُفْرٌ وَطَارَدَهُ فَالْيَوْمَ يُرَدِّعُ عَنْهُ مَنْ يُعَانِدُهُ  
0///0-0//0/0/-0//0/-0//0/0/ 0///0-0//0/0/-0//0/-0//0/0/  
مُسْتَفْعِلُن-فَعِلُن-مُسْتَفْعِلُن فَعِلُن مُسْتَفْعِلُن-فَعِلُن-مُسْتَفْعِلُن فَعِلُن

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ مَرَّةً فِي قَصِيدَةِ (أَضْوَاءَ الْهَجْرَةِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الرَّمْلِ، فَبَعْدَ التَّصْرِيعِ الْاسْتِهْلَالِيِّ  
بَيْنَ صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (مَنْ نَكُونُ=00//0/=فَاعِلَاتُ) وَالضَّرْبِ (مُسْلِمُونَ=00//0/=فَاعِلَاتُ) الْوَاقِعِ فِي الْمَطَّلَعِ<sup>(5)</sup>:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنَّا: مَنْ نَكُونُ؟ نَحْنُ جُنْدُ اللَّهِ.. نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ  
00//0/-0/0//0/-0/0//0/ 00//0/-0/0//0/-0/0//0/  
فَاعِلَاتُن-فَعِلَاتُن-فَاعِلَاتُ فَاعِلَاتُن-فَاعِلَاتُن-فَاعِلَاتُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 14.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص: 24.

(4) المصدر نفسه، ص: 25.

(5) المصدر نفسه، ص: 29.

يَقَعُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (مَنْ نَكُونُ=00//0/ فَاعِلَاتٌ) وَالضَّرْبِ (وَارِثُونَ=00//0/ فَاعِلَاتٌ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنَّا.. مَنْ نَكُونُ؟ نَحْنُ أَهْلُ الْحَقِّ.. نَحْنُ الْوَارِثُونَ  
00//0/-0/0//0/-0/0//0/      00//0/-0/0///-0/0//0/  
فَاعِلَاتُنْ-فَاعِلَاتُنْ-فَاعِلَاتُنْ      فَاعِلَاتُنْ-فَاعِلَاتُنْ-فَاعِلَاتُنْ

وَيَرِدُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَصِيدَةِ (وَأَمْعَتَصِمَاهُ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الْبَسِيطِ فَبَعْدَ التَّصْرِيْعِ الْاسْتِهْلَالِيِّ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (سُبُلٌ=0///=فَعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (تَهْلٌ=0///=فَعِلُنْ) فِي الْمَطْلَعِ<sup>(2)</sup>:

فَضَحَّتْنَا عِنْدَمَا ضَاقَتْ بِكَ السُّبُلُ فَصَحَّتْ بِالْأَهْلِ تَدْعُوهُمْ وَتَبْتَهِلُ  
0///-0//0/0/-0//0/-0//0//      0///-0//0/0/-0//0/-0//0//  
مُتَفَعِّلُنْ-فَاعِلُنْ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلُنْ      مُتَفَعِّلُنْ-فَاعِلُنْ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلُنْ

يَقَعُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (دُولٌ=0///=فَعِلُنْ) وَالضَّرْبِ (تَغِلٌ=0///=فَعِلُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

لَكِنَّ فَوْقَ خُطَانَا تَدْعِي دُولٌ بَأَنهَا بِشُؤُونِ الْكَوْنِ تَشْتَعِلُ  
0///-0//0/0/-0///-0//0//      0///-0//0/0/-0///-0//0/0/  
مُسْتَفَعِّلُنْ-فَاعِلُنْ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلُنْ      مُتَفَعِّلُنْ-فَاعِلُنْ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلُنْ

وَيَرِدُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي قَصِيدَةِ (وَدَاعَا) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الرَّمَلِ الْمَجْزُوءِ، فَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ الْأَوَّلُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (فِي عَنَائِي=0/0//0/ فَاعِلَاتُنْ) وَالضَّرْبِ (بَارِعَنِّي=0/0//0/ فَاعِلَاتُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

لَا تُطِيلُوا فِي عَنَائِي وَاحْبِسُوا الْأَخْبَارَ عَنِّي  
0/0//0/-0/0//0/      0/0//0/-0/0//0/  
فَاعِلَاتُنْ - فَاعِلَاتُنْ      فَاعِلَاتُنْ - فَاعِلَاتُنْ

وَيَقَعُ التَّصْرِيْعُ الدَّاخِلِيُّ الثَّانِي فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ مِنْ حِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العَرُوضِ (رِي فَائِنِي=0/0//0/ فَاعِلَاتُنْ) وَالضَّرْبِ (لَنْ أُغْنِي=0/0//0/ فَاعِلَاتُنْ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

وَاسْمَعُوا غَيْرِي فَائِنِي فِي عَذَابِي لَنْ أُغْنِي  
0/0//0/-0/0//0/      0/0//0/-0/0//0/  
فَاعِلَاتُنْ - فَاعِلَاتُنْ      فَاعِلَاتُنْ - فَاعِلَاتُنْ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 31.

(2) المصدر نفسه، ص: 60.

(3) المصدر نفسه، ص: 61.

(4) المصدر نفسه، ص: 69.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ الثَّلَاثُ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العُرُوضِ (فِي شُجُونِي=0/0//0/=فَاعِلَاتْنِ) وَالضَّرْبِ (ضَى بِلْحَنِي=0/0//0/=فَاعِلَاتْنِ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>

بِحَّ لِحْنِي فِي شُجُونِي لَمْ أَعُدْ أَرْضَى بِلِحْنِي

0/0//0/-0/0//0/      0/0//0/-0/0//0/

فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ      فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ الرَّابِعُ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العُرُوضِ (كُلُّ قَلْبِي=0/0//0/=فَاعِلَاتْنِ) وَالضَّرْبِ (مُطْمَئِنِّي=0/0//0/=فَاعِلَاتْنِ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>

ذَابَ مِنِّي كُلُّ قَلْبِي وَفُرَادِي الْمُطْمَئِنِّ

0/0//0/-0/0//      0/0//0/-0/0//0/

فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ      فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ الْخَامِسُ فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العُرُوضِ (وَيَ كِيَانِي=0/0//0/=فَاعِلَاتْنِ) وَالضَّرْبِ (كُلُّ كَوْنِي=0/0//0/=فَاعِلَاتْنِ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>

هَدَّتِ الْبَلْوَى كِيَانِي وَتَهَاوَى كُلُّ كَوْنِي

0/0//0/-0/0//      0/0//0/-0/0//0/

فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ      فَاعِلَاتْنِ - فَاعِلَاتْنِ

وَيَرِدُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَصِيدَةِ (عِنَادِ الشَّعْرِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الْوَافِرِ، فَبَعْدَ التَّصْرِيعِ الْاسْتِهْلَالِيِّ الْوَاقِعِ فِي الْمَطَّلَعِ بَيْنَ صُورَتَيْ العُرُوضِ (ثُ مِّنِّي=0/0//0/=فَعُولُنِ) وَالضَّرْبِ (أُعْنِي=0/0//0/=فَعُولُنِ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

وَمَهْمَا نَالَتْ الْأَحْدَاثُ مِنِّي سَأَبَقِي فِي مَفَاوِزِهَا أُعْنِي

0/0//0/-0/0//0//      0/0//0/-0/0//0//

مُفَاعَلَتْنِ - مُفَاعَلَتْنِ - فَعُولُنِ      مُفَاعَلَتْنِ - مُفَاعَلَتْنِ - فَعُولُنِ

وَيَقَعُ التَّصْرِيعُ الدَّاخِلِيُّ فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ خِلَالِ التَّوَافِقِ بَيْنَ صُورَتَيْ العُرُوضِ (حَبَانِي=0/0//0/=فَعُولُنِ) وَالضَّرْبِ (مِ عَوْنِي=0/0//0/=فَعُولُنِ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

وَنَاشَدْتُ الْإِلَهَ بِمَا حَبَانِي بِأَنْ يَبْقَى عَلَيَّ الْإَيَّامِ عَوْنِي

0/0//0/-0/0//0//      0/0//0/-0/0//0//

مُفَاعَلَتْنِ - مُفَاعَلَتْنِ - فَعُولُنِ      مُفَاعَلَتْنِ - مُفَاعَلَتْنِ - فَعُولُنِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 69.

(2) المصدر نفسه، ص: 69.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص: 96.

(5) المصدر نفسه، ص: 97.

وَيَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنْ التَّصْرِيعَ يُعَدُّ عُنْصُرًا فِي بِنْيَةِ الشُّعْرِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِالتَّسْجِيعِ وَالتَّقْفِيَةِ وَالتَّصْرِيعِ مِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِهِمَا، فَـ "بِنْيَةُ الشُّعْرِ إِنَّمَا هِيَ التَّسْجِيعُ وَالتَّقْفِيَةُ، فَكُلَّمَا كَانَ الشُّعْرُ أَكْثَرَ اشْتِمَالًا عَلَيْهِ كَانَ أَدْخَلَ لَهُ فِي بَابِ الشُّعْرِ وَأَخْرَجَ لَهُ عَنْ مَذْهَبِ الثَّرِّ." (1)

وَيَعْمَلُ التَّصْرِيعُ فِي بِنْيَةِ الْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ عَلَى تَقْسِيمِهِ إِلَى مِصْرَاعَيْنِ مُتَعَادِلَيْنِ إِبْقَاعِيًّا يُمَكِّنُ لِلشَّاعِرِ التَّوَقُّفَ حَلَالَهُمَا التَّوَقُّفَ عِنْدَ تَقْفِيَةِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ دُونَ أَنْتِظَارِ تَقْفِيَةِ الْمِصْرَاعِ الثَّانِي، وَيَدُلُّ التَّصْرِيعُ الدَّخْلِيُّ عَلَى حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَتَنَوُّعِهِ وَحَرَكَةِ الْمَعْنَى وَاخْتِلَافِهِ مِنْ مَقْطَعِ شِعْرِيٍّ إِلَى آخَرَ فِي الْقَصِيدَةِ، وَقَدْ تَنَبَّهَ ابْنُ رَشِيْقٍ إِلَى ذَلِكَ حِينَ قَالَ: "وَسَبَبُ التَّصْرِيعِ مُبَادَرَةُ الشَّاعِرِ الْقَافِيَةَ لِيَعْلَمَ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ أَنَّهُ أَخَذَ فِي كَلَامٍ مَوْزُونٍ غَيْرِ مَنثورٍ وَلِذَلِكَ وَقَعَ فِي أَوَّلِ الشُّعْرِ وَرُبَّمَا صرَّعَ الشَّاعِرُ فِي غَيْرِ الْإِبْتِدَاءِ وَذَلِكَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى قِصَّةٍ أَوْ مِنْ وَصْفٍ شَيْءٍ إِلَى وَصْفٍ شَيْءٍ آخَرَ فَيَأْتِي حِينَئِذٍ بِالتَّصْرِيعِ إِخْبَارًا بِذَلِكَ وَتَنْبِيْهًُا عَلَيْهِ وَقَدْ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ هَذَا حَتَّى صرَّعُوا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ تَصْرِيعٍ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الطَّبَعِ وَكَثْرَةِ الْمَادَّةِ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا كَثُرَ فِي الْقَصِيدَةِ ذَلٌّ عَلَى التَّكَلُّفِ إِلَّا مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ." (2) فَالشَّاعِرُ يُصرِّعُ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ إِذَا نَاقَلَ بِالدُّخُولِ إِلَى عَالَمِ الْقَصِيدَةِ وَيُصرِّعُ آيَاتًا دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ إِذَا نَاقَلَ بِالتَّحْوُلِ عَنْ مَوْضِعٍ إِلَى غَيْرِهِ أَوْ التَّحْوُلِ عَنْ شُعُورٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَقَدْ تَكَمَّنَ حَرَكَةُ الشُّعُورِ وَالدَّلَالَةَ خَلْفَ التَّصْرِيعِ وَتَنَوُّعَ الْإِبْقَاعِ كَمَا اتَّضَحَ فِي النَّمَاذِجِ السَّابِقَةِ، وَقَدْ يُصرِّعُ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ إِعْلَانًا بِالخُرُوجِ إِلَى جَانِبٍ مَا تَقَدَّمَ وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي قِصِيدَةِ (الثَّرِيدِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الْبَسِيطِ، فَالشَّاعِرُ مُحَمَّدٌ مَفْلِحٌ يُصرِّعُ مَطَّلَعَ الْقَصِيدَةِ وَيُؤَافِقُ بَيْنَ صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (قَلَمٌ=0///=فَعِلْنَ) وَالضَّرْبِ (تَحِمٌ=0///=فَعِلْنَ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

بَأَيِّ كَفٍّ أَخْطُ الحَرْفَ يَا قَلَمُ وَمَا غَنَاؤُكَ وَالْأَهْوَالُ تَقْتَحِمُ  
 0///-0//0/0/-0///-0//0// 0///-0//0/0/-0//0/-0//0//  
 مُتَفَعِّلُنْ-فَعِلْنَ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلْنَ مُتَفَعِّلُنْ-فَعِلْنَ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلْنَ

وَيُصرِّعُ الْبَيْتَ الثَّامِنَ وَالثَّلَاثِينَ وَهُوَ الْبَيْتُ الْأَخِيرُ، فَيُؤَافِقُ بَيْنَ صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (تَصِمٌ=0///=فَعِلْنَ) وَالضَّرْبِ (تَصِمٌ=0///=فَعِلْنَ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ (4):

قَالُوا سَيَفْرَعُ لِلْحَسَنَاءِ مُعْتَصِمٌ فَقُلْتُ وَارْحَمَتَا قَدْ مَاتَ مُعْتَصِمٌ  
 0///-0//0/0/-0//0/-0//0// 0///-0//0/0/-0///-0//0/0//  
 مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلْنَ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلْنَ مُتَفَعِّلُنْ-فَاعِلْنَ-مُسْتَفَعِّلُنْ-فَعِلْنَ

(1) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص: 90.

(2) ابن رشيق: العمدة، ج: 1، ص: 157.

(3) محمود مفلح: إلما الصحوة، ص: 90.

(4) المصدر نفسه، ص: 94.

وَلَيْسَ التَّصْرِيعُ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ خُرُوجًا أَوْ تَحَوُّلًا عَمَّا تَقَدَّمَ فِي آيَاتِ الْقَصِيدَةِ إِلَى قَضَايَا أُخْرَى فَلَا شَيْءَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ، لَكِنَّ السِّيَاقَ الشَّعْرِيَّ الَّذِي وَرَدَ الْبَيْتُ الْمَصْرَعُ خَاتَمَةً لَهُ يُبْنِيهِ إِلَى الشُّعُورِ الْمُتَأَزِّمِ الَّذِي انْتَهَى إِلَى غَايَتِهِ وَإِلَى الدَّلَالَاتِ الَّتِي يُلْمَحُ إِلَيْهَا، فَقَدْ أَتَى فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ مُعَانَاةِ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ فَكَانَ التَّصْرِيعُ بِإِقَاعِهِ ذِي التَّغَمُّاتِ الْهَابِطَةِ إِيْدَانًا بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى الصَّمْتِ وَالْمَوْتِ وَالضِّيَاعِ وَالْإِسْتِسْلَامِ إِلَى الْحُزْنِ وَالْيَأْسِ، وَالْعُدُولِ إِلَى الدُّهُولِ مِنْ حُنُوعِ الْأُمَّةِ حُكْمًا وَشُعُوبًا، وَإِلَى أَسْئَلَةِ مُتْلَهْفَةٍ إِلَى إِجَابَاتٍ. فَالتَّصْرِيعُ بِكَثَافَةٍ يُقَاعَهُ الْمُحِيطُ بِالتَّجْرِبَةِ يُحِيلُ الْمُتَلَقِّيَّ إِلَى دَلَالَاتٍ مَفْتُوحَةٍ هِيَ دَلَالَاتُ الْغِيَابِ الَّتِي لَا تَقِلُّ أَهْمِيَّةً عَنْ دَلَالَاتِ الْحُضُورِ.

وَهَذِهِ الْوَضِيفَةُ الَّتِي يَقُومُ بِهَا التَّصْرِيعُ، فِي أَيِّ قِسْمٍ أَوْ مَوْضِعٍ وَقَعَ، تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ "مُؤَشِّرٌ لِعُويٍّ وَاضِحٌ، أَوْ بِالْأُخْرَى هُوَ مُؤَشِّرٌ تَقْنِيٌّ وَاضِحٌ".<sup>(1)</sup> يَدُلُّ عَلَى الْإِنْفِصَالِ الْجُزْئِيِّ بَيْنَ أَقْسَامِ الْقَصِيدَةِ أَوْ بَيْنَ الْحَرَكَاتِ الَّتِي تُنَشِّئُهَا مَوْضُوعَاتُ الْقَصِيدَةِ، وَإِذَا كَانَ التَّصْرِيعُ فِي الْمَطْلَعِ أَوْ فِي الْإِبْتِدَاءِ ظَاهِرَةً عَادِيَةً فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّهُ فِي الدَّاخِلِ أَوْ فِي غَيْرِ الْإِبْتِدَاءِ ظَاهِرَةً نَادِرَةً اِكْتَسَبَتْ دَلَالَتَهَا مِنَ التَّشَابُهِ وَالتَّضَادِ بَيْنَ قِسْمِي الْقَصِيدَةِ أَوْ بَيْنَ حَرَكَتَيْهَا الَّتِي يُؤَكِّدُ هَذَا التَّأْشِيرُ التَّقْنِيُّ عَلَى أَنَّهُمَا تُمَثِّلَانِ بَدَءَيْنِ مُسْتَقْلِلَيْنِ وَكَوْنَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ.<sup>(2)</sup> وَيَبْدُو ذَلِكَ حَلِيًّا فِي قَصِيدَةِ (فَتْلُكَ مَصَارِعُهُمْ) لِعِمَادِ الدِّينِ خَلِيلِ الَّتِي تَقُومُ بِنَيْتِهَا دَلَالِيًّا عَلَى حَرَكَتَيْنِ مُتَضَادَّتَيْنِ، حَرَكَةُ الزَّرْعِيمِ الطَّاعِيَةِ الْجَلَادِ وَحَرَكَةُ الشَّهِيدِ الضَّحِيَّةِ، الْحَرَكَةُ الْأُولَى سَلْبِيَّةٌ تَكْمُنُ فِي فِعْلِ (المَوْتِ) وَالثَّانِيَّةُ إِبْجَائِيَّةٌ تَكْمُنُ فِي فِعْلِ (الحَيَاةِ). وَيَنْهَضُ التَّصْرِيعُ كَمُؤَشِّرٍ إِبْقَاعِيٍّ عَلَى كُلِّ حَرَكَةٍ، فَيَبْدَأُ الْقِسْمَ أَوْ الْمَقْطَعِ الْأَوَّلَ مِنَ الْقَصِيدَةِ بِمَطْلَعِ مَصْرَعٍ مُؤَشِّرٍ عَلَى الْحَرَكَةِ الْأُولَى، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

صَبَّتَ عَلَيْهِمْ جَمَامَ الْوَعِيدِ فَتَهُ يَا زَعِيمٍ فَأَنْتَ الْوَحِيدُ!  
 وَصِرْ فِي (العِرَاقِ) إِلَهًا كَبِيرًا كَمَا صَارَ مِنْ قَبْلِ (نُورِي السَّعِيدِ)  
 وَأَنْزَلَ سَيَاطِكُ مَا الشَّعْبُ إِلَّا قَطِيعٌ يَسُوقُهُ رَاعٍ شَدِيدُ  
 وَمَا هُوَ إِلَّا ضَحَايَا إِلَهٍ سَتَذِيحُ لِلرَّبِّ فِي يَوْمِ عِيدِ  
 وَعِيدُكَ أَنْتَ مَجَازِرُ شَعْبِي فَهَاتِ الخُمُورَ وَنَادِ بَعُودِ  
 عَلَى رَنَّةِ الْحُزْنِ تُحْيِي اللَّيَالِي وَأَهَاتِ تَكَلِّي تَكُونُ الْوَعُودُ!  
 وَتَشْرَبُ وَالصَّحْبُ مِلءَ الْكُؤُوسِ خُمُورًا، وَيَشْرَبُ شَعْبِي الصَّدِيدُ

فَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيعُ اسْتِهْلَالِيًّا فِي إِبْتِدَاءِ الْقَصِيدَةِ وَفِي إِبْتِدَاءِ الْمَقْطَعِ أَوْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ صُورَتِي الْعُرُوضِ فِي الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ (وَعِيدٍ=00//فَعُولٌ) وَالصَّرْبِ فِي الْمِصْرَاعِ الثَّانِي (وَحِيدٍ=00//فَعُولٌ) وَقَدْ

(1) كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتعلي، ص: 172.

(2) المرجع نفسه، ص: 172.

(3) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، ص: 53.

تَحَاوَبَ إِيقَاعُ التَّصْرِيعِ النَّاتِجِ عَنِ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ الْمُقَيَّدِ مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ الْمُتَوَاتِرِ النَّاتِرِ وَحَرَكَةِ الْمَعْنَى بِظَلَالِهِ  
المصوّرة، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

صَبَّتَ عَلَيْهِمْ جَامَ الْوَعِيدِ فَتُهُ يَا (زَعِيمٌ) فَأَنْتَ الْوَحِيدُ!

00// - 0/0// - /0// - 0/0//

00// - 0/0// - /0// - 0/0//

فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ

فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ

وَيَبْدَأُ الشَّاعِرُ الْمَقْطَعُ أَوْ الْقِسْمَ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ بَيِّنَ مُصْرَعٍ كَمُؤَشِّرٍ عَلَى الْحَرَكَةِ الثَّانِيَةِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

إِلَى اللَّهِ سَوْفَ يَعُودُ الشَّهِيدُ وَهَذَا جَزَاءُ الَّذِي لَا يَحِيدُ

يَقُولُ الْحَقِيقَةَ رَغَمَ الرَّصَاصِ يَوْزُ بَعْدَرٍ وَيُنْصَبُ عُودٌ

فَقُلْ (لِلزَّعِيمِ) بَأَنَّ الصَّحَايَا سَتَمْضِي إِلَى الْخُلْدِ كَيْ لَا يَعُودُ

فَوَاللَّهِ لَنْ يَسْتَمِرَّ الطُّعَاةُ عَلَى كَيْدِهِمْ يَنْكُثُونَ الْعُهُودُ

وَكَيْفَ؟ وَإِسْلَامُنَا ثَوْرَةٌ عَلَى الظُّلْمِ هَدَامَةٌ لِلْقِيُودِ؟

وَكَيْفَ وَقَرَأْتُنَا فِي يَدٍ وَيُرْعَدُ فِي الْأُخْرَى صَوْتُ الْحَدِيدِ؟

فَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيعُ دَاخِلِيًّا فِي غَيْرِ الْإِبْتِدَاءِ، أَيِ فِي ابْتِدَاءِ الْمَقْطَعِ أَوْ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ خِلَالِ التَّوَافُقِ بَيْنَ

صُورَتَيْ الْعُرُوضِ (شَهِيدٍ = 00// = فَعُولُنْ) فِي الْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ وَالضَّرْبِ (يَحِيدُ = 00// = فَعُولُنْ) فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي، يَقُولُ

الشَّاعِرُ:

إِلَى اللَّهِ سَوْفَ يَعُودُ الشَّهِيدُ وَهَذَا جَزَاءُ الَّذِي لَا يَحِيدُ

00// - 0/0// - /0// - 0/0//

00// - 0/0// - /0// - 0/0//

فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ

فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ - فَعُولُنْ

إِنَّ شُبُوعَ التَّصْرِيعِ فِي الْمَتْنِ الشُّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ<sup>(\*)</sup> حَيْثُ يَرِدُ اسْتِهْلَالِيًّا بِنِسْبَةِ (86.48%) فِي مَطَالِعِ الْقَصَائِدِ،

بِالإِضَافَةِ إِلَى وَقُوعِهِ دَاخِلِيًّا فِي بُنَى الْقَصَائِدِ يُفَسِّرُ حُنُوحَ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى التَّمَسُّكِ بِتَقَالِيدِ الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ،

وَاسْتِشْمارِ وَظَائِفِهِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَالِدَّلَالِيَّةِ وَالْبُنْيُويَّةِ حِينَ يُصْبِحُ مُؤَشِّرًا إِيقَاعِيًّا عَلَى التَّحَوُّلِ مِنْ بِنْيَةٍ إِلَى بِنْيَةٍ أَوْ مِنْ

مَوْضُوعَةٍ إِلَى مَوْضُوعَةٍ فِي الْقَصِيدَةِ أَوْ يُصْبِحُ مُؤَشِّرًا إِيقَاعِيًّا عَلَى الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ فِي التَّكْوِينِ وَفِي حَرَكَاتِ الْقَصِيدَةِ

عَلَى الْمُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ كَمَا يَرَى كَمَالُ أَبُو دَيْبٍ<sup>(2)</sup>، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْإِسْتِقْلَالِيَّةَ لَا تَعْنِي أَنَّ أَقْسَامَ الْقَصِيدَةِ مُنْفَصِلَةٌ وَقَدْ

جُمِعَتْ بِوَأَسْطَةِ الْإِلْصَاقِ، وَهَذَا الْأَمْرُ شَبِيهُهُ بِأَقْسَامِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تُحَدِّدُهَا الْأَغْرَاضُ، فَبَيْنَ أَقْسَامِ

الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُصْرَعَةِ وَشَائِحِ مُحْكَمَةٍ وَعَلَائِقُ مَتِينَةٌ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ مُسْتَوَى تُوَكَّدُ التَّلَاحُمَ الْبِنْيُويَّ بَيْنَ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 55.

(\*) مثل التصريع في متن العشماوي نسبة (85.34%)، وفي متن الفرضاوي (95.34%)، وفي متن الغماري (86.95%)، وفي متن وليد قصاب (71.92%)، وفي متن الكيلاني (92.85%)، وكذا في المتون الأخرى.

(2) كمال أبو ديب: البين المولدة في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط: 1، 1988، ص: 85.

عَنَّا صِرْهَا وَالتَّشَابُكِ العَلَائِقِيَّ بَيْنَ مُكَوَّنَاتِهَا مِمَّا يَعْدُو مَعَهُ التَّصْرِيعُ آيَةً مِنْ آيَاتِ (البِنْيَةِ) الدَّاحِلِيَّةِ لِلنَّصِّ وَآيَةً مِنْ آيَاتِ التَّحَوُّلِ الْمُنْضَبِطِ فِي إِطَارِ البِنْيَةِ الكُلِّيَّةِ الشَّامِلَةِ؛ أَي: القَصِيدَةِ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثاً: التّدوير:

1- التّدويرُ في البيتِ الشّعريِّ

2- التّدويرُ في السّطرِ الشّعريِّ

يَرِدُ التَّدْوِيرُ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ يَكُونُ بَأَنَّ التَّصْلِ الشَّطْرَةَ الْأُولَى مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ بِالشَّطْرَةَ الثَّانِيَةَ بَحَيْثُ تُنْقَسِمُ الْكَلِمَةُ بَيْنَ الشَّطْرَيْنِ".<sup>(1)</sup> وَيُنشَأُ عَنْ هَذَا الْإِتِّصَالَ الْبَيْتُ الْمُدَوَّرُ وَهُوَ مَا كَانَ قَسِيمُهُ مُتَّصِلًا بِالْآخِرِ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ مِنْهُ جَمَعْتَهُمَا كَلِمَةً وَاحِدَةً وَهُوَ الْمُدْمَجُ أَيْضًا وَأَكْثَرُ مَا يَفْعُ ذَلِكَ فِي عَرُوضِ الْخَفِيفِ وَهُوَ حَيْثُ وَقَعَ مِنَ الْأَعَارِيزِ دَلِيلٌ عَلَى الْقُوَّةِ إِلَّا أَنَّهُ فِي غَيْرِ الْخَفِيفِ مُسْتَقْلِلٌ عِنْدَ الْمَطْبُوعِينَ وَقَدْ يَسْتَحْفُونُهُ فِي الْأَعَارِيزِ الْقِصَارِ كَالْهَزَجِ وَمَرْبُوعِ الرَّمْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ".<sup>(2)</sup> فَمَا اشْتَرَكَ شَطْرَاهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ بَأَنَّ يَكُونُ بَعْضُهَا فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَبَعْضُهَا فِي الشَّطْرِ الثَّانِي يُسَمَّى الْبَيْتُ الْمُدَوَّرُ، وَهُوَ يَحْدُثُ فِي كُلِّ الْبُحُورِ، لَأَسِيمَا الْمَجْزُوءَةِ<sup>(3)</sup>، وَيُسَمَّى كَذَلِكَ الْمَوْصُولُ أَوْ الْمُدَاخِلُ.<sup>(\*)</sup> وَيَكُونُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ بَأَنَّ يُنْيَى "عَلَى تَتَابِعِ التَّفْعِيلَاتِ فِي عِدَّةِ أَسْطُرٍ شَعْرِيَّةٍ بِلَا قَوَافٍ فَاصِلَةٍ بَيْنَهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ الشَّاعِرُ إِلَى قَافِيَةٍ بَعْدَ عِدَّةِ أَسْطُرٍ، ثُمَّ يَبْدَأُ مَقْطَعًا جَدِيدًا، وَيَخْتِمُهُ بِقَافِيَةٍ مُمَاتِلَةٍ أَوْ مُخَالَفَةٍ لِقَافِيَةِ الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ".<sup>(5)</sup>

وَيَتَضَحُّ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ لِلتَّدْوِيرِ مَفْهُومَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا قَدِيمٌ وَيَعْنِي "اشْتِرَاكَ شَطْرِي الْبَيْتِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَثَانِيهِمَا حَدِيثٌ وَيُطْلَقُ عَلَى اتِّصَالِ الْقَصِيدَةِ بَعْضُهَا بِالْبَعْضِ الْآخِرِ لِحِمَّةٍ وَسَدَاةٍ بَحَيْثُ يَصْعُبُ التَّوَقُّفُ نَعْمِيًا وَدَلَالِيًا فِي آيَةٍ مَرَّحَلَةٍ إِلَّا إِذَا انْتَهَى التَّدْوِيرُ عِنْدَ هَذِهِ النِّهَائَةِ".<sup>(6)</sup> وَقَدْ لَعِبَ التَّدْوِيرُ دَوْرًا مُهِمًّا فِي كَسْرِ رَتَابَةِ النَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ وَالتَّحَرُّرِ مِنْ إِسَارِ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ وَمِنَ التَّوَقُّفِ النَّعْمِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ الَّذِي فَرَضَهُ الْبَيْتُ الشَّعْرِيُّ التَّقْلِيدِيُّ.<sup>(7)</sup> وَيَتَّخِذُ التَّدْوِيرُ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ظِلِّ وَظِلْفَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى وَصْلِ شَطْرِي الْبَيْتِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ وَوَصْلِ السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ شَكْلَيْنِ:

### 1- التَّدْوِيرُ فِي الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ:

يَتِمُّ التَّدْوِيرُ فِي الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ الْعُمُودِيَّةِ بَأَنَّ يُوَصَّلَ بَيْنَ شَطْرِي الْبَيْتِ أَوْ الصَّدْرِ وَالْعَجْزِ فِي بَيْتٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ أَوْ أَكْثَرَ، وَيُعَدُّ التَّدْوِيرُ ظَاهِرَةً إِيقَاعِيَّةً فِي الْمَثْنِ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، فَفِي قَصِيدَةِ (يُولَدُ الثَّارُ مِنْ رُفَاتِ الشَّهِيدِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الْخَفِيفِ، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَثَلَاثِينَ (34) بَيْتًا، يَرِدُ التَّدْوِيرُ فِي عَشْرِينَ (20) بَيْتًا مِنْهَا، وَيُمَثِّلُ نِسْبَةً (58.82%)، وَهِيَ نِسْبَةٌ ذَاتُ دَلَالَةٍ فِي سِيَاقِ الْقَصِيدَةِ.

(1) صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي، ص: 220.

(2) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص: 160.

(3) إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص: 173.

(\*) يكتب البيت المدور بكتابة الشطرين متواصلين دون فاصل بين الصدر والعجز، أو بكتابة الكلمة المشتركة بكاملها في الشطر الأول أو الثاني وفصل الشطرين بالحرف (م) للدلالة على أن البيت مدور، أو تقسيم الكلمة إلى قسمين حسب ضرورة الوزن وفصل الشطرين.

(4) صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي، ص: 220.

(5) مصطفى السعدني: التعريب في الشعر العربي المعاصر، قراءة في النص، (د، ت)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص: 135.

(6) المرجع نفسه، ص: 135.

يَقَعُ التَّدْوِيرُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ (1):

سَاجِدٌ جُرْعَ الرَّدَى فِي صَلَاتِهِ / أَيُّهَذَا الْمَغْدُ فِي مَأْسَاتِهِ!  
فَقْتُلُوهُ تَسْبِيحَةً مِنْ دَمِ حُرٍّ رَّ تَصُوعُ الْحَيَاةِ عَبْرَ مَمَاتِهِ  
فَقْتُلُوهُ.. يَا وَيْلَهُمْ قَتَلُوا الْفَجْرَ رَ وَقُرَّانَهُ عَلَى لِبَّاتِهِ  
فَقْتُلُوهُ تَكْبِيرَةً مِنْ بَقَايَا الْفَتْحِ ح.. تَهْلِيلَةً عَلَى صَهَوَاتِهِ  
صَائِمًا سَاجِدًا تَوَزَّعَهُ الْعَدُّ رُ شَوَاطِئًا يَعْوِصُ فِي آهَاتِهِ  
يَا لِقُرَّانِهِ تَعَاوَرَهُ الْكَفُّ رُ وَطَاغُوتُهُ وَضَعَتْ لِدَاتِهِ!

فَالْمُلَّاخِظُ أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ الْمُعَلَّمُ بِـ (/) خَلَا مِنَ التَّدْوِيرِ لَوْفُوعِ التَّصْرِيحِ الْإِسْتِهْلَالِيِّ فِيهِ، وَقَدْ وَقَعَ التَّدْوِيرُ فِي بَقِيَّةِ الْأَبْيَاتِ الْمُعَلَّمَةِ بِـ (ـ) بِدَءًا مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي وَانْتِهَاءً بِالْبَيْتِ السَّادِسِ، وَيَقُومُ التَّدْوِيرُ بِوَصْلِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ بِالشَّطْرِ الثَّانِي حَيْثُ تُمَثَّلُ الْوَصْلُ كَلِمَةً تَتَوَزَّعُ عَلَى الشَّطْرَيْنِ فَيَدْخُلُ جُزْءٌ مِنْهَا فِي الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ (التَّفْعِيلَةِ) الْأَخِيرَةِ مِنَ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَيَدْخُلُ جُزْءٌ مِنْهَا فِي الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْأُولَى مِنَ الشَّطْرِ الثَّانِي، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ تَمَامَ وَزْنَ الشَّطْرِ يَكُونُ بِجُزْءٍ مِنَ الْكَلِمَةِ. (2) وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ تَحَوَّلَتِ الْكَلِمَاتُ (حُرٌّ، الْفَجْرُ، الْفَتْحُ، الْعَدُّ، الْكُفْرُ) إِلَى مَرَاكِزٍ تُشَدُّ أَشْطَرُ الْأَبْيَاتِ.

وَقَعَتِ الْكَلِمَةُ الْأُولَى (حُرٌّ) صِفَةً لِلدَّمِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي يَعْتَلِي ثَوْرَةً فِي الْعُرُوقِ تَرْفُضُ الْخُضُوعَ وَالْحُنُوعَ، وَقَدْ أَسْهَمَ صَوْتُ الرَّاءِ فِي تَصْوِيرِ حَرَكَةِ الشُّعُورِ الْمُتَوَثِّرِ وَحَرَكَةِ الْمَعْنَى بِانْتِشَارِهِ عَلَى شَطْرِي الْبَيْتِ، فَجُزْءٌ مِنَ الصَّوْتِ (ر=0) يَنْدَرِجُ فِي صُورَةِ آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَجُزْءٌ مِنْهُ (ر=0/ف) يَنْخَرِطُ فِي صُورَةِ أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي وَذَلِكَ بِفِكَ الصَّوْتِ الْمُدْعَمِ، فَالْكَلِمَةُ تَضُمُّ مَقْطَعَيْنِ صَوْتِيَيْنِ مُتَوَسِّطَيْنِ (حُرٌّ وَرُنُّ):

فَقْتُلُوهُ تَسْبِيحَةً مِنْ دَمِ حُرٍّ رَّ تَصُوعُ الْحَيَاةِ عَبْرَ مَمَاتِهِ  
0/0/0/-0/0/0/-0/0/0/ ————— 0/0/0/-0/0/0/-0/0/0/

فَاعِلَاتْنِ - مُسْتَفْعِ لُنْ - فَاعِلَاتْنِ — فَاعِلَاتْنِ مَفَاعِ لُنْ - فَعِلَاتْنِ

وَوَقَعَتِ الْكَلِمَةُ الثَّانِيَّةُ (الْفَجْرُ) مَفْعُولًا بِهِ، وَتَوَزَّعَتْ عَلَى الشَّطْرَيْنِ، حَيْثُ يَنْدَرِجُ جُزْءٌ مِنْهَا (فَج=0/ثُن) فِي

صُورَةِ آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَيَنْخَرِطُ جُزْءٌ آخَرُ (ر=0/ف) فِي صُورَةِ أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي:

فَقْتُلُوهُ.. يَا وَيْلَهُمْ قَتَلُوا الْفَجْرَ رَ وَقُرَّانَهُ عَلَى لِبَّاتِهِ  
0/0/0/-0/0/0/-0/0/0/ ————— 0/0/0/-0/0/0/-0/0/0/

فَاعِلَاتْنِ - مُسْتَفْعِ لُنْ - فَاعِلَاتْنِ — فَعِلَاتْنِ - مُتَفَعِّ لُنْ - فَالَاتْنِ

(1) مصطفى محمد الغماري: العيد والقدس والمقام، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، (د، ط)، (د، ت)، ص: 11.

(2) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 112.

وَوَقَعَتِ الْكَلِمَةُ الثَّلَاثَةُ (الْفَتْحُ) مُضَافًا إِلَيْهِ، وَتَوَزَّعَتْ عَلَى الشَّطْرَيْنِ، حَيْثُ يَنْدَرِجُ جُزْءٌ مِنْهَا (ال=0=ن) فِي صُورَةٍ آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَيَنْخَرِطُ جُزْءٌ آخَرُ (فَتْح=0/=فَاع) فِي صُورَةٍ أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي:

فَقْتَلُوهُ تَكْبِيرَةً مِنْ بَقَايَا الْفَتْحِ ح تَهْلِيلَةً عَلَى صَهْوَاتِهِ  
0/0///-0//0//0-0/0//0-0/0//0-0/0//0-0/0//0

فَاعِلَاتِن - مُسْتَفْعُنْ - فَاعِلَاتِن — فَعَلَاتِن - مُتَفَعِّلُنْ - فَعَلَاتِن

وَوَقَعَتِ الْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ (الْعَدُّ) فَاعِلًا، وَتَوَزَّعَتْ عَلَى الشَّطْرَيْنِ حَيْثُ يَنْدَرِجُ جُزْءٌ مِنْهَا (عَد=0=ثُن) فِي صُورَةٍ آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَيَنْخَرِطُ جُزْءٌ آخَرُ (ر=/=ف) فِي صُورَةٍ أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي:

صَائِمًا سَاجِدًا تَوَزَّعَهُ الْعَدُّ رُ شَوَاطِئًا يَعْوَصُ فِي آهَاتِهِ  
0/0//0-0//0//0-0/0//0-0/0//0-0/0//0-0/0//0

فَاعِلَاتِن - مُتَفَعِّلُنْ - فَعَلَاتِن — فَعَلَاتِن - مُتَفَعِّلُنْ - فَعَلَاتِن

وَوَقَعَتِ الْكَلِمَةُ الْخَامِسَةُ (الْكُفْرُ) فَاعِلًا، وَتَوَزَّعَتْ عَلَى الشَّطْرَيْنِ حَيْثُ يَنْدَرِجُ جُزْءٌ مِنْهَا (الْكُف=0=ثُن) فِي صُورَةٍ آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَيَنْخَرِطُ جُزْءٌ آخَرُ (ر=/=ف) فِي صُورَةٍ أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي:

يَا لِقُرْآنِهِ تَعَاوَرَهُ الْكُفْرُ رُ وَطَاعُوهُ وَصَعَتْ لِدَاتِهِ!  
0/0///-0//0//0-0/0//0-0/0//0-0/0//0-0/0//0

فَاعِلَاتِن - مُتَفَعِّلُنْ - فَعَلَاتِن — فَعَلَاتِن - مُتَفَعِّلُنْ - فَعَلَاتِن

وَتُشِيرُ الْوِظَائِفُ النَّحْوِيَّةُ لِلْكَلِمَاتِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا التَّدْوِيرُ إِلَى كَوْنِهَا عَنَاصِرَ تَرْكِيْبِيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ نَحْوِيًّا وَدَلَالِيًّا، فَهِيَ أَدَاوَاتُ رَبْطٍ لِعَنَاصِرِ جُمْلٍ غَيْرِ مُكْتَمَلَةٍ حِينَ التَّوَقُّفِ عَلَى مَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ وَزْنَ الشَّطْرِ مِنْ أَجْزَائِهَا، وَلَا تَتِمُّ تِلْكَ الْجُمْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْأَجْزَاءِ وَبِوَصْلِ الْمَلْفُوظِ وَالِانْتِقَالِ إِلَى الْعُنْصُرِ الْمُوَالِيِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْأَفْقِيِّ، وَبِذَلِكَ تَخْفِي الْفَوَاصِلُ الْمُحْتَمَلَةَ بَيْنَ شَطْرَيْ كُلِّ بَيْتٍ، وَلَا يَنْقَطِعُ النَّفْسُ إِلَّا بِتَمَامِ الْبَيْتِ عَنْ طَرِيقِ نَسَقِهِ التَّقْفُويِّ الَّذِي يُجَسِّدُ الْوَقْفَةَ النَّهَائِيَّةَ الْبَارِزَةَ إِيقَاعًا وَدَلَالَةً، وَيَعْمَلُ التَّدْوِيرُ، بِالْمُوازَاةِ مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى، عَلَى تَوَاصُلِ حَرَكَةِ الْإِيْقَاعِ الْمُتَوَتِّرِ عَلَى امْتِدَادِ الْفَضَاءِ الزَّمْنِيِّ لِلْبَيْتِ.

وَيَقُومُ التَّدْوِيرُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي بِنَاقِيَّةٍ وَظِيْفَتِهِ الْإِيْقَاعِيَّةِ تِلْكَ، فَيُحْكِمُ الْإِتِّصَالَ بَيْنَ جُزْئِي الْبَيْتِ فَلَا يَتَوَقَّفُ تَيَّارُ الْإِيْقَاعِ أَوْ تَيَّارُ التَّعْمُّ حَتَّى يَصِلَ إِلَهَ نِهَآيَةِ الْبَيْتِ، مُتَحَاوِبًا مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْنَى، فَالْمَعْنَى الْعَامُّ فِي الْقَصِيدَةِ يَدُورُ حَوْلَ أَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَسَبَّبَ فِيهِ الْعَدُوُّ الصُّهْيُونِيُّ لِشُهَدَاءِ الْمَقَامِ الْمُقَدَّسِ يَمْنَحُ الْحَيَاةَ فَتَتَوَاصَلُ الْمَقَاوِمَةُ وَيَتَوَاصَلُ الْجِهَادُ، فَالْمَعْنَى (التَّوَاصُلِ) يَجْعَلُ أَجْزَاءَ الْبَيْتِ مُتَحَمَّةً إِيقَاعًا وَتَرْكِيْبًا وَدَلَالَةً، فَالتَّدْوِيرُ يَقَعُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الْمَقْطَعِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي، فَالْكَلِمَةُ (مَجْد) وَقَعَتْ اسْمًا مَنْصُوبًا لِـ(لَا) النَّافِيَّةِ، وَتَوَزَّعَتْ عَلَى الشَّطْرَيْنِ حَيْثُ يَنْدَرِجُ جُزْءٌ مِنْهَا (مَج=0=ثُن) فِي صُورَةٍ آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَيَنْخَرِطُ جُزْءٌ آخَرُ (د=/=ف) فِي صُورَةٍ أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي:

لَعِبَ الْحَاكِمُونَ بِالْمَجْدِ..لَا مَجْدَ دَ سِوَى حَاكِمٍ بِأَمْرِ عِدَاتِهِ

0/0//0-0//0//0-0/0// ——— 0/0//0-0//0//0-0/0//

فَعَلَاتِن - مُتَّفَعٌ لُنْ - فَاعِلَاتِن ——— فَعَلَاتِن - مُتَّفَعٌ لُنْ - فَعَلَاتِن

وَوَقَعَتِ الْكَلِمَةُ (مَجْد) اسْمًا مَنْصُوبًا لِـ(لَا) النَّافِيَةِ، وَتَوَزَّعَتْ عَلَى الشَّطْرَيْنِ حَيْثُ يَنْدَرِجُ جُزْءٌ مِنْهَا

(شَيْءٌ=0=نُ) فِي صُورَةِ آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَيَنْخَرِطُ جُزْءٌ آخَرَ(ع=/=ف) فِي صُورَةِ أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي:

وَسَعَوْا مُعْجِزِينَ فِي الدَّرْبِ لَا شَيْءَ يَسِي سِوَى نَاهِيهِ أَوْ أَشْتَاتِهِ!

0/0//0-0//0//0-0/0// ——— 0/0//0-0//0//0-0/0//

فَعَلَاتِن - مُتَّفَعٌ لُنْ - فَاعِلَاتِن ——— فَعَلَاتِن - مُتَّفَعٌ لُنْ - فَعَلَاتِن

وَمَعَ التَّدْوِيرِ يَسْتَمِرُّ مَعْنَى (النَّفْيِ) فِي الْبَيْتَيْنِ بِاسْتِمْرَارِ النَّعْمِ النَّاتِجِ عَنْهُ، وَفِي ذَلِكَ تَأْكِيدٌ عَلَى الْوِظِيفَةِ

الْإِيقَاعِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ لِلتَّدْوِيرِ، فَهُوَ الْبَيْتُ الْمُجَرَّدُ اضْطِرَّارًا يَلْجَأُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَسْبِغُ عَلَى الْبَيْتِ غَنَائِيَّةً وَكِبُونَةً لِأَنَّهُ

يَمُدُّهُ وَيَطِيلُ نَعَمَاتِهِ".<sup>(1)</sup> وَيَعُدُّ التَّدْوِيرُ فِي قَصِيدَةِ الْعُمَارِيِّ السَّابِقَةِ مُسْتَحْسَنًا يَسْتَسْبِغُهُ الذَّوْقُ لِأَنَّهُ مِنَ النَّوعِ

الَّذِي "يَسُوعُ فِي كُلِّ شَطْرٍ تَنْتَهِي عَرُوضُهُ بِسَبَبٍ خَفِيفٍ".<sup>(2)</sup> فَالْقَصِيدَةُ عَلَى نَسَقِ الْخَفِيفِ الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ الشَّطْرُ

الْأَوَّلُ مِنَ الْبَيْتِ أَوْ الصَّدْرِ بِصُورَةِ إِيقَاعِيَّةٍ (فَاعِلَاتِن) الَّتِي تَتَكَوَّنُ بِنَيْتِهَا مِنْ سَبَبٍ خَفِيفٍ وَوَتْدٍ مَجْمُوعٍ فَسَبَبٍ

خَفِيفٍ (0/+0//+0).

## 2- التَّدْوِيرُ فِي السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ:

يَتِمُّ التَّدْوِيرُ فِي السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ، وَيَتَّخِذُ شَكْلَيْنِ، فَقَدْ يَكُونُ تَدْوِيرًا جُزْئِيًّا

يَجْرِي فِي إِطَارِ السَّطْرِ مَهْمَا بَلَغَ طُولُهُ وَعَدَدُ تَفَاعِيلِهِ عَلَى أَنَّهُ شَرِيحَةٌ مِنْ شَرَايِحِ الْقَصِيدَةِ".<sup>(3)</sup> وَقَدْ يَكُونُ تَدْوِيرًا

كُلِّيًّا تُصْبِحُ مَعَهُ الْقَصِيدَةُ كُلُّهَا مَدْوَرَّةً تَدْوِيرًا كَامِلًا مِنْ بَدَايَتِهَا حَتَّى نَهَايَتِهَا، كَمَا لَوْ كَانَتْ سَطْرًا وَاحِدًا مُتَّصِلًا

دَلَالِيًّا وَمُوسِيقِيًّا".<sup>(4)</sup> وَيَرُدُّ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ فِي قَصِيدَةِ (أَوْرَاقِ مَهْرَبَةٍ مِنْ زَمَنِ الْحِصَارِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الْكَامِلِ،

فَفِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ مِنْهَا يَقَعُ التَّدْوِيرُ جُزْئِيًّا فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعٍ مُعْلَمَةٍ بِالْعَلَامَةِ (+)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

هَلْ نَاصِرُوكَ وَأَزْرُوكَ كَمَا تُرَدِّدُهُ الْإِذَاعَةُ وَالْجَرِيدَةُ / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) - مُتَّفَاعِلَاتِنْ

أَمْ حَاصِرُوكَ وَأَسْلَمُوا لِلرُّومِ قَلْعَتَكَ الْعَتِيدَةَ / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَاتِنْ

قَدْ غَيَّبُوكَ وَغَيَّبُوا الْأَنْصَارَ فِي (أَنْصَارِ) / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَاتِنْ - مُتَّفَاعِلَاتِنْ (الْحَدِّدِ)

يَا أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمَوْسُومُ بِالْإِيمَانِ / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَاتِنْ - مُتَّفَاعِلَاتِنْ

(1) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 112.

(2) المرجع نفسه، ص: 113.

(3) مصطفى السعدني: التَّغْرِيْبُ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوِرِ، ص: 135.

(4) المرجع نفسه، ص: 135.

(5) حسن الأمراني: من الشعر الإسلامي الحديث، رابطة الأدب الإسلامي، ص: 364.

يا حلمًا فلسطيني /علْ بـ(القطع) -مُتفاعِلُنْ -مُتفا

عَلَّمَتْهُمْ كَيْفَ امْتِشَاقُ السَّيْفِ.. /مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ +

كَيْفَ يَكُونُ لَوْنُ المَوْتِ أَحْضَرَ.. /لُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُت+

فِي سَبِيلِ الأَرْضِ وَالشَّعْبِ المَطَارِدِ والعَقِيدَةِ /فاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلَاتُنْ

كَيْفَ اجْتِزَاحُ الصَّحْوِ، كَيْفَ سُمُوهُمْ عَن وَهْدَةِ الطِّينِ /مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلَاتُنْ

لَكِنَّهُمْ عِنْدَ انبِلَاجِ الفَجْرِ وُلُوا بَعْدَمَا شَرَعُوا الحِرَابَ /مُتفاعِلُنْ (أربع مَرَّاتٍ) -مُتفاعِلُنْ -مُ+

وَأَضْرَمُوا فِي رَاحَتَيْكَ النَّارَ /تفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفا

يَقَعُ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الأَوَّلُ فِي السَّطْرِ الرَّابِعِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإيقاعِيَّةِ المُنزَاحَةِ (مُتفاعِلُنْ = 0/0/0) الَّتِي وَرَدَتْ

نَاقِصَةً (مُتفا = 0/0) فِي هَذَا السَّطْرِ:

4- يَا أَيُّهَا الفَارِسُ المَوْسُومُ بِالإِيمَانِ /مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ +

وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (علْ = 0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الحَامِسُ:

5- يَا حَلْمًا فِلِسْطِينِي /علْ بـ(القطع) -مُتفاعِلُنْ -مُتفا

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ المَعْنَى والشُّعُورِ، فَالفَارِسُ المَوْسُومُ بِالإِيمَانِ هُوَ الحَلْمُ

الفِلِسْطِينِيُّ المُنْتَظَرُ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الثَّانِي فِي السَّطْرِ السَّادِسِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإيقاعِيَّةِ المُنزَاحَةِ (مُتفاعِلُنْ = 0//0/0) الَّتِي

وَرَدَتْ نَاقِصَةً (مُتفاعِلُنْ = 0/0/0) فِي هَذَا السَّطْرِ:

6- عَلَّمَتْهُمْ كَيْفَ امْتِشَاقُ السَّيْفِ.. /مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ +

وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (لُنْ = 0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ السَّابِعُ:

7- كَيْفَ يَكُونُ لَوْنُ المَوْتِ أَحْضَرَ.. /لُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُت+

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ المَعْنَى والشُّعُورِ، فَامْتِشَاقُ السَّيْفِ لَأ يَعْني فِي النِّهَايَةِ إِلاَّ

الشَّهَادَةَ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الثَّالِثُ فِي السَّطْرِ السَّابِعِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإيقاعِيَّةِ المُنزَاحَةِ (مُتفاعِلُنْ = 0//0/0) الَّتِي

وَرَدَتْ نَاقِصَةً (مُت = 0) فِي هَذَا السَّطْرِ:

7- كَيْفَ يَكُونُ لَوْنُ المَوْتِ أَحْضَرَ.. /لُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُت+

وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (فاعِلُنْ = 0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الثَّامِنُ:

8- فِي سَبِيلِ الأَرْضِ وَالشَّعْبِ المَطَارِدِ والعَقِيدَةِ /فاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلُنْ -مُتفاعِلَاتُنْ

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى، فَالْشَّهَادَةُ وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْمَوْتِ الْأَخْضَرِ لَا يَكُونُ إِلَّا دِفَاعًا عَنِ الْأَرْضِ وَالْأُمَّةِ وَالْعَقِيدَةِ، وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ سَطُورٍ هُنَا لِاتِّصَالِ الْمَعْنَى.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الرَّابِعُ فِي السَّطْرِ الْعَاشِرِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمِعْيَارِيَّةِ (مُتَّفَاعِلُنْ=0//0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (م=) فِي هَذَا السَّطْرِ:

10- لَكِنَّهُمْ عِنْدَ انْبِلَاجِ الْفَجْرِ وَلَوْا بَعْدَمَا شَرَعُوا الْحِرَابَ / مُتَّفَاعِلُنْ (أَرْبَعُ مَرَّاتٍ) - مُتَّفَاعِلُنْ - مُ+

وَأَكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (تَّفَاعِلُنْ=0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الْحَادِي عَشَرَ:

11- وَأَضْرَمُوا فِي رَاحَتَيْكَ النَّارَ / تَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَا

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، فَالَّذِينَ تَوَلَّوْا لَمْ يَكْتَفُوا بِأَنْ شَرَعُوا حِرَابَهُمْ فِي وَجْهِ الْفِلَسْطِينِيِّ بَلْ أَضْرَمُوا فِي كَفِّهِ النَّارَ.

إِنَّ التَّدْوِيرَ يَمْنَعُ مِنَ التَّوَقُّفِ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ فِي آخِرِ السَّطْرِ لِتَفَادَى الْكَسْرَ الْوِزْنِيَّ أَوْ الْخَلَلَ الْإِيقَاعِيَّ الَّذِي يَطْرُقُ عَلَى الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَلَا يُجْبَرُ إِلَّا بِتَجَاوُزِ الْوَقْفَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا نِهَايَةُ السَّطْرِ إِلَى كَلِمَةٍ أَوْ بَعْضِ كَلِمَةٍ فِي السَّطْرِ الْوَالِقِ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى الْجُزْئِيُّ فِي السَّطْرِ السَّابِقِ تَامًا وَمُسْتَوْفِي الدَّلَالَةِ إِلَّا أَنَّ الْمَعْنَى الْكُلِّيَّ لَا يَكْتَفِي بِالسَّطْرِ فَيَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ. فَكَلِمَةُ (الْإِيمَانُ) تَمْتَدُّ إِلَى كَلِمَةِ (يَا) وَ(السَّيْفُ) إِلَى (كَيْفَ) وَ(أَخْضَرَ) إِلَى (فِي) وَ(الْحِرَابِ) إِلَى (وَأَضْرَمُوا) لِيَسْتَوِيَ الْإِيقَاعُ. وَبِتَوَاصُلِ الرَّبْطِ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ فِي الْجُمْلِ مُوَازِيًا لِلرَّبْطِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الصُّورِ الْإِيقَاعِيَّةِ فِي سِلْسِلَةٍ نَعْمِيَّةٍ تَكُونُ حَلْفَتُهَا الْأَخِيرَةُ وَقَفَةً تَامَةً إِيْقَاعًا وَتَرْكِيبًا وَدَلَالَةً، يُشْكَلُهَا غَالِبًا النَّسْقُ التَّفْقُويُّ. فَالتَّدْوِيرُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ مِنْ أَدَوَاتِ تَمَاسِكِ النَّصِّ وَأَسَاقِهِ تَقُومُ مِنْ خِلَالِ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ بِالرَّبْطِ بَيْنَ السُّطُورِ تَحْقِيقًا لَوْحْدَةِ بَنِيَّةِ النَّصِّ الْإِيقَاعِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ وَإِطْلَاقًا لِتِيَارِ الدَّقَقَاتِ الشُّعُورِيَّةِ الْمُتَدَفِّقِ.

إِنَّ تِلْكَ الْقِيَمَةَ التَّعْبِيرِيَّةَ لِلتَّدْوِيرِ تَجْعَلُ مِنْهُ أَحَدَ تَحْلِيَّاتِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ وَمَلْمَحًا مِنْ مَلَامِحِ الْإِبْدَاعِ فِيهَا وَلَيْسَ مُجَرَّدَ شَكْلِ خَارِجِيٍّ تَتَّخِذُهُ الْقَصِيدَةُ لِأَنَّ تَرْبُطَهُ بِمُحْتَوَى التَّجْرِبَةِ الدَّلَالِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ آيَةٌ صَلَةٌ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ فِي قَصِيدَةِ (الْعَاشِقِ الْمَلْحَاحِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسْقِ (الْمُتَقَارِبِ)، وَيَشْكُلُ التَّدْوِيرُ عُنْصُرًا مِنْ عُنَاصِرِ بَنِيَّتِهَا، فَهُوَ يَرِدُ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعٍ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

ثُرِيدِينَ (...)	/فَعُولُنْ-فَ+
يُؤْلَمْنِي أَنْ تَظَلِّي هُنَا	/عُولُ-فَعُولُنْ-فَعُو+
عَلَمًا لَيْسَ يَلْتَفُّ مِنْ حَوْلِهِ الْجُنْدُ.	/لُ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَ+
يُؤْلَمْنِي أَنْ تَظَلِّي هُنَا	/عُولُ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُو+

(1) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوارة، ص: 31.

فِي السَّمَاءِ  
قَمَرًا يَتَلَأَأُ نُورًا،  
وَلَيْسَ يُشَارِكُهُ فِي السَّمَاءِ  
حُزْنُهُ نَجْمَةً وَاحِدَةً.  
/لُنْ-فَعُولُ+  
/لُ-فَعُولُ-فَعُولُنْ  
/فَعُولُ-فَعُولُ-فَعُولُنْ-فَعُولُ+  
/لُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُ

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الْأَوَّلُ فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ (فَعُولُ=//0/) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (ف=//) فِي هَذَا السَّطْرِ:

1- تُرِيدِينَ (...) /فَعُولُنْ-فَ+

وَاكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (عُولُ=//0/) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الثَّانِي:

2- يُؤْلِمْنِي أَنْ تَطَّلِي هُنَا /عُولُ-فَعُولُنْ-فَعُولُ+

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، فَالْحُزْنُ الَّذِي يَسْرِي فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ مَعَ الْإِرَادَةِ الْعَامِضَةِ يَسْرِي فِي السَّطْرِ الثَّانِي مَصْحُوبًا بِهَذَا الْأَلَمِ الْمُسْتَمِرِّ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الثَّانِي فِي السَّطْرِ الثَّانِي مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ (فَعُولُ=//0/) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فَعُولُ=//) فِي هَذَا السَّطْرِ:

2- يُؤْلِمْنِي أَنْ تَطَّلِي هُنَا /عُولُ-فَعُولُنْ-فَعُولُ+

وَاكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (لُ=//) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الثَّلَاثُ:

3- عَلَمًا لَيْسَ يَلْتَفُّ مِنْ حَوْلِهِ الْجُنْدُ، /لُ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَ+

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، فَالْحُزْنُ الَّذِي يَسْرِي فِي هَذَا السَّطْرِ الثَّلَاثِ وَيَزِدَادُ لَمَّا تَطَّلَتْ تِلْكَ الْمُخَاطَبَةُ وَحِيدَةً كَالْعَلَمِ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الثَّلَاثُ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ (فَعُولُ=//0/) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (ف=//) فِي هَذَا السَّطْرِ:

3- عَلَمًا لَيْسَ يَلْتَفُّ مِنْ حَوْلِهِ الْجُنْدُ، /لُ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَعُولُنْ-فَ+

وَاكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (عُولُ=//0/) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الرَّابِعُ:

4- يُؤْلِمْنِي أَنْ تَطَّلِي هُنَا /عُولُ-فَعُولُنْ-فَعُولُ+

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، فَالْحُزْنُ الَّذِي يَسْرِي فِي الْمَقْطَعِ لَا يَزَالُ عَمِيمًا وَمُتَدَقِّقًا وَلَا يَزَالُ الْأَلَمُ مُتَجَدِّدًا مُتَكَرِّرًا.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الرَّابِعُ فِي السَّطْرِ الرَّابِعِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمِعْيَارِيَّةِ (فَعُولُنْ=//0/0/) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (ف=//) فِي هَذَا السَّطْرِ:

/عول-فَعُولُن-فَعُو+

4-يُؤْلَمْنِي أَنْ تَظَلِّي هُنَا

وَإِكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (لُن/=0)الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الْخَامِسُ:

/لُن-فَعُو+

5-فِي السَّمَاءِ

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، فَلَا يَزَالُ الْحُزْنُ سَارِيًا دَائِمًا بِدَوَامِ الْوَحْدَةِ وَالْعَزَلَةِ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الْخَامِسُ فِي السَّطْرِ الْخَامِسِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُنْزَاحَةِ (فَعُولُ/=0//)الَّتِي وَرَدَتْ

نَاقِصَةً (فَعُو/=0//)فِي هَذَا السَّطْرِ:

/لُن-فَعُو+

5-فِي السَّمَاءِ

وَإِكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (لُ/=)الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ السَّادِسُ:

/ل-فَعُول-فَعُولُن

6-قَمْرًا يَتَلَأَلُ نُورًا،

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، فَيَتَأَكَّدُ الْحُزْنُ فِي كُلِّ سَطْرٍ وَمَعَ كُلِّ حَالٍ إِنَّهَا الْوَحْدَةُ الَّتِي تُوجِّحُ مِنْ نَارِهِ وَحْدَةَ الْقَمَرِ فِي هَذِهِ السَّمَاءِ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ السَّادِسُ فِي السَّطْرِ السَّابِعِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمَعْيَارِيَّةِ (فَعُولُن/=0//)الَّتِي

وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فَعُو/=0//)فِي هَذَا السَّطْرِ:

/فَعُول-فَعُول-فَعُولُن-فَعُو+

7-وَلَيْسَ يُشَارِكُهُ فِي السَّمَاءِ

وَإِكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (لُن/=0)الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الثَّامِنُ:

/لُن-فَعُولُن-فَعُولُن-فَعُو

8-حُزْنُهُ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ...

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى الَّتِي لَا يَجِدُ تَمَامَهُ إِلَّا فِي السَّطْرِ اللَّاحِقِ وَمُتَّسِقًا مَعَ حَرَكَةِ الشُّعُورِ، فَيَتَأَكَّدُ الْحُزْنُ مِنْ جَدِيدٍ وَتَتَأَكَّدُ الْوَحْدَةُ فَلَا مَنْ يُسَاعِدُ فِي حَمْلِ هَذَا الْحُزْنِ.

يَأْتِي التَّدْوِيرُ اسْتِجَابَةً لِحَرَكَةِ الشُّعُورِ فِي التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ، فَهُوَ الشَّكْلُ الْمَلَائِمُ لِتَدْفُقِ هَذَا الشُّعُورِ وَسَيَرُورَتِهِ الْعَفْوِيَّةِ فِي الْمَقْطَعِ وَفِي الْقَصِيدَةِ بَعِيدًا عَنِ الْوَقْفَاتِ التَّقْفُوِيَّةِ الْمُعْوَضَةِ بِتَقْفِيَّاتٍ دَاخِلِيَّةٍ مُتَّجَاوِبَةً صَوْتِيًّا فِيمَا بَيْنَهَا (عَلَمًا/السَّمَاءِ/السَّمَاءِ...)، فَالشَّاعِرُ حَاوَلَ عَبْرَ التَّدْوِيرِ أَنْ يَفْتَحَ آيَاتَ قَصِيدَتِهِ عَلَى بَعْضِهَا الْبَعْضِ، حَاوَلَ، بِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَنْ يَتْرَكَ لِمَاءِ الشُّعْرِ وَخُضْرَتِهِ، بَعْدَ أَنْ أزالَ عَن طَرِيقِهِمَا مَصَدَّاتِ التَّقْفِيَّةِ، أَنْ يَتَّحَدَّرَا طَلِيقَيْنِ،

مُتَحَمِّينَ، لِيَسْتَدَا المَقْطَعِ الشَّعْرِيَّ، وَيَعْمُرًا فَجَوَاتِهِ". (1) وَقَدْ جَعَلَ التَّضْمِينُ السُّطُورَ الشَّعْرِيَّةَ جُمْلَةً شِعْرِيَّةً تُحَقِّقُ نَوْعًا مِنَ الوَحْدَةِ الشُّعُورِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.

إِنَّ التَّدْوِيرَ وَلَوْ كَانَ جُزْئِيًّا يَنْهَضُ بِوَضَائِفِهِ، فَهُوَ "مُحَاوَلَةٌ لِلِإِعَاءِ الوَقْفَاتِ العَرُوضِيَّةِ فِي نِهَائَةِ السَّطْرِ أَوْ السَّطْرِ، وَدَفْعِ التَّفَاعِيلِ العَرُوضِيَّةِ فِي الإِنْسِيَابِ وَالتَّدْفِيقِ مُحَقَّقَةً إِيقَاعًا خَاصًّا وَنَعْمَةً مُمَيَّزَةً فِي السُّطُورِ المَدْوَرَةِ". (2) فَفِي قَصِيدَةِ (جِيلِ الصَّحْوَةِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الكَامِلِ تَتَضَحُّ كَذَلِكَ تِلْكَ الوَضَائِفُ، فَهُوَ يَرِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ سَطُورِهَا كَالْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ التَّدْوِيرُ أَرْبَعَةَ سَطُورٍ مِنْهُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

أَقْرَأْ عَلَيْنَا بِاسْمِ رَبِّكَ مَا تَيْسَّرُ يَا بِلَالُ / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَانْ  
 ..الشَّمْسُ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَانْ  
 وَنَحْنُ فِي وَقْدِ الظَّهِيرَةِ / مُفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَ+  
 ..كَمْ نَتَوَقَّ إِلَى الظَّلَالِ / فَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَانْ  
 أَقْرَأْ عَلَيْنَا ((المُؤْمِنُونَ)) وَشَدَّ قَوْسَكَ.. / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَ+  
 ..إِنَّ قَوْسَكَ لَا تَطِيشُ بِهَا النَّبَالَ / فَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَانْ  
 كَمْ ذَا سَأَلْتَ فَلَمْ يُجِيبُوا / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَ+  
 ..كَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يُجِيبُوا / فَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَ+  
 أَنْتَ وَحَدِّكَ مَنْ يُجِيبُ عَنِ السُّؤَالِ... / فَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَانْ

يَقَعُ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الأَوَّلُ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإيقَاعِيَّةِ المُنزَاحَةِ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (مُتَ=0) فِي هَذَا السَّطْرِ:

3- وَنَحْنُ فِي وَقْدِ الظَّهِيرَةِ / مُفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَ+  
 وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (فَاعِلُنْ=0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الرَّابِعُ:  
 4- ..كَمْ نَتَوَقَّ إِلَى الظَّلَالِ / فَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلَانْ

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ المَعْنَى والشُّعُورِ، فَالرَّغْبَةُ حَثِيئَةً إِلَى الظَّلَالِ عِنْدَمَا يَسْتَدُ وَوَقْدُ الظَّهِيرَةِ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الثَّانِي فِي السَّطْرِ الخَامِسِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإيقَاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ (مُتَفَاعِلُنْ=0//0/0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (مُتَ=//) فِي هَذَا السَّطْرِ:

5- أَقْرَأْ عَلَيْنَا ((المُؤْمِنُونَ)) وَشَدَّ قَوْسَكَ.. / مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَ+

(1) علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، ص: 81.  
 (2) محمد علوان سلمان: الإيقاع في شعر الحداثة، ص: 84.  
 (3) المصدر نفسه، الصَّفحة نفسها.

وَ اكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (فَاعِلُنْ = 0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ السَّادِسُ:

6-.. إِنَّ قَوْسَكَ لَا تَطِيشُ بِهَا النَّبَالَ / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانْ

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، فِقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ تُقَوِّي الْعَزَائِمَ وَتَدْعُو إِلَى حَمَلِ السَّلَاحِ الَّذِي يُحَقِّقُ الْعَايَةَ وَلَا يُخْطِئُ الْهَدَفَ.

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الثَّلَاثُ فِي السَّطْرِ السَّابِعِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُتَزَاحَةِ (مُتَّفَاعِلُنْ = 0//0/0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (مُتْ = 0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

7- كَمْ ذَا سَأَلْتَ فَلَمْ يُجِيبُوا / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ +

وَ اكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (فَاعِلُنْ = 0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الثَّامِنُ:

8-.. كَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يُجِيبُوا / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ +

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى الْمُتَكَرِّرِ الَّذِي يُؤَكِّدُهُ الْاسْتِفْهَامُ الْمَعْبُرُ عَنِ الْحَيْرَةِ. وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الرَّابِعُ فِي السَّطْرِ الثَّامِنِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمُتَزَاحَةِ (مُتَّفَاعِلُنْ = 0//0/0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (مُتْ = 0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

8- كَمْ ذَا سَأَلْتَ فَلَمْ يُجِيبُوا / مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتْ +

وَ اكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (فَاعِلُنْ = 0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ التَّاسِعُ:

9- أَنْتَ وَحَدَاكَ مَنْ يُجِيبُ عَنِ السُّؤَالِ... / فَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلُنْ - مُتَّفَاعِلَانْ

وَقَدْ وَصَلَ التَّدْوِيرُ بَيْنَ السَّطْرَيْنِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى، فَالسُّؤَالُ الْمُلْحُ لَا يُجِيبُ عَنْهُ إِلَّا جِبِلَّ الصَّحْوَةِ وَحَدَهُ.

وَيَرِدُ التَّدْوِيرُ جُزْئِيًّا فِي قَصِيدَةِ (لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَسَقِ الرَّمْلِ، فَيَقَعُ فِي سَطْرٍ وَيَخْتَفِي فِي أُخْرَى، وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعٍ مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ (1):

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي جُرْحِ بِلَادِي.. / فَاعِلَانْ - فَاعِلَانْ - فَعِلَانْ

لَنْ يَنَامَ.. / فَاعِلَاتْ

مِنْ وَرَاءِ الصَّمْتِ / فَاعِلَانْ - فَاعِعْ +

أَتَلُّو سُورَةَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ / لَأَنَّ - فَاعِلَانْ - فَاعِلَاتْ

أَتَلَّظَى عُقْبَةً.. / فَعِلَانْ - فَاعِلَا +

مُهْرًا إِلَهِيًّا / تُنْ - فَاعِلَانْ - فَا +

(1) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 23.

وَطَارِقٌ .. / عَلَاتُنْ

أَصْنَعُ الشَّرْقَ إِذَا حَادَتْ عَنِ الدَّرْبِ المَشَارِقُ / فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ

أَزْرَعُ النَّارَ عَلَى الدَّرْبِ / فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ-فَ+

مِنَ النَّارِ الوَرُودُ / عَلَاتُنْ-فَاعَلَاتُ

ظَهَرَ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الأَوَّلُ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإِيقَاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ (فَاعَلَاتُنْ=0/0//0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فَاع=0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

3- مِنْ وَرَاءِ الصَّمْتِ / فَعَلَاتُنْ-فَاعَ+

وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (لَاتُنْ=0/0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الرَّابِعُ:

4- أَتَلُو سُورَةَ المَوْتِ الزُّوَامُ / لَاتُنْ-فَاعَلَاتُنْ-فَاعَلَاتُ

وظَهَرَ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الثَّانِي فِي السَّطْرِ الخَامِسِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإِيقَاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ (فَاعَلَاتُنْ=0/0//0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فَاعِلَا=0//0) فِي هَذَا السَّطْرِ:

5- أَتَلَطَّى عُقْبَةً .. / فَعَلَاتُنْ-فَاعِلَا+

وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (تُنْ=0/0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ السَّادِسُ:

6- مُهْرًا إلهِيًّا / تُنْ-فَاعَلَاتُنْ-فَا+

وظَهَرَ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الثَّلَاثِ فِي السَّطْرِ السَّادِسِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإِيقَاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ (فَاعَلَاتُنْ=0/0//0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فَا=0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

6- مُهْرًا إلهِيًّا / تُنْ-فَاعَلَاتُنْ-فَا+

وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (عَلَاتُنْ=0/0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ السَّابِعُ:

7- وَطَارِقٌ .. / عَلَاتُنْ

وظَهَرَ التَّدْوِيرُ الجُزْئِيُّ الرَّابِعُ فِي السَّطْرِ التَّاسِعِ مِنْ حِلَالِ الصُّورَةِ الإِيقَاعِيَّةِ المِيعَارِيَّةِ (فَاعَلَاتُنْ=0/0//0) الَّتِي وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فَ=0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

9- أَزْرَعُ النَّارَ عَلَى الدَّرْبِ / فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ-فَ+

وَاكْتَمَلَتْ بِالجُزْءِ (عَلَاتُنْ=0/0//0) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ العَاشِرُ:

10- مِنَ النَّارِ الوَرُودُ / عَلَاتُنْ-فَاعَلَاتُ

وَيَقَعُ التَّدْوِيرُ فِي المَقْطَعِ الثَّانِي فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

لَنْ يَنَامَ الحَقُّ فِي صَدْرِي وَإِنْ غَامَتْ جُفُونُ / فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ-فَاعَلَاتُ

رَمَدَتْهَا فِي مَرَايَا القَهْرِ أَشْبَاحُ الطُّنُونِ / فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ-فَعَلَاتُنْ-فَاعَلَاتُ

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ..

/ فاعِلَاتْنُ-فاع +

وَالرَّمْزُ الْإِلَهِيُّ الْإِمَامَ

/ لَأْتُنُ-فاعِلَاتْنُ-فاعِلَات

لَيْسَ بَعْدَ الدَّمْعِ يَا خَضْرَاءُ إِلَّا الْإِبْتِسَامُ

/ فاعِلَاتْنُ-فاعِلَاتْنُ-فاعِلَات

دَمْعَنَا الرَّفْضُ..

/ فاعِلَاتَان

الصَّلَاةُ الْبَكْرُ

/ فاعِلَاتْنُ-فاع +

وَالجُرْحُ الْمُقَاتِلُ

/ لَأْتُنُ-فاعِلَاتْنُ

وَمَدَانَا بَدْرٌ..

/ فاعِلَاتْنُ-فاع +

إِنْ جُنَّتْ بِصَفِينِ الْمَهَارِلِ..

/ لَأْتُنُ-فاعِلَاتْنُ-فاعِلَاتْنُ

فَيُظْهِرُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الْأَوَّلُ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمَعْيَارِيَّةِ (فاعِلَاتْنُ=0/0//0) الَّتِي

وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فاع=0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

/ فاعِلَاتْنُ-فاع +

3- لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ..

وَأَكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (علَاتْنُ=0/0//) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الرَّابِعُ:

/ لَأْتُنُ-فاعِلَاتْنُ-فاعِلَات

4- وَالرَّمْزُ الْإِلَهِيُّ الْإِمَامَ

وَيُظْهِرُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الثَّانِي فِي السَّطْرِ السَّابِعِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمَعْيَارِيَّةِ (فاعِلَاتْنُ=0/0//0) الَّتِي

وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فاع=0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

/ فاعِلَاتْنُ-فاع +

7- الصَّلَاةُ الْبَكْرُ

وَأَكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (علَاتْنُ=0/0//) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الثَّامِنُ:

/ لَأْتُنُ-فاعِلَاتْنُ

8- وَالجُرْحُ الْمُقَاتِلُ

وَيُظْهِرُ التَّدْوِيرُ الْجُزْئِيُّ الثَّلَاثُ فِي السَّطْرِ التَّاسِعِ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ الْمَعْيَارِيَّةِ (فاعِلَاتْنُ=0/0//0) الَّتِي

وَرَدَتْ نَاقِصَةً (فاع=0/) فِي هَذَا السَّطْرِ:

/ فاعِلَاتْنُ-فاع +

9- وَمَدَانَا بَدْرٌ..

وَأَكْتَمَلَتْ بِالْجُزْءِ (علَاتْنُ=0/0//) الَّذِي يَبْدَأُ بِهِ السَّطْرُ الْعَاشِرُ:

/ لَأْتُنُ-فاعِلَاتْنُ-فاعِلَاتْنُ

10- إِنْ جُنَّتْ بِصَفِينِ الْمَهَارِلِ..

وَالْمُلْحَظُ أَنَّ التَّدْوِيرَ يَصِلُ بَيْنَ هَذِهِ السُّطُورِ مُنْسَجِمًا مَعَ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُومُ نَوْعٌ مِنَ

التَّعَارُضِ بَيْنَ السَّطْرِ الْمُقْفَى وَالسَّطْرِ الْمُدَوَّرِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ شِعْرَ الشَّطْرِ الْوَاحِدِ يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَهِيَ كُلُّ شَطْرٍ فِيهِ بِقَافِيَةٍ

(أَوْ عَلَى الْأَقْلُ بِفَاصِلَةٍ تُشْعِرُ بِوُجُودِ قَافِيَةٍ) وَمِنْ خِصَائِصِ التَّدْوِيرِ أَنَّهُ يَقْضِي عَلَى الْقَافِيَةِ لِأَنَّهُ يَتَّعَارَضُ مَعَهَا تَمَامًا

التعريض". (1) فحيث تختفي التفتية يظهر التدوير، غالباً، ويمكن القول مع هذا إن التدوير يظل "إمكاناً قابلاً للتشكيل والتعدد حسب التجربة وأنسجاماً مع تدرجاتها اللونية والروحية والفكرية، إنه، في هذه الحالة، مدى مفتوح، يتسع أو يضيق، يتوتر أو يرتخي، يتشظى أو يلتئم، وفي كل هذه المستويات لا يصغي الشاعر إلا إلى إيقاعه الداخلي، وما فيه من ضجيج، أو صمت، أو هوى". (2)

وإذا كان التدوير فيما تقدم جاء جزئياً ولم يتجاوز بعض السطور، فإنه قد يأتي كلياً فيجعل القصيدة مدورة تدويراً كلياً، ويميز هذا الشكل تجربة محمد علي الرباوي الشعرية، فيأتي التدوير ملبياً حاجة التجربة ذاتها ناتجاً عن تفاعل عناصرها، ويرد التدوير في قصيدة (العيد) (\*) التي تقوم على نسق المتدارك، ويطغى على كل مقاطعها، فتكون مدورة لتتابع التفعيلات في عدة أسطر شعرية بلا قوافٍ فاصلة بينها، حتى ينتهي الشاعر إلى قافية بعد عدة أسطر، ثم يبدأ مقطعاً جديداً، ويختمه بقافية مماثلة أو مخالفة لقافية المقطع الأول. (3) يقول الشاعر في المقطع الثاني من القصيدة (4):

تدخل سيقان الحزن شوارع ذاتي، من  
دل الحزن عليك، ومن علمه أن يبني من أشجارك  
أعشاشاً؟ يا ناراً اشتعلي، لا مانع أن تقتحميني،  
اقتحميني، وأريحيني من سيقان الحزن. هي النار  
ثراقص في غابات الأرض، ولكن لذاتي أشجاراً بأسفة  
تحمي الطير من الحزن. فيا ناراً اشتعلي، أما جاء  
العيد، وأما أدبر هذا العيد، اشتعلي، لا مانع أن  
تقتحميني، اقتحميني، وأريحيني من سيقان  
الحزن القاتل.

تتوزع صور المتدارك الإيقاعية المنزاحة على السطور الشعرية بالقدر المناسب للتعبير عن حزنه الخاص الذي يعبر عنه من خلال التدوير، فالشاعر يوظف الشكل المدور في قصيدته الذاتية استجابة لضغوط داخلية، وحينئذ

(1) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 118.

(2) علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، ص: 82.

(\*) يشيع هذا الشكل من الكتابة الشعرية المدورة متن الرباوي ففي ديوانه (الأحجار الفوارة) تأتي أكثر قصائده (الكأس - ما أوسع صدرك - لك الملك - المسافر - المهوى - الفرح المشتعل) مدورة.

(3) صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر العربي، ص: 220.

(4) محمد علي الرباوي: الولد المر، منشورات المشكاة، وحدة، المغرب، ط: 1، 1989، ص: 17.

يَكُونُ الْخَبَبُ نَسَقًا إِيقَاعِيًّا مُنَاسِبًا لِإِجْرَاءِ التَّدْوِيرِ. (1) وَالْمَقْطَعُ بِهَذَا الشَّكْلِ "وَحْدَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ مُوسِيقِيَّةٌ لَا يَطِيبُ لِلْمُتَلَقِّي أَنْ يُحِسَّ بِهَا الْإِحْسَاسَ الشَّعْرِيَّ السَّلِيمَ إِلَّا بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ آخِرِ لَفْظَةٍ فِيهَا". (2)

وَيَرِدُ التَّدْوِيرُ بِالشَّكْلِ السَّابِقِ فِي قَصِيدَةِ (مَنْطِقِ الْوَرْدِ) الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْ أَرْبَعَةِ مَقَاطِعَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ (3):

هُوَ الْبَحْرُ يَمْتَدُّ فِي نَخْلٍ ذَاتِي، وَيَرْسُمُ فِيهَا شَوَاطِئَ  
لَا تَنْتَهِي. أَيْنَ فِي هَذِهِ الْبَيْدِ خَيْلِي، لَعَلَّ سَنَابِكَهَا تَضْرِبُ  
الْبَحْرَ، ثُمَّ تَشْقُ مَدَارِجَ هَذِي الْمِيَاهِ الَّتِي بَلَعَتْ جَسَدِي  
الْمُتَهَالِكِ. كَيْفَ الْخُرُوجُ مِنَ الشَّطِّ، وَالْمَاءُ عَطَى جِبَالِي،  
وَأَعْطَى عِضَاهَ الشَّجَى حَقًّا أَنْ يَتَرَبَّعَ، مِثْلَ الطُّبَّاءِ، عَلَى  
عَرْشِ ذَاتِي. هُوَ الْبَحْرُ يَمْتَدُّ فِي نَخْلِهَا، وَالرِّيَّاحُ تَهْبُ مِنْ  
الْعَرْبِ. هَلْ يَطْلُعُ الثُّورُ مِنْ غَابَةِ لَمْ يَمْرُ بِهَا الْعَيْثُ، لَمْ  
تَحْتَرِقْ بِرُضَابِ غَزَالَةِ هَذَا الصَّبَاحِ؟ فَأَيْنَ اخْتَفَى وَجْهُ  
هَذِي الْغَزَالَةِ؟ أَيْنَ اخْتَفَى وَجْهُ هَذِي الْغَزَالَةِ؟

تَتَلَحَّحُ سَطُورُ الْمَقْطَعِ وَيَتَدَفَّقُ إِيقَاعُهُ مُتَوَثِّبًا إِلَى أَنْ يَعْتَرَّ عَلَى قَرَارِهِ فِي لَفْظَةِ (الْغَزَالَةِ) الَّتِي تُشَكِّلُ قَافِيَةَ الْمَقْطَعِ  
أَوْ تُشَكِّلُ الْوَقْفَةَ الْوَحِيدَةَ الْمُلَائِمَةَ لِلْوُقُوفِ. فَالتَّدْوِيرُ يَتَكَيُّ عَلَى حَرَكَةِ الَّتِي تَقِفُ وَرَاءَ التَّجْرِيَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَتُسَعِّفُ  
الشَّاعِرَ بِنَفْسٍ شِعْرِيٍّ قَوِيٍّ، وَ"ضَرُورَةَ الْإِحْلَاصِ لِطَبِيعَةِ الشُّعُورِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ بِهِ النَّفْسُ تَقْضِي بِأَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ  
التَّعْبِيرِيَّةُ بِكُلِّ مَقَوْمَاتِهَا-وَالْمَقَوْمُ الْمُوسِيقِيُّ بِصِفَةِ أَسَاسِيَّةٍ فِيهَا-طَلِيقَةً تَتَحَرَّكُ مَعَ هَذَا الشُّعُورِ فِي مُرُونَةٍ  
وَطَوَاعِيَّةٍ". (4)

وَيَرِدُ التَّدْوِيرُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي بَعْدَ الْوَقْفَةِ الْأُولَى وَيَنْتَهِي الْمَقْطَعُ -بَعْدَ سَبْعَةِ سَطُورٍ خَالِيَةٍ مِنَ التَّقْفِيَةِ أَوْ مَا  
يُسَمِّيهِ التَّقْفِيَةَ مِنْ فَوَاصِلَ- إِلَى الْوَقْفَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ التَّقْفِيَةَ، وَهِيَ (الْجَلَالَةُ). وَيَرِدُ التَّدْوِيرُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ الَّذِي  
يَنْتَهِي بِتَقْفِيَةِ (غَالَالَهُ)، وَيَنْتَهِي الْمَقْطَعُ الرَّابِعَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ سَطْرًا إِلَى تَقْفِيَةِ أُخْرَى، وَهِيَ (الْحِيَالَهُ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ (5):

أَيْتَهَا الْوَرْدَةُ.. يَا أَيَّتَهَا الْمَقْصُورَةُ فِي هَوْدَجِهَا  
الْوَهَّاجِ.. أَيَا لَوْلُؤَةً كُنْتُ فِي صَدَفٍ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ. هَلْ  
يَخْلُو بَلَدٌ مِنْ سُلْطَانٍ؟ هَا قَلْبِي يَحْمِلُ عَرْشًا لَمْ يَتَرَبَّعْ سُلْطَانٌ

(1) حسني المختار: (التناص قراءة في "العيد") مجلة المشكاة، المغرب، ع: 18، س: 5، 1994/1414، ص: 35.

(2) جمال يونس: لغة الشعر عند سميح القاسم، ص: 214.

(3) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 7.

(4) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 109.

(5) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 9.

بَعْدُ عَلَيْهِ. فَكُونِي أَنْتِ السُّلْطَانُ، لِنَعْمِ أَشْجَارِ ضُلُوعِي  
 بِنِظَامٍ يَأْسِرُ أَلْبَابَ الطَّيْرِ. قَطَعْتُ إِلَيْكَ مَهَامِهِ لَمْ تَعْبُرْهَا قَبْلِي  
 الْعَيْسُ، فَمَا امْتَدَّ عَلَى طُرُقَاتِ الْقَلْبِ سَحَابُ الْمِزْنِ، وَلَا  
 انْتَشَرَتْ أَوْرَاقُ الْبَرْقِ بِسَاحَةِ هَذِي الذَّاتِ الظَّمَايِ، كُونِي  
 السُّلْطَانُ، وَكُونِي صَاحِبَتِي، فِي هَذَا السَّفَرِ الْمُتَمِّدِّ مِنَ الْآهِ  
 إِلَى الْآهِ. هُوَ الْقَلْبُ الْعَاشِقُ يَسْتَنْشِقُ رِيحًا مِنْ تَلْقَاءِ مَهَا  
 نَجْدٍ، يَأْمُرُنِي أَنْ أَرْكَبَ مَتْنِ الْوَجْنَاءِ لِنَطْلَبَ نَجْدًا، هَلْ أَحَدٌ  
 غَيْرُكَ يَقْدِرُ أَنْ يُنْجِدَ هَذَا الْقَلْبَ؟ فَكُونِي النَّارَ الْوَهَّاجَةَ،  
 وَانْتَشِرِي فِي كُلِّ خَلَايَا الْأَشْجَارِ الْمُتَمِّدَةِ مِنْ جَسَدِي حَتَّى  
 بَلَدِي. انْتَشِرِي أَيُّهَا النَّارُ، احْتَرِقِي أَيُّهَا الْأَشْجَارُ عَسَى  
 مِنْ حَرِّ رَمَادِكِ تُوَلَّدَ قَبْلَ الْفَجْرِ الْخَيَالِ.

يُنْتَهِي كُلُّ مَقْطَعٍ مِنَ الْمَقَاطِعِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ بِنَسَقِ تَقْفُوعِي، فَاَلْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ اتَّخَذَ نَسَقَهُ مِنَ  
 اللَّفْظَةِ (الْعَزَالَهُ)، وَاتَّخَذَ الْمَقْطَعُ الثَّانِي نَسَقَهُ التَّقْفُوعِيَّ مِنَ لَفْظَةِ (الْجَمَالَهُ)، وَيَتَّخِذُ الْمَقْطَعُ الثَّلَاثُ مِنَ لَفْظَةِ (الْغَلَالَهُ) نَسَقَهُ  
 التَّقْفُوعِيَّ، وَيَتَّخِذُ الْمَقْطَعُ الرَّابِعُ نَسَقَهُ مِنَ اللَّفْظَةِ (الْخَيَالَهُ)، وَتَعْتَمِدُ الْقَصِيدَةُ عَلَى قَافِيَةٍ وَرَوِيٍّ مُتَكَرِّرِينَ لِإِحْدَاثِ  
 رَكِيزَةٍ نَعْمِيَّةٍ تَتَكَرَّرُ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ لِكَيْ تُحَدِّثَ تَوَازُنًا مُوسِيقِيًّا فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا. (1) يُخَفِّفُ مِنْ رَتَابَةِ التَّدْوِيرِ،  
 وَتَمْنَحُ هَذِهِ الْأَنْسَاقُ التَّقْفُوعِيَّةَ الْمُتَكَرِّرَةَ كُلَّ مَقْطَعٍ خُصُوصِيَّةً الْإِيقَاعِيَّةَ النَّاتِجَةَ عَنِ التَّدْوِيرِ، وَتَعَكِّسُ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ  
 قِيَمَةَ التَّقْفُوعِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ وَالْحَاجَةَ إِلَى (السُّكُوتِ) مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ فَمِنْ "دُونَ هَذَا السُّكُوتِ يَمُوتُ الشَّعْرُ". (2)  
 وَيَجْعَلُ التَّدْوِيرُ الْكُلِّيَّ الشَّاعِرَ يَبْحَثُ عَنْ وَفْقَةِ ارْتِيَاكِ، فَ"التَّوَقُّفُ خَلَالَ هَذِهِ الْفَقْرَةِ الشَّعْرِيَّةِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ  
 لِلدَّوَاعِي النَّفْسِيَّةِ وَالْمُوسِيقِيَّةِ، وَفِي حَالَةِ عَدَمِ تَحَقُّقِ هَذِهِ الْوَقْفَةِ فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ تَكُونُ وَاقِعَةً فِي مَزَلِقِ الْقِرَاءَةِ التَّثْرِيَّةِ  
 وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ خِصَائِصَ تُبْعَدُ النَّصَّ عَنِ الشَّعْرِيَّةِ كَشُحُوبِ الْإِيقَاعِ النَّاتِجِ عَنِ التَّكَرُّارِ الْمَمْلُِّ لِلتَّفْعِيلَةِ الْفَرْدِيَّةِ  
 وَأَنْطِفَاءِ مُوسِيقَى الْقَوَافِي وَتَثْرِيَّةِ التَّعْبِيرِ وَالتَّصْوِيرِ". (3) وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ فِي قَصِيدَةِ الرَّبَاوِيِّ تَجْرِبَةٌ  
 وَجَدَانِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ تُشَبِّهُ التَّجْرِبَةَ الصُّوفِيَّةَ، وَتَتَّخِذُ مِنَ التَّدْوِيرِ وَسِيلَةً تَعْبِيرِيَّةً لِيُوصَفَ مَا قَدْ تَضَيَّقَ الْعِبَارَةُ عَنْ وَصْفِهِ  
 وَتَقْصُرُ اللَّعَّةُ عَنْ نَعْتِهِ، وَالتَّجْرِبَةُ تُخْتَارُ شَكْلُهَا الْإِيقَاعِيَّ الْمُدَوَّرَ الدَّالَّ وَلَا يَعْنِي التَّدْوِيرُ فِي الْقَصِيدَةِ الْمُدَوَّرَةِ  
 أَنَّهَا "إِمْكَانِيَّةٌ مُحَدَّدَةٌ أَوْ، عَلَى الْأَصَحِّ، وَقُوفٌ بِالتَّدْوِيرِ عِنْدَ حَافَةِ حَادَّةٍ، وَتَحْوِيلُهُ إِلَى شَكْلِ مُتَّهِ جَاهِزٍ صَلْبٍ". (4)

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 120.

(2) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 121.

(3) مصطفى السعدني: التغريب في الشعر العربي المعاصر، ص: 148.

(4) علي جعفر العلاق: في حادثة النص الشعري، ص: 83.

فالتدوير في هذه التجربة يأتي "مؤشراً إلى توثر الشاعر ورغبته بالاستمرار وعدم التوقف للتعبير عن حالة وجدانية داهمته، يضح معها القطع قطعاً للحالة قبل اكتمالها، وكان الفجاءة لا ثمهله للتقاط أنفاسه في نهاية كل سطر، فيواصل الكلام ولا يقف إلا عند آخر البيت". (1) أو عند آخر سطر شعري في المقطع أو في القصيدة.

ومع إجراء التدوير بين السطور الشعرية وغياب القوافي الخارجية فإن الشاعر يوفر لقارئه مواضع يمكن أن يتوقف عندها لأنها بمثابة القوافي الداخلية، ثم يستأنف القراءة لأنه يحس في نفسه انجذاباً إلى هذا التيار الإيقاعي والشعوري الجارف، فطول جملة المقطع المدور يحتم أن تتخلل هذه الجملة حين تمتد في عدة أسطر وفقات يستطيع الإنسان عندها أن يلتقط نفساً جديداً. وليس حتماً عندئذ أن يحدث هذا عند نهاية كل سطر، أو عند نهاية أي سطر؛ وإنما قد يحدث هذا التوقف كذلك داخل السطور نفسها، فليس لهذا قاعدة، ولا يمكن أن تكون له قاعدة، وإنما هي مسألة جمالية صرف". (2) إن القصيدة الشعرية التي تتضمن تجربة صوفية من نوع ما ترتكز إلى التدوير تنميه للتجربة ذاتها ومسايرة للمدد الروحي الذي يفيض على الشاعر في هذه الحال الواردة، فيكون التدوير حينئذ تعبيراً عن عدم الانقطاع، فالفكرة لديه متواصلة، فتضطره الدفقة الوجدانية إلى الوصل". (3) إن القصيدة المدورة في تجربة الرباوي تتعلق من ناحية أخرى بالدفقة الشعورية وبالجملة الشعرية التي تتجاوز السطر، فإنه مهما امتد فإن له طولاً (معقولاً) لا يستطيع أن يتجاوزها، وأن الدفقة قد تمتد في بعض الأحيان إلى مدى أبعد. ومن ثم يمكن أن يقال إن فكرة السطر الشعري قد حلت مشكلة الدفقة السريعة أو القصيرة، ولكنها لم تحل مشكلة الدفقة الممتدة إلا جزئياً، وكان لا بد عندئذ من تطويع الشكل التعبيري للشعور، مهما امتدت دفقة هذا الشعور. ومن هنا كان الخروج إلى ما سميناه بالجملة الشعرية، والجملة الشعرية نفس واحد ممتد، يشغل أكثر من سطر". (4) والشاعر مجرب وهو، بهذا الوصف، ينوع في معمار القصيدة الإيقاعي بحثاً عن شكل إيقاعي أكثر جمالية وأشد إثارة، وسعيًا وراء صياغة أقدر تعبيراً عن محتوى التجربة الفكرية والشعورية وأكفاً في تمثيل الرؤية الشعرية.

وقد جرب الشعراء الإسلاميون أشكالاً من الإيقاع -أو مزجوا بينها أحياناً- "اعتقاداً منهم أن الشكل لم يكن في يوم من الأيام مقدساً، بل هو مادة خام يطوعها الفنان لهدفه مثله مثل النحات في مادته وصانع الأدوات في الطين والعجين يفعل بهما ما يشاء من أجل الوصول إلى الهدف، وإذا كانت ثمة حساسية من الشعر الحر تولدت من صور التعريب الفني حيث البحث عن الشكل لمجرد التهديم أو التقليد والانبهار بنماذج ومدارس

(1) أماني سليمان داود الأسلوبية والصوفية، ص: 45.

(2) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 110.

(3) أماني سليمان داود الأسلوبية والصوفية، ص: 44.

(4) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 110.

غريبة، أقولُ إذا كانت مثل هذه الحساسة في فترات مبكرة فإن شعراء الإسلام اليوم يوظفون هذا الشكل بالقدر الذي يتسق وتجربتهم وبالقدر الذي يحمل همومهم ويوصلها إلى إنسان العصر بكل رعباته وأشواقه إلى التجديد".<sup>(1)</sup> فشرط أن يأتي الشكل استجابةً للتجربة الشعرية ولا يكون مفروضاً عليها من الخارج.

ومن أهم ما وقف عليه البحث، في مقارنة بنية الإيقاع الداخلي القائمة على ثلاثة محاور؛ على محور (التكرار الصوتي)، وعلى محور (التصريع)، وعلى محور (التدوير)، فقد شكّل (التكرار الصوتي) وسيلةً أسلوبيةً فنيةً تميز القصيدة الإسلامية وتخصُّ بنيتها الصوتية بحملة من السمات، ويتحقق على مستويات مختلفة: الصوت والكلمة والجملة والمقطع، فقد وظف الشاعر الإسلامي (الصوت)، بوصفه عنصراً دالاً فنياً وإبداعياً وتعبيراً، في صياغة تجربته الشعرية، وذلك لما للصوت من دور جليّ وفعلٍ في تمثيل مضامين التجربة والإيقاع بأبعادها في السياقات الشعورية. وتتجلى أنساق التكرار الصوتي في تكرار مجموعات من الأصوات المشتركة في صفة أو أكثر من صفاتها الصوتية، وهو تكرار يفتضيه السياق الشعري والشعوري في لحظة الإبداع، وينبئ عن دلالات وقيم يوقف عليها في سياقات النص الواردة فيها على أساس أن الشعر هو المجال الذي تُظهر فيه (رمزية الأصوات) آثارها.

وقد أتى (التصريع) في القصيدة مُحققاً قيمةً صوتيةً ونغميةً ومؤكداً للعلاقة بين الصوت والدلالة وبين الصوت والطاقة الشعورية المتدفقة في القصيدة، ولا يتعلق (التصريع) بالقصيدة العمودية، فهو يدخل في بنية الإيقاع في القصيدة الحرة. وقد أخذ في القصيدة مظهرين؛ مظهر (التصريع) الاستهلاكي الذي يقع في مطلع القصيدة أ، في الابتداء ومظهر (التصريع) الداخلي الذي يقع في داخل القصيدة أو في غير الابتداء.

وظف الشاعر (التدوير) في القصيدة بعده نسقاً إيقاعياً دالاً له وظيفته في وصل شطري البيت في القصيدة العمودية ووصل السطور الشعرية في القصيدة الحرة مسيراً في ذلك الشعور والدلالة معاً.

وقد استفاد الشاعر الإسلامي، في بناء قصيدته إيقاعياً من رصدين هامين؛ رصيد الفاصلة في الآية القرآنية وتكوينها الإيقاعي ورصيد التجربة الشعرية العربية القديمة والحديثة بكل أشكالها الإيقاعية المعروفة، ويسعى إلى أن يستثمر كل إمكانات الإيقاعية المتاحة، ويمارس كل تجريب مشروع سواءً أمس ذلك التجريب القصيدة العمودية أم القصيدة الحرة على اعتبار أن البيئة الإيقاعية في كليهما تقوم على الصورة الإيقاعية أو (التفعيلة) في حدها الأدنى، والفرق بينهما من هذه الناحية في "الكم"، وقد جرب قبل هذا الشكل الشعري الجديد؛ أي قصيدة التفعيلة أشكالاً شعريةً كذلك التي عرفت في التراث من مزدوجات ومربعات ومخمسات وموشحات.

(1) شلتاغ عبود: حقائق الشعر الإسلامي المعاصر، ص: 172.

الْبَابُ الثَّانِي:

بُنْيَةُ التَّرْكِيبِ الشُّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الفصلُ الأوَّلُ: بُنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْخَبْرِيِّ

الفصلُ الثَّانِي: بُنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْإِنْشَائِيِّ

## تَوْطئة:

تُعَدُّ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ بِنْيَةً أَسَاسِيَّةً فِي كُلِّ نَصِّ شِعْرِيٍّ؛ إِذْ هِيَ الْمُسْتَوَى الَّذِي تَمَحَّوْرُ فِيهِ الْبِنْيَتَانِ الْمُرَدَّتَانِ الصَّوْتِيَّةُ وَالصَّرْفِيَّةُ، كَمَا هِيَ مَجَالٌ لِتَحْلِيَّاتِ الْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي تُعَدُّ مُرْتَكِزَ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، وَتَنَجَسِدُ بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ، عَلَى الْمُسْتَوَى اللُّغَوِيِّ، فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ الْبِنْيَةُ الْأَسَاسِيَّةُ الصُّغْرَى وَفِي النَّصِّ الَّذِي هُوَ الْبِنْيَةُ الْكُبْرَى، وَكَذَلِكَ تَنَجَلِي فِي الْقَصِيدَةِ بِوَصْفِهَا نَصًّا شِعْرِيًّا مُفَارِقًا لِلنَّصِّ اللُّغَوِيِّ، وَهِيَ، بِتِلْكَ الْمَفَارِقَةِ، بِنْيَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ مُنْزَاحَةٌ عَدَلًا بِهَا الْإِنْزِيَاخُ عَنِ الْمَعْيَارِ اللَّسَانِيِّ الثَّابِتِ فِي النَّصِّ اللُّغَوِيِّ إِلَى النَّسَقِ الْأُسْلُوبِيِّ الْمُتَحَوِّلِ فِي النَّصِّ الْأَدْبِيِّ، وَإِذَا اتَّصَفَتِ الْقَصِيدَةُ بِالْإِنْزِيَاخِ فَقَدْ اضْطَلَعَتْ بِإِنْتِاجِ جُمْلَةٍ مِنَ الدَّلَالَاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَالْقِيمِ الْجَمَالِيَّةِ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أَوْضَحَ أَذَتْ وَظَيْفَتَهَا التَّعْبِيرِيَّةَ مِنْ حِلَالِ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْمَضَامِينِ الْوَحْدَانِيَّةِ الشُّعُورِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ وَإِذَا كَانَ الْإِنْزِيَاخُ سِمَةً الْقَصِيدَةِ الشِّعْرِيَّةِ مُطْلَقًا فَهُوَ سِمَةُ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَتُعَدُّ الْجُمْلَةُ أَوْ التَّرْكِيبُ -بِالْمَفْهُومِ التَّحْوِيِّ\*-) -"الوَاحِدَةَ اللُّغَوِيَّةَ الَّتِي يَدُورُ حَوْلَهَا التَّحْلِيلُ أَوْ الدَّرَاسَةُ". (2) وَتَتَنَوَّعُ الْجُمْلَةُ إِلَى اسْمِيَّةٍ وَفِعْلِيَّةٍ، فَالِاسْمِيَّةُ تَتَأَلَّفُ مِنْ مُسْنَدٍ وَمُسْنَدٍ إِلَيْهِ أَوْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، وَهِيَ كَمَا يُعْرَفُهَا ابْنُ هِشَامٍ: "الَّتِي صَدْرُهَا اسْمٌ كَزَيْدٍ قَائِمٌ، وَهَيْهَاتَ الْعَقِيقُ، وَقَائِمُ الرَّيْدَانِ". (3) وَالتَّصَدُّرُ الَّذِي يُحْكَمُ بِهِ عَلَى تَصْنِيفِ الْجُمْلَةِ هُوَ تَصَدُّرُ الْكَلِمَةِ الَّتِي تُعَدُّ رُكْنًا رَيْسًا فِي الْجُمْلَةِ، أَوْ أَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا أَنْ تَكُونَ مِنْ أَرْكَانِ الْجُمْلَةِ، وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ فَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ مَا كَانَتْ مُكَوَّنَةً مِنْ فِعْلٍ وَفَاعِلٍ أَوْ مِمَّا أَصْلُهُ كَذَلِكَ، وَالِاسْمِيَّةُ مَا كَانَتْ مُكَوَّنَةً مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ أَوْ مِمَّا كَانَ الْأَصْلُ فِيهَا كَذَلِكَ، وَتُشَكَّلُ الْجُمْلَةُ بِوَعْيِهَا نَمَطًا مَعْيَارِيًّا يُقَاسُ إِلَيْهِ الْجُمْلَةُ الْمُنْزَاحَةُ الَّتِي تُشَكَّلُ نَسَقًا مُنْزَاحًا، وَتُعْرَفُ الْجُمْلَةُ الَّتِي تَسِيرُ عَلَى نَمَطٍ مِنْ أَنْمَاطِ الْبِنَاءِ الْجُمْلِيِّ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ التَّوَلِيدِيَّةِ أَوْ الْمُتَنَجِّحَةِ، وَتَتَفَرَّعُ إِلَى جُمْلَةٍ تَوَلِيدِيَّةِ اسْمِيَّةٍ وَمِنْ أَهَمِّ أُطْرُهَا: (اسْمٌ مَعْرِفَةٌ + اسْمٌ نَكْرَةٌ) وَ(اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ + اسْمٌ مُعْرَفٌ) وَ(شِبْهُ جُمْلَةٍ - ظَرْفِيَّةٌ أَوْ جَارٌ وَمَجْرُورٌ) + اسْمٌ نَكْرَةٌ، وَإِلَى جُمْلَةٍ تَوَلِيدِيَّةِ فِعْلِيَّةٍ وَمِنْ أَهَمِّ أُطْرُهَا: (فِعْلٌ + اسْمٌ - أَوْ مَا

(\*) تختلف مفاهيم الجملة بين الكلام الذي يتركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل. "و" الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألقت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن لسامع. "و" أقل قدر من الكلام يُفيد السامع معنى مستقلًا بنفسه وليس لازما أن تحتوي العناصر المطلوبة كلها فقد تخلو من المسند إليه لفظاً أو من المسند لوضوحه وسهولة تقديره. "و" الوحدة الكلامية الصغرى. "و" الملفوظ المنسجم تركيبياً. "وتلتقي في أيهما مصطلح نحوي للدلالة على العلاقة الإسنادية القائمة بين اسمين أو اسم وفعل، والإسناد هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى، والتسبة هي إيقاع التعلق بين الشئيين. ينظر: عبده الراجحي: التطبيق التحوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ-1988م، ص: 77. ومهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط: 2، 1406هـ-1986م، ص: 31. والمنصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كلية ودمنة، دراسة إحصائية ووصفية، دم ج، الجزائر، 1982، ص: 15. وأحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص: 217.

(1) رجاء عيد: البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ت)، ص: 56.  
(2) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: صلاح عبد العزيز علي السيد، مج: 2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 2، 1429هـ-2008م، ص: 507.

يَسُدُّ مَسَدَهُ ظَاهِرًا أَوْ مُسْتَرًا-) و(فعل + اسم + اسم - أو اسم مُقْتَرِنٌ بِحَرْفِ جَرٍّ-)، وَقَدْ تَعَرَّضُ هَذِهِ الْأَطْرُ إِلَى تَغْيِيرٍ فِي الْوَحَدَاتِ الصَّرْفِيَّةِ (الْمُرْفِيَّاتِ) أَوْ فِيمَا فِيهَا مِنْ وَحَدَاتٍ صَوْتِيَّةٍ (فُونِيَّاتٍ تَأْوِيَّةٍ) (التَّبْرِ وَالتَّغْيِيمِ)، فَيَتَغَيَّرُ الْمَعْنَى وَتُصْبِحُ الْجُمْلَةُ جُمْلَةً تَحْوِيلِيَّةً فِي مَعْنَاهَا اِسْمِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً فِي مَبْنَاهَا. (1) وَمِنْ الْعَنَاصِرِ الَّتِي تَنْقُلُ الْجُمْلَةَ مِنَ الْوَضْعِ الْأَوَّلِ إِلَى الْوَضْعِ الثَّانِي التَّرْتِيبِ -تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا- وَالزِّيَادَةُ وَالْحَذْفُ وَغَيْرِهَا، (2) مِنْ مَلَامِحِ الْاِنْزِيَا حِ الَّتِي اِتَّسَمَتْ بِهَا بِنْيَةُ التَّرْكِيْبِ فِي الْفَقْصِيْدَةِ.

وَتَتَنَوَّعُ الْجُمْلَةُ، أَيْضًا، إِلَى خَبْرِيَّةٍ وَإِنْشَائِيَّةٍ، فَتَنْدَرِجُ ضِمْنَ الْخَبْرِيَّةِ الْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ وَالْفِعْلِيَّةُ الْمَاضِيَّةُ وَالْمُضَارِعِيَّةُ مُثَبَّتَةً وَمَنْفِيَّةً وَمُؤَكَّدَةً، وَتَنْدَرِجُ ضِمْنَ الْاِنْشَائِيَّةِ جُمْلَةُ الْاَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ وَالْعَرْضِ وَالتَّحْضِيضِ وَالتَّمْنِيِ وَالتَّرَجُّيِ وَغَيْرِهَا، فَتَقُومُ الْجُمْلَةُ الْخَبْرِيَّةُ وَالْاِنْشَائِيَّةُ بِوَضِيْفَةِ تَعْبِيْرِيَّةٍ دَلَالِيَّةٍ وَوَحْدَانِيَّةٍ؛ فَالْخَبْرُ حِكَايَةُ خَبْرِيَّةٍ تَقْرِيْرِيَّةٌ تُنْقَلَى لِتَحْقِيْقِ دَلَالَةِ اَصْلِيَّةٍ أَوْ فَنِيَّةٍ، قَدْ تَصَدَّقَ مَعَ الْوَاقِعِ أَوْ تَنَافَى مَعَهُ، اَمَّا الْاِنْشَاءُ فَيَقْصِدُ بِدَلَالَتِهِ التَّعْبِيْرِيَّةَ اِنْشَاءَ الْمَعْنَى الَّذِي يُحْرِّكُ مَخِيْلَةَ الْمُتَلَقِّيِ، وَيُنِيرُ فِكْرَهُ أَوْ يُشِيْعُ مِشَاعِرَهُ الدَّائِيَةَ دُونَ التَّنْظَرِ إِلَى عُنْصُرِ الْمُطَابَقَةِ مَعَ الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ أَوْ عَدَمِهَا (3)، وَتُضَافُ إِلَى الْجُمْلَتَيْنِ الْخَبْرِيَّةِ وَالْاِنْشَائِيَّةِ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ الَّتِي تُصَنَّفُ تَارَةً ضِمْنَ اَضْرَبِ الْخَبْرِ وَاخْرَى ضِمْنَ اَضْرَبِ الْاِنْشَاءِ، وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الطَّبِيْعَةِ الْاِزْدِوَاجِيَّةِ لِدَلَالَةِ بِنْيَةِ الشَّرْطِ أَوْ يَرْجِعُ إِلَى طَبِيْعَةِ الْمَعَايِرِ الَّتِي كَانِ الْبَلَاغِيُوْنَ يَقِيْسُوْنَ بِهَا اللُّغَةَ، وَهِيَ مَعَايِرٌ تُرَكِّزُ غَالِبًا عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُرْدَدَةِ بَيْنَمَا بِنْيَةُ الشَّرْطِ ذَاتُ طَابَعٍ مُرَكَّبٍ. (4) وَقَدْ تُعَدُّ نَوْعًا ثَالِثًا فِي تَصْنِيْفِ الْجُمْلَةِ إِلَى خَبْرِيَّةٍ وَشَرْطِيَّةٍ وَاِنْشَائِيَّةٍ، (5) وَتُعَدُّ قِسْمًا مِنْ اَقْسَامِ الْجُمْلَةِ الْاِنْشَائِيَّةِ الَّتِي تُضْمُّ الْجُمْلَةُ الطَّلِبِيَّةُ وَالْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ وَالْجُمْلَةُ الْاِفْصَاحِيَّةُ. (6) وَمَعَ ذَلِكَ فَالْجُمْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ قِسْمَانِ رَئِيْسَانِ؛ هُمَا الْجُمْلَةُ الْخَبْرِيَّةُ وَالْجُمْلَةُ الْاِنْشَائِيَّةُ وَتَحْتَ كُلِّ مِنْهُمَا تَفْرِيْعَاتٌ (7)، وَقَدْ تُضَافُ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ كَنَوْعٍ خَاصٍّ لِيُصْبِحَ عَدَدُ الْجُمْلِ اَرْبَعَةً؛ اِسْمِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ وَظَرْفِيَّةٌ وَشَرْطِيَّةٌ اِلَّا اَنْ اِبْنَ جَنِّي حَعَلَهَا مِنْ قَبِيْلِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ. (8)

وَتَكُوْنُ الْجُمْلَةُ، مِنْ حَيْثُ الْبَسَاطَةُ وَالتَّعَدُّدُ، بَسِيْطَةً أَوْ مُرَكَّبَةً أَوْ مُعَقَّدَةً، فَالْبَسِيْطَةُ تَتَضَمَّنُ عَمَلِيَّةً اِسْنَادِيَّةً وَاحِدَةً، وَتَتَأَلَّفُ مِنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبْرِ، أَوْ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَيُمْكِنُ اَنْ تُصْطَلَحَ عَلَيْهَا بِالْجُمْلَةِ الْمُرْدَدَةِ، وَالْمُرَكَّبَةُ تَتَضَمَّنُ عَمَلِيَّتَيْنِ اِسْنَادِيَّتَيْنِ، أَوْ هِيَ مَا يَدْخُلُ فِي بِنْيَتِهَا جُمْلَةٌ اُخْرَى تَقُومُ بِوَضِيْفَةِ مَا، مِثْلُ الْجُمْلَةِ الْكُبْرَى الَّتِي تَتَضَمَّنُ

(1) خليل أحمد عاميرة: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ص: 88.

(2) المرجع نفسه، ص: 88 وما بعدها.

(3) حفيظة أرسلان شابوسوغ: الجملة الخبرية والطلبية، ص: 25.

(4) رمضان صادق: شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)، 1998، ص: 107.

(5) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1413 هـ - 1993 م، ص: 57.

(6) تمام حسان: اللغة العربية، معناها ومبناها، عالم الكتب، ط: 3، 1418 هـ - 1998 م، ص: 244

(7) المرجع نفسه، ص: 243.

(8) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب، مج: 2، ص: 507.

جُمْلَةً صُعْرَى، وَيُمْكِنُ أَنْ نَصْطَلِحَ عَلَيْهَا بِالْجُمْلَةِ الْمُرْدَوْحَةِ. وَالْمَعْقَدَةُ تَتَضَمَّنُ عَمَلِيَّاتٍ إِسْنَادِيَّةً مُتَعَدِّدَةً يَفْتَضِيهَا السِّيَاقُ وَضُرُوبُ الْإِطْنَابِ وَالتَّوَسُّعَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَصْطَلِحَ عَلَيْهَا بِالْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ.

وَوَاضِحٌ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ مُقَارَبَةَ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ فِي الْقَصِيدَةِ هِيَ مُقَارَبَةٌ لِلتَّرَاكِبِ الشَّعْرِيَّةِ فِي عِلَاقَاتِهَا بِالْمَعَانِي أَوْ الدَّلَالَاتِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنْ فُرُوقٍ وَمَا تَتْرُكُهُ مِنْ آثَارٍ فِي الْمُتَلَقِّي، وَذَلِكَ مَا هَدَفَ إِلَيْهِ الْجُرْجَانِيُّ بِالْقَوْلِ: "وَأَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ النَّظْمُ إِلَّا أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَفْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ، وَتَعْمَلَ عَلَى قَوَائِنِهِ وَأُصُولِهِ، وَتَعْرِفَ مَنَاهِجَهُ الَّتِي نُهَجَتْ فَلَا تَزِيغُ عَنْهَا، وَتَحْفَظَ الرُّسُومَ الَّتِي رُسِمَتْ فَلَا تُخَلِّ بِشَيْءٍ مِنْهَا".<sup>(1)</sup> وَيَقُولُ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَى آيَّاتٍ لِلْبُحْتَرِيِّ: "فَإِذَا رَأَيْتَهَا قَدْ رَاقَتْكَ وَكَثُرَتْ عِنْدَكَ، وَوَجَدْتَ لَهَا اهْتِرَازًا فِي نَفْسِكَ، فَعُدْ فَانظُرْ فِي السَّبَبِ، وَاسْتَقْصِ فِي النَّظَرِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ ضَرُورَةَ أَنْ لَيْسَ إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ وَأَخَّرَ، وَعَرَّفَ وَنَكَرَ، وَحَذَفَ وَأَضْمَرَ، وَأَعَادَ وَكَرَّرَ، وَتَوَخَّى عَلَى الْجُمْلَةِ وَجْهًا مِنَ الْوُجُوهِ يَفْتَضِيهَا عِلْمُ النَّحْوِ فَأَصَابَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ثُمَّ لَطَفَ مَوْضِعَ صَوَابِهِ وَأَتَى مَا تَأْتِي يُوجِبُ الْفَضِيلَةَ".<sup>(2)</sup> وَيُحَدِّدُ الْجُرْجَانِيُّ بِذَلِكَ الْوَضْعَيْنِ اللَّتَيْنِ تَشْعُلُهُمَا بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ، وَهُمَا الْوَضْعَانِ التَّبْلِغِيَّةُ التَّدَاوُلِيَّةُ وَالْوَضْعَانِ الْجَمَالِيَّةُ الْأُسْلُوبِيَّةُ.<sup>(3)</sup>

وَفِي ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّ الْجُمْلَةَ بِتِلْكَ الْاِعْتِبَارَاتِ الْأَدَاةَ الْإِجْرَائِيَّةَ الضَّرُورِيَّةَ فِي مُقَارَبَةِ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 70.

(2) المرجع السابق نفسه، ص: 73.

(3) علي المتقي: القصيدة العربية المعاصرة بين هاجس التنظير وهاجس التجريب، المطبعة الوطنية، مراكش، ط: 1، 2009م، ص: 154.

الفصل الأول

بنيّة التّركيب الخبري

1- بنيّة التّركيب الاسمي

2- بنيّة التّركيب الفعلي

## 1- بنية التركيب الخبري:

تُمثِّلُ بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ الخَبْرِيِّ "بِنَاءً مُنظَّمًا مِنَ الصِّيغِ المُتحرِّكةِ عَبرَ السِّيَاقِ".<sup>1</sup> وتَنَدَمِحُ فِي نَسِيحِ الخِطَابِ الشَّعْرِيِّ، وَهُوَ الفِضَاءُ الَّذِي تَتحوَّلُ فِيهِ مِنْ بِنْيَةٍ لِسَانِيَّةٍ مُجرَدَةٍ تَنهَضُ بِوِظِيفَةِ التَّوَاصُلِ إِلَى بِنْيَةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ مُنزَاحَةٍ تَنهَضُ بِوِظِيفَةِ جَمَالِيَّةٍ تُبرِّزُ المَلَامِحَ الشَّعْرِيَّةَ الإِبْدَاعِيَّةَ لِلقَصيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنْ خِصَائِصَ تَرَكِيبِيَّةٍ فَارِقَةٍ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَنهَا مِنْ وَظَائِفَ، وَمَا يَنبُتُ مِنْ دَلَالَاتٍ. وَتَتَوَزَّعُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الخَبْرِيِّ عَلَى بِنْيَتَيْنِ تَرَكِيبِيَّتَيْنِ رَئِيسِيَّتَيْنِ تُضْمُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ، هُمَا:

### 1-1- بنية التركيب الاسمي:

يَخْتَلِفُ شُيُوعُ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الإِسْمِيِّ فِي المَثَنِ الشَّعْرِيِّ الإِسْلَامِيِّ مِنْ قَصيدَةٍ إِلَى أُخْرَى، كَمَا يَخْتَلِفُ شُيُوعُ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الفِعْلِيِّ، وَيَتَرْتَّبُ عَنِ الإِختِلَافِ وَالتَّفَاوُتِ فِي شُيُوعِ البِنْيَتَيْنِ فِي القَصيدَةِ، مِنَ النَّاحِيَةِ الأُسْلُوبِيَّةِ، فِيمَ تَعْبِيرِيَّةٍ تُجَسِّدُ مَاهِيَةَ هَذِهِ القَصيدَةِ، فَالقَصيدَةُ فِعْلٌ وَحَرَكََةٌ وَأَنْطِلاقٌ وَتَطْلُعٌ، قَصيدَةُ تَنْطَلِقُ مِنَ الرَّاهِنِ وَالوَاقِعِ لَتَشْدُ رَاهِنًا جَدِيدًا وَوَأَقِعًا مُخْتَلِفًا يَتَجَاوِزُ سَلْبِيَّةَ الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ إِلَى إِيجَابِيَّةِ كُلِّ طَرَفٍ، وَيؤَسِّسُ مِنْ جَدِيدٍ لَشُرُوطِ التَّعْطِيرِ وَالنَّهْضَةِ. وَشُيُوعُ إِحْدَى البِنْيَتَيْنِ يُكْرِسُ دَلَالَاتٍ مُعَيَّنَةً، فَإِذَا كَانَتْ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الإِسْمِيِّ تَعْمَلُ عَلَى ثُبُوتِ المَعْنَى وَسُكُونِهِ فِي دَلَالَتِهِ الجُزْئِيَّةِ أَوْ الكُلِّيَّةِ، فَإِنَّ بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ الفِعْلِيِّ تَعْمَلُ عَلَى حَرَكَةِ المَعْنَى وَتَجَدُّدِهِ فِي دَلَالَتِهِ الجُزْئِيَّةِ أَوْ الكُلِّيَّةِ.\*

وَتَرْدُ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الإِسْمِيِّ فِي أَكثَرِ مِنْ صُورَةٍ، فِي صُورَةٍ بَسِيطَةٍ، وَتَكُونُ "الوَاحِدَةَ الكَلَامِيَّةَ الَّتِي تَضَمَّنَتْ عَمَلِيَّةَ إِسْنَادِ وَاحِدَةٍ".<sup>(3)</sup> فِيهِ كُلُّ بِنْيَةٍ تَرَكِيبِيَّةٍ تَقُومُ عَلَى مُسْنَدٍ وَمُسْنَدٍ إِلَيْهِ وَلَا يَأْتِي أَحَدُهُمَا جُمْلَةً، وَقَدْ تَدخُلُ فِي بِنْيَتِهَا عَنَاصِرٌ لَعُوبِيَّةٌ كَالأَفْعَالِ النَّاقِصَةِ فَتُسَمَّى بِالجُمْلَةِ المُحوَّلَةِ بِالفِعْلِ النَّاسِخِ، وَكالحُرُوفِ فَتُسَمَّى بِالجُمْلَةِ المُحوَّلَةِ بِالحَرْفِ النَّاسِخِ.<sup>(4)</sup> وَيُعَدُّ المُسْنَدُ وَالمُسْنَدُ إِلَيْهِ الجُزْأَيْنِ المُحوَرَّيْنِ فِي بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الإِسْمِيِّ البَسِيطَةِ، وَتَرْدُ فِي صُورَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُرَكَّبَةٍ وَمُعَقَّدَةٍ فَتَتَعَدَّدُ عَمَلِيَّةُ الإِسْنَادِ بِحَسَبِ حَاجَةِ المُتَكَلِّمِ وَمَقْصِدِهِ. وَيَتَوَقَّفُ تَوْظِيفُ البِنْيَةِ

(1) النصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع، ص: 22.

(\*) تنصرف دلالة الجملة الاسمية إلى الثبوت؛ أي ثبوت شيء لشيء، تفيد الدوام بقرينة، إذا كان خبرها اسما مفردا أو جملة اسمية كقوله تعالى في الآية(54) من سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ وقوله تعالى في الآية (55) من سورة الانفطار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، فهذه الجملة تفيد مع الثبوت الدوام بدليل القران، وإذا كان الخبر فيها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد كقوله تعالى في الآية(42) من سورة الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وكقوله تعالى في الآية(3) من سورة فاطر: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فالجملتان تدلان على تجدد الوفاة وتجدد الرزق. وتنصرف دلالة الجملة الفعلية إلى الحدوث، وقد تفيد الاستمرار بالقران كقوله تعالى في الآيتين(18 و19) من سورة ص: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ(18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ(19)﴾، فالجملة الفعلية(يسبحن)دالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال. ينظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط: 10، 1427هـ/2005م، ص: 95-96.

(2) النصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع، ص: 21.

(3) حفيظة أرسلان شابوسغ: الجملة الخبرية والجملة الطلبية، ص: 21.

التَّرَكِيبِيَّةِ البَّسِيطَةِ وَالمُتَعَدِّدَةِ فِي بِنْيَةِ القَصِيدَةِ عَلَى طَبِيعَةِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ حَرَكَةُ المَعْنَى وَالشُّعُورُ وَالنَّسَقُ الإِيقَاعِيُّ فَلِلنَّسَقِ الإِيقَاعِيِّ أَثَرٌ مَلْمُوسٌ فِي صِبَاغَةِ البُنَى التَّرَكِيبِيَّةِ بِمَا يَلْتَمِسُ صُورَهُ الإِيقَاعِيَّةُ كَمَا وَكَيْفًا، فَتَمِيلُ البُنَى إِلَى البَسَاطَةِ فِي التَّرَكِيبِ وَتَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ الجُمْلُ المَوْجِزَةَ المَخْتَزِلَةَ فِي السِّيَاقَاتِ الَّتِي تُكُونُ فِيهَا دَقْفَةُ الشُّعُورِ مُرَكَّزَةً أَوْ مُنْحَسِبَةً لِتَوَثُّرِ الشُّعُورِ وَلمَحْدُودِيَّةِ المَعْنَى وَإِنْ كَانَ وَاسِعَ الدَّلَالَةِ، وَيَحْكُمُ هَذَا النُّوعَ مِنَ البُنَى قَانُونُ الإِقْتِصَادِ اللُّغَوِيِّ، فَتَنْسَمُ بِإِجْازِ اللَّفْظِ وَكثَافَةِ الدَّلَالَةِ، وَقَدْ تَمِيلُ إِلَى التَّعَدُّدِ فِي التَّرَكِيبِ وَتَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ الجُمْلُ المَوْسَعَةَ وَالمُطَالَةَ وَالمُطَنَّبَةَ فِي السِّيَاقَاتِ الَّتِي تُكُونُ فِيهَا دَقْفَةُ الشُّعُورِ أَقْوَى وَأَعَزَّرَ أَوْ مُطْلَقَةً لِتَوَثُّرِ الشُّعُورِ وَكثَافَةِ المَعْنَى وَسَعَةِ الدَّلَالَةِ، وَيَحْكُمُ هَذَا النُّوعَ مِنَ البُنَى قَانُونُ الإِسْرَافِ اللُّغَوِيِّ، فَتَنْسَمُ بِإِطْنَابِ اللَّفْظِ وَكثَافَةِ المَعْنَى وَالدَّلَالَةِ، وَتُكْسِبُ هَذِهِ البُنَى التَّرَكِيبِيَّةُ المُتَعَدِّدَةُ التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ حُصُوبَةً وَغِنًى.

تَجَسَّدَتْ بِنْيَةُ التَّرَكِيبِ الإِسْمِيِّ فِي القَصِيدَةِ فِي مَجْمُوعَةٍ أُنْسَاقٍ تَرَكِيبِيَّةٍ أُسَاسِيَّةٍ (\*)، مُتَفَاعِلَةً فِي نَسِجِ البِنْيَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ لِلقَصِيدَةِ، فَهِيَ أُنْسَاقٌ تَرَكِيبِيَّةٌ حَيَّةٌ وَمُتَحَرِّكَةٌ، مُنْدَمِجَةٌ وَمُتَفَاعِلَةٌ مَعَ سِيَاقَاتِهَا مُتَنَاعِمَةٌ مَعَ شَبَكَةِ المَكُونَاتِ البِنْيَوِيَّةِ النَّسَقِيَّةِ لِلقَصِيدَةِ مِنْ إِيْقَاعِيَّةٍ وَتَصَوُّيرِيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ.

وَقَدْ تَوَزَّعَتْ بِنْيَةُ التَّرَكِيبِ الإِسْمِيِّ عَلَى نَسَقَيْنِ أُسَاسِيَيْنِ، هُمَا:

### 1-1-1-النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الأَسَاسِيُّ (مُبْتَدَأٌ+خَبَرٌ):

تُقُومُ بِنْيَةُ التَّرَكِيبِ الإِسْمِيِّ البَّسِيطِ فِي هَذَا النَّسَقِ عَلَى رُكْنِي الإِسْنَادِ؛ المُسْنَدِ إِلَيْهِ وَالمُسْنَدِ أَوْ المُبْتَدَأِ وَالخَبَرِ، مُجَرَّدَةٌ مِنَ العَنَاصِرِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَعْدِلُ بِهَا عَنْ بَسَاطَتِهَا، وَتُشَكِّلُ نَسَقًا تَرَكِيبِيًّا أُسَاسِيًّا مُعْبَرًا عَنْ حَالَةِ اسْتِقْرَارِ المَعْنَى.<sup>(2)</sup> وَيَأْتِي عَلَى الشَّكْلِ المِعْيَارِيِّ (م+خ) أَوْ الشَّكْلِ المُتَزَاحِ (م+خ)، وَتَتَوَسَّعُ بِنْيَةُ هَذَا النَّسَقِ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ القِيُودِ أَوْ المُتَعَلِّقَاتِ، وَتَتَّخِذُ سِتَّةَ أُنْسَاقٍ فَرَعِيَّةٍ:

### 1-1-1-1-النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الفَرَعِيُّ الأَوَّلُ:

تَتَّخِذُ بِنْيَةُ هَذَا النَّسَقِ الشَّكْلَ (مُبْتَدَأٌ اسْمٌ ظَاهِرٌ/مَعْرِفَةٌ/نَكْرَةٌ)+خَبَرٌ اسْمٌ ظَاهِرٌ(مَعْرِفَةٌ/نَكْرَةٌ))، وَيَرِدُ هَذَا النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الفَرَعِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ قِصَائِدِ المَثَنِ الشَّعْرِيِّ فِي قِصِيدَةِ (لَيْلٌ وَقُضْبَانٌ) تَوَاتَرَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ بَيْنَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، يَتَأَلَّفُ بَعْضُهَا مِنْ مُبْتَدَأٍ مُعْرَفٍ بِالإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ المُتَّصِلِ (مُرَكَّبِي) وَالخَبَرِ المَعْرِفَةِ (الشَّمْسِ)، وَيَتَأَلَّفُ بَعْضُهَا مِنْ مُبْتَدَأٍ مَعْرِفَةِ (الفَرَاقِدِ) وَالخَبَرِ المَعْرَفِ بِالإِضَافَةِ (دَارِي)، وَالبِنْيَتَانِ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ المَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ مَعْطُوفَةٌ

(\* ) يوظف مصطلح (النسق التركيبي) كأداة إجرائية في وصف التركيب وتحليله وتصنيفه لدلالته في واقع التحليل الأسلوبي على النظام الذي يتخذه التركيب ويطرد في القصيدة ويصير متوقع الظهور-وقد وظف في وصف الإيقاع والصوت من قبل-كما أن (النسق التركيبي) قد يمثل نظاما تركيبيا على المستوى المعيارى للغة أو يشكل نظاما تركيبيا على المستوى الانزياحي لها، ويرادف في هذه الحال مصطلح (النمط التركيبي) (الدال على بناء الجملة من ركنيها وما عسى أن يكون ضروريا لعنصر الإفادة فيها، ومع ذلك يمكن أن توصف صورة الجملة، أيضا، بالمصطلح (بنية). ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص: 56. (1) أماني سليمان داود: الأسلوبية والصوفية، ص: 99.

إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى بِأَدَاةِ الْعَطْفِ (الْوَاوِ)، وَيَعْمَلُ النَّسْقَانِ التَّرَكِيبِيَّانِ الْمُتَوَازِيَانِ بِمَا فِيهَا مِنْ انْزِيَاكِ دَلَالِيٍّ عَلَى تَحْسِيدِ الْمَعْنَى الْوَاضِحِ وَالشُّعُورِ الْقَوِيِّ مِنْ خِلَالِ تَوْكِيدِ دَلَالَةِ الرَّفْعَةِ وَالسُّمُوِّ وَالطُّمُوحِ وَالشُّمُوحِ، وَهِيَ الْمَعَانِي الَّتِي يَسْتَشْعِرُهَا الْمُسْلِمُ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ، يَقُولُ نَجِيبُ الْكَيْلَانِي (1):

مَرْكَبِي الشَّمْسُ وَالْفَرَاقِدُ دَارِي  
عَاشِقُ هَامَتِي التُّجُومُ الدَّرَارِي  
أَتَمَلَّى مَرَابِعَ الْمَجْدِ فِيهَا  
رَغَمَ أَنِّي أَحَاطُ بِالْأَسْوَارِ

وَقَدْ يَأْتِي النَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفَرَعِيُّ جُزْءًا مِنْ بِنْيَةِ شِعْرِيَّةٍ أَكْبَرَ حَيْثُ تَتَوَاتَرُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبُنَى التَّرَكِيبِيَّةِ الْإِسْمِيَّةِ الْبَسِيطَةِ مُؤَكَّدَةً الْمَعْنَى الَّذِي تُنْتِجُهُ التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةُ (الرُّوسُ قَادِمُونَ/عِيُونُهُمْ خَنَاجِرُ مُصَوَّبَةٌ/سَجَلُهُمْ مَظَالِمُ مَبُوبَةٌ...) مُجَرَّدَةً مِنْ أَدَوَاتِ التَّوْكِيدِ مُسْتَعْنِيَةً عَنْهَا فَالْمُتَلَقِّي غَيْرُ مُنْكَرٍ وَلَا شَاكٍ وَلَا مُتَرَدِّدٌ فِي مَضْمُونِ هَذِهِ الْبُنَى أَوْ مَا يَقُولُهُ الشَّاعِرُ. وَتُشَكَّلُ بَعْضُ هَذِهِ الْأَنْسَاقِ الْإِسْمِيَّةِ الْبَسِيطَةِ انْزِيَاكِ عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ كَهَذَا النَّسْقِ (عِيُونُهُمْ خَنَاجِرُ مُصَوَّبَةٌ) الَّتِي تَنْزَاحُ عَنِ الْمِعْيَارِ الشَّعْرِيِّ فِي التَّشْبِيهِ الْبَلِغِ فِي تَشْبِيهِ الْعِيُونِ بِالْخَنَاجِرِ، وَهُوَ نَسْقٌ يُجَسِّدُ الْمَعْنَى وَالشُّعُورَ أَوْ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الرُّوسُ مِنْ حَقْدٍ وَغَيْظٍ وَغِلْطَةٍ وَأَنْتِقَامٍ، فَالْقِيَمَةُ الْأُسْلُوبِيَّةُ لِلنَّسْقِ تَنْجَلِي فِي انْزِيَاكِهِ، يَقُولُ نَجِيبُ الْكَيْلَانِي فِي قَصِيدَةِ (الرُّوسُ قَادِمُونَ) (2):

الرُّوسُ قَادِمُونَ يَا ابْنَتِي  
جَحَافِلُ كَلْبِنَا الْمُدَّنْسِ  
كَوْجُهُ بَلَقَعَ مُلْفَعٍ بِالْحَسْرَةِ  
هُمُ رَمَزُ عَصْرِنَا  
عَصْرُ الشَّقَاءِ وَالْأَلَمِ  
عِيُونُهُمْ خَنَاجِرُ مُصَوَّبَةٌ  
سَجَلُهُمْ مَظَالِمُ مَبُوبَةٌ  
لَا تَسْأَلِي عَنِ الْإِخَاءِ وَالسَّلَامِ  
وَعُصْنِ زَيْتُونِ تَدَلِّي أَوْ حَمَامِ  
فَ"الْمَنْجَلُ" الْمَحْمُومُ يَحْصِدُ الرَّقَابَ

تُزَاوِجُ بِنْيَةِ الْمَقْطَعِ بَيْنَ الْبِنْتَيْنِ التَّرَكِيبِيَّتَيْنِ الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ فِي نَسْقٍ مُتَمَاسِكٍ وَمُنْسَقٍ، وَبِهَذَا الْإِحْرَافُ التَّوْلِيدِيُّ تَنْفَرِّعُ عَنِ الْبِنْيَةِ النَّوَاةِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبُنَى التَّرَكِيبِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِعُنْصُرٍ مِنْ عَنَاصِرِ الْبِنْيَةِ الْأُولَى، وَيَعْمَدُ

(1) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 7.

(2) المصدر نفسه، ص: 27.

الشاعر إلى إنتاج رسالته الشعرية التي تُحيل إلى مرجعية التجربة التي يُخبر عنها في هذه المدونة اللغوية التي تتعدّد فيها المفوظات اللسانية، وتتحرف هذه الرسالة، كما يُمثّلها المقطع، عن مجرد الإخبار في نقل المضمون إلى التأثير الذي ينقل الشعور أيضاً بطريقة لغوية فنية، وكل ذلك في إطار الرؤية التي يصدر عنها، فعلة البنى الاسمية دالة على ثبوت الحقائق التي تُفصح عنها على خلاف البنى الفعلية، فـ"موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشئ من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شئٍ، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شئٍ".<sup>(1)</sup> ويرد هذا النسق التركيبي الفرعي في البنية الفعلية (المضارعية)، في هذا المقطع، لدالاتها على الحركة والتجدد الدائمين في مقابل البنية الاسمية الدالة على الثبات في المقطع السابق، فتمثل بنية التركيب الاسمي البسيط في السطر الأول من المقطع الثاني (العزوي صامد هناك) تعارضاً على مستوى الدلالة مع النسق التركيبي الاسمي البسيط في السطر الأول من المقطع الشعري الأول (الروس قادمون يا ابنتي)، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

((العزوي)) صامد هناك

على جواده

يعانق الأفلاك

يشد من عزيمة المجاهدين

يزلزل الصخور بالنداء

ويرشق المجون والجنون

يكشف سوءة العصور

وسبة الدهور

1-1-1-2- النسق التركيبي الفرعي الثاني (مبتدأ ضمير منفصل + خبر اسم ظاهر) معرفة/نكرة):

يتألف النسق التركيبي الفرعي الثاني من المبتدأ أو المسند إليه الذي يأخذ شكل الضمير المنفصل ومن الخبر أو المسند الذي يرد اسماً ظاهراً مفرداً نكرة أو معرفة أو شبه جملة، ويتواتر هذا النسق تأكيداً للمعنى وتقريراً له، فيأتي في المقطع الثاني من قصيدة (أنا المسلم) للقرضاوي حيث يشكل هذا النسق التركيبي بنية تكرارية، يقول الشاعر<sup>(3)</sup>:

أنا بالعدل والإحسان مأمور وأمر

أنا تبع لكل الناس بالخيرات فأور

رحيم القلب، لكنني على الطاغين جبار

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 123.

(2) نجيب الكيلاني: كيف أفاك، ص: 29.

(3) يوسف القرضاوي: نفحات ولفحات، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط: 1، 1422هـ-2001م، ص: 125.

أَنَا كَالْمَاءِ رَقْرَاقٌ أَنَا كَالسَّيْفِ بَتَّارٌ  
أَنَا نَجْمٌ أَنَا رَجْمٌ أَنَا نُورٌ أَنَا نَارٌ  
أَنَا الْمُسْلِمُ أَنَا الْمُسْلِمُ

تَقُومُ بِنِيَّةِ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ عَلَى الْمُبْتَدَأِ الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ (أنا) الَّذِي تَوَاتَرَ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَالْخَبَرِ الْإِسْمِ الظَّاهِرِ التَّكْرَرِ (مأمورٌ، نبعٌ، رَقْرَاقٌ، بَتَّارٌ، نَجْمٌ، رَجْمٌ، نُورٌ، نارٌ) أَوْ الْخَبَرِ الْمَعْرِفَةِ (المُسْلِمِ)، وَيَأْتِي الْمُبْتَدَأُ الضَّمِيرُ فِي السِّيَاقِ دَلَالًا عَلَى شَخْصِ الْمُسْلِمِ الْمَعْرُوفِ بِالـ(أَلِ) التَّعْرِيفِ (المُسْلِمِ)، وَالْمَعْرُوفِ بِتَكَرُّرِ لَفْظِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَالْمَعْرُوفِ، أَيْضًا، بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، وَيَنْهَضُ الضَّمِيرُ الْبَارِزُ الْمُنْفَصِلُ، بِهَذَا التَّوْظِيفِ، بِالتَّأْكِيدِ عَلَى الذَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - أَوْ الشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَأْمُورَةِ بِالْعَدْلِ وَالْأَمْرَةِ بِهِ، الْحَيْرَةِ، الرَّحِيمَةِ وَالْجَبَّارَةِ عَلَى الطَّاعِينَ - لِمَنْ لَا يَعْرِفُهَا جَهْلًا أَوْ تَحَاهُلًا، فَضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ (أنا) يَنْزَاحُ عَنْ مَعْنَاهُ لِأَصْلِيٍّ فِي الْإِشَارَةِ الْخَاصَّةِ إِلَى ذَاتِ (الشَّاعِرِ) - كَفَرْدٍ - وَشَخْصِيَّةِ إِلَى مَعْنَى أَوْسَعِ فِي الدَّلَالَةِ الْعَامَّةِ عَلَى ذَاتِ (المُسْلِمِ) وَشَخْصِيَّةِ كَجِنْسٍ أَوْ كَجَمَاعَةٍ.

وَنُجَسِّدُ بَعْضَ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةِ انْزِيَا حَا تَرْكِيبِيًّا يَخْرُقُ نَسَقَ التَّرَكِيبِ بِتَقْدِيمِ عَنَّاصِرٍ مِنَ الْبِنْيَةِ حَقُّهَا التَّأخِيرُ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَضْطَلِعُ الْانْزِيَا حُ التَّرَكِيبِيُّ بِوِظْفَةِ صَوْتِيَّةٍ، بِمَعْنَى أَنَّ الْانْزِيَا حَاتِ النَّيِّ تَحْدُثُ عَلَى مُسْتَوَى التَّرَكِيبِ لَا تُسَهِّمُ فِي خَلْخَلَةِ تَرْكِيبِيَّةِ حَسْبُ، وَإِنَّمَا فِي إِبْرَازِ سِمَةِ إِيقَاعِيَّةٍ يَفْتَضِيهَا الْبُعْدُ النَّعْمِيُّ فِي النَّصِّ". (1)  
فَشِبْهُ الْجُمْلَةِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْخَبَرِ الْمُسْتَنْدِ (مأمورٌ)، وَشِبْهُ الْجُمْلَةِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (بِالْحَيْرَاتِ) فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مُتَعَلِّقَةٌ بِالْخَبَرِ الْمُسْتَنْدِ (فَوَارٌ)، وَكَذَلِكَ (عَلَى الطَّاعِينَ) وَ(كَلْمَاءِ) وَ(كَالسَّيْفِ) فَهِيَ أَشْبَاهُ جُمْلٍ مُتَقَدِّمَةٍ وَيَقْتَضِي الْمِعْيَارُ اللَّغَوِيُّ تَأْخِيرَهَا، فَالرُّتْبَةُ الطَّبِيعِيَّةُ أَوْ (المِعْيَارِيَّةُ) فِي اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَتَّخِذُ النَّسَقَ الْآتِي فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ (الْفِعْلُ + الْفَاعِلُ + الْمَفْعُولُ) وَالنَّسَقُ الْآتِي فِي الْإِسْمِيَّةِ (الْمُبْتَدَأُ + الْخَبَرُ) وَ(الصِّفَةُ + الْمَوْصُوفُ)، وَفِي حَالَةٍ إِذَا مَا وَقَعَ غَيْرُ هَذَا التَّرْتِيبِ فَإِنَّ هُنَاكَ تَشْوِيشًا فِي الرُّتْبَةِ يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ. (2) وَأَيُّ تَعْيِيرٍ فِي النَّظَامِ التَّرَكِيبِيِّ لِلْجُمْلَةِ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ بِالضَّرُورَةِ تَعْيِيرُ الدَّلَالَةِ وَإِنْتِقَالُهَا مِنْ مُسْتَوَى إِلَى آخَرَ. (3) وَيُقْبَدُ الْانْزِيَا حُ فِي هَذِهِ الْبُنَى التَّخْصِصِ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ الَّتِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا تَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِ مُحَمَّدِ الْغَزَالِيِّ (1917م-1996م) فِي سِيَاقِ الْأَسَى وَالْحَسْرَةِ عَلَى مَالِ بَعْضِ الْأَحْرَارِ فِي مِصْرَ (4):

فِي الْأَسْرِ يِرْسُفُ فِي قِيُودِ مَهَانَةٍ      خَيْرُ النَّفُوسِ نُهْيٌ وَطِيبُ صَمَائِرِ  
فِي الْأَسْرِ مَا أَعْيَا وَقَدْ حَاطَتْ بِهِ      ظَلْمُ الْعَدِ الدَّاجِي وَظَلْمُ الْحَاضِرِ

(1) حسن ناظم : البنى الأسلوبية، ص: 167.

(2) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط: 3، يوليو 1992، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ص: 176.

(3) رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص: 331.

(4) محمد الغزالي: الحياة الأولى، ص: 158.

وَقَدْ شَكَّلَ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيَّ الإِسْمِيَّ فِيمَا تَقَدَّمَ نَسَقًا بِلَاغِيًّا قِوَامُهُ الصُّورَةُ التَّشْبِيهِيَّةُ الَّتِي يَقُومُ تَرْكِيبُهَا اللُّغَوِيُّ عَلَى "حُرُوتَيْنِ يُذَكِّرَانِ صِرَاحَةً أَوْ تَأْوِيلًا، وَلَتْنِ حُذْفِ أُسْلُوبِيًّا أَحَدُهُمَا لَقَدْ يُعَدُّ مَوْجُودًا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى. وَقَدْ اصْطَلَحَ التُّقَادُ وَالبَلَاغِيُّونَ عَلَى تَسْمِيَةِ لِكُلِّ مِنْ ذَيْنِكَ الْجُزْئَيْنِ فَالْأَوَّلُ: مُشَبَّهٌ وَالأخْرُ مُشَبَّهٌ بِهِ، لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِتِمًا يَقِفُ عِنْدَ طَرْفٍ أَوْ زَاوِيَةٍ وَمِنْهَا يُنْطَلَقُ إِلَى المُشَبَّهِ بِهِ يَحْمِلُ مِنْهُ لَوْنًا أَوْ شَكْلًا أَوْ حَرَكَةً أَوْ وَظِيفَةً فَتَتَّسِعُ النَّقْطَةُ أَوْ الزَّاوِيَةُ فِي تَجَرُّبَتِهِ تَنْوِيرًا أَوْ عُمُقًا". (1) فَبِنْيَةُ النَّسَقِ التَّشْبِيهِيَّ فِي:

أَنَا كَالْمَاءِ رَقْرَاقُ أَنَا كَالسَّيْفِ بَتَّارُ  
أَنَا نَجْمٌ أَنَا رَجْمٌ أَنَا نُورٌ أَنَا نَارُ

تُعْبَرُ عَنْ حَالِ الشَّاعِرِ أَوْ (المُسْلِمِ) فِي سَلْمِهِ وَفِي حَرَبِهِ وَفِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَمَوَاقِفِهِ، وَتَكْشِفُ عَنْ إِحْسَاسِهِ بِمَا فِي نَفْسِهِ، فَتَصِلُ أَدَاةُ الرِّبْطِ أَوْ التَّشْبِيهِ المَتَكَرِّرَةِ (الكَافِ) بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ مَوْقِعَةً التَّسَاوِيِ بَيْنَهُمَا، وَتُمَثِّلُ مُسَوِّغَ الرِّبْطِ فِي التَّرَكِيبَيْنِ الصَّفَتَانِ (رَقْرَاقُ) وَ(بَتَّارُ)، وَبِنْيَتَا التَّرَكِيبَيْنِ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ تَشْبِيهَانِ مُرْسَلَانِ مِنْ حَيْثُ ذِكْرُ الأَدَاةِ وَمُفْصَلَانِ مِنْ حَيْثُ ذِكْرُ وَجْهِ الشَّبَّهِ، أَمَا بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ فِي البَيْتِ الثَّانِي فَتَشْبِيهَاتٌ بَلِغَةٌ لِحَذْفِ الأَدَاةِ وَوَجْهِ الشَّبَّهِ مَعًا، وَتَكْمُنُ دَلَالَتُهَا فِي اتِّحَادِ طَرْفِي التَّشْبِيهِ (أَنَا/نَجْمٌ) وَ(أَنَا/رَجْمٌ) وَ(أَنَا/نُورٌ) وَ(أَنَا/نَارٌ). وَتَنْدَرِجُ وَظِيفَةُ التَّرَكِيبِ التَّشْبِيهِيَّ فِي "تَقْرِيرِ حَالِ المُشَبَّهِ حَتَّى تَتَّضِحَ صُورَتُهُ فِي النَّفْسِ، وَيَثْبُتَ فِي القَلْبِ ثُبُوتًا يَصِلُ بِكَ إِلَى اليَقِينِ". (2)

وَيُشَكِّلُ الجَارَ وَالْمَجْرُورَ (كَالمَاءِ/كَالسَّيْفِ) فِي البِنْيَةِ الإِسْمِيَّةِ السَّابِقَةِ اعْتِرَاضًا بَيْنَ المُبْتَدَأِ وَالأَخْبَارِ، وَيُجَسِّدُ "الرَّغْبَةَ فِي الإلتِزَامِ بِنَفْسِ التَّرَكِيبِ فِي شَطْرِي البَيْتِ، أَيْ أَنْ يَلْجَأَ الشَّاعِرُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الإِعْتِرَاضِ فِي صَدْرِ البَيْتِ ثُمَّ يَعُودُ وَيَلْتَزِمُ بِهِ فِي عَجْرِهِ فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى المُقَابَلَةِ فِي تَرْكِيبِ البَيْتِ، وَيَنْتُجُ عَنْهَا خَلْقُ نَعْمَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ تَقُومُ عَلَى التَّمَاثُلِ التَّرَكِيبِيِّ التَّامِّ بَيْنَ صَدْرِ البَيْتِ وَعَجْرِهِ". (3)

وَتَرْدُ بِنْيَةِ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الإِسْمِيِّ (مُبْتَدَأٌ+خَبْرٌ)، وَكِلَاهُمَا مُفْرَدٌ، وَالمُتَّصِدْرَةُ بِضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ (أَنَا) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي قَصِيدَةِ (خَوَاطِرِ سَجِينِ)، يَقُولُ نَجِيبُ الكِيلَانِي (4):

أَنَا ابْنُ النُّورِ وَالإِيمَانِ فِي لَيْلِ الأَسَى العَاتِي

وَيَقُولُ (5):

أَنَا الصَّامِدُ فِي النُّكْبَاءِ تَعْرِفُنِي مِيَادِينِي  
وَمِنْ شَوْكِ الأَسَى قَدْ نَبَّتْ رِيَاحِينِي

(1) فايز الداية: جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط: 2، 1416هـ-1996م، ص: 72.

(2) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع، ص: 116.

(3) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 179.

(4) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 63.

(5) المصدر نفسه، ص: 64.

أَنَا الْأَمَلُ الَّذِي يَخْفَقُ فِي أَرْضِ الْمَسَاكِينِ  
لَقَدْ سَارُوا عَلَيَّ أَثْرِي وَقَدْ طَرَبُوا لِتَلْحِينِي

وَتَرَدُّ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (1):

أَنَا حُرٌّ وَإِنْ شَابَتْ جَلَالَ الْعَيْشِ أَسْوَارُ  
فَذُلُّ الرَّاحَةِ الْخَرَسَاءِ إِنْهَاءً وَإِهْدَارُ  
سَاءْمُضِي رَغَمَ مَا أَلْقَاهُ، وَالْإِقْدَامُ إِصْرَارُ  
سَاءْمُضِي أَصْنَعُ التَّارِيخَ لَا أَعْنُو لِمَنْ جَارُوا

فَهَذِهِ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةُ، جَمِيعًا، تُوكِّدُ هُوِيَّةَ الْمُتَكَلِّمِ (ابْنِ الثُّورِ، الصَّامِدِ، الْأَمَلِ، الْحُرِّ)، وَتَكْشِفُ عَنِ الرَّؤْيَةِ الَّتِي  
يَنْطَلِقُ مِنْهَا وَالْأَفْقَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ، إِنَّهَا الرَّؤْيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي تُحْلِيهَا الْبُنْيَةُ الْإِسْمِيَّةُ (أَنَا الْمُهَاجِرِ الْمَعْبُرَةِ عَنِ  
الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ الْعَزِيزَةِ الَّتِي تَأْتِي الظُّلْمَ فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ) (2):

أَنَا الْمُهَاجِرُ مِنْ أَرْضٍ قَدْ احْتَرَقَتْ جَنَاتُهَا الْخَضْرُ مِنْ ظُلْمٍ وَطُعْيَانٍ  
سَافَرْتُ وَالرَّكْبُ خَاوٍ لَا مَتَاعَ بِهِ سِوَى دُمُوعِي وَأَهَاتِي وَأَحْزَانِي  
وَذِكْرِيَّاتٍ عَذَابٍ لِي مُؤَرِّقَةٍ وَظُلْمَةٍ خَلْفَ أَسْوَارٍ وَقُضْبَانٍ  
وَطُعْمَةٍ أَسْلَمْتُ لِلشَّرِّ مَقُودَهَا لَمْ تُعْطِ بَيْعَتَهَا إِلَّا لِشَيْطَانٍ

وَيَكْشِفُ عَنْهَا النَّسَقَ الْإِسْمِيَّ (أَنَا رَاحِلٌ) فِي هَذَا السِّيَاقِ (3):

دَقَّتْ طُبُولُ الْحَرْبِ وَالْهَيْجَاءِ أَنَا رَاحِلٌ لِلْسَّاحَةِ الْخَضْرَاءِ  
لِلنَّارِ.. لِلزَّحْفِ الْمَقْدَسِ.. لِلفَدَا كَيْمَا أَسْطَرَ عِزَّتِي بِدِمَائِي  
نَبْنِي عَلَى الْأَشْلَاءِ قَلْعَةً مَجْدَنَا وَأَضْحُ فِي جَنَابَاتِهَا بِنْدَائِي

وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ تَكَرُّرَ نَسَقِ تَرْكِيْبِيٍّ مُحَدَّدٍ مِنَ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةِ يَأْتِي تَعْضِيدًا وَإِشْبَاعًا لِلنَّسَقِ الْأَوَّلِ الَّذِي يُعَدُّ  
النَّوَاةَ التَّرْكِيبِيَّةَ وَالذَّلَالِيَّةَ الَّتِي تَتَوَلَّدُ عَلَى مَنَوَالِهَا الْبُنَى الْمُتَكَرِّرَةُ، وَتَحْمِلُ الْبُنْيَةَ (النَّوَاةَ) الْأَسَاسَ أَصْلَ الْمَعْنَى الَّذِي  
تَتَوَسَّعُ فِيهِ الْبُنَى الْمُوَازِيَّةَ اللَّاحِقَةَ، وَمِنْ ثَمَّ يَأْتِي هَذَا النَّسَقُ الْمَكَرَّرُ تَكْرِيْسًا لِلذَّلَالَةِ الْأُولَى بِطَرِيقَةٍ مِنَ الطَّرُقِ.

وَيَخْتَلِفُ الضَّمِيرُ فِي الْبُنْيَةِ التَّالِيَةِ مِنَ التَّكَلِّمِ إِلَى الْخِطَابِ، فَيَرِدُ ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ (أَنْتَ) مُشَارًا بِهِ إِلَى

الرَّسُولِ ﷺ فِي سِيَاقٍ مَدْحِيٍّ، يَقُولُ نَجِيبُ الْكَيْلَانِي فِي مُسْتَهْلٍ قَصِيدَةٍ (يَا رَسُولَ اللَّهِ) (4):

أَنْتَ الْجَوَادُ وَأَنْتَ رَبُّ الْمَنْزِلِ حَيِّتَ مِنْ نَدْبِ كَرِيمِ الْمُؤَلِّ  
يُمْنَاكَ فَيَضُّ الْبَحْرُ فِي آلَائِهِ وَالْبِرُّ وَالنُّعْمَى تَوَتْ فِي الشَّمَالِ

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) نجيب الكيلاني: مدينة الكباير، ص: 53.

(3) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 67.

(4) نجيب الكيلاني: مدينة الكباير، ص: 77.

فَرَكْنَا بِنِيَّةِ الْإِسْمِيَّةِ (أَنْتَ الْجَوَادُ) مَعْرِفَتَانِ، فَالْمُسْتَدُّ إِلَيْهِ ضَمِيرٌ وَالْمُسْتَدُّ مَعْرَفٌ بِ(أَلِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَوْنِهِ وَحَدَهُ الْمَوْصُوفَ بِالْجَوَادِ الَّذِي لَا يَصْدُقُ عَلَى غَيْرِهِ لِأَنَّ الْخَيْرَ إِذَا كَانَ "مَعْرَفًا" بِ(أَلِ)؛ فَقَدْ يُفِيدُ الْقَصْرَ الْحَقِيقِيَّ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْخَيْرُ خَاصًّا بِالْمُبْتَدَأِ، لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ. (1) وَقَدْ يَكُونُ التَّعْرِيفُ بِ(أَلِ) فِي هَذَا السِّيَاقِ لِبَيَانِ كَمَالِ الْوَصْفِ (2)؛ أَيَّ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ الْكَامِلُ فِي الْجَوَادِ الْحَرِيِّ بِهَذَا الْوَصْفِ. وَالْمُسْتَدُّ فِي (أَنْتَ رَبُّ الْمَنْزِلِ) مَعْرَفٌ بِالْإِضَافَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّشْرِيفِ.

وَيَضُمُّ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيَّ الْآتِيَّ بِنِيَّةِ تَرْكِيْبِ اسْمِيٍّ مُجَرَّدٍ تَتَأَلَّفُ مِنَ الْمُبْتَدَأِ الْمَعْرَفِ بِالْإِضْمَارِ (هُم) وَالْخَيْرِ الْمَعْرَفِ بِالْإِضَافَةِ (مَصَابِيحُ جِهَادٍ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

قُلْتُ لِلشَّادِي بِأَشْعَارِ الرَّبَابَةِ  
ارْوُ لِلْأَجْيَالِ عَنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ  
عَنْ رِجَالٍ أَرْخَصُوا أَرْوَاحَهُمْ  
هُمْ مَصَابِيحُ جِهَادٍ وَإِنَابِهِ

وَهَكَذَا تَتَحَوَّلُ بِنِيَّةِ إِلَى الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ ضَمِيرُ الْغَيْبَةِ (هُم)، وَمَرْجِعُهُ وَاضِحٌ فِي السِّيَاقِ الْمَدْحِيِّ يَتِمَثَّلُ فِي (الصَّحَابَةِ) تَحْدِيدًا دُونَ أَنْ يَتَطَرَّقَ الشَّكُّ فِي مَرْجِعِيَّةِ الضَّمِيرِ فَيَلْتَبَسُ وَيَنْقَلِبُ الْمَدْحُ إِلَى أَشْخَاصٍ غَيْرِ مُحَدَّدِينَ.

### 1-1-1-3- النِّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ الْفَرْعِيُّ الثَّلَاثُ (خَيْرٌ مُقَدَّمٌ + مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ):

يَتَأَلَّفُ هَذَا النَّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ مِنَ الْمُسْتَدِّ الْخَيْرِ الْمُقَدَّمِ (قُدْوَةٌ) وَالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ الْمُبْتَدَأُ (أَنْتَ) الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ الْمُوَخَّرِ، وَيَرِدُ النَّسْقُ الْإِسْمِيُّ مُتَضَافِرًا مَعَ أَنْسَاقِ اسْمِيَّةٍ بَسِيْطَةٍ أُخْرَى لِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّيِّ، وَيَتَحَوَّلُ الشَّاعِرُ مِنْ مُخَاطَبَةِ الرَّسُولِ ﷺ الَّذِي يُبْرِزُهُ ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ فِي شَكْلِيَّةٍ مُنْفَصِلًا (أَنْتَ) وَمُتَّصِلًا (كَ) إِلَى مُخَاطَبَةِ النَّفْسِ الَّذِي يُبْرِزُهُ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْمُتَّصِلِ (نَا)، يَقُولُ نَجِيبُ الْكِيْلَانِي (4):

قُدْوَةٌ أَنْتَ وَ(الْكِتَابُ) دَلِيلٌ  
عِيدٌ مِيْلَادِكَ الْحَبِيبُ نِدَاءٌ  
إِنْ أَرَدْنَا تَحَرُّرًا وَنَجَاءً  
أَتَرَانَا نُجِيبُ ذَلِكَ النِّدَاءُ؟

وَيَأْخُذُ كُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْخِطَابِ حَيْزَهُ مِنَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ، فَخِطَابُ الرَّسُولِ يَحْتَلُّ الشُّطْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنَ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ، وَيَحْتَلُّ خِطَابُ النَّفْسِ وَ(الْجَمَاعَةِ) الشُّطْرَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ مِنَ الْمَقْطَعِ، وَيَتَشَكَّلُ الْخِطَابُ الْأَوَّلُ مِنْ بَنِيَاتٍ اسْمِيَّةٍ دَالَّةٍ عَلَى الثَّبَاتِ، بَيْنَمَا يَتَشَكَّلُ الثَّانِي مِنْ بَنِيَاتٍ فِعْلِيَّةٍ دَالَّةٍ عَلَى الْحَرَكَةِ، فَالْتَّفُوسُ فِي حَاجَةِ إِلَى الْحَرَكَةِ لَتَرْتَقِي إِلَى مُسْتَوَى الرَّسُولِ الْقُدْوَةِ فِي الْخِطَابِ الْأَوَّلِ.

(1) فضل حسن عباس: البلاغة، فنونها وأفانها، علم المعاني، ص: 337.

(2) المرجع نفسه، ص: 337.

(3) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 26.

(4) نجيب الكيلاني: مدينة الكباير، ص: 89.

وَتَكْمُنُ قِيَمَةُ الْإِنْتِقَالِ مِنْ خِطَابٍ إِلَى آخَرَ أَوْ (الْإِنْفَاتِ) فِيمَا يُحَقِّقُهُ مِنْ تَوْسِعٍ دَلَالِيٍّ وَتَلْوِينٍ شُعُورِيٍّ مِنْ خِلَالِ عُدُولِهِ عَنِ الْخِطَابِ إِلَى التَّكَلُّمِ وَتَحْوِيلِهِ مِنْ سِيَاقٍ شِعْرِيٍّ إِلَى آخَرَ.

وَيَأْتِي النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الْإِسْمِيُّ الْبَسِيطُ الْمُنْزَاحُ (خَبَرٌ + مُبْتَدَأٌ) تَخْصِيصًا لِلْمُسْنَدِ (مُسْلِمٌ) وَتَمْيِيزًا لَهُ فِي (مُسْلِمٌ أَنْتَ) مُكْرَسًا دَلَالَةً الْمُسْنَدِ الْمُتَحَقِّقَةَ فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْمُبْتَدَأُ (أَنْتَ)، فَتَعُدُّ الْبِنْيَةَ الْإِسْمِيَّةَ نَوَاطِئَ الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ الَّتِي تُرْفَدُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُحِيطَةُ بِهَا بِالطَّاقَةِ وَالْقُوَّةِ، فَالْمُسْلِمُ مُقَدَّمٌ دَاعِيَةٌ إِلَى الْحَقِّ مُزْهِقٌ لِلْبَاطِلِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

قُلْتُ لِلْوَاعِظِ وَالرُّعْبِ وَرَأَاهُ  
أَدْعُ لِلْحَقِّ وَرَتَّلْ مَا تَشَاوَاهُ  
مُسْلِمٌ أَنْتَ فَلَا تَخْشَى الرَّدَى  
وَأَمَحُ بِالصِّدْقِ خُرَافَاتِ الْبِدَآءِ

1-1-1-4- النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفَرْعِيُّ الرَّابِعُ (خَبَرٌ مُقَدَّمٌ شَبْهُ جُمْلَةٍ) + مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ (نَكْرَةٌ/مَعْرِفَةٌ):

تَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النَّسَقِ الْمَوْصُوفِ مِنْ تَرْكِيْبِ اسْمِيٍّ بَسِيطٍ يَضُمُّ خَبْرًا شَبْهُ جُمْلَةٍ وَمُبْتَدَأً مُؤَخَّرًا، وَتَرْدُ فِي الْمَقْطَعِ الْآتِي مُنْزَاحَةً عَنِ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الَّذِي يُمَيِّزُ الْبِنْيَةَ الْإِسْمِيَّةَ فِيهِ، فَغَيْرُهَا مِنَ الْبِنْيَةِ يُوَافِقُ فِي تَرْتِيبِ عَنَاصِرِهِ الْمَعْيَارِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ، وَهِيَ بِالذَّلَالَةِ الَّتِي تُوحِي بِهَا مُتَمَيِّزَةٌ فِي السِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ وَالشُّعْرِيِّ، فَبِنْيَةٌ (فِي خَيْبَرٍ مَلِيُونَ قَبْرٍ) تُبَيِّنُ مُقَدَّارَ التَّضْحِيَّةِ طَاعَةً لِلَّهِ وَنُصْرَةً لِلْإِنْسَانِ زِيَادَةً فِي التَّخْصِيصِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

تَارِيحُنَا مَعَارِكُ مُزَلِّلَةٌ  
وَمَجْدُنَا مَلَا حِمٌّ مُطَوَّلَةٌ  
مِنْ أَجْلِ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ  
مِنْ أَجْلِ نُصْرَةِ الْإِنْسَانِ  
فِي خَيْبَرٍ مَلِيُونَ قَبْرٍ  
وَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ مُتَّسِعٌ  
لِسَحْقِ كُلِّ غَادِرٍ وَغَرٍ

تُشَكِّلُ الْجُمْلَةُ الشُّعْرِيَّةُ فِي الْمَقْطَعِ الْآتِي أَنْسَاقًا تَرْكِيبِيَّةً اسْمِيَّةً مُجَرَّدَةً، يَتَأَلَّفُ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ فِيهَا مِنْ خَبَرٍ شَبْهُ جُمْلَةٍ مُقَدَّمٍ وَمُبْتَدَأٍ نَكْرَةٍ مُؤَخَّرٍ، فَهِيَ بِنْيَاتٌ مُنْتَظِمَةٌ عَلَى النَّسَقِ الْمُنْزَاحِ (خَبَرٌ + مُبْتَدَأٌ) لِأَجْلِ تَخْصِيصِ الْمُسْنَدِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (فِي حَنَايَاكَ/بِعَيْنَيْكَ/بِكَفَيْكَ)، يَقُولُ الْكِيْلَانِي فِي قَصِيدَتِهِ (رِسَالَةٌ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ الْأَفْغَانِي)<sup>(3)</sup>:

أَيُّهَا الرَّأكِضُ فِي دُنْيَا الْفِكْرِ صَائِبُ الْآرَاءِ كَالسَّيْفِ الْأَغْرَ

(1) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 25.

(2) المصدر نفسه، ص: 30.

(3) المصدر نفسه، ص: 32.

فِي حَنَائِكَ فُوَادُ ذَاكِرٌ وَبِعَيْنَيْكَ بَرِيقٌ لَا يَقْرُ  
وَبِكَفَيْكَ كِتَابٌ خَالِدٌ عَامِرٌ بِالْحَقِّ وَالْآيِ الْأَخْرُ  
دِينُنَا عَدْلٌ وَحُبٌّ وَهُدًى وَجِهَادٌ دَائِمٌ لَا يَنْحَسِرُ  
يَا جَمَالَ الدِّينِ يَا رَمَزَ التَّقَى قُمْ وَرَدِّدْ بَيْنَنَا تِلْكَ الْغُرُ

وَتَشَكَّلْ هَذِهِ الْبُنَى مِنْ خِلَالِ انْتِظَامِ عَنَاصِرِهَا جُمْلًا مُتَوَازِيَةً، وَالْمُرَادُ بِالْجُمْلِ الْمَتَوَازِيَةِ الْجُمْلُ الَّتِي يَقُومُ  
الْأَدِيبُ بِتَقْطِيعِهَا تَقْطِيعًا مُتَسَاوِيًا حَيْثُ تَتَّفَقُ فِي الْبِنَاءِ النَّحْوِيِّ اتِّفَاقًا تَامًا، وَسَوَاءٌ اتَّفَقَتْ هَذِهِ الْجُمْلُ فِي الدَّلَالَةِ أَمْ  
لَمْ تَتَّفَقْ فَالْمَهْمُ هُوَ تَطَابُقُهَا التَّامُ فِي الْبِنَاءِ النَّحْوِيِّ. (1) فَالْبُنَى الْآتِيَةُ مُتَوَازِيَةٌ لِاتِّفَاقِهَا فِي بِنَائِهَا النَّحْوِيِّ الَّتِي يَتَّخِذُ  
النَّسَقَ (حَرْفٌ جَرٌّ + اسْمٌ مَجْرُورٌ مُضَافٌ + ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ) + مُبْتَدَأٌ (اسْمٌ نَكْرَةٌ + صِفَةٌ).

وَيَنْتُجُ عَنْ هَذَا التَّنْسِيقِ وَالتَّوَاتُرِ أَثَرٌ إِيقَاعِيٌّ بَارِزٌ فِي التَّرْكِيبِ يَخْدُمُ الْبِنْيَةَ الشُّعْرِيَّةَ:

فِي حَنَائِكَ / فُوَادُ / ذَاكِرٌ (صِفَةٌ مُفْرَدَةٌ)  
وَبِعَيْنَيْكَ / بَرِيقٌ / لَا يَقْرُ (جُمْلَةٌ صِفَةٌ)  
وَبِكَفَيْكَ / كِتَابٌ / خَالِدٌ (صِفَةٌ مُفْرَدَةٌ)

إِنَّ كَثَافَةَ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةِ الْمُنزَاحَةَ فِي إِطَارِ الشَّكْلِ السَّابِقِ تُحَوِّلُهَا إِلَى سِمَةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ تَرْكِيْبِيَّةٍ إِيقَاعِيَّةٍ تُمَيِّزُ بِنْيَةَ  
التَّرْكِيبِ فِي الْقَصِيدَةِ، فَهِيَ تَتَرَدَّدُ فِي قَصِيدَةِ (بُكَاءٌ عَلَى الْأَطْلَالِ) كَقَوْلِ الشَّاعِرِ (2):

وَلِلْأَحْرَارِ وَثَبٌ لَا يُبَارَى وَالسِّنَةُ السُّيُوفِ هِيَ الصَّلِيلُ

وَفِي قَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةِ (الْقَمَرِ) (3):

لَمْ أَزَلْ أُرَاقِبُ الدُّجَى وَأُنَادِيكَ يَا قَمَرَ  
أَنْتَ رَمَزٌ مُقَدَّسٌ لَسْتُ يَا بَدْرٌ مِنْ حَجَرٍ  
فِيكَ طَهْرٌ وَعِفَّةٌ وَتَعَالٍ بِهِ خَفَرٌ  
مَنْبَعُ النُّورِ وَالْمُهْدَى أَنْتَ وَالشُّعْرُ وَالْغُرُ

وَتَتَرَدَّدُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ الْمُنزَاحَةُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ كَتَرَدُّدِهَا فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ، فَيَخْتَارُ الرَّبَاوِيُّ هَذَا النَّسَقَ  
التَّرْكِيبِيَّ الْمُتَمَيِّزَ فِي بِنَاءِ جُمْلَتِهِ الشُّعْرِيَّةِ، فَيَرِدُ النَّسَقُ (لَكَ الْحَمْدُ) مُتَكَرِّرًا وَدَالًا عَلَى تَخْصِيصِ الْمُسْتَدِ (لَكَ) بِالْمُسْتَدِ  
إِلَيْهِ (الْحَمْدُ) فِي سَطُورِ الْمَقْطَعِ السَّادِسِ مِنْ قَصِيدَةِ (مَدَدٌ مِنْ مَشْكَاتِ الْعَيْبِ) (4):

لَكَ الْحَمْدُ إِذْ تُعْطَى

(1) رجب عبد الجواد إبراهيم: موسيقى اللغة، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، (د، ط)، 1423هـ-2003م، ص: 67.

(2) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 40.

(3) المصدر نفسه، ص: 46.

(4) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 43.

لَكَ الْحَمْدُ إِذْ تَمَنَّعَ  
أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي  
فَمَا شِئْتَ بِي فَاصْنَعْ  
لَكَ الْحَمْدُ إِذْ تَعُضِبُ  
وَلَكِنِّي، وَالذَّنْبُ يُزْهِرُ فِي قَلْبِي  
أَمْدٌ ذُمُوعِي نَحْوَ عَرْشِكَ مَدًّا، إِذْ  
أَنَا عَبْدُكَ الْمَلْحَاحُ، فِي عَفْوِكَ الْمَشُورِ  
كَالثُّورِ يَا مَوْلَايَ هَا إِنِّي أَطْمَعُ  
لَكَ الْحَمْدُ إِذْ تُعْطِي،  
لَكَ الْحَمْدُ إِذْ تَمَنَّعَ،  
لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ..  
لَكَ الْحَمْدُ كُلَّ الْحَمْدِ.

إنَّ تَقْدِيمَ الْمُسْتَدِّ شِبْهَ الْجُمْلَةِ (لَكَ) عَلَى الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ (الْحَمْدُ) يُشَكِّلُ طَرِيقَةً مِنَ الطَّرِيقِ الدَّالَّةِ عَلَى الْقَصْرِ، وَهِيَ تَقْدِيمُ مَا حَقَّهُ التَّأخِيرُ<sup>(1)</sup>، فَيَتَحَوَّلُ الْعُنْصُرُ الْمُقَدَّمُ إِلَى مَقْصُورٍ عَلَيْهِ وَالْمُؤَخَّرُ إِلَى مَقْصُورٍ وَتَتَحَوَّلُ مَعَ هَذَا الْإِنْزِيَا حُ بِنِيَّةِ التَّرْكِيبِ الْإِسْمِيِّ إِلَى بِنِيَّةِ قَصْرِ، وَتَتَحَدَّدُ وَظَيْفَتُهَا فِي "تَخْصِيصِ أَمْرٍ بِأَمْرٍ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ".<sup>(2)</sup> وَيُلْحُ الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ بِنِيَّةِ الْقَصْرِ التَّكْرَارِيَّةِ (لَكَ الْحَمْدُ) عَلَى جَعْلِ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَحَدِّهِ فِي حَالِي الْعَطَاءِ وَالْمَنَعِ وَفِي حَالِ الْعُضْبِ، وَتَشِي الْبِنِيَّةُ فِي سِيَاقِهَا الشَّعْرِيِّ بِرِضَا الشَّاعِرِ وَتَسْلِيمِهِ بِقَضَاءِ مَوْلَاهُ، إِنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأخِيرَ كَسِمَةِ أُسْلُوبِيَّةٍ كَانَتْ وَكُنَّ يَبْرَحُ وَرَاءَ الْكَثِيرِ مِنْ عِبْرِيَّةِ الْأُسْلُوبِ وَحَيَوِيَّتِهِ، فَهُوَ فِي الْحَقِّ طَاقَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ ذَاتُ مَعِينٍ لَا يَنْضَبُ، وَفِيهِ تَجَلَّى إِمْكَانَاتُ الْمُبْدَعِ فِي الصِّيَاغَةِ وَالتَّعْبِيرِ".<sup>(3)</sup> وَهَذَا مَا نَلْحَظُهُ فِي قَصِيدَةِ (ابْتِهَالَاتٍ فِي زَمَنِ الْعُرْبَةِ) إِذْ يُشَكِّلُ (التَّقْدِيمَ وَالتَّأخِيرَ) أَنْزِيَا حًا تَرْكِيبِيًّا يَدْخُلُ فِي صَمِيمِ عَمَلِيَّةِ تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَيَمْنَحُهَا، مِنْ خِلَالِ زَحْزَحَةِ الْعُنَا صِرٍ عَنْ مَوَاقِعِهَا الَّتِي يُثَبِّتُهَا الْمِعْيَارُ اللُّغَوِيُّ، شَعْرِيَّةً لَا تَكُونُ لَهَا لَوْ عَادَتْ الْعُنَا صِرُ إِلَى مَوَاقِعِهَا وَرَتَّبَهَا الْأَصْلِيَّةِ، فَنَسَقُ (التَّقْدِيمَ وَالتَّأخِيرَ)، بِأَنْوَاعِهِ، يُصِيبُ تَسْعِينَ بِالْمِئَةِ مِنْ بَنَى الْقَصِيدَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ، وَيُهَيِّمُنُ عَلَيْهَا تَقْدِيمُ (الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ) مِثْلَمَا يَظْهَرُ فِي الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ الْأَخِيرِ، يَقُولُ عِمَادُ الدِّينِ خَلِيلٌ<sup>(4)</sup>:

لَكَ الْحَمْدُ فِي كُلِّ طَلْعَةٍ فَجْرٍ      وَفِي اللَّيْلِ إِذْ يُرْتَجَى لِمَا بَ  
لَكَ الْحَمْدُ فِي كُلِّ رَفَّةٍ غُصْنٍ      وَفِي الرِّيحِ إِذْ حُمِلَتْ بِسَحَابِ

(1) فضل حسن عباس: البلاغة، فنونها وأفانها، علم المعاني، ص: 381.

(2) المرجع نفسه، ص: 372.

(3) أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، ص: 174.

(4) عماد الدين خليل: ابتهالات في زمن الغربة، ص: 13.

لَكَ الْحَمْدُ مَا أَدْلَجَ الْمُبْحَرُونَ وَمَا انْسَرَبَتْ سُفُنٌ فِي عُبَابِ  
لَكَ الْحَمْدُ مَا اخْضَرَ هَذَا الْوُجُودُ وَمَا ازْدَهَتْ الْأَرْضُ بَعْدَ يِيَابِ  
لَكَ الْحَمْدُ فِي الْبَدءِ وَالْمُنْتَهَى عَلَى هَيْنٍ فِي السَّرَى أَوْ صَعَابِ

فَتَقَدَّمَ الْمُسْتَدَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي الْبِنْيَةِ الْإِسْمِيَّةِ (لَكَ الْحَمْدُ) الْمَكْرَرَةَ خَمْسَ مَرَّاتٍ يُمَثِّلُ بِنْيَةَ قَصْرٍ، وَيَعْمَلُ عَلَى تَوْكِيدِ الْمَعْنَى، إِذِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ الْهَيِّنَةِ وَالصَّعْبَةِ وَفِي كُلِّ الظَّرُوفِ الْيَسِيرَةِ وَالْعَسِيرَةِ. وَيَحْمِلُ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْإِنْزِيَاخِ قِيَمَةً دِلَالِيَّةً نَفْسِيَّةً تَكْشِفُ عَنْ مَنَانَةِ الْإِيمَانِ وَصَلَابَةِ الْعَقِيدَةِ فِي قَلْبِ الشَّاعِرِ مِمَّا يَجْعَلُهُ يَخْصُ اللَّهَ بِالْحَمْدِ بِكُلِّ حَمْدٍ وَيُفْرِدُهُ بِكُلِّ ثَنَاءٍ. وَيُصَنَّفُ (التَّقْدِيمُ) وَالتَّأخِيرُ فِي الْقَصِيدَةِ السَّابِقَةِ ضِمْنَ الْإِنْزِيَاخَاتِ الْمَوْضِعِيَّةِ تَبَعًا لِدَرَجَةِ انْتِشَارِهِ فِي الْقَصِيدَةِ، فَالْإِنْزِيَاخُ الْمَوْضِعِيُّ يُؤَثِّرُ فَحَسْبُ عَلَى نِسْبَةِ مَحْدُودَةٍ مِنَ السِّيَاقِ". (1) وَيَعْضُدُ النَّسَقُ الْإِنْزِيَاخِيَّ الْمَوْضِعِيَّ الَّذِي تُحَسِّدُهُ الْبِنْيَةُ الْإِنْزِيَاخِيَّةُ (التَّقْدِيمُ) وَالتَّأخِيرُ) نَسَقًا تَرْكِيبِيًّا أَنْزِيَاخِيًّا يُوصَفُ بِأَنَّهُ أَنْزِيَاخٌ شَامِلٌ وَيُؤَثِّرُ عَلَى النَّصِّ بِأَكْمَلِهِ، وَتُمَثِّلُهُ مُعَدَّلَاتُ التَّكْرَارِ الشَّدِيدَةِ الْارْتِفَاعِ أَوْ الْإِنْخِفَاضِ لِوَحْدَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي النَّصِّ، وَيُمْكِنُ رَصْدُهُ بِشَكْلِ عَامٍّ عَنْ طَرِيقِ الْإِحْصَائِيَّةِ. (2) فَالْبِنْيَةُ الْإِسْمِيَّةُ (لَكَ الْحَمْدُ) تَتَكَرَّرُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي صَدْرِ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ، وَتَتَكَرَّرُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الَّتِي يَتَقَدَّمُ فِيهَا الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (بِغَيْرِكَ) عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي صَدْرِ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الْمَقْطَعِ الثَّانِي، فَضْلًا عَنْ تَكَرُّرِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ (أَعُوذُ إِلَيْكَ) خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي صَدْرِ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ وَالْبِنْيَةِ (تَبَارَكْتَ) خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي صَدْرِ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الْمَقْطَعِ الرَّابِعِ. وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ الْبِنْيَةَ تُسَنِّمُهُمْ فِي لَفْتِ انْتِبَاهِ الْمُتَلَقِّي وَإِتَارَتِهِ وَمُفَاجَأَتِهِ بِتَنَوُّعِهَا الْمَقْطَعِيِّ وَتَكَرُّرِهَا وَتُوْدِي مَعَانِي الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

#### 1-1-1-5- التَّسَقُّ التَّرْكِيبِيُّ الْفَرَعِيُّ الْخَامِسُ (مُبْتَدَأُ ضَمِيرٍ مُنْفَصِلٍ) + خَبَرٍ (جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ):

تَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرْكِيبِيِّ الْإِسْمِيِّ، هُنَا، مِنْ مُبْتَدَأٍ (ضَمِيرٍ مُتَكَلِّمٍ) وَخَبَرٍ (جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ)، وَيَتَكَرَّرُ هَذَا النَّسَقُ الْإِسْمِيُّ فِي بِنْيَتَيْنِ مُتَوَازِيَتَيْنِ تَتَفَقُّ بَعْضُ عَنَاصِرِهِمَا وَظَيْفَةٌ وَرُبَّةٌ وَيَخْتَلِفُ الْبَعْضُ الْآخَرُ، يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَشْمَاوِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ (لَا تُرِيقِي الصَّبْرَ) (3):

لَا تُرِيقِي الصَّبْرَ فَالْإِلُّ الَّذِي طَالَ بِالْأُمَّةِ يَتْلُوهُ الصَّبَاحُ  
أَنَا لَا أَنْكُرُ مَا تَلَّقَيْتَهُ فِي خِصْمِ الْحَرْبِ مِنْ سُوءِ اجْتِيَاخِ  
أَنَا لَا أَنْكُرُ مَا يُشْعَلُهُ دَمٌ طِفْلٍ مِنْ أَنْيْنٍ وَنَوَاحِ  
فِي دَمِي نَارٌ يُلْظِيهَا الْأَسَى أَلْهَبْتَنِي فِي غُدُوِّي وَالرَّوَاخِ

(1) يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط: 1، 1427هـ-2007م، ص: 187.

(2) المرجع نفسه، ص: 187.

(3) عبد الرحمن العشماوي: القدس أنت، ص: 192.

وَيُمْكِنُ وَصْفُ بِنْيَةِ النَّسَقَيْنِ التَّرَكِيبِيَّيْنِ وَتَمَثِيلُهَا بِالطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ الْمَحَدَّدَةِ لِعَنَاصِرِهَا اللَّسَانِيَّةِ:  
 الْبِنْيَةُ = مُ (ضَمِير) + خَ جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ (نَفْي) + فِعْلٌ مُضَارِعٌ + مَ بِهِ (اسْمُ مَوْصُول) + جُمْلَةٌ صِلَةٌ الْمَوْصُولِ.

ت 1 = أنا + خ (لَا + أَنْكِرُ + مَا + تَلْقَيْنَهُ...).

ت 2 = أنا + خ (لَا + أَنْكِرُ + مَا + يُشْعَلُهُ...).

وَلَعَلَّ تَكَرُّرَ الْقَالِبِ التَّحْوِيِّ بِمَكُونَاتِهِ فِي النَّسَقَيْنِ التَّرَكِيبِيَّيْنِ يَعْكِسُ إِفْرَارًا بِمَا تَلْقَاهُ الْمَرْأَةُ الْفِلِسْطِينِيَّةُ مِنْ أَهْوَالٍ وَإِفْرَارًا بِمَا يُكَابِدُهُ الطِّفْلُ الْفِلِسْطِينِيُّ مِنْ مُعَانَاةٍ.

#### 1-1-1-6- التَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفَرَعِيُّ السَّادِسُ (مُبْتَدَأُ) (مَحذُوفٌ) (+خَبَرٌ):

يَتَمَيَّزُ هَذَا التَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفَرَعِيُّ عَمَّا سَبَقَ بِحَذْفِ أَحَدِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ يُحَذَفُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ أَوْ الْمُبْتَدَأُ وَيُذَكَّرُ الْمُسْنَدُ أَوْ الْخَبَرُ، وَيُعَدُّ (الْحَذْفُ) صُورَةً مِنْ صُورِ الْإِنْزِيَاكِ التَّرَكِيبِيِّ فِي الْبِنْيَةِ الشَّعْرِيَّةِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الشَّعْرَ مَوْطِنُ الْإِنْزِيَاكِ عَنِ الْمَعْيَارِيَّةِ وَهُوَ فِي حَقِيقَتِهِ خُرُوجٌ عَنِ اللَّغَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي حَيَاةِ الْمُتَكَلِّمِينَ،<sup>(1)</sup> وَتَتَأَكَّدُ أَهْمِيَّةُ (الْحَذْفِ) مِنْ حَيْثُ طَافَتْهُ الْإِيْحَاتِيَّةُ وَقُدْرَتُهُ التَّعْبِيرِيَّةُ، فَالْأَسَاسُ الْعَامُّ لِمَفْهُومِهِ أَنْ يُنْطَلِقَ مِنَ الْحَاجَةِ الْفَنِيَّةِ لِلْمُعَبَّرِ فِي اسْتِخْدَامِ هَذَا التَّسْقِ مِنَ الْأَدَاءِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْعُدُولُ عَنْهُ إِفْسَادًا لَهُ.<sup>(2)</sup> وَقَدْ أَشَارَ الْجُرْجَانِيُّ إِلَى أَنَّ (الْحَذْفَ) "بَابٌ دَقِيقُ الْمَسَلِكِ، لَطِيفُ الْمَأْخِذِ، عَجِيبُ الْأَمْرِ، شَبِيهُ بِالسَّحْرِ، فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَرْكَ الذِّكْرِ، أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، وَالصَّمْتُ عَنِ الْإِفَادَةِ، أَزِيدُ لِلْإِفَادَةِ، وَتَحَدُّكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَنْتَ مَا تَكُونُ بَيَانًا إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ، وَهَذِهِ جُمْلَةٌ قَدْ تُنْكَرُهَا حَتَّى تُخْبِرَ، وَتَدْفَعُهَا حَتَّى تَنْظُرَ".<sup>(3)</sup> وَتَتَّبِعُ بِنْيَةُ التَّرَكِيبِ الْمُنْرَاحِ بِالْحَذْفِ فِي هَذَا التَّسْقِ التَّرْتِيبَ الْإِعْتِيََادِيَّ لِنِظَامِ الْجُمْلَةِ، وَمِنْ السِّيَاقَاتِ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا النَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْإِسْمِيُّ الَّذِي حُذِفَ فِيهِ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ (الْمُبْتَدَأُ) قَصِيدَةُ (زُرْنَانَتِي) الَّتِي يَقُولُ فِيهَا يُوسُفُ الْقِرْضَاوِيُّ<sup>(4)</sup>:

دَارٌ حَلَلْتُ بِهَا أَزَارُ وَأُخْدَمُ      وَنَزَلْتُهَا ضَيْفًا أُعْزُّ وَأُكْرَمُ!  
 هِيَ عَلَّمْتَنِي الزُّهْدَ فِي مَتْعِ الْوَرَى      وَالْمَرْءُ حَتَّى مَوْتِهِ يَتَعَلَّمُ  
 إِنْ قِيلَ: مُوحِشَةٌ، فَأَنْسِي مُصْحَفٌ      أَتْلُوهُ، يَهْدِي لِتِي هِيَ أَقْوَمُ  
 أَوْ قِيلَ: مُعْتَمَةٌ، فَلَيْسَ بِمُعْتَمٍ      عِنْدِي سِوَى قَلْبٍ يَعِيثُ وَيُجْرَمُ  
 أَوْ قِيلَ: مُغْلَقَةٌ، فَذَا كَيْلًا أَرَى      وَجَهَا عَبُوسًا أَوْ لِسَانًا يَشْتُمُ  
 أَوْ قِيلَ: ضَيْفَةٌ فَكُلُّ حَوَائِجِي      فِي الرُّكْنِ، وَالْبَاقِي فَضَاءٌ يَعْظُمُ!

(1) يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، ص: 189.

(2) محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية للنشر لوخممان، مصر، ط: 1، 1994، ص: 313.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 106.

(4) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 11.

فَقَدْ وَقَعَ (الْحَذْفُ) فِي صُدُورِ الْآيَاتِ، فِي بِنْيَةِ الْمُطَّلَعِ ذَكَرَ الْمُسْنَدُ النَّكَرَةَ (دَارٌ) وَحَذَفَ الْمُسْنَدُ الْمُقَدَّرَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ (هَذِهِ) أَوْ بِالضَّمِيرِ (هِيَ)، وَقَدْ وَقَعَ الْحَذْفُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّشْوِيقِ فِي سِيَاقِ الْمَدْحِ لَوْفُوعِ الْمُسْنَدِ فِي أَوَّلِ "مِمَّا يَجْعَلُ هَذَا الْمُسْنَدَ بِمَثَابَةِ مِفْتَاحٍ لِلْبَيْتِ يَنْطَلِقُ مِنْهُ الشَّاعِرُ وَيَبْنِي عَلَيْهِ الْأَفْكَارَ وَالْمَعَانِي".<sup>(1)</sup> وَقَدْ يَمْتَدُّ أَثَرُ الْمُسْنَدِ إِلَى مَجْمُوعَةِ آيَاتٍ، فَلَفْظَةُ الْمُسْنَدِ (دَارٌ) هِيَ نَوَاةُ الدَّلَالَةِ لِمَا يَأْتِي فِي الْآيَاتِ اللَّاحِقَةِ.

وَقَدْ حُذِفَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ (الْمُبْتَدَأُ) فِي بَدْءِ جُمْلَةٍ مَقُولِ الْقَوْلِ، فِي السِّيَاقِ الْحَوَارِيِّ الْمُتَخِيلِ، وَيُقَدَّرُ الْمَحذُوفُ بِالضَّمِيرِ الْغَائِبِ (هِيَ)، وَيُذَكَّرُ بَعْدَهُ الْمُسْنَدُ أَوْ الْخَبَرُ (مُوحِشَةٌ/مُعْتَمَةٌ/مُعَلِّقَةٌ/ضَيْقَةٌ)، وَيُسْتَشْفَى مِنَ السِّيَاقِ أَنَّ الْحَذْفَ يَرِدُ فِي سِيَاقِ ذِمِّ لِتَحْقِيرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَالتَّهْوِينِ مِنْ شَأْنِهِ وَالْحَطِّ مِنْ مَنَزَلَتِهِ كَمَا يَدُلُّ عَلَى أَصَالَةِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْمُسْنَدُ فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْمَحذُوفِ، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ يَتَجَاوَزُ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ فِي الزَّنْزَانَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالذَّاكِرَةِ بِالِاتِّفَاتِ إِلَى الْجَوَانِبِ الْإِجَابِيَّةِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ مُسَبَّبَةً عَنْهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَعْكَسُ النَّظْرَةَ التَّفَاوُلِيَّةَ لِلشَّاعِرِ الَّذِي لَا يَتَبَرَّمُ بِالْقَدْرِ، وَعَلَى الْعُمُومِ فَإِنَّ "هُنَاكَ مَعْنَى يُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ أَكْثَرَ مِمَّا يُفْهَمُ مِنَ الْوَحَدَاتِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي تُؤَلِّفُهُ أَيْ أَنَّ السِّيَاقَ قَدْ يُعْطِي الْمُدُولَاتِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُعْزَى بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ بَسِيطٍ إِلَى وَحْدَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ وَحَدَاتٍ مَضْمُومَةٍ بِطَرِيقَةِ آيَةٍ، هَذِهِ الْإِشَارَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِمَا يُسَمُّوهُ فَاعِلِيَّةَ السِّيَاقِ أَوْ نَشَاطِهِ إِشَارَةً هَامَّةً يَنْبَغِي أَنْ تُعْتَبَرَ جَوْهَرَ الْمَشْكَلَةِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا إِزَاءَ كُلِّ نَصٍّ أَدَبِيٍّ".<sup>(2)</sup> فَالدَّلَالَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَتَأَثَّرُ بِالْمُفْرَدَاتِ وَبِالسِّيَاقِ الَّذِي تَرُدُّ فِيهِ بِعَنْصَرِهِ الْمَذْكُورَةَ وَالْمَحذُوفَةَ، فَقَدْ يَكُونُ الْعَنْصَرُ الْمَحذُوفُ أَكْثَرَ دِلَالَةً مِنَ الْمَذْكُورِ. عَلَى أَنَّهُ "لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفْهَمَ الْحَذْفَ عَلَى مَعْنَى أَنْ عُنْصُرًا كَانَ مَوْجُودًا فِي الْكَلَامِ ثُمَّ حُذِفَ بَعْدَ وُجُودِهِ وَلَكِنَّ الْمَعْنَى الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ كَلِمَةِ الْحَذْفِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ مَقَرَّرَاتِ النِّظَامِ اللَّغَوِيِّ وَبَيْنَ مَطَالِبِ السِّيَاقِ الْكَلَامِيِّ الْإِسْتِعْمَالِيِّ".<sup>(3)</sup> فَالشَّاعِرُ بَعْدَ حَذْفِهِ لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَادَ إِلَى ذِكْرِهِ فِي الْآيَاتِ الْمُؤَلِّفَةِ مُبَاشَرَةً، فَيَقُولُ<sup>(4)</sup>:

هِيَ حُجْرَتِي فِيهَا نَهَارِي مَجْلِسِي هِيَ غُرْفَتِي لِلنُّوْمِ حِينَ نُوْمٌ  
هِيَ مَكْتَبٌ حَيْثَا، وَحَيْثَا مَطْعَمٌ إِنْ جَاءَ مِعَادُ الطَّعَامِ فَأُطْعَمُ  
هِيَ سَاحَةٌ لِرِيَاضَتِي أَعْدُو بِهَا فِي مَوْضِعِي، إِنْ الضَّرُورَةُ تَحْكُمُ

فَذَكَرُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ أَوْ الْمُبْتَدَأُ الضَّمِيرِ (هِيَ) فِي الْبُنْيِ الْإِسْمِيَّةِ فِي صُدُورِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ يَتَطَلَّبُهُ السِّيَاقُ الْجَدِيدُ الَّذِي يُذَكَّرُ فِيهِ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ (هِيَ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ زِيَادَةً فِي الْإِيضَاحِ وَالتَّقْرِيرِ وَبَسْطِ الْكَلَامِ حَيْثُ الْإِصْغَاءُ مَطْلُوبٌ<sup>(5)</sup>،

(1) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية، ص: 143.

(2) مصطفى ناصف: نظرية المعنى في التقدير العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص: 162.

(3) تمام حسّان: اللغة العربية، معناها ومبناها، عالم الكتب، ط: 3، 1418هـ-1998م، ص: 298.

(4) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 11.

(5) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط: 1، 1422هـ-

2001م، ص: 47.

وبهذا الذكر يزيد الشاعر في جوابه، ويُطيل قوله ويُفصله بعض الشيء، فجاءت أنساقه الإسمية المجردة في السابق محذوفة المسند إليه بهذا الشكل (؟)=علامة حذف المسند إليه):

- (؟) موحشة.

- (؟) معتمة. (الزئزئة) = (هي) المحذوف (هي)

- (؟) معلقة.

- (؟) ضيقة.

وجاءت أنساقه الإسمية المجردة، هنا، مذكوراً فيها المسند إليه بهذا الشكل:

- هي حجري.

- هي عرقي. المذكور (هي) = (الزئزئة)

- هي مكتب.

- هي ساحة.

والملاحظ أن بناء التركيب الاسمي في البنى الإسمية الأخيرة يظهر عليه أثر الصياغة اللغوية للآية القرآنية - في قوله **عَلَّمَ الْحِكَايَةَ عَنْ مَوْسَى النَّبِيِّ** -: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (1)، حيث عدلت الآية عن الإجمال إلى التفصيل.

ويعد التسق التركيبي الأساسي الأول في القصيدة أقل الأنساق الإسمية تركيباً لاحتوائها في الغالب على عملية إسناد واحدة وأقلها أداء للمعنى لإيجازها واقتصرها على المسند والمسند إليه، وهذا ما يدفع الشاعر إلى العطف عليها أو توسعتها بأنساق تركيبية أخرى وإضافة المكملات التي تسهم في التعبير وفي أداء الدلالات المستهدفة.

### 1-1-2- التسق التركيبي الأساسي الثاني (ناسخ+اسم+حبر):

يتميز التسق التركيبي الأساسي الثاني بأن بنيته تحتفظ باسميتها رغم ما يتصدرها من أدوات ناسخة، سواء كانت أفعالاً أم حروفاً مشبهة بالفعل، وتشكل بنية هذا التسق التركيبي تركيباً اسمياً محولاً منسوخاً. وتعد النواسخ، عامة، عناصر لغوية تدخل على الجملة التوليدية الإسمية لتأدية معانٍ جديدة إضافية، فتحوّل إلى تحويلية اسمية، ويقتضي هذا العنصر الجديد (حركة) في المبتدأ أو في الخبر، ولا يكون للحركة دور في المعنى وإنما الدور للعنصر ذاته. (2) ويتوزع التسق الأساسي (ناسخ+اسم+حبر) على نسقين بحسب الأداة الناسخة، فقد تكون حرفاً أو تكون فعلاً، وبذلك يأخذ أحد النسقين الشكل (ناسخ حرفي+اسم+حبر)، وتتألف بنية التسق من أحد

(1) سورة طه، الآية: 18.

(2) خليل أحمد عمارة: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ص: 101.

الأحرفِ النَّاسِخَةِ الْمُشَبَّهَةِ بِالْفِعْلِ<sup>(1)</sup>، وَهِيَ: (إِنَّ، أَنْ، كَأَنَّ، لَكِنَّ، لَعَلَّ، لَيْتَ، وَلَا النَّافِيَةُ لِلْحِسِّ، وَمَا الْحِجَازِيَّةُ) وَمِنْ  
الِاسْمِ وَالْخَبَرِ، وَلِكُلِّ أَدَاةٍ نَاسِخَةٍ مِمَّا ذُكِرَ دَلَالَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَا وَمُتَعَلِّقَةٌ بِالتَّرْكِيبِ الَّذِي تَتَّصِرُ بِهِ وَبِالسِّيَاقِ. وَقَدْ تَنَوَّعَ  
النَّسَقُ التَّرْكِيبِيُّ<sup>(2)</sup> (نَاسِخٌ حَرْفِيٌّ + (اسْمٌ + خَبَرٌ)) فِي بَنِيَةِ الْقَصِيدَةِ بِحَسَبِ الْأَدَوَاتِ/الْحُرُوفِ النَّاسِخَةِ الْآتِيَةِ:

### 1-1-2-1-1- النِّسَقُ التَّرْكِيبِيُّ الْفَرَعِيُّ الْأَوَّلُ الْمُنْسُوخُ بِالْحَرْفِ (إِنَّ/أَنَّ):

تَنْصَرِفُ وَظِيفَةُ (إِنَّ) أَوْ (أَنَّ) لِلتَّأْكِيدِ<sup>(2)</sup>، وَيَشْمَلُ هَذَا التَّوْكِيدُ تَوْكِيدَ نِسْبَةِ الْخَبَرِ لِلْمُبْتَدَأِ، إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ  
عَالِمًا بِالنِّسْبَةِ، أَوْ نَفْيِ الشَّكِّ، إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ مُتَرَدِّدًا فِيهَا، أَوْ نَفْيِ الْإِنْكَارِ، إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ مُنْكَرًا لَهَا.<sup>(3)</sup>  
وَنَقُصِرُ، فِي مُقَارَبَةِ بَنِيَةِ النَّسَقِ الْاسْمِيِّ الْمُحَوَّلِ عَلَى الْأَنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْمُتَّصِرَةِ بِالنَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ (إِنَّ) الثَّقِيلَةِ الْمُشَدَّدَةِ  
الْعَامِلَةِ لِأَنَّ (إِنَّ) الْمُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ مُهْمَلَةٌ، وَيَبْطُلُ عَمَلُ (إِنَّ)، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَدَوَاتِ السَّابِقَةِ، بِدُخُولِ (مَا) عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا  
تَنْصَبُ هَذِهِ الْأَدَوَاتُ الْأَسْمَاءَ وَتَرْفَعُ الْأَخْبَارَ بِشَرْطِ أَنْ لَا تَقْتَرِنَ بِهِنَّ (مَا) الْحَرْفِيَّةُ فَإِنْ اقْتَرَنَتْ بِهِنَّ بَطُلَ عَمَلُهُنَّ  
وَصَحَّ دُخُولُهُنَّ عَلَى الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ.<sup>(4)</sup> وَ"تُخَفَّفُ نُونُ (إِنَّ) الْمَكْسُورَةِ الْهَمْزَةِ فَتُصْبِحُ (إِنَّ) بِسُكُونِ النُّونِ، فَيَكْثُرُ  
إِهْمَالُهَا إِنْ وَلِيَهَا اسْمٌ."<sup>(5)</sup> وَلِـ(إِنَّ) دِلَالَاتٌ أُسْلُوبِيَّةٌ غَيْرُ التَّوْكِيدِ، وَقَدْ نَبَّهَ إِلَيْهَا الْجُرْحَانِيُّ بِالْقَوْلِ: "هَلْ شَيْءٌ آيُنُ  
فِي الْفَائِدَةِ وَأَدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ سِوَاءَ دُخُولِهَا وَأَنْ لَا تَدْخُلُ مِنْ أَنَّكَ تَرَى الْجُمْلَةَ إِذَا هِيَ دَخَلَتْ تَرْتَبُطُ بِمَا قَبْلَهَا  
وَتَأْتِلْفُ مَعَهُ وَتَتَّحِدُ بِهِ حَتَّى كَأَنَّ الْكَلَامَيْنِ قَدْ أُفْرِغَا إِفْرَاقًا وَاحِدًا وَكَأَنَّ أَحَدَهُمَا قَدْ سُبِكَ فِي الْآخَرِ؟... وَمِنْ  
خَصَائِصِهَا أَنَّكَ تَرَى لِضَمِيرِ الْأَمْرِ وَالشَّانِ مَعَهَا مِنَ الْحُسْنِ وَاللُّطْفِ مَا لَا تَرَاهُ إِذَا هِيَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ بَلْ تَرَاهُ لَا  
يَصْلُحُ حَيْثُ يَصْلُحُ إِلَّا بِهَا... هَذَا وَفِي (إِنَّ) هَذِهِ شَيْءٌ آخَرٌ يُوجِبُ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا وَهُوَ أَنَّهَا تَتَوَلَّى رِبْطَ الْجُمْلَةِ بِمَا  
قَبْلَهَا نَحْوًا مِمَّا ذَكَرْتُ لَكَ.. وَمِمَّا تَصْنَعُهُ (إِنَّ) فِي الْكَلَامِ أَنَّكَ تَرَاهَا تُهَيِّئُ التَّكْرَرَ وَتُصْلِحُهَا لِأَنَّ يَكُونُ لَهَا حُكْمُ  
الْمُبْتَدَأِ أَعْنِي أَنْ تَكُونَ مُحَدَّثًا عَنْهَا بِحَدِيثٍ مَا بَعْدَهَا.. وَمِنْ تَأْتِيرِ (إِنَّ) فِي الْجُمْلَةِ أَنَّهَا تُعْنِي إِذَا كَانَتْ فِيهَا عَنِ الْخَبَرِ  
فِي بَعْضِ الْكَلَامِ."<sup>(6)</sup> وَيَقُولُ: "ثُمَّ إِنَّ الْأَصْلَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ هُوَ الَّذِي دُونَ فِي الْكُتُبِ مِنْ أَنَّهَا  
لِلتَّأْكِيدِ وَإِذَا كَانَ قَدْ ثَبِتَ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَ الْخَبَرُ بِأَمْرٍ لَيْسَ لِلْمُخَاطَبِ ظَنٌّ فِي خِلَافِهِ الْبَيِّنَةُ وَلَا يَكُونُ عَقْدٌ فِي نَفْسِهِ  
أَنَّ الَّذِي تَزَعُمُ أَنَّهُ كَائِنٌ غَيْرُ كَائِنٍ وَأَنَّ الَّذِي تَزَعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَائِنًا فَأَنْتَ لَا تَحْتَاجُ هُنَا إِلَى (إِنَّ) وَإِنَّمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهَا  
إِذَا كَانَ لَهُ ظَنٌّ فِي الْخِلَافِ وَعَقَدَ قَلْبُهُ عَلَى نَفْيِ مَا ثَبِتَ أَوْ إِثْبَاتِ مَا تَنْفِي وَلِذَلِكَ تَزْدَادُ حُسْنًا إِذَا كَانَ الْخَبَرُ بِأَمْرٍ  
يَبْعُدُ مِثْلَهُ فَوْي الظَّنِّ وَبِشَيْءٍ قَدْ جَرَتْ عَادَةُ النَّاسِ بِخِلَافِهِ... وَمِنْ لَطِيفِ مَوَاقِعِهَا أَنْ يُدْعَى عَلَى الْمُخَاطَبِ ظَنٌّ لَمْ

(1) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، دار الهداية، قسنطينة، ط: 2، 1410هـ-1990م، ص: 142.

(2) ابن هشام: شرح قطر وبل الصدى، ص: 161.

(3) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 144.

(4) ابن هشام: شرح قطر التدى وبل الصدى، ص: 163.

(5) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 170.

(6) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 209 وما بعدها.

يُظَنُّهُ وَلَكِنْ يُرَادُ التَّهَكُّمُ بِهِ وَأَنْ يُقَالَ إِنَّ حَالِكَ وَالَّذِي صَنَعْتَ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ قَدْ ظَنَنْتَ ذَلِكَ... وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ تَدَخَّلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الظَّنَّ قَدْ كَانَ مِنْكَ أَهْيَا الْمُخَاطَبُ فِي الَّذِي كَانَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَذَلِكَ قَوْلِكَ لِلشَّيْءِ هُوَ بِمَرَأَى مِنَ الْمُخَاطَبِ وَمَسْمَعٍ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَى وَكَانَ مِنِّي إِلَى فُلَانٍ إِحْسَانٌ وَمَعْرُوفٌ ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ جَزَائِي مَا رَأَيْتَ، فَتَجَعَّلَكَ كَأَنَّكَ تَرُدُّ عَلَى نَفْسِكَ ظَنَّاكَ الَّذِي ظَنَنْتَ، وَتُبَيِّنُ الخَطَأَ الَّذِي تَوَهَّمْتَ. (1)

وَقَدْ وَرَدَتْ بِنْيَةُ النَّسَقِ الْإِسْمِيِّ الْمُنْسُوخِ بِـ(إِنَّ) مَكْسُورَةً الْهَمْزَةَ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ الصُّوَرِ التَّرَكِيبِيَّةِ، فَقَدْ أَتَتْ فِي صُورَةٍ ((إِنَّ) + إِسْمٌ (إِسْمٌ ظَاهِرٌ) + خَبَرٌ (إِسْمٌ ظَاهِرٌ))، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مِنَ النَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ ((إِنَّ) وَاسْمِهِ وَخَبَرِهِ، وَيَتَجَلَّى عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ فِي بِنْيَةِ التَّرَكِيبِ الْمُتَكَرِّرِ ((إِنَّ) الْجِهَادِ (حَصَانَةٌ/أَمَانَةٌ/كِيَاَسَةٌ)، يَقُولُ عُمَرُ بَهَاءِ الدِّينِ الْأَمِيرِيِّ فِي قَصِيدَةِ (عَزَلَةُ الْأَحْرَارِ) (2):

إِنَّ الْجِهَادَ حَصَانَةً، وَمَتَانَةً، وَصِيَانَةً فِي عَزْمَةٍ وَإِبَاءٍ  
 إِنَّ الْجِهَادَ أَمَانَةً، وَرُجُوعَةً، وَمِنْ الْجِهَادِ كِيَاَسَةُ الْحُكَمَاءِ  
 إِنَّ الْجِهَادَ رِيَاضَةً تُذَكِّي الثُّهْيَ لَيْسَ الْجِهَادُ مَطِيَّةَ الْخِيَلِ  
 وَالْجُورِ، وَالِدَعْوَى، وَمَجْدًا زَائِفًا عَمَهُ التُّفُوسِ رَزِيَّةُ الْأَرْزَاءِ

وَيَقِفُ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ عَلَى تَوْكِيدِ مَضَامِينِهِ، فَقَدْ أَكَّدَ الشَّاعِرُ مَحْتَوَى جُمْلَتِهِ بِمُؤَكَّدٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الَّذِي تُخَاطَبُهُ خَالِي الذَّهْنِ، لَا تَعْرِفُ مِنْهُ إِنْكَارًا، وَلَا تَجِدُ فِي نَفْسِهِ شَكًّا أَوْ تَرَدُّدًا فِيمَا تُلْقِيهِ إِلَيْهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ تُلْقِي إِلَيْهِ الْخَبَرَ خَالِيًا مِنَ التَّوَكِيدِ، أَمَا إِذَا كُنْتَ تُدْرِكُ مِنَ الَّذِي تُخَاطَبُهُ شَكًّا فَيَحْسُنُ أَنْ تُؤَكِّدَ لَهُ الْخَبَرَ لِتُزِيلَ مَا بِنَفْسِهِ مِنْ شَكٍّ، أَمَا إِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ أَنَّهُ مُنْكَرٌ، فَيَجِبُ أَنْ تُؤَكِّدَ لَهُ الْكَلَامَ عَلَى قَدْرِ مَا تَعْرِفُ مِنْ إِنْكَارِهِ. (3) وَقَدْ وَرَدَ الْمُسْتَنْدُ (الْخَبْرُ)، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ مِنْ أَسْمَاءٍ، فِي النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ السَّابِقِ نَكْرَةً وَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّعْظِيمِ وَالتَّقْدِيرِ لِقِيَمَةِ الْمُسْتَنْدِ إِلَيْهِ (الْإِسْمِ)، فَالْجِهَادُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ (حَصَانَةٌ/مَتَانَةٌ/صِيَانَةٌ/أَمَانَةٌ/رُجُوعَةٌ/رِيَاضَةٌ) عَظِيمُ الْمَكَانَةِ جَلِيلُ الْقَدْرِ.

وَقَدْ أَتَتْ بِنْيَةُ ذَلِكَ النَّسَقِ فِي صُورَةٍ ((إِنَّ) + إِسْمٌ (إِسْمٌ ظَاهِرٌ مَعْرِفَةٌ) + خَبَرٌ (إِسْمٌ مُفْرَدٌ مُضَافٌ))، وَيَتَأَلَّفُ نَسَقُ الصُّورَةِ مِنَ الْحَرْفِ النَّاسِخِ ((إِنَّ) وَاسْمِهِ وَخَبَرِهِ، وَيَتَجَلَّى عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ فِي بِنْيَةِ التَّرَكِيبِ ((إِنَّ) الْجِهَادِ دَوَاءُ الْقَهْرِ)، وَتَرُدُّ هَذِهِ الْبِنْيَةُ الْإِسْمِيَّةُ فِي قَوْلِ الْكِيَلَانِيِّ (4):

إِنَّ الْجِهَادَ دَوَاءُ الْقَهْرِ مِنْ قَدَمٍ يَشْفِي جِرَاحَاتِ أَرْوَاحٍ وَأَبْدَانٍ  
 هَذِي الْفَرِيضَةُ غَابَتْ عَنْ مَرَابِعِنَا فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ بُؤْسٍ وَحَرَمَانٍ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 215 وما بعدها.

(2) عمر بهاد الدين الأميري: مع الله، (د، ط)، (د، ت)، ص: 176.

(3) فضل حسن عباس: البلاغة، فنونها وأفعالها، علم المعاني، ص: 115.

(4) نجيب الكيلاني: مدينة الكباير، ص: 55.

فَبِنْيَةِ التَّرْكِيبِ تَقُومُ عَلَى الحَرْفِ النَّاسِخِ المُشَبَّهِ بِالفِعْلِ (إِنَّ) وَاسْمِهَا (الجِهَاد) الإِسْمُ الظَّاهِرُ المُعْرَفُ بِـ(أَلـ)، وَخَبَرَهَا (دَوَاءَ القَهْرِ) المُعْرَفُ بِالإِضَافَةِ، وَيَتَضَمَّنُ (المُسْتَدُّ إِلَيْهِ) وَ(المُسْتَدُّ) دَلَالَةَ الإِقْرَارِ بِمَبْدَأِ الجِهَادِ وَتَأْكِيدِهِ لِرَفْعِ الظُّلْمِ فَهُوَ الوَسِيلَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي تَشْفِي جِرَاحَاتِ الأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ وَتَرْفَعُ القَهْرَ، وَيَدُلُّ تَعْرِيفُ المُسْتَدِّ، خَاصَّةً، عَلَى الإِيجَازِ وَالإِخْتِصَارِ لِوُضُوحِ المَعْنَى الَّتِي تُؤَدِّيهِ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ وَالعَرَضِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهِ.

وَتَتَكَرَّرُ بِنْيَةُ التَّنَسُّقِ التَّرْكِيبِيِّ فِي قَوْلِ عُمَرَ بَهَاءَ الدِّينِ الأَمِيرِيِّ<sup>(1)</sup>:

إِنَّ الجِهَادَ ثَقَى القُلُوبِ، وَعِفَّةُ المُضْطَرِّ، رَغَمَ لِحَاجَةِ الإِغْرَاءِ

وَهِيَ تَتَّفَقُ فِي بِنْيَتِهَا التَّحْوِيَّةِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ بِنْيٍ مُتَّصِفَةٍ بِكُلِّ خِصَائِصِ الصُّورَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ مِنْ حَيْثُ حُضُورُ الأَدَاةِ النَّاسِخَةِ وَاسْمِهَا المُعْرَفُ بِـ(أَلـ) التَّعْرِيفِ وَخَبَرَهَا المُعْرَفُ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا فِيهِ (أَلـ) التَّعْرِيفِ، وَمِنْ حَيْثُ التَّزَامُ العَنَاصِرِ (المُسْتَدُّ إِلَيْهِ وَالمُسْتَدُّ) لِمَوَاقِعِهَا المَنْصُوصِ عَلَيْهَا، وَمِنْ حَيْثُ اشْتِرَاكُهُمَا فِي الصِّيَاغَةِ البَلَاغِيَّةِ المُؤَكَّدَةِ الَّتِي تَهْدَفُ إِلَى إِزَالَةِ شَكِّ المُتَشَكِّكِينَ فِي حَقِيقَةِ المَوْضُوعَةِ (الجِهَادِ) المُشْتَرَكَةِ.

وَقَدْ أَتَتْ بِنْيَةُ التَّنَسُّقِ التَّرْكِيبِيِّ فِي صُورَةِ (إِنَّ) + اسْمِهَا (ضَمِيرٌ مُتَكَلِّمٌ مُتَّصِلٌ) + خَبَرٌ، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ فِي الصُّورَةِ مِنْ النَّاسِخِ الحَرْفِيِّ (إِنَّ) وَاسْمِ الضَّمِيرِ المُتَّصِلِ (ي) وَخَبَرِ الإِسْمِ المُفْرَدِ (ضَمِيمٌ)، وَقَدْ أَكَّدَتِ البِنْيَةُ بِحَرْفِهَا النَّاسِخِ وَبِتَّرْكِيبِهَا التَّشْبِيهِيَّ البَلِغِ الدَّلَالَةِ عَلَى الشَّجَاعَةِ وَالجَسَارَةِ رَغَمَ الأَسْرِ، وَقَدْ اعْتَرَضَ الجَارُ وَالمَجْرُورُ (فِي حَدِيدِكَ) بَيْنَ العُنْصُرَيْنِ المُتَلَازِمَيْنِ (الإِسْمِ وَخَبَرِهِ)، وَالإِعْتِرَاضُ "مِنْ مَظَاهِرِ تَغْيِيرِ التَّرْتِيبِ فِي عَنَاصِرِ الجُمْلَةِ، فَالإِعْتِرَاضُ يَكُونُ بِتَغْيِيرِ التَّرْتِيبِ أَيْ بِتَحْوِيلِ أَحَدِ عَنَاصِرِ التَّرْكِيبِ عَنِ مَنَزَلَتِهِ وَإِقْحَامِهِ بَيْنَ عَنَاصِرٍ مِنْ طَبِيعَتِهَا التَّسْلُسُ كَمَا يَكُونُ بِزِيَادَةِ عُنْصُرٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عُنْصُرٍ أَجْنَبِيٍّ تَمَامًا عَنِ التَّرْكِيبِ يَفْطَعُ هَذَا التَّسْلُسَ".<sup>(2)</sup> وَيَحْدُثُ بِأَنَّ يَكُونُ الشَّاعِرُ آخِذًا فِي مَعْنَى ثُمَّ يَعْرِضُ لَهُ غَيْرُهُ فَيَعْدِلُ عَنِ الأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الأَوَّلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحِلَّ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَنْشُدُ الأَوَّلَ".<sup>(3)</sup> وَفِي هَذَا الإِعْتِرَاضِ عَلَى مُسْتَوَى الشَّعْرِ إِشَارَةٌ مِنَ الشَّاعِرِ إِلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ مِنْ قِيُودِ الحَدِيدِ تَحُدُّ مِنْ حَرَكَتِهِ وَكَأَنَّ تَنَالُ مِنْ عَزِيمَتِهِ، يَقُولُ يوسُفُ القُرْضَاوِي فِي قَصِيدَةِ (زَنْزَارَتِي)<sup>(4)</sup>:

حُجِبْتُ عَنِ الدُّنْيَا فَلَا خَبْرٌ وَلَا أَثْرٌ، وَحَتَّى لَسْتُ مِمَّنْ يَحْلُمُ!  
أَنَا فِي حِمَاهَا رَاهِبٌ فِي خَلْوَةٍ مَعَ مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَعْلَمُ  
مِنْهَا أَصْعَدُ لِلسَّمَاءِ ضَوَارِعًا حَرَى تَهْزُ العَرْشَ وَهُوَ الأَعْظَمُ  
حِيَّتِ يَا زَنْزَارَتِي، فَلَأَنْتِ لِي قَفْصٌ، وَإِنِّي فِي حَدِيدِكَ ضَمِيمٌ!

(1) عمر بهاد الدين الأميري: مع الله، (د، ط)، (د، ت) - ص: 176.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 290.

(3) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 2، ص: 57.

(4) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 11.

والملاحظ في ظاهرة الاعتراض التي تخترق بنية النسق التركيبي الاسمي في (أنا في حماها رَاهِبٌ) وفي (فلأنت لي قفصٌ) وتخترق بنية النسق الاسمي المنسوخ (وإني في حديدك ضيغم) في المقطع الشعري السابق أن الاعتراض قد تم بالجار والمجرور بين المبتدأ والخبر بهدف تحديد المكان والتخصيص والتأكيد، وبين الاسم والخبر بهدف بيان وتوضيح الحالة والهيئة.

وقد أتت بنية النسق التركيبي كذلك في صورة (إن+اسمها ظاهر معرفة)+خبرها (جملة فعلية))، وتتألف بنية النسق التركيبي في هذه الصورة من الناسخ الحرفي (إن) والاسم المعرفة (الظلم/الظالمين) والخبر الجملة الفعلية (دمر عيشتي/استكبروا في الأرض)، وتكشف بنية النسق التركيبي الاسمي المنسوخ في هذا الموضع عن شدة الظلم التي تجاوزت الحد وعن استكبار الظالمين الذين أفرطوا في ظلمهم ويسهم الخبر الجملة الفعلية في التعبير عن استمرار الظلم واستمرار استكبار الظالمين، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

رَبَاهُ إِنَّ الظُّلْمَ دَمَّرَ عَيْشَتِي      وَقَضَى عَلَى وَتَرِي وَعُودِي!  
رَبَاهُ إِنَّ الظَّالِمِينَ اسْتَكْبَرُوا      فِي الأَرْضِ، لَمْ يَرْعُوا لَأَيِّ عُقُودِ!  
رَبَاهُ لَأَ تَحْلُمَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَصِرُ      خُذْهُمْ كَعَادِ قَبْلَهُمْ وَنُمُودِ!

إن النسق التركيبي الاسمي في المقطع يعدُّ جملة مركبة متعدِّدة لكون الخبر جملة فعلية تستقلُّ بعملية إسنادٍ جديدٍ تتم بين المسند الفعل (دمر/استكبروا) والمسند إليه الفاعل (عيشتي/الضمير المتصل) فضلاً عما في الفعل المشدَّد وصيغته (دمر) من قيمة تعبيرية، وما في السياق الدعائي من قوة شعورية ناتجة عن كثافة الدوال (رَبَاهُ ثلاث مرَّات)، ولأَ تَحْلُمَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَصِرُ، خُذْهُمْ..). وقد تمت توسعة جملة الخبر من خلال جملتين فعليتين؛ فالجملة الأولى مثبتة (وقضى على وتري وعودي!)، والجملة الثانية منفية (لم يرعوا لأَيِّ عُقُودِ!) تعكس كثافة الفعل بمتعلقاته في هذا النسق التركيبي الحالة الشعورية المتوترة التي يكابد الشاعر سطوتها ولظاها، وتتضح من خلال بنية الفعل (لأَ تَحْلُمَ/أنتصر/خذهم) التي تتخلص من ملازمة الاستعلاء، وهو ما يدفع بها إلى سياقات أخرى بعيدة عن (أصل المعنى) لتمرير دلالات بديلة<sup>(2)</sup>. والدلالة المتجلية هنا هي الدعاء الذي يعتمد سياقه على حضور طرفي الاتصال، مع وجود مفارقة في المكانية بينهما حيث يتوجه الخطاب الدعائي من الأدنى للأعلى<sup>(3)</sup>. "أي يتوجه الخطاب من الشاعر إلى ربّه في هذه البنية الشعرية.

وقد أتت بنية النسق التركيبي الاسمي أيضاً في صورة (إن+اسم ظاهر معرف)+خبر (جار ومجرور))، وتتألف بنية النسق التركيبي المنسوخ (إن قُضينا من هسيم) على مستوى المقطع الشعري من (إن) الناسخ الحرفي

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 24.

(2) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، مصر، ط: 1، 1997، ص: 297.

(3) المرجع السابق نفسه، ص: 298.

المشبه بالفعل وأسمها (قضبانا) المعرف بالإضافة وخبرها الجار والمجرور (من هشيم)، وتوضح هذه البنية في قول الشاعر<sup>(1)</sup>:

أخي إن قُضباننا من هشيمٍ وجلادنا ذو فؤادٍ سقيمٍ  
وقد خان فرعون موسى الكليمٍ فصار على الدهر شرَّ الأنام

وترد هذه البنية الاسمية المنسوخة بعد نسق تركيبي ندائي (أخي) قصد به تبيينه المخاطب وحمله على الالتفات. (2) ويبنى هذا المركب اللفظي على الأداة المحذوفة والمنادى المضاف (أخي)، وقد تجردت بنية النداء من أداتها اختصاراً وطياً للمسافة بين المنادي والمنادى أو بين المتكلم والمخاطب للعلاقة الأخوية الجامعة ولقرابة الروحية الموحدة بينهما، وتحمل هذه البنية قيمة شعورية أو بالأحرى قيمة تعبيرية ملحوظة حين تعكس انفعالاتاً يحدده السياق في الإشفاق مما يجعل بنية النداء تسي بدلالة النصح التي تتضافر ودلالات التوكيد والتشيت ونفي الشك التي تنتجها البنية الاسمية المنسوخة تبييناً لفؤاد المخاطب على نهجه القويم وربطاً لقلبه على مذهبه السليم فلا تروعه قُضبان السجن الهشة ولا يرعبه الجلاد السقيم، وما كان ذلك كذلك إلا بفضل استعداد هذه البنية لإنتاج حركة الانفعال. (3) وهذا جانب من جوانب الأسلوبية التعبيرية التي تتخذ المضمون الوجداني والعاطفي موضوع درسيها، وتقوم على أساس أن "ثمة علاقات طبيعية بين الفكر والبنى اللسانية المعبرة عنه، وهناك نوع من التعادل بين الشكل والمضمون، كما أن هناك استعداداً يقوم فوي الشكل بالتعبير عن بعض فئات الفكر. (4) فالأشكال اللغوية تعكس المواقف التي تتحقق فيها، وهي تستجدي أثرها التعبيري من المجموعة الاجتماعية التي تستعملها. (5) فطبيعي أن توحى الأنساق التركيبية بما تحمله من مضامين فكرية وشعورية.

وقد أتت بنية النسق التركيبي الاسمي المنسوخ أيضاً في صورة (إن) + اسمها (ضمير متصل) + خبرها (اسم مفرد)، وتتألف بنية النسق التركيبي المنسوخ يان في هذه الصورة من النسخ الحرفي (إن) واسمها الظاهر المعرف بالإضافة (كتاب الله) وخبرها الاسم الظاهر المعرف بالإضافة (حصني) في البنية الأولى، ومن (إن) واسمها ضمير المتكلم المتصل (ي) وخبرها الاسم المفرد (جد)، يقول الشاعر<sup>(6)</sup>:

إذا اعتمدت الباغي على زور شاني جعلت هدى الرحمن كل معولي  
وإن أرحف الطغيان خلف حصونه فإن كتاب الله حصني ومعقلي

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 147.

(2) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص: 301.

(3) بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان (د. ت)، ص: 37.

(4) المرجع نفسه، ص: 36.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 66.

وإن طال إفاكُ الظالمين وساءني فإني بعفو الله جِدُّ مؤمِّل  
وتردُّ بنية هذين التركيبين المنسوخين المؤكدين بـ(إن) بنية النسق الشرطي الكبرى المتصدرة  
بان، فالبنية الأولى جوابٌ في:

وإن أرحف الطغيان خلف حصونه فإن كتاب الله حصني ومعقلي  
والبنية الثانية جوابٌ في:

وإن طال إفاكُ الظالمين وساءني فإني بعفو الله جِدُّ مؤمِّل  
ولما يمكن أن تستقل البنيتان عن نسقهما الشرطي وقد اتصنا بالفاء الرابطة للجواب، فـ"جملة الشرط  
إذن تتألف من عبارتين لا استقلالاً لإحداهما عن الأخرى".<sup>(1)</sup> وفي هذا التلازم بين العبارتين أو البنيتين دلالة على  
تحسن الشاعر بكتاب الله حين يرحف الطغيان وعلى حسن الظن بالله والأمل في فرجه ونصرتة حين يطول إفاكُ  
الظالمين ويسوؤه.

وقد أتت بنية النسق التركيبي الاسمي المنسوخ في صورة (إن) + اسمها (ضمير متصل) + خبرها (جملة فعلية)،  
وتألف البنية المذكورة من التاسخ الحرفي (إن) واسمه ضمير المتكلم المتصل (ي) وخبره الجملة الفعلية (أنادي)، وفعلها  
مضارع متعد إلى مفعول، وهي تؤكد فعل النداء الصادر عن الشاعر طالباً الثبات من جنود الله، وقد وردت بنية  
التركيب الاسمي المنسوخ بـ(إن) في هذه الصورة المتعددة مؤكدة للمعنى، يقول الشاعر<sup>(2)</sup>:

إني أنادي جنود الله كي يثبتوا من أجل دينهمو في بعته الثاني

وورد خبر البنية الاسمية المنسوخة الثانية جملة فعلية (أتيت) فعلها ماضٍ مؤكدة ما يحسه الشاعر من ظمأ  
وشوق، يقول نجيب الكيلاني في قصيدة (يا رسول الله)<sup>(3)</sup>:

إني أتيت إلى رياضك ظمئاً أهفو إلى نبع العطاء الأمثل

وحاء فعل بنية الخبر في النسق التركيبي المنسوخ ماضياً متعدياً إلى مفعولٍ مؤكداً للمعنى المتمثل في كتمان  
الصبر، يقول نجيب الكيلاني في قصيدة (طبول الحرب)<sup>(4)</sup>:

إني دفنت الصبر بين جوانحي وكتمته في غائر الأحناء

وتردُّ بنية النسق التركيبي مؤكدة مرارة الفاجعة التي صحا على وقعها الشاعر، وهي مرارة لا شك فيها  
تكاد تزهق روحه لولا إيمانه، يقول التهامي في قصيدة (أنا والزلزال)<sup>(1)</sup>:

(1) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص: 284.

(2) نجيب الكيلاني: مدينة الكباير، ص: 55.

(3) المصدر نفسه، ص: 77.

(4) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 67.

إِنِّي صَحَوْتُ عَلَى الزَّلْزَالِ وَعَاجَبِي! حَتَّى تَرَى الْأَرْضَ فِي الدُّنْيَا يُطَارِدُنِي  
لَوْلَا انْطِلَاقَةُ إِيمَانٍ تُحَلِّقُ بِي وَتَجْمَعُ النُّورَ فِي قَلْبِي وَتَسْكُنُنِي  
مَا عَشْتُ يَوْمًا عَلَى أَنْقَاضِ زَائِلَةٍ تَبِيعُ قِيَمَتَهَا الْعُلْيَا بِلَا ثَمَنِ  
أَمَّا النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الْمُنْسُوخُ بِـ(إِنْ) فِي الصُّورَةِ الْآتِيَةِ<sup>(2)</sup>:

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُحَاوِلَ صَادِقًا فِي صَوْنِ ذَاتِي مِنْ ثِقَىٍّ وَمَضَاءٍ  
لَأَكُونَ فِي الْجَلِيِّ إِذَا الدَّاعِي دَعَا سَهْمًا يُصِيبُ مَقَاتِلَ الْأَعْدَاءِ  
وَأَجُودَ بِالنَّفْسِ الرَّكِيَّةِ فِي رِضَا رَبِّي وَأُرْحِصُ فِي الْإِلَهِ دِمَائِي  
فَأُنَالِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ كَرَامَةً بِالنَّصْرِ، أَوْ بِمَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ

فَتَحْتَلِفُ صِيَاغَةُ بِنِيَّتِهِ وَنَاتِجُ دَلَالَتِهِ بِدُخُولِ عُنْصُرٍ لُغَوِيٍّ مُؤَكَّدٍ عَلَى بِنِيَّةِ الْخَبَرِ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ هُوَ (اللَّامُ)،  
وَيَأْخُذُ النَّسَقُ مَعَ هَذَا التَّحْوِيلِ الشَّكْلَ (إِنْ+اسْمُ(ي)+خَبَر(ل+أَرْجُو))، وَبِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ يَنْتَقِلُ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ مِنَ الْبِنِيَّةِ  
الْعَمِيقَةِ إِلَى الْبِنِيَّةِ السُّطْحِيَّةِ عَبْرَ ثَلَاثَةِ مُسْتَوِيَّاتٍ إِدْرَاكِيَّةٍ:

1- مُسْتَوَى (الْإِبْتِدَائِيَّةِ)، وَيَكُونُ شَكْلُ النَّسَقِ فِيهِ (أَنَا+أَرْجُو...).

2- مُسْتَوَى (الشَّكْلِ)، وَيَكُونُ شَكْلُ النَّسَقِ فِيهِ (إِنْ+ي+أَرْجُو...).

3- مُسْتَوَى (الْإِنْكَارِ)، وَيَكُونُ شَكْلُ النَّسَقِ فِيهِ (إِنْ+ي+ل+أَرْجُو...).

فـ"المُسْتَوَى الْأَوَّلُ يَرْتَبِطُ بِالْحَالَةِ الذَّهْنِيَّةِ الْمُرْعَاةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ عَنِ الْمَوْضُوعِ الْمَطْرُوحِ صِيَاغِيًّا، وَالثَّانِي يَرْتَبِطُ  
بِحَالَةِ التَّرَدُّدِ فِي قَبُولِ الْحُكْمِ، وَالثَّلَاثُ يَرْتَبِطُ بِإِنْكَارِهِ".<sup>(3)</sup> وَالشَّاعِرُ يُجَرِّدُ مِنْ نَفْسِهِ مُخَاطَبًا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِالْكَلَامِ،  
وَإِذَا أُلْقِيَ الْكَلَامُ إِلَى مَنْ هُوَ خَالِي الذَّهْنِ عَمَّا يُلْقَى إِلَيْهِ لَيْسَتْ حَضْرَ الْعَمَلِيَّةِ الْإِسْنَادِيَّةِ مُطْلَقَةً، كَفَى فِي ذَلِكَ تَقْدِيمُ  
الصِّيَاغَةِ مُضْمَنَةً عَنَّا صِرَ الْحُكْمِ بِالثُّبُوتِ أَوْ الْإِنْتِقَاءِ دُونَ حَاجَةِ إِلَى وَسَائِلٍ إِضَافِيَّةٍ تَوْكِيدِيَّةٍ... أَمَّا إِذَا دَخَلَ الْمُتَلَقِّي  
فِي حَالَةِ (التَّحْيِيرِ) فِي إِدْرَاكِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ طَرَفَيْ الْإِسْنَادِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ تَسْتَدْعِي صِيَاغَةَ (طَلْبِيَّةً) تَكْتَفِي بِمُؤَكَّدٍ وَاحِدٍ  
يُزِيلُ حَالَةَ التَّحْيِيرِ، لِيُعَدَّ الْمُتَلَقِّي إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى، حَالَةَ الْقَبُولِ. وَقَدْ تَصَلُّ حَالَتُهُ إِلَى (الْإِنْكَارِ)، وَهُوَ مَا يَقْتَضِي  
التَّغْلِبَ عَلَيْهِ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَدْوَاتِ التَّعْبِيرِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي تَدْفَعُ هَذَا الْإِنْكَارَ".<sup>(4)</sup> وَهَكَذَا يَسْتَعِينُ الْعَشْمَاوِيُّ  
لِدْفَعِ (الْإِنْكَارِ) وَالتَّعْبِيرِ عَنْ عَجَبِهِ الشَّدِيدِ بِتَأْكِيدِ حُمْلَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ بِمُؤَكَّدَيْنِ (إِنْ) وَ(اللَّامِ) فِي (إِنِّي لَأَعْجَبُ)، وَبِهَذَا

(1) محمد التَّهَامِيُّ: يَا إِلَهِي، ص: 107.

(2) عمر بهاء الدِّين الأَمِيرِيُّ: مَعَ اللَّهِ، ص: 176.

(3) مُحَمَّدُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ: الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، ص: 206.

(4) المرجع نفسه، ص: 207.

التَّحْوِيلِ تَنْزَاحِ الْجُمْلَةِ عَنْ بِنْيَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ الْمَفْتَرَضَةِ (أَنَا أَعْجَبُ..) فِي الْمُسْتَوَى الْإِبْتِدَائِيِّ إِلَى (إِنِّي أَعْجَبُ) فِي مُسْتَوَى الشُّكِّ إِلَى (إِنِّي لَأَعْجَبُ..) فِي مُسْتَوَى الْإِنْكَارِ مُجَسَّدَةً دِلَالَةَ الْعَجَبِ الْمُؤَكَّدِ، فَيَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ (تَأْمَلَاتِ...<sup>(1)</sup>):

إِنِّي لَأَعْجَبُ لِلْفَتَى فِي لَهْوِهِ، أَوْ لَيْسَ يَدْرِي؟

أَنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَةً وَالْعُمُرَ كَالْأَحْلَامِ يَسْرِي

وَيُظْهِرُ الْإِنْزِيَاخَ فِي الْعُدُولِ عَنْ مُسْتَوَى (الْإِبْتِدَائِيَّةِ) الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْمُتَلَقِّي خَالِي الذَّهْنِ إِلَى مُسْتَوَى (الشُّكِّ) الَّذِي يُدَاخِلُ فِيهِ ذَهْنَ الْمُتَلَقِّي الشُّكِّ وَالتَّحْيِيرُ فِي خَاتِمَةِ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْمُمَيِّزِ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ فِي قَصِيدَةِ (الْحُبِّ الْأَبَدِيِّ)<sup>(2)</sup>:

حُبُّ تَشْرَبِهِ دَمِي فَظَفَرْتُ مِنْهُ بِمَعْنَمِ!

وَسَقَيْتُهُ نَخْبَ السَّيْنِ وَصَفْوَةَ الْمُتَرَنَّمِ!

أَوْيَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ لِي آيَةَ الْمُتَوَسِّمِ!

أَطْوِيهِ بَيْنَ جَوَانِحِي وَأُرِيهِ لَوْعَةَ مُعْرَمِ!

وَأَنَا عَلَى عَهْدِي لَهُ مَاضٍ وَلَمْ أَتَحَمَّحِمِ!

وَأَنَا السَّعِيدُ بِهِ.. وَهَلْ تَشْتَقِي صَبَابَةَ مُسْلِمِ!؟

إِنِّي السَّعِيدُ بِهِ.. فَيَا نَارَ الْعَنَاءِ تَضْرَمِي!

لَقَدْ عَبَّرَ الشَّاعِرُ عَنْ سَعَادَتِهِ بِحُبِّهِ، أَوْلًا، بِبِنْيَةِ اسْمِيَّةٍ مُجَرَّدَةٍ (أَنَا السَّعِيدُ بِهِ..) دَالَّةً عَلَى الثَّبُوتِ وَالِدَوَامِ لِكَوْنِ خَبَرِهَا اسْمًا مُفْرَدًا لِتَكُونَ هَذِهِ السَّعَادَةُ ثَابِتَةً لَهُ، وَعَبَّرَ عَنْ سَعَادَتِهِ، ثَانِيًا، بِبِنْيَةِ اسْمِيَّةٍ مُؤَكَّدَةٍ بِـ(إِنِّي السَّعِيدُ بِهِ..) لِئُبْعِدَ أَيَّ شَكٍّ مُحْتَمَلٍ وَيَنْفِي آيَةَ حَيْرَةٍ فَسَعَادَةُ الشَّاعِرِ بِهَذَا الْحُبِّ بِمَنَآئِي عَنِ الشُّكِّ وَالرَّيْبَةِ.

وَقَدْ جَاءَتْ بِنْيَةُ التَّرَكِيبِ الْإِسْمِيِّ الْمَنْسُوخِ بِـ(أَنَّ) مَفْتُوحَةً الْهَمْزَةَ، فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ الصُّوَرِ التَّرَكِيبِيَّةِ، فَقَدْ وَرَدَتْ فِي صُورَةٍ ((أَنَّ) + اسْمِهَا) اسْمٌ ظَاهِرٌ مَعْرِفَةٌ/نَكْرَةٌ + خَبَرُهَا (جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ))، فَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الْإِسْمِيِّ الْمَنْسُوخِ بِـ(أَنَّ) فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الَّتِي تَضُمُّ مِنْ بَيْنِ جُمْلَتَيْهَا جُمْلَتَيْنِ اسْمِيَّتَيْنِ مُتَحَوِّلَتَيْنِ مِنَ النَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ (أَنَّ) وَاسْمِهَا الْمَعْرُوفِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا فِيهِ (أَلِ) (جُرْحُ الْأَمْسِ) أَوْ بِـ(أَلِ) التَّعْرِيفِ (الْحَقُّ) مُبَاشَرَةً وَخَبَرُهَا الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ (لَمْ يَعُدْ جُرْحًا/بَيْنِي حَوْلَهُ صَرْحًا)، وَقَدْ وَرَدَتْ الْجُمْلَةُ الْأُولَى مَفْعُولًا بِهِ وَوَرَدَتْ الثَّانِيَةُ مَعْطُوفَةً عَلَى الْأُولَى وَقَامَتَا بِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى وَتَرْسِيخِ قِيمَةِ الْحَقِّ، وَيَتَجَلَّى النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ فِي قَوْلِ مُحَمَّدِ التَّهَامِيِّ<sup>(3)</sup>:

تَحَصَّنَ فِي جِدَارِ الْأَمْنِ يَمْسَحُ جُرْحَهُ مَسْحًا

فَأَيْقَنَ أَنَّ جُرْحَ الْأَمْسِ فِيهِ لَمْ يَعُدْ جُرْحًا

(1) عبد الرحمن العشماوي: صراع مع النفس، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 2، 1423هـ/2006م، ص: 27.

(2) مصطفى محمد الغماري: العيد والقدس والمقام، ص: 55.

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 22.

وَأَنَّ الْحَقَّ حِينَ يَقْرَأُ يَبْنِي حَوْلَهُ صَرَحا  
يُجَلِّجِلُ فَوْقَ هَامَتِهِ وَيُشْرِقُ فَوْقَهُ صَبْحاً  
وَيُسْفِرُ عَنْ هُوَيْتِهِ كَمَا رَحْمَانُهُ أَوْحَى  
هُوَ الْحَقُّ.. وَيَكْفِي الْحَقَّ مَا قَاسَى وَمَا ضَحَّى

وَقَدْ وَرَدَتْ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الْمُنْسُوخِ بِـ(أَنَّ) فِي صُورَةٍ (أَنَّ) + اسْمِهَا (ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ) + خَبَرُهَا (جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ)،  
وَتَقُومُ بِنْيَةُ التَّرَكِيبِ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ عَلَى النَّاسِخِ (أَنَّ) وَاسْمِهَا يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ (ي) وَخَبَرُهَا الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ  
(عَشِقْتُ/اتَّخَذْتُ)، وَتُشَكَّلُ نَسَقًا تَرْكِيبِيًّا وَإِقَاعِيًّا مُتَوَازِيًّا مِنْ خِلَالِ تَكَرُّرِ الْعَنَاصِرِ نَفْسِهَا فِي الْمَوَاقِعِ نَفْسِهَا، وَقَدْ  
تَمَثَّلَ دَوْرُهَا فِي تَوْضِيحِ وَبَيَانِ مَضْمُونِ (الظَّنِّ)، يَقُولُ وَلِيدُ قَصَابٍ<sup>(1)</sup>:

سُؤَالٌ يُلِحُّ عَلَيْهَا طَوِيلًا  
تَظُنُّ نَسِيتُ الْوَدَادَ الْجَلِيلًا  
وَعَهْدَ الصَّفَاءِ الْقَدِيمِ الْجَمِيلًا  
وَأَنِّي عَشِقْتُ سِوَاهَا بَدِيلَهُ  
وَأَنِّي اتَّخَذْتُ سِوَاهَا خَلِيلَهُ

وَتَرْدُ بِنْيَةِ التَّرَكِيبِ الْإِسْمِيِّ الْأَخِيرَةِ عَلَى شَاكِلَةِ نَسَقِ الصُّورَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ السَّابِقَةِ، فَهِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْمَكُونَاتِ  
اللِّسَانِيَّةِ نَفْسِهَا وَمُؤَدِّيَّةِ الْوِظَائِفِ النَّحْوِيَّةِ ذَاتِهَا؛ فَتَأْلِيْفُهَا قَائِمٌ عَلَى (أَنَّ) النَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ وَالْإِسْمِ (ي) يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ الضَّمِيرِ  
الْمُتَّصِلِ وَالْخَبَرِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ (عَشِقْتُ/اتَّخَذْتُ...) وَفِعْلُهَا مَاضٍ، وَتَكَرُّرُ النَّسَقِ النَّحْوِيِّ فَقَطْ - وَيُقْصَدُ بِهِ "تَطَابُقُ  
جُمْلَةٍ مَعَ أُخْرَى عَلَى مُسْتَوَى الْبِنَاءِ النَّحْوِيِّ مَعَ الْإِخْتِلَافِ فِي الْمَعْنَى".<sup>(2)</sup> - فِي بِنَاءِ التَّرَكِيبِيِّينَ:

وَأَنِّي / عَشِقْتُ / سِوَاهَا / بَدِيلَهُ  
وَأَنِّي / اتَّخَذْتُ / سِوَاهَا / خَلِيلَهُ

يَجْعَلُهُمَا مُتَوَازِيَيْنِ تَوَازِيًّا تَامًّا، وَمَعَ ذَلِكَ يَسْتَقِلُّ كُلُّ تَرْكِيبٍ بِأَدَاءِ مَعْنَاهِ الْخَاصِّ أَوْ حُزْءٍ مِنَ الْمَعْنَى الْعَامِّ الْمَشْتَرَكِ  
وَأَدَاءِ وَظِيْفَتِهِ.

وَإِذَا كَانَ الْفِعْلُ فِي جُمْلَةِ الْخَبَرِ مَاضِيًّا فَقَدْ يَكُونُ مُضَارِعًا كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي خَبَرِ الصُّورَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ الْآتِيَةِ،  
يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمُ<sup>(3)</sup>:

وَإِنْ أَقْبَلْتَ تَسْأَلُ فِي حِمَانَا (فَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرِكَ الْيَقِينَا)  
بِأَنَّ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَجَرًّا وَنَسْجُدُ لِلْمُهَيْمِنِ خَاشِعِينَ

(1) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 35.

(2) رجب عبد الجواد إبراهيم: موسيقى اللغة، ص: 112.

(3) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 80.

فَالخَبْرُ فِيهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ يَتَصَدَّرُهَا فِعْلٌ مُضَارِعٌ (نَقْرَأُ)، وَقَدْ عُطِفَ عَلَيْهَا بِجُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ مُضَارِعِيَّةٍ أُخْرَى (نَسْجُدُ... يَتِمُّ بِوَاسِطَتِهَا الْمَعْنَى الْمُرَادُ إِبْلَاغُهُ مُؤَكِّدًا نَافِيًا لِلشَّكِّ لِلسَّائِلِ عَن حَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْبِنْيَةُ الْإِسْمِيَّةُ الْمُنْسُوخَةُ فِي مَوْقِعِ الْمَجْرُورِ لِدُخُولِ حَرْفِ الْجَرِّ عَلَيْهَا.

## 1-1-2-1-2- النِّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفَرْعِيُّ الثَّانِي الْمُنْسُوخُ بِالْحَرْفِ (لَكِنَّ):

إِذَا كَانَ النِّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْإِسْمِيُّ الْفَرْعِيُّ الْأَوَّلُ مَنْسُوخًا بِالنَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ (إِنَّ) أَوْ (أَنَّ) فَإِنَّ النِّسْقَ الثَّانِيَّ مَنْسُوخًا بِـ (لَكِنَّ)، وَ(لَكِنَّ) لِلِاسْتِدْرَاكِ (1)، وَهِيَ تُفِيدُ الْإِسْتِدْرَاكَ، غَالِبًا، أَيْ "إِبْعَادَ مَعْنَى فَرْعِيٍّ قَدْ يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ عِنْدَ فَهْمِ مَعْنَى الْكَلَامِ". (2) وَيَتِمُّ ذَلِكَ بِأَسْئُوبَيْنِ، هُمَا:

أ- التَّعْقِيبُ بِنَفْيِ مَا يُتَوَهَّمُ تَبَوُّهُ.

ب- إِبْتَاتُ مَا يُتَوَهَّمُ نَفْيَهُ.

وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ (لَكِنَّ) لِمَجَرَّدِ تَأْكِيدِ الْمَعْنَى فِي ذَهْنِ السَّامِعِ (3).

وَيَتَّخِذُ النِّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ صُورًا مُخْتَلِفَةً فِي الْقَصِيدَةِ تَبَعًا لِمَظْهَرِي الْعُنْصُرَيْنِ الْأَسَاسِيَيْنِ فِيهِ (المُسْنَدُ إِلَيْهِ وَالْمُسْنَدُ)، وَمِنْهَا الصُّورَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ (لَكِنَّ) + اسْمُهَا (ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ) + خَبَرُهَا (اسْمٌ مُفْرَدٌ).

يَتَجَلَّى نِسْقُ التَّرَكِيبِ الْإِسْمِيِّ الْمُنْسُوخِ بِـ (لَكِنَّ) فِي الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ (لَكِنَّهُ الشَّرُّ... فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ صُورَتِهِ التَّرَكِيبِيَّةِ مِنْ (لَكِنَّ) وَاسْمِهَا الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ (ه) وَخَبَرِهَا الْإِسْمِ الظَّاهِرِ (الشَّرُّ)، يَقُولُ مُحَمَّدٌ التَّهَامِيُّ (4):

لَكِنَّهُ الشَّرُّ لَمَّا نَارَ نَائِرُهُ      تَيَقَّنَ الشَّيْخُ أَنْ قَدْ حَانَ مَصْرَعُهُ  
مَدَّتْ لَهُ الْأَرْضُ كَفَيْهَا تُوسِّدُهُ      فَوْقَ التُّرَابِ وَقَدْ نَاحَتْ تُودِّعُهُ  
وَعَادَرَ الْحَجْرَ الْعَالِي مَكَانَتَهُ      وَكَانَ فَوْقَ رِقَابِ الْكَوْنِ مَوْضِعُهُ  
شَدَّ الزَّمَانَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُنْحَدِرٌ      يَجْرُهُ لِلشَّرِّ جَرًّا وَيُوقِعُهُ  
كَيْفَ الْحَيَاةِ إِذَا فَضَّتْ قَدَاسَتَهَا      وَشَيَّعَتْ طَهْرَهَا فِيمَا تُشَيِّعُهُ

وَإِذَا كَانَ نِسْقُ التَّرَكِيبِ بِـ (لَكِنَّ) يُؤَكِّدُ فِي ذَاتِهِ ثَوْرَةَ الشَّرِّ الْعَاصِفِ بِالْمَسْجِدِ فَإِنَّ عِلَاقَةَ التَّرَكِيبِ بِمَا قَبْلَهُ بِوَاسِطَةِ (لَكِنَّ) الْمَفِيدَةِ لِلِاسْتِدْرَاكِ تَجْعَلُ مَعْنَاهُ الْمَطْرِدَ فِي السِّيَاقِ يَتَّحَوَّلُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ إِلَى لَوْنٍ جَدِيدٍ مِنَ الْمَعْنَى، فَـ (لَكِنَّ) تُبْعَدُ وَتُلْغَى مَا اسْتَقَرَّ فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي مِنْ حَالِ الْمَسْجِدِ الْمُنْبَعِ الَّذِي (5):

(1) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 161.

(2) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 145.

(3) المرجع نفسه، ص: 145.

(4) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 71.

(5) المصدر نفسه، ص: 71.

لَمْ يَجْرُوا الدَّهْرَ يَوْمًا أَنْ يُلَامِسَهُ وَأَنْ يَمُدَّ لَهُ كَفًّا تُرْعِزُهُ  
وُثِّبَتْ مَا آلَ إِلَيْهِ الْمَسْجِدُ الْمُنْهَارُ مِنْ حَالٍ مُزْرِيَةٍ مُبْكِيَةٍ هِيَ الصُّورَةُ الْمَشْخَصَةُ سَابِقًا.

### 1-1-2-1-3- النِّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ الْفَرْعِيُّ الثَّلَاثُ الْمُنْسُوخُ بِالْحَرْفِ (كَأَنَّ):

تُسْتَعْمَلُ (كَأَنَّ) لِلتَّشْبِيهِ أَوْ الظَّنِّ. (1) وَهِيَ تُفِيدُ تَشْبِيهَ اسْمِهَا بِخَبَرِهَا إِذَا كَانَ الْخَبَرُ أَرْفَعَ مِنْ اسْمِهَا شَأْنًا، أَوْ أَحَطَّ مِنْهُ قَدْرًا، وَتُفِيدُ الظَّنَّ إِذَا كَانَ خَبَرُهَا فِعْلًا أَوْ ظَرْفًا، أَوْ جَارًا وَمَجْرُورًا، أَوْ وَصْفًا. (2) وَيَتَجَلَّى النِّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ الْفَرْعِيُّ الْمُنْسُوخُ بِـ (كَأَنَّ) عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ فِي صُورٍ تَرْكِيْبِيَّةٍ مُتَّوَعَّةٍ، فَقَدْ تَرَدُّ بِنَيْتِهِ فِي صُورَةٍ ((كَأَنَّ)) + اسْمِهَا (اسْمٌ مُفْرَدٌ) + خَبَرُهَا (اسْمٌ مُفْرَدٌ)، وَتَتَأَلَّفُ مِنَ النَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ (كَأَنَّ) + الْاسْمِ (الشَّرُّ) + الْخَبَرِ (مَخْلُوقٌ...) فِي الْبِنْيَةِ الثَّانِيَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ وَأَصِفًا حَالَ الْأُمَّةِ (3):

فَكَأَنَّ اللَّيْلَ مِنْ أَقْدَارِنَا عَبَرَ الدَّهْرَ عَلَيْنَا وَاسْتَمَرَ  
وَكَأَنَّ الشَّرَّ مَخْلُوقٌ لَنَا إِنْ تَوَلَّى جَاءَ بَعْدَ الشَّرِّ.. شَرٌّ  
طَافَ بِالذُّبْيَا سَحَابًا غَابِرًا وَأَتَانَا فَمَادَى وَاسْتَقَرَّ

تُقَوْمُ بِنْيَةِ النِّسْقِ بِتَوْكِيدِ صُورَةِ الشَّرِّ الَّذِي رَأَاهُ الشَّاعِرُ مَخْلُوقًا خُصِّصْنَا بِهِ فَمَا يَنْقَضِي شَرٌّ إِلَّا وَيَتْلُوهُ شَرٌّ وَبِتَبْيِيتِ هَذِهِ الصُّورَةِ فِي النُّفُوسِ لَطُولِ مَا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأُمَّةَ مِنْ مَصَائِبَ وَأَمْتَحِنَتْ بِهِ مِنْ بَلَايَا، وَإِعَادَةِ لَفْظَةِ الشَّرِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَوْكِيدًا لَصُورَةِ الْوَاقِعِ الَّذِي يَصِفُهُ الشَّاعِرُ وَنَفْيَ لِمَا قَدْ يَعْطَلُ فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّيِّ مِنْ شَكٍّ فِيهِ. وَقَدْ تَرَدُّ بِنْيَةِ النِّسْقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْاسْمِيِّ الْمُنْسُوخِ بِـ (كَأَنَّ) فِي صُورَةٍ ((كَأَنَّ)) + اسْمِهَا (اسْمٌ مُفْرَدٌ) + خَبَرُهَا (جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ)، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ الصُّورَةِ التَّرْكِيْبِيَّةِ الثَّانِيَةِ مِنَ النَّاسِخِ (كَأَنَّ) وَالْاسْمِ (اللَّيْلِ) وَشِبْهِ الْجُمْلَةِ الْمُتَقَدِّمِ (مِنْ أَقْدَارِنَا) وَالْخَبَرِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ (عَبَرَ الدَّهْرَ عَلَيْنَا...)، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَكَأَنَّ اللَّيْلَ مِنْ أَقْدَارِنَا عَبَرَ الدَّهْرَ عَلَيْنَا وَاسْتَمَرَ

### 1-1-2-1-4- النِّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ الْفَرْعِيُّ الرَّابِعُ الْمُنْسُوخُ بِالْحَرْفِ (لَيْتَ):

تَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النِّسْقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْاسْمِيِّ الْمُنْسُوخِ مِنَ النَّاسِخِ (لَيْتَ) الَّتِي تَكُونُ لِلتَّمْنِي (4) وَاسْمِهَا وَخَبَرُهَا، وَيَشْمَلُ التَّمْنِيَّ بِـ (لَيْتَ) طَلَبَ الْمُسْتَبْعَدِ، وَالْمُمْكِنِ، وَقَدْ اخْتِصَّتْ بِتَرْكِيْبِ امْتَازَاتٍ بِهِ يَقْتَضِرُ عَلَى ذِكْرِ الْاسْمِ فَحَسَبُ،

(1) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 161.

(2) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 146-147.

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 82.

(4) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 161.

وَهُوَ (شِعْرِي)، وَيَلْتَزِمُ فِيهِ حَذْفَ الْخَبَرِ. (1) وَيُرَدُّ هَذَا النَّسَقُ فِي قَصِيدَةِ (الشَّيْخِ الْبَاكِي) الَّتِي يُصَوِّرُ فِيهَا الشَّاعِرُ مَنْظَرًا مُخْزِنًا لِشَيْخٍ مُتَقَدِّمٍ فِي الْعُمُرِ انْحَدَرَتِ الْعِبْرَاتُ مِنْ مُقْلَتَيْهِ وَقَدْ أَلَمَ ذَلِكَ نَفْسَ الشَّاعِرِ، يَقُولُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ (2):

مَحَتْ عِبْرَاتُ الشَّيْخِ كُلَّ الَّذِي رَأَتْ      عُمُونَ الصَّبَا بَسَامٍ فِي الْأَعْصُرِ الْغَبْرِ  
فَتَلَّكَ تَجَاعِيدُ الْإِيَّاسِ الَّتِي بَدَتْ      تُكَلِّلُ خَدَيْهِ انْدِحَارًا عَلَى دَحْرِ  
يَخْطُ مَسِيلُ الدَّمْعِ فِيهَا جَوَانِحًا      تَذْدَبُ فِيهَا الْيَأْسُ فِي الْأَلَمِ الْمُرِّ  
أَلَا لَيْتَ هَذَا الشَّيْخَ لَمْ يَيْكُ إِنِّي      أَحْسُ لَهُيبًا فِي فُؤَادِي مِنَ التُّكْرِ  
حَصَادُ سِنِينَ قَوَّضَتْ جُلَّ عُمُرِهِ      شَقَاءٌ مُعْنَى أَعْتَبَ الْوَصْلَ بِالْمُهْجَرِ  
أَرَاهُ وَقَدْ حَانَتْ لَتَمْزِيْقِ عُمُرِهِ      قَوَاطِعُ تُذْنِيهِ سَرِيْعًا مِنَ الْقَبْرِ

إِنَّ بِنْيَةَ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيَّ الْإِسْمِيَّ الْمُنْسُوخِ بِـ (لَيْتَ) تَشْتَمِلُ عَلَى الْحَرْفِ النَّاسِخِ وَاسْمِهِ (هَذَا الشَّيْخِ) وَخَبْرِهِ الْجُمْلَةَ الْفِعْلِيَّةَ الْمَنْفِيَّةَ بِلَمْ (لَمْ يَيْكُ)، وَيُصْبِحُ التَّمْنِيَّ الْمَرْهُونُ بِأَدَاتِهِ "غَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّحْقُقِ لِأَنَّ بِنْيَةَ التَّمْنِيَّ تَتَعَلَّقُ بِإِتَّجَاهٍ بِمَا لَا يُمَكِّنُ حُصُولَهُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَطْمَعٌ فِيهِ، وَمِنْ هُنَا صَحَّ تَعَلُّقُهَا بِالزَّمَنِ الْمَاضِي مِنْ حَيْثُ تَمْنِيٌّ وَقَوْلٌ حَدَثَ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ مُمَكِّنٍ تَنْفِيذِيًّا". (3) فَهَذَا الشَّيْخُ الْمُسْنُوقُ قَدْ يَكَى وَقَدْ أَلْهَبَ بُكَاءُهُ فُؤَادَ الشَّاعِرِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى إِيقَافِ بُكَائِهِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ الْحَدَثُ وَإِنْ تَمْنَى الشَّاعِرُ وَتَمْنَى.

#### 1-1-2-1-5- التَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفَرَعِيُّ لِخَامِسُ الْمُنْسُوخِ بِـ (لَعَلَّ):

تَضُمُّ بِنْيَةَ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيَّ الْإِسْمِيَّ الْمُنْسُوخِ بِـ (لَعَلَّ) مِنَ النَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ (لَعَلَّ) الَّتِي تُفِيدُ التَّرَجِّيَّ أَوْ الْإِشْفَاقَ أَوْ التَّعْلِيلَ. (4) وَالتَّرَجِّيُّ طَلَبُ شَيْءٍ مَحْبُوبٍ لَيْسَ بِمُسْتَبْعَدٍ، وَالْإِشْفَاقُ الْخَوْفُ مِنْ مَكْرُوهٍ. (5) وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ مِنْ (لَعَلَّ) وَاسْمِهَا (جَوَابًا) وَخَبْرُهَا (هَارِبُ)، وَقَدْ تَقَدَّمَ عَلَى الْخَبْرِ مُتَعَلِّقُهُ شِبْهُ الْجُمْلَةِ (فِي زَوَايَاهُ) لِلتَّفْصِيلِ وَالتَّحْدِيدِ وَالتَّأَكِيدِ، وَتَرُدُّ هَذِهِ الْبِنْيَةُ فِي قَصِيدَةِ (الشُّوقِ)، يَقُولُ مُحَمَّدُ مَفْلَحٌ (6):

تَفَجَّرَ هَذَا الشُّوقُ وَالشُّوقُ لَاهِبٌ      فَلَيْتَكَ تَشْكُو مَرَّةً أَوْ تُعَاتِبُ  
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَا كِتَابٌ يُلْمُ بِي      وَلَا خَبْرٌ يَأْتِي وَلَا مَنْ يَكَاتِبُ  
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْتَحِثُّ رِسَالَةً      وَتَأْتِي إِلَيَّ غَيْرِي الْخُطُوطُ الْحَبَائِبُ  
وَأَدْنُو إِلَيَّ مَبْنَى الْبَرِيدِ أَضْمُهُ      لَعَلَّ (جَوَابًا) فِي زَوَايَاهُ هَارِبُ  
أَرَى فِيهِ أَسْرَابًا مِنَ الْعِشْقِ أَقْبَلَتْ      تُرْفِرُ وَالْعِشْقُ آتٍ وَذَاهِبُ

(1) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 144.

(2) محمد الغزالي: الحياة الأولى، ص: 128.

(3) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص: 281.

(4) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 161.

(5) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 146.

(6) محمود مفلح: إنها الصحوة، ص: 85.

وَلَا تَقُومُ شِعْرِيَّةُ الْمُقْطَعِ عَلَى مَا يَتَخَلَّلُهُ مِنْ أُنْسَاقِ التَّقْدِيمِ الَّذِي يُمَثِّلُ انْزِيَا حَا شِعْرِيًّا كَثِيفًا فِي الْمُقْطَعِ حَيْثُ يَتَقَدَّمُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (فِي كُلِّ يَوْمٍ) فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الثَّلَاثِ، وَيَتَقَدَّمُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (إِلَى غَيْرِي) فِي عَجْزِ الْبَيْتِ نَفْسِهِ، وَيَتَقَدَّمُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (فِي زَوَايَاهُ) فِي عَجْزِ الْبَيْتِ الرَّابِعِ، وَيَتَقَدَّمُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (فِيهِ) فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الْخَامِسِ، وَلَا إِلَى نَسَقِ التَّفْيِي بِـ(لَا) الَّذِي تَكَرَّرَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي (لَا كِتَابٌ/لَا خَبْرٌ/لَا مِنْ يُكَاتِبُ)، وَلَا تَقُومُ مِنْ تَكَرَّرِ بَعْضِ الْمُرَدَّاتِ اللَّغَوِيَّةِ كـ(الشَّوْقِ) وَ(العِشْقِ)، وَلَا مِنْ تَضَادٍ فِي الْمَعْنَى أَوْ طَبَاقٍ بَيْنَ (آتٍ/ذَاهِبٍ) اقْتَضَتْهُ الصُّورَةُ الشَّعْرِيَّةُ، فَقَدْ أَدَّى، إِلَى جَانِبِ هَذِهِ الْمَكُونَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْهَامَّةِ، التَّنْوِيعُ فِي الْأُنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ عَامَّةً وَبَيْنَ بِنْتِي (التَّمَنِّي) وَ(التَّرَجِّي) خَاصَّةً فِي تَعْضِيدِ شِعْرِيَّةِ الْمُقْطَعِ وَأَدَائِهِ الْفَنِّيِّ بِمَا تُكْشِفُ عَنْهُ هَذِهِ الْبُنَى التَّرَكِيبِيَّةِ مِنْ مَضَامِينِ شُعُورِيَّةٍ.

فَالْبِنْتَانِ الْإِسْمِيَّتَانِ الْمُنْسُوخَتَانِ (لَيْتَكَ تَشْكُو أَوْ تُعَاتِبُ..) وَ(لَعَلَّ جَوَابًا فِي زَوَايَاهُ هَارِبٌ) يَجْمَعُ بَيْنَهَا سِيَاقُ شُعُورِيٍّ يُمَثِّلُهُ (الشَّوْقُ اللَّاهِبُ)، فَبَيْنَمَا تَنْفَرِدُ الْبُنَى الْأُولَى بِدَالِ التَّمَنِّي (لَيْتَ) بِتَمَنِّي مَا هُوَ مُمْتَنِعٌ غَيْرُ قَابِلٍ لِلتَّحْقُقِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ مِنَ الشَّاعِرِ تَسْتَقْبَلُ الثَّانِيَّةُ بِدَالِ التَّرَجِّي (لَعَلَّ) بِرَجَاءٍ (وَقُوعٍ) قُدُومِ جَوَابٍ إِلَى الشَّاعِرِ، وَيُسْرُّ التَّنْوِيعَ بَيْنَ الْأَدَاتَيْنِ أَنَّهُ "إِذَا حَدَثَ تَعْدِيلٌ فِي الْمُدْرَكِ الدَّخْلِيِّ لَيْسَمَحَ بِإِمْكَانِيَّةِ الْوُقُوعِ، فَإِنَّ (لَيْتَ) تَغْيِبُ عَنِ السِّيَاقِ لِتَتْرَكُهُ لِأَدَاةٍ أُخْرَى تَحْتَمِلُ هَذَا الْإِدْرَاكَ هِيَ (لَعَلَّ)، عَلَى مَعْنَى أَنَّ التَّمَنِّي يُصْبِحُ (رَجَاءً) لِيَعْمَلَ عَلَى تَرْقُبِ الْحُصُولِ وَتَوْفُوعِهِ".<sup>(1)</sup> وَيُشِيرُ الْإِنْتِقَالُ بَيْنَ الْبِنْتَيْنِ إِلَى حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَإِلَى حَرَكَةِ الشُّعُورِ الَّتِي هِيَ أَعْلَقُ بِالْبِنْتَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي يُشْكَلُ مَوْضُوعَ التَّمَنِّي أَوْ الرَّجَاءِ.

#### 1-1-2-1-6- التَّنْسُقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفَرْعِيُّ السَّادِسُ الْمُنْسُوخُ بِـ(لَا):

تَوَاتَرَتْ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الْإِسْمِيِّ الْمُنْسُوخِ بِـ(لَا) مُشْكَلَةً نَسَقَهَا التَّرَكِيبِيُّ الدَّلَالُ عَلَى تَنْوَعِ وَطَائِفِ الْأَدَاةِ النَّاسِخَةِ (لَا)، فَقَدْ تَكُونُ (لَا) النَّافِيَّةُ عَاطِفَةً، وَهِيَ، حِينْتَدِ، حَرْفٌ يُفِيدُ نَفْيَ الْحُكْمِ عَنِ الْمَعْطُوفِ بَعْدَ ثُبُوتِهِ لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَكُونَ عَامِلَةً عَمَلٍ (لَيْسَ)، أَيْ مَا يُعْرَفُ بِـ(لَا) الْحِجَازِيَّةِ النَّافِيَّةِ لِلْوَحْدَةِ، وَهِيَ تَعْمَلُ عَمَلَ الْأَفْعَالِ النَّاقِصَةِ، وَتَكُونُ (لَا) نَافِيَةً لِلْجِنْسِ أَيْ مَا يُعْرَفُ بِـ(لَا) التَّبْرِيَّةِ، وَهِيَ حَرْفٌ يَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ، فَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلًا (إِنَّ) مِنْ نَصَبِ الْمُبْتَدَأِ وَرَفْعِ الْخَبَرِ، وَتُفِيدُ نَفْيَ الْخَبَرِ عَنِ الْجِنْسِ الْوَاقِعِ بَعْدَهَا نَصًّا أَيْ: نَفْيًا عَامًّا، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعْرَاقِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِمَالِ.<sup>(2)</sup> فَـ(لَا) النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ تَنْفِي الْحُكْمَ (الْخَبَرَ) عَنِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ جِنْسِ الشَّيْءِ الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا يُقْصَدُ بِهَا التَّنْصِيفُ عَلَى سَبِيلِ اسْتِعْرَاقِ النَّفْيِ لِلْجِنْسِ كُلِّهِنَّ وَالْحَقَّتْ بِـ(إِنَّ) لِاعْتِبَارَاتِ

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص: 281.

(2) عبده الراجحي: التطبيق التحوي، ص: 167.

مِنْهَا تَشَابُهُمَا فِي التَّأْكِيدِ، فَـ(إِنْ) لِتَأْكِيدِ الْإِثْبَاتِ وَ(لَا) لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ. (1) وَتَأْتِي بِنِيَّةِ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الْإِسْمِيِّ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ فِي صُورَتِهِ التَّرَكِيبِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَأْكِيدِ النَّفْيِ فِي قَصِيدَةِ (مَرْثِيَةِ الْأَلَمِ الْحَالِدِ)، يَقُولُ فِيهَا الْعُمَارِيُّ (2):

لَا السَّجْنَ يُنْيِنِي وَلَا السَّجَانَ أَنَا لَمْ أَزَلْ أَهْوَاكَ يَا أَفْعَانُ  
 أَنَا لَمْ أَزَلْ صَوْتًا حُسَيْنِي الرَّوَى جُرْحًا يَفِيضُ لِيُزْهِرَ الْإِيمَانَ  
 سَكَرَ الْهَوَى مِنِّي وَلَذْتُ بِكَأْسِهِ وَصَحَوْتُ.. لَا سَاقَ وَلَا نَدْمَانَ  
 وَصَحَوْتُ أَعْتَصِرُ التَّرِيفَ قَصِيدَةً لَمْ تُشْهَأْ عَنْ حُبِّكَ الْأَوْزَانَ

تَتَّخِذُ بِنِيَّةِ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الشَّكْلَ ((لَا) + الْمُبْتَدَأُ + الْحَبْرُ)، وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى (لَا) الَّتِي هِيَ حَرْفُ نَفْيٍ وَلَا عَمَلٌ لَهَا غَيْرُ تَوْكِيدِ النَّفْيِ لِمَجِيءِ اسْمِهَا مَعْرِفَةً، فَالْبِنْيَةُ الْإِسْمِيَّةُ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ (لَا السَّجْنَ يُنْيِنِي) تَتَأَلَّفُ مِنْ (لَا) حَرْفٍ لِلنَّفْيِ وَالْمُبْتَدَأُ الْمَعْرِفَةُ (السَّجْنَ) وَالْحَبْرُ الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ (يُنْيِنِي)، وَيَسْتَعْمِدُ الشَّاعِرُ هَذَا النَّسَقَ التَّرَكِيبِيَّ تَعْبِيرًا عَنْ إِصْرَارِهِ وَإِرَادَتِهِ الَّتِي لَا يَكْبَحُ جِمَاحَ هَوَاهَا (السَّجْنَ) - الَّذِي يُخَوِّفُ بِهِ - بِمَا فِيهِ مِنْ قَهْرٍ وَإِذْلَالٍ وَتَضْيِيقٍ وَلَا يُوقِفُ ثَوْرَةَ حُبِّهَا (السَّجَانَ) بِمَا لَدَيْهِ مِنْ تَعْدِيبٍ وَتَرْهيبٍ، وَالْحَبْرُ الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ (يُنْيِنِي) ذَالٌّ بِفِعْلِيَّتِهِ عَلَى تَجَدُّدِ مُحَاوَلَاتِ التَّشْبِيهِ وَالصَّدِّ، كَمَا أَنَّ تَكَرَّرَ أَدَاةِ النَّفْيِ ذَالٌّ عَلَى الصُّمُودِ أَمَامَ كُلِّ الْمُحَاوَلَاتِ فَهَوَى الْقَلْبِ وَالشَّعْرِ دَائِمٌ لـ (أَفْعَانَ) الْمُسْلِمَةَ فَهُوَ مِنَ الْعَقِيدَةِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الْاهْتِمَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ.

وَيَتَوَفَّرُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ عَلَى نَسَقٍ تَرَكِيبِيٍّ آخَرَ مَنْسُوخٍ بِـ (لَا) النَّافِيَةِ الْعَامِلَةِ عَمَلٍ (لَيْسَ)، وَتَتَّخِذُ بِنِيَّةِ الشَّكْلِ ((لَا) + اسْمُهَا (سَاقٍ) + حَبْرُهَا الْمَحذُوفُ الْمَقْدَّرُ)، وَتَتَّحَلَّى فِي عَجْزِ الْبَيْتِ الثَّلَاثِ (لَا سَاقٍ...)، وَبِهَذِهِ الصُّورَةَ يَنْفِي الشَّاعِرُ نَفْيًا أَكِيدًا وَجُودَ (سَاقٍ)، لِأَنَّ (لَا) هَذِهِ نَافِيَةٌ فِي الشَّعْرِ بِشَرْطِ تَنْكِيرٍ مَعْمُولِيَّهَا (3)، فَاسْمُهَا (سَاقٍ) نَكْرَةٌ وَكَذَلِكَ حَبْرُهَا الْمَحذُوفُ الْمَقْدَّرُ بِـ (مَوْجُودًا) نَكْرَةٌ وَيَكُونُ النَّفْيُ بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ نَفْيًا شَامِلًا لِأَنَّ النَّكْرَةَ تُفِيدُ الشُّيُوعَ وَالْعُمُومَ وَخَاصَّةً فِي سِيَاقِ النَّفْيِ. (4) وَقَدْ صَحَا الشَّاعِرُ مِنْ سُكْرِ الْهَوَى فَلَمْ يَجِدْ أَيَّ سَاقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ - بِهَذَا التَّنْكِيرِ (سَاقٍ) - يُسَعِّفُهُ بِكَأْسِ هَوَى الْمَحْبُوبِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ النَّفْيُ فِي بِنْيَةِ اسْمِيَّةٍ جَدِيدَةٍ (وَلَا نَدْمَانَ) مَعْطُوفَةٍ عَلَى الْأُولَى تَأْكِيدًا وَتَقْرِيرًا لَوْحَدْتِهِ وَأَنْفِرَادِهِ بِهِمُومِهِ، فَقَدْ خَلَا مَجْلِسُهُ مِنَ السُّقَاةِ وَالتَّدْمَانَ وَصَحَا وَحِيدًا يَعْتَصِرُ الْجُرْحَ شِعْرًا مُتَعْنِيًا بِحُبِّ (أَفْعَانَ) الْحَيِّ أَبَدًا فِي فُؤَادِ الشَّاعِرِ كَمَا يُؤَكِّدُ النَّفْيُ بِـ (لَمْ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِلنَّفْيِ فِي هَذَا السِّيَاقِ مَرْدُودُهُ الشَّعْرِيُّ فَهُوَ يَرْتَبِطُ بِحَرَكَةِ الشُّعُورِ وَيُجَسِّدُ الْإِنْفِعَالَ الْقَائِمَ مِنْ خِلَالِ أَدْوَاتِهِ الْمُدْمِحَةِ فِي الْبِنْيَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ.

وَيَتَرَدَّدُ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الْمَنْسُوخُ بِـ (لَا) فِي قَصِيدَةِ (إِبْلِيسَ فِي دَمِ آدَمَ)، يَقُولُ وَلِيدُ قَصَابٍ (5):

(1) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 188-189.

(2) مصطفى الغماري: مقاطع من ديوان الرِّفْضِ، ص: 45.

(3) ابن هشام: قطر الندى وبل الصدى، ص: 158.

(4) عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص: 167.

(5) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 39.

حَيْثُ انْطَلَقْتُ أَرَىٰ إبليسَ مُنْطَلِقًا      يَسُدُّ دَرْبِي وَيَمْضِي يَزْحَمُ الْأُقْفَا  
يَقُولُ: لَا مَهْرَبٌ مِنِّي، وَلَا وَزْرٌ      لَنْ تَمْلِكَ الدَّهْرَ مِنْ كَفِّي مُنْعَتَقًا  
وَلَا انْفِكَاكَ وَإِنْ حَاوَلْتَ مُجْتَهِدًا      دَرْبِي وَدَرْبِكَ فِي هَذَا الْمَدَى اعْتَقَقَا  
وَبَيْنَنَا الْحَرْبُ لَا يُقْضَىٰ لَهَا أَجَلٌ      مَا دُمْتَ بَرًّا، بِجَبَلِ الْخَيْرِ مُعْتَقَقَا  
أَشْبُ فِيكَ حَرِيْقًا لَا انْطِفَاءَ لَهُ      أَثُورُ فِيكَ فَتَبْدُو جَامِحًا نَزَقَا  
وَأَعْتَرِيكَ فَلَا عَقْلٌ وَلَا رُشْدٌ      وَلَا تَذْكَرُ إِيمَانًا وَلَا خُلُقًا

وَيَتَشَكَّلُ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ عَلَى مُسْتَوَى الصِّيَاغَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي صُورَتَيْنِ تَرْكِيبِيَّتَيْنِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي صُورَةِ (لَا) نَافِيَةً

لِلْوَحْدَةِ (+اسْمُهَا+خَبَرُهَا)، وَتَمَثَّلُ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي الْبِنْيَتَيْنِ الْإِسْمِيَّتَيْنِ (لَا مَهْرَبٌ مِنِّي وَلَا وَزْرٌ) فِي الْبَيْتِ الثَّانِي:

يَقُولُ: لَا مَهْرَبٌ مِنِّي، وَلَا وَزْرٌ      لَنْ تَمْلِكَ الدَّهْرَ مِنْ كَفِّي مُنْعَتَقَا  
وَلَا عَقْلٌ وَلَا رُشْدٌ... فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ:

وَأَعْتَرِيكَ فَلَا عَقْلٌ وَلَا رُشْدٌ      وَلَا تَذْكَرُ إِيمَانًا وَلَا خُلُقًا

فَهُمَا يَتَأَلَّفَانِ مِنْ (لَا) الْعَامِلَةِ عَمَلِ (لَيْسَ) حَيْثُ رَفَعَتْ الْمُبْتَدَأُ النَّكِرَةَ (مَهْرَبٌ/وَزْرٌ/عَقْلٌ/رُشْدٌ) اسْمًا لَهَا وَنَصَبَتْ  
الْخَبَرَ الْمَحذُوفَ الْمَقْدَّرَ بِـ (مَوْجُودًا) فِي هَذِهِ الْبَنَى خَبْرًا لَهَا، وَيُصَوِّرُ الشَّاعِرُ بِصَوْتِ (إِبْلِيسِ) عَزِيمَةَ الشَّيْطَانِ عَلَى  
غَوَايَةِ (آدَمِ) الْإِنْسَانَ وَتَضْلِيلِهِ عَنِ الْهُدَى فَلَا مَهْرَبَ مِنْهُ وَلَا وَزْرَ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مُعْتَصِمَ، وَلَا عَقْلَ وَلَا رُشْدَ أَمَامَ خِدَاعِهِ  
فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الدَّائِمَةِ الْخَالِدَةِ، فَإِبْلِيسُ يُوهِمُ (آدَمَ) الْإِنْسَانَ أَنَّ جَمِيعَ سُبُلِ الْمَهْرَبِ مَسْدُودَةٌ وَأَنَّ كُلَّ حُصُونِ النَّجَاةِ  
مَفْقُودَةٌ، فَالْتَفَى بِـ (لَا) الْحِجَازِيَّةِ يَصِحُّ مَعَهُ نَفْيُ الْوَحْدَةِ وَنَفْيُ الْجِنْسِ.<sup>(1)</sup> وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ فِي  
صُورَةِ (لَا) (نَافِيَةً لِلْجِنْسِ) (+اسْمُهَا+خَبَرُهَا)، وَتَتَحَقَّقُ هَذِهِ الصُّورَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ فِي الْبِنْيَتَيْنِ الْإِسْمِيَّتَيْنِ (لَا انْفِكَاكَ) فِي الْبَيْتِ  
الثَّالِثِ:

وَلَا انْفِكَاكَ وَإِنْ حَاوَلْتَ مُجْتَهِدًا      دَرْبِي وَدَرْبِكَ فِي هَذَا الْمَدَى اعْتَقَقَا

وَلَا انْطِفَاءَ لَهُ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ:

أَشْبُ فِيكَ حَرِيْقًا لَا انْطِفَاءَ لَهُ      أَثُورُ فِيكَ فَتَبْدُو جَامِحًا نَزَقَا

وَبِهَذِهِ الصُّورَةِ يَنْفِي (إِبْلِيسَ) عَلَى لِسَانِ الشَّاعِرِ نَفْيًا أَكِيدًا عَامًّا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعْرَاقِ لَا الْإِحْتِمَالَ  
جِنْسِ (انْفِكَاكَ/انْطِفَاءَ)، لِأَنَّ التَّنْفِيَّ بِـ (لَا) هَذِهِ يَشْمَلُ جِنْسَ الْإِسْمِ كُلِّهِ، فَهِيَ تَنْفِي مَا بَعْدَهَا أَحْيَانًا نَفْيًا شَامِلًا  
مُسْتَعْرِقًا كَنَفْيِ الْجِنْسِ.<sup>(2)</sup> وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا فِي الْبِنْيَتَيْنِ نَكَرَتَانِ، الْأَوَّلُ ظَاهِرٌ وَالثَّانِي مَحذُوفٌ مُقَدَّرٌ  
بِـ (مَوْجُودٌ)، وَعَلَيْهِ فَلَا انْفِكَاكَ مَوْجُودٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ مُلَا حَقَّةِ الشَّيْطَانِ وَإِنْ اجْتَهَدَ وَلَا انْطِفَاءَ مَوْجُودٌ لِلنَّارِ الَّتِي

(1) إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 359.

(2) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص: 248.

يُضْرَمُهَا فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ كَمَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ مِنْ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الْعَمِيقَةِ، وَالشَّاعِرُ مِنْ حِلَالِ التَّوْطِيفِ الشُّعْرِيِّ لِلدَّوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى الصَّرَاحِ الْأَبْدِيِّ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

وَقَدْ يَأْخُذُ النَّسْقُ التَّرْكِيبِيُّ الْأَسَاسِيُّ الثَّانِي الشَّكْلَ (نَاسِخٌ فِعْلِيٌّ + (اسْمٌ + خَبَرٌ)، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَتُهُ مِنْ نَاسِخٍ فِعْلِيٍّ وَتَرْكِيبٍ اسْمِيٍّ أَصْلُهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَالْأَفْعَالُ النَّاسِخَةُ هِيَ (كَانَ) وَأَخْوَاتُهَا (ظَلَّ، بَاتَ، أَصْبَحَ، أَضْحَى، أَمْسَى، صَارَ، لَيْسَ، زَالَ، بَرِحَ، فَتَى، انْفَكَّ، دَامَ) <sup>(1)</sup> وَتُلْحَقُ بِهَا أَفْعَالٌ أُخْرَى تُفِيدُ مَعْنَى (صَارَ)، وَتَعْمَلُ عَمَلَهَا، وَمِنْ أَشْهَرِهَا (أَضَى، عَادَ، رَجَعَ، اسْتَحَالَ، ارْتَدَّ، تَحَوَّلَ، غَدَا) <sup>(2)</sup> وَأَفْعَالُ الْمُقَابَرَةِ (كَادَ، أَوْشَكَ، كَرَبَ) <sup>(3)</sup> وَأَفْعَالُ الشُّرُوعِ (شَرَعَ، طَفِقَ، أَنْشَأَ، أَخَذَ، عَلِقَ، هَبَّ، هَلْهَلَ، جَعَلَ) <sup>(4)</sup> وَأَفْعَالُ الرَّجَاءِ (عَسَى، حَرَى، اخْلَوْلِقَ) <sup>(5)</sup>. وَتَنْسَخُ هَذِهِ الْأَفْعَالُ الْبِنْيَةَ الْاسْمِيَّةَ، وَلِذَا فَإِنَّ بِنْيَةَ النَّسْقِ التَّرْكِيبِيِّ الْمُنْسُوخَةِ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ النَّاقِصَةِ بِنْيَةٌ اسْمِيَّةٌ أَمَّا الْأَفْعَالُ النَّاسِخَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِأَفْعَالِ الْقُلُوبِ كـ (ظَنَّ) وَأَخْوَاتِهَا، فَهِيَ تَنْسَخُ الْجُمْلَةَ الْاسْمِيَّةَ وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ أَفْعَالًا نَاقِصَةً لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى حَدَثٍ وَتَطْلُبُ فَاعِلًا <sup>(6)</sup>، وَتُدْرَجُ بِنَاهَا التَّرْكِيبِيَّةُ ضَمْنَ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ. وَيَتَوَزَّعُ النَّسْقُ التَّرْكِيبِيُّ الْاسْمِيُّ الْمُنْسُوخُ بِالْفِعْلِ عَلَى الْأَنْسَاقِ الْفِرْعَوِيَّةِ الْآتِيَةِ بِحَسَبِ الْأَفْعَالِ النَّاسِخَةِ:

#### 1-1-2-2-1- التَّسْقُ التَّرْكِيبِيُّ الْفِرْعَوِيُّ الْأَوَّلُ الْمُنْسُوخُ بِالْفِعْلِ (كَانَ):

تُقَارَبُ، بِالْوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ، التَّسْقُ التَّرْكِيبِيُّ الْاسْمِيُّ الْمُنْسُوخُ بِالْفِعْلِ النَّاقِصِ (كَانَ) كَمَوْذَجٍ لِلتَّوْطِيفِ الْفَنِيِّ لِلْأَنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْاسْمِيَّةِ الْمُنْسُوخَةِ بِالْفِعْلِ، فِي صُورَتَيْنِ تَرْكِيبِيَّتَيْنِ مِنْ اسْتِعْمَالَاتِهِ، فَقَدْ يَأْتِي هَذَا النَّسْقُ مُسْتَقِلًّا فِي سِيَاقَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ، وَيَأْخُذُ صُورَةَ (كَانَ) + اسْمُهَا (ظَاهِرٌ مَعْرِفَةٌ) + خَبَرُهَا (مُفْرَدٌ/جُمْلَةٌ)، وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النَّسْقِ التَّرْكِيبِيِّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ (كَانَ) النَّاقِصَةِ وَاسْمِهَا وَخَبَرِهَا عَلَى مَا يَلْحَقُ الْاسْمَ وَالْخَبَرَ مِنْ تَحَوُّلَاتٍ، فَبِنْيَةِ (كَانَ) فِي سِيَاقَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ تُؤَدِّي ثَلَاثَةَ دِلَالَاتٍ، هِيَ:

أ- اتَّصَفَ اسْمُهَا بِخَبَرِهَا الدَّالِّ عَلَى الْحَدَثِ فَوِي الزَّمَانِ الَّذِي يَظْهَرُ مِنَ الصِّيغَةِ.

ب- التَّحَوُّلُ وَالْإِنْتِقَالُ أَوْ (الصِّيْرُورَةُ).

ج- الْبَقَاءُ عَلَى الْحَالِ وَالِاسْتِمْرَارُ عَلَيْهِ <sup>(7)</sup>.

وَقَدْ وَرَدَتْ بِنْيَةُ هَذِهِ الصُّورَةِ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ مُكْرَّرَةً سِتِّ مَرَّاتٍ فِي الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ (ب) مِنْ قَصِيدَةِ (مَدَدٌ مِنْ مَشْكَاةِ الْعَيْبِ)، مِنْهَا أَرْبَعُ مَرَّاتٍ فِي سَطُورٍ مُتَوَالِيَةٍ، يَقُولُ مُحَمَّدٌ عَلِيُّ الرَّبَاوِيُّ <sup>(1)</sup>:

(1) عبده الرَّاحِحِي: التَّطْبِيقُ النَّحْوِيُّ، ص: 111.

(2) المرجع نفسه، ص: 120.

(3) المرجع نفسه، ص: 138.

(4) المرجع نفسه، ص: 139.

(5) المرجع نفسه، ص: 140.

(6) عبده الرَّاحِحِي: التَّطْبِيقُ النَّحْوِيُّ، ص: 200.

(7) صَبِيحُ التَّمِيمِي: هِدَايَةُ السَّالِكِ إِلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ، ج: 2، ص: 81.

كَانَتْ قَدَمِي فِي الرَّمْلِ تَسُوخٌ،  
كَانَتْ مُثْقَلَةً بِعَرَاجِينِ الذَّنْبِ الوَهَّاجِ،  
كَانَ لِسَانِي يَكْنَسُ حَصْبَاءَ الرَّمْضَاءِ،  
كَانَ الأَمَلُ المَشْرِقُ تَحْبُو  
مَشْنَكَاةُ حَرَارَتِهِ فِي صَدْرِي المَكْسُورِ  
فَإِذَا عَصْفُورُ الفَجْرِ الرِّقَاقِ  
يُرْفِرُ قُرْبَ البَحْرِ العَيْدَاقِ  
يُيَشِّرُ بُسْتَانِي الظَّمَانَ  
بِأَنَّ رِيحًا سَتَّهَبُ عَلَيْهِ.

وَتَخْتَلِفُ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ المَنْسُوحِ بِـ(كَانَ) فِي هَذَا المَقْطَعِ مِنْ حَيْثُ صُورُهَا التَّرَكِيبِيَّةُ، فَالْبِنْيَةُ الأُولَى فِي السَّطْرِ الأَوَّلِ:

كَانَتْ قَدَمِي فِي الرَّمْلِ تَسُوخٌ،  
تَتَّفِقُ مَعَ البِنْيَةِ الثَّانِيَةِ فِي السَّطْرِ الثَّالِثِ:  
كَانَ لِسَانِي يَكْنَسُ حَصْبَاءَ الرَّمْضَاءِ،  
وَمَعَ البِنْيَةِ الثَّالِثَةِ فِي السَّطْرِ الرَّابِعِ:  
كَانَ الأَمَلُ المَشْرِقُ تَحْبُو  
مَشْنَكَاةُ حَرَارَتِهِ فِي صَدْرِي المَكْسُورِ

وَتَتَّخِذُ هَذِهِ البِنْيُ جَمِيعًا بِالنَّظَرِ إِلَى عُنْصُرِي الإِسْنَادِ الشَّكْلِ (كَانَ) +اسْمٌ مَعْرِفَةٌ +خَبَرٌ (جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ))، وَتَصِفُ هَذِهِ البِنْيُ بِدِلَالَةِ الصِّيغَةِ الزَّمْنِيَّةِ المَاضِيَّةِ لـ(كَانَ) حَالَةَ الذَّاتِ المُنْتَحِجَةِ لِهَذِهِ المَلْفُوظَاتِ الشَّعْرِيَّةِ، فَهِيَ حَالٌ مَأسَاوِيَّةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِالشَّاعِرِ المُعَانِي لِلتَّجْرِبَةِ، وَقَدْ كَرَّسَ هَذِهِ الحَالَ، أَوَّلًا، تَكَرُّرُ الفِعْلِ النَاقِصِ (كَانَ) بِدِلَالَتِهِ عَلَى (الكَيْنُونَةِ العَامَّةِ)<sup>(2)</sup> وَقَدْ كَشَفَ المَفْصَلُ الأَوَّلُ مِنَ المَقْطَعِ عَنِ هَذِهِ الدِّلَالَةِ المُعْبَّرَةِ عَنِ حَرَكَةِ سَلْبِيَّةٍ يُجَسِّدُهَا يَأْسٌ قَاتِلٌ صَوَّرَتْ مَشَاهِدَهُ القَدَمِ الَّتِي تَسُوخُ فِي الرَّمْلِ فَيَهْتَرُ الشَّاعِرُ وَيَفْقَدُ ثَبَاتَهُ فَالْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ غَيْرٌ مُطْمَئِنَّةٌ، وَاللِّسَانُ الَّذِي يَكْنَسُ الحَصْبَاءَ الحَارَّةَ وَتُعَذِّبُهُ الكَلِمَاتُ، وَالأَمَلُ الَّذِي تَحْبُو حَرَارَتُهُ فِي الصَّدْرِ المَكْسُورِ مِنْ هَذَا الحَالِ المُتَأَزِّمِ، وَكَرَّسَ تِلْكَ الحَالَ المَأسَاوِيَّةَ، ثَانِيًا، وَرُودُ أَحْبَابِ (كَانَ) فِي هَذِهِ البِنْيِ الثَّلَاثَةِ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ مُضَارِعِيَّةٌ المُسْتَدُّ فِيهَا "دَالًا عَلَى التَّغْيِيرِ وَالتَّجَدُّدِ".<sup>(3)</sup> مِمَّا يُوحِي بِاسْتِمْرَارِ الأَحْدَاثِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا المُسْتَدُّ إِلَيْهِ فِي الزَّمَنِ المَاضِي.

(1) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 40.

(2) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص: 180.

(3) مهدي المخزومي: في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص: 86.

وَتَخْتَلِفُ الْبِنْيَةُ الرَّابِعَةُ الْوَارِدَةُ فِي السَّطْرِ الثَّانِي:

كَانَتْ مُثْقَلَةً بِعَرَاجِينِ الذَّنْبِ الْوَهَّاجِ،

عَنْ صُورَةِ الْبِنْيِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ إِذْ تَتَأَلَّفُ مِنْ ((كَانَ)) + الْإِسْمِ الْمَحْذُوفِ الْمُقَدَّرِ + الْحَبْرِ التَّكْرَرِ،  
فَالْمُسْتَدُّ (مُثْقَلَةٌ) دَالٌّ عَلَى الدَّوَامِ، أَي دَوَامِ انْتِصَافِ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ (الْغَائِبِ) - وَالْمَقْصُودُ الْقَدَمُ فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ -  
بِالْمُسْتَدِّ (مُثْقَلَةٌ)، فَالْقَدَمُ كَانَتْ مُثْقَلَةً بِالذَّنْبِ الْكَبِيرِ كَبَرِ الْعَرَاجِينِ مِمَّا جَعَلَهَا لَا تُثْبِتُ وَتَسُوخُ فِي الرَّمْلِ. وَقَدْ  
وُظِفَ الشَّاعِرُ بِنِيَّةِ هَذَا النَّسَقِ الْإِسْمِيِّ الْمَنْسُوخِ فِي تَقْرِيرِ حَالِ الْإِحْبَاطِ النَّفْسِيِّ الَّذِي اعْتَرَاهُ سَابِقًا.  
وَيُمَثِّلُ الْمَقْصَلُ الثَّانِي مِنَ الْمَقْطَعِ الْحَرَكَةَ الْإِيْجَائِيَّةَ الْمُتَفَائِلَةَ الطَّارِئَةَ الَّتِي تَقْطَعُ السِّيَاقَ الْأَوَّلَ وَتَفْجَأُ الْمُتَلَقِّيَ  
بِحُضُورِهَا الْمُبَاغِتِ، وَتُشَكِّلُ جُمْلَةً شِعْرِيَّةً وَاحِدَةً مُوزَّعةً عَلَى أَرْبَعَةِ سُطُورٍ، تَبْدَأُ مِنَ السَّطْرِ السَّادِسِ، وَقَدْ دَلَّ  
عَلَى هَذَا التَّحْوِيلِ أَوْ (الْإِلْتِفَاتِ) الْمُؤَشِّرُ اللَّغَوِيُّ (فَإِذَا) الْفَجَائِيَّةُ الْمُقْتَرَنَةُ بِالْفَاءِ الْإِسْتِنَائِيَّةِ، وَوَرَدَ بَعْدَهَا تَرْكِيْبُ اسْمِيٍّ  
مُتَعَدِّدٌ قَائِمٌ عَلَى (مُبْتَدَأٍ مُضَافٍ + حَبْرٍ جُمْلَةٍ (فِعْلِيَّةٍ مُضَارِعِيَّةٍ) وَدَالٌّ عَلَى التَّجَدُّدِ:

فَإِذَا عَصْفُورُ الْفَجْرِ الرَّقْرَاقِ

يُرْفِرُ قُرْبَ الْبَحْرِ الْغَيْدَاقِ

يُيَشِّرُ بُسْتَانِي الطَّمَّانِ

بِأَنَّ رِيَا حَا سَتَهَبُ عَلَيْهِ،

وَمَعَ ذَلِكَ ثَمَارِسُ كُلِّ بِنْيَةٍ مُنْفَرِدَةٍ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ أَنْزِيَا حَهَا الْخَاصَّ كَتَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (فِي الرَّمْلِ)  
تَحْدِيدًا لِلْمَكَانِ ذِي الطَّبِيعَةِ الْمَهْشَّةِ وَكَالِاسْتِعَارَةِ (فِي يَكْسُ..). وَفِي (يَحْبُو..). وَتُشَكِّلُ ظَاهِرَةً  
(الْمَوْصُوفَ/الصِّفَةَ) أَنْزِيَا حَا أَوْ (أَنْحِرَافًا) مُمَيِّزًا يُجَسِّدُهُ "التَّبَائِنُ بَيْنَ عُنْصُرَيْنِ نَصِّيَيْنِ فِي مُتَوَالِيَةِ حَطِيَّةٍ مِنْ الْأَدْلَةِ  
السَّنَائِيَّةِ".<sup>(1)</sup> وَتُنْتِجُ هَذِهِ الْمَفَارِقَةَ "عَنْ إِذْرَاكِ عُنْصُرٍ نَصِّيٍّ مُتَوَقَّعٍ مُتَبَوِّعٍ بِعُنْصُرٍ غَيْرٍ مُتَوَقَّعٍ".<sup>(2)</sup> وَتُمَثِّلُ الشَّنَائِيَّةُ  
الْمُتَضَادَّةُ الْقَائِمَةُ عَلَى (الْمَوْصُوفِ/الصِّفَةِ) الْمُتَحَقِّقَةَ فِي (الْفَجْرِ الرَّقْرَاقِ / بُسْتَانِي الطَّمَّانِ/الذَّنْبِ الْوَهَّاجِ...) نَسَقَ الْمَفَارِقَةَ  
الَّذِي يُعَدُّ فِيهِ (الْمَوْصُوفِ) الْعُنْصُرُ الْمُتَوَقَّعُ غَيْرُ الْمَوْصُومِ أَوْ (السِّيَاقِ الصَّغِيرِ) الَّذِي تُمَثِّلُهُ الْإِسْتِعَارَاتُ الَّتِي تَقُومُ عَلَى نَعْتِ  
السَّنِيِّ بِمَا لَا يُعَدُّ مِنْ صِفَاتِهِ.<sup>(3)</sup>

وَتُكُونُ (الصِّفَةُ) الْعُنْصُرُ غَيْرُ الْمُتَوَقَّعِ الْمَوْصُومِ، وَيُكُونُ السِّيَاقُ الصَّغِيرُ وَالْأَنْزِيَا حَا أَوْ (الْمُخَالَفَةُ/الْمَفَارِقَةُ)، مَعًا،  
الْأُسْلُوبَ أَوْ (الْمَسْلُوكَ الْأُسْلُوبِيَّ)، بَيْنَمَا تُكُونُ السِّيَاقُ الْكَبِيرُ الْأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ الَّتِي تُقِيمُ بِنْيَةَ الْوَحْدَاتِ النَّصِيَّةِ غَيْرِ

(1) هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان 1999، ص: 60.

(2) المرجع نفسه، ص: 60.

(3) شكري محمد عياد: اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، ص: 92.

الموسومة. (1) فالموصوف (الفجر/البستان/الذنب...) هي عناصر غير موسومة أو هي سياقات صغرى والصفة (الرقاق/الظمان/الوهاج...) هي عناصر موسومة أو انزياحات.

وقد أتى النسق التركيبي الاسمي المنسوخ بالفعل الناقص (كان) ضمن مجموعة أنساق تركيبية منسوخة في سياق قصيدة واحدة وأخذ الصورة ((كان) + اسمها (ضمير متصل) + خبر (اسم ظاهر)، التي يُدعُ الشاعر في تأليف وترتيب مركباتها الاسمية والفعلية وفي تنظيم عناصرها إيقاعياً مما يرتفع بها من مستوى (النثرية) إلى مستوى (الشعرية)، يقول حسن الأمrani (2):

عيناك في الزمن البعيد  
قد كانتا بوابتين إلى الخلود  
والبحر كان صديقي، استودعته سرّي  
وكان البحر لي منفي ومملكة  
ومعراجاً إلى الزمن الجديد،  
البحر مملكتي؟  
فكيف اليوم تأسرني إذن موجاته الخمسون؟  
كيف يروغني ويث في جسدي ضرامه؟

وردت البنية الاسمية المنسوخة المؤكدة بـ (قد) المفيدة للتحقيق ولتقريب الزمن الماضي من الحال (قد كانتا بوابتين) خبراً للمبتدأ (عيناك) في أول السطر الشعري، وقد اعترض بينهما الجار والمجرور (في الزمن البعيد) إنماداً للمعنى وتحديداً له من خلال تحديد زمن الحدث المخبر عنه، وفي نعت المجرور (الزمن) بالنعته (البعيد) والاعتراض، بعده فصلاً موضعياً بين المسند والمسند إليه، إشارة إلى البعد المعنوي أو (الفصل) الذي حدث بين المسند إليه والمسند فلم تعد العينان بوابتي الشاعر إلى الخلود، ويكشف التضاد الدلالي في (الزمن البعيد) # (الزمن الجديد) و(منفي) # (مملكة) بتصوير هذا المعنى وتحوّل الشاعر من زمن قديم إلى زمن جديد وتحوّل (البحر) من منفي للشاعر إلى مملكة. وتعدّ هذه الإجراءات التركيبية الممارسة في بناء الجملة شعرياً وتنظيم مواقع عناصرها بالتقديم والتأخير والاعتراض والتعريف والتنكير والإضمار، تُعدّ كل هذه الإجراءات أداة الشاعر في تشكيل بنية أسلوبه الشعرية بناءً على "إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوّه النصّ وإذا حلّلها وجد لها دلالات تمييزية خاصة". (3) ولعلّ إعادة ترتيب عناصر بنية النسق أو سلسلة الكلام في

(1) هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، ص: 61.

(2) حسن الأمrani: مملكة الرماد، ص: 59.

(3) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط: 2، 1982، ص: 83.

المقطع الشعري ترتيباً ثانياً حيث يلتزم كل عنصر رتبته النحوية تُفقد التركيب الشعري حماليته التي أوقعها الإنزياح و(إبراز) بعض العناصر على حساب الأخرى، وتعود به إلى تركيبه الثري الذي يهدف إلى مجرد الإفادة والوضوح في الإبلاغ ويتعد عن الإثارة والإمتاع والعموض، وهذا واضح في المقارنة بين إيقاع الثري في التركيب - بعد التصرف فيه وإلغاء الإنزياح -:

قَدْ كَانَتْ عَيْنَاكَ بَوَّابَتَيْنِ  
إِلَى الْخُلُودِ فِي الزَّمَنِ الْبَعِيدِ  
وَكَانَ الْبَحْرُ صَدِيقِي،  
اسْتَوَدَعْتَهُ سِرِّي  
وَكَانَ الْبَحْرُ مَنْفَايَ وَمَمْلَكِي  
وَمِعْرَاجِي إِلَى الزَّمَنِ الْجَدِيدِ،  
وَإِيقَاعِ الشَّعْرِ فِي التَّرَكِيبِ:

عَيْنَاكَ فِي الزَّمَنِ الْبَعِيدِ  
قَدْ كَانَتْ بَوَّابَتَيْنِ إِلَى الْخُلُودِ  
وَالْبَحْرُ كَانَ صَدِيقِي، اسْتَوَدَعْتَهُ سِرِّي  
وَكَانَ الْبَحْرُ لِي مَنْفَى وَمَمْلَكَةً  
وَمِعْرَاجًا إِلَى الزَّمَنِ الْجَدِيدِ،

فالملاحظ أن إيقاع التركيب الثري أذهب ما كان للمفردات والتراكيب الشعريّة (عينك) وفي الزمن البعيد) و(البحر) و(كان صديقي) و(كان) و(منفى) و(مملكة) و(معراجاً) من بريق شعري اكتسبته من ذلك (الإبراز) الإنزياحي، وأضاع تلك الدلالات التمييزية أو الإيجائية الخاصة التي منحها السياق الشعري للمفردات والتراكيب. وتكشف المقارنة البسيطة عن فارق حاسم بين لغة الخطاب الثري ولغة الخطاب الأدبي، عامة، والشعري، خاصة، فالخطاب المألوف (الثري) يتميز بشفافية عالية تسمح للمتلقى باختراقها إلى مردودها الخارجي مباشرة، لأنه جاهز بصفة دائمة، وحاضر في المخزون الذهني، أما لغة الخطاب الأدبي فإنها تتميز بكثافة شديدة، لا تسمح للمتلقى بهذا الاختراق السريع، وإنما تتطلب منه أن يتوقف إزاءها، لينشغل بعناصرها البسيطة أو المركبة، المجاوزة أو غير المجاوزة، التي ترتبط في مرجعيتها الدلالية بعدة احتمالات علفت بها من طول الاستعمال أحياناً، ومن طبيعة السياق أحياناً أخرى، وهي خصيصة شعريّة في الصياغة الأدبية. (1) وتحوّل بنية النسق التركيبيّ الاسميّ المنسوخ بؤ - (كان) من النسخ الفعلية (كان) بصيغة الماضي إلى (كوني) بصيغة الأمر، وتتألف حينئذ إلى بنية

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص: 204.

نَسْفِيَّةٌ (إِنْشَائِيَّةٌ طَلْبِيَّةٌ) قَوَامُهَا النَّاسِخُ (كُونِي) بِصِيغَتِهِ الصَّرْفِيَّةِ الْجَدِيدَةِ وَالْإِسْمُ ضَمِيرُ الْمُخَاطَبَةِ الْمُتَّصِلِ (ي) وَالْخَبْرُ الْإِسْمُ الْمَعْرَفُ بِالإِضَافَةِ (دَلِيلِي)، وَهِيَ بِنْيَةُ الأَمْرِ مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ الْبَلَاغِيَّةِ وَإِنتَاجِ الدَّلَالَةِ فِيهَا "يَحْتَاجُ إِلَى حُضُورِ طَرْفِيَّ الإِتِّصَالِ بِكُلِّ مُكُونَاتِهِمَا الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ عُلُوَّ الطَّرْفَيْنِ قَدْ يَكُونُ ادِّعَاءٌ لَأَحَقِيَّةٍ، لَكِنَّ الإِنتَاجَ الصِّيَاغِيَّ يَأْتِي وَفَقًا لِهَذَا الإِدِّعَاءِ دُونَ نَظَرٍ إِلَى الوَاقِعِ الفِعْلِيِّ".<sup>(1)</sup> وَتَتَحَوَّلُ بِنْيَةُ النَّسَقِ (الأَمْرِيَّةِ) بَعْدَهَا بِنْيَةُ تَوَلِيدِيَّةٍ عَنِ (أَصْلِ المَعْنَى) الْمُتَّصِلِ فِي "طَلَبِ الفِعْلِ عَلَى جِهَةِ الإِسْتِعْلَاءِ".<sup>(2)</sup> إِلَى إِنتَاجِ دَلَالَاتٍ أُخْرَى، كَالِإِتِّمَاسِ الَّذِي يَقْتَضِي تَسَاوِي الطَّرْفَيْنِ فِي المَكَانَةِ وَتُسْتَعْمَلُ فِيهِ بِنْيَةُ الأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ التَّلَطُّفِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ فِي الرُّثْبَةِ (أَفْعَل) بِدُونِ الإِسْتِعْلَاءِ".<sup>(3)</sup> وَهُوَ الدَّلَالَةُ الَّتِي تَتَكَفَّلُ بِإِنتَاجِهَا بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرْكِيبِيِّ فِي هَذَا المَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ، يَقُولُ الرِّبَاوِيُّ فِي المَقْطَعِ الأَخِيرِ مِنْ قَصِيدَةِ (كَأْسٍ مِنْ رَمَادٍ)<sup>(4)</sup>:

يَا ظَنِيَّةً تَحْرُقُ قَرْنَيْهَا شُمُوسُ هَذِهِ البَيْدَاءِ،  
إِبْتِسِمِي فَرُبَّمَا تَهَجُرُ ذَاتِي كِبْرِيَائِي،  
ثُمَّ أَتَسْتَسَلِّمُ سِرًّا لِلْبُكَاءِ

وَلِلدُّعَاءِ

إِبْتِسِمِي.. فَحِينَمَا تَبْتَسِمِينَ كَاللَّظِي، أُدْرِكُ ضَعْفِي،  
وَحَقِيقَتِي، فَأَسْتَسَلِّمُ كَالطِّفْلِ لَزَهْرَةِ البُكَاءِ.

هِيَ الدُّمُوعُ جَمْرَةٌ تُدْنِي الفُؤَادَ مِنْ مَقَامِ الشُّوقِ وَالرَّجَاءِ،  
إِبْتِسِمِي حَتَّى أَهْزِنِي فَتَسَاقِطُ أَحْجَارِي، وَيَصْفُرُ جَسَدِي،  
تَرَقَّ نَفْسِي، ثُمَّ أَرْتَمِي كَهَذَا البَحْرِ فِي جَمْرِ الصَّلَاةِ،  
كُونِي دَلِيلِي مَرَّةً إِلَى الصَّلَاةِ،

وَأَخْرَجِي سَفِينَتِي مِنْ تَبْحِ الفَلَاةِ،

كُونِي دَلِيلِي، وَاجْعَلِي مِصْبَاحَ قَلْبِي

يَسْتَمِدُّ مِنْ عُيُونِكَ الضِّيَاءِ،

كُونِي إِلَى النُّورِ دَلِيلِي. كَمْ إِلَى حَضْرَتِهِ سَعَيْتُ عَلَيَّ

أَعُوضُ فِي بِنْفَسَجِ الفَنَاءِ

لَكُمْ سَعَيْتُ مَا احْتَرَقْتُ كَالْفَرَاشِ. ضَائِعٌ أَنَا،

وَلَكِنَّ لَأَيَّالِ القَلْبِ كُلِّ مَرَّةٍ يَطْرُقُ أَبْوَابَ الرَّجَاءِ،

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 293.

(2) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، علم المعاني، ص: 153.

(3) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 146.

(4) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 25.

لَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْبِنْيَةُ الْإِسْمِيَّةُ الْأَسَاسِيَّةُ الْمُنْسُوخَةُ بِهَذَا النَّسَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَيْثُ اخْتَلَفَتْ صُورَتُهَا مِنْ سَطْرِ إِلَى آخَرَ، فَهِيَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِهَذِهِ الصُّورَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ:

كُونِي دَلِيلِي مَرَّةً إِلَى الصَّلَاةِ،

فَزِيدَ فِيهَا الظَّرْفُ (مَرَّةً)، وَقُدِّمَ عَلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (إِلَى الصَّلَاةِ) حِرْصًا مِنَ الشَّاعِرِ عَلَى إِجَابَةِ طَلْبِهِ وَالتَّمَسُّاسِ مُلْحًا مِنْهُ لِتَكُونَ هَذِهِ (الظُّبِيَّةُ) دَلِيلَهُ إِلَى الصَّلَاةِ وَإِلَى السَّكِينَةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً.

وَهِيَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ:

كُونِي دَلِيلِي، وَاجْعَلِي مَصْبَاحَ قَلْبِي

يَسْتَمِدُّ مِنْ عُيُونِكَ الضِّيَاءَ،

مُكْتَفِيَةً بِنَوَاةِ الْبِنْيَةِ أَوْ عُنْصُرِي الْإِسْنَادِ فِيهَا (المُسْنَدُ إِلَيْهِ وَالْمُسْنَدُ)، وَمَعَ ذَلِكَ تَظَلُّ الْبِنْيَةُ فِي سِيَاقِهَا الشُّعُورِيَّ الْمُتَوَثِّرَ عَاطِفِيًّا بِوَرَّةٍ غَنِيَّةٍ بِالذَّلَالَةِ وَثَرِيَّةٍ بِالطَّاقَةِ الْإِيحَائِيَّةِ الَّتِي يُوَلِّدُهَا التَّرَكِيبُ الشُّعْرِيُّ ذِي الْخُصُوصِيَّةِ النَّادِرَةِ حِينَ يَلْتَمِسُ الشَّاعِرُ فِي ضِرَاعَةٍ مِنَ الظُّبِيَّةِ أَنْ تَجْعَلَ (مَصْبَاحَ) قَلْبِهِ يَسْتَمِدُّ ضِيَاءَهُ مِنْ عُيُونِهَا فَيُنْكَشِفُ لَهُ الدَّرْبُ إِلَى حَضْرَةِ (الثُّورِ)، إِنَّ الْمُرْفَدَةَ الشُّعْرِيَّةَ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْجَمَالِيِّ تَتَحَوَّلُ إِلَى (إِشَارَةٍ)، بِالْمَعْنَى السِّمِّيُولُوجِيَّةِ، فَتَكْتَفِي بِدَلَالَتِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَتَتَخَلَّى عَنْ مَدْلُولِهَا الذَّهْنِيِّ، وَهَذَا مَا يَضْمَنُ لَهَا حُرِّيَّةَ الْحَرَكَةِ، وَيُحَقِّقُ لَهَا الْإِنْعِتَاقَ، وَتَقْرِبُهَا مِنْ مُتَّصِرِهَا الذَّهْنِيِّ الَّذِي كَانَ عَالِقًا بِهَا، وَيُمْكِنُهَا مِنْ إِحْدَاثِ (الْأَثَرِ) الْحُرِّ وَتَنْوِيْعِهِ مَعَ كُلِّ قِرَاءَةٍ. (1) إِنَّ دَوَالَ الْمَقْطَعِ إِشَارَاتٌ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى دَلَالَاتٍ مُحَدَّدَةٍ رَغْمَ الرَّمْزِيَّةِ الصُّوْفِيَّةِ الَّتِي تَنْسِمُ بِهَا.

وَالْبِنْيَةُ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ:

كُونِي إِلَى الثُّورِ دَلِيلِي.

فَأُضِيفَ إِلَيْهَا الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ (إِلَى الثُّورِ) الَّذِي اعْتَرَضَ بَيْنَ الْعُنْصُرَيْنِ الْمُتَلَازِمَيْنِ (المُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) تَحْدِيدًا وَتَخْصِيصًا لِحِجَّةِ هَذَا الطَّلَبِ وَتَتِمِيمًا لِلْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ (الظُّبِيَّةُ) دَلِيلَ الشَّاعِرِ إِلَى الثُّورِ أَوْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَـ (التَّتَمِيمُ) "أَنْ يَذْكَرَ الشَّاعِرُ الْمَعْنَى فَلَا يَدْعُ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَتِمُّ بِهَا صِحَّتُهُ وَتَكْمُلُ مَعَهَا جَوْدَتُهُ شَيْئًا إِلَّا أَتَى بِهِ". (2) إِنَّ مُقَابَرَةَ الْأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ -وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ إِلَى ذَلِكَ- لَا تَنْطَلِقُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْأَنْسَاقِ بَعْدَهَا أَنْسَاقًا مَيِّتَةً أَوْ جَامِدَةً، مُنْعَزَلَةً أَوْ مُحَايِدَةً، وَإِنَّمَا تَنْطَلِقُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا بَعْدَهَا أَنْسَاقًا حَيَّةً أَوْ مُتَحَرِّكَةً، مُنْدَمِجَةً أَوْ مُتَفَاعِلَةً مَعَ سِيَاقَاتِهَا مُؤَدِّيَةً لِلدَّلَالَاتِهَا وَمُنْجِرَةً لِجَمَالِيَّاتِهَا، وَمُنْخَرِطَةً مُتَنَاعِمَةً فِي شَبَكَةِ الْمَكُونَاتِ النَّسْفِيَّةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ وَالتَّصْوِيرِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ لِبِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ.

(1) عبد الله الغدامي: تشريح النص، ص: 20.

(2) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص: 144.

وَذَلِكَ مَا يَتَجَلَّى فِي مُقَارَبَةِ أَنْسَاقِ تَرْكِيبِيَّةٍ مُجْتَمِعَةٍ فِي سِيَاقَاتِ نَفْسِيَّةٍ وَشُعُورِيَّةٍ مُتَمَاثِلَةٍ، لَا يَغِيبُ عَنْهَا التَّسْقُ التَّرْكِيبِيُّ الْمُنْسُوخُ بِـ(كَانَ)، فَـ(كَانَ) أَكْثَرُ الْأَفْعَالِ النَّاسِخَةِ اسْتِعْمَالًا فِي اللُّغَةِ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي الشُّعْرِ، كَمَا يَتَضَحُّ فِي الْمَقْطَعَيْنِ الشُّعْرِيَيْنِ التَّالِيَيْنِ، حَيْثُ يَلْتَقِي فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ نَسْفَانِ تَرْكِيبِيَّانِ اسْمِيَّانِ، بِنِيَّةِ النَّسْقِ الْأَوَّلِ بَسِيطَةٍ تُتَأَلَّفُ مِنَ النَّاسِخِ الْفِعْلِيِّ (كَانَ) بِصِيغَةِ الْمَاضِي لِذِلَالَتِهِ عَلَى اتِّصَافِ اسْمِهِ بِخَبْرِهِ فِي زَمَنِ مَاضٍ، وَتَتَرَدَّدُ هَذِهِ الْبِنِيَّةُ مَرَّتَيْنِ فِي مَطَّلَعِ الْمَقْطَعِ؛ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى يُرَاعِي فِيهِ بِنَاءَ الْجُمْلَةِ الْقَاعِدَةَ الْمُنْصُوصَ عَلَيْهَا (كَانَ+اسْمٌ+خَبْرٌ)، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ يُحْذَفُ الْاسْمُ وَ(يُضْمَرُ) لِذِلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ غَيْرَ أَنَّ الْخَبَرَ يَتَأَخَّرُ لِلْإِعْتِرَاضِ الطَّارِئِ (كَانَ+اسْمٌ) مَحْذُوفٌ مُقَدَّرٌ (هُوَ) +شِبْهَ جُمْلَةٍ+خَبْرٌ، وَتَتَضَمَّنُ بِنِيَّةَ (كَانَ) الْأُولَى بِإِجْزَائِهَا دِلَالَةَ التَّقْرِيرِ بِطُولِ الصِّيْفِ، وَتَتَضَمَّنُ بِنِيَّةَ (كَانَ) الثَّانِيَةَ تَقْرِيرًا وَتَأْكِيدًا لَطُولِ الصِّيْفِ مِنْ حِلَالِ التَّشْبِيهِ الْمُجَسَّدِ لِلطُّولِ الْمُحْسُوسِ فِي طُولِ (الآه) الْمُحْسُوسِ، أَيْضًا، فَقَدْ أَوْجَعَ الصِّيْفُ بِطُولِهِ وَثِقَلِهِ الشَّاعِرَ كَمَا تُوجِعُ (الآه) الطُّوِيلَةُ الْعَمِيقَةُ وَقَدْ حَطَّ بِكُلِّكَلِهِ عَلَى صَدْرِ الشَّاعِرِ الْمُنْخُورِ هَمًّا وَغَمًّا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

كَانَ الصِّيْفُ طَوِيلًا،  
كَانَ كَمَا الْآهَ طَوِيلًا،  
حَطَّ بِكُلِّكَلِهِ الْمُرَّ عَلَى  
صَدْرِي الْمُنْخُورِ رَيْبًا وَشِتَاءَ،  
حَطَّ بِكُلِّكَلِهِ أَمْسٍ، تَطَاوَلَ.. ثُمَّ اسْتَرْخَى  
كَالْحُزْنَ عَلَى أَرْضِ جَرْدَاءَ،  
اسْتَسَلَمَ، كَالطُّفْلِ، لِنَوْمٍ أَعْمَقَ مِنْ جُرْحِ الصَّخْرَاءِ،  
صَارَ الْحُلْمُ بِأَنْدَاءِ الْعَيْثِ سَرَابًا،  
هَذَا الْحُلْمُ الشَّاسِعُ صَارَ سَرَابًا،  
فَاسْتَسَلَمْتُ لِيَرِدِ الصِّيْفِ اسْتِسْلَامًا،  
اسْتَسَلَمْتُ وَقُلْتُ:  
لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ  
لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْتَ مَنَعْتَ  
لَكَ الْحَمْدُ..  
لَكَ الْحَمْدُ..  
لَكَ الْحَمْدُ.

(1) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 39.

إنَّ صُورَةَ الْمُعَانَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي السُّطُورِ الْخَمْسَةِ تُحِيلُ عَلَى صُورَةِ مُعَانَةِ الشَّاعِرِ الْقَدِيمِ مَعَ لَيْلِهِ الطَّوِيلِ  
وَمُقَاسَاتِهِ لِلْأَحْزَانِ وَالشَّدَائِدِ، يَقُولُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ (130-80 ق هـ/496-544م)<sup>(1)</sup>:

وَلَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْمُهْمُومِ لِيَبْتَلِي  
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكَلٍ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فَهَذَا تَرْكِيْبٌ بَيَّانِيٌّ اسْتِعَارِيٌّ حَيْثُ اسْتَعَارَ أَمْرُؤُ الْقَيْسُ لَلَّيْلِ لَفْظَ (الصُّلْبِ)، وَاسْتَعَارَ لِطَوِيلِهِ فِعْلَ (تَمَطَّى) مُلَائِمًا  
بِهِ لَفْظَ (الصُّلْبِ)، وَاسْتَعَارَ لِأَوَائِلِهِ لَفْظَ (الْكُلْكُلِ) وَلِأَوَاجِرِهِ لَفْظَ (الأَعْجَازِ)، لِيَجْعَلَ هَذَا اللَّيْلَ أَكْثَرَ طَوِيلًا وَأَشَدَّ وَطْأَةً.  
وَيَسْتَعِيرُ الشَّاعِرُ الْحَدِيثُ لَفْظَ (الْكُلْكُلِ) لِلصَّيْفِ وَيَسْتَعِيرُ لِثِقَلِهِ عَلَى النَّفْسِ الْفِعْلَ (حَطَّ)، وَهَذَا التَّرْكِيبُ يَتَمَيَّزُ عَنِ  
التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ فِي دَلَالَتِهِ إِذِ التَّرْكِيبُ الْأَوَّلُ يَرَكِّزُ عَلَى صِفَةِ (الطُّولِ) الَّذِي تَجَاوَزَ الْمَقْدَارَ، وَيُرَكِّزُ التَّرْكِيبُ الثَّانِي  
عَلَى صِفَةِ (الطُّولِ) الْمُصْرَحِ بِهِ (تَطَاوَلَ../اسْتَسَلَمَ../لِنَوْمٍ أَعْمَقَ..)، وَيُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ شِدَّةَ الْوَطْأَةِ وَثِقَلَهَا وَدَيْمُومَتَهَا  
مِنْ خِلَالِ مَا يُوحِي بِهِ الْفِعْلَانِ (حَطَّ) وَ(اسْتَرَحَى) مِنْ اسْتِقْرَارِ وَثَبَاتِ وَمَا يُوحِي بِهِ اللَّفْظُ (كُلْكُلٍ) مِنْ ضَخَامَةٍ وَقُوَّةٍ  
وَصَلَابَةٍ، وَبِمَا يُوحِي بِهِ لَفْظُ (الصَّدْرِ الْمُنْحُورِ) مِنْ هَشَاشَةٍ وَضَعْفٍ أَوْ عَنَاءٍ وَنَصَبِ.

إنَّ بِنِيَّةَ التَّرْكِيبِ الْمُنْسُوخِ بِـ(كَانَ) تَنْحَوِّلُ فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى دَيْمُومَةِ الْحَالِ الْمَوْصُوفِ  
وَاسْتِمْرَارِهِ كَمَا تَدُلُّ مَجْمُوعَةُ الْأَفْعَالِ (حَطَّ/تَطَاوَلَ/اسْتَرَحَى/اسْتَسَلَمَ...)، وَكَمَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ دَلَالَةُ التَّرَاكِيْبِ الْبَيَّانِيَّةِ  
الْإِسْتِعَارِيَّةِ وَالْتَشْبِيهِيَّةِ. وَتَأْتِي بِنِيَّةُ النَّسَقِ التَّرْكِيبِيِّ الثَّانِي الْمُنْسُوخِ بِـ(صَارَ) بَعْدَ الْمَقْطَعِ الَّذِي هَيَمَّتْ فِيهِ  
بِنِيَّةُ (كَانَ) لِيَكْتَمِلَ الْمَشْهُدُ الثَّانِي لِلصُّورَةِ وَتَكْتَمِلَ مَعَهُ أَبْعَادُ الصُّورَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَتَنْخُذُ بِنِيَّةُ النَّسَقِ (صَارَ) صُورَتَيْنِ  
تَرْكِيبِيَّتَيْنِ؛ الْأُولَى (صَارَ الْحُلْمُ بِأَنْدَاءِ الْعَيْثِ سَرَابًا)، وَهِيَ بِنِيَّةٌ مُسْتَقَلَّةٌ نَحْوِيًّا بِعَنْصَرِيهَا (صَارَ) + اسْمُهَا + جَارٌ  
وَمَجْرُورٌ + خَبَرُهَا، حَيْثُ تَنْصَدِرُ (صَارَ) السُّطْرَ الشَّعْرِيَّ، وَيَنْزَاحُ خَبَرُهَا (سَرَابًا) عَنِ رُتْبَتِهِ لِلجَارِ وَالْمَجْرُورِ بِأَنْدَاءِ  
الْعَيْثِ الَّذِي جِيءَ بِهِ تَحْدِيدًا لِمَا يَنْصَرِفُ الْحُلْمُ إِلَيْهِ، وَتَدُلُّ الْبِنِيَّةُ عَلَى تَحْوِيلِ وَصَيْرُورَةِ (الحلم) -بِـ(العَيْثِ) الَّذِي  
يُغِيثُ الرُّوحَ وَيُحْيِي النَّفْسَ بِمَا يَنْثُرُهُ مِنْ أَنْدَائِهِ الْعُلُويَّةِ -سَرَابًا، وَلَكِنَّهُ الْحُلْمُ الَّذِي يَتَرَاءَى فِي الْخِيَالِ وَتَنْتَعِشُ  
بِنَسَمَاتِهِ الرُّوحَ وَلَا يَشْفِي جَرَاحَاتِهَا، يَصِيرُ سَرَابًا خَادِعًا يَتَرَاءَى فِي هَيَاةِ الْمَاءِ الْمُنْتَدِقِ وَلَا يُطْفِئُ ظَمًا. وَالْبِنِيَّةُ  
الثَّانِيَّةُ (صَارَ سَرَابًا) بِنِيَّةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِبِنِيَّةِ اسْمِيَّةٍ مُجَرَّدَةٍ كُبْرَى وَاقِعَةٌ خَبْرًا لِلْمُبْتَدَأِ، حُذِفَ فِيهَا الْاسْمُ وَدَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ.  
وَهَذِهِ الْبِنِيَّةُ بِوَصْفِهَا حُمَلًا لَا تَسْتَقِلُّ بِدَلَالَاتِهَا الْجَزْئِيَّةِ عَنِ دَلَالَةِ السِّيَاقِ الْكُلِّيَّةِ، فَهِيَ بِهَذَا الشَّرْطِ  
لَيْسَتْ وَاحِدَةٌ تَرْكِيبِيَّةٌ تُؤَدِّي مَعْنَى دَلَالِيًّا وَاحِدًا، وَاسْتَقْلَالُهَا فِكْرَةٌ نَسِيبَةٌ تَحْكُمُهَا عِلَاقَاتُ الْإِرْتِبَاطِ وَالرَّيْطِ

(1) امرؤ القيس: الديوان، ص: 49.

وَالْإِنْفِصَالِ فِي السِّيَاقِ". (1) أَوْ "سِلْسِلَةَ مِنَ الْمَكُونَاتِ تَتَفَاعَلُ فِيمَا بَيْنَهَا كَيْ تُؤَدِّي فِي النَّهَائَةِ الْمَعْنَى الْوَاحِدَ الْمَشْهُودَ وَأَسَاسُ هَذَا التَّفَاعُلِ التَّرَكِيبُ النَّحْوِيُّ؛ إِذْ لَوْلَا التَّرَكِيبُ النَّحْوِيُّ مَا نَشَأَ الْمَعْنَى الدَّلَالِي الْوَاحِدَ الْمَفْهُومَ مِنَ الْجُمْلَةِ". (2) فَالدَّلَالَةُ الْأَخِيرَةُ لِلتَّرَكِيبِ هِيَ وَلِيدَةُ السِّيَاقِ بِمَعْنَاهِ الْأَوْسَعِ.

وَبِهَذَا (التَّفَاعُلِ) وَ(الْإِرْتِبَاطِ) بَيْنَ الْأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ وَوَحْدَةِ (الْأَثَرِ النَّفْسِيِّ) الَّذِي تَتْرُكُهُ فِي الْمَتَلَقِّي يَتَّحَوَّلُ الْمَقْطَعُ إِلَى جُمْلَةٍ مُمْتَدَّةٍ تُشَكِّلُ مُتَابِلِيَّةً، أَيْ: "وَحْدَةٌ لُغَوِيَّةٌ مُتَجَانِسَةٌ نَحْوِيًّا وَدَلَالِيًّا دَاخِلَ النَّصِّ الشُّعْرِيِّ". (3) وَيَقُومُ تَكَرُّرُ الْأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ فِي الْمَقْطَعِ، بِطَرِيقَةٍ مَقْصُودَةٍ، عَلَى تَشْكِيلِ ظَاهِرَةٍ (التَّدْوِيمِ) الَّتِي تُعْنِي "تَكَرُّرَ التَّمَاذِجِ الْجُزْئِيَّةِ أَوْ الْمُرَكَّبَةِ بِشَكْلِ مُتَتَابِعٍ أَوْ مُتَرَاوِحٍ بُعِيَّةِ الْوُصُولِ بِالصِّيَاغَةِ إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْوَجْدِ الْمَوْسِقِيِّ وَالنَّشْوَةِ الْلُغَوِيَّةِ، عِنْدَئِذٍ تَتَصَاعَدُ الْبُنْيَةُ الْمَوْسِقِيَّةُ لِتَسَيِّرَ عَلَى الْمُسْتَوَى التَّصَوِيرِيِّ وَتُصْبِحُ رَمْزًا تَتَكَثَّفُ حَوْلَهُ دَلَالَةُ الشُّعْرِ وَيَتَمَرَّكُزُ مَعْنَاهُ، وَتُصْبِحُ الصِّيَاغَةُ هِيَ مَحْوَرُ الْقُوَّةِ التَّعْبِيرِيَّةِ وَنُقْطَةُ التَّفَجِيرِ الشُّعْرِيِّ". (4) وَلَيْسَ الْوُصُولُ إِلَى النَّشْوَةِ أَوْ الْإِثَارَةِ الْلُغَوِيَّةِ الْفَتِيَّةِ فَحَسْبُ بَلِ النَّشْوَةُ أَوْ الْإِثَارَةُ الرُّوحِيَّةُ فِي التَّدْوِيمِ بِالنَّسَقِ الْإِسْمِيِّ (لَكَ الْحَمْدُ) خَمْسَ مَرَّاتٍ بِشَكْلِ مُتَتَابِعٍ مَسَائِرٍ لِلْمَضْمُونِ الشُّعْرِيِّ الشَّفَافِ.

وَفِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي تَجْتَمِعُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ الْإِسْمِيَّةِ الْمَنْسُوخَةِ بِأَفْعَالٍ نَاقِصَةٍ، أَكْثَرَهَا تَوْظِيفًا (كَانَ) وَ(صَارَ) وَمَا أَفَادَ مَعْنَى (صَارَ) كـ(غَدَا/عَادَ)، وَلِلنَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الْمَنْسُوخِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ قِيمَتُهُ التَّعْبِيرِيَّةُ مِنْ خِلَالِ تَصْوِيرِ الْمُحْتَوَى الْوَجْدَانِيِّ وَالْمَضْمُونِ الشُّعْرِيِّ لِلْقَصِيدَةِ الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي تَتَّحَوَّلُ إِلَى مُعَادِلٍ لُغَوِيٍّ يُجَسِّدُ الْمَعَانَةَ الَّتِي تُقَاسِمُهَا الذَّاتُ الشَّاعِرَةُ فِي وَاقِعِهَا الْأَلِيمِ، فَالتَّرَاكِيبُ النَّحْوِيَّةُ تُشَكِّلُ أَدَوَاتٍ تَعْبِيرِيَّةً تَسَاوَى مَعَ الْكَلِمَاتِ". (5) وَتَأْتِي مَجْمُوعَةُ الْأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ مُتَخَلِّلَةً السُّطُورَ مُحَوَّلَةً بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ إِلَى بِنْيَتَيْنِ زَمَنِيَّتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ؛ بِنْيَةُ (الْمَاضِي) الَّتِي تُمَثِّلُهَا دَلَالَةُ الْفِعْلِ النَّاقِصِ (كَانَ) فِي تَصْرِيْفَاتِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَبِنْيَةُ (الْحَاضِرِ) تُمَثِّلُهَا دَلَالَةُ أَفْعَالِ نَاقِصَةٍ كـ(صَارَ) وَ(أَضْحَى)، وَتَجْمَعُ الْبِنْيَتَيْنِ عِلَاقَةُ (التَّحْوِيلِ) وَ(الصَّيْرُورَةِ) كَمَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ مَدْلُولَاتُ الدَّوَالِّ الْفِعْلِيَّةِ، فَتُهَيِّمُنِ بِنْيَةُ (الْمَاضِي) الْوَاصِفَةَ لِحَالِ الشَّاعِرِ/الشَّعْبِ الْفِلِسْطِينِيِّ عَلَى الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فِي قَصِيدَةِ (أَحْلَامِ قَدِيمَةٍ)، يَقُولُ وَوَلِيدُ قَصَابٍ (6):

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ لِي أَرْضٌ وَبَيْتٌ  
مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

(1) مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، ط: 1، 1997، ص: 148.

(2) المرجع نفسه، ص: 131-132.

(3) محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص: 113.

(4) صلاح فضل: إنتاج الدلالة الشعرية، ص: 184.

(5) بيار جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص: 38.

(6) وليد قصاب: صور من بلادي، ص: 40.

كَانَ لِي حَقْلٌ، وَقَمَحٌ، وَغِلَالٌ  
وَحَصَادٌ، آخِرَ الْعَامِ، وَمَالٌ

\*\*\*

كُنْتُ مِثْلَ النَّسْرِ عِزًّا وَإِبَاءً  
وَإِخْتِيَالًا، وَشُمُوخًا، وَعَلَاءً  
كُنْتُ أَحْيَا فَوْقَ أَرْضِي فِي سَلَامٍ  
فِي صَفَاءٍ وَأَمَانٍ وَوَيْسَامٍ

فَالنَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الْمُنْسُوخُ بِـ (كَانَ) هُوَ النَّسَقُ الْأَسَاسُ فَوْي الْمَقْطَعَيْنِ، وَقَدْ تَرَدَّدَتْ بِنَيْتِهِ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ، مُتَّخِذَةً صُورَتَيْنِ تَرْكِيبِيَّتَيْنِ؛ الْأُولَى ((كَانَ)) + الْخَبْرَ (شِبْهَ جُمْلَةٍ) الْمُقَدَّمُ + الْإِسْمُ (التَّكْرَرُ) الْمُؤَخَّرُ، وَهِيَ مُتَّحَقَّةٌ فِي الْجُمْلَتَيْنِ (كَانَ لِي أَرْضٌ... / كَانَ لِي... حَقْلٌ)، وَالثَّانِيَةُ ((كَانَ)) + الْإِسْمُ (ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ) + الْخَبْرَ (مُفْرَدٌ/جُمْلَةٌ) وَهِيَ مُتَّحَقَّةٌ فِي الْجُمْلَتَيْنِ (كُنْتُ مِثْلَ النَّسْرِ عِزًّا... / كُنْتُ أَحْيَا فَوْقَ أَرْضِي...)، وَتَمْتِيزُ بِنَيْتِ النَّسَقِ فِي صُورَتَيْهِ بِالْعُدُولِ عَنِ التَّمَطِّ الْمَأْلُوفِ فِي تَرْتِيبِ الْعَنَاصِرِ إِلَى النَّسَقِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِيهِ الْمُسْنَدُ (الْخَبْرَ) الَّذِي وَرَدَ شِبْهَ جُمْلَةٍ (لِي) عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ (الْإِسْمُ) لِلتَّخْصِيسِ وَالتَّشْوِيقِ الْمُتَلَقِّي إِلَى مَعْرِفَةِ الْإِسْمِ، وَتُكْرَرُ فِيهِ الْإِسْمُ الْمُتَأَخَّرُ فِي (أَرْضٌ/حَقْلٌ... دَلَالَةً عَلَى مَا كَانَ يَمْلِكُهُ الشَّاعِرُ/الشَّعْبُ فِي وَطَنِهِ مِنْ أَرْضٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ مَتَاعٍ وَأَعْرَاضٍ هِيَ الْآنَ ضَائِعَةٌ مَفْقُودَةٌ وَمَسْلُوبَةٌ.

وَيَبْدَأُ الْمَقْطَعُ الثَّلَاثُ بِـ (ثُمَّ)، وَهِيَ أَحَدُ أَحْرَفِ الْعَطْفِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّرَاحِي أَوْ الْإِنْفِصَالِ<sup>(1)</sup> وَمَا يُشَكِّلُ الْمَقْطَعَانَ بَعْدَ (ثُمَّ) بِنَيْتِ مَفْصَلِيَّةِ دَالَّةٍ عَلَى بَدَايَةِ التَّحْوِيلِ التَّدْرِيجِيِّ فَوْي بِنَيْتِ الْقَصِيدَةِ الْوَاقِعِ بِدُخُولِ هَذِهِ الْأَوْغَادِ الطُّغَاةِ وَقَدْ تَرَكُوا آثَارًا شَامِلَةً مُرَوِّعَةً، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

ثُمَّ هَدَّتْنِي جِرَاحُ دَامِيَاتُ  
دَخَلَ الْأَوْغَادُ أَرْضِي وَالطُّغَاةُ  
دَخَلُوهَا لَعْنَةً صَبَّتْ وَمَقْتًا  
وَبَلَاءً شَامِلًا يَبْتَأُ فَيَبْتَأُ

\*\*\*

نَزَلُوهَا ذَاتَ يَوْمٍ كَالْقَضَاءِ  
كَالرِّزَايَا كَالْحَاتِ كَالْبَلَاءِ  
تَرَكُوا الدُّنْيَا عَوِيلاً وَبُكَاءَ  
وَنِسَاءً نَاكِلَاتٍ وَدِمَاءَ

(1) ابن عقيل: شرح ابن عقيل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1411هـ-1990م، ج: 2، ص: 209.

(2) وليد قصاب: صور من بلادي، ص: 40.

فَالْبِنْيَةُ الْمَفْصَلِيَّةُ مُرْتَبِطَةٌ بِمَا سَبَقَ بِوِاسِطَةِ أَدَاةِ الرَّبْطِ النَّصْبِيِّ (ثُمَّ) وَدَالَةٌ عَلَى بِنْيَةِ (الْمَاضِي)، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ مُمَهَّدَةٌ لِمَا يَأْتِي مِنْ بِنْيَةِ (الْحَاضِرِ)، وَتُعَدُّ الْبِنْيَةُ الْمَفْصَلِيَّةُ تَحْسِيدًا لِعَلَّاقَةِ التَّحَوُّلِ وَالصِّيْرُورَةِ مِنْ بِنْيَةِ امْتِلَاكِ إِجْبَائِيَّةٍ فِي كُلِّ أَبْعَادِهَا إِلَى بِنْيَةٍ فَقَدْ سَلْبِيَّةٍ فِي كُلِّ أَبْعَادِهَا. وَيُمَثِّلُ النَّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ الْمَنْسُوخُ بِالْفِعْلِ النَّاقِصِ (صَارَ) - أَوْ مَا يُنُوبُ عَنْهُ فِي وَظِيفَتِهِ وَدِلَالَتِهِ - الْمُؤَشِّرَ اللَّغْوِيَّ عَلَى بِنْيَةِ (الْحَاضِرِ) الَّتِي يُهَيِّمُنُ فِيهَا النَّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ الْمَنْسُوخُ بِـ (صَارَ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

مَنْ بَقُوا صَارُوا قَطِيعًا كَالْكِلَابِ  
بَيْتُهُمْ فِي الرِّيحِ وَالْقَفْرِ الْيَابِ  
صَارَتِ الْآهَةُ لَحْنًا لِلْكِبَارِ  
مَاتَتِ الْبِسْمَةُ فِي عَيْنِ الصَّغَارِ

\*\*\*

ثُمَّ أَضْحَى وَطَنِي الْعَالِي سَرَابًا  
بَعْدَ مَا أُمَسَّتْ مَعَانِيهِ يَبَابًا  
إِنَّهُ الْيَوْمَ ظَلَالٌ فِي الْخِيَالِ  
كُلُّ مَنْ فِيهِ مَضُوءٌ نَحْوَ الزَّوَالِ

\*\*\*

الرِّفَاقُ الْغُرُّ وَالرَّبْعُ الْكِرَامُ  
وَالْأَمَانِي، وَالْحَكَايَا، وَالْعَرَامُ  
كُلُّ شَيْءٍ صَارَ ذِكْرِي لَأُطَالَ  
صَارَ كَالْغَيْمِ بَعِيدًا لَأُيْنَالُ

لَقَدْ تَحَلَّى ذَلِكَ النَّسْقُ فِي الصُّورِ التَّرْكِيْبِيَّةِ الْآتِيَةِ الَّتِي اقْتَضَاهَا السِّيَاقُ الشَّعْرِيُّ:

- الصُّورَةُ الْأُولَى ((صَارَ) + اسْمُهَا (ضَمِيرِ الْعَائِبِ) + خَبَرُهَا (اسْمُ ظَاهِرِ)).

- الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ ((صَارَ) + اسْمُهَا (اسْمُ ظَاهِرِ) + خَبَرُهَا (اسْمُ ظَاهِرِ)).

- الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ ((صَارَ) + اسْمُهَا مَحذُوفٌ + خَبَرُهَا (اسْمُ ظَاهِرِ)).

- الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ ((صَارَ) + اسْمُهَا مَحذُوفٌ + خَبَرُهَا (اسْمُ ظَاهِرِ) مُؤَخَّرٌ).

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 42.

بالإضافة إلى ما سلف فقد أسهم السقان التركيبان المنسوخان بـ(أضحى) و(أمسى) في توكيد بنية النسق المنسوخ بـ(صار)، فهما يعوضانها من حيث المعنى للدلالة كل من(أضحى) و(أمسى) على التحول والانتقال.<sup>(1)</sup> فهما منزحان عن الدلالة على مجرد اتصاف الاسم بالخبر وقت الضحى أو وقت المساء، يقول الشاعر:

ثُمَّ أَضْحَى وَطَنِي الْعَالِي سَرَابًا  
بَعْدَمَا أَمَسْتَ مَعَانِيهِ يَبَابًا  
إِنَّهُ الْيَوْمَ ظِلَالٌ فِي الْخِيَالِ  
كُلُّ مَنْ فِيهِ مَضُوءٌ نَحْوَ الزُّوَالِ

ويأتي المقطع الأخير مختتمًا بنية الحاضر المؤلم بما تضمنته من أنساق تركيبية اسمية منسوخة بالحرف (إن) وبالفعل (لم نعد) الذي يتضمن معنى (صار)، يقول الشاعر في المقطع الثامن<sup>(2)</sup>:

إِنَّا الْيَوْمَ خِيَامٌ فِي الْبَوَادِي  
وَجُمُوعٌ شُرِّدَتْ فِي كُلِّ نَادٍ  
لَمْ نَعُدْ نَاسًا لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ  
مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

وتلخص بنية المقابلة المعنوية التي أساسها الفعلان الناقضان (كان#لم نعد) في البيت:

لَمْ نَعُدْ نَاسًا لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ  
مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

وفي البيت:

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ لِي أَرْضٌ وَبَيْتٌ  
مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

تحويلات البنية الكلية للقصيدة التي هي جماع بنيتي الماضي والحاضر، بنية الماضي بدالها اللساني (كان) الذي يوحى بدلالة الامتلاك الحقيقي الذي يقبع، في لحظة الإبداع الشعري، في عالم الخيال أو (الغيب)، ويستدعيه فعل التذكر، وبنية الحاضر بدالها اللساني (صار) الذي يوحى بدلالة الفقد الحقيقي الذي يمثل في عالم الواقع أو (الشهادة) ويكشف عنه فعل الرؤية.

#### 1-1-2-2-2-2-1-1 النسق التركيبي الفرعي الثاني المنسوخ بالفعل (ليس):

وقد تجلّى النسق التركيبي الفرعي الثاني على مستوى القصيدة من خلال مجموعة من الصور التركيبية الاسمية، فقد ورد في صورة (ليس) + اسمها + خبرها التي تتألف من التاسخ الفعلي (ليس) واسمها وخبرها، وشكلت

(1) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 83.

(2) وليد قصاب: صور من بلادي، ص: 42.

نَسَقًا تَرْكِيبِيًّا مَنْفِيًّا تَوَاتَرَتْ بِنِيَّتُهُ فِي سِيَاقَاتِ الْقَصِيدَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَيُعَدُّ دَالُ النَّفْيِ أَوْ النَّاسِخِ (لَيْسَ) فِعْلًا مَاضٍ نَاقِصًا جَامِدًا يَرْفَعُ الْمُبْتَدَأَ وَيَنْصِبُ الْخَبَرَ. (1) وَيُفِيدُ مَعْنَى النَّفْيِ (2)؛ أَي نَفْيِ اتِّصَافِ اسْمِهَا بِمَعْنَى خَبَرِهَا فِي الزَّمَنِ الْحَالِيِّ عِنْدَ عَدَمِ التَّقْيِيدِ بِزَمَنٍ، وَإِنْ نَفِي بِهَا غَيْرُ الْحَالِ فَتَحْتَاجُ إِلَى قَرِينَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ النَّفْيُ مُجَرَّدًا عَنِ الزَّمَنِ أَوْ يَشْمَلُ الْأَزْمِنَةَ الثَّلَاثَةَ. (3) وَالنَّفْيُ، مِنْ حَيْثُ اللَّعْنَةُ، "خِلَافُ الْإِيجَابِ وَالْإِثْبَاتِ". (4) وَمِنْ حَيْثُ الْإِصْطِلَاحُ "أُسْلُوبٌ لُغَوِيٌّ تُحَدِّدُهُ مَنَاسِبَاتُ الْقَوْلِ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ نَقْضٍ وَإِنْكَارٍ، يُسْتَعْتَمَدُ لِدَفْعِ مَا يَتَرَدَّدُ فِي ذَهْنِ الْمُخَاطَبِ، فَيَنْبَغِي إِرسَالُ النَّفْيِ مُطَابِقًا لِمَا يُلَاحِظُهُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ أَحَاسِيْسَ سَاوَرَتْ ذَهْنَ الْمُخَاطَبِ خَطَأً مِمَّا اقْتَضَاهُ أَنْ يَسْعَى لِإِزَالَةِ ذَلِكَ بِأُسْلُوبِ النَّفْيِ، وَيَأْخُذُ طَرَائِقَهُ الْمُتَنَوِّعَةَ الْإِسْتِعْمَالِ". (5) وَقَدْ أُنْجِزَتْ بِنِيَّةِ (النَّفْيِ) فِي الْقَصِيدَةِ بِدَوَالٍ لِسَانِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ حَرْفِيَّةٍ وَفِعْلِيَّةٍ وَأَسْمِيَّةٍ، وَ(لَيْسَ) فِي هَذَا النَّسَقِ هِيَ دَالُ النَّفْيِ الْفِعْلِيِّ الْمَشْحُونِ بِطَاقَةٍ تَعْبِيرِيَّةٍ نَظْرًا لِمَا يُمَارِجُهُ مِنْ مَضْمُونٍ وَجَدَانِيٍّ وَلَمَّا يُحْدِثُهُ فِي نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُتَلَقِّيِّ مِنْ حَرَكَةٍ شُعُورِيَّةٍ.

وَتَتَنَوَّعُ بِنِيَّةُ الصُّورَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْمُنْسُوخَةِ الْمَنْفِيَّةِ بِـ (لَيْسَ) بِحَسَبِ تَأْلِيفِ مَكُونَاتِهَا وَتَرْكِيبِ عَنَاصِرِهَا، فَمِنْ صُورِهَا الصُّورَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ (لَيْسَ) + الْإِسْمُ (ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُتَّصِلِ) + الْخَبَرَ الْجُمْلَةَ الْفِعْلِيَّةَ الَّتِي يُوظِّفُهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَشْمَاوِيَّ مَرَّتَيْنِ فِي وَصْفِ الْحُزْنِ الْمُحِيطِ بِهِ، يَقُولُ (6):

لَيْلٌ يُلُوحُ أَمَامِي مُدَجَّجًا بِالظُّلَامِ  
يَجْرُ ذَيْلًا طَوِيلًا يَسُوقُ جَيْشَ قَتَامِ  
فَلَسْتُ أَعْرِفُ حَدًّا لَطُولِهِ الْمُتْرَامِي  
وَلَسْتُ أَعْرِفُ حَدًّا حُزْنِي الْمُتَنَامِي

تُشَكِّلُ بِنِيَّةُ الصُّورَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْمُنْسُوخَةِ الْمَنْفِيَّةِ (لَسْتُ أَعْرِفُ...) بِتَكَرُّرِهَا بِنِيَّةٍ مُتَشَاكِلَةً تَرْكِيبِيًّا عَلَى مُسْتَوَى بِنِيَّةِ الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ الْمُتَوَاجِدَةِ فِيهِ، فَالشَّاعِرُ فِي الْبِنِيَّةِ الْأُولَى يَنْفِي الْمَعْرِفَةَ بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حَدِّ لَطُولِ اللَّيْلِ الْمُتْرَامِي وَيَنْفِي فِي الثَّانِيَةِ مَعْرِفَةَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حَدِّ لِلْحُزْنِ الْمُتَنَامِي. وَيَجْعَلُ نَظْمَ التَّرَاكِيْبِ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ التَّشَاكُلَ يَنْسَحِبُ عَلَى غَالِبِيَّةِ الدَّوَالِ اللَّسَانِيَّةِ كَدَالِ النَّفْيِ وَالضَّمِيرِ وَالصَّبِيغَةِ الزَّمْنِيَّةِ لِفِعْلِ جُمْلَةِ الْخَبَرِ وَالْحَرْفِ الْجَارِ وَالصَّبِيغَةِ الصَّرْفِيَّةِ لِلصَّفَةِ، وَتَكْمُنُ قِيَمَةُ التَّشَاكُلِ فِي التَّكْرَارِ وَالْإِلْحَاحِ وَالتَّوَكِيدِ وَتَوْقِيعِ الْجُمْلَةِ الشُّعْرِيَّةِ.

(1) إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 383.

(2) عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص: 121.

(3) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 84.

(4) إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ص: 934.

(5) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص: 246.

(6) عبد الرحمن العشماوي: جولة في عربات الحزن، ص: 63.

وَيَسْتَعْمَلُ الْعَشْمَاوِي الصُّورَةَ التَّرَكِيبِيَّةَ الْمُنْسُوخَةَ الْمُنْفِيَّةَ بِـ(لَيْسَ) مَتَحَقِّقَةً فِي الْبِنْيَةِ الْإِسْمِيَّةِ (لَسْتُ أُدْرِي) الَّتِي تَرُدُّ بِمِثَابَةِ الْجَوَابِ عَنْ مُتَّالِيَةٍ مِنَ الْإِسْتِفْهَامَاتِ الَّتِي تُشَكِّلُ "وَحْدَةً لُغَوِيَّةً مُتَّحَانِسَةً نَحْوِيًّا وَدَلَالِيًّا دَاخِلَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ".<sup>(1)</sup> وَهِيَ وَحْدَةٌ تَمْتَدُّ لِتَشْمَلَ مَقْطَعًا شِعْرِيًّا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

يَا نِظَامَ الدُّوَلِ الْكُبْرَى سَمِعْنَا      مِنْكَ لَوْمًا، عَجَبًا كَيْفَ نُلَامُ؟!  
 أَلَلَامُ امْرَأَةٌ تَكَلَّى تُنَادِي      أَيْلَامُ الشَّعْبِ بِالْقَهْرِ يُسَامُ؟!  
 أَمِنْ الْإِرْهَابِ شَارُونَ بَرِي      وَهُوَ بِالْقَتْلِ شَعُوفٌ مُسْتَهَامُ؟!  
 أَيُّ مَكِيلَيْنِ يَا قَوْمُ لَدَيْكُمْ      بِهِمَا يُلْقَى إِلَى الْجَوْرِ الزَّمَامُ؟!  
 لَسْتُ أُدْرِي مَا الَّذِي تَعْنِي لَدَيْكُمْ      حُرْمَةُ النَّاسِ وَمَا يَعْنِي السَّلَامُ

تَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ (لَسْتُ أُدْرِي) مِنَ الْفِعْلِ (لَيْسَ) عَلَى صِيغَةِ الْمَاضِي النَّاقِصِ الْجَامِدِ وَأَسْمِهِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَفْرَدِ الْمُتَّصِلِ الْبَارِزِ (تُ) وَخَبْرِهِ الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ (أُدْرِي) الْمُؤَلَّفَةُ بِدَوْرِهَا مِنَ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ وَقَاعِلِهِ الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِّ الْمَقْدَرِ بِـ(أَنَا)، وَقَدْ دَلَّ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الْمُنْفِيُّ بِنَيْتِهِ عَلَى نَفْيِ الْحَالِ، وَلَكِنَّ بِنْيَةَ النَّفْيِ فِي سِيَاقَاتِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَكَرِّرِ بِأَدَوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ (أ- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) -كَيْفَ، أَيُّ، مَا(مَرَّتَيْنِ)) وَبَدَلَالَاتٍ مُتَّوَعَّةٍ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ يَتَحَوَّلُ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَيْرَةِ وَالْإِضْطِرَابِ فِي فَهْمِ الْمَقَائِسِ الَّتِي تَتَعَامَلُ بِهَا الدُّوَلُ الْكُبْرَى. وَقَدْ عَمِلَ مَوْجِعُ بِنْيَةِ النَّفْيِ، بِهَذِهِ الصُّورَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ، بَعْدَ سِلْسَلَةٍ مِنَ الْإِسْتِفْهَامَاتِ عَلَى تَثْبِيْتِ دَلَالَتِهَا وَتَرْسِيخِ نَفْيِهَا. وَمِنْ هَذِهِ الصُّورِ مَا يَرِدُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، يَقُولُ نَجِيبُ الْكِيْلَانِي<sup>(3)</sup>:

سَوْفَ أَبْقَى عَلَى الْوَفَا      دُونَ يَأْسٍ وَلَا عَشْرٍ  
 إِئِمَّا الصَّبْرُ مَرْكَبِي      وَطَرِيقِي إِلَى الظَّفَرِ  
 وَرِضَا اللَّهِ غَايَتِي      لَسْتُ أَشْكُوكَ يَا قَدْرَ  
 وَغَدًا يَنْجَلِي الْأَسَى      ثُمَّ أَلْقَاكَ يَا قَمْرَ

فَبِنْيَةِ الصُّورَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ (لَسْتُ أَشْكُوكَ...) شَبِيهَةٌ فِي تَرْكِيبِ عَنَاصِرِهَا بِالْبِنْيَةِ السَّابِقَةِ، وَيُؤَكِّدُ الشَّاعِرُ بِوَاسِطَتِهَا نَفْيَهُ لِلشُّكُوكِ وَقَدْ اخْتَارَ الصَّبْرَ مَرْكَبًا وَرِضَا اللَّهِ غَايَةً، وَتَرُدُّ هَذِهِ الصُّورَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ مُنْذَرِجَةً فِي بِنْيَةِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ تَقْرِيرًا لِلدَّلَالَةِ وَتَوْكِيدًا لِلْمَعْنَى وَوُثُوقًا بِالْمَعْرَى. فَهَذَا التَّوْظِيفُ يَكْشِفُ عَنْ آليَةٍ مِنَ الْآلِيَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ لِتَكْتِيفِ دَلَالَتِهِ وَمَقَاصِدِهِ بِشَكْلِ خَاصٍّ حِينَ يُدْمَجُ بَيْنَ وَسِيلَتَيْنِ أُسْلُوبِيَّتَيْنِ فِي

(1) محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص: 113.

(2) عبد الرحمن العشمائي: القدس أنت، ص: 210.

(3) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 46.

بِنْيَةٍ وَاحِدَةٍ لِيَفَجَّرَ الطَّاقَاتِ التَّعْبِيرِيَّةِ الكَامِنَةَ فِي عُمُقِ النَّصِّ، فَكْرًا وَشُعُورًا، وَيَنْقُلَهَا مِنْ حَيْزِ القُوَّةِ إِلَى حَيْزِ الفِعْلِ،  
أَوْ مِنْ حَيْزِ الكُمُونِ إِلَى حَيْزِ الظُّهُورِ، يَقُولُ مُصْطَفَى العُمَارِي (1):

لَمَّا يَزَلْ سَيْفُ الأَمِيرِ مُجَاهِدًا..

سَيْفُ الهُدَى..

قَدَّرَ عَلَيَّ حَدِيثَهُ يُشْرِقُ بِالرِّسَالَاتِ المَدَى

حَمَلَ البَشَائِرَ يَا ذُرُوبًا..

وَكَانَ فِي الرُّوْعِ الفِدَى

وَاللَّيْلُ مِنْ حَلْفِ البَحَارِ يَصِيحُ

وَالكَهْفُ الصَّدَى

إِنْ يَمْكُرُ اللَّيْلُ المَهْجِينَ، أَلَيْسَ مُقْتَرِبًا نَهَارِي!

أَهْوَاهُ مَزْرَعَةٌ تَمُوجُ بِكُلِّ دَانِيَةِ الثَّمَارِ

وَقَصِيدَةٌ خَضْرَاءَ مِثْلِ الطُّهْرِ فِي مَقْلِ الصَّعَارِ

وَأَرَاكَ يَا بَيْضَاءَ

يَكْبُرُ فِيكَ رَمْزُ الإِنْتِصَارِ

إِنَّ بِنْيَةَ (أَلَيْسَ مُقْتَرِبًا نَهَارِي!) بِنْيَةٌ إِشْنَائِيَّةٌ اسْتِفْهَامِيَّةٌ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ طَلَبَ إِفْرَارِ  
المُخَاطَبِ بِمَا يُرِيدُ المُتَكَلِّمُ. (2) وَمِنْ خِلَالِ بِنْيَةِ السُّؤَالِ يَفْتَحُ الشَّاعِرُ قَنَاطَةَ التَّوَاصُلِ المُبَاشِرِ مَعَ المُتَلَقِّي وَيُدْخُلُهُ فِي  
الحِوَارِ لِإِنْتِاجِ القَصِيدَةِ مَعًا، لِأَنَّ هَذِهِ البِنْيَةَ تَنْتَظِرُ بِنْيَةَ الجَوَابِ، وَيَنْتَقِلُ التَّرْكِيبُ مَعَهَا مِنَ التَّفْهِي إِلَى الإِثْبَاتِ الَّذِي  
يَكُونُ عَادَةً بِحَرْفِ الجَوَابِ (بَلَى) لِأَنَّ (بَلَى) جَوَابُ التَّفْهِي سِوَاهُ أَكَّانِ المَنْفِي خَيْرًا أَمْ اسْتِفْهَامًا. (3) وَيَتَقَدَّمُ المُسْنَدُ يَحْدُثُ  
تَشْوِيشًا لِلرُّبُوبَةِ يَنْتُجُ عَنْهُ اِهْتِمَامٌ وَتَأْكِيدٌ بِاللَّفْظِ المُتَقَدِّمِ، فَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِرُ المُسْنَدَ (مُقْتَرِبًا)، وَأَخَّرَ المُسْنَدَ  
إِلَيْهِ (نَهَارِي) لِثِقَتِهِ بِاقْتِرَابِ النَّهَارِ وَلِحِظَةِ الإِنْفِرَاجِ وَإِنْ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ وَاسْتَدَّتْ الأَرْمَةُ.

وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُلَاحِظَ عَلَى بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الإِسْمِيِّ بِمُخْتَلَفِ أُنْسَاقِهِ التَّرْكِيبِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ هُوَ تَنْوِيعُ الأُنْسَاقِ  
التَّرْكِيبِيَّةِ بِمَا يَخْدُمُ الدَّلَالَاتِ الَّتِي يُنتِجُهَا الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَتِهِ وَالْعَايَاتِ الجَمَالِيَّةِ الفَنِّيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ أُسْلُوبَهُ، وَهَذَا  
التَّنْوِيعُ يُلْغِي الرُّتَابَةَ الَّتِي تَسْمُ النَّصِّ الَّذِي تَنْتَظِمُ بُنَاهُ التَّرْكِيبِيَّةُ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ثَابِتٍ، وَيُؤَدِّي إِلَى إِخْصَابِ  
القَصِيدَةِ بِتَعَدُّدِ الأُنْسَاقِ وَاخْتِلَافِ الدَّلَالَاتِ. وَيَعُدُّ التَّنْوِيعُ فِي الأُنْسَاقِ التَّعْبِيرِيَّةِ اسْتِثْمَارًا لِطَاقَاتِ اللُّغَةِ الكَامِنَةِ  
وَإِمْكَانَاتِهَا الإِبْدَاعِيَّةِ بِوَأَسْطَةِ الإِنْتِزَاحَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ الدَّالَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ تَوْطِيفَ الأُنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ الإِسْمِيَّةِ فِي

(1) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 84.

(2) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان والبدیع، ص: 199.

(3) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص: 279.

صِيَاغَةُ التَّجْرِيبَةِ الشُّعْرِيَّةِ بِمَا تَتَّسِمُ بِهِ مِنْ قَصْرِ فِي الْعَالِبِ مُتَنَاسِبٌ مَعَ طَبِيعَةِ الْأَنْسَاقِ ذَاتِ السَّمَةِ التَّقْرِيرِيَّةِ وَالِدَّالَّةِ عَلَى الثُّبُوتِ، كَمَا أَنَّ تَوْظِيفَ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ بِكثَافَةٍ فِي جُمْلَةٍ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ أَوْ فِي خَبَرِ الْإِسْمِ الْمَنْسُوخِ دَالٌّ عَلَى مَيْلِ الشَّاعِرِ إِلَى إِسْبَاحِ صِفَةِ التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ عَلَى دِلَالَاتِ بَعْضِ بَنَى قَصِيدَتِهِ، فَالْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ بِمَا تَمْتَّازُ مِنْ دِلَالَةٍ عَلَى التَّجَدُّدِ هِيَ الْأَكْثَرُ إِثَارَةً فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَضَامِينِ التَّجْرِيبَةِ الشُّعْرِيَّةِ. وَلَاشَكَّ أَنَّ تَوْظِيفَ الْأَنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ فِي سِيَاقَاتِ الْقَصَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ يَمْنَحُ الْقَصِيدَةَ حُصُوصِيَّتَهَا التَّعْبِيرِيَّةَ.

## 1-2- بنية التركيب الفعلي:

تُعَدُّ بنية التركيب الفعلي بنية فاعلة بتنوع أنساقها التركيبية في بنية الفصيحة الدلالية، مُنتجةً لقيمها التعبيرية، دالةً في سياقاتها التركيبية المختلفة متميزة بالحركة والحيوية، وتتألف في صورتها الإسنادية البسيطة، من مكونين أساسيين (الفعل) و(الفاعل)، ويظهر التَّحْدِيدُ لمكونات الجملة الفعلية في قول ابن هشام (ت761هـ) في تعريفه الجملة، يقول: "الجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كقام زيد، والمبتدأ والخبر، كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضرب اللص، وأفائم الزيدان"، و"كان زيد قائماً" و"ظنته قائماً".<sup>(1)</sup> فبنية الجملة الفعلية عند ابن هشام تتألف من (فعل) يرد في الرتبة الأولى و(فاعل) يأتي في الرتبة الثانية، سواءً بني الفعل للمعلوم أم للمجهول أم كان الفعل فيها من باب (ظن) وأخواتها التي تنسخ الجملة الاسمية ولكنها ليست أفعالاً ناقصة لأنها تدل على حدث وتطلب فاعلاً.<sup>(2)</sup> فلا تكون الجملة فعلية إلا إذا كانت مبدوءة بفعل غير ناقص.<sup>(3)</sup> وقد أكد ابن هشام على رتبة الفعل في هذه الجملة بالقول: "هي التي صدرها فعل".<sup>(4)</sup> أمّا، حديثاً، فيعرف مهدي المخزومي الجملة الفعلية بأنها الجملة التي يكون فيها المسند فعلاً، وهي كاية جملة تتألف من ركنين رئيسين، هما: الفاعل، وهو المسند إليهن والفعل ومُتعلقاته، وهو المسند.<sup>(5)</sup> دون أن يخص الفعل برتبة الصدارة، فإذا كان الأصل في الجملة الفعلية أن يتقدم الفعل ويليهِ الفاعل ثم مُتعلقات الفعل فهذا النظام ليس ثابتاً، وقد تحول دونه ضرورة ما، فقد يحظى بعض أجزاء الجملة باهتمام المتكلم، فيفارق موضعه إلى الصدر.<sup>(6)</sup> وهذا مخرج الجملة من الفعلية إلى الاسمية التي نصّ النحاة القدامى على أنها "الجملة التي صدرها اسم".<sup>(7)</sup> وترتكز هذه المقاربة للتركيب على التصنيف الثنائي للجملة (الاسمية/الفعلية) المؤلف في الدرس التحوي على أساس العنصر المتصدر، وعلى ما يحققه من قيم في الفصيحة الشعرية.

تقوم صيغة الفعل الزمنية في التركيب الفعلي بمهمة توصيف الأنساق التركيبية الفعلية من ماضوية ومضارعية انطلاقاً من أن صيغة الماضي للدلالة على الماضي وصيغة المضارع للدلالة على الحاضر أو الاستقبال، وتتحقق الدلالات الزمنية (الماضي/الحاضر/الاستقبال) في الفعل شريطة إتفاء ما يدل في السياق من القرائن اللفظية أو المعنوية على جهة زمنية محددة أو تحول الصيغة الصرفية للفعل من دلالة إلى أخرى. فالصيغة الصرفية للفعل

(1) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 505.

(2) عبده الراجحي: التطبيق التحوي، ص: 200.

(3) عبده الراجحي: التطبيق التحوي، ص: 77.

(4) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 507.

(5) مهدي المخزومي: في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص: 90.

(6) المرجع نفسه، ص: 91.

(7) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 505.

وَالْقَرِينَةُ السِّيَاقِيَّةُ تُسَهِّمَانِ فِي تَعْيِينِ الدَّلَالَةِ الزَّمَنِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ النَّحْوُ هُوَ نِظَامَ الْعَلَاقَاتِ فِي السِّيَاقِ فَمَجَالُ النَّظَرِ هُوَ السِّيَاقُ وَلَيْسَ الصَّيْغَةُ الْمُنْعَزَلَةُ وَحَيْثُ يَكُونُ الصَّرْفُ هُوَ نِظَامَ الْمَبَانِي وَالصَّيْغُ يَكُونُ الزَّمَنُ الصَّرْفِيُّ قَاصِرًا عَلَى مَعْنَى الصَّيْغَةِ يَبْدَأُ بِهَا وَيَنْتَهِي بِهَا وَلَا يَكُونُ لَهَا عِنْدَمَا تَدْخُلُ فِي عِلَاقَاتِ السِّيَاقِ، فَلَا مَفْرَأَ إِذَا مِنَ النَّظَرِ إِلَى الزَّمَنِ فِي السِّيَاقِ نَظْرَةً تَخْتَلِفُ عَمَّا يَكُونُ لِلزَّمَنِ فِي الصَّيْغَةِ لِأَنَّ مَعْنَى الزَّمَنِ النَّحْوِيَّ يَخْتَلِفُ عَنِ مَعْنَى الزَّمَنِ الصَّرْفِيِّ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الزَّمَانَ الصَّرْفِيَّ وَظَيْفَةَ الصَّيْغَةِ وَإِنَّ الزَّمَانَ النَّحْوِيَّ وَظَيْفَةَ السِّيَاقِ تُحَدِّدُهَا الصَّمَامُ وَالْقَرَائِنُ".<sup>(1)</sup> فَلِلصَّيْغَةِ الْوَاحِدَةِ زَمَانٌ؛ أَحَدُهُمَا صَّرْفِيٌّ وَالْآخَرُ نَحْوِيٌّ، وَتَتَفَرَّعُ بِنِيَّةِ التَّرَكِيبِ الْفِعْلِيِّ فِي إِطَارِ النَّسَقِ الْخَبْرِيِّ إِلَى نَسَقِ تَرْكِيبِيٍّ مَبْنِيٍّ لِلْمَعْلُومِ وَآخَرَ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ، وَتَتَنَوَّعُ بِنِيَّةِ التَّرَكِيبِ الْفِعْلِيِّ فِي هَذَا الْإِطَارِ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ إِلَى أَنْسَاقٍ فِعْلِيَّةٍ (مَاضِيَّةٍ/مُضَارِعِيَّةٍ) مُتَكَرِّرَةٍ نَمَطِيَّةٍ وَمُنْزَاحَةً تُثْرِي دَلَالَاتِ الْقَصِيدَةِ.

### 1-2-1-النسق التركيبي الفعلي المبني للمعلوم:

مِمَّا يُلَاحِظُ عَلَى قِصَائِدِ الْمُتَنِ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّ نِسْبَةَ تَوَاطُرِ الْأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ فِيهَا تَتَجَاوَزُ نِسْبَةَ الْأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ الْإِسْمِيَّةِ، وَقَدْ شَكَّلَتْ بِتِلْكَ الْكثَافَةِ مُؤَشِّرًا أُسْلُوبِيًّا أَوْ مِنْبَهَا يَسْتَدْعِي اسْتِجَابَةَ الْمُتَلَقِّي وَمَثَلَتْ مُسْتَنَدًا مُسَاعِدًا فِي قِرَاءَةِ النَّصِّ وَتَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ حَرَكَتِهِ وَتَنَامِي حَرَكَةِ الشُّعُورِ وَالْإِنْفِعَالِ فِيهِ، عَلَى اخْتِلَافِ مَنْحَى التَّنَامِيِّ، فَقَدْ يَكُونُ تَنَامِيًّا تَصَاعُدِيًّا فِي مُسْتَهْلِ النَّصِّ وَتَنَازُلِيًّا فِي نَهَائِهِ كَمَا يَبْدُو فِي الْقِصَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُصَوِّرُ الْمَآسِي الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي يَحْيَاهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَالْمُعَاصِرِ فِي شَتَّى بَقَاعِ الْمَعْمُورَةِ أَوْ الْقِصَائِدِ الَّتِي تُعَالِجُ تَجَارِبَ شِعْرِيَّةً ذَاتِيَّةً تُتَسَمُّ بِبِنِيَّاتِ دِرَامِيَّةٍ وَأَضِحَةٍ، يَدُورُ الصَّرَاحُ فِيهَا بَيْنَ أَقْطَابِ ثُنَائِيَّةٍ مُتَنَاقِضَةٍ (الْحَيْرِ/الشَّرِّ، الْإِيمَانِ/الْكُفْرِ، الْعَدْلِ/الظُّلْمِ، الْأَمَلِ/الْأَلَمِ...)، وَلَا يُعَدُّ وَصْفُ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ بِـ(الْحَرَكَتِيَّةِ) حُكْمًا مَعْيَارِيًّا لِأَنَّهُ يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ "ضَرْبًا مِنَ الْاسْتِجَابَاتِ تَنَجَّتْ عَنِ مُبْهَاتِ كَامِنَةٍ فِي صُلْبِ النَّصِّ، وَلَكِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَحْكَامُ تَقْيِيمِيَّةً ذَاتِيَّةً فَإِنَّ رُبَطَهَا بِمُسَبِّبَاتِهَا بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا لَا تَكُونُ أَبَدًا عَفْوِيَّةً وَلَا اعْتِبَاطِيَّةً فِي نَشَاتِهَا هُوَ عَمَلٌ مَوْضُوعِيٌّ".<sup>(2)</sup> وَقَدْ يُلَاحِظُ عَلَى بِنِيَّةِ التَّرَاكِيِبِ الْفِعْلِيَّةِ تَفَاوُتٌ بَيْنَ بِنِي تَرَكَيبِ الْفِعْلِ الْمَاضِيِّ وَبِنِي تَرَكَيبِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ، وَهُوَ تَفَاوُتٌ نَاتِجٌ عَنِ خُصُوصِيَّةِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَالرُّؤْيِيَّةِ الَّتِي تُنْظِمُ عِلَاقَاتِهَا الدَّاحِلِيَّةَ فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ.

فَبِنِيَّةِ التَّرَكِيبِ الْفِعْلِيِّ تُهَيِّمُ عَلَى الْبِنِيَّةِ التَّرَكِيبِيَّةِ لِمَجْمُوعَةٍ مِنْ قِصَائِدِ دِيْوَانِ مُحَمَّدِ التَّهَامِيِّ (بَا إِلَهِي) إِلَى دَرَجَةِ أَصْبَحَ فِيهَا التَّعْبِيرُ بِالْبِنِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ (خَاصِيَّةً أُسْلُوبِيَّةً) لِلدِّيْوَانِ، وَهِيَ أَشَدُّ وَضُوحًا فِي قِصَائِدِ ثَلَاثَةِ قَصِيدَةٍ (وَأَمْعَنَصَمَاهُ) وَقَصِيدَةِ (فَارِسُ بَدْرٍ) وَقَصِيدَةِ (جِدَارُ الْمَسْجِدِ الْمُنْهَارِ فِي الْبُوسْنَةِ)، فَالْفِعْلُ فِي هَذِهِ الْقِصَائِدِ مُكُونٌ تَعْبِيرِيٌّ شَدِيدُ الْارْتِبَاطِ بِالْبِنِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ أَوْ تَعْوِيضُهُ بِـ(الْإِسْمِ) يُفْقِدُ النَّصَّ حَرَكَتَهُ

(1) تَمَامُ حَسَّانِ: اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، مَبَانِيهَا وَمَعْنَاهَا، عَالَمُ الْكُتُبِ، الْقَاهِرَةُ، ط: 3، 1418هـ-1998م، ص: 242.

(2) عَبْدُ السَّلَامِ الْمَسْدِيُّ: الْأَسْلُوبِيَّةُ وَالْأَسْلُوبُ، ص: 84.

الشُّعُورِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ، وَيُحْرِمُهُ مِنْ فَاعِلِيَّتِهِ الشُّعْرِيَّةِ، فَـ"غِيَابُ الْفِعْلِ خَاصَّةٌ يُجْرَدُ الصَّرْحُ اللَّغَوِيُّ مِنَ الْأَسَاسِ الَّذِي يَدْعُمُهُ".<sup>(1)</sup> وَيَقْطَعُ عَلَى النَّصِّ الشُّعْرِيِّ بِشَكْلِ أَحْصَ أَحَدَ أَغْنَى مَصَادِرِ حَيَوِيَّتِهِ.

تَشْتَمِلُ قَصِيدَةُ (وَأَمْتَصِمَاه) عَلَى أَرْبَعِينَ بِنِيَّةً فِعْلِيَّةً فِي حِينٍ لَمْ تَتَجَاوَزِ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ بِنِيَّةً، أَغْلِبَهَا بُنَى مَنْسُوخَةٌ بِالْحَرْفِ أَوْ بِالْفِعْلِ، وَقَدْ حَظِيَ التَّرْكِيبُ الْفِعْلِيُّ الْمَاضِي فِي بِنِيَّةِ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ بِأَثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ بِنِيَّةً دَالَّةً عَلَى (الْمُضِيِّ)، وَحَظِيَ فِيهَا التَّرْكِيبُ الْمُضَارِعِيُّ بِسَبْعِ عَشْرَةَ بِنِيَّةً. وَفِي قَصِيدَةِ (فَارِسُ بَدْرٍ) نُهَيْمِنُ الْبِنِيَّةَ الْفِعْلِيَّةَ بِشَكْلِ مُلْفِتٍ لِلنَّظَرِ مِمَّا يُحَوِّلُهَا إِلَى سِمَةِ أُسْلُوبِيَّةٍ لَا تُخْطِئُهَا الْقِرَاءَةُ؛ إِذْ بَلَغَ تَوَاتُرُهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَثَلَتْ نِسْبَةً (87.75%)، وَلَمْ يَتَعَدَّ تَوَاتُرُ الْبِنِيَّةِ الْإِسْمِيَّةِ سِتَّ مَرَّاتٍ مُمَثِّلَةً نِسْبَةً (12.24%)، وَقَدْ أَحْرَزَتْ بِنِيَّةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمُضَارِعِيِّ سِتًّا وَعِشْرِينَ بِنِيَّةً، وَحَازَتْ بِنِيَّةُ التَّرْكِيبِ الْمَاضِي عَلَى سَبْعِ عَشْرَةَ بِنِيَّةً. أَمَّا هَيْمَنَةُ الْبِنِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ فِي سِيَاقَاتِ قَصِيدَةِ (جِدَارِ الْمَسْجِدِ الْمُنْهَارِ فِي الْبُوسْنَةِ) فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَدْلِيلٍ فَقَدْ انْتَهَى مَجْمُوعُ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ فِيهَا إِلَى سَبْعِ وَخَمْسِينَ بِنِيَّةً فِعْلِيَّةً مُمَثِّلَةً نِسْبَةً (83.82%)، حَظِيَتْ فِيهَا بِنِيَّةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمُضَارِعِيِّ بِسَبْعِ وَثَلَاثِينَ بِنِيَّةً، وَبِنِيَّةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمَاضِي بِعِشْرِينَ بِنِيَّةً، وَبَلَغَ مَجْمُوعُ الْبُنَى الْإِسْمِيَّةِ إِحْدَى عَشْرَةَ بِنِيَّةً اسْمِيَّةً مُمَثِّلَةً نِسْبَةً (16.17%). وَقَدْ أَنْشَأَتْ هَذِهِ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ فِي الْقَصَائِدِ الثَّلَاثَةِ أَنْسَاقًا تَرْكِيْبِيَّةً فِعْلِيَّةً ذَاتَ إِيقَاعَاتٍ خَاصَّةٍ مُنْسَجِمَةً مَعَ السَّرْدِ الشُّعْرِيِّ الْمَتَمِيزِ فِي بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ بِخَصَائِصِهِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ فِي صِيغَتَيْهِ الْمُضَارِعِيَّةِ وَالْمَاضِيَّةِ وَالتَّمْيِيزِ بِدَلَالَاتِهِ الْفَنِيَّةِ.

هَذَا، وَيَضُمُّ النَّسَقُ التَّرْكِيبِيُّ الْفِعْلِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَعْلُومِ بُنَى تَرْكِيْبِيَّةً مَاضِيَّةً مُثَبَّتَةً وَمَنْفِيَّةً، مُجْرَدَةً وَمُؤَكَّدَةً، وَبُنَى تَرْكِيْبِيَّةً مُضَارِعِيَّةً مُثَبَّتَةً وَمَنْفِيَّةً، مُجْرَدَةً وَمُؤَكَّدَةً، تَوَاتَّرَتْ فِي صُورٍ تَرْكِيْبِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَتَحَقَّقُ فِيهَا عَمَلِيَّةُ الْإِسْنَادِ لَازِمَةً مُكْتَفِيَّةً بِالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ أَوْ مُتَعَدِّيَّةً مُتَجَاوِزَةً إِلَى الْمَفْعُولِ، فَفِي قَصِيدَةِ (وَأَمْتَصِمَاه) تَرْدُ بِنِيَّةُ هَذَا النَّسَقِ فِي صُورٍ تَرْكِيْبِيَّةٍ بَسِيْطَةٍ، يَقُولُ مُحَمَّدُ التَّهَامِيُّ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ<sup>(2)</sup>:

فَضَحْتَنَا عِنْدَمَا ضَاقَتْ بِكَ السُّبُلُ فَصَحْتَ بِالْأَهْلِ تَدْعُوهُمْ وَتَبْتَهَلُ  
يَا صَاحِ أَهْلِكَ قَدْ فَاتُوا مَضَارِبَهُمْ وَشَرُّدُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَارْتَحَلُوا  
حَلُّوا مَعَاقِلَهُمْ شَمَاءَ خَاوِيَةً وَفِي مَهَاوِيِ بَطُونِ الْأَرْضِ قَدْ نَزَلُوا

يَبْدَأُ الْمَطْلَعُ بِنِيَّةٍ فِعْلِيَّةٍ مَاضِيَّةٍ مُلْتَزِمَةً الْقَاعِدَةَ النَّحْوِيَّةَ فِي تَرْتِيبِ عَنَاصِرِهَا، هِيَ الْبِنِيَّةُ (فَضَحْتَنَا)، وَتُعَدُّ النَّوَاةُ الَّتِي تَتَفَرَّعُ عَنْهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبُنَى التَّرْكِيبِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ، وَتَتَأَلَّفُ هَذِهِ الْبِنِيَّةُ مِنَ الْفِعْلِ الْمَاضِي الْمُتَعَدِّي (فَضَحَ)، وَفَاعِلِهِ ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ الْمَتَّصِلِ (تَ) وَمَفْعُولِهِ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْمَتَّصِلِ (نَا)، وَقَدْ اسْتَوَى الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ

(1) جان كوهين: بينة اللغة الشعريَّة، ص: 178.

(2) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 60.

مِنْ حَيْثُ الْإِضْمَارُ، وَتَتَّضَمَّنُ الْبِنْيَةَ تَقْرِيراً وَإِخْبَاراً وَتَعْرِياً لِوَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنْهَزِمِ الَّذِي انْكَشَفَ وَأَنْفَضَحَ لَمَّا طَلَبَ قَائِدُ حَيْشِ الْبُوسَنَةِ الْمُسْلِمِ نَجْدَةَ عَسْكَرِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فَلَمْ تُجِبْهُ حُكُومَاتُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَتَكَرَّرُ بِنْيَةُ الصُّورَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ (خَلُّوا مَعَاقِلَهُمْ) مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْفِعْلِ (خَلَّى) وَفَاعِلِهِ الصَّمِيرُ (و) وَمَفْعُولُهُ الْإِسْمُ الظَّاهِرُ (مَعَاقِلَهُمْ)، وَفِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ وَالْعِشْرِينَ حَيْثُ تَأْتِي الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ (دَنَسُوا الدُّنْيَا)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

يَا وَيْلَهُمْ دَنَسُوا الدُّنْيَا فَمَا طَهَّرَتْ وَلَوْ فَضَّتْ عُمْرَهَا فِي الْبَحْرِ تَعْتَسِلُ

وَتَرْدُ بِنْيَةُ النَّسَقِ فِي صُورَةٍ تَرْكِيبِيَّةٍ يَكُونُ الْفِعْلُ فِيهَا مَاضِيًا لَازِمًا مُكْتَفِيًا بِفَاعِلِهِ، فَالْبِنْيَةُ (ارْتَحَلُوا) أُسْنَدَ فِيهَا الْفِعْلُ (ارْتَحَلَ) إِلَى وَائِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ فِي صُورَةٍ تَرْكِيبِيَّةٍ يَرِدُ فِيهَا الْفِعْلُ وَالْفَاعِلُ يَلِيهِمَا شِبْهُ جُمْلَةٍ كَمَا فِي (فَصِحَتْ بِالْأَهْلِ).

وَقَدْ تَرْدُ بِنْيَةُ النَّسَقِ مُؤَكَّدَةٌ لِتَنْسَجَمَ مَعَ الدَّلَالَةِ الَّتِي تَعْمَلُ الصُّورُ التَّرْكِيبِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ الْبَسِيطَةُ عَلَى تَعْمِيقِهَا وَتَكْرِيسِهَا فِي الْقَصِيدَةِ، تِلْكَ الدَّلَالَةُ السَّلْبِيَّةُ النَّاتِجَةُ عَنِ التَّحَسُّرِ وَالتَّأْسُفِ لِعَدَمِ تَلْبِيَةِ الدَّعْوَةِ وَلِحَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَكُونُ التَّوَكِيدُ بِخَرْقِ بِنْيَةِ النَّسَقِ وَالْعُدُولِ بِهَا عَنِ النَّظَامِ الْمِعْيَارِيِّ بِتَقْدِيمِ بَعْضِ عَنَاصِرِ الْبِنْيَةِ عَلَى بَعْضِ اهْتِمَامًا بِهَا أَوْ إِبْرَازًا لَهَا كَتَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (بِك) فِي (ضَاقَتْ بِكَ السُّبُلُ) عَلَى الْفَاعِلِ (السُّبُلُ)، وَتَتَوَاتَرُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمَاضِيَّةُ الْمُؤَكَّدَةُ بِتَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فَوْي مَوَاضِعَ مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ فِي صَدْرِهِمْ هِمَمٌ يَعُوقُهُمْ أَنَّهُمْ فِي دَارِهِمْ وَحَلُّوا  
لَا يَفْرَغُونَ لِنَارٍ فِي دِيَارِكُمْ لِأَنَّكُمْ بِدَوَاهِي نَارِهِمْ شَغُلُوا  
وَيَقُولُ<sup>(3)</sup>:

وَأَنَّهُمْ حَكَّمُوا فِينَا عَقَائِدَهُمْ وَصَنَّفُونَا وَقَالُوا إِنَّهُمْ عَدَلُوا

وَتَأْتِي الْبِنْيُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُؤَكَّدَةُ جُزْءًا مِنْ بِنْيَةِ النَّسَقِ التَّرْكِيبِيِّ الْإِسْمِيِّ الْمُنْسُوخِ بِـ(أَنَّ)، فَهِيَ جُمْلَةُ الْخَبَرِ فِيهَا، فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ (فِي دَارِهِمْ وَحَلُّوا) وَالْبِنْيَةُ (بِدَوَاهِي نَارِهِمْ شَغُلُوا) هِيَ أَخْبَارُ (أَنَّ)، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِيهِمَا الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ (حَكَّمُوا فِينَا عَقَائِدَهُمْ) هِيَ، أَيْضًا، خَبَرٌ لـ(أَنَّ) تَقَدَّمَ فِيهَا الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ (فِينَا)، تَخْصِيصًا لَهُ، عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ.

وَيَكُونُ تَوْكِيدُ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ بِـ(قَدْ) أَوْ (لَقَدْ)، وَتُشَكَّلُ نَسَقًا تَرْكِيبِيًّا مُطْرَدًا عَلَى الشَّكْلِ (أداة تَوْكِيدِ فِعْلٍ + فَاعِلٍ...)، وَمِنْ صُورِهِ التَّرْكِيبِيَّةِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(4)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 62.

(2) المصدر نفسه، ص: 60.

(3) المصدر نفسه، ص: 61.

(4) المصدر نفسه، ص: 60.

يَا صَاحِ أَهْلِكَ قَدْ فَاتُوا مَضَارِبَهُمْ وَشَرُّدُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَارْتَحَلُوا  
خَلُّوا مَعَاقِلَهُمْ شَمَاءَ خَاوِيَةً وَفِي مَهَاوِي بُطُونِ الْأَرْضِ قَدْ نَزَلُوا

فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ (قَدْ فَاتُوا مَضَارِبَهُمْ) مُؤَكَّدَةٌ بِدُخُولِ (قَدْ) عَلَى فِعْلِهَا الْمَاضِي مُفِيدَةً التَّحْقِيقِ، وَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ (فِي مَهَاوِي بُطُونِ الْأَرْضِ قَدْ نَزَلُوا) مُؤَكَّدَةٌ بِـ (قَدْ) الدَّالَّةِ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَقَدْ قَوِيَ التَّوَكِيدُ فِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ تَخْصِيصًا وَاهْتِمَامًا بِهِ. وَيَتَّضِحُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الشَّاعِرَ يَسْتَعْمِلُ هَذَا التَّسْقَ التَّرْكِيْبِيَّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ تَعْبِيرًا عَنِ وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤَلِّمِ، وَقَدْ زَالَتْ قُوَّتُهُمُ الَّتِي كَانَتْ تُرْجَى وَانْكَسَرَتْ شَوْكَتُهُمُ الَّتِي كَانَتْ تُخَشَى، فَهُمْ الْآنَ أَمْوَاتٌ إِلَى أَنْ يُعْتَنُونَ.

أَمَّا بِنْيَةُ التَّرْكِيْبِ الْفِعْلِيِّ الْمَضَارِعِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ فِي قَصِيدَةِ (وَأَمْعَتَصِمَاهُ) فَقَدْ أَتَتْ دَالَّةً فِي مُعْظَمِهَا عَلَى الْحَالِ أَوْ الْإِسْتِقْبَالِ، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ مُثَبَّتَةٌ وَمَنْفِيَّةٌ وَمُجْرَدَةٌ وَمُؤَكَّدَةٌ وَفَقَ صُورَ تَرْكِيْبِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، تَعَكِّسُ حَاجَةَ التَّعْبِيرِ إِلَيْهَا فِي السِّيَاقَاتِ النَّصِيَّةِ، وَقَدْ تَقَوْمُ بِوِظِيفَةِ نَحْوِيَّةٍ فَتَكُونُ حِينئِذٍ بِنْيَةً صُعْرَى ضِمْنَ بِنْيَةٍ كُبْرَى كَأَنَّ تَكُونَ جُمْلَةً حَالِيَةً فِي الْمِصْرَاعِ الثَّانِي مِنَ الْمَطْلَعِ، فَالْبِنْيَتَانِ (تَدْعُوهُمُ/تَبْتَهَلُ) فِعْلِيَّتَانِ مُثَبَّتَانِ مُجْرَدَتَانِ مِنَ التَّوَكِيدِ، فِعْلُ الْأُولَى (تَدْعُو) مُتَعَدِّ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ مُقَدَّرٌ بِـ (هُوَ) وَمَفْعُولُهُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ ظَاهِرٌ (هُمُ)، وَفِعْلُ الثَّانِيَةِ (تَبْتَهَلُ) لَازِمٌ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ (هُوَ)، فَتَشْتَرِكُ الْبِنْيَتَانِ فِي إِضْمَارِ الْفَاعِلِ ذَلِكَ الَّذِي أَتَتْ مِنْهُ بِنْيَةُ التَّدْبِيَةِ (وَأَمْعَتَصِمَاهُ) الْمَشْحُونَةَ تَعْبِيرِيًّا الدَّالَّةَ عَلَى التَّوَجُّعِ وَالتَّفَجُّعِ مُعْلَنَةً عَنِ الْمَصَابِ الْجَلَلِ.

وَتَتَرَدَّدُ بِنْيَةُ التَّسْقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْفِعْلِيِّ ذِي الْوِظِيفَةِ النَّحْوِيَّةِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(1)</sup>:

إِنْ جِئْتَ تَنْشُدُهُمْ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ فَلَيْسَ فِي نَجْدَةٍ مِنْ دَارِهِمْ أَمَلٌ

إِنَّ بِنْيَةَ (تَنْشُدُهُمْ) بِنْيَةٌ فِعْلِيَّةٌ مُتَعَدِّيَّةٌ، الْفَاعِلُ فِيهَا ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ وَالْمَفْعُولُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ ظَاهِرٌ، وَكَذَا الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ ذَاتُ الْوِظِيفَةِ (يُنْجِدُكُمْ) فِي قَوْلِهِ<sup>(2)</sup>:

فَلَيْسَ مُعْتَصِمٌ فِي الدَّارِ يُنْجِدُكُمْ فَلَمْ يَعُدْ فِي حِمَى أَوْطَانِهِمْ بَطْلٌ

فَهِيَ مُشْتَرِكَةٌ مَعَ سَابِقَاتِهَا فِي التَّعَدِّيِّ وَإِضْمَارِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَعًا، وَتَوَاتَرُ الْبِنْيِ الْفِعْلِيَّةِ الْمَضَارِعِيَّةِ ذَاتِ الْوِظِيفَةِ الْحَالِيَّةِ أَوْ الْحَبْرِيَّةِ أَوْ النَّعْنِيَّةِ دَالَّةٌ فِي سِيَاقَاتِهَا عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ.

وَتَرَدُّ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ ذَاتُ الْفَاعِلِ إِسْمًا ظَاهِرًا أَوْ مَصْدَرًا مُؤَوَّلًا فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقَصِيدَةِ، فَتَأْتِي الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ وَفَاعِلُهَا إِسْمٌ ظَاهِرٌ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(3)</sup>:

لَكِنَّ فَوْقَ خُطَانَا تَدْعِي دَوْلٌ بِأَنَّهَا بِشُرُونِ الْكَوْنِ تَشْتَغَلُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 60.

(2) المصدر نفسه، ص: 60.

(3) المصدر نفسه، ص: 61.

وَتَجِيءُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ وَفَاعِلُهَا مَصْدَرٌ مُؤَوَّلٌ فِي قَوْلِهِ (1):

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ فِي صَدْرِهِمْ هِمَمٌ يَعُوقُهُمْ أَنَّهُمْ فِي دَارِهِمْ وَحَلُوا

فَالْمَصْدَرُ الْمُوَوَّلُ مِنْ (أَنَّ) وَمَا بَعْدَهَا فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ الْمَفْعُولُ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ (هُمْ).

وَتَكُونُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمُثَبَّتَةُ مُؤَكَّدَةً بِـ(قَدْ)، وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا التَّوَكِيدُ مُشَكَّلًا نَسْفًا أُسْلُوبِيًّا مُتَمَيِّزًا

مُشَكَّلًا مِنَ الْمُؤَكَّدِ (قَدْ) وَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ وَفَاعِلِهِ مَقْوِيًّا الْمَعْنَى وَمُعَزِّزًا دَلَالَةَ التَّوَقُّعِ أَوْ التَّحْقِيقِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

قَدْ يَسْمَعُونَ وَقَدْ تَدْمَى قُلُوبُهُمْ وَقَدْ تَفِيضُ بِحَارِي دَمْعِهِمْ مُقْلٌ

فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الثَّلَاثَةُ فِي الْبَيْتِ مُقْتَرَنَةٌ بِـ(قَدْ) الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى أَفْعَالٍ مُضَارِعَةٍ مِمَّا يَجْعَلُ دِلَالَتَهَا تَنْصَرِفُ

إِلَى التَّوَقُّعِ الرَّاجِحِ أَوْ التَّحْقِيقِ، فَالْأَفْعَالُ (يَسْمَعُونَ/تَدْمَى/تَفِيضُ) مُتَحَقِّقَةٌ، وَهِيَ الْأَحْدَاثُ الَّتِي يُتَوَقَّعُ حُصُولُهَا مِنْ

الْمُسْلِمِينَ الْعُزْلَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مِنْ وَسَائِلِ نُصْرَةِ إِخْوَانِهِمُ الْمُضْطَّهِدِينَ إِلَّا الْأَسَى الَّذِي يُدْمِي قُلُوبَهُمْ وَالْحُزْنَ الَّذِي

يُجْرِي دَمْعَهُمْ. وَتَنْفَرِدُ الْبِنْيَةُ الثَّلَاثَةُ (وَقَدْ تَفِيضُ بِحَارِي دَمْعِهِمْ مُقْلٌ) بِمُضَاعَفَةِ التَّوَكِيدِ الَّذِي يُؤَدِّيهِ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ

الْمُتَقَدِّمُ اهْتِمَامًا بِهِ وَإِثَارًا لَوَقْعِهِ فِي النُّفُوسِ، خَاصَّةً بَعْدَ الْإِنْزِيَاكِ الَّذِي تَمَّ بِتَقْدِيمِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ فِي (بِحَارِي

دَمْعِهِمْ)، فَالْمَعْيَارُ يَقْتَضِي تَقَدُّمَ الْمَوْصُوفِ وَتَأَخُّرَ الصِّفَةِ.

وَيَتِمُّ تَوَكِيدُ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ بِاسْتِحْدَامِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي يُصَوِّرُ حَجْمَ الْحَدَثِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ وَالْمَفْعُولُ

مَعًا، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

لَكِنَّ فَوْقَ خُطَايَا تَدْعِي دَوْلٌ بِأَنَّهَا بِشُؤُونِ الْكَوْنِ تَشْتَغَلُ

تَمِيلُ مَيْلًا تَمَادَى فِي ضَلَالَتِهِ وَتَدْعِي أَنَّهَا فِي الْحَقِّ تَعْتَدِلُ

تَمِيلُ لِلْمُجْرِمِ الْبَاغِي تَدُلُّهُ وَعَنْ جِرَاحِ ضَحَايَا الْبُعْيِ تَنْشَغَلُ

فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ (تَمِيلُ مَيْلًا) الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ وَالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ تَصِفُ مُؤَكَّدَةً مَيْلَ الدَّوَلِ الْكُبْرَى الَّتِي

تَدْعِي الْإِنْشِعَالَ بِشُؤُونِ الْعَالَمِ مَيْلًا فَاضِحًا عَنِ الْحَقِّ وَجَوْرَهَا عَنِ إِنْصَافِ الضَّحَايَا الْمَظْلُومِينَ لِتَقِفَ فِي صَفِّ

الْمُجْرِمِينَ. وَمِنْ وَسَائِلِ تَوَكِيدِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْقَصْرُ بِـ(لَمْ) وَ(إِلَّا) فِي قَوْلِهِ (4):

لَمْ يَيْتَقِ إِلَّا احْتِرَاقُ الشَّعْبِ مِثْلَكُمْ لِأَنَّهُ مَعَكُمْ فِي النَّارِ يَشْتَغَلُ

وَيَقَعُ التَّوَكِيدُ بِهَذِهِ الْكَفِيَّةِ عَلَى الْفَاعِلِ (احْتِرَاقُ الشَّعْبِ)، إِذِ الشَّعْبُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَأْلَمُ بِالْأَمِّ إِخْوَانَهُ،

وَيَتَوَجَّعُ بِأَوْجَاعِهِ وَلَيْسَ فِي وَسْعِهِ الْآنَ أَكْثَرَ مِنَ الْإِحْتِرَاقِ أَلْمًا.

(1) المصدر نفسه، ص: 60.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص: 61.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَتَأْتِي بِنِيَّةِ النَّسَقِ الْمُضَارِعِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ مَنْفِيَّةً بِالْأَدَاتَيْنِ (لَا) وَ(لَمْ)، فَتَنْقَلِبُ بِنِيَّتِهِ مِنَ الْإِثْبَاتِ إِلَى النَّفْيِ، وَيُشَكَّلُ النَّفْيُ بِـ(لَا) فِي الْقَصِيدَةِ نَسَقًا تَعْبِيرِيًّا ذَالًا مُؤَلَّفًا مِنْ (لَا) النَّافِيَةِ الَّتِي هِيَ حَرْفٌ يَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي فَيَتَكَرَّرُ وَجُوبًا، وَيَدْخُلُ عَلَى الْمُضَارِعِ فَيَجُوزُ تَكَرُّرُهُ وَهُوَ حَرْفٌ لَا عَمَلَ لَهُ. (1) وَمِنْ خَصَائِصِهَا أَنَّهَا تَنْفِي الْمُضَارِعَ فَتُخْلِصُهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ، غَالِبًا، وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (لَنْ) أَنَّ نَفْيَ مَا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ يُنَاسِبُهُ النَّفْيُ بِحَرْفٍ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ (لَنْ)، وَأَنَّ نَفْيَ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي الْحَالِ يُنَاسِبُهُ النَّفْيُ بِـ(لَا) الَّتِي هِيَ لِنَفْيِ مَا يَأْتِي مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ إِلَّا بِغَيْرِ الْمَاضِي. (2) فَيَرِدُ النَّفْيُ بِـ(لَا) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (3):

لَا يَفْرَعُونَ لِنَارٍ فِي دَارِكُمْ لِأَنَّهُمْ بَدَوَاهِي نَارِهِمْ شَعِلُوا

فَالنَّفْيُ مُتَّجِهٌ لِنَفْيِ الْحَالِ، فَالشَّاعِرُ يُرِيدُ مَعْنَى أَنَّ الْفِرَاقَ لِمَا فِي أَرْضِ الْبُوسَنَةِ مِنْ نَارِ الْحَرْبِ لَا يَكُونُ فِي الْحَالِ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ مَشْغُولُونَ بِمَا فِي بِلَادِهِمْ مِنْ نَارِ الْفِتْنَةِ وَلَا مَانِعَ أَنْ يُسْتَدْرَكَ الْمَوْقِفُ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْفِرَاقُ وَالِاسْتِعَالَ مُسْتَقْبَلًا بِمَا فِي أَرْضِ الْبُوسَنَةِ مِنْ نَارٍ.

وَقَدْ يَتَحَقَّقُ النَّسَقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفِعْلِيُّ الْمُضَارِعِيُّ الْمَنْفِيَّ بِـ(لَا) فِي سِيَاقَاتٍ شِعْرِيَّةٍ غَيْرِ سِيَاقَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، فَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِنِيَّةُ النَّفْيِ بِـ(لَا) ضَمْنًا أَنْسَاقٍ تَرْكِيبِيَّةٍ اسْمِيَّةٍ كَحِزْمٍ مِنْهَا، فَهِيَ تَقُومُ بِدَوْرِ الْمُسْنَدِ فِيهَا، وَتُحَوَّلُ الْبِنِيَّةُ الْكُبْرَى الْاسْمِيَّةُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبُوتِ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ بِحُكْمِ فِعْلِيَّتِهَا، يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَشْمَاوِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ (لَا تُرِيقِي الصَّبْرَ) (4):

لَا تُرِيقِي الصَّبْرَ فَالْلَيْلُ الَّذِي طَالَ بِالْأُمَّةِ يَتْلُوهُ الصَّبَاحُ  
أَنَا لَا أَنْكُرُ مَا تَلَقَيْتَهُ فِي خِصْمِ الْحَرْبِ مِنْ سُوءِ احْتِيَاحِ  
أَنَا لَا أَنْكُرُ مَا يُشْعِلُهُ دَمٌ طِفَلَ مِنْ أُنَيْنٍ وَنَوَاحِ  
فِي دَمِي نَارٌ يُلْظِيهَا الْأَسَى أَلْهَبْتَنِي فِي غُدُوِّي وَالرَّوَاخِ

فَبِنِيَّةِ النَّفْيِ، هُنَا، تَتَأَلَّفُ مِنْ أَدَاةِ النَّفْيِ الْحَرْفِ (لَا) وَالْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ (أَنْكُرُ)، وَالْفَاعِلِ فِيهَا مُسْنَدٌ إِلَى صَمِيرٍ مُسْتَرْتَفِئِدِهِ (أَنَا)، وَالْمَفْعُولِ الْاسْمِ الْمَوْصُولِ (مَا) وَجُمْلَةِ الصَّلَةِ، وَتَنْفِي (لَا) الْمُضَارِعَ فَتُخْلِصُهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ، غَالِبًا، فَالشَّاعِرُ فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ لَا يُنْكِرُ مَا يُصِيبُ الْمَرْأَةَ الْفِلِسْطِينِيَّةَ مِنْ أَدَى الصَّهَابَةِ. وَفِي تَكَرُّارِ بِنِيَّةِ النَّفْيِ، بِهَذَا النَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الْمُتَوَازِي، مَرَّتَيْنِ، فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ إِصْرَارٌ عَلَى النَّفْيِ، حَتَّى يَكَادُ يُشَكَّلُ مَوْضُوعَةُ الْقَصِيدَةِ أَوْ نَوَاتِهَا الثَّانِيَّةُ بَعْدَ مَوْضُوعَةِ (الصَّبْرِ وَالْأَمَلِ)، لِأَنَّ بِنِيَّةَ هَذَا النَّفْيِ تُعَاوِدُ الظُّهُورَ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (5):

(1) إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 358.

(2) محمد كريم الكواز: أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص: 222.

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 60.

(4) عبد الرحمن العشماوي: القدس أنت، ص: 192.

(5) المصدر نفسه، ص: 192.

أَنَا لَا أَنْكَرُ عُمُقَ الْجُرْحِ فِي سَاحَةِ الْإِسْرَاءِ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِ  
 غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ أَبْصِرُ مِنْ أَمْلِي فِي خَالِقِي أَلْفَ جَنَاحِ  
 وَالْمُلَاحِظُ أَنْ بُنِيَ النَّفْيُ بِـ(لَا) هِيَ أَنْسَاقُ تَرْكِيْبِيَّةٍ فِعْلِيَّةٍ مُضَارِعِيَّةٍ تَكْشِفُ عَنْ بِنَاءِ مُتَوَازٍ تَرْكِيْبِيٍّ وَإِيقَاعِيٍّ  
 وَدَلَالِيٍّ، يَكُونُ النَّفْيُ فِي هَذِهِ الْأَبْنِيَةِ الْمُنتَظِمَةِ مُتَّحِدًا لِفِعْلِيَّةِ الْبُنَى الْوَاقِعَةِ أَخْبَارًا وَمُلْحًا عَلَى تَأْكِيدِ الدَّلَالَةِ،  
 فَالْتَوَازِي "يَقُومُ عَلَى اسْتِعَادَةِ (مُخَطَّطِ إِسْنَادِي) وَاحِدٍ، اسْمِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ، فِي جُمْلَتَيْنِ مُتَّالِيَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَيَقْصِدُ إِلَى  
 تَأْكِيدِ الدَّلَالَةِ".<sup>(1)</sup> وَيُرَدُّ النَّسَقُ الْمَنْفِيُّ بِـ(لَمْ) الَّتِي هِيَ حَرْفٌ يَنْفِي الْمَضَارِعَ وَيَقْلِبُهُ مَاضِيًا، وَالْمَنْفِيُّ بِهَا يَكُونُ الْإِنْفَاءُ  
 بِهِ مُسْتَمِرًّا وَقَدْ يَكُونُ مُنْقَطِعًا،<sup>(2)</sup> فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(3)</sup>:

فَلَيْسَ مُعْتَصِمٌ فِي الدَّارِ يُنْجِدُكُمْ فَلَمْ يَعُدْ فِي حِمَى أَوْطَانِهِمْ بَطْلُ

إِنَّ أَدَاةَ النَّفْيِ (لَمْ) طَرَأَتْ عَلَى صَدْرِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمَضَارِعِيَّةِ (لَمْ يَعُدْ فِي حِمَى أَوْطَانِهِمْ بَطْلُ) دَالَّةٌ عَلَى انْتِفَاءِ  
 أَنْ يَعُودَ فِي أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ بَطْلٌ يَنْفُضُ أَوْ يَثُورُ وَيَهْبُ لِدَفْعِ الضَّمِّ عَنْ أَبْنَاءِ عَقِيدَتِهِ، وَقَدْ قَلَبَتْ (لَمْ) الْفِعْلَ  
 الْمَضَارِعَ (يَعُودُ) صِيغَةً إِلَى الْمُضِيِّ دَلَالَةً، وَفِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ يَعْتَرِضُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (فِي حِمَى أَوْطَانِهِمْ) بَيْنَ الْفِعْلِ  
 وَفَاعِلِهِ تَخْصِيصًا وَتَحْدِيدًا لَهُ وَتَوْكِيدًا، وَلَعَلَّ الْإِعْتِرَاضَ فِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ يَتَضَمَّنُ تَوْضِيحًا اسْتِدْرَاجِيًّا لِمَعْنَى  
 انْتِفَاءِ وُجُودِ الْبَطْلِ فِي الْمَكَانِ (حِمَى الْأَوْطَانِ) الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُوجَدَ فِيهِ. وَتَقُومُ شِبْهُ الْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ بِتَقْوِيَةِ الْبِنْيَةِ  
 الْإِيقَاعِيَّةِ لِلْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ بِالْفَصْلِ بَيْنَ الْفِعْلِ الْمَنْفِيِّ وَالْفَاعِلِ لِيَقَعَ هَذَا الْأَخِيرُ فِي مَكَانِ الْقَافِيَةِ وَيَضْمَنُ اسْتِمْرَارِيَّةَ  
 إِيقَاعِهَا فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ، وَهَذَا مَا يُلْحَظُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُنَى الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي تَنْخَلِّلُهَا الْجُمْلَةُ الْإِعْتَرِاضِيَّةُ، بِمُخْتَلَفِ  
 أَنْوَاعِهَا، وَيَسْمَحُ بِالْقَوْلِ: "إِنَّ هَذَا الْمُسْتَوَى التَّرْكِيبِيَّ وَالِدَلَالِيَّ الَّذِي تُحَقِّقُهُ الْجُمْلَةُ الْإِعْتَرِاضِيَّةُ فِي النَّصِّ يَتَعَدَّى ذَلِكَ  
 إِلَى مُسْتَوَى إِيقَاعِيٍّ عَنْ طَرِيقِ الْفَضَاءِ الَّذِي تُحَقِّقُهُ دَاخِلُ بِنْيَةِ الْجُمْلَةِ الشُّعْرِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ، فَضَلًّا عَنِ الْإِنْجِرَافِ الزَّمَنِيِّ  
 الَّذِي تُؤَدِّيهِ فِي مَسَارِ تَوَقُّعِ الْمُتَلَقِّيِّ، إِذْ إِنَّهَا تُسَهِّمُ فِي زِيَادَةِ زَمَنِ الْإِنْتِظَارِ لِإِكْمَالِ الْجُمْلَةِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَفْصَلُهَا  
 الْجُمْلَةُ الْإِعْتَرِاضِيَّةُ إِلَى قُطْبَيْنِ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى خَلْجَةِ النَّظَامِ الْإِيقَاعِيِّ الْمُتَوَقَّعِ".<sup>(4)</sup> فَالْمُتَوَقَّعُ فِي بِنْيَةِ الْجُمْلَةِ الشُّعْرِيَّةِ  
 السَّابِقَةِ أَنْ يَرِدَ الْفَاعِلُ مُبَاشَرَةً بَعْدَ انْقِضَاءِ التَّلْفُظِ بِالْفِعْلِ الْمَنْفِيِّ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَا يَحْدُثُ وَيُغَيَّبُ الْفَاعِلُ زَمَنِيًّا وَلَا  
 يَكْشَفُ عَنْهُ حَتَّى يَتِمَّ التَّلْفُظُ بِسُلْسَلَةٍ مِنَ الْمَلْفُوظَاتِ الْإِعْتَرِاضِيَّةِ حَافِلَةً بِدَلَالَةٍ إِضَافِيَّةٍ مَقْصُودَةٍ وَمُهَمَّةٍ لِإِبْدَاعِ الدَّلَالَةِ  
 الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي تُشَكِّلُ الْعَمَلِيَّةَ الْإِسْنَادِيَّةَ مُنْتَجَهَا الْأَسَاسَ. فَيَنْتَظِرُ الْمُتَلَقِّيُّ إِغْلَاقَ دَائِرَةِ الْإِسْنَادِ الْفِعْلِيِّ بِالْفَاعِلِ الْمُنْتَظَرِ  
 الَّذِي لَا يُخَالِفُ السِّيَاقَ الدَّلَالِيَّ لِلْبَيْتِ، وَقَدْ يَجْتَهِدُ فِي افْتِرَاحِ أَوْ اخْتِيَارِ لَفْظِ (الْفَاعِلِ) مِنَ الْقَائِمَةِ الْاسْتِدْرَاجِيَّةِ (الْحَقْلِ

(1) عدنان بن ذريل: التقد والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1989، ص: 278.

(2) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 92-93.

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 60.

(4) محمد صابر عبيد: جماليات القصيدة العربية الحديثة، ص: 131.

الدَّلَالِيَّ)الَّتِي يَرَأْسُهَا لَفْظُ الْعَلَمِ(مُعْتَصِم)قَبْلَ أَنْ تَقَعَ عَيْنُهُ عَلَى اللَّفْظِ الْمُخْتَارِ تَبَعًا لِنُظْمٍ وَقَوَائِنَ تَرْكِيبِيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ  
وَإِقَاعِيَّةٍ تُؤَسِّسُ شِعْرِيَّةَ الْبَيْتِ وَتُشَكِّلُ أُسْلُوبِيَّةَ الْقَصِيدَةِ، وَتَرُدُّ الْبِنْيَةَ الْفِعْلِيَّةَ الْمُضَارِعِيَّةَ الثَّانِيَةَ مُنْتَظِمَةً عَلَى الْمَنَوَالِ  
اللسَّانِي ذَاتِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ(1):

لَمْ يَبْقَ فِي طَوْفِنَا جُهْدٌ نُقَدِّمُهُ فَمَا نُلَاقِي لَدَيْنَا لَيْسَ يُحْتَمَلُ

وَتُفِيدُ(لَمْ)التَّنْفِي فِي الْمَاضِي، فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي لَا يُعْنَى بِدَلَالَةِ الصَّبِيغَةِ الصَّرْفِيَّةِ لِلْفِعْلِ، وَقَدْ تَأَخَّرَ  
الْفَاعِلُ الْمَوْصُوفُ لِاعْتِرَاضِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ تَخْصِيصًا لِلْمَعْنَى إِذْ لَمْ يَبْقَ(فِي الطَّوْقِ)جُهْدٌ يُقَدَّمُ  
لِإِسْعَافِ الْآخَرِينَ، فَقَدْ نَقِدَ فِي افْتِتَالِنَا الدَّاخِلِيِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ(2):

وَإِنْ سَمِعْتُمْ صَلِيلًا فِي مَرَابِعِنَا فَإِنَّا فِي رِحَابِ الدَّارِ نَقْتَلُ

أَمَّا قَصِيدَةُ(فَارِسِ بَدْرِ)فَإِنَّ قَلَّةَ كَثَافَةِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمَاضِيَّةِ فِيهَا مُقَارَنَةٌ بِالْبِنْيَةِ الْمُضَارِعِيَّةِ لَا تُقَلُّ مِنَ وَظِيفَتِهَا  
فِي الْبِنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ، فَهِيَ تُسَهِّمُ فِي حَرَكَةِ النَّصِّ وَفَاعِلِيَّتِهِ مِنْ خِلَالِ تَلْوِينِ نَسِيجِ الْبِنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ بِأَنْسَاقٍ خَبْرِيَّةٍ  
مُتَنَوِّعَةٍ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ وَالتَّنْفِي وَالتَّجْرِيدِ وَالتَّوَكِيدِ. وَقَدْ وَرَدَتْ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمَاضِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ مُثَبَّتَةً فِي  
مَطَلَعِ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ(3):

تَحَصَّنَ فِي جِدَارِ الْأَمْنِ يَمْسَحُ جُرْحَهُ مَسْحًا

فَأَيَقِنَ أَنَّ جُرْحَ الْأَمْسِ فِيهِ لَمْ يَعُدْ جُرْحًا

فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمَاضِيَّةُ الْأُولَى(تَحَصَّنَ...)إِبْتِدَائِيَّةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْفِعْلِ الْمَاضِيِّ وَالْفَاعِلِ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ الْمُقَدَّرِ  
بِ(هُوَ)وَالْمُتَعَلِّقِ أَوْ الْمُتَمِّمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ وَالْحَالِ الْجُمْلَةِ، وَتَتَأَلَّفُ الْبِنْيَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْفِعْلِ الْمَاضِيِّ(أَيَقِنَ)وَالْفَاعِلِ  
الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ(هُوَ)وَالْمَفْعُولِ الْمَصْدَرِ الْمُؤَوَّلُ مِنْ(أَنَّ)وَاسْمِهَا وَخَبْرُهَا. وَتُعَدُّ الْبِنْيَتَانِ مُتَعَدَّدَتَيْنِ لِأَنْطَوَائِهِمَا عَلَى أَكْثَرِ  
مِنْ عَمَلِيَّةِ إِسْنَادِ.

وَقَدْ تَقَوْمُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ بِوَضِيفَةِ نَحْوِيَّةٍ حِينَ تَقَعُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ، وَتَكُونُ بَسِيطَةً فِي هَذِهِ الْحَالِ كَالْبِنْيَةِ  
الْفِعْلِيَّةِ الْمَكُونَةِ مِنْ فِعْلِ مَاضٍ(تَمَلَّكَ)وَالْفَاعِلِ(الضَّمِيرِ الْمُقَدَّرِ)وَالْمَفْعُولِ(الْبُوحَا)، وَقَدْ جَاءَتْ بَعْدَ الظَّرْفِ(حِينَ)فِي  
عَجْزِ الْبَيْتِ الْآتِي(4):

وَلَنْ يَرْضَى سُكُوتَ الْأَمْسِ حِينَ تَمَلَّكَ الْبُوحَا

أَوْ تَقَعُ خَبْرًا لِلْمُبْتَدَأِ، كَالْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ(أَوْحَى...)فِي عَجْزِ الْبَيْتِ(1):

(1) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 61.

(2) المصدر نفسه، ص: 61.

(3) المصدر نفسه، ص: 22.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَيُسْفِرُ عَنِ هُوَيْتِهِ كَمَا رَحَمَانُهُ أَوْحَى

فَهِيَ بِنِيَّةٍ بَسِيطَةٌ مُكْتَفِيَةٌ بِالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (الضَّمِيرِ الْمُقَدَّرِ).

أَوْ تَقَعُ صِلَةٌ لِاسْمٍ مَوْضُوعٍ كَالْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ الْمُقَدَّرِ بَعْدَ الْاسْمِ الْمَوْضُوعِ (مَا) فِي قَوْلِ

الشَّاعِرِ<sup>(2)</sup>:

يُنْحِي ظُلْمَةَ الْبُطْلَانِ بَيْنِي فَوْقَ مَا نَحَى

أَوْ بَعْدَ الْحَرْفِ الْمَصْدَرِيِّ (أَنْ)، فَتَوَوَّلَ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ (قَضَى..) مَعَهُ بِمَصْدَرٍ فِي مَحَلِّ رَفْعِ فَاعِلٍ لِلْفِعْلِ

الْمُضَارِعِ (يَكْفِي) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(3)</sup>:

وَيَكْفِي أَنْ قَضَى زَمَانًا يُعَانِي الْقَهْرَ وَالْكَبْحَا

أَوْ بَعْدَ الْحَرْفِ الْمَصْدَرِيِّ (مَا) فَتَوَوَّلَ مَعَهُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ بِمَصْدَرٍ فِي مَحَلِّ نَصْبِ ظَرْفِ زَمَانٍ كَالْبِنْيَتَيْنِ الْفِعْلِيَّتَيْنِ

الْمُكَوَّنَتَيْنِ مِنْ فِعْلٍ وَفَاعِلٍ مُضْمَرٍ (قَاسَى... ) وَ(ضَحَى... ) بَعْدَ (مَا) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(4)</sup>:

هُوَ الْحَقُّ.. وَيَكْفِي الْحَقُّ مَا قَاسَى وَمَا ضَحَى

وَتَأْتِي بِنْيَةُ التَّرْكِيْبِ الْفِعْلِيِّ الْمَاضِيِّ مُنْفِيَّةً بِـ (مَا) الدَّالَّةِ عَلَى نَفْيِ الْمَاضِي فِي جُمْلَةٍ جَوَابٍ شَرْطِيٍّ (إِنْ) حَيْثُ

يَتَكَرَّرُ قَالِبَهَا اللَّغْوِيُّ (مَا + فِعْلٍ + فَاعِلٍ) لِتَوْكِيدِ دِلَالَةِ النَّفْيِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

وَإِنْ نَادَوْا عَلَى دَمِهِ فَمَا وَلَّى وَمَا شَحَا

إِنَّ الْبِنْيَةَ الْفِعْلِيَّةَ، بِوَصْفِهَا إِحْدَى السَّمَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ، هِيَ الْجُزْئِيَّةُ الَّتِي "تَسْمَحُ لَنَا بِالِدُخُولِ إِلَى

مَرْكَزِ الْعَمَلِ، فَالْعَمَلُ كَكُلِّ يَكُونُ الْجُزْءُ فِيهِ مُعَلَّلًا وَمُنْدَمَجًا، ثُمَّ عِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى الْمَرْكَزِ سَيَكُونُ فِي حَوَازِنَا نَظْرَةٌ

عَلَى كُلِّ الْأَجْزَاءِ، وَإِنَّ الْجُزْءَ إِذَا رُصِدَ بِعِنَايَةٍ، فَإِنَّهُ سَيَمْنَحُنَا مِفْتَاحَ الْعَمَلِ".<sup>(6)</sup> وَتَطَالَعْنَا هَذِهِ السَّمَةَ اللَّسَانِيَّةَ بِدَايَةِ

مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَتَتَوَزَّعُ بِانْتِظَامٍ عَلَى شَطْرِي الْبَيْتِ وَتَتَعاقَبُ عَلَى مَسَارِ الْقَصِيدَةِ وَصُولًا إِلَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ، يَقُولُ

الشَّاعِرُ مُحَمَّدَ التَّهَامِيَّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ<sup>(7)</sup>:

تَحَصَّنَ فِي جِدَارِ الْأَمْنِ يَمْسَحُ جُرْحَهُ مَسْحًا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 23.

(2) المصدر نفسه، ص: 22.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص: 23.

(6) بدير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص: 52.

(7) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 22.

وَيَقُولُ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ<sup>(1)</sup>:

وَمَنْ يَحْيَا بِدُونِ الْحَقِّ يَذْبَحُ نَفْسَهُ ذَبْحًا

فَبِنْيَةِ الْمَطْلَعِ تَقُومُ عَلَى الْفِعْلِ (تَحْصَنُ/يَمْسَحُ) الَّذِي يَخْتَصِرُ الْمَاضِي وَالْحَاضِرَ وَيَسْتَعْرِقُ الزَّمْنَ كُلَّهُ، وَيُوفِّرُ لِلتَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الطَّاقَةَ الْإِيحَائِيَّةَ الْمُتَحَدِّدَةَ الَّتِي تُؤَسِّسُ الصُّورَةَ الشَّعْرِيَّةَ النَّاهِضَةَ عَلَى عَاتِقِ (فَارِسِ بَدْرٍ)، وَتَنْتَهِي التَّجْرِبَةَ فِي بِنْيَةِ الْخِتَامِ الَّتِي تَقُومُ بِدَوْرِهَا عَلَى الْفِعْلِ (يَحْيَا/يَذْبَحُ) الَّذِي يَجْمَعُ أَطْرَافَ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ الْمُتَلَازِمَةِ الْعَنَاصِرِ، وَيُوجِّهُ زَمَنَهَا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخْصُّ بِهِ الْحَاضِرَ. وَلَئِنْ اسْتَقَرَّتْ بِنْيَةُ الْمَطْلَعِ فِي صَدْرِهَا عَلَى فِعْلِ مَاضٍ وَارْتَكَحَتْ فِي عَجْزِهَا إِلَى فِعْلِ مُضَارِعٍ فَإِنَّ بِنْيَةَ الْخِتَامِ اسْتَدَّتْ إِلَى فِعْلِ مُضَارِعٍ فِي صَدْرِهَا وَعَجْزِهَا وَكَتَفَتْ بِوَاسِطَتِهِ دِلَالَتَهَا الزَّمْنِيَّةَ.

وَالْيَ جَانِبَ ذَلِكَ تَتَّخِذُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمُضَارِعِيِّ صُورًا تَرْكِيْبِيَّةً بَسِيْطَةً مُتَّوَعَةً بِحَسَبِ الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ وَالتَّجْرِيدِ وَالتَّوَكِيدِ، فَمِنْ صُورِهَا الْمُثَبَّتَةِ مَا تَتَكَرَّرُ بِنْيَتُهُ الْبَسِيْطَةُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(2)</sup>:

وَأَنَّ الْحَقَّ حِينَ يَفْرُ يُبْنِي حَوْلَهُ صَرْحًا  
يُجَلِّجُ فَوْقَ هَامَتِهِ وَيُشْرِقُ فَوْقَهُ صُبْحًا  
وَيُسْفِرُ عَنْ هُوَيْتِهِ كَمَا رَحْمَانُهُ أَوْحَى

فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُثَبَّتَةُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ تَتَجَلَّى فِي خَمْسِ جُمَلٍ مُتَّابِعَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى عُنْصُرِي الْإِسْنَادِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِالْمُسْنَدِ مِنْ مُتَعَلِّقَاتٍ، وَيَخْضَعُ أَرْبَعٌ مِنْهَا بِحُكْمٍ وَظِلْفَتِهَا لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الْمَنْسُوخَةِ؛ أَيَّ أَنَّ هَذِهِ الْبِنْيَةُ هِيَ جُمْلٌ صُعْرَى فِي جُمْلَةٍ كُبْرَى جَاءَ الْمُسْنَدُ (الْحَبْرُ) فِيهَا جُمْلَةً، أَوْ مَا يُعْرَفُ بِالْجُمْلَةِ الْكُبْرَى ذَاتِ الْوَجْهَيْنِ الَّتِي يَكُونُ صَدْرُهَا اسْمًا وَعَجْزُهَا فِعْلًا، فَالْبِنْيَةُ الْأُولَى الْوَاقِعَةُ مُضَافًا إِلَيْهِ (يَفْرُ...) تَتَأَلَّفُ مِنَ الْفِعْلِ (الْمُسْنَدِ) وَالْفَاعِلِ (الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) - الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ الْمَقْدَّرِ بِ(هُوَ) -، وَالْبِنْيَةُ الثَّانِيَةُ الْوَاقِعَةُ خَبْرًا (يُبْنِي...) تَتَأَلَّفُ مِنَ الْفِعْلِ (الْمُسْنَدِ) وَالْفَاعِلِ (الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) - الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ الْمَقْدَّرِ بِ(هُوَ) - وَالظَّرْفُ الْمُتَقَدِّمُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ الْمُتَأَخِّرُ، وَتَتَكَوَّنُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الثَّلَاثَةُ (يُجَلِّجُ...) مِنَ الْفِعْلِ (الْمُسْنَدِ) وَالْفَاعِلِ (الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) - الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ الْمَقْدَّرِ بِ(هُوَ) - وَالْمُضَافُ وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ، وَتَتَأَلَّفُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الرَّابِعَةُ (يُشْرِقُ...) مِنَ الْفِعْلِ (الْمُسْنَدِ) وَالْفَاعِلِ (الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) - الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ الْمَقْدَّرِ بِ(هُوَ) - وَالْمُضَافُ وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ، وَتَأْتِي الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْخَامِسَةُ (يُسْفِرُ...) مُشْتَمِلَةً عَلَى الْفِعْلِ (الْمُسْنَدِ) وَالْفَاعِلِ (الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) الْمَحْدُوفِ وَالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 23.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَتَرْتَبُطُ الْبَيْتَانِ الرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ بِنَيْتِ الْخَبَرِ عَنْ طَرِيقِ أَدَاةِ التَّشْرِيكِ أَوْ الْعَطْفِ، وَهِيَ (الْوَاوُ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا شَرِيكٌ لِمَا قَبْلَهَا فِي كُلِّ مَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ. (1) وَقَدْ وَرَدَ الْإِعْتِرَاضُ بِالظَّرْفِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ بَيْنَ الْإِسْمِ وَالْخَبَرِ فِي الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الْمَنْسُوخَةِ وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ مِنْ نَاحِيَةِ وَالْمَفْعُولِ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى فِي جُمْلَتَيْنِ فِعْلِيَّتَيْنِ وَذَلِكَ بِهَدَفِ التَّرْكِيزِ عَلَى التَّحْدِيدِ وَالتَّخْصِصِ الزَّمَانِيِّ أَوْ الْمَكَانِيِّ لِلْحَدَثِ. وَتُكُونُ سِلْسِلَةُ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ السَّابِقَةَ جُمْلَةً مُتَعَدِّدَةً أَوْ مُعَقَّدَةً تَتَّصِفُ بِصِفَةِ التَّرَابُطِ الَّتِي تُبْنِي عَلَيْهَا جُمْلٌ تُضْمُ عَنَاصِرَ مُتَعَدِّدَةً وَأَدَوَاتٍ مُؤَثَّرَةً فِي الدَّلَالَةِ كَأَدَوَاتِ الشَّرْطِ وَالْإِسْتِنَاءِ وَالْحَصْرِ وَالتَّوَكُّيدِ وَالتَّشْبِيهِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى طُولِ وَتَدَاخُلِ عَنَاصِرِ الدَّلَالَةِ، وَشُيُوعِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ وَالْإِعْتِرَاضِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. (2) وَمِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ فَتَسْمُ تِلْكَ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ بِالدَّلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ فِي أَفْعَالِهَا وَأَحْدَاثِهَا (بَيْنِي/يُحَلِّجِل/يُشْرِق/يُسْفِرُ)، وَهِيَ الدَّلَالَةُ الَّتِي تَشْتَرِكُ فِيهَا الْجُمْلَةُ الْإِسْمِيَّةُ الْكُبْرَى لِأَنَّ الْخَبَرَ فِيهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ الصُّغْرَى وَفِي ذَلِكَ مُضَاعَفَةٌ لِلدَّلَالَةِ الْجُمْلِ. وَيَتَكَرَّرُ هَذَا النَّسَقُ التَّرْكِيبِيُّ الْفِعْلِيُّ فِي وَظِيفَتِهِ وَدِلَالَتِهِ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

فَإِنَّ الرُّوحَ تَفْدِي الْحَقَّ تَفْتَحُ دَرْبَهُ فَتَحَا  
تَمُوتُ لِتَفْدِي الْحَقَّ وَتَرْبِحُ مَوْتَهَا رِبْحَا  
فَإِنَّ الْعَيْشَ دُونَ الْحَقِّ لَيْلٌ لَا يَرَى صُبْحَا  
وَمَوْتُ بَلٍ يَزِيدُ عَلَيَّ مَرَارَةً مَوْتَنَا قُبْحَا

فَالْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ (تَفْدِي/تَفْتَحُ/تَمُوتُ...) الْوَاقِعَةُ خَيْرًا وَالْمَشْتَرِكَةُ فِي الْفَاعِلِ الْمُضْمَرِ وَالَّتِي تُشَكِّلُ بِنِيَّةً مُتَعَدِّدَةً تَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ أَوْ تَدُلُّ عَلَى الْخُدُوثِ أَوْ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ، فَالرُّوحُ الْمَتَشَبِّعَةُ بِالْحَقِّ مُنْتَظَرٌ مِنْهَا أَنْ تَفْدِيَ هَذَا الْحَقَّ وَتَمُوتَ مِنْ أَجْلِهِ بِاسْتِمْرَارٍ. وَيُسْهِمُ التَّوَكُّيدُ بِصِيغَةِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ فِي تَقْوِيَةِ دِلَالَةِ الْفِعْلِ وَالْمُبَالَغَةِ فِيهَا فِي الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ التَّالِيَةِ:

- تَفْتَحُ دَرْبَهُ فَتَحَا.  
- تَرْبِحُ مَوْتَهَا رِبْحَا.  
- وَيَطْرَحُ عَدْلَهَا طَرْحَا.  
- يَذْبَحُ نَفْسَهُ ذَبْحَا.

وَتَتَّخِذُ بِنِيَّةَ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمُضَارِعِيِّ فِي هَذَا النَّسَقِ التَّعْبِيرِيِّ الْمُوَكَّدِ صُورَةً مُتَمَاثِلَةً (فَعْلٌ + فَاعِلٌ + مَفْعُولٌ بِهِ + مُضَافٌ إِلَيْهِ + مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ).

(1) مهدي المخزومي: في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص: 152.

(2) محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د، ط)، 1970، ص: 74-75.

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 23.

وقَدْ يَرُدُّ تَوْكِيدُ التَّرْكِيبِ الفِعْلِيِّ بِتَقْدِيمِ أَحَدِ مُكَوِّنَاتِ التَّرْكِيبِ كَتَقْدِيمِ المَفْعُولِ عَلَى الفَاعِلِ فِي هَذَيْنِ

البَيْتَيْنِ (1):

هُوَ الحَقُّ.. وَيَكْفِي الحَقَّ مَا قَاسَى وَمَا ضَحَّى

.....

تَشُقُّ الظُّلْمَ يُمْنَاهُ لِيُرى فِي الحِشَا جُرْحَا  
يُنْحِي ظُلْمَةَ البُطْلَانِ يَبْنِي فَوْقَ مَا نَحَى

وتَأْتِي بِنِيَّةِ التَّرْكِيبِ الفِعْلِيِّ المَضَارِعِيِّ فِي القَصِيدَةِ مَنْفِيَةً بِـ(لَا) لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّنْفِي فِي الحَالِ وَالمُسْتَقْبَلِ  
وَبـ(لَنْ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّنْفِي فِي المُسْتَقْبَلِ، وَتَبْرُزُ هَذِهِ البِنِيَّةُ الفِعْلِيَّةُ المَضَارِعِيَّةُ المَنْفِيَّةُ فِي البَيْتِ الشَّعْرِيِّ الآتِي (2):

فَإِنَّ العَيْشَ دُونَ الحَقِّ لَيْلٌ لَا يَرَى صُبْحَا  
وَمَوْتُ بَلٍّ يَزِيدُ عَلَى مَرَارَةِ مَوْتِنَا فُبْحَا

فَالبِنِيَّةُ مُصَدَّرَةٌ بِـ(لَا) التَّنْفِيَّةُ يَتَّبِعُهَا الفِعْلُ (يَرَى)، وَالفَاعِلُ المَحذُوفُ المَقْدَرُ وَالمَفْعُولُ بِهِ (صُبْحَا)، وَهِيَ بِنِيَّةٌ  
وَاقِعَةٌ نَعْتًا لِخَبَرِ (إِنَّ)، وَالتَّنْفِي مُطْلَقٌ فِي الزَّمَنِ كُلِّهِ بِهَذِهِ الخَاصَّةِ التَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي تَنْتَظِمُ مُفْرَدَتَيْنِ نَكْرَتَيْنِ (لَيْلٌ  
وَصُبْحَا) فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ مِمَّا يَجْعَلُ المُسْنَدَ إِلَيْهِ مُتَّصِفًا كَامِلًا الاتِّصَافِ بِالمُسْنَدِ فِي هَذِهِ البِنِيَّةِ الإِسْمِيَّةِ المُؤَكَّدَةِ  
بِالنَّاسِخِ (إِنَّ)؛ أَي أَنَّ العَيْشَ دُونَ الحَقِّ لَيْلٌ دَائِمٌ.

وَتَرِدُ البِنِيَّةُ الفِعْلِيَّةُ المَضَارِعِيَّةُ المَنْفِيَّةُ بِـ(لَنْ) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (3):

وَلَنْ يَرْضَى سُكُوتَ الأَمْسِ حِينَ تَمَلَّكَ البُوحَا  
سَيْفِنِي فِي قَضِيَّتِهِ وَيَطْرُحُ عَدْلَهَا طَرْحَا

فَالنَّفْيُ يَتَحَقَّقُ بِحَسَبِ السِّيَاقِ فِي المُسْتَقْبَلِ فِي هَذِهِ البِنِيَّةِ المُسْتَقْلِلَةِ المُسْتَأْنَفَةِ (لَنْ يَرْضَى سُكُوتَ الأَمْسِ)،  
وَتَدْعُمُ البِنِيَّةُ الفِعْلِيَّةُ (سَيْفِنِي...) -بِوَحْدَتِهَا الصَّرْفِيَّةِ (س) الَّتِي تُخْلِصُ الفِعْلَ المَضَارِعَ لِلإِسْتِقْبَالِ وَتَوْكِيدَ هَذَا الفِعْلِ  
المُسْتَقْبَلِيِّ- هَذَا التَّنْفِي المُنْصَرَفَ إِلَى المُسْتَقْبَلِ فِي حِينِ دَلَالَتِهَا عَلَى الإِسْتِقْبَالِ، وَتَدْعُمُهُ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي دَلَالَتِهَا عَلَى  
الإِسْتِمْرَارِ. إِنَّ قَصِيدَةَ (فَارِسِ بَدْرِ) بِهَذَا التَّرَاكُمِ الفِعْلِيِّ وَبِهَذَا التَّكثِيفِ قَصِيدَةُ (الفِعْلِ) المُنْجَزِ مِنْ (فَارِسِ بَدْرِ) فَهُوَ  
الفَاعِلُ اللُّغَوِيُّ أَوْ الشَّعْرِيُّ الَّذِي تُحِيلُ إِلَيْهِ أَغْلَبِيَّةُ الأَفْعَالِ وَأَكْثَرِيَّةُ الضَّمَائِرِ، وَتَرْتَكِزُ إِلَيْهِ البِنِيَّةُ الفِعْلِيَّةُ الوَاسِمَةُ لبِنِيَّةِ  
القَصِيدَةِ بِمَا يَتَخَلَّلُهَا مِنْ انْزِيَاكِ فِي التَّرْكِيبِ وَاحْتِصَارِ فِي الضَّمِيرِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 22.

(2) المصدر نفسه، ص: 23.

(3) المصدر نفسه، ص: 22.

وتأتي قصيدة (جدار المسجد المنهار في البوسنة) بتكثيفها الفعليّ مُشخّصةً ومُجسّدةً لصورة (المسجد المنهار) في حرّكته البطيئة المُستدبمة وما يُصاحبها من انحدارٍ في منحى الشعور، إذ تضمّنت سبعاً وخمسين بنيةً فعليةً، منها سبعٌ وثلاثون بنيةً مضارعيةً وعشرون بنيةً ماضويةً. وقد عملت هذه البنية الفعلية على تكريس نسق تركيبّي فعليّ ذي إيقاع خافتٍ وحزين.

تتواتر بنية النسق التركيبّي الماضويّ المبني للمعلوم في صورٍ تعبيريةٍ متنوّعةٍ مُثبّتهٍ ومنفّيةٍ، مُجرّدةٍ ومؤكّدةٍ مُتّصلةٍ بالبنية المضارعية مُلتحمةً بها في سياقاتها المختلفة، ففي المقطع الأوّل من القصيدة يراوح الشاعِر في بنائه التركيبّي بينهما كاشفاً عن حركتين متضادتين إحداهما حركة (سيّاط الغدر) التي تتوخى زعزعة المسجد من مكانه واقتلاعه من أساسه والثانية حركة (المسجد) الثابت المقاوم المُشَبَّث بالأرض قبل أن ينهار في المقطع الثاني من القصيدة.

يستهلّ مطلع القصيدة ببنية خبرية فعلية ماضوية مُثبّته واصفة حال المسجد الصّامد، يقول الشاعِر<sup>(1)</sup>:

رَأَيْتُهُ وَسَيَّاطُ الْغَدْرِ تَدْفَعُهُ شَيْخًا تَسِيلُ عَلَى خَدَيْهِ أَدْمَعُهُ

وتتألف هذه البنية من الفعل (رأى) المُتعدّي إلى مفعولين والفاعل ضمير المُتكلم المُتّصل والمفعول الأوّل ضمير الغائب المُتّصل والمفعول الثاني الاسم الظاهر التّكررة (شيخاً). وتتميّز هذه البنية الفعلية بالاعتراض بين المفعول الأوّل الضمير والمفعول الثاني الاسم الظاهر بالجُملة الحالية (وسياط الغدر تدفعه) لإبراز الحال وتوضيحه والتنبه عليها. وتكتمل دلالة هذه البنية الفعلية الماضوية الأساسية بتمدّد بنيتها من خلال البنية الاسميّة الكبرى المُعترضّة والبنية الفعلية الواقعة نعتاً للمفعول الثاني، وهي جُملة (تسيل على خديه أدمعه)، وقد تقدّم فيها الجار والمجرور تحديداً لمحلّ مجرى الدمع وتأكيداً على ذرفه، ويضفي هذا الانزياح التركيبّي تأكيداً خاصاً وتركيزاً مُحدّداً على مُكوّنات معيّنة من بنية المطلع لتترك أثرها المرحوّ في المُتلقي وقد اجتمعت فيها كلُّ عناصر الصورة.

وتأتي بنية التركيب الفعلّي الماضويّ مؤكّدةً بـ (قد) دلالة على التّحقيق تارةً وبـ (قد) وتقدّم أحد مُكوّنات البنية تارةً أخرى ممّا يُضاعف التّوكيد ويعزز قدرته على التّعبير فضلاً عمّا يتحلّى به الفعل الماضي من طاقة دلالية ناجمة عن الزيادة في بنيته بالتّضعيف وازيادة حروف في مبناه ممّا يُفضي إلى زيادة في المعنى، يقول الشاعِر<sup>(2)</sup>:

تَضِحُّ مِنْ حَوْلِهِ الْبُلُوى تُرْحِزُهُ وَقَدْ تَحَصَّنَ خَلْفَ الدَّهْرِ مَوْفِعُهُ

خَلْفَ الْقُرُونِ قَدِ ارْتَاَحَتْ قَوَاعِدُهُ وَأَوْغَلَتْ رَأْسَهُ فِيهَا وَأَضْلَعُهُ

(1) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 71.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إِنَّ الْبِنِيَّةَ الْفِعْلِيَّةَ الْأُولَى بِنِيَّةٍ حَبْرِيَّةٍ بَسِيطَةً قَدْ تَحَصَّنَ خَلْفَ الدَّهْرِ مَوْقِعُهُ فِي شَكْلِهَا الْآتِي (قَدْ+الظَّرْفُ) مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ+الْفَاعِلُ (مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ) تُؤَكِّدُ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَسْجِدُ مِنْ حَصَانَةٍ مُحَقَّقَةٍ عَرِيقَةٍ ضَارِبَةٍ فِي الزَّمَنِ، وَقَدْ أَدَّى هَذَا الْمَعْنَى إِلَى جَانِبٍ (قَدْ) تَقْدِمْ الظَّرْفِ (خَلْفَ الدَّهْرِ) عَلَى الْفَاعِلِ بِقَصْدِ إِبْرَازِ الْبُعْدِ الزَّمَنِيِّ لِلْحَدِيثِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ (تَحَصَّنَ). أَمَّا الْبِنِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ (خَلْفَ الْقُرُونِ قَدْ ارْتَأَحَتْ قَوَاعِدُهُ)، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِيهَا الظَّرْفُ عَلَى كُلِّ مَنْ الْفِعْلُ الْمُؤَكَّدُ وَقَاعِلُهُ لِأَهْمِيَّتِهِ فِي التَّعْبِيرِ وَالِدَّلَالَةِ الْمُرَادِ لَفَتْ الْإِنْتِبَاهَ إِلَيْهَا، وَهِيَ تَحْدِيدُ الْبُعْدِ الزَّمَنِيِّ وَتَوْضِيحُهُ وَذَلِكَ لِلْوُصُولِ إِلَى إِثَارَةِ شُعُورِ الْمُتَلَقِّي وَمُلَامَسَةِ وَجْدَانِهِ بِتَصْوِيرِ اللَّحْظَاتِ الْعَصِيبَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِالْمَسْجِدِ قَبْلَ وَقُوعِهِ وَإِرْسَالِ جُمْلَةٍ مِنَ الْإِسْتِفْهَامَاتِ فِي سِيَاقِ الْحَسْرَةِ وَالتَّأْسَفِ تُصَوِّرُ لِحْظَاتٍ مُمَاتِلَةً تَطُوفُ بِالشَّاعِرِ وَالْمُتَلَقِّي.

وَيُسْنَهُمُ التَّوَكِيدُ فِي آدَاءِ الْبِنِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ لَوْظِيفَتِهَا الْأُسْلُوبِيَّةِ بِوَأَسْطَةِ تَكَرَّرِ نَسَقِهِ التَّرَكِيبِيِّ (قَدْ+فِعْلٌ... فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

لَكِنَّهُ الشَّرُّ لَمَّا تَارَ ثَائِرُهُ      تَيَقَّنَ الشَّيْخُ أَنْ قَدْ حَانَ مَصْرَعُهُ  
مَدَّتْ لَهُ الْأَرْضُ كَفَيْهَا تُوسِّدُهُ      فَوْقَ التُّرَابِ وَقَدْ نَاحَتْ تُودِّعُهُ  
وَعَادَرَ الْحَجْرُ الْعَالِي مَكَاتِنَهُ      وَكَانَ فَوْقَ رِقَابِ الْكُونِ مَوْضِعُهُ

وَقَدْ تَرَدَّدَتْ بِنِيَّةُ التَّرَكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمَضَارِعِيِّ مُثَبَّتَةً، وَتَشْتَعَلُ إِحْدَى الْوِطَائِفِ النَّحْوِيَّةِ كَأَنَّ تَكُونَ وَأَقَعَةً خَيْرًا أَوْ نَعْتًا أَوْ حَالًا أَوْ مُؤَوَّلَةً بِمَصْنَدٍ لَهُ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ فَيَكُونُ مَجْرُورًا أَوْ مَنْصُوبًا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

رَأَيْتُهُ وَسَيَاطُ الْعَدْرِ تَدْفَعُهُ      شَيْخًا تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ أَدْمَعُهُ  
وَكَلَّمَا هَزَّهُ رِيحٌ لِيُسْقِطَهُ      تَشَبَّتَ رِجْلُهُ بِالْأَرْضِ تَمْنَعُهُ  
تَضَحُّ مِنْ حَوْلِهِ الْبَلْوَى تُزْحِزُّهُ      وَقَدْ تَحَصَّنَ خَلْفَ الدَّهْرِ مَوْقِعُهُ  
لَمْ يَجْرُؤْ الدَّهْرُ يَوْمًا أَنْ يُلَامِسَهُ      وَأَنْ يَمُدَّ لَهُ كَفًّا تُزْعِزُهُ

فَالْبِنِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ (تَدْفَعُهُ) الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ وَأَقَعَةً خَيْرًا لِمُبْتَدَأِ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الْحَالِيَّةِ، وَالْبِنِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ (تَسِيلُ...) الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ الْمُعْتَرِضِينَ وَالْفَاعِلِ وَأَقَعَةً نَعْتًا لِلْمَفْعُولِ بِهِ النَّكْرَةِ، وَتَقَعُ الْبِنِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ (تَمْنَعُهُ) الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ حَالًا لِلْفَاعِلِ الْمَعْرُوفَةِ، وَتَقَعُ الْبِنِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ (تُزْحِزُّهُ) الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ حَالًا لِلْفَاعِلِ الْمَعْرُوفَةِ، وَتَقَعُ الْبِنِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ (تُزْعِزُهُ) الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ نَعْتًا لِلْمَفْعُولِ النَّكْرَةِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 71.

(2) المصدر نفسه، ص: 71.

وَالسُّمَّةُ الْعَالِبَةُ عَلَى هَذِهِ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ تَكْوِينُهَا الثَّلَاثِي مِنْ الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي وَفَاعِلِهِ وَمَفْعُولِهِ، وَأَدَاؤُهَا لَوْظِيفَةٍ نَحْوِيَّةٍ فِي إِطَارِ الْبِنْيَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الَّتِي تَتَمَوَّقِعُ فِيهَا وَتُتَمُّ مَعْنَاهَا الْإِحْبَارِيُّ، وَوُرُودُ فَاعِلِهَا ضَمِيرًا غَائِبًا مُقَدَّرًا وَمَفْعُولِهَا ضَمِيرًا مُتَّصِلًا ظَاهِرًا.

وَتَرِدُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمُضَارِعِيِّ مُؤَكَّدَةً بِالْمَصْدَرِ الْمَطْلُوقِ لِلتَّشْدِيدِ عَلَى مَادَّةِ الْكَلِمَةِ فِعْلًا وَمَصْدَرًا وَمَنْحَ التَّرْكِيبِ دِلَالَةً أَعْمَقَ وَأَقْوَى إِجَاءً وَأَوْثَقَ صِلَةً بِوَجْدَانِ الْمُتَلَقِّي وَخِيَالِهِ، وَتَتَمَثَّلُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُؤَكَّدَةُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(1)</sup>:

شَدَّ الزَّمَانَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُنْحَدِرٌ يَجْرُهُ لِلشَّرَى جَرًّا وَيُوقِعُهُ

وَتَرِدُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْمُضَارِعِ مَنْفِيَّةً فِي الْقَصِيدَةِ بِـ(لَمْ) وَبِـ(لَا)، وَالنَّفْيُ بِـ(لَمْ) يُحَوِّلُ دِلَالَةَ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ إِلَى الْمُضِيِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

لَمْ يَجْرُؤُ الدَّهْرُ يَوْمًا أَنْ يُلَامِسَهُ وَأَنْ يَمُدَّ لَهُ كَفًّا تُرْعِزُهُ

فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمَنْفِيَّةُ، هُنَا، مُؤَلَّفَةٌ مِنْ أَدَاةِ النَّفْيِ وَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ وَالظَّرْفِ وَالْمَصْدَرِ الْوَاقِعِ مَفْعُولًا، وَتَتَأَلَّفُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمَنْفِيَّةُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(3)</sup>:

يَا أَيُّهَا الْمَسْجِدُ الْمَلْقَى بِحُفْرَتِهِ لَمْ يُعْنِ عَنكَ دُعَاءُ كُنْتَ تَسْمَعُهُ

مِنْ(لَمْ) وَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ وَالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ الْمُتَقَدِّمِ وَالْفَاعِلِ، أَمَّا النَّفْيُ بِـ(لَا) فَقَدْ تَمَثَّلَ فِي الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْآتِيَةِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(4)</sup>:

يَكْفِي هَوَانًا أَنَا لِبِلْوَتِنَا لَا نَسْتَطِيعُ إِذَا مَا مَالَ تَرْفَعُهُ

وَالْحَصِيصَةُ الْأُسْلُوبِيَّةُ الْمَائِلَةُ فِي الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ - كَجُزءٍ مِنْ بِنْيَةِ الرَّسَالَةِ - فِي قَصِيدَةِ جِدَارِ الْمَسْجِدِ الْمُنْهَارِ فِي الْبُوسْنَةِ أَنْ وَظِيفَتَهَا لَمْ تُعَدَّ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْوَجْدَانِيَّ إِحْبَارِيَّةً صِرْفَةً يَفْرُضُهَا قَانُونُ التَّوَاصُلِ اللَّسَانِيِّ، فَهِيَ تَنْحَرِفُ عَنْ هَذَا الْمَسَارِ لِتَلْتَفِّ وَتَتَمَحَوَّرَ حَوْلَ ذَاتِهَا مُبَدَّعَةً نَسَقَهَا الشَّعْرِيُّ الْمُتَمَيِّزُ، فَهَذِهِ الْبُنْيُ قَدْ تَجَاوَزَتْ الْوِظِيفَةَ الْإِشَارِيَّةَ التَّقْرِيرِيَّةَ الْمُبَاشِرَةَ إِلَى الدَّلَالَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ الْمُصَوَّرَةِ الزَّاحِرَةَ بِالْإِجَاءِ الْمُسْتَعِينِ بِالرَّمْزِ وَالْمَجَازِ وَالْمُتَكَيِّ عَلَى تَجْسِيدِ الْمَعْنَوِيِّ وَتَشْخِصِ الْمَادِّيِّ وَأَنْسَنَتْهُ بِهِذِهِ الْأَفْعَالِ الْمُتَنَوِّعَةِ فِي إِطَارِ الصُّورَةِ الْكُبْرَى الَّتِي رَسَمَهَا الشَّاعِرُ لِلْمَسْجِدِ فِي حَرَكَةِ انْهِيَارِهِ، وَهِيَ صُورَةٌ تُعَادِلُ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ انْهِيَارِ شُعُورِيٍّ مُؤَلِّمٍ وَأَنْكِسَارٍ مَعْنَوِيٍّ مُفْجِعٍ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 72.

(2) المصدر نفسه، ص: 71.

(3) المصدر نفسه، ص: 72.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَتُهَمِّنُ الْبُنْيَةَ الْفِعْلِيَّةَ الْمَاضِيَّةَ وَالْمُضَارِعِيَّةَ فِي قَصِيدَةِ (لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ) لِمُصْطَفَى الْعُمَارِيِّ مُنْتَجَةً أَثَرَهَا الْإِيْجَابِيُّ فِي دِلَالَةِ الْقَصِيدَةِ الْمُتَمَرِّكَةِ حَوْلَ (النَّفْيِ) وَ(الرَّفْضِ) وَ(الثَّوْرَةِ) عَلَى الْبَاطِلِ بِكُلِّ رُمُوزِهِ، وَهِيَ دَلَالَةٌ مُشْعَةٌ تُرْفِدُهَا رُؤْيُةٌ إِسْلَامِيَّةٌ حَلِيَّةٌ تَسْتَحْضِرُ رُمُوزَ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنَ الْبُنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمَاضِيَّةِ الْمُوَكَّدَةِ الْمُتَدَفِّقَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ فِي الْمَقْطَعِ الْآتِي (1):

وَمِنْ أَفْرَاحِنَا الْخُضْرُ انْتَشَيْنَا..  
وَعَلَى أَهْدَابِنَا الْهِيمِ إِلَى اللَّقِيَا سَعَيْنَا  
لَا تَسَلْ كَيْفَ سَعَيْنَا؟!  
كَيْفَ كُنَّا أَلْمَا يُورِقُ نَارًا  
كَيْفَ عَانَيْنَا الْمَدَى اللَّيْلِيَّ  
تُرْنَا مِنْ سُجُونِ الْقَهْرِ نَارًا..

فَالْبُنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمَاضِيَّةُ الْمُوَكَّدَةُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ يَتَقَدَّمُ فِيهَا الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَتَتَّخِذُ الصُّورَةَ التَّرْكِيبِيَّةَ (الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ + فِعْلٌ مَاضٍ + الْفَاعِلُ الْمُتَكَلِّمُ)، فَهِيَ فِي (مِنْ أَفْرَاحِنَا الْخُضْرُ انْتَشَيْنَا..) تَتَأَلَّفُ مِنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (مِنْ أَفْرَاحِنَا) الَّذِي تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (انْتَشَيْنَا) تَأْكِيدًا عَلَى أَنَّ الْأَفْرَاحَ مَصْدَرُ النُّشُوءِ، وَفِي (عَلَى أَهْدَابِنَا الْهِيمِ إِلَى اللَّقِيَا سَعَيْنَا) تَتَأَلَّفُ بِنَيْةِ التَّرْكِيبِ مِنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (عَلَى أَهْدَابِنَا) وَ(إِلَى اللَّقِيَا) الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (سَعَيْنَا) تَأْكِيدًا وَتَخْصِيصًا وَتَحْدِيدًا لِلْغَرَضِ الَّذِي لِأَجْلِهِ تَمَّ السَّعْيُ.

أَمَّا الْبُنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمُوَكَّدَةُ عَنْ طَرِيقِ تَقَدُّمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فَتُوَلِّي عِنَايَةً خَاصَّةً بِالْعَنْصَرِ الْمُتَقَدِّمِ وَتَظْهَرُ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقَصِيدَةِ مِنْهَا مَا يَجِيءُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (2):

مِنْ عَنَاءِ الْجَمْرِ تَخْتَالُ التَّبَاشِيرُ الْوَلُودُ  
مِنْ وَجُودِي مِنْ دِمَائِي  
يَصْنَعُ الْجِيلُ الْحَضَارَةَ  
مِنْ جِهَادِي.. مِنْ فِدَائِي  
يَسْكَبُ الْفَجْرُ اخْضِرَّارَهُ

فَهَذِهِ الْبُنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ تَخْلُقُ انْزِيَاحَهَا بِاسْتِمْرَارٍ مُطَّرِدٍ فِي النَّسْجِ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ التَّعْبِيرِيِّ الَّذِي يُؤْتِرُ تَقَدُّمَ أَحَدِ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ مَعًا؛ أَيْ تَقَدُّمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، فَفِي الْبُنْيَةِ (مِنْ عَنَاءِ الْجَمْرِ تَخْتَالُ التَّبَاشِيرُ الْوَلُودُ) يَتَقَدَّمُ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ (مِنْ عَنَاءِ الْجَمْرِ) عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (تَخْتَالُ التَّبَاشِيرُ الْوَلُودُ) تَخْصِيصًا لَهُ، وَقَدْ يَقُومُ

(1) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 25.

(2) المصدر نفسه، ص: 24.

التَّقدِيمِ بِإِفْرَازِ طَاقَتِهِ التَّعْبِيرِيَّةِ الكَامِنَةِ عَلَى أَساسِ أَنَّ المَعَانِي المَقْصُودَةَ مِنْهُ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ طَاقَاتٌ تَعْبِيرِيَّةٌ تَلْحَقُ المَعَانِي الظَّاهِرَةَ فَتَزِيدُهَا تَدْقِيقًا وَتَأْكِيدًا.<sup>(1)</sup> وَيَتَجَلَّى هَذَا فِي تَوْظِيفِ النَّسَقِ التَّعْبِيرِيِّ المُنْزَاحِ حَيْثُ يَتَكَرَّرُ الجَارُّ وَالمَجْرُورُ مَرَّتَيْنِ مُقَدِّمًا عَلَى كُلِّ مِنَ الفِعْلِ وَالفَاعِلِ وَالمَفْعُولِ مُفِيدًا لِلتَّخْصِيسِ غَالِبًا، فِي البِنْيَةِ الفِعْلِيَّةِ الأُولَى (مِنْ وُجُودِي مِنْ دِمَائِي يَصْنَعُ الجِيلُ الحَضَارَةَ) تَتَصَدَّرُ شِبْهُ جُمْلَتَيْنِ مُكَوَّنَتَيْنِ مِنْ حَارٍّ وَمَجْرُورٍ (مِنْ وُجُودِي مِنْ دِمَائِي) التَّرْكِيبِ مُبْرَزَةً المَصْدَرِ الحَيِّ الَّذِي يَصْنَعُ مِنْهُ الجِيلُ حَضَارَتَهُ وَمُؤَكِّدَةً لَهُ نَمَّ تَلْحَقُ بَقِيَّةِ المَكُونَاتِ (يَصْنَعُ الجِيلُ الحَضَارَةَ). وَفِي البِنْيَةِ الثَّانِيَةِ (مِنْ جِهَادِي.. مِنْ فِدَائِي يَسْكُبُ الفَجْرُ اخْضِرَارَهُ) تَتَقَدَّمُ شِبْهُ جُمْلَتَيْنِ مُؤَلَّفَتَيْنِ مِنْ حَارٍّ وَمَجْرُورٍ (مِنْ جِهَادِي مِنْ فِدَائِي) مُخَصَّصَةً وَمُحَدَّدَةً لِلْمَعْنَى المَنُوطِ بِالجَارِّ وَالمَجْرُورِ تَأْدِيتُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ. وَالمُلاحَظُ فِي تَكَرَّرِ الجَارِّ وَالمَجْرُورِ مَرَّتَيْنِ فِي صَدْرِ التَّرْكِيبِ أَنَّهُ يَشْتَغِلُ جَانِبًا مِنْ فِضَاءِ البِنْيَةِ وَ"يَتْرُكُ مِسَاحَةً لِلقَارِي، يُحَسُّ فِيهَا بَعْمُوضِ المُنَآخِرِ، فَيَتَشَوَّقُ لِمَعْرِفَتِهِ، وَيَتَّبِعُ السِّيَاقَ إِلَى أَنْ يَعْثُرَ عَلَيْهِ".<sup>(2)</sup> فَتَأْتِي البِنْيَةُ الفِعْلِيَّةُ (يَسْكُبُ الفَجْرُ اخْضِرَارَهُ) بَعْدَ هَذِهِ المَسَافَةِ لِتَكْتَمِلَ دَائِرَةُ التَّرْكِيبِ الَّتِي انْطَلَقْنَا فِيهَا مِمَّا يَجِبُ تَأْخُرُهُ لِكَوْنِهِ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الفِعْلِ.

وَفِي البِنْيَةِ الفِعْلِيَّةِ المُضَارِعِيَّةِ الآتِيَةِ يَتَقَدَّمُ الجَارُّ وَالمَجْرُورُ مُشْكَلاً نَوَاةً مَعْنَوِيَّةً مُهِمَّةً يَرْتَبِطُ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ فِعْلِ وَفَاعِلِ، وَتَفْتَحُ المَحَالَّ لِحَرَكَةِ فِعْلِيَّةٍ مُتتَابِعَةٍ (أَتَلُو/أَتَلَطَّى/أَصْنَعُ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

مِنْ وَرَاءِ الصَّمْتِ  
أَتَلُو سُورَةَ المَوْتِ الزُّوَامِ  
أَتَلَطَّى عُقْبَةَ..  
مُهْرًا إِلَهِيًّا  
وَطَارِقًا..

أَصْنَعُ الشَّرْقَ إِذَا حَادَتْ عَنِ الدَّرْبِ المَشَارِقِ  
أَزْرَعُ النَّارَ عَلَى الدَّرْبِ

وَتَتَكَوَّنُ هَذِهِ البِنْيَةُ المُتَأَخَّرَةُ مِنْ فِعْلِ مُضَارِعٍ (أَتَلُو/أَتَلَطَّى/أَصْنَعُ/أَزْرَعُ) مُسْنَدٍ إِلَى فَاعِلٍ مَعْلُومٍ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ المُقَدَّرِ بِـ(أنا)؛ أَي (أنا) الشَّاعِرِ وَالمَفْعُولِ إِسْمِ ظَاهِرٍ مَعْرِفَةٍ (سُورَةَ المَوْتِ/عُقْبَةَ الشَّرْقِ/النَّارِ)، فَقَدْ تَرَكَتْ بُنَى الأَفْعَالِ وَتَكْتَفَتْ فِي سِيَاقِ لُغَوِيٍّ وَشُعُورِيٍّ مُتَلَاحِمٍ وَتَعَدَّدَتِ المَفَاعِيلُ بَيْنَمَا ظَلَّ الفَاعِلُ/الشَّاعِرُ وَاحِدًا مُتَمَسِّكًا

(1) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 286.

(2) عبد الباسط محمود: دراسة في لغة الشعر، ص: 334.

(3) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 23.

بِزَمَامِ الْأَحْدَاثِ وَمُحَرِّكَهَا، وَبِهَذَا الرَّصْفِ النَّظْمِيِّ لِلأَفْعَالِ فِي السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ كَشَفَ الْمَفُوظُ اللَّغَوِيُّ عَنِ الْحُضُورِ الْقَوِيِّ الْفَاعِلِ لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ/الشَّاعِرِ.

وَتَشَكُّلُ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ بِتَوَزِيْعٍ مُكَوَّنَاتِهَا بِكَيْفِيَّةِ تَخْرُقِ الْقَاعِدَةَ اللَّغَوِيَّةَ وَاقِعَةً أُسْلُوبِيَّةً دَالَّةً مِنْ حِلَالِ إِزَاحَةِ عُنْصُرٍ لِسَانِيٍّ عَنِ مَوْضِعِهِ وَإِحْلَالِ آخَرَ مَوْضِعَهُ، فَهَذِهِ الْبُنَى:

- مِنْ وَرَاءِ الصَّمْتِ / أَتْلُو سُورَةَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ.

- مِنْ عَنَاءِ الْجُمُرِ / تَخْتَالُ التَّبَاشِيرُ الْوَلُودُ.

- مِنْ وَجُودِي مِنْ دِمَائِي / يَصْنَعُ الْجَيْلُ الْحَضَارَةَ.

- مِنْ جِهَادِي.. مِنْ فِدَائِي / يَسْكُبُ الْفَجْرُ احْضِرَارَهُ.

يُزَاحُ فِيهَا الْفِعْلُ الْمُتَعَدِّي وَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ أَوْ الْفِعْلُ اللَّازِمُ وَالْفَاعِلُ عَنِ مَنَزِلَتِهَا مِنَ الْبِنْيَةِ، وَيُنزَلُ مَكَانَهَا الْمُتَعَلِّقُ (الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ)، وَبِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْجُمْلَةِ هَذِهِ عَلَى مُسْتَوَى صِيَاقَتِهَا اللَّفْظِيَّةِ يُعَادُ تَشَكُّيلُ الدَّلَالَةِ فَيَحْظَى الْعُنْصُرُ الْمُتَقَدِّمُ بِثِقَلٍ مَعْنَوِيٍّ وَبِتَرَكِيزٍ دِلَالِيٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَذَا الْقَدْرِ فِي وَضْعِهِ التَّرْكِيبِيِّ الْأَوَّلِ. وَتَخْصِيصُ الْمُتَقَدِّمِ أَوْ تَحْدِيدُهُ أَوْ تَوْكِيدُهُ أَوْ إِبْرَازُهُ لِأَهْمِيَّتِهِ هِيَ دِلَالَاتٌ يُنتِجُهَا التَّسْقُ التَّرْكِيبِيُّ الْخَاصُّ فَ"الْأَلْفَازُ لَا تُفِيدُ حَتَّى تُؤَلَّفَ ضَرْبًا خَاصًّا مِنَ التَّأْلِيفِ، وَيَعْمَدُ بِهَا إِلَى وَجْهِ دُونَ وَجْهِ مِنَ التَّرْكِيبِ وَالتَّرْتِيبِ".<sup>(1)</sup> فَالدَّلَالَةُ، فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ السَّابِقِ، هِيَ الَّتِي تَقِفُ وَرَاءَ عَمَلِيَّةِ التَّرْكِيبِ وَالتَّرْتِيبِ أَوْ إِعَادَةِ تَوَزِيْعِ عَنَاصِرِ الْبِنْيَةِ وَلَيْسَ الْإِيقَاعُ وَهَذَا لَا يَتَنَافَى مَعَ التَّلَفُظِ بِالْعُنْصُرِ الْمُتَقَدِّمِ بِشَيْءٍ مِنَ (التَّنْغِيمِ) الدَّلَالِ.

وَمِنْ بُنَى النَّفْيِ فِي التَّرَاكِيْبِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ النَّفْيِ بِـ(لَنْ) فِي قَصِيدَةِ (لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ) حَيْثُ تَتَكَرَّرُ الْبِنْيَةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمَنْفِيَّةُ (لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ) حَمْسَ مَرَّاتٍ مُؤَكَّدَةً مَعْنَاهَا الْمُتَمَثِّلُ فِي دَوَامِ الْمَطَالِبَةِ بِالْحَقِّ، وَلِدَّلَالَةِ النَّفْيِ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَفَادَتْ (لَنْ) عِلَاوَةً عَلَى تَأْكِيدِ النَّفْيِ (التَّأْيِيدِ)<sup>(2)</sup>، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ<sup>(3)</sup>:

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي جُرْحِ بِلَادِي..

لَنْ يَنَامَ..

مِنْ وَرَاءِ الصَّمْتِ

أَتْلُو سُورَةَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ

أَتَلْظَى عُقْبَةَ..

مُهْرًا إِلَهِيًّا

وَطَارِقًا..

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1424هـ-2003م، ص: 8.

(2) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأنها، علم المعاني، ص: 122.

(3) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 23.

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي صَدْرِي وَإِنْ غَامَتْ جُفُونُ  
رَمَدَتْهَا فِي مَرَايَا الْقَهْرِ أَشْبَاحُ الظُّنُونِ  
لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ..

وَالرَّمْزُ الْإِلَهِيُّ الْإِمَامُ

فَبِنْيَةِ النَّفْيِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ (لَنْ) وَالْفِعْلِ (يَنَام) وَالْفَاعِلِ (الْحَقُّ) الْمُتَكَرِّرَةِ فِي سِيَاقَاتِ الْقَصِيدَةِ تَحْمِيلُ تَوْكِيدًا وَإِصْرَارًا وَعَزِيمَةً وَتَفَاؤُلًا بِالْآتِي، وَيُكُونُ التَّكَرُّارُ فِي هَذَا السِّيَاقِ بِنْيَةً لِسَانِيَّةً تَكَرَّرِيَّةً وَوَسِيلَةً رُبَطِ نَصِيَّةٍ، فَلِإِعَادَةِ الْمُبَاشَرَةِ لِلْكَلِمَاتِ أَوْ التَّعْبِيرِ الْمُتَكَرِّرِ لَهَا يُبْقِي عَلَى الْمَرْجِعِ نَفْسَهُ وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَسْتَمِرُّ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى الْكَيْانِ ذَاتِهِ فِي عَالَمِ النَّصِّ، وَعِنْدَئِذٍ يَتَدَعَّمُ ثَبَاتُ النَّصِّ بِوَسْطَةِ الْإِسْتِمْرَارِ الْوَاضِحِ، فَيَخْلُقُ تَعَدُّدَ التَّكَرُّارِ أَسَاسًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْجُمْلِ مِمَّا يُسْهِمُ فِي وَحْدَةِ النَّصِّ وَتَمَاسُكِهِ، فَضْلًا عَنْ إِسْهَامِهِ فِي تَحْدِيدِ الْقَضِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي النَّصِّ بِالتَّأَكِيدِ عَلَى مَحْتَوَى مُعَيَّنٍ. (1)

كَهَذَا الْمَحْتَوَى الْفِكْرِيِّ وَالشُّعُورِيِّ الْكَامِنِ وَرَاءَ بِنْيَةِ النَّفْيِ الْمِفْتَاحِيَّةِ الصَّرِيحَةِ. وَفِي هَذَا الصَّدَدِ فَإِنَّ (التَّكَرُّارَ) يُعَدُّ سِمَةً أَسَاسِيَّةً فِي الشُّعْرِ الْمَعَاصِرِ، بِحَيْثُ يُمَكِّنُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ (لَازِمَةٌ) مِنَ اللَّوَاظِمِ الْجَمَالِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَ الشُّعْرُ عَلَيْهَا بِشَكْلِ مُبَالِغٍ فِيهِ أحيانًا، سَوَاءً عَلَى مُسْتَوَى الْمَقْطَعِ أَوْ عَلَى مُسْتَوَى الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا.. إِنَّ التَّكَرُّارَ يَشِي - عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ وَالرَّمْزِ - بِأَنَّ الشَّاعِرَ يُؤَكِّدُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَانِي بِذَاتِهَا.. أَمَّا عَلَى مُسْتَوَى الْإِيْقَاعِ وَالصَّوْتِ فَيُشِيرُ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ يَعْتَمِدُ عَلَى التَّكَرُّارِ رَغْبَةً فِي إِثْرَاءِ الْجَانِبِ الْمَوْسِيقِيِّ. (2) وَهُوَ، بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ، سِمَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَالْعُمَارِيُّ يَعْمَدُ إِلَى تَكَرُّارِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ الْمَجْرَدَةِ الْمُنْزَاحَةَ دَلَالِيًّا (أَلَمْ هَوَاكُ..) خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْقَصِيدَةِ تَمْهِدًا لِهَيْمَنَةِ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلِ الْقَصِيدَةِ (3):

أَلَمْ هَوَاكُ تَارِيحًا مِنْ الْأَلَمِ

أَلَمْ هَوَاكُ..

أُرَاعِي نَجْمَهُ..

أُرْوِيهِ لِلرِّيْحِ..

بَلَحْنٍ مِنْ شِفَاهِ الدَّرْبِ مَجْرُوحِ..

أَلَمْ هَوَاكُ..

وَالْأَوْثَانَ سَادِرَةً

يَمُجُّ النَّارَ كَاهِنُهَا

وَكَاهِنَةٌ تُطَالِعُ غَيْبَهُ..

(1) عزة شبل محمد: علم لغة النص، ص: 105.

(2) طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، ص: 116.

(3) مصطفى الغماري: بوح في موسم الأسرار، ص: 57.

وَالْعَيْبُ مَشْلُولُ التَّسَايِيحِ

أَلَمْ هَوَاكَ..

أَقْرَأُهُ صَهِيلاً أَخْضَرَ الْقَسَمَاتِ

وَمُهْرًا..

فَارِسًا يَمْتَدُّ مِنْ (صَفِينِ)

يُحَطِّمُ صَخْرَةَ الْمَأْسَاءِ

يُذِيبُ الْحَاضِرَ الصَّخْرِيَّ أَنْفَاسًا رَبِيعِيَّةً!

وَأَيَّامًا تُضِيءُ الدَّرْبَ بِالْكَلِمِ الْإِلَهِيَّةِ!

أَلَمْ هَوَاكَ..

يَا قَدَرَ الْمَسَافَةَ

يَا شَرَّابِينَ الْعَدِ الْآتِي..

أَلَمْ هَوَاكَ

وَأَصْنَعُ مِنْ دَمِي..

مِنْ فِيضِ آيَاتِي..

مَوَاوِيلًا يَطِيرُ بِهَا جَنَاحَانِ

مِنْ الْحُبِّ الْقَلْبِيِّ

فَالْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ التَّكْرَارِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ (أَلَمْ هَوَاكَ..) هِيَ "الْجُمْلَةُ الْمَفْتَاخُ الْمَوْقِفِ الْجَمَالِيِّ لِعَالَمِ الْقَصِيدَةِ". (1)

وَهِيَ بَتْرَكِيَّتُهَا الْبَسِيطَةُ الْمُقْتَصِرَةُ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ ذَالَّةٌ عَلَى حِجْمِ التَّوَثُّرِ وَالْإِنْفِعَالِ اللَّذِينَ يُكَابِدُ

الشَّاعِرُ سَعِيرُهُمَا وَاللَّذِينَ يَمْنَحَانِ الْقَصِيدَةَ حَيَوِيَّتَهَا الشَّعْرِيَّةَ، وَالْفَاعِلُ فِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا يَرُدُّ دَائِمًا فِي

صُورَةٍ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْأَكْثَرِ دَوْرَانًا فِي الْمَتْنِ الشَّعْرِيِّ وَالْأَكْفَأُ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ التَّجْرِبَةِ الذَّاتِيَّةِ وَالرُّؤْيَا الْخَاصَّةِ. وَتُحَقِّقُ

الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ التَّكْرَارِيَّةُ وَظَيْفَتُهَا فَهِيَ تُسَهِّلُ اسْتِقْبَالَ الرِّسَالَةِ وَتَخْدُمُ النِّظَامَ الدَّاخِلِيَّ لِلنَّصِّ وَتُشَارِكُ فِيهِ، فَبِإِمْكَانِ

الشَّاعِرِ مِنْ خِلَالِ تَكَرُّرِ كَلِمَاتٍ مَقْصُودَةٍ أَنْ يُعِيدَ صِبَاغَةَ بَعْضِ الصُّوَرِ، وَبِإِمْكَانِهِ أَنْ يُكْنِفَ الدَّلَالَةَ الْإِيحَائِيَّةَ لِلنَّصِّ

أَوْ الْخِطَابِ. (2) وَهَذَا يَجْعَلُ الْبِنْيَةَ الْمُكْرَّرَةَ ذَاتَ صِلَةٍ بَيْنِيَّةِ الدَّلَالَةِ كَأَهْمِّ شَرْطٍ يَجِبُ مُرَاعَاتُهُ فَ"الْلَفْظُ الْمُكْرَّرُ يَنْبَغِي

أَنْ يَكُونَ وَثِيقَ الْإِرْتِبَاطِ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ". (3)

(1) طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، ص: 116.

(2) منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص: 83.

(3) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 264.

وَتَكْمُنُ قِيَمَةُ (التَّكْرَارِ) التَّعْبِيرِيَّةِ فِي الإِلْحَاحِ عَلَى جِهَةِ هَامَّةٍ فِي العِبَارَةِ يُعْنَى بِهَا الشَّاعِرُ أَكْثَرَ مِنْ عِنَايَتِهِ بِسِوَاهَا، فِي تَسْلِيطِ الضَّوِّءِ عَلَى نُقْطَةٍ حَسَّاسَةٍ فِي العِبَارَةِ وَالكَشْفِ عَنِ اِهْتِمَامِ المُتَكَلِّمِ بِهَا، فَيَكُونُ التَّكْرَارُ ذَا دَلَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ قِيَمَةٍ. (1) كَدَلَالَةِ الحُزْنِ وَالْحُسْرَةِ أَوْ التَّوَجُّعِ الَّتِي تُوحِي بِهَا البِنْيَةُ التَّكْرَارِيَّةُ الفِعْلِيَّةُ (أَبْكِي) فِي المَقْطَعِ الأوَّلِ مِنْ قَصِيدَةِ (دَمْعَةٌ وَفَاءٌ) الَّتِي نَظَمَهَا القَرَضَاوِيُّ فِي رِثَاءِ المُجَاهِدِ الدَّاعِيَةِ (زَكِي الدِّينِ أَبِي طَه)، وَقَدْ كَانَ لَوَفَاتِهِ أَثْرٌ عَمِيقٌ فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ، حَيْثُ رَدَّدَ البِنْيَةَ الفِعْلِيَّةَ المُضَارِعِيَّةَ (أَبْكِي) نَمَانِي مَرَّاتٍ دَالَّةً عَلَى الاسْتِمْرَارِ فِي الحَالِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

أَبْكِي، وَهَلْ يَشْفِي البُكَاءُ غَلِيلًا؟      وَقَدْ انْتَوَى عَنَّا الحَيِّبُ رَحِيلًا  
أَبْكِي، وَلَيْسَ مِنَ البُكَاءِ بُدٌّ، وَإِنْ      كَانَ المُصَابُ عَلَى القُلُوبِ جَلِيلًا  
أَبْكِي، عَلَى غُصْنٍ نَمًا فِي رَوْضَةٍ      لِلْحَقِّ أَذْبَلُهُ المُنُونُ ذُبُولًا  
أَبْكِي، عَلَى نَجْمٍ أَثَارَ ضِيَاؤُهُ      دَهْرًا وَأَسْرَعَ لِلْمَغِيبِ أَقُولًا  
أَبْكِي، فَتَى فَوْقَ الثَّرِيَا نَفْسُهُ      يَلْقَى المَمَاتَ وَلَا يَعِيشُ ذَلِيلًا  
أَبْكِي، فَتَى صَلْبًا تَكَادُ تَخَالُهُ      عُمَرًا، يُخِيفُ وَلَا يَخَافُ قَبِيلًا  
أَبْكِي، فَتَى إِنْ نَارَ لِلْحَقِّ انْتَضَى      عَزَمًا يَقِلُّ الصَّارِمَ المَسْلُوبًا  
أَبْكِي، فَتَى الجَمِيعُ يُعِدُّهُ رَجُلًا،      وَإِنْ كَانَ الرَّجَالُ قَلِيلًا

فَهَذِهِ البِنْيَةُ التَّكْرَارِيَّةُ الحُرَّةُ المُشْحُونَةُ عَاطِفِيًّا وَالمُنْدَرِجَةُ فِي سِيَاقِ الرِّثَاءِ الحَارِّ هِيَ مِنَ التَّكْرَارِ اللَّاشِعُورِيِّ الَّذِي "يَجِيءُ فِي سِيَاقِ شُعُورِيٍّ كَثِيفٍ يَبْلُغُ أحيانًا دَرَجَةَ المَأْسَاةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ العِبَارَةَ المُكْرَّرَةَ تُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ مُسْتَوَى الشُّعُورِ فِي القَصِيدَةِ إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ، وَبِاسْتِنَادِ الشَّاعِرِ إِلَى هَذَا التَّكْرَارِ يَسْتَعْنِي عَن عَنَاءِ الإِفْصَاحِ المُبَاشِرِ وَإِحْبَارِ القَارِيِّ بِالأَلْفَازِ عَن مَدَى كَثَافَةِ الذَّرْوَةِ العَاطِفِيَّةِ". (3) وَقَدْ يَجِدُ التَّكْرَارُ فِي قَصِيدَةِ الرِّثَاءِ مَا يُدْعَمُ دَلَالَتُهُ، فَأَوَّلُ مَا تَكَرَّرَ فِيهِ الكَلَامُ بَابُ الرِّثَاءِ، لِمَكَانِ الفَجِيعَةِ وَشِدَّةِ القَرَحَةِ الَّتِي يَجِدُهَا المُتَفَجِّعُ، وَهُوَ كَثِيرٌ حَيْثُ التَّمَسُّ مِنَ الشُّعْرِ وَجِدًا". (4) وَنَمَازِجُهُ وَاضِحَةٌ فِي مَرَاثِي الشُّعْرِ لِعَرَبِيٍّ فِي كُلِّ العُصُورِ.

وَتَتَرَدَّدُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الفِعْلِيِّ المُتَزَاحِ فِي سِيَاقَاتٍ فِعْلِيَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَدُونَةِ العُمَارِيِّ الشُّعْرِيَّةِ، فَنَحْنُ قَصِيدَةِ (أَلْمُ هَوَاكِ) المُشْبَعَةِ فِعْلِيًّا، تَرِدُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الفِعْلِيِّ المُضَارِعِيِّ مُنْزَاحَةً عَنِ النَّمَطِ التَّرْكِيبِيِّ المِعْيَارِيِّ حَيْثُ يُتَقَدَّمُ الجَارُّ وَالمَجْرُورُ أَوْ الظَّرْفُ عَلَى الفِعْلِ وَالفَاعِلِ حِينًا وَعَلَى الفَاعِلِ حِينًا آخَرَ، يَقُولُ العُمَارِيُّ فِي هَذَا المَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ (5):

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 276.

(2) يوسف القرضاوي: فحاحات ولفحات، ص: 43.

(3) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 287.

(4) ابن رشيق: العمدة، ج: 2، ص: 94.

(5) مصطفى الغماري: بوح في موسم الأسرار، ص: 62.

أَيَا زَمَنَ السَّلَامِ الْمُرِّ..  
فِينَا يُقْتَلُ الْإِنْسَانُ!  
مِنَّا يُسَلَبُ الْإِيمَانُ  
يَا زَمَنَ الثَّرَاءِ وَبِاسْمِهِ جَاعَتِ مَلَائِينُ!  
أَلْإِنْسَانِ..

وَفِي أَضْلَاعِهِ يَنْقُضُ تَنْيُنُ!  
وَتَكْبُرُ فِيكَ يَا زَمَنِي الْمَشَاوِيرُ!  
وَتَمْتَدُّ..

إِذَا مَا سُدَّتِ الْأَبْعَادُ يَهْوِي دُونَهَا السَّدُّ!  
عَلَى قَدَرٍ يُضِيئُ الْوَعْدُ لِلْسَّارِينِ  
يَا وَعْدًا!

لِتُورِقَ فِيكَ بِالتَّجْوَى الْعَصَافِيرُ

فَفِي هَذِهِ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ:

- فِينَا يُقْتَلُ الْإِنْسَانُ!

- مِنَّا يُسَلَبُ الْإِيمَانُ

- وَفِي أَضْلَاعِهِ يَنْقُضُ تَنْيُنُ!!

- عَلَى قَدَرٍ يُضِيئُ الْوَعْدُ لِلْسَّارِينِ

قَدْ تَقَدَّمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (فِينَا/مِنَّا/فِي أَضْلَاعِهِ/عَلَى قَدَرٍ) عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ وَفَاعِلِهِ أَوْ الْمَبْنِيِّ

لِلْمَجْهُولِ وَنَائِبِ الْفَاعِلِ، وَتَقَدَّمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ وَالظَّرْفُ عَلَى الْفَاعِلِ فِي الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ:

- وَتَكْبُرُ فِيكَ يَا زَمَنِي الْمَشَاوِيرُ!

- يَهْوِي دُونَهَا السَّدُّ!

- لِتُورِقَ فِيكَ بِالتَّجْوَى الْعَصَافِيرُ

وَتَأْتِي الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ كَسِمَّةٍ تَعْبِيرِيَّةٍ اِنْزِيَاحِيَّةٍ فِي شِعْرِ حَسَنِ الْأَمْرَانِيِّ تُعْلِنُ غَلَبَتَهَا عَلَى الْبِنِيَّةِ

التَّرَكِيبِيَّةِ فِي قَصِيدَةِ (سَيِّدَةِ الْأُورَاسِ)، فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي تَتَرَدَّدُ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْمُهَيْمِنَةُ نَمَطِيَّةً تَحْتَفِظُ فِيهَا

الْبُنَى بِمَرَاتِبِ عَنَاصِرِهَا تَارَةً وَمُنْزَاحَةً تَنْصَرِّفُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بِالتَّقْلِيمِ وَالتَّأْخِيرِ لِتَخْصِيصِ وَتَوْكِيدِ جُزْءٍ مِنْ دِلَالَةِ

الْبُنَى التَّرَكِيبِيَّةِ تَارَةً أُخْرَى، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

كَمَرَّ السَّحَابِ

(1) حسن الأمراي: سيِّدة الأوراس، ص: 13.

يَمُرُّ الْقِطَارُ  
يَذْرَعُ الْأَرْضَ نَهْبًا،  
كَعُمُرِ السَّنَابِلِ،  
وَجَهَ النَّهَارِ  
وَيَلْهَثُ آخِرَهُ فِي انْبِهَارِ  
يَمُدُّ رِوَاقًا عَلَى خَافَتَيْنِ  
وَيَعْفُو قَلِيلًا كَطِفْلِ غَرِيرِ  
وَيُلْقِي إِلَى مَا وَرَاءَ الْمُرُوجِ  
خِيوطًا كَبِيضِ الْأَمَانِي الَّتِي فَنَيْتَ  
قَبْلَ مَوْعِدِهَا...

يَشْهَقُ الشَّعْرُ فِي حَفْنِ سُنْبُلَةٍ  
كَالضِّيَاءِ الْبَهِيحِ

ثُمَّ تَذْوِي الْمَسَافَاتِ

فِي لَحْظَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ

وَيَمْحُو الظَّلَامَ

سِرَاجَ النَّهَارِ!

تَتَصَدَّرُ الْمَقْطَعُ بِنِيَّةٍ فَعْلِيَّةٍ مُضَارِعِيَّةٍ مُنْزَاحَةٌ يَتَقَدَّمُ فِيهَا الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ (كَمَرِّ السَّحَابِ) عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (يَمُرُّ الْقِطَارُ) تَخْصِيصًا وَوَصْفًا لِلْحَرَكَةِ الَّتِي يَقْطَعُ بِهَا الْقِطَارُ مَسَافَتَهُ وَتَعْبِيرًا عَنِ الرَّغْبَةِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَحْطَةِ الْمُتَنْظَرَةِ. وَتَتَكَرَّرُ الْبِنِيَّةُ الْفَعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمُنْزَاحَةُ الَّتِي يَتَقَدَّمُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ

الآتي<sup>(1)</sup>:

مِنْ عِمَامَةِ الْأُورَاسِ

تَطْلُعُ سَيِّدَةٌ

تَتَرَيَّنُ بِالْكَلِمِ النَّبَوِيِّ

وَبِالشَّجَرِ الْبَاتِنِيِّ

وَبِالْبُنْدُقِيَّةِ

تُزَلْزَلُ، بِاسْمِ الْمُهَيِّمِينَ، كُلَّ الْقِلَاعِ الْعَصِيَّةِ

تَقُولُ: اِنْهَضُوا!

مِنْ دِمَانَا الزَّكِيَّةِ تُشْرِقُ شَمْسُ الصَّبَاحِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 24.

.....

مِنْ عَمَامَةِ الْأُورَاسِ  
تَطْلُعُ سَيِّدَةً  
مَا أَشَدَّ مَهَابَتَهَا  
مَا أَجَلَ عَزِيمَتِهَا الْمَاضِيَةِ  
الْجِبَاهُ انْحَنَتْ  
تَحْتَ عَصْفِ الرِّيَّاحِ  
وَهِيَ سَيْفٌ تَوَقَّدَ  
عِنْدَ سُرَادِقِ سَعْدٍ  
يَشُقُّ الصُّفُوفَ

لِيَنْهَلَ مِنْ كَبِدِ الطَّاعِيَةِ

تُجَسَّدُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ انْزِيَا حَهَا عَنْ طَرِيقِ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ لِتَوْكِيدِ الْجُمْلَةِ وَلِلْعِنَايَةِ بِالْمُتَقَدِّمِ وَإِبْرَازِهِ لِكَوْنِهِ مَصْدَرُ الْفِعْلِ وَمِنْهُ يَنَالُ حَيَوِيَّتَهُ وَيَحْضُلُ عَلَى طَاقَتِهِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ (مِنْ عَمَامَةِ الْأُورَاسِ) عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (تَطْلُعُ سَيِّدَةً...)، وَفِي تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ (مِنْ دِمَانَا الزَّكِيَّةِ) عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (تُشْرِقُ شَمْسُ الصَّبَاحِ). وَقَدْ يَتَقَدَّمُ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَيَكُونُ قَرِيبًا مِنَ الْإِعْتِرَاضِ الَّذِي يُفِيدُ الْكَلَامَ تَقْوِيَةً وَتَسْدِيدًا وَتَحْسِينًا<sup>(1)</sup>، فِي الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ (تُزَلْزَلُ)، بِاسْمِ الْمُهَيْمِنِ، كُلِّ الْقَلَاعِ الْعَصِيَّةِ (تَقْدَمُ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ) بِاسْمِ الْمُهَيْمِنِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ. وَهَكَذَا يَكُونُ التَّقْدِيمُ وَسِيلَةً تَعْبِيرِيَّةً لِلتَّأْكِيدِ عَلَى الْمُنْطَلَقِ الَّذِي تَرْتَكِزُ عَلَيْهِ هَذِهِ السَّيِّدَةُ فِي جِهَادِهَا ضِدَّ الْمُحْتَلِّ الطَّاعِيَّةِ وَلِلتَّنْوِيهِ بِأَصَالَتِهَا الْأُورَاسِيَّةِ.

## 2- التَّسْقُ التَّرْكِيْبِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ:

يُمَثِّلُ التَّسْقُ الْفِعْلِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ انْزِيَا حَا أُسْلُوِيًّا يَمْتَّازُ بِخُصُوصِيَّةِ دِلَالَتِهِ الْمُتَأْتِيَّةِ عَنِ الْعُدُولِ عَنِ التَّسْقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْفِعْلِيِّ النَّمَطِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ، وَتَنْوَعُ دِلَالَةُ التَّسْقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْفِعْلِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ بِتَنْوَعِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي لِأَجْلِهَا يُحْذَفُ الْفَاعِلُ وَيَقُومُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ وَيَنْوُبُ عَنْهُ وَاحِدًا مِمَّا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ فِي قَوْلِهِ: "وَحَيْثُ حُذِفَ فَاعِلُ الْفِعْلِ فَإِنَّكَ تُقِيمُ مَقَامَهُ الْمَفْعُولَ بِهِ، وَتُعْطِيهِ أَحْكَامَهُ الْمَذْكُورَةَ لَهُ فِي بَابِهِ، فَتُصَيِّرُهُ مَرْفُوعًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَنْصُوبًا، وَعُمْدَةً بَعْدَ أَنْ كَانَ فَضْلَةً، وَوَاجِبَ التَّأخِيرِ عَنِ الْفِعْلِ بَعْدَ أَنْ كَانَ حَائِزَ التَّقْدِيمِ عَلَيْهِ، وَيُؤْتَتْ لَهُ الْفِعْلُ إِنْ كَانَ مُؤْتَا... فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ مَفْعُولًا بِهِ نَابَ الظَّرْفُ، أَوْ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ أَوْ الْمَصْدَرُ".<sup>(2)</sup> وَيَتَّبِعُ التَّحْوِيلُ فِي

(1) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 519.

(2) ابن هشام: قطر التدى وبل الصدى، ص: 206.

حَذَفِ الْفَاعِلِ وَتَغْيِيرِ الْإِسْنَادِ أَنْ تَتَغَيَّرَ بِنْيَةُ الْفِعْلِ، يَقُولُ ابْنُ هِشَامٍ: "إِذَا حُذِفَ الْفَاعِلُ وَأُقِيمَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مُقَامَهُ وَحَبَّ تَغْيِيرِ الْفِعْلِ: بِضَمِّ أَوَّلِهِ مَاضِيًا كَانَ أَوْ مُضَارِعًا، وَبِكَسْرِ مَا قَبْلَ آخِرِهِ فِي الْمَاضِيِّ، وَبِفَتْحِهِ فِي الْمُضَارِعِ".<sup>(1)</sup> وَيُحَذَفُ أَوْ يَغِيْبُ الْفَاعِلُ لِتَحْقِيقِ غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ كَالْجَهْلِ بِهِ أَوْ لِإِصْلَاحِ السَّجْعِ أَوْ الْخَوْفِ مِنْهُ أَوْ عَلَيْهِ، أَوْ التَّرْفَعِ عَنْ ذِكْرِهِ احْتِقَارًا، أَوْ عَدَمِ إِجْرَاءِ ذِكْرِهِ عَلَى اللِّسَانِ تَعْظِيمًا.<sup>(2)</sup> وَقَدْ يُحَذَفُ إِجْزَاءً وَاحْتِصَارًا أَوْ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا لِلسَّمْعِ، وَقَدْ يُحَذَفُ لِأَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ غَرَضٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ بِذِكْرِهِ أَوْ لِتَوْجِيهِ الْمُخَاطَبِ لِنَفْسِ الْحَدَثِ.<sup>(3)</sup> وَتَتَجَاوَزُ أَغْرَاضُ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَجْهُولِ مَا ذُكِرَ إِلَى دَلَالَاتٍ تُسْتَفَادُ مِنَ السِّيَاقِ اللَّغْوِيِّ أَوْ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يَحْتَضِنُ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ الْأُسْلُوبِيَّةَ كَالِإِبْهَامِ وَإِقَامَةِ الْوِزْنِ الشَّعْرِيِّ وَالْإِنْصِرَافِ عَنِ الْفَاعِلِ إِلَى الْمَفْعُولِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى التَّعَدُّدِ وَعَلَى اسْتِقْرَارِ الْحُكْمِ وَثُبُوتِهِ مَعَ عُمُومِيَّتِهِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى التَّعْمِيمِ وَالتَّهْوِيلِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى هَوْلِ الْحَدَثِ وَتَأْكِيدِ وَقُوعِهِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الْحَتْمِ وَالْإِلْزَامِ وَالْوُجُوبِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِيَّةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الدُّعَاءِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى التَّنْبِيهِ وَالِإِبْهَامِ وَالْإِنْكَارِ وَإِفَادَةِ التَّضَادِ، فَهَذِهِ الدَّلَالَاتُ الَّتِي يُؤَدِّيهَا النَّسَقُ الْفِعْلِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ تَجْعَلُهُ يَكْشِفُ عَنْ قِيَمِ تَعْبِيرِيَّةٍ تَتَخَلَّلُ سِيَاقَاتِ تَوْظِيْفِهِ الشَّعْرِيِّ.

وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ تَوَاتُرَ النَّسَقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْفِعْلِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ مَاضِيًا وَمُضَارِعًا يَنْخَفِضُ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُقَارَنَةً بِالتَّوَاتُرِ الْكَثِيفِ لِلنَّسَقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ مَاضِيًا وَمُضَارِعًا، فَلَمْ يَحْظَ فِي مَجْمُوعِ الْمَتْنِ إِلَّا بِنِسَبِ ضَيْلَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَحُلْ بُنَاؤُهُ مِنْ دَلَالَاتٍ شِعْرِيَّةٍ مَلْحُوظَةٍ.

تَرْدُ بِنْيَةُ النَّسَقِ التَّرْكِيْبِيِّ الْفِعْلِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ فِعْلِ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ وَنَائِبِ فَاعِلٍ غَالِبًا مَا يَكُونُ الْمَفْعُولَ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى شِدَّةِ الْعِنَايَةِ بِالْمَفْعُولِ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْبِنْيَةُ مُنْدَمِجَةً فِي سِيَاقِهَا الشَّعْرِيِّ عَامِلَةً عَلَى تَغْيِيبِ الْفَاعِلِ عَلَى مُسْتَوَاهَا السَّطْحِيِّ، وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ فِي مُسْتَوَاهَا الْعَمِيقِ، وَقَدْ وَرَدَ النَّسَقُ الْفِعْلِيُّ الْمَاضِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ فِي قَصِيدَةِ (وَأَمْتَصِمَاهُ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

يَا صَاحِ أَهْلِكَ قَدْ فَاتُوا مُضَارِبَهُمْ وَشَرُّدُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَارْتَحَلُوا

فَبِنْيَةِ (شَرُّدُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ) الَّتِي أُسْنِدَ فِيهَا الْفِعْلُ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ الْحَقِيقِيِّ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ لَا يَفْعَلُ الْفِعْلَ إِخْتِيَارًا وَإِنَّمَا فَاعِلٌ يَقُومُ بِهِ الْفِعْلُ أَوْ يَتَلَقَّى الْفِعْلَ وَيَنْفَعِلُ بِهِ وَلَا إِخْتِيَارَ لَهُ فِي أَنْ يَفْعَلَ الْفِعْلَ أَوْ لَا يَفْعَلُهُ.<sup>(5)</sup> وَكَذَلِكَ حَالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ شَرُّدُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْعَدُوا عَنْ دَوْرِهِمُ الرَّائِدِ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رِسَالَتِهِمُ السَّامِيَّةِ فِي الْكُؤُنِ. وَيُشِيرُ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 206.

(2) محمد سمير نجيب البدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص: 232.

(3) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفعالها، علم المعاني، ص: 122.

(4) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 60.

(5) مهدي الخزومي: في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص: 91.

الفعل بتسلطه على الضمير (واو) الجماعة الذي هو مفعول في البنية العميقة للتركيب، بهذه الصيغة المشددة المبنية، إلى القوى والعوامل الحفوية المتعددة التي مارست الفعل حقيقة دون تحديد لها، لأن الفاعل هو قوى الشر وقد اجتمعت على هذه الأمة في حين غفلة تمكروا بها إعلاناً وتأمراً عليها إسراراً، كما توحى مادته اللغوية بالصياغ الذي يعيشه المسلمون في هذا العالم. إن البنية الفعلية في القصيدة شديدة الإيجاء والإثارة بما يدخل في بنائها من ضمائر الغيبة الكثيفة مما يجعل القصيدة دالاً عائماً بينما المدلول "إمكانية قرآنية غيائية تتأسس من القارئ بناءً على أعراف الجنس الأدبي، وسياقات دلالاتها الكبرى؛ وهي دلالات تسمو فوق مستوى الدلالة الصريحة".<sup>(1)</sup> وترد الصورة التركيبية الثانية للنسق الفعلي المبنى للمجهول مؤكدةً —(قد) مرةً وتقدم شبه الجملة مرةً ثانية وقد اجتمعتا في قول الشاعر<sup>(2)</sup>:

يود لو أن كل الأرض قد طويت وفتحت لأقاصي أرضكم سبل

فالبنية الفعلية (قد طويت) تتألف من المؤكدة (قد) والفعل المبنى للمجهول (طويت) ونائب الفاعل الضمير المقدّر (هي) الذي يعود على الأرض، وتتألف البنية الفعلية (فتحت لأقاصي أرضكم سبل) من الفعل المبنى للمجهول (فتحت) والجار والمجرور المتقدم (لأقاصي أرضكم) ونائب الفاعل (سبل)، وتنعكس البنيتان بهذا التوكيد والإيجاز والاختصار رغبة الشعوب الملحة في إغاثة شعب البوسنة المسلم وإجابة صيحة ذلك القائد لأن الحكام قد عجزوا أن يكونوا في مستوى (المعتصم).

وفي قصيدة (فارس بدر) لم تخرج البنية الفعلية في هذه الأنساق التركيبية الماضوية عن النمط الفعلي المبنى للمعلوم، ولم ترد إلا بنية فعلية ماضوية واحدة في القصيدة وفق النسق التركيبي المبنى للمجهول، وهي البنية المؤكدة —(قد) في قول الشاعر<sup>(3)</sup>:

وها قد فك ساعده وهز بكفه الرمحا

فهذه البنية الفعلية المبنية للمجهول (قد فك ساعده) بسيطة مقتصرة في بنيتها السطحية على الفعل الماضي ونائب الفاعل، مؤكدة —(قد) الدالة على التحقيق، ويدل الحذف فيها على أهمية الفعل من حيث تضمنه لمعنى التحرر والقدرة ولا أهمية للفاعل ما دام لا يتعلق به أي غرض.

(1) عبد الله الغدامي: تشريح النص، ص: 56.

(2) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 60.

(3) المصدر نفسه، ص: 22.

وَقَدْ وَرَدَ النَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ فِي قَصِيدَةِ جِدَارِ الْمَسْجِدِ الْمُنْهَارِ فِي الْبُوسْتَةِ مَحْضُورًا فِي الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمَاضِيَّةِ (فُضَّتْ قَدَاسَتُهَا) حَيْثُ تَسَلَّطَ الْفِعْلُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَحُذِفَ الْفَاعِلُ وَلَمْ يُذَكَّرْ اِحْتِقَارًا لَهُ وَتَرْفَعًا عَنِ التَّلْفُظِ بِهِ وَهُوَ مَا يُفْسِدُ قَدَاسَةَ الْحَيَاةِ وَيُلَوِّثُ فِطْرَتَهُ بِجَرَائِمِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

كَيْفَ الْحَيَاةُ إِذَا فُضَّتْ قَدَاسَتُهَا      وَشَيَّعَتْ طَهْرَهَا فِيمَا تُشِيْعُهُ  
وَدَنَسَتْ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ وَأَنْدَفَعَتْ      تَسْتَعْدِبُ الشَّرَّ أَيَّا كَانَ مَبِيعُهُ

وَلَمْ يَتَجَلَّى النَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ إِلَّا فِي بِنْيَةِ فِعْلِيَّةٍ مُضَارِعِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(2)</sup>:

مَاذَا يُرَادُ بِنَا وَالْقَهْرُ يَدْفَعُنَا      وَلَا سِلَاحٌ بِأَيْدِينَا فَندْفَعُهُ

فَحُذِفَ الْفَاعِلُ وَإِقَامَةُ الْحَارِّ وَالْمَجْرُورُ مَقَامُهُ فِي (مَاذَا يُرَادُ بِنَا) يَتَضَمَّنُ الدَّلَالَاتِ عَلَى التَّهْوِيلِ وَالْإِبْهَامِ وَالتَّخَوُّفِ مِمَّا يَحْمِلُهُ الْعَدُّ مِنْ شُرُورٍ مُحْدَقَةٍ، وَيُسْتَهْمُ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ (يُرَادُ) وَأَدَاةُ الْإِسْتِفْهَامِ (مَاذَا) فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ. وَيَرِدُ النَّسْقُ التَّرَكِيبِيُّ الْفِعْلِيُّ الْمُضَارِعِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَجْهُولِ فِي بِنْيَةِ تَرْكِيبِيَّةٍ مُؤَكَّدَةٍ مُنْزَاحَةٍ وَيَتَحَوَّلُ إِلَى صِبْغَةٍ تَعْبِيرِيَّةٍ مُرَكَّبَةٍ لِتَمَثِيلِ الْحَقَائِقِ الْحَادِثَةِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمُرِّ الَّذِي يُسْتَهْدَفُ فِيهِ الْإِنْسَانُ كَمَا يُسْتَهْدَفُ إِيمَانُهُ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ<sup>(3)</sup>:

أَيَا زَمَنَ السَّلَامِ الْمُرِّ..

فِينَا يُقْتَلُ الْإِنْسَانُ!

مِنَّا يُسَلَبُ الْإِيمَانُ

يَا زَمَنَ الثَّرَاءِ وَبِاسْمِهِ جَاعَتْ مَلَأَيْنُ!

أَلْإِنْسَانُ..

وَفِي أَضْلَاعِهِ يَنْقُضُ تَبِينُ!!

وَتَكْبُرُ فِيكَ يَا زَمَنِي الْمَشَاوِيرُ!

وَتَمْتَدُّ..

فَالْبِنْيَتَانِ الْفِعْلِيَّتَانِ (فِينَا يُقْتَلُ الْإِنْسَانُ! / مِنَّا يُسَلَبُ الْإِيمَانُ!) بِنْيَتَانِ مُنْزَاحَتَانِ مِنْ جَانِبِ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَجْهُولِ، فَقَدْ بُنِيَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ فِيهِمَا لِلْمَجْهُولِ (يُقْتَلُ / يُسَلَبُ) وَعُيِبَ الْفَاعِلُ أَوْ حُذِفَ لِيَحِلَّ مَحَلَّهُ نَائِبُ الْفَاعِلِ الَّذِي تَحَوَّلَ عَنِ الْمَفْعُولِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لَهُ فِي الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ لِلْجُمْلَةِ، وَتَكَشِفُ الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ بِإِزَاحَةِ الْفَاعِلِ وَتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ الْعِنَايَةِ بِهَذَا الْمَفْعُولِ وَالْإِهْتِمَامِ بِهِ مَعَ التَّرَكِيزِ عَلَى الْفِعْلِ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 72.

(2) المصدر نفسه، ص: 73.

(3) مصطفى الغماري: بوح في موسم الأسرار، ص: 62.

وقد تمَّ التَّعْبِيرُ بِالنَّسَقِ التَّرَكِيبِيِّ الفِعْلِيِّ المَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ وَتَوْظِيفُهُ فِي مَوَاضِعَ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ المَتَنِ الشَّعْرِيِّ الإِسْلَامِيِّ، فَقَدْ وَظَّفَهُ يَوْسُفُ العَظْمِ فِي دِيَوَانِيهِ (رُبَاعِيَّاتٍ مِنْ فِلَسْطِينَ) وَ(الفِتْيَةِ الأَبَايِلِ)، فَوَرَدَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ البُنَى الفِعْلِيَّةِ المَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ مَاضِيَّةً وَمُضَارِعِيَّةً تَبَيَّنُ دِلَالَتُهَا فِي سِيَاقَاتِهَا الشَّعْرِيَّةِ، وَتَشكُلُ، بِهَذِهِ الوَاقِعِ، عِلْمًا دَالَّةً عَلَى غِيَابِ التَّعْيِينِ وَالتَّحْدِيدِ فِي بَيْعَةِ التَّشَرُّدِ وَالتَّضْيَاعِ الَّتِي تَلَّمُ شَتَاتِ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ، وَقَدْ تَدُلُّ هَذِهِ البُنَى المَتَمِيزَةُ عَلَى التَّعَدُّدِ وَالتَّعْمِيمِ بِقَدْرِ مَا تَدُلُّ عَلَى الإِهْتِمَامِ بِالفِعْلِ وَبِذَلِكَ تُسَهِّمُ هَذِهِ الدَّلَالَاتُ فِي بِنَاءِ القَصِيدَةِ، وَفَعْلِيلِ شَبَكَةِ عِلَاقَاتِهَا، ففِي سِيَاقِ الحَسْرَةِ وَالحُزَنِ تَأْتِي البِنِيَّةُ الفِعْلِيَّةُ المَاضِيَّةُ (بُعْثَرْتُ أَيَّامَنَا) مَبْنِيَّةً لِلْمَجْهُولِ بِنَاءِ الفِعْلِ (بُعْثَرْتُ) لِلْمَفْعُولِ (الْأَيَّامِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى الحَدَثِ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ الفِعْلُ الوَاقِعُ بِعَبْرٍ إِرَادَةٍ مِنَ الفِلَسْطِينِيِّينَ، فَلِلْعَنَايَةِ بِالحَدَثِ حُذْفِ الفَاعِلِ وَأُسْنَدِ الفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

بُعْثَرْتُ أَيَّامَنَا عَامًا فَعَامًا      وَزَرَعْنَا الأَرْضَ بُؤْسًا وَحَيَامًا  
وَطَوِينَا بِسُمَّةِ العُمْرِ عَلَى      أَمَلِ العُودَةِ.. أَوْ نَقْضِي كِرَامًا

وَلَا تَبْتَعِدُ دِلَالَةُ البِنِيَّةِ الفِعْلِيَّةِ المَاضِيَّةِ المَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ فِي (نُسَجَتْ مِنْ قَلْقٍ) عَنِ الدَّلَالَةِ السَّابِقَةِ، فَالتَّرَكِيزُ عَلَى العَمَلِيَّةِ الإِسْنَادِيَّةِ الجَدِيدَةِ الَّتِي أُسْنَدَ فِيهَا الفِعْلُ إِلَى الضَّمِيرِ المُسْتَرِّ المُقَدَّرِ الَّذِي يَعُودُ إِلَى (الثِّيَابِ)، وَقَدْ انْتَقَلَ الضَّمِيرُ/الثِّيَابُ مِنْ مَوْقِعِ المَفْعُولِيَّةِ إِلَى مَوْقِعِ نَائِبِ الفَاعِلِ دُونَ مَا إِهْتِمَامُ بِالفَاعِلِ المَحذُوفِ فَلَيْسَ لَهُ وَظِيفَةٌ يَضْطَلَعُ بِهَا وَتَفْرُضُ حُضُورَهُ عَلَى المُسْتَوَى التَّأْلِيفِيِّ لِلتَّرَكِيبِ، وَقَدْ انْصَبَّ التَّرَكِيزُ عَلَى دِلَالَةِ التَّرَكِيبِ فِي صُورَتِهِ الحَاضِرَةِ بِكُلِّ العَنَاصِرِ لِتَصْوِيرِ حَالِ المُجَاهِدِ أَوْ المُقَاوِمِ الفِلَسْطِينِيِّ القَلِقِ الَّذِي يَنْتَظِرُ لِحِظَةِ التَّحَرُّرِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

حَنْدَقِي قَبْرِي، وَقَبْرِي حَنْدَقِي      وَزَنَادِي صَامِتٌ لَمْ يَنْطِقِ  
فَمَتَى يَنْفُثُ (رَشَّاشِي) مَتَى      لَهَبًا يَصْبُغُ وَجْهَ الشَّقِيقِ؟  
وَمَتَى أَخْلَعُ قَيْدًا هَدَنِي      وَثِيَابًا نُسَجَتْ مِنْ قَلْقٍ؟

وَتَرِدُ بِنِيَّةُ النَّسَقِ الفِعْلِيِّ المَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ دَالَّةً عَلَى التَّعَدُّدِ، أَيَّ أَنَّ الإِسْنَادَ فِي النَّسَقِ الفِعْلِيِّ المَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ يَكُونُ وَاضِحًا وَمُحَدَّدًا لَا يَعْتَرِيهِ أَدْنَى التَّبَاسِ بَيْنَمَا النَّسَقُ الفِعْلِيُّ المَبْنِيُّ لِلْمَعْلُومِ فِي بَعْضِ بِنَاهِ التَّرَكِيبِيَّةِ قَدْ يَكُونُ دَالًا عَلَى التَّعَدُّدِ؛ أَيَّ: أَنَّ مَصَادِرَ الفِعْلِ مُتَعَدِّدَةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ، وَهَذَا مَا يَتَحَقَّقُ فِي البِنِيَّةِ الفِعْلِيَّةِ (قِيلَ..)، فَالجُمْلَةُ الوَاقِعَةُ نَائِبًا لِلْفَاعِلِ أَوْ جُمْلَةٌ مَقُولِ القَوْلِ (يَبْعُونَ..) تَصْدُرُ عَنْ أَكْثَرِ مَنْ قَائِلٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وَسَأَلْتُ القَوْمَ عَنْ صَحَّتِهِمْ      قِيلَ يَبْعُونَ دَقِيقًا وَطَعَامًا

(1) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 7.

(2) المصدر نفسه، ص: 8.

(3) المصدر نفسه، ص: 9.

وَتَأْتِي بِنِيَةِ النَّسَقِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ بِدَلَالَتِهَا عَلَى التَّعَدُّدِ وَاضِحَةً فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي تَكَرَّرَ فِيهِ النَّسَقُ  
الْفِعْلِيُّ بِصِيغَتِي الْمَاضِي وَالْمَضَارِعِ، يَقُولُ الْقَرِضَاوِيُّ فِي قَصِيدَةِ (زَنْزَانَتِي)<sup>(1)</sup>:

دَارٌ حَلَلْتُ بِهَا أَزَارُ وَأُحَدِّمُ      وَنَزَلْتُهَا ضَيْفًا أُعْزُ وَأُكْرِمُ!  
هِيَ عَلَّمْتَنِي الزُّهْدَ فِي مُتَعِ الْوَرَى      وَالْمَرْءُ حَتَّى مَوْتِهِ يَتَعَلَّمُ  
إِنْ قِيلَ: مُوحِشَةٌ، فَأَنْسِي مُصْحَفٌ      أَتْلُوهُ، يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ  
أَوْ قِيلَ: مُعْتَمَةٌ، فَلَيْسَ بِمُعْتَمٍ      عِنْدِي سِوَى قَلْبٍ يَعِيثُ وَيُجْرِمُ  
أَوْ قِيلَ: مُعْلَقَةٌ، فَذَا كَيْلًا أَرَى      وَجَهَا عَبُوسًا أَوْ لِسَانًا يَنْشُمُ  
أَوْ قِيلَ: ضَيْقَةٌ فَكُلُّ حَوَائِجِي فِي الرُّكْنِ، وَالْبَاقِي فَضَاءٌ يَعْظُمُ!

فَالْبُنْيُ الْفِعْلِيَّةُ الْمَاضِيَّةُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ ظَاهِرَةٌ شَائِعَةٌ فِي الْمَقْطَعِ، وَتَحْوُلٌ بِهَذَا التَّكَرَّرِ إِلَى نَسَقٍ تَعْبِيرِيٍّ  
مُنْزَاحٍ أَوْ مُتَحَوِّلٍ عَنِ النَّسَقِ التَّمْطِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ كَمَا يَتَّضِحُ فِي الشَّكْلِ:

النَّسَقُ التَّمْطِيُّ الْمَبْنِيُّ لِلْمَعْلُومِ	تَحْوُلٌ إِلَى	النَّسَقِ الْمُنْزَاحِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ
- قَالَ (هُوَ): (هِيَ) مُوحِشَةٌ.	←	قِيلَ: مُوحِشَةٌ.
- قَالَ (هُوَ): (هِيَ) مُعْتَمَةٌ.	←	قِيلَ: مُعْتَمَةٌ.
- قَالَ (هُوَ): (هِيَ) مُعْلَقَةٌ.	←	قِيلَ: مُعْلَقَةٌ.
- قَالَ (هُوَ): (هِيَ) ضَيْقَةٌ.	←	قِيلَ: ضَيْقَةٌ.

فَقَدْ تَحَوَّلَ النَّسَقُ الْفِعْلِيُّ الْمُنْزَاحُ بَيْنَاهُ لِلْمَجْهُولِ أَوْ (لِلْمَفْعُولِ) عَنِ النَّسَقِ التَّمْطِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ، وَقَدْ اخْتَزَلَ  
إِلَى بِنْيَةِ لَفْظِيَّةٍ سَطْحِيَّةٍ مُوحِزَةٍ تَنَجَّتْ عَنْ حَذْفِ عُنْصُرَيْنِ فِي الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ، هُمَا الْفَاعِلُ وَإِنَابَةُ الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ  
الْوَاقِعَةِ مَفْعُولًا لِتَصِيرِ الْفَاعِلِ أَوْ بِالْأُخْرَى نَائِبُهُ، وَالْعُنْصُرُ الثَّانِي هُوَ الْمُبْتَدَأُ فِي جُمْلَةٍ مَقُولِ الْقَوْلِ الْوَاقِعَةِ مَفْعُولًا فِي  
النَّسَقِ التَّمْطِيِّ أَوْ الْمِعْيَارِيِّ أَوْ الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ، وَتَقِفُ الدَّلَالَةُ وَرَاءَ عَمَلِيَّةِ التَّحْوِيلِ أَوْ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ إِلَى  
الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ إِذْ يَحْطَى الْمَفْعُولُ بِهِ فِي الْمُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ الْعَمِيقِ أَوْ عَلَى الْمُسْتَوَى النَّفْسِيِّ فَيَتَقَدَّمُ عَلَى الْفَاعِلِ عَنَاءَةً  
بِهِ أَوْ إِتْرَازًا لَهُ لِلتَّأَكِيدِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ عَنَاصِرِ الْبِنْيَةِ لِيَقَعَ مَوْقِعُهُ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي وَلَا يَحْصُلُ هَذَا التَّقْدِيمُ إِلَّا بِإِنْعَادِ  
وَتَعْيِيبِ الْفَاعِلِ نَهَائِيًّا مِنَ الْمَلْفُوظِ وَلَيْسَ مُجَرَّدَ تَأْخِيرِهِ عَنْ رُبْتِهِ لِأَنَّهُ فِي السِّيَاقِ الْمَحْدَدِ فَاقْدُ لَوْظِيَّتِهِ وَعَدِمِ الْفَائِدَةَ  
وَالْأَهْمِيَّةَ، وَالْفَرْقُ الدَّلَالِيُّ بَيْنَ النَّسَقَيْنِ الْفِعْلِيِّنِ الْمِعْيَارِيِّ وَالْمُنْزَاحِ يَتَّضِحُ مِنْ خِلَالِ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْبِنْيَتَيْنِ فِي  
سِيَاقِ (الْحَذْفِ) وَفِي سِيَاقِ (الدُّكْرِ)، وَإِذَا كَانَ السِّيَاقُ هُوَ الَّذِي يُعْطَى الْمَدْلُولَاتِ فَإِنَّهُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ هُوَ الَّذِي  
يُعْطَى الشَّكْلَ التَّرْكِيبِيَّ لِلْعِبْرَةِ، بِحَيْثُ يَكُونُ هُنَاكَ تَفَاعُلٌ أَكِيدٌ بَيْنَهُمَا، وَكَلَّمَا أُتِيحَ لَنَا -بِدِقَّةٍ- رِصْدُ السِّيَاقَاتِ الَّتِي

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 11.

تُحِيطُ بِعَمَلِيَّةِ الْإِبْدَاعِ اسْتِطْعَانًا تَفْهَمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَلَاقَاتِ التَّرَكِيبِيَّةِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ. وَعَلَاقَةٌ وَاحِدَةٌ كَعَلَاقَةِ الْحَذْفِ يَجِبُ أَنْ تُفْهَمَ فِي ضَوْءِ مَجْمُوعَةِ الْعَلَاقَاتِ الْأُخْرَى، وَخَاصَّةً الْعَلَاقَةُ الْمَقَابِلَةُ وَهِيَ الذِّكْرُ. (1)

وَقَدْ تُفِيدُ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ التَّعَدُّدَ لِأَنَّ مَصَادِرَ الْفِعْلِ مُتَعَدَّدَةٌ وَغَيْرُ مَحْصُورَةٍ وَتُفِيدُ صَرْفَ الْإِنْتِبَاهِ عَنِ الْفَاعِلِ الْمَحْذُوفِ الَّذِي عُوضَ بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ أَوْ جُمْلَةِ مَقُولِ الْقَوْلِ الْمَحْذُوفَةِ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ الْوَاقِعَةُ نَائِبًا لِلْفَاعِلِ، وَتُفِيدُ تَكَرُّرَ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ (قِيلَ..) فِي هَذِهِ الْبُنَى تَوْكِيدَ الْحَدَثِ وَتَقْوِيَتَهُ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمَاضِي قَرِيبٌ فِي دِلَالَتِهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْجُمُودِ وَالثَّبَاتِ أَوْ الْإِسْتِقْرَارِ. أَمَّا الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ فِي (أَزَارُ/أَخْدَمُ/أَعَزُّ/أَكْرَمُ) الْمُؤَلَّفَةُ مِنَ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ وَنَائِبِ الْفَاعِلِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُقَدَّرِ بِـ(أَنَا) فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالتَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ بِمَعْنَى أَنَّ الْحَدَثَ (الزِّيَارَةَ/الْخِدْمَةَ/الْعِزَّةَ/الْإِكْرَامَ) مُتَجَدِّدٌ دَائِمٌ غَيْرٌ مُنْقَطِعٌ. وَإِنْ كَانَتْ الْبُنَى الْمُنْرَاخَةُ بِحَذْفِ الْفَاعِلِ وَتَسْلِيطِ الْفِعْلِ عَلَى الْمَفْعُولِ وَأَنْشِغَالِهِ بِهِ يَجْعَلُ الْمَفْعُولَ نَائِبًا لِلْفَاعِلِ بُرُورَةَ الْمَعْنَى.

إِنَّ السِّيَاقَ الْعَرَوِيَّ عُنْصُرٌ مِهِمْ فِي التَّعْرِفِ إِلَى الدَّلَالَةِ الْمَقْصُودَةِ وَرَاءَ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَجْهُولِ فِي الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ - وَكَذَلِكَ الْمَوْقِفُ وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْمُتَلَقِّي، فَلَا عَرَاضُ الَّتِي وَقَفَ عَلَيْهَا التَّحْوِيلُونَ أَوْ الْبَلَاغِيُونَ تُدْرِكُ فِي الْإِطَارِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ - فَيَكُونُ تَأْلِيفُ الْبُنَى بِالصُّورَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَأْلُوفِ وَبِالتَّوْزِيعِ الطَّارِئِ لِمُكُونَاتِهَا تَخْصِيصًا أَوْ تَحْدِيدًا لِلْفِعْلِ أَوْ لِلْفَاعِلِ أَوْ لِلْمَفْعُولِ، فَالْفَاعِلُ وَهُوَ مَحْذُوفٌ لَهُ أَثَرٌ فِي الْمَعْنَى فِي سِيَاقَاتِ مُعَيَّنَةٍ، وَقَدْ تَبَرَّزَتْ أَهْمِيَّةُ الْفِعْلِ فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ الَّتِي تَعَكَّسُ بَعْدًا شَعُورِيًّا مُتَوَثِّرًا، وَتَكْشِفُ مَوْقِفًا نَفْسِيًّا مُتَازِمًا أَلْمَا وَحُزْنًا أَوْ غَضَبًا وَسَخَطًا يَجْعَلُ الْمَقَامَ يَضِيقُ بِإِطَالَةِ الْكَلَامِ فَيُلْغِي الْفَاعِلَ وَيَصِيرُ الْفِعْلُ مَحَطَّ النَّظَرِ وَمَنَاطَ الدَّلَالَةِ، وَتَرْتَبِطُ بِهِ كُلُّ الْقِيَمِ التَّعْبِيرِيَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ، يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظِيمُ فِي مَأْسَاةِ الْوَطَنِ الْفِلِسْطِينِيِّ (2):

أَيْنَ مَنْ يُبْصِرُ أَوْ مَنْ يَسْمَعُ وَطَنٌ يُسْبَى، وَشَعْبٌ يُصْرَعُ  
مَرْقَ الْعَاصِبِ رَوْضِي عِنْدَمَا شَطَرَ الرَّوْضَ قِطَارًا مُسْرِعُ  
بَصَقَ الْعَاصِبِ فِي حَقْلِي فَهَلْ أَدْرَكَ الْعَرَبِيدُ مَاذَا يَصْنَعُ؟  
لَسْتُ أَدْرِي غَيْرَ مَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ وَجْهِ فِي دِيَارِي.. يُصْنَعُ..

فَالْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْمُضَارِعِيَّةُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ (يُسْبَى/يُصْرَعُ) فِي سِيَاقِ الْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ الَّذِي يَنْضَحُ مَرَارَةً أَوْ الْبُنَى (يُصْنَعُ) فِي سِيَاقِ النَّفْيِ يَحْمِلُ فِيهَا الْفِعْلُ جَمِيعًا دَلَالَةً سَلْبِيَّةً، وَيَمْتَلِئُ بِشَعُورٍ مَقِيَّتٍ خَاصَّةً إِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْفَاعِلَ الْمَحْذُوفَ الْمُعْتَبَرَ الَّذِي اقْتَضَى بِنَاءَ الْفِعْلِ بِهِذِهِ الصِّيغَةِ؛ أَيَّ تَحْوِيلُهُ مِنَ الْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ إِلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ مَعْلُومٌ

(1) محمد عبد المطَّلب: البلاغة والأسلوبية، ص: 322.

(2) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 27.

وَلَمْ تَكُنْ هُنَالِكَ رَغْبَةً لِدَنْاءَتِهِ وَلِحِقَارَتِهِ وَالثُّفُورِ مِنْ سَمَاعِ لَفْظِهِ، وَلَيْسَ الْحَذْفُ فِي هَذَا السِّيَاقِ لِمُحَرِّدِ الْعِلْمِ بِالْفَاعِلِ. وَقَدْ تُؤَدِّي هَذِهِ الْبُنَى الْمُضَارِعِيَّةُ -إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ- الدَّلَالَةَ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ وَتَجَدُّدِهِ وَحُدُوثِهِ وَعَدَمِ انْقِطَاعِهِ كَدَلَالَةِ الْبُنَى الْمُضَارِعِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ (يُرَدُّ الْمُعْتَدِي... فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(1)</sup>):

لَيْسَ بِالشُّكْوَى يُرَدُّ الْمُعْتَدِي إِنَّمَا بِالنَّارِ يُصَلُّونَ لَهَا

فَالْبُنَى الْمُضَارِعِيَّةُ تَسْتَقِلُّ بِدَلَالَتِهَا عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ، وَهَذَا مَا لَا تُؤَدِّيهِ الْبُنَى الْمَاضِيَّةُ فَ"الْفِعْلُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ هُوَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ".<sup>(2)</sup> بَيْنَمَا يَدُلُّ الْفِعْلُ الْمَاضِي عَلَى التَّحَقُّقِ وَالثَّقَّةِ بِالْوُقُوعِ وَالتَّثَبُّتِ مِنْ ذَلِكَ.<sup>(3)</sup> وَتَنَكَّشُ هَذِهِ الدَّلَالَةُ فِي الْبُنَى الْمَاضِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ فِي هَذِهِ السِّيَاقَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

سَلِبْتَ أَرْضِي.. وَعَاثْتَ طُعْمَةً فِي رُبُوعِي.. تَدْعِي رُوحَ الْعَدَالَةِ

وَيَقُولُ<sup>(5)</sup>:

أَتْرَعُ الْحَائِنُ كَأَسًا مِنْ دِمَانَا وَسَقَاهَا لِبَغِيٍّ أَرْجُونَا  
لَيْلَةَ حَمْرَاءَ مَا أَنْعَسَهَا مُلِئَتْ ذُلًّا رَهِييًّا وَهَوَانَا

وَيَقُولُ<sup>(6)</sup>:

أَيُّ شَهْرٍ فِي سَمَانَا قَدْ بَدَأَ كَانَ بِالْأَمْسِ إِبَاءً وَبُطُولَةً..؟  
مُدُّ هَجْرَتَنَا عِزَّةَ الدِّينِ الْأَصِيلَةَ وَحُرْمَتَاهُ صَفَاءً وَهُدًى

وَيَقُولُ<sup>(7)</sup>:

أَيْنَ عَكًّا عَنْ حِمَاهَا صَامِدًا هُزِمَ الْعُدْوَانُ وَارْتَدَّ الطُّغَاةُ؟

فَهَذِهِ الْبُنَى الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ (حُرْمَتَاهُ/مُلِئَتْ ذُلًّا/سَلِبْتَ أَرْضِي/هُزِمَ الْعُدْوَانُ) قَدْ وَرَدَتْ دَالَّةً عَلَى التَّحَقُّقِ وَالثَّبُوتِ وَدَالَّةً فِي سِيَاقِهَا عَلَى الْحَسْرَةِ بِاسْتِثْنَاءِ الْبُنَى الْأَخِيرَةِ الَّتِي تَشِي بِالْفَرَحَةِ بِالنَّصْرِ وَالْحَقَاقِ الْهَزِيمَةِ بِالْمُعْتَدِي. وَيُنَوِّعُ الشَّاعِرُ فِي تَوْظِيْفِهِ لِلْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ فَقَدْ تَتَجَاوَرُ فِي السِّيَاقِ الْوَاحِدِ بَيْنَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَبْنِيَّةٌ لِلْمَجْهُولِ وَالثَّانِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ لِلْمَعْلُومِ مِمَّا يُشَكِّلُ (التَّفَاتَا) أَوْ انْزِيَاحًا تَرْكِيْبِيًّا-بِالْمُصْطَلَحِ الْأُسْلُوبِيِّ- فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

سَلِبْتَ أَرْضِي.. وَعَاثْتَ طُعْمَةً فِي رُبُوعِي.. تَدْعِي رُوحَ الْعَدَالَةِ

(1) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 11.

(2) أحمد عثمان أحمد: المعلقات دراسة أسلوبيَّة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2007، ص: 121.

(3) المرجع نفسه، ص: 121.

(4) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 12.

(5) المصدر نفسه، ص: 15.

(6) المصدر نفسه، ص: 27.

(7) المصدر نفسه، ص: 29.

وَفِي الشَّطْرِ الثَّانِي مِنْ قَوْلِهِ:

أَيْنَ عَكَا عَنْ حِمَاهَا صَامِدًا هُزِمَ الْعُدْوَانُ وَارْتَدَّ الطُّغَاةُ؟

تَحَدَّثُ مُجَاوِرَةً تَرْكِيبِيَّةً بَيْنَ بَنِيَّتَيْنِ مَاضِيَتَيْنِ مِنْ حَيْثُ الصِّعْغَةُ الزَّمَنِيَّةُ فِي التَّرَكِيبَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ:

- (سَلِبْتُ أَرْضِي / وَ/ عَائَتْ طُعْمَةً)

- (هُزِمَ الْعُدْوَانُ / وَ/ ارْتَدَّ الطُّغَاةُ؟)

لَكِنَّ الْأُولَى فِيهِمَا مَبْنِيَّةٌ لِلْمَجْهُولِ وَالثَّانِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ لِلْمَعْلُومِ، وَالشَّاعِرُ يَمْنُضُحُ أُسْلُوبُهُ الشَّعْرِيَّ بِالْعُدُولِ عَنْ صِيعْغَةٍ إِلَى أُخْرَى حَيَوِيَّةً تُخَفِّفُ مِنْ رَتَابَةِ النَّمَطِ التَّرَكِيْبِيِّ الْمُتَكَرِّرِ وَيَمْنَحُهُ حَرَكَةً وَإِنَارَةً تُنْبِئُهُ الْمُتَلَقِّي حِينَ يُعْيَبُ عَنْهُ الْفَاعِلُ، فَيَجْتَهِدُ فِي تَقْدِيرِهِ وَتَأْوِيلِ الْمَحْذُوفِ وَيُكَشِّفُ لَهُ فِي السِّيَاقِ ذَاتَهُ فَيَعْمَلُ عَلَى الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْبَنِيَّتَيْنِ الْمُتَجَاوِرَتَيْنِ الْمُتَعَاظِفَتَيْنِ وَيَبْنِي حَالِي (الْحَذْفِ) وَ(الذِّكْرَ) الْمُجْتَمِعَيْنِ لِيَقِفَ عَلَى مَا وَرَاءَ هَذَا الْعُدُولِ مِنْ دِلَالَةٍ وَقِيَمَةٍ تَرْتَبِطُ بِمَا يُحْدِثُهُ مِنْ انْكِسَارٍ فِي السِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُعَدُّ أَكْثَرَ صُورِ الْإِنْحِرَافِ بُرُوزًا فِي النَّصِّ. (1) وَإِذَا كَانَ هَذَا (الْإِلْتِمَاتُ) أَوْ الْعُدُولُ عَنْ بَنِيَّةٍ فَعَلِيَّةٍ مَاضِيَّةٍ مُثَبَّتَةٍ لِلْمَعْلُومِ إِلَى بَنِيَّةٍ فَعَلِيَّةٍ مَاضِيَّةٍ مَبْنِيَّةٍ لِلْمَجْهُولِ، فَقَدْ يَكُونُ، أَيْضًا عَنْ بَنِيَّةٍ فَعَلِيَّةٍ مُضَارِعِيَّةٍ مَنفِيَّةٍ لِلْمَعْلُومِ إِلَى بَنِيَّةٍ مُمَاتِلَةٍ مَبْنِيَّةٍ لِلْمَجْهُولِ فِي سِيَاقٍ يَنْهَضُ فِيهِ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ (يَقْتَحِمُ / يَخْتَالُ / لَا يَهُونُ / لَا يُعَابُ...) بِتَصْوِيرِ الْحَدَثِ وَبِالْإِيْجَاءِ بِتَجَدُّدِهِ، يَقُولُ (2):

بَاقْدُسْ هَذَا جِيْلُكَ الْمَعْوَارُ يَقْتَحِمُ الصَّعَابَ

يَخْتَالُ فِي سَاحِ الْمَنَايَا لَا يَهُونُ وَلَا يُعَابُ

إِنَّ تَكْنِيْفَ الْبَنِيَّةِ الْفَعَلِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ فِي الْمَجْمُوعَةِ الشَّعْرِيَّةِ الثَّانِيَّةِ (الْفَتِيَّةِ الْأَبَابِيلِ) يُفْصَحُ عَنْ اخْتِيَارِ الشَّاعِرِ الْوَاعِي لِهَذِهِ الْبَنِيَّةِ الْأُسْلُوبِيَّةِ، فَهِيَ تُحَقِّقُ دِلَالَاتٍ عَدِيدَةً فِي سِيَاقَاتِهَا الشَّعْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَيَغْلِبُ فِي تَوْظِيْفِ هَذَا التَّسْقِ التَّعْبِيرِيِّ أَنْ يَكُونَ نَائِبُ الْفَاعِلِ فِيهِ الْمَفْعُولُ بِهِ فَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْفِعْلُ بَعْدَ أَنْ حُذِفَ الْفَاعِلُ وَيَعْنِي هَذَا التَّسَلُّطُ أَنَّ الْمَفْعُولَ هُوَ الْعَايَةُ مِنَ الْكَلَامِ وَأَنَّ الْإِهْتِمَامَ بِهِ يَفُوقُ كُلَّ إِهْتِمَامٍ بغيرِهِ مِنْ أَلْفَاظِ الْجُمْلَةِ، وَتَبْعِيْرٍ آخَرَ لِأَنَّ الْمَفْعُولَ لَهُ الصَّدَارَةُ فِي الْعُمُقِ جَاءَتْ صِيعْغَةُ السَّطْحِ رَمْزًا لِهَذَا. (3) وَتَكُونُ فَائِدَةُ الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ غَالِبًا هِيَ تَعْيِيبُ الْفَاعِلِ إِلَى هَامِشِ الشُّعُورِ لِعَرَضٍ بَلَاغِيٍّ هُوَ إِفْسَاحُ الْإِهْتِمَامِ بِالْمَفْعُولِ. (4) أَوْ بِمَا هُوَ أَهْمٌ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَوْ هَذَا

(1) سامي محمد عبابنة: التفكير الأسلوبی، رؤية معاصرة في التراث التقدي والبلاغي، عالم الكتب الحديث، الأردن ط: 1، 2007، ص: 216.

(2) يوسف العظم: الفتية الأبابل، ص: 69.

(3) مصطفى السعدني: البناء اللفظي في لزوميات المعري، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت)، ص: 224.

(4) عبد الحميد أحمد يوسف هندراوي: الإعجاز الصوري في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، (د، ط)، 1423هـ-2002م، ص: 120.

المقام، وإِنْجَازاً لِهَذَا الْعَرَضِ تَرُدُّ الْبِنْيَانِ الْفِعْلِيَّاتِ الْمَاضِيَّاتِ الْمَبْنِيَّاتِ لِلْمَجْهُولِ (زُفَّ... ) وَ(زُفَّتْ... ) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(1)</sup>:

ثَلَاثَةُ فُرْسَانَ تَبَارَوْا إِلَى الْعُلَى وَكُلُّ يُغَدُّ السَّيْرَ نَحْوَ مَصِيرِهِ  
وَكُلُّ بِإِذْنِ اللَّهِ مَاوَاهُ جَنَّةً شَهِيدُ الْعُلَى قَدْ زُفَّ فَوْقَ سَرِيرِهِ  
وَفِي قَوْلِهِ<sup>(2)</sup>:

سَقَطَ الْقِنَاعُ وَمَزَّقَتْ أَسْتَارُ وَبَدَا لَنَا وَسَطُ الظَّلَامِ نَهَارُ  
وَالْقُدْسُ زُفَّتْ لِلشَّهِيدِ وَحَوْلَهَا بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهُمْ أَقْمَارُ  
وَتَرُدُّ الْبِنْيَانِ الْمَضَارِعِيَّاتِ (تُزَفُّ... ) وَ(تُزَفُّ... ) فِي قَوْلِهِ<sup>(3)</sup>:

يَا قُدْسُ يَا أَمَلَ الشَّهِيدِ تُزَفُّ فِي أَنْفَى الثِّيَابِ  
وَفِي قَوْلِهِ<sup>(4)</sup>:

أُخِتَ الْجِهَادِ لَكَ التَّحِيَّةُ وَالْهَنَا مُدَّ زَيْنَ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ حِمَارُ  
هَاتِي لَنَا الْأَكْفَانَ كَيْ نَلْقَى الرَّدَى وَنُزَفَّ فَالْحُورُ الْحِسَانَ تَغَارُ

يَتَحَلَّى فِي هَذِهِ الْبُنَى الْإِهْتِمَامُ بِالْمَفْعُولِ الَّذِي أُسْنَدَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ الْمَاضِي أَوْ الْمَضَارِعُ، وَهُوَ الضَّمِيرُ الَّذِي يُحِيلُ إِلَى (الْقُدْسِ) فِي بِنْيَتَيْنِ، وَالضَّمِيرُ الَّذِي يُحِيلُ إِلَى (الشَّهِيدِ) أَوْ (الشُّهَدَاءِ) فِي بِنْيَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. فَحَذَفُ الْفَاعِلِ فِي الْبُنَى السَّابِقَةِ أَفْسَحَ الْمَجَالَ لِيَتَبَوَّأَ نَائِبُ الْفَاعِلِ/ الْمَفْعُولِ مَنْزِلَتَهُ فِي التَّعْبِيرِ.

وَتَأْتِي الْبُنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ دَالَّةً عَلَاوَةً عَلَى تَعْمِيمِ الْفَاعِلِ إِلَى تَرْكِيهِزِ الْإِهْتِمَامِ عَلَى مَا هُوَ أَهَمُّ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْجِزَاءُ الَّذِي يَنَالُهُ الْمُجَاهِدُونَ وَالشُّهَدَاءُ؛ أَيُّ هَذِهِ الْجَنَاتِ الْمُقَرَّبَةِ، وَهُوَ مَا يُلْحَظُ فِي بِنْيَةِ (أَزْلَفَتْ... )، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

وَأَمَدَّهُمْ رَبُّ الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَأَبِ  
جَنَاتُ عَدْنٍ أُزْلَفَتْ مِنْ غَيْرِ مَنْ أَوْ حِسَابِ  
أَوْ هُوَ النَّتِيجَةُ وَالْعَايَةُ الَّتِي تَحَقَّقَتْ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(6)</sup>:

صَمَّتْ صَوَارِيخُ الطُّغَاةِ وَأُخْرِسَتْ كُلُّ الْمَدَافِعِ وَاحْتَفَى الطِّيَّارُ

(1) يوسف العظم: الفتنية الأبايل، ص: 45.

(2) المصدر نفسه، ص: 77.

(3) المصدر نفسه، ص: 68.

(4) المصدر نفسه، ص: 78.

(5) المصدر نفسه، ص: 71.

(6) المصدر نفسه، ص: 82.

فَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ فِي هَذِهِ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهَا بِالْفَاعِلِ أَوْ بِهِوِيَّةِ الْفَاعِلِ وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِالْفِعْلِ وَبِمَا يَحْدُثُ أَوْ حَدَثَ، فَتِلْكَ دَلَالَاتٌ تُؤَدِّيهَا الْبِنْيَةُ الْفِعْلِيَّةُ فَوْي سِيَاقَاتِهَا اللَّغَوِيَّةِ.

وَتَمَيَّزُ بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ فِي السِّيَاقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْآتِيَةِ بِتَجَاوُزِ بَعْضِ مَكُونَاتِهَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ لِلْأَصُولِ اللَّغَوِيَّةِ وَأَنْزِيَا حِهِ عَنْ رُبَّتَيْهِ الْأَصْلِيَّةِ، فَيَتَقَدَّمُ عَنِ الْفِعْلِ وَنَائِبِ الْفَاعِلِ، فَتُؤَدِّي الْبِنْيَةُ حَيْثُ دَلَالَاتٌ تَرْتِيَّةٌ وَمُنْتَوَعَةٌ تَنْجُمُ عَنِ الصَّبِيغَةِ الزَّمْنِيَّةِ لِلْفِعْلِ وَعَنْ حَذْفِ الْفَاعِلِ وَبُرُوزِ الْمَفْعُولِ أَوْ غَيْرِهِ وَعَنْ تَقْدِيمِ أَحَدِ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ. وَتَتَحَسَّدُ الدَّلَالَاتُ الْأُسْلُوبِيَّةُ الْمُتَضَافِرَةُ مِنْ اِهْتِمَامِ بِالْمَفْعُولِ وَاهْتِمَامِ بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ وَتَوْكِيدِ مَعْنَى الْبِنْيَةِ وَدَلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحَدُوثِ فِي قَصِيدَةِ (شَهِيدِ الْعَلَى..) حَيْثُ يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمُ<sup>(1)</sup>:

مِنَ الْمَسْجِدِ الْقُدْسِيِّ قَدْ أُطْلِقَ النَّدَا      وَبِالنَّصْرِ وَالْأَمْجَادِ صَارَ يُبَشِّرُ  
هِيَ الْأَرْضُ مِنْهَا نَسْتَمِدُّ سِلَاحَنَا      وَفِي وَجْهِهِ أَعْدَاءَ الْحَيَاةِ يُفَجِّرُ  
هِيَ الْأَرْضُ أُمَّ أَوْ عَرُوسُ فَحَسْبُهَا      بَفَيْضِ دَمِ الْأَبْرَارِ أَضْحَتْ تُعْطَرُ

وَيَقُولُ<sup>(2)</sup>:

وَصُنْهَا تَصُنْ دِينًا وَعَرِضًا وَأُمَّةً      لَعَمْرُكَ بِالْإِيْمَانِ وَالذِّينِ تُنْصَرُ

وَيَقُولُ<sup>(3)</sup>:

وَفِيهَا حُمَاةُ الْحَقِّ يَعْלו لَوَاؤُهُ      وَمِنْهَا دُعَاةُ الْبِرِّ قَامُوا وَكَبَّرُوا  
هُمُ الصَّيْدُ فِي الْآفَاقِ يُعْلُونَ صَرْحَهَا      وَيَبِينُونَ مَجْدًا بِالرَّمَا حِ يُسْطَرُ

وَيَقُولُ<sup>(4)</sup>:

وَإِنْ ذَلَّ حِصْنُكَ كَانَ رُكْنُ آبَائِنَا      فَإِنَّ جَمِيعَ السَّاحِ بِالذُّلِّ يُمْطَرُ

وَيَقُولُ<sup>(5)</sup>:

وَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ أَعِيشَ مُجَاهِدًا      حُرًّا وَبَعْضُ قَدَائِفِي أَشْعَارُ  
لَا أَسْتَكِينُ وَلَا يُذِلُّ كَرَامَتِي      فِي مَفْرَقِي سَيْفٌ وَلَا مِنْشَارُ  
حَتَّى أُلَاقِيَ اللَّهَ فِي سَاحِ الْوَعَى      بِدَمِ الشَّهَادَةِ يُخْتَمُ الْمِشْوَارُ

وَالْمُلَاحِظُ عَلَى الْبُنَى الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ السَّتَّةِ:

-وَبِالنَّصْرِ وَالْأَمْجَادِ/ صَارَ يُبَشِّرُ

-وَفِي وَجْهِهِ أَعْدَاءَ الْحَيَاةِ/ يُفَجِّرُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 89.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص: 90.

(4) المصدر نفسه، ص: 91.

(5) المصدر نفسه، ص: 84.

-بَفَيْضِ دَمِ الْأَبْرَارِ/ أَضْحَتْ تُعْطَرُ  
-لَعْمُرُكَ بِالْإِيمَانِ وَالِدَيْنِ/ تُنْصَرُ  
-وَيَبْنُونَ مَجْدًا بِالرَّمَاكِحِ/ يُسْطَرُ  
-فَإِنَّ جَمِيعَ السَّاحِ بِالذُّلِّ/ يُمْطَرُ

أَنَّهَا شَكَّلَتْ نَسْقًا تَرْكِيبِيًّا مُتَوَازِيًّا مُؤَلَّفًا مِنَ (الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ وَنَائِبِ الْفَاعِلِ الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ) أَسْهَمَ فِي  
الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْخَصِيصَةِ الْفِعْلِيَّةِ لِلنَّسْقِ التَّقْفُويِّ الْمُوَحَّدِ، وَفِي الْآنِ نَفْسِهِ شَكْلًا نَسْقًا تَقْفُويًّا مُتَكَرِّرًا بَارِزَ الْإِيْقَاعِ،  
وَبِمَا أَنَّ الْقَافِيَةَ آخِرُ مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ فِي الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ وَأَعْلَقَ كَلِمَاتِهِ فِي الذَّهْنِ فَإِنَّ الْبِنِيَّةَ الْفِعْلِيَّةَ الْمَبْنِيَّةَ لِلْمَجْهُولِ  
بِدَلَالَتِهَا تُكُونُ، أَيْضًا، آخِرَ مَا يَخْتَمُّ الْبَيْتَ وَيَرْسُخُ فِي الذَّاكِرَةِ لِتَفَاعُلِ الْمَكُونِ الْإِيْقَاعِيِّ فِيهَا وَالْمَكُونِ الدَّلَالِيِّ.  
وَإِذَا كَانَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ قَدْ تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ وَنَائِبِ الْفَاعِلِ فِي الْبِنِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي  
الْبِنِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ عَلَى نَائِبِ الْفَاعِلِ دُونَ الْفِعْلِ مِمَّا يُكْسِبُ الْفِعْلَ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ أَهْمِيَّةً تَفُوقَ أَهْمِيَّةَ  
نَائِبِ الْفَاعِلِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

صَنَعَ الطَّغَاةُ لَنَا السَّيَّاطَ لِكَيْ تُذَلَّ بِهَا الرِّقَابُ  
وَالْقَيْدَ لِلشَّعْبِ الَّذِي ذَاقَ الْمَهَانَةَ وَالْعَذَابَ  
وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى يُدَنِّسُ بِالْيَهُودِ وَبِالْكِلَابِ

وَيَقُولُ<sup>(2)</sup>:

عَهْدًا مَعَ اللَّهِ فِي الْأَقْصَى نَبَايَعُهُ  
وَالْمَجْدُ تَصْنَعُهُ فِي السَّاحِ مَلْحَمَةٌ  
وَلَا تُصَانُ بِمَالِ الْكُونِ جَبْهَتُهُ  
مَنْ خَانَ مَوْعِدَنَا فِي الْقُدْسِ فَهُوَ شَقِي  
وَتَقْدِيهِ مِنَ الطُّوفَانِ وَالْغَرَقِ  
وَإِنَّمَا بَدَمٌ فِي السَّاحِ مُنْبِثِقِ

وَتَخْتَصُّ الْبِنِيَّةَ الْفِعْلِيَّةَ الْمَاضِيَّةَ الْمَبْنِيَّةَ لِلْمَجْهُولِ بِالذَّلَالَةِ عَلَى الْمَفَاجَأَةِ إِذْ تَأْتِي بَعْدَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْبِنِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ  
لِلْمَعْلُومِ مَاضِيَّةً دَالَّةً عَلَى التَّحَقُّقِ وَالْوُقُوعِ وَمُفِيدَةً الْإِنْقِطَاعِ أَوْ مُضَارِعِيَّةً دَالَّةً عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ وَمُفِيدَةً  
الِاسْتِمْرَارِ مُمَكِّنَةً الْمُتَلَقِّيِّ مِنْ تَصَوُّرِ الْأَحْدَاثِ وَتَمَثُّلِهَا وَاسْتِحْضَارِهَا فِي الْمُخَيَّلَةِ وَمُعَبَّرَةً عَنِ اسْتِرْسَالِ الْمُتَكَلِّمِ  
فِي (الْحَلْمِ)، فَبَيْنَمَا تُشَكِّلُ هَذِهِ الْبِنِيَّةُ نَسْقًا مُطْرِدًا بِفَاعِلِهَا الْمَعْلُومِ تُشَكِّلُ بِنِيَّةَ الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ (رِحْلَتِي  
أَلْغَيْتُ) خَرْقًا لِهَذَا النَّسْقِ بِحَذْفِ الْفَاعِلِ وَإِنَابَةِ الْمَفْعُولِ مَكَانَهُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةِ (الرَّحْلَةِ الْمُلْعَاةِ)<sup>(3)</sup>:

لَا تُرَاعِي فَقَدْ طَوَيْتُ شِرَاعِي وَتَنَاسَيْتُ مَوْعِدَ الْإِقْلَاعِ  
وَتَرَاجَعْتُ عَنْ رَحِيلِي بَعِيدًا فِي غَرِيبِ الدِّيَارِ وَالْأَصْفَاعِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 55.

(2) المصدر نفسه، ص: 62.

(3) المصدر نفسه، ص: 101.

حَيْثُ أَمْضِي فِي رِحْلَةِ الْعُمْرِ سَعِيًّا أَجْمَعُ الْمَالَ أَوْ وَثِيرَ الْمَتَاعِ  
(رِحْلَتِي أَلْعَيْتُ) فَمَا عُدْتُ أَرْضِي غَيْرَ زَهْرِ الرَّبِيِّ وَخَضِرِ الْمَرَاعِي

إِنَّ الْمُلَاحِظَ فِي بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ بِنَسَقِهِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ أَوْ بِنَسَقِهِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ أَنَّهَا مُكَوَّنٌ تَعْبِيرِيٌّ شَدِيدُ الْإِرْتِبَاطِ بِالْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ، وَقَدْ وُظِّفَ فِي سِيَاقَاتٍ شِعْرِيَّةٍ تَمْنَحُ الْقَصِيدَةَ حَرَكَتَهَا الشُّعُورِيَّةَ وَتُكْسِبُهَا فَاعِلِيَّتَهَا الشُّعْرِيَّةَ فَضْلًا عَنْ دِلَالَتِهَا الْإِيحَائِيَّةِ وَالتَّصْوِيرِيَّةِ الْمُرتَبِطَةِ بِهِ، وَهِيَ دِلَالَاتٌ لَا تَنْهَضُ بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ الْإِسْمِيِّ بِأَدَائِهَا. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِالِاسْتِنَادِ إِلَى مُقَارَبَةِ هَذِهِ التَّمَاذِجِ مِنَ الْبِنْيِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ إِنَّ الْبِنْيَةَ التَّرْكِيبِيَّةَ الْفِعْلِيَّةَ تُعَدُّ إِحْدَى مَصَادِرِ حَيَوِيَّةِ الْقَصِيدَةِ وَشِعْرِيَّتِهَا، بِشَكْلِ خَاصٍّ، وَتُعَدُّ دِعَامَةً أُسَاسِيَّةً فِي الْبِنْيَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ بِشَكْلِ عَامٍّ.

وَأخِيرًا فَإِنَّ أَهَمَّ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ الْبَحْثُ فِي مُقَارَبَةِ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الْخَبْرِيِّ بِقِسْمِيهِ الْإِسْمِيِّ وَالْفِعْلِيِّ - بِمُخْتَلَفِ أَنْسَاقِهِمَا التَّرْكِيبِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ - تَنْوِيعُ الْأَنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ بِمَا يَخْدُمُ الدَّلَالَاتِ الشُّعْرِيَّةَ وَالْعَايَاتِ الْفَنِّيَّةَ الَّتِي يَتَوَخَّأهَا الشَّاعِرُ، وَهَذَا التَّنْوِيعُ، عَلَى مَسْتَوَى التَّرْكِيبِ الْإِسْمِيِّ، يُلْغِي الرِّتَابَةَ الَّتِي تَسْمُ النَّصَّ الَّذِي تَنْتَظِمُ بِنَاؤَهُ التَّرْكِيبِيَّةَ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ثَابِتٍ، وَيُؤَدِّي إِلَى إِثْرَاءِ الْقَصِيدَةِ بِتَعَدُّدِ الْأَنْسَاقِ وَاخْتِلَافِ الدَّلَالَاتِ. وَيُعَدُّ التَّنْوِيعُ فِي الْأَنْسَاقِ التَّعْبِيرِيَّةِ اسْتِمَارًا لِطَاقَاتِ اللُّغَةِ الْكَامِنَةِ وَإِمْكَانَاتِهَا الْإِبْدَاعِيَّةَ بِوَسِطَةِ الْإِنْزِيَّاحَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ الدَّلَالَةِ مِنْ تَقْدِيمِ وَتَأْخِيرِ وَحَدْفِ وَذِكْرِ وَغَيْرِهَا. بِالِإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ تَوْظِيفَ الشَّاعِرِ لِلأَنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْإِسْمِيَّةِ فِي صِيَاغَةِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ بِمَا تَتَّسَمُ بِهِ مِنْ قَصْرِ فِي الْعَالِبِ مُتَنَاسِبٍ مَعَ طَبِيعَةِ هَذِهِ الْأَنْسَاقِ ذَاتِ السِّمَةِ التَّقْرِيرِيَّةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبُوتِ، كَمَا أَنَّ تَوْظِيفَهُ لِلأَنْسَاقِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُضَارِعِيَّةِ بِكثَافَةٍ فِي جُمْلَةٍ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ أَوْ فِي خَبَرِ الْإِسْمِ الْمَنْسُوخِ دَالٌّ عَلَى مِيلِهِ إِلَى إِسْبَاحِ صِفَةِ التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ عَلَى دِلَالَاتٍ بَعْضُ بُنْيِ قَصِيدَتِهِ، فَالنَّسَقُ الْفِعْلِيُّ بِمَا يَمْتَازُ بِهِ مِنْ دِلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ هُوَ الْأَكْثَرُ إِثَارَةً فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَضَامِينِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ، وَلَاشَكَّ أَنَّ هَذَا التَّوْظِيفَ الْفَنِّيَّ لِلأَنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ وَهَبَ الْقَصِيدَةَ حُصُوصِيَّتَهَا الْأُسْلُوبِيَّةَ وَالتَّعْبِيرِيَّةَ. أَمَّا بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْفِعْلِيِّ الَّذِي يُلَاحِظُ فِي بِنْيَتِهِ بِنَسَقِهِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ أَوْ بِنَسَقِهِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ أَنَّهَا مُكَوَّنٌ تَعْبِيرِيٌّ شَدِيدُ الْإِرْتِبَاطِ بِالْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ، وَقَدْ وُظِّفَ فِي سِيَاقَاتٍ شِعْرِيَّةٍ تَمْنَحُ الْقَصِيدَةَ حَرَكَتَهَا الشُّعُورِيَّةَ وَتُكْسِبُهَا فَاعِلِيَّتَهَا الشُّعْرِيَّةَ فَضْلًا عَنْ دِلَالَتِهَا الْإِيحَائِيَّةِ وَالتَّصْوِيرِيَّةِ الْمُرتَبِطَةِ بِهِ، وَهِيَ دِلَالَاتٌ لَا تَنْهَضُ بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ الْإِسْمِيِّ بِأَدَائِهَا. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِالِاسْتِنَادِ إِلَى مُقَارَبَةِ نَمَازِجِ مِنَ الْبِنْيِ الْفِعْلِيَّةِ إِنَّ الْبِنْيَةَ الْفِعْلِيَّةَ أَحَدُ مَصَادِرِ حَيَوِيَّةِ الْقَصِيدَةِ، بِشَكْلِ خَاصٍّ، وَدِعَامَةٌ أُسَاسِيَّةٌ فِي بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ بِشَكْلِ عَامٍّ.

جامعة الأميرة  
عبد القادر للعالم الإسلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني  
بنيّة التركيب الإنشائيّ

تتصل دراسة التراكيب الإنشائية في القصيدة بالأسلوبية التي نَظَرَ إليها في سياقها التاريخي كورث للبلغة التي تتحرك في ضوء منطلقين؛ أحدهما تحديد إمكانات التعبير في اللغة وما ينتج عنها من تطبيقات في الكلام الإبداعي أو الإخباري والآخر التنوع في المحيط الأسلوبي الذي يرتبط بالموقف الكلامي، والذي على أساس منه تستقر الصياغة في سياقها المحدد، حيث يأخذ منها هذا السياق بقدر ما يعطيها. (1) ومن ثم أصبحت الدلالة تمثل الهدف الرئيسي الذي يبحث عنه البلاغي؛ لأن المعنى الأصلي يُفاد من خلال التعبير المؤلف أو غير المؤلف، أما التعبير الإبداعي فهو الذي يقدم الدلالة الجمالية وبربطها بالتكوين الشكلي للجملة. (2) فهذه الدلالات الجمالية تأتي نتيجة لبنى الأسلوبية التي تفرزها وتتفاعل مع السياق، بالمعنى الواسع، وتدور المعاني في فلك الوجدان وإطار الإدراك باحثاً عن تركيب لغوي ملائم لوتيرة الإحساس بها، فيخرج بعضها في تراكيب لغوية خبرية، وبعضها في أساليب إنشائية. فالأسلوب الإنشائي يختص بموقف الانفعال وإثارة العواطف، بينما الأسلوب الخبري أقرب ما يكون إلى الوجدان الهادي. (3) فللنمط الإنشائي خصوصيته الأسلوبية وحيويته التعبيرية في اللغة فـ"إذا كان الخبر يمثل اللغة في جانبها القار، فإن الإنشاء يمثلها في جانبها المتحرك؛ فالأساليب الإنشائية طلبية كالأمم والنهي والاستفهام والتمني والنداء، أو غير طلبية كالتعجب والمدح والذم والقسم، أبرز مظاهر اللغة التي تُعرب عن حيويتها. (4) وتقوم الحيوية الملحوظة في النمط الإنشائي، أساساً، على أربعة عوامل رئيسية؛ العامل الصوتي الذي يظهر في النعمة الصوتية التي لا تنخفض في آخر التراكيب الإنشائية لبقاء الكلام في حاجة إلى جواب بالقول أو استجابة بالفعل أو تعليق أو ما من شأنه أن يجعل الكلام منفتحاً غير منغلق. والعامل النحوي أو الصرفي الذي يبرز في ارتكاز التراكيب الإنشائية على أدوات خاصة - كالأداة في الاستفهام أو القسم - أو صيغ معينة بُنى عليها بعض عناصرها - كصيغة الأمر في الأمر أو صيغة ما فعله أو أفعل به في التعجب - وتُسهم هذه العناصر في تحديد المدلول، والعامل المعنوي البلاغي الذي يتجلى في قيام هذه الأساليب بالترجمة عن الانطباعات العاطفية دون المقررات العقلية وعكس الأزمة الشعورية والحيرة العقلية، والعامل المنطقي الذي يشير إلى قيام حوار تفضي إليه هذه الأساليب أو لا تفضي إليه وتبعاً لذلك تتلون المعاني والدلالات. (5)

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص: 348.

(2) المرجع نفسه، ص: 348.

(3) راشد بن حمد الحسيني: البنى الأسلوبية في النص الشعري، دار الحكمة، لندن، ط: 1، 2004، ص: 201.

(4) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 349.

(5) المرجع نفسه، ص: 350.

فَهَذِهِ الْعَوَامِلُ مُتَضَافِرَةٌ تُنَشِطُ الْأَسَالِيبَ الْإِنْشَائِيَّةَ مَرَّاحِلَ النَّصِّ إِذَا دَاخَلْتَهُ وَتُعْرَبُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا مِنْ الْأَسَالِيبِ عَنِ حَاجَةِ الْبَاطِ إِلَى مُسَاهَمَةِ الْمُتَقَبَّلِ الَّذِي يَتَحَوَّلُ فِيهَا مِنْ تَقَبُّلٍ مُجَرَّدٍ إِلَى طَرَفٍ مُشَارِكٍ. (1) وَهَذِهِ وَظِيفَةٌ يَنْهَضُ بِهَا الْإِنْشَاءُ الطَّلْبِيُّ الَّذِي "يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلْبِ". (2) وَيَمْتَّازُ بِ"تَجْدِيدِ نَشَاطِ السَّمَاعِ وَإِثَارَةِ شُعُورِهِ وَأَنْفِعَالَاتِهِ وَتَحْرِيكِ انْتِبَاهِهِ". (3) عَلَى خِلَافِ الْإِنْشَاءِ غَيْرِ الطَّلْبِيِّ الَّذِي يَمْتَّازُ بِ"تَقْدِيمِ الْفَائِدَةِ عَارِيَةً مِنْ كُلِّ أَثَرٍ جَمَالِيٍّ وَصَيْغُهُ مَحْدُودَةٌ فِي اللَّغَةِ وَلَا تُثِيرُ الْإِنْفِعَالَ وَلَا تُحَرِّكُ النَّفْسَ". (4)

هَذَا، وَيُقَارَبُ الْبَحْثُ فِي إِطَارِ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الْإِنْشَائِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ نَسَقًا تَرْكِيبِيًّا إِنْشَائِيًّا بَارزًا مُمَثِّلًا فِي بِنْيَةِ الْاسْتِفْهَامِ. فَ(الِاسْتِفْهَامُ) بِنْيَةٌ لُغَوِيَّةٌ طَلْبِيَّةٌ، وَهُوَ، لُغَةً، مَصْدَرُ الْفِعْلِ (اسْتَفْهَمَ) الثَّلَاثِيُّ الْمَزِيدُ بِثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ (اسْتَفْهَمَهُ) بِمَعْنَى "سَأَلَهُ أَنْ يُفْهَمَهُ". وَيُقَالُ: اسْتَفْهَمَ مِنْ فُلَانٍ عَنِ الْأَمْرِ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ". (5) وَ(الْفَهْمُ) "حُسْنُ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى". (6) وَجَاءَ فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ: "مَنْ جَزَعَ مِنَ الْاسْتِفْهَامِ فَرَعَ إِلَى الْاسْتِفْهَامِ". (7) وَحَقِيقَةُ (الِاسْتِفْهَامِ)، اصْطِلَاحًا، "طَلَبُ الْفَهْمِ، نَحْوُ (أَزِيدَ قَائِمًا)". (8) وَالْأَدَوَاتُ اللَّغَوِيَّةُ الْمُؤَدِّيَةُ لِهَذِهِ الْوِظِيفَةِ أَوْ الْأَفْظَاظُ الْمَوْضُوعَةُ لَهَا هِيَ: "الْهَمْزَةُ، وَ(هَلُّ)، وَ(مَا)، وَ(مَنْ)، وَ(أَيُّ)، وَ(كَمْ)، وَ(كَيْفُ)، وَ(أَيْنُ)، وَ(أَنَّى)، وَ(مَتَى)، وَ(أَيَّانُ)". (9) وَتَخْتَلِفُ دَلَالَتُهَا بَيْنَ التَّصَوُّرِ وَالتَّصَدِيقِ؛ فَالْهَمْزَةُ لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ وَطَلَبِ التَّصَدِيقِ، وَ(هَلُّ) مُخْتَصَّةٌ بِطَلَبِ التَّصَدِيقِ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْأَدَوَاتِ فَمُخْتَصَّةٌ بِطَلَبِ التَّصَوُّرِ. (10) فَإِذَا كَانَ الْمُسْتَهْدَفُ الْإِنْتَاجِيُّ مِنَ الْاسْتِفْهَامِ طَلَبَ إِدْرَاكٍ وَقُوعِ نِسْبَةٍ أَوْ عِلَاقَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فِي الْخَارِجِ أَوْ عَدَمِ وَقُوعِهَا، فَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ النَّاتِجَ هُوَ (التَّصَدِيقُ)، أَمَّا إِذَا كَانَ الْمُسْتَهْدَفُ هُوَ تَصَوُّرُ الْمَوْضُوعِ أَوْ الْمَحْمُولِ، فَهُوَ (التَّصَوُّرُ). (11) فَالتَّصَوُّرُ هُوَ إِدْرَاكُ الْمَفْرَدِ وَيَكُونُ الْجَوَابُ مَعَهُ بِتَعْيِينِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ وَالتَّصَدِيقُ إِدْرَاكُ النَّسْبَةِ، وَيَكُونُ الْجَوَابُ مَعَهُ بِ(نَعْمٍ) إِنْ أُرِيدَ الْإِثْبَاتُ، وَب(لَا) إِنْ أُرِيدَ النِّقْيُ. (12) وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْأَدَوَاتُ فِي آدَاءِ دَلَالَاتٍ غَيْرِ دَلَالَةِ الْاسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيَّةِ، مِنْهَا الْاسْتِبْطَاءُ، وَالتَّعْجَبُ، وَالتَّنْبِيهُ، وَالْوَعِيدُ، وَالْأَمْرُ، وَالتَّقْرِيرُ، وَالْإِنْكَارُ، وَالتَّهْكُمُ، وَالتَّهْوِيلُ،

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 350.

(2) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 135.

(3) محمد الأمين: جمال المضمون والأسلوب في سورة يس، مطبعة أنفو-برانت، فاس، (د، ط)، 2009، ص: 143.

(4) المرجع نفسه، ص: 143.

(5) إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج: 2، ص: 704.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) الزمخشري: أساس البلاغة، ص: 486.

(8) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 17.

(9) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 136.

(10) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 21.

(11) محمد عبد المطلب: البلاغة قراءة أخرى، ص: 286.

(12) علي الحارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، 1430هـ-2009م، ص: 162.

والاستبعاد، والتويخ، والتعجب<sup>(1)</sup>. فهذه معانٍ قد تُفيدها بُنى الاستفهام مُفردةً في سياقاتٍ مُحددةٍ أمّا القيمةُ الجماليةُ والأسلوبيةُ له فتكمنُ فيما يُضفيه على النصِّ من حيويةٍ وبما يميّز به من غزارةٍ في الشحنة الانفعالية، وتلوين الصوت ولما في تنعيمه من خصوصيةٍ بوصفه لونا من الألوان الأسلوبية الكثيرة في الكلام والمتنوعة بتنوع المواقف<sup>(2)</sup>. ومقاربة البنية النحوية/البلاغية للاستفهام شرطٌ وصفه وتحليله والوقوف على قيمته الدلالية؛ إذ إنَّ النصَّ لا يمكن أن ((يتنصص)) إلّا بفشل جديلة البنية النحوية والمُفردات، وهذه الجديلة هي التي تخلُق سياقاً لغوياً خاصاً بالنصِّ نفسه، وعند محاولة فهم أي نصٍّ وتحليله لا بدّ من فهم بنائه النحويّ على مستوى الجملة أولاً وعلى مستوى النصِّ كلاً ثانياً<sup>(3)</sup>.

### 1- بنية الاستفهام في القصيدة:

تمثّل بنية الاستفهام بصورة جليّة في نماذج عديدة من القصيدة الإسلامية، وتؤلّف إحدى البنى التعبيرية المهمة في نسيج القصيدة التركيبي؛ إذ تتواجد بوفرة في المتن الشعري وتنوع أدواتها بتنوع سياقاتها وتنوع دلالاتها، فالاستفهام بصوره المختلفة ملّمح أسلوبيّ يكشف عن تتابع البنى الأسلوبية الاستفهامية في القصيدة الواحدة تتابعا يسمها بسمّة تساؤلية دالة، فقصيدته (حوار أمام بوابة الهزيمة)<sup>(4)</sup> العمودية لعبد الرحمن العشماوي- مثلاً- المؤلفة من خمسين بيتاً شعرياً يرد الاستفهام في ثلاثة وثلاثين بيتاً منها؛ أي أن بنيتها تمثّل نسبة (66%) من نسبة مجموع البنى التركيبية الخبرية والإنشائية، وقصيدته الحرة (تساؤلات طفل كويتي)<sup>(5)</sup> تتألّف من سبعين سطرًا شعرياً وقع الاستفهام في أربعة وعشرين سطرًا- بصرفٍ لنظرٍ عن البنى الاستفهامية التي تمتد إلى أكثر من سطر- أي أنه مثل نسبة (34.28%) من مجموع البنى التركيبية الخبرية والإنشائية، وفي قصيدته (في ذكرى المولد)<sup>(6)</sup> للمحمّد التهامي المكوّنة من ثلاث وثلاثين بيتاً يهيمن الاستفهام على أحد عشر بيتاً منها؛ أي أنه يمثّل نسبة (33.33%) من مجموع بناء الخبرية والإنشائية معاً. وترجع علة هذا التوظيف إلى حقيقة أن الشعر يعدّ إطاراً مناسباً لاحتضان الأساليب الإنشائية ولابتعاده عن التقرير المباشر بصفة عامة<sup>(7)</sup>، والاستفهام أحد هذه الأساليب، وترجع إلى حقيقة أن الاستفهام بنية فكرية شعورية مُفعمة بالمعطيات الموضوعية الواقعية والذاتية النفسية، مشحونة بالانفعال وموسومة بالشعور يتموج فيها الصوت وتهتزّ النغمة متأثرة بتداعيات الوجدان، وهي بنية يرمي نسقها الإنشائي

(1) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 145.

(2) قطبي الطاهر: بحوث في اللغة، الاستفهام البلاغي، د م ج، الجزائر، (د، ط)، (د. ت)، ص: 64.

(3) محمّد حماسة عبد اللطيف: اللغة وبناء الشعر، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2001، ص: 9.

(4) عبد الرحمن العشماوي: عندما يئنّ العفاف، ص: 33.

(5) عبد الرحمن العشماوي: يا أمة الإسلام، ص: 21.

(6) محمّد التهامي: يا إلهي، ص: 9.

(7) محمّد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 350.

إلى تحريك التفكير وإثارة الشعور، وهذه وظيفة ثلث ما يقصد إليه الشاعر الإسلامي الذي يؤلمه واقع أمته ويوجهه حاضرها من مخاطبة للعقول ومحادثة للقلوب إيقاظاً لهمم وإحياءً للعزائم.

وقد شكّل الاستفهام في القصيدة الإسلامية المعاصرة بُنى تكرارية من حيث تواتره الملحوظ، ومن ثم أصبح ملمحاً أسلوبياً، وأنزياحاً شعرياً انحرفت فيه البنى الاستفهامية عن دلالاتها الأصلية الصريحة إلى دلالات سياقية إيحائية أخصبت البنية الدلالية للقصيدة وأكسبت بنيتها التركيبية خصوصية تعبيرية وأدائية، وقد ورد الاستفهام في بنيتين مختلفتين، هما:

### 1-1-1-1-1-1 بنية الاستفهام المفرد أو البسيط:

وتقع بُنى الاستفهام فيه مفردة ومترفة في مواضع متباعدة من القصيدة في الاستهلال وفي غيره، وتتنوع بحسب الأداة الدالة على الاستفهام وبحسب الدلالة التي تنتجها في سياق القصيدة، وقد تنزاح بُنى الاستفهام في هذه البنية عن دلالة (الاستخبار) المحددة التي تدل عليها البنية إلى دلالات مطلقة يشير إليها السياق، بالإضافة إلى الدلالات الجزئية التي تنتجها عناصر البنية بتوزيعها الداخلي.

تأتي بنية الاستفهام المفرد أو البسيط المتحقق في بنية استفهامية واحدة نتيجة لتواتر انفعالي خفيف أو لتدقيق شعوري ضعيف، وتنعكس هذه الحركة النفسانية الشعورية المعتدلة على المستوى السطحي لبنية الاستفهام اللفظية فتكتفي صياغتها بأداة واحدة غير متكررة بذاتها أو بغيرها من الأدوات الدالة على الاستفهام، وتكون حينئذ بنية الاستفهام مؤشراً يتخلل القصيدة أو أحد مقاطعها ويقطع مسارها الحبري للدلالة على توقف انفعالي ذهني أو تحوّل وجداني فكري أو انحناء شعوري أو استدارة نفسية، ويتم هذا التحوّل سريعاً بقدر ما يلقي حمولته الشعورية الفكرية ليرجع إلى المسار الأول. فهذه الوظيفة ينهض بها كل نسق استفهامي-أو إنشائي-مفرد معزول في سياقات نصية معينة، ويتجسد هذا النسق التركيبي، في القصيدة، في بُنى استفهامية مفردة متنوعة الأداة مؤدياً دلالات خاصة تتعلق ببنيتها الصغرى، أولاً، وبنية السياق الكبرى-قصيدة أو مقطعاً-ثانياً، وتتنوع بنية الاستفهام المفرد أو البسيط على بنية الاستفهام الحرفي وبنية الاستفهام الاسمي:

### 1-1-1-1-1-1-1 بنية الاستفهام الحرفي:

وتمثل في:

### 1-1-1-1-1-1-1-1 بنية الاستفهام بالهمزة (أ):

الهمزة (أ) هي أصل أدوات الاستفهام ولهذا خصت بأحكام، أحدها جواز حذفها والثاني ورودها لطلب التصور ولطلب التصديق، والثالث دخولها على الإثبات والتفي، والرابع تمام تصديرها. (1) ويليهما المسؤول عنه فعلاً كان أم اسماً؛ فاعلاً أم مفعولاً. (2) ويفيد الاستفهام بها- في حال خروجها عن الوظيفة الأساسية (طلب الفهم)- التثوية، والإنكار، والتقرير، والتهمك، والأمر، والتعجب، والاستبطاء. (3) وغيرها من الدلالات المستفادة من السياق، وقد وردت الهمزة، في القصيدة الإسلامية، في بنى استفهامية يندرج قسم منها في بنية الاستفهام المفرد وقسم آخر يندرج في بنية الاستفهام المتعدد.

وتتنوع البنى الاستفهامية التي تتخذ الهمزة دالها اللساني بين الاسمية والفعلية وتتعدد دلالاتها، فالشاعر الإسلامي يوظف بنية الاستفهام بالهمزة في سياقات قصائده وفي أبنية لغوية ذات دلالات خاصة مثيراً تجربته الشعرية ومعبراً عن مقاصده الفكرية ومكوناته الشعورية، مما جعل الاستفهام بالهمزة يتوزع بين البنى الفعلية والاسمية ويخرج عن وظيفته الأساسية، وقل أن يأتي مؤدياً هذه الوظيفة، فعبد الرحمن العشماوي يستخدم بنية الاستفهام المفرد أو البسيط في مواضع من قصائده ففي قصيدة (إضاءة في سراديب الحياة) يرد الاستفهام بالهمزة في بنية فعلية مضارعية يفيد الفعل فيها التجدد وينصرف إلى المستقبل بدلالته، يقول الشاعر (4):

أيا قلب أحداث الحياة أليمة      ودنياك حيرى، والهناء خؤون  
أراك ترد الطرف تطلب سالفاً      وفيك لماضي المسلمين حين  
أعشق في وجه الحبيب ملاحاً      وتطمع في التجوى، وأنت ضنين؟  
وتنهفو إلى نوم وتنسى بأنه      سيولد من أقسى المتاعب لين

فيأتي التركيب الاستفهامي ببنيته الفعلية (أعشق في وجه الحبيب ملاحاً...) في سياق وجداني يملؤه الحنين إلى ماضي المسلمين المشرق، فتنتج الهمزة دلالة التعجب والإنكار حين ينكر الشاعر على قلبه عشق وجه الحبيب والطمع في نجواه وهو ضنين، فمن لا يعطي ويبدل لا يستحق أن يأخذ وينال، وقد يصل الإنكار إلى درجة التوبيخ لأن ما بعد الهمزة من عشق واقع وقلب الشاعر ملوم على ذلك في هذه الحال، فالإنكار التوبيخي يقتضي أن ما بعد الهمزة واقع وأن فاعله ملوم. (5) ويرد هذا التركيب وأدائه الهمزة في بنية فعلية ماضوية وفي سياق يشف عن الحيرة والتردد، يقول الشاعر (6):

(1) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب، مج: 1، ص: 21.

(2) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 136.

(3) المرجع نفسه، ص: 26.

(4) عبد الرحمن العشماوي: عندما يئن العفاف، ص: 42.

(5) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب، مج: 1، ص: 24.

(6) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 52.

ذَلِكَ الصَّوْتُ يَا نُجُومَ مَسَائِي لَمْ يَعُدْ يُطْرَبُ الْفُوَادَ الشَّقِيًّا  
لَسْتُ أُدْرِي، أَشَدَّ بِي عَنْ طَرِيقِ الْ- صَوْتِ دَرْبِي، فَصَارَ عَنِّي قَصِيًّا؟  
أَمْ تُرَى الصَّوْتُ كَانَ حُلْمًا مِنَ الْأَحَدِ لَأَمْ يَأْتِي مَعَ الْمَسَاءِ إِلَيَّا؟

فَبِنْيَةِ الاستِفْهَامِ الْفِعْلِيِّ فِي (أَشَدَّ بِي عَنْ طَرِيقِ الصَّوْتِ دَرْبِي، فَصَارَ عَنِّي قَصِيًّا؟ أَمْ...) وَرَدَتْ ضِمْنَ بِنْيَةِ  
مَنْفِيَّةٍ بِالْفِعْلِ (لَسْتُ)، وَقَدْ دَخَلَتْ هَمْزَةُ الاستِفْهَامِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي (شَدَّ) الَّذِي تَأَخَّرَ فَاعِلُهُ وَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ مُتَعَلِّقُهُ  
الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ وَذَكَرَ لَهُ بَعْدَ (أَمْ) فِعْلٌ مُعَادِلٌ (تُرَى)، فَلَمْ تَكُنْ بِنْيَةُ الاستِفْهَامِ بَدَلَالَةَ التَّقْرِيرِ وَتَجَاوَزَتْ ذَلِكَ - فِي  
هَذَا السِّيَاقِ - إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَيْرَةِ وَالتَّرَدُّدِ زِيَادَةً عَلَى إِفَادَتِهَا التَّسْوِيَّةِ بِوُقُوعِهَا بَعْدَ التَّرْكِيبِ (لَسْتُ أُدْرِي)، وَهُوَ  
تَرْكِيبٌ قَرِيبٌ مِنْ (مَا أَبَالِي) أَوْ (مَا أُدْرِي) أَوْ (لَيْتَ شِعْرِي)، فَ"رَبَّمَا تَوَهَّمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْهَمْزَةُ الْوَاقِعَةُ بَعْدَ كَلِمَةِ  
سِوَاءٍ بِخُصُوصِهَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ كَمَا تَقَعُ بَعْدَهَا تَقَعُ بَعْدَ ((مَا أَبَالِي)) وَ((مَا أُدْرِي)) وَ((لَيْتَ شِعْرِي)) وَتَحْوِهُنَّ،  
وَالضَّابِطُ أَنَّهَا الْهَمْزَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى جُمْلَةٍ يَصِحُّ حُلُولُ الْمَصْدَرِ مَحَلَّهَا". (1)

وَيَسْتَعْمَلُ نَحِيبُ الْكِيْلَانِي التَّرْكِيبَ الْاسْتِفْهَامِيَّ وَأَدَاتُهُ الْهَمْزَةُ فِي سِيَاقَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَفِي بِنْيَةِ فِعْلِيَّةٍ مُضَارِعِيَّةٍ،  
فِيَأْتِي هَذَا التَّرْكِيبُ دَلَالًا عَلَى التَّفْيِ أَوْ التَّعْجُبِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

أَيُخْشَى الْمَنَايَا جُنُودَ الْإِلَهِ وَمَا خَفَضُوا لِسِوَاهِ الْجِبَاهِ  
فَكَيْفَ وَنَحْنُ الثَّقَاةُ الْأَبَاةُ نَهَابُ السَّيَاطِ وَغَدْرُ اللَّثَامِ  
أَوْ دَلَالًا عَلَى التَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

نَامُوا عَلَى أَحْلَامٍ مَجْدٍ تَالِدٍ فَاجْتَا حَهُمْ سَيْلُ الْمَطَامِعِ غَادِرًا  
وَالْمَجْدُ صَوْلَةٌ مُقَدِّمٌ لَا يَنْشِي أَتْرَى يَنَالُ الْمَجْدَ عَشَّاقُ الْكَرَى؟  
أَوْ دَلَالًا عَلَى التَّمْنِي، يَقُولُ الشَّاعِرُ (4):

وَلَّتْ نَضَارَاتُ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى عَصَفَتْ بِهِنَّ زَوَابِعُ وَرِيَا حُ  
أَتْرَى يَعُودُ الْفُوَادَ شَبَابُهُ وَحَلَاوَةُ الْأَمْسِ الْحَبِيبِ ثُبَا حُ؟  
وَتَرَفُّ فِيهِ أُمْنِيَاتُ رِبِيْعِهِ وَيَزُولُ عَنْهُ السُّقْمُ وَالْأَتْرَا حُ

وَيُلَاحِظُ عَلَى بِنْيَةِ الاستِفْهَامِ أَنَّ الشَّاعِرَ يُزِيحُ بَعْضَ الْعَنَاصِرِ عَنْ مَرَاتِبِهَا الْوَاجِبَةِ لَهَا فَيَقْدِّمُ وَيُؤَخِّرُ بِهَدَفِ  
التَّرْكِيزِ عَلَى الْعُنْصُرِ الْمُعْتَنَى بِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْعَنَاصِرِ هُنَا غَيْرُ الْأَدَاةِ وَالْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ لِأَنَّ رُبَّتَيْهَا الصَّدَارَةَ أَبَدًا حَرْفًا كَانَتْ

(1) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 23.

(2) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 66.

(3) نجيب الكيلاني: مدينة الكباثر، ص: 8.

(4) المصدر نفسه، ص: 29.

أو اسماً والرُّبُوبَةُ الَّتِي تَلِي رُبُوبَةَ الْأَدَاةِ فَهِيَ فِي عُمُومِ الْأَحْوَالِ مُخَصَّصَةٌ لِلْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ اسْمًا كَانَ أَوْ فِعْلًا أَوْ مُتَعَلِقًا  
به إنْ كَانَ الْاسْتَفْهَامُ بِالْحَرْفِ (1)، ففِي الْبُنَى الْآتِيَةِ:

أَيَخْشَى الْمَنَائَا جُنُودَ الْإِلَهِ؟

أَتَرَى يَنَالُ الْمَجْدَ عَشَاقُ الْكَرَى؟

أَتَرَى يَعُودُ الْفُؤَادَ شَبَابُهُ؟

يَتَقَدَّمُ الْمَفْعُولُ بِهِ (الْمَنَائَا/الْمَجْدَ/الْفُؤَادَ) عَلَى الْفَاعِلِ (جُنُودُ/عَشَاقُ/شَبَابُ) تَحْدِيدًا وَتَخْصِيصًا لَهُ، فَجَاوَرَ الْفِعْلُ  
(يَخْشَى) الْمَفْعُولَ (الْمَنَائَا)، وَجَاوَرَ الْفِعْلُ (يَنَالُ) الْمَفْعُولَ (الْمَجْدَ)، وَجَاوَرَ الْفِعْلُ (يَعُودُ) الْمَفْعُولَ (الْفُؤَادَ)، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ  
الْفِعْلِ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَالْمَفْعُولِ مِنْ هَذِهِ الْمَفَاعِيلِ أَوْ بَيْنَ الْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ عُنْصُرٌ لُغَوِيٌّ فَاصِلٌ مِمَّا يَجْعَلُ الْأَفْعَالَ  
مَحْصُورَةً فِي فِضَاءَاتٍ شُعُورِيَّةٍ وَخِيَالِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَيُعَدُّ هَذَا الْإِنْزِيَاخُ عَنِ الرَّبِّبِ التَّمْطِيَّةَ فِي اللُّغَةِ مِنَ الْإِنْحِرَافِ  
الْبَسِيطِ الَّذِي "يَقْتَصِرُ عَلَى تَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِ دُونَ حُدُوثِ فِضَاءٍ تَعْلِيْقِيٍّ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ، أَوْ بَيْنَ  
الْمَفْعُولِ بِهِ وَالْفَاعِلِ أَوْ هُوَ الْإِنْحِرَافُ الَّذِي يُجَاوِرُ فِيهِ الْمَفْعُولُ بِهِ الْفَاعِلَ مُبَاشَرَةً". (2)

وَيَسْتَحْدِمُ وَلِيدَ قِصَابِ التَّسْقِ الْاسْتَفْهَامِيَّ الْمُرَدَّ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ التَّمْنَى أَوْ التَّرَجِّيِّ وَقَدْ طَالَ انْتِظَارُ عَوْدَةِ ذَلِكَ  
السَّيِّدِ الَّذِي يُعِيدُ لِلْإِنْسَانِ عِزَّتَهُ الْمَسْلُوبَةَ، فَيَقُولُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ (3):

يَا سَيِّدِي، طَالَ الْحَيْنُ إِلَيْكَ

وَجِئْتُ أَمَانِينَا لَدَيْكَ

ظَمَأَى، مُحَمَّلَةً بِأَشْوَاقِ الْمَسَاءِ

وَبِنَجْمَةٍ فِي الصُّبْحِ

تُشْعَلُهَا يَدُ بَيْضَاءَ

كَمْ أَجْهَضْتَهَا الْهَمَّةُ الْخَرَسَاءُ

وَتَقَاعَسَتْ عَنْهَا

فَمَا شَامَتْ بَرِيقَ ضِيَاءِ!

أَتْرَاكَ تَرْجِعُ ذَاتَ أُمْسِيَّةٍ

لِتُرْفِقَ الدَّفْءَ الْمَوْلَى وَالْأَمَانَ

وَتُعِيدُ لِلْإِنْسَانِ فِينَا

عِزَّةَ الْإِنْسَانِ؟

(1) قطبي الطاهر: بحوث في اللغة، الاستفهام النَّحْوِي، دم ج، الجزائر، (د، ط)، 1992، ص: 125.

(2) راشد الحسيني: البنى الأسلوبية في النص الشعري، دار الحكمة، لندن، ط: 1، 2004، ص: 235.

(3) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 75.

ويأتي هذا التركيب الاستفهامي مُفعمًا بدلالة الإنكار إذ كيف يتطلع المسلم إلى الفردوس وليس له من زاد يؤهله أو يبلغ به العاية سوى المعاصي، يقول يوسف القرضاوي في مطلع قصيدته (إليك يا ابن الإسلام)<sup>(1)</sup>:

يا مُسلمًا بعرا إسلامه ارتبطًا هلا وفيت بما مولاك شرطًا؟!  
 أيا المعاصي ترى الفردوس دانية؟ من يزرع الشوك لم يحصد به الحنطًا!  
 أم تشتري الخلد بالمعشوش من عمل وسلعة الله لا تشتري بما خلطًا؟!  
 وقد تبع المستفهم عنه الجار والمجرور (بالمعاصي) أداة الاستفهام مباشرة، وتقدم على الفعل الذي هو متعلق به لأنه محط الإنكار.

ويأتي هذا التركيب في إحدى رباعيات يوسف العظم دالًا على الرجاء، يقول في رباعية (نار.. على المحراب!)<sup>(2)</sup>:

هدموا المحراب.. واجتثوا المصلى ورمونا بلهيب المحرقات  
 ودعونا مجلس الأمن وإذ ليس في المجلس أذن لشكاتي  
 كنت (بالأمس) أردت المعتدي غير أنني ((اليوم)) قد ذلت قناتي  
 رب.. أدعوك نصيرًا مرتجى أترى.. تقبل في الذل صلاتي؟؟

ويتصرف الشاعر في عناصر البنية الاستفهامية مُقيّدًا دلالتها في حالة خاصة بتقديمه الجار والمجرور (في الذل) على المفعول به (صلاتي)، وقد يأخذ التركيب الاستفهامي مسارًا دلاليًا آخر، فيعدل عن البنى الفعلية إلى الاسمية، فيوظف الشاعر الإسلامي الاستفهام بالهمزة في بنى اسمية، وكذلك يصنع العماري إذ يدرج أداة الاستفهام في هذه البنية الاسمية<sup>(3)</sup>:

أجراحك الحضراء يا درب الشهيد غدت صحاري!  
 نعنوا لكل موطن الأكناف..  
 موهوب الشعار!

وإذا كانت بنية الاستفهام دالة، هنا، على التعجب أو الإنكار فإن الانزياح الحاصل باعتراض بنية النداء (يا درب الشهيد) - تنبيهًا على المعترض أو تعجيلًا بذكره - بين المبتدأ (جراحك الحضراء) وخبره (غدت صحاري) يُضيف إلى الدلالة الأساسية دلالة جديدة بهذه الإضافة اللغوية وهذه الصياغة الأسلوبية، فبالإمكان إحلال العنصر المعترض في غير هذا الموضع، كأن يأتي في آخر البنية الاستفهامية دون أن يخلو هذا التوظيف من دلالات ترتبط بالمتكلم والمخاطب والسياق النفسي أو الحال الشعوري الذي يجمعهما، فليس توجيه المعنى في اتجاه مخصوص أو إقامة

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 26.

(2) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 16.

(3) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 83.

الْوَزْنِ وَإِيقَاعِ التَّوَاظُنِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْعِبَارَةِ الْمَقْصُودِ بِالْإِعْتِرَاضِ لَكِنَّ الْمَوْقِعَ أَوْ اللَّحْظَةَ الَّتِي يُقَدَّرُ فِيهِ أَوْ فِيهَا الْإِعْتِرَاضُ أَهْمٌ مِنْ حَيْثُ أَثْرُهَا الدَّلَالِيُّ وَمِنْ حَيْثُ وَقَعَهَا فِي النَّفْسِ، وَهَكَذَا تَتَأَسَّسُ الدَّلَالَةُ عَلَى إِنْكَارِ أَنْ تَعْدُو الْجِرَاحُ الْخَضْرَاءُ جِرَاحَ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ صَحَارَى.

وَيَأْتِي التَّرْكِيبُ الْإِسْتِفْهَامِيُّ مُجَرَّدًا مِنَ الْأَدَاةِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ، فَقَدْ يَسْتَعْمِلُ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ بِنْيَ اسْتِفْهَامِيَّةً تُحَدَفُ فِيهَا الْأَدَاةُ وَتُعَوِّضُ التَّعْمَةَ الدَّلَالَةَ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ الْعُنْصَرَ الْمَحْذُوفَ؛ يَقُولُ الْعُمَارِيُّ فِي قَصِيدَةِ (حَنِينٍ إِلَى خَضْرَاءِ الظَّلَالِ)<sup>(1)</sup>:

لَيْلَةُ الْوَجْدِ أَنْفَسَاحٌ مُبْهِمٌ الرُّؤْيَا حَزِينٌ  
وَعَصَافِيرُ الشِّتَاءِ الْبَيْضُ يُدْمِيهَا الْحَنِينُ  
الْحَنِينُ الْمُرُّ هَذَا..  
أَمْ مَسَافَاتُ السِّنِينَ..؟  
مُرَّةٌ كَالْخَمْرِ آه..  
مُرَّةٌ كَالثَّلْجِ آه  
مُرَّةٌ كَالْمَوْتِ يَنْقُضُ عَلَى حُلْمٍ دَفِينٍ  
مُرَّةٌ هَدْيِ الْمَرَايَا..

يَدُلُّ السِّيَاقُ عَلَى حَذْفِ الْهَمْزَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْمَصْدَرِ (الْحَنِينِ) الَّتِي تَتَقَدَّمُ عَلَى (أَمْ)، فَـ(أَمْ) تَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا هَمْزَةُ التَّسْوِيَةِ أَوْ هَمْزَةُ يُطَلَّبُ بِهَا وَبـ(أَمْ) التَّعْيِينِ، وَ(أَمْ) هَذِهِ- فِي التَّنَوُّعِ الْأَوَّلِ- مُتَّصِلَةٌ لِأَنَّ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا لَا يُسْتَعْنَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، وَتُسَمَّى أَيْضًا مُعَادِلَةً لِمُعَادَلَتِهَا لِلْهَمْزَةِ فِي إِفَادَةِ التَّسْوِيَةِ.<sup>(2)</sup> يَمُنَحُ الْحَذْفُ قُوَّةً لِلتَّعْبِيرِ تُصْبِحُ مَعَهَا بِنْيَةُ الْإِسْتِفْهَامِ أَقْوَى دَلَالَةً عَلَى حَيْرَةِ الشَّاعِرِ فِي تَحْدِيدِ مَصْدَرِ حَنِينِهِ وَحُزْنِهِ.

وَتَرِدُ الْهَمْزَةُ فِي بِنْيَةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُفْرَدِ دَاخِلَةً عَلَى النَّفْيِ فِي بِنْيَةِ اسْمِيَّةٍ مَنَسُوخَةٍ بِالْفِعْلِ، فَالْهَمْزَةُ تَخْتَصُّ بِالذُّخُولِ عَلَى الْإِنْبَاتِ وَالنَّفْيِ<sup>(3)</sup>، وَقَدْ أَفَادَ الْإِسْتِفْهَامُ بِالْهَمْزَةِ فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّعْرِيَّ التَّقْرِيرَ، يَقُولُ الْأَمْرَانِيُّ<sup>(4)</sup>:

أَنْهَضُ فِي ظِلَّةٍ مِنْ غَمَامٍ  
فَيَشْتَعِلُ الْقَلْبُ مُنْتَفِضًا كَالْحَمَامِ  
أَلَيْسَتْ حُرُوفُكَ أَكْبَرَ  
مِنْ كُلِّ أَحْلَامِكَ الْحَجَرِيَّةِ  
أَمَا زِلْتِ تُطَلِّقُ نَحْوَ السَّمَاءِ رِصَاصَةً رَفِضِكَ؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 57.

(2) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب، مج: 1، ص: 57.

(3) عاطف فضل: تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: 1، 1425هـ-2004م، ص: 407.

(4) حسن الأمراي: مملكة الرماد، ص: 32.

هِيَهَات!

نَحْنُ التَّقِينَا عَلَى الدَّرْبِ مِنْ بَعْدِ سَبْعِ سِنِينَ

وَكُلُّ الشَّعَابِ مُضَرَّجَةٌ بِالْحَنِينِ

قَصَائِدُنَا لَمْ تُعَدِّ يَا صَدِيقِي

مُهْرَبَةً تَحْتَ جَنَحِ الظَّلَامِ

وَكَمَا تُحَذَفُ الأَدَاةُ فِي بِنْيَةِ الاسْتِفْهَامِ المُفْرَدِ فَإِنَّ بَعْضَ بِنَاءِ قَدْ يُحَذَفُ فِيهَا أَحَدُ رَكْنِي البِنْيَةِ الاسْتِفْهَامِيَّةِ

كالمُسْنَدِ إليه أو المُسْنَدِ، يَقُولُ الكِيلَانِي<sup>(1)</sup>:

أَحْيٌ وَأَثْرُكَ لِلأَبْنِ مَنَازِلِي وَأَعِيشُ رَهْنَ الذُّلِّ وَالإِعْيَاءِ؟

وَأَمُوتُ وَالأَشْبَالُ فِي أَغْلَالِهَا فَيُظَلُّ فِي قَيْدِ الضَّنَى أَبْنَائِي؟

لَا.. لَنْ أَقْرَ وَفِي الدِّيَارِ جَحَافِلُ لِلشَّرِّ وَالإِرْغَامِ وَالإِيذَاءِ

ففي هَذِهِ البِنْيَةِ الاسْتِفْهَامِيَّةِ عُدُولٌ عَنِ التَّمَطِّ الاعْتِيَادِيِّ فِي تَرْتِيبِ الجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ تَمَثَّلَ فِي تَقْدِيمِ المُسْنَدِ أَوْ الخَبَرِ التَّكْرَرِ (حَيٌّ) وَكَانَ حَقُّهُ التَّأخِيرُ وَفِي تَأخِيرِ المُسْنَدِ إِلَيْهِ أَوْ المُبْتَدَأِ المُحذُوفِ الَّذِي يُقَدَّرُ فِي هَذَا السِّيَاقِ بِـ(أَنَا)، وَكَانَ حَقُّهُ التَّقْدِيمُ (أَنَا). وَلِهَذَا العُدُولُ دَلَالَتُهُ الأَسْلُوبِيَّةُ الَّتِي تَتَمَرَّكُزُ فِي إِبْرَازِ العُنْصُرِ المُقَدَّمِ وَتَعْلِيقِ المَعْنَى بِهِ قَبْلَ غَيْرِهِ؛ أَي: قَبْلَ المُبْتَدَأِ الَّذِي طَالَه الحَذْفُ هَيْمَنَةُ الخَبَرِ المُذْكَورِ عَلَى بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ. وَمِنْ المَعْلُومِ أَنَّ فِي تَقْدِيمِ المُسْنَدِ تَنْبِيهُ عَلَى خَبَرِيَّتِهِ وَصَرَفًا لَهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ صِفَةً، فَالخَبَرُ لِكَوْنِهِ رُكْنًا مِنَ الجُمْلَةِ أَقْوَى مِنَ الصِّفَةِ فِي دَلَالَتِهِ. وَيُمْكِنُ مُقَارَنَةُ هَذِهِ البِنْيَةِ بِنْيَةِ الاسْتِفْهَامِ فِي البَيْتِ الآتِي، فَيَتَّضِحُ العُنْصُرُ المُتَأَخَّرُ المُحذُوفُ وَمَكَانُهُ؛ يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

أَصْخْرَةٌ أَنَا يَا دَرْعًا وَقَدْ نَزَفَتْ كُلُّ الجِرَاحِ عَلَى وَقَعِ السِّكَاكِينِ؟

وَتَتَرَدَّدُ هَذِهِ البِنْيَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ المُنْزَاحَةُ الَّتِي يَتَقَدَّمُ فِيهَا المُسْنَدُ عَلَى المُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي المَتْنِ الشَّعْرِيِّ سِوَاءَ فِي الأَنْمَاطِ

الخَبَرِيَّةِ كَقَوْلِ مُحَمَّدِ الغَزَالِيِّ<sup>(3)</sup>:

غَنِيٌّ أَنَا بِالنَّفْسِ وَالسَّعْدِ وَالْمَنَى فَأَيُّ ثَرَاءٍ يَتَّعِينِي سِوَى غَلٍّ؟

أَم فِي الأَنْمَاطِ الإِنْشَائِيَّةِ مِمَّا يَجْعَلُهَا بِنْيَةً أُسْلُوبِيَّةً دَالَّةً، وَهِيَ فِي (أَصْخْرَةٌ أَنَا) دَالَّةٌ مِنْ جِهَةِ تَقْدِيمِ التَّكْرَرِ وَالابْتِدَاءِ بِهَا وَتَأخِيرِ المَعْرِفَةِ وَالأَصْلِ الْإِبْتِدَاءِ بِهَا، وَتَسْتَقِلُّ هَذِهِ البِنْيَةُ بِإِنتِاجِ دِلَالَةِ الإِنْكَارِ فِي هَذَا السِّيَاقِ النَّفْسِيِّ الَّذِي تَتَحَجَّرُ فِيهِ نَفْسُ الشَّاعِرِ وَتَفْقَدُ الإِحْسَاسَ. مِمَّا يَقَعُ عَلَيْهَا وَحَوْلَهَا، فَيُنْكَرُ الشَّاعِرُ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا الحَالِ.

(1) نجيب الكيلاني: كيف ألفتك، ص: 68.

(2) محمود مفلح: إلهما الصَّحوة، ص: 24.

(3) محمد الغزالي: الحياة الأولى، ص: 109.

## 1-1-1-2- بنية الاستفهام بهـ(هل):

(هل) حَرْفٌ اسْتِفْهَامٍ لَطَبَّ التَّصْدِيقِ فَحَسَبَ. (1) أَوْ هِيَ "حَرْفٌ مَوْضُوعٌ لَطَبَّ التَّصْدِيقِ الْإِجَابِيِّ، دُونَ التَّصَوُّرِ وَدُونَ التَّصْدِيقِ السَّلْبِيِّ". (2) فَهِيَ أَدَاةُ اسْتِفْهَامٍ عَنِ النَّسْبَةِ سَوَاءً أَكَانَتْ فِي جُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ أَمْ فِي جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ، وَلَا يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنْ مُفْرَدٍ. (3) وَلِهَذَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَهَا (أَمْ) وَالْمُعَادِلِ كَيْ لَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى التَّنَاقُضِ فَالسُّؤَالُ بِـ(هَلْ) يَقْتَضِي الْجَهْلَ بِالْحُكْمِ وَذِكْرُ الْمُعَادِلِ بَعْدَ (أَمْ) يَدُلُّ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِالْحُكْمِ، وَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الشَّوَاهِدِ مِنْ مَجِيءِ (أَمْ) بَعْدَ (هَلْ) فَإِنَّ (أَمْ) فِيهِ هِيَ (أَمْ) الْمُنْقَطِعَةُ الَّتِي تَكُونُ بِمَعْنَى (بَلْ) الْمُفِيدَةَ لِلإِضْرَابِ وَكَيْسَتْ (أَمْ) الْمُتَّصِلَةَ. (4) وَتَمْتِيزُ (هَلْ) بِجُمْلَةٍ خَصَائِصٍ؛ فَالْخَصِيصَةُ الْأُولَى اخْتِصَاصُهَا بِالتَّصْدِيقِ، وَالثَّانِيَةُ اخْتِصَاصُهَا بِالِإِجَابِ، وَالثَّلَاثَةُ تَخْصِيصُهَا الْمَضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ، وَالرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ أَنَّهَا لَا تَدْخُلُ عَلَى الشَّرْطِ، وَلَا عَلَى (إِنَّ)، وَلَا عَلَى اسْمٍ بَعْدَهُ فِعْلٌ، وَالسَّابِعَةُ وَالثَّمَانَةُ أَنَّهَا تَقَعُ بَعْدَ الْعَاطِفِ لَا قَبْلَهُ، وَبَعْدَ (أَمْ)، وَالثَّاسِعَةُ أَنْ يُرَادَ بِالِاسْتِفْهَامِ بِهَا التَّنْفِي وَلِذَلِكَ يَدْخُلُ عَلَى الْخَبَرِ بَعْدَهَا (إِلَّا) وَ(بِأَيِّ). (5) فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ (مَا)، وَذَلِكَ فِي الْقَصْرِ وَغَيْرِ الْقَصْرِ بِدَلِيلِ زِيَادَةِ (مِنْ) وَ(بِأَيِّ) وَكِلَاهُمَا لَا يُزَادُ إِلَّا فِي سِيَاقِ التَّنْفِي. (6) وَالْعَاشِرَةُ أَنَّهَا تَأْتِي مَعَ الْفِعْلِ بِمَعْنَى (قَدْ). (7) فَتُؤَدِّي مَا تُؤَدِّيهِ مِنْ تَحْقِيقٍ أَوْ تَقْرِيبٍ. (8) وَقَدْ تُفِيدُ الْإِنْكَارَ؛ أَيْ إِنْكَارَ وَقُوعِ الشَّيْءِ فَيَكُونُ الْإِنْكَارُ بِمَعْنَى التَّنْفِي. (9) كَمَا تُفِيدُ التَّقْرِيرَ. (10) وَقَدْ وَرَدَتْ (هَلْ) فِي الْقَصِيدَةِ، فِي بَنَى اسْتِفْهَامِيَّةٍ يَنْدَرِجُ قِسْمٌ مِنْهَا فِي الْاسْتِفْهَامِ الْمَفْرَدِ وَقِسْمٌ آخَرُ يَنْدَرِجُ فِي الْاسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ.

وَتَرِدُ بَنَى الْاسْتِفْهَامِ بِـ(هَلْ) الْمُتَطَوِّبَةِ تَحْتَ الْاسْتِفْهَامِ الْمَفْرَدِ فِعْلِيَّةٍ وَاسْمِيَّةٍ، فَالْعَشْمَاوِيُّ يُوظِّفُ بِنْيَةَ الْاسْتِفْهَامِ الْمَفْرَدِ فِي سِيَاقَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَمِنْهُ تَوْظِيفُهُ فِي سِيَاقِ الْإِنْكَارِ؛ يَقُولُ (11):

أَيُّهَا اللَّاهُثُونَ خَلْفَ الْأَعَادِي هَلْ سَتَبُونُ، أَمْ تُرِيدُونَ هَذَا؟

وَالْمُلَاحِظُ فِي بِنْيَةِ هَذَا الْاسْتِفْهَامِ أَنَّ (أَمْ) الْوَارِدَةَ فِيهِ هِيَ (أَمْ) الْمُنْقَطِعَةُ الَّتِي تُفِيدُ الْإِضْرَابَ وَتَكُونُ بِمَعْنَى (بَلْ)، وَهَكَذَا يَنْصَرِفُ الْاسْتِفْهَامُ عَنْ مَعْنَى الْبِنَاءِ إِلَى مَعْنَى الْهَدْمِ وَهُوَ مَحَلُّ الْإِنْكَارِ.

(1) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 136.

(2) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 473.

(3) مهدي الخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجي، ص: 266.

(4) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص: 185.

(5) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 485.

(6) مهدي الخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجي، ص: 269.

(7) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 486.

(8) مهدي الخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجي، ص: 269.

(9) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 2، ص: 476.

(10) المرجع نفسه، مج: 2، ص: 477.

(11) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 20.

وَمِنْهُ تَوْظِيْفُهُ فِي سِيَاقِ الْأَمْرِ الْمَلْطَفِ<sup>(1)</sup>، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى التَّحْضِيضِ، يَقُولُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ (فِي غَمْرَةِ الْأَحْدَاثِ)<sup>(2)</sup>:

هَتَفَتْ بِكَ الْأَشْوَاقُ يَا بَاغِيَهَا      أَحْفَيْتَهَا دَهْرًا، فَهَلْ تُبْدِيهَا؟  
فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ نَشِيدِكَ آهَةٌ      يَدْعُوكُ فِي لَيْلِ الْأَسَى دَاعِيَهَا  
هَتَفَتْ بِكَ الْأَشْوَاقُ إِنَّ نَشِيدَهَا      عَذْبٌ، فَعَرَّذَ وَاحْذَرَ التَّمْوِيَهَا  
وَيَأْتِي الْأِسْتِفْهَامُ بِـ(هَلْ) دَالًا عَلَى التَّمْنَى، فَالْفِظُ الْمَوْضُوعُ لِلتَّمْنَى (لَيْتَ)، وَقَدْ يُتَمَنَّى بِـ(هَلْ) وَ(لَوْ)، وَ(لَعَلَّ) لِعَرَضٍ بَلَاغِيٍّ.<sup>(3)</sup> فَـ(هَلْ) فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي مُفِيدَةٌ لِلتَّمْنَى، يَقُولُ نَجِيبُ الْكَيْلَانِيِّ فِي قَصِيدَةٍ (وَتَفَرَّقَ الْأَحْبَابُ)<sup>(4)</sup>:

قَدْ مَزَقْنَا النَّائِبَاتُ شَرَاذِمًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَارِدٌ سَوَاحٌ  
هَلْ لَمَلَمَ الشَّمْلُ الْبَدِيدَ تَضْرَعُ أَوْ حَمَعْنَا غَدْوَةً وَرَوَاحٌ؟  
وَتَكْمُنُ وَظِيْفَةُ الْبِنْيَةِ الْأِسْتِفْهَامِيَّةِ فِي إِبْرَازِ التَّمْنَى، وَهُوَ لَمَلَمَةُ الشَّمْلِ الْبَدِيدِ بَعْدَ تَمَزُّقِهِ وَتَجْمِيعِ الْأَحْبَابِ بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ فِي صُورَةٍ الْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ الْحُصُولِ وَفِي شَكْلِ الْمَتَوَقَّعِ الْحَدُوثِ، وَذَلِكَ لِلْعِنَايَةِ بِهِ وَالْحَرِصِ عَلَيْهِ وَالتَّشَوُّقِ إِلَيْهِ بَعْدَمَا فَعَلَتْ النَّائِبَاتُ فِعْلَهَا.

### 1-1-2- بِنْيَةُ الْأِسْتِفْهَامِ الْإِسْمِيِّ:

وَتَتَمَثَّلُ فِيْمَا يَأْتِي:

### 1-1-2-1- بِنْيَةُ الْأِسْتِفْهَامِ بِـ(مَا):

(مَا) الْأِسْتِفْهَامِيَّةُ وَمَعْنَاهَا "أَيُّ شَيْءٍ".<sup>(5)</sup> وَيُطَلَّبُ بِهَا إِمَّا شَرْحُ الْإِسْمِ وَإِمَّا مَا هِيَ الْمُسَمَّى أَوْ يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ الْجِنْسِ أَوْ عَنِ الْوَصْفِ.<sup>(6)</sup> فَهِيَ لِتَعْرِيفِ الشَّيْءِ وَبَيَانِ مَعْنَاهِ وَحَقِيقَتِهِ وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ الْغَيْرِ الْعُقُلَاءِ.<sup>(7)</sup> وَإِذَا رُكِّبَتْ ((مَا)) الْأِسْتِفْهَامِيَّةُ مَعَ ((ذَا)) لَمْ تُحْدَفْ أَلْفُهَا وَتَأْتِي فِي الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَوْجُهٍ؛ أَحَدُهَا أَنْ تَكُونَ ((مَا)) اسْتِفْهَامِيَّةً وَ((ذَا)) إِشَارَةً، وَالثَّانِي أَنْ تَكُونَ ((مَا)) اسْتِفْهَامِيَّةً وَ((ذَا)) مَوْضُوعًا، وَالثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ ((مَاذَا)) كُلهُ اسْتِفْهَامًا عَلَى التَّرْكِيبِ وَالرَّابِعُ أَنْ يَكُونَ ((مَاذَا)) اسْمَ جِنْسٍ بِمَعْنَى شَيْءٍ أَوْ مَوْضُوعًا بِمَعْنَى الَّذِي، وَالْخَامِسُ

(1) قطبي الطاهر: أسلوب الاستفهام في ديوان عمر بن أبي ربيعة، دم ج، الجزائر، (د، ط)، 1991، ص: 38.

(2) عبد الرحمن العنشاوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 29.

(3) علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 173.

(4) نجيب الكيلاني: مدينة الكبار، ص: 28.

(5) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 402.

(6) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 138.

(7) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأنها، علم المعاني، ص: 193.

أَنْ تَكُونَ ((مَا)) زَائِدَةٌ و((ذَا)) لِلإِشَارَةِ، وَالسَّادِسُ أَنْ تَكُونَ ((مَا)) اسْتِفْهَامًا و((ذَا)) زَائِدَةٌ. (1) و((مَا)) مِنَ الْفَاطِ  
 التَّصَوُّرِ، وَقَدْ تَخْرُجُ إِلَى تَأْدِيَةِ مَعَانٍ مِنْهَا: التَّهْوِيلُ وَالتَّعْظِيمُ، وَالتَّحْقِيرُ، وَالإِنْكَارُ، وَغَيْرَهَا. وَمِنْ أُنْسَاقِ الْاسْتِفْهَامِ  
 الْمُفْرَدَةِ الَّتِي تَقُومُ بِوِظِيفَةِ الْاسْتِفْهَامِ فِيهَا (مَا)، وَتَنْزَاحُ بِنِيَةِ الْكَلَامِ عَنْ نَمَطَةِ الْحَبْرِيِّ إِلَى التَّمَطِّ الْإِنْشَائِيِّ فِي هَذَا  
 الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ (الدُّكَّانُور) الَّذِي يَقُولُ الْكِيْلَانِيُّ فِيهِ (2):

مَا قِيَمَةُ الدُّنْيَا إِذَا انْحَسَرَ الْهُدَى وَأَقَمْتَ بَيْنَ مَذَلَّةٍ وَتَوَعُّدٍ؟  
 الْمَوْتُ أَسْمَى مِنْ حَيَاةٍ مُرَّةٍ تَعْنُو لَطَاغِيَةَ يُسِيءُ وَيَعْتَدِي  
 فَالْاسْتِفْهَامُ بِـ (مَا) عَنْ قِيَمَةِ الدُّنْيَا بَعِيدًا عَنِ الْهُدَى يَتَّضَمَّنُ تَحْقِيرًا لِهَذِهِ الدُّنْيَا الْمَذَلَّةِ الَّتِي يُعَدُّ الْمَوْتُ أَسْمَى  
 مِنْهَا. وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مُسْتَحْدِمًا التَّرْكِيبَ (مَا بَالُ... (3):

مَا بَالُ قَوْمِي فِي الْمَهَامِهِ ضَيَعُوا وَاسْتَمْرَوْا ذُلًّا وَطُولَ عَنَاءٍ  
 وَيَقُولُ، أَيْضًا، فِي قَصِيدَةِ (الشَّاعِرِ.. وَاللَّيْلِ) (4):

أَخِي مَا بَالُنَا نَمْضِي وَرُوحَ الْحَقِّ مَقْهُورَه  
 يُقَالُ النَّاسُ أَحْرَارُ وَدُنْيَا النَّاسِ مَهْدُورَه  
 وَأَحْلَامِي وَأَمَالِي بِسَجْنِ اللَّيْلِ مَأْسُورَه

.....

أَخِي.. مَا بَالُ عَالَمِنَا تَدَثَّرَ فِي خَطَايَاهِ  
 يُمَارِسُ عَارَهُ لَيْسَتْ لَهُ قِيَمٌ لَتَنْهَاهِ

فَالدَّلَالَةُ الَّتِي تُسْفِرُ عَنْهَا الْبِنِيَتَانِ الْاسْتِفْهَامِيَتَانِ فِي هَذَا السِّيَاقِ تَكْمُنُ فِي التَّعَجُّبِ وَالإِنْكَارِ لِمَا يُحْدِثُ فِي  
 هَذَا الْعَالَمِ مِنْ قَهْرِ لِرُوحِ الْحَقِّ وَهَدْرِ لِدُنْيَا النَّاسِ وَأَسْرِ لِلْأَحْلَامِ وَالْأَمَالِ وَفُقْدَانِ لِلْقِيَمِ.  
 وَتَرِدُ بِنِيَةُ الْاسْتِفْهَامِ الْمُفْرَدُ بِصِيغَةِ (مَا بَالُ... جَامِعًا بَيْنَ دِلَالَةِ التَّعَجُّبِ وَدِلَالَةِ الْإِنْكَارِ فِي قَوْلِ الْقِرَاضَوِيِّ فِي  
 قَصِيدَةِ (أُمِّ زَائِرَةٍ وَلَا مَزُورٍ!) (5):

عَشْرُونَ شَهْرًا وَهِيَ تَكْتُمُ هَمَّهَا فِي صَدْرِهَا مِنْ عَادِلٍ وَحَسُودِ  
 لَا تَشْتَكِي إِلَّا لِمَالِكِ أَمْرِهَا مَا بَالُ عَبْدٍ يَشْتَكِي لِعَبِيدٍ!  
 وَقَدْ يَأْتِي الْاسْتِفْهَامُ الْمُفْرَدُ بِصِيغَةِ (مَاذَا) الَّتِي تَحْمِلُ مَعْنَى الْإِنْكَارِ فِي الْاسْتِخْبَارِ عَنِ السَّبَبِ، يَقُولُ نَجِيبُ  
 الْكِيْلَانِيُّ فِي قَصِيدَةِ (عَوْدَةِ الْعَائِبِينَ) (1):

(1) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 405.

(2) نجيب الكيلاني: مدينة الكباثر، ص: 65.

(3) المصدر نفسه، ص: 81.

(4) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 53.

(5) يوسف القرضاوي المسلمون قادمون، ص: 13.

فِيَا زَمَنًا كَانَ غَضًّا شَهِيًّا

تَلَّالًا بِالْحَبِّ حُلُوءًا نَدِيًّا

لِمَاذَا تَوَلَّكَ لَيْلُ الْفِرَاقِ؟

وَأَمْسَى رَحِيْقُكَ مُرَّ الْمَذَاقِ؟

وَيَرِدُ الْاسْتِفْهَامُ بِـ(مَاذَا) دَالًّا عَلَى تَهْوِيلِ الْحَدَثِ وَتَعْظِيمِهِ حِينَ يَكُونُ مَجْهُولًا لِلْمُسْتَفْهِمِ يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمُ مُسْتَفْهِمًا عَمَّا دَهَى رَوْضَةَ الْأَطْفَالِ<sup>(2)</sup>:

((رَوْضَةُ الْأَطْفَالِ)) مَاذَا قَدْ دَهَاهَا وَبِنَارِ الْمَوْتِ ((صَهِيونُ)) رَمَاهَا

بَدَلَ الزَّهْرِ.. وَحَبَّاتِ النَّدَى مِرْقُ الْأَكْبَادِ، قَدْ غَطَّتْ رُبَاهَا

لَمْ يُرَاعُوا حُرْمَةَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَخْشَعُوا لِلطُّهْرِ، قَدْ زَانَ الْجِبَاهَا

لَيْسَ بِالشَّكْوَى يُرْدُ الْمُعْتَدِي إِنْمَا بِالنَّارِ يَصْلُونَ لَطَاهَا

1-1-2-2-1-2- بِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِ بِـ(مَنْ):

((مَنْ)) اسْتِفْهَامِيَّةٌ، وَأَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ لِلْعُقُلَاءِ.<sup>(3)</sup> فَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْعَاقِلِ.<sup>(4)</sup> وَهِيَ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ مِنْ ذَوِي

الْعِلْمِ أَوْ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْعَارِضِ الْمُشَخَّصِ لِذِي الْعِلْمِ.<sup>(5)</sup> وَقَدْ تُشْرَبُ ((مَنْ)) الْاسْتِفْهَامِيَّةُ مَعْنَى النَّفْيِ مَعَ ((إِلَّا)).<sup>(6)</sup>

وَتَرْدُ ((ذَا)) بَعْدَهَا مَوْصُولَةٌ أَوْ زَائِدَةٌ.<sup>(7)</sup> وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ((مَنْ)) وَ((ذَا)) مُرَكَّبَتَيْنِ.<sup>(8)</sup> فَـ((مَنْ))، إِذَا، لِلسُّؤَالِ عَنِ

جِنْسِ الْأَعْلَامِ، وَهِيَ تَطْرُحُ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ تَمْدُّدًا صِيَاغِيًّا يُفْصِحُ عَنِ الْوِظِيفَةِ الْإِنْتِاجِيَّةِ لِلأَدَاةِ.<sup>(9)</sup>

و((مَنْ)) مَوْصُوعَةٌ لِلتَّصَوُّورِ فَتَفِيدُ التَّشْخِصَ وَالتَّعْيِينَ وَقَدْ تَخْرُجُ إِلَى مَعَانٍ مَجَازِيَّةٍ كَالنَّفْيِ وَالتَّحْضِيضِ وَغَيْرِهَا.

وَقَدْ وَرَدَ الْاسْتِفْهَامُ بِـ((مَنْ)) فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبُنَى فِي الْقَصِيدَةِ، وَمِنْهَا الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الشَّطْرِ

الثَّانِي مِنَ مَطَّلَعِ قَصِيدَةِ (سَرَايِفُو تَقُولُ لَكُمْ)، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ<sup>(10)</sup>:

تُنَادِيكُمْ وَقَدْ كَثُرَ النَّحِيبُ تُنَادِيكُمْ وَلَكِنَّ مَنْ يُجِيبُ؟

تَعْتَرَتِ الْخُطَا، حَتَّى رَأَيْنَا خُطَانًا لَا تَهَشُّ لَهَا الدُّرُوبُ

(1) نجيب الكيلاني: مدينة الكباثر، ص: 18.

(2) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 11.

(3) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، علم المعاني، ص: 194.

(4) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص: 271.

(5) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 139.

(6) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 438.

(7) المرجع نفسه، مج: 1، ص: 438.

(8) المرجع نفسه، مج: 1، ص: 438.

(9) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص: 291.

(10) عبد الرحمن العشماوي: عندما يئن العفاف، ص: 99.

تُنَادِيكُمْ وَأَهَاتُ التَّكَالِي تُحَدِّثُكُمْ بِمَا اقْتَرَفَ الصَّلِيبُ  
وَتَتَضَمَّنُ بِنِيَّةِ الاسْتِفْهَامِ فِي السِّيَاقِ دِلَالَةَ التَّخْضِيزِ عَلَى النُّهُوضِ وَإِجَابَةِ نِدَاءِ أَهْلِ سَرَايِفُو الْمُسْتَضْعَفِينَ،  
فَلَعَلَّ نِدَاءَاتِهِمْ تُصَادِفُ مَنْ بِهِمْ نَخْوَةٌ الْمُعْتَصِمِ، فَ(مَنْ) دَالَّةٌ عَلَى الْعُمُومِ.

### 1-1-2-3- بِنِيَّةِ الاسْتِفْهَامِ بِ(أَيَّ):

(أَيَّ) الاسْتِفْهَامِيَّةُ اسْمٌ يَأْتِي اسْتِفْهَامًا. (1) وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ. (2) يُسْتَعْمَلُ لِلسُّؤَالِ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ  
الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يَعْمُهُمَا. (3) وَمَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ (أَيَّ) إِنَّمَا هُوَ مُشْتَرِكٌ مَعَ غَيْرِهِ، وَيَكُونُ الْهَدَفُ مِنَ السُّؤَالِ تَمْيِيزَهُ. (4)  
وَلَا بُدَّ فِي هَذِهِ الْبِنِيَّةِ مِنَ وُجُودِ مَنْطِقَةٍ دَلَالِيَّةٍ مَجْهُولَةٍ تَسْعَى الْأَدَاةُ لِلْكَشْفِ عَنْهَا وَتَخْصِصِ طَبِيعَتِهَا. (5) وَهِيَ  
إِضَافَةٌ إِلَى أَنَّهَا أَدَاةٌ مُهْمَتُهَا طَلَبُ (التَّصَوُّرِ) فَإِنَّ لَهَا دِلَالَتَهَا الْخَاصَّةَ الَّتِي تُمَيِّزُهَا، وَقَدْ تَنَزَّحَ عَنْ دِلَالَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ إِلَى  
دِلَالَاتٍ مَجَازِيَّةٍ يَكْشِفُ عَنْهَا السِّيَاقُ، فَقَدْ تَدُلُّ عَلَى النَّفْيِ فِي تَرْكِيبِ اسْتِفْهَامِيٍّ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ (6):

أَحَدَّدُ غَايَاتِي وَأَمْضِي عَلَى هُدًى فَأَعْرِفُ مَا أَبْغِي وَمَا سَوْفَ أَعْمَلُ  
فَإِنَّ ضَعُفَتْ نَفْسِي فَلِلْمَرْءِ عَثْرَةٌ وَأَيُّ فِتْنَى فِي هَذِهِ الدَّارِ يَكْمَلُ؟  
وَتَدُلُّ عَلَى التَّعَجُّبِ فِي تَرْكِيبِ اسْتِفْهَامِيٍّ ثَانٍ؛ يَقُولُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ (7):

أَيُّهَا الْهَاتِفُ بِي إِلَى الْأَمَامِ أَيُّ مَعْنَى فِي دِمَائِي تَأْتِرُ؟  
يَسْتَحْتُ السَّيْرَ دَفَاقَ الدَّوَامِ جَارِفًا كُلَّ عَنَاءٍ قَاهِرًا!  
فِي رُسُوحٍ وَأَطْرَادٍ لَا يَبِيدُ دَائِبِ السَّعْيِ دُؤُوبِ الزَّمَنِ  
كُلُّ يَوْمٍ فِي دُنَا عَزْمٍ جَدِيدٍ نَاهِلِ الْقُوَّةِ نَائِي الْوَهَنِ  
نَاهِلِ الْقُوَّةِ مِنْ مَعْنَى الْحَدِيدِ وَأَنْسِكَابٍ مِنْ جَلَالِ الْفِطَنِ

وَيَقُولُ (8):

وَدِدْتُ الْغِنَى أَقْضِي مَطَالِبَ بَائِسٍ أُوَاسِي جُرُوحًا أَوْ أَبَدُّدُ مِنْ جَهْلٍ  
وَشَرُّ الَّذِي آسَى عَلَيْهِ مَطَالِبٌ لِرُوحِي كَيْبَحَاتُ تَرَدَّدُنْ فِي قُفْلٍ  
غَنِيٌّ أَنَا بِالنَّفْسِ وَالسَّعْدِ وَالْمُنَى فَأَيُّ ثَرَاءٍ يَبْتَغِينِي سِوَى غَلٍّ؟

(1) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 109.

(2) مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 271.

(3) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 139.

(4) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص: 195.

(5) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص: 291.

(6) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 36.

(7) محمد الغزالي: الحياة الأولى، ص: 107.

(8) المصدر نفسه، ص: 109.

وَتَدُلُّ عَلَى التَّعَجُّبِ فِي تَرْكِيْبِ آخَرَ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ فِي مَطَّلَعِ قَصِيْدَةِ (سَلْمٌ.. وَلَكِنْ!)<sup>(1)</sup>:

أَيُّ سَلْمٍ؟ وَعَفَّةُ الْقُدْسِ تَهْوِي كَمَا الْجَلِيدُ فِي ظَلَامَيْنِ مِنْ رُؤْيِ مُرَّةٍ.. وَمَدَى بَلِيدِ

وَتَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ فِي تَرْكِيْبِ اسْتِفْهَامِيٍّ ثَالِثٍ؛ يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمِ فِي رُبَاعِيَّةٍ (مَرَحَبًا رَمَضَانَ!)<sup>(2)</sup>:

أَيُّ شَهْرٍ فِي سَمَانَا قَدْ بَدَأَ كَانَ بِالْأَمْسِ إِبَاءً وَبُطُوْلَةً؟

قَدْ أَضَعَنَاهُ هِبَاءً وَسُدَى مُذْ هَجَرْنَا عِزَّةَ الدِّينِ الْأَصِيْلَةَ

وَحُرْمَتَاهُ صَفَاءً وَهُدَى مُذْ تَبَعْنَا زَيْفَ أَمْجَادِ الْقَبِيْلَةَ

فَمَتَى نَرْجِعُ فِيهِ سَجْدًا وَرَجَالًا، نَعْمَ إِيمَانُ الرَّجُوْلَةَ

فَالِاسْتِفْهَامُ بِـ(أَيُّ) قَدْ مَيَّزَ الشَّهْرَ الْعَظِيمَ مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ وَأَشَادَ بِمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قِيَمٍ سَامِيَّةٍ.

#### 1-1-2-4- بنية الاستفهام بـ(كَمْ):

(كَمْ) كِنَايَةٌ عَنِ عَدَدٍ مَجْهُولِ الْجِنْسِ وَالْمَقْدَارِ،<sup>(3)</sup> اسْتِفْهَامِيَّةٌ بِمَعْنَى ((أَيَّ عَدَدٍ)).<sup>(4)</sup> أَيَّ أَتَتْهَا لِلسُّؤَالِ عَنِ

العَدَدِ.<sup>(5)</sup> وَتَشْتَرِكُ مَعَ (كَمْ) الْحَبْرِيَّةُ الَّتِي تَكُونُ بِمَعْنَى ((كَثِيرٍ)) فِي الْإِسْمِيَّةِ، وَالْإِبْهَامِ، وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى التَّمْيِيزِ، وَالْبِنَاءِ،

وَلِزُومِ التَّصْدِيرِ.<sup>(6)</sup> وَتَفْتَرِقُ عَنْهَا فِي كَوْنِ الْكَلَامِ مَعَهَا لَا يَحْتَمِلُ تَصْدِيقًا وَلَا تَكْذِيبًا، وَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهَا يَسْتَدْعِي

جَوَابًا وَأَنَّ الْإِسْمَ الْمُبْدَلَ مِنْهَا يَقْتَرِنُ بِالْهَمْزَةِ، وَأَنَّ تَمْيِيزَهَا مُفْرَدٌ مَنْصُوبٌ. إِلَّا أَنَّ نُحْرًا هِيَ بِحَرْفِ جَرٍّ.<sup>(7)</sup>

وَتَخْرُجُ (كَمْ) إِلَى دَلَالَةِ الْاسْتِكْنَارِ أَوْ التَّكْثِيرِ. وَقَدْ وَرَدَتْ (كَمْ) حَبْرِيَّةٌ أَكْثَرَ مِنْهَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ فِي الْمَثْنِ الشَّعْرِيِّ،

وَاجْتَمَعَتِ الْوُظَيْفَتَيْنِ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي، يَقُولُ الْقُرْضَاوِيُّ<sup>(8)</sup>:

هَانَتْ أَرْوَاحُ بَنِي الْإِسْلَامِ، فَكَمْ تُعْتَالُ صَبَاحَ مَسَا!

رَخِصَتْ أَعْرَاضُ عَذَارِينَا لَا سِعْرَ لِهِنَّ وَإِنْ بَخْسًا!

أَمِنَ الصَّرْبِيُّ النَّذْلُ، فَمَا يَخْشَى قَوْدًا، فَعَنَّا وَأَسَا!

لَا فِدْيَةَ لَأَدِيَّةً، وَبِـ(كَمْ) يَفْدُونَ الْعَرَضَ الْمُفْتَرَسَا؟!

لَا غَضَبَةً مِنْ حُرِّ شَكْسٍ فَمَتَى نَجِدُ الْحُرَّ الشُّكْسَا؟

مَنْ يَحْمِي لِلْحَرَمِ انْتَهَكْتَ؟ قَدْ عَفْنَا ذَا الْمَرِنِ السَّلْسَا!

مَنْ يَعْضِبُ لِلْبِكْرِ اعْتَصِبْتَ مِنْ عِلْجٍ يَقْضِمُهَا نَجْسًا!

(1) مصطفى الغماري: عرس في مأتم الحجاج، ص: 23.

(2) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 25.

(3) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 261.

(4) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 253.

(5) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 139.

(6) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مج: 1، ص: 253.

(7) المرجع نفسه، مج: 1، ص: 255.

(8) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 86.

فَبِنْيَةٍ (كَمْ) تُعْتَالُ صَبَاحَ مَسَا! حَبْرِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى التَّكْثِيرِ فِي هَذَا السِّيَاقِ التَّعْجِيبِيِّ الْإِنْكَارِيِّ وَبِنْيَةٌ بِـ ((كَمْ)) يَفْدُونَ الْعِرْضَ الْمُفْتَرَسَا؟! إِنْشَائِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى التَّكْثِيرِ أَيْضًا، وَقَدْ تَعَدَّدَتِ الْبِنْيَةُ الْإِنْشَائِيَّةُ مُتَسَاوِقَةً مَعَ الْإِنْفِعَالِ الْمُتَنَامِي فِي الْمَقْطَعِ.

1-1-2-5- بِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِ بِـ (كَيْفَ):

(كَيْفَ) الْعَالِبُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامًا إِمَّا حَقِيقِيًّا أَوْ غَيْرَهُ. (1) وَهِيَ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْحَالِ. (2) وَقَدْ تَخْرُجُ عَنِ الْاسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى التَّعْجُبِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالْإِنْكَارِ. (3) وَغَيْرَهَا مِمَّا يُقَرَّرُهُ السِّيَاقُ. وَقَدْ وَرَدَ الْاسْتِفْهَامُ بِـ (كَيْفَ) دَالًّا عَلَى التَّعْجُبِ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ فِي قَصِيدَةِ (نُقُوشٍ عَلَى وَاجِهَةِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ) (4):

سَاهِرٌ لَمْ أَنَمْ، وَكَيْفَ تَنَالُ النَّوْمَ عَيْنِي، وَدُونَهُ ذَكَرَاكَ؟

وَوَرَدَ دَالًّا عَلَى الْإِنْكَارِ، يَقُولُ الْكَيْلَانِيُّ (5):

لَسْتُ وَحْدِي بَيْنَ هَاتِيكَ الرَّبُوعِ  
فَمَعِيَ اللَّهُ وَأَيَّاتُ الْحُشُوعِ  
كَيْفَ أَخَشَى اللَّيْلَ يَا فَاتِنَتِي  
تَقْتُلُ اللَّيْلَ وَضَاءَاتُ الشُّمُوعِ

وَكَثِيرًا مَا يَرِدُ دَالًّا عَلَى التَّعْجُبِ فِي قَوْلِهِ (6):

وَالْيَأْسُ يَضْرِبُ فِي النَّفُوسِ بِجَذْرِهِ كَيْفَ الصُّعُودُ لِقَمَّةِ شَمَاءٍ؟

وَفِي قَوْلِهِ فِي مَطَلَعِ قَصِيدَةِ (القَمَرِ) (7):

كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا قَمَرَ وَأُنَاجِيكَ فِي السَّحَرِ

وَفِي قَوْلِهِ (8):

كَيْفَ نَحَى بِلَا هَوَى وَالشَّدَى الْحُلُو يَنْدَثِرُ  
وَقِيُودِي تَقِيلَةٌ فَمَتَى الْقَيْدُ يَنْكَسِرُ؟

(1) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب، مج: 1، ص: 282.

(2) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 140.

(3) ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب، مج: 1، ص: 282.

(4) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 48.

(5) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 24.

(6) نجيب الكيلاني: مدينة الكباتر، ص: 80.

(7) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 46.

(8) المصدر نفسه، ص: 6.

وَيَأْتِي الاستفهام بِـ(كَيْفَ) حَامِلًا دَلَالَةَ التَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ فِي قَصِيدَةِ (كَيْفَ أَلْقَاكَ) الَّتِي تَقُومُ بِنَيْتِهَا عَلَى نِظَامِ الرُّبَاعِيَّةِ فَهِيَ تَتَأَلَّفُ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رُبَاعِيَّةً مُتَنَوِّعَةً النَّسَقِ التَّفْغَوِيَّ، تَسْتَهْلُ كُلُّ رُبَاعِيَّةٍ بِنَيْتِةٍ اسْتِفْهَامِيَّةٍ أَدَاتُهَا (كَيْفَ)، وَتَضُمُّ الرُّبَاعِيَّاتُ الثَّلَاثَةُ وَالرُّبَاعَةُ وَالْخَامِسَةُ أَكْثَرَ مِنْ بِنَيْتِةٍ اسْتِفْهَامِيَّةٍ، فَفِي مَطْلَعِ الرُّبَاعِيَّةِ يَرِدُ الاسْتِفْهَامُ الْآتِي (1):

كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا إِلَهِي وَقَلْبِي فِيهِ مَا فِيهِ مِنْ نَزَوَاتٍ  
وَفِي مَطْلَعِ الثَّانِيَةِ تَرِدُ بِنَيْتِةُ الاسْتِفْهَامِ (2):

كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا إِلَهِي وَحَبِي صَارَ كَالرَّقِّ يُشْتَرَى وَيُبَاعَ  
وَتَرِدُ فِي الثَّلَاثَةِ بِنَيْتَانِ اسْتِفْهَامِيَّتَانِ إِحْدَاهُمَا فِي مَطْلَعِ الرُّبَاعِيَّةِ، يَقُولُ (3):

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ فَاضَ بِالظُّلْمِ وَالْجَوَى وَالْمُرُوقِ  
وَالْبِنْيَةُ الثَّانِيَةُ فِي آخِرِ الرُّبَاعِيَّةِ، يَقُولُ (4):

كَيْفَ آتَيْكَ مُثَقَّلًا بِالْخَطَايَا وَسَجِلَ الْحَيَاةِ فَيَضُ عُقُوقِ  
وَفِي مَطْلَعِ الرُّبَاعِيَّةِ الرَّابِعَةِ تَرِدُ بِنَيْتِةُ الاسْتِفْهَامِيَّةِ (5):

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَاللِّسَانُ عَمِي قَدْ تَعَوَّدْتُ أَنْ أَكُونَ صَمُوتًا  
وَفِي الرُّبَاعِيَّةِ الْخَامِسَةِ تَرِدُ ثَلَاثُ بِنَى اسْتِفْهَامِيَّةٍ، الْأُولَى الاسْتِفْهَامُ فِيهَا بِـ(كَيْفَ) فِي مَطْلَعِ الرُّبَاعِيَّةِ (6):

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالصَّحَائِفُ سُودٌ وَالْفُرَّادُ الْمَعْرُورُ مِنْكَ خَلِي؟  
وَالْبِنْيَتَانِ الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثَةُ فِي آخِرِ الرُّبَاعِيَّةِ وَالْاسْتِفْهَامُ فِيهِمَا بِـ(هَلْ) دَالًّا عَلَى النَّفْيِ (7):

هَلْ أَصَحْنَا لِدَعْوَةٍ مِنْ أَمِينٍ هَلْ وَعَيْنًا مَاذَا يَقُولُ النَّبِيُّ  
وَالْبِنْيَةُ السَّادِسَةُ تَرِدُ بِنَيْتِةُ الاسْتِفْهَامِ بِـ(كَيْفَ) فِي مَطْلَعِهَا (8):

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ وَخَطَى عَبْدِكَ الدَّلِيلَ كَسِيحِهِ  
وَتَأْتِي بِنَيْتِةُ الاسْتِفْهَامِ بِـ(كَيْفَ) فِي مَطْلَعِ الرُّبَاعِيَّةِ السَّابِعَةِ (9):

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 55.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر نفسه، ص: 56.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كَيْفَ أَلْقَاكَ لَيْسَ عِنْدِي بُرَاقٌ أَمْتَطِيهِ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالِي  
وَفِي مَطَلَعِ الرَّبَاعِيَّةِ الثَّامِنَةِ (1):

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالْمَطَامِعُ تُلْقِي ظَلْمًا كَثِيبًا عَبْرَ وُجُودِي  
وَفِي مَطَلَعِ الرَّبَاعِيَّةِ التَّاسِعَةِ (2):

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالْكُؤُوسُ بِكَفِّي وَرُؤَى عَالَمِي خَلِيطُ جُنُونِ  
وَفِي مَطَلَعِ الرَّبَاعِيَّةِ الْعَاشِرَةِ (3):

كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا إِلَهِي وَقَلْبِي لَمْ تَضْمَخْهُ نَفْحَةً مِنْ صَفَاءِ  
وَفِي الرَّبَاعِيَّةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ (4):

كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا عَظِيمَ الْعَطَايَا وَأَنَا الْقَابِعُ الشَّحِيحُ عَطَائِي  
وَفِي الرَّبَاعِيَّةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ (5):

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالْفَضَائِلُ صَرَغِي وَأَنَا أَثْرُكَ الرِّذَائِلُ تَسْعِي

وَقَدْ تَتَكَرَّرَ الْبِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِيَّةُ (كَيْفَ أَلْقَاكَ) بِدَلَالَتِهَا الرَّئِيسِيَّةِ فِي مَطَالَعِ رُبَاعِيَّاتِ الْفَصِيدَةِ وَلَكِنَّهَا تُسْهِمُ فِي كُلِّ  
مَرَّةٍ فِي إِتْنَاجِ دِلَالَةِ الْبَيْتِ الْكَلْبِيَّةِ الَّتِي تَكْتَمِلُ فِي مُسْتَوَاهَا الْأُفْقِيَّ بِتَضَافِرِ الْمَعَانِي الَّتِي تَخْتَرِنُهَا الْعُنَاصِرُ اللَّسَانِيَّةُ-الْجَمْلُ  
الْحَالِيَّةُ وَغَيْرُ الْحَالِيَّةِ-الْمُؤَلَّفَةِ لِبِنْيَةِ الْبَيْتِ.

وَيَرُدُّ الْاسْتِفْهَامُ بِـ(كَيْفَ) حَقِيقِيًّا فَيُفِيدُ السُّؤَالَ عَنِ الْحَالِ وَيَأْتِي فِي مُسْتَهْلِ الْمَقْطَعِ (الرَّبَاعِيَّةِ)، يَقُولُ يُوسُفُ  
الْعَظْمُ (6):

قُلْتُ لِلزَّائِرِ إِذْ يَسْأَلُنَا كَيْفَ حَالُ الْقَوْمِ فِي هَذِي الرُّبُوعِ  
إِنْ سَأَلْتَ الصِّدْقَ، فَلْتَصْنَعْ لَنَا مُنْذُ جَفَّتْ فِي مَاقِينَا الدُّمُوعُ  
نَحْنُ شَعْبٌ قَدْ سُلِبْنَا الْوَطْنَا نَحْنُ فِي عُرْيٍ وَالْأَمِ وَجُوعِ  
وَطَعَامُ ((الْعَوْتُ)) لَا يُشْبِعُنَا نَحْنُ لَا يُشْبِعُنَا غَيْرُ الرُّجُوعِ

وَبِهَذَا التَّوْظِيفِ كَانَ الْاسْتِفْهَامُ فِي الْمَقْطَعِ السَّابِقِ مُحْفَظًا لِلْكَلامِ وَمُنْتَشِطًا لِلْقَوْلِ وَدَاعٍ لِتَفْصِيلِ الْجَوَابِ  
وَتَعْدَادِ الْأَحْوَالِ وَتَفْرِيعِ مَا يَعْتَمِلُ فِي النَّفْسِ مِنْ شُعُورٍ.

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص: 57.

(6) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 21.

ويأتي في حَتَامِ المَقْطَعِ (الرُّبَاعِيَّةِ)، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

مَوْطِنِي صَارَ عَلَى الْإَيَّامِ سَبَّهُ      بَعْدَ أَنْ كَانَ إِبَاءً وَمَحَبَّهُ  
أَفْقُهُ ((مَسْرَى)) نَبِيٍّ نَائِرٍ      فِي ظِلَالِ ((الْمُنْتَهَى)) سَبَّحَ رَبَّهُ  
كَمْ غَرَسْنَا أَمَلًا فِي ثُرْبِهِ      وَرَوَيْنَا بِدَمِ الْأَبْرَارِ دَرْبَهُ  
لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ يَحْيَا وَطَنُ      سَلَبَ الْعَاصِبِ وَالْعُدْوَانَ قَلْبَهُ؟  
وَبِهَذَا الْإِسْتِعْمَالِ كَانَ الْإِسْتِفْهَامُ فِي الْمَقْطَعِ الْمُتَقَدِّمِ خُلَاصَةَ الْعَرَضِ وَإِيجَازًا لِلتَّقْرِيرِ.

وَيَرِدُ الْإِسْتِفْهَامُ بِـ (كَيْفَ) فِي سِيَاقٍ مُخْتَلِفٍ عِنْدَ الرَّبَاوِيِّ فَيَأْتِي دَالًّا عَلَى الْخَيْرَةِ الَّتِي تَهْزُ وَجَدَانَ الشَّاعِرِ الْمُتَصَوِّفِ، وَهُوَ يُعَايِنُ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ، يَقُولُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ<sup>(2)</sup>:

حَبِيبِي ...

كَيْفَ أَكَلَّمْتُ مَنْ لَا أَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ  
فِي زُرْقَةِ هَذَا الْبَحْرِ،  
وَيَبْقَى عِنْدَ الشَّطِّ مَحَارَةً؟  
مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ حَبِيبِي  
فَابْعَثْ مِنْكَ بَشَارَةً.

1-1-2-6- بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ بِـ (أَيْنَ):

(أَيْنَ) اسْمٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْمَكَانِ. <sup>(3)</sup> أَي: يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ الْمَكَانِ. <sup>(4)</sup> وَقَدْ تَدْخُلُهُ (مَنْ) فَيَكُونُ سُؤَالًا عَنِ مَكَانِ بُرُوزِ الشَّيْءِ أَوْ تَدْخُلُهُ (إِلَى) فَيَدُلُّ عَلَى مَكَانِ انْتِهَاءِ الشَّيْءِ. <sup>(5)</sup> وَقَدْ تَخْرُجُ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى التَّنْبِيهِ وَغَيْرِهِ. وَقَدْ وَرَدَ الْإِسْتِفْهَامُ بِـ (أَيْنَ) فِي الْقَصِيدَةِ فِي نَمَازِجٍ مُتَنَوِّعَةٍ، مُفْرَدًا بَسِيطًا وَمُتَعَدِّدًا مُرَكَّبًا. وَتَرْتَبُطُ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ بِـ (أَيْنَ) بِدَلَالَةِ التَّوْبِيخِ فِي هَذَا السِّيَاقِ، يَقُولُ الْكَيْلَانِيُّ<sup>(6)</sup>:

عَشَعَشَ الْخَوْفُ فِي بَلَدِ الْأَعْرَابِ      وَتَنَادَى الْأَعْدَاءُ هَلْ مِنْ مُحَارِبِ  
وَاسْتَبَدَّ الْعُرُورُ بَابِنِ يَهُودِ      وَانْبَرَى يَطْعَنُ الْمُدَى وَيُعَالِبِ  
وَتَبَاهَى ((الدُّبُّ)) الْعَشُومُ بَعَزُو      لِبِلَادِ الْأَفْعَانِ وَالْعَزُو صَاحِبِ  
وَيَحِ قَوْمِي أَيْنَ الرِّجَالُ لِيَمْضُوا      فِي لَهَيْبِ الْوَعَى سِرَاعِ النَّجَائِبِ

1-1-2-7- بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ بِـ (أَيُّ):

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 17.

(2) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوارة، ص: 38.

(3) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 140.

(4) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، علم المعاني، ص: 196.

(5) إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 113.

(6) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 10.

(أَنْتَى) اسْمٌ اسْتَفْهَامٌ، يُؤَدِّي دَلَالَةَ (كَيْفَ) أَوْ (مِنْ أَيْنَ) أَوْ (مَتَى). (1) وَإِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى (كَيْفَ) فَهِيَ كِنَايَةٌ عَلَى الْحَالِ. (2) وَقَدْ وَرَدَ الْاسْتَفْهَامُ بِـ(أَنْتَى) فِي بَنِيَّةِ الْمُفْرَدَةِ فِي قَوْلِ الْعَشْمَاوِيِّ (3):

نَسَعَى إِلَى ذُلِّ السَّلَامِ، وَرُبِمَا تَجْرِي الْقَوَافِلُ لَوْ أَبِي حَادِيهَا  
أَنْتَى تَنَالُ الْعِزَّ أُمَّتَنَا إِذَا أَعْطَتْ زِمَامَ أُمُورِهَا غَاوِيهَا؟

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ تَأْتِي (أَنْتَى) بِمَعْنَى (كَيْفَ) دَالَّةً عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي تَبْعِي فِيهَا الْأُمَّةُ نَيْلَ الْعِزِّ وَزِمَامَ أُمُورِهَا بِأَيْدِي الْغَاوِينَ مِنْ أَبْنَائِهَا.

1-1-2-8- بِنِيَّةِ الْاسْتَفْهَامِ بِـ(مَتَى) وَ(أَيَّانَ):

(مَتَى) وَ(أَيَّانَ) لِلسُّؤَالِ عَنِ الزَّمَانِ، وَتُسْتَعْمَلُ (أَيَّانَ) فِي مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ. (4) وَيُسْتَفْهَمُ بِـ(مَتَى) عَنِ الزَّمَانِ مَا ضِيًّا كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلًا، وَيُسْتَفْهَمُ بِـ(أَيَّانَ) عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ. (5) وَرَدَ الْاسْتَفْهَامُ بِـ(مَتَى) فِي نَسَقِهِ الْمُفْرَدِ دَالًّا عَلَى الْاسْتِبْطَاءِ، يَقُولُ الْكَيْلَانِيُّ (6):

قَدْ سَادَنَا الْجَشَعُ الْمَجْثُونُ فِي سَفَهٍ وَكَفٍّ مَجْمَعَنَا التَّدْلِيسُ وَالْوَضْرُ  
وَطَالَ صَمْتُ اللَّيَالِي وَهِيَ حَالِكَةٌ مَتَى تُبِيدُ ظَلَامَ الْيَأْسِ يَا قَمْرُ  
وَيَقُولُ الْعَظْمُ فِي قَصِيدَةِ (إِلَى الشَّامِخِينَ الْأَبَاةِ فِي قِطَاعِ غَزَّةِ!) (7):

مَزَّقِيهَا يَا غَزَّةَ الْأَحْرَارِ وَأَرْفُضِي الْعَيْشَ فِي تِيَابِ الْعَارِ  
وَأَنْفُضِي عَنْكَ كُلَّ فَيْدٍ وَقُومِي كِي تَقُودِي جُمُوعَنَا لِلثَّارِ  
هَاشِمٌ فِي حِمَاكَ يَرْقُبُ فَجْرًا وَيُنَادِي: مَتَى يُفَكُّ إِسَارِي؟

يَتَبَيَّنُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الْاسْتَفْهَامَ فِي نَسَقِهِ الْمُفْرَدِ الْبَسِيطِ قَدْ تَحَقَّقَ فِي بِنِيَّةِ اسْتَفْهَامِيَّةٍ وَاحِدَةٍ نَتِيجَةً لِتَوَثُّرِ انْفِعَالِيٍّ خَفِيفٍ أَوْ لِتَدْفُقِ شُعُورِيٍّ ضَعِيفٍ، وَتَنْعَكِسُ هَذِهِ الْحَرَكَةُ النَّفْسِيَّةُ الشُّعُورِيَّةُ الْمُعْتَدِلَةُ عَلَى الْمُسْتَوَى السَّطْحِيِّ لِبِنِيَّةِ الْاسْتَفْهَامِ اللَّفْظِيَّةِ فَتَكْتَفِي صِيَاغَتِهَا بِأَدَاةٍ وَاحِدَةٍ غَيْرِ مُتَكَرِّرَةٍ بِذَاتِهَا أَوْ بِغَيْرِهَا مِنَ الْأَدَوَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْاسْتَفْهَامِ، وَتَكُونُ حِينئِذٍ - كَمَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ - بِنِيَّةِ الْاسْتَفْهَامِ مُؤَشِّرًا يَتَخَلَّلُ الْقَصِيدَةَ أَوْ أَحَدَ مَقَاطِعِهَا وَيَقْطَعُ مَسَارَهَا الْخَبْرِيَّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَوَقُّفِ انْفِعَالِيٍّ ذَهَبِيٍّ أَوْ تَحَوُّلٍ وَجْدَانِيٍّ فِكْرِيٍّ أَوْ انْحِنَاءِ شُعُورِيَّةٍ أَوْ اسْتِدَارَةٍ نَفْسِيَّةٍ، وَيَتِمُّ هَذَا التَّحَوُّلُ سَرِيعًا بِقَدْرِ مَا يُلْقِي حُمُولَتَهُ الشُّعُورِيَّةَ الْفِكْرِيَّةَ لِيَرْجِعَ إِلَى الْمَسَارِ الْأَوَّلِ. وَبِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ نَهَضَ الْاسْتَفْهَامُ

(1) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأناقها، علم المعاني، ص: 196.

(2) مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 273.

(3) عبد الرحمان العشمواوي: عندما يقن العفاف، ص: 32.

(4) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 140.

(5) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأناقها، علم المعاني، ص: 196.

(6) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 9.

(7) يوسف العظم: الفتية الأبابل، ص: 21.

بوظيفته في تحريك النص وتفعيل حيويته، وهذه وظيفة ينهض بها كل نسق استنفهامي - أو إنشائي - مفرد معزول في سياقات نصية معينة، وإلى جانب ذلك فقد اضطلع بأداء دلالات متنوعة في القصيدة الإسلامية كالاستبطاء، والتعجب، والتنبية، والوعيد، والأمر، والتقرير، والإنكار، والتهمك، والتحويل، والاستبعاد، والتوبيخ، والتعجب، وهذه الدلالات لا تتوقف على بنية الاستنفهام الصغرى المنتجة لها وإنما تتسع إلى بنية البيت أو المقطع الذي يشكّل الاستنفهام بؤرته الدلالية.

## 1-2- بنية الاستنفهام المتعدد أو المركب:

تقع بنية الاستنفهام في هذا التركيب متعددة ومجموعة في موضع أو قسم من القصيدة في الاستهلال أو في غيره، وتتوزع هذه البنى المتلاحمة بحسب الأدوات الدالة على الاستنفهام كأن تكون أداة واحدة متكررة أو أدوات عدة متنوعة وبحسب الدلالة التي تنتجها في سياقات القصيدة.

وتتشكّل بنية الاستنفهام المتعدد في القصيدة من مجموعة من البنى الاستنفهامية المتجاورة في مقطع من القصيدة، وتأتي نتيجة لتوتر انفعالي قوي وتدفق شعوري كثيف يعبر عنه الإلحاح على تكرار أداة استنفهامية في بنية معينة أو تكرار أدوات استنفهامية مختلفة في بنية متعددة أو تكرار بنية استنفهامية محددة. وتنعكس هذه الحركة الشعورية التفسيرية أو الانفعالية الذهنية المفرطة التي يعيشها الشاعر في لحظات من عمر القصيدة على مستوى البنية السطحية في وفرة دوال الاستنفهام وكثرتها في موضع من القصيدة يضيق بها لكتافتها وتستغرق زمناً أطول قبل أن يهدأ التوتر ويعود إلى مستواه الاعتيادي، وتواصل القصيدة مسارها الإخباري.

وقد استنبطت بنية الاستنفهام المتعدد مما ذكره محمد عبد الهادي الطرابلسي عن منهج درسه للاستنفهام في شعر شوقي إذ يقول: "ومن المفيد أن يدرس الاستنفهام بالتركيز على نوع الأدوات المستخدمة لكن فائدة الملاحظات الجزئية تضعف في الدراسة التحليلية الشاملة التي نحن بصدددها، إلا أن الوقوف عند الخصائص العامة لا يخلو من أهمية. فنكتفي بالإشارة إلى أن الشاعر قد ينوع الأداة في المجموعات الاستنفهامية، فيتنوع اتجاه الاستنفهام فيكشف ما في نفس الشاعر من حيرة غالبة وقلق عام، وقد يلتزم بأداة واحدة يرددها في تراكيب متجمعة فيفضي به ذلك إلى ضرب من الرتابة، تطول بها وقفة التأمل عما في نفس الشاعر من طرب خاص".<sup>(1)</sup> ويعدّ الاستنفهام المتعدد أكثر حضوراً في متن القصيدة الإسلامية من قسيمه الآخر، ويتجلى في مجموعة من البنى الاستنفهامية المتلاحمة في قسم من أقسام القصيدة موزعاً على مجموعتين استنفهاميتين؛ مجموعة البنى الاستنفهامية المتشابهة الأداة ومجموعة البنى الاستنفهامية المتنوعة الأداة.

(1) محمد عبد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 352.

وتتضم كل مجموعة استنفهامية مجموعات متنوعة بتنوع أدوات الاستنفهام الموظفة مكررة أو متنوعة، وتقوم كل مجموعة من البنى الاستنفهامية بإنتاج دلالة عامة مشتركة متجاوزة الدلالات الجزئية التي يحددها نوع الأداة وسياق البنية، وتتم عملية إنتاج الدلالة متزامنة مع الوظيفة النصية للاستنفهام الكامنة في تحريك بنى النص وتنشيط علاقاتها من جهة وإقامة اتصال حيوي بين المتكلم والمتلقي، ويلاحظ ذلك من خلال مقارنة مجموعة البنى الآتية.

### 1-2-1- مجموعة البنى الاستنفهامية المتشابهة الأداة:

تتألف هذه المجموعة الاستنفهامية من بنى متنوعة بتنوع أدوات الاستنفهام المستعملة ومتعددة بتعدد مرات تواترها في قصيدة من القصائد أو في مقطع من المقاطع، وإن أبسط صورة ترد على منوالها هذه البنى تضم أداتين أنتين متشابهتين من أدوات الاستنفهام أو بنيتين تتكرر فيهما الأداة ذاتها، ثم تدرج في التركيب والتعقيد. وتتصدر هذه المجموعة بنى الاستنفهام بالهمزة التي تتنوع بحسب كثافة وتكرار أداة الاستنفهام، فيرد الاستنفهام بالهمزة في مقاطع شعرية مشتتلة على بنيتين متجاورتين تتكرر فيهما أداة الاستنفهام الهمزة (أ)، حيث يوظف الشاعر الإسلامي هذا الاستنفهام المزدوج أو المركب في مثله الشعري مستجيباً لحركة الشعور الملح ولتأثير الفكرة المسيطرة على الذهن. وتتوزع هذه المجموعة على بنى الاستنفهام الآتية:

#### 1-1-2-1- بنى الاستنفهام بالهمزة (أ):

يستخدم العُماري بنية الاستنفهام المتعدد في قصيدة (رسالة من مهاجر)، فتظهر الهمزة في بنيتين استنفهاميتين فعليتين يتقدم فيهما الظرف (غداً) للتركيز عليه ويتأخر الفعل المضارع (أناجي.../أبعثر...). والفاعل فيهما الضمير المستتر المقدر بـ(أنا)، وتتقدم المتعلقة الأخرى كالجار والمجرور (في الضياء/في مقل الضحى) على المفعولين (حبيبي/فرحتي)، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

وترف في أذني نسيما الهوى  
عريية الإيقاع والتحنان  
أغداً أناجي في الضياء حبيبي!  
وأذيع في مقل الضحى ألحاني؟  
أغداً أبعثر بين أهلي فرحتي؟  
وأضم في دفء الهوى خلاني؟

(1) مصطفى الغماري: قصائد مجاهدة، ص: 24.

وقد اتخذت البنى الاستفهامية في انزياحها التركيبي الملحوظ نسقاً متوازياً فرضه تعجيل ذكر بعض العناصر وتأجيل أخرى بما يثري المردود الدلالي والمفعول الإيقاعي، وامتد التشكيل التسقي المتوازي إلى البنى المعطوفة على بنى الاستفهام بهذا الشكل:

- بنية استفهامية رئيسية: /أ/غدا/ أناجي/ في الضياء/ حبيتي!  
 - بنية استفهامية ثانوية: /و/ ... /أذيع/في مقل الضحى/ألحاني؟  
 - بنية استفهامية رئيسية: /أ/غدا/ أبعثر/ بين أهلي/ فرحتي؟  
 - بنية استفهامية ثانوية: /و/ ... /أضم/ في دفء الهوى/ حلالي؟

وتشترك بنى الاستفهام في إنتاج دلالة التشويق والتطلع إلى الغد التي تنتشر في المقطع الشعري ويؤكدها الظرف (غداً) والأفعال المضارعة المقيدة به.

وتأتي بنية الاستفهام المتعدد دالة على التعجب في قصيدة (أي العاشقين الزئبق؟!)، يقول العماري<sup>(1)</sup>:

نحنُ الندامى.. آه يا أزهارنا أنموت.. يروينا العفاء وينعق!  
 أنموت؟ كلُّ خميلة تفنى إذن كلُّ العصافير البريئة تحنق!  
 كلُّ الجدائل لا ترفُ شفاهها إلا بليل في المدى يتأق!

وتتردد البنية ذاتها في قوله<sup>(2)</sup>:

أنسيت يا بنت الفئوح العافقي وذا الفقار!  
 الحاملين على الأكف حياتهم أسياف نار!  
 أنسيت أنك إن نسبت فأنت واسطة الفخار

ويوظف العماري البنية الاستفهامية المتعددة للدلالة على التعجب والإنكار في بنيتين فعليتين تشتركان في الأداة والأثر الذي تتركانه في النفس وتختلفان في بنية مكونات البنية؛ يقول في قصيدة (عرس في مآثم الحجاج)<sup>(3)</sup>:

لم تبق في الكاسات غير حنالة يصحو الرفاق لها غداً.. فتدار!  
 عجباً.. أينجب بارباس بدرينا هذي الوجوه.. وليتها أحبار!  
 أترى المسافة أجمتها الرياح أم عقت جواد محمد يا دار!

ويوظف العشماوي البنية ذاتها للدلالة على الوعيد والتخويف، فيقول<sup>(4)</sup>:

(1) مصطفى العماري: مقاطع من ديوان الرفض، ص: 16.

(2) مصطفى العماري: قراءة في آية السيف، ص: 83.

(3) مصطفى العماري: عرس في مآثم الحجاج، ص: 16.

(4) عبد الرحمن العشماوي: عندما بين العفاف، ص: 9.

أَنْسَيْتَ مَا صَنَعَ الْإِلَهُ بِمَنْ طَعَوْا أَوْ مَا ذَكَرْتَ مَصِيرَ ذِي الْأَوْتَادِ؟  
 أَنْسَيْتَ كَيْفَ تَزَعَزَعَتْ مِنْ أَصْلِهَا إِرْمٌ، وَكَانَتْ قَبْلُ ذَاتَ عِمَادٍ؟  
 وَيُوظِّفُهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَوْكِيدِ النَّفْيِ فِي بِنَى اسْتِفْهَامِيَّةٍ اسْمِيَّةٍ؛ يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

أَوْ كَانَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مُتَطَاوِلٌ لَوْ ظَلَّ يَحْكُمُ أُمَّتِي الْقُرْآنُ؟  
 أَوْ كَانَ يَغْدُو الشَّعْرُ مَحْضَ خُرَافَةٍ لَوْ ظَلَّ يَنْشُدُ شِعْرَهُ حَسَّانُ؟  
 وَتَرِدُ بِنِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ دَالَّةٌ عَلَى الشَّكِّ وَالنَّفْيِ فِي بِنَى فِعْلِيَّةٍ وَاسْمِيَّةٍ تُحَدِّفُ فِيهَا الْأَدَاةَ اِحْتِصَارًا  
 وَتُرَكِّزُ عَلَى عَنَاصِرِ الْإِسْنَادِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي الْبِنْيَةِ وَيَقُومُ التَّنْغِيمُ بِوِظَيفَةِ الْأَدَاةِ، وَتُذَكَّرُ لِلتَّكْيِيدِ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ، يَقُولُ  
 مَحْمُودٌ مُفْلِحٌ فِي قَصِيدَتِهِ (عَلَى هَامِشِ حِوَارٍ قَدِيمٍ)<sup>(2)</sup>:

عَرَبٌ نَحْنُ؟ قَالَ لِي: قُلْتُ كَلًّا قَالَ وَالْمَجْدُ.. قُلْتُ مَاضٍ تَوَلَّى  
 قَالَ لَا تُنْكِرِ الْجُنُودَ وَلَا تَرشُقْ بِهَذَا الْمُرَاءِ قَدْحًا مُعَلَّى  
 إِنَّا أُمَّةٌ يَلِيْقُ بِهَا الْمَجْدُ أَمَا أَرْضَعْتَهُ بِالْأَمْسِ طِفْلًا؟  
 مَلْعَبًا لِلنُّجُومِ كَانَتْ رَوَابِينَا وَقَامَاتُنَا مِنَ التَّجْمِ أَعْلَى  
 نَحْنُ مَنْ رَصَّعَ الزَّمَانَ شُمُوسًا وَأَحَالَ الرَّمَالَ مَاءً وَظَلًّا  
 قُلْتُ أَمْسِكَ عَلَيْكَ لَا تَجْرَحِ الْحَرْفَ فَقَدْ مَلَّ أَنْ يُلَاثَ وَيُطْلَى

وَقَدْ تَعَدَّدَ بِنَى الْاسْتِفْهَامِ فِي النَّسَقِ الْمُتَعَدِّدِ لِتَعَدُّدِ الْبِنْيَيْنِ وَتُوَدِّي مُجْتَمِعَةً دِلَالَةَ اللَّوْمِ وَالتَّقْرِيعِ؛ يَقُولُ  
 الْعَشْمَاوِيُّ فِي قَصِيدَةِ (قَضِي الْأَمْرِ)<sup>(3)</sup>:

أَنْسَيْتَ الْأَطْفَالَ عَضَّهِمُ الْبُؤْسُ، وَعَاشُوا الْحَيَاةَ ذَلًّا وَيُتَمَّأ؟  
 أَنْسَيْتَ الْمُسْتَوْطَنَاتِ وَمَازَا لَوْ يُقِيمُونَهَا اعْتِدَاءً وَظُلْمًا؟  
 أَنْسَيْتَ الدَّمَاءَ؟ فَاسْأَلْ رَبًّا سِينَا ءَ وَأَسْأَلْ أَرْضَ السُّوَيْسِ وَشَرَّمَا  
 كَمْ قَتِيلَ عَانَقَ الرَّمْلَ فِيهَا وَقَضَى وَالْفُرَادُ بِالْجُرْحِ يَدْمَى

وَتَأْتِي بِنِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ الثَّلَاثِيَّ الْأَدَاةِ، وَأَدَاتُهُ الْهَمْزَةُ مُوزَعًا بَيْنَ الْبِنْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ وَالْبِنْيَةِ الْاسْمِيَّةِ مُنْتَجًا عَبْرَ  
 تَكَرُّرِهِ دِلَالَةَ النَّفْيِ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ<sup>(4)</sup>:

إِيهِ يَا مُقَلَّةَ الضُّحَى زَيَّفُوا الْحَرْفَ فَ فَعَامَتِ حُدُودُهُ وَسِمَاتُهُ!  
 عَلَّمُونَا فَنَ النَّفَاقِ فَرَاجَتِ سُوْفُهُ عِنْدَنَا.. وَنَحْنُ دُعَاتُهُ!  
 نَحْنُ نُجَارُهُ.. أَيَفْلِحُ شَعْبٌ فِي الْوَرَى كُلُّ هَمِّهِ شَهَوَاتُهُ!

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 26.

(2) محمود مفلح: إنما الصحوه، ص: 12.

(3) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 18.

(4) مصطفى الغماري: قصائد مجاهدة، ص: 86.

أُمَحَالٌ يَا رَبَّ أَنْ نَزْرَعَ الْحَبَّ فَتَشَالَ فِي الرَّبِيِّ غَيْمَاتُهُ؟  
أُمَحَالٌ أَنْ يُشْرِقَ الرَّفْضُ سَيْفًا قَادِسِيًّا.. تَرُودُهُ آيَاتُهُ؟

تَرُدُّ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ مُوزَعَةً عَلَى أَرْبَعِ بَنَى اسْتِفْهَامِيَّةٍ اسْمِيَّةٍ؛ دَخَلَتْ الْهَمْزَةُ فِي الْبِنِيَّةِ الْأُولَى عَلَى جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ مُثَبَّتَةٍ تَقَدَّمَ فِيهَا الْخَبْرُ النَّكْرَةُ لِلْعِنَايَةِ بِهِ، وَدَخَلَتْ فِي الثَّلَاثَةِ الْآخَرَ عَلَى جُمْلٍ اسْمِيَّةٍ مَنَسُوحَةٍ بِالْفِعْلِ النَّاقِصِ (لَيْسَ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى النَّفْيِ، يَقُولُ مَحْمُودٌ مَفْلِحٌ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ<sup>(1)</sup>:

أَصْخَرَةٌ أَنَا يَا دَرْعًا وَقَدْ نَزَفْتُ كُلَّ الْجِرَاحِ عَلَى وَقَعِ السَّكَاكِينِ؟  
تُتَوَشُّنِي طَعَنَاتُ اللَّيْلِ فَالْتَمِسِي حُمَى الْجِرَاحِ فَإِنَّ اللَّمْسَ يَشْفِينِي  
أَلَيْسَ لِي فِيكَ دَرْبٌ قَدْ مَشَيْتُ بِهِ وَمَنْهَلٌ كَانَ مِثْلَ الشَّهِيدِ يَسْقِينِي  
أَلَيْسَ لِي فِيكَ أَيَّامٌ مُعْتَقَةٌ بِهَا تَضَوُّعٌ شِعْرِي كَالرِّيَّاحِينَ؟  
أَلَيْسَ لِي زُورُقٌ مَا كَانَ أَسْلَسَهُ وَمَوْجَةُ الْعَصْرِ تُقْصِبُنِي وَتُدْنِينِي؟

أَمَّا بِنِيَّةُ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ فَإِنَّ بِنَاءَ الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ قَدْ دَخَلَتْ فِيهَا الْهَمْزَةُ عَلَى جُمْلٍ فِعْلِيَّةٍ مُثَبَّتَةٍ فَعَلُّهَا مُضَارِعٌ، يَقُولُ حَسَنُ الْأَمْرَانِيِّ<sup>(2)</sup>:

وَإِنَّ السَّيْفَ مَحَاءَ الْخَطَايَا

وَالْأَنَامَ ظَمَاءَ

فُصْبِي مِنْ دَمِي وَرِدِي

وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ قَوَدِ

أَأَحْبِسُ فِيكَ أَشْوَاقِي

أَأَكْتُمُهَا وَأَعْمَاقِي

بِهَا نَارِ

وَجُرْحٌ كَاصْطِرَاعِ الْمَوْجِ نَعَّارِ

وَتَارِيخٌ كَمِثْلِ قَلَائِدِ الشُّهَدَاءِ فَوَّارِ؟

أَأُطْفِئُ نَارَكَ الْخَضْرَاءِ

تَكَادُ تُضِيءُ بَيْنَ جَوَانِحِي؟

أَأَهْدُ صِرْحَ (مَوَاقِفِي) الْكُبْرَى

كَأَنِّي كُنْتُ أَكْتُبُ مَوْتِي الْقُدْسِيَّ

فَوْقَ الرِّيحِ، فَوْقَ الْمَاءِ!

(1) محمود مفلح: إما الصحوة، ص: 24.

(2) حسن الأمراني: مملكة الرماد، ص: 57.

وَتَأْتِي بِنْيَةَ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ مُوزَعَةً عَلَى بِنْيِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ مُتَعَدَّدَةٍ، وَيَبْلُغُ ذِرْوَةَ كَثافتهِ وَقِمَّةَ تَعْقُدِهِ حِينَ يَتَجَاوَرُ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ الْبِنْيِ الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ الْاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ فِي مَقْطَعٍ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوْ فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا، فَيَكُونُ الْإِسْتِفْهَامُ ظَاهِرَةً مَلْحُوظَةً لَا تُحْطِئُهَا الْعَيْنُ. وَقَدْ تُشَكَّلُ بِنْيُ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَكَرِّرَةِ الْمُوحَّدَةِ الْأَدَاةِ فِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ تَرَكَيبَ مُتَوَازِيَةٍ مُنْتَظِمَةٍ عَلَى مَنَوَالٍ تَرْكَيبِيٍّ مُتَشَابِهٍ وَمُصَاغَةٍ عَلَى نَمَطٍ تَعْبِيرِيٍّ مُتَمَاثِلٍ، وَتَتَحَسَّدُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ فِي قَصِيدَةِ (حِوَارِ أَمَامِ بَوَابَةِ الْهَزِيمَةِ)<sup>(1)</sup> الَّتِي تَتَنَوَّعُ فِيهَا الْبِنْيُ الْإِسْتِفْهَامِيَّةُ بَيْنَ الْاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ وَبَيْنَ الْمُثَبَّتَةِ وَالْمَنْفِيَّةِ بِـ(لَيْسَ) أَوْ بِـ(مَا) وَ(لَمْ)، فَالْقَصِيدَةُ مُكَوَّنَةٌ مِنْ خَمْسِينَ بِنْيًا يَحْتَلُّ الْإِسْتِفْهَامُ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ بِنْيًا مِنْهَا، وَتَبْدَأُ سَلْسِلَةُ الْبِنْيِ الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ الْمُتَرَابِطَةِ مِنَ الْبَيْتِ التَّاسِعِ، وَتَتَّصِلُ حَلَقَاتُهَا إِلَى الْبَيْتِ السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ-بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْإِنْقِطَاعِ الْحَادِثِ فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ عَشَرَ- لِتَنْقَطِعَ فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ وَالثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ، وَتُعَاوِدُ الْبِنْيُ الْإِسْتِفْهَامِيَّةُ تَوَاصُلَهَا فِي الْآيَاتِ التَّاسِعِ وَالثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ وَالْوَاحِدِ وَالْأَرْبَعِينَ، وَتَنْقَطِعُ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَالْأَرْبَعِينَ وَالثَّلَاثِ وَالْأَرْبَعِينَ وَالرَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ، وَتُعَاوِدُ إِلَى الظُّهُورِ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ وَالسَّادِسِ وَالْأَرْبَعِينَ وَالسَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ، وَتَخْتَفِي فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَبَقِّيَّةِ.

فَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ يَتَوَزَّعُ الْإِسْتِفْهَامُ فِي الْقَصِيدَةِ وَيُهَيِّمُنُ بِشَكْلٍ مُطْلَقٍ مِنَ الْبَيْتِ التَّاسِعِ إِلَى غَايَةِ الْبَيْتِ السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ حَيْثُ تَتَدَفَّقُ بُنَاهُ بِلَا انْقِطَاعٍ مُتَرَجِّمَةً عَنِ الشُّعُورِ الْمُؤَلِّمِ الْمُتَدَفِّقِ فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ مِنْ وَقَعِ الْأُمَّةِ الْمُؤَسَّفِ وَمُعْبِرَةً عَنِ النَّفْسِ الشُّعْرِيِّ الطَّوِيلِ الْمُتَمِّيزِ، وَهِيَ بِهَذَا التَّدَفُّقِ تُشَكِّلُ مَقْطَعًا شِعْرِيًّا اسْتِفْهَامِيًّا نَامِيًّا تَكْتَنِفُهُ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ انْفِعَالِيَّةٌ عَارِمَةٌ وَشَدِيدَةٌ التَّوَثُّرُ لَا تَخْفُتُ إِلَّا عِنْدَ تِلْكَ الْإِنْقِطَاعَاتِ الَّتِي تَكْسِرُ مِنْ حِدَّةِ مَوْجِهِ الطَّاعِي. وَتَرْتَبِطُ آيَاتُ الْمَقْطَعِ الْإِسْتِفْهَامِيِّ بِوَأَسْطَةِ التَّدَاعِيِ الذَّهْنِيِّ الْإِسْتِدْكَارِيِّ وَالْوَجْدَانِيِّ الْإِنْفِعَالِيِّ بِالَّذِي يُؤَلِّفُ مَضْمُونًا وَمُحْتَوَى الْبِنْيِ الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ، وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ الْهَمْزَةَ هِيَ أَدَاةُ الْإِسْتِفْهَامِ الْأَثِيرَةِ فِيهَا، وَأَنَّ الْوَاوَ هِيَ حَرْفُ الْعَطْفِ الرَّابِطِ بَيْنَهَا، وَقَدْ جَاءَتْ الْهَمْزَةُ مُتَّصِدْرَةً وَمُتَقَدِّمَةً عَلَى حَرْفِ الْعَطْفِ فِي أَغْلِبِهَا، وَهَذَا الرَّبْطُ بِوَسِيلَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ أَوْ اللَّفْظِيَّةِ يَكْشِفُ عَنِ جَانِبٍ مِنْ تَمَاسُكِ الْقَصِيدَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَيُمْكِنُ تَصْنِيفُ الْبِنْيِ الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ إِلَى بِنْيِ اسْمِيَّةٍ وَفِعْلِيَّةٍ، فَالْاسْمِيَّةُ تُشَمَلُ الْبِنْيُ الْاسْمِيَّةَ الْمُثَبَّتَةَ وَالْمَنْفِيَّةَ، وَرَدَّتْ الْبِنْيُ الْإِسْتِفْهَامِيَّةُ الْاسْمِيَّةُ مَنْسُوخَةً بِفِعْلِ نَاقِصٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ؛ ثَلَاثٌ مِنْهَا مُتَجَاوِرَةٌ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ وَمِنْ ثَمَّ تُؤَدِّي كُلُّ بِنْيَةٍ دَلَالَةً جُزْئِيَّةً وَتُؤَدِّي مُشْتَرِكَةً مَعَ غَيْرِهَا دَلَالَةً كَلِّيَّةً، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ<sup>(2)</sup>:

قُلْ لِي-أَبِي-أَنْظَلُ نَأْكُلُ خُبْزَنَا وَعَلَيْهِ مِنْ دَمِنَا الْمِرَاقِ إِدَامُ؟!!

قُلْ لِي-أَبِي-أَنْظَلُ نَشْرَبُ مَاءَنَا وَالْقُدْسُ يَهْتِكُ عَرِضُهَا وَتَضَامُ؟!!

(1) عبد الرحمن العشماوي: عندما يئن العفاف، ص: 37.

(2) المصدر نفسه، ص: 37.

قُلْ لِي -أَبِي- أَيُّبْتُ طِفْلٌ سَاهراً فِي كَفِّهِ حَجَرٌ، وَنَحْنُ نَنَامُ!  
وَتَرْدُ بِنَيَّانِ اثْنَتَانِ مُتَجَاوِرَتَانِ فِي سِيَاقٍ آخَرَ وَبِقَدْرِ مَا تَسْتَقِلُّ كُلُّ بِنْيَةٍ بِدِلَالَتِهَا الْجُزْئِيَّةِ فَإِنَّهَا تُسْنَمُ إِلَى  
جَانِبِ الْبِنْيَةِ الْأُخْرَى فِي إِنْتَاجِ دَلَالَةِ كَلِمَةٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا السِّيَاقُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

قُلْ لِي -أَبِي- أَنْظِلُّ نَعْلَكَ صَمْتَنَا وَعَلَى الْأَنْوْفِ مَذَلَّةٌ وَرَغَامُ!  
أَنْظِلُّ نَخْفِضُ لِلصَّلِيبِ رُؤُوسَنَا وَيَنَامُ فَوْقَ فِرَاشِنَا الْحَاخَامُ!  
وَلَعَلَّ الدَّلَالََةَ الْمُشْتَرَكَةَ الَّتِي تُؤَدِّيهَا بِنَى الْاسْتِفْهَامِ فِي هَذَا التَّسْقِ الَّذِي تَتَكَرَّرُ بَعْضُ مُكَوِّنَاتِهِ تَمَثُّلٌ فِي اللَّوْمِ  
وَالْعِتَابِ الْمُوَجَّهَيْنِ لَيْسَ إِلَى الْأَبِ الْمُخَاطَبِ فِي الْقَصِيدَةِ وَإِنَّمَا إِلَى كُلِّ مُتَلَقٍ.

وَوَرَدَتْ الْبِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْأَسْمِيَّةُ الْمَنْفِيَّةُ حَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً تَنْوَعُ النَّفْيُ فِيهَا بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْحَرْفِ، فَقَدْ وَرَدَ  
النَّفْيُ بِالْفِعْلِ (لَيْسَ) أَرْبَعٌ مَرَّاتٍ؛ ثَلَاثٌ مِنْهَا اسْتَقَلَّتْ فِيهَا بِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِ بِالْبَيْتِ كُلِّهِ، وَأَتَتْ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ  
فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(2)</sup>:

وَعَلَى رَصِيفِ اللَّيْلِ طِفْلٌ وَاجِمٌ نَظْرَاتِهِ نَحْوَ الْقُلُوبِ سِهَامٌ  
وَسُؤَالُهُ الْمَلْهُوفُ يَحْرِقُ مُهَجَّتِي أَوْلَيْسَ دِينِي يَا أَبِي الْإِسْلَامُ!  
أَوْلَيْسَ مَنَهَجٌ أُمَّتِي قُرَائِنُهَا فِيهِ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ مَقَامُ!  
أَوْلَيْسَ قُدُوتَنَا الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ تُهْدِي إِلَيْهِ صَلَاتُنَا وَسَلَامُ!  
وَالْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا بِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِ الْمَنْفِيَّةِ بِ(لَيْسَ) مُقْتَصِرَةً عَلَى عَجْزِ الْبَيْتِ وَمُنْخَلِيَّةً عَنِ الصَّدْرِ  
لِبِنْيَةِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ مَنْفِيَّةٍ بِ(مَا) فِيهِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(3)</sup>:

أَوْ مَا لَنَا أَبْتَاهُ عَزْمٌ صَادِقٌ أَوْلَيْسَ بَيْنَ صُفُوفِنَا مِقْدَامُ؟  
وَوَرَدَ الْاسْتِفْهَامُ الْمَنْفِيُّ بِالْحَرْفِ (مَا) سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ ثَلَاثٌ مِنْهَا مُتَجَاوِرَةٌ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(4)</sup>:

أَوْ مَا لَنَا فِي الْمَجْدِ أَلْفُ حِكَايَةٍ تَعَبَتْ عَلَى تَدْوِينِهَا الْأَقْلَامُ!  
أَوْ مَا جَحَرَتْ أَنْهَارُنَا رَفْرَاقَةً بِالْخَيْرِ، تُرْفَعُ فَوْقَهَا الْأَعْلَامُ!  
أَوْ مَا لَدَيْنَا التَّبَعُ يَصْفُو مَاؤُهُ وَعَلَيْهِ مِنْ شَعْفِ الْقُلُوبِ زِحَامُ!

وَتَلَاثٌ أُخَرَ مُتَجَاوِرَاتٌ فِي سِيَاقٍ مُخْتَلِفٍ فِي قَوْلِهِ<sup>(5)</sup>:

أَوْ مَا لَنَا أَبْتَاهُ عَزْمٌ صَادِقٌ أَوْلَيْسَ بَيْنَ صُفُوفِنَا مِقْدَامُ؟  
أَوْ مَا لَنَا فِي السَّلْمِ نَهْجٌ وَاضِحٌ أَوْ مَا لَنَا وَقْتُ الْحُرُوبِ حُسَامُ؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 38.

(2) المصدر نفسه، ص: 34.

(3) المصدر نفسه، ص: 37.

(4) المصدر نفسه، ص: 34.

(5) المصدر نفسه، ص: 37.

أَوْ مَا لَنَا فِي عَالَمِ الْيَوْمِ الَّذِي يَجْرِي طَرِيقُ وَاضِحٍ وَنِظَامٍ؟!  
 وَمَرَّةً وَاحِدَةً جَاءَتْ فِيهَا بِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِ الْمَنْفِيِّ بِـ(مَا) مُنْفَرِدَةً فِي بَيْتٍ شِعْرِيٍّ فِي قَوْلِهِ (1):  
 أَوْ مَا سَرَى فِي الْكَوْنِ صَوْتُ بِلَانِنَا وَعَلَى صَدَاهُ تَهَاوَتِ الْأَصْنَامُ؟!  
 وَوَرَدَ الْاسْتِفْهَامُ الْمَنْفِيُّ بِـ(لَمْ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مُتَفَرِّقَةً فِي بُنَى اسْمِيَّةٍ مَنْسُوخَةٍ بِـ(يَكُنْ)، أَتَتْ الْبِنْيَةَ الْأُولَى فِي  
 قَوْلِ الشَّاعِرِ (2):

أَوْ لَمْ نَكُنْ جِسْرَ النَّجَاةِ لِعَالَمٍ يَشْفَى بِهِ الضُّعْفَاءُ وَالْأَيْتَامُ!  
 وَأَتَتْ الْبِنْيَةَ الثَّانِيَةَ فِي قَوْلِهِ (3):

أَوْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُ السَّلَاسِلِ لَوْحَةً مَرْسُومَةً، وَإِبَاؤُنَا الرَّسَامُ؟!  
 وَأَتَتْ الْبِنْيَةَ الثَّلَاثَةَ فِي قَوْلِهِ (4):

أَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْقَادِسِيَّةِ قِصَّةً أَدْلَى بِوَصْفِ شُمُوحِهَا الصَّمَامُ؟!  
 وَأَمَّا الْبِنْيَةُ الرَّابِعَةُ فَقَدْ جَاءَتْ فِي قَوْلِهِ (5):

أَوْ لَمْ تَكُنْ فِي عَيْنِ جَالُوتٍ لَنَا هِمٌّ لِرَدِّعِ الْمُعْتَدِينَ عِظَامُ؟!  
 وَتَنْهَضُ الْبُنَى الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْاسْمِيَّةُ الْمُنْفِيَّةُ بِدَلَالَةِ التَّقْرِيرِ مُنْفَرِدَةً وَتَقُومُ بِدَلَالَةِ التَّمَجِيدِ وَالِافْتِحَارِ مُجْتَمِعَةً فِي  
 سِيَاقٍ وَاحِدٍ.

أَمَّا الْبُنَى الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ فَتَشْتَمِلُ عَلَى سِتِّ عَشْرَةِ بِنْيَةٍ؛ مِنْهَا أَرْبَعُ بُنَى فِعْلِيَّةٍ مُثَبَّتَةٍ وَأَثْنَتَا  
 عَشْرَةَ بِنْيَةٍ مَنْفِيَّةٍ، فَقَدْ وَرَدَتْ الْبُنَى الْفِعْلِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْمُنْفِيَّةُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْقَصِيدَةِ، ثَلَاثٌ مِنْهَا فِي آيَاتٍ  
 مُتَجَاوِرَةٍ، وَوَاحِدَةٌ فِي بَيْتٍ مُنْفَرِدٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (6):

أَوْ هَكَذَا نَنْسَى الْمَفَاخِرَ، مِثْلَمَا يُنْسِي الصَّغِيرَ هَوَى الرِّضَاعِ فِطَامُ؟!  
 أَوْ هَكَذَا أَبْتَاهُ تَسْكُرُ أُمَّتِي سَكْرًا يُقَدِّمُ كَأْسَهُ الْإِعْلَامُ؟!  
 أَوْ هَكَذَا تَطْوِي عِزَائِمَ جِيلِنَا قِصَصٌ تُصَوِّرُ فُحْشَهَا الْأَفْلَامُ؟!  
 وَوَرَدَتْ الْبِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْمُنْفَرِدَةُ فِي قَوْلِهِ (7):

أَوْ هَكَذَا أَبْتَاهُ نَنْسَى دِينَنَا وَيُزِيحُنَا عَنْ مَجْدِنَا اسْتِسْلَامُ؟!  
 وَوَرَدَتْ الْبِنْيَةُ الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْمُنْفَرِدَةُ فِي قَوْلِهِ (8):

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 35.

(2) المصدر نفسه، ص: 34.

(3) المصدر نفسه، ص: 35.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص: 36.

(6) المصدر نفسه، ص: 36.

(7) المصدر نفسه، ص: 38.

وَتَشْتَرِكُ بِنِيِ اسْتِفْهَامِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُنْفِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ فِي تَوْطِيدِ دَلَالَةِ التَّعَجُّبِ.  
وَتَنَوَّعَتِ الْبُنَى الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُنْفِيَّةُ بَيْنَ بِنَى مُنْفِيَّةٍ بِـ(مَا)، وَهِيَ ثَلَاثُ بِنَى وَارِدَةٌ فِي آيَاتٍ مُنْفَرَدَةٍ؛ الْبِنِيَّةُ  
الْأُولَى فِي قَوْلِهِ<sup>(1)</sup>:

أَوْ مَا جَرَتْ أَنْهَارُنَا رَقْرَاقَةً بِالْخَيْرِ، تُرْفَعُ فَوْقَهَا الْأَعْلَامُ؟!  
وَالْبِنِيَّةُ الثَّانِيَّةُ فِي قَوْلِهِ<sup>(2)</sup>:

أَوْ مَا سَرَى فِي الْكَوْنِ صَوْتُ بِلَالِنَا وَعَلَى صَدَاهُ تَهَاوَتِ الْأَصْنَامُ؟!  
وَالْبِنِيَّةُ الثَّلَاثَةُ فِي قَوْلِهِ<sup>(3)</sup>:

أَوْ مَا رَأَى الْيَرْمُوكَ كَيْفَ اسْتَبَشَّرَتْ بِيُزُوعٍ فَجَرِ الْمُسْلِمِينَ الشَّامُ؟!  
وَوَرَدَتِ الْبُنَى الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمُنْفِيَّةُ بِـ(لَمْ) تِسْعَ مَرَّاتٍ، فَسَبْعُ بِنَى جَاءَتْ مُتَّجَاوِرَةً فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ فِي  
قَوْلِهِ<sup>(4)</sup>:

أَوْ لَمْ نُعَلِّقْ فِي الْمَدَائِنِ شَمْعَةً بِيَضَاءِ فَرَّ أَمَامَهَا الْإِظْلَامُ؟!  
أَوْ لَمْ نُلْقِنْ قَيْصِرًا وَحُشُودَهُ دَرَسَاتِحَارُ أَمَامَهُ الْأَفْهَامُ؟!  
أَوْ لَمْ نَدْعُ كِسْرَى عَلَى إِيْوَانِهِ يَبْكِي، وَتَأْكُلُ صَدْرَهُ الْأَلَامُ؟!  
أَوْ لَمْ يُسَلِّمْ جَاذَوِيَهُ سِلَاحَهُ فَرَقًا، وَيَنْدُبُ حَظَّهُ بَهْرَامُ؟!  
أَوْ لَمْ تَحْضُنْ بَحْرَ الْبُطُولَةِ خَيْلِنَا وَبَقَلْبَ أَنْدَلُسٍ لَهَا إِعْظَامُ؟!  
أَوْ لَمْ تُقَلِّ لِلصَّيْنِ خَيْلٌ قَتِيَّةٌ جُنَّا يَزِفُّ صَهِيلَنَا الْإِقْدَامُ؟!  
أَوْ لَمْ تَصْنَعْ حَطِّينَ لِحْنَا خَالِدًا تَهْفُو إِلَى أَنْعَامِهِ الْأَنْعَامُ؟  
وَوَرَدَتِ بِنَيَاتَانِ مُفْتَرِقَتَانِ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْقَصِيدَةِ، الْبِنِيَّةُ الْأُولَى فِي قَوْلِهِ<sup>(5)</sup>:  
أَوْ لَمْ تَصْغُ بَدْرٌ بِدَايَةِ مَجْدِنَا لَمَّا تَهَاوَتِ عِنْدَهَا الْأَرْقَامُ؟!  
وَالْبِنِيَّةُ الثَّانِيَّةُ فِي قَوْلِهِ<sup>(6)</sup>:

أَوْ لَمْ يَقُمْ بِالْفَتْحِ صَرْحُ عَقِيدَةٍ فِي صَدْرِهَا لِلْمَكْرَمَاتِ وَسَامُ؟!  
وَجَمِيعُ بِنَى الْاسْتِفْهَامِ الْمُنْفِيَّةِ تَتَجَاوَرُ دَلَالَةَ التَّقْرِيرِ إِلَى الْإِسْهَامِ فِي دَلَالَةِ التَّمْجِيدِ وَالْفَخْرِ بِمَكَاسِبِ الْأُمَّةِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ عِبْرَ التَّارِيخِ. وَقَدْ كَشَفَتْ بِنِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ فِي نَمَازِجِهِ السَّلْفَةِ عَنِ خَاصَّةِ تَعْبِيرِيَّةٍ تَرْتَبِطُ بِتَكَرَّرِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 34.

(2) المصدر نفسه، ص: 35.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص: 36.

(5) المصدر نفسه، ص: 34.

(6) المصدر نفسه، ص: 35.

بِنِيَاتِهِ، وَهِيَ خَاصَّةُ التَّطْرِيبِ أَوْ الطَّرْبِ الَّتِي تُخْفِي مَا لِلرَّتَابَةِ النَّاتِجَةِ عَنْ تَرْدِيدِ الْبُنَى الْمُتَمَاثِلَةِ مِنْ دَوْرٍ سَلْبِيٍّ قَدْ يُفْقَدُ النَّمَطَ الْإِنْشَائِيَّ حَيَوِيَّتَهُ وَحَرَكَتَيْهِ فِي النَّصِّ.

### 1-2-1-2- بني الاستفهام بـ(هل):

وَلَا تُنْحَصِرُ بِنِيَّةِ الْاسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ فِي الْبُنَى الْقَائِمَةِ عَلَى الْهَمْزَةِ وَإِنَّمَا يَتَّسِعُ لِكُلِّ الْبُنَى، فَيَسْتَعْمِلُ الْقَرَضَاوِي نَسَقًا تَتَكَرَّرُ فِيهِ الْأَدَاةُ (هَلْ) ظَاهِرَةً فِي بِنِيَّتَيْنِ اسْمِيَّتَيْنِ مَنَسُوخَتَيْنِ بِالْفِعْلِ النَّاقِصِ (كَانَ)، وَقَدْ اعْتَمَدَ الشَّاعِرُ النَّسَقَ الْمُتَعَدِّدَ لِرَفْضِ مَبْدَأِ الْفَصْلِ بَيْنَ الدِّينِ وَالسِّيَاسَةِ، وَلِتَوْكِيدِ النَّفْيِ الَّذِي تُفِيدُهُ كُلُّ بِنِيَّةٍ أَوْ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الدِّينَ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالسِّيَاسَةِ وَيَعْتَقِدُ خِلَافَ مَا يُثْبِتُهُ التَّارِيخُ مِنْ حَقَائِقَ تُقَرُّ بِأَنَّ الدِّينَ شَامِلٌ لِكُلِّ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، يَقُولُ الْقَرَضَاوِي فِي الْمَقْطَعِ الْآتِي مِنْ قَصِيدَةٍ (فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ)<sup>(1)</sup>:

فَقُلْ لِمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدِّينَ مُنْفَصِلٌ عَنِ السِّيَاسَةِ: خُذْ يَا غَرُّ رُهْبَانَا  
هَلْ كَانَ أَحْمَدُ يَوْمًا حَلَسَ صَوْمَعَةً؟ أَوْ كَانَ أَصْحَابُهُ فِي الدَّيْرِ رُهْبَانًا؟  
هَلْ كَانَ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ مَرْجِعَهُمْ؟ أَوْ كَانَ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ سُلْطَانًا؟  
لَا بَلْ مَضَى الدِّينُ دُسْتُورًا لِدَوْلَتِهِمْ وَأَصْبَحَ الدِّينُ لِلْأَشْخَاصِ مِيزَانًا  
وَيَعْنِي النَّفْيِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْاسْتِفْهَامُ بـ(هل) أَنَّ فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَكُنْ حَلَسَ صَوْمَعَةً  
وَلَا كَانَ أَصْحَابُهُ رُهْبَانًا فِي الدَّيْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مَرْجِعَهُمْ غَيْرَ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَكُنْ سُلْطَانَهُمْ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ.  
وَيُوظَّفُ هَذِهِ الْبِنِيَّةَ دَالَّةً عَلَى التَّقْرِيرِ أَوْ التَّعْجُبِ لِلْمَصِيرِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ بَعْضُ الشُّبَابِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَيْدِي  
الْحُكَّامِ الظَّالِمِينَ؛ يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

هَلْ كَانَ جُرْمُكَ أَنْ عَزَفْتَ عَنِ الْخَنَا وَعَقَفْتَ عَنْ وَرْدِ لَهُمْ مَوْرُودٍ؟!  
هَلْ كَانَ جُرْمُكَ أَنْ تَعِيشَ لِفِكْرَةٍ لَا لِلْمُجُونِ وَلَا ابْنَةِ الْعُنُقُودِ؟!  
وَيَسْتُخْدِمُ وَوَلِيدَ قِصَابِ الْبِنِيَّةِ نَفْسَهَا فِي قَصِيدَةٍ (تَأْمَلَاتُ فِي لَيْلِ الْقَهْرِ)<sup>(3)</sup>:

فِي لَيْلٍ مُعْتَكِرٍ أَغْبَرُ

.....

وَبُنُو قَوْمِي فِيهِ الْأَمْوَاتُ

جُبْنٌ، حَوْرٌ، وَشَتَاتُ

قَهْرٌ، قَيْدٌ، ذُلٌّ

رَأْسٌ نُكِسَتْ لَا تَعْلُو

(1) يوسف القرضاوي: نفحات ولفحات، ص: 39.

(2) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 18.

(3) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 77.

فَأُنَادِي يَا زَمَنَ الْمَوْتَى الْأَحْيَاءِ

يَا زَمَنَ الرُّوحِ الْعَجْفَاءِ

هَلْ مِنْ بَدْرٍ حَانَ أَحْضَرَ؟

هَلْ مِنْ قَمَرٍ بَرٍّ أَشْقَرَ؟

يَسْمُو فِي لَيْلٍ كَأَبْتِنَا

يَتَعَالَى فَوْقَ جِبَالِ الْقَهْرِ

وَيُعَشِّي وَجْهَ الْعَدْرِ؟

فَأُنَادِي

يَزْهُو فِي قَلْبِي أَمَلٌ أَرْغَدُ:

مِنْ قَلْبِ اللَّيْلِ الصَّخْرِيِّ الْأَسْوَدِ

يَأْتِي طِفْلُ الْفَجْرِ

وَيُشِيرُ السِّيَاقُ إِلَى أَنَّ الدَّلَالَهَ الَّتِي تُحِيلُ إِلَيْهَا الْبِنْيَةُ الْإِسْتِفْهَامِيَّةُ بِتَرْكِيْبِهَا هِيَ التَّمْنَى، وَيَتَحَقَّقُ تَوْكِيدُهَا مِنْ

حِلَالِ تَكَرَّرِ التَّرْكِيبَيْنِ الْإِسْتِفْهَامِيَيْنِ الْمُتَوَازِيَيْنِ:

هَلْ / مِنْ / بَدْرٍ / حَانَ / أَحْضَرَ؟

هَلْ / مِنْ / قَمَرٍ / بَرٍّ / أَشْقَرَ؟

وَيَتَرَدَّدُ هَذَا النَّسْقُ دَالًّا عَلَى الْإِنْكَارِ عِنْدَ نَجِيبِ الْكَيْلَانِيِّ فِي قَصِيدَةِ (السَّبَب..)، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

يَا شَيْخَنَا الْجَلِيلَ، مَا تَرَى

فِي عِلَّةِ الْعِلَلِ؟

هَلْ تَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْحَيَاةَ

مَرَارَةَ الصَّرَاعِ، وَالذَّمَاءِ وَالْكَدْرِ؟

وَهَلْ تَرَى مُبْرَرًا

لِظُلْمِ ظَالِمٍ

وَعَدْرِ صَاحِبِ

وَحَاسِدٍ وَمَا حَسَدُ؟

وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ نَكُونَ سَيِّدًا وَعَبْدًا؟

يَا شَيْخَنَا الْجَلِيلَ قُلْ لَنَا

مَا سِرٌّ ذَلِكَ الْعَدَاءِ وَالشَّقَاءِ وَالْجَشَعِ؟

وَعَايَةَ الْوُحُوشِ.. وَالْجُنُودِ وَالْعُدَدِ؟

(1) نجيب الكيلاني: مدينة الكباثر، ص: 30.

وَيَرِدُ هَذَا النَّسَقَ الْإِسْتِفْهَامِيَّ لِإِفَادَةِ النَّفْيِ حِينَ يُمَيِّزُ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيَّ بَيْنَ وَظِيْفَةِ شِعْرِ مُتَشَبِّعٍ بِالْإِيمَانِ وَآخَرَ مُدَجِّجٍ بِالْكَفْرِ؛ يَقُولُ مَحْمُودٌ مُفْلِحٌ فِي قَصِيدَةِ (هَلْ يَسْتَوِي الشُّعْرَانِ؟) (1):

شِعْرٌ يَمُوتُ وَآخِرٌ يَتَسَكَّعُ وَإِلَى الْفُتَاتِ عَلَى الْمَوَائِدِ يُسْرِعُ  
هَذَا يَمُدُّ عَلَى السَّحَابِ جَنَاحَهُ وَسِوَاهُ فِي حَمَلِ الرَّذِيلَةِ يَرْتَعُ  
هَلْ يَسْتَوِي الشُّعْرَانِ شِعْرٌ مُؤْمِنٌ وَمُدَجِّجٌ بِالْكَفْرِ لَا يَتَوَرَّعُ؟!  
هَلْ يَسْتَوِي السِّيفُ الَّذِي هَتَكَ الدُّجَى وَالْآخِرُ الْمُتَزَلِّفُ الْمُتَصَنَّعُ؟  
هَلْ يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا مَاؤُهُ عَذْبٌ وَذَاكَ الْآسِنُ الْمُسْتَنْقَعُ

1-2-1-3-بُنَى الْإِسْتِفْهَامِ بِـ(مَا):

يُوظَّفُ الْعُمَارِيُّ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ بِالْأَدَاةِ (مَا) فِي قَصِيدَةِ (عُرْسٌ فِي مَأْتَمِ الْحَجَّاجِ) مُفِيدًا بِهِ الْإِعْجَابَ بِمَا انْبَثَقَ مِنَ (الْأُورَاسِ) الْأَشْمِّ مِنْ ثَوَرَاتٍ وَبِمَا انْطَلَقَ مِنْهُ مِنْ ثَوَارٍ، يَقُولُ (2):

إِقْرَأْ كِتَابَ النَّارِ مِنْ "أُورَاسِنَا"  
شَمُّ يُضِيءُ جَبِينَهُ.. وَوَقَارُ  
وَاسْأَلْ عَنِ الصَّالِحِينَ عَذَابَهُ  
يُنْبِتُكَ مَا الثَّوَرَاتُ؟ مَا الثَّوَارُ؟  
كَأْتُوا الْجِهَادًا..

فِيَا أَصَالَةَ سَجَلِي..

وَتَمَرَّغِي فِي الرَّيْفِ.. يَا أُورَارُ..

وَتَظْهَرُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ الَّتِي تَعْتَمِدُ الْأَدَاةَ (مَا) مُجَدِّدًا عِنْدَ الْعَشْمَاوِيِّ وَيَحْمِلُ دِلَالَةَ التَّعَجُّبِ سِوَاءَ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ أَوْ فِي مَقَاطِعِهَا؛ يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (جَزَائِرِ الْخَيْرِ) (3):

جَزَائِرِ الْخَيْرِ.. أَيَّنَ الرَّائِحِ الْعَادِي أَيَّنَ (ابْنُ بَادِيسَ) أَيَّنَ الْعُصْنُ وَالشَّادِي؟

.....

مَا بِالْهَمِّ سَلَبُوا عَيْنَيْكَ نُورَهُمَا وَكَبَّلُوكَ بِأَغْلَالٍ وَأَصْفَادِ؟!  
مَا بِالْهَمِّ جَعَلُوا الْأَبْوَابَ مُشْرَعَةً لِلْغَرْبِ، مُعْلَقَةً فِي وَجْهِ أَجْدَادِ؟!  
مَا بِالْهَمِّ جَعَلُوا (بَارِيسَ) قُدُوتَهُمْ وَوَجَّهُوا نَحْوَهَا وَجْدَانَ مُنْقَادِ؟!

وَيَتَكَرَّرُ النَّسَقُ الْإِسْتِفْهَامِيُّ بِـ(مَا) بِشَكْلِ لَافِتٍ لِلنَّظَرِ فِي قَصِيدَةِ (غَيْبَةِ الْفَتَى الْمَشْهُودِ)، وَتَتَضَافَرُ فِي نَسِيجِ الْقَصِيدَةِ جُمْلَةٌ مِنَ الْبُنَى الْإِنْشَائِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْإِسْتِبْطَاءِ وَالْهَفَةِ الْإِنْتِظَارِ وَطُولِ غَيْبَةِ هَذَا الْفَتَى الْمُخْلِصِ، وَإِنْ كَانَ

(1) محمود مفلح: إنما الصحوه، ص: 8.

(2) مصطفى الغماري: عرس في مأتم الحجاج، ص: 20.

(3) عبد الرحمن العشماوي: عندما يئن العفان، ص: 59.

النَّسَقُ الْإِسْتِفْهَامِيُّ يَنْصَرِفُ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى التَّعَجُّبِ فِي بُنَاهِ الْجُزْئِيَّةِ فَإِنَّ الْبُنَى مُجْتَمِعَةٌ فِي نَسَقِهَا الْمُنْظَمِ مُتَكَرِّسٌ  
دَلَالَةَ التَّفَجُّعِ وَمَا يُصَاحِبُهُ مِنْ حَرَارَةِ الْحُزْنِ لِفَقْدِ الْمَعَانِي وَالْقِيمِ، يَقُولُ قَصَّابٌ<sup>(1)</sup>:

يَا فَارِسَ الْفُرْسَانَ  
يَا نَبْتَ مُعْتَصِمٍ  
وَزَرَاعَ كِتَابِ الرَّحْمَنِ  
يَا شَهْمَ هَذَا الْعَصْرِ  
يَا نَجْمَةَ فِي الْفَجْرِ  
عَمِيَتْ عَلَيْنَا الدَّرْبُ  
ضَاقَتْ سُهُولَ الرَّحْبِ  
مَا بَالُ نَحْوَتِكَ الْقَدِيمَةِ  
لَمْ تُعَدِّ حَضْرَاءً؟  
مَا بَالُهَا ذَبَلَتْ، وَجَفَّ الْمَاءُ؟  
مَا عُدْتَ مَسْكُونًا بِأَحْزَانِ الصَّعَارِ  
مَا عُدْتَ بُرْكَانَ الشَّهَامَةِ يُسْتَنَارُ  
مَا عَادَ يَصْدَعُكَ الْأَسَى  
وَلَقَدْ يُصَدِّعُ حُزْنُنَا الْأَحْجَارَ  
مَا عَادَ عَارًا أَنْ تَرَى  
وَطْنَ الْجَمَلَالِ قَدْ اسْتَمَاتَ  
وَعَدَّتْ عَلَيْهِ الْعَادِيَاتُ  
مَا عَادَ عَارًا مَا تَرَى  
أَوْ ظَلَّ عَارًا.

وَهَكَذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْمَقْطَعِ أَرْبَعُ بُنَى إِشْنَائِيَّةٍ نِدَائِيَّةٍ (يَا فَارِسَ الْفُرْسَانَ/يَا نَبْتَ مُعْتَصِمٍ/وَزَرَاعَ كِتَابِ  
الرَّحْمَنِ/يَا شَهْمَ هَذَا الْعَصْرِ/يَا نَجْمَةَ فِي الْفَجْرِ) وَبُنَيَّتَانِ اسْتِفْهَامِيَّتَانِ (مَا بَالُ نَحْوَتِكَ الْقَدِيمَةِ لَمْ تُعَدِّ حَضْرَاءً؟/مَا  
بَالُهَا ذَبَلَتْ، وَجَفَّ الْمَاءُ؟)، وَكِلَا الْأَسْلُوبَيْنِ يَمْنَحُ النَّصُّ طَاقَةً تَعْبِيرِيَّةً تُفْصِحُ عَنِ الشُّعُورِ، وَقَدْ تَعَضَّدُ بُنَى النَّفْيِ  
الْخَبَرِيَّةِ الْخَمْسُ (مَا عُدْتَ مَسْكُونًا بِأَحْزَانِ الصَّعَارِ/مَا عُدْتَ بُرْكَانَ الشَّهَامَةِ يُسْتَنَارُ/مَا عَادَ يَصْدَعُكَ الْأَسَى وَوَلَقَدْ  
يُصَدِّعُ حُزْنُنَا الْأَحْجَارَ/مَا عَادَ عَارًا أَنْ تَرَى وَوَطْنَ الْجَمَلَالِ قَدْ اسْتَمَاتَ وَعَدَّتْ عَلَيْهِ الْعَادِيَاتُ/مَا عَادَ عَارًا مَا تَرَى أَوْ

(1) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 74.

ظَلَّ عَارِ الوظيفَةَ التَّعبيريةَ فِي النَّصِّ إِذْ تَسْتَعْرِقُ بِنِيَّةِ النَّفْيِ جُزْءًا هَامًا مِنَ المَوْقِفِ الشَّعْرِيِّ فِي المَقْطَعِ فَحُضُورُهَا  
وَأَثَرُهَا ظَاهِرٌ فِي تَسْعَةِ أَسطُرٍ شَعْرِيَّةٍ.

وَقَدْ تُؤَدِّي بِنِيَّةِ الاسْتِفْهَامِ المْتَعَدِّ دِلَالَةَ التَّدْبِ النَّاتِجَةِ عَنِ حُلُولِ مُصِيبَةٍ مِنَ المَصَائِبِ أَوْ نُزُولِ نَائِبَةٍ مِنَ  
التَّوَائِبِ وَإِنْ دَلَّتْ بِنَاهُ الجُزْئِيَّةُ عَنِ اللُّومِ وَالتَّفْرِيعِ النَّاتِجِينَ عَنِ الإِحْسَاسِ بِالتَّقْصِيرِ، يَقُولُ مُحَمَّدُ التَّهَامِيُّ<sup>(1)</sup>:

يَا أَيُّهَا المَسْجِدُ المُلْقَى بِحُفْرَتِهِ لَمْ يُعْنِ عَنكَ دُعَاءُ كُنْتَ تَسْمَعُهُ  
مَاذَا نَقُولُ إِذَا اشْتَأَقْتَ نَوَاطِرُنَا إِلَى ضِيَاءِ تَوَارِي مِنْكَ مَطْلَعُهُ؟  
مَاذَا نَقُولُ لِعَهْدٍ فِي عَقِيدَتِنَا عَشْنَا بِكُلِّ صَلَاةٍ فِيكَ نَقَطَعُهُ؟  
أَنْ نَسْتَمِيتَ لِتَحْيَا فِي مَرَابِعِنَا رُكْنَا حَرَامًا عَلَى الدُّنْيَا تَصَدُّعُهُ  
عَشْنَا لِتَشْهَدَ دُنْيَانَا وَنَحْمِلَهَا وَهِيَ العَضُوضُ الَّتِي رَاحَتْ تُقَطِّعُهُ

أَمَّا مُقَابَرَةُ النَّسِقِ الاسْتِفْهَامِيِّ الَّذِي يَتَكَيُّ إِلَى الأَدَاةِ (مَا) فِي بِنِيَّةِ قَصِيدَةٍ (عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ الجُرْحُ) فَإِنَّ القَصِيدَةَ  
قَدْ تَضَمَّنَتْ عَشْرَةَ بَنَى اسْتِفْهَامِيَّةٍ، مِنْهَا تَسْعُ بَنَى وَرَدَ الاسْتِفْهَامُ فِيهَا بِـ(مَا) أَوْ (مَاذَا) وَبِنِيَّةٍ وَاحِدَةٍ وَرَدَ الاسْتِفْهَامُ  
فِيهَا بِالْهَمْزَةِ، وَوَقَعَ فِي عَشْرَةِ آيَاتٍ مِنَ القَصِيدَةِ؛ أَيُّ مَا يُمَثِّلُ نِسْبَةَ (71.42%) مِنْ مَجْمُوعِ الآيَاتِ، فَجَاءَتْ سَبْعُ  
بَنَى اسْتِفْهَامِيَّةٍ مُتَسَلِّسَةٍ مُشْكَلَةً نَسَقًا مُتَعَدِّدًا مُعْتَمِدًا الأَدَاةَ (مَا) فِي تَرْكِيْبِينَ أُسْلُوبِيَيْنِ (مَا بَالُ) وَ(مَا لَكَ)، يَقُولُ  
العِشْمَاوِيُّ فِي مُسْتَهَلِّ القَصِيدَةِ<sup>(2)</sup>:

أُمِّي تُسَائِلُنِي تَبْكِي مِنَ العَضْبِ مَا بَالُ أُمَّتِنَا مَقْطُوعَةَ السَّبَبِ؟!  
مَا بَالُ أُمَّتِنَا فَلَّتْ ضَفَائِرُهَا وَعَرَّضَتْ وَجْهَهَا القَمْحِيَّ لِلْهَبِ؟!  
مَا بَالُ أُمَّتِنَا أَلْقَتْ عِبَاءَ تَهَا وَأَصْبَحَتْ لُعبَةً مِنْ أهْوَنِ اللُّعْبِ؟!  
مَا بَالُ أُمَّتِنَا تَجْرِي بِلا هَدَفٍ وَتَرْتَمِي فِي يَدَي بَاغٍ وَمُعْتَصِبِ؟!  
مَا بَالُ أُمَّتِنَا صَارَتْ مُعَلِّقَةً عَلَى مَشَانِقِ أهْلِ العَدْرِ وَالكَذِبِ؟!  
مَا بَالُهَا مَزَقَتْ أَسْبَابَ وَحَدَّتْهَا وَلَمْ تُرَاعِ حُقُوقَ الدِّينِ وَالنَّسَبِ؟!  
أُمِّي تُسَائِلُنِي وَالحُزْنَ يُلْجِمُنِي بُنَيَّ مَا لَكَ لَمْ تَنْطِقْ وَلَمْ تُجِبْ؟!  
فَالنَّسِقُ الاسْتِفْهَامِيُّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَنْصَرِفُ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى الإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ مَعًا لِلْحَالِ الَّتِي غَدَتْ عَلَيْهَا

الأُمَّةُ، فَقَدْ يَجْتَمِعُ الإِنْكَارُ وَالتَّعَجُّبُ فِي التَّرْكِيبَيْنِ (مَا بَالُكَ؟) وَ(مَا لَكَ؟) وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ<sup>(3)</sup> وَيَرِدُ الاسْتِفْهَامُ  
بـ(مَاذَا) فِي بَنِيَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ فِي البَيْتِ العَاشِرِ<sup>(4)</sup>:

(1) مُحَمَّدُ التَّهَامِيُّ: يَا إِلَهِي، ص: 72.

(2) عبد الرَّحْمَنِ العِشْمَاوِيُّ: يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ، ص: 52.

(3) الطَّاهِرُ قَطِي: أُسْلُوبُ الاسْتِفْهَامِ فِي دِيوَانِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ، د م ج، الجَزَائِرِ، (د، ت)، 1991، ص: 31.

(4) عبد الرَّحْمَنِ العِشْمَاوِيُّ: يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ، ص: 52.

بُنِيَ قَلِّ لِمَاذَا الصَّمْتُ فِي زَمَنِ أَضْحَى يَعِيشُ عَلَى التَّهْرِيجِ وَالصَّخَبِ؟!

وَفِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ عَشَرَ (1):

مَاذَا أَقُولُ؟ وَفِي الْأَحْدَاثِ تَذَكُّرُهُ لِمَنْ يَعِي، وَيَبَانَ غَيْرُ مُقْتَضَبِ

تَحَدَّثَ الْجُرْحُ يَا أُمَامَهُ فَاسْتَمِعِي إِلَيْهِ وَاعْتَصِمِي بِاللَّهِ وَاحْتَسِبِي

وَالدَّلَالَةُ الَّتِي تُنْتَجِهَا هَذِهِ الْبُنْيُ فِي نَسَقِهَا الْمُتَعَدِّدِ فَإِنَّهَا تَنْتَظِمُ الدَّلَالَاتِ الْجَزْئِيَّةَ فِي سِلْكِ دَلَالَةِ الْحَيْرَةِ الَّتِي

يُعْبَرُ عَنْهَا السِّيَاقُ الْعَامُّ لِلْقَصِيدَةِ. وَتَنْدَرِجُ الْبُنْيُ الْإِسْتِفْهَامِيَّةَ الْمُتَكَرِّرَةَ الْمُتَمَاثِلَةَ فِي الْمَقَاطِعِ السَّابِقَةِ ضِمْنَ التَّكْرَارِ

اللَّاشِعُورِيِّ الَّذِي يَجِيءُ فِي سِيَاقِ شُعُورِيٍّ كَثِيفٍ يَبْلُغُ أَحْيَانًا دَرَجَةَ الْمَآسَاءِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْعِبَارَةَ الْمُكَرَّرَةَ تُؤَدِّي إِلَى

رَفْعِ مُسْتَوَى الشُّعُورِ فِي الْقَصِيدَةِ إِلَى دَرَجَةِ غَيْرِ عَادِيَّةٍ. (2) وَتَأْتِي بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ مُتَعَدِّدَةً مُتَنَوِّعَةً الْأَدَاةَ دَالَّةً عَلَى

التَّحَسُّرِ وَالْأَسَى فِي هَذَا السِّيَاقِ الْعَاطِفِيِّ الْوَجْدَانِيِّ مِنْ مَقْطَعِ رَثَائِيٍّ، يَقُولُ الْقَرَضَاوِيُّ (3):

مَاذَا أَقُولُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ هَتَانُ؟ يَا وَيْحَ شِعْرِي تَكْبُو فِيهِ أَوْزَانُ

وَكَيْفَ أَطْلُقَ آهَاتِي وَأَشْعَلَهَا وَالرُّوحُ يَقْهَرُهَا قَيْدًا وَسَجَانُ

أَضْحَى سُلَيْمَانُ بَيْنَ الْجَبَلِ مَلْحَمَةً غَرَاءَ يَعْمُرُهَا عَزْمٌ وَإِيمَانُ

قَدْ قَالَ "لَا" وَسَيَاطُ الْقَهْرُ ضَارِبَةً بَيْنَ الْجُمُوعِ وَلَمْ تُرْهِبْهُ أَوْثَانُ

تَتَحَلَّى بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ بِالْأَدَاةِ الْمُتَكَرِّرَةِ (مَا/مَاذَا) أَوْ بِهَذِهِ الْأَدَاةِ وَمَا يَدْعُمُهَا مِنْ أَدَوَاتٍ فِي

السِّيَاقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ كـ (كَيْفَ) وَ(مَتَى) وَ(أَيْنَ) وَ(وَالْهَمْزَةُ) وَ(أَيُّ) فِي قَصِيدَةِ (تَسَاؤُلَاتِ طِفْلِ كُوَيْتِي) الَّتِي تَوَاتَرَ الْإِسْتِفْهَامُ

فِيهَا ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً وَكَانَ مُؤَشِّرًا عَلَى حَرَكَةِ ذَهْنِيَّةٍ وَشُعُورِيَّةٍ أَكْثَرَ سَعَةً وَأَبْعَدَ مَدًى، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِنِيَّةِ

الْإِسْتِفْهَامِ بِـ (مَا/مَاذَا) أَرْبَعَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَهَيَمَتْ عَلَى الْقِسْمِ الْإِسْتِفْهَامِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ بِتَوَاتُرِ سِتِّ مَرَّاتٍ مِنَ السَّطْرِ

الْأَوَّلِ إِلَى السَّطْرِ الثَّاسِعِ فَكَانَتْ بِمِثَابَةِ الطَّاقَةِ الْمُنَشَّطَةِ لِحَرَكَةِ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ (4):

مَا جَرَى يَا أَبْتَاهُ؟

وَلِمَاذَا امْتَشَقَ اللَّيْلُ حُسَامَ الرَّعْبِ

وَأَرْتَجَّتْ عَلَى الْبَابِ خُطَاهُ

وَلِمَاذَا جَاءَنَا الْفَجْرُ كَفِيًّا..

يَنْقُشُ الْمَآسَاءَ فِي كُلِّ الْجِبَاهِ

وَلِمَاذَا أَخْرَسَ الرَّشَاشُ وَالْمِدْفَعُ أَصْوَاتَ الشُّدَاهِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 52.

(2) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 287.

(3) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 38.

(4) عبد الرحمن العشماوي: يا أمة الإسلام، ص: 21.

وَلَمَّاذَا احْتَبَسَ الدَّمْعُ..  
وَلَمْ تَحْتَمِلِ التُّطْقَ الشَّفَاهُ  
مَا جَرَى يَا أَبْتَاهُ؟؟

وَبَعْدَ مَقْطَعِ خَبْرِي تَعُودُ بِنِيَةِ الاسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ إِلَى الظُّهُورِ مُجَدِّدًا فِي السَّطْرِ الْوَاحِدِ الْعِشْرِينَ وَمُتَدَّةً إِلَى السَّطْرِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ، وَيَعْمَلُ هَذَا الْقِسْمُ الْاسْتِفْهَامِيَّ عَلَى كَسْرِ رَتَابَةِ السَّرْدِ الْخَبْرِيِّ بِحُمْلَةٍ مِنَ الْبُنَى الْمُتْرَابِطَةِ الَّتِي تَعْمَلُ (وَأَو) الْعَطْفِ عَلَى الْوَصْلِ بَيْنَهَا، وَيَخْلُصُ النَّسَقُ الْاسْتِفْهَامِيُّ إِلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ<sup>(1)</sup>:

أَلْفُ جُنْدِيٍّ فَمَاذَا يَطْلُبُونَ؟؟  
وَلَمَّاذَا صَوَّبُوا أَسْلِحَةَ الْمَوْتِ إِلَيْنَا  
وَلَمَّاذَا يَقْتُلُونَ..  
وَلَمَّاذَا يَا أَبِي لَا يَرْحَمُونَ..  
وَلَمَّاذَا سَرَقُوا الْقَمَةَ عَيْشِي..  
نَهَبُوا كُلَّ نِيَابِي..  
هَدَمُوا مَدْرَسَتِي يَا أَبْتَاهُ

سَرَقُوا اللَّعْبَةَ مِنْ كَفِّي، وَأَقْلَامِي، وَخَبْرِي وَكِتَابِي  
وَلَمَّاذَا يَا أَبِي.. لَمْ يَرْحَمُوا ضَعْفِي وَخَوْفِي وَكِتَابِي

وَلَا يَنْقَطِعُ النَّيَارُ الْاسْتِفْهَامِيُّ عَنْ تَدْفِيقِهِ فِي شَرَايِينِ الْقَصِيدَةِ، فَالنَّسَقُ الْاسْتِفْهَامِيُّ بِـ(مَاذَا) يَظْهَرُ فِي الْبَيْتَيْنِ الْخَامِسِ وَالثَّلَاثِينَ وَالسَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ اللَّذَيْنِ يُشْكِلَانِ سَطْرَيْنِ مِنْ مَقْطَعِ مُتَعَدِّدِ الْبُنَى الْاسْتِفْهَامِيَّةِ الَّتِي بَلَغَتْ عَشْرَةَ بُنَى تَنَوَّعَتْ فِيهَا أَدَاةُ الْاسْتِفْهَامِ بَيْنَ (كَيْفَ، الْهَمْزَةِ، مَتَى، أَيْنَ)، وَقَدْ اشْتَرَكَتْ فِي هَذَا السِّيَاقِ فِي أَدَاءِ دَلَالَةِ التَّعَجُّبِ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ<sup>(2)</sup>:

عَجَبًا يَا أَبْتَاهُ..

كَيْفَ جَاءَتْنَا الْيَهُودُ؟؟

وَمَتَى سَارُوا إِلَيْنَا عَبَرُوا كُلَّ الْحُدُودِ؟؟

هَدَمُوا كُلَّ السُّدُودِ..

كَيْفَ جَاءَتْنَا الْيَهُودُ؟؟

أَيْنَ قَوْمِي مِنْ بَنِي يَعْرَبِ..

(1) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسُهُ، ص: 22.

(2) عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَشْمَاوِيُّ: يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، ص: 23.

أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟؟

وَيَحْتَمِلُونَ كَيْفَ يَنَامُونَ وَيَصْحَوُ الْمُعْتَدُونَ؟؟

وَلَمَّاذَا تَرَكُوا الْأَعْدَاءَ يَأْتُونَ إِلَيْنَا.. يَقْتُلُونَ

وَلَمَّاذَا تَرَكُوهُمْ يَسْلُبُونَ

أَتَرَى قَوْمِي أُصِيبُوا بِالْجُنُونِ؟؟

هَكَذَا يَا أَبَتَاهُ..

هَكَذَا فِي سُرْعَةٍ يَجْتَاحُنَا جَيْشُ الْيَهُودِ

كَيْفَ مَرُّوا بِحُدُودِ الشَّامِ وَالْأَرْدُنِّ وَاجْتَازُوا الْعِرَاقَ

وَوَرَدَ الْإِسْتِفْهَامُ بِـ(أَيُّ) دَالًا عَلَى التَّعَجُّبِ فِي سَطْرِ شِعْرِي مُنْفَرِدٍ، وَهُوَ السَّطْرُ السَّادِسُ وَالسُّتُونَ<sup>(1)</sup>:

أَيُّ جَيْشٍ يَا أَبِي هَذَا الَّذِي أَحْدَثَ فِي الصَّفِّ انْشِقَاقًا؟

.....

إِنَّهُ يَا وَلَدِي جَيْشُ الْعِرَاقِ..

وَبِالنَّظَرِ إِلَى بُنَى الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتْلَاحِقَةِ فِي مَقَاطِعِ الْقَصِيدَةِ الثَّلَاثَةِ فَإِنَّ الدَّلَالَةَ الْمَرْكَزِيَّةَ الَّتِي تُبَدِّعُهَا هَذِهِ الْأَنْسَاقُ هِيَ تَعْظِيمٌ وَتَفْخِيمٌ وَتَهْوِيلٌ الْمَضَامِينِ الْفِكْرِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ الَّتِي تَنْقُلُهَا التَّرَاكِبُ الْإِسْنَادِيَّةُ فِي هَذِهِ الْمَلْفُوظَاتِ الْحَوَارِيَّةِ، وَلَعَلَّ الْقَصْدَ مِنْ ذَلِكَ تَشْنِيعُ الْجُرْمِ الْمُرْتَكَبِ وَاسْتِنْكَارُ الْخَطَأِ الْمُتَعَمَّدِ، وَيُنْكَشِفُ ذَلِكَ دُونَ لُبْسِ بَرِيظِ بُنَى الْإِسْتِفْهَامِ بِنِيَّةِ الْجَوَابِ الْمُؤَكَّدَةِ فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ وَالْمُفْعَمَةِ شُعُورِيًّا بِالْمَرَارَةِ وَالْأَلَمِ. وَالْمُلَاحِظُ أَنَّ بِنِيَّةَ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ تَأْتِي فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْقَصِيدَةِ مُعْبَّرَةً عَنْ مَدَى الْكثَافَةِ الشُّعُورِيَّةِ الَّتِي تَبْلُغُ الذَّرْوَةَ الَّتِي تَجْعَلُ الْبُنَى الْإِسْتِفْهَامِيَّةَ تَنْشَالُ بِقُوَّةٍ وَتَعَكِّسُ التَّأْرُمَ وَالْحَيْرَةَ.

1-2-4-1- بُنَى الْإِسْتِفْهَامِ بِـ(مَنْ):

وَتَرْدُ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ الْمُرْدُودِ بِـ(مَنْ) الَّتِي تُشَكِّلُ دَالًا الْإِسْتِفْهَامِ فِي جُمْلَتَيْنِ مُرْتَبِطَتَيْنِ بِالْوَاوِ الْعَاطِفَةِ، وَتَقَعُ هَذِهِ الْبِنِيَّةُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ حَامِلَةً دَلَالَةَ التَّضَرُّعِ فِي سِيَاقِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى حِينَ لَا يَجِدُ الشَّاعِرُ مَلَاذًا سِوَى رَبِّهِ فَيَرْفَعُ إِلَيْهِ شِكْوَاهُ، وَقَدْ أَنْهَكَهُ الشُّعُورُ الْمَرِيرُ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ فِي قَصِيدَةِ (ذِمَار... مَاذَا جَرَى؟!)<sup>(2)</sup>:

بِمَنْ أَلُوذُ، وَمَنْ أَشْكُو لَهُ حَالِي سِوَاكَ يَا رَبِّ فِي حِلِّي وَتَرْحَالِي؟  
تَقْضِي بِأَمْرِكَ يَا رَبِّي، وَأَقْبَلُهُ فَأَنْتَ أَعْلَمُ، يَا رَحْمَنُ، بِالْحَالِ  
أَوْغَلْتُ فِي دَرْبِ أَحْلَامِي، وَكَمْ تَعَبْتُ رَجُلِي، وَكَمْ شَكَتِ الْأَحْلَامُ إِيغَالِي  
بَنَيْتُ لِي فِي دُرُوبِ الْعُمْرِ أَرْوِقَةً مِنَ الْخِيَالَاتِ، لَمْ تَخْطُرْ عَلَيَّ بِأَلِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 25.

(2) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 21.

وَيَأْتِي الْإِسْتِفْهَامُ عَلَى مَنَوَالِ النَّسَقِ ذَاتِهِ، فَتَتَوَزَّعُ بِنَيْتَاهُ عَلَى شَطْرِي الْبَيْتِ مُؤَكَّدَةً دِلَالَةَ النَّفْيِ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِي فِي الْقَصِيدَةِ نَفْسَهَا<sup>(1)</sup>:

يَهُونُ كُلُّ اغْتِرَابٍ فِي الْحَيَاةِ فَكَمْ ذِي غُرْبَةٍ عَادَ مَحْفُوفًا بِاجْلَالِ  
وَعُرْبَةُ الْمَوْتِ أَفْسَى مَا نُكَابِدُهُ كَمْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ إِمْهَالِ  
مَنْ ذَا الَّذِي نَالَ فِي دُنْيَاهُ غَايَتَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي عَاشَ فِيهَا نَاعِمَ الْبَالِ؟!  
يَفْنَى الْفَتَى وَعَلَى عَيْنَيْهِ أَشْرَعَةٌ مِنْ الذُّهُولِ، تُوَارِي دَمْعَهُ الْعَالِي  
وَتَتَعَدَّدُ بُنَى الْإِسْتِفْهَامِ فِي الْمَقْطَعِ الْآتِي حِينَ يَسْتَفْهِمُ الشَّاعِرُ بـ(مَنْ عَلَى لِسَانِ ابْنَةِ الْإِسْلَامِ) عَنْ هُوِيَّتِهَا  
وَنَسَبِهَا وَوَلَائِهَا وَحُبِّهَا وَمَوْعِفِهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، يَقُولُ الْقِرَاضَاوِي<sup>(2)</sup>:

سَلِيهِ: مَنْ أَتَا؟ مَنْ أَهْلِي؟ لِمَنْ نَسَبِي؟ لِلْعَرَبِ أَمْ أَنَا لِلْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ؟  
لِمَنْ وَوَلَائِي؟ لِمَنْ حُبِّي؟ لِمَنْ عَمَلِي؟ لِلَّهِ أَمْ لِدُعَاةِ الْإِثْمِ وَالْكَذِبِ؟  
وَمَا مَكَانِي فِي دُنْيَا تَمُوجُ بِنَا؟ فِي مَوْضِعِ الرَّأْسِ أَمْ فِي مَوْضِعِ الذَّنْبِ؟  
وَإِذَا كَانَ الْإِسْتِفْهَامُ بـ(مَنْ فِي الْمَقْطَعِ السَّابِقِ حَقِيقِيًّا يَسْتَوْضِحُ حَقِيقَةَ الْمَسْئُولِ عَنْهُ وَيَطْلُبُ تَعْيِينَاً لِمُفْرَدٍ  
مِنْ بَيْنِ الْمُفْرَدَاتِ الْمُتَقَابِلَةِ الْعَرَبِ/الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ) أَوْ(اللَّهِ/دُعَاةِ الْإِثْمِ وَالْكَذِبِ) أَوْ (مَوْضِعِ الرَّأْسِ/مَوْضِعِ الذَّنْبِ)،  
فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ يَعْدِلُ عَنْ أَصْلِهِ إِلَى إِفَادَةِ التَّحْقِيرِ، يَقُولُ عَدْنَانُ عَلِي رِضَا النَّحْوِيُّ فِي مُسْتَهَلِّ قَصِيدَتِهِ الْمَطْوَلَةِ  
أَوْ مَلْحَمَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ (مَلْحَمَةُ الْعُرَبَاءِ)<sup>(3)</sup>:

هَذِي الْجَرِيْمَةُ..! مَنْ أَوْرَى مَوَاقِدَهَا فِي الدَّارِ فِي السَّاحِ فِي الْأَغْوَارِ فِي الْقِمَمِ؟!  
مَنْ أَشْعَلَ النَّارَ فِي كُوْحِي وَشَرَّدَنِي وَقَلَّعَ الْوَتَدَ الْمَشْدُودَ مِنْ حِيْمِي؟!  
مَنْ الَّذِي قَطَّعَ الْأَوْصَالَ..؟! فَانْفَجَرَتْ مِنْ الْعُرُوقِ رُؤْيَى مَصْبُوغَةً بِدَمٍ  
وَيَرِدُ الْإِسْتِفْهَامُ بـ(مَنْ فِي مَقْطَعِ آخِرِ مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ النَّحْوِيُّ<sup>(4)</sup>):

أَنَا الْعَرِيبُ عَلَى دَرْبِ اللُّجُوءِ وَمَا أَدْرِي السَّبِيلَ الَّتِي تَمْضِي لَهَا قَدَمِي  
لَمَمْتُ طَرْفِي عَنْ ((صَبْرًا)) وَبَعْصَصَ حَنْفَتُهَا بَيْنَ دَفْقِ الْعَيْظِ وَالنَّدَمِ  
وَعَنْ ((شَتِيلًا)) وَأَنْفَاسِي مُقْطَعَةٌ حَبَسْتُهَا بَيْنَ صَدْرٍ خَافِقٍ وَفَمٍ  
كَتَمْتُهَا بِيَدِي... كَيْ لَا يُقَالَ هَوَتْ عَزِيمَةُ الْحُرِّ فِي مِيدَانِ الْعَرَمِ  
تَقُولُ: مَنْ أَسْلَمَ الْأَعْنَاقَ هَيْئَةً إِلَى الشَّفَارِ..؟! وَأَلْقَاهَا لِكُلِّ ظَمِي؟!!

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 24.

(2) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 36.

(3) عدنان علي رضا النحوي: ملحمة الغرباء، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1408هـ—  
1987م، ص: 13.

(4) المصدر نفسه، ص: 20.

مَنْ الَّذِي سَاقَهَا سَوْقَ الْقَطِيعِ إِلَى مَجَازِرِ الْمَوْتِ فِي خَطْوِ هُنَاكَ عَم؟!  
وَتَكْمُنُ دِلَالَةُ الْإِسْتِفْهَامِ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ مَعًا مِمَّنْ هَيَّا الْأَجْوَاءَ لَتَقَعَ كُلُّ هَذِهِ الْجَرَائِمِ الشَّنِيعَةِ فِي حَقِّ  
الشَّعْبِ الْأَعْزَلِ.

#### 1-2-1-5- بنى الاستفهام بـ(أي):

وَتَرِدُ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ بـ(أي) مُمَثَّلًا فِي بِنْيَتَيْنِ تَهْدَفُ فِيهِمَا (أي) إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا صَادِقٌ  
فِي حَمَلِ قَضِيَّتِهِ جَادًّا وَالْآخَرُ لَاهٍ عَابَثٌ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ<sup>(1)</sup>:

أَشْعَارُنَا الْقُدْسِيَّةُ الْعَرَاءِ كَمْ غَنَى بِنَجْوَاهَا الضُّحَى وَالزُّبُقُ  
تَتَمَازُجُ الْأَيَّامُ فِي أَسْفَارِهَا وَعَدَا إِلَهِي الرَّؤْيَى يَرَّرَقُ  
وَعَدَا سَيِّئُهُدً أَيْنَا حَمَلَ الْهَوَى جُرْحًا.. وَأَيُّ الْعَاشِقِينَ الزُّبُقُ؟

#### 1-2-1-6- بنى الاستفهام بـ(كيف):

وَتَرِدُ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ الْمُرَكَّبِ الَّذِي يُجَسِّدُهُ تَوْظِيفُ أَكْثَرِ مِنْ بِنِيَّةِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ تَعْتَمِدُ الْإِسْتِفْهَامَ  
بِالْأَدَاةِ (كَيْف) سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ أَوْ فِي غَيْرِ الْمَطْلَعِ، فَمِنْ نَمَازِجِ تَوْظِيفِ هَذِهِ الْبِنِيَّةِ فِي الْمَطْلَعِ قَوْلُ  
العِشْمَاوِيِّ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةِ (أُنَادِي أُمَّتِي)<sup>(2)</sup>:

لَكَ الْأَرْضُ الْفَسِيحَةُ وَالْفَضَاءُ فَكَيْفَ يَتِيهُ عَنْ فَمِكَ النَّدَاءُ؟  
وَكَيْفَ تَخَافُ ظُلْمَاءَ الْمَآسِي وَعِنْدَكَ أَلْفُ قَنَدِيلِ نُضَاءُ؟  
وَكَيْفَ تَهَابُ مِنْ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَعِنْدَ اللَّهِ رِزْقُكَ وَالْقَضَاءُ؟

وَقَدْ دَلَّتْ بِنِيَّةُ الْإِسْتِفْهَامِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ عَلَى التَّعَجُّبِ وَالتَّوْيِيخِ.

وَيَتَحَقَّقُ هَذِهِ الْبِنِيَّةُ فِي غَيْرِ الْمَطْلَعِ فِي قَوْلِ الْكَيْلَانِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ (طُبُولِ الْحَرْبِ)<sup>(3)</sup>:

كَيْفَ الرُّكُونُ وَفِي الْفُؤَادِ مَشَاعِلُ رَعْنَاءُ تَحْرِقُ أَضْلَعِي وَهَنَائِي  
كَيْفَ السُّكُونُ وَفِي الْجُفُونِ مَدَامِعُ هِيَ ذُوبُ الْآمِي وَفَيْضُ شِقَاءِ  
كَيْفَ التَّصَبُّرُ يَا صِحَابُ وَهَذِهِ أَرْضِي يُدْنَسُ طَهْرُهَا أَعْدَائِي

وَفِي قَوْلِهِ<sup>(4)</sup>:

فِي كُلِّ صَفْعٍ سِيَاسَاتٌ وَفَلَسَفَةٌ وَهَرَطَقَاتٌ وَإِذْعَانٌ لَأَوْتَانِ  
تَرَاجَعَتْ قِيمُ التَّوْحِيدِ وَأَسْفَا وَكَيْفَ يَشْمَخُ مَجْدُ دُونَ أَرْكَانِ؟

(1) مصطفى الغماري: مقاطع من ديوان الرفض، ص: 17.

(2) عبد الرحمن العشماوي: عندما بين العفاف، ص: 39.

(3) نجيب الكيلاني: كيف ألك، ص: 67.

(4) نجيب الكيلاني: مدينة الكباثر، ص: 55.

وَكَيْفَ يَحْمِي حِمَى الْأَوْطَانِ مُرْتَزِقٌ وَكَيْفَ يَسْمَقُ فِيهَا أَيُّ بُنْيَانٍ؟

وَفِي قَوْلِهِ<sup>(1)</sup>:

فَكَيْفَ يَا مَدِينَتِي

أَصَبَحْتَ مَاوَى الْعُجْرِ وَالْقَرَاصِنَةِ؟

وَصِرْتَ يَا مَدِينَتِي مُسْتَنْقَعَاتِ آسِنَةٍ؟

وَكَيْفَ تَمْرَحُ الذَّنَابُ وَالْكِلَابُ وَالْتَعَالِبُ؟

وَيَرْسُفُ الْأَبَاةُ فِي الْحَدِيدِ.. فِي الزَّرَائِبِ

وَتَصْدَأُ الْقُبُودُ وَاللَّيْلُ كَالْعَقِيمِ

فَكَيْفَ يُوَلِّدُ الصَّبَاحُ

فِي حَلَكَةِ الْأَفْدَاحِ وَالْتَبَاحِ وَالْجِرَاحِ؟؟

وَالْتَعَجُّبُ مِنَ الْحَالِ هُوَ الدَّلَالَةُ الَّتِي تُلَوِّنُ بِنَى الْإِسْتِفْهَامِ فِي هَذَا السِّيَاقِ.

1-2-1-7-بِنَى الْإِسْتِفْهَامِ بِـ(أَيْنَ):

تُشَكِّلُ بِنَى الْإِسْتِفْهَامِ بِـ(أَيْنَ) نَسَقًا اسْتِفْهَامِيًّا مُتَعَدِّدًا تَتَكَرَّرُ فِيهِ الْأَدَاةُ (أَيْنَ)، وَتُهَيِّمُنُ عَلَى بِنْيَةِ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ سِوَاهُ أَوْطَظَتْ وَحَدَاهَا أَمْ شَارَكَتْهَا أَدَوَاتٌ أُخْرَى، وَهِيَ بِكَثَافَةٍ تَوَاتَرَتْهَا تُعْبِرُ عَنِ الْإِنْفِعَالِ الْمُتَوَاتِرِ، فَالْقَرَضَاوِي فِي قَصِيدَتِهِ (أَنْدَلُسُ أُخْرَى!) الَّتِي يُمَيِّزُ الْإِنْشَاءَ الطَّلِبِيَّ بِبِنْيَتِهَا التَّرَكِيبِيَّةِ وَيَمْنَحُهَا حَيَوِيَّةً تُسَايِرُ حَرَكَةَ الشُّعُورِ، يَتَقَدَّمُ الْإِسْتِفْهَامُ فِيهَا إِذْ تَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسٍ وَعِشْرِينَ بِنْيَةً اسْتِفْهَامِيَّةً تَنَوَّعَتْ فِيهَا الْأَدَاةُ فَحَطَّيْتُ (أَيْنَ) بِانْتِثَارِ عَشْرَةِ بِنْيَةٍ، وَحَطَّيْتُ الْهَمْزَةَ بِسِتِّ بِنْيٍ وَ(مَنْ) بِثَلَاثِ بِنْيٍ، وَ(مَا) بِبِنْيَتَيْنِ وَكُلٌّ مِنْ (كَمْ) وَ(مَتَى) بِبِنْيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَسَمَ الْإِسْتِفْهَامُ مَطْلَعَهَا أَوْ مُسْتَهْلَ الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا وَمُسْتَهْلٌ أَرْبَعَةَ مَقَاطِعَ مِنْ مَقَاطِعِهَا الثَّمَانِيَّةِ؛ يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَطْلَعِ<sup>(2)</sup>:

أَفَلَسْطِينًا أَمْ أَنْدَلُسًا فِي الْبُوسَنَةِ نَشْهَدُهَا بِأَسَى؟!

سَرِيْفُو تَبْكِ مَحْتَتَهَا كَالْقُدْسِ وَمَا أَعْلَى الْقُدْسَا!

أَنْدَلُسُ أُخْرَى الْيَوْمَ وَقَدْ كُنَّا أَنْسِينَا الْأَنْدَلُسَا!

وَوَرَدَ الْإِسْتِفْهَامُ بِالْأَدَاةِ (أَيْنَ) فِي انْتِثَارِ عَشْرَةِ بِنْيَةٍ، تَتَوَزَّعُ عَلَى مَقَاطِعِ الْقَصِيدَةِ، فَفِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي مِنْ

الْقَصِيدَةِ اجْتَمَعَتْ ثَلَاثُ بِنْيٍ اسْتِفْهَامِيَّةٍ أَدَاتُهَا (أَيْنَ) إِلَى جِوَارِ بِنْيَتَيْنِ أَدَاتُهُمَا الْهَمْزَةُ؛ يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وَالْعَالَمُ يَنْظُرُ فِي صَمْتٍ أَثْرَى نَاطِرُهُ قَدْ طُمَسَا؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 59.

(2) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 83.

(3) المصدر نفسه، ص: 84.

أَيْنَ الحَلْفَاءِ؟ وَقَدْ حَشَدُوا بِالْأَمْسِ جِيوشَهُم السُّمُوسَا؟  
 أَيْنَ الحِجْلُ الوَفِيُّ (بُوش)؟ أَعْلِيهِ الأَمْرُ قَدْ التَّبَسَا؟  
 (مِترَان) وَ(مِجْر) أَيْنَ هُمَا؟ لَمْ نَرِ مَنْ زَمَجَرَ أَوْ عَبَسَا!  
 أَلْبَسْنَاهُمْ ثَوْبَ الشُّرَفَا قَدْ بَلِيَ الثَّوْبُ وَمَا لِبَسَا!  
 وَتَرِدُ بِنِيَّةِ الإِسْتِفْهَامِ بِـ(أَيْنَ) بَعْدَ ذَلِكَ فِي مُسْتَهَلِّ المَقْطَعِ الثَّالِثِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:  
 أَيْنَ البَابَا وَكَتَائِبُهُ؟ مَا حَرَكَ أُسْفُفَ أَوْ قُسُفَا  
 وَيَقُولُ فِي مُسْتَهَلِّ المَقْطَعِ الرَّابِعِ<sup>(2)</sup>:

أَيْنَ العَرَبُ الدِّيمِقْرَاطِيُّ؟ تُرَاه تَرَاجَعَ وَانْتَكَسَا؟  
 كَمْ قَبْلُ سَمِعْنَا زَأْرَتَهُ إِنَّ غَرِبِي أَحْتَبَسَا!  
 وَأَقَامَ الأَرْضَ وَأَقْعَدَهَا إِنَّ صَهْيُونِي قَدْ لُبَسَا!  
 وَتَرِدُ فِي البَيْتِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا المَقْطَعِ بِنِيَّةِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ بِـ(أَيْنَ) مُنْفَرِدَةً، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:  
 أَيْنَ الكَرَوَاتُ، وَقَدْ غَدَرُوا بِالْعَهْدِ، نَهَارًا لَأْ غَلَسَا؟  
 وَيَرِدُ الاسْتِفْهَامُ بِـ(أَيْنَ) فِي مُسْتَهَلِّ المَقْطَعِ الخَامِسِ<sup>(4)</sup>:

أَيْنَ الهَيْئَاتُ الدُّوَلِيَّاتُ؟ أأَضَحَتْ لِلْبَاعِي حَرَسَا؟  
 أَوْ أَصَغَى مَجْلِسُ أَمْنِهِمْ لِلْحَقِّ؟ أَمْ الحَقُّ ارْتَكَسَا؟  
 تَشْتَرِكُ بِنِيَّةِ الاسْتِفْهَامِ بِـ(أَيْنَ) فِي هَذَا النِّسْقِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الإِنْكَارِ بِقِسْمِيَّةِ التَّكْذِيبِيِّ وَالتَّوْبِيخِيِّ، أَيْ  
 الإِنْكَارِ مِنْ هَوْلَاءِ مَا يَرْفَعُونَ مِنْ شِعَارَاتِ السَّلْمِ وَالعَدَالَةِ وَحِرْصِ عَلَى حُقُوقِ الإِنْسَانِ الَّتِي سُرِعَانَ مَا تَنْتَقِضُ لَمَّا  
 يَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِالمُسْلِمِينَ، وَقَدْ تَنْصَرِفُ الدَّلَالَةُ فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى ضَلَالِ وَغَفْلَةِ المُخَاطَبِ أَوْ مَنْ يَنْتَظِرُ  
 نُصْرَةً مِنْ هَوْلَاءِ الأَشْخَاصِ أَوْ الأَقْوَامِ أَوْ هَذِهِ المَوْسَّاتِ.

وَتَرِدُ فِي البَيْتِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا المَقْطَعِ بِنِيَّةِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ أَدَاتِهَا (أَيْنَ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:  
 أَيْنَ المُؤْتَمَرُ الإِسْلَامِيُّ؟ أَيْ؟ أَحْيَى أَمْ عَادَمَ النَّفْسَا؟  
 وَتَتَوَالَى فِي البَيْتِ الثَّاسِعِ مِنَ المَقْطَعِ ذَاتَهُ أَرْبَعُ بَنَى اسْتِفْهَامِيَّةٍ أَدَاتِهَا (أَيْنَ)، يَقُولُ<sup>(6)</sup>:  
 أَيْنَ العُلَمَاءُ؟ أَيْنَ الزُّعَمَاءُ؟ أَيْنَ الأُمَرَاءُ؟ أَيْنَ الرُّؤَسَاءُ؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 84.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر نفسه، ص: 85.

مَا سَلُّوا سَيْفًا أَوْ رُمْحًا لِلنَّجْدَةِ، أَوْ رَكِبُوا فَرَسًا  
 مَا صَاحُوا صَيْحَةً إِذْ نَادَرَ لِلْعَرَبِ، وَمَا قَرَعُوا جَرَسًا  
 وَازْدَوَاجُ دَلَالَةِ الْإِسْتِفْهَامِ فِي هَذِهِ الْبُنَى يُجِيزُ تَأْوِيلَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْإِنْكَارِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ أَوْ عَلَى التَّحْضِيضِ  
 لِلْقِيَامِ بِمَا يَسْتَوْجِبُهُ الْوَاجِبُ الدِّينِيُّ.

وَيُوظَّفُ الْعَشْمَاوِيُّ الْإِسْتِفْهَامَ بِـ(أَيْنَ) دَالًّا عَلَى التَّحَسُّرِ فِي نَسَقٍ مُتَعَدِّدٍ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

سَنَوَاتٌ مَضَتْ وَمَا زَالَ قَوْمٌ فِي مَتَاهَاتِهِمْ، وَمَرَّتْ قُرُونٌ  
 سَنَوَاتٌ مَضَتْ، فَمَا جَنَيْنَا غَيْرَ ذَلِكَ يَنْدَى عَلَيْهِ الْجَبِينُ؟  
 سَنَوَاتٌ مَضَتْ، فَأَيْنَ النَّضَالُ الْـ حَقٌّ فِيهَا، وَأَيْنَ مِنَ الْبَاقِينَ؟  
 أَيْنَ مَا نَدَعِيهِ مِنْ وَحْدَةِ الصَّفِّ وَأَيْنَ الْحَجَى، وَأَيْنَ الدِّينُ؟  
 وَيَرِدُ هَذَا النَّسَقُ دَالًّا عَلَى التَّنْبِيهِ عَلَى الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالِ فِي قَوْلِهِ<sup>(2)</sup>:

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَكُلُّ بَابٍ لَمْ يَزَلْ يَشْكُو إِلَيْنَا قَسْوَةَ الْأَقْفَالِ؟  
 أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَكُلُّ رَشَّاشٍ لَهُ ثَعْرٌ، يُبْوَحُ بِسِرِّهِ الْقِتَالِ؟  
 أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَهَيْئَةَ الْأُمَمِ ارْتَمَتْ مَبْهُورَةً فِي حُضْنِ (بَطْرُسٍ غَالِي)،  
 وَيَأْتِي هَذَا النَّسَقُ فِي قَوْلِهِ<sup>(3)</sup>:

أَيْنَ مِنْ أُمَّتِي عُمَيْرٌ وَسَعْدٌ وَالْمَثْنَى وَخَالِدٌ وَسَعِيدٌ؟  
 أَيْنَ مِنْ قَادَةِ الْجِيُوشِ صَلَاحٌ؟ أَيْنَ مِنْ سَاسَةِ الْبِلَادِ الرَّشِيدُ؟  
 أَيْنَ قَطْرٌ لَمَّا تَهَاوَى تَنَارٌ عِنْدَ أَقْدَامِهِ فَعَزَّتْ بِنُودٌ؟  
 أَيْنَ ((رَبْعَيْنَا)) الْمَفَاوِضُ عَنَّا؟! أَيْنَ مِنَ الْمَغِيرَةِ الصَّنِيدُ؟!

وَيُوظَّفُ الْعَظْمُ بِنِيَةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ بِـ(أَيْنَ) دَالًّا عَلَى التَّحَسُّرِ عَلَى ضَيَاعِ وَفَقْدِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ،  
 فَيَقُولُ فِي رُبَاعِيَّةٍ (عِيدٍ!)<sup>(4)</sup>:

أَقْبَلَ الْعِيدُ وَرَفَّتْ ذِكْرِيَاتٌ وَتَلَطَّى فِي الْحَيَا يَا أُمْنِيَاتُ  
 أَيْنَ يَا فَا؟ أَيْنَ حَيْفَا؟ وَلَكُمْ فِي رَبِّي الْكَرْمَلِ تَحْلُو السَّهْرَاتُ!  
 أَيْنَ عَكَّا عَنْ حِمَاهَا صَامِدًا هُزِمَ الْعُدْوَانُ وَارْتَدَّ الطُّغَاةُ؟  
 عِيدُنَا عَوْدٌ كَرِيمٌ ظَافِرٌ وَبِعَيْرِ (الْعَوْدِ) لَا طَابَتْ حَيَاةُ!!

1-2-1-8-بُنَى الْإِسْتِفْهَامِ بِـ(مَتَى):

(1) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 70.

(2) عبد الرحمن العشماوي: عندما يئن العفان، ص: 112.

(3) المصدر نفسه، ص: 133.

(4) المصدر نفسه، ص: 29.

يُوظَّفُ العَشْمَاوِي بِنِيَّةِ الإِسْتِفْهَامِ المُتَعَدِّدِ وَأَدَاتِهِ (مَتَى) دَالَّةٌ عَلَى الإِسْتِبْطَاءِ أَوْ الإِنْكَارِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

يَا إِخْوَتِي مِيزَانَ قَوْمِي جَائِرٌ فَمَتَى يَقُومُ نَفْسَهُ المِيزَانَ؟  
بَحْرُ الحَيَاةِ تَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُهُ فَمَتَى تَصُونُ رِمَالَهَا الشُّطَّانُ؟

وَتُظْهِرُ بِنِيَّةَ الإِسْتِفْهَامِ المُتَعَدِّدِ بِـ (مَتَى) دَالَّةٌ عَلَى الإِسْتِبْطَاءِ عِنْدَ الكِيلَانِي، يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

بِرَبِّكَ أَخْبِرْ فُوَادِي الحَزِينِ  
مَتَى تَجْمَعُ الشَّمْلُ بالعَائِبِينَ؟

مَتَى يَبْرُغُ الحُبُّ فَوْقَ الرُّبُوعِ؟  
وَيُشْرِقُ بالبِشْرِ وَجْهَهُ الرِّيبِيعِ؟

وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ<sup>(3)</sup>:

وَطَالَ الطَّرِيقُ بِنَا أَلْفَ عَامٍ  
وَمَرَّ الصَّبَاحُ، وَأَبَ المَسَاءِ  
عُيُونٌ تُدُورُ

وَأَرْضٌ تُدُورُ

وَأَفْكَارُنَا المَهَادِرَاتُ تُمُورُ

نَظْلُ نُحَدِّقُ مِنْ حَوْلِنَا

مَتَى تَتَهَادَى عُرُوسُ السَّمَاءِ!

مَتَى يَتَجَلَّى بَهَاءُ القَمَرِ؟؟

يَطِيرُ بِنَا الحُلْمُ عَبْرَ التُّخُومِ

وَحَيْثُ القِلَاعُ وَأَسْلَاكُهَا الشَّائِكَةُ

وَحَيْثُ فَيَافِي الأَسَى وَالوُجُومِ

يَطِيرُ بِنَا الحُلْمُ نَحْوَ السَّحَابِ

نُطَارِدُ سِرْبَ الظَّلَامِ المَدِيدِ

هُنَاكَ نُفْتَشُ عَنْ شَمْسِنَا

وَنَضْرَعُ للرَّيحِ كَيْمَا تُشِيرُ

إِلَى مُسْتَقَرِّ بِهِ بَدْرُنَا

فِيَاتِي التَّسَقُّ الإِسْتِفْهَامِي دَالًا عَلَى الإِسْتِبْطَاءِ وَمُعْبَّرًا عَنِ وَطْأَةِ الإِنْتِظَارِ وَلَهْفَةِ الشُّوقِ إِلَى الحُلْمِ المُرْتَقَبِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 25.

(2) نجيب الكيلاني: مدينة الكباثر، ص: 18.

(3) المصدر نفسه، ص: 14.

وَيَسْتَعْمَلُ وَلِيدَ قِصَابٍ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ مُؤَدِّيَا الدَّلَالَةَ ذَاتَهَا فِي قَصِيدَتِهِ (غَيْبَةُ الْفَتَى الْمَشْهُودِ) الَّذِي يَنْتَظِرُهُ  
كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوَطَنِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

ذَاكَ الْفَتَى الْمَشْهُودُ  
غَبَرَتْ عَلَيْهِ عُهُودُ  
فَمَتَى سَيَأْتِينَا؟  
وَمَتَى سَيَعْرِفُ دَرْبَ قَرِينِنَا؟  
وَمَتَى سَيَبْزُغُ فِي دِيَارِنَا؟  
وَمَتَى سَيَبْضُ حَسُّ نَحْوَتِهِ  
فَيَعُودُ يَزْرَعُ دَفْنَهُ فِيْنَا  
وَمَتَى سَيَرْجِعُ فَجَرَّ عَاطِفَةً  
لِيُمسَحَ الْحُزْنَ الْمُعْتَشِشَ  
فِي مَا قِينَا؟  
لِيُبْرِعِمَ الْأَرْهَارَ  
وَيُجَرِّئَ الْأَطْيَارَ  
تَشْدُو - كَمَا كَانَتْ - بِوَادِينَا

وَتَرْتَبِطُ الْأَفْعَالُ الْمُضَارِعَةُ فِي بُنَى النَّسَقِ الْإِسْتِفْهَامِيِّ بِ(السَّيْنِ) الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ لِتَحْوَلِ الْبُنَى  
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِنْتِظَارَ لَنْ يَطُولَ وَأَنَّ مَوْعِدَ عَوْدَةِ الْفَتَى الْمَرْجُوِّ جَدُّ قَرِيبٌ. وَتَتَوَاتَرُ بِنِيَّةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْمُتَعَدِّدِ  
بِ(مَتَى) عِنْدَ يُوسُفَ الْعَظْمِ، فَهُوَ يَسْتَعْمَلُهُ فِي الرَّبَاعِيَّاتِ الْآتِيَةِ، فِي الْأُولَى يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

خِنْدَقِي قَبْرِي، وَقَبْرِي خِنْدَقِي وَزِنَادِي صَامِتٌ لَمْ يَنْطِقْ  
فَمَتَى يَنْفُثُ (رَشَّاشِي) مَتَى لَهَبًا يَصْبِغُ وَجْهَ الشَّقِيقِ؟  
وَمَتَى أَخْلَعُ قَيْدًا هَدَنِي وَثِيَابًا نُسَجَتْ مِنْ قَلْقِ؟  
أَشْرَقَ النُّورُ عَلَى كُلِّ الدُّنَا فَمَتَى يَغْمُرُ أَرْضَ الْمَشْرِقِ؟  
وَفِي الرَّبَاعِيَّةِ الثَّانِيَةِ يَقُولُ<sup>(3)</sup>:

فَوْقَ سُورِ الْقُدْسِ عِنْدَ الْحَرَمِ رِبْضَ الْإِخْوَةِ أَحْرَارِ الدَّمِ  
فِي فَمِ الْوَاحِدِ مِّنَالْهَبِ مِنْ سَعِيرِ الثَّوْرَةِ الْمُضْطَرِمِ  
قِصَّةٌ قَدْ سَطَّرَتْ مِنْ دَمِنَا وَحَكَايَا الظُّلْمِ، وَالتَّارِ الظَّمِي

(1) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 73.

(2) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 8.

(3) المصدر نفسه، ص: 14.

فَمَتَى نَرَوِي حَكَايَانَا مَتَى؟ وَمَتَى يَنْطِقُ لِلدُّثْيَا.. فَمَتَى؟  
وَفِي الرُّبَاعِيَّةِ الثَّلَاثَةِ يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

أَنَا فِي جَوْفِي نَارٌ وَلَهَبٌ أَنَا فِي صَدْرِي حَقْدٌ وَعَظَبٌ  
فَمَتَى يَلْفِظُ جَوْفِي لَهَبًا؟ عِنْدَمَا يَخْجَلُ حُكَّامُ الْعَرَبِ!  
وَمَتَى يَنْفُثُ صَدْرِي غَضَبًا؟ عِنْدَمَا يَصْمُتُ ((سُحْبَانُ)) الْخَطْبِ!  
عِنْدَهَا نَسْحَقُ أَعْدَاءَ الْحِمَى وَنُبَارِي فِي الْعُلَى.. هَامَ الشُّهْبِ!

فَالِاسْتِفْهَامُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَنْسَاقِ يَأْتِي دَالًّا عَلَى الْإِسْتِطْوَاءِ، وَهِيَ الدَّلَالَةُ الْأَكْثَرُ تَعَلُّقًا بِالْأَدَاةِ (مَتَى) فِي هَذَا السِّيَاقِ النَّفْسِيِّ وَالشُّعُورِيِّ، وَيُرَادُ بِتَكَرَّرِهَا "الِإِلْحَاحُ فِي الْعِبَارَةِ عَلَى مَعْنَى شُعُورِيٍّ يَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ عَنَاصِرِ الْمَوْقِفِ الشُّعْرِيِّ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَرُبَّمَا يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى تَمَيُّزِهِ عَنْ سَائِرِ الْعَنَاصِرِ بِالْفَاعِلِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ يَأْتِي التَّكْرَارُ لِتَمَيُّزِهِ بِالْأَدَاءِ".<sup>(2)</sup> فَالشَّاعِرُ وَشَعْبُهُ يَنْتَظِرَانِ اللَّحْظَةَ الثَّارِيخِيَّةَ الَّتِي يَنْطِقَانِ فِيهَا بِالْحَقِّ الصَّرِيحِ وَيَهْزِمَانِ الْعَدُوَّ وَيَتَطَّلِعَانِ إِلَى الْمَجْدِ.

### 1-2-2- مَجْمُوعَةُ الْبُنَى الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَدَاةِ:

تَتَنَوَّعُ مَجْمُوعَةُ الْبُنَى الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَدَاةِ الْمَشْكَلَةَ لِلْأَنْسَاقِ الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ بِحَسَبِ نَوْعِ وَعَدَدِ الْأَدَوَاتِ الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ الْمُتَكَرِّرَةِ الْمَوْظَفَةِ فِي الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ، فَقَدْ يُعَبِّرُ الشَّاعِرُ عَنْ حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ الْمُضْطَّرَبَةِ أَوْ الشُّعُورِيَّةِ الْمُتَوَثَّرَةِ فِي تَوْظِيفِ الْبُنَى الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ بِالْأَدَوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ تَأْخُذُ شَكْلًا ثَنَائِيًّا أَوْ ثَلَاثِيًّا أَوْ رُبَاعِيًّا تَكُونُ فِيهِ الْأَدَوَاتُ الْإِسْتِفْهَامِيَّةُ أَطْرَافَهُ الْمُتَعَدِّدَةَ وَقَدْ تَتَكَرَّرُ إِحْدَى الْأَدَوَاتِ وَتُهَيِّمُنُ عَلَى مَجْمُوعَتِهَا لِتُرْكِيزِ عَلَى دِلَالَةِ مُعَيَّنَةٍ فِي الْمَقْطَعِ الْمَكْتَفِ اسْتِفْهَامِيًّا.

وَتَتَحَلَّى النَّسَقُ الْإِسْتِفْهَامِيُّ الْمُتَعَدِّدُ الْأَدَوَاتِ فِي الْقَصِيدَةِ فِي مَقَاطِعِ شِعْرِيَّةٍ عِدَّةٍ، فَمِنِ الْمَقْطَعِ الْآتِي حَيْثُ تَتَضَافَرُ أَرْبَعُ بُنَى، يُسْتَفْهَمُ فِي الْأُولَى (مَا) وَفِي الثَّانِيَّةِ وَالثَّلَاثَةِ وَالرُّبَاعَةِ بِالْهَمْزَةِ، يَقُولُ حَسَنُ الْأَمْرَانِيِّ<sup>(3)</sup>:

يَا أَحِي، يَا ابْنَ أُمِّي،  
إِلَامَ يَتَزَاوَرُ عَنَّا النَّهَارُ؟  
يَا أَحِي، يَا ابْنَ أُمِّي،  
أَفِي كُلِّ دَارٍ قَتِيلُ؟  
أَفِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ  
شَارِدٌ تَتَوَلَّى سِنَاهُ السُّيُولُ؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 28.

(2) مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، ص: 172.

(3) حسن الأمراني: سيّدة الأوراس ص: 19.

أَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ  
شَهَقَةٌ وَعَوِيلٌ؟

فَوَاضِحٌ أَنَّ الْبِنِيَّةَ الْمُهَيِّمَةَ هِيَ بِنِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِ بِالْهَمْزَةِ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِنْكَارِ مِمَّا يَجْعَلُ الْإِنْكَارَ الدَّلَالَةَ الْغَالِبَةَ عَلَى الْمَقْطَعِ، وَهِيَ تَنْسَجِمُ مَعَ دَلَالَةِ الْاسْتِبْطَاءِ الَّتِي تُؤَدِّي بِهَا بِنِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِ بِـ(مَا)، فَكَمْ طَالَ انْتِظَارُ الْجَزَائِرِ إِلَى النَّهَارِ لِيَطْوِيَ صَفْحَةَ لَيْلِ الْفِتْنَةِ الَّتِي عَصَفَتْ بِهَا وَكَمْ أَنْكَرْتَ مَا فَعَلَ الْأَخُ بِأَخِيهِ.  
وَيَرِدُ الْاسْتِفْهَامُ الْمُتَعَدِّدُ مُتَضَمِّنًا دَلَالَةَ الْإِنْكَارِ فِي نَسَقٍ مُرَكَّبٍ تُسَمُّهُمْ فِي أَدَاءِ دِلَالَتِهِ (أَيْنَ) وَ(مَا) وَالْهَمْزَةَ (أ)، يَقُولُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ (1):

أَيُّهَا الْبَاحِعُونَ أَنْفُسَهُمْ      إِنَّ فَقَدَ الشُّعُورِ أَمْرٌ مَقِيئٌ  
قَدْ تَرَكْتُمْ نُورَ الْحَيَاةِ وَأَوْصَدَ      ثُمَّ رَتَّاجَ الدُّجَى فَايِّنَ الْمَيِّتُ  
مَا بَدَلْتُمْ مِنْ عَيْشِكُمْ؟ أَشَقَاءُ      أَمْ نَعِيمٌ فِي نَيْلِهِ أَنْ تَمُوتُوا  
لَا شَقَاءَ وَلَا نَعِيمًا زَعَمْتُمْ      فَقَدْ حَسَّ عَنِ الْحَيَاةِ شَتِيئُ  
إِنَّ خَيْرًا مِنْهُ شَقَاءٌ مُقِيمٌ      فِي حَيَاةٍ بِنُورِهَا مَكْبُوتُ

فَالدَّلَالَةُ الْمُحْتَمَلَةُ لِلنَّسَقِ هِيَ الدَّلَالَةُ الَّتِي أَفَادَتْهَا بِنِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِ بِـ(مَا) وَالْهَمْزَةَ وَمَدَّتْ إِجْمَاعًا إِلَى كُلِّ الْمَقْطَعِ، وَإِنْ دَلَّتْ بِنِيَّةُ الْاسْتِفْهَامِ بِـ(أَيْنَ) عَلَى الْوَعِيدِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى ضَلَالٍ مَنْ يَبْلُغُ بِهِ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ إِلَى الْإِنْتِحَارِ. وَيَأْتِي هَذَا النَّسَقُ مُرَكَّبًا مِنْ ثَلَاثِ بِنِيَّاتٍ اسْتِفْهَامِيَّةٍ تَتَصَدَّرُهَا بِنِيَّةُ أَدَائِهَا (مَا) وَبِنِيَّتَانِ أُخْرَيَانِ أَدَاتُهُمَا الْهَمْزَةُ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْبِنِيَّاتِ مُعَبَّرَةٌ عَنِ الْإِنْكَارِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ (2):

بَنِي أُمَّتِي، فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا فَمٌ      يَقُولُ وَلَكِنَّ الْفَعَالَ تَشِينُ  
عَلَامٌ يَدُوسُ الْمُعْتَدُونَ رِكَابَنَا      وَنَحْنُ بِنَهْجِ الْمُعْتَدِينَ نَدِينُ؟  
أَيْرِفُ رَأْسُ الْمَارِقِينَ عَنِ الْهُدَى      وَرَأْسُ الدُّعَاةِ الْمُصْلِحِينَ طَمِينُ؟  
أَيَحْسَمُ أَمْرُ الْأَقْوِيَاءِ بِسَاعَةٍ      وَتَمْضِي عَلَى أَمْرِ الضَّعَافِ سِنِينُ؟  
سُؤَالٌ، وَمَا زَالَ الْجَوَابُ مُشْرَدًا      تُحِيطُ بِهِ مِمَّا نَخَافُ ظُنُونُ

وَفِي مَقْطَعٍ آخَرَ مِنْ قَصِيدَةِ (وَقْفَةَ) أَمَامَ جَامِعِ الزَيْتُونَةِ يَرِدُ النَّسَقُ الْاسْتِفْهَامِيُّ الْمُتَعَدِّدُ قَائِمًا عَلَى خَمْسِ بِنِيَّاتٍ يُسَبِّطُ فِيهَا الْاسْتِفْهَامُ بِالْهَمْزَةِ عَلَى أَرْبَعِ بِنِيَّاتٍ، وَيُؤَدِّي الْاسْتِفْهَامُ فِي الْخَامِسَةِ بِـ(مَا). أَمَّا الدَّلَالَةُ الَّتِي تَتَمَحَّضُ عَنْ هَذَا النَّسَقِ فَتَتَمَثَّلُ فِي التَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ وَإِنْ كَانَ السِّيَاقُ الْعَامُّ لِلْقَصِيدَةِ يُوحِي بِالْأَسَى الْمُرِّ لِلْحَالِ الَّتِي آلَتْ إِلَيْهَا ثُوْنُسُ الْخَضْرَاءِ، يَقُولُ الْعَشْمَاوِيُّ (3):

(1) محمد الغزالي: الحياة الأولى، ص: 108.

(2) عبد الرحمن العشماوي: نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، ص: 44.

(3) عبد الرحمن العشماوي: عندما يئن العفان، ص: 71.

يَا تُؤْسُ الخُضْرَاءِ صَيَّرَنِي الأَسَى  
أَتْلَاحِقِينَ شَبَابِكَ الحُرِّ الَّذِي  
أَوْ كَلَّمَا عَتَادَ المَسَاجِدِ مُسْلِمٌ  
أَوْ كَلَّمَا ارْتَدَّتِ الحِجَابَ أَيْبَةً  
مَا بَالُكُمْ تَسْعَى الشُّعُوبُ إِلَى الهُدَى  
فَتُحْرَكُونَ لَهَا أَصَابِعَ مَكْرِكُمْ  
أَوْ مَا تَرُونَ الفَجْرَ يُلْقِي خُطْبَةً  
يَا جَامِعَ الرِّيْثُونَةَ، اِخْتَلَفَ المَدَى  
قَدْ كُنْتَ يَبُوعًا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ  
وَالْيَوْمَ تَرْمُقُكَ العُيُونُ، فَمُقَلَّةٌ  
طِفْلًا كَبِيرًا يَشْتَكِي البُرْحَاءَ  
جَعَلَ العَقِيدَةَ مِشْعَلًا وَضَاءً؟!  
ذَاقَ الوَبَالَ وَوَجَّهَ اسْتِعْدَاءً؟!  
لَاقَتْ مِنَ المُنْعَرَبِينَ بَلَاءً؟!  
بَعْدَ الضَّلَالِ وَتَخَطَّبُ العُلَيَاءُ؟!  
وَتُمزَّقُونَ أَمَامَهَا الأَشْلَاءَ  
مِنْ نُورِهِ، وَقَصِيدَةَ عَصْمَاءَ؟!  
وَجَنَى عَلَيْكَ المَعْتَدِي وَأَسَاءَ  
تَبْنِي عَلَيَّ نَهَجَ الهُدَى العُلَمَاءَ  
وَأُخْرَى تَطْفَحُ اسْتِهْزَاءً

إنَّ بِنَى الاسْتِفْهَامِ المُتَوَاتِرَةِ فِي نَصِّ القَصِيدَةِ وَالمُسْهِمَةِ فِي إِتْجَاعِ الدَّلَالَاتِ المُتَنَوِّعَةِ بِنَوْعِ السِّيَاقَاتِ وَالمَوَاقِفِ هِيَ بِنَى أُسَاسِيَّةٌ فِي التَّرْكِيبِ وَتَتَطَلَّبُ لِأَهْمِيَّتِهَا كَوَاقِعَ أُسْلُوبِيَّةٍ الكَشْفِ عَنِ وَطِيفَتِهَا فِي تَمَاسُكِ النِّصِّ وَفِي الرِّبْطِ بَيْنَ جُمْلِهِ مِنْ خِلَالِ التَّكْرَارِ وَمِنْ خِلَالِ الوَصْلِ وَالفَصْلِ.

إنَّ أَهَمَّ مَا كَشَفَ عَنْهُ البَحْثُ فِي مَقَارِبَةِ بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الإِنْشَائِيِّ فَاعْلِيَّةِ هَذِهِ البِنْيَةِ فِي القَصِيدَةِ مُمَثَّلَةٌ فِي بِنْيَةِ الاسْتِفْهَامِ، فَهِيَ بِنْيَةٌ لَهَا خُصُوصِيَّتُهَا الأُسْلُوبِيَّةُ وَحَيَوِيَّتُهَا التَّعْبِيرِيَّةُ فِي اللُّغَةِ وَهِيَ مِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ اللُّغَةِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنِ الحَيَوِيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ، تَتَصَدَّرُ بِنْيَةُ الاسْتِفْهَامِ الإِنْشَاءَ الطَّلِبِيَّ وَتَتَقَدَّمُ عَلَى بَقِيَّةِ أَنْوَاعِهِ لِكثَافَةِ تَوَاطُرِهَا، فَقَدْ شَكَّلَ الاسْتِفْهَامُ بِنَى تَكَرَّرِيَّةً مِنْ حَيْثُ تَوَاطُرُهُ المَلْحُوظُ وَمِنْ ثَمَّ كَانَ مَلْمَحًا أُسْلُوبِيًّا، وَانزِيَا حَاشَا شِعْرِيًّا انْحَرَفَتْ فِيهِ البِنَى عَنْ دِلَالَتِهَا الأَصْلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ إِلَى دِلَالَاتِ سِيَاقِيَّةٍ إِجْثَائِيَّةٍ أَحْصَبَتْ بِنْيَةَ الدَّلَالَةِ فِي القَصِيدَةِ وَأَكْسَبَتْ بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ خُصُوصِيَّةً فِي الأَدَاءِ، وَوَرَدَ فِي بِنْيَتَيْنِ؛ الأُولَى بِنْيَةُ الاسْتِفْهَامِ المُفْرَدِ أَوْ البَسِيطِ، وَقَدْ وَقَعَتْ بِنَى الاسْتِفْهَامِ فِيهِ مُفْرَدَةً وَمُتَفَرِّقَةً فِي مَوَاضِعَ مُتَبَاعِدَةٍ مِنَ القَصِيدَةِ فِي الاسْتِهْلالِ وَفِي غَيْرِهِ، وَتَنَوَّعَتْ بِحَسَبِ الأَدَاةِ الدَّالَّةِ عَلَى الاسْتِفْهَامِ وَبِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الَّتِي تُنْتَجِهَا فِي سِيَاقِ القَصِيدَةِ. وَالثَّانِيَةُ بِنْيَةُ الاسْتِفْهَامِ المُتَعَدِّدِ أَوْ المُرْكَبِ، وَوَقَعَتْ بِنَى الاسْتِفْهَامِ فِيهِ مُتَعَدِّدَةً وَمُجْتَمِعَةً فِي مَوْضِعٍ أَوْ قِسْمٍ مِنَ القَصِيدَةِ فِي الاسْتِهْلالِ أَوْ فِي غَيْرِهِ، وَتَنَوَّعَتْ هَذِهِ البِنَى المُتَلَاحِمَةُ بِحَسَبِ الأَدَوَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الاسْتِفْهَامِ كَأَنَّ تَكُونَ أَدَاةً وَاحِدَةً مُتَكَرِّرَةً أَوْ أَدَوَاتٍ عِدَّةً مُتَنَوِّعَةً وَبِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الَّتِي تُنْتَجِهَا فِي سِيَاقَاتِ القَصِيدَةِ.

وقَدْ انزَاحَتْ بِنَى الاسْتِفْهَامِ فِي البِنْيَتَيْنِ عَنْ دِلَالَةِ (الاسْتِخْبَارِ) المُحَدَّدَةِ الَّتِي تُدَلُّ عَلَيْهَا البِنْيَةُ إِلَى دِلَالَاتٍ مُطْلَقَةٍ يُشِيرُ إِلَيْهَا السِّيَاقُ إِضَافَةً إِلَى تِلْكَ الدَّلَالَاتِ الجُرْثُمِيَّةِ الَّتِي تُنْتَجِهَا عَنَاصِرُ البِنْيَةِ بِتَوَازُعِهَا الدَّاخِلِيِّ.

ويبدو أن تأثر الشاعر الإسلامي بتركيب الآية القرآنية وأسلوبها صيغتها في أكثر موضع من المتن الشعري الإسلامي يحمل دلالة بالغة الأهمية إذ تدل على الرغبة في التسج على منوالها والارتقاء إلى مستواها النظمي المعجز، وبقدر ما يستمد من بيانها يحقق أصالته ويجد ذاته ويحس بانتمائه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الْبَابُ الثَّالِثُ  
بِنْيَةُ الدَّلَالَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
الفصلُ الأوَّلُ: بِنْيَةُ الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ  
الفصلُ الثَّانِي: بِنْيَةُ التَّنَاصُّ الشُّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ

## توطئة:

قَدْ نَهَضَ عِلْمُ الدَّلَالَةِ (*Sémantique*)<sup>(\*)</sup> بِدَرَسِ الْمَعْنَى أَوْ (الدَّلَالَةِ)، وَنَشَأَ مِنْ مُحَاوَلَةِ اسْتِيعَابِ قَضَايَاهَا. (1)  
وَعَلَى تَنَوُّعِ تَعَارِيفِ هَذَا الْعِلْمِ؛ فَهُوَ "الْعِلْمُ الَّذِي يَدْرُسُ الْمَعْنَى." "وَذَلِكَ الْفَرْعُ الَّذِي يَدْرُسُ الشُّرُوطَ الْوَاجِبَ  
تَوَافُرُهَا فِي الرَّمْزِ حَتَّى يَكُونَ قَادِرًا عَلَى حَمْلِ الْمَعْنَى." "وَفَرْعٌ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ يَدْرُسُ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الرَّمْزِ اللُّغَوِيِّ  
وَمَعْنَاهُ، وَيَدْرُسُ تَطَوُّرَ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ التَّارِيخِيَّةِ، وَتَنَوُّعِ الْمَعَانِي وَالْمَجَازِ اللُّغَوِيِّ، وَالْعَلَاقَاتِ بَيْنَ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ."  
فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنِ إِطَارِ (دِرَاسَةِ الْمَعْنَى). (2) وَمُقَارَبَةُ (الْمَعْنَى) فِي لُغَةِ الْقَصِيدَةِ الشُّعْرِيَّةِ تَهْدَفُ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى  
إِنْتِاجِ الدَّلَالَةِ الَّتِي هِيَ قَصْدُ الشَّاعِرِ وَإِبْدَاعُ الْقَصِيدَةِ. فَاَلْمُقَارَبَةُ الدَّلَالِيَّةُ تُتِيحُ، مِنْ جَانِبٍ، التَّعَامُلَ مَعَ طَبِيعَةِ التَّجْرِبَةِ  
الشُّعُورِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْجَمَالِيَّةِ وَتَفَاعُلِهَا مَعَ الْحَيَاةِ مِنْ حَوْلِهَا أَوْ فِي رُؤْيَى مُسْتَقْبَلِيَّةٍ، وَتُؤَدِّي، مِنْ جَانِبٍ ثَانٍ، إِلَى  
تَعْمِيقِ تَجْرِبَةِ الْقَارِئِ بِعَالَمِ الْأَدْبَاءِ. (3)

وَتَكُونُ، مِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ، نُقْطَةَ الْبِدَايَةِ الصَّحِيحَةِ فِي دَرَسِ الْأَدَبِ، فَـ "التَّجْرِبَةُ تَبْدَأُ مِنْ خِلَالِ اللُّغَةِ الَّتِي  
كُتِبَتْ بِهَا، وَبِوَسَايَةِ أُسْلُوبٍ تُحَقِّقُ جَمَالِيَّةَ التَّوَصِيلِ إِلَى الْقُرَّاءِ وَالمُتَلَقِّينَ وَمِنْ ثَمَّ التَّوَاصُلِ، وَمِنْ التَّوَصِيلِ وَالتَّوَاصُلِ  
يَتَضَحُّ مَدَى صِلَةِ هَذَا التَّنَاجِ بِالْحَيَاةِ وَبِالأَصُولِ وَالمُسْتَقْبَلِ." (4) وَتُعَدُّ بِنِيَّةِ الدَّلَالَةِ أَهَمُّ مُسْتَوَى شُعْرِيٍّ وَلُغَوِيٍّ فِي  
الْقَصِيدَةِ، إِذْ هِيَ تَتَّصِلُ بِكُلِّ مُسْتَوَى نَصِّ الشُّعْرِيِّ، وَتَتَجَلَّى وَرَاءَ كُلِّ الْمَظَاهِرِ الشُّعْرِيَّةِ بَدْءًا مِنْ الصَّوْتِ  
وَإِلِيقَاعِ وَأَنْتِهَاءً بِالمُعْجَمِ، وَقَدْ قَارَبَ الْبَحْثُ كَثِيرًا مِنْ تَحْلِيَّاتِ الدَّلَالَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي فُصُولِ الْبَابَيْنِ السَّابِقَيْنِ، فَلَا  
مَنَاصَ مِنْ تَجَاهُلِ المَكُونِ الدَّلَالِيِّ وَهُوَ الْعَامِلُ الأَسَاسُ الَّذِي يَقِفُ وَرَاءَ الْعَمَلِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ، وَلَمَّا كَانَتْ مُقَارَبَةُ الْبِنِيَّةِ  
الدَّلَالِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ تُعْنَى بِرِصْدِ الدَّلَالَةِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ فَقَدْ تَمَّتْ مُقَارَبَتُهَا مِنْ خِلَالِ بِنِيَّتَيْنِ مُمَيَّزَتَيْنِ، هُمَا بِنِيَّةُ الصُّورَةِ  
الشُّعْرِيَّةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ وَمِنْ خِلَالِ بِنِيَّةِ التَّنَاصُّ، كَمَا يَتَضَحُّ فِي الْفَصَلَيْنِ الْآتِيَيْنِ:

(\*) يَعُودُ تَارِيخُ نَشْأَةِ عِلْمِ الدَّلَالَةِ إِلَى أَوَاخِرِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ حَيْثُ ظَهَرَ المِصْطَلَحُ الدَّلَالِيُّ عَلَيْهِ فِي مَقَالِ لِمِشَالِ بَرِيَالِ (M. Bréal) سَنَةِ 1883م. وَتَبِعَهُ دَارْمَسْتِيَتِرُ (*Darmesteter*) فِي كِتَابِهِ الَّذِي يَحْمِلُ عُنْوَانَ (حَيَاةِ الأَلْفَاظِ) (*La vie des mots*) وَصَدَرَ فِي سَنَةِ 1887م، وَلَكِنْ الأَهْتِمَامُ الْحَقِيقِيُّ بِمَسَائِلِ الدَّلَالَةِ فِي ضَوْءِ الدَّرْسِ السَّابِقِ ابْتَدَأَ مَعَ بَرِيَالِ فِي كِتَابِهِ (*Essai de sémantique*) الَّذِي نَشَرَ سَنَةَ 1897م.

(1) كلود جرمان وريمون لوبلان: علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، دار الفاضل للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 1994، ص: 5.

(2) بالمر: علم الدلالة، إطار جديد، ص: 10 وما بعدها.

(3) فايز الداية: علم الدلالة العربي، ص: 442.

(4) المرجع نفسه، ص: 442.

الفصل الأول

بنية الصورة الشعرية في القصيدة

1- نسق الصورة المفردة

2- نسق الصورة المركبة

3- نسق الصورة الرمزية

يُعدُّ مُصطلحُ الصُّورَةِ -سواءَ أكانتُ فنيَّةً أم أدبيَّةً أم شعريَّة- من المصطلحاتِ الحديثةِ، فقد صيغَ تحتَ وطأةِ التأثيرِ بمصطلحاتِ النِّقدِ العربيِّ والاجتهادِ في ترجمتها، لأنَّ الاهتمامَ بالمشكلاتِ التي يُشيرُ إليها المصطلحُ قديماً، يرجعُ إلى بداياتِ الوعيِّ بالخصائصِ النوعيةِ للفنِّ الأدبيِّ. قد لا نجدُ المصطلحَ بهذه الصياغةِ الحديثةِ في التراثِ البلاغيِّ والنقديِّ عندَ العربِ، ولكنَّ المشاكلَ والقضايا التي يُشيرُها المصطلحُ الحديثُ ويطرَحُها موجودةٌ في التراثِ، وإنَّ اختلقتُ طريقةُ العرضِ والتناولِ أو تميَّزتْ جوانبُ التركيزِ ودرجاتُ الاهتمامِ. إنَّ الصُّورَةَ هي الجوهرُ الثابتُ والدائمُ في الشعرِ، قد تتغيَّرُ مفاهيمُ الشعرِ ونظريَّاته، ولكنَّ الاهتمامَ بها يظلُّ قائماً ما دامَ هناكَ شعراءُ يندعونَ ونقادٌ يحاولونَ تحليلَ ما أبدعوه، وإدراكه والحكمَ عليه. (1)

ومِمَّا يسوغُ مقارنةَ (الصُّورَةِ) في المستوى الدلاليِّ أنَّ المناهجَ النقديةَ المختلفةَ تتفقُ على كونِ الصُّورَةِ تُؤدِّي دورها عن طريقِ توصيلِ المعنى، وإنَّ اختلقتْ هذه المناهجُ في أنَّ بعضها يرى التوصيلَ مباشراً بسيطاً تقريباً، بينما يراه بعضها الآخرَ إيجازاً غيرَ مباشرٍ ومعقداً. أي أنَّ المناهجَ النقديةَ تتفقُ على كونِ الصُّورَةِ تفعلُ على مستوى واحدٍ هو المستوى الدلاليِّ. وترى أنَّ لها بُعداً واحداً هو بُعدُ وظيفتها المعنوية، ولا خلافَ في هذا بينَ المناهجِ التي تتصورُ أنَّ الصُّورَةَ تُؤدِّي دورها عن طريقِ تقريرِ المعنى ذي البعدِ الواحدِ وتلكَ التي تؤمنُ أنَّ المعنى له طبقاتٌ عدَّةٌ منها السطحيُّ المباشرُ ومنها التضمينيُّ الذي نكتشفُه عن طريقِ الترابطِ والاستنتاج. (2)

هذا، وتعدُّ الصُّورَةَ عنصراً مهماً في بنيةِ القصيدةِ، بل هي القصيدةُ ذاتها لأنَّ الصُّورَةَ هي التي تُبثُّ بإيقاعِ ألوانها وموسيقا تراكيبها الدلالاتِ المختلفةِ ولأنَّ النسقَ يقومُ على الصُّورَةِ. (3) فليسَ التصويرُ في القصيدةِ: "زُحرفاً ظاهرياً، ولا زينةً زائدةً يُمكنُ الاستغناءَ عنها أو اختصارها، والاكتفاءُ ببعضها، بل إنه عنصراً أساسياً ينمو بنموِّ البناءِ الفنيِّ العامِّ للقصيدة". (4)

وتتنوعُ مفاهيمُ الصُّورَةِ في الدرسِ النقديِّ والبلاغيِّ والأسلوبيِّ، فهي "الشكلُ الفنيُّ الذي تتخذه الألفاظُ والعباراتُ بعدَ أن ينظّمها الشاعرُ في سياقٍ بيانيٍّ خاصٍّ ليُعبرَ عن جانبٍ من جوانبِ التجربةِ الشعريةِ الكاملةِ في القصيدةِ، مستخدماً طاقاتِ اللغةِ وإمكاناتها في الدلالةِ والتركيبِ والإيقاعِ والحقيقةِ والمجازِ والترادفِ والتضادِ، والمقابلةِ والتجانسِ وغيرها من وسائلِ التعبيرِ الفنيِّ". (5) وهي "الصَّوْغُ اللِّسَانِيُّ المَخْصُوصُ الَّذِي بَوَاسِطَتِهِ بَجْرِي

(1) جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربيين بيروت، ط: 3، 1992، ص: 8.

(2) كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنوية في الشعر، دار العلم الملايين، بيروت، ط: 3، 1984، ص: 22.

(3) خليل الموسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، ص: 104.

(4) مصطفى محمد الغماري: في النقد والتحقيق، دار مدني، (د، ط)، 2003، ص: 33.

(5) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط: 3، (د، ت)، ص: 391.

تَمثِيلُ المَعَانِي، تَمثِيلًا جَدِيدًا وَمُبْتَكِرًا، بِمَا يُحِيلُ إِلَى صُورٍ مَرثِيَّةٍ مُعَبَّرَةٍ، وَذَلِكَ الصَّوْغُ التَّمييزُ وَالمُتفَرِّدُ، هُوَ فِي حَقِيقَةِ الأمرِ، عُدُولٌ عَن صَبِيغِ إِحَالِيَّةٍ مِنَ القَوْلِ إِلَى صَبِيغِ إِجْحَائِيَّةٍ". (1)

وَقَدْ تَكُونُ الصُّورَةُ تَعْبِيرًا لُغَوِيًّا عَن تَمَثُّلٍ مَا. (2) فَهِيَ: "تَرْكِيْبٌ لُغَوِيٌّ مُتَمييزٌ يَتَوَلَّدُ عَن إِسْفَاطِ مَحَوَرِ الِاخْتِيَارِ عَلَى مَحَوَرِ التَّرْكِيبِ. وَيَكْمُنُ هَذَا التَّمييزُ فِي مَا تُثِيرُهُ مِنَ غَرَابَةِ وَإِعْجَابٍ وَأَنْدِهَاشٍ يَشُدُّ إِلَيْهِ انْتِبَاهَ المُتَلَقِّي. إِنَّهَا تُوجَدُ فِي اللُّغَةِ وَبِاللُّغَةِ، وَلَا شَيْءَ خَارِجَهَا". (3) أَوْ هِيَ "كُلُّ تَرْكِيبٍ لُغَوِيٍّ ذِي عِلَاقَاتٍ تَقُومُ عَلَى المُشَابَهَةِ أَوْ المُجَاوَرَةِ أَوْ المُعَايَرَةِ". (4) وَهِيَ، بِهَذَا المَفْهُومِ القَائِمِ عَلَى العِلَاقَاتِ، تُضَمُّ الأشْكَالُ البَلَاغِيَّةُ أَوْ البَيَانِيَّةُ كالمَحَازِ اللُّغَوِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ، وَالأشْكَالُ الفَنِّيَّةُ الحَدِيثَةُ كالمَرْمَزِ وَالأُسْطُورَةِ وَالتَّرَاسُلِ وَالمُفَارَقَةِ وَغَيْرَهَا، وَضُرُوبَ التَّقْدِيمِ الحَسِّيِّ لِالأَفْكَارِ. (5) وَليْسَتِ الصُّورَةُ، كَمَا تَقَدَّمَ، تَرْكِيبًا لُغَوِيًّا عِلَاقِيًّا إِجْحَائِيًّا فَحَسْبُ، فَهِيَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى "تَرْكِيبِيَّةٌ وَجَدَائِيَّةٌ تَنْتَسِي فِي جَوْهَرِهَا إِلَى عَالَمِ الوُجْدَانِ أَكْثَرَ مِنَ انْتِمَائِهَا إِلَى عَالَمِ الوَاقِعِ". (6) وَهَذَا المَلْحَظُ جَعَلَ تَعْرِيفَهَا مُطْلَقًا يَتَحَدَّدُ فِي "كُلِّ تَعْبِيرٍ انْفِعَالِيٍّ غَيْرِ مُبَاشِرٍ وَلَا حَرْفِيٍّ". (7)

وَيَبِينُ أَنَّ دِلَالَةَ الصُّورَةِ تَتَسَّعُ لِتَشْمَلَ كُلَّ الأشْكَالِ الفَنِّيَّةِ الحَدِيثَةِ وَكُلِّ مَا لَهُ عِلَاقَةٌ بِمَجَالَاتِ التَّعْبِيرِ الحَسِّيِّ وَلَا تُضَيِّقُ لِتَقِفَ عِنْدَ مَجَالَاتِ الأشْكَالِ البَيَانِيَّةِ القَدِيمَةِ.

أَمَّا القِيَمَةُ الفَنِّيَّةُ لِلصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ (الصُّورَةُ المَكَانِيَّةِ) فَلَا تَنْفَصِلُ عَن قِيَمَةِ الصُّورَةِ المُوسِيقِيَّةِ أَوْ الإيقَاعِيَّةِ (الصُّورَةُ الزَّمَانِيَّةِ) لِلقَصِيدَةِ، فَالشَّاعِرُ إِنْ لَمْ يُوقِفْ مِنْ خِلَالِ الصُّورَةِ المُوسِيقِيَّةِ إِلَى خَلْقِ حَالَةٍ التَّوَافُقِ بَيْنَ الحَرَكَةِ الَّتِي تَمُوجُ بِهَا النَّفْسُ وَالحَرَكَةِ الَّتِي تَمُوجُ بِهَا الأَشْيَاءُ، وَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى نَحْوِ غَايَةٍ فِي الخِفَاءِ، فَإِنَّ الصُّورَةَ المُوسِيقِيَّةَ عِنْدئذٍ، مَهْمَا يُكُنْ فِيهَا مِنْ تَنَاسُقٍ وَنِظَامٍ خَاصٍّ، تُحَقِّقُ فِي تَحْقِيقِ غَايَتِهَا الفَنِّيَّةِ، وَتَبْتَعِي تَشْكِيلًا صَوْتِيًّا مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ، وَكَمَا يَتَّخِذُ الشَّاعِرُ الصُّورَةَ المُوسِيقِيَّةَ وَسِيلَةً إِلَى ذَلِكَ التَّوَافُقِ النَّفْسِيِّ الطَّبِيعِيِّ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ يَسْتَعِلُّ الصُّورَةَ المَكَانِيَّةَ لِخَلْقِ هَذَا التَّوَافُقِ. (8) وَمِنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ لِلصُّورَةِ المَكَانِيَّةِ أَنْ تَكُونَ تَشْكِيلًا نَفْسِيًّا عَلَى غِرَارِ الصُّورَةِ المُوسِيقِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْكِيلًا نَفْسِيًّا، أَيْ مُحَاوَلَةً لِتَنَسِيقِ الشَّكْلِ وَفَقَ حَرَكَاتِ النَّفْسِ الَّتِي

(1) بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 1994، ص: 3.

(2) جوزيف ميشال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، ص: 70.

(3) علي المتقي: القصيدة العربية المعاصرة بين هاجس التنظير وهاجس التجريب، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط: 1، 1429هـ/2009م، ص: 192.

(4) نعيم اليافي: أوهام الحداثة، دراسة في القصيدة العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1993، ص: 172.

(5) المرجع نفسه، ص: 171.

(6) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 127.

(7) نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص: 233.

(8) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 125.

تَتَجَدَّدُ وَتَتَلَوَّنُ مَعَ كُلِّ عَاطِفَةٍ وَكُلِّ شُعُورٍ<sup>(1)</sup> وَإِذَا أَمَكَّنَ أَنْ تَرُصِدَ لِلصُّورَةِ المُوَسِّيقِيَّةِ (الرَّمَانِيَّةِ) فِي القَصِيدَةِ وَظِيفَتَيْنِ؛ هُمَا الوَظِيفَةُ الإِيقَاعِيَّةُ وَالوَظِيفَةُ النَّفْسِيَّةُ، فَإِنَّ مُقَارَبَةَ الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ تَتَوَخَّى الكَشْفَ عَنِ وَظِيفَتَيْنِ أَوْ مُسْتَوِيَيْنِ مِنَ الفَاعِلِيَّةِ الشُّعْرِيَّةِ؛ هُمَا المُسْتَوَى الدَّلَالِيُّ وَالمُسْتَوَى النَّفْسِيَّ، أَوْ (الفاعليَّة/الوظيفة المعنويَّة والفاعليَّة/الوظيفة النَّفْسِيَّةِ) بِحَسَبِ الاصْطِلَاحِ التَّقْدِيَّي. (2) فَبِنْيَةُ الصُّورَةِ، بِالنَّظَرِ إِلَى هَذِهِ الوَظِيفَةِ المُرَدَّوَجَةِ، هِيَ إِعَادَةُ تَنْسِيقِ اللُّوَأَقِعِ أَوْ الوُجُودِ عَلَى اخْتِلَافِ مُسْتَوِيَاتِ هَذَا الوَاقِعِ أَوْ الوُجُودِ تَنْسِيقًا يَتَوَافَقُ مَعَ الشُّعُورِ أَوْ الوُجُودَانِ.

وَيَسْتَمِدُّ الشَّاعِرُ فِي تَشْكِيلِ صُورِهِ "عَنَاصِرَ مِنْ عَيْنَاتٍ مَائِلَةٍ فِي المَكَانِ، وَكَأَنَّهُ بِذَلِكَ يَصْنَعُ نَسَقًا خَاصًّا لِلْمَكَانِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ قَبْلُ، تَمَامًا، كَالنَّسَقِ الرَّمَانِيِّ (المُوسِيقِيِّ) الخَاصِّ الَّذِي صَنَعَ الصُّورَةَ الصَّوْتِيَّةَ لِلْقَصِيدَةِ. فَإِذَا كَانَتْ حَقِيقَةُ المَكَانِ - كَحَقِيقَةِ الزَّمَانِ - نَفْسِيَّةً وَكَيْسَتْ وَاقِعِيَّةً، كَانَ تَشْكِيلُ الصُّورَةِ بِالمَعْنَى الَّذِي شَرَحْنَاهُ، أَيِ مَنْ حَيْثُ هِيَ نَسَقٌ لِلْفِكْرَةِ وَلَيْسَ لِلطَّبِيعَةِ، مُتَّفِقًا تَمَامًا مَعَ حَقِيقَةِ المَكَانِ النَّفْسِيَّةِ". (3)

وَآخِرًا، فَإِنَّ أَهْمِيَّةَ الصُّورَةِ تَنْبِي عَلَى أَسَاسَيْنِ:

- عَلَى أَسَاسِ أَنَّهَا "جَوْهَرُ التَّجْرِبَةِ وَالأَدَاةُ الفَدَّةُ لِلتَّشْكِيلِ الجَمَالِيِّ، وَالحَلُّ الوَحِيدُ لِأَزْمَةِ اللُّغَةِ الَّتِي تُوَاجِهُ الشَّاعِرُ حِينَ يُحَاوِلُ تَصْوِيرَ رُؤْيَتِهِ الخَاصَّةِ، وَإِدْرَاكِهِ الخَاصِّ لِوَأَقِعِهِ". (4)

- وَعَلَى أَسَاسِ أَنَّهَا "جَوْهَرُ الشُّعْرِ وَأَدَاتُهُ القَادِرَةُ عَلَى الخَلْقِ وَالاِبْتِكَارِ، وَالتَّحْوِيرِ وَالتَّعْدِيلِ لِأَجْزَاءِ الوَاقِعِ، بِلِ اللُّغَةِ القَادِرَةِ عَلَى اسْتِكْنَاهِ جَوْهَرِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ وَتَشْكِيلِ مَوْقِفِ الشَّاعِرِ مِنَ الوَاقِعِ، وَفَقَّ إِدْرَاكِهِ الجَمَالِيِّ الخَاصِّ". (5) وَفِي ضَوْءِ هَذِهِ المَفَاهِيمِ يُجْرِي البَحْثُ مُقَارَبَةً لِبِنْيَةِ الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ مِنْ خِلَالِ نَمَازِجٍ مِنَ القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

### 1- بِنْيَةُ الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ:

يُتِيحُ تَوْصِيفُ - أَوْ تَصْنِيفُ - الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ عَلَى أَسَاسِ هَذِهِ الأَنْسَاقِ النَّظَرِ إِلَى الصُّورَةِ بِوَصْفِهَا بِنْيَةً مُسْتَقَلَّةً أَوْ مَحْمُوعَةً مِنَ البِنْيِ المُتَعَالِقَةِ، وَيُمْكِنُ وَصْفُ مَكُونَاتِهَا وَالعَلَاقَاتِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهَا وَبِيسَهْلُ التَّعَرُّفِ إِلَى الآلِيَّاتِ المُنتِجَةِ لَهَا.

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 126.

(2) كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي، ص: 22.

(3) المرجع السابق نفسه، ص: 128.

(4) مدحت الحيار: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، دار المعارف، القاهرة، ط: 2، 1995، ص: 3.

(5) المرجع نفسه، ص: 6.

ولعلَّ هذا التَّصنيفَ الثَّنائيَّ يجعلُ هذه المقارَبةَ، أوَّلاً، في غنى عن توزيع الصُّورِ المُستخرَجة من النُّصوصِ على تلك الأنواع والأنماطِ التي عرَفَتها الصُّورةُ الشعريَّةُ، وثانياً يُجنَّبُها تَكَرُّرَ تَوْظيفِ النُّصوصِ في أكثرَ من مَوْضِعٍ للاستشهادِ بها على نوعٍ أو نمطٍ أو آليَّةٍ من آلياتِ بناءِ الصُّورةِ، فالصُّورةُ الواحدةُ قد تُسهمُ في تركيبها أكثرَ من آليَّةٍ وقد تُندرجُ تحتَ أكثرَ من نوعٍ ونمطٍ. وبذلك تحفظُ للصُّورةِ وحدتها وخصوصيتها وتُحولُ دونَ تمزيقها وإضاعة شعريتها، بشرطِ أن تتمَّ تلك المقارَبةُ في إطارِ سياقِ النَّصِّ الذي يُحيطُ بالصُّورةِ ويُحدِّدُ دلالاتها، وأن تُتكفَّلَ بإضاعة كلِّ الأبعادِ التي تختصُّ بها الصُّورُ.

وتتنظَّمُ الصُّورةُ الشعريَّةُ، مهماً يكونُ نمطها في القصيدة، في الأنساقِ الآتية:

1-1- نَسَقُ الصُّورَةِ الْمُفْرَدَةِ:

تُعَدُّ الصُّورَةُ الْمَفْرَدَةُ أَبْسَطَ مُكَوِّنَاتِ التَّصْوِيرِ، إِذْ مِنْ خِلَالِهَا يُمَكِّنُ دِرَاسَةَ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، مِنْ حَيْثُ اشْتِمَالُهَا عَلَى تَصْوِيرٍ جُزْئِيٍّ مُحَدَّدٍ، يُقَدِّمُ لَنَا الصُّورَةَ الْبَسِيطَةَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَدْخُلَ فِي تَرْكِيبِ بِنَاءِ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ وَهِيَ أَشْمَلُ وَأَكْثَرُ تَعْقِيدًا وَتَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ صُورٍ مُفْرَدَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِنَاءً مُحْكَمًا مِنْ خِلَالِ عِلَاقَاتٍ خَاصَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ، مِثْلَ عِلَاقَاتِ التَّدَاعِيِ الْحَرِّ وَابْنَاءِ الشَّكْلِي لِلصُّورَةِ وَغَيْرِهَا. وَهَكَذَا كَانَ لِلصُّورَةِ الْبَسِيطَةِ دِلَالَتُهَا الْمَعْنَوِيَّةَ وَالتَّنْفِيسِيَّةَ الْمَسْتَقْلَةَ فِي ذَاتِهَا، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ مُنْعَزَلَةً انْعِزَالًا تَامًّا أَوْ مُنْقَطِعَةً عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الصُّورِ. (1) فَالصُّورَةُ الْمَفْرَدَةُ أَوْ الْبَسِيطَةُ تُكُونُ، حِينًا بِنِيَّةً مُعْلَقَةً فَتَتَوَقَّفُ عِنْدَ إِطَارِ هَذِهِ الْبِنِيَّةِ وَتَتَقَلَّصُ دِلَالَتُهَا، وَقَدْ تَكُونُ بِنِيَّةً مَفْتُوحَةً، أَحْيَانًا، عَلَى بِنِيَّةِ النَّصِّ فَتَتَجَاوَزُ إِطَارَ بِنِيَّتِهَا وَتَمْتَدُّ دِلَالَتُهَا، وَوَضِيفَتُهَا فِي الْحَالِينِ تَصْوِيرِ جَانِبِ جُزْئِيٍّ وَمَحْدُودٍ مِنَ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ.

وَتَشْتَكِلُ الصُّورَةُ فِي هَذَا النَّسَقِ مِنَ التَّشْبِيهِ أَوْ الِاسْتِعَارَةِ أَوْ الْكِنَايَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُكُونُ النَّمَطَ الْبَلَاغِيَّ، فَهِيَ تَسْتَعْمَلُ التَّشْبِيهَ وَتَسْتَحْدِمُ الِاسْتِعَارَةَ، وَلَكِنَّهَا رَغْمَ بَسَاطَتِهَا تَنْفَتِّحُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مُعْتَمِدَةً عَلَى مُوهَلَاتِهَا الْخَاصَّةِ وَتُصْبِحُ ذَاتَ تَرْكِيبٍ تَجْرِيدِيٍّ يُلْغِي طَرْفِي التَّشْبِيهِ فِيمَا هُوَ يُعِدُّهُ لِارْتِيَادِ آفَاقٍ جَدِيدَةٍ، وَتَبَعًا لِذَلِكَ تَكُونُ بَسِيطَةً فِعْلًا لَكِنَّهَا لَيْسَتْ عَادِيَّةً، إِنَّهَا تَحْمِلُ فِي صِلِهَا بُدُورَ انْفِجَارِهَا الَّذِي يَتَّبِعُهُ تَحَوُّلٌ يُؤَدِّي إِلَى اللُّوْحَةِ أَوْ الْمَشْهَدِ. (2)

وَيَتِمُّ بِنَاءُ الصُّورَةِ الْمَفْرَدَةِ عَبْرَ آلِيَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ كَالْمَجَازِ بِأَنْوَاعِهِ وَالتَّجْسِيدِ وَالتَّشْخِصِ وَالتَّرَاسُلِ، فَالْمَجَازُ مُغَادِرَةُ الْمَفْرَدَةِ لِمَعْنَاهَا الْمُعْجَمِيَّ لِوِازِعِ حَمَالِيٍّ، وَيَتَضَمَّنُ الِاسْتِعَارَةَ الْمَكْنِيَّةَ وَالتَّصْرِيحِيَّةَ وَالكِنَايَةَ، وَالتَّجْسِيمَ أَوْ التَّجْسِيدَ تَحْوِيلَ الذَّهْنِيِّ الْمَجْرَدِ إِلَى حِسِّيٍّ، وَالتَّشْخِصَ إِضْفَاءً صِفَاتِ الْإِنْسَانِ عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ، أَمَّا التَّرَاسُلُ فَهُوَ تَبَادُلُ الْحَوَاسِ. (3) وَكَاشِكٌ فِي أَنَّ هَذِهِ الْآلِيَاتِ أَوْ التَّقْنِيَّاتِ لَا تَعْمَلُ عَلَى إِثْرَاءِ الصُّورَةِ فَحَسْبُ وَإِنَّمَا تُسَهِّمُ بِمِشَارَكَةِ الْمَكَوِّنَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْأُخْرَى فِي إِثْرَاءِ شَعْرِيَّةِ الْقَصِيدَةِ.

وَقَدْ تَجْتَمِعُ آلِيَاتُ الْبِنَاءِ هَذِهِ فِي بِنِيَّةِ صُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَتَسْمُهَا بِالْإِنْزِيَّاحِ، فَالتَّجْسِيدُ الَّذِي يَجْعَلُ الْمَعْنَى أَوْ الْفِكْرَةَ حَيَّةً فِي الذَّهْنِ وَيُجَسِّمُهَا وَالتَّشْخِصَ الَّذِي يُحْمَلُ الْمَحْسُوسَاتِ وَالْمَادِّيَّاتِ السَّمَاتِ الْإِنْسَانِيَّةَ وَالتَّجْرِيدَ الَّذِي يُضْفِي الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةَ عَلَى الْمَحْسُوسَاتِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَرَاوُلِ الْحَوَاسِ تُشَكِّلُ صُورًا مُنْزَاحَةً. وَقَدْ وَظَّفَتِ الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هَذِهِ الْآلِيَاتِ فِي إِبْدَاعِ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَإِنْتِاجِ الدَّلَالَةِ، وَقَدْ تَنَوَّعَتِ الصُّورَةُ تَبَعًا لِآلِيَاتِ الْبِنَاءِ، وَهَذَا مَا تَكْشِفُ عَنْهُ مُقَارَبَةٌ نَمَازِجٍ مِنَ التُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ:

(1) عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص: 78.

(2) محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر، ص: 131.

(3) عبد الإله الصائغ: الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية، ص: 223.

## 1-1-1-الصورة التراسلية:

يُقوم بناء الصورة التراسلية على "تبادل المحسوسات (البصرية والسمعية والشمية...) صفاتها أو تداخل الصفات بما يحدده السياق وينسجم مع حو القصيدة أو المقطع الذي يتم فيه التراسل".<sup>(1)</sup> ويتبين أن مفهوم (تراسل الحواس) يتحدد في وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى كوصف المرئي بالمسموع والمشموم باللموس، وفي هذا تتجلى العلاقات الحفية بين الأشياء وتبرز الأحاسيس الغامضة والرؤى البعيدة، وينتج عن هذه العملية صور تتوالج فيها معطيات الإدراك الحسي، فيظهر الأثر النفسي ويتجلى الشعور أو الإحساس الذي يعدُّ لازماً من لوازم العملية التصورية. ويعرف هذا التَّمطُّ من الصور بالصور المتجاوبة أو المتراسلة أو المزدوجة أو المحوِّلة، وهي جميعاً الصور التي تصف مدركات حاسة من أخرى فتعطي المسموعات ألواناً، وتهبُّ الألوان أنعاماً، وتُصيرُ المرئيات عاطرةً، وتجعل المشمومات ألحاناً... أي تُقيم صلوات متداخلة بين معطيات الحواس المختلفة، وتوجد تشابهات وعلاقات بين الكيفيات التي تختصُّ بكلِّ ضربٍ واحدٍ منها، وتكون التبيحة وحدةً في الحواس فسيحة عميقة تشابك على رحابها المشاهد والألوان والأصوات ويمتدح بعضها ببعضها الآخر.<sup>(2)</sup>

إنَّ الشاعرَ الإسلاميَّ يعمدُ إلى تشكيل صورٍ قائمة على نقل المفردات من مجالٍ حسيٍّ إلى مجالٍ آخر؛ ولما تستقلُّ الصورة التراسلية بسياقٍ خاصٍّ، فهي تنشأ عن صورة سابقة أو تنشأ عنها صور، يقول مصطفى الغماري في نعت العين بالمرارة<sup>(3)</sup>:

وتظلل تجرحني عينٌ مرة

يقنات من نظراتها.. الانكسار

فالملاحظ أنَّ الصورة المتراسلة وردت في إطار البنية الاستعارية التي تمتدُّ على مستوى البيت كله، فتَهيمنُ على الشطر الأولِ البنية الاستعارية (تجرحني عين...)، وتسودُ الثانيِ البنية (يقنات من نظراتها الانكسار).

ويقول مانحاً الأذن من الصفات ما ليس لها، إذ الرشف من مشمولات حاسة الذوق، وواصفاً (الكلم) بـ(المعطر)، و(العطر) من مدركات حاسة الشم<sup>(4)</sup>:

وتر الضياء.. إذ ترتم في يدي

يخضرُ حرفٌ بالهدى وضاء

(1) جمال يونس: لغة الشعر عند سميح القاسم، ص: 126.

(2) نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص: 158.

(3) الغماري: أسرار الغربة، ص: 61.

(4) المصدر نفسه، ص: 66.

وَأَعْيَى إِذَا الْكَلِمُ الْمَعَطَّرُ هَاتِفٌ  
وَالأُذُنُ عَنِ رَشْفِ الْخَنَى صَمَاءُ

وفي الصُّورَتَيْنِ وَصَفٌ لِمَحْسُوسٍ بِمَحْسُوسٍ.

وَيَقُولُ وَأَصِفَا الظَّلَامَ بِمَا يُشْرَبُ<sup>(1)</sup>:

ظَلَامٌ شَرِبَتْهُ مُرًّا رَهِيْبًا  
يُبْرِعُهُ فِي الرُّوحِ أَحْزَانِيهِ

وَلَا يَفِئُ الْفَعْلُ الشُّعْرِيُّ فِي الصُّورَةِ عِنْدَ تَجْسِيدِ الظَّلَامِ فِي مَا هُوَ مَادِيٌّ كَالْمَشْرُوبِ (شَرِبَتْهُ مُرًّا...)، وَإِنَّمَا يُجَسَّدُ وَيُجَسِّمُ (الأَحْزَانَ) الْمَعْنَوِيَّةَ الْمَعْقُولَةَ فِي (يُبْرِعُهُ... أَحْزَانِيهِ)، فَكَأَنَّهَا كَائِنَاتٌ طَبِيعِيَّةٌ نَبَاتِيَّةٌ مُدْرَكَةٌ بِالْأَبْصَارِ أَوْ شَاخِصَةٌ فِي مَسْرَحِ الْخِيَالِ فِي أَجْسَامٍ وَهَيْئَاتٍ.

أَمَّا نَجِيبُ الْكَيْلَانِيِّ فَيَتَمَثَّلُ عِنْدَهُ هَذَا التَّمَطُّ مِنَ الصُّورِ فِي وَصْفِ الشَّدَى بِالْحَلَاوَةِ، فَيَعْدِلُ فِي تَوْظِيْفِهِ لِلصَّفَةِ (الْحُلُو) عَنْ دِلَالَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الذُّوقِيَّةِ إِلَى دِلَالَةِ مَجَازِيَّةٍ فَتَحْوَلُ إِلَى وَصْفِ مَا يُشْمُ، يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

أَغْرَقَ الْجُورُ حُلْمَنَا فِي بَحَارٍ مِنَ الضَّجَرِ  
كَيْفَ نَحْيَا بِلَا هَوَى وَالشَّدَى الْحُلُو يَنْدَثِرُ  
وَقُيُودِي ثَقِيلَةٌ فَمَتَى الْقَيْدُ يَنْكَسِرُ؟

وَيَسْتَعْمِلُ فِي سِيَاقٍ آخَرَ مُقَابِلَ اللَّفْظَةِ السَّابِقَةِ، فَيُوظِّفُ اللَّفْظَةَ (مُر) تَوْظِيْفًا مَجَازِيًّا يَتَّعِدُ بِهَا عَنْ دِلَالَتِهَا الْأُولَى، فَيَصِفُ مَا هُوَ مَعْنَوِيٌّ وَيُدْرِكُ مِنْ خِلَالِ السَّمْعِ أَوْ الْبَصَرِ (السُّخْرِيَّة) بِمَا هُوَ مِنْ خَاصَّةٍ مِنْ خَوَاصِّ الذُّوقِ، يَقُولُ<sup>(3)</sup>:

السُّخْرِيَّةُ الْمُرَّةُ سَيْفٌ بَاتِرٌ  
هِيَ جَلَادٌ لَا يَرْحَمُ،

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الْمُرَاسِلَةُ عُنْصُرًا مِنْ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، فَهِيَ تُمَثِّلُ طَرَفَ الْمَشْبَهِ وَيُقَابِلُهَا الْمَشْبَهَ بِهِ، وَتَرْتَدُّ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْمَشْبَهِ الْمُرَدِّ (السُّخْرِيَّةِ الْمُرَّةِ) وَالْمَشْبَهَ بِهِ (سَيْفٌ بَاتِرٌ) إِلَى الْمَعْنَى الضَّمْنِيِّ الَّذِي يَحْمِلُهُ السِّيَاقُ وَهُوَ (الإِيْدَاءُ) فِي كِلَيْهِمَا، وَقَدْ حَسَدَتْ الصُّورَةُ الْمَعْنَى تَجْسِيدًا حَسِيًّا. وَالتَّنْظَرُ إِلَى طَبِيعَةِ الطَّرْفَيْنِ فَيَعِدُّ هَذَا التَّشْبِيْهُ تَشْبِيْهُ مَعْقُولٍ بِمَحْسُوسٍ مِنْ جِهَةٍ وَمُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 81.

(2) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 46.

(3) المصدر السابق نفسه، ص: 48.

وَيَعْتَمِدُ مُحَمَّدٌ حَسَنَ إِسْمَاعِيلَ عَلَى تَرَأْسِ الْحَوَاسِ فِي بِنَاءِ صُورِهِ الشَّعْرِيَّةِ، فَيُقِيمُ بِنْيَتَهُ التَّشْبِيهِيَّةَ عَلَى الْمَشَابَهَةِ بَيْنَ الْأَنَاشِيدِ، وَهِيَ أَصْوَاتٌ مَسْمُوعَةٌ، وَالْعَطْرِ وَهُوَ رَوَائِحٌ مَشْمُومَةٌ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (عَلَى بَابِ الْهَيْكَلِ) (1):

حُمَّتْكَ يَا هَيْكَلُ بَعْدَ النَّوَى      أَلْقَى تَسَابِيحِي فِي مَعْبَدِكَ  
أَلْقَى التَّسَابِيحَ الَّتِي رَفَرْتُ      كَالْحُلْمِ فِي مَهْدِ الْهَوَى النَّائِمِ  
تَنَسَّابٌ مِنْ قَلْبِي أَنَاشِيدُهَا      كَالْعَطْرِ مِنْ فَجْرِ الرَّبِيِّ الْحَالِمِ

وَيَتَمَيَّزُ هَذَا الْمَقْطَعُ فِي بِنْيَتِهِ الثَّانِي والثَّالِثِ بِكثَافَةِ شَعْرِيَّةِ نَاتِجَةٍ عَنِ الْإِنْزِيَاكِ الَّذِي أَحْدَثَتْهُ بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ وَالِاسْتِعَارَةِ الْمُنْصَهَرَةِ فِي الْبِنْيَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ ذَاتِهَا، حَيْثُ تَتَجَاوَرُ فِي التَّرَكِيبِ صُورَةٌ اسْتِعَارِيَّةٌ وَأُخْرَى تَشْبِيهِيَّةٌ زِيَادَةً عَلَى الصُّورَةِ التَّرَاسُلِيَّةِ، وَيُمْكِنُ التَّمَثِيلُ لِذَلِكَ التَّجَاوُرِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ:

بِنْيَةٌ اسْتِعَارِيَّةٌ ← بِنْيَةٌ تَشْبِيهِيَّةٌ ← بِنْيَةٌ اسْتِعَارِيَّةٌ

أَلْقَى التَّسَابِيحَ الَّتِي رَفَرْتُ      كَالْحُلْمِ      فِي مَهْدِ الْهَوَى النَّائِمِ  
تَنَسَّابٌ مِنْ قَلْبِي أَنَاشِيدُهَا      كَالْعَطْرِ      مِنْ فَجْرِ الرَّبِيِّ الْحَالِمِ

وَيَنْسُجُ صُورَةً أُخْرَى قَائِمَةً عَلَى التَّرَاسُلِ فَيَصِفُ التَّأْوِيهَةَ بِالسَّوَادِ وَالْمَرَارَةِ فِي مَقْطَعٍ لَا يَخْلُو كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ مِنْ صُورَةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ أَوْ اسْتِعَارِيَّةٍ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (دُنْيَا أَدْمَعُ وَمَاتَم) (2):

وَكَمْ نِعْمَةً بَيْنَ الْحَشَا رَامَ عَزَفَهَا      فَظَلَّتْ كَوَهْمٍ فِي الْحَيَاتِ جَائِمِ  
وَتَأْوِيهَةَ فِي اللَّيْلِ سَوْدَاءَ مُرَّةٍ      تُفْرَعُ فِي قَلْبِ الدُّجَى كُلِّ نَائِمِ  
بَرَاهَا كَمَا تَبْرِي مَاقِيهِ دَمْعَهَا      وَسَارَ كَمَخْبُولٍ عَلَى الْأَرْضِ هَائِمِ

إِنَّ الصِّفَاتِ الْحَسِيَّةَ الَّتِي تَبَعَتْ الْأَسْمَاءَ الْمَوْصُوفَةَ فِيمَا تَقَدَّمَ عَمِلَتْ عَلَى تَشْخِيصِهَا وَتَحْسِيدِهَا وَعَلَى تَنْبِيئِ صُورِهَا مُخْتَزَلَةً فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَبِذَلِكَ تَنْتُجُ شَعْرِيَّةُ الصُّورَةِ وَتَتَجَلَّى طَاقَتُهَا التَّصْوِيرِيَّةُ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ غَيْرِ الْمُتَوَقَّعَةِ أَوْ غَيْرِ الْمَلَاتِمَةِ وَالخَارِجَةِ عَنِ الْمَأْلُوفِ. وَتُشَكِّلُ الصُّورَةُ الْمُتْرَاسِلَةَ مُرَاجَعَةً لِعَوِيَّةٍ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ (تَأْوِيهَةَ) وَالصِّفَةِ الْأُولَى الْبَصْرِيَّةِ (سَوْدَاءَ) وَالصِّفَةِ الثَّانِيَّةِ الدَّوْقِيَّةِ (مُرَّةً) وَتُوحِي هَذِهِ الْمُرَاجَعَةُ بِالْكَاتِبَةِ وَالْحُزْنَ.

وَيَصُوغُ صُورَةً مُتْرَاسِلَةً فِي إِطَارِ الْبِنْيَةِ الْاسْتِعَارِيَّةِ التَّحْسِيدِيَّةِ، فَيَحْوِلُ الشَّدَا إِلَى شَرَابٍ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (أَسْرِعِي قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ الْأَغَانِي) (1):

(1) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004، مج: 1، ص: 105.

(2) المصدر نفسه، ص: 159.

وَأَنَا خَاشِعٌ هُنَالِكَ فِي الْأَيْبِ كَمَا كُنتُ سَتَعْفِرُ جَنَّا فِي صَلَاةِ  
أَنْحَسَى شَذَاكٍ مِنْ سَجْوَةِ الظِّلِّ وَأَقْتَاتُ مُزْعَجَ الذِّكْرِيَّاتِ  
وَأُنَادِي فَيُخَنِّقُ الحُزْنَ صَوْتِي وَتَمُوتُ الْأَصْدَاءُ طَيِّ لَهَا تِي

وَيَسْتُخَدِمُ لَوْنًا آخَرَ مِنْ تَرَاسُلِ الحَوَاسِ يَمَثَلُ فِي تَبَادُلِ المَادِّيِّ وَالمَعْنَوِيِّ وَانْتِرَاعِ أَحَدِهِمَا مِنْ مَجَالِهِ وَنَقْلِهِ  
إِلَى المَجَالِ الأخر، فَيَصِفُ المَسَامِعَ أَوْ الأَذَانَ وَهِيَ مَادَّةٌ مَحْسُوسَةٌ بِالأَثَامِ وَهِيَ مَعْنَوِيَّةٌ مُجَرَّدَةٌ، وَكُلُّ مِنْهُمَا يَنْتَمِي  
إِلَى مَجَالِهِ الخَاصِّ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (صَوْتُهَا فِي ضَمِيرِي)<sup>(2)</sup>:

يَا صَوْتُهَا فِي ضَمِيرِي طُفْ بِسَاحَتِهَا وَقُلْ: لِأَيَّةِ أذنِ رُحْتِ ثُلُقِينِي؟!!

هَذَا المَسَامِعُ آثَامٌ مُغْلَفَةٌ وَخُدْعَةٌ ذَهَبَتْ بِالصَّمْتِ تَعْوِينِي  
وَمَنْهُ وَصْفُهُ نَارَ القَيْظِ فِي الصَّيْفِ بِالحِزْيِ الَّذِي يَنْهَشُ ضَمِيرَ الأَثَمِ، فَأَحَدُهُمَا مَادِيٌّ وَالأخرُ مَعْنَوِيٌّ، يَقُولُ  
فِي قَصِيدَةِ (جَلَادِ الظَّلَالِ)<sup>(3)</sup>:

يَطْنُ حَوَالِيهَا الهَجِيرُ كَأَنَّهُ تَخَافْتُ عَارِ حَوْلِ عَرَضِ مُثَلِّمِ  
وَيُفْخُ كَالْحَدَّادِ نَارًا شَرَارُهَا تَنَاهَشُ حَزْيِي فِي ضَمِيرِ مُدَمِّمِ  
مَشَيْتُ بِهَا حَيْرَانَ أَشْبَهَ خَاطِرًا بِقَلْبِ مَلُولِ جَارِعِ اليَأْسِ مُظْلِمِ

إِنَّ الصُّورَةَ المُتَرَاسِلَةَ أَوْ المُتَجَاوِبَةَ فِي شِعْرِ مُحَمَّدِ حَسَنِ إِسْمَاعِيلِ تَنْجَحُ مِنَ الصَّوْتِ أَوْ الأذنِ إِلَى اللُّونِ أَوْ  
البَصَرِ عَلَى الأَكْثَرِ، وَإِلَى اللَّمْسِ وَالشَّمِّ عَلَى الأَقْلِ<sup>(4)</sup>، فَتَأْتِي فِي شِعْرِهِ مَجْمُوعَاتٌ مِنَ المَزَاوَجَاتِ الَّذِي يَنْتَمِي فِيهَا  
طَرَفٌ إِلَى مَجَالٍ وَيَنْتَمِي الطَّرْفُ الأخرُ إِلَى مَجَالٍ، كُنَثَائِيَّةٌ (الأَلْحَانِ/البَيْضَاءِ) الدَّالَّةُ عَلَى النِّقَاءِ وَالمُطَهَّرِ، فَالطَّرْفُ  
الأوَّلُ- أَوْ المَوْصُوفُ- يَتَّصِلُ بِالسَّمْعِ وَالثَّانِي- أَوْ الصِّفَةُ اللَّوْنِيَّةُ- يَتَّصِلُ بِالبَصَرِ، وَهَذِهِ صُورَةٌ سَمْعِيَّةٌ بَصَرِيَّةٌ يَقُولُ  
الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةِ (خَفَقَاتِ)<sup>(5)</sup>:

يَكْفِيكَ أَنْ تَخْلُدَ أَلْحَانُكَ البَيْضَاءُ  
فِي سَاحَةِ المَعْبُدِ عَلَى فَمِ الحَسْنَاءِ  
تَنْسَابُ إِذْ تُنْشِدُ مِنْ نَعْرِهَا الأَضْوَاءُ

وَكُنَثَائِيَّةٌ (مُعَنْبِرٌ/اللَّحْنِ) فَالطَّرْفُ الأوَّلُ يَتَّصِلُ بِالشَّمِّ وَالثَّانِي يَتَّصِلُ بِالسَّمْعِ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (شَاعِرِ  
الفَجْرِ)<sup>(6)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، 174.

(2) المصدر نفسه، ص: 156.

(3) المصدر نفسه، ص: 553.

(4) نعيم الياقي: تطور الصورة الفنية، ص: 167.

(5) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مج: 1، ص: 121.

(6) المصدر نفسه، ص: 102.

مُعَبَّرُ اللَّحْنِ إِذَا مَا شَدَا وَرَجَعَ الْأَنْعَامَ فِي فَجْرِهِ!  
تَخَالُهُ مَجْمَرَةٌ وَالصَّدَى فَوْحُ التُّقَى يَنْسَابُ مِنْ ثَعْرِهِ  
وَكُنْثَائِيَّةُ (الْأَنْعَامِ/السُّودِ) فَالطَّرْفُ الْأَوَّلُ يَتَعَلَّقُ بِالسَّمْعِ وَالثَّانِي بِالْبَصَرِ، وَثَنَائِيَّةُ (نَاعِمِ/اللَّحْنِ) فَالطَّرْفُ الْأَوَّلُ لَهُ  
عِلَاقَةٌ بِاللَّمْسِ وَالثَّانِي لَهُ عِلَاقَةٌ بِالسَّمْعِ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ (حِينَ أَطْرَقَتْ...<sup>(1)</sup>):

مَنْ لَهُ؟ آه، مَنْ لَأَنْعَامِهِ السُّو د إِذَا بَنَتْ اللَّيَالِي أَيْنَهُ؟  
كَمْ شَدَا فِي ظِلَالِهَا نَاعِمَ اللَّحْنِ وَأَلْقَى عَلَى يَدَيْهَا رَيْنَهُ  
وَيَقُولُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ (تَكْبِيرَةَ الْعَوْدَةِ)<sup>(2)</sup>:

وَفِي لَيْلَةٍ.. فَجَرُّهَا فِي السُّفُوحِ ظِلَامٌ يُعْنِي وَضَوْءٌ يَنُوحُ  
وَفُوحُ الْمَنَائِي عَلَى دَرَبِهَا سُكُونٌ شَقِيٌّ وَأَشْلَاءُ رِيحٍ

وَيَكْشِفُ رَصْدُ الصُّورِ الْمُرَاسِلَةِ أَوْ الْمُتَجَاوِبَةِ فِي شَعْرِ مَحْمُودِ حَسَنِ إِسْمَاعِيلِ عَنِ خُصُوصِيَّةِ تَوْظِيْفِ الْأَلْوَانِ  
فَ"الْأَلْوَانُ الْأَثِيرَةُ لَدَيْهِ هِيَ الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَخْضَرُ وَالْأَصْفَرُ... وَالرَّوَائِحُ هِيَ الْعَنْبَرُ وَالْمِسْكُ وَعِطْرُ  
الْأَزْهَارِ... أَمَّا دَرَجَاتُ اللَّمْسِ فَإِنَّهُ يُفْضِلُ التُّعْمَةَ وَاللُّيُونَةَ وَالرَّفَقَةَ وَالصَّفَاتِ الْحَانِيَّةَ كُلَّهَا، وَجَمِيعُهَا أَشَدُّ مَيْلًا إِلَى  
الْحِسِّيَّةِ مِنْهَا إِلَى الذَّهْنِيَّةِ، وَالْقُطْبُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْمَلُ لَدَيْهِ هُوَ الْإِنْطِبَاطُ الْمَادِّيُّ الَّذِي يَتَلَقَّى كَكَيْفِيَّةٍ خَارِجِيَّةٍ، وَمَعَ  
ذَلِكَ فَإِنَّ الْعِلَاقَتَيْنِ سَوَاءٌ فِي ضَوْءِ الْمَرْتَبَاتِ أَوْ الْمَشْمُومَاتِ أَوْ الْمَحْسُوسَاتِ سَرِيعًا مَا تَتَنَاغَمُ وَتَسَاوِقُ وَتَنْدَمِجُ فِي  
وَحْدَةٍ مُتَدَاخِلَةٍ تُحِيلُهَا مِنْ وَضْعِهَا الْمُبَاشِرِ الْمُتَقَابِلِ إِلَى وَضْعٍ آخَرَ مُتَشَابِكٍ تَلْتَحِمُ فِيهِ الصَّلَاتُ".<sup>(3)</sup>

وَمِمَّا يَنْدَرِجُ ضِمْنَ نَمَطِ تَبَادُلِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ تَحَوُّلُ الْمَعْنَوِيِّ إِلَى مَادِّيٍّ بِوَسِطَةِ تَجْسِيدِ الْمَعَانِي وَالْمَشَاعِرِ  
وَالْبَاسِهَا ثَوْبًا حَسِيًّا أَوْ بِوَسِطَةِ تَشْخِصِهَا فِي هَيْئَاتٍ وَأَوْضَاعٍ إِنْسَانِيَّةٍ حَيْثُ تُضْفِي عَلَى الصُّورَةِ بَعْضَ الظَّلَالِ  
وَتَمْنَحُهَا حَيَوِيَّةً وَحَرَكَةً، وَتَجْسِيدُ الْمَعَانِي أَوْ تَشْخِصُهَا قَدْ يَرُدُّ بَسِيطًا مُعْتَمِدًا عَلَى الْوَصْفِ الْمُبَاشِرِ أَوْ الْعِلَاقَاتِ  
الْمَجَازِيَّةِ مِنْ تَشْبِيهِ حُدْفَتْ أَدَاتِهِ ثُمَّ أَضْيَفَ فِيهِ الْمَشَبَّهُ بِهِ إِلَى الْمَشَبَّهِ، أَوْ اسْتِعَارَةَ تَخْيِيلِيَّةٍ، وَمِنْ ثَمَّ كَثُرَتْ فِي شِعْرِهِ  
تَعَابِيرُ حَزِينِيَّةٌ مِنْ مِثْلِ (الشُّعَاعُ الْمَحْنُوقُ، الْأَمَانِي الْمُبْعَثَرَةُ، كَأْسُ الْأَبَدِيَّةِ، ضَبَابُ الْمُسْتَحْيِلِ، فَجَاجُ الْفِكْرِ، دُخَانُ  
الْأَسَى، رُفَاتُ الْأَحْلَامِ..). وَقَدْ يَرُدُّ مُرَكَّبًا مُعْتَمِدًا عَلَى اسْتِقْصَاءِ أَطْرَافِ الصُّورَةِ، أَوْ الْاسْتِطْرَادِ فِيهَا بِتَرْكِ الْفِكْرَةِ  
الْأَسَاسِيَّةِ وَالْإِنْسِيَاقِ فِي تَصْوِيرِ مَا تُشْبِهُهُ.<sup>(4)</sup>

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 184.

(2) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مج: 2، ص: 303.

(3) نعيم الياحي: تطور الصورة الفنية، ص: 168.

(4) محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص: 252.

يُشكّل التراسل، إذا، بين المادي والمعنوي سمةً فنيّةً تُميّز بنية الصورة في شعر محمود حسن إسماعيل سواء تمّ ذلك من خلال تعريف المعنوي بتشبيهه بالمحسوس أو تحسّيد فيه أو تحويل المحسوس إلى معنى مجرد، إنّه إحدى وسائل الشاعر الأسلوبية لإنتاج الدلالة وإبداع الصورة.

### 1-1-2- الصورة التشخيصية والتجسيدية:

تحمّل الصورة، بوصفها "إعادة تشكيل للواقع حيث تصير الأشياء جديدةً لأنّها عناصر في مناخ جديد، وهيئة جديدة".<sup>(1)</sup> الشاعر على أن يُنوع في أدوات بنائها ويُجرب وسائل تشكيلها، ومن تلك الوسائل الشعرية (التشخيص) الذي هو "إضفاء صفات وميزات الكائن الحي ومشاعره على الأشياء المادية".<sup>(2)</sup> وهو ملازم لكثير من صورته، ففي هذه الصورة البديعة يسبغ الشاعر على (الحصلات السود) وعلى (الموج) بعض خصائص الإنسان الحي، يقول في قصيدة (العذراء الشهيدة)<sup>(3)</sup>:

رأحتُ بلا زورقٍ.. تنساب في الماء.. كأنّها موجة!

.....

حصلاتك السود.. مشورة الشعر.. يلهو بها الموج  
كأنّها حود.. يندبن في دعر.. ما غيب اللج

إنّ الشاعر انتزع من الواقع جزءاً فجسّمه في صورة خيالية وظلّ مع ذلك مرتبطاً ببقية الواقع محتفظاً بوجوهه الحقيقي، وكأنّ الواقع والخيال الجسّم قد امتزجا في صورة واحدة جديدة زاد من إحساسنا بجديتها عبارات الشاعر وما تحمّل من حركة وإحساس.<sup>(4)</sup> فقد نسج الخيال الشعري في هذا المقطع صورته على تشبيه مركّب قائم على مشابهة المحسوس بالمحسوس.

إنّ الطبيعة، بكلّ تجلياتها، تأخذ في شعر محمود حسن إسماعيل مظاهر الإنسان، فإذا هي تشكو وتتألم وتهمس وتحمس كما يحس البشر.<sup>(5)</sup> وهذا ما يلحظ وما يمكن التمثيل له بمقاطع من قصيدة (حصاد القمر)، يقول الشاعر في مستهلها<sup>(6)</sup>:

سيان في جفنه الإغفاء والسهر نامت سنابله واستيقظ القمر

(1) محمد منال عبد اللطيف: الخطاب في الشعر، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 1424هـ/2003م، ص: 59.

(2) المرجع نفسه، ص: 59.

(3) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مج: 1، ص: 109.

(4) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص: 419.

(5) محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص: 260.

(6) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مج: 1، ص: 598.

نَعْسَانُ يَحْلُمُ وَالْأَضْوَاءُ سَاهِرَةٌ      قَلْبُ النَّسِيمِ لَهَا وَلَهَا يُنْفَطِرُ  
 مَالِ السَّنَا جَاتِيًّا يَلْقَى بِمَسْمَعِهِ      هَمْسًا مِنَ الْوَحْيِ لَا يُدْرِي لَهُ خَبْرُ  
 وَأَطْرَقَتْ نَخْلَةٌ قَامَتْ بِتَلْعَتِهِ      كَأَنَّهَا زَاهِدٌ فِي اللَّهِ يَفْتَكِرُ  
 إِنَّ هَفَّ نَسْمٍ بِهَا حِيلَتْ ذَوَائِبُهَا      أَنَامَلًا مُرْعَشَاتِ هَزَّهَا الْكَبِيرُ  
 كَأَنَّمَا ظَلَمَهَا فِي الْحَقْلِ مُضْطَهَدٌ      صَمْتُ السُّكُونِ إِلَيْهِ جَاءَ يَعْتَدِرُ

لَقَدْ جَمَعَتِ الصُّورَةَ الاستعارية والتشبيهية في المقطع الأخير بواسطة آلية التشخيص بين سياقات متباينة، بين سياق إنساني تُشكِّله مجموعة أفعال وأسماء البينتين الاستعارية والتشبيهية (في جفنه، نامت، استيقظ، نعسان، يحلم، ساهرة، ولهان، ينفطر، مال، جاتياً، مسمع، أطرقت، ذوائب، زاهد، أناملاً، هزها، مضطهد، يعتذر...)، وسياق طبيعي في أغلبه تُشكِّله مجموعة الأسماء (سنابل، القمر، الأضواء، قلب النسيم، السنأ، نخلة، ظل، صمت السكون...)، ويتضح، بعد إدماج عناصر السياقين في تراكيب إسنادية كتلك التي أقامها الشاعر، أن الاستعارة تتجاوز فيما سبق مجرد مقارنة تبيين عن نقطة ما أو تشير إلى قاعدة ما بإعادة تكوينها تكويناً جديداً، إنما تُصبح الاستعارة هي العنصر الذي لا بد منه لربط سياقين ربما يكونان بعيدين جداً أو على الأقل يكونان في المنهج العادي للحياة غير مرتبطين. <sup>(1)</sup> "إنه الربط الذي يسوغ داللياً التناظر الواقع بين الملامح المعنوية، وتُصبح معه الاستعارة" عملية خلق جديد في اللغة، ولغة داخل لغة، فيما تُقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات، وبها تحدث إذابة لعناصر الواقع ليعاد تركيبها من جديد، وهي في هذا التركيب الجديد كأنها مُنحت تجانساً كانت تفتقده، وهي بذلك تثبت حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرتيبة، وبهذا تُضيف وجوداً جديداً. <sup>(2)</sup>

تأخذ التجربة الشعرية عند محمود حسن إسماعيل أكثر من مستوى تتجاوز في بعضها الالتصاق بالواقع وتُحلّق في أجواء من الخيال العائم تقترب من مشارف الرمز. والطبيعة لديه ليست (خلفية) للتجربة النفسية أو العاطفية أو أداة لانتزاع صور بياض مستمدة من عناصرها، بل هي خطوط وألوان أساسية في صورته الفنية تمتزج بخطوط الموضوع النفسي أو العاطفي امتزاجاً كاملاً أغلب الأحيان. <sup>(3)</sup>

ويقول الشاعر في مقطع آخر من القصيدة <sup>(4)</sup>:

الدَّوْحُ نَسْوَانُ، فَاحْتَسَعُ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ      فَضَيْفُهُ الْبَاطِشَانُ: اللَّيْلُ وَالْقَدَرُ  
 كَانَ أَغْصَانُهُ أَشْبَاحُ قَافِلَةٍ      غَابَ الرَّفِيقَانِ عَنْهَا: الرِّكْبُ وَالسَّفَرُ  
 مَبْهُورَةٌ شَخَصَتْ فِي الْجَوِّ ذَاهِلَةٌ      كَأَنَّهَا لِحَبِيبٍ غَابَ تَنْتَظَرُ

(1) يوسف أبو العدوس: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، عمان، ط: 1، 1997، ص: 8.

(2) المرجع نفسه، ص: 8.

(3) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص: 434.

(4) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مج: 1، ص: 599.

أَوْ أَنَّهُا نَسِيَتْ عَهْدًا وَأَنْعَشَهَا شَجْوُ الرِّيحِ فَهَاجَتْ قَلْبَهَا الذِّكْرُ  
 أَوْ أَنَّهُا وَالْأَسَى الْمَكْبُوتُ فِي فَمِهَا، بَنَاتُ وَعَدٍ بِهَا عُشَّاقُهَا غَدَرُوا  
 إِنَّ لِلشَّاعِرِ "حُرَّاءَ" عَلَى عُلَاقَاتِ الْأَشْيَاءِ فِي الْوَاقِعِ وَإِقَامَةِ عُلَاقَاتٍ جَدِيدَةٍ مَكَانَهَا يَقُومُ فِيهَا الْخَيَالُ الْبَعِيدُ  
 بِتَرْكِيبِ صُورٍ مُجَسِّمَةٍ جَدِيدَةٍ... قَدْ تَنْتَهِي هَذِهِ الْجُرْأَةُ وَهَذَا الْخَيَالُ الْبَعِيدُ أَحْيَانًا إِلَى شَطَطٍ فِي التَّحْسِيمِ أَوْ عَقْدِ  
 الصَّلَاتِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ".<sup>(1)</sup> كَعَقْدِ الصَّلَةِ بَيْنَ أَغْصَانِ الدَّوْحِ النَّشْوَانِ وَأَشْبَاحِ الْقَافِلَةِ فِي بُنَى التَّشْبِيهِ وَعَقْدِ الصَّلَاتِ  
 الْأُخْرَى فِي بُنَى الْاسْتِعَارَةِ.

وَصُورُ الشَّاعِرِ فِي هَذَا الْمَجَالِ "صُورٌ مُرَكَّبَةٌ، قَدْ يَسْتَقْصِي فِيهَا الْمَعْنَى الْوَاحِدَ فَيَجَسِّمُهُ تَجْسِيمًا مُمْتَدًّا، وَقَدْ  
 يُضِيفُ إِلَيْهِ مَا يَلَائِمُهُ. وَقَدْ يَنْقَلُ مِنْهُ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى لَا يَرِبُطُهَا بِهِ إِلَّا مُجَرَّدُ الْجَوِّ النَّفْسِيِّ الْعَامِّ. وَهُوَ لِهَذَا لَا يَقْنَعُ  
 بِتَشْبِيهِ النَّخْلَةِ بِالزَّاهِدِ، بَلْ يُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ تَشْبِيهَيْنِ أَحَدُهُمَا يَتَّصِلُ فِي مَعْنَاهُ الْعَامِّ بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى التَّوْبَةِ  
 أَوْ التَّقْوَى فَيَرْتَبِطُ بِجَوِّ الزُّهْدِ الَّذِي رَأَاهُ الشَّاعِرُ فِي النَّخْلَةِ، وَالثَّانِي يُمَثِّلُ شَطْحَةً مِنْ تِلْكَ الشَّطْحَاتِ الَّتِي تُصَادِفُهَا  
 كَثِيرًا فِي صُورِ الشَّاعِرِ الْخَيَالِيَّةِ".<sup>(2)</sup>

تَقُومُ الصُّورَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي شَعْرِ مُحَمَّدٍ حَسَنٍ إِسْمَاعِيلٍ عَلَى آلِيَةِ التَّشْخِيصِ الَّذِي تَرْتَكِرُ بُنَى التَّشْبِيهِ  
 وَالْاسْتِعَارَةِ، فَقَدْ وَسَمَتِ الْقَصِيدَةَ طَائِفَةً مِنَ الْبُنَى التَّشْبِيهِيَّةِ الْمُرْتَكِرَةِ عَلَى الْأَدَاةِ (كَأَنَّ)، مِنْهَا:

كَأَنَّهَا زَاهِدٌ فِي اللَّهِ يَفْتَكِرُ  
 كَأَنَّهَا ظَلَمًا فِي الْحَقْلِ مُضْطَهَدٌ  
 كَانَ أَغْصَانُهُ أَشْبَاحَ قَافِلَةٍ  
 كَأَنَّهَا لِحَبِيبٍ غَابَ تَنْتَظِرُ  
 أَوْ أَنَّهُا نَسِيَتْ عَهْدًا وَأَنْعَشَهَا  
 أَوْ أَنَّهُا وَالْأَسَى الْمَكْبُوتُ فِي فَمِهَا،

وَتَقُومُ هَذِهِ الْأَدَاةُ الْمَفِيدَةُ لِلتَّشْبِيهِ الْاِفْتِرَاضِيِّ الْوَاقِعَةِ فِي صَدْرِ الْجَمَلِ بِالرَّبْطِ اللَّفْظِيِّ أَوْ الْمُعْجَمِيِّ عَلَى صَعِيدِ  
 الْبِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ بَيْنَ عُنَاوَرِ التَّرْكِيبِ دَاخِلِ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ، فَمَنْحُهُ ثِمَاسًا تَرْكِيبِيًّا وَآخَرَ مَعْنَوِيًّا يَنْهَضُ بِهِ تَكَرَّارُ  
 الْمُشَبَّهِ بِهِ الَّذِي يُحِيلُ إِلَيْهِ الضَّمِيرُ.

وَتَرِدُ طَائِفَةٌ مِنَ الْبُنَى الْاسْتِعَارِيَّةِ التَّشْخِيصِيَّةِ، مِنْهَا:

نَامَتْ سَنَابِلُهُ وَاسْتَيْقَظَ الْقَمْرُ  
 نَعْسَانُ يَحْلُمُ وَالْأَضْوَاءُ سَاهِرَةٌ

(1) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص: 434.

(2) المرجع نفسه، ص: 435.

قَلْبُ النَّسِيمِ لَهَا وَلَهَا يُنْفَطِرُ  
مَالِ السَّنَا حَاتِيًّا يَلْقَى بِمَسْمَعِهِ  
وَأَطْرَقَتْ نَخْلَةً قَامَتْ بِتَلْعَتِهِ

وَكَثِيرٌ مِنْ صُورِهِ وَثَبُّ الصَّلَةِ بِالْمَضَامِينِ الدِّينِيَّةِ وَالصُّوْفِيَّةِ، وَمِنْ نَمَازِجِ ارْتِبَاطِ الصُّورَةِ بِالْبُعْدِ الدِّينِيِّ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةٍ (لَيْلٌ وَرِيحٌ وَحُبٌّ)<sup>(1)</sup>:

وَكَانَ الْأَفْقُ كَالْمِحْرَابِ  
وَرَكِبَ الرِّيحَ كَالْأَوَّابِ  
يَطُوفُ مُدَنَّدِنَ الْأَسْرَابِ  
كَصُوفِيٍّ يَدُقُّ الْبَابَ عَلَى سِرِّ النَّبِيِّينَ

وَيُظْهِرُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ اعْتِمَادُ الشَّاعِرِ عَلَى التَّشْبِيهِ الْمُتَّبَعِ الَّذِي تُهَيِّمُنُ فِيهِ (ك) كَأَدَاةٍ لِلْمُمَاتَلَةِ وَالْمُقَارَنَةِ. وَ"يُمَثِّلُ ثِقَافَتَهُ الْعَرَبِيَّةَ وَمَعْرِفَتَهُ الْوَاسِعَةَ بِالثَّرَاثِ الشَّعْرِيِّ الْقَدِيمِ وَمُحَاوَلَتَهُ أَنْ يُزَاجِحَ بَيْنَ الْأَصَالَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ". (2) وَيُحِيلُ الْمُشَبَّهَ بِه (الْمِحْرَابِ، الْأَوَّابِ، صُوفِيٍّ...) إِلَى أَحَدِ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَسْتَمُدُّ مِنْهَا الصُّورَةَ عَنَاصِرَهَا وَهُوَ الْمَصْدَرُ الدِّينِيُّ بِكُلِّ رَوَافِدِهِ.

وَعَالِبًا مَا يَقُومُ التَّشْخِصُ عَلَى قُوَّةِ الْوَجْدَانِ، فَيَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى خَلْعِ الْمَشَاعِرِ وَالصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى الْمَعْنَوِيِّ الْمَحْرَدِ وَالْمَادِّيِّ الْحَيِّ وَالْجَامِدِ، فَالْهُوَى أَوْمًا وَلَمْ يُنَادِ الرَّحِيقُ دَعَا... وَهَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُ الْإِنْسَانِ، يَقُولُ مَحْمُودُ حَسَنُ إِسْمَاعِيلَ:

مَاذَا أَقُولُ إِذَا الْهُوَى أَوْمًا إِلَيَّ وَلَمْ يُنَادِ؟!  
وَإِذَا الرَّحِيقُ دَعَا فَكَيْفَ يُجِيبُ خَمْرَتَهُ فُوَادِي؟!  
فَبِأَيِّ كَأْسٍ مِنْ دَمِي أَسْقِيهِ أَحْزَانَ الْمَعَادِ؟!

وَمِنَ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ أَنَّ التَّشْخِصَ يَرْتَبِطُ بِالِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ ارْتِبَاطِهِ بِغَيْرِهَا، فَالتَّرْكِيبُ الشَّعْرِيُّ (إِذَا الْهُوَى أَوْمًا) أَوْ التَّرْكِيبُ (وَإِذَا الرَّحِيقُ دَعَا) كِلَاهُمَا يُمَثِّلُ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً حُذِفَ فِيهَا الْمُشَبَّهُ بِه (الْإِنْسَانُ) وَذَكَرَ لَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِهِ، وَهُوَ الْفِعْلُ (أَوْمًا/دَعَا).

وَعَالِبًا مَا يَرْتَكِزُ التَّجْسِيدُ عَلَى اسْتِغْلَالِ عَنَاصِرِ الطَّبِيعَةِ، فَقَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُجَسِّدَ الْإِحْسَاسَ التَّجْرِيدِيَّ الَّذِي يُعَانِيهِ فِي مَشْهَدٍ حَسِّيٍّ زَاخِرٍ بِالْحَرَكَةِ وَالْحَيَاةِ". (3) وَأَنْ يَجْعَلَ مِنَ الطَّبِيعَةِ مَصْدَرًا ثَرِيًّا حِصْبًا فِي سَبْكِ صُورِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةٍ (رَبِيعُنَا لَا يَمُوتُ)<sup>(1)</sup>:

(1) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مج: 1، ص: 595.  
(2) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص: 437.  
(3) مصطفى السعدي: التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، ص: 86.

وَقَالَتْ: لَقَدْ غَاضَ سِحْرُ الرَّبِيعِ وَأَمْرَعُ فِي شَاطِئِهِ السُّكُوتُ  
وَمَا عَادَ يَخْشَعُ سَاقِي الْعَبِيرِ إِذَا نَسَمَةٌ مِنْ يَدَيْهِ تَفُوتُ  
تَوَلَّتْ طُيُورٌ وَمَاتَتْ زُهُورٌ وَخَيَّمَتْ فِي الرَّبْوَةِ الْعَنْكَبُوتُ  
وَأَقْدَاحُنَا غَادَرَتْهَا الرِّيَّاحُ مَزَامِيرَ مَاضٍ صَدَّاهَا شَتِيتُ  
وَلَمْ يَبْقَ حَتَّى خُطَا الذُّكْرِيَّاتِ وَلَا طَيْفُهَا الْهَالِعُ الْمُسْتَمِيتُ  
تَبَدَّدَ فِي رَوْضِنَا كُلُّ شَيْءٍ وَحَلَّ الْفَرَاعُ الْبَلِيدُ الْمَقِيتُ  
عَلَى زَادِهِ الْمُرُّ عَاشَتْ جِرَاحِي وَمِنْ وِجْهِهَا كُلُّ يَوْمٍ سَقِيتُ  
وَيَقُولُ فِي آخِرِهَا<sup>(2)</sup>:

هَوَاكُ وَأَنْتِ وَهَذَا الْوُجُودُ رَبِيعٌ يُجَدِّدُنِي مَا حَيَّيْتُ  
فَلَا تَفْزَعِي إِنْ أَطَلَّ الْخَرِيفُ وَلَمْ يَبْقَ فِي اللَّحْنِ إِلَّا خُفُوتُ  
فَلَوْ مَاتَ فِي رَوْضِنَا كُلُّ شَيْءٍ فَإِنَّ رَبِيعَ الْهَوَى لَا يَمُوتُ

لقد اجتمعت مجموعةٌ كثيفةٌ من الصور الجزئية المشخصة والمجسدة في تصوير موت الشباب أو في تصوير الإحساس بهذا الموت كـ(غاضَ سِحْرُ الرَّبِيعِ/وَأَمْرَعُ فِي شَاطِئِهِ السُّكُوتُ/وَمَا عَادَ يَخْشَعُ سَاقِي الْعَبِيرِ إِذَا نَسَمَةٌ مِنْ يَدَيْهِ تَفُوتُ/تَوَلَّتْ طُيُورٌ/وَمَاتَتْ زُهُورٌ/وَوَخَيَّمَتْ فِي الرَّبْوَةِ الْعَنْكَبُوتُ، ولم يبقَ حتى خُطَا الذُّكْرِيَّاتِ،...)، وخلف هذه الصورة الكلية تكمن رؤية الشاعر الخاصة التي أوجدت هذا النوع من علاقات الترابط والتفاعل بين عناصر الصور الجزئية، وهي علاقات لا يبرر الواقع وإنما يبررها خيال الشاعر وشعوره.

وإذا كان تصوير الحالات النفسية والمعاني الوجدانية من خلال تجسيدها في صور مادية أو من خلال تشخيصها بإضفاء الخصائص الإنسانية عليها مُقتصرًا في بعض الأحيان على بعض الصور الجزئية ولا يمتد إلى كل القصيدة، فإنه في تجارب شعرية أخرى يشملُ القصيدة كلها، فالرباوي يتكئ إلى التشخيص بوصفه من أنجع الوسائل في بناء الصورة، فإذا كانت القصيدة تشكيلاً جمالياً، بلغة ذات إيقاع موسيقي، مُعبّرًا عن موقف فكري يلتزم به الشاعر.<sup>(3)</sup> فإن الصورة، كجزءٍ من هذا التشكيل، "تعبيرٌ عن نفسية الشاعر وإنها تُشبه الصور التي تترأى في الأحلام."<sup>(4)</sup> فتحوّل القصيدة بهذا الاعتبار إلى تشكيّل جماليٍّ بالصورة والإيقاع تعبيريًّا عن الموقف الفكري الذي يراه الأديب.<sup>(5)</sup> وانطلاقًا من منظورٍ صوفيٍّ يتواصل بواسطته الشاعر مع مواطن الأشياء وسرائر

(1) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مج: 2، ص: 407.

(2) المصدر نفسه، ص: 408.

(3) طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، ص: 41.

(4) إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط: 2، 1959، ص: 238.

(5) المرجع نفسه، ص: 56.

الكائنات ويُلَامَسُ جَوَاهِرَهَا وَيَطَّلِعُ عَلَى أَسْرَارِهَا وَيَصْطَنِعُ فِي سَبِيلِ إِصْصَالِ تَجْرِبَتِهِ العَرَفَانِيَّةَ لُغَةً شِعْرِيَّةً خَاصَّةً ذَاتَ دَوَالٍ رَمْزِيَّةٍ خَاصَّةٍ تَكُونُ قَادِرَةً عَلَى حَمْلِ مَضَامِينِ التَّجْرِبَةِ الفِكْرِيَّةِ وَالوَجْدَانِيَّةِ.

والصُّورَةُ هِيَ أَبْرَزُ تَجَلِيَّاتِ تِلْكَ اللُّغَةِ وَأَظْهَرُ وَحَدَاتِ مُعْجَمِهَا، فَهِيَ وَسِلَّةُ التَّشْخِيصِ وَالتَّجْسِيدِ وَالتَّوْضِيحِ وَالإِبَانَةِ فَ"الشُّعُورُ يَظَلُّ مُبْهَمًا فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ فَلَا يَتَّضِحُ لَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَشَكَّلَ فِي صُورَةٍ".<sup>(1)</sup> تُحَسِّدُهُ أَوْ تُشَخِّصُهُ، وَعَلَى هَذَا الأَسَاسِ يُشَخِّصُ الشَّاعِرُ النَّهْرَ(سَبُو) وَيَنْقُلُهُ مِنْ مَجَالِهِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي يُحَدِّدُهُ التَّوْصِيْفُ الجُغْرَافِي لِمَكَانِهِ وَمَسَارِهِ إِلَى مَجَالِ إِنْسَانِيٍّ أَكْثَرَ رَحَابَةً تُحَدِّدُهُ الرُّؤْيَا الشِعْرِيَّةُ وَالتَّجْرِبَةُ الشُّعُورِيَّةُ، فَيَقُومُ الشَّاعِرُ بِأَنْسَنَةِ النَّهْرِ فِي صِبْغَةٍ صُوفِيَّةٍ، وَيَمْنَحُهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالإِنْسَانِ، فَ(سَبُو)مُزَقٌّ قَمِيصُهُ وَمُتِمٌّ فُرَادُهُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةِ(سَبُو سَيِّدِ العُشَّاقِ)<sup>(2)</sup>:

سَبُو... مُمَزَّقٌ قَمِيصُهُ  
مَا بَيْنَ فَاسٍ وَالْقَنْيَطِرَةِ  
... ..  
رَأَيْتُهُ فِي سَاحَةِ أَفْلُورُنْسَا  
شَابًّا لَعِينِيهِ اسْتَعَارَ زُرْقَةَ السَّمَاءِ،  
وَرَشَّ بَلُورَ الشَّدَا عَلَى شُجَيْرَاتِ مُحْيَاهِ الصُّبُوحِ،  
سَبُو.. هُوَ الآنَ قَتِيلُ الأَعْيُنِ التُّجَلِّ،  
لِفَاسٍ كُلِّ هَذِهِ العُيُونِ الفَاتِنَاتِ القَاتِلَاتِ المُحْيِيَّاتِ،  
طُوبَى لَهَا، فَسَيِّدُ العُشَّاقِ مِنْ قَتْلَاهَا،  
لِحُبِّهَا عَلَى سَبُو نَهْيٍ وَأَمْرٍ،  
لَكِنَّهَا مَعشُوقَةٌ تَعْلُقُ بِوَابَةِ عَيْنَيْهَا الكَبِيرَتَيْنِ  
دُونَ عَاشِقِيهَا، وَهَمُّو كَثُرُ.

تَكْمُنُ الاسْتِعَارَةُ المَكْنِيَّةُ التَّشْخِيصِيَّةُ الَّتِي حُذِفَ فِيهَا المَشْبَهُ بِهِ وَتُرِكَ لَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ فِي التَّرْكِيبَيْنِ:

- سَبُو سَيِّدِ العُشَّاقِ.

- سَبُو... مُمَزَّقٌ قَمِيصُهُ.

فالمَشْبَهُ هُوَ(سَبُو)النَّهْرُ وَالمَشْبَهُ بِهِ المَغِيبُ الإِنْسَانُ وَاللَّازِمُ الدَّالُّ عَلَيْهِ( سَيِّدِ العُشَّاقِ/مُزَقٌّ قَمِيصَهُ). وَكِلَا الطَّرْفَيْنِ حَسِيٌّ.

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 136.

(2) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 28.

وفي التركيب:

-لفاس كل هذه العيون الفاتنات القاتلات المحييات،

فالمشبه (فاس) المدينة والمشبّه به المغيّب المرأة واللّازم الدالّ عليه (كل هذه العيون الفاتنات القاتلات المحييات).  
وتقوم الاستعارة على تحويل (سبو) من عالم الأشياء إلى عالم الناس، أو إلى عالم العشاق، وبالأحرى عالم  
العشاق المتصوفة، فيصبح سيدهم، وتنتقل دلالة (سبو) من (النهر) المعهود إلى دلالة العاشق ذي الأحوال.  
وتعمل الاستعارة ذاتها على نقل دلالة (فاس) من معناها الأصلي كمدينة إلى دلالتها الجديدة كامرأة معشوقة.  
وقد استعان الشاعر بصور جزئية متفاعلة تتسم بالحركة واللون والرائحة وتوطرها الرؤية البصرية، وتشترك  
كل الأدوات التصويرية في توضيح وتحديد معالم الصورة الكلية؛ صورة (العاشق القليل). وإذا كان المقطع الأول  
من القصيدة قدم مشهداً أو حالاً من أحوال (سبو) فإن هذا المقطع يقدم مشهداً آخر أو (حالاً) أخرى، يقول  
الشاعر<sup>(1)</sup>:

مَنْ ذَا الَّذِي أَخْرَجَ هَذَا الْعَاشِقَ الْمُقْتُولَ مِنْ وَاحَةٍ

فَاس، وَرَمَاهُ جَسَدًا مُمَزَّقًا بِغَايَةِ الْقَنِيْطِرَةِ؟

مَا عَادَ شَابًا يَفْتِنُ الشَّوَارِعَ الْمُورِقَةَ الْأَشْجَارَ،

مَا عَادَتْ سَمَاءُ الصَّيْفِ تُعْطِي وَجْهَهُ زُرْقَتَهَا السَّاحِرَةَ.

سَبُو.. هُوَ الْآنَ مِنَ الصَّلْصَالِ يَسْتَعِيرُ الْوَأْنَا لِدَمْعِهِ

وَمَنْ جُوعِ التُّرَابِ يَسْتَعِيرُ قَطْرَةً مِنْ دَمِهِ الْهَارِبِ.

أَيْنَ يَا سَبُو زَيْتِكَ الْمَعْطَرَةُ؟

أَحْبُ زَهْرَةَ الْقُرَى أَضْنَاكَ، أَمْ أَضْنَتِكَ أَمْوَاجُ

الْمُحِيطِ، أَمْ تَكْسُرُ الزُّهُورَ عِنْدَ أَقْدَامِ الْمُحِيطِ فِي حِمَى

خُلُوتِهَا الْمُخْضِرَّةُ؟

إنّ الصورة، إذ تُشخص أو تُجسد، تُحوّل غير المحسوس إلى محسوس وغير المرئي إلى مرئي، سواءً

تَشَكَّلَتْ مِنْ خِلَالِ بَنِيَّةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ أَوْ بَنِيَّةٍ اسْتِعَارِيَّةٍ، يَقُولُ الْكِيْلَانِي فِي قَصِيدَةِ (أَنَا وَحَبِيبِي) (2):

حَفَّتْ جَدَاوِلُ حُبِّنَا وَذَوَتْ زُهُورُ شَبَابِنَا

الْقَيْدُ وَالسَّجَّانُ قَدْ هَصَرَ أَنْأَمَلَ لَحْنِنَا

هَجَعَ الْفُوَادُ مُوَلَّهَا وَتَهَاطَلَتْ أَحْزَانُنَا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 30.

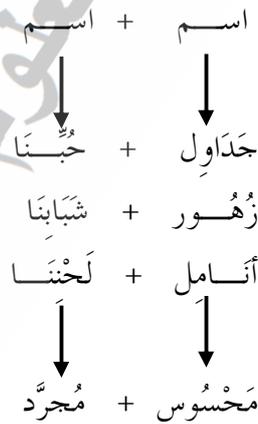
(2) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 19.

إنَّ التَّرَاكِيْبَ الإِضَافِيَّةَ أَوْ المُرَاجَاتِ اللَّفْظِيَّةَ فِي (جَفَّتْ جَدَاوِلُ حُبْنًا/ ذَوَتْ زُهُورُ شَبَابِنَا/ هَصَرَ أَنَامِلَ لَحْنِنَا) تَرَكَيبٌ شِعْرِيَّةٌ تَتَضَمَّنُ بُنَى تَشْبِيهِيَّةً مُجَسَّدَةً وَمُشَخَّصَةً لِمَعَانِيهَا حَسْبًا، إِذْ يَقُومُ كُلُّ تَرَكَيبٍ عَلَى تَشْبِيهِ مَعْقُولٍ بِمَحْسُوسٍ، فَهَذَا تَشْبِيهُ بَلِيغٌ وَرَدَ فِيهِ المِشْبَهُ مُضَافًا إِلَيْهِ وَالمِشْبَهُ بِهِ مُضَافًا؛ فَالمِشْبَهُ فِي التَّرَكِيبِ الأَوَّلِ (حُبْنًا) وَالمِشْبَهُ بِهِ (جَدَاوِلُ)، وَالأَصْلُ (جَفَّ حُبْنَا كَالجَدَاوِلِ). وَفِي (زُهُورُ شَبَابِنَا) يَكُونُ المِشْبَهُ فِي (شَبَابِنَا) وَالمِشْبَهُ بِهِ فِي (زُهُورِ)، وَالأَصْلُ (ذَوَى شَبَابِنَا كَالزُّهُورِ). وَفِي (أَنَامِلَ لَحْنِنَا) يَكُونُ المِشْبَهُ فِي (لَحْنِنَا) وَالمِشْبَهُ بِهِ فِي (أَنَامِلِ)، وَالأَصْلُ (هَصَرَ لَحْنِنَا كَالأَنَامِلِ). وَهَكَذَا تَكُونُ كُلُّ بِنْيَةٍ مُفْرَدَةٍ مِنْ بُنَى التَّشْبِيهِ السَّابِقَةِ أَوْ كُلُّ بِنْيَةٍ سَطْحِيَّةٍ قَدْ انزَاحَتْ أَوْ عَدَلَتْ أَوْ تَحَوَّلَتْ عَنِ بِنْيَتِهَا الأَسَاسِ أَوْ عَنِ بِنْيَتِهَا العَمِيقَةِ بِهَذَا الشَّكْلِ:

بِنْيَةُ العُمُقِ	انزِيَا ح وَ تَحَوَّلْ	بِنْيَةُ السَّطْحِ
- جَفَّ حُبْنَا كَالجَدَاوِلِ	←	جَفَّتْ جَدَاوِلُ حُبْنًا
- ذَوَى شَبَابِنَا كَالزُّهُورِ	←	ذَوَتْ زُهُورُ شَبَابِنَا
- هَصَرَ لَحْنِنَا كَالأَنَامِلِ	←	هَصَرَ أَنَامِلَ لَحْنِنَا

لَقَدْ صِيغَتْ هَذِهِ الصُّورُ فِي قَالِبِ المُرَاجَاتِ أَوْ التَّنَائِيَّاتِ، وَبُنِيَتْ عَلَى طَرَفَيْنِ كُلُّ مِنْهُمَا اسْمٌ، الأَوَّلُ مَحْسُوسٌ وَالثَّانِي مُجَرَّدٌ. وَمِنْ خِصَائِصِ هَذِهِ المُرَاجَاتِ أَنَّ الأَسْمَاءَ فِيهَا تُضَافُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهَا صِلَةٌ بِهِ فِي الطَّبِيعَةِ.

وَتَتَّخَذُ بِنْيَةُ التَّنَائِيَّةِ التَّرْسِيمَةَ الآتِيَةَ:



وَيَقُومُ المَحْسُوسُ بِوَضَائِفِهِ الدَّلَالِيَّةِ فِي المُرَاجَةِ الأَوَّلَى وَالثَّانِيَّةِ بِتَجْسِيدِ المَجَرَّدِ، وَتُوحِي الأَوَّلَى بِالكَثْرَةِ وَالثَّانِيَّةُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ. وَأَمَّا المُرَاجَةُ الثَّلَاثَةُ فَيَقُومُ المَحْسُوسُ فِيهَا بِتَشْخِيصِ المَجَرَّدِ وَتُوحِي بِرِقَّتِهِ وَطَافَتِهِ.

أَمَّا البَيْتُ الأَخِيرُ مِنَ المَقْطَعِ السَّابِقِ فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى بِنْيَتَيْنِ اسْتِعَارِيَّتَيْنِ تُؤَكِّدَانِ الطَّابِعَ الحَسِّيَّ الَّذِي تَتَّصِفُ بِهِ الصُّورَةُ:

هَجَعَ الفُؤَادُ مُوَلَّهَا وَتَهَاطَلَتْ أَحْزَانُنَا

أولاهما تشخيصية؛ وهي (هَجَعَ الْفؤَادُ مُوَلَّهَاً)، والثانية تجسدية؛ وهي (تَهَاوَلَتْ أَحزَانُنَا)، وتمثل بؤرة الثقل الدلالي في المقطع لتجسيدها كثافة الحزن الحال بالشاعر. إن هذا التشكيل الصوري الموعل في الحسية استطاع أن ينقل المتلقي إلى عالم الذات، أو لنقل إنه نقل عالم الذات في لحظة بعينها محملة بكم هائل من التوثر الداخلي الحاد الذي امتلك قدرة اختراق جدار الذات ليتجسد في مفردات الواقع.<sup>(1)</sup>

ومثل هذه المزاوجات المحسدة للمجرد عند الكيلاني المزاوجة المجازية التي تكون فيها الإضافة بين اسمين يندرجان تحت حقلين مختلفين محسوس طبيعي ومجرد معنوي، ومنها (فيا في الأسي) و(سرب الظلام) في قول الكيلاني<sup>(2)</sup>:

وَطَالَ الطَّرِيقُ بِنَا أَلْفَ عَامٍ

...

يَطِيرُ بِنَا الحُلْمُ عَبْرَ التُّخُومِ  
وَحَيْثُ القَلَاعُ وَأَسْلَاكُهَا الشَّائِكَةَ  
وَحَيْثُ فَيَافِي الأَسَى وَالوُجُومِ  
يَطِيرُ بِنَا الحُلْمُ نَحْوَ السَّحَابِ  
نُطَارِدُ سِرْبَ الظَّلَامِ المَدِيدِ  
هُنَاكَ نُفْتَشُ عَن شَمْسِنَا  
وَنَضْرَعُ للريحِ كَيْمَا نُشِيرِ  
إِلَى مُسْتَقَرِّ بِهِ بَدْرُنَا

فالمزاوجة الأولى في التركيب الإضافي (فيا في الأسي) تدل على اتساع الأسي وامتداده، والثانية في التركيب (سرب الظلام) تدل على كثافة الظلام.

### 1-1-3- الصورة التشبيهية والاستعارية:

وتجسد الصورة الجزئية الاستعارية في البيت الأول من المقطع الآتي (العذاب) المعنوي المجرد وتخرجه في صورة المادي المحسوس الذي تزيد من تجسيمه الطبيعة الصوتية لبعض عناصر كالفعل (صبوا)، يقول القرضاوي في قصيدة (أم زائرة ولا مزور؟!)<sup>(3)</sup>:

صَبُّوا عَلَيْهِ عَذَابَهُمْ وَكَأَلَهُمْ بِأَكْفٍ سَفَاحٍ وَقَلْبٍ حَقُودِ  
حَتَّى قَضَى نَجَبًا، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ مُتَعَنِّيًا بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص: 141.

(2) نجيب الكيلاني: مدينة الكبار، ص: 14.

(3) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 17.

لَمْ يَنْهَزِمَ، وَاللَّهِ، بَلْ هُزِمَ الْأَلَى قَتَلُوهُ قَتْلَةَ مُؤْمِنِي الْأَخْدُودِ  
 وتأتي الصورة الجزئية الثانية في آخر المقطع تشبيهاً بليغاً مجسداً وموحياً بنوع القتل التي نالها الشهيد،  
 وقد ورد المشبه به مصدرًا مضافاً مبيناً للنوع (قتلة مؤمني الأخدود). وقد تردُّ بنية التشبيه عند القضاوي تامةً  
 الأركان، أحياناً، وقد يُكتفى ببعضها دون البعض الآخر، فقد تكتمل البنية اللغوية الشكلية للتشبيه أو تقتصر على  
 العنصرين الأساسيين أو على ثلاثة عناصر كأن يُصص على الصفة المشتركة أو أداة التشبيه، وكل ذلك يرتبط  
 بأجواء الشاعر وانهجالاته، فقد يفيض أحياناً في الطرف المشبه أو في الطرف الآخر المشبه به، وقد يسلك سبيلاً  
 غير مباشرة أو مركبة، فنحن أمام أنماط تشبيهية تحتاج إلى العناية والتدقيق، لأنها إضافة إلى كشفها عوالم  
 التجربة تُعطينا دلالة على بعض أحوال المبدع،<sup>(1)</sup> يقول الشاعر موضحاً واجبه وسلوكة الإسلاميين<sup>(2)</sup>:

أنا بالعدل والإحسان مأمورٌ وأمارُ  
 أنا نبع لكلِّ الناس بالخيرات فوارُ  
 رحيم القلب، لكنني على الطاغين جبارُ  
 أنا كالماء رِقراقُ أنا كالسيف بثارُ  
 أنا نجمٌ أنا رجمٌ أنا نورٌ أنا نارُ  
 أنا المسلمُ أنا المسلمُ

يضمُّ المقطع سبع بني تشبيهية يتم فيها تشبيه محسوسٍ بمثله ومفردٍ بمثله، تتوزع بالطريقة الآتية:  
 - بني تشبيهية تامةً أو مرسلّة مفصّلة:

ويمثل هذا الصنف من البنى البنية المعيار أو التّمط أو الأصل وتكون الصورة المنتجة على منوالها واضحةً  
 بيّنةً محدّدة الدلالة والأثر إذ تُحضر كلَّ العناصر وتطرّح كلَّ الفكرة، وتُعكس جانباً معيّناً بارزاً من التجربة لا  
 نجدُ مخيلةً المتلقّي عناءً في إدراكه، وقد يُثري الشاعر هذه البنية التامة من خلال وسائل أخرى كالانزياح  
 التركيبي، وقد تجسّد في البيت الرابع في البيتين:

أنا كالماء رِقراقُ.

أنا كالسيف بثارُ.

فكلاهما بنية تشبيهية مرسلّة مفصّلة (+م +أش +م به +وش).

- بني تشبيهية غير تامة:

(1) فايز الداية: جماليات الأسلوب، ص: 73.

(2) يوسف القضاوي: نفحات ولفحات، ص: 125.

وَيُمَثِّلُ هَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْبُنَى الْبِنْيَةَ الْمُنْزَاحَةَ الَّتِي تُعَدُّ تَنْوِيحًا أُسْلُوبِيًّا بِلَاغِيًّا عَلَى الْبِنْيَةِ الْأَصْلِ وَيَتَمَيَّزُ هَذَا الصَّنْفُ الَّذِي تُغَيَّبُ فِيهِ بَعْضُ الْعَنَاصِرِ وَتَتْرَكُ أَثْرًا جَمَالِيًّا بِإِثْرَاءِ الصُّورَةِ دَلَالِيًّا وَإِغْنَائِهَا مَعْنَوِيًّا، وَقَدْ تَجَسَّدَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فِي الْبِنْيَةِ:

أَنَا نَبْعٌ...فَوَارٌ.

وَهَذِهِ بِنْيَةٌ تَشْبِيهِيَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ مُفَصَّلَةٌ (+م -أش +م به +وش).

وَتَجَسَّدَ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ فِي الْبُنَى الْآتِيَةِ:

أَنَا نَجْمٌ.

أَنَا رَجْمٌ.

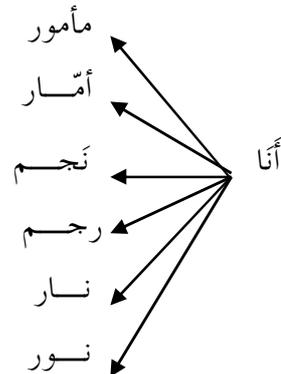
أَنَا نُورٌ.

أَنَا نَارٌ.

وَهَذِهِ بِنْيٌ تَشْبِيهِيَّةٌ بَلِيغَةٌ (+م -أش +م به -وش)، تَتَعَادَلُ فِيهَا عَنَاصِرُ الْحُضُورِ وَالْغِيَابِ، وَتَخْتَلِفُ دِلَالَةٌ كُلِّ بِنْيَةٍ أَوْ الْعَرَضِ الْأُسْلُوبِيِّ مِنْهَا، فَالْأُولَى وَالثَّالِثَةُ تُنْتِجَانِ دِلَالَةَ الْهُدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ وَالرَّيْنَةَ بِمَا يَرْمُزُ إِلَيْهِ (النَّجْمُ) مِنَ الرَّفْعَةِ وَالضِّيَاءِ وَالْجَمَالِ وَبِمَا يَرْمُزُ إِلَيْهِ (النُّورُ)، وَتَدُلُّ الثَّانِيَةُ وَالرَّابِعَةُ عَلَى الْعِقَابِ وَالْجَزَاءِ بِمَا يَرْمُزُ إِلَيْهِ (الرَّجْمُ) وَ(النَّارُ) مِنْ هَلَاكِ وَعَذَابٍ وَإِحْرَاقٍ. وَلَا تَخْفَى عِلَاقَةٌ هَذِهِ الْبُنَى التَّشْبِيهِيَّةِ وَدَلَالَاتِهَا بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ صُورٍ وَدَلَالَاتٍ تَرْتَبِطُ بِهَذِهِ الْعَنَاصِرِ الطَّبِيعِيَّةِ وَوُضَائِفَ أَنْطَاهَا الْخَالِقُ بِهَا.

وَتُبَيِّنُ الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ بُنَى التَّشْبِيهِ أَنْ الْإِيْجَازَ أَوْ الْإِطْنَابَ بِحَذْفِ الْعَنَاصِرِ وَذِكْرِهَا فِي تَرْكِيْبِ الْجُمْلَةِ يَتِمُّ وَفَقًا لِلْحَالَةِ الشُّعُورِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ. وَيَتَنَوَّعُ الْمَشْبَهُ بِهَ وَوَجْهُ الشَّبْهِ فِي كُلِّ بِنْيَةٍ بَيْنَمَا يَلْزَمُ الْمَشْبَهُ حَالَتَهُ كَمَا يَلْزَمُ صِفَتَهُ وَرُبَّتَهُ التَّحْوِيَّةُ؛ فَهُوَ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْمُنْفَصِلُ أَوْ ضَمِيرُ الشَّاعِرِ (أَنَا) الْوَاقِعُ مُبْتَدَأً، مِمَّا يُشَكِّلُ بِنْيَةً تَشْبِيهِيَّةً كُبْرَى يَكُونُ فِيهَا الْمَشْبَهُ (أَنَا) الشَّاعِرُ/ الْمُسْلِمُ وَيَتَنَوَّعُ وَيَتَعَدَّدُ الْمَشْبَهُ بِهَ وَوَجْهُ الشَّبْهِ.

وَيُمْكِنُ تَمَثُّلُ هَذِهِ الْبِنْيَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ الْكُبْرَى بِالتَّرْسِيمَةِ الْآتِيَةِ:



وَيَدْخُلُ عُنْصُرٌ بَدِيعِيٌّ حَدِيدٌ فِي بِنَاءِ الصُّورَةِ هُوَ بِنْيَةُ الطَّبَاقِ الَّذِي هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الضَّدَيْنِ فِي الْكَلَامِ أَوْ بِنْيَةُ الشُّعْرِ. (1) وَمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنْ عِلَاقَاتٍ تَضَادِّيَّةٍ تُشَكِّلُ بِنْيَةً تَقَابُلِيَّةً، وَهِيَ إِحْدَى الْبِنَى الْمُتَشَبِّهَةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُسْهِمَةِ فِي تَكْوِينِ الصُّورِ وَإِنْتِاجِ الدَّلَالَاتِ وَتَمَثِيلِ الْمَوَاقِفِ، وَقَدْ وَرَدَتْ بِنَى الطَّبَاقِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ عَنَاصِرٍ مِنْ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ؛ أَي أَنَّهَا مُشَبَّهَةٌ بِهِ فِي كُلِّ بِنْيَةٍ، فَيَنْتَمِي الطَّرْفُ الْأَوَّلُ مِنْ ثُنَائِيَةِ الطَّبَاقِ إِلَى بِنْيَةِ تَشْبِيهِةٍ وَالطَّرْفُ الثَّانِي إِلَى بِنْيَةِ أُخْرَى، وَذَلِكَ فِي أَرْبَعِ بِنَى حَيْثُ تَتَوَزَّعُ بِنْيَةُ الطَّبَاقِ الْأُولَى عَلَى بِنْيَتِي التَّشْبِيهِ الْبَلِغَتَيْنِ:

أَنَا نَجْمٌ.

#

أَنَا رَجْمٌ.

يَقَعُ الطَّبَاقُ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ (نَجْمٌ # رَجْمٌ)، وَهُمَا الْمُشَبَّهَةُ بِهِ فِي بِنْيَتِي التَّشْبِيهِ. وَتَتَوَزَّعُ بِنْيَةُ الطَّبَاقِ الثَّانِيَةِ عَلَى

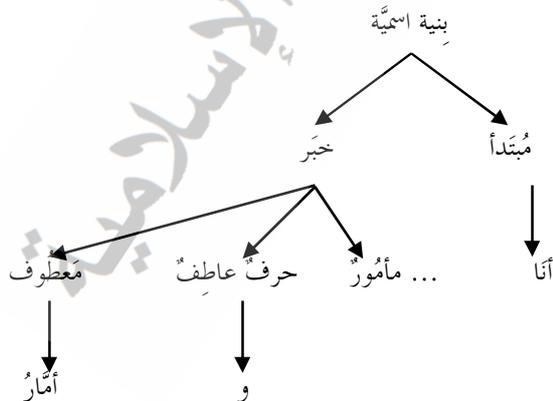
بِنْيَتِي التَّشْبِيهِ الْبَلِغَتَيْنِ:

أَنَا نُورٌ.

#

أَنَا نَارٌ.

وَتَقَعُ بِنْيَةُ الطَّبَاقِ الْأَخِيرِ خَارِجَ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ وَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ صِلَةٍ بِالصُّورَةِ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ صِبْغَةُ الْعُنْصُرَيْنِ الْمُتَطَابِقَيْنِ مِنْ دِلَالَاتٍ، فَالطَّبَاقُ قَائِمٌ بَيْنَ الدَّلَالَيْنِ (مَأْمُورٌ # أَمَارٌ)، وَهُمَا مِنْ مَكُونَاتِ الْبِنْيَةِ الْأَسْمِيَّةِ الْخَبْرِيَّةِ، فَالْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ مِنَ الثَّنَائِيَّةِ خَبْرٌ لِمُضْمِرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُبْتَدَأِ (أَنَا) وَالثَّانِي مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، كَمَا هُوَ بَيْنَ فِي هَذِهِ التَّرْسِيمَةِ:



فَكَلَّا عُنْصُرِي بِنْيَةَ الطَّبَاقِ مِنْ مَادَّةِ (أَمْرٍ) وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا تَضَادٌّ مِنْ حَيْثُ الْأَصْلُ، فَضِدُّ (أَمْرٍ) هُوَ (نَهْيٌ)، وَلَكِنَّ التَّضَادَّ نَشَأَ مِنَ السِّيَاقِ وَالصِّبْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ، فَصِبْغَةُ الْعُنْصُرِ الْأَوَّلِ (مَأْمُورٌ = مَفْعُولٌ) هِيَ صِبْغَةُ اسْمِ الْمَفْعُولِ الدَّلَالِ عَلَى

(1) ابن رشيقي: العمدة، ج: 2، ص: 12.

مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ وَصِيغَةُ الْعُنْصُرِ الثَّانِي (أَمَار=فَعَال) هِيَ صِيغَةٌ مِنْ صِيغِ الْمُبَالَغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ فَهُوَ أَصْلُهَا وَهِيَ مُحَوَّلَةٌ عَنْهُ لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ". (1) وَيَبِينُ (مَفْعُول) وَ(فَعَال)-بِمَعْنَى (فَاعِل)- أَيْ بَيْنَ (مَأْمُور) وَ(أَمَار)- بِمَعْنَى (آم)-تَضَادُّ يُشَكِّلُ بِنِيَّةِ الطَّبَاقِ.

وَلَا تُنْتِجُ صِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ دِلَالَةَ التَّأْكِيدِ وَالتَّقْوِيَةِ وَالمُبَالَغَةِ فِي الْمَعْنَى، بَلْ هِيَ تَرَسُّمٌ فِي الْمُخَيَّلَةِ صُورَةَ مُتَحَرِّكَةً لِلْمَعْنَى وَتُجَسِّدُهُ وَتُنْبِئُهُ الذَّهْنَ لِتَلْقِيهَا مِنْ خِلَالِ بِنِيَّةِ الدَّالِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى التَّضْعِيفِ وَعَلَى ثَلَاثَةِ مَقَاطِعِ صَوْتِيَّةٍ مُتَوَسِّطَةٍ؛ أَوَّلُهَا مُعْلَقٌ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ مَفْتُوحَانِ (فَع/عَا/لُو) وَعَلَى صَوْتِ صَامِتٍ مَجْهُورٍ لَثْوِيٍّ تَكَرَّرِيٍّ (هُوَ الرَّاءُ)، وَمِنْ خِلَالِ بِنِيَّةِ الْمَدْلُولِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّكَرَّارِ فَ"كُلُّهَا تَقْتَضِي تَكَرَّرَ الْفِعْلِ". (2) فَلِصِّيغِ الْمُبَالَغَةِ دَوْرٌ ثَانَوِيٌّ مَلْمُوسٌ الْأَثَرِ فِي إِتْجَاحِ الدَّلَالَةِ وَتَكْوِينِ الصُّورَةِ، وَقَدْ حَشَدَ الشَّاعِرُ أَرْبَعًا مِنْهَا (أَمَارٌ/فَوَارٌ/جَبَّارٌ/بَتَّارٌ) فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، فَهَذِهِ الصِّيغَةُ تُسَاعِدُ فِي إِكْمَالِ مَعَالِمِ الصُّورَةِ، وَكُلُّ لَفْظٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ "تَارَةً بِجَرَسِهِ الَّذِي يُلْقِيهِ فِي الْأُذُنِ، وَتَارَةً بِظِلِّهِ الَّذِي يُلْقِيهِ فِي الْخِيَالِ، وَتَارَةً بِالْجَرَسِ وَالظِّلِّ جَمِيعًا". (3) وَقَدْ وَرَدَتْ تِلْكَ الصِّيغَةُ فِي مَوْجِعِ الْقَافِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ وَاتَّخَذَتْ تَوْزِيْعًا رَاسِيًّا مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ اسْتِدْعَاءَهَا عَلَى مَحَوْرِي التَّرْكِيبِ وَالِاسْتِبْدَالِ قَدْ جَرَى بِعَامِلِ صَوْتِيٍّ دِلَالِيٍّ.

وَقَدْ عَمَلَتْ صِيغَةُ بِنِي الطَّبَاقِ عَلَى إِتْجَاحِ بِنِيَّةِ بَدِيعِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لَهَا صِلَةٌ بِالْمُطَابَقَةِ، وَهِيَ بِنِيَّةُ الْجِنَاسِ، "إِذَا دَخَلَ التَّجْنِيسُ نَفْيٌ عُدَّ طَبَاقًا وَكَذَلِكَ الطَّبَاقُ يَصِيرُ بِالنَّفْيِ تَجْنِيسًا". (4) وَالْجِنَاسُ بِنِيَّةٌ ثَنَائِيَّةٌ التَّأْلِيفِ تُضَمُّ عُنْصُرَيْنِ أَوْ دَالِّيْنِ مُتَّفَقَيْنِ فِي الْبِنِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ عَلَى وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمَدْلُولَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْبِنِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ. وَقَدْ يَكُونُ الدَّالُّ وَاحِدًا مُتَضَمَّنًا مَدْلُولَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ أَوْ غَيْرِ مُتَضَادَّيْنِ وَهَذَا تَجْنِيسُ الْمَمَاتِلَةِ؛ أَيْ: "أَنْ تَكُونَ اللَّفْظَةُ وَاحِدَةً بِاخْتِلَافِ الْمَعْنَى". (5)

وَقَدْ تَمَثَّلَتْ بِنِي الْجِنَاسِ فِي الثَّنَائِيَّاتِ الْمُتَطَابِقَةِ الْآتِيَةِ:

- (مَأْمُور = أَمَار).

- (نُورٌ = نَار).

- (نَجْمٌ = رَجْمٌ).

إِنَّ الطَّبَاقَ كَوَسِيلَةً مُسَاعِدَةً فِي تَشْكِيلِ الصُّورَةِ يَفْصِلُ عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الصُّورَةِ وَيُعِدُّ بَيْنَ أَطْرَافِهَا وَيَتْرُكُ الْمَسَافَةَ مُمْتَدَّةً بَيْنَ الْعُنْصُرَيْنِ النَّفِيزَيْنِ أَوْ الْمُتَضَادَّيْنِ إِلَى حِينٍ لِيَنْشِطُ الْخِيَالُ فِي طَيْهَا وَالْإِمْسَاكُ بِالذَّلَالَاتِ الَّتِي تَتَخَلَّقُ فِي سِيَاقِهَا فَإِنَّ الْجِنَاسَ يُوصِلُ عَلَى مُسْتَوَى الصَّوْتِ بَيْنَ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَطْرَافِ وَيَخْتَصِرُ

(1) ابن هشام: قطر الندى وبل الصدى، ص: 301.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 91.

(4) ابن رشيق: العمدة، ج: 1، ص: 283.

(5) المصدر نفسه، ص: 283.

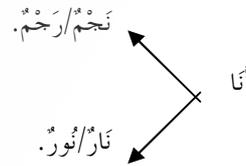
المسافة بين العنصرين التقيضيين أو المتضادين ويشعر باتفاقهما لا باختلافهما ويحولهما مظهرين لصورة واحدة، فـ"داخل الصورة الشعرية قد نجد طرفين متضادين يشكلان صورة واحدة تحمل دلالة شعرية واحدة ويخلق التضاد حركة بين التقيضين تُثري الصورة وتجعل بين طرفيها تأثيراً وتأثراً، ويعكس تشكيل الصورة الشعرية بهذه الطريقة ثنائية الواقع حيث يجمع الشاعر بين ثنائيات متقابلة ولكنها تخدم دلالة واحدة".<sup>(1)</sup> فإذا كان ضمير المتكلم (أنا) الطرف الثابت في الصورة فإن عنصري الطباق المتضادين هما الطرف المتحول فالـ(أنا) يكون تارة (نجمًا) وتارة أخرى (رجمًا)، ويكون تارة (نورًا) ويكون تارة أخرى (نارًا)،

ونوضح ذلك بالترسيمة التالية حيث يرمز الخط المقطع إلى تباعد المسافة الدلالية التي تحقق الاختلاف بين

الدالين:



أو يكون (نجمًا) و(رجمًا) في الآن ذاته و(نورًا) و(نارًا) في ذات الآن، ونوضح ذلك من خلال الترسيم التالية حيث يرمز الخط المائل إلى تقارب المسافة الدلالية التي تحقق الاتفاق بين الدالين:



ومهما يكن من أمر دلالة الصورة في هذا المقطع فإن الشاعر "يبنى قصيدته على الصورة المتقابلة المتضادة ليخرج في النهاية بتشكيل جمالي يصور موقفه".<sup>(2)</sup> وهو موقف المسلم في كل حال وفي كل ظرف في كل زمان وفي كل مكان ومع كل صنف من الناس.

وبقي أن نشير إلى ارتباط بنية الصورة الشعرية في هذا المقطع بالنص الذي يفتح الصورة على آفاق ممدودة ويجعلها تتداخل مع بنى صورية أخرى في نصوص أخرى، فإذا أحالت بنيتا التشبيه (أنا نجم/أنا رجم) دالًا ومدلولًا لفظًا ومعنى إلى بعض الآيات القرآنية.

فإن بنية الصورة تحيل، أيضًا، إلى بعض بنيات الصورة في قصيدة الخنساء في رثاء أخيها صخر،

ومطلعها<sup>(3)</sup>:

(1) مدحت الجيار: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، ص: 72.

(2) المرجع نفسه، ص: 285.

(3) الخنساء: ديوان الخنساء، دار الأندلس، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 9، 1983، ص: 49.

قَدَى بَعِينِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أَمْ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

فَالْمَقْطَعُ يَشْتَرِكُ مِنْ حَيْثُ إِيقَاعُهُ قَافِيَةً وَرَوِيًّا مَعَ إِيقَاعِ قَصِيدَةِ الْخَنَسَاءِ؛ فَرَوِيُّ الْمَقْطَعِ الرَّاءِ وَمَجْرَاهُ الضَّمُّ وَرَوِيُّ الْقَصِيدَةِ الرَّاءِ وَمَجْرَاهُ الضَّمُّ، كَذَلِكَ. وَكَلِمَاتُ الْقَوَافِي فِي الْمَقْطَعِ عَلَى زِنَةِ مِثَالِ الْمُبَالِغَةِ (فَعَّالٌ)، وَكَلِمَاتُ الْقَوَافِي فِي الْقَصِيدَةِ سِتُّ وَثَلَاثُونَ كَلِمَةً، وَرَدَّ مِنْهَا سِتُّ عَشْرَةَ كَلِمَةً صَبِيغَةً مُبَالِغَةً - وَمَجْمُوعُ صَبِيغِ الْمُبَالِغَةِ فِي الْقَصِيدَةِ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ صَبِيغَةً بَيْنَ (فَعَّالٍ) وَ(مَفْعَالٍ) وَ(فَعْلٍ)، أَتَى مِنْهَا عَلَى صَبِيغَةِ (فَعَّالٍ) أَرْبَعٌ عَشْرَةَ صَبِيغَةً - أَغْلِبَهَا - تِسْعُ كَلِمَاتٍ - عَلَى زِنَةِ مِثَالِ الْمُبَالِغَةِ (فَعَّالٌ)، وَهِيَ الْكَلِمَاتُ (ضَرَّارٌ، نَصَّارٌ، نَحَّارٌ، عَقَّارٌ، حَرَّارٌ، حَبَّارٌ، نَبَّارٌ، فَخَّارٌ، أَمَّارٌ)، وَفِي الْمَقْطَعِ أَرْبَعُ قَوَافٍ عَلَى صَبِيغَةِ الْمُبَالِغَةِ وَهِيَ الْكَلِمَاتُ (أَمَّارٌ، فَوَّارٌ، حَبَّارٌ، بَنَّارٌ)، وَيَضُمُّ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيَّ قَافِيَةَ (نَارٌ) وَهِيَ قَافِيَةُ الْبَيْتِ السَّابِعِ عَشَرَ فِي قَصِيدَةِ الْخَنَسَاءِ.

وَإِذَا كَانَ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ عَلَى نَسَقِ إِيقَاعِيٍّ بَسِيطٍ تُحَسِّدُهُ تَكَرُّرُ وَحْدَةِ الْمُهْزَجِ (مَفَاعِيلُن) أَرْبَعٌ مَرَّاتٍ وَالْقَصِيدَةُ عَلَى نَسَقِ إِيقَاعِيٍّ آخَرَ مُرَكَّبٍ وَهُوَ نَسَقُ الْبَسِيطِ وَتُمَثِّلُهُ وَحْدَتَانِ إِيقَاعِيَّتَانِ أَوْ وَحْدَةٌ إِيقَاعِيَّةٌ مِنْ تَفْعِيلَتَيْنِ (مُسْتَفْعِلُن فاعِلُن) تَتَكَرَّرُ أَرْبَعٌ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الْقَافِيَةَ فِي كِلَيْهِمَا وَرَدَتْ عَلَى زِنَةِ وَاحِدَةٍ؛ فَهِيَ فِي الْمَقْطَعِ الْجُزْءِ (عِيلُن=0/0/) مِنَ التَّفْعِيلَةِ (مَفَاعِيلُن=0/0/0//)، وَهِيَ فِي الْقَصِيدَةِ تَفْعِيلَةٌ كَامِلَةٌ (فَعْلُن=0/0/0//)، وَهُمَا بِهِذَا التَّكْوِينِ الْمُتَعَادِلِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ يُحَقِّقَانِ إِيقَاعًا مُتَمَاثِلًا قَوَائِمُهُ مُتَحَرِّكٌ وَسَاكِنٌ فَمُتَحَرِّكٌ ثُمَّ سَاكِنٌ؛ أَي مَّا يُسَاوِي سَبَبِينَ خَفِيفِينَ. وَالْمُقَارَنَةُ بَيْنَ بِنْيَتِي التَّرَكِيبِيِّ، بِمَا فِي ذَلِكَ عَنَاصِرُ الْبِنْيَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ، فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ وَفِي بَعْضِ مَقَاتِعِ الْقَصِيدَةِ تَكْشِفُ عَنْ تَنَاصُّ فِي التَّصْوِيرِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَأْمُورٌ وَأَمَّارُ  
أَنَا نَبْعٌ لِكُلِّ النَّاسِ بِالْخَيْرَاتِ فَوَّارُ  
رَحِيمُ الْقَلْبِ، لَكِنِّي عَلَى الطَّاعِينَ حَبَّارُ

وَتَقُولُ الشَّاعِرَةُ<sup>(1)</sup>:

طَلِقُ الْيَدَيْنِ لِفِعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَجَرٍ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَّارُ

وَتَقُولُ<sup>(2)</sup>:

نَحَّارُ رَاغِيَةٌ مَلْجَأُ طَاغِيَةٍ فَكَأَنَّكَ عَانِيَةٌ لِلْعَظْمِ حَبَّارُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 53.

(2) المصدر نفسه، ص: 51.

وإذا كانتِ الصُّورُ التَّشْبِيهِيَّةُ فِي المَقْطَعِ السَّابِقِ تَنَاصُّ مَعَ الصُّورِ التَّشْبِيهِيَّةِ الشَّائِعَةِ فِي الشَّعْرِ العَرَبِيِّ المُرْتَكِزَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالسَّيْفِ وَالمَاءِ وَغَيْرِهِمَا، فَإِنَّ صُورَتَهُ التَّشْبِيهِيَّةَ فِي هَذَا المَقْطَعِ تُحَقِّقُ خُصُوصِيَّتَهَا وَتُقِيمُ بِنَاءَهَا مِنْ مَوَادِّ الوَاقِعِ الرَّاهِنِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

مَنْ يَعْضِبُ لِلبِكْرِ اغْتَصِبَتْ مِنْ عِلْجٍ يَقْضِمُهَا نَجِسًا!  
يَحْسِبُهَا مِثْلَ سِيحَارَتِهِ إِذْ يُحْرِقُهَا نَفْسًا نَفْسًا  
مَنْ لِي بِخِيُولِ صَلَاحِ الدِّينِ تَصُدُّ العُدُوانَ الشَّرِسَا؟  
وَتُجِيبُ فَوَاطِمٌ قَدْ صَرَخَتْ مَا أَلْفَتْ حَمْرَةَ أَوْ أَنَسَا

فَبِنْيَةِ التَّشْبِيهِ فِي البَيْتِ الثَّانِي مِنَ المَقْطَعِ وَهُوَ تَشْبِيهِ مُرْسَلٌ مُفْصَّلٌ؛ أَي تَشْبِيهِ تَامٌ اجْتَمَعَتْ فِيهِ كُلُّ عَنَاصِرِ البِنْيَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ وَتُمَثِّلُ بِنْيَتَهُ البِنْيَةُ المَعْيَارُ أَوْ الأَصْلُ وَلا يَعْني ذَلِكَ خُلُوقًا مِنْ كُلِّ أَثَرٍ جَمَالِيٍّ، فَهِيَ بِنْيَةٌ تُؤَكِّدُ عَلَى حَقِيقَةِ التَّشْبِيهِ الَّذِي ازْدَوَجَتْ فِيهِ أَدَاتُهُ حَيْثُ أَفَادَ التَّشْبِيهِ الفِعْلُ (حَسَبَ) وَالاسْمُ (مِثْلَ) وَتُكْتَفَى حَسَبِيَّتَهَا فِي تَشْبِيهِ مَحْسُوسٍ بِمَحْسُوسٍ؛ تَشْبِيهِ المَرَأَةِ المُسَلِّمَةِ وَهِيَ فِي يَدَيِ الصَّرْبِيِّ الصَّلْبِيِّ يُذِيقُهَا أَلْوَانًا مِنَ العَذَابِ الجَسَدِيِّ وَالتَّنْفِيسِيِّ عَلَى مَهَلٍ بِالسَّيْحَارَةِ الَّتِي تُحْرِقُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ حَلَالٍ وَجِهَ الشَّبَهِ (يُحْرِقُهَا نَفْسًا نَفْسًا) الَّذِي دَلَّ عَلَى التَّمَعُّنِ فِي التَّعْذِيبِ وَالاِسْتِعْرَاقِ فِي الإيْذَاءِ، وَكَمَا تُبَيِّنُ هَذِهِ الصُّورَةُ الجُزْئِيَّةُ التَّشْبِيهِيَّةُ كَيْفَ تَحَوَّلَتِ المُسَلِّمَةُ إِلَى سَلْعَةٍ تَافِهَةٍ وَوَسِيلَةٍ مُتَمَعَّةٍ فَهِيَ تَعَكِّسُ تَجْرِبَةَ شُعُورِيَّةً وَنَفْسِيَّةً مَرِيْرَةً.

تَرِدُ بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ فِي القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي أَكْثَرِ مِنْ نَصِّ شِعْرِيٍّ مِمَّا يُؤَكِّدُ أَهْمِيَّتَهُ كَفَنٍ يُحَاوِلُ تَجْسِيرَ الهُوَّةِ بَيْنَ المُتَشَابِهَيْنِ وَيَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ المُقَارَنَةِ وَيُرَكِّزُ عَلَى الخَارِجِيِّ الظَّاهِرِ لِلعِيَانِ وَيَعْتَمِدُ عَلَى الحِسِّيِّ - وَالبَصْرِيِّ مِنْهُ خَاصَّةً - وَيَمْتَّازُ مِنْ جُمْلَةِ مَا يَمْتَّازُ بِنِائِهِ الحَرْفِيِّ لِلأَشْيَاءِ.<sup>(2)</sup>

وَتَتَجَلَّى هَذِهِ الخِصَائِصُ فِي بُنْيِ التَّشْبِيهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ، فَفِي النِّصِّ الآتِي يَبْدَأُ الشَّاعِرُ بِجُمْلَةٍ فَعْلِيَّةٍ يَتِمُّ فِيهَا خَرْقُ نِظَامِ اللُّغَةِ النَّحْوِيِّ وَالاِنْتِحَافُ عَنِ المَعْيَارِ المُطَرَّدِ فِي تَرْتِيبِ العَنَاصِرِ، فَيَتَقَدَّمُ شِبْهُ الجُمْلَةِ (كَمَرَّ السَّحَابِ) عَلَى الفِعْلِ وَالفَاعِلِ. وَيَمْهَدُ الاِنْتِزَاحُ عَلَى مُسْتَوَى التَّرْكِيبِ لِجُمْلَةٍ مِنَ الاِنْتِزَاحَاتِ عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

كَمَرَّ السَّحَابِ  
يَمُرُّ القَطَارُ  
يَدْرَعُ الأَرْضَ نَهْبًا،  
كُعْمَرِ السَّنَابِلِ،

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 86.

(2) أحمد حاسم الحسين: الشعرية، ص: 31.

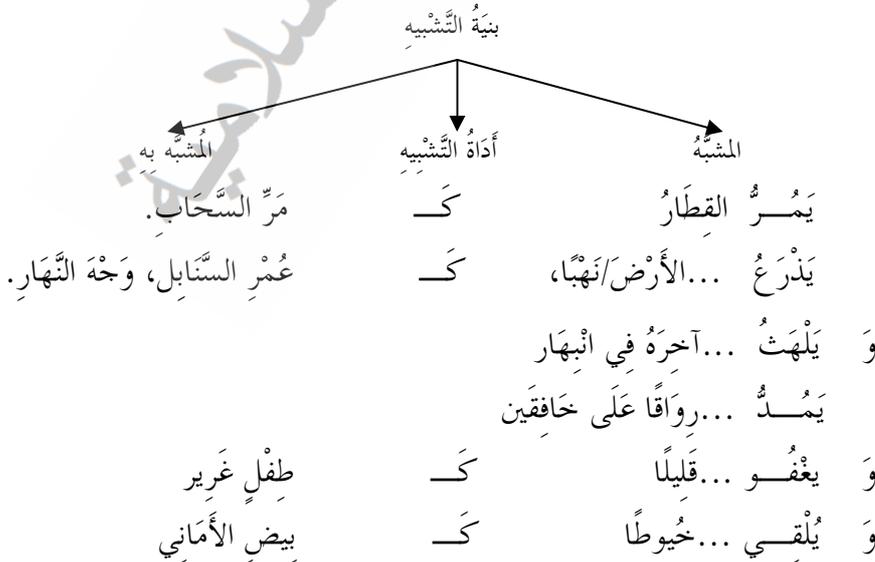
(3) حسن الأمراي: سيدة الأوراس، ص: 13.

وَجْهَ النَّهَارِ  
 وَيَلْهَتْ أُخْرَهُ فِي أَنْبَهَارِ  
 يَمُدُّ رَوَاقًا عَلَى خَافِقَيْنِ  
 وَيَغْفُو قَلِيلًا كَطِفْلِ غَرِيرِ  
 وَيُلْقِي إِلَى مَا وَرَاءَ الْمُرُوجِ  
 خَيْوِطًا كَبَيْضِ الْأَمَانِي الَّتِي فَنَيْتَ  
 قَبْلَ مَوْعِدِهَا...

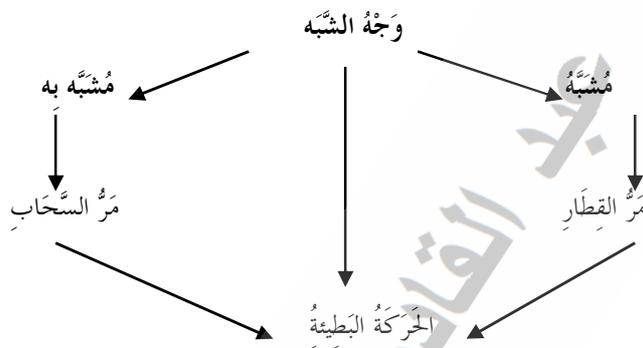
يَسْتَهْوُ الشَّعْرُ فِي حَفْنِ سُنْبُلَةٍ  
 كَالضِّيَاءِ الْبَهِيحِ  
 ثُمَّ تَذْوِي الْمَسَافَاتِ  
 فِي لَحْظَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ  
 وَيَمْحُو الظَّلَامَ  
 سِرَاجَ النَّهَارِ!

الصُّورَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي الْمَقْطَعِ صُورَةٌ كَلِيَّةٌ حَسِيَّةٌ مُتَحَرِّكَةٌ تَخْذُ مِنَ الْقِطَارِ فِي حَرَكَتِهِ نَوَاتِهَا الدَّلَالِيَّةَ وَمَرْكَزَ الثَّقَلِ فِيهَا، وَهِيَ مُرْتَكِزَةٌ عَلَى بُنَى الِاسْتِعَارَةِ الْمُحْسَدَةِ وَالْمَشْخَصَةِ الَّتِي تَشْتَرِكُ فِي بِنَائِهَا بُنَى التَّشْبِيهِ، وَتَتَلَحَّقُ فِيهَا الْأَفْعَالُ الْمُضَارِعَةُ تَلَاخُفًا كَمِيًّا وَكَيْفِيًّا مَلْحُوظًا يَجْعَلُ الْفِعْلَ مَصْدَرَ الْحَرَكَةِ فِي الْمَشْهَدِ الشَّعْرِيِّ وَهِيَ حَرَكَةٌ مُتَطَوِّرَةٌ مُتَّحِدَةٌ مُتَّصِلَةٌ تَبْدَأُ بِالْفِعْلِ (يَمُرُّ) وَتَنْتَهِي بِالْفِعْلِ (يُلْقِي) وَبَيْنَهُمَا تَتَوَلَّدُ سِلْسِلَةٌ مِنَ الْأَفْعَالِ، غَيْرَ أَنَّ الدَّلَالََةَ الشَّعْرِيَّةَ الْعَامَّةَ لِلصُّورِ الْجُزْئِيَّةِ تَتَكَوَّنُ مِنْ أَنْصِهَارِ الدَّلَالَاتِ الْجُزْئِيَّةِ لِعُنَاصِرِ الْبِنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْإِسْتِعَارِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِِّيَّةِ وَالتَّرَاسُلِيَّةِ، أَيْ الْفِعْلِ وَمُتَعَلِّقَاتِهِ.

وَيُوضِّحُ التَّمثِيلُ الْآتِي هَيْمَنَةَ التَّشْبِيهِ عَلَى الْبِنْيَةِ:



وَلَيْسَتْ وَظِيفَةُ بِنَى التَّشْبِيهِ فِي المَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الرَّبْطِ بَيْنَ أَطْرَافِ التَّشْبِيهِ رَبْطًا لَفْظِيًّا وَمَعْنَوِيًّا أَوْ التَّفْرِيقَ بَيْنَهَا، إِنَّمَا وَظِيفَتُهَا التَّأثيرُ؛ أَي فِي وَقْعِ أَثَرِ الصُّورِ الَّتِي تَخْلُقُهَا البِنَى فِي النَّفْسِ وَكَيْفِيَّةُ إِدْرَاكِهَا والشُّعُورِ بِهَا، فَالتَّشْبِيهِ إِدْرَاكُ مَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ مِنْ صِلَةٍ فِي وَقْعِهِمَا عَلَى النَّفْسِ. (1) وَلِذَلِكَ يَنْصَرِفُ الذَّهْنُ إِلَى وَجْهِ الشَّبَّهِ وَتَتَلَهَّفُ النَّفْسُ إِلَى مَعْرِفَةِ الجَامِعِ أَوْ الصِّلَةِ الَّتِي تُرْبِطُهَا الحَوَاسُّ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، فَفِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الأَوَّلِ-الَّتِي عَرَفَتْ انْزِيَاحًا تَرْكِيبيًّا تَقَدَّمَتْ فِيهِ شِبْهُ الجُمْلَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ المُشَبَّهَ بِهِ لِلتَّرْكِيزِ عَلَيْهَا وَلِتَكُونَ مَفْتَا حًا لِفَهْمِ طَبِيعَةِ المَقْطَعِ التَّشْبِيهِيةِ، وَلَا يُغَيِّرُ التَّقَدُّمُ مِنْ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ-يَدُو أَنْ وَجْهَ الشَّبَّهِ أَوْ الصِّلَةِ المُلْحَوظَةَ بَيْنَ المُشَبَّهِ (مَرَّ القِطَارِ) وَالمُشَبَّهِ بِهِ (مَرَّ السَّحَابِ) هِيَ الحَرَكَةُ البَاطِنَةُ فِي كِلَيْهِمَا الحَرَكَةُ الَّتِي لَا يَكَادُ يُدْرِكُهَا البَصَرُ. وَيَتَضَحُّ ذَلِكَ فِي التَّرْسِيمَةِ التَّالِيَةِ:



وَإِذَا كَانَ وَجْهَ الشَّبَّهِ قَرِيبًا وَاضِحًا وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ المَحْسُوسَيْنِ فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ يَبْدُو بَعِيدًا غَائِبًا فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الثَّانِي، فَعَنَاصِرُ هَذِهِ البِنْيَةِ مَوْجُودَةٌ مَعْلُومَةٌ خَارِجَ السِّيَاقِ، وَلَكِنَّهَا فِي صُورَتِهَا المُرَكَّبَةِ تَفْقَدُ هُوِيَّتَهَا القَدِيمَةَ وَتُتَّجُّ كَيَانًا جَدِيدًا. لَكِنَّ سِمَةَ الحَرَكَةِ المُنْفِثِيَّةِ فِي بِنْيَةِ المَقْطَعِ تُؤمِّي إِلَى الخِصِصَةِ الحَرَكِيَّةِ الَّتِي تُسْتَشْفُ مِنَ الرَّبْطِ بَيْنَ المُشَبَّهِ (مَرَّ القِطَارِ) وَالمُشَبَّهِ بِهِ (عُمُرُ السَّنَائِلِ).

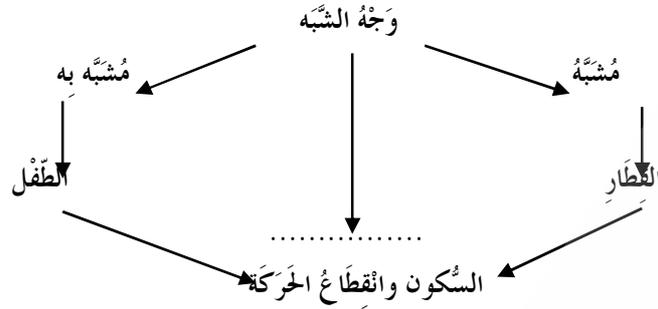
أَمَّا وَجْهَ الشَّبَّهِ فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ مَحْدُوفٌ يُقَدَّرُ فِي سِيَاقِ الاستِعَارَةِ الَّتِي أَضْفَتْ عَلَى المُشَبَّهِ (القِطَارِ) صِفَةً إِنْسَانِيَّةً وَأَسْتَدَتْ إِلَيْهِ فِعْلًا (يَعْمُو) لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِهِ فَشَخَّصَتْهُ، فَهُوَ انْقِطَاعُ الحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، فَالقِطَارُ تَوَقَّفَ لِلحِظَاتِ بَعْدَ اضْطِرَابِ وَاهْتِرَازِ وَضَجِيجِ وَالطُّفْلِ اسْتَسَلَّمَ لِلنَّوْمِ وَأَخْلَدَ لِلرَّاحَةِ بَعْدَ لَهْوٍ وَعَبَثٍ وَصُرَاخٍ، فَخِيَمَ السُّكُونُ فِي المَشْهَدَيْنِ.

إِنَّ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ أَنشَأَتْ صُورَةً مُعَبَّرَةً عَنِ الإحْسَاسِ البَصْرِيِّ وَالشُّعُورِ النَّفْسِيِّ مُجْتَمِعِينَ، فَهِيَ صُورَةٌ حَسِيَّةٌ بَصْرِيَّةٌ، صُورَةٌ قِطَارٍ يَتَحَرَّكُ ثُمَّ يَتَوَقَّفُ وَطِفْلٍ غَرِيرٍ يَلْهُو وَيَعْبَثُ ثُمَّ يَنَامُ. فَصُورَةُ (القِطَارِ) مَحْسُوسَةٌ وَمِمَّا يَقَعُ فِي مَجَالِ الرُّؤْيَةِ وَفِي دَائِرَةِ الإِبْصَارِ وَكَذَلِكَ صُورَةُ (الطُّفْلِ الغَرِيرِ)، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الأَحْيَاءُ تُحَدِّثُ وَقَعًا مُحَدَّدًا فِي النَّفْسِ وَتُوقِظُ أَنْفِعَالًا خَاصًّا.

(1) بكرى شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، ص: 193.

تُقَدِّمُ بِنِيَّةِ هَذَا التَّشْبِيهِ الْقَائِمَةَ عَلَى تَشْبِيهِ مَحْسُوسٍ جَامِدٍ (مَيْتٍ) بِمَحْسُوسٍ حَيٍّ نَوْعًا مِنَ الصُّورِ الْمَحْسُوسَةِ نَفْسِيًّا، وَتُصَهِّرُ فِي بَوْتَقَتِهَا مَضْمُونًا ذَهْنِيًّا وَمَضْمُونًا وَجْدَانِيًّا.

وَتُوضِّحُ التَّرْسِيمَةَ التَّالِيَةَ وَجْهَ الشَّبْهِ الْمَحْدُوفِ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ:



وَيُعِيبُ عَنْ عَمَدِ وَجْهِ الشَّبْهِ فِي بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ الرَّابِعِ لِتَصْنَعِ الْبِنِيَّةُ شِعْرِيَّتَهَا وَتُبْدِعَ دِلَالَتَهَا، وَتُظَلُّ لِبِنِيَّةِ هَذَا التَّشْبِيهِ فَرَادَتُهَا مِنْ حَيْثُ تُكْشِفُ عَنْ زَاوِيَةِ رُؤْيَةِ الشَّاعِرِ وَعَنْ عَالَمِهِ النَّفْسِيِّ، فَالصُّورَةُ تَتَشَكَّلُ فِي رَحِمِ الْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيْسِ، وَتَسْتَوِي مِنَ الرُّؤْيِ وَالْخَوَاطِرِ، وَإِذَا كَانَ التَّشْبِيهِ فِيمَا تَقَدَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ مَحْسُوسٍ وَمَحْسُوسٍ فَإِنَّهُ، هُنَا، يَجْمَعُ بَيْنَ مَحْسُوسٍ وَمُجَرَّدٍ وَيَجْعَلُ وَجْهَ الشَّبْهِ الْمُغَيَّبَ مُمَكِّنًا فِي حُدُودِ الصِّفَةِ الْمُجَرَّدَةِ لِأَنَّ الصِّفَةَ الْمَحْسُوسَةَ، وَيَعْضُدُ كَوْنَ الْمُشَبَّهِ بِهِ مُجَرَّدًا هَذَا الْمُنْحَى فِي تَأْوِيلِ وَجْهِ الشَّبْهِ.

وَهَكَذَا تَتَوَفَّرُ بِنِيَّةُ التَّشْبِيهِ:

وَيُلْقِي إِلَى مَا وَرَاءَ الْمَرْوَجِ  
خَيْوِطًا كَبِيضَ الْأَمَانِيِّ الَّتِي فَنَيْتَ  
قَبْلَ مَوْعِدِهَا...

عَلَى ثَلَاثَةِ عَنَاصِرٍ مَذْكُورَةٍ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنِيَّةِ السُّطْحِيَّةِ؛ عَلَى مُشَبَّهِ مَحْسُوسٍ (خَيْوِطٍ) وَمُشَبَّهِ بِهِ مُجَرَّدٍ أَوْ مَعْقُولٍ (بَيْضِ الْأَمَانِيِّ) تَرْتَبُطُ بَيْنَهُمَا لَفْظِيًّا أَدَاةُ التَّشْبِيهِ (كَـ). وَيُضَمَّرُ وَجْهَ الشَّبْهِ لِيَسْتَقَرَّ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ لِكُنْهُ مَوْجُودٌ بِالْقُوَّةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا بِالْفِعْلِ يُمَارَسُ وَظِيفَتُهُ فِي الرِّبْطِ الْمَعْنَوِيِّ مِنْ خِلَالِ لُجْبَةِ الْحُضُورِ وَالْغِيَابِ وَالْخَفَاءِ وَالتَّجَلِّيِ.

وَيَبْدُو أَنَّ وَجْهَ الشَّبْهِ أَهَمُّ عُنْصُرٍ فِي بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ، بَلْ هُوَ الْعُنْصُرُ الْأَسَاسُ الَّذِي تَرْتَكِزُ عَلَيْهِ عَمَلِيَّةُ التَّشْبِيهِ وَتَتَعَقَّدُ عَلَيْهِ وَظِيفَتُهُ، وَلِهَذَا الْأَهْمِيَّةِ وَجَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى وَأَظْهَرَ فِي الْمَشَبَّهِ بِهِ مِنْهُ فِي الْمَشَبَّهِ. (1) إِنَّ وَجْهَ الشَّبْهِ يُؤْخَذُ مِنَ الصِّفَةِ أَوْ الصِّفَاتِ الْمَشْرُوكَةِ بَيْنَ طَرَفَيْ التَّشْبِيهِ لِأَنَّ الصِّفَاتِ لِلْأَنَّ التَّشْبِيهِ "صِفَةُ الشَّيْءِ بِمَا قَارَبَهُ وَشَاكَلَهُ، مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ لَأَنَّ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ نَاسَبَهُ مُنَاسَبَةً كَلِيَّةً لَكَانَ إِيَّاهُ". (2) فَالْمَشَبَّهِ

(1) علي الجارم: البلاغة الواضحة، ص: 17.

(2) ابن رشيق: العمدة، ج: 1، ص: 252.

خُيَوطٌ مِنْ دُحَانٍ بَيِضَاءٍ تَمْتَدُّ وَتَنْتَشِرُ عَلَى صَفْحَةِ الْفَضَاءِ حِينًا ثُمَّ تَتَقَطَّعُ وَتَتَلَأْسِي بَعِيدًا فِي الْآفَاقِ دُونَ أَنْ تُصِيبَ إِلَى غَرَضٍ، وَالْمُشَبَّهَ بِهِ أَمَانٌ بَيِضَاءٌ تَمْتَدُّ وَتَنْتَشِرُ عَلَى صَفْحَةِ النَّفْسِ حِينًا ثُمَّ تَنْحَصِرُ وَتَخْتَفِي بَعِيدًا فِي الْأَغْوَارِ دُونَ أَنْ تَصِلَ إِلَى هَدَفٍ.

قَدْ يَكُونُ اللَّوْنُ أَوَّلَ مَا يُلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى الصِّفَةِ الرَّابِطَةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ هُوَ وَحْدَهُ الصَّلَةُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَتْ الصَّلَةُ الْحِسِّيَّةُ هِيَ وَحْدَهَا نُقْطَةُ التَّلَاقِي أَوْ هِيَ الْجَامِعُ الْمُرَادُ، وَإِنْ دَلَّ الْبَيَاضُ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ (بَيِضُ الْأَمَانِي) عَلَى الصَّفَاءِ وَالطَّهَارَةِ وَالْعِفَّةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَعَلَى أَنَّهَا أَمَانٌ خَالِصَةٌ لَا تَشْوِبُهَا شَائِبَةٌ، تَبَعَتْ فِي النَّفْسِ الطَّمَانِينَةَ وَالرَّاحَةَ وَالسَّلَامَ وَتَنْشُرُ التَّفَاؤُلَ وَالْأَمَلَ.

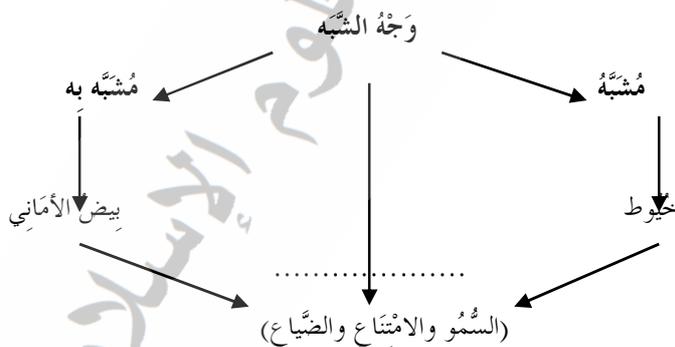
وَإِنَّمَا يَشْتَرِكُ الْحِسُّ وَالنَّفْسُ فِي لَمَحٍ وَجْهِ الشَّبْهِ الْمَعْيَبِ، وَلِذَا فَهُوَ لَهُ مَظْهَرَانِ:

-مَظْهَرٌ حِسِّيٌّ بَصْرِيٌّ يَتَعَلَّقُ بِاللَّوْنِ وَالشَّكْلِ وَالْمَسَافَةِ؛ أَي: الْبُعْدُ فَخُيَوطُ الدُّحَانِ بَعِيدَةٌ مُمْتَنِعَةٌ عَنِ التَّنَاوُلِ وَكَذَلِكَ الْأَمَانِي بَعِيدَةٌ عَزِيزَةٌ سَامِيَةٌ مُسْتَعَصِيَّةٌ عَنِ التَّحْقِيقِ.

-مَظْهَرٌ مَعْنَوِيٌّ نَفْسِيٌّ يَتَعَلَّقُ بِالْإِحْسَاسِ بِالتَّشْتُّتِ وَالضِّيَاعِ وَالزَّوَالِ وَالْحَيِّبَةِ.

وَلَعَلَّ الْمَظْهَرَ النَّفْسِيَّ يَكُونُ مَا يُضْمِرُهُ الشَّاعِرُ وَمَا أُصِيبَ بِهِ مِنْ حَيِّبَةِ أَمَلٍ لِمَا عَلَقَهُ مِنْ آمَالٍ عَرِيضَةٍ عَلَى طَيْفٍ مِنْ أَطْيَافِ الصَّحْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْجَزَائِرِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى ذَلِكَ الْمَصِيرِ.

فَوَجْهُ الشَّبْهِ جَمَاعٌ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَهُوَ السُّمُوُّ وَالْإِمْتِنَاعُ وَالضِّيَاعُ، مِمَّا يَجْعَلُ بَنِيَّةَ التَّشْبِيهِ تَوْحِيًّا بِالْأَسَى الْإِنْكَسَارِ وَحَيِّبَةِ الْأَمَلِ. وَنُمْتَلُ لَوَجْهِ الشَّبْهِ فِي هَذِهِ الْبَنِيَّةِ بِالتَّرْسِيمَةِ الْآتِيَةِ:



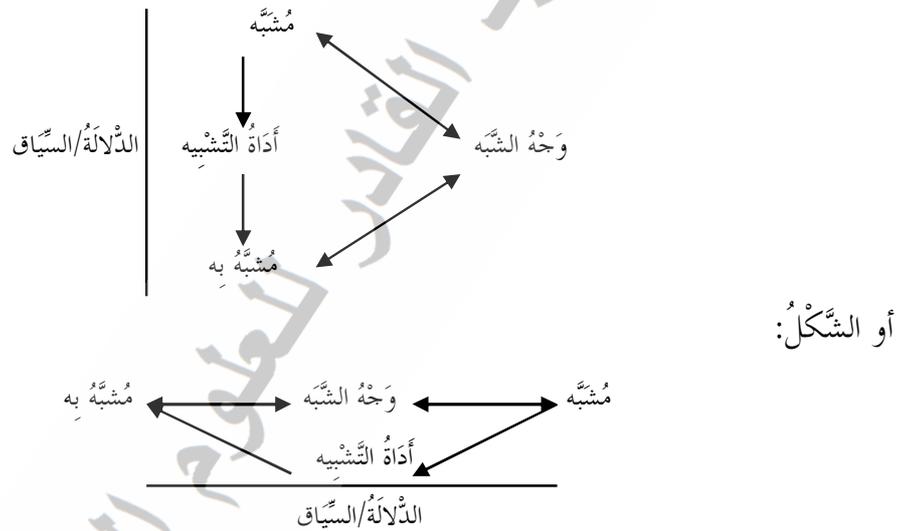
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهِ تَشْبِيهِ غَرِيبٌ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُشَبَّهِ بِهِ الَّذِي يَقُلُّ تَرْدُّدُهُ عَلَى الْحَوَاسِ، وَالتَّشْبِيهِ الْغَرِيبُ هُوَ "مَا لَا يُنْتَقَلُ فِيهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ إِلَى الْمُشَبَّهِ بِهِ إِلَّا بَعْدَ تَلَبُّثٍ وَتَذَكُّرٍ، وَفِكْرٍ لِلنَّفْسِ فِي الصُّورِ الَّتِي تَعْرِفُهَا، لِأَنَّ وَجْهَ الشَّبْهِ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ مِمَّا لَا يَنْزِعُ إِلَيْهِ الْخَاطِرُ وَلَا يَقَعُ فِي الْوَهْمِ بَدِيهَةٌ النَّظَرِ إِلَى الْمُشَبَّهِ".<sup>(1)</sup> وَقَدْ بَيَّنَّ الْجُرْجَانِيُّ مِنْ قَبْلُ أَنَّ الْمَعْنَى الْجَامِعَ فِي سَبَبِ الْعَرَابَةِ أَنْ يَكُونَ الشَّبْهُ الْمَقْصُودُ مِنَ الشَّيْءِ مِمَّا لَا يَنْزِعُ إِلَيْهِ الْخَاطِرُ، وَلَا يَقَعُ فِي الْوَهْمِ عِنْدَ بَدِيهَةِ النَّظَرِ إِلَى نَظِيرِهِ الَّذِي يُشَبَّهُ بِهِ بَلْ بَعْدَ تَثَبُّتٍ وَتَذَكُّرٍ وَفِكْرٍ لِلنَّفْسِ فِي الصُّورِ الَّتِي تَعْرِفُهَا،

(1) فضل حسن عباس: البلاغة فنونه وأفنانها، علم البيان والبدیع، ص: 80.

وَتَحْرِيكَ الْوَهْمِ فِي اسْتِعْرَاضِ ذَلِكَ وَاسْتِحْضَارِ مَا غَابَ مِنْهُ.<sup>(1)</sup> فَيَصِلُ الْمُتَلَقِّي بَعْدَ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الذَّهْنِيَّةِ إِلَى الْإِمْسَاكِ بِوَجْهِ الشَّبْهِ غَيْرِ ظَاهِرٍ لِلْعَيَانِ رَأَى الْمُبْدِعُ فِي الْمَشْبَهِ بِهِ أَوْ تَصِيدُ مَلْمَحٌ غَيْرٍ وَاضِحٍ مِنْ مَلَامِحِ الْخَفِيَّةِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْوَجْهَ عِلَاقَةً مَعْنَوِيَّةً مُنَاسِبَةً لِعَقْدِ الْمُشَابَهَةِ وَإِبْرَامِ الْمَقَارَنَةِ.

إِنَّ وُجُودَ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ كَرَابِطٍ بَيْنَ الْمَشْبَهِ وَالْمَشْبَهِ بِهِ فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الْمَحْمَلُ تَتَضَمَّنُ مُبَاشَرَةً رَمَزًا وَإِشَارَةً إِلَى وَجْهِ الشَّبْهِ مُفْتَرَضٍ قَائِمٍ فِي ذَهْنِ أَوْ نَفْسِ الشَّاعِرِ لِحِظَةِ الْإِبْدَاعِ وَفِي ذَهْنِ أَوْ نَفْسِ الْمُتَلَقِّي الْحَصِيفِ لِحِظَةِ الْكَشْفِ، إِنَّ هَذَا الْوَجْهَ الْمُضْمَرَّ فِي الْبِنْيَةِ وَالْقَائِمَ فِي الذَّهْنِ وَفِي النَّفْسِ هُوَ التَّوَاةُ الدَّلَالِيَّةُ لِلْبِنْيَةِ فِي التَّرْكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ الشَّعْرِيِّ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بُؤْرَةُ الْإِتَارَةِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ غَيْرِ الْعَادِي (الشَّعْرِيِّ) بَيْنَ الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ نُقْطَةُ الْإِنْطِلَاقِ وَنُقْطَةُ الْوُصُولِ مَعًا مِمَّا يَسْمَحُ بِتَخْطِيطِ تَرْسِيمَةِ جَدِيدَةٍ لِبِنْيَةِ التَّشْبِيهِ يَكُونُ وَجْهَ الشَّبْهِ فِي مَرَكَزِ الْبِنْيَةِ مُظْهِرًا وَمُضْمَرًا، وَقَدْ تَأْخُذُ هَذِهِ التَّرْسِيمَةُ أَحَدَ الشَّكْلَيْنِ الْآتِيَيْنِ؛ الشَّكْلُ:



وَمِنْ هُنَا، يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِنَّ ذِكْرَ وَجْهِ الشَّبْهِ فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ - بِوَصْفِهِ الْمَعْنَى (الْجَامِعِ/الْعِلَاقَةِ) الْمَشْتَرَكِ الَّذِي يُلْحَقُ مِنْ أَجْلِهِ الْمَشْبَهَ بِالْمَشْبَهِ بِهِ أَوْ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا عَلَى صَعِيدِ الْإِدْرَاكِ الذَّهْنِيِّ - يُقَدِّمُ الْمَعْنَى جَاهِزًا وَيَجْعَلُ الْبِنْيَةَ مُسَطَّحَةً وَيَكْفِي الْمُتَلَقِّي عَنِ الْبَحْثِ عَنِ الْمَعْنَى، وَيَسْمَحُ بِقِرَاءَةِ وَاحِدَةٍ، فِي حِينِ أَنْ حَذْفَهُ يُنَشِّطُ الْمُتَلَقِّي وَيُحْفَظُ ذَهْنَهُ لِلْبَحْثِ عَنِ الْمَعْنَى الْمَفْقُودِ وَيَتَوَسَّلُ بِكُلِّ أَدْوَاتِ الْقِرَاءَةِ، فَتَتَعَدَّدُ الْمَعَانِي بِتَعَدُّدِ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ.

وَلَا يَنْتَقِصُ وَصْفُ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ بِأَنَّهَا أَقْلُ دَرَجَةٍ أَوْ قِيمَةٍ مِنَ الْمَنْظُورِ الْبَلَاغِيِّ الَّذِي يَضَعُ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ الْمُوَكَّدِ الْمَحْمَلِ أَوْ الْبَلِيغِ فِي قِمَّةِ الْبَلَاغَةِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ بِنْيَتَهُ الْمُخْتَلِةَ بِحَذْفِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ وَوَجْهِهِ تَدُلُّ عَلَى اتِّحَادِ الطَّرْفَيْنِ وَتَطَابُقِهِمَا دُونَ فَاصِلٍ أَوْ تَحْدِيدٍ، فَإِنَّ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ الْمُرْسَلِ الْمَحْمَلِ الْقَائِمَةَ عَلَى حَذْفِ وَجْهِ

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص: 118.

التشبه لها قيمتها البلاغية، فالبلغيون " جعلوا التحولات ذات مستويات بلاغية، ومن ثم كان حذف الأداة والوجه أعلى درجت البلاغية، ثم يليه حذف أحدهما، ثم تأتي مجموعة التحولات على درجة واحدة، أي أن البلاغية تعتمد الاختزال أساساً لها بشرط أن يحافظ البناء على تشكيله الأصلي، ثم تنخفض درجة البلاغية مع تهشيم البنية والدخول بها إلى مستويات الغموض أو الإبهام".<sup>(1)</sup> ولها قيمتها الأسلوبية من المنظور الأسلوبى الذي يرجع إلى الأسس المنهجية التي تُعطي الأولوية للعلاقات المختلفة التي تربط بين الأشياء والتي تنظم العناصر على تباعد الثقة بينها- كثيراً أحياناً- فتكون منه أنظمة متماسكة الأجزاء، وإذا كانت مختلف مظاهر الارتباط بين أشتات المكونات خفية عادةً وخفية دورها، فإنها بيّنة في الصور واضحة وهي المحور الرئيسي الذي تدور عليه عملية التصوير".<sup>(2)</sup>

وهو المنظور الذي يسمح على أساس الذكر والحذف ووظيفتهما الدلالية تقييداً وإطلاقاً بتصنيف بنى التشبيه. فمن البدهي وجود أو حضور ركني التشبيه الأساسيين، معاً، وهما المشبه والمشبّه به في كل بنية تشبيهية- بما في ذلك بنية التشبيه الضمني التي لا يوضع فيها التشبيه في صورة من صورته المعروفة بل يلمح في التركيب ويوحى به بلا تصريح- فغياب أحدهما أو حذفه يحول البنية من بنية التشبيه إلى بنية الاستعارة. أما ركن التشبيه الثانويان فقد يذكران أو يحذفان معاً وقد يحذف أحدهما ويذكر الآخر، ف"يمكن الاستعناء عن أحدهما أو عنهما معاً بدون أن يختل التشبيه لا بل يقوى ويزداد عمقاً".<sup>(3)</sup> وبناء على العنصر المحذوف وعلاقته ببقية عناصر البنية تتحدد القيمة الأسلوبية للتشبيه.

ويتقسم هذا الحذف إلى:

- حذف مركب أو مزدوج، ويتم بحذف الأداة وحذف وجه الشبه، معاً، وينتج عنه بنية التشبيه المؤكد المحمل أو ما يعرف بنية التشبيه البليغ.

- حذف بسيط أو مفرد، ويتم بحذف أداة التشبيه أو بحذف وجهه، وتنتج عنه بنية التشبيه المؤكد المحمل؛ فعن حذف الأداة تنتج بنية التشبيه المؤكد المفصل، وعن حذف وجه الشبه تنتج بنية التشبيه المرسل المحمل.

وتتقدم في الحذف البسيط أو المفرد بنية التشبيه المرسل المحمل لقيمتهما الأسلوبية على بنية التشبيه المؤكد المفصل، ففي بنية التشبيه المرسل المحمل يحذف وجه الشبه الذي يمثل العلاقة المعنوية، وتغيب هذه العلاقة يُطلق الدلالة ولا يقيدّها ويفتح البنية على إمكانات دلالية غير محدودة واحتمالات معنوية غير متناهية، وقد يسم البنية

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص: 152.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 141.

(3) المرجع نفسه، ص: 143.

بشيءٍ من العُموضِ (الفني) الذي يحْمِلُ المُتلقِي على المُشارَكَةِ في إنتاجِ الدَّلالةِ، ويحوِّلهُ عن دَوْرِهِ الاستِهْلاكِيِّ السُّلِّيِّ في التَّلَقِّيِّ إلى دَوْرِهِ الإنتاجِيِّ الإيجابيِّ. وفي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ المُؤكِّدِ المُفصَّلِ تُحذفُ أداةُ التَّشْبِيهِ الَّتِي تُمثِّلُ العِلاقةَ التَّركيبيَّةَ المُجرِّدةَ الَّتِي تَنمُّ بأحدِ الرُّوابطِ اللَّفْظيَّةِ، سواءَ أَكانَ الرِّابطُ اسْمًا أم فِعْلًا أم حَرْفًا، فدالَّتُهُ صَريحَةٌ وتَكْمُنُ في (المُشابهة). فحذفُ أداةِ التَّشْبِيهِ إجراءٌ لِعَوِيِّ بَسيطِ الأثرِ ومَحْدودُ الدَّلالةِ، أمَّا حَذْفُ الوَجْهِ فَهُوَ إجراءٌ لِعَوِيِّ عَميقِ الأثرِ.

وعليه، فَإِنَّهُ يُمكنُ إعادةُ تَوْصيفِ وتَصنيفِ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ بِحَسَبِ القِيَمَةِ الأُسْلوبيَّةِ الَّتِي يُضفيها عَلَيْها (الحذفُ) بِهَذَا التَّرتيبِ (حيثُ يُرمزُ إلى الحذفِ بِالْعَلامةِ (-) وإلى الذِّكْرِ بِالْعَلامةِ (+))، ويتوزَّعُ هَذَا التَّصنيفُ على أَرْبَعِ مَراتبٍ:

- 1- بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ المُؤكِّدِ المُجمَلِ = ++ م به - أ ت - و ش.
  - 2- بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ المُرسَلِ المُجمَلِ = ++ م به + أ ت - و ش.
  - 3- بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ المُؤكِّدِ المُفصَّلِ = ++ م به - أ ت + و ش.
  - 4- بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ المُرسَلِ المُفصَّلِ = ++ م به + أ ت + و ش.
- وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

عناصرُ التَّشْبِيهِ نوعُ التَّشْبِيهِ	مُشَبَّهٌ م	مُشَبَّهٌ بِهِ م به	أداةُ التَّشْبِيهِ أ ت	وَجْهُ الشَّبْهِ و ش
مُرسَلِ مُفصَّلِ (التَّامِ)	+	+	+	+
مُؤكِّدِ مُجمَلِ (البليغِ)	+	+	-	-
مُرسَلِ مُجمَلِ	+	+	+	-
مُؤكِّدِ مُفصَّلِ	+	+	-	+

وتُعَدُّ بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ المُرسَلِ المُفصَّلِ أو بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ التَّامِ البِنْيَةَ الأساسِيَّةَ في التَّشْبِيهِ أو البِنْيَةَ المعياريَّةَ أو البِنْيَةَ العميقةَ الَّتِي تَنفَرِّعُ عنها بِنْيَةُ الانزِياعِ أو التَّحوُّلِ.

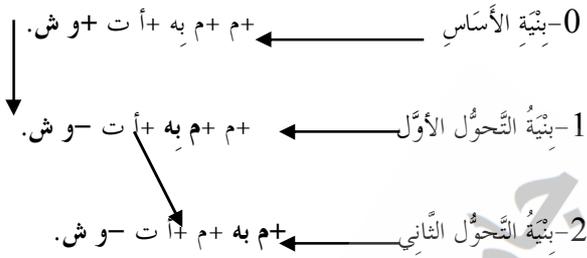
وعلى أساسها تَمَثَّلُ الصُّورةُ التَّجريدِيَّةُ للتَّشْبِيهِ في:

أ مثل ب في ج بهد د

فـ(الألفُ) تُشيرُ إلى المُشَبَّهِ، و(مثلُ) تُشيرُ إلى الأداةِ، و(الباءُ) تُشيرُ إلى المُشَبَّهِ بِهِ، و(الجيمُ) تُشيرُ إلى (وَجْهِ الشَّبْهِ)، و(الدالُّ) تُشيرُ إلى العَرَضِ المُستَهْدَفِ.<sup>(1)</sup>

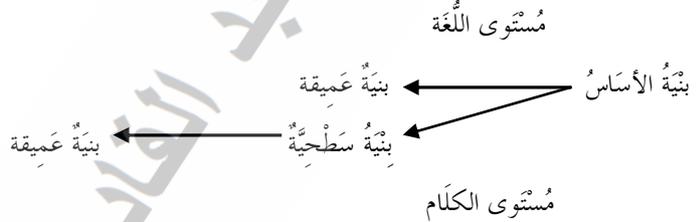
وقد عَرَفَتْ بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ في المَقْطَعِ التَّحوُّلِ أو الانزِياعِ عَن بِنْيَةِ الأساسِ عَن طَرِيقِ الحذفِ وعَرَفَتْ تَحَوُّلاً ثانياً عَن طَرِيقِ التَّقْلِ بِالتَّقدِيمِ أو التَّأخِيرِ، وهذا ما يُبيِّنُهُ بالتَّرسيمةِ:

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص: 138.



بنية الأساس في التشبيه هي البنية المكتملة العناصر والتي يرد فيها كل عنصر في موضعه من البنية، وهي المتحققة على مستوى اللغة (اللسان) أو على مستوى الكلام، فعلى مستوى اللغة (اللسان) هي النموذج التجريدي الذهني الكامن في كل بنية تشبيهية، وهي تمثل من هذه الناحية البنية العميقة للتشبيه بصفة عامة، وعلى مستوى الكلام هي التحقيق الصياغي أو الإنجاز العوي أو التطبيق اللفظي لبنية تشبيهية محددة، وهي تمثل في حال تحققها بنية سطحية لها بنيتها العميقة؛ أي: أنها ليست صوتاً بلا معنى أو دوالاً بلا مدلولات.

وفي الترسيم التالية توضيح لذلك:



وتتحلى هذه البنى في بنية الشعر بالطريقة الآتية:

0- بنية الأساس = م+ أ ت +م به +و ش = يمرُّ القطارُ كمرِّ السحابِ في ( +حركة بطيئة)

1- بنية التحول الأول = م+ أ ت +م به -و ش = يمرُّ القطارُ كمرِّ السحابِ (-).

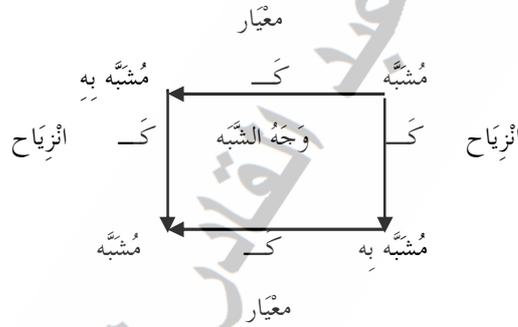
2- بنية التحول الثاني = م+ أ ت +م به +و ش = كمرِّ السحابِ يمرُّ القطارُ (-).

ويرمز الصفر (0) في بنية الأساس، بوصفها كلاماً محققاً في ملفوظ شعري، إلى الدرجة الصفر أو المستوى الحيادي الخالي من الشعرية نسبياً، أما الرمز (1) فيدل على انتقال البنية من الدرجة الصفر للشعرية إلى درجة من الشعرية، بينما يدل الرمز (2) على درجة مضاعفة من الشعرية. أي أن البنية ترتفع شعرياً بقدر ما تنزح أو بقدر ما تبعد عن مستواها الحيادي أو الدرجة الصفر أو بقدر ما تتخلص من نثرتها.

وبطبيعة الحال فإذا كان التقلُّ يتقدم المشبه به فإنه يقتضي أن صاحبه أداة التشبيه، فهما معاً يكونان شبه جملة من جارٍّ ومجرورٍ، وهما من المتعلقات التي تتأخر عن الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر. وتجدُر الإشارة إلى أن التقدم في مثل هذه البنية تقدم يتم بتغيير الرتبة النحوية لبعض عناصر الجملة التي تملك حرّية الحركة الأفقية دون أن تختل العلاقات الإسنادية أو أن تضطرب القواعد التركيبية، فينقل العنصر من موضع إلى آخر لا يمكن له أن يحل فيه وينشأ عنه كلامٌ مستقيم في نظام اللغة. وإنما تجري عملية نقل العناصر ضمن القوانين الإجمالية والاختيارية التي تسمح بها سبل التصرف المتاحة على المستوى التركيبي.

ومع ذلك فإن هذا النقل بالتقديم أو التأخير لا يخلو من أثر دلالي جزئي محدود غير ذلك الأثر الدلالي الكبير الذي يحدثه نقل المشبه به إلى المشبه أو تحويل المشبه به إلى المشبه في بنية التشبيه المقلوب الذي هو "جعل المشبه مشبهًا به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر".<sup>(1)</sup> ففي بنية التشبيه المقلوب ليس هناك تقدم في الرتبة لعنصر المشبه به على المشبه على المستوى التركيبي فكل في موضعه الصحيح شكلاً، وإنما هناك تقدم بتحويل أو تغيير المشبه في العادة مشبهًا به والعكس على المستوى الدلالي. وبنية التشبيه المقلوب بنية انزياحية انحرفت عن المعيار الثابت في بنية التشبيه النمطية؛ إذ يشبه الشيء بما هو أقوى منه في وجه الشبه، ولكن لأجل إنتاج معنى المبالغة والإغراق يعكس اتجاه التشبيه ادعاءً بأن وجه الشبه أقوى وأظهر في المشبه وليس في المشبه به. إن بنية التشبيه الانزياحية تُفاجئ المتلقي بما لا يتوقعه وتقدم له الصورة بالطريقة التي لا ينتظرها.

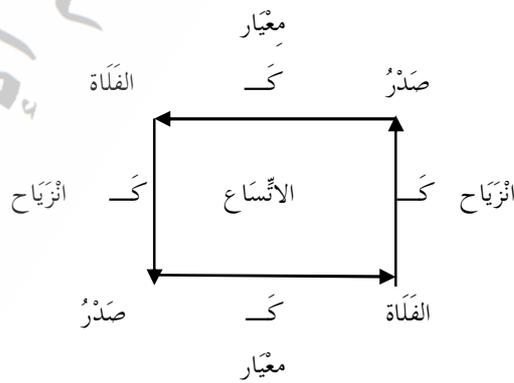
وتكشف الترسيم المجردة الآتية عن ماهية هذا التشبيه:



وتجد هذه الترسيم تُنفِذها من خلال قول الشاعر:

أحنُّ لهم ودونهم فلاة كأن فسحها صدرُ الحليم

كآلآتي:



وبهذا تكون بنية التشبيه المرسل المحمل بنية انزياحية ذات خصوصية تركيبية ودلالية تقدم فيها المشبه به وخفي وجه الشبه فكانت أبلغ وأفعل في نفس المتلقي.

(1) علي الجارم: البلاغة الواضحة، ص: 51.

وَتَأْتِي بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ الْأَخِيرَةَ مُشَخَّصَةً وَمُحَسَّدَةً لِحِطَّةِ تَأَلُّقِ الْإِبْدَاعِ وَوِلَادَةِ الشَّعْرِ مُسْتَظَلَّةً بظِلِّ الاستِعَارَةِ  
الْبَدِيعَةِ الَّتِي حَسَدَتْ فِيهَا وَشَخَّصَتْ الْفِكْرَةَ الذَّهْنِيَّةَ أَوْ الْحَالَةَ الْوُجْدَانِيَّةَ الْمُتَمَثِّلَةَ فِي الْإِلْهَامِ الشَّعْرِيِّ وَمُعَانَاةِ الْإِبْدَاعِ  
الَّذِي تَتَمَخَّضُ عَنْهُ الْقَصِيدَةُ الشَّعْرِيَّةُ وَتَنْبَثِقُ مِنْهُ الصُّورَةُ الْفَنِيَّةُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

يَشْهَقُ الشَّعْرُ فِي حَفْنِ سُنْبِلَةٍ

كَالضِّيَاءِ الْبَهِيحِ

وَبِنْيَةَ التَّشْبِيهِ الصَّرِيحِ فِي هَذَيْنِ السُّطْرَيْنِ هِيَ بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ الْمُرْسَلِ الْمُفْصَّلِ الَّذِي يُحَذَفُ فِيهِ وَجْهُ الشَّبْهِ  
وَيُذَكَّرُ بَقِيَّةِ الْعَنَاصِرِ الثَّلَاثَةِ:

بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ = يَشْهَقُ الشَّعْرُ فِي حَفْنِ سُنْبِلَةٍ كَالضِّيَاءِ الْبَهِيحِ (...)

= +م +أت +م به -و ش.

إِنَّ مُحَاوَلَةَ الْاِقْتِرَابِ مِنْ وَجْهِ الشَّبْهِ الثَّائِي فِي طِبَّاتِ الْعِلَاقَةِ الْحَفِيَّةِ الَّتِي تَحَسَّسَهَا الشَّاعِرُ بِشُعُورِهِ الْمُرْهَفِ  
بَيْنَ طَرَفِ مُتَبَاعِدِينَ وَرَأَاهَا بِبَصِيرَتِهِ النَّافِذَةِ تَتَطَلَّبُ إِدْرَاكَ الصُّورَةِ الْجُزْئِيَّةِ الَّتِي انْكَشَفَ عَنْهَا الْمَشْبَهُ.

فَقَدْ شَكَّلَ الْمَشْبَهُ بِوَسِطَةِ تَرْكِيْبِهِ الْإِسْنَادِيِّ بِنْيَةَ اسْتِعَارِيَّةَ أَوْلَى قَائِمَةً عَلَى إِسْنَادِ الْفِعْلِ (يَشْهَقُ) إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ،  
فَـ(يَشْهَقُ) مِنْ (الشَّهْقِ) بِمَعْنَى تَرَدُّدِ النَّفْسِ فِي الْحَلْقِ حَتَّى يُسْمَعُ أَوْ تَرَدُّدِ الْبُكَاءِ فِي الصَّدْرِ أَوْ جَذْبِ الْهَوَاءِ إِلَى  
الصَّدْرِ. (1) وَهَذِهِ الْمَعَانِي مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْكَائِنِ الْحَيِّ أَوْ بِالْإِنْسَانِ.

فَالْفِعْلُ (يَشْهَقُ) هُوَ لَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِ الْمَشْبَهُ بِهِ الْمَحْذُوفِ؛ أَي: مِنْ لَوَازِمِ الْإِنْسَانِ وَلَيْسَ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْمَشْبَهُ  
الْمَذْكُورِ، فَهَذِهِ الْبِنْيَةُ بِنْيَةُ الْاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ الَّتِي شَخَّصَتْ بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ الْأَحْوَالَ الَّتِي تَعْتَرِي الشَّاعِرَ عِنْدَ قَوْلِ  
الشَّعْرِ مِنْ اسْتِعْدَادٍ وَتَهَيُّؤٍ وَاضْطِرَابٍ وَاهْتِرَازٍ وَتَمَلُّلٍ عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ، وَنُصُورٍ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الْاِنْفِعَالَ الشَّعْرِيَّ  
الَّذِي يَسْتَثِيرُهُ الْمَشْهَدُ الطَّبِيعِيُّ الْحَسِّيُّ.

كَمَا شَكَّلَ الْمَشْبَهُ، أَيْضًا، بِنْيَةَ اسْتِعَارِيَّةَ ثَانِيَّةٍ فِي الْمُتَعَلِّقِ (فِي حَفْنِ سُنْبِلَةٍ)، فَلَفْظَةُ (حَفْنِ) تَسْتَحْضِرُ عِلَاقَةَ  
الْمُشَابَهَةِ بَيْنَ الْمَشْبَهُ (السُّنْبِلَةِ) وَالْمَشْبَهُ بِهِ (الْإِنْسَانِ) الَّذِي مَهْمَا حَفِي وَغَابَ فَإِنَّهُ يَظَلُّ مُحَلِّقًا فِي فِضَاءِ الْبِنْيَةِ وَيُذَكَّرُ بِهِ  
ذَلِكَ اللَّازِمُ أَوْ تِلْكَ الْقَرِيْنَةُ.

تَأْتِي بِنْيَةُ الْاسْتِعَارَةِ الثَّانِيَّةِ لِتُضِيفَ دِلَالَةَ ثَانَوِيَّةٍ إِلَى بِنْيَةِ الْاسْتِعَارَةِ الْأُولَى وَتُخَصِّصَ الْمَشْبَهُ بِهِ أَكْثَرَ، وَتُرَشِّحَ  
مَدْلُولًا مُحَدَّدًا فَـ(الْحَفْنِ) مِنْ أَجْزَاءِ الْعَيْنِ وَالْعَيْنِ عَضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الْكَائِنِ الْحَيِّ وَالْمَقْصُودُ، وَمَا (يَشْهَقُ) أَوْ يَتَرَدَّدُ  
فِي (حَفْنِ) الْعَيْنِ لَيْسَ سِوَى الدَّمْعِ الَّذِي هُوَ مَتَّوِّجُ الْبُكَاءِ فِي حَالِي الْحُزْنِ وَالسُّرُورِ. وَرُبَّمَا قَصَدَ الشَّاعِرُ إِلَى إِيقَاعِ

(1) إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، مادة (شَهَق)، ص: 498.

التشبيه بين الحال التي يحضر أو يخطر فيها الشعر على القلب أو الذهن والحال التي تعرورق فيها العين بالدمع،  
فالحال الأولى مؤذنة بقول الشعر والثانية مؤذنة بالبكاء.

وعلى هذا تكون بنية التشبيه كبنية أساسية غائبة في بنية الاستعارة، كالآتي:

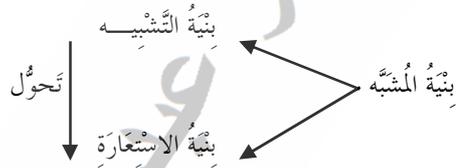
← يتردد الشعر على القلب مثلما يتردد الدمع في العين الإنسان من حزن أو فرح.

ولا تنأى هذه البنية عن أن تكون تشبيه معقول بمحسوس.

وتكون بنية الاستعارة المتحوّلة عن التشبيه، كالآتي:

← يشهق الشعر في جفن سنبلة.

وتوضح الترسّمة التالية بنية المشبه المركبة:



فبنية المشبه هي جماع بنيتي التشبيه المضمرّة والاستعارة المظهرّة، أو هي البنية النهائية المنزاحة عن التشبيه،  
واجتماع التشبيه والاستعارة في الصورة الجزئية للمشبه تأكيد على أصل الاستعارة وهو التشبيه، وتعدّ الاستعارة  
محاولة للتصرف في بنيتي بما يخفيه ويحتفظ بعلاقة المشابهة.

أمّا بنية المشبه به فمركبة من الموصوف (الضياء) والصفة (البهيج) الدالة على الحسن والتضارة والفرح والسُرور.  
وكل من المشبه والمشبه به يتصف بالحركة التي يثير إليها أحد عناصره الفعل (يشهق) والاسم المجرور (جفن).  
والمشبه والمشبه به معاً يتسمان بالانتشار والامتداد والتأثير.

فبنية المشبه به هي الموصوف والصفة، وبهذه المزاوجة يمنح المشبه به الصورة الدقة والوضوح من خلال التقييد  
أو التحديد وبحكم ارتباطه بوجه الشبه الذي يكون فيه أظهر وأوضح. وبناءً عليه فللصفة دور في بناء الصورة  
الشعرية فهي تلون وتحدد الصورة بعد أن تكون مطلقة الإيحاءات، والمهم في الصفة تلوين الصورة فالسنا مع  
تحديد الصورة ولكننا مع تلوين الصورة بالصفة الملائمة لواقع الشاعر النفسي ولعالم القصيدة. (1) فالصفة قد  
تقوم مقام وجه الشبه في الكشف عما يكون في داخل النفس وإضاءة ما هو مظلم غير قابل للإبصار في أغوارها  
السحيقة.

وتأتي نهاية المقطع لتسدل الستار على مشهد مليء بالحيوية والحركة، وهي نهاية لا تخلو من تصوير حسي  
مدرك، يقول:

(1) مدحت الجيار: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، ص: 85.

ثُمَّ تَذْوِي الْمَسَافَاتِ

فِي لَحْظَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ

وَيَمْحُو الظَّلَامَ

سِرَاجَ النَّهَارِ!

وَيَبْرُزُ فِي هَذِهِ الصُّورِ الْجُزْئِيَّةِ أَثْرُ التَّصْوِيرِ الْقُرْآنِيِّ مِنْ حِلَالِ اسْتِثْمَارِ بَعْضِ عَنَاصِرِ صُورِهِ كـ(مَرِّ السَّحَابِ، يَمْحُو، سِرَاجَ...).

وَكثِيرًا مَا يُوظَّفُ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ عَنَاصِرَ الصُّورَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مُتَأَثِّرًا بِبُنَاهَا الْفَنِيَّةِ وَالْيَتِيهَا التَّصْوِيرِيَّةِ مِنْ تَخْيِيلٍ حَسِّيٍّ وَتَحْسِيمٍ وَتَشْخِصٍ، فَالتَّصْوِيرُ "هُوَ الْأَدَاةُ الْمَفْضَلَةُ فِي أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ، فَهُوَ يُعَبِّرُ بِالصُّورَةِ الْمُحَسَّنَةِ الْمُتَخَيَّلَةِ عَنِ الْمَعْنَى الذَّهْنِيَّةِ، وَالْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ؛ وَعَنِ الْحَادِثِ الْمُحْسُوسِ، وَالْمَشْهَدِ الْمَنْظُورِ؛ وَعَنِ النَّمُودَجِ الْإِنْسَانِيِّ وَالطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ. ثُمَّ يَرْتَقِي بِالصُّورَةِ الَّتِي يَرَسُمُهَا فَيَمْنَحُهَا الْحَيَاةَ الشَّاحِصَةَ، أَوْ الْحَرَكَةَ الْمُتَجَدِّدَةَ. فَإِذَا الْمَعْنَى الذَّهْنِيَّةُ هَيْئَةٌ أَوْ حَرَكَةٌ؛ وَإِذَا الْحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ لَوْحَةٌ أَوْ مَشْهَدٌ؛ وَإِذَا النَّمُودَجُ الْإِنْسَانِيُّ شَاحِصٌ حَيٌّ، وَإِذَا الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ مُجَسِّمَةٌ مَرْتَبَةٌ".<sup>(1)</sup> وَيُمْكِنُ الْإِصْطِلَاحُ عَلَى هَذَا التَّوْظِيفِ بِالتَّنَاصُّ الصُّورِيِّ، أَوْ الصُّورَةِ الْإِشَارِيَّةِ وَهِيَ إِحْدَى سِمَاتِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

تَقُومُ الصُّورَةُ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالِاسْتِعَارَةِ، فَتَنْتُجُ عَنْهُمَا دِلَالَةٌ شِعْرِيَّةٌ مُضَاعَفَةٌ هِيَ خُلَاصَةُ الْمُقَارَنَةِ وَالتَّجْسِيدِ وَالتَّمَثِيلِ الْحَسِّيِّ لِلْمَعْنَوِيِّ الْمَجْرَدِ حَتَّى تَنْظُرَ إِلَيْهِ عَيْنُ الْمُخَيَّلَةِ وَتَتَمَلَّى هَيْأَتَهُ، وَقَدْ تَعْمَلُ الْاسْتِعَارَةُ عَلَى تَحْدِيدِ الشَّبَهِ الْمُرَادِ وَالْمِشَارِ إِلَيْهِ بَيْنَ الْمَشْبَهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ. وَلَيْسَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالِاسْتِعَارَةِ مَا يَمُدُّ الْهُوَّةَ بَيْنَهُمَا، فَالِاسْتِعَارَةُ تُكْمِنُ فِي التَّشْبِيهِ بِالْقُوَّةِ، وَالتَّشْبِيهِ هُوَ بِنِيَّةِ الْأَسَاسِ لِلِاسْتِعَارَةِ، وَهِيَ مُتَحَوِّلَةٌ عَنْهُ ضَرُورَةً.<sup>(2)</sup> وَبِعِبَارَةِ أُخْرَى، فَالِاسْتِعَارَةُ تَشْبِيهِ حَذْفِ أَحَدِ طَرَفَيْهِ، تَشْبِيهِ مُضْمَرٍ فِي النَّفْسِ، وَبَيَّتُهَا الْأَوْلَى الَّتِي وُلِدَتْ فِيهَا هِيَ النَّفْسُ.<sup>(3)</sup> وَعَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ يَنْسُجُ الْعُمَارِيُّ صُورَهُ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (حَنِينٍ إِلَى خَضْرَاءِ الظَّلَالِ)<sup>(4)</sup>:

لَيْلَةُ الْوَجْدِ انْفَسَاحٌ مُبْهَمٌ الرَّؤْيَا حَزِينٌ

وَعَصَافِيرُ الشِّتَاءِ الْبَيْضُ يُدْمِيهَا الْحَنِينُ

أَلْحَنِينُ الْمُرُّ هَذَا..

أَمْ مَسَافَاتُ السَّنِينِ...؟

مُرَّةٌ كَالْحَمْرِ آه..

(1) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط: 18، 1427-2006م، ص: 36.

(2) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص: 136.

(3) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان والبدیع، ص: 163.

(4) مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 57.

مُرَّةٌ كَالْتَلَجِ آه  
مُرَّةٌ كَالْمَوْتِ يَنْقُضُ عَلَى حُلْمِ دَفِينٍ  
مُرَّةٌ هَدِي الْمَرَايَا..

تَتَلَحَّمُ وَسَائِلُ بِنَاءِ الصُّورَةِ مِنْ تَرَأْسِلِ حَوَاسٍ وَتَشْبِيهِ وَاسْتِعَارَةٍ، وَتُقَدِّمُ الْمَعْنَى الْوَجْدَانِيَّ الْمَجْرَدَ مَحْسُوسًا (مُرَّةٌ كَالْمَوْتِ يَنْقُضُ عَلَى حُلْمِ دَفِينٍ) فَيَنْشِطُ الْخَيَالَ لِتَلْقَى الصُّورَةَ وَلَمْ أَطْرَافَهَا وَاسْتَفْزَازِ حَاسَتِي الذَّوْقِ وَالْبَصْرِ، فَيَرْبِطُ بَيْنَ الْمَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسِ، حِينًا، وَبَيْنَ الْمَحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ حِينًا آخَرَ، وَيَنْشَأُ عَنِ الصُّورَةِ فِي كَلِمَتِهَا أَثْرٌ شَدِيدٌ الْوَقْعَ عَلَى النَّفْسِ، مُؤْلِمٌ وَمُفْزِعٌ وَمُبَاغِتٌ، وَإِنْ كَانَتْ صُورَةُ الْمَوْتِ الَّذِي يَنْقُضُ شَبِيهَةَ الْمَلَاحِجِ بِالصُّورَةِ الْقَدِيمَةِ لِلْمَنِيَّةِ الَّتِي تُنْشَبُ أَضْفَارَهَا. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ بَعْضَ الْعَنَاصِرِ تَرْفَى إِلَى مُسْتَوَى الرَّمْزِ مِثْلَ (العَصَافِيرِ، الْمَرَايَا...) مِمَّا يُعْنِي الصُّورَةَ وَيُخَصِّبُهَا بِدَلَالَاتٍ حَانِيَّةٍ مُثِيرَةٍ هِيَ وَلِيدَةُ السِّيَاقِ الْخَاصِّ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، فَرَمَزَ (العَصَافِيرِ) لَهُ دِلَالَتُهُ عِنْدَ الْعُمَارِيِّ غَيْرِ تِلْكَ الَّتِي لَهُ عِنْدَ الرِّبَاوِيِّ لِأَنَّ دِلَالََةَ الرَّمْزِ سِيَاقِيَّةٌ فَـ"الرَّمْزُ بَارْتِبَاطُهُ بِالسِّيَاقِ الْفَنِّيِّ، مُتَغَيِّرٌ وَمُتَجَدِّدٌ دَائِمًا، مِنْ حَيْثُ الْمَضْمُونُ. فَكُلُّ سِيَاقٍ يَفْرِضُ مَضْمُونًا خَاصًّا بِهِ. وَلَا يَجُوزُ التَّعَامُلُ مَعَ الرَّمْزِ الْفَنِّيِّ بِمَعزَلٍ عَنِ سِيَاقِهِ، وَكَأَنَّ لَهُ كِيَانًا عَامًّا مُشْتَرَكًا بَيْنَ التُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ كَافَّةً، أَوْ كَأَنَّ الْكَيْنُونَةَ الْوَاقِعِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ تَفْرِضَ كَيْنُونَةً رَمْزِيَّةً مُحَدَّدَةً. (1)

وَأَكْثَرُ أَدْوَاتِ التَّشْبِيهِ تَكَرَّرًا فِي هَذِهِ التُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ هِيَ (ك) بِدَرَجَةِ أُولَى وَ(كَأَنَّ) بِدَرَجَةِ ثَانِيَّةٍ، وَيَقِلُّ وَرُودُ سِوَاهُمَا مِنَ الْأَدْوَاتِ أَسْمَاءً أَوْ أَفْعَالًا. وَتُعَدُّ أَدْوَاتُ التَّشْبِيهِ فِي التُّصُوصِ الَّتِي وَطِّقَتْ فِيهَا عَنَاصِرَ بِنَائِيَّةٍ أَكْثَرَ مِنْهَا وَسَائِلَ رِبْطٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الْأَطْرَافِ الْمُتَبَاعِدَةِ وَتَطْوِي الْمَسَافَةَ بَيْنَهَا، فَتَقُومُ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ بِدَوْرِ الرَّابِطِ اللَّفْظِيِّ وَوَجْهَ الشَّبهِ بِدَوْرِ الرَّابِطِ الْمَعْنَوِيِّ، كَمَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي بِنَى التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِ الْعُمَارِيِّ (2):

مَوْتُ هُوَ الصَّمْتُ يَسْرِي فِي مَفَاصِلِنَا كَالسُّلِّ يَنْخَرُ فِي الْأَحْشَاءِ وَالْعَصَبِ  
تَقُومُ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِي الْبِنِيَّةِ:

مَوْتُ هُوَ الصَّمْتُ يَسْرِي فِي مَفَاصِلِنَا كَالسُّلِّ يَنْخَرُ فِي الْأَحْشَاءِ وَالْعَصَبِ  
بِالرَّبْطِ اللَّفْظِيِّ التَّرْكِيبِيِّ بَيْنَ الْمَشْبَهَةِ (الصَّمْتُ) وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (السُّلُّ)، أَمَّا الرَّبْطُ الْمَعْنَوِيُّ فَمِنْ وَظِيفَةِ وَجْهِ الشَّبهِ الْمَلْحُوظِ أَوْ الْمَقْدَّرِ فِي سِيَاقِ الْبِنِيَّةِ، وَهُوَ الْخَفَاءُ فِي الْمَشْبَهَةِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ.  
وَفِي قَوْلِهِ (3):

وَأَحْمِلُ الْجُرْحَ فَوَارًا بِمَلْحَمَةٍ لِقَادِمِينَ وَشَمْسُ الْعَيْبِ لَمْ تَغِبْ

(1) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، دراسات جمالية في الحداثة الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص: 73.  
(2) الغماري: العيد والقدس والمقام ص: 30.  
(3) المصدر نفسه، ص: 28.

مَتَى مَتَى غَابَ عَن عَيْنِي وَعَن خَلْدِي وَعَدُّ أَلُوذٍ بُنْعَمَاهُ مِنَ النَّصَبِ  
وَعَدُّ أُبَارِكُ فِيهِ صَحْوَةٌ سَطَعَتْ كَالسَّيْفِ يَفْرُقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ  
تَقُومُ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ بِالرَّبْطِ التَّرَكِّيِّ بَيْنَ الْمَشَبِّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ:

وَعَدُّ أُبَارِكُ فِيهِ صَحْوَةٌ سَطَعَتْ كَالسَّيْفِ يَفْرُقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ  
بَيْنَمَا يَقُومُ وَجْهُ الشَّبَّهِ الْمَلْحُوظِ أَوْ الْمَقْدَّرِ بِوَضِيفَةِ الرَّبْطِ الْمَعْنَوِيِّ بَيْنَ الْمَشَبِّهِ (صَحْوَةٌ) وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (السَّيْفِ)، وَوَجْهُ  
الشَّبَّهِ هُوَ الْوَضُوحُ وَالظُّهُورُ. فَالْجَامِعُ الْمَعْنَوِيُّ فِي بِنْيِ التَّشْبِيهِ السَّابِقَةِ يُمَكِّنُ مِلْأَحَظَّتُهُ وَتَقْدِيرُهُ، وَإِنْ كَانَتْ بُنْيُ  
التَّشْبِيهِ مِنَ التَّنَوُّعِ الْمُرْسَلِ الْمَفْصَلِ.

وَقَدْ يَكُونُ التَّشْبِيهِ وَسِيلَةً بَيَانِيَّةً فِي التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ الرَّمَزِيَّةِ أَوْ الصُّوْفِيَّةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ حَالَاتِ شُعُورِيَّةٍ وَوَجْدَانِيَّةٍ  
لَيْسَ مِنَ السُّهُولَةِ أَنْ يُفْصَحَ عَنْهَا فِي صُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ تَقْرِيرِيَّةٍ وَإِنَّمَا يُوحَى بِهَا، يَقُولُ الرَّبَاوِيُّ فِي قَصِيدَةِ (كَأْسٍ مِنْ  
رَمَادٍ)<sup>(1)</sup>:

يَا ظَبِيَّةً تَحْرِقُ قَرْنَيْهَا شُمُوسُ هَذِهِ الْبَيْدَاءِ.

ابْتَسِمِي فَرُبَّمَا تَهْجُرُ ذَاتِي كِبْرِيَايَ.

ثَمَّتْ أَسْتَسْلِمُ سِرًّا لِلْبُكَاءِ

وَلِلدُّعَاءِ

ابْتَسِمِي.. فَحِينَمَا تَبْتَسِمِينَ كَاللَّظِي، أُدْرِكُ ضَعْفِي،

وَحَقِيقَتِي، فَأَسْتَسْلِمُ كَالطُّفْلِ لَزَهْرَةِ الْبُكَاءِ.

هِيَ الدُّمُوعُ جَمْرَةٌ تُذْنِي الْفُؤَادَ مِنْ مَقَامِ الشُّوقِ وَالرَّجَاءِ.

ابْتَسِمِي حَتَّى أَهْزِنِي فَتَسَاقُطُ أَحْجَارِي، وَيَصْفُو جَسَدِي،

تَرَقُّ نَفْسِي، ثُمَّ أَرْتَمِي كَهَذَا الْبَحْرِ فِي جَمْرِ الصَّلَاةِ.

كُونِي دَلِيلِي مَرَّةً إِلَى الصَّلَاةِ.

وَأَخْرِجِي سَفِينَتِي مِنْ تَبْحِ الْفَلَاةِ.

كُونِي دَلِيلِي، وَأَجْعَلِي مَصْبَاحَ قَلْبِي

يَسْتَمِدُّ مِنْ عَيْونِكَ الضِّيَاءِ.

كُونِي إِلَى الثُّورِ دَلِيلِي. كَمْ إِلَى حَضْرَتِهِ سَعَيْتُ عَلَيَّ

أَغُوصُ فِي بِنْفَسِجِ الْفَنَاءِ

لَكُمْ سَعَيْتُ مَا احْتَرَقْتُ كَالْفَرَاشِ ضَائِعٌ أَنَا.

وَلَكِنْ لَا يَزَالُ الْقَلْبُ كُلَّ مَرَّةٍ يَطْرُقُ أَبْوَابَ الرَّجَاءِ.

(1) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 25.

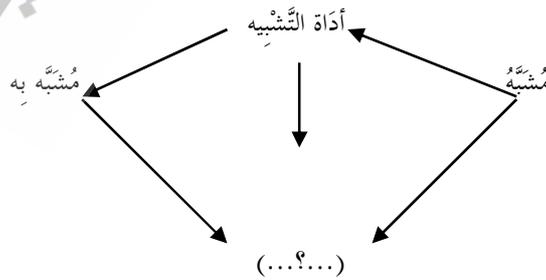
تنتشر في سياقات هذه التجربة الذاتية الخاصة ببنى التشبيه مؤلفة صوراً جزئية سرعان ما تنصهر في الصورة الكلية التي يرسي بنيتها المقطع الشعري من خلال بنائه السردّي، وهي صورة تستمد على قدر من التعقيد بسبب تداخل حزم من الصور المختلفة منها ما هو حسي مرئي ومنها ما هو عقلي تجرّدي وبسبب مزاحات لغوية مُحسّدة وكثيفة الإيحاءات بعيدة الدلالة كـ(زهرة البكاء/حمر الصلاة/بنفسج الفناء...) وبسبب الصورة التناصية التي تفتح نافذة على مشهد قرآني تمتصه وتتمثله وتحوّره وتعيد إنتاجه، وأخيراً بسبب هذه اللغة الرمزية المجازية، وإذا ضاقت العبارة اللغوية عن نقل الحال الشعورية وحمل الفكرة العرفانية فإن الشاعر قد توسّل ببنية التشبيه للبيان والإفصاح والتعبير والترجمة والمقاربة وليضع المتلقي على عتبة تجربته إن لم يستطع الوُجوع إلى قلبها.

تأتي بنية التشبيه الأولى والثانية مُرسلة مُجملة في قوله:

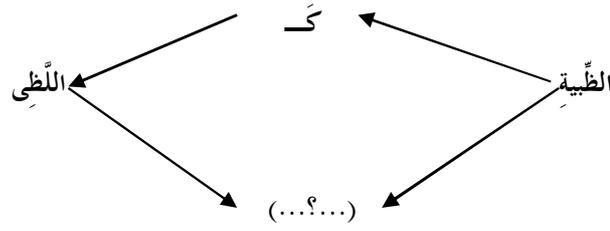
ابْتَسَمِي.. فحينما تبتسمين كاللظى، أدرك ضغفي،  
وحقيقتي، فأستسلم كالطفل لزهرة البكاء.

تتألف الأولى من مشبه هو الظبية/الرمز المخاطبة في المقطع الشعري ومن المشبه به (اللظى) وترتبط بين الطرفين أداة التشبيه (الكاف) ويحتفي وجه الشبه تاركاً فراغاً نصياً يفتقد إلى الدلالة المناسبة التي توضح الغرض من هذه البنية، إن وجه الشبه يكون أوضح وأجلى في المشبه به - الذي هو لهب النار الخالص بلا دخان يسفح الجلود - منه في المشبه (الظبية) حين تبتسم أو - الحق حين يتجلى فينفذ في القلب ويلامس شعافه ويضرم فيه نار الوجد -، إن وجه الشبه يصير العلامة النصية الضائعة في بحر الصورة والتي يعدد الإمساك بها إمساكاً بمفتاح النص، إنه العنصر الذي يفسر علاقة المشبه بالمشبه به في هذه البنية الخاصة.

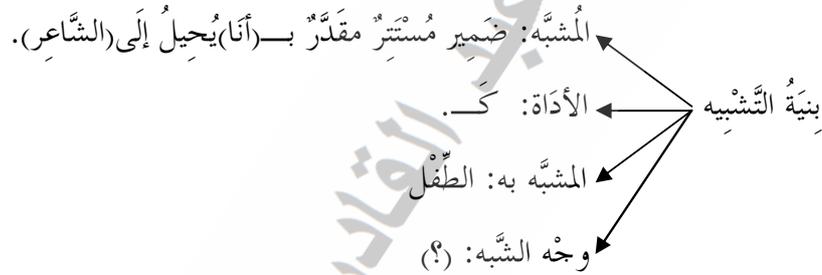
ومع هذه الحقيقة يكون حذف وجه الشبه حذفاً لحلقه من حلقات الدائرة التشبيهية ولعنصر من عناصر البنية، ويعني عدم اكتمال الدلالة الشعورية وعدم استيفاء الصورة معناها، وهذا الحذف لا يعطل عمل البنية عن وظيفتها ويعبث بدالاتها، إنه يضاعف الدلالة ويثري الصورة ويوتر المتلقي، فهو كامن على مستوى العمق موصولاً بكل العناصر. وتتمثل بنية الصورة تجرّدياً في هذه الترسيم:



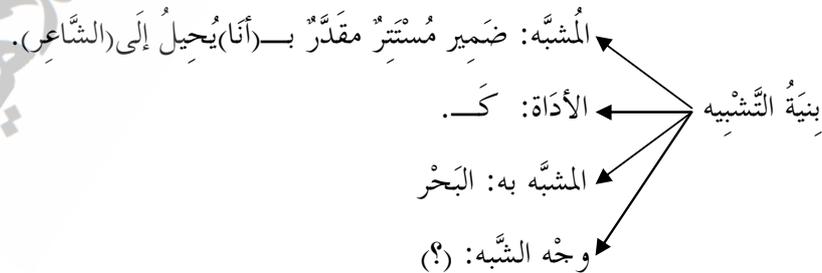
وَتَطْبِيقًا فِي التَّرْسِيمَةِ الْآتِيَةِ:



وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ الْمُتَلَقِّي لَأَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُقَدَّمَ لَهُ الشَّاعِرُ الْمَعْنَى النَّاقِصَ، فَالشَّاعِرُ يَسْمَحُ لَهُ بِالْمُشَارَكَةِ فِي إِنتَاجِهِ وَيُبِيحُ لَهُ مَلْءَ الْفَرَاغِ الَّذِي أَحْدَثَهُ غِيَابُ وَجْهِ الشَّبَّهِ، وَذَلِكَ بِالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ عَنِ الصِّفَةِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ وَعَنِ الْعَلَاقَةِ الْمُسْتَتْرَةِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي لَمَحَّهَا الشَّاعِرُ بَيْنَ طَرَفَيْ الصُّورَةِ الْمُتَبَاعِدِينَ ظَاهِرِيًّا. وَتَرْدُ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الثَّانِيَةِ عَلَى نَمُودَجِ الْأُولَى (فَأَسْتَسْلِمُ كَالطُّفْلِ لِزَهْرَةِ الْبُكَاءِ)، فَهِيَ مُرْسَلَةٌ مُجْمَلَةٌ، تَتَوَفَّرُ عَلَى ثَلَاثَةِ عَنَاصِرٍ وَيَنْقُصُ عُنْصُرُهَا الرَّابِعُ:

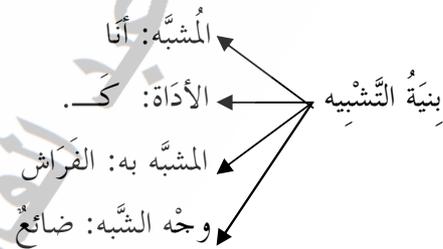


وَتَنْتَظِمُ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ الثَّلَاثَةَ عَلَى الْمِنْوَالِ ذَاتِهِ (ثُمَّ أَرْتَمِي كَهَذَا الْبَحْرِ فِي جَمْرِ الصَّلَاةِ)، فَهِيَ مُرْسَلَةٌ مُجْمَلَةٌ، وَلَا يَنْتَقِصُ مِنْهَا سِوَى وَجْهِ الشَّبَّهِ، تِلْكَ الْحَلْقَةُ الْمُعْيِيَةُ لِإِثَارَةِ الْمُتَلَقِّي وَحْتَهُ عَلَى كَشْفِ الْعَلَاقَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ فَيَنْطَلِقُ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْحَاضِرَةِ لِيَطْلُبَ الْعُنْصُرَ الْعَائِبَ مُسْتَرَشِدًا بِالسِّيَاقِ. فَوَجْهُ الشَّبَّهِ فِي هَذِهِ الْبِنْيِ مَعْنَى يَعِيهِ الشَّاعِرُ أَوْ شُعُورٌ يَجِدُهُ وَيَرْفُضُ الْبُوحَ بِهِ وَالْإِجْبَارَ بِهِ، فَهُوَ سِرُّ التَّجْرِبَةِ الْحَيَّةِ الْمَعَاشَةِ الَّتِي يَخُوضُهَا شُعُورًا وَشِعْرًا، أَوْ هُوَ الْحَالُ الَّتِي تَلْبَسُهُ وَتَعَجِرُ بِنْيِ التَّشْبِيهِ عَنْ نَقْلِهَا كَامِلَةً فَتَكْتَفِي بِتَقْرِيْبِ حَقِيقَتِهَا نِسْبِيًّا. وَتُبَيِّنُ التَّرْسِيمَةُ الْآتِيَةَ بِنْيَةَ هَذَا التَّشْبِيهِ:



أَمَّا بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ الرَّابِعَةِ (لَكُمْ سَعِيْتُ مَا احْتَرَقْتُ كَالْفَرَاشِ ضَائِعًا أَنَا) فَمُخْتَلِفَةٌ عَمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْبِنْيِ، فَقَدْ التَّقَّتْ فِيهَا عَنَاصِرُ التَّشْبِيهِ الْأَرْبَعَةَ بِمَا فِيهَا وَجْهُ الشَّبَّهِ الَّذِي يُعَدُّ نَوَاةً مَعْنَوِيَّةً وَاتَّخَذَتْ تَوَزِيْعًا عَلَى خِلَافِ تَوَزِيْعِ الْعَنَاصِرِ فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ. إِنَّ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ هُنَا مُرْسَلَةٌ مُفْصَلَةٌ، فَهِيَ بِهَذَا التَّوْصِيْفِ بِنْيَةٌ نَمَطِيَّةٌ مِعْيَارِيَّةٌ (م+م+م+م+أ)

ش+وش)ولكن لها الأثر الأسلوبى ذاته الذي تُنتجُه البنى المنزاحة في هذا السياق الشعري الذي ترددت فيه ثلاثُ بنى مُنزَحة مُرسَلة مُحمَلة (+م+م+ به+ أش-وش)، ولعلَّ التكرار المنتظم لثلاث بنى من نفس الصنف على التوالي ثمَّ دخول بنية من صنفٍ مُختلفٍ يَقلبُ القاعدة المألوفة فيحولُ البنية المعيارية في هذا السياق إلى بنية مُنزَحة. وهذه الحقيقة تُؤكدُ القولُ "إنَّ الأسلوبَ يتضمَّنُ جماعَ استخدامِ الكاتبِ للغة، ولا ينبغي-من ثمَّ-أنَّ يقتصرَ على الانحرافاتِ المعزولة، فلعلَّ ما يبدو عادياً، أو معيارياً، يكونُ ذا دلالةٍ ومَعزى".<sup>(1)</sup> وتأسيساً على ذلك تستمدُّ بنية التشبيهِ دلالتها من هذا التوظيفِ الذي يجعلها البنية المتميزة دلالةً وتركيباً-بالتقدم والتأخير والتكبير- وتأخذ قيمتها من المعنى أو معنى المعنى الذي تسترُّ حيناً وتجلّى ههنا، فالبنية تُعبرُ عن حيرةٍ صوفيةٍ، عن خوفٍ ورجاءٍ لم تُعرفِ الروح فيه مُستقرها بعدُ ولم تُنخرطُ في سلكِ محبوبها وتُحبُّ في مداره وإن كانت تتطلعُ إلى ذلك، وتُتضحُ البنية في هذه الترسيمية:



ويبدو أن هذه الصور التشبيهية قائمة على روابط نفسية وأن مجالاتها نفسية وإن تجسدت عبر أطرافٍ حسية، وهي تتلون وتتعدد بتلون النفس والأحوال المتعاقبة، فليس بعيداً أن يكون التشبيه بـ(الظى) أو بـ(البحر) أو بـ(الفراش) ترميزاً لحالات أو مراحل تطرأ على الشاعر أو يتنقل فيها، أو يكون المراد منها تصوير الآثار النفسية المترتبة عن استحضار صورة المشبه به كالحرقة أو الألم والسكينة أو الاضطراب والحيرة والتردد.

وبالنظر إلى الصورة كنسقٍ كليٍّ مُركَّبٍ، فإن القصيدة في هذه الحالة تُصبحُ الموازي الشعريُّ بهذه الصور التشبيهية لما ينتاب الشاعر من خواطرٍ ويعانيه من أحوالٍ؛ أي أنها مُعادِلٌ لغويٌّ أو مكافئٌ فنيٌّ لواقعه النفسيِّ، على أساس أن الصورة الشعرية تُشكلُ مع غيرها من الصور، والأدوات الفنية الأخرى (القصيدة) التي تُكوِّنُ الموازي الشعريِّ لواقع الشاعر الطبيعيِّ والنفسيِّ، أو الاجتماعيِّ.<sup>(2)</sup>

ويمكن القولُ بأن الصورة الشعرية في القصيدة الإسلامية من خلال نماذج الصور الجزئية والمركبة المدروسة بانفتاحها على أصعدةٍ مُختلفةٍ لا تعني "سبحاً في الفراغ وكأ ضرباً في الوهم وكأ غوصاً في حميم الافتعال، بل إنها لتحمِلُ -على مستويات الحمل- المعاني الجليلة الجميلة ذات الانتماءات النفسية والوجدانية والعقلية والمخزون

(1) ستيفن أولمان: الأسلوبية وعلم الدلالة، تر وع: محي الدين محسب، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، (د، ط)، (د، ت)، ص: 14.

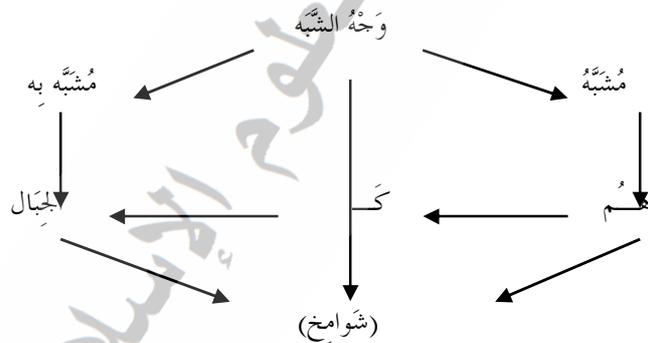
(2) مدحت الجيار: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، ص: 6.

الثَّقَافِي الْعَامُّ كُلُّ ذَلِكَ يَنْصَهَرُ فِي بَوْتَقَةِ التَّجْرِبَةِ الْخَاصَّةِ حَيْثُ لَا عَرَضٌ بَاهِتٌ وَلَا سَرْدٌ بَارِدٌ، بَلْ حَيْثُ التَّمَايُزُ الْخَاصُّ وَالْبَصَمَاتُ الَّتِي لَا يَخْتَلِطُ بِهَا غَيْرُهَا. (1) فِيهِ تُحَقِّقُ خُصُوصِيَّةَ بِنْيَاتِهَا بِالْقَدْرِ الَّذِي تَنْفَتِحُ بِهِ عَلَى بِنْيَاتِ التُّصُوصِ الْمُتَبَايِنَةِ.

وَحِينَ تُتَّخَذُ الصُّورَةُ أَدَاةً لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَوْقِفٍ فَإِنَّ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ تَسْتَجْمَعُ كُلَّ عَنَاصِرِهَا عَلَى مُسْتَوَى اللُّغَةِ وَتَتَّسِمُ بِالوُضُوحِ الَّذِي لَا يَتَنَافَى وَإِجَائِيَّتِهَا، وَيُظْهِرُ وَجْهَ الشَّبهِ مِنْ بَيْنِ غَيْرِهِ مِنَ الْعَنَاصِرِ لِأَنَّهُ بُورَةٌ الدَّلَالَةِ وَمَرْكَزُ الثَّقَلِ فِي الْبِنْيَةِ، وَإِنْ أُضْمِرَ غَيْرُهُ، وَيُوظَّفُ يُوسُفُ الْعَظْمُ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ الْمَلَائِمَةِ لِلْمَوْقِفِ الْمُعْلَنِ، فَيَقُولُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ (2):

ظَنَّ الْيَهُودُ بِأَنَّهُمْ سَادُوا، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ  
وَبِأَنَّ قَوْمِي قَدْ تَلَا شَوْا وَاسْتَبَدَّ بِهِمْ ذَلِيلٌ  
هُمْ كَالْجِبَالِ شَوَامِخٌ مِنْ أَرْضِهِمْ رَفَضُوا الرَّحِيلُ  
وَهُمْ الْجُدُورُ ثَوَابِتٌ فِي تُرْبِهِمْ شَمَخَ النَّحِيلُ

فَتَأْتِي الصُّورَةُ الْجُزْئِيَّةُ الْأُولَى مُمَثَّلَةً فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ (الأصل) التَّامِ الصَّرِيحِ؛ أَيِ التَّشْبِيهِ الْمُرْسَلِ الْمَفْصَلِ (+م +م) بِهِ (+أش + وش) الَّذِي يَتَأَلَّفُ مِنَ الْمَشَبِّهِ (هُمْ) وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (الْجِبَالِ) وَأَدَاةِ التَّشْبِيهِ (ك) وَوَجْهَ الشَّبهِ (شَوَامِخِ)، وَيُعَدُّ وَجْهَ الشَّبهِ أَبرَزَ عُنْصُرٍ وَعَلَيْهِ تَعَكَّفُ عَنَاصِرُ الْبِنْيَةِ فَهِيَ مَلْحُوظٌ فِي الْمَشَبِّهِ وَمَلْحُوظٌ فِي الْمَشَبَّهِ بِهِ، وَهُوَ الدَّاعِي إِلَى إِجْرَاءِ الْمَقَارَنَةِ وَالتَّشْبِيهِ بِأَدَاتِهِ الشَّائِعَةِ (الكاف)، وَيَتَّضِحُ الدَّورُ الْمُمَيِّزُ لَوَجْهِ الشَّبِّهِ مُتَوَسِّطًا الْبِنْيَةَ فِي التَّرْسِيمَةِ الْآتِيَةِ:



إِنَّ دَوْرَ وَجْهِ الشَّبِّهِ لَا يَتَأْتِي مِنْ كَوْنِهِ عُنْصُرًا خَارِجًا سَابِقًا عَنِ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ وَإِنَّمَا مِنْ كَوْنِهِ الْعُنْصُرَ الَّذِي أُسِّسَ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ، بِمَعْنَى أَنَّ الشَّاعِرَ لَأَحْظَ وَجْهَ الشَّبِّهِ أَوْ صِفَةَ (الشُّمُوحِ) فِي طَرَفٍ أَوْ فِي الْمَشَبَّهِ وَبَحَثَ لَهَا عَنْ طَرَفٍ أَوْ مُشَبَّهِ بِهِ تَتَمَثَّلُ فِيهِ بِوُضُوحٍ فَوْجَدَهُ فِي (الْجِبَالِ) وَاحْتِاجَ إِلَى مَا يَرْبِطُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ مُسْتَظْهِرًا الصِّفَةَ الْجَامِعَةَ فَاسْتَعْمَلَ الْأَدَاةَ (الكاف).

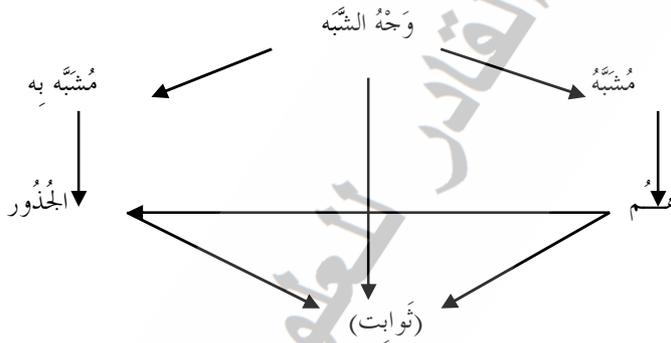
(1) مصطفى محمد الغماري: في النقد والتحقيق، ص: 30.

(2) يوسف العظم: الفتية الأبايل، ص: 39.

وَيَعَزُّزُ دَوْرَ وَجْهِ الشَّبْهِ نَحْوِيًّا بِمَجِيئِهِ عُنْصُرًا عُمْدَةً فِي بِنْيَةِ الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ؛ فَهُوَ وَقَعَ خَبْرًا، وَدَلَالِيًّا بِمَجِيئِهِ عَلَى صَيْغَةِ جَمْعٍ (فَوَاعِلٍ) مِنْ جُمُوعِ الْكَثْرَةِ مُتَأَخَّرًا مَسْبُوقًا بِشَبْهِ الْجُمْلَةِ لِيَكُونَ آخِرَ مَا يَقِفُ عَلَيْهِ اللَّسَانُ وَآخِرَ مَا يَتَرَدَّدُ فِي الذَّهْنِ. وَقَدْ تَزَادَتْ الصُّورَةُ إِجْمَاءً بِمَا فِي لَفْظِ الْمَشْبَهِ بِهِ مِنْ ظَلَالٍ فَهُوَ دَالٌّ عَلَى الصَّلَابَةِ وَالْعِظْمَةِ وَالْمُنْعَةِ وَالْحِصَانَةِ.

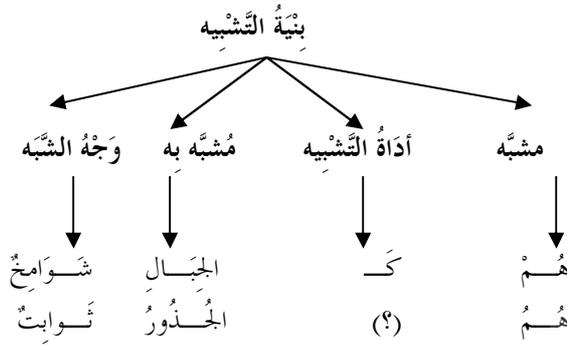
وَتَرِدُ الصُّورَةُ الْجُرْتِيَّةُ مُمَثَّلَةً فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ بِنْيَةُ (مَنْزَاحَةٌ) صَرِيحَةٌ غَيْرُ تَامَّةٍ، مُؤَكَّدَةٌ مُفْصَلَةٌ (+م+م) بِهِ -أش+وش) مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْمَشْبَهِ (هُمْ) وَالْمَشْبَهِ بِهِ (الْجُدُورُ) وَوَجْهِ الشَّبْهِ (ثَوَابِتُ)، وَلَا يَزَالُ وَجْهُ الشَّبْهِ يُؤَدِّي دَوْرَهُ الرَّئِيسَ فِي بِنْيَةِ الصُّورَةِ إِذْ هُوَ الصِّفَةُ الَّتِي لُوحِظَتْ فِي طَرَفٍ وَاسْتَدْعَتْ الْبَحْثَ عَنْ طَرَفٍ آخَرَ تَكُونُ فِيهِ أَكْثَرُ بُرُوزًا وَعَقَدَتْ الصَّلَةَ بَيْنَهُمَا بِأَدَاةٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى تَشَابُكِ الصَّلَةِ وَتِلَاحُمِ الْعَلَاقَةِ. وَهَذَا الْمُبَرَّرُ الدَّلَالِيُّ الَّذِي اسْتَوْجَبَ حَذْفَهَا لِلإِشْعَارِ بِالاتِّصَالِ الْمُبَاشِرِ بَيْنَ طَرَفَيْ التَّشْبِيهِ.

وَتُوضِحُ التَّرْسِيمَةُ الْآتِيَةَ بِنْيَةَ التَّشْبِيهِ وَعِنَاصِرِهِ وَيَرْمِزُ فِيهَا السَّهْمُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْمَشْبَهِ وَالْمَشْبَهِ بِهِ إِلَى الْإِتِّصَالِ التَّامِّ بِحَذْفِ الْأَدَاةِ:



وَيَتَأَكَّدُ دَوْرَ وَجْهِ الشَّبْهِ دَلَالِيًّا بِمَجِيئِهِ عَلَى صَيْغَةِ جَمْعٍ (فَوَاعِلٍ) مِنْ جُمُوعِ الْكَثْرَةِ مُتَأَخَّرًا مَسْبُوقًا بِالْخَبْرِ لِيَكُونَ آخِرَ مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي السَّمْعِ. وَقَدْ يُضَاعَفُ لَفْظُ الْمَشْبَهِ بِهِ مِنْ تَأْثِيرِ الصُّورَةِ بِدَلَالَتِهِ عَلَى الْإِمْتِدَادِ وَالتَّأَصُّلِ وَالرُّسُوحِ.

وَالْمُقَارَنَةُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الْجُرْتِيَّتَيْنِ - فِي إِطَارِ الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ صُورَةَ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْمَجَاهِدِ الصَّامِدِ - تُشِيرُ إِلَى تَبَايُنٍ وَإِلَى تَشَابُهٍ؛ إِلَى تَبَايُنِ الْبِنْيَتَيْنِ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ تَعَادُلِهِمَا فِي الْعِنَاصِرِ الْمَكُونَةِ فِي الْبِنْيَةِ الْأُولَى ذُكِرَتْ أَرْبَعَةُ عِنَاصِرٍ وَفِي الثَّانِيَةِ ذُكِرَتْ ثَلَاثَةُ عِنَاصِرٍ، وَبِنْيَةُ التَّشْبِيهِ كَلَّمَا حُذِفَ مِنْهَا عُنْصُرُ -الْأَدَاةُ أَوْ وَجْهُ الشَّبْهِ أَوْهُمَا مَعًا- ارْتَفَعَتْ دَرَجَةً فِي سُلْمِ الْبَلَاغَةِ وَازْدَادَتْ دِلَالَتُهَا قُوَّةً وَتَأَكِيدًا، وَقَدْ وَقَعَ الْحَذْفُ عَلَى الْأَدَاةِ لِلْعَرَضِ الَّذِي يَتَوَخَّاهُ الشَّاعِرُ، كَمَا تُوضِحُ التَّرْسِيمَةُ ذَلِكَ:



وبهذا الترتيب تدرج الشاعر في إبداع رسالته، فقد جمع في ملفوظه عناصر التشبيه كاملة وذكرها بحسب الترتيب المألوف في بنية التشبيه في البنية الأولى ليوكد فكرة الشموخ والتسبب الرفيع العريق، وفي البنية الثانية لم يجمع فيها إلا ثلاثة وحذف الأداة ليؤيّد توكيده ويؤكد أكثر مضمون خطابه. أما التشابه فمن حيث أن البنية الثانية هي مرادفة في دلالتها للأولى، فقد جاء الشاعر بـ(الجبال) و بـ(الجذور) لأجل تحقيق معنى (الشموخ) والثبات) وليس بين المفردتين في هذا السياق فارق دلالي يذكر، فالبنية الثانية تنوع للأولى وتفريع عنها. وإذا كان الترادف نوعاً من التكرار، فالتكرار توكيد للمعنى وإلحاح عليه فضلاً على أنه تماسك وترابط للبنيتين ولتصّ المقطع الشعري.

ومن حيث أن الشاعر ألف عناصر البنيتين على نمط التركيب الاسمي البسيط الخبري ليمنح مضمون رسالته ثباتاً ودواماً واستمراراً وتوكيداً، وجعل المشبه فيهما مبتدأ رفّع إن التجربة الشعورية أو الموقف في هذه المقطع تبدى من خلال الصورة التي يقدمها الشاعر، فهو لا يفصح عن مرآيه وأعماقه التي تُحس وتنفعل فقد يحدثنا الشاعر حديثاً مباشراً إلا أنه يلجأ إلى الصورة لتعبّر عن إحساسه من داخله، فاختيار الزاوية التي يقف عندها جزء من موقفه، ثم سعيه إلى أن يرسم الأشياء والناس والأفعال كما هي في نفسه يتطلب أن يجعلها أكبر أحياناً وبلونٍ آخر أحياناً وقادرة على السير في آفاق أبعد مرات. (1)

ولكون الصورة تحسيماً للفكرة وتشخيصاً للطبيعية حسية كانت أم خيالية حيث تتمكّن الصورة من نقل الفكرة والعاطفة. (2) فإن الطبيعة جامدة ومتحركة تشكل مادة الصورة الشعرية بالنسبة إلى محمد هاشم رشيد فكثيراً ما يعمل على تشخيص الطبيعة في صياغة تجربته الشعورية وتنوع مجموعة من الصور، يقول في قصيدة (في الطريق) (3):

الطريق الطويل لفعه الصمت وأغفى على ظلال الغروب

(1) فايز الداية: جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر، دمشق، ط: 3، 1416هـ-1996م، ص: 72.  
(2) محمد الصادق عفيفي: دراسات في الأدب السعودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1413هـ-1993م، ص: 121.  
(3) محمد هاشم رشيد: على ضفاف العقيق، ص: 10.

وَبَقَايَا الضِّيَاءِ تَحْضُنُ الْأُفُقُ وَتُلْقِي وَشَاحَهَا فِي الدُّرُوبِ  
وَطُيُوفِ النَّخِيلِ فِي لُجَّةِ الْمَسْحُورِ صَلَّتْ عَلَى ضِفَافِ الْمَغِيبِ  
وَيَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ (جَبَلٌ أَحَدٌ) مُوظِّفًا بَعْضًا مِنَ الصُّورِ الْجَزَائِيَّةِ (1):

يَا رَمَزَ مَجْدٍ مِنْ بِلَادِي انْتَشَرَ  
يَا جَبَلًا يُورِقُ فِيهِ الْحَجَرُ  
وَيَصْدَحُ الشُّوكُ وَالزَّهْرُ

وَتَتَجَلَّى بِنَيْةِ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الصُّورِ الْجَزَائِيَّةِ الَّتِي تَنْهَضُ عَلَى الْاسْتِعَارَةِ أَوْ الْكِنَايَةِ فِي تَرَاكِيْبِ  
لُغَوِيَّةٍ كَثِيفَةٍ الْإِيْحَاءِ مَدِيدَةِ الظُّلَالِ، وَهِيَ تَشْكَلُ صُورَةً مُرَكَّبَةً بِاجْتِمَاعِهَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ لِرِجَالٍ عَانَقُوا نُورَ  
الْحَقِيقَةِ، أَشْعَلُوا الصُّبْحَ بِزَيْتٍ مِنْ دُمُوعٍ، انْتَرَبَ بِسَمَاتِكَ، قُبُودُ اللَّيْلِ، ذُو الْكَفِّ الْعَلِيظَةِ...، يَقُولُ الْكِيْلَانِي (2):

افْتَحِ الْبَابَ (يَا رِضْوَانَ) لِلْمُسْتَضْعَفِينَ  
لِرِجَالٍ عَانَقُوا نُورَ الْحَقِيقَةِ  
أَشْعَلُوا الصُّبْحَ بِزَيْتٍ مِنْ دُمُوعٍ  
وَدِمَاءٍ  
وَعَرَقٍ

افْتَحِ الْأَبْوَابَ يَا رِضْوَانَ وَانْتَرَبَ بِسَمَاتِكَ  
ذَهَبَ الدَّمْعُ وَأَحْزَانُ الْمَسَاءِ  
وَتَلَاشَتْ أُغْنِيَاتُ الْمُتَعَبِينَ  
وَقُبُودُ اللَّيْلِ  
وَالْقَضْبَانَ  
وَالْجَلَادُ ذُو الْكَفِّ الْعَلِيظَةِ  
لِمَنِ الْمَلِكُ؟؟  
أَ الْمَجْدُ؟؟  
لِمَنِ الْأَمْرُ؟؟ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ  
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ وَخُلُودٍ  
آمِنِينَ

إِنَّ مُقَارَبَةَ بِنَى الصُّورِ الْجَزَائِيَّةِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ تَكْشِفُ عَنْ التَّقْدِيمِ الْحَسِّيِّ الَّذِي تَلْتَزِمُ بِهِ الصُّورُ لِنَقْلِ  
تَجْرِبَةٍ مَعِينَةٍ أَوْ تَرْكِ أَثَرِ نَفْسِيٍّ مُحَدَّدٍ، فَهِيَ صُورٌ تُوحِي مُفْرَدَاتُهَا وَتَرَاكِيْبُهَا بِالْعِنَاءِ وَالْعَذَابِ الَّذِي نَالَهُ

(1) محمد الصادق عفيفي: دراسات في الأدب السعودي، ص: 126.

(2) نجيب الكيلاني: مدينة الكباير المصدر نفسه، ص: 41.

المستضعفون في الدنيا، فالعنصر الحسي أداة مهمة ووسيلة خطيرة في بناء الصورة وتحويل عناصرها غير المرئية إلى مرئية، فالشاعر عندما يقوم بفعل المحاكاة، سواء أكانت لمحتوى مجرد أم لمادّي محسوس، فإنه يخاطب الإحساسات والمخيّلة، ويجسّم الأشياء والأفكار في أشكال محسوسة، يمكن العين المبصرة من رؤيتها عن طريق المخيّلة. (1) وأول ملمح حسيّ يعكس المحتوى الشعوري للصورة تختصره المزوجات اللغوية:

- أحزان المساء، وتوحي بملازمة الحزن ودبومته.

- أغنيات المتعبين، وتوحي بوجود الأمل والرجاء.

- قيود الليل، وتوحي بالإحساس بالأسر والتضييق والإكراه

وتنقل عناصر الصورة الثلاثة- ومفردات المعجم- المعاناة الرهيبة المخصصة في هذه التجربة، وهي العناصر الرمائية والمكانية والإنسانية؛ فالزمان ليل والمكان سجن والإنسان جلاّد، يقول:

ذهب الدمع وأحزان المساء

وتلاشت أغنيات المتعبين

وقيود الليل

والقضبان

والجلاّد ذو الكفّ العليظة

ويتجلى الإخراج الحسيّ المحسّد للفكرة المجردة وللشعور الخالص في الانزياح الذي تُنفذه بنية الاستعارة المكنية الاتية ففي (لرجال عانقوا نور الحقيقة) تتألف بنية الاستعارة المكنية من الفعل (عانق) وهو أحد لوازم المشبه به المحدثوف (الإنسان/الرجل) والمشبهه (نور الحقيقة)، وعلى هذا الأساس ندرك بنية الاستعارة ونواتها الفعل (عانق)، وتمثل لها بالترسيمة:

بنية معيارية	← عانق	الرجل الرجل	→	مشبه به محسوس
بنية انزياحية	← عانق	الرجل نور الحقيقة	→	مشبه مجرد

فالإجراء المتبع حذف المشبه به والرمز إليه بلزوم من لوازمه، ووظيفتها التشخيص، وتتنصرف دلالة مجموع البنية إلى التمسك بالحقيقة.

وتأتي بنية الاستعارة المكنية الثانية (أشعلوا الصبح بزيت من دموع/ ودماء/ وعرق)، وتمثل لها بالترسيمة:

بنية معيارية	← أشعل	المصباح/النار	بالزيت	→	مشبه به محسوس
بنية انزياحية	← أشعل	الصبح	بالدموع	→	مشبه محسوس

الدماء

(1) ناصر علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص: 178.

فالإجراء المتبع في الاستعارة حذف المشبه به والرمز إليه بلازم من لوازمه، ووظيفتها التجسيد، والدلالة التي تُنتجها بمجموع عناصرها في هذا السياق البنية التضحوية الكبيرة.

وعلى الطريقة ذاتها ترد بنية الاستعارة في (وَأَثَرُ بَسْمَاتِكَ)، وتُمثل لها بالترسيمة:

بنية معيارية ..... ← أثر الحب ..... م به محسوس

بنية انزياحية ..... ← أثر البسمات ..... م مجرد

فالإجراء حذف المشبه به والرمز إليه بشيء من لوازمه، والوظيفة التجسيد، والدلالة الترحيب. ويقدر ما تُثمر الحبة أو البذرة إذا ما أُلقيت في الأرض تُثمر البسمة إذا ما أُلقيت في الوجه، فذلك تصدع الأرض بالنبات وهذه تشرح القلب بالبشرى.

#### 1-1-4- الصورة الكنائية:

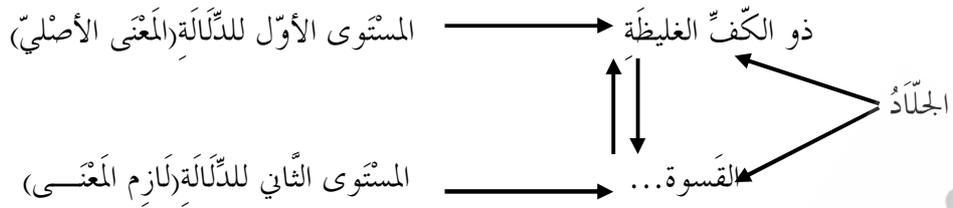
وهذا التقديم الحسي -تشخيصياً أو تجسدياً- جانب من وظيفة الصورة الكنائية، فالكناية "لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه".<sup>(1)</sup> ويُفهم من ذلك أن الكناية صورة قائمة على نوع آخر من الحيوية التصورية فهناك أولاً المعنى أو الدلالة المباشرة الحقيقية ثم يصل القارئ أو السامع إلى معنى المعنى أي الدلالة المتصلة وهي الأعمق والأبعد غوراً فيما يتصل بسياق التجربة الشعورية والموقف.<sup>(2)</sup> وإلى جانب ما تتميز به الكناية من قيمة تعبيرية تتمثل في ثنائية الدلالة فإنها تستعين بالمحسوسات وتسمى إلى بلوغ أبعاد حسية أخرى في الدلالة الأبعد أو إلى الوصول إلى القيم المجردة وهو كل ما خرج من إهاب الحسية المباشرة (الذهني، النفسي)، فالتصور المجمل يدخل في التجريد وإن التبس بطرف من الحسية، فالشجاعة والإقدام جانبان مجردان وإن احتجنا في كثير من الحالات إلى تخيل وقائع عديدة فيها الحركة المحسوسة كيما تنتظما في إطار الدلالة والتعبير عنها.<sup>(3)</sup>

فالصورة الكنائية تأخذ من المعطى الحسي مما هو مرئي مشاهد كـ(الكف الغليظة) في قول الشاعر (والجلاد ذو الكف الغليظة)، ولا تتوقف عند مستوى الدلالة الأولى المباشرة أو الدلالة التصريحية أو المعنى الأصلي للكف الغليظة، وإنما تتجاوزها إلى مستوى الدلالة الثانية غير المباشرة أو الدلالة التضمينية أو لازم المعنى. وهذا ما يمكن توضيحه بالشكل الآتي:

(1) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 313.

(2) فايز الداية: جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، ص: 141..

(3) المرجع نفسه، ص: 149.



إنّ المعنى الأوّل والثاني متواجداً متصاحبان في السياق الذي تُعدُّ من وظيفته إضاءة المعنى الغائب أو الباطن.

إنّ بنية الكناية في هذا المقطع تتشاكل وبنية الكناية في قوله<sup>(1)</sup>:

أخي إنّ قضباننا من هشيمٍ وجلادنا ذو فؤادٍ سقيمٍ

فهي تمثل ازدواجاً في التعبير، وتجنح إلى إرادة المعنى الغائب البعيد، فالجلاد بممارسته التعذيب الوحشيّ العنيف إنسان حاقّد، فـ(الحقد) هي الدلالة غير المباشرة المقصودة. غير أنّ البيّنة الشعريّة يتضمّن في شطره الأوّل بنية كنائية يتّصف معناها في بعده السطحيّ بحسبته ويتحرّك نحو التجريد في بعده العميق، فالسجن وما فيه من قهر وبطش هش ضعيف لا ينال من قوّة الإيمان وصلابة الصبر. ومن البنى الكنائية التي يُقصد بها الموصوف (عروس السماء) في قوله<sup>(2)</sup>:

وطال الطريق بنا ألف عام

ومرّ الصّباح، وآب المساء

عيون تدور

وأرض تدور

وأفكارنا الهادرات تمور

نظلّ نحدّق من حولنا

متى تتهادى عروس السماء!

متى يتجلّى بهاء القمر؟؟

فالدالّ أو مجموعة الأصوات في اللفظ في التّركيب الإضافيّ (عروس السماء) له مدلولان أو معنى ولأزم المعنى، فالمدلول الأوّل ما يؤدّيه اللفظ (عروس السماء) من معنى، والمدلول الثاني أو لازم المعنى وهو المراد من إطلاق اللفظ وإنتاج الصّوت، وهو هنا الشّمس. وقد تمّ الانتقال من مستوى السّطح إلى مستوى العمق لإدراك المعنى، وفي بنية الكناية دلالة على الجمال والحسن والتّفرد بها.

(1) نجيب الكيلاني: كيف ألقاك، ص: 65.

(2) نجيب الكيلاني: مدينة الكبار، ص: 14.

وَيَتَّضِحُ، مِمَّا سَبَقَ، أَنَّ بِنِيَّةَ الْكِنَايَةِ "بِنِيَّةٌ ثَنَائِيَّةٌ الْإِنْتِاجِ، حَيْثُ تُكُونُ فِي مُوَاحَهَةِ إِنْتِاجِ صِيَاعِيٍّ لَهُ إِنْتِاجٌ دَلَالِيٌّ مُوَازٍ لَهُ تَمَامًا بِحُكْمِ الْمُوَاضَعَةِ، لَكِنْ يَتِمُّ تَجَاوُزُهُ بِالنَّظَرِ فِي الْمُسْتَوَى الْعَمِيقِ لِحَرَكَةِ الدَّهْنِ الَّتِي تَمْتَلِكُ قُدْرَةَ الرَّبْطِ بَيْنَ اللَّوْازِمِ وَالْمَلْزُومَاتِ، فَإِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ هَذَا التَّجَاوُزُ، فَإِنَّ الْمُنْتَجَ الصِّياعِيَّ يَظَلُّ فِي دَائِرَةِ الْحَقِيقَةِ".<sup>(1)</sup> وَلَعَلَّ هَذَا الرَّبْطَ بَيْنَ اللَّوْازِمِ وَالْمَلْزُومَاتِ فِي بِنِيَّةِ الْكِنَايَةِ يَتَّضِحُ فِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ الْكِنَائِيَّةِ الَّتِي تُشَكِّلُ صُورًا لَهَا خُصُوصِيَّتَهَا الدَّلَالِيَّةُ، يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمُ<sup>(2)</sup>:

خَوْضِي غِمَارَ الرَّدَى أُحْتَاهُ وَأَنْطَلِقِي وَبَدَّي ظُلْمَةَ الْمُحْتَلِّ وَالْعَسَقِ  
وَرَدَّي آيَةَ أَضْحَتْ لَنَا أَمَلًا تَجْتَثُّ مِنَّا جُدُورَ الْخَوْفِ وَالْقَلَقِ  
وَحَدَّقِي فِي جَبِينِ الشَّمْسِ شَامِخَةً وَعَانَقِيهَا بِوَجْهِ مُشْرِقٍ أَلِقِ  
بِكَفِّكَ الْمَجْدُ قَدْ أَعْلَيْتِ هَامَتُهُ وَسَطَ السَّحَابِ يُبَارِي جَبْهَةَ الْأُفُقِ

فَفِي (غِمَارِ الرَّدَى) بِنِيَّةٌ كِنَائِيَّةٌ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ مَوْصُوفٍ هُوَ الْحَرْبُ، وَفِي (بِكَفِّكَ الْمَجْدِ) بِنِيَّةٌ كِنَائِيَّةٌ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ نَسَبَةٍ دَالَّةٌ عَلَى إِبْنَاتِ الْمَجْدِ لِلْمَرْأَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تُعَانِقُ الشَّمْسَ. وَفِي هَذَا الْمَقْطَعِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَزَاوِجَاتِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي تَضُمُّ مَحْسُوسًا إِلَى مَحْسُوسٍ أَوْ مَحْسُوسٍ إِلَى مُجَرَّدٍ، وَهِيَ ثَنَائِيَّاتٌ تَهْدَفُ إِلَى إِبْدَاعِ الْمَعْنَى مِنْ خِلَالِ التَّشْخِيصِ فِي (جَبِينِ الشَّمْسِ) وَفِي (جَبْهَةَ الْأُفُقِ) وَالْمَزَاوِجَاتِ تَوْحِيَانٍ بِالتَّأَلُّقِ وَالِإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ وَالْعُلُوقِ، وَمِنْ خِلَالِ التَّجْسِيدِ؛ أَيِ تَيَوُّلِ الْمَحْسُوسِ بِتَجْسِيدِ الْمُجَرَّدِ فِي (جُدُورِ الْخَوْفِ) وَهِيَ مُزَاوِجَةٌ مُوَحِّجَةٌ بِالِامْتِدَادِ وَالتَّوَعُّلِ. وَيَقُولُ<sup>(3)</sup>:

يَا ابْنَ الْجِبَاهِ السُّمْرِ تُشْرِقُ فِي الضُّحَى كَالشَّمْسِ زَانَ جَبِيئَهَا أَنْوَارُ  
وَفِي (ابْنِ الْجِبَاهِ السُّمْرِ) بِنِيَّةٌ كِنَائِيَّةٌ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ مَوْصُوفٍ دَالَّةٌ عَلَى أَصَالَةِ الطِّفْلِ الْفِلَسْطِينِيِّ. وَفِي (فَتَى الْمَقْلَاعِ) بِنِيَّةٌ كِنَائِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى الطِّفْلِ الْفِلَسْطِينِيِّ طِفْلِ الْإِنْتِفَاضَةِ، يَقُولُ<sup>(4)</sup>:

بِرُوحِي فَتَى الْمَقْلَاعِ قَدْ هَبَّ شَامِخًا وَمَقْلَاعُهُ فِي الْأُفُقِ صَارَ يَزْمَجِرُ  
لِيَبْعَثَ فِيْنَا الرُّوحَ بَعْدَ مَوَاتِهَا وَيُرْسِلُ فِيْنَا النُّورَ فَالْأُفُقُ نَبِيرُ

وَيَقُولُ<sup>(5)</sup>:

لَا تُرَاعِي فَقَدْ طَوَيْتُ شِرَاعِي وَتَنَاسَيْتُ مَوْعِدَ الْإِقْلَاعِ

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص: 187.

(2) يوسف العظم: الفتية الأبايل، ص: 60.

(3) المصدر نفسه، ص: 78.

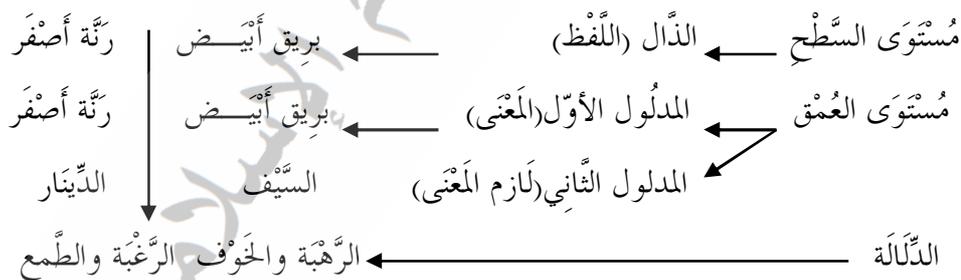
(4) المصدر نفسه، ص: 88.

(5) المصدر نفسه، ص: 101.

قَامَ فِينَا مِنَ الْمُتَنَّى إِبَاءٌ وَشُمُوحٌ مِنْ غَضَبَةِ الْقَعْقَاعِ  
 فَزَرَعْتُ الْأَحْدَاقَ مِنْ زَهْرٍ أَرْضِي وَغَرَسْتُ الزَّيْتُونَ فِي أَضْلَاعِي  
 فِي الْمَفُوزِ طَوَيْتُ شِرَاعِي بِنِيَّةٍ كِنَائِيَّةٍ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ صِفَةِ دَالَّةٍ عَلَى تَمَسُّكِ الْفِلَسْطِينِيِّ بَوَطْنِهِ وَرَفْضِهِ  
 لِلْهَجْرَةِ عَنْهُ. وَفِي (زَرَعْتُ الْأَحْدَاقَ مِنْ زَهْرٍ أَرْضِي) وَفِي (غَرَسْتُ الزَّيْتُونَ فِي أَضْلَاعِي) دِلَالَةٌ عَلَى حُبِّهِ لِلْأَرْضِ  
 وَتَوَعُّلِ هَذَا الْحُبِّ فِي النَّفْسِ.  
 وَفِي قَوْلِهِ (1):

أَنْبَتَتْ غَابَةُ الْجِهَادِ رِمَاحًا وَزَرَعْنَا سَمَاءَهَا أُرُوحًا  
 قَدْ زَرَعْنَا فِي كُلِّ شَبْرٍ شَهِيدًا وَسَقَيْنَا مِنَ الدَّمَاءِ الْبَطَاحًا  
 كِنَايَةٌ عَنْ صِفَةٍ عَنْ تَمَثُّلٍ فِي كَثْرَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَفِي كَثْرَةِ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ مَلَأَتْ جُثُثُهُمُ الطَّاهِرَةَ الْأَرْضَ وَسَمَّتْهَا  
 دِمَاؤُهُمُ الزَّكِيَّةُ. وَهِيَ تَدُلُّ فِي مَسْتَوَاهَا الْعَمِيقِ عَلَى الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالتَّضَحِّيَةِ وَالبَدْلِ.  
 وَيَقُولُ الْعُمَارِيُّ مُوظِّفًا بِنِيَّةِ الصُّورَةِ الْكِنَائِيَّةِ (2):

وَلَرَّيْمًا فَتَنَ الرُّوَاةَ طَعَانَهَا بِبَرِيقٍ أَيْبَضَ أَوْ بَرْنَةً أَصْفَرَ  
 فَفِي (بَرِيقٍ أَيْبَضَ) كِنَايَةٌ عَنْ مَوْصُوفٍ هُوَ السَّيْفُ الْمَصْفُوقُ الَّذِي يَلْمَعُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ غِمْدِهِ، وَفِي (رَنْةٍ أَصْفَرَ)  
 كِنَايَةٌ عَنْ دِينَارِ الذَّهَبِ، وَتَدُلُّ الْأُولَى عَلَى الرَّهْبَةِ أَوْ الْخَوْفِ وَالثَّانِيَةُ عَلَى الرَّغْبَةِ أَوْ الطَّمَعِ. وَقَدْ شَكَاتُ  
 الْكِنَائِيَّتَانِ صُورَتَيْنِ مَحْسُوسَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بَصَرِيَّةٌ تُدْرِكُ عَنْ طَرِيقِ الْعَيْنِ وَالثَّانِيَةُ سَمْعِيَّةٌ. وَتُمَثِّلُ لِنِيَّةِ الْكِنَايَةِ بِالتَّرْسِيمَةِ  
 الْآتِيَةِ:



### 1-1-5-الصُّورَةُ الْمَجَازِيَّةُ:

يَسْتَعِينُ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ فِي تَشْكِيلِ صُورِهِ بِكُلِّ الْأَلْوَانِ الْبَلَاغِيَّةِ لِتَجْسِيدِ الْمَعْنَوِيِّ وَأَنْسَنَةِ الْمَادِيِّ وَتَشْخِيصِهِ،  
 فَهُوَ يَسْتَمْتِرُ الْمَجَازَ الْعَقْلِيَّ الَّذِي يُسْنَدُ فِيهِ الْفِعْلُ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ لِعِلَاقَةٍ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 109.

(2) الغماري: قصائد منتفضة، دار هومة، الجزائر، ط: 1، 2001، ص: 22.

الإِسْنَادِ الْحَقِيقِيِّ<sup>(1)</sup>. إِذِ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْمَجَازَ الْعَقْلِيَّ مِنْ أْبْرَزِ الْأَسَالِيبِ الْمَعْبَرَةِ عَنِ التَّشْخِصِ وَهُوَ (سِحْرٌ) فَنِي تَحْوِيلُ الْجَمَادَاتِ بِمَقْتَضَاهُ أَشْخَاصًا تَتَكَلَّمُ وَتَتَحَرَّكُ فَتَبْعُ الْحَيَوِيَّةَ فِي الْمَشَاهِدِ حَيْثُ تُسْنَدُ إِلَيْهَا أَدْوَارُ التَّمَثِيلِ وَيُعْقَدُ إِلَيْهَا بِالْبُطُولَاتِ فِي مَقَامِ التَّخْيِيلِ".<sup>(2)</sup> فَاسْتَدَّتْ إِلَى (الْكُرْسِيِّ) أفعالًا لَيْسَتْ لَهُ حَقِيقَةً، وَجَرَّدَ مِنْهُ الشَّاعِرُ صُورَةَ الْإِنْسَانِ التَّلْمِيزِ الْبَطْلِ الَّذِي يَعْلَمُ الْإِبَاءَ وَيَسْتَلِدُّ الْمَوْتَ وَيَفِي بِالْوَعْدِ لِمُعَلِّمِهِ، وَتِلْكَ الْمَعَانِي تَرُدُّ فِي قَوْلِ الْعَشْمَاوِيِّ فِي قَصِيدَةِ (يَا فَارِسَ الْكُرْسِيِّ)<sup>(3)</sup>:

وَخَرَجْتَ يَتْبَعُكَ الْأَحْبَةَ، مَا دَرَوَا      أَنْ الْفِرَاقَ مِنَ الْأَحْبَةِ حَانَا  
كُرْسِيَّكَ الْمُتَحَرِّكَ اخْتَصَرَ الْمَدَى      وَطَوَى بِكَ الْآفَاقَ وَالْأَرْمَانَا  
عَلِمْتَهُ مَعْنَى الْإِبَاءِ، فَلَمْ يَكُنْ      مِثْلَ الْكُرَاسِيِّ الرَّاجِفَاتِ هَوَانَا  
مَعَكَ اسْتَلَدَّ الْمَوْتَ صَارَ وَفَاؤُهُ      مَثَلًا وَصَارَ إِبَاؤُهُ عُنْوَانَا  
أَشْلَاءُ كُرْسِيِّ الْبُطُولَةِ شَاهِدٌ      عَدْلٌ يُدِينُ الْعَادِرَ الْخَوَانَا  
لِكَأَنِّي أَبْصَرْتُ فِي عَجَلَاتِهِ      أَلْمَا لِفَقْدِكَ، لَوْعَةً وَحَنَانَا  
حُزْنًا لِأَنَّكَ قَدْ رَحَلْتَ، وَلَمْ تَعُدْ      تَمْشِي بِهِ كَالطُّودِ لَا تَتَوَانِي

إِنَّ هَذِهِ الصُّورَ الْجُزْئِيَّةَ الْمَجَازِيَّةَ مِنْ (عَلِمْتَهُ مَعْنَى الْإِبَاءِ، اسْتَلَدَّ الْمَوْتَ، أَشْلَاءُ كُرْسِيِّ الْبُطُولَةِ شَاهِدٌ... يُدِينُ الْعَادِرَ، لِكَأَنِّي أَبْصَرْتُ فِي عَجَلَاتِهِ أَلْمَا، وَلَمْ تَعُدْ تَمْشِي بِهِ كَالطُّودِ...) تَشْتَرِكُ فِي نَقْلِ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الْخَاصَّةِ وَتَعْمَلُ عَلَى إِيصَالِ هَذَا الْإِنْفِعَالِ، فَهِيَ تُكَوِّنُ صُورَةً أَنْفِعَالِيَّةً، فَالصُّورَةُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ هِيَ الَّتِي تُصَوِّرُ أَنْفِعَالًا أَلْمَ بِالشَّاعِرِ، أَوْ حَالَةً وَجَدَانِيَّةً تَرْبِطُ الشَّاعِرَ بِالْمَوْضُوعِ الْمَصَوِّرِ، وَالْأَصْلُ الْحَسِّيُّ لَا يَغِيبُ عَنِ هَذِهِ الصُّورَةِ، إِذْ إِنَّ الْحِسَّ هُوَ وَسِيلَةٌ إِدْرَاكِ الْإِنْسَانِ لِلْعَالَمِ الْمُحِيطِ بِهِ.<sup>(4)</sup> لَقَدْ غَيَّرَ الشَّاعِرُ مِنْ طَبِيعَةِ الْكُرْسِيِّ الْمَادَّةَ الْجَامِدَةَ الْمَيْتَةَ وَارْتَفَعَ بِهِ إِلَى طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ الْحَيَّةِ الْمُتَحَرِّكَةِ الْمُنْفَعَلَةَ بِمَا بَثَّ فِيهِ مِنْ إِحْسَاسٍ وَشُعُورٍ وَبِمَا أَضْفَى عَلَيْهِ مِنْ قُوَى الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ وَالْحِسِّ. وَلَعَلَّ الصُّورَةَ تُمَثِّلُ تَجْرِيدًا وَأَنَّ مَا أَسْقَطَهُ الشَّاعِرُ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَخَلَعَهُ عَلَيْهِ هُوَ بَعْضُ مِمَّا يُعَانِيهِ.

إِنَّ تَكْوِينَ الصُّورَةِ الْمُفْرَدَةِ فِي هَذِهِ التَّمَاذِجِ الشُّعْرِيَّةِ يَرْتَكِزُ عَلَى التَّجْسِيدِ وَالتَّشْخِصِ وَالتَّجْرِيدِ وَتَرَأْسُلِ الْحَوَاسِ الَّذِي قَدْ تَشْتَغَلُ فِي إِطَارِهِ هَذِهِ الْآلِيَاتِ، وَبِوَاسِطَةِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ تُنْتِجُ الصُّورَةُ دِلَالَتَهَا وَتُحَقِّقُ غَرَضَهَا فِي عَرْضِ الْمَعَانِي وَالْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ فِي صُورٍ حَدِيثَةٍ تَعَكِّسُ إِدْرَاكَ الشَّاعِرِ الْمُتَمَيِّزَ لِلْوُجُودِ وَالْمَوْجُودَاتِ وَرُؤْيَيْتَهُ الْعَمِيقَةَ وَالْخَاصَّةَ الَّتِي تَلْمَسُ الْعَلَّاقَاتِ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ وَالْخَفِيَّةَ بَيْنَ أَشْيَاءِ الْكُونِ وَعَنَاصِرِهِ. وَتَقْتَرِبُ الصُّورَةُ الْمُفْرَدَةُ فِي سِيَاقَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصُّورَةِ الْإِلَهِيَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ التَّوَهُّمِ وَالَّتِي يَصْنَعُهَا الْعَقْلُ بَعِيدًا عَنِ الْعَاطِفَةِ، وَتَقُومُ عَلَى صِلَاتٍ مَنْطِقِيَّةٍ،

(1) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع، ص: 143.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، (د، ط)، 1992، ص: 133.

(3) عبد الرحمن العشماوي: قوافل الرّاحلين، ص: 105.

(4) وحيد صبحي كبابية: الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص: 33.

وَيَكُونُ الرَّبْطُ فِيهَا خَارِجِيًّا مِمَّا يَجْعَلُ عَنَّا صِرْهَا مُسْتَقَلَّةً مُكَدَّسَةً أَوْ مُتَّصِلًا بَعْضَهَا بِبَعْضٍ. (1) وَلْت تَخْتَلِفُ هَذِهِ الصُّورَةُ عَنِ الصُّورَةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تُعْنَى بِالْفِكْرَةِ وَالْمَوْضُوعِ وَلَا تُؤَلِّي لِنَسَقِ الْقَصِيدَةِ أَوْ بِنَيْتِهَا آيَةً أَهْمِيَّةً، وَتَنْحَصِرُ وَظِيفَتُهَا فِي الشَّرْحِ وَالزَّخْرَفَةِ مُتَّخِذَةً مِنَ التَّشْبِيهِ الْأَدَاةِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَادِرَةِ عَلَى إِنْجَازِ هَذِهِ الْوَضِيفَةِ، مِمَّا يَسْمَحُ بِالْقَوْلِ: "إِنَّ غَايَةَ الصُّورَةِ فِي هَذِهِ الْوَضِيفَةِ فِي سِوَاهَا أَوْ فِيمَا تُقَدِّمُهُ مِنْ خَدَمَاتٍ لِتَوْضِيحِ الْمَضْمُونِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الشَّاعِرُ عَلَى سِوَاهِ". (2) فَهَذِهِ وَظِيفَةُ الشَّرْحِ الَّتِي تُضَافُ إِلَى وَظِيفَةِ الزَّخْرَفَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْقَصِيدَةَ مَجْمُوعَةً مِنَ الصُّورِ الْمُسْتَقَلَّةِ بَيْنَاتِهَا دَاخِلَ النَّسَقِ، وَتُوظَّفُ لِجَمَالِيَّتِهَا الْخَاصَّةِ الْكَامِنَةِ فِيهَا، وَلِذَلِكَ تُكُونُ زَخْرَفِيَّةً خَارِجِيَّةً تُلْصَقُ عَلَى الْقَصِيدَةِ لِتَمْنَحَهَا بَهْجَةً بَرَّاقَةً. (3) وَتَنْفَرِدُ الصُّورَةُ الْإِلَهِيَّةُ، بِالنَّظَرِ إِلَى طَبِيعَتِهَا الزَّخْرَفِيَّةِ السَّطْحِيَّةِ، بِالتَّرَاكُمِ وَالتَّجْزُؤِ وَالتَّفَكُّكِ وَالتَّنَاقُضِ، فَتَعْدُو الصُّورَةَ "عِلْمًا قَائِمًا بِذَاتِهِ مُتَنَائِرًا فِي أَرْجَاءِ الْقَصِيدَةِ وَفِي فُضَائِهَا مِنْ دُونَ رَابِطِ سِوَى الرَّابِطِ الْمُفْتَعِلِ، فَإِذَا التَّصَقَّتْ بِغَيْرِهَا مِنَ الصُّورِ فَهُوَ التِّصَاقُ عَقْلَانِيٌّ زَخْرَفِيٌّ لَا وَظِيفِيٌّ". (4)

(1) خليل الموسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، ص: 104.

(2) المرجع نفسه، ص: 104.

(3) المرجع نفسه، ص: 105.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-2- نَسَقُ الصُّورَةِ المُرَكَّبَةِ:

تُعَدُّ الصُّورَةُ المُرَكَّبَةُ أو الصُّورَةُ الكُلِّيَّةُ تَحْمِيْعًا لِمَجْمُوعَةٍ مِّنَ الصُّوَرِ الجُزْئِيَّةِ المُنَاوِرَةِ لِبِنَاءِ صُورَةٍ فِي مَقْطَعٍ أو سِيَاقٍ شِعْرِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَيَتَمَيَّزُ هَذَا النِّسْقُ بِالحَرَكَةِ والحَيَوِيَّةِ وبالذَّلَالَةِ الشَّرِيَّةِ والإِيْحَاءِ القَوِيِّ، فَيُصِحُّ (التَّحْمِيْعُ) تَكَاْمُلًا وَتَحَاْنَسًا بَيْنَ الصُّوَرِ، وَإِذَا كَانَتِ الصُّورَةُ الكُلِّيَّةُ مِّنْ سِمَاتِ القَصِيْدَةِ الحَدِيْثَةِ فَإِنَّهُ يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا فِي التَّصْوِيْرِ حَالَةً أو إِبْرَازٍ مَّشْهَدٍ أو تَحْسِيْدٍ فِكْرَةٍ أو تَجْرِيْدٍ مَحْسُوسٍ مِّنْ خِلَالِ تَنْمِيَةِ الصُّورَةِ أو الإِيْتِيَانِ بِصُورٍ أُخْرَى وَالْمَهْمُ هُوَ الوُصُولُ بِهَذِهِ الصُّوَرِ الجُزْئِيَّةِ إِلَى إِحْسَاسٍ مُّوَحَّدٍ عَن طَرِيْقٍ وَفَرَةِ الصُّوَرِ وَتَدَاخُلِهَا وَتَفَاعُلِهَا عِنْدئذٍ تَنْمُو الصُّوَرُ الجُزْئِيَّةُ لِتُشكَلَ فِي النِّهَآيَةِ صُورَةٌ مُرَكَّبَةٌ عَامَّةٌ تَضَامَنَتْ أَجْزَاؤُهَا وَتَلَاءَمَتْ عَنَاصِرُهَا فِي رِبَاطٍ يَشُدُّ مَا تَتَطَلَّبُهُ الصُّورَةُ مِّنْ خَوَاطِرٍ وَمَشَاعِرٍ وَعَوَاطِفٍ".<sup>(1)</sup> وَيَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى الصُّورَةِ المُرَكَّبَةِ حِينَ "لَا تُسَعِفُ الصُّورَةُ المَفْرَدَةُ فِكْرَةَ الشَّاعِرِ وَشَحْنَتَهُ العَاطْفِيَّةَ تَعْبِيرًا عَن مَكْنُونَاتِ نَفْسِهِ فَنَجِدُهُ يَلْجَأُ إِلَى حَشْدِ الصُّوَرِ المُتَكَاثِفَةِ كَي تَقُومَ بِمِهْمَةِ التَّعْبِيرِ الوَافِي عَمَّا يَدُورُ بِخِلْدِهِ أو إِفْرَاقِ شَحْنَتِهِ الشُّعُورِيَّةِ كَآمِلَةً وَذَلِكَ بِتَعَدُّدِ الصُّوَرِ الَّتِي تُؤَكِّدُ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ الفِكْرَةَ وَتُعَزِّزُ وَجُودَهَا، فَيُحَقِّقُ بِهَذَا اكْتِمَالَ الصُّورَةِ الكُلِّيَّةِ أو اكْتِمَالَ الصُّورَةِ فِي المَقْطَعِ..".<sup>(2)</sup>

وَقَدْ تَأْتِي الصُّورَةُ المُرَكَّبَةُ تَعْبِيرًا عَن النِّفْسِيَّةِ المَآزُومَةِ الَّتِي لَا تَهْدَأُ إِلَّا بِإِفْرَاقِ سِلْسِلَةٍ مِّنَ الصُّوَرِ مُحْتَشِدَةً مُتَحَاْنَسَةً مُتَوَآشِحَةً، فَتَتَرَدَّدُ فِي سِيَاقِ شِعْرِيٍّ مُّحَدَّدٍ يَقُولُ العُمَارِيُّ<sup>(3)</sup>:

وَأَعْصِرُ يَا أَغَانِي الصُّوءِ.. أَشْرَبُ نَارَ آلَامِي  
وَتَيْسُ فِي دَمِي رُؤْيَايَ تَصْلُبُ فِي أَحْلَامِي  
وَتَثْبُتُ غُرْبَةً وَحَشِيَّةً تَعْتَالُ أَنْسَامِي  
وَكَمَّ عَنَّتْ عَلَيَّ ظَمِيمًا بِنَارِ الحَرْفِ أَيَّامِي

وَهَكَذَا تَتَدَرَّجُ الصُّوَرُ فِي إِطَارِ هَذَا النِّسْقِ مُشكَلَةً الصُّورَةُ الكُلِّيَّةُ المُوحِيَّةُ بِالإِحْسَاسِ بِالْيَاسِ وَالمُحْسَدَةِ لِلشُّعُورِ بِالصِّيَاعِ. وَيُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ الصُّورَةَ الكُلِّيَّةَ تَمْنَحُ بِنِيَةَ القَصِيْدَةِ وَحَدَثَهَا، فَتَتَفَاعَلُ عَنَاصِرُهَا الجُزْئِيَّةُ وَتَتَكَاْمَلُ، يَقُولُ العُمَارِيُّ<sup>(4)</sup>:

تَشَاقَلُ الأَيَّامُ فِي أَعْمَاقِنَا كَسَلِي.. وَيَطْوِينَا الفِرَاقُ المُطْبِقُ  
وَنَلُوكُ مِّنْ سَقَمِ الحَدِيثِ قُشُورَهُ وَنَظَلُّ نُوْغَلُ فِي الحَدِيثِ.. نُنْمَقُ  
صُورًا كَمَا يَهْوَى الفِرَاقُ ثَقِيلَةً صَفْرَاءُ يُصْلَبُ فِي رُؤَاهَا المَنْطِقُ  
تَفْتَرُّ عَن مِثْلِ إِبْتِسَامَةِ سَآخِرِ أَيَّامِنَا.. لَيْلًا يَنْزُرُ.. فَنَرَهُقُ

(1) محمد منال عبد اللطيف: الخطاب في الشعر، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 1424هـ/2003م، ص: 59.

(2) جمال يونس: لغة الشعر عند سميح القاسم، ص: 189.

(3) الغماري: أسرار الغربة، ص: 111.

(4) الغماري: أغنيات الورد والنار، ص: 72-73.

وتتصف الصورة المركبة بالاحتفاظ الذي يكون في حالة استعراق الشاعر اللاشعوري، أو في حالة التكثيف اللاشعوري، ويعمل الشعور الموحد على تحقيق وحدة القصيدة النفسية، فمجموع الصور ينظمها رابط نفسي، يقول العماري<sup>(1)</sup>:

ويبتحر أخضرار اللحن  
يا قدرِي  
يموت برأحتي وتري  
فتبكيه  
تواشبح الحنين المر  
تعصرني لتسقيه  
بقايا من كروم الضوء يشرب شوقهن عدي  
ويمعن في... أبعادها أبدي  
أيا قدرِي  
إذا انتحرت أعاريد الضياء الرطب  
وامتدت ليالي اليأس حولي  
وضح الدرب  
يملاً مقلتي جرحاً  
ويشرب من صباباتي

فقد نوع العماري في صورته لأن الشاعر، كما تقدم، "لا يعتمد في تصوير الحالة أو إبراز المشهد أو تجسيد الفكرة وتجرید المحسوس على صورة واحدة بل يحنح إلى إنماء الصورة أو الإتيان بصورة جزئية مماثلة أو صورة مقابلة، المهم في كل هذا هو الوصول بالصورة التي تكون الدوافع المتفرقة إلى إحساس موحد عن طريق وفرة الصور وتداخلها وتفاعلها.<sup>(2)</sup> وهذا ما حرص على إنجازه عبر صور متنامية ومتساقطة مع الشعور بالإحباط. ويضطلع الفعل في الصور الشعرية السابقة بوظيفة دلالية تبرز في تجسيد المجردات وتحسينها وتشخيصها وتصوير هيئتها فتتسم بالوضوح وتبرز للعيان وتعرض للأبصار.

إن (التشخيص) العالِب على بنية الصورة، في هذا المقطع، "صورة من صور الخروج عن المألوف وانتظار اللامنتظر وتوقع اللامتوقع، وهو ضرب من ضرب الانزياح الأسلوبية".<sup>(3)</sup> فهو ناتج عن أداء بني الاستعارة

(1) العماري: أسرار الغربة، ص: 97-98.

(2) مصطفى السعدي: التصوير الفني في شعر محمود حسن اسماعيل، منشأة المعارف الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت)، ص: 114.

(3) يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، ص: 183.

لوظيفتها، وإن لم يستقل ببناء الصورة بمفرده، ولم يكن الأداة الأثيرة لدى الشاعر، فقد استخدم العُماري - وغيره من الشعراء- أدوات أخرى لصياغة صورة كثيفة في صميم الصورة الاستعارية كـ(تراسل الحواس) في قوله في المقطع المتقدم:

إِذَا انْتَحَرَتْ أَغَارِيدُ الضِّيَاءِ الرَّطْبِ

إن السطر كثيفٌ شعرياً بسبب الصورة المضاعفة فيه وما يمكن أن تُثير في مخيلة المتلقي، فقد ضم الشاعر فيه صورة استعارية وأخرى ترأسلية تركز على إضافة الضياء إلى (الأغاريد) ونعته بالـ(الرتب). وقد تداخلت في صياغة هذا التركيب الإضافي الوصفي ثلاث مفردات حسية وتداخلت ثلاث حواس لاستيعابه، ويمكن تحليله بالطريقة الآتية:

أَغَارِيدُ + الضِّيَاءِ + الرَّطْبِ

محسوس + محسوس + محسوس

سمع + بصر + لمس

ويلاحظ في تشكيل الصورة عند العُماري توظيفه لمزائج لفظية قائمة على وصف الأسماء بصفات لونية، خاصة عند نعت اسم معين بصفة لونية غير متوقعة فيؤدي ذلك إلى الانزياح عما استقر عليه نظام اللغة في ملاءمة ومناسبة الصفة لموصوفها من ناحية الدلالة، سواء أكان الاسم مجرداً أم محسوساً.

إن اللون بوصفه علامة لغوية دالاً يستحضره في الذهن، ويميزه عن غيره، ويضطلع الدال اللوني إلى جانب الدلالة الإشارية-بتوليد الدلالات الإيحائية الاجتماعية والدينية والنفسية، وغيرها التي ينطوي عليها المدلول، وذلك ضمن السياق أو شبكة العلاقات التي يندرج فيها. وعليه، فإن تراء اللون دالاً يساهم في تشكيل لغة شعريّة موحية<sup>(1)</sup>. ويتردد دال اللون الأخضر بشكل كثيف اسماً وفعلًا، في القصيدة فيدخل في تأليف مجموعة من المزائج، منها ما يأتي في صيغة (موصف+صفة). فتتحول هذه العملية الوصفية إلى سمة أسلوبية موحية رامزة عند بعض الشعراء، فهي تظهر في مواضع مختلفة في متن العُماري الشعري، حيث يغلب اللون الأخضر كصفة على بقية الألوان، ويسود على حقل الألوان.

وتتشكل هذه السمة الأسلوبية في نوعين من المزائج اللفظية، هما:

أ- المزوجة (موصوف+صفة):

(1) سعيد جبر محمد أبو خضرة: تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 2001، ص: 98.

يَمْتَازُ اللَّوْنُ الْأَخْضَرُ بِقِيَمَةٍ شِعْرِيَّةٍ بَدَلَتْهُ الْأَسَاسِيَّةُ عَلَى الْخُصُوبَةِ وَالنَّمَاءِ لِارْتِبَاطِهِ بِمَظَاهِرِ الطَّبِيعَةِ كَالْعَابَاتِ وَالْحُقُولِ، وَيَتَّخِذُ فِي الْأَدْيَانِ كَدَالٍ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالْخُلُودِ وَالتَّأَمُّلِ الرُّوحِيِّ وَالبَعَثِ، وَيَحْمِلُ فِي الْإِسْلَامِ بُعْدًا رُوحِيًّا لِاتِّصَالِهِ بِالتَّعِيمِ وَالْجَنَّةِ وَالْآخِرَةِ، فَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مَعَانِي الْخَيْرِ وَالْجَمَالِ وَالْعَطَاءِ.<sup>(1)</sup> وَبِالنَّظَرِ إِلَى السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ فَإِنَّ اللَّوْنَ الْأَخْضَرَ يُمَثِّلُ رَمَزَ الْحُسْنِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَيَحْمِلُ عِدَّةَ دَلَالَاتٍ رَمَزِيَّةٍ، تَقُومُ (الْخُضْرُ) بِالْإِيحَاءِ إِلَيْهَا، فَقَدْ يَكُونُ دَالًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ وَالْحُبُورِ وَدَالًّا عَلَى الشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ، وَدَالًّا عَلَى الْحَيَاةِ، وَدَالًّا عَلَى الصَّفَاءِ وَالْعَطَاءِ وَدَالًّا عَلَى الْهُدُوءِ. فَيَكُونُ بِذَلِكَ عُنْوَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَمَزِيَّةٍ وَالصَّحَّةِ وَرَمَزًا لِلْكَوْنِ وَالطَّبِيعَةِ وَالرَّبِيعِ وَالْمَرْحِ وَالسُّرُورِ وَالشَّبَابِ.<sup>(2)</sup> وَهُوَ فِي كُلِّ اسْتِعْمَالٍ يَحْمِلُ قِيَمَةً رَمَزِيَّةً إِبْجَائِيَّةً.

وَيُمْكِنُ أَنْ نَرُدَّ دَلَالَتَهُ الْأَسَاسِيَّةَ فِي شِعْرِ الْعُمَارِيِّ إِلَى (الْإِسْلَامِ)، ثُمَّ تَشِعُّ عَنْهَا كُلُّ الدَّلَالَاتِ الثَّانَوِيَّةِ الْمَصَاحِبَةِ الْأُخْرَى، فَدَلَالَتُهُ لَا تُفَارِقُ السِّيَاقَ الدِّينِيَّ كَمَا يَتَجَلَّى فِيمَا يَأْتِي مِنْ نُصُوصٍ. إِنَّ الدَّالَّ (خَضْرَاءً) - مُجَرَّدًا مِنْ الْوَصْفِيَّةِ - مَدْلُولُهُ (الْإِسْلَامُ) بِمَا يَحْمِلُهُ لَفْظُ (الْإِسْلَامِ) مِنْ دَلَالَاتٍ إِبْجَائِيَّةٍ فِي أَيِّ سِيَاقٍ وَرَدَ، فَالْجَامِعُ الْمَعْنَوِيُّ بَيْنَ الدَّالِّ وَالْمَدْلُولِ بَيْنَ (الْإِسْلَامِ) وَاللَّوْنِ (الْأَخْضَرِ) هُوَ كُلُّ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ الَّتِي يَتَضَمَّنُهُ هَذَا اللَّوْنُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

تِلْكَ الْعَصَافِيرُ مَا غَنَّتْ لِعَبْرِ هَوَى  
لَيْلَى وَلَمْ تَصْطَبِحْ إِلَّا مِنَ السُّورِ  
تِلْكَ الْعَصَافِيرُ.. مَزْرُوعٌ بِمُقْلَتِهَا  
صَبَاحُ خَضْرَاءَ فَلْتَكْفُرْ يَدُ الْغَيْرِ!

وَيَقُولُ<sup>(4)</sup>:

رَأَيْتَكَ يَا خَضْرَاءَ وَالدَّرْبُ غَابَةٌ  
تَثُورِينَ وَالْأَيَّامُ أَفْعَى وَأَرْقَمُ!  
تُعَانِينَ فِي الْحَبِّ الْجَلِيلِ وَجَلَّ مَنْ  
يُعَانِي.. وَإِنْ تَعَلَّ الظُّنُونُ وَتَرَجَّمُ

وَيَقُولُ<sup>(5)</sup>:

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 117.

(2) نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية، ص: 180.

(3) مصطفى الغماري: بوح في موسم الأسرار، ص: 11.

(4) المصدر نفسه، ص: 18.

(5) المصدر نفسه، ص: 19.

حَمَلْتُكَ يَا خَضْرَاءُ هَمًّا مُقَدَّسًا

بِأَفْعَانٍ وَالذُّبُّ الْجَلِيدِي يُحْرِمُ

فَفِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ يَرِدُ هَذَا اللَّوْنُ (خَضْرَاءُ) دَلَالًا عَلَى (الإِسْلَامِ) -عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً-، فَفِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ يَكُونُ (صَبَاحُ خَضْرَاءِ) الْيَوْمِ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي يَحْكُمُ فِيهِ الْإِسْلَامُ وَلَا يَظَلُّ مُجْرَدَ حَلْمٍ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ الْعُيُونُ وَأَمْنِيَّةٌ تَهْفُو إِلَيْهَا النَّفُوسُ وَأُنْشُودَةٌ تَتَحَرَّكُ بِهَا الشِّفَاهُ وَهَوَى تُعَانِيهِ الْأَفْعَدَةُ، وَيَسْطُ سُلْطَانُهُ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ بِمُخْتَلَفِ مَجَالَاتِهَا كَمَا بَسَطَهُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالنَّفُوسِ. وَفِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي تَكُونُ (خَضْرَاءُ) الْإِسْلَامِ الَّذِي يَنْتَفِضُ وَيُثَوِّرُ وَيُقَاوِمُ فِي وَجْهِ الْمَكَائِدِ وَالْمُعَارَضَاتِ وَالْمُؤَامِرَاتِ. وَفِي الْمَوْضِعِ الثَّلَاثِ تَكُونُ (خَضْرَاءُ) الْإِسْلَامِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَهَضَ الْأَفْعَانُ وَجَابَهُوا أَكْبَرَ طَاغُوتِ الْمُلْحِدِينَ وَجَبَرَتِ الْمُحْتَلِينَ الرُّوسَ.

أَمَّا الْمَزَاجَةُ (مَوْصُوفٌ + صِفَةٌ) فَمِنْ أَمْثَلِهَا الثَّنَائِيَّةُ (الْجِرَاحُ/الْحُضْرُ)، وَقَدْ أَتَى الْمَوْصُوفُ فِيهَا مَحْسُوسًا كَمَا هِيَ

الصِّفَةُ وَكِلَاهُمَا يَقَعُ ضَمْنُ الصُّورَةِ الْبَصْرِيَّةِ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ فِي قَصِيدَةٍ (وَجْهَ لَيْلِي)<sup>(1)</sup>:

قِرَامِطَةٌ بِاسْمِ الْبِسَارِ تَنْمَرُوا

وَمِنْ فَيْئِهِ شَادُوا الْقُصُورَ وَأَتْخَمُوا!

وَبِاسْمِ الْجِرَاحِ الْخُضْرُ سَادُوا وَسَوَّدُوا

فَسَيَّانَ لَعْنُ مِنْهُمْ أَوْ تَرَحُّمُ!

وَتَرِدُ الْمَزَاجَةُ ذَاتُهَا فِي قَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ (مُدِّي مَضَاءَكَ)<sup>(2)</sup>:

نَحْنُ الْجِرَاحُ الْخُضْرُ

وَالْحَلْمُ الْمُنْمَمُ.. وَالصَّبَاحُ.

وَتُوحِي الصِّفَةُ بِالْبَرَكَةِ وَبِالشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ وَالصَّفَاءِ وَالْوَفَاءِ وَالبَذْلِ وَالعَطَاءِ، وَ(الْجِرَاحُ الْخُضْرُ) رَمَزُ الْإِخْلَاصِ لِلْعَقِيدَةِ مِنْ جَانِبٍ وَرَمَزُ التَّضَحِّيَّةِ الدَّائِمَةِ فِي سَبِيلِهَا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ. وَهِيَ فِي الْأَخِيرِ رَمَزُ لِلْحَيَاةِ بِقَدْرِ مَا هِيَ رَمَزٌ لِلْمُعَانَاةِ الْمُتَجَدِّدَةِ بِمَا يَتَدَفَّقُ مِنْ دِمَاءٍ يُوجِّلُ الْبُرءَ، وَهِيَ دِمَاءُ جَرَتْ لِتَرْوِي شَجَرَةَ الْخَيْرِ وَالْحَبِّ.

وَقَدْ تَحْمِلُ هَذِهِ الْمَزَاجَةُ دِلَالَةَ الذِّكْرَى الْحَيَّةِ الْمُسْتَعْصِبَةِ عَلَى النَّسِيَانِ، ذِكْرَى كُلِّ شَهِيدٍ قَضَى مِنْ أَجْلِ

إِسْلَامِهِ، فَهِيَ ذِكْرَى عَالِقَةٍ وَفَاءٍ لَهُ.

وَمِنْهُ الْمَزَاجَةُ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ (صَهِيلًا) وَالصِّفَةِ (أَخْضَرَ) فِي الثَّنَائِيَّةِ (صَهِيلًا/أَخْضَرَ)، يَقُولُ<sup>(3)</sup>:

أَلْمُ هَوَاكَ..

أَقْرَأُ صَهِيلًا أَخْضَرَ الْقَسَمَاتِ

(1) محمد الغماري: بوح في موسم الأسرار، ص: 18.

(2) المصدر نفسه، ص: 32.

(3) المصدر نفسه، ص: 58.

ومُهراً..

فَارِسًا يَمْتَدُّ مِنْ ((صَفِين))

يَحْطِمُ صَخْرَةَ الْمَأْسَاءِ

يُذِيبُ الْحَاضِرَ الصَّخْرِيَّ أَنْفَاسًا رِبِيعِيَّة!

وَأَيَّامًا تُضِيءُ الدَّرْبَ بِالْكَلِمِ الْإِلَهِيَّة!

وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ مِنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ مَحْسُوسًا مَرْتَبًا، فَاَلْمَوْصُوفُ يَقَعُ تَحْتَ دَائِرَةِ السَّمْعِ وَالصِّفَةُ تَقَعُ تَحْتَ دَائِرَةِ الْبَصَرِ، وَقَدْ شَكَّلَا صُورَةً مَعًا صُورَةً سَمْعِيَّةً بَصْرِيَّةً. وَيَحْمِلُ تَحْوِيلُ الْمَسْمُوعِ إِلَى الْمَرْتَبِيِّ دَلَالَةَ الْحَيَاةِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّفَاوُلِ وَالْبَرَكَةِ وَالْأَصَالَةِ، فَفِي (الصَّهِيلِ الْأَخْضَرِ) إِشَارَةٌ إِلَى الْفَارِسِ الْمُجَاهِدِ الَّذِي يَحْمِلُ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَيَهْبُ نُصْرَتِهِ وَلِتَغْيِيرِ الْوَضْعِ الرَّاهِنِ، وَيُعِيدُ زَمَنَ الْفَتْحِ وَالْعِزَّةِ.

وَفِي الْمَزَاوِجَةِ (الْكَلِمَةِ/الْخَضْرَاءِ) تَأْخُذُ (الْكَلِمَةُ) لَوْنًا وَيَتَحَوَّلُ الْمَوْصُوفُ الْمَحْسُوسُ الْمَسْمُوعُ إِلَى مَحْسُوسٍ مَرْتَبِيٍّ، وَتَتَضَمَّنُ الْمَزَاوِجَةُ الدَّلَالَةَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ الْحَقِيقَةَ الْخَالِدَةَ وَالْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ وَالْقُوَّةَ وَالصِّدْقَ، كَيْفَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

فِي الْمَطْلُقِ الْأَزَلِيِّ..

نَحْنُ الْكَلِمَةُ الْخَضْرَاءُ نُتَلَى!

وَتَأْتِي الْمَزَاوِجَةُ (قَافِيَةً/خَضْرَاءَ) لِتَرْسُمَ (القَافِيَةَ) الْمَسْمُوعَةَ بِاللَّوْنِ الْمَرْتَبِيِّ فِي صُورَةٍ سَمْعِيَّةٍ بَصْرِيَّةٍ، وَيُدُلُّ هَذَا الْخَرْقُ الَّذِي آدَاهُ نَقْلُ مُفْرَدَةٍ مِنْ مَجَالٍ إِلَى مَجَالٍ فِي صُورَةٍ مُتْرَاسِلَةٍ عَلَى الْخُصُوبَةِ وَالتَّمَاءِ وَالْحُسْنِ، يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

مِنْ ثُورِهِ قَدْ عَزَفْتُ الْكُونَ قَافِيَةً خَضْرَاءَ رَغَمَ الْمَآسِي وَالْجِرَاحَاتِ

وَأَمَّا الْمَزَاوِجَةُ فِي (الثُّورَةِ/الْخَضْرَاءِ) فَهِيَ مُزَاوِجَةٌ بَيْنَ مُجَرَّدٍ وَمَحْسُوسٍ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى التَّعْبِيرِ الْإِيجَابِيِّ الَّذِي

يُمَارِسُهُ الْإِسْلَامُ، وَتَدُلُّ عَلَى الْبَرَكَةِ فَهِيَ ثُورَةٌ مُبَارَكَةٌ تَهْتَدِي بِهَدْيِ الْإِسْلَامِ، يَقُولُ فِي فَصِيدَةٍ (قِصَّةٍ مُجَاهِدٍ)<sup>(3)</sup>:

لِلثُّورِ لِلثُّورَةِ الْخَضْرَاءِ يَنْتَسِبُ يَمُدُّهُ بِالْإِبَاءِ الرَّفِضُ وَالْعَصَبُ

تَضْمُهُ أَلْفُ ذِكْرَى أَلْفُ أُغْنِيَةٍ خَضْرَاءَ يَحْنُو عَلَيْهِ النَّحْلُ وَالْعَنْبُ

الْبُرْتُقَالَةُ فِي شَوْقٍ وَفِي لَهْفٍ تُسَائِلُ الْقَمَحَ جَاءَ الْيَوْمَ مَنْ يَنْبُ

وَالْمَزَاوِجَةُ الثَّانِيَّةُ فِي الْمَقْطَعِ فَهِيَ فِي (أُغْنِيَةٍ/خَضْرَاءَ)، وَوَصَفُ الْأُغْنِيَةِ بِالْخَضْرَاءِ هُوَ وَصْفُ الْمَسْمُوعِ بِالْمَرْتَبِيِّ،

وَتَدُلُّ هَذِهِ الْمَزَاوِجَةُ عَلَى التَّفَاوُلِ وَالْجَمَالِ وَالْإِشْرَاقِ وَالسُّرُورِ.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 76.

(2) مصطفى الغماري: قصائد مجاهدة، ص: 12.

(3) المصدر السابق نفسه، ص: 43.

وَتَرَدُّ الْمَزَاجَةَ (رَايَةَ/حَضْرَاءَ) دَالَّةً عَلَى رَايَةِ الْإِسْلَامِ وَالْوَلَاءِ وَالْحَقِّ وَالسَّلَامِ وَالْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةَ وَالْمَنْعَةَ، وَقَدْ تَرْمِزُ إِلَى دَرْبِ الْهُدَى وَالْفَلَاحِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّكَ أَوْ حِزْبِ اللَّهِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُتَمَمَى إِلَيْهِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

وَلَأَنْتَ وَجْهِي يَا ربيعَ مَوَاسِمِي      وَسِوَاكَ يَسْبَحُ فِي الضَّبَابِ وَيَعْرِقُ!  
عَبَثًا يُحَاوِلُ أَنْ يُطَاوَلَ رَايَةَ      حَضْرَاءَ تَعْبِقُ بِالضِّيَاءِ وَتُشْرِقُ  
مِنْ أَحْرَفِ الْقُرْآنِ عَمَقُ جُذُورِهَا      وَعَبِيرُهَا الْأَزْلُ الْمُدِيدُ الْمُطْلَقُ

وَأَمَّا الْمَزَاجَةُ (الْغُيُوبُ/الْحُضْرُ) فَيُوصَفُ الْمُجَرَّدُ بِالْمَحْسُوسِ، وَتَدُلُّ عَلَى التَّبَشِيرِ بِالْخَيْرِ وَالتَّفَاوُلِ وَالْأَطْمِنَانِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

عَهْدٌ عَلَيْنَا أَنْ نَضُمَّ الْجُرْحَ.. يَا كَبِيرَ الْعُهُودِ  
وَعَدُّ.. وَتَمَتُّ الْغُيُوبِ الْحُضْرِ الْجَبَلِيِّ بِالْوَعُودِ

بَيْنَمَا الْمَزَاجَةَ (أَيَامُكَ/الْحُضْرُ) فَتَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ وَالسِّيَادَةِ وَعَلَى الْبَرَكَاتِ وَالْخَيْرِ وَالْخِصْبِ، يَقُولُ<sup>(3)</sup>:

وَأَيَامُكَ الْحُضْرُ سَيْفُ ضِيَاءٍ      يَثُورُ عَلَى حَاصِدِي الْإِغْتِرَابِ!  
وَلِكُلِّ مَزَاجَةٍ خُصُوصِيَّتُهَا الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهَا فِي بَنِينِهَا وَفِي سِيَاقِهَا، فَتَمْتَازُ بِدَلَالَةِ دُونَ غَيْرِهَا إِلَّا أَنْ لَهَا وَظِيفَةً كَامِنَةً فِي تَجَسُّدِ الْمَوْصُوفِ الْمُجَرَّدِ وَدَلَالَةَ عَامَّةٍ مُشْتَرَكَةً تَجْمَعُهَا، فَهِيَ جَمِيعًا تَسْتَمِدُّ مِنَ النَّوَاةِ الْمَعْنَوِيَّةِ (الْإِسْلَامِ) كُلِّ دَلَالَاتِهَا وَعَنْهَا تَصْدُرُ فِي كُلِّ إِجَاءَاتِهَا.

وَتَنْبَغِي الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ بِنِيَّةَ الْمَزَاجَاتِ تُعَدُّ عَنَاصِرَ فِي بَنِي تَرْكِيبِيَّةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ وَاسْتِعَارِيَّةٍ، فَتَعْمَلُ عَلَى إِغْنَاءِ دَلَالَاتِهَا.

وَقَدْ تُوجَدُ نَمَازِجٌ لِلْمَزَاجَةِ الْوَصْفِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا اللَّوْنُ الْأَخْضَرُ صِفَةً لِلْمَوْصُوفِ فِي مَثْنِ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ، يَسْتَعْمَلُ الْمَزَاجَةَ (الصَّبَاحَ/الْأَخْضَرَ)، يَقُولُ وَلِيدُ قَصَابٍ<sup>(4)</sup>:

الْفَارِسُ الْمَيْمُونُ غَيْبُهُ السُّرَى      وَتَكَشَّفَتْ عَنْهُ الْعَمَامَةُ مُدْبِرًا  
وَطَوْنُهُ أَكْدَاسُ الضَّبَابِ، فَلَمْ يَعُدْ      يَنْسَابُ فَوْقَ رُبُوعِنَا مُتَبَخَّرًا  
يَمْضِي إِلَى الْأُفُقِ الْبَعِيدِ كَأَنَّهُ      قَدْ عَافَ صُحْبَةَ أَرْضِنَا وَاسْتَنْكَرَا  
لَكِنَّهُ سَيَعُودُ يَوْمًا حَامِلًا      مَعَهُ الْبَشَائِرَ وَالصَّبَاحَ الْأَخْضَرَ

وَتَدُلُّ هَذِهِ الْمَزَاجَةُ عَلَى التَّفَاوُلِ بِالصَّبَاحِ الْمُبَارَكِ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ مَنْ يُعِيدُ الْأُمَّةَ إِلَى سِيرَتِهَا الْأُولَى.

وَتَرَدُّ الْمَزَاجَةَ (نَارَكَ/الْحَضْرَاءَ) فِي قَوْلِ حَسَنِ الْأَمْرَانِيِّ<sup>(1)</sup>:

(1) الغماري: مقاطع من ديوان الرفض، ص: 11.  
(2) المصدر نفسه، ص: 39.  
(3) الغماري: عرس في مآتم الحجاج، ص: 36.  
(4) وليد قصاب: فارس الأحلام القديمة، ص: 15.

أَحْبِسُ فِيكَ أَشْوَاقِي

أَكْتُمُهَا وَأَعْمَاقِي

بِهَا نَارُ

وَجُرْحُ كَاصْطِرَاعِ الْمَوْجِ نَعَّارِ

وَتَارِيخُ كَمِثْلِ قَلَائِدِ الشُّهَدَاءِ فَوَّارِ؟

أُطْفِئُ نَارَكَ الْخَضْرَاءِ

تَكَادُ تُضِيءُ بَيْنَ جَوَانِحِي؟

أَاهْدُ صَرْحَ (مَوَاقِفِي) الْكُبْرَى

كَأَنِّي كُنْتُ أَكْتُبُ مَوْتِي الْقُدْسِيَّ

فَوْقَ الرِّيحِ، فَوْقَ الْمَاءِ!

تتألف المزاوجة (نارك/الخضراء) من الموصوف الذي يرمز إلى الإيمان والحق والسر، ومن الصفة (الخضراء) الدالة على البركة والخضوبة والنماء والتضارة وعلى الحياة والتجدد.

وقد يلجأ الشاعر في إنتاج الدلالة، وتحديدًا، في تشكيل صورته إلى بناء نوع من المزاوجة التي تجمع في بنيتها بين اسمين ينتميان إلى مجالين دالين مختلفين، وبذلك يخرج عن الاستعمال التمطي المألوف في اللغة إلى استعمال غير مألوف منزاح، ويبرر هذا التوظيف تلك العلاقات التي تتراءى للشاعر ويقوم الخيال بنسجها،  
ب- المزاوجة (مضاف+مضاف إليه):

تتألف بنية هذا النوع من المزاوجات نحوياً من مضاف ومضاف إليه حيث يمثل المضاف الصفة اللونية؛ أي اللون الأخضر ويكون الطرف المحسوس، ويمثل المضاف إليه الموصوف محسوساً كان أم مجرداً، يقول في قصيدة (يا حادي الغول!)<sup>(2)</sup>:

غَنَيْتُ حُبَّكَ أَشْوَاقًا أُسْلِسُهَا لَدَى الْأَصِيلِ وَأُزْجِيهَا لَدَى السَّحْرِ

رُؤْيُ تَخَايَلٍ فِيهَا الْوَصْلُ فَاتَّلَقْتُ خُضْرَ الْمَرَاثِي... سَلِيلَاتِ الْهَوَى الْخَضْرِ

فترد المزاوجة في (خضر/المراثي) وتتضمن وصفاً لمحسوسٍ بمحسوسٍ، وتدل على البركة والخضوبة.

وتأتي مزاوجة أخرى (خضر الدروب)، قوله<sup>(3)</sup>:

صَمَّتْ الشُّعُوبُ وَإِنْ تَطَاوَلَ سَوْفَ يَلْتَهُبُ التِّهَابَا

نَارًا عَلَى خُضْرِ الدُّرُوبِ مَنْ شَادُوا الْخَرَابَا!

(1) حسن الأمرائي : مملكة الرماد، ص: 57.

(2) مصطفى الغماري: بوح في موسم الأسرار، ص: 7.

(3) المصدر نفسه، ص: 35.

وَتَرْدُ الْمَزَاجَةِ (خُضْرًا/أَشْوَاقِي) وَتَتَضَمَّنُ وَصْفَ مُجَرَّدٍ بِمَحْسُوسٍ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

وَأَسْكُرُ وَالْهَوَى الْعُنُقُودُ وَالسَّاقِي!

أَلْمَلْمُ خُضْرًا أَشْوَاقِي!

وَتَدُلُّ هَذِهِ الْمَزَاجَاتِ عَلَى الْخُصُوبَةِ وَالنَّمَاءِ وَالْبَرَكَاتِ وَالتَّفَاوُلِ.

وَتَنْتَمِي هَذِهِ الْمَزَاجَاتِ الَّتِي يُشَكِّلُ اللَّوْنُ أَحَدَ طَرَفَيْهَا إِلَى الصُّورَةِ اللَّوْنِيَّةِ، وَلَمْ تَعُدْ نَظْرَةُ الشَّاعِرِ إِلَى اللَّوْنِ

نَظْرَةً مَادِيَّةً فِي ذَاتِهِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّهُ حَلِيَّةٌ زَائِدَةٌ تَرْتَبِطُ بِالشَّكْلِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي عِلَاقَاتِهِ رُؤْيَةً شُعُورِيَّةً عَلَى

أَسَاسِ أَنَّهُ قِيَمَةٌ تَعْبِيرِيَّةٌ تَرْتَبِطُ بِمَعْنَى الْعَمَلِ وَمُحْتَوَاهِ وَبِتَجْرِبَةِ صَاحِبِهِ الْوُجْدَانِيَّةِ.<sup>(2)</sup>

وَمِنَ الصُّورِ الْمُتْرَاسِلَةِ تِلْكَ الْمَزَاجَةِ الْمَجَازِيَّةِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْ عِلَاقَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ وَغَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ بَيْنَ عُنْصُرَيْنِ عَلَى

اِخْتِلَافِ مَوْقِعِهِمَا النَّحْوِيِّ كَالصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ، فَقَدْ تَرَدَّدَتْ كَلِمَةُ (مُرٌّ) فِي سِيَاقَاتٍ كَثِيرَةٍ مُخَالَفَةً لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَا

يَقَعُ تَحْتَ حَاسَةِ الذَّوْقِ؛ أَيْ لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَا يُذَاقُ، وَيُمْكِنُ مِلَاحَظَةَ هَذِهِ الْمَزَاجَةِ فِي قَوْلِ الرَّبَاوِيِّ فِي

قَصِيدَتِهِ (كَأْسٍ مِنْ رَمَادٍ)<sup>(3)</sup>:

أَحْمَلُ فَوْقِي جَسَدِي، وَأَجُوبُ بِهِ طُرُقَاتِ مَدِينَتِي

الشَّهْبَاءِ. وَحِينَ يَدُبُّ الْمَلَلُ الْقَارِسُ فِي غَابَةِ ذَاتِي، أَلْقِي

جَسَدِي الْمُنْهَارَ بَرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْمُقْهَى (تَنْبَتُ كَالْفَطْرِ مَقَاهِي

وَجِدَّةَ حَيْثُ تَظَلُّ إِلَى مَا بَعْدَ أَذَانِ الْفَجْرِ مُفْتَحَةَ الْأَبْوَابِ،

وَتَبْقَى مُعْلَقَةً الْأَبْوَابِ مَسَاجِدُ هَهْدِي الْقَرِيَّةِ. كَيْفَ يَزُورُ الشُّورُ

خَرَائِبَ هَذَا الْقَلْبِ، وَمَا زَالَ أَسِيرَ الصِّدَا الْمَسْنُونِ؟ بَعِيدٌ هَذَا

الْمَسْجِدِ يَا قَلْبِي. وَقَرِيبٌ ذَلِكَ الْمُقْهَى الْفَرْحَانَ. فَأَلْقِ بِجَسَدِكَ

الْحَمْرَاءِ، وَسَافِرْ عَبْرَ مَوَاوِيلِ الزُّبْنَاءِ.

مُرَّةٌ قَهْوَتِي.. مُرَّةٌ.. كَمَرَارَةٌ هَذَا الْفَرَحِ.

مُرَّةٌ.. كَمَرَارَةٌ هَذَا الشَّبْحِ.

وَهُوَ يَلْتَفُّ حَوْلَ حَدَائِقِ عَيْنَيْكَ هَذَا الصَّبَاحِ

وَقَدْ تَوَحَّجْتَ جُمُوعَ الطُّبَّاءِ

مُرَّةٌ.. هَذِهِ الْكَأْسُ تَشْرِبُنِي جُرْعَةً.. جُرْعَةً.. وَتَشْمُ

حَصَى جَسَدِي الْمُرِّ. هَلْ هَذِهِ الْكَأْسُ مِنْ وَشُوشَاتِ رَمَادِكِ أَمْ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 59.

(2) نعيم الياني: تطور الصورة الفنية، ص: 179.

(3) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 22.

مِنْ رَمَادِي؟

أَسْتَحْدَمْتُ لَفْظَةً (مُرَّةً) اسْتِخْدَامًا حَقِيقِيًّا لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا يُدَاقُ فِي قَوْلِهِ:

مُرَّةٌ قَهْوَتِي.. مُرَّةٌ.. كَمَرَارَةٍ هَذَا الْفَرَحُ.

وَفِي قَوْلِهِ:

مُرَّةٌ.. هَذِهِ الْكَأْسُ تَشْرِبُنِي جُرْعَةً.. جُرْعَةً...

بَيْنَمَا تَنْزَاحُ عَنْ دَلَالَتِهَا فِي الْبِنْيَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ فِي قَوْلِهِ:

كَمَرَارَةٍ هَذَا الْفَرَحُ.

وَفِي قَوْلِهِ فِي الْمَزَاجَةِ:

جَسَدِي الْمُرَّ.

وَفِي غَيْرِ هَذَا النَّصِّ يُوظَّفُ الرِّبَاوِيُّ هَذَا التَّوَعَّ مِنْ الْمَزَاجَاتِ بِكُلِّ سِمَاتِهِ الْمَلْحُوظَةِ، فَهُوَ يَسْتَحْدِمُ

لَفْظَةَ (الْمُرَّ) صِفَةً لـ (كَلْكَلٍ)، وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِهِ الْمَأْلُوفَةِ فِي اللَّغَةِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

كَانَ الصِّيفُ طَوِيلًا.

كَانَ كَمَا الْآهَ طَوِيلًا.

حَطَّ بِكَلْكَلِهِ الْمُرَّ عَلَى

صَدْرِي الْمَنْخُورِ رَيْبَعًا وَشِتَاءً.

حَطَّ بِكَلْكَلِهِ أَمْسٍ، تَطَاوَلَ.. ثُمَّ اسْتَرْخَى

كَالْحُزْنِ عَلَى أَرْضٍ جَرْدَاءَ.

اسْتَسَلَّمَ، كَالطِّفْلِ، لِتَوْمٍ أَعْمَقَ مِنْ جُرْحِ الصَّحْرَاءِ.

صَارَ الْحُلْمُ بِأَنْدَاءِ الْغَيْثِ سَرَابًا.

هَذَا الْحُلْمُ الشَّاسِعُ صَارَ سَرَابًا.

فَاسْتَسَلَّمْتُ لِبَرْدِ الصِّيفِ اسْتِسْلَامًا.

فَالْمَزَاجَةُ (الْكَلْكَلُ الْمُرَّ) تُشَكِّلُ ضَرْبًا مِنَ الْإِنْزِيَاكِ الَّذِي تُرْسِي عَلَى أُسَاسِهِ الْقَصِيدَةُ عِلَاقَاتٍ وَارْتِبَاطَاتٍ

جَدِيدَةً بَيْنَ مُفْرَدَاتٍ مِنْ مَجَالَاتٍ دَلَالِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ لَيْسَ بَيْنَهَا صِلَاتٌ فِي الْوَاقِعِ. بَيِّدُ أَنَّ الْقَصِيدَةَ - كَبِنْيَةِ شِعْرِيَّةٍ - فِي

ظِلِّ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الشُّعُورِيَّةِ وَالتَّنْفِيسِيَّةِ قَانُونُهَا الْخَاصُّ الَّذِي يُبِيحُ لَهَا هَذَا الْخَرْقَ الَّذِي لَا تَسْتَسَعُغُهُ اللَّغَةُ كَبِنْيَةِ نَثْرِيَّةٍ.

(1) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 39.

إنَّ القِيَمَةَ التَّعْبِيرِيَّةَ لِلصُّورَةِ المُتْرَاسِلَةِ عَبْرَ هَذِهِ ثَنَائِيَّةِ الصِّفَةِ والمَوْصُوفِ وَغَيْرَهَا مِنَ المَزَاجَاتِ اللَّفْظِيَّةِ التَّرَكِيبِيَّةِ تَكْمُنُ فِي جَمْعِهَا بَيْنَ المُجَرَّدِ وَالمُجَرَّدِ وَالمَحْسُوسِ، وَالمَحْسُوسِ وَالمَحْسُوسِ، كَمَا تَكْمُنُ فِي فِيمَا تَمْتَعُ بِهِ مِنْ طَاقَاتٍ إِيجَائِيَّةٍ وَدَلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ تُفْرِزُهَا الصِّفَةُ وَالأِسْمُ مَعًا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ وَفِي بَنِيَّتِهِمَا التَّرَكِيبِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا تَكُونُ الصِّفَةُ مُدْرَكًا مِنَ المُدْرَكَاتِ الحَسِّيَّةِ فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ الأِسْمِ وَتَعْيِينِهِ وَتَوْسِيعِ مَعْنَاهُ، كـ(المَلَلُ القَارِسُ، وَالجَسَدُ المُنْهَارُ، وَالمَقْهَى الفَرْحَانُ...) فِي قَوْلِهِ:

وَحِينَ يَدِبُّ المَلَلُ القَارِسُ فِي غَابَةِ ذَاتِي، أُلْقِي  
جَسَدِي المُنْهَارَ بِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ المَقْهَى

وَفِي قَوْلِهِ:

وَقَرِيبُ ذَاكَ المَقْهَى الفَرْحَانُ.

فَالصِّفَةُ (القَارِسُ) تُفْصِحُ عَنْ إِمْكَانِيَّةِ إِيجَائِيَّةِ فَاتِقَةٍ فِي تَجَسُّدِ الحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تَتَلَبَّسُ الشَّاعِرُ، وَالصِّفَةُ (المُنْهَارُ) تَخْتَرُ حَجْمَ الإِنْهَائِكَ الَّذِي نَالَ مِنَ الجَسَدِ وَتُجَسِّدُهُ فِي صُورَةِ الجِدَارِ المُتَدَاعِي، وَالصِّفَةُ (الفَرْحَانُ) تُوْحِي بِحَجْمِ اللَّهْوِ الَّذِي يَحْيَاهُ زُبْنَاءُ المَقْهَى، وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ تُسَهِّمُ الصِّفَةُ فِي حُدُودِ هَذِهِ المَزَاجَاتِ اللَّغَوِيَّةِ فِي بِنَاءِ الصُّورِ الَّتِي تُشَكِّلُ الصُّورَةَ الكُلِّيَّةَ. إِنَّ الفَاعِلِيَّةَ الدَّلَالِيَّةَ لِلْمَزَاجَاتِ تَكُونُ أَكْثَرَ جَلَاءً وَأَشَدَّ وَضُوحًا حِينَ تَتَمُّ بَيْنَ مُجَرَّدٍ وَمَحْسُوسٍ وَحِينَ لَا تَتطَابَقُ الصِّفَةُ مَعَ الأِسْمِ تَطَابُقًا مُبَاشِرًا بِإِعْمَالِ الآلِيَةِ الإِسْتِعَارِيَّةِ أَوْ المَجَازِيَّةِ وَنَقْلِ الصِّفَةِ مِنْ حَقْلِ دَلَالِيٍّ خَاصٍّ بِهَا إِلَى حَقْلِ دَلَالِيٍّ مُخْتَلِفٍ خَاصٍّ بِالأِسْمِ. وَمِنْ خِصَائِصِ هَذِهِ المَزَاجَاتِ اللَّغَوِيَّةِ أَنَّ الأَسْمَاءَ فِيهَا تُوصَفُ بِمَا لَا يَتَأْتَى لَهَا أَنْ تُوصَفَ بِهِ فِي الوَاقِعِ.

### 1-2-1-الصُّورَةُ النَّقِیْضَةُ أَوْ الضَّدِّيَّةُ:

تَقُومُ هَذِهِ الصُّورَةُ عَلَى عُنْصُرَيْنِ بَدِيعِيَّيْنِ، وَهُمَا الطَّبَاقُ وَالمُقَابَلَةُ، وَلَا يَتَوَقَّفُ بِنَاءُ الصُّورَةِ عَلَى الآلِيَّاتِ السَّابِقَةِ أَوْ عَلَى التَّشْبِيهِ البَدِيعِ الثَّرِيِّ الدَّلَالَةِ الَّذِي يُشَبِّهُ فِيهِ ظُهُورَ المَقَاهِي وَانْتِشَارَهَا فِي المَدِينَةِ بِالفِطْرِ فِي قَوْلِهِ:

تَنَبَّتْ كَالْفِطْرِ مَقَاهِي وَجَدَّةٌ

وَإِنَّمَا يَسْتَعْبِرُ وَسِيلَةَ بَلَاغِيَّةٍ غَيْرَ مَعْدُودَةٍ ضِمْنَ الصُّورَةِ البَيَانِيَّةِ، هِيَ الطَّبَاقُ وَيُقَابَلُ بِوَأَسِطَّتِهَا بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ،

يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

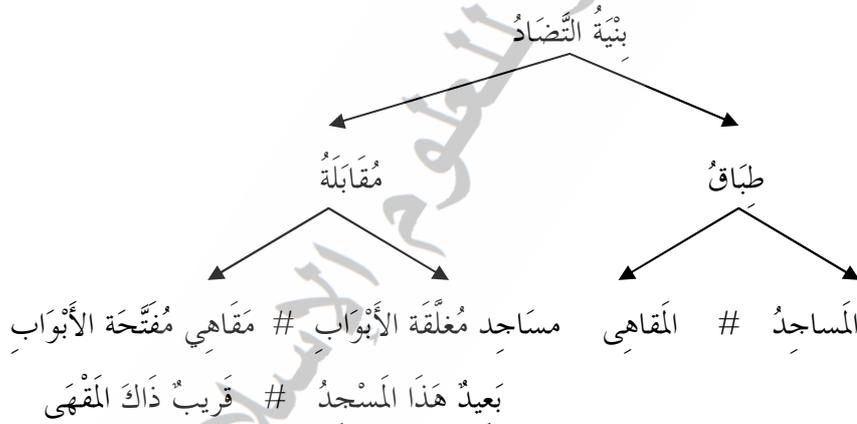
وَحِينَ يَدِبُّ المَلَلُ القَارِسُ فِي غَابَةِ ذَاتِي، أُلْقِي  
جَسَدِي المُنْهَارَ بِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ المَقْهَى (تَنَبَّتْ كَالْفِطْرِ مَقَاهِي  
وَجَدَّةٌ حَيْثُ تَنْظَلُ إِلَى مَا بَعْدَ أَذَانِ الفَجْرِ مُفْتَحَةً الأَبْوَابِ،

(1) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 22.

وَتَبَقَى مُعَلِّقَةَ الْأَبْوَابِ مَسَاجِدُ هَذِي الْقَرْيَةِ. كَيْفَ يَزُورُ الشُّورُ  
خَرَائِبَ هَذَا الْقَلْبِ، وَمَا زَالَ أَسِيرَ الصَّدَا الْمَسْنُونِ؟ بَعِيدٌ هَذَا  
الْمَسْجِدُ يَا قَلْبِي. وَقَرِيبٌ ذَلِكَ الْمَقْهَى الْفَرَحَانُ. فَأَلْقُ بِجَنَّتِكَ  
الْحَمْرَاءَ، وَسَافِرٌ عَبْرَ مَوَاوِيلِ الزُّبْنَاءِ.

وَيُلْحَظُ تَدْخُلُ بِنِيَّةِ التَّضَادِ أَوْ التَّقَابُلِ فِي بِنَاءِ الصُّورَةِ مِنْ حِلَالِ الطَّبَاقِ أَوْ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ (مَقَاهِي مُفْتَحَةَ  
الْأَبْوَابِ) وَ(مَسَاجِدُ مُعَلِّقَةَ الْأَبْوَابِ) وَبَيْنَ (بَعِيدٌ هَذَا الْمَسْجِدُ) وَ(قَرِيبٌ ذَلِكَ الْمَقْهَى)، فَالطَّبَاقُ أَوْ الْمُقَابَلَةُ يُمَثِّلَانِ نَوْعًا  
مِنْ بِنِيَّةِ التَّضَادِ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ لِإِبْدَاعِ صُورَةٍ لَا تُجَسِّدُ ذَاتِ الشَّاعِرِ الْحَائِرَةِ، بَوَصْفِهَا مُعَادِلًا لِعَوِيًّا وَشِعْرِيًّا  
وَفَنِيًّا، وَإِنَّمَا تُمَثَّلُ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ وَأَقْعًا اجْتِمَاعِيًّا وَسِيَاسِيًّا مَأْزُومًا يُسْمَحُ فِيهِ لِلأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ بِالْعَبَثِ وَاللَّهُوِ  
وَالْعَفْلَةِ وَإِضَاعَةِ الْوَقْتِ وَتُسْرُرِ سُبُلِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَيُمْنَعُ فِيهِ عَلَى الأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ الْحُدَّ وَالْحَزْمَ وَالْيَقْظَةَ  
وَاسْتِثْمَارِ الْوَقْتِ وَتُسُدُّ سُبُلَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ. إِنَّ بِنِيَّةَ التَّضَادِ تَجْمَعُ بَيْنَ فِضَائِعَيْنِ دَالِّينِ مُتَقَابِلَيْنِ أَحَدُهُمَا بُؤْرَةٌ  
الضَّلَالِ وَالضِّيَاعِ وَالْآخَرُ بُؤْرَةٌ الْهُدَى وَالصَّلَاحِ.

وَيَتَدَرَّجُ التَّضَادُ فِي بِنِيَّتِهِ مِنَ الطَّبَاقِ إِلَى الْمُقَابَلَةِ، فَكُلَّمَا تَجَاوَزَ الطَّبَاقُ مُفْرَدَتَيْنِ لِعَوِيَّتَيْنِ صَارَ مُقَابَلَةً، وَفِي  
الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْمَعَانِي وَأَضْدَادِهَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْكِنَةِ تَنْضِحُ مَعَالِمُ الصُّورَةِ وَتَتَسَّعُ فِضَائِعُهَا، وَتُبَيِّنُ التَّرْسِيمَةَ التَّالِيَةَ  
ذَلِكَ:



فَقَدْ اقْتَصَرَتْ بِنِيَّةُ الطَّبَاقِ عَلَى اسْمَيْنِ:

(المَسَاجِدُ # المَقَاهِي)

وَجَمَعَتْ بِنِيَّةُ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ اسْمَيْنِ وَصِفَتَيْنِ:

(مَسَاجِدُ + مُعَلِّقَةَ الْأَبْوَابِ # مَقَاهِي + مُفْتَحَةَ الْأَبْوَابِ)

وَبَيْنَ صِفَتَيْنِ وَاسْمِي إِشَارَةً وَاسْمَيْنِ:

(بَعِيدٌ + هَذَا + الْمَسْجِدُ # قَرِيبٌ + ذَلِكَ + الْمَقْهَى)

وَوَاضِحٌ أَنْ بِنْيَةَ الْمُقَابَلَةِ تَضُمُّ أَكْثَرَ مِنْ طَبَاقٍ فَهِيَ تُجْرِي التَّقَابُلَ بَيْنَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْعُنَاوِرِ الْمُتَضَادَّةِ الْمُتَنَاقِضَةِ، تَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ الْمُقَابَلَةِ الْأُولَى مِنْ زَوْجَيْنِ مُتَطَابِقَيْنِ حَيْثُ يُشَكِّلُ كُلُّ زَوْجٍ ثُنَائِيَّةً ضِدِّيَّةً:

طَبَاقٌ 1: ثُنَائِيَّةٌ (مَسَاجِدُ # مَقَاهِي).

طَبَاقٌ 2: ثُنَائِيَّةٌ (مُعَلَّقَةٌ # مُفْتَحَةٌ).

وَتَتَأَلَّفُ بِنْيَةُ الْمُقَابَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَزْوَاجٍ مُتَطَابِقَةٍ:

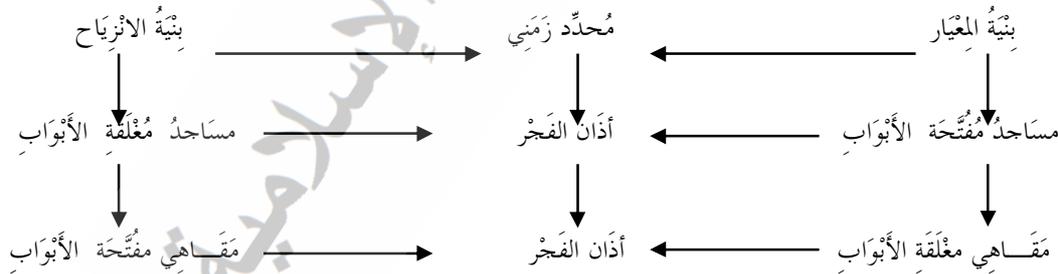
طَبَاقٌ 1: ثُنَائِيَّةٌ (بَعِيدٌ # قَرِيبٌ).

طَبَاقٌ 2: ثُنَائِيَّةٌ ( هَذَا # ذَلِكَ).

طَبَاقٌ 3: ثُنَائِيَّةٌ (الْمَسْجِدُ # الْمَقْهَى).

فَبِنْيَةِ التَّضَادِ بِكُلِّ مُسْتَوِيَاتِهَا "إِحْدَى الْبُنَى الْأُسْلُوبِيَّةِ الَّتِي تُعْنِي النَّصَّ الشَّعْرِيَّ بِالتَّوَثُّرِ وَالْعُمُقِ وَالْإِثَارَةِ، وَتَقُومُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ عَلَى الْجَدَلِ (الدِّيَالِكْتِيك) الَّذِي يَعْنِي وَجُودَ حَالَةٍ تَنَاقُضٍ وَصِرَاعٍ وَتَقَابُلٍ بَيْنَ أَطْرَافِ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَغَالِبًا مَا تَكُونُ الثَّنَائِيَّاتُ الضِّدِّيَّةُ هِيَ الْعُنْصُرُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً بَيْنَ مَكُونَاتِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ".<sup>(1)</sup>

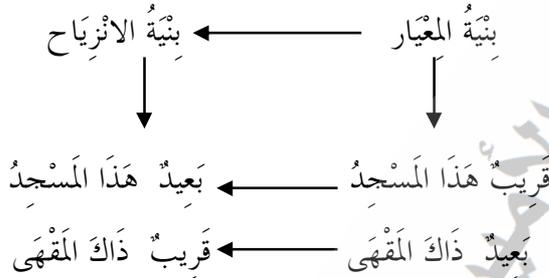
وَيُشَكِّلُ التَّضَادُّ النَّاشِئُ فِي الْقَصِيدَةِ عِبْرَ بِنَاةِ الْبَسِيطَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ مُفَارَقَةً تَشْدُ انْتِبَاهَ الْمُتَلَقِّيِّ وَتُثِيرُ فُضُولَهُ لِلسُّؤَالِ وَالْمَعْرِفَةِ وَتُخَالِفُ مَا يَنْتَظِرُهُ مِنْ مُفْرَدَاتٍ وَتَرَكَيبٍ مُتَوَقَّعَةٍ أَوْ مَعَانٍ وَدِلَالَاتٍ مُرْتَقِبَةٍ، فَالْمُتَلَقِّيُّ بِكِفَائَتِهِ اللَّغَوِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ يَتَوَقَّعُ أَنْ تَكُونَ الْمَسَاجِدُ قَرِيبَةً مُفْتَحَةً الْأَبْوَابِ فَإِذَا هِيَ تَرُدُّ فِي الْقَصِيدَةِ بَعِيدَةً مُعَلَّقَةً الْأَبْوَابِ. إِنَّ كَسْرَ السِّيَاقِ بِإِبْعَادِ الْعُنَاوِرِ الْمُتَوَقَّعَةِ وَإِدْخَالِ الْعُنَاوِرِ غَيْرِ الْمُتَوَقَّعَةِ يَقْطَعُ رَتَابَةَ النَّظْمِ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ وَيَصْدَمُ الْقَارِئَ وَيُوتِّرُ عِلَاقَتَهُ بِالنَّصِّ. وَالتَّوَثُّرُ الَّذِي يَتْرُكُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْمُتَلَقِّيِّ وَالنَّصِّ قَائِمَةٌ هُوَ أَثَرٌ لِلانْتِزَاحِ الْأُسْلُوبِيِّ الَّذِي أَوْجَدْتُهُ الْمَفَارَقَةُ الدَّلَالِيَّةُ الَّتِي كَشَفَتْ عَنْهَا التَّرْكِيبُ الشَّعْرِيُّ وَيُمْكِنُ تَجَسُّدُ هَذِهِ الْمَفَارَقَةِ بِالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ بِنْيَةِ الْمَعْيَارِ كَمَا تُحَدِّدُهَا كِفَاءَةُ الْمُتَلَقِّيِّ اللَّغَوِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ كَأَحَدِ أَفْرَادِ مُجْتَمَعٍ لَهُ خُصُوصِيَّةٌ اللَّغَوِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ:



إِنَّ الْمُحَدَّدَ أَوْ الْمُخَصَّصَ الزَّمَنِيَّ (أَذَانُ الْفَجْرِ) هُوَ الْقَرِينَةُ اللَّفْظِيَّةُ الَّتِي تَسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى الْانْتِزَاحِ فِي هَذَا السِّيَاقِ، فَالـ(أَذَانُ) عُمُومًا وَأَذَانُ (الْفَجْرِ) خُصُوصًا هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ الْمَقَاهِي مُعَلَّقَةً وَالْمَسَاجِدُ

(1) فيصل صالح القصيري: بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة، ص: 145.

مَفْتُوحَةً، فَالْأَذَانُ عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَقْتِ الْعِبَادَةِ وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي تَتَوَقَّفُ فِيهِ الْأَعْمَالُ وَتُقَامُ فِيهِ شَعِيرَةُ الصَّلَاةِ. فَتَكُونُ الْمَسَاجِدُ مَفْتُوحَةً الْأَبْوَابِ تَسْتَقْبِلُ أَفْوَاجَ الْمُصَلِّينَ الْوَافِدِينَ وَتَكُونُ الْمَقَاهِي مُغْلَقَةً الْأَبْوَابِ. أَمَّا التَّرَكِيبُ الشَّعْرِيُّ الثَّانِي الَّذِي يَضُمُّ ثَلَاثَةَ ثَنَائِيَّاتٍ ضِدِّيَّةٍ وَيَنْطَوِي عَلَى مُفَارَقَةٍ دَلَالِيَّةٍ مُضَاعَفَةٍ، فَالْمُفَارَقَةُ الْأُولَى حَلِيَّةٌ فِي سِيَاقِ بِنْيَتِي الْمِعْيَارِ وَالْإِنْزِيَّاحِ:



وَتَتَضَحُّ الْمُفَارَقَةُ الثَّانِيَّةُ فِي بِنْيَةِ كُلِّ ثَنَائِيَّةٍ مِنَ الثَّنَائِيَّتَيْنِ الْمَشْكَلَتَيْنِ لِلْإِنْزِيَّاحِ:

- (بَعِيدٌ # هَذَا): فَالْمُفَارَقَةُ هُنَا قَائِمَةٌ بَيْنَ الْوَصْفِ (بَعِيدٌ) وَاسْمِ الْإِشَارَةِ (هَذَا) الَّذِي يُشَارُ بِهِ إِلَى الْقَرِيبِ،<sup>(1)</sup> أَوْ مَا فِي حُكْمِهِ، فَيُشَارُ لِلْبَعِيدِ بِاسْمِ دَالٍّ عَلَى الْقَرِيبِ أَوْ يُوصَفُ الْقَرِيبُ بِالْوَصْفِ الدَّالِّ عَلَى الْبَعِيدِ.

- (قَرِيبٌ # ذَاكَ): فَالْمُفَارَقَةُ هُنَا قَائِمَةٌ بَيْنَ الْوَصْفِ (قَرِيبٌ) وَاسْمِ الْإِشَارَةِ (ذَاكَ) الَّذِي يُشَارُ بِهِ إِلَى الْبَعِيدِ بَعْدًا مُتَوَسِّطًا -عِنْدَمَا تَلْحَقُهُ (كَافُ) الْخَطَابِ وَحَدَّهَا أَوْ لِلْبَعِيدِ عِنْدَمَا تَلْحَقُهُ (لَامُ) الْبُعْدِ وَرَكَافُ الْخَطَابِ<sup>(2)</sup> - أَوْ مَا فِي حُكْمِهِ، فَيُشَارُ لِلْقَرِيبِ بِاسْمِ دَالٍّ عَلَى الْبَعِيدِ أَوْ يُوصَفُ الْبَعِيدُ بِالْوَصْفِ الدَّالِّ عَلَى الْقَرِيبِ.

تَرْتَبِطُ دَلَالَةُ الْمُفَارَقَةِ بِالنَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلشَّاعِرِ، فَإِنَّهُ فِي الْمُفَارَقَةِ الْأُولَى قَدْ أَشَارَ إِلَى (الْمَسْجِدِ) بِاسْمِ إِشَارَةٍ دَالٍّ عَلَى الْقَرِيبِ لَشُعُورِهِ بِقُرْبِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَإِنْ ابْتَعَدَتْ بِهِ مَسَافَةٌ الْمَكَانِ بَعْدًا حَسِيًّا مَرْتَبًا يُفِيدُ الْوَصْفَ (بَعِيدٌ)، وَقَدْ يَكُونُ الْمَسْجِدُ قَرِيبًا فِي مَسَافَةِ الْمَكَانِ قُرْبًا حَسِيًّا فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِمَا يُفِيدُ هَذَا الْمَعْنَى وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ بَعْدًا نَفْسِيًّا عَنِ النَّاسِ الَّذِينَ يَرَاهُمُ الشَّاعِرُ فَوَصَفَهُ بِالْوَصْفِ الْمُنَاسِبِ. وَقَدْ أَشَارَ فِي الْمُفَارَقَةِ الثَّانِيَّةِ إِلَى (الْمَقْهَى) بِاسْمِ إِشَارَةٍ دَالٍّ عَلَى الْبَعِيدِ لِإِحْسَاسِهِ بِبُعْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ بَعْدًا نَفْسِيًّا وَإِنْ اقْتَرَبَتْ بِهِ مَسَافَةُ الْمَكَانِ قُرْبًا حَسِيًّا مَرْتَبًا كَمَا يُؤَدِّيهِ الْوَصْفُ (قَرِيبٌ). وَإِذَا كَانَتْ وَظِيفَةُ اسْمِ الْإِشَارَةِ هِيَ الْإِشَارَةُ فَإِنَّ الْمَشَارَ إِلَيْهِ يَتَّعِنُ بِهَا بِوَسِطَةِ إِشَارَةِ حَسِيَّةٍ تَصْحُبُهَا<sup>(3)</sup>، مِمَّا يَعْمَلُ عَلَى التَّخْيِيلِ الْحَسِيِّ وَتَجْعَلُ الْخِيَالَ يَتَّبَعُ وَيَرْصُدُ الْمَشَارَ إِلَيْهِ وَيَلْتَفِتُ إِلَى مَكَانِهِ وَجِهَتِهِ، فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ تُشْرِكُ الْمُتَلَقِّيَّ وَتُدْخِلُهُ فِي سِيَاقِ النَّصِّ وَتَجْعَلُهُ حَاضِرًا مُتَفَاعِلًا مَعَهُ وَمُتَّصِلًا بِهِ، وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ الْإِلْحَاقَ (هَاءُ) التَّنْبِيهِ زِيَادَةً فِي تَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ وَيُفَسِّرُ كَذَلِكَ الْإِلْحَاقَ (كَافُ) الْخَطَابِ وَحَدَّهَا أَوْ

(1) إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 214.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) مهدي المخزومي: في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص: 51.

مع(اللام)؛ أي: للتحقق من تنبؤ المخاطب للمشار إليه حين يكون المخاطب غافلاً أو بعيداً أو حين يظن المتكلم المخاطب كذلك، أما إذا كان قريباً فيستعنى عن(الكاف).<sup>(1)</sup>

إن أسماء الإشارة بإمكانها أن تصنع بُنى متضادة وأقطاباً متقابلةً باعتمادها ثنائيات مؤلفة من عناصر دالة على القرب وأخرى دالة على البعد، ومن عناصر دالة على الأفراد وأخرى دالة على الجمع، وهي في ذلك كالأسماء والتعوت والظروف والضمائر.

وأكبر أثر أسلوبية لبنية المقابلة على مستوى الصورة هو التوازن أو التوازي التركيبي والدلالي الذي حسدته أطرافها المتضادة وإشاعة الحركة التي تُلغى المفارقات وتوسيع الفجوة المكانية والتفسيّة بينها. وهي تقوم بوظيفة ثانوية في تشكيل الصورة في إطار بنية التشبيه أو الاستعارة.

وبالرغم من حسية الصورة الشعرية في هذا المقطع فإن معانيها لا يمكن أن تكون معانية حسية رغم مكوناتها الحسية، فهي صورة لا تضع في اعتبارها مطلقاً أن مهمتها تزويد القارئ بحشد من المعلومات والمعرفة ولا أن تدغدغ حواسه بمنمة حسية خارجية، وإنما هي صورة شعرية اعتمدت هذه التجمعات للمكونات الحسية لإثارة موقف انفعالي قائم من خلال ما تُثيره هذه التركيبات الحسية من شحنات انفعالية كامنة في كل منها.<sup>(2)</sup>

تُكرس القصيدة الشعرية الانزياح الدلالي بواسطة وجهيه البارزين: التشخيص والتجسيد، وبهدف التأثير في المتلقي، فالتشخيص وظيفته الخيال الشعري ونتيجة لفاعليته تتحول قصيدة(جدار المسجد المنهار في البوسنة) إلى صورة كلية نابضة بالحياة والحركة، تتفاعل فيها الصور الاستعارية الجزئية وتتنامى لتنتج أثراً نفسياً مأساوياً وتكشف عن جانب من رؤية الشاعر، وتصبح معادلاً لواقعه النفسي المحبط نتيجة ما يحدث للمسلمين في بقاع الأرض وفي البوسنة، خاصة، فانطلق من زاوية محددة ورسم للمسجد المنهار صورة حية متحركة، وقدمه في وصف شاخص ناطق كثيف الظلال، فالصورة التشخيصية تُحيل(المسجد)، وهو مادي محسوس (إنساناً) شيخاً دفعته سياط العذر وأدمعه تسيل على الخدين، وهو كلما أو شكت الريح على إسقاطه تشبثت رجله بالأرض، وتُحيل(البلوى)، وهي أمر معنوي، إلى شيء محسوس، فهي تضح وتزحزح، والدهس، وهو معنوي، فلا يجرؤ أن يلامس أو أن يمدد كفاً تزعزع، يقول محمد التهامي في المقطع الأول من القصيدة<sup>(3)</sup>:

رَأَيْتُهُ وَسِيَاطُ الْعَدْرِ تَدْفَعُهُ شَيْخاً تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ أَدْمَعُهُ

(1) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، ص: 133.

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 71.

وَكَلَّمَا هَزَّهٗ رِيحٌ لِيُسْقِطَهُ تَشَبَّثَ رِجْلُهُ بِالْأَرْضِ تَمْنَعُهُ  
تَضِحُّ مِنْ حَوْلِهِ الْبَلْوَى تُزْحِرُهُ وَقَدْ تَحَصَّنَ خَلْفَ الدَّهْرِ مَوْقِعُهُ  
خَلْفَ الْقُرُونِ قَدِ ارْتَاخَتْ قَوَاعِدُهُ وَأَوْغَلَتْ رَأْسُهُ فِيهَا وَأَضْلَعُهُ  
لَمْ يَجْرُؤِ الدَّهْرُ يَوْمًا أَنْ يُلَامِسَهُ وَأَنْ يُمَدَّ لَهُ كَفًّا تُزْعِرُهُ

وقد عمَّد الشاعرُ إلى تحريكِ مجموعةٍ من الأفعالِ والأسماءِ ذاتِ الدلالاتِ التصويريةِ والطاقتِ الإيحائيةِ،  
ونسجَ بينها علاقاتٍ مؤكِّداً موقفه الشعوريِّ في هذه التجربة الشعرية النفسية، فالأفعالُ (تضحُّ، تشبَّثَ، تزحرجُ،  
تزعزعُ) لها ظلالٌ حسيةٌ تُسهمُ في رسمِ الصورةِ وتوحي بحركاتٍ حسيةٍ مُصوِّرةٍ لأحداثها.

ويُكسبُ التشخيصُ الألفاظَ بعدها الإنسانيَّ، فإذا (الشرُّ نارٌ نائرة)، و(الأرضُ مدَّتْ كفيها تُوسدُ المسجدَ  
المنهارَ وناحتُ تُودِّعُه)، و(الحجرُ يُغادرُ مكانه)، و(الزَّمانُ يشدُّ ويجرُّ جرًّا ويوقعُ)، و(الحياةُ تُشيعُ طهرها)، ويقولُ  
في المَقْطَعِ الثَّانِي (1):

لَكِنَّهُ الشَّرُّ لَمَّا نَارَ نَائِرُهُ تَيَقَّنَ الشَّيْخُ أَنْ قَدْ حَانَ مَصْرَعُهُ  
مَدَّتْ لَهُ الْأَرْضُ كَفَيْهَا تُوسِدُهُ فَوْقَ التُّرَابِ وَقَدْ نَاخَتْ تُودِّعُهُ  
وَعَادَرَ الْحَجْرُ الْعَالِي مَكَائِنَهُ وَكَانَ فَوْقَ رِقَابِ الْكُونِ مَوْضِعُهُ  
شَدَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ وَهُوَ مُنْحَدِرٌ يَجْرُهُ لِلثَّرَى جَرًّا وَيُوقِعُهُ  
كَيْفَ الْحَيَاةِ إِذَا فُضَّتْ قَدَاسَتُهَا وَشَيَّعَتْ طَهْرَهَا فِيمَا تُشَيِّعُهُ

ويقولُ في المَقْطَعِ الثَّالِثِ (2):

يَا أَيُّهَا الْمَسْجِدُ الْمُلْتَمَى بِحُفْرَتِهِ لَمْ يُعْنِ عَنكَ دُعَاءُ كُنْتَ تَسْمَعُهُ  
مَاذَا نَقُولُ إِذَا اشْتَاقَتْ نَوَاطِرُنَا إِلَى ضِيَاءِ تَوَارِي مِنْكَ مَطْلَعُهُ؟  
مَاذَا نَقُولُ لِعَهْدٍ فِي عَقِيدَتِنَا عَشْنَا بِكُلِّ صَلَاةٍ فِيكَ نَقْطَعُهُ؟  
أَنْ نَسْتَمِيتَ لَتَحْيَا فِي مَرَابِعِنَا رُكْنَا حَرَامٍ عَلَى الدُّنْيَا تَصَدُّعُهُ  
عَشْنَا لِنَشْهَدَ دُنْيَانَا وَنَحْمِلَهَا وَهِيَ الْعَضُوضُ الَّتِي رَاحَتْ تُنْقِطَعُهُ

ويقولُ في مَقْطَعِهَا الْأَخِيرِ (3):

يَكْفِي هَوَانًا أَنَا لِبَلْوَتِنَا لَا نَسْتَطِيعُ إِذَا مَالَ نَرْفَعُهُ  
يُؤْوِدُنَا الشَّرُّ فِي الْبَلْوَى بِمُفْرَدِهِ حِينًا وَحِينًا يُعْطِينَا تَجْمَعُهُ  
مَاذَا يُرَادُ بِنَا وَالْقَهْرُ يَدْفَعُنَا وَلَا سِلَاحَ بِأَيْدِينَا فَندْفَعُهُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 71.

(2) المصدر نفسه، ص: 72.

(3) المصدر نفسه، ص: 73.

والملاحظ، على بنية القصيدة، أن الفعل يمثل الأساس الذي تقوم عليه وتقيم عليه بناءها التركيبي والدلالي، فيسبم الصورة بخصوصياته التعبيرية فينفخ فيها الروح ويث في الحركة والحياة، فتأتي الصور الجزئية متتابعة مستمدة طاقاتها التخيلية من الفعل -تحديداً الفعل المضارع ذا الدلالة الخاصة- الذي يتعدّد ويتنوّع ويتكاثر ويصنع من أجزاء الصورة لوحات ومشاهد.

وإن تكن الصورة في هذه القصيدة أفضل تعبير يفصح عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها للواقع كما يتخيّله، ويشكل إدراكه الجمالي الخاص للعالم، ويعبر عن تجربته الشعريّة والشاعر مستخدماً اللغة مرعياً النظام العام، لكنه يستخدمها بأسلوبه من خلال تشكيل علاقات لغوية معينة بين مفردات اللغة ليصور لنا رؤيته الخاصة أي صورته الشعريّة.<sup>(1)</sup> فإنّ التّشخيص الذي تمثّل في "خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعيّة، والانفعالات الوجدانيّة. هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانيّة، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلّها عواطف آدميّة، وخلق إنسانيّة تشارك بها الآدميين." <sup>(2)</sup> هو الوسيلة الناجعة في بناء الصورة في هذا السياق. ولا يخفى ما في (المسجد) من رمزيّة للإسلام الذي يأتي أن يفارق هذه الديار.

وتتأسس شعريّة الصورة على التّشخيص بوصفه "عنصراً رئيساً في عمليّة التّصوير الشعري؛ إذ عليه تتوقف جودة الصورة الشعريّة أو رداءتها، وهو دليل الملكة الخالقة التي تستمد قدرتها من باعثن نفسيين هما: سعة الشعور ودقته، فالشعور الواسع هو الذي يستوعب ما في الأرضيين والسّموات من الأجسام والمعاني، فإذا هي حياة كلّها، لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة. والشعور الدقيق هو الذي يتأثر بكل مؤثر ويهتز بكل هامسة ولامسة، فيستبعد جد الاستبعاد أن تؤثر فيه الأشياء ذلك التأثير وثوقه تلك البقطة وهي هامدة صفر من العاطفة حلّو من الإرادة." <sup>(3)</sup>

وقد يتم بناء الصورة بواسطة سلسلة من الصور الجزئية البسيطة الاستعارية وغيرها التي تترابط عن طريق العطف، وتتسع معتمدة على الوصف المفصل أو السرد أو الحوار دون أن تتجاوز الدائرة المرسومة، فتشكل صورة انشائية تتجمع على مستواها الأفقي مجموعة صور متعاقبة، يقول العشماوي في (سأؤلات طفل كويتي)<sup>(4)</sup>:

مَا جَرَى يَا أَبْتَاهُ؟  
وَلِمَاذَا امْتَشَقَ اللَّيْلُ حُسَامَ الرَّعْبِ  
وَأَرْتَجَّتْ عَلَى الْبَابِ خُطَاهُ

(1) يونس شنوان (الصورة وموضوعاتها في شعر ابن شهيد الندلسي) مجلة دراسات اندلسية، تونس، ع: 12، س: 1997، ص: 47.

(2) سيد قطب: التّصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط: 18، 1427هـ-2006م، ص: 73.

(3) عباس محمود العقاد: ابن الرومي حياته من شعره، المكتبة العصرية، بيروت، 1982، ص: 255.

(4) عبد الرحمن العشماوي: يا أمة الإسلام، ص: 22.

وَلَمَّاذَا جَاءَنَا الْفَجْرُ كَثِيًّا..  
 يَنْقُشُ الْمَأْسَاةَ فِي كُلِّ الْجِبَاهِ  
 وَلَمَّاذَا أَخْرَسَ الرَّشَاشُ وَالْمِدْفَعُ أَصْوَاتَ الشُّدَاهِ  
 وَلَمَّاذَا احْتَبَسَ الدَّمْعُ..  
 وَلَمْ تَحْتَمِلِ التُّطْقَ الشَّفَاهِ  
 مَا جَرَى يَا أَبْتَاهُ؟؟  
 حَوْلْنَا دَبَابَةٌ تَجْرِي وَأَشْبَاحُ غَزَاهِ  
 وَرَصِيفٌ يَذْرِفُ الدَّمْعَ عَلَى بُؤْسِ الْمَشَاهِ  
 وَرَصَاصُ أَحَابِيلِ طُعَاهِ  
 جَارُنَا الطَّيِّبُ أَرْدُوهُ قَتِيلًا  
 وَأَبُوهُ سَعْدٌ تَلَاهِ  
 وَأَخِي الْأَكْبَرُ مَا عَادَ إِلَى الدَّارِ  
 وَمَا عُدْنَا نَرَاهِ  
 النَّدَائَاتُ الَّتِي بُعِثَتْهَا لَا تُسْتَجَابُ  
 وَالْأَمَانِي أَصْبَحَتْ طَيْفَ سَرَابِ  
 وَالْمَغِيرُونَ يَصْبُونَ عَلَى أَحْسَادِنَا سَوَاطِ عَذَابِ  
 أَلْفَ جُنْدِيٍّ أَمَامَ الدَّارِ وَالِدَارُ خَرَابِ  
 أَلْفَ جُنْدِيٍّ فَمَاذَا يَطْلُبُونَ؟؟  
 وَلَمَّاذَا صَوَّبُوا أَسْلِحَةَ الْمَوْتِ إِلَيْنَا  
 وَلَمَّاذَا يَقْتُلُونَ..  
 وَلَمَّاذَا يَا أَبِي لَا يَرْحَمُونَ..  
 وَلَمَّاذَا سَرَقُوا لُقْمَةَ عَيْشِي..  
 نَهَبُوا كُلَّ ثِيَابِي..  
 هَدَمُوا مَدْرَسَتِي يَا أَبْتَاهُ

سَرَقُوا اللَّعْبَةَ مِنْ كَفِّي، وَأَقْلَامِي، وَحَبْرِي وَكِتَابِي  
 وَلَمَّاذَا يَا أَبِي.. لَمْ يَرْحَمُوا ضَعْفِي وَخَوْفِي وَآكْتِنَابِي

لَقَدْ أَدَّتْ بُنَى الْإِسْتِفْهَامِ بِالْأَدَاةِ (لَمَّاذَا) وَمَا الَّتِي تُهَيِّمُ عَلَى بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ إِلَى تَمَاسُكِ الصُّورِ  
 الْجَزَائِيَّةِ وَعَلَى وَحْدَةٍ بِنَائِهَا فِي إِطَارِ الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ، وَمَكْنَتِهَا مِنْ إِجْعَالِهَا بَعِيدًا عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّقْرِيرِ، وَأَسْهَمَتْ مِنْ  
 خِلَالِ الطَّاقَةِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ الَّتِي تَخْتَرْنَهَا عَلَى تَجْسِيدِ جَوَانِبِ مِنَ التَّجْرِبَةِ الْأَلِيْمَةِ الَّتِي جَسَمَهَا الشَّاعِرُ فِي حَيْرَةِ الطُّفْلِ  
 الْكُوَيْتِيِّ وَعَجَبِهِ وَهُوَ يَرَى مَا تَعَرَّضَ لَهُ شَعْبُهُ الْمُسْلِمُ عَلَى أَيْدِي شَقِيْقِهِ الْمُسْلِمِ. وَيُعَدُّ الْإِسْتِفْهَامُ فِي هَذَا السِّيَاقِ

انزياحاً فهو لا يهدف إلى تأديّة وظيفته الاستخباريّة؛ أي طلب الفهم وإنما ينحرف عن مقصده ودلالته الأصليّة إلى دلالة طارئة ووظيفة جديدة، فيعمل على خلق ثوثر انفعالي داخل النصّ يؤثّر في المتلقي ويهزّه، ويدع في مخيلته انطباعات عن الصورة التي لوّن جانباً من جوانبها.

وبالموازاة مع ما يثيره الانزياح التركيبي فقد تمثل الانزياح الدلالي في بنى الاستعارة في قوله:

مَا جَرَى يَا أَبْتَاهُ؟

وَلَمَّاذَا امْتَشَقَّ اللَّيْلُ حُسَامَ الرُّعْبِ

وَأَرْتَجَّتْ عَلَى الْبَابِ خُطَاهُ

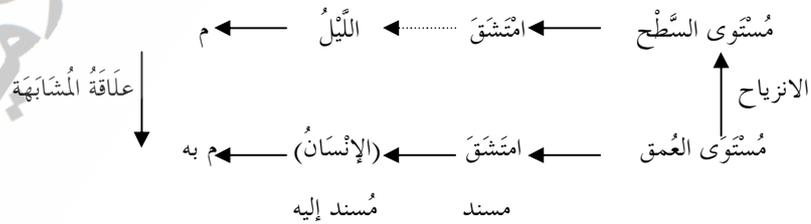
يجري الانزياح على صعيد الاستعارة المكنية ويؤدي وظيفته التّشخيصية، فقد أسند الشاعر الفعل (امتشق) إلى (الليل)، وهو يقتضي أن يكون المسند إليه شخصاً، ولكن الشاعر خرّق المألوف في الاستعمال اللغوي وأوجد علاقة جديدة في إسناد الفعل إلى غير ما هو له إلى كائن حيّ قاتلٍ ومُرعبٍ ومُخيفٍ، فاختار مُفردّة (الليل) وأحلّها في التّركيب على محور التّوزيع، وأزاح المفردة المقدّرة (الإنسان) وبدائلها (الجندي/المقاتل/المُحارب...) لإنتاج دلالة غير متوقّعة من بنيتها الجديدة.

وهو بذلك يُشخص (الليل) فقد أوقع الشاعر مُشابهةً بين (الليل) وبين (الإنسان/المقاتل) فكلاهما مُرعبٌ ومُفزعٌ ومُخيفٌ، فذكر المُشبهه وحذف المُشبه به تاركاً بعض آثاره أو لازماً من لوازمه على طريقة الاستعارة المكنية.

وقد دلّت بنية الاستعارة على الترهيب والتخويف وهول الموقف، وخلقت إيحاءً بالخطورة، أسهمت عناصر الصورة في تمثيله كبنية التّركيب (ارتجّت على الباب خطاه) والتّركيب الإضافي في الموازنة (حسام الرعب) التي جسّدت المعنوي المجرد في المادّي المحسوس.

وتتضح بنية الاستعارة من خلال التّرسيمّة التّالية:

بنية الاستعارة المكنية



وَوَاضِحٌ أَنَّ "الْعَمَلِيَّةَ الِاسْتِعَارِيَّةَ بِقَدْرِ مَا تُقِيمُ تَخَلُّخًا فِي مَظَاهِرِ الْوَاقِعِ الرَّاقِدَةِ لِتَفْتَحَ عَلَى أَنْقَاضِهَا عَالَمًا جَدِيدًا تُحَدِّثُ أَيْضًا تَخَلُّخًا مُعَادِلًا عَلَى مُسْتَوَى بِنْيَةِ الْجُمْلَةِ فَتَرَى الْفِعْلَ يُسْنَدُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ وَتُوصَفُ الْأَسْمَاءُ بِمَا لَا يَتَأْتِي لَهَا أَنْ تُوصَفَ بِهِ فِي الْوَاقِعِ وَيُضَافُ الْاسْمُ إِلَى مَا لَهُ صِلَةٌ فِي الطَّبِيعَةِ". (1)

تَتَجَلَّى الْعَمَلِيَّةُ الِاسْتِعَارِيَّةُ فِي هَذِهِ الْبَنَى عَلَى مُسْتَوَيْينَ:

- عَلَى مُسْتَوَى التَّرْكِيبِ: فِي إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ.

- عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ: فِي أُنْسَنَةِ مَا هُوَ غَيْرُ إِنْسَانِيٍّ.

فِي قَوْلِهِ:

مَا جَرَى يَا أَبْتَاهُ؟؟

حَوْلَنَا دَبَابَةٌ تَجْرِي وَأَشْبَاحٌ غَزَاهُ

وَرَصِيفٌ يَذْرِفُ الدَّمْعَ عَلَى بُؤْسِ الْمَشَاءِ

وَرَصَاصٌ أَحَابِيلُ طُعَاهُ

تَقُومُ بِنْيَةُ الِاسْتِعَارَةِ فِي (وَرَصِيفٌ يَذْرِفُ الدَّمْعَ عَلَى بُؤْسِ الْمَشَاءِ) بِوَضُوحَةٍ مُزْدَوِجَةٍ، فَعَلَى مُسْتَوَى التَّرْكِيبِ تَمَّ إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَعَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ تَمَّ أُنْسَنَةُ مَا هُوَ غَيْرُ إِنْسَانِيٍّ مِنْ خِلَالِ التَّشْخِصِ. فَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ اسْمٌ جَامِدٌ وَالْمُسْنَدُ فِعْلٌ يَتَطَلَّبُ فَاعِلًا يَكُونُ كَائِنًا حَيًّا أَيْ يَكُونُ إِنْسَانًا، فَقَدْ تَحَوَّلَ (الرَّصِيفُ) وَهُوَ الْأَرْضُ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ يَسِيرُ عَلَيْهَا الْمَشَاءُ إِلَى كَائِنٍ حَيٍّ لَهُ قَلْبٌ مُرْهَفٌ الْإِحْسَاسِ وَلَهُ عَيْنَانِ تَذْرِفَانِ الدَّمْعَ عَلَى بُؤْسِ هَوْلَاءِ الْمَشَاءِ، فَإِذَا ذَرَفَ الْجَمَادُ الْأَصْمُ الدَّمْعَ لِحَالِ الْأُمَّةِ فَكَيْفَ بِالْإِنْسَانِ الْحَيِّ. وَهِيَ صُورَةٌ تُثَبِّرُ فِي الْمُتَلَقِّيِّ أَكْثَرَ مِنْ شُعُورٍ وَتَحْمِلُ أَكْثَرَ مِنْ دِلَالَةٍ وَتُلْقِي أَكْثَرَ مِنْ سُؤَالٍ كَمَا حَدَّثَتْ فِي الْقَصِيدَةِ لِهَوْلِ الْوَاقِعَةِ وَصَدْمَةِ الْحَادِثَةِ.

فَقَدْ أَحَلَّتِ الِاسْتِعَارَةُ الْمُشَبَّهَ (الرَّصِيفُ) مَحَلَّ الْمُشَبَّهِ بِهِ (الكَائِنِ الْحَيِّ...) وَأَزَالَتْ هَذَا الْكَائِنَ مِنَ الْوَاجِهَةِ إِلَى الْخَلْفِ مُبْقِيَةً أَثَرًا مِنْ آثَارِهِ، أَيْ حَذَفَتْهُ مِنْ سَطْحِ الْبِنْيَةِ مُكْتَفِيَةً بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ بِلَازِمٍ مِنْ لَوَازِمِهِ (ذَرَفَ الدَّمْعَ)، وَتِلْكَ هِيَ طَرِيقَةُ الِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ. وَتَشَكَّلُ بِنْيَةُ الِاسْتِعَارَةِ بِنْيَةً اسْتِعَارِيَّةً تَخْيِيلِيَّةً مِنْ خِلَالِ إِسْنَادِ وَإِضَافَةِ أَحَدِ لَوَازِمِ الْمُشَبَّهِ بِهِ إِلَى الْمُشَبَّهِ، فَنَشِطَ الْخَيَالُ لِلِإِحَاطَةِ بِصُورَةِ اللَّيْلِ الَّذِي يَمْتَشِقُ حُسَامَ الرُّعْبِ وَبِصُورَةِ الرَّصِيفِ الَّذِي يَذْرِفُ الدَّمْعَ. وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ "كَانَتْ الِاسْتِعَارَةُ الْمَكْنِيَّةُ أَبْلَغَ، وَأَكْثَرَ تَأْثِيرًا فِي النَّفْسِ، وَأَجْمَلَ تَصْوِيرًا، ذَلِكَ

(1) رمضان صادق: شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، ص: 182.

لأنَّ العملَ الإبداعيَّ فيها أدقُّ منه في الاستعارة التَّصْويحيَّة، أَلَا تَرَى أَنَّهَا تَبْعَتْ الحَيَاةَ فِيمَا لَيْسَ بِحَيٍّ؟ وَتُبْرِ الحَرَكَةَ، وَتُنَمِّي الحَيَالَ، فَتُضْفِي حَمَالًا وَهِيَ تُضْفِي إِلَى الأَشْيَاءِ صِفَاتٍ تُزَيِّبُهَا وَتُجَمِّلُهَا. (1)

وللصُّورَتَيْنِ وَقَعُهُمَا الحَاصُّ فِي النَفْسِ، أَوْ فِيهِمَا (إِغْرَابٌ) فَالذَّلِيلُ يَمْتَشِقُ الحُسَامَ والرَّصِيفُ يذْرِفُ الدَّمْعَ، وَهَذِهِ مِنْ خَصَائِصِ البِنْيَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فَالشَّعْرُ "كَلَامٌ مَوْزُونٌ مُقْفَى مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُحِبِّبَ النَفْسَ إِلَى مَا قُصِدَ تَحْيِيئُهُ إِلَيْهَا، وَيُكْرَهُ إِلَيْهَا مَا قُصِدَ تَكْرِيهُهُ، لِتَحْمِلَ بِذَلِكَ عَلَى طَلْبِهِ أَوْ الهَرَبِ مِنْهُ، بِمَا يَتَضَمَّنُ مِنْ حُسْنِ تَخْيِيلٍ لَهُ، وَمُحَاكَاةٍ مُسْتَقَلَّةٍ بِنَفْسِهَا أَوْ مُتَّصِرَةٍ بِحُسْنِ هَيَاةِ الكَلَامِ، أَوْ قُوَّةِ صِدْقِهِ أَوْ قُوَّةِ شُهْرَتِهِ، أَوْ بِمَجْمُوعِ ذَلِكَ. وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَأَكَّدُ بِمَا يَقْتَرِنُ بِهِ مِنْ إِغْرَابٍ. فَإِنَّ الاسْتِعْرَابَ وَالتَّعَجُّبَ حَرَكَةٌ لِلنَّفْسِ إِذَا افْتَرَنَ بِحَرَكَتِهَا الحَيَالِيَّةِ قَوِي انْفِعَالُهَا وَتَأَثُّرُهَا. (2)

تَتَأَكَّدُ مِنَ النَّظَرِ فِي بِنْيِ الاسْتِعَارَةِ فِي التُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ مُلَاحَظَةً أَنَّ التَّشْخِيصَ مِنْ أَقْوَى تَقْنِيَاتِ الصُّورَةِ الاسْتِعَارِيَّةِ وَمِنْ أَتْبَرِ وَظَائِفِهَا.

فَإِنَّ بِنْيَ الاسْتِفْهَامِ هِيَ الأُخْرَى انْتِزَاحٌ بِسِمِ التَّرْكِيبِ وَالدَّلَالَةِ مَعًا كَبِنْيِ الاسْتِعَارَةِ الَّتِي تَعْتَمِدُهَا الصُّورَةُ وَتُسْتَهْمُ فِي شَعْرِيَّةِ القَصِيدَةِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الاسْتِفْهَامَ "عَبِيرٌ مُرْهَفٌ لِأَنَّهُ كَعَبْرِهِ مِنَ التَّعْبِيرَاتِ يُخْرِجُ المَعْنَى مِنْ إِسَارِ التَّحَدُّدِ وَوَحْدَةِ الجِهَةِ وَيُبْرِ حَاسَةً الإِشْكَالِ، وَبَعْدَ أَنْ تَكُونَ العِبَارَةُ الإِجْبَارِيَّةُ ذَاتَ صِفَةٍ-نَسْبِيًّا-يُصْبِحُ الاسْتِفْهَامُ ذَا صِفَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. مِنَ الحَقِّ أَنَّ مَعَارِضَ الاسْتِفْهَامِ تَتَوَعَّجُ، وَلَكِنْ مِنَ الحَقِّ-أَيْضًا-أَنَّ الجَانِبَ الهَامَّ فِي الاسْتِفْهَامِ لَيْسَ هُوَ خُرُوجُهُ عَنِ مَعْنَاهُ إِلَى مَعْنَى آخَرَ وَاحِدٍ. فَالخُرُوجُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مِنْ هَذَا القَبِيلِ يَهْمُ البَلَاغَةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَهْمُ الشَّعْرَ. الاسْتِفْهَامُ عِبَارَةٌ شَائِكَةٌ يَتَخَلَّصُ فِيهَا الشَّاعِرُ مِنْ رُكُودِ العِبَارَةِ المألُوفَةِ وَالصِّفَةِ الآليَّةِ الَّتِي تُلَابِسُ الوُضُوحَ. (3) وَقَدْ تَشْتَرِكُ البِنْيُ المُخْتَلِفَةُ فِي إِنتِجِ الدَّلَالَةِ المُتَمَاتِلَةِ، وَمَهْمَا قِيلَ عَنِ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ فَإِنَّ أَيَّ قَصِيدَةٍ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ صُورٍ، إِنَّهَا عَلَى أَحْسَنِ الفُرُوضِ، صُورٌ فِي سِيَاقٍ، صُورٌ ذَاتَ عِلَاقَةٍ، لَيْسَ بِيَعْضِهَا وَحَسْبُ وَإِنَّمَا عِلَاقَةٌ بِسَائِرِ مُكَوِّنَاتِ القَصِيدَةِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ دِرَاسَةَ الصُّورَةِ بِمَعزَلٍ عَنِ دِرَاسَةِ البِنْيِ الشَّعْرِيِّ تُعْبِرُ عَنِ رُؤْيِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ، مَهْمَا كَانَتْ عَمِيقَةً أَوْ مُحِيطَةً فَإِنَّهَا سَتُظَلُّ نَاقِصَةً مِنْ جِهَةٍ مَا، ذَلِكَ أَنَّ الصُّورَةَ وَإِنْ تَكُنْ لَهَا شَخْصِيَّتُهَا وَكِيَانُهَا الحَاصِّ فَإِنَّهَا تَبْقَى صُورَةً ضَمَّنَ تَكْوِينِ شَامِلٍ، حَجَرًا فِي بِنْيِ، أَوْ نَعْمَةً فِي لَحْنٍ هَرْمُونِيٍّ، أَوْ لَوْنًا أَوْ ظِلًّا أَوْ ضَوْءًا فِي لَوْحَةٍ. (4)

(1) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان والبدیع، ص: 183.

(2) حازم القرطاجني: منهاج البلاغة وسراج الأدباء، ص: 71.

(3) مصطفى ناصف: نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص: 51.

(4) محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الفني، دار المعارف القاهرة (د، ط)، (د، ت)، ص: 19.

وَتَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ قِيَمَةَ الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ تَتَأْتِي وَأَنَّ وَظِيْفَتَهَا تُؤَدِّي فِي حُدُودِ السِّيَاقِ الشُّعْرِيِّ الْمُتَوَلِّدَةِ فِيهِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ نَسِيحًا مِنَ الصُّوْرِ الْمُتَآزِرَةِ، وَإِذَا "انْفَصَلَتِ الصُّورَةُ الْجُزْئِيَّةُ عَنِ مَجْمُوعَةِ الصُّوْرِ الْأُخْرَى الْمُكَوِّنَةِ لِلْقَصِيدَةِ فَقَدَتْ دَوْرَهَا الْحَيَوِيَّ فِي الصُّورَةِ الْعَامَّةِ، أَمَا إِذَا هِيَ تَسَانَدَتْ مَعَ مَجْمُوعَةِ الصُّوْرِ الْأُخْرَى أَكْسَبَهَا هَذَا التَّفَاعُلَ الْحَيَوِيَّةَ وَالْحِصْبَ".<sup>(1)</sup> فَاقْتِطَاعُ صُورَةِ (أَشْجَارِ الْفُتُوحَاتِ تُهْلِلُ) أَوْ صُورَةِ (عَلَى الشَّاطِئِ تَخْتَالُ الْمَآذِنُ) مِنْ سِيَاقِهَا الْكَبِيرِ، الْمَقْطَعُ أَوْ الْقَصِيدَةُ، يُفْقِدُهَا دِلَالَتَهَا، وَلَكِنَّ إِدْرَاكَ الصُّورَتَيْنِ فِي سِيَاقِ الْقَصِيدَةِ يُمْكِنُ مِنْ فَهْمِ وَاسْتِعَابِ كُلِّ أَبْعَادِهِمَا وَعَلَاقَاتِهِمَا، يَقُولُ صَابِرُ عَبْدِ الدَّائِمِ فِي بَعْضِ مَقَاطِعِ قَصِيدَتِهِ (الْقَبُورِ الزُّجَاجِيِّ رِسَالَةً إِلَى ((مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ)))<sup>(2)</sup>:

أَيْهَا الْفَاتِحِ.. ضَيِّعْنَا مَفَاتِيحَ الْمَدَائِنِ!!!  
 وَنَسِينَا الْبَحْرَ.. وَالْمَوْجَ وَتَهْلِيلَ السَّفَائِنِ!!!  
 وَنَسِينِ الْخَيْلَ وَالرُّمْحَ.. وَأَسْرَارَ الْكَمَائِنِ  
 سُورَةَ الْفَتْحِ هَجَرْنَاهَا.. وَبَدَدْنَا صَدَاهَا  
 وَتَرَاءَيْتُ فِي حَنَائِنَا أَنْبِيَاءَ وَحَنِينًا  
 كُلُّ أَشْجَارِ الْفُتُوحَاتِ أَرَاهَا  
 عَارِيَاتٍ مِنْ رُؤَاهَا

مِنْ ثَمَارِ الْمَجْدِ...  
 فِي أَوْرَاقِهَا حَفَّتْ دِمَاءٌ  
 كُنْتُ تَسْقِيهَا شَدَاهَا

... ..

رَحَلَتْ ذَاكَرَتِي فِي مُدُنِ الشُّعْرِ...

... وَأَصَعْتُ لِأَمِيرِ الشُّعْرَاءِ

ي شُرُودٍ وَعِيَاءِ

((اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبِ

يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدَّدَ خَالِدَ الْعَرَبِ))

أَيُّ فَتْحٍ... يَا أَمِيرَ الشُّعْرِ فِي عَصْرِ الْفُتُوحَاتِ الْعَقِيمَةِ؟

أَيْهَا الْفَاتِحِ... ((إِنَّا.. قَدْ فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا..

كَانَ - بِالْحَقِّ - مُبِينًا))...

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 149.

(2) صابر عبد الدائم: قصيدة: (القبور الزجاجية) مجلة الأدب الإسلامي، س: 2، ع: 7، محرم 1416هـ ص: 106.

...وأبو أيوب فوق السور ما زال يُكَبِّرُ  
الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر

غلب الروم.. وأشجار الفتوحات تُهلل

... والتواقيس تُلَاشَتُ

والجياذ الصافات المؤمنات

في ميادين الوغى تصهل... بالفتح نُحَمِّمُ

وعلى الشاطئ تختال المآذن...

وتُصَلِّي وتُصَلِّمُ

... ..

أيها الفاتح.. هل ضاعت مفاتيح المدائن؟؟

... المحاريب فراغات وأشلاء مآذن!!!

والمصلون... يُعلون.. ويصلون سعيراً!!!

... ..

أيها الفاتح أقبل أنت مازلت فتاها

انزع السيف من القبو الزجاجي

فقد تهت وتاهها...!!!

إنَّ شِعْرِيَّةَ الصُّورَةِ بِنِيَةِ الاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ التَّشْخِصِيَّةِ التَّخْيِيلِيَّةِ فِي (عَلَى الشَّاطِئِ تَخْتَالُ الْمَآذِنُ) أَوْ شِعْرِيَّةِ الصُّورَةِ فِي الْمَزَاجَةِ التَّشْخِصِيَّةِ (أَشْلَاءُ مَآذِنٌ) لَا تُدْرِكُ فِي حُدُودِ الْبِنْيَةِ الْمُعْلَقَةِ الَّتِي جَرَى فِيهَا إِسْنَادُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُشَبَّهِ بِهِ إِلَى الْمُشَبَّهِ وَمَنْ جَرَى تَشْخِصُ الْمُشَبَّهِ أَوْ الْمَكَانِ الْجَامِدِ فَعَدَّتِ الْمَآذِنُ أَنْاسِي تَمْشِي فِي زَهْوٍ وَخِيَلَاءٍ وَعُجْبٍ وَإِنَّمَا تُدْرِكُ فِي النَّسَقِ الَّذِي زُرِعَتْ فِيهِ وَالسِّيَاقِ الشُّعْرِيِّ الَّذِي وُلِدَتْ فِيهِ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أَدَقِّ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ كَكُلِّ نَاطِمٍ لِأَجْزَائِهِ.

إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الصُّورِ فِي سِيَاقِهَا الشُّعْرِيِّ يَكْشِفُ عَنِ الْإِتِّصَالِ الْقَائِمِ بَيْنَهَا فِي ظِلِّ التَّمَّاسُكِ الشُّعُورِيِّ الَّذِي يَرْبُطُ بَيْنَ جَمِيعِ سَطُورِهَا، وَيَكْشِفُ عَنِ دَلَالَاتِهَا وَإِجْمَاعِهَا الَّتِي تَصَوِّرُ الْمَفَارِقَةَ بَيْنَ حَاضِرِ الْمُسْلِمِينَ وَمَاضِيهِمْ. إِنَّ الصُّورَ، هُنَا، تَتَفَاعَلُ وَتَتَدَاخَلُ وَتَتَدَمَّجُ فِي هَذَا الْخِطَابِ الَّذِي يُوجِّهُهُ الشَّاعِرُ إِلَى مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ مِنْ خِلَالِ بِنْيَةِ الْإِنِّشَاءِ الْمُتَكَرِّرَةِ مِنْ نِدَاءٍ وَأَمْرٍ وَاسْتِفْهَامٍ، إِنَّهَا بِنْيُ تَضْفِي الْحَرَكََةَ عَلَى النَّصِّ.

### 1-2-2- الصور التشبيهية المتعددة:

تَقُومُ الصُّورَةُ الْكَلِمِيَّةُ فِي هَذَا النَّوْعِ عَلَى تَعَدُّدِ الصُّورِ الْجُزْئِيَّةِ وَارْتِبَاطِهَا فِي سِيَاقِ شِعْرِيٍّ وَاحِدٍ يَجْعَلُهَا صُورَةً مُرَكَّبَةً أَوْ كَلِمِيَّةً وَاحِدَةً، وَتَرُدُّ هَذِهِ الصُّورَةَ وَاضِحَةً فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي يُجَسِّدُ فِيهَا الشَّاعِرُ شُعُورَهُ

بالاغتراب وإحساسه بالوحدة في مدينته بعد تغير أحوالها وهجرة أحبائه، فيلجأ إلى هذه الصورة المركبة التي تنطوي على مجموعة صور متنوعة متضاربة وإن تكن الطبيعة رافده المهم في بناء صورته، يقول وليد قصاب في قصيدة (الوجوه الأخرى)<sup>(1)</sup>:

تَغَيَّرَ وَجْهُ الْمَدِينَةِ  
وَعَابَتْ سُلَيْمَى، وَهِنْدُ، وَسُعْدَى، وَلَيْتَةُ  
وَلَا حَتَّ جَمِيعُ الْوُجُوهِ  
أَمَامِي هَجِينَةُ  
تُطَارِدُ ظِلِّي عَصَاهَا التَّخِينَةَ  
كَأَنِّي الْعَرِيبُ الشَّرِيدُ  
هُنَا فِي الْمَدِينَةِ  
فَالْمَقْطَعُ يَنْتَهِي بِنِيَّةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ تَرْتَكِزُ عَلَى الْأَدَاةِ (كَأَنَّ)، لِيَبْدَأَ الْمَقْطَعُ الْجَدِيدَ:

تَغَيَّرَ وَجْهُ الْمَدِينَةِ  
تَبَدَّلَ عَهْدُ الرُّضَى وَالسَّكِينَةِ  
وَأَيَّامُ لَيْلَى الْحَبِيبَةِ  
وَجَوْهٌ أَرَاهَا كَتِيبَةَ  
وَتَمَّ الْوُجُوهُ الْعَرِيبَةَ  
تُعَرِّبُ نَشْوَى بِخَمْرِ الرَّذِيلَةِ  
تَغِيبُ الْعُيُونُ الْأَصِيلَةَ  
فَيَنْدُو الصَّبَاحُ كَتِيبًا  
كَشَمْعَةٍ لَيْلٍ ذَلِيلَةٍ

... ..

تَرَكْتُ هُنَاكَ صَبِيَّةً  
كَمِثْلِ الْوُرُودِ نَقِيَّةً  
كَنَجْمَةِ صَبْحٍ بَهِيَّةً  
كَطَلْعَةِ فَجْرِ وَضِيَّةً  
تَرَكْتُ الصَّفَاءَ يَلُوحُ عَلَيْهَا  
تُطَلُّ الْبِرَاءَةَ مِنْ مُقَلَّتَيْهَا  
تُعَانِقُ طَهْرَ الْمَسَاءِ

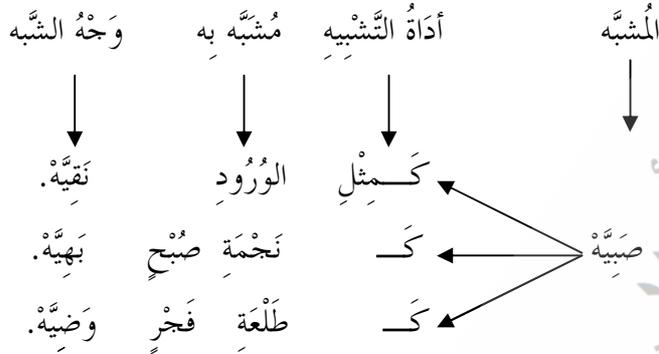
(1) وليد قصاب: صور من بلادي، ص: 36.

وَتَرَقُّصُ فَوْقَ جَنَاحِ الضِّيَاءِ

أَرَاهَا فَيَنْبُعُ حَوْلِي نَهْرُ الْوَفَاءِ

تَتَابَعُ سِلْسِلَةٌ مِنَ الصُّورِ الْجُرْتِيَّةِ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ، تَتَصَدَّرُهَا ثَلَاثُ تَشْبِيهَاتٍ مُرْسَلَةٍ مَفْصَلَةٍ، تَرْتَبُطُ

بَيْنَ الْمَشَبَّهِ وَالْمَشَبَّهِ بِهِ أَدَاةٌ (ك) وَيُشِيرُ الْوَصْفُ إِلَى وَجْهِ الشَّبَّهِ، وَتَأْخُذُ بِنَيْةِ التَّشْبِيهِ الشَّكْلَ الْآتِي:



-1

و"مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تُفَضَّلَ الصُّورَةُ الَّتِي تَنْقُلُنَا مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُجَرَّدَةِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْحِسِّيَّةِ، أَوْ تُوَضِّحَ الْمَعْنَوِيَّاتِ عَنِ طَرِيقِ مُقَارَنَتِهَا بِالْحِسِّيَّاتِ، وَبِالضَّرُورَةِ تُسْتَقْبَحُ الصُّورَةُ الَّتِي تَنْقُلُنَا مِنْ نِطَاقِ الْمَحْسُوسَاتِ إِلَى مَجَالِ الْمَعْنَوِيَّاتِ، أَوْ تُوَضِّحَ الْحِسِّيَّ عَنِ طَرِيقِ تَمَثُّلِهِ أَوْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَعْنَوِيِّ. وَمَا دَامَ التَّوَضُّيْحُ هُوَ الْأَصْلُ فَإِنَّ التَّقْلَةَ مِنَ الْمَعْنَوِيِّ إِلَى الْحِسِّيِّ تَعْنِي التَّقْلَةَ مِنَ الْمَجْهُولِ إِلَى الْمَعْلُومِ. وَالْحِسِّيُّ أَوْضَحُّ مِنَ الْمَعْنَوِيِّ لِأَنَّ الْفَهْمَ التَّنْفِيسَ بِهِ وَتَعَوُّدَهَا عَلَيْهِ مِنْذُ بَدَايَةِ وَعَيْهَا بِالْعَالَمِ." (1)

وقد تكونُ بِنَيْةِ التَّشْبِيهِ الوَسِيلَةُ الشَّعْرِيَّةُ الْمُنَاسِبَةُ فِي إِتْجَاحِ صُورٍ بَيَّانِيَّةٍ تُعَزِّزُ الْمَفَارِقَةَ بَيْنَ حَالَيْنِ وَبَيْنَ مَوْقِفَيْنِ، وَتَتَنَوَّعُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ تَبَعًا لِحُضُورِ عَنَّصَرِهَا أَوْ غِيَابِهَا، فَالْتَّمَطُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّشْبِيهِ قَائِمٌ عَلَى الْأَدَاةِ (مِثْلُ)، يَقُولُ وَلِيدُ قَصَّابٍ (2):

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ لِي أَرْضٌ وَبَيْتٌ

مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

كَانَ لِي حَقْلٌ، وَقَمْحٌ، وَغَلَالٌ

وَخَصَّادٌ، أَحْرَ الْعَامِ، وَمَالٌ

.....

كُنْتُ مِثْلَ النَّسْرِ عَزًّا وَإِبَاءً

وَإِخْتِيَالًا، وَشُمُوحًا، وَعَلَاءً

كُنْتُ أَحْيَا فَوْقَ أَرْضِي فِي سَلَامٍ

(1) جابر عصفور: الصورة الفنية، ص: 939.

(2) وليد قصاب: صور من بلادي، ص: 40.

فِي صَفَاءٍ وَأَمَانٍ وَوَيْامٍ

تَتَأَلَّفُ بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ الثَّانِي مِنَ الْمُشَبَّهِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ (ت)، وَأَدَاةِ التَّشْبِيهِ (مِثْلَ)، وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (النَّسْرُ)، وَوَجْهَ الشَّبْهِ الْمُتَعَدِّدِ (عِزًّا/إِبَاءً/اِخْتِيَالًا/شُمُوحًا/عَلَاءً)، وَتَشَكُّلِ بِاجْتِمَاعِ كُلِّ عُنَاوِيهَا تَشْبِيهًا مُرْسَلًا مُفَصَّلًا، قَدْ احْتَجَّ الشَّاعِرُ إِلَيْهِ لِبَيَانِ وَإِيضَاحِ الْحَالِ.

وَتَرْتَكِزُ الصُّورَةُ فِي الْمَقْطَعِ الْآتِيِ عَلَى التَّشْبِيهِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

ثُمَّ هَدَّتْنِي جِرَاحُ دَامِيَاتُ  
دَخَلَ الْأَوْغَادُ أَرْضِي وَالطُّعَاةُ  
دَخَلُوهَا لَعْنَةً صَبَّتْ وَمَقْتَا  
وَبَلَاءٌ شَامِلًا بَيْنَنَا فَبَيْتَا

وَتَتَأَلَّفُ بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ (الواو = الْأَوْغَادُ/الطُّعَاةُ) وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (لَعْنَةً/مَقْتَا/بَلَاءً)، وَقَدْ اقْتَصَرَتْ الْبِنِيَّةُ عَلَى الرُّكْنَيْنِ الْأَسَاسِيَيْنِ مُشْكَلَةً تَشْبِيهًا بَلِيغًا مُبَالِغَةً وَإِعْرَاقًا فِي الْأَدْعَاءِ بِأَنَّ الْمُشَبَّهَ هُوَ الْمُشَبَّهِ بِهِ ذَاتُهُ، فَذَكَرَ الْأَدَاةَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُشَبَّهَ أضعفُ فِي وَجْهِ الشَّبْهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَذَكَرَ وَجْهَ الشَّبْهِ يَدُلُّ عَلَى اشْتِرَاكِ الطَّرْفَيْنِ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ صِفَاتٍ دُونَ غَيْرِهَا. وَالْمُشَبَّهَ بِهِ قَدْ يَكُونُ خَبْرًا أَوْ خَبْرًا مُضَافًا أَوْ مَفْعُولًا أَوْ مَفْعُولًا مُضَافًا أَوْ مَصْدَرًا أَوْ مَفْعُولًا مُطْلَقًا أَوْ حَالًا.

وَتَتَأَلَّفُ بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ فِي الْمَقْطَعِ الْآتِيِ مِنْ نَمَطَيْنِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَدَاةِ، فَنَمَطٌ يَعْتَمِدُ الْأَدَاةَ (الْمُرْسَلُ)، وَيَتَأَلَّفُ مِنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ وَأَدَاةِ التَّشْبِيهِ وَوَجْهِ الشَّبْهِ، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ بِنِيَّةُ النَّمَطِ فِي:

- الْمُشَبَّهِ (الواو = الْأَوْغَادُ/الطُّعَاةُ) وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (القَضَاءُ) وَالْأَدَاةُ (ك) وَوَجْهِ الشَّبْهِ (؟).

- // وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (الرِّزَايَا) وَالْأَدَاةُ (ك) وَوَجْهِ الشَّبْهِ (كَالْحَاتِ).

- // وَالْمُشَبَّهِ بِهِ (الْبَلَاءُ) وَالْأَدَاةُ (ك) وَوَجْهِ الشَّبْهِ (؟).

وَبِهَذَا التَّشَكُّيلِ يَكُونُ التَّشْبِيهُ الْأَوَّلُ وَالثَّلَاثُ مُرْسَلًا مُجْمَلًا، وَيَكُونُ الثَّانِي مُرْسَلًا مُفَصَّلًا.

وَنَمَطٌ لَا يَعْتَمِدُ الْأَدَاةَ (المؤكد):

وَيَتَأَلَّفُ مِنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا النَّمَطُ فِي الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي لِلْفِعْلِ (تَرَكَ):

- الْمَشْبَّه: الدُّنْيَا وَالْمُشَبَّهَ بِهِ: عَوِيلاً/بِكَاءٍ/نِسَاءً/دِمَاءً.

وَبِهَذَا التَّشَكُّيلِ يَكُونُ التَّشْبِيهُ بَلِيغًا.

وَهِيَ جَمِيعًا مِنْ نَوْعِ تَشْبِيهِ الْمَحْسُوسِ بِالْمَعْقُولِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 41.

نَزَلُوهَا ذَاتَ يَوْمٍ كَالْقَضَاءِ  
كَالرِّزَايَا كَالْحَاتِ كَالْبَلَاءِ  
تَرَكُوا الدُّنْيَا عَوِيلاً وَبُكَاءَ  
وَنِسَاءً تَاكِلاتٍ وَدَمَاءَ  
وَتَحَلَّى بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ فِي الْمَقْطَعِ الْآتِي مِنْ خِلَالِ التَّشْبِيهِ الْمُرْسَلِ الْمُجْمَلِ فِي:  
-صَارُوا قَطِيعًا كَالْكِلَابِ.

وَمِنْ خِلَالِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ فِي:  
-صَارَتِ الْآهَةُ لَحْنًا لِلْكِبَارِ.

وَكِلَاهُمَا تَشْبِيهُ مَحْسُوسٍ بِمَحْسُوسٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

مَنْ بَقُوا صَارُوا قَطِيعًا كَالْكِلَابِ  
بَيْتُهُمْ فِي الرِّيحِ وَالْقَفْرِ الْيَبَابِ  
صَارَتِ الْآهَةُ لَحْنًا لِلْكِبَارِ  
مَاتَتِ الْبَسْمَةُ فِي عَيْنِ الصَّغَارِ

أَمَّا بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ الْمَهْمِنَةِ عَلَى هَذَا الْمَقْطَعِ فَهِيَ بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ فِي:

-أَضْحَى وَطَنِي الْعَالِي سَرَابًا.

-أَمْسَتْ مَعَانِيهِ يَبَابًا.

وَفِي:

-إِنَّهُ الْيَوْمَ ظِلَالٌ فِي الْخِيَالِ.

وَقَدْ شَبَّهَ الشَّاعِرُ مَحْسُوسًا بِمَحْسُوسٍ، يَقُولُ<sup>(3)</sup>:

ثُمَّ أَضْحَى وَطَنِي الْعَالِي سَرَابًا  
بَعْدَمَا أَمْسَتْ مَعَانِيهِ يَبَابًا  
إِنَّهُ الْيَوْمَ ظِلَالٌ فِي الْخِيَالِ  
كُلُّ مَنْ فِيهِ مَضَوْا نَحْوَ الزَّوَالِ

لَقَدْ أَوْهَمَ غِيَابُ الْأَدَاةِ وَوَجْهَ الشَّبْهِ فِي هَذِهِ الْبُنَى بِاتِّحَادِ الْمَشَبِّهِ وَالْمَشَبَّهِ بِهِ وَتَفَاعُلِهِمَا فِي نَظْرِ الشَّاعِرِ، فَالْوَطَنُ فِي هَذَا الظَّرْفِ لَا يَتَمَيَّزُ مِنَ السَّرَابِ وَمِنَ الظُّلَالِ، وَمَعَانِيهِ لَا تَتَمَيَّزُ مِنَ الْيَبَابِ، إِنَّ غِيَابَ الْأَدَاةِ الدَّالَّةِ عَلَى

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 41.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

التشبيه سَمَحَ يَاندِمَاجِ الطَّرْفَيْنِ وَتَدَاخُلِهِمَا وَسُقُوطِ الحَوَاجِزِ الفَاصِلَةِ. وَجَعَلَ غِيَابُ وَجْهِ لِلسَّبِّهِ التَّشْبِيهِ مُطْلَقًا وَنَفَى كُلَّ خُصُوصِيَّةٍ لِلْمُشَبَّهِ أَوْ الْمُشَبِّهِ بِهِ وَكُلَّ صِفَةٍ ذَاتِيَّةٍ تَضْمَنُ اسْتِقْلَالَهُمَا. فَقَدْ "صَارَ الْمُشَبَّهُ وَالْمُشَبِّهُ بِهِ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَفِي هَذَا مَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى اتِّحَادِ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبِّهِ بِهِ".<sup>(1)</sup>

وقد اتَّخَذَ التَّشْبِيهُ فِي المَقْطَعِ الْآتِي التَّمَطُّ:

- كُلُّ شَيْءٍ صَارَ ذِكْرِي لَا تُطَالُ.

- صَارَ كَالْغَيْمِ بَعِيدًا لَا يُنَالُ.

وَتُمَثِّلُ بِنِيَّةِ التَّشْبِيهِ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ تَشْبِيهًا مُؤَكَّدًا مُفَصَّلًا عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ جُمْلَةَ (لَا تُطَالُ) وَجْهَ الشَّبِّهِ، وَتُمَثِّلُ فِي التَّرْكِيبِ الثَّانِي تَشْبِيهًا مُرْسَلًا مُفَصَّلًا عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ جُمْلَةَ (بَعِيدًا لَا يُنَالُ) وَجْهَ الشَّبِّهِ.

وَيُصَنَّفُ التَّشْبِيهَانِ ضِمْنَ تَشْبِيهِ المَعْقُولِ بِالْمَعْقُولِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

الرِّفَاقُ العُرُّ والرَّبْعُ الكِرَامُ

وَالْأَمَانِي، وَالْحَكَايَا، وَالْعِرَامُ

كُلُّ شَيْءٍ صَارَ ذِكْرِي لَا تُطَالُ

صَارَ كَالْغَيْمِ بَعِيدًا لَا يُنَالُ

وَيَضُمُّ المَقْطَعُ الْأَخِيرُ تَشْبِيهَيْنِ، تُمَثِّلُ الْأَوَّلُ فِي التَّشْبِيهِ البَلِيغِ:

- إِنَّنَا الْيَوْمَ حَيَامٌ فِي البَوَادِي.

وَالثَّانِي فِي التَّشْبِيهِ المُرْسَلِ وَأَدَاتُهُ (مِثْلُ) فِي:

- لَمْ نَعُدْ نَاسًا لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ.

مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ.

وَالتَّشْبِيهُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي فَهُمَا مِنْ بَابِ تَشْبِيهِ المَحْسُوسِ بِالْمَحْسُوسِ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْإِفْرَادِ وَالتَّرْكِيبِ فَالْأَوَّلُ

تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ وَالثَّانِي تَشْبِيهُ مُرَكَّبٍ بِمُرَكَّبٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

إِنَّنَا الْيَوْمَ حَيَامٌ فِي البَوَادِي

وَجُمُوعٌ شُرِّدَتْ فِي كُلِّ نَادٍ

لَمْ نَعُدْ نَاسًا لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

مِثْلَمَا النَّاسُ لَهُمْ أَرْضٌ وَبَيْتٌ

(1) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأناقها، علم البيان والبدیع، ص: 58.

(2) المصدر نفسه، ص: 42.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والملاحظ أن البنى التشبيهية تتوالى مترابطة متصلة يوصل حلقاتها سلك شعوري واحد لتكون إطاراً تصويرياً كلياً يدمج البنى الجزئية في الصورة الكلية المركبة التي تجسد موضوعاً أو تيمة (الوطن المسلوب) الذي تحول إلى (أحلام قديمة) - وهو العنوان الذي اختاره الشاعر لفصيدته وينطوي على بنية تقابلية تقوم على ثنائية ضدية (حلم # واقع) بين عنصر حاضِر في السياق وآخر غائب يستدعيه الحاضر -، وتكشف الصورة الكلية بصورها الجزئية المتتابعة بعطف وبدونه، بوصفها بناءً مترابلاً لا ركاماً متراكباً، عن مفارقة أساسية كامنة في القصيدة بين طرفين يقتسمان مقاطع القصيدة، والطرفان تجسيد لواقعين أو حالين؛ واقع ماضٍ أو (كان) يلخصه قول الشاعر في مطلع القصيدة:

ذات يومٍ كان لي أرضٌ وبيتٌ

مثلما الناس لهم أرضٌ وبيتٌ

وواقعٍ راهنٍ أو (كائن) ويلخصه قوله في ختام القصيدة:

لم نعدُ ناساً لهم أرضٌ وبيتٌ

مثلما الناس لهم أرضٌ وبيتٌ

فالواقع الأول يمثل (الامتلاك) من خلال البنية المثبتة (كان لي)، وهو قيمة إيجابية، ويتوافق مع ما يجب أن يكون، والواقع الثاني يمثل (الفقد) من خلال البنية المنفية (لم نعد)، وهو قيمة سلبية، ويفترق مع ما يجب أن يكون وهو المعطى أو القانون الطبيعي الذي يقاس عليه ويتأسس بقوله:

مثلما الناس لهم أرضٌ وبيتٌ

إن المقابلة بمعنى أوسع ظاهرة ومضمرة، صريحة ومقدرة آلية مهمة من آليات بنية المفارقة التصويرية، فهي تجسد المعنى وتؤكد الدلالة من خلال سوق المعنى ونقيضه، وقد تكون جزئية أساسها التقابل اللفظي بين أكثر من ثنائية ضدية، أو بين سياقين جزئيين بمقطع من مقاطع القصيدة، وفي أحيان كثيرة نجدها كلية تحيط بالقصيدة وتربطها فنياً من خلال حالة شعورية واحدة تسيطر على الشاعر، نرى فيها النص ينشطر شطرين متقابلين لكنهما ممتزجان ملتحمًا البناء، مما يكون له أثره على بنائه ككل متماسك، رابطة شعورية، تعمل على وحدته كقالب فني متضمن في إطار تصويري كلي، كل جزء فيه مرتب بإحالة من الشعور المسيطر على الحالة الإبداعية، لكن هذا الكل التصويري المكتظ غالباً بالصور الجزئية إضافة لاعتماده على تلك الرابطة الشعورية المتفاوتة قوة وضعفاً من نصٍ لآخر نجد في لوحات كثيرة يعتمد على عنصر القص والحوار مما يساعد على

أداء البعد التصوري من ناحية وترابط النص وتماسكه من ناحية أخرى".<sup>(1)</sup> وهذا ما تميزت القصيدة ببعض  
بجمل هذه الخصائص.

توظف هذه القصيدة، إذا، الصور التشبيهية بكثرة لافتة وعبرت في رحابها عن ثنائية متعارضة، وربما يظهر  
أن الاتكاء عليها أمر يُناقض أهم سمات الموقف الفلسفي المعاصر، أي الطبيعة الصاهرة التي تذيب المتقابلات  
وتوحدّها، إلا أن هذا ليس صحيحاً على عواهنه، فعلاوة على أن العديد من الصور تقوم بالكاف فإنها تخضع  
لتغيرات جذرية لا تقف عند أعتاب ((الجامع في كل)) ولا وجه الشبه التام وإنما تتعداها إلى تركيبات أخرى  
تحسبها النفس الإنسانية وتنفعل قبل أن تفهمها عقلياً، وإذا أضفنا إلى هذا أن الشاعر المعاصر في محاولته إيجاد  
علاقات جديدة يجد نفسه أمام الخطوة الأولى خطوة إقامة المقارنة قبل أن يتعداها إلى خطوة الإدماج الصاهر  
أدركنا لماذا بقي التشبيه وبقى وساطة صورية من وسائط فن الشعر.<sup>(2)</sup> ومهما أوغل الشعر العربي في التحديد  
فسيظل مرتبطاً على نحو ما ببعض المظاهر الفنية في تراث الشعر العربي القديم<sup>(3)</sup>، فلبنية التشبيه، بوصفها أداة  
شعرية، أهميتها في تشكيل الصورة الشعرية في القصيدة الإسلامية العمودية والحرّة. وهي لا تقل عما لبنته  
الاستعارة أو بنية التراسل من أهمية.

إن أدق وصف للصورة المركبة في السياقات الشعرية السابقة أنّها صورة عضوية، ومن ثم فهي "تعبير  
إيحائي يوازي موقفاً أو حالة أو حلماً".<sup>(4)</sup> وهي إلى جانب ذلك "عنصر بنائي مترابط متداخل متلاحم  
وظيفي".<sup>(5)</sup> ومن أبرز وظائفها الخلق والتمو، وتقوم على الإيجاء والإيماء مما يحولها إلى موطن تتعدّد فيها  
الدلالات المتزاحمة، وتتمو هذه الصورة في ظل التحامها بالصور الأخرى فتشأبك العلاقات وتتوحد الوظيفة،  
فالقصيدة صورة أو بناء مترابط متتام موظف وتشكل كل صورة جزءاً من الصورة العامة.<sup>(6)</sup> وتتميز الصورة  
المركبة أو العضوية، أحياناً، بأنها "صورة داخلية إحساسية تختلف عن صور الواقع، فهي مختلفة عن المكان  
الواقعي ومتناسبة مع المكان النفسي، ولذلك هي تعتمد الخلق اللامألوف، ثم هي تُنشئ علاقات بين عناصر على  
درجة من التباعد في الواقع ما كان للعقل وحده أن يقارب بينهما".<sup>(7)</sup>

(1) عبد الباسط محمود: دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضي، ص: 440.

(2) نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص: 259.

(3) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص: 391.

(4) المرجع نفسه، ص: 105.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المرجع نفسه، ص: 106.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إنَّ تَحْلِيلَ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ أَوْ الْكُلِّيَّةِ، فِي تِلْكَ النَّمَازِجِ الشَّعْرِيَّةِ، إِلَى صُورٍ جُزْئِيَّةٍ مُفْرَدَةٍ يَكْشِفُ عَنْ تَدَاخُلِ الصُّورِ الْجُزْئِيَّةِ فِيهَا وَتَعَالُقِهَا وَتَضَافِرِهَا وَتَكَامُلِهَا وَتَرَابُطِهَا فِي تَشْكِيلِ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ الْكُلِّيَّةِ إِذْ إِنَّ هَذِهِ الصُّورِ الْجُزْئِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ "لَا تَنْفَصِلُ عَنْ بَعْضِهَا، بَلْ تَدْخُلُ فِي عِلَاقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي مَا بَيْنَهَا، فَقَدْ تَمَحَّوْرُ حَوْلَ صُورَةٍ رَحْمِيَّةٍ مَرْكَزِيَّةٍ تُؤَطِّرُ الْقَصِيدَةَ بِكَامِلِهَا، وَبَاقِي الصُّورِ فُرُوعٌ لَهَا، وَقَدْ تَتَشَكَّلُ الْقَصِيدَةُ مِنْ صُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ يَنْتَظِمُهَا خَيْطٌ رَابِطٌ، فَتَمْتَدُّ عَلَى شَكْلِ مُتَغَيِّرَاتٍ لِثَابِتٍ بِنْيَوِيٍّ وَاحِدٍ".<sup>(1)</sup>

---

(1) علي المتقي: القصيدة العربية المعاصرة بين هاجس التنظير وهاجس التجريب، ص: 230.

جامعة الأمير عبد المنار للعلوم الإسلامية

1-3- نَسَقُ الصُّورَةِ الرَّمَزِيَّةِ:

الرَّمْزُ سِمَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ مُلَازِمَةٌ لِلنَّصِّ الْأَدَبِيِّ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَلِلنَّصِّ الشَّعْرِيِّ، بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، فَـ"الْحِطَابُ الْأَدَبِيُّ، عُمُومًا، حِطَابٌ رَمَزِيٌّ فِي الْإِعْتِبَارِ الْأَوَّلِ؛ فَهُوَ رَمَزِيٌّ فِي مُحَصَلَتِهِ النَّهَائِيَّةِ، وَرَمَزِيٌّ، فِي حَلَقَاتِهِ الْجُزْئِيَّةِ النَّامِيَّةِ. أَيْ أَنَّهُ جُهْدٌ تَعْبِيرِيٌّ يَحْتَشِدُ بِالذَّلَالَاتِ الرَّمَزِيَّةِ الَّتِي تَتَفَاوَتُ، حَيَوِيَّةً وَفَرَادَةً مِنْ شَاعِرٍ إِلَى آخَرَ." (1) وَيَعُدُّ الرَّمْزُ "شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ التَّعْبِيرِ الْجَمَالِيِّ." (2) وَهُوَ فِي حَقِيقَتِهِ "صُورَةٌ الشَّيْءِ مُحَوَّلًا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، بِمُقْتَضَى التَّشَاكُلِ الْمَجَازِيِّ، بِحَيْثُ يَعْدُو لِكُلِّ مِنْهُمَا الشَّرْعِيَّةُ فِي أَنْ يَسْتَعْلَنَ فِي فِضَاءِ النَّصِّ." (3) أَوْ "مَوْضُوعٌ يُشِيرُ إِلَى مَوْضُوعٍ آخَرَ لَكِنْ فِيهِ مَا يُؤْهِلُهُ لِأَنْ يَتَطَلَّبَ الْإِتْبَاهَ أَيْضًا إِلَيْهِ لِذَاتِهِ، كَشَيْءٍ مَعْرُوضٍ." (4)

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ عِلَاقَةٍ بَيْنَ الصُّورَةِ وَالرَّمْزِ فَإِنَّهُ لِكَيْ "يَتَشَكَّلَ الرَّمْزُ الْفَنِّيُّ يَجِبُ أَنْ يَمُرَّ عَبْرَ الصُّورَةِ." (5) وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الرَّمْزَ شَكْلٌ فَنِّيٌّ مِنْ أَشْكَالِ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَلَا يَنْفَصِلُ اخْتِيَارُهُ فِي تَشْكِيلِ الصُّورَةِ عَادَةً عَنْ سَائِرِ أَفْكَارِ الْقَصِيدَةِ، وَإِنَّمَا تَظَلُّ أَصْدَاؤُهُ تَتَجَاوَبُ فِي أَنْحَاءِ الْقَصِيدَةِ، مُؤَكَّدَةً لِشَيْءٍ مَا، فَلَيْسَ اخْتِيَارُهُ تَعَسُفًا أَوْ اغْتِبَاطِيًّا وَإِنَّمَا تَدْعُو إِلَيْهِ كَذَلِكَ ضَرُورَةٌ نَفْسِيَّةٌ. (6) وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا يُشَكَّلُ الرَّمْزُ مُحَوَّرَ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فَتَنْهَضُ بِنِيَّةِ الصُّورَةِ "مِنْ أَبْعَادِ الرَّمْزِ الْإِيْحَائِيَّةِ، وَتَتَأَسَّسُ عَلَيْهَا، بِحَيْثُ إِنَّ الْإِيْحَائِيَّةَ الصُّورَةَ تَقُومُ عَلَى الْإِيْحَائِيَّةِ الرَّمْزِيَّةِ." (7)

وَمِنْ هَذَا الْمَنْظُورِ فَالرَّمْزُ "مُرْتَبِطٌ كُلُّ الْارْتِبَاطِ بِالتَّجْرِبَةِ الشُّعُورِيَّةِ الَّتِي يُعَانِيهَا الشَّاعِرُ، وَالَّتِي تَمْنَحُ الْأَشْيَاءَ مَعْرَى خَاصًّا. وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا هُوَ فِي ذَاتِهِ أَهْمٌ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ إِلَّا بِالنِّسْبَةِ لِلنَّفْسِ وَهِيَ فِي بُورَةِ التَّجْرِبَةِ، فَعِنْدَئِذٍ تَتَفَاوَتُ أَهْمِيَّةُ الْأَشْيَاءِ وَفِيْمَتُّهَا. ذَلِكَ أَنَّ التَّجْرِبَةَ - كَمَا قُلْنَا - هِيَ الَّتِي تَمْنَحُ الْأَشْيَاءَ أَهْمِيَّةً خَاصَّةً." (8)

وَيُصَنَّفُ الرَّمْزُ، فِي الْعَالِبِ، إِمَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى طَبِيعَتِهِ أَوْ مَصْدَرِهِ وَإِمَّا بِالِاسْتِنَادِ إِلَى وَظِيفَتِهِ وَدَوْرِهِ، وَتَبَعًا لِذَلِكَ فَيُمْكِنُ تَصْنِيفُ الرَّمْزِ إِلَى رَمَزٍ كُلِّيٍّ وَآخَرَ جُزْئِيٍّ، فَالرَّمْزُ الْكُلِّيُّ يَكُونُ الْإِطَارَ الَّذِي يَسْتَوْعِبُ الرُّوْيَةَ الشَّعْرِيَّةَ فِي الْقَصِيدَةِ أَوْ النَّوَاةَ الَّتِي تَمَحَوَّرُ حَوْلَهَا التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ بِكُلِّ عَنَاصِرِهَا، وَتُسَخَّرُ لَهَا جَمِيعُ الْوَسَائِلِ الشَّعْرِيَّةِ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْقَصِيدَةَ تَتَكَيُّ عَلَى رَمَزٍ وَاحِدٍ وَتُفَعِّلُ كُلَّ طَاقَاتِهِ وَتَسْتَشِيرُ كُلَّ إِجْزَائِهِ، وَتُطَلِّقُ كُلَّ دِلَالَتِهِ، وَتَسْتَقْطِبُ جَمِيعَ أَبْعَادِهِ. وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَتَحَوَّلُ الرَّمْزُ إِلَى أَدَاةٍ فَنِّيَّةٍ مِنْ أَجْلِ الْأَدَوَاتِ الَّتِي تُجَسِّدُ الرُّوْيَةَ الشَّعْرِيَّةَ وَتُبْرِزُ مَلَامِحَهَا. وَلَا ضَرَرَ مِنَ النَّاحِيَّةِ الْفَنِّيَّةِ أَنْ تَظْهَرَ فِي فَلَكَ الرَّمْزِ الْكُلِّيِّ رُمُوزٌ جُزْئِيَّةٌ تُسَهِّمُ فِي آدَاءِ الرَّمْزِ الْكُلِّيِّ لَوْظِيفَتِهِ أَوْ تُسَاعِدُهُ فِتْرَفِدُهُ بَعْضُ الدَّلَالَاتِ الْجَانِبِيَّةِ الْإِضَافِيَّةِ وَتُشِيرُ إِلَى بَعْضِ الْأَبْعَادِ، وَتُسَهِّمُ جَمِيعًا فِي بِنَاءِ

(1) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، دراسات جمالية في الحداثة الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص: 45.

(2) المرجع نفسه، ص: 69.

(3) المرجع نفسه، ص: 71.

(4) رينيه وليك وأوستين وارن: نظرية الأدب، ص: 243.

(5) عثمان حشلاف: الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، منشورات التبيين/المحاضرة، الجزائر، (د، ط)، 2000، ص: 5.

(6) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 140.

(7) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 80.

(8) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 198.

الصورة، فيظهر الرمز الكلي كرمز مركزي محوري في القصيدة. بينما يكون الرمز الجزئي هامشيًا يدور في فلك الأول كعنصر من عناصر منظومته، ويكتفي بإضاعة بُعد من أبعاد الرؤية الشعرية المتنوعة. وقد لا يكون كذلك فيأتي مستفلاً بدللته وإجائه في قصيدة تنزع إلى حشد الرموز المتراكمة.

وظفت القصيدة الإسلامية أنساقًا متنوعة من الرموز لإثراء بنيتها الدلالية وإغناء تجاربها الإبداعية وتجسيد رؤاها الشعرية، وقد ارتأى البحث أن تتم مقارنة الرمز الشعري في القصيدة من خلال تصنيفه، بحسب التوظيف الفني، في نسقين متميزين، تندرج في إطارهما أصناف من الرموز الخاصة والعامّة - ومع ذلك، يمكن تقسيم الرمز إلى خاص وعام<sup>(1)</sup> - وتوزع أنواع من الرموز التراثية التاريخية والدينية والصوفية وغيرها، وهما:

### 1-3-1- النسق الرمزي الكلي:

إن التوظيف الكلي للرمز يجعله يمتد على مساحة القصيدة، ويتجدد ظهوره عبر مقاطعها بدله اللفظي أو بدللته الإيجائية، فهو يعمل بطريقة ما على تماسك وحدتها وكتلة بنيتها، ويمثل الرمز الكلي، عامًا أو خاصًا، البؤرة التي تفجر الدلالة وتولد الشعور في القصيدة.

وقد تنوعت الرموز الكلية في متن الشعر الإسلامي، وكتفي بمقاربة نماذج منها للوقوف على بنيتها ودلالاتها وظائفها في بنية الصورة وفي بنية القصيدة.

### 1-1-3-1- الرمز الإنساني:

تعد الشخصيات الإسلامية المختلفة أبرز مصادر تشكيل الرمز الشعري الإنساني في الشعر الإسلامي المعاصر، وهي، بهذا الوصف، "ليست تاريخًا يروى، وليست سيرة يجللها الشاعر، وإنما استدعاءؤها يأتي في إطار رمزي قصصي غير محدد بأسوار التاريخ، وغير خاضع لمنطقه المحكم، وهذا الاستدعاء الفني له ما يبرره في تجربة الشاعر المعاصر، فهو يتكئ على المفارقة التصويرية واللغوية مسلطًا الشعور الناقد أو الرافض أو المتعاطف مع حركة الحياة المعاصرة".<sup>(2)</sup> ومن الشخصيات الإسلامية الرموز التي مثلت محور كثير من التجارب الشعرية شخصية بلال بن رباح الحبشي<sup>(3)</sup>.

يتواتر رمز (بلال) في متن الشعر الإسلامي المعاصر، وتُستدعى شخصيته بواسطة آليات استدعائية مختلفة، بطريقة مباشرة بالعلم أو بطريقة غير مباشرة بالقول أو بالدور، فالشاعر أحمد محمود مبارك (1947م-....) يستدعي شخصيته (بلال) دون التصريح باسمها أو دون تعيينها بالعلم الدال عليها، ولكن السياق الشعري يشير إليها، فهذا السياق يحدد موقفًا معينًا تعرضت له هذه الشخصية، هو الصبر على الابتلاء العظيم، والثبات على

(1) نعيم الياني: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص: 230.

(2) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: 96.

المبدأ برغم قساوة التعذيب<sup>(\*)</sup>، وقد اشتمل السياق الشعري على بعض القرائن اللغوية (فوق صدرك صخرٌ ونداؤك التوحيد...). وقد استدعى الشاعر الشخصية الرمزية بالقول (أحد... أحد)، والقول إحدى آليات استدعاء الشخصية التراثية، وهي تتمثل في توظيف الشاعر لقول يتصل بالشخصية سواء كان صادراً عنها أو موجهاً إليها، ويصلح للدلالة عليها في آن، بحيث تُصبح وظيفة هذا القول وظيفة مزدوجة: التفاعل الحر مع شفرات النص، واستحضار صورة الشخصية في ذهن المتلقي.<sup>(1)</sup> وقد كان موضوع التجربة الشعرية وهو ما يتعرض له أهل البوسنة والهرسك المسلمون من ألوان التعذيب وصنوف التنكيل لإسلامهم وثباتهم على العقيدة داعياً لاستلهاهم موقف شخصية بلال، يقول في قصيدة (إلى سرايفو) مستعيراً صوت ((بلال))<sup>(2)</sup>:

((يا سرايفو)) فوق صدرك صخرٌ ونداؤك التوحيد لم يُحن هاما  
 ((أحد)) أطلقت من القلب ثورا شقّ درباً إلى العلى وتسامى  
 ((أحد)) أطلقت من القلب عزماً ليس يخشى مجازراً وحماما  
 إيه يا زهرة الفسوحات صبراً إن للحق عودةً وانتقاما  
 بعد يشرق الصباح ويسري في روايبك ظافراً بساما  
 فدماء الشهيد - حتماً - ستعدو سيف نصر وحفلاً مقداما  
 إن صرح الطغاة مهما تعالي بيد الحق سوف يعدو حطاما

ويعيد الشاعر استلهاهم شخصية ((بلال)) بالآلية ذاتها، في تجربة شعرية مماثلة يتخللها التناص التآلفي الذي يُحيل إلى نص آخر أو يستدعي شخصية أخرى وموقفاً آخر للصبر والثبات أشد وأعظم؛ موقف التضحية بالنفس في سبيل هذه العقيدة، وذلك يدعم الدلالة أو المعنى الذي يريد الشاعر تأكيده، يقول الشاعر في هذا المقطع من قصيدة (صوت من البوسنة)<sup>(3)</sup>:

يا من حكمت بشرعة الشيطان..

إن دمي مباح

فاقتل ودمر كيف شئت

أطفئ بدمي حقدك المتضمرًا..

(\*) فقد كان بلال الحبشي - وقد أسلم - يُخرجهُ مولاه (أمية بن خلف)، إذا حميت الظهيرة، فيطرحه في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله، لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول - وهو في ذلك البلاء - أحد، أحد. فمر به أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فأعطى أمية غلاماً أسوداً أجلد منه وأخذ منه بلالاً واعتقه. ينظر: الندوي: السيرة النبوية، ص: 109.

(1) أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (د، ط)، 1998، ص: 155.

(2) رابطة الأدب الإسلامي العالمية: ديوان البوسنة والهرسك، ص: 63.

(3) المصدر نفسه، ص: 64.

وَإِخْسَاءً فَإِنِّي لَنْ أَبِيعَ عَقِيدَتِي..

رَاضٍ أَنَا بِمَنْيَتِي،

مَا دُمْتُ أَقْتُلُ مُسْلِمًا..

وَوَاضِحٌ أَنَّ الشَّاعِرَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الشَّخْصِيَّةِ وَيُعْبَرُ بِهَا لِيَكُونَ أَقْوَى تَأْثِيرًا فِي الْمُتَلَقِّي، وَالشَّخْصِيَّةُ الْمَقْصُودَةُ

هِيَ الشَّخْصِيَّةُ الثَّانِيَةُ وَرَاءَ الْقَوْلِ:

رَاضٍ أَنَا بِمَنْيَتِي،

مَا دُمْتُ أَقْتُلُ مُسْلِمًا..

وَهِيَ شَخْصِيَّةُ (حُبَيْبِ بْنِ عَدِي) وَالْقَوْلُ يُحِيلُ إِلَيْهَا مَبَاشَرَةً (\*). أَمَّا فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ، فَقَدْ كَانَ

التَّعْبِيرُ بِلِسَانِ شَخْصِيَّةِ (بِلَالٍ)، يَتَوَحَّدُ الشَّاعِرُ بِالْبُسْنِيِّ الْمُسْلِمِ الْمُضْطَّهِدِ وَيَتَمَاهَى مَعَ قِنَاعِهِ وَهُوَ شَخْصِيَّةُ (بِلَالٍ)

وَيُخَاطَبُ الصَّرْبِيُّ الظَّالِمَ بِمَا خَاطَبَ بِهِ (بِلَالٌ) (أُمِّيَّةً)، فَيَقُولُ:

يَا أَيُّهَا الصَّرْبِيُّ..

كُلُّ صُخُورِكَ الْعَمِيَاءِ،

فَوْقَ عِظَامِي،

إِنْ حَطَمْتَ صَدْرِي،

فَلَنْ تَعْتَالَ صَبْرِي

أَوْ تَمَسَّ بِمُهْجَتِي - إِسْلَامِي

فَأَنَا لَهَا..

وَأَقُولُهَا..

((أَحَدًا..أَحَدًا...))

مَهْمَا اسْتَشَارَ الْبَطْشُ وَالْحِقْدُ اتَّقَدَّ..

(\*). فَ"فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ لِلْهَجْرَةِ طَلَبْتُ ((عُضْلًا)) وَ((الْقَارَةَ)) نَفَرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لِيَعْلَمُوهُمْ، فَبَعَثَ مَعَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَنَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، مَعَهُمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَحُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى ((الرَّجِيعِ)) وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ ((عَسْفَانَ)) وَمَكَّةَ، عَدَرُوا بِهِمْ، قَالُوا: لَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: لَا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا وَلَا عَقْدًا، وَقَاتَلُوا الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلُوا، وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ، وَحُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ، فَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَأَسْرَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ فِي الطَّرِيقِ، وَأَمَّا حُبَيْبُ بْنُ زَيْدٍ، فَبَاعَهُمَا مِنْ فُرَيْشٍ، وَابْتَاعَ حُبَيْبًا حَجِيرُ بْنُ أَبِي أَهَابٍ، لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أَهَابَ، وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمِّيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ. وَأَخْرَجُوا زَيْدًا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ فُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ! أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِكَ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ، قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ، وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَحْصَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، ثُمَّ قَتَلَ. وَأَمَّا حُبَيْبٌ، فَلَمَّا جَاؤُوا بِهِ لِيَصْلُبُوهُ، قَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدْعُونِي حَتَّى أَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ، فَافْعَلُوا، قَالُوا: دُونَكَ، فَارْكَعْ، فَارْكَعَ رَكَعَتَيْنِ، أَمَّهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ تَنْظُرُوا إِلَيَّ إِذَا طَوَّلْتُ جَزَعًا مِنَ الْقَتْلِ لَأَسْتَكْرَهْتُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَنْشُدَ بَيْتَيْنِ:

فَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَشْئَاءِ شَيْءٍ مُمَزَّعٍ". ينظر: الندوي: السيرة النبوية، ص: 208.

سُبْحَانَهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ..

بِالنَّصْرِ رَبِّي قَدْ وَعَدْتُ..

وَهُوَ الْكَفِيلُ بِمَا وَعَدْتُ..

وَيَبْضَحُ أَنَّ النَّصِينَ كَانَا فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى شَخْصِيَّةٍ (بِلَالٍ) أَوْ رَمَزِهِ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الشُّعُورِيَّةِ الْمِلْحَةِ، فَدَلَالَةُ الشَّخْصِيَّةِ أَوْ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ مِنْ مَوَاقِفِهَا فِي الصَّبْرِ وَتَحْمُلِ الْأَذَى فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ أَوْ دَلَالَةُ الرَّمَزِ الشُّعْرِيِّ تَتَقَيَّدُ، مِنْ نَاحِيَةٍ، بَعْدَ التَّجْرِبَةِ الشُّعُورِيَّةِ الْخَاصَّةِ، فَالتَّجْرِبَةُ الشُّعُورِيَّةُ تَسْتَدْعِي، بِمَا لَهَا مِنْ خُصُوصِيَّةٍ فِي كُلِّ عَمَلٍ شُعْرِيٍّ، الرَّمَزُ الْقَدِيمَ لِكَيْ تَجِدَ فِيهِ التَّفْرِيعَ الْكُلِّيَّ لِمَا تَحْمِلُ مِنْ عَاطِفَةٍ أَوْ فِكْرَةٍ شُعُورِيَّةٍ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ الرَّمَزُ الْمُسْتَعْدَمُ قَدِيمًا، وَهِيَ الَّتِي تُضْفِي عَلَى اللَّفْظَةِ طَابَعًا رَمَزِيًّا بَأَنَّ تَرَكُّزَ فِيهَا شَحْنَتَهَا الْعَاطِفِيَّةَ أَوْ الْفِكْرِيَّةَ الشُّعُورِيَّةَ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ الرَّمَزُ جَدِيدًا. (1) وَقَدْ وَجَدَ الشَّاعِرُ فِي الرَّمَزِ الْإِسْلَامِيِّ الْقَدِيمِ مَا يَحْمِلُ عَنْهُ عِبَاءَ التَّجْرِبَةِ شُعُورِيًّا وَفِكْرِيًّا، وَقَدْ هَيَأَ لِلرَّمَزِ سِيَاقًا يَحْتَضِنُهُ بِكُلِّ أْبْعَادِهِ، فَدَلَالَةُ الشَّخْصِيَّةِ أَوْ الرَّمَزِ تَتَقَيَّدُ، مِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ، بَعْدَ السِّيَاقِ الْخَاصِّ، فَالشَّاعِرُ حِينَ يَسْتَعْدِمُ رَمَزًا جَدِيدًا يَخْلُقُ السِّيَاقَ الْخَاصَّ الَّذِي يُنَاسِبُ الرَّمَزَ، فَالرَّمَزُ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَسِيلَةٌ لِتَحْقِيقِ أَعْلَى الْقِيَمِ فِي الشُّعْرِ، هُوَ أَشَدُّ حَسَاسِيَّةً بِالنَّسْبَةِ لِسِيَاقِ الَّذِي يَرِدُ فِيهِ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الصُّورَةِ أَوْ الْكَلِمَةِ. وَالْقُوَّةُ فِي أَيِّ اسْتِعْدَامٍ خَاصٍّ لِلرَّمَزِ تَعْتَمِدُ عَلَى السِّيَاقِ الشُّعْرِيِّ الَّذِي يُضْفِي عَلَى الرَّمَزِ طَابَعًا شُعْرِيًّا يَنْقُلُ الْمَشَاعِرَ الْمَصَاحِبَةَ لِلْمَوْقِفِ وَتَحْدِيدَ أْبْعَادِهِ التَّفْسِيَّةِ. وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَنْبَغِي تَفْهَمُ الرَّمَزِ فِي السِّيَاقِ الشُّعْرِيِّ، وَفِي ضَوْءِ الْعَمَلِيَّةِ الشُّعُورِيَّةِ الَّتِي تَتَّخِذُ مِنْهُ أَدَاةً وَوَاجِهَةً لَهَا. (2) إِنَّ السِّيَاقَ الشُّعُورِيَّ فِي الْقَصِيدَتَيْنِ أَوْ التَّجْرِبَتَيْنِ كَانَ وَرَاءَ اخْتِيَارِ شَخْصِيَّةِ (بِلَالٍ) وَالتَّفَاعُلِ مَعَهَا، وَإِضَافَةِ بَعْدٍ مِنْ أْبْعَادِ الدَّلَالَةِ الَّتِي يَزْحَرُ بِهَا الرَّمَزُ.

وَيَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ مِنْ خِلَالِ اسْتِلْهَامِ هَاتَيْنِ الشَّخْصِيَّتَيْنِ التَّارِيخِيَّتَيْنِ أَوْ هَذَيْنِ الرَّمَزَيْنِ الْإِسْلَامِيَّيْنِ وَالتَّعْبِيرِ بِهِمَا أَوْ مِنْ خِلَالِهِمَا أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْهُمَا قِنَاعَهُ الرَّمَزِيَّ، فَقَدْ جَرَّبَ الرَّمَزَ (بِلَالٍ) فِي قَصِيدَتَيْنِ بِهَدَفِ تَنْمِيَّتِهِ وَجَعَلَهُ رَمَزًا خَاصًّا وَتَحْوِيلَهُ إِلَى قِنَاعٍ، وَتَكَرَّرُ الرَّمَزُ يُسَاعِدُ عَلَى شَحْنِ فِضَائَاتِهِ بِشَرَاءِ شَخْصِيَّةٍ، وَحَرَارَةِ دَاخِلِيَّةٍ تُعَمِّقُ مِنْ عَائِدِيَّةِ الرَّمَزِ إِلَى هَذَا الشَّاعِرِ دُونَ سِوَاهِ. وَبِذَلِكَ يُتَّحُ لِلرَّمَزِ أَنْ يُؤَكِّدَ، دَائِمًا وَبِشَكْلِ نِهَائِيٍّ، قَرَابَتَهُ إِلَى الشَّاعِرِ، وَأَنَّ دَمَهُ الْمُضِيءَ يَنْتَمِي لِلْفِصِيلَةِ ذَاتِهَا، وَهَكَذَا يَرْتَبِطُ الرَّمَزُ، فِي وَجْدَانِ الْمُتَلَقِّي، بِدَلَالَاتٍ وَتَرَابُطَاتٍ هِيَ مَفَاتِيحُ أَسَاسِيَّةٌ تُعِينُهُ عَلَى فَهْمِ أَعْمَالِ الشَّاعِرِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي إِكْمَالِ دِلَالَتِهَا. (3)

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العبي المعاصر، ص: 199.

(2) المرجع نفسه، ص: 200.

(3) علي جعفر العلاق: في حادثة النص الشعري، ص: 68.

والملاحظ أن الشاعر وظف (الرمز/القناع) في القصيدتين توظيفاً جزئياً يحتل جزءاً من القصيدة، أي المقطع الثاني في كليهما، وفي هذا التوظيف يتماهي الصوتان من خلال الحديث بضمير مفرد المتكلم (أنا)، ولكن هذا التماهي يظل في حيز من القصيدة طويل أو قصير، لكنه لا يشملها، وهو استشهاد على معاناة يعيش فيها الشاعر ضمن القصيدة الغنائية، ويكثر هذا الاستشهاد من الشخوص الدينية. (1) كما أن الشاعر قد استلهم الشخصيتين استلهاماً متوازياً فلم يخالف ما عرف عن الشخصيتين من مواقف وما بدر عنهما من أقوال، وكان في كل ذلك يحيل إلى قناعيه متلفظاً بضمير المتكلم ومتناساً مع شخصيته.

والشخصيات من هذا النوع وبما تمتلكه من فاعلية دلالية صالحة لتكون رموزاً قوية لتجسيد الرؤية والموقف في أزمنة المحن والابتلاءات.

ويستدعي الشاعر محمود مفلح الشخصية/الرمز بالية العلم (بلال) لتحديد الشخصية المقصودة في ذهن المتلقي على خلاف ما تقدم من نصوص، يقول الشاعر في قصيدته (جيل الصحوة)، وتتألف بنية القصيدة من ستة مقاطع، يعد المقطع الخامس الذي استدعى فيه الشاعر شخصية (بلال) أطول المقاطع، فقد اشتمل على أربعة عشر سطراً، واستفرغ فيه الشاعر أكبر دفقة شعورية، فكان سياقاً مناسباً لاستثمار الرمز واستدعاء الشخصية، أما المقطع الثالث فهو بمثابة التمهيد لما بعده وإضاءة للبعد المهم الذي تنطوي عليه الشخصية المستدعاة أو للموقف الذي لفت نظر الشاعر وأراد تثبيته. وأما المقطع الرابع، فهو أيضاً يوميئ إلى بعد آخر في الشخصية المستدعاة، يقول الشاعر في المقطع الثالث (2):

وأقول حيَّ على الفلاح

..أقول حيَّ على السَّلاح

فإنَّ فيكَ التَّبَضُّعَ يورِقُ بينَ تَرْتِيلِ الظَّهيرةِ والمساءِ

..وأقولُ يا جيلَ الفداءِ

..أكلتْ مواسمنا الجنادِبُ

..واستبدَّ الحوَاهُ

وغادرتنا آخرُ السُّحُبِ الحَمِيمَةِ في السَّماءِ

يبدأ هذا المقطع بملفوظ لغوي (وأقول حيَّ على الفلاح) يحيل إلى نص الأذان، وإذا كانت الدعوة إلى الصلاة الجامعة فيه فلاح الدنيا والآخرة، فإن دعوة جيل الصحوة الإسلامية إلى أن يحمل مسؤوليته الشرعية في التعبير المنشود والتهضة المنتظرة، وإذا كان الشاعر يتوافق مع عبارته مع نص الأذان ويحقق شيئاً من تناسل التألف فإنه

(1) خليل الموسى: بنية القصيدة العربية المعاصرة، ص: 212.

(2) محمود مفلح: إنما الصحوة، ص: 38.

يُضِيفُ لِلتَّوْمَلْفُوظِ آخَرَ.. أَقُولُ حَيَّ عَلَى السَّلَاحِ) لَا تَرْبِطُهُ بِالْأَوَّلِ آيَةٌ رَابِطَةٌ مِنْ أَدَوَاتِ الْعَطْفِ أَوْ الْوَصْلِ، وَيَتْرُكُ الشَّاعِرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَوَّلِ عِلْمَةً حَذْفِ لِيَتَأَوَّلَ الْمُتَلَقِي الدَّلَالَةَ الْمُضْمَرَةَ. وَيُشَكِّلُ الْمَلْفُوظُ الْجَدِيدُ تَنَاصًّا تَخَالَفِ مَعَ الْمَلْفُوظِ الْمَذْكُورِ وَنَصِّ الْأَذَانِ الْعَائِبِ، فَالشَّاعِرُ يَدْعُو جَيْلَ الصَّحْوَةِ إِلَى الْجِهَادِ أَوْ يَدْعُوهُ إِلَى مَسْئُولِيَّةٍ أُخْرَى تَتَطَلَّبُ الْقُوَّةَ وَالْعُدَّةَ وَتَسْتَلْزِمُ التَّضَحِّيَّةَ، فَلَا يَزَالُ بَعْضُ مَنْ أَوْطَانَ الْمُسْلِمِينَ مَعْصُوبًا، بَلْ لَا يَزَالُ ثَالِثُ أَسْمَى الْأَمَاكِنِ وَالْمَوَاطِنِ فِي الْأَرْضِ مَأْسُورًا.

إِنَّ الْإِحَالََةَ إِلَى نَصِّ الْأَذَانِ بِالْمَلْفُوظِ الْأَوَّلِ عَلَى سَبِيلِ الْإِتْفَاقِ وَالْإِحَالََةَ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِلَافِ تُؤَسِّسُ لِمَرَحَلَتَيْنِ فِي مَسِيرَةِ الصَّحْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَهَذَا مَا يُسْتَنْبِطُ مِنْ نَصِّ الْأَذَانِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الشَّاعِرَ اسْتَدْعَى بِالْقَوْلِ أَوْ بِالذَّوْرِ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي نَالَتْ شَرَفَ (الْأَذَانِ) أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ (\*)، فَقَدْ ارْتَبَطَتْ شَخْصِيَّةُ (بِلَالٍ) ﷺ بِحَدَثٍ عَظِيمٍ وَهُوَ فَتْحُ مَكَّةَ وَإِعْلَانُ هَذَا الْفَتْحِ بِالْأَذَانِ. وَفِي هَذَا الْمَقْطَعِ رُمُوزٌ جُزْئِيَّةٌ تَرَسُّمٌ بِدِلَالَتِهَا لَوْحَةً لِلْحَالِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، مِنْ ذَلِكَ (الْجَنَادِبُ) وَ(الْحَوَاةُ) فَهَمَّا رَمَزَانُ لِلْمُسْتَبِدِّينَ وَالْمُسْتَعْلِينَ، وَ(الْمَوَاسِمِ) فِيهِ رَمَزٌ لِخَيْرَاتِ الْأُمَّةِ. وَيَقْتَضِي الرَّمْزُ الْأَسَاسُ (بِلَالٍ) يَبْسُطُ ظِلَّهُ فِي بَنِيَّةِ الْمَقْطَعِ. وَيَتَوَجَّهَ الشَّاعِرُ، فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي، بِالْخِطَابِ إِلَى (جَيْلِ الصَّحْوَةِ)، وَيُشَكِّلُ الرَّمْزُ (أَحْبَارُ الْيَهُودِ) مَحْوَرًا فِي بَنِيَّةِ الصُّورَةِ، فَ"إِنَّ بَنِيَّةَ الصُّورَةِ فِيهِ تَنْهَضُ مِنْ أبعادِ الرَّمْزِ الْإِيحَاتِيَّةِ، وَتَتَأَسَّسُ عَلَيْهَا. بِحَيْثُ إِنَّ إِيحَاتِيَّةَ الصُّورَةِ تَقُومُ عَلَى إِيحَاتِيَّةِ الرَّمْزِ". (1) يَقُولُ فِي الْمَقْطَعِ الرَّابِعِ (2):

أَنْتَ الَّذِي يَقْتَاتُ جَمْرَ الْمَرْحَلَةِ  
هَذَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا.. هَذَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا  
.. فَاقْرَأْ عَلَى تِلْكَ الرُّؤُوسِ (الرَّزْلَكَ)..

فِي هَذِهِ الصُّورَةِ يَتَّضِحُ جَلِيًّا أَنَّ الرَّمْزَ (أَحْبَارَ الْيَهُودِ) هُوَ بُورَةُ الدَّلَالَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فَقَدْ تَجَمَّعُوا وَحَشَدُوا وَأَعَدُّوا مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ لِاجْتِنَاتِ جَيْلِ الصَّحْوَةِ وَالْفِدَاءِ مِنْ جُدُورِهِ فِي فِلَسْطِينَ، وَهُوَ الْجَيْلُ الَّذِي قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَنْوَبَ عَنْ جَمَاهِيرِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْ أَقْدَسِ مُقَدَّسَاتِهَا، وَقُدِّرَ لَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ الْأَذَى الْبَالِغَ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ أَضْفَى الْمَقْطَعُ الصَّوْتِي الْمَكْرُرُ الْمَفْتُوحُ (هَذَا... هَذَا) أَنْفَعَالًا خَاصًّا مِنْ خَلَالِ التَّنْبِيهِ عَلَى الْخَطَرِ الْمُحْدِقِ مِنْ تَجَمُّعِ هَؤُلَاءِ وَحَشَدِهِمْ، وَلَا يَنْفَعُ التَّجَمُّعُ وَلَا الْحَشْدُ يَوْمَ تُرْزَلُ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ زَلْزَالًا، وَهَذَا مَا يُؤَدِّيهِ اسْتِدْعَاءُ سُورَةِ (الرَّزْلَكَ) بِكُلِّ أَحْوَاءِ الْفِرْعِ وَمَظَاهِرِ الْهَلَعِ الَّتِي تَحْتَوِيهَا، بِوَاسِطَةِ التَّنَاصِّ، فَالْمَعْرَى الْمُرَادُ قِيَامَةُ هَذَا الشَّعْبِ

(\* ) فِي فَتْحِ مَكَّةَ أَمَرَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ بِلَالٍ ﷺ بِالصُّعُودِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ بِالْأَذَانِ عَلَى الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ، وَهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ تَعْلُو، وَيَرُونَ أَرْجَاءَ مَكَّةَ تَرْتَجُّ بِالْأَذَانِ، حِينَ قَالَ لَهُ: "يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ". ينظر: الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، ص: 94.

(1) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 80.

(2) محمود مفلح: إنما الصحوة، ص: 28.

لِلأَخْذِ بِحَقِّهِ وَالِاقْتِصَاصِ مِنْهُ. وَلَعَلَّ رَابِطًا صَوْتِيًّا قَائِمًا بَيْنَ السَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي تَتَّصَدَّرُ جُمْلَتَاهُ  
الاسْمِيَّتَانِ بِـ(هَآ) التَّنْبِيهِ وَبَيْنَ آيَاتِ (الزَّلْزَلَةِ) الْمُتَنَهِيَةِ بِمَقْطَعِ صَوْتِيٍّ مُمَآثِلٍ، هُوَ (هَآ)؛ أَيِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ فِي فَوَاصِلِ  
الآيَاتِ، وَهُوَ مَقْطَعٌ يَنْقُلُ شَيْئًا مِنْ سِيَاقِ الْإِنْسَانِ الْمَذْهُولِ وَالْمَفْاجَأُ بِهَوْلٍ مَا يَرَى.

وَفِي هَذَا الْمَقْطَعِ يَظْهَرُ اسْتِدْعَاءُ الشَّخْصِيَّةِ بِالِاسْمِ الَّذِي عُرِفَتْ بِهِ مِنْ خِلَالِ صِيغَةِ التَّدَاؤِ (يَا بِلَالُ)، يَتَلَمَّسُ  
مِنْهُ أَنْ يَقْرَأَ مَا تَيْسَّرُ، أَوْ أَنْ يَصْدَعَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ كَمَا صَدَعَ بِهَا يَوْمَ الْفَتْحِ، أَوْ أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ ((الْمُؤْمِنُونَ)) وَفِي  
اسْتِدْعَاءِ هَذِهِ السُّورَةِ اسْتِدْعَاءٌ لِبَعْضِ دَلَالَاتِ آيَاتِهَا وَقَدْ تَكُونُ الْآيَةُ الْأُولَى مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قَدْ  
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فَإِنَّ الْفَلَاحَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ (1):

اقْرَأْ عَلَيْنَا بِاسْمِ رَبِّكَ مَا تَيْسَّرَ يَا بِلَالُ

.. الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ

وَنَحْنُ فِي وَقْدِ الظَّهِيرَةِ

.. كَمْ نَتَوَقَّعُ إِلَى الظُّلَالِ

اقْرَأْ عَلَيْنَا ((الْمُؤْمِنُونَ)) وَشَدَّ قَوْسَكَ..

.. إِنْ قَوْسَكَ لَا تَطِيَّشُ بِهَا النَّبَالَ

وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ اسْتِدْعَاءَ أَسْمَاءِ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ لَمْ يَأْتِ تَرْبِيئًا لَفْظِيًّا بَلْ كَانَ مِنْ قَبِيلِ التَّلْمِيحِ إِلَى مَعَانٍ وَدَلَالَاتٍ  
خَاصَّةٍ تَقْتَضِيهَا التَّجْرِبَةُ الَّتِي يَخُوضُ الشَّاعِرُ غَمَارَهَا لِتَعْمِيقِ التَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ وَمَدِّ جُذُورِهَا وَرَبْطِهَا بِمَا هُوَ  
مُشْتَرِكٌ، فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، مِنْ انْفِعَالٍ وَخِيَالٍ وَتَوَجُّهِ فِكْرِيٍّ وَحَضَارِيٍّ. (2)

أَمَّا مُحَمَّدُ التَّهَامِيُّ فَاسْتِدْعَاؤُهُ لِشَخْصِيَّةِ (بِلَالٍ) أَوْ تَوْظِيْفُهُ لِلرَّمْزِ فَلِدَلَالَةٍ أُخْرَى وَبَعْدَ ثَانٍ لَمَحَهُ فِي هَذِهِ  
الشَّخْصِيَّةِ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ عَظَمَةِ الْإِسْلَامِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةِ (أَذَانِ بِلَالٍ) (3):

قُمْ يَا بِلَالُ وَعُدْ إِلَيْنَا بِالْأَذَانِ وَرَدِّدْ

خَلَّ الْخَلَّاتِقُ كُلَّهَا فِي نُورِ صَوْتِكَ تَهْتَدِي

مَا ضَرَّ أَنْتَ أَسْوَدُ فَنَدَاكَ كَالْفَجْرِ النَّدِي

وَالنَّاسُ حَوْلَكَ كُلُّهُمْ مِنْ أَيْبُضٍ أَوْ أَسْوَدِ

يَتَجَمَّعُونَ وَيَهْرَعُونَ إِلَى نَدَاكَ الْمُسْعِدِ

لَا يَنْظُرُونَ لِلْوَنَنِ فِي عَالَمٍ مُتَوَحِّدِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 39.

(2) المختار حسني: مفهوم التناسخ خصوصية التوظيف في الشعر الإسلامي المعاصر بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: 1، 1428هـ-2007م، ص: 117.

(3) محمد التهامي: يا إلهي، ص: 35.

جَمَعَ الْقُلُوبَ جَمِيعَهَا فِي الْمَظْهَرِ الْمُتَعَدِّدِ

فَتَعَالَ أذُنُ يَا بِلَالُ.. تَعَالَ.. لَأ تَتَرَدَّدِ

وَأَغْسِلِ جَهَالَتَنَا وَمَا صَرْنَا إِلَيْهِ وَجَدَّدِ

وَأَمْسَحْ هُرَاءَ الْمُدَّعِينَ وَنُحْبَةَ الرِّمَنِ الرَّدِيِّ

فـ(بلال)صَنِيعَةُ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ بَوَّأَهُ الْإِسْلَامُ هَذِهِ الْمُرْتَبَةَ فَعَلَا الْجُمُوعَ يَوْمَ فَتْحِ، وَلَمْ يَكُنْ لَوْثُهُ أَوْ نَسْبُهُ أَوْ وَضْعُهُ الْاجْتِمَاعِيُّ، لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ وَلَا لِيَتَخَلَّفَ بِهِ عَنِ اللَّحَاقِ بِرُكْبِ الْإِيمَانِ، فَقَدْ سَاوَى الْإِسْلَامُ بَيْنَ النَّاسِ؛ بَيْنَ الْعَرَبِيِّ وَالْأَعَجَمِيِّ وَبَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ وَجَعَلَ التَّقْوَى مِيزَانَ التَّفَاضُلِ وَمِيزَانَ التَّسَابُقِ، فَجَمَعَ بَيْنَ بِلَالِ الْحَبَشِيِّ وَصُهَيْبِ الرَّومِيِّ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ. وَقَدْ اسْتَدْعَى الشَّاعِرُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ بِالذَّاتِ لِئُوكِّدَ عَظَمَةَ الدِّينِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْعُنْصُرِيَّةَ وَلَا يَسْمَحُ بِالطَّبَقِيَّةِ، فَالْكُلُّ سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ.

وَيَسْتَحْضِرُ مُحَمَّدَ الْمُنْتَصِرِ الرَّيسُونِيَّ شَخْصِيَّةَ (بِلَالِ) ﷺ لِيَمْنَحَهُ هُوِيَّةً جَدِيدَةً فِي قَصِيدَتِهِ (بِلَالُ الْأَفْغَانِي) وَهِيَ هُوِيَّتُهُ الْأَفْغَانِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَفِي الْقَصِيدَةِ تَحْضُرُ شَخْصِيَّةُ (بِلَالِ) بِكَثَافَةٍ مَلْحُوظَةٍ، فَقَدْ تَوَاتَرَ هَذَا الْعَلَمُ تِسْعَ مَرَّاتٍ، وَتَرَجَّعَ إِلَيْهِ مُعْظَمُ ضَمَائِرِ الْغَيْبَةِ، فَالشَّاعِرُ يُعْبِرُ مِنْ حِلَالِ الشَّخْصِيَّةِ، وَفِي ذَلِكَ تَأْكِيدٌ عَلَى أَهْمِيَّةِ الدَّلَالَةِ أَوْ الْبُعْدِ الَّذِي تُجَسِّدُهُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الشَّاعِرِ، فَجَعَلَهُ يَنْتَقِي هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ مِنْ بَيْنِ غَيْرِهَا لِتَصُوغَ التَّجْرِبَةَ الْمَعَاصِرَةَ، وَيَنْفَعِلَ مَعَهَا وَجِدَانِيًّا أَوْ يَتَعَاطَفُ مَعَهَا، ثُمَّ يُشَكِّلُهَا شِعْرِيًّا، وَيَسْنِدُ إِلَيْهَا أَدْوَارًا تَتِمَّاتِلُ مَعَ تِلْكَ الَّتِي اضْطَلَعَتْ بِهَا فِي تَارِيخِهَا الْقَدِيمِ، وَيَبْعَثُهَا فِي غَيْرِ الْأَرْضِ الَّتِي نَشَأَتْ فِيهَا، فَـ(بِلَالُ) بَاتَ فِي (كَبُولِ) أَرْضِ الْجِهَادِ وَمَلْحَمَةِ الْإِسْلَامِ الْمَعَاصِرَةَ، وَبَاتَ أَفْغَانِيًّا، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

بِلَالُ فِي كَبُولِ بَاتَ فِي حَبْسِ

بَطَافَتُهُ تَقُولُ بَأَنَّهُ مُسْلِمٌ

شَهَادَتُهُ تَقُولُ بَأَنَّهُ مُسْلِمٌ

مَحَبَّتُهُ تَقُولُ بَأَنَّهُ مُسْلِمٌ

أَبُو جَهْلٍ يُجَرِّدُهُ مِنَ الثَّوْبِ

أَبُو لَهَبٍ يُمَزِّقُ جِلْدَهُ ضَرْبًا

بِلَالُ فِي كَبُولِ بَاتَ فِي حَبْسِ

أَذَاقُوهُ صُنُوفَ الذُّلِّ وَالرَّجْسِ

(1) محمد المنتصر الريسوني: قصيدة (بلال الأفغاني) مجلة المشكاة، ع: 14، 1983، ص: 93.

فَمَا وَهَنْتُ قُوَاهُ وَبَاحَ بِالسَّرِّ  
تَحَدَى ظُلْمَةَ الْقَهْرِ  
وَأَمْسَى شَاهِدَ الْعَصْرِ  
جُرُوحٌ تَلْعَقُ الْجِسْمَا  
قُرُوحٌ تَنْشُرُ الْقَيْحَا

.....

يُجَرِّدُ الشَّاعِرُ شَخْصِيَّةَ (بِلَالٍ) مِنْ لَقَبِهَا الْأَوَّلِ (الْحَبَشِيِّ) وَيَخْلَعُ عَلَيْهَا لَقَبًا آخَرَ (الْأَفْغَانِيَّ) كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ ((بِلَالُ الْأَفْغَانِيَّ))، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ لَا يَعُدُّ هَذِهِ الْأَلْقَابَ أَوْ الْأَوْصَافَ الْمُتَنَابِئَةَ هُوِيَّةً حَقِيقِيَّةً لِلشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَحْضَرَةِ، وَإِذَا كَانَ الْاسْمُ الْمُبَاشِرُ يُمَثِّلُ إِشَارَةً تَعْيِينَ فَقَطُّ، فَإِنَّ اللَّقَبَ يُمَثِّلُ إِشَارَةً تَوْصِيفٍ وَتَعْيِينَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ حَيْثُ يُمَكِّنُ الْاعْتِمَادُ عَلَى هَذَا الْمُرْتَكِزِ الدَّلَالِيِّ، بِوَصْفِهِ خُطْوَةً أُولَى لِلتَّفَرِيقِ بَيْنَ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ. (1) وَلَكِنَّ اللَّقَبَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَفِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا فِي تَعْيِينِ أَوْ تَوْصِيفِ الشَّخْصِيَّةِ، لِأَنَّ الْاسْمَ الْمُبَاشِرَ أَكْثَرُ شُهْرَةً وَدُبُوعًا مِنَ اللَّقَبِ، وَتَوْفِيقُ الشَّاعِرِ فِي تَوْظِيفِ الصِّعْغَةِ الْاسْتِدْعَائِيَّةِ تَوْظِيفٌ فَنِيًّا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الدُّبُوعِ الَّذِي يُمَكِّنُ الْمُتَلَقِّيَّ مِنْ تَحْدِيدِ الشَّخْصِيَّةِ/الرَّمْزِ وَالْمَعْرَى مِنَ التَّوْظِيفِ، وَيَتَعَلَّقُ بِالسِّيَاقِ الَّذِي تَحُلُّ فِيهِ الشَّخْصِيَّةُ أَوْ الرَّمْزُ. وَفِي الْقَصِيدَةِ تَحْوَلُ الشَّاعِرُ بِالشَّخْصِيَّةِ (بِلَالٍ) مِنْ لَقَبِهَا الْأَوَّلِ (الْحَبَشِيِّ) إِلَى لَقَبِهَا الثَّانِي (الْأَفْغَانِيَّ) لِإِحْدَاثِ مُفَارَقَةٍ تَسْتَوْفِقُ الْمُتَلَقِّيَّ وَتَحْتَهُ عَلَى الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ عَلَى هُوِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَهَذَا مَا بَسَطَهُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ؛ فَبَطَاقَةُ التَّعْرِيفِ أَوْ الْهُوِيَّةِ لَا تَذْكُرُ أَيَّ لَقَبٍ أَوْ وَصْفٍ مِنَ الْأَلْقَابِ وَالْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ سِوَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَالشَّهَادَةُ الَّتِي أَفَادَ لَمْ تُخْبِرْ بِشَيْءٍ سِوَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَلَمْ تُكُنْ مَحَبَّتَهُ أَوْ هَوَاهُ أَوْ وِلَاءَهُ لِغَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَهَكَذَا تَكُونُ هُوِيَّتُهُ الْأَصْلِيَّةُ الْإِسْلَامَ وَمَوْطِنُهُ الْإِسْلَامَ حَيْثُمَا حَلَّ أَوْ نَزَلَ فَهُوِيَّتُهُ الْإِسْلَامَ.

وَلَعَلَّ الْمَوْقِفَ الْبُطُولِيَّ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَهُوَ مَا شَدَّ انْتِبَاهَ الشَّاعِرِ وَجَعَلَهُ يَمُدُّ الْجُسُورَ بَيْنَ تَجَرِّبَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُتَفَعِّلَةِ إِعْجَابًا وَتَعْظِيمًا وَتَبْجِيلًا وَتَعْضِيدًا وَبَيْنَ تَجَرِّبَةِ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الْخَالِدَةِ، وَيَتَحَدَّدُ ذَلِكَ الْمَوْقِفُ فِي تَحْمُلِ الْأَذَى وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَلَمِ فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْمَوْقِفِ وَالاعْتِرَافِ بِالْوَلَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ (أَحَدٌ... أَحَدٌ)، وَيَعُدُّ الشَّاعِرُ ذَلِكَ اعْتِرَافًا بِالسَّرِّ الَّذِي يُبَاحُ فِي مُفَارَقَةٍ فَنِيَّةٍ جَمِيلَةٍ قَوْلِهِ: ((فَمَا وَهَنْتُ قُوَاهُ وَبَاحَ بِالسَّرِّ))، فَمَا يَنْتَظِرُهُ الْمُتَلَقِّيُّ أَنْ يَقُولَ الشَّاعِرُ: ((وَهَنْتُ قُوَاهُ وَبَاحَ بِالسَّرِّ)) - بَعْدَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ - أَوْ يَقُولُ: ((فَمَا وَهَنْتُ قُوَاهُ وَمَا بَاحَ بِالسَّرِّ))، لَكِنَّهُ قَالَ: ((فَمَا وَهَنْتُ قُوَاهُ وَبَاحَ بِالسَّرِّ))، وَأَيُّ سِرِّ؟! فَتَلَوْنَ الدَّلَالََةَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَبَيْنَ الْإِثْبَاتِ وَالْإِثْبَاتِ أَوْ النَّفْيِ وَالتَّنْفِي، وَلِكُلِّ بَنِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْبَنَى الْفَعْلِيَّةِ فِي السِّيَاقِ أَثَرٌ نَفْسِيٌّ عَلَى الْمُتَلَقِّيِّ.

(1) أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري، ص: 28.

وقَدْ كَانَ الْمَكَانُ/الرَّمْزُ الْقَدِيمُ الَّذِي شَهِدَ بُطُولَةَ(بِلَالٍ) وَمَوْقِفَهُ الْعَظِيمَ، وَأَحَاطَ بِالشَّخْصِيَّةِ وَالْحَادِثَةِ هُوَ بَطْحَاءُ(مَكَّةَ)، فَأَمَّا الْمَكَانُ الْحَدِيثُ الَّذِي يُحِيطُ بِالتَّجْرِبَةِ الَّتِي اسْتَدْرَجَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ الرَّمَزُ(بِلَالٍ) فَهُوَ حَبْسُ(كَبُولٍ)، وَمَنْ تَمَّ تَكُونُ(مَكَّةَ) رَمَزًا مُزْدَوِجَ الوَظِيفَةِ رَمَزَ القَرِيَةِ المَأسُورَةِ السَّلِيبِيَةِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا وَرَمَزَ القَرِيَةِ المَحْرَرَةِ الطَّلِيقَةِ(رَمَزَ الفَتْحِ) فِي إِسْلَامِهَا وَرَمَزَ الإِسْلَامِ، وَتَكُونُ(كَبُولٍ) رَمَزًا مُمَائِلًا فَهُوَ نَعْرُ إِسْلَامِيٍّ أُسِيرٌ سَلِيبٌ، وَهُوَ رَمَزُ التَّحَرُّرِ وَالاِنْتِصَارِ. وَهُمَا رَمَزَانِ مُسَاعِدَانِ لِلرَّمْزِ الأَسَاسِ(بِلَالٍ).

وَيَتَقَلُّ الشَّاعِرُ بِالشَّخْصِيَّةِ مِنْ مَوْقِفِ السُّكُونِ وَالاِسْتِسْلَامِ، وَهُوَ مَوْقِفُ المَأسُورِ المَحْبُوسِ الَّذِي يَتَقَنَّ(أَبُو لَهَبٍ) وَ(أَبُو جَهْلٍ) فِي أَدِيَّتِهِ- وَهُوَ مَوْقِفٌ إِيْجَابِيٌّ، فَقَدْ نَالَ(بِلَالٌ) مِنْ جَلَادِيهِ بِثَبَاتِهِ وَبِقَوْلِهِ- إِلَى مَوْقِفِ الحَرَكََةِ وَالفِعْلِ، مَوْقِفِ(الفَارِّ) إِلَى سَاحِ الوَعْيِ، فَالفِعْلُ(فَرَّ) يُوحِي بِسَلْبِيَّةِ المَوْقِفِ وَتَكَادُ تُرْسِخُ هَذَا المَعْنَى فِي الذَّهْنِ وَلَكِنَّ حَقِيقَةَ المَوْقِفِ تَنكَشِفُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الجُمْلَةِ الاِعْتِرَاضِيَّةِ(وَسُورَةُ النَّصْرِ تَهْزُ كِيَانَهُ الهَادِرِ) وَالْوُصُولِ إِلَى شِبْهِ الجُمْلَةِ(إِلَى سَاحِ الوَعْيِ) فَإِذَا المَوْقِفُ أَكْثَرُ إِيْجَابِيَّةً، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي المَقْطَعِ الثَّانِي:

وَقَرَّ وَسُورَةُ النَّصْرِ

تَهْزُ كِيَانَهُ الهَادِرِ

إِلَى سَاحِ الوَعْيِ حَيْثُ البِنَادِقُ تُرْسِلُ المَوْتَى

وَتَتْلُو سُورَةَ الصَّفِّ

بِلَالٌ أَمْسَى فِي الصَّفِّ

وَعَيْنَاهُ بَرِيقٌ يَقْدِفُ العَضْبَا

وَرَاغَ يُكَبِّرُ اللهُ

وَيَصْطَادُ الشَّيَاطِينَ

... ..

بِلَالٌ قَدْ غَدَا حَبًّا

يُضَوِّي التَّهَجَّجَ لِلطَّلَبِ

يَسُوقُ مَوَاكِبَ العَلْبِ

وَأَعْرَاسًا مِنَ الشُّهْبِ

بِلَالٌ قَدْ غَدَا حَبًّا

يَزِفُ هَزِيمَةً

وَيَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ

يُوزَعُ نُورَهَا القُدْسِيَّ

بِلَالٌ لَأَ يَمُوتُ وَهَلْ هُدَى البَارِي يَمُوتُ

بَلالٌ لَأ يَمُوت  
بَلالٌ فِي المَعَارِبِ وَالْمَشَارِقِ

.....

وَيَعْلَقُ المَقْطَعُ بالنَّصِّ القُرْآنِيِّ بِوِاسِطَةِ تَضْمِينِ أَسْمَاءِ بَعْضِ السُّورِ القُرْآنِيَّةِ، وَبِلا شَكٍّ فَإِنَّ إِيرَادَ اسْمِ السُّورَةِ يَنْسَجِمُ مَعَ السِّيَاقِ وَيَعْمَقُ التَّجْرِبَةَ وَيَتَلَاءَمُ مَعَ مَقْصِدِ الشَّاعِرِ، أَيْضًا، فَقَدْ وَرَدَ فِي المَقْطَعِ الثَّانِي اسْمُ سُورَةِ (النَّصْر) وَيَدُلُّ بِهِ الشَّاعِرُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الآيَةِ الأُولَى مِنْهَا: ﴿إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وَالْفَتْحُ فِي الآيَةِ فَتْحُ (مَكَّةَ)، وَإِذْ كَانَتْ العِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَأ بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فَالْفَتْحُ كُلُّ نَصْرٍ وَفَتْحٌ يُجْرِيهِ اللَّهُ ﷻ عَلَى أَيْدِي المُسْلِمِينَ، وَقَدْ كَانَ (بَلالٌ) مِنْ فَوَارِسَ هَذَا الفَتْحِ وَمَمَّنْ شَهِدَهُ. وَجَاءَ اسْمُ سُورَةِ (الصَّفِّ) وَيَوْمِي الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِهِ إِلَى الآيَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ السُّورَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، وَالسُّورَةُ تُقَرَّرُ أَنَّ الإِسْلَامَ عَقِيدَةٌ وَشَرِيعَةٌ هُوَ المَنْهَجُ الرَّبَّانِيُّ المُرْتَضَى وَأَنَّ الجِهَادَ المُنظَّمَ هُوَ وَسِيلَةٌ تُثَبِّتُهُ وَتُرْسِخُهُ. وَيَأْتِي اسْمُ سُورَةِ الفَتْحِ رَمْزًا إِلَى الفَتْحِ الآتِي كَمَا أَتَى فَتْحُ مَكَّةَ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الآيَةِ الأُولَى مِنَ السُّورَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. وَفِي السِّيَاقِ رَمَزُ (الشَّيَاطِينِ) الَّذِي يَرْمِزُ بِهِ الشَّاعِرُ إِلَى الرُّوسِ المُلْحِدِينَ.

وَيَبْدُو أَنَّ الشَّخْصِيَّةَ المُسْتَدْعَاةَ قَدْ نَمَتْ مِنْ دَاخِلِ القَصِيدَةِ وَتَشَابَكَتْ مَعَ كُلِّ عَنَاصِرِهَا، فَكَانَتْ التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِكْرًا وَشَعُورًا مَخَاضًا طَبِيعِيًّا أَدَّى إِلَى وِلادَتِهَا. وَيَبْدُو، كَذَلِكَ أَنَّ شَخْصِيَّةَ (بَلالٍ) كَانَتْ مِحْوَرِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ وَلَمْ يَكُنْ اسْتِدْعَاؤُهَا اسْتِدْعَاءً عَرَضِيًّا بَلَّ أَنْ تُوظَّفَ الشَّخْصِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ بِشَكْلِ جُزْئِيٍّ لَأ يَتَعَدَّى الإِشَارَةَ العَابِرَةَ إِلَى اسْمِهَا، أَوْ تَخْصِيصِ فِقْرَةٍ لَهَا مِنَ القَصِيدَةِ فِي أَحْسَنِ الأَحْوَالِ، وَيَكُونُ نَجَاحُ الشَّاعِرِ حِينَئِذٍ مَرهُونًا بِقُوَّةِ الإِيحَاءِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى شَحْنِ جُزْءٍ مِنَ القَصِيدَةِ بِالدَّلَالَةِ الَّتِي يَشَعُّ بِهَا اسْمُ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ المُسْتَدْعَمَةِ كَيْ تَنْتَقِلَ تِلْكَ الشَّحْنَةُ عَبْرَ أَطْرَافِ القَصِيدَةِ كُلِّهَا وَتُعْزِيهَا كَمَا يُعْزِي الكَهْرَبَاءُ أَجْزَاءَ الأَسْلَاقِ الَّتِي يَسْرِي فِيهَا. (1)

وَهَذَا الاسْتِدْعَاءُ العَرَضِيُّ يَنْطَبِقُ عَلَى شَخْصِيَّتِي أَوْ رَمْزِي (أَبُو جَهْلٍ) وَ(أَبُو لَهَبٍ) وَقَدْ اسْتُخْدِمَتَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الأَعْدَاءِ الظُّلْمَةِ المُبَادِرِينَ بِظُلْمٍ وَالإِعْتِدَاءِ وَالأَذَى، بَيْنَمَا اسْتِدْعَاءُ شَخْصِيَّةِ (بَلالٍ) فَقَدْ حَقَّقَ اسْتِعْرَافًا كَلِيًّا جَعَلَ الشَّاعِرُ يَخْصُهَا بِقَصِيدَةٍ كَامِلَةٍ وَيَسْتَقْصِي بَعْدَهَا الرَّمْزِيَّ فِي التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَفِي ضَوْءِ هَذَا البُعْدِ يُعِيدُ صِيَاغَةَ مَوْفِقِهَا شَعْرِيًّا.

وَتَعَدَّدُ دِلالاتُ الرَّمْزِ أُنْثَاءَ اسْتِدْعَاءِ الشَّخْصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَشَخْصِيَّةُ (بَلالٍ) تُصْبِحُ رَمْزًا لِلْمَسَاوَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي يُحَقِّقُهَا الإِسْلَامُ مِنْ خِلَالِ نَبْذِهِ لِلتَّفْرِيقِ العُنْصُرِيَّةِ القَائِمَةِ عَلَى أَسَاسِ الجِنْسِ أَوْ اللَوْنِ، فَـ(بَلالٌ) المُسْلِمُ الأَسْوَدُ كَانَتْ لَهُ مَنزِلَتُهُ السَّامِيَّةُ وَمَكَانَتُهُ الرَّفِيعَةُ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ وَلَمْ يَكُنْ فِي لَوْنِهِ أَوْ فِي جِنْسِهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ التَّمْيِيزِ

(1) عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، ص: 158.

فِي هَدْيِ عَقِيدَةٍ سَمَاوِيَّةٍ تَجْعَلُ الْأَفْضَلِيَّةَ لِلتَّقْوَى وَالصَّلَاحِ، يَقُولُ مُحَمَّدُ الْحَسَنَوي فِي قَصِيدَةِ (أَبْنَاءِ بِلَالٍ أَوْ نَشِيدِ  
الرُّبْحِ فِي أَمِيرِكَ)<sup>(1)</sup>:

جَدُّنَا كَانَ بِلَالٌ كَانَ مِنْ لَوْنِ الظُّلَالِ  
كَانَ مَجْهُولَ الخِصَالِ بِجِبَلَاتِ الجَمَالِ  
صَادِقًا عَفَّ المَقَالِ فِي مِرَاجٍ وَجِدَالِ  
شَامَةً بَيْنَ الرَّجَالِ مِثْلَمَا السَّحْرُ الحَمَالِ  
مُؤْمِنًا يُثْنِي الجَبَالِ إِنْ تَحَدَّاهُ الضُّلَالِ  
فَارِسًا رَاضٍ المَحَالِ وَهَوَى (ذَاتَ الجَلَالِ)  
فَحَبَّاهُ كُلَّ غَالٍ وَهَدَاهُ لِلْمَعَالِ  
جَدُّنَا كَانَ بِلَالٌ

وَتَتَأَلَّفُ القَصِيدَةُ مِنْ ثَلَاثَةِ مَقَاتِعٍ مُنَوَّعَةٍ القَوَافِي وَمُنْتَهِيَّةٍ بِلَازِمَةٍ شِعْرِيَّةٍ (جَدُّنَا كَانَ بِلَالٍ)، يَقُولُ فِي المَقْطَعِ  
الثَّالِثِ<sup>(2)</sup>:

مَا الَّذِي مَيَّرَنَا أبيضًا مِنْ أَسْوَدِ  
مَا الَّذِي صَيَّرَنَا قَشَّةً فِي فَدْفَدِ  
وَالَّذِي يَنْسُبُنَا (آدَمُ) فِي المَحْتَدِ  
وَأَبِ أَدَبِنَا بِمِثَانِي (أَحْمَدِ)  
جَلَّ مَنْ كَحَلَّنَا بِسَمَاءِ الفَرْقَدِ  
قَدْ نَعِمْنَا زَمَنًا بِظِلَالِ المَسْجِدِ  
وَصَلَبِنَا زَمَنًا بِشُمُوسِ المُلْحَدِ  
سُنْرِي سَيِّدِنَا كَيْفَ بَأْسُ السَّيِّدِ  
مِثْلَمَا أَبْلَى بِلَالِ

وَقَدْ أَدَّى رَمَزُ (مُحَمَّدِ الفَاتِحِ) وَظِيفَتُهُ فِي بِنْيَةِ القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَأَسْهَمَ فِي إِتْجَاحِ دِلَالَتِهَا، مِنْ خِلَالِ اسْتِدْعَائِهِ  
فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ، فَجَابِرُ قَمِيحَةٍ يَسْتَدْعِي الشَّخْصِيَّةَ/الرَّمْزَ (مُحَمَّدِ الفَاتِحِ)<sup>(3)</sup>، وَيَجْعَلُهَا شَخْصِيَّةً مَحْوَرِيَّةً

(1) محمد الحسنوي: عودة الغائب، الدار العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1391هـ-1972م، ص: 51.

(2) المصدر نفسه، ص: 59.

(\*) هُوَ السُّلْطَانُ العُثْمَانِي المُسْلِمُ مُحَمَّدُ الثَّانِي بنُ مُرَادِ الثَّانِي (1429م-1481م) الملقَّبُ بِـ(الفَاتِحِ)، وَقَدْ دُفِنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِأَسْطُنْبُولِ، تَابِعَ  
مُحَمَّدُ الفَاتِحُ فُتُوحَاتِهِ فِي آسِيَا، وَتَوَعَّلَ فِي أوروْبَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى بِلْغَرَادِ. وَصَلَ الفَاتِحُ عَلَى رَأْسِ جَيْشِهِ إِلَى مَشَارِفِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي يَوْمِ  
الْخَمِيسِ (6 أْبْرِيلِ 1453م/ 26 رَبِيعِ الأوَّلِ 857هـ)، فَجَمَعَ الجُنْدَ وَخَطَبَ فِيهِمْ خُطْبَةً حَثَّاهُمْ عَلَى الجِهَادِ وَطَلَبَ النَّصْرَ أَوْ الشَّهَادَةَ، وَقَدْ  
بَادَرَ الجَيْشُ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ. وَضْرَبَ حِصَارًا عَلَى المَدِينَةِ بِجُنُودِهِ مِنْ نَاحِيَةِ البَرِّ، وَبِأَسْطُولِهِ مِنْ نَاحِيَةِ البَحْرِ وَفِي أَثْنَاءِ الحِصَارِ  
أُكْتَشِفَ قَبْرُ (أَبِي أَيُّوبِ الأنْصَارِيِّ) الَّذِي أُسْتَشْهِدَ حِينَ حَاصَرَ القُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي سَنَةِ (52 هـ) فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الأُمَوِيِّ. وَقَدْ  
تَمَّ فَتْحُ بِلَادِ البُوسْنَةِ فِي العَامِ (1462م)، وَدَانَتْ لَهُ بِذَلِكَ جَمِيعُ بِلَادِ البِشْطَاقِ.

والبُورَة التي تَسْتَنْدُ إليها البنية الدلالية في القصيدة، وتتحول إلى مُعادِلِ مَوْضُوعِيٍّ لِلتَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَقَدْ آثَرَ الحَدِيثَ عَنِ الشَّخْصِيَّةِ، وَاسْتَعْمَلَ صِيغَةَ النَّدَاءِ فِي اسْتِدْعَاءِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ، فِي سِيَاقِ الحَدِيثِ عَنِ الإِبَادَةِ الَّتِي تَعْرِضُ لَهَا شَعْبُ (البوسنة والهرسك) المُسْلِمُ فِي قَصِيدَةِ (رياح مُحَمَّد الفاتح). وَتَتَأَلَّفُ القَصِيدَةُ مِنْ خَمْسَةِ مَقَاطِعَ بَدَأَ المَقْطَعُ الأوَّلُ فِيهَا بِتَصْوِيرِ مَأْسَاةِ مُسْلِمِي (سَرَايْفُو)، نَحْتَرِيٌّ مِنْهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ (1):

جِئْتُ وَالشُّوقُ سَابِقٌ لِمَسَارِي (لِسَرَايْفُو) نَزْهَةَ الأَنْظَارِ

...

غَيْرَ أَنِّي شَهَدْتُ فِيهَا المَنَايَا كَالِحَاتٍ فِي أعْظَمٍ.. وَدَمَارِ

...

لَمْ يَعُدْ غَيْرُ بَاطِنِ الأَرْضِ لِلنَّاسِ سِ مَلَاذًا مِنْ ظَهْرِهَا المَوَارِ

...

رُبَّ سَارٍ بِاللَّيْلِ دَاسٌ قُلُوبًا وَعُيُونًا فِي الأَرْضِ ذَاتَ حَوَارِ  
خَفَّفَ الوَطءَ - يَا رَعَاكَ إِلَهِي - ذَا دَمٍ مُسْلِمٍ كَمَا الأَنْهَارِ

وَيَتَجَلَّى التَّأَثُّرُ بِنَزْعَةِ التَّشَاوُمِ مِنْ حِلَالِ اسْتِدْعَاءِ شَخْصِيَّةِ الشَّاعِرِ أَبِي العَلَاءِ المَعْرِيِّ (ت449هـ/1058م) فِي هَذَا التَّنَاصُّ الطَّاهِرِ فِي البَيْتَيْنِ الأَخِيرَيْنِ، وَهُوَ تَنَاصُّ إِحَالِيٍّ أَدْرَجَ فِيهِ الشَّاعِرُ دَوَالًا شِعْرِيَّةً مِنْ نَصِّ شِعْرِيٍّ غَائِبٍ وَهِيَ كَافِيَّةٌ لِحَرْفِ المَلْفُوظِ المُضْمَرِ إِلَى الذَّاكِرَةِ وَإِلَى هَامِشِ النِّصِّ، وَيَسْتَدْعِي ذَلِكَ المَلْفُوظُ السِّيَاقَ الشُّعُورِيَّ ذَاتَهُ بِمَا يُؤَلِّفُهُ مِنْ مُفْرَدَاتٍ وَتَرَكَيبَاتٍ ذَاتِ مَحْمُولَاتٍ تَشَاوُمِيَّةٍ، يَقُولُ أَبُو العَلَاءِ المَعْرِيُّ (2):

صَاحَ هَذِي قُبُورُنَا تَمَلُّ الرُّحْمَ بَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ  
خَفَّفَ الوَطءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الـ أَرْضِ إِلا مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ  
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدَّمَ العَهْدَ ذُو هَوَانِ الأَبَاءِ وَالأَجْدَادِ  
سِرٌّ إِنْ اسْطَعْتَ فِي الهَوَاءِ رُوَيْدًا لَأِ اخْتِيَالًا عَلَيَّ رُفَاتِ العِبَادِ  
رُبَّ لِحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مَرَارًا ضَاحِكٌ مِنْ تَرَاحِمِ الأَضْدَادِ

وَقَدْ تَضَمَّنَ المَقْطَعُ الثَّالِثُ والرَّابِعُ والخَامِسُ الإِشَارَةَ إِلَى شَخْصِيَّةِ (مُحَمَّدِ الفَاتِحِ) كَرَمَزٍ دَالٍ عَلَى عَصْرِ القُوَّةِ وَالتَّفُوقِ وَمَرَحَلَةِ مَجْدٍ وَصُعُودٍ، فَقَدْ جَاءَ هَذَا الرَّمْزُ دَالًا عَلَى حِقْبَةِ مُشْرِقَةِ مُزْدَهَرَةٍ مِنْ تَارِيخِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالشَّاعِرُ لَأِ يَسْتَدْعِي هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ اسْتِعَاضَةً بِمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ مَاضِيِ الاِئْتِصَارَاتِ وَالفُتُوحَاتِ عَنِ حَاضِرِ الاِئْتِصَارَاتِ وَالهَزَائِمِ وَإِنَّمَا يَسْتَدْعِيهِ لِيُنْفِثَ رُوحَ العَزِيمَةِ فِي مُسْلِمِي اليَوْمِ، وَاسْتِنَهَاضِهِمَ لِتَعْيِيرِ الوَاقِعِ الإِسْلَامِيِّ المُتَهَاوِي سِيَاسِيًّا وَفِكْرِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ عُنْوَانُ القَصِيدَةِ الَّذِي يَتَأَلَّفُ مِنْ تَرَكَيبِ إِضَافِيٍّ (رِيَا ح مُحَمَّد

(1) رابطة الأدب الإسلامي العالمية: ديوان البوسنة والهرسك، ص: 23.

(2) حنا الفاحوري: منتخبات الأدب العربي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط: 5، 1970، ص: 359.

الْفَاتِحِ وَرَدَ فِيهِ الْمُضَافُ لَفْظَةً (رِيَّاح) الدَّالَّةَ عَلَى تَبَاشِيرِ التَّغْيِيرِ الإِجْبَابِيِّ وَإِرْهَاصَاتِ النَّهْضَةِ الَّتِي تُعَدُّ الصَّحْوَةَ مِنْ عِلْمَاتِهَا، فَـ (رِيَّاحُ مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ) فِي تَرْكِيبِهَا وَفِي غَيْرِهَا رِيَّاحٌ (لِوَأَجْرِ) مُبَارَكَةٌ.

وَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ اسْتَهْلَلَ كُلَّ مَقْطَعٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِالِحَالَةِ الصَّرِيحَةِ عَلَى الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَدْعَاةِ بِاسْمِهَا وَلَقَبِهَا مَعًا (مُحَمَّدُ الْفَاتِحِ) أَوْ يَلْقَبُهَا وَحْدَهُ (الْفَاتِحِ)، فَإِنَّهُ نَوْعٌ فِي تَقْنِيَةِ الاسْتِدْعَاءِ أَوْ فِي طَرِيقَةِ تَنَاوُلِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَنِّيَّةِ بَيْنَ الْحَدِيثِ عَنْهَا فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ، حَيْثُ بَدَأَهُ بِالِاسْتِفْهَامِ الْمُفِيدِ لِلتَّمْنِي، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

أَيْنَ مَنَّا (مُحَمَّدُ الْفَاتِحِ) الْمَعْدُ      وَارُ يَمْضِي بِالْفَيْلِقِ الْهَدَارِ  
حِينَ-يَوْمًا-يُقُودُ أُسْطُوْلَهُ الْفَدُّ، وَيَوْمًا بِجَيْشِهِ الْجَرَّارِ  
يُرْعَبُ الْبَغْيَ حِينَ يَمْضِي فَتَهْوِي      شَامِخَاتُ الْقَلَاعِ وَالْأَسْوَارِ  
رَافِعًا رَايَةً تَسَامَتْ وَعَزَّتْ      إِنَّهَا رَايَةُ الْعُلَا.. وَالْفَخَارِ  
صَوْتُهُ الْحَقُّ، وَالسُّيُوفُ الْمَوَاضِي      فِي نُحُورِ الْبَلْقَانِ.. وَالْبَلْعَارِ  
أَيَّمَا سَارَ هَادَتْهُ اللَّيَالِي      وَانْتَصَارًا أَتَاهُ تَلَوَانْتِصَارِ  
وَهَوَتْ قُسْطَنْطِينَةُ الْكُفْرِ حَسْرَى      بِيَدِ الْفَاتِحِ الْعَظِيمِ النَّجَارِ  
وَتَسَامَتْ مَا ذُنُ الْحَقِّ فِيهَا      وَتَعَالَى الْأَذَانُ فِي الْأَسْحَارِ

وَبَيْنَ الْحَدِيثِ إِلَيْهَا بِاسْتِخْدَامِ النَّدَاءِ فِي سِيَاقِ الْاسْتِفْهَامِ الْمُفِيدِ لِلتَّمْنِي فِي الْمَقْطَعِ الرَّابِعِ، يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

هَلْ تَهْبُ الْعِدَاةُ يَا (فَاتِحِ) الْأُمِّ      سِ لِقَوْمٍ كَانُوا مِنَ الْفَرَّارِ  
تُمْ صَارُوا فِي غِيْبَةِ الْأُسْدِ أُسْدًا      فَهُمْ الْيَوْمَ سَادَةُ الْكُرَّارِ  
وَإِذَا مَا خَلَا الْعَرِينُ مِنَ الْآ      سَادَ أَضْحَى الْعَرِينُ سُكْنَى الْفَارِ  
وَإِذَا غَابَتِ التُّسُورُ تَعَالَى      فِي حِمَى التَّسْرَتِ نَافَهُ الْأَطْيَارِ

وَكَذَلِكَ فِي الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ وَفِي سِيَاقِ اسْتِفْهَامِي يُفِيدُ التَّمْنِي<sup>(3)</sup>:

هَلْ سَمِعْتَ الْعِدَاةُ يَا (فَاتِحِ) لِلصَّرِّ      بِ وَمَا جَمَعُوا مِنَ الْأَنْصَارِ  
أَقْسَمُوا لَنْ يَكُونَ فِي (الْبُسْنِ وَالْمَهْرِ)      سِكِ) إِسْلَامًا بَلْ صَالِبُ الْعَارِ  
وَرَمَوْنَا بَعَارِهِمْ تُمْ رَاحُوا      يَزْدَهِي عَارُهُمْ بِوَهُمْ ضَارِ  
وَتَسَوْنَا شَرَّهُمْ إِنْ يَحْزُ فِي      يَوْمِهِمْ هَذَا جَوْلَةً فِي الْمَسَارِ  
فَسَيَهْوِي غَدًا زَهُوقًا لِعَيْنَا      فِي هَوَانٍ وَذَلَّةٍ وَانْكَسَارِ  
فَالْبَقَاءُ الْأَصِيلُ لِلْحَقِّ مَهْمَا      طَالَ بَغْيِي الدَّعِي.. وَالْجَبَّارِ  
وَالظَّلَامُ الْخَسِيسُ مَهْمَا تَمَادَى      سَوْفَ تَطْوِي مَدَاهُ شَمْسُ النَّهَارِ

(1) جابر قميحة: ديوان البوسنة والمهرسك، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ص: 25.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَيَعْتَمِدُ الشَّاعِرُ تَقْنِيَةَ الْحَدِيثِ إِلَى الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَدْعَاةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا لِأَنَّ ذَلِكَ يُوطِدُ الشُّعُورَ بِقُرْبِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَدْعَاةِ وَبِإِمْكَانِيَّةِ أَنْ يُقَاسِمَهَا هُمُومَهُ وَأَفْكَارَهُ أَوْ مُعَانَاتَهُ الشُّعْرِيَّةَ إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ تُنُوبَ عَنْهُ فِي تَمَثُّلِ رُؤْيَيْهِ وَتُعَبِّرَ عَنْهُ، فَهِيَ تَحْمِلُ رُؤْيَيْهِ وَتُوجِّهُهُ ذَاتَهُ. وَهَذِهِ التَّقْنِيَّةُ تُنْشِئُ الْحِوَارَ الَّذِي يُتِيحُ التَّقَنُّعَ بِالشَّخْصِيَّةِ وَيُضْفِي شَيْئًا مِنَ الدِّرَامِيَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُ الْقَصِيدَةَ وَتُخَفِّفُ مِنْ طُعْيَانِ التَّرْعَةِ الْغِنَائِيَّةِ.

وَتَعُودُ فِي آخِرِ الْمَقْطَعِ نَبْرَةُ التَّفَاوُلِ إِلَى الْقَصِيدَةِ فَرَجَاءُ الشَّاعِرِ الْمُؤْمِنِ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَبْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَتِلْكَ إِحْدَى سِمَاتِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَنَلْحِظُ بِشَكْلِ أَكْثَرِ دَلَالَةِ هَذَا الْإِتِّجَاهِ التَّفَاوُلِيِّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الرَّمْزِ بِإِيْجَابِيَّةٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ وَمَعَ كَثِيرٍ مِنَ الرَّمُوزِ، وَمِنْ هَذِهِ الرَّمُوزِ الْكُلِّيَّةِ رَمَزُ (عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادِ الْعَبْسِيِّ) الَّذِي ضَمِنَ سَيْرُورَةَ هَذَا الْاسْمِ وَدَيْمُومَةَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ "عَبْرَ الْأَجْيَالِ الْمُتَلَحِّقَةِ وَالْعُصُورِ الْمُتَتَابِعَةِ فِي مَشْرِقِ دِيَارِ الْعُرُوبِ وَمَعَارِبِهَا وَفِيمَا أَسَّعَتْ لَهُ دَارَ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَقَرَنَ النَّاسُ هَذَا الْاسْمَ وَصَاحِبَهُ بِالْقِيَمِ الْأَسَاسِيَّةِ: الْحُرِّيَّةِ وَنَيْلِهَا بِالْقُدْرَةِ وَالتَّصْمِيمِ، وَالْمُرُوءَةِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى الشَّهَامَةِ وَالنَّخْوَةِ وَالْعِفَّةِ وَقَدْ حَرَّصَ عَلَيْهَا عَنْتَرَةُ الْفَارِسُ الْقَوِيُّ، وَرَبَطَتْ صُورَ أُخْرَى مُصَاحِبَةً لِهَذِهِ الْقِيَمِ مِنْهَا: الْحُبُّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ فَوَارِقَ اللَّوْنِ فَعَبْلَةٌ أَحَبَّتْ عَنْتَرَةَ لِأَنَّهَا رَأَتْ فِيهِ الرَّجُولَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالتَّنْفُسَ الصَّافِيَّةَ".<sup>(1)</sup>

وبهذه الطريقة يُوظَّفُ وُلْدُ قِصَابِ الرَّمْزِ التَّايِجِيِّ أَوْ شَخْصِيَّةِ (عَنْتَرَةَ) بِدَلَالَةٍ مُخَالَفَةٍ لِمَا عُرِفَ عَنْهَا، فِي سِيَاقِ قَصِيدَةِ (صَفْحَةَ مِنْ تَارِيخِ عَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ)، فَيَقُولُ<sup>(2)</sup>:

بِالْأَمْسِ أُسْقِطَ فِي الْمَعَارِكِ عَنْتَرَةَ  
بَطَلُ التَّرَالِ  
وَزَارِعُ النَّصْرِ الْخَصِيبِ  
عَلَى الدُّرُوبِ الْمُقْفَرَةِ  
حَشَدَتْ لَهُ بَكْرٌ وَذُبْيَانٌ  
حُشُودًا لَمْ تُر..  
ظَهَرَتْ عَلَى مَدِّ الْفَضَاءِ  
بُرُقٌ هَوْلٌ مُمِطْرَةٌ  
فَهَوَّتْ بِهِ الْفَرَسُ الْحُنُونُ  
كَمَا تَهَاوَى الْقُبْرَةَ

(1) فايز الداية: جماليات الأسلوب، ص: 178.

(2) وليد قصاب: صور من بلادي، ص: 46.

وَتَقَهَّرَتْ حَيْلُ الْقَبِيلَةِ  
مِثْلَ حُمْرٍ  
أَحْفَلْتُ مِنْ قَسْوَرَةٍ

... ..

فَتَفَجَّعَتْ عَبَسٌ  
وَمَاتَ عَلَى مُحَيَّاها الْكَلَامُ  
وَعَدَتْ رُؤُوسَ الْكَبِيرِيَاءِ  
تَكَادُ تَلْتَصِقُ بِالرَّغَامِ  
مَا عَادَ يُسْمَعُ فِي الْقَبَائِلِ صَوْتُهَا  
مَا عَادَ يُعْرَفُ شَكْلُهَا أَوْ لَوْنُهَا  
أَوْ يَسْتَبِينُ - مِنَ التَّفَجُّعِ - وَجْهَهَا  
فَالْحَزِي أَسْوَأُ  
نَمَتْ فِي كُلِّ دَارٍ  
وَزَلَّالٌ كَأَبُوسٍ رَهِيْبٍ  
أَثْقَلَتْ صَدْرَ الْكِبَارِ  
مَعَ الصَّعَارِ... ..

ويظهر في المقطع الثالث رمز (عبلة) ليستكمل المشهد القصصي الرمزي معزاه في (القائد والأمة)، يقول

الشاعر<sup>(1)</sup>:

لَكِنَّ عِبْلَةَ  
كَفَكَتْ دَمْعًا جَرَى شَلَالٌ دَمَاءُ  
قَدْ كَادَ يَحْفَرُ وَجْهَهَا  
لَوْلَا التَّجَلُّدُ وَالْعَزَاءُ  
فَمَضَتْ إِلَى الْبَطْلِ الْجَرِيحِ  
وَكَانَ يَسْحَقُهُ الْأَسَى  
لَتَبَّثَهُ عَزْمًا  
وَتَشَعَّلَ فِي جَوَانِحِهِ الدَّمَاءُ  
وَتَضَمَّتْ الصَّدَمَاتُ  
فِي الْجِسْمِ الْقَوِيِّ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 48.

وَتَسْتَشِيرَ إِلَى دُجَا الْيَأْسِ الْعَنِيفِ  
رُؤَى التَّفَاؤُلِ وَالرَّجَاءِ  
يَا سَيِّدَ الْفَتَيَانَ  
يَا خَيْرَ الرَّجَالَ  
يَا فَارِسَ الطَّعْنِ الْمُؤَزَّرِ  
فِي مَيَادِينِ الْقِتَالِ  
لَا تَقْعُدَنَّ بِكَ الْجُرُوحُ  
-وَأِنْ كَبُرْنَ-

عَنِ النَّزَالِ  
مَا أَنْتَ أَوْلَى مَنْ كَبَا  
بَيْنَ الصَّنَادِيدِ الْعِظَامِ  
فَلِكُلِّ سَيْفٍ نَبْوَةٌ  
وَلِكُلِّ خَيْلٍ كَبْوَةٌ  
وَتَظَلُّ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ  
خُطَا الْمَثَابِرِ لِلْأَمَامِ..

ف"التَّجْرِبَةُ الشُّعُورِيَّةُ بِمَا لَهَا مِنْ خُصُوصِيَّةٍ فِي كُلِّ عَمَلٍ شِعْرِيٍّ هِيَ الَّتِي تَسْتَدْعِي الرَّمْزَ الْقَدِيمَ لِكَيْ تَجِدَ فِيهِ التَّفْرِيعَ الْكُلِّيَّ لِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ عَاطِفَةٍ أَوْ فِكْرَةٍ شُعُورِيَّةٍ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ الرَّمْزُ الْمُسْتَعْدَمُ قَدِيمًا، وَهِيَ الَّتِي تُضْفِي عَلَى اللَّفْظَةِ طَابَعًا رَمْزِيًّا بَأَنَّ تُرَكِّزَ فِيهَا شُحْنَتَهَا الْعَاطِفِيَّةَ أَوْ الْفِكْرِيَّةَ الشُّعُورِيَّةَ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ الرَّمْزُ الْمُسْتَعْدَمُ جَدِيدًا..". (1)

وَقَدْ أَخَذَتِ الصُّورَةُ الرَّمْزِيَّةُ أَوْ الرَّمْزُ، هُنَا، فِي الْإِتْسَاعِ وَالِامْتِدَادِ وَشَكْلٍ مَا يُشْبِهُ الْقِصَّةَ أَوْ الْحِكَايَةَ، وَيَعُودُ هَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوْظِيفِ الرَّمْزِيِّ إِلَى كَوْنِ الشَّاعِرِ "يَعَايشُ حَالَةً أَوْ مَوْقِفًا ضَمَّنَ شُرُوطِ نَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وَزَمْنِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، وَهِيَ تَتَفَاعَلُ، وَتُعْطِي اللَّحْظَةَ الْمُتَوَهِّجَةَ فِي وَمَضَاتٍ أَوْ اشْتِعَالٍ مُتَصَاعِدٍ وَتَصِلُ الصُّورَةُ الرَّمْزِيَّةُ دَرَجَةً تَكُونُ فِيهَا مُعْطِيَّةً آيَاتِ الْقَصِيدَةِ إِلَّا قَلِيلًا فِيهَا إِمَّا عَلَى هَيْئَةِ قِصَّةٍ أَوْ حِكَايَةٍ تَلْتَحِمُ بِالظَّرْفِ الْفِكْرِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ الْمَعَاوِرِ لِلشَّاعِرِ أَوْ تَتَجَلَّى فِي مَقَاطِعَ تَبْتَنِي الْقَصِيدَةَ مَعَهَا فَتَظَلُّ مَلَامِحَ الرَّمْزِ مَعَ كُلِّ مَقْطَعٍ أَوْ مِحْوَرٍ". (2) فَهُوَ يَتِمُّ تَنْمِيَّةُ الْعَنَاصِرِ الرَّمْزِيَّةِ وَتَرْفِيفَتِهَا مِنْ مَسْتَوَاهَا الْحَسِّيِّ أَوْ الْمَادِّيِّ إِلَى مُسْتَوَى تَجْرِيدِيٍّ تَتَحَوَّلُ فِيهِ الصُّورَةُ إِلَى بُؤْرَةٍ

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 199.

(2) فايز الداية: جماليات الأسلوب، ص: 176.

للإيجاعات المتداعية، ولأ يضير الصورة أن تُختتم بهذه الشطور الشعرية التي تلخص المعزى ما دام المتلقي ينطلق  
بخياله من الرمز المحدد بالعناصر التاريخية المذكورة إلى الرموز إليه غير المحدد.

إن رمز (عنترة) غداً صاحب حضور لقيم أخلاقية وفكرية فيها ارتباط بانفعالات الإنسان وطموحه، وعلاقاته،  
وقد ارتفعت الدلالة من المحدود إلى مساحة خاصة فأكدت معالمها بتحميله أحلام هؤلاء وأولئك من أبناء  
المجتمع العربي، فالضعيف يتطلع إلى القوة والعلبة، والقوي يرغب في فعل عظيم يتجاوز به الآخرين، والمحزون  
يودون تقديم براهين مذهشة على إخلاصهم وبذلهم لينالوا قرب من يحبون، وبذا أحاطت بشخصية عنترة المبالغة  
وشيء من التهويل مما عمق قدرتها على إثارة الانفعال والتعاطف. (1)

ويوظف الشاعر الإسلامي بعض الرموز المرتبطة بوقائع وأحداث تاريخية معينة فتتمحور بنية القصيدة حول  
هذه الشخصية أو الحدث وتستدعي كل ما ارتبط بها، فيرتقى الرمز إلى مرتبة الكلية لما شكله من محورية في  
القصيدة، وفي هذا الصدد يستعمل وليد قصاب رمز (السوس) في قصيدتين مختلفتين، وحرب (السوس)، كما هو  
معلوم، من أشهر أيام العرب وحروبهم، وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل، ومكنت أربعين عاماً وقعت فيها أيام  
مشهورة بسبب قتل جساس البكري كليباً تغليبي، لأن كليباً رمى (سراباً) ناقة السوس حالة جساس، فهض  
المهلل أخو كليب للأخذ بالثأر وأسرف في الانتقام والقتل إسرافاً شديداً ولحقت الجليلة زوجة كليب وأخت  
جساس بقومها. وقد أدركت تغلب ثأرها وقتلت جساساً وأحاه بجيراً، وانتهت بانتصار البكرين وأنهزام  
التغليبين وعقد الصلح في الأخير، وهكذا كان مصير هذه الحرب التي أفنت كثيراً من أحياء العرب، وظلت نحواً  
من أربعين عاماً لا تهدأ لها نار ولا تنطفئ جذوة، وتركت أحقاداً كثيرة في الصدور لم يذهب بها الصلح  
والسلام. (2) فقد تحولت هذه الحادثة من حوادث التاريخ العربي قبل الإسلام وبكل شخصياتها إلى رمز مليء  
بالمعنى وعلقت بها دلالة سلبية خاصة، والشاعر اليوم يستحضر هذا الرمز منطلقاً من تجربته المعاصرة.

وقد ورد رمز (السوس) في قصيدتين الأولى في ديوانه (أشعار من زمن القهر) والثانية في ديوانه (فارس الأحلام  
القديمة)، حيث تكرر خمس مرات في الأولى وثلاث مرات في الثانية، وقد صاحب هذا الرمز مجموعة من  
المتعلقات المرتبطة به، ونقف على توظيفه في مقاطع من القصيدة الأولى والثانية، يقول الشاعر في المقطع الأول  
منها (3):

في كل يوم عندنا حرب السوس  
يتقاتل الإخوان فيها

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 178.

(2) محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1976، ص: 103.

(3) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 83.

بِالْعَصِيِّ، وَبِالرِّصَاصِ، وَبِالْفُؤُوسِ  
فَتَطِيحُ آلَافُ الْآلَافِ مِنَ الرُّؤُوسِ  
يُهْرَاقُ فِيهَا الدَّمُ أَنْهَارًا تَفُورُ  
وَتَفِيضُ أَحْزَانُ الْحَزَانِي كَالْبُحُورِ  
وَتَدُورُ كَالْكَبُوسِ  
طَاحُونَ التُّفُوسِ  
كَمْ مَرَّةً شَبَّتْ فَجَدَّتْ  
مِنْ حُقُولِ الْخِصْبِ  
أَزْهَارَ الْحُبُورِ  
تَرَكْتُ يَبَابًا بَلَقَعًا  
وَطَنَ الْبِرَاءَةِ وَالسُّرُورِ

وَيَرِدُ الرَّمَزُ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي (1):

أَمْسِ الَّذِي لَمْ يَمْضِ  
كَانَتْ فِي الْكُوبِ  
شَبَّ الْجَحِيمِ بِكُلِّ زَاوِيَةٍ وَبَيْتِ  
وَقَفَ الْأَحِبَّةُ يَسْمُرُونَ  
وَبَسُوسُ شَيْطَانِ زُبُونِ  
عَجَزَ الْأَحِبَّةُ وَالصَّحَابُ  
فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَوِيَتْ  
فَتَدَفَّقَ الْعُرْبَاءُ مِنْ كَيْتٍ وَكَيْتِ

وَيَرِدُ مَرَّةً ثَالِثَةً فِي الْمَقْطَعِ الثَّالِثِ مَعَ رَمَزَيْنِ آخَرَيْنِ (الْكَلْبِ) وَ(جَسَّاسِ) (2):

نُكِّتُ جِرَاحُ  
حُفِرَتْ أَخَادِيدُ الْأَسَى  
فَوْقَ الْجِبَالِ، وَفِي الْبِطَاحِ  
اسْتَيْقَظَتْ فِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ  
مُوحِشَةُ عَبُوسِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 74.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَتَنَمَّرَتْ إِحْنٌ ضُرُوسٌ  
لَمْ يَنْجُ فِي حَرْبِ الْكُوَيْتِ  
مِنَ الْبَسُوسِ  
لَا قَاتِلٌ أَرْزَ الْجَرِيمَةَ  
أَوْ ضَحِيَّتَهُ الْبَرِيئَةَ  
فِي دُجَا الْهَوْلِ الْعَبُوسِ  
خَرَّ الْكَلْبُ مَضْرَجًا فَوْقَ الرَّمَالِ  
لَكِنَّ حَسَّاسًا أَطَاحَتْهُ التَّبَالُ  
وَجَاءَ فِي الْمِرَّةِ الرَّابِعَةِ فِي الْمَقْطَعِ الرَّابِعِ<sup>(1)</sup>:

وَالْيَوْمَ فِي الْيَمَنِ السَّعِيدِ  
عَادَتْ بَسُوسٌ إِلَى الْوُجُودِ  
زَحَفَ الْجَنُوبُ عَلَى الشَّمَالِ  
زَحَفَ الشَّمَالُ عَلَى الْجَنُوبِ  
الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ جَدِيدِ

.....

والملاحظ أن الرمز يستوعب في السياق الشعري تجربتين في اللحظة ذاتها أو يجمع بين ما هو خاص وما هو عام أو بين ما هو فردي وما هو جمعي، أي أن يجمع بين التجربة الأولى حرب (البسوس) القديمة التي فرقت بين الإخوة والأشقاء بين أحياء العرب المتجاورة وبين الحرب العربية الجديدة التي تشوه وجه تاريخنا المعاصر في اليمن أو في الكويت، والتي استعار لها الرمز المناسب، وقد أشار إليها في متن القصيدة وفي هامشها حين كتب: "من وحي ما يجري بين الأشقاء في اليمن".<sup>(2)</sup> ويتبين أن هذه الشخص أو المواقف والأحداث إنما تستند عليها التجربة الشعورية الراهنة لكي تُضفي عليها أهمية خاصة. فالتجربة إنما تتعامل مع هذه الشخص والمواقف تعاملًا شعريًا على مستوى الرمز، فتستغل فيها خاصية الامتلاء بالمعزى أو بأكثر من معزى، تلك الخاصية المميزة للرمز الفني..<sup>(3)</sup>

ويُنهي وليد قصاب قصيدته (البسوس)، هنا، بمقطع يكشف عن السياق الشعوري الحاد الذي تُثيره هذه المفارقة<sup>(4)</sup>:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 85.

(2) المصدر نفسه، ص: 73.

(3) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 203.

(4) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 86.

أَحْفَادُ حَسَّاسٍ  
إِذَا اشْتَجَرَتْ رِمَاحُهُمْ صُقُورٌ  
يَتَدَافِعُونَ إِلَى اللَّطْيِ  
كَتَدَافِعِ الْوَحْشِ الْعُقُورِ  
وَإِذَا بَدَا

جَيْشُ الْعَدَا  
هُرَعُوا إِلَى أَوْكَارِهِمْ مِثْلَ الطُّيُورِ  
خَمَدَ اللَّطْيِ فِي صَدْرِهِمْ  
وَتَسَرَّبُوا خَلْفَ الْجُحُورِ

وَقَدْ وَرَدَ الرَّمْزُ فِي الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ<sup>(1)</sup>:

بَشَّتْ بَسُوسٌ  
وَزَهَتْ كَمَا تَزْهُو بِزِينَتِهَا الْعُرُوسُ  
هَذِي دِمَاءٌ كَالْبِحَارِ  
مَسْفُوحَةٌ فَوْقَ الْقَفَارِ  
وَالْمَوْتُ طَاحُونٌ تُدَارُ  
وَهُنَا، وَهُنَاكَ.. وَحَيْثُ سِرَتْ  
تَرَى الدَّمَارَ  
صُرِعَتْ صِنَادِيدُ الْفَخَارِ  
سِيَقَتْ إِلَى الْمَوْتِ الْعَرَبِ  
سَوْقَ الْقَطِيعِ بِلَا أَرْبِ  
سَقَطَ الرَّجَالُ بِلَا حِسَابِ  
وَلِأَجْلِ مَنْ؟  
مِنْ أَجْلِ نَاقَتِنَا سَرَابِ

وَيُنْهِى الْقَصِيدَةَ بِمَقْطَعَيْنِ يُبَيِّنَانِ الْمَعْرَى مِنْ تَوْظِيْفِ هَذَا الرَّمْزِ وَاسْتِدْعَاءِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ رَمْزِيَّةَ الْقَصِيدَةِ بِرُمَّتِهَا وَدِلَالَتِهَا عَلَى مَا يَدُورُ بَيْنَ دُوَيْلَاتِ عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ مِنْ صِرَاعٍ وَمَا يَشْغَلُ أَدْهَانَ بَعْضِ حُكَّامِهِ مِنْ أَطْمَاعٍ وَأَوْهَامٍ وَزَعَامَاتٍ وَعَصَبِيَّاتٍ جَاهِلِيَّةٍ وَمَا يَتَرَاى لِلْأَعْيُنِ مِنْ أَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ، فَكُلُّ مَا شَكَّلَتْهُ

(1) وليد قصاب: فارس الأحلام القديمة، ص: 79.

الصُّورَةُ الرَّمْزِيَّةُ فِي القَصِيدَةِ بِعناصره (البسوس، كليب، حساس، سراب، همّام، المهلهل، جليلة، بكر، تغلب،  
وأئل...) فَناعٌ تَوَسَّلَ بِهِ الشَّاعِرُ لِلكَشْفِ عَن بَعْضِ أَمْرَاضِ عَالَمِنَا العَرَبِيِّ والإِسْلَامِيِّ المُسْتَعَصِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

وَعَلَى مَدَى كَفِّ يُرَى جَيْشُ التَّنَارِ  
عَيْنًا تَيْقِظُ فِي انْتِظَارِ  
شَكُّوا السَّلَاحَ وَرَابَطُوا خَلْفَ الدِّيَارِ  
يَتَرَبَّصُونَ بِلَا كِلَالِ  
يَعْدُونَ إِنْ شَعَلَ الرَّجَالِ  
أَخَذُوا سَبَايَا لَمْ تَدُرْ يَوْمًا بِيَالِ  
جَاسُوا خِلَالَ الدَّارِ  
وَاسْتَأْفُوا الغَلَالَ  
كَرُّوا عَلَى بَكْرٍ وَتَغْلَبَ  
عِنْدَمَا اشْتَجَرَ القِتَالِ  
وَتَلَاخَمَ الأَخْوَانَ يَصْطَرَعَانِ مِنْ أَجْلِ السَّرَابِ

\*\*\*

وَبَسُوسٌ تَضْحَكُ كُلَّمَا زَحَفَ الخَرَابُ  
وَرَأَتْ جَحِيمَ المَوْتِ مِنْ بَابِ لِبَابِ  
أَبْنَاءِ وَأَيْلِ أَمْرُهُمْ عَجَبٌ عَجَابُ  
أَعْدَى عَلَى بَعْضِ مِنَ الأَسَدِ الضُّوَارِيِّ والسَّبَاعِ  
وَعَلَى التَّنَارِ الوَاغِلِينَ بِلَا ذِرَاعِ

وَيَدُّو أَنْ الشَّاعِرَ مِنْ خِلَالِ تَوْظِيْفِهِ لِلرَّمْزِ فِي قَصِيدَتَيْنِ لَمْ تَخْتَلَفْ أَبْعَادُهُمَا الدَّلَالِيَّةُ كَثِيرًا، أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُ  
رَمْزًا خَاصًّا وَيَحْمَلُهُ دِلَالَاتٍ، فَـ(البسوس) رَمَزُ الفُرْقَةِ وَهِيَ العَدُوُّ الدَّاخِلِيُّ الأَخْطَرُ عَلَى وُجُودِ الأُمَّةِ وَالَّذِي يَتَهَدَّدُ  
كِيَانَهَا بِالتَّقْوِيضِ وَالهَدْمِ، وَلِهَذَا بَنَى عَلَيْهِ بِنْيَتِي القَصِيدَتَيْنِ وَجَعَلَهُ المِحْوَرَ الأَسَاسِ فِيهِمَا، وَإِذَا كَانَ هُوَ الرَّمْزُ الكُلِّيُّ  
فِيهِمَا وَبُورَةُ الإِيحَاءِ وَالدَّلَالَةَ فَقَدْ سَاقَ مَعَهُ رُمُوزًا جُزْئِيَّةً مُشَارِكَةً فِي إِنتِاجِ الدَّلَالَةِ وَنَتَجِي إِلَى حَقْلِهِ أَوْ إِلَى عَالَمِهِ  
وَتُدْرِكُ دِلَالَتُهَا فِي سِيَاقِ الرَّمْزِ الكُلِّيِّ، وَأَهْمُ رَمْزٍ جُزْئِيٍّ فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ رَمَزُ (التَّنَارِ) الدَّالُّ عَلَى الأَعْدَاءِ  
المُحْتَلِينَ.

وَعَبْرَ بَعِيدٍ عَنِ القِيَمَةِ الدَّلَالِيَّةِ لِلرَّمْزِ فَهَنَّاكَ قِيَمَةً إِيقَاعِيَّةً مَكَّنَتْ الرَّمْزَ الرَّئِيسَ (البسوس) فِي القَصِيدَتَيْنِ مِنْ  
الانْتِشَارِ وَالتَّكْرَارِ فِي النِّصِّ مُثِيرًا إِيحَاءَاتِهِ الخَفِيَّةَ وَالعَمِيقَةَ، وَتَبَرُّزُ هَذِهِ القِيَمَةِ فِي التَّرَكِيبَةِ الصَّوْتِيَّةِ لِلرَّمْزِ - بِوصْفِهِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 80.

رَمَزًا شَخْصِيًّا ذَاتِيًّا أَخْذًا دَلَالَتُهُ فِي سِيَاقِ النَّصِّ - الَّذِي يَتَكَرَّرُ فِيهِ الصَّامِتُ الْمَهْمُوسُ (السَّيْنُ) مَرَّتَيْنِ وَيَتْرُكُ أَثْرَهُ فِي قَافِيَةِ الْقَصِيدَةِ - كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ الْأُولَى - وَإِذَا كَانَتْ التَّرَكِيبَةُ الصَّوْتِيَّةُ لِلرَّمْزِ أَوْ دَالَهُ الصَّوْتِيُّ يَنْطَوِي عَلَى الْإِشَارَةِ إِلَى مَا هُوَ خَفِيٌّ وَغَامِضٌ وَمُسْتَعْصِي عَلَى النَّظَرِ فَكَذَلِكَ الْمَدْلُولُ الذُّهْنِيُّ الَّذِي يَتَجَاوَزُ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ فِي الرَّمْزِ إِلَى الْمَعْنَى الثَّانِي أَوْ مَعْنَى الْمَعْنَى وَهُوَ التَّفَرُّقُ الْمُهْلِكُ وَالْإِخْتِلَافُ الْمُمِيتُ لِلأُمَّةِ تَبِيحَةً الْأَهْوَاءِ الْمُضَلَّةِ وَالْأَرَءِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَفْكَارِ الْمُعْرِضَةِ، وَهَذِهِ مَدْلُولَاتٌ خَفِيَّةٌ تَسْرِي فِي النَّفْسِ، فَالصَّلَةُ قَائِمَةٌ بَيْنَ الرَّمْزِ وَمَدْلُولِهِ الشَّخْصِيِّ الَّذِي نَتَجَّ فِي رَحِمِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فَالرَّمْزُ الشَّخْصِيُّ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَفْتَرِضُ "عِلَاقَةً طَبِيعِيَّةً مُسَبَّغَةً بَيْنَ الدَّالِّ وَالْمَدْلُولِ، كَأَنَّ نَقُولَ إِنَّ الْمَاءَ رَمَزُ الصَّفَاءِ وَالتَّجَدُّدِ وَالْحَيَاةِ، وَبَيْنَمَا يَنْطَبِقُ الدَّالُّ عَلَى الْمَدْلُولِ تَمَامًا فِي حَالَةِ الْعِلَاقَةِ الْعَوِيَّةِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَخْتَلِفُ عَنِ ذَلِكَ فِي الرَّمْزِ".<sup>(1)</sup> إِنَّ لِلصَّلَةِ بَيْنَ الصُّورَةِ السَّمْعِيَّةِ وَالذُّهْنِيَّةِ وَالتَّنْفِيسِيَّةِ لِلرَّمْزِ "دَوْرًا وَاضِحًا فِي تَثْبِيثِ الرَّمْزِ وَإِشَاعَتِهِ؛ فَوْقَهُ الصَّوْتِيُّ، أَوْ شَكْلُهُ الْإِيقَاعِيُّ وَهَيَأَتُهُ مَكْتُوبًا وَمَا يُثْبِرُهُ فِي الذُّهْنِ مِنْ تَرَابُطَاتٍ، أُمُورٌ تُؤَثِّرُ فِي فَاعِلِيَّةِ الرَّمْزِ وَتَحْدِيدِ مَعْنَاهُ وَدَلَالَتِهِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي أَعْمَالِ الشَّاعِرِ وَتُفَجِّرُ مَنَاحَتَهُ وَأَجْوَاهَهُ".<sup>(2)</sup> فَرَمَزُ (الْبَسُوسِ) يَنْسِقُ مِنْ حَيْثُ بَنِيَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ وَالدَّلَالِيَّةُ مَعَ الْبِنْيَةِ الْكَلْبِيَّةِ لِقَصِيدَتِهِ، وَيُعَزِّزُ دَلَالَتَهَا وَيُقَوِّي مَعْنَاهَا وَيُوضِّحُ مَعْرَاهَا.

وَيَبْتَضِعُ مِنْ هَذَا التَّوْظِيفِ الْفَنِّيِّ لِلْأَحْدَاثِ أَوْ لِلشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ أَنَّ لِلشَّاعِرِ الْحُرِّيَّةَ فِي "أَنْ يَسْتَخْدِمَ أَيَّ مَوْضُوعٍ أَوْ مَوْقِفٍ أَوْ حَادِثَةٍ اسْتِخْدَامًا رَمْزِيًّا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ اسْتُخْدِمَتْ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْاسْتِخْدَامِ".<sup>(3)</sup> هَذِهِ بَعْضُ الرَّمُوزِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فِي مَتْنِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاصِرِ، وَقَدْ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَعَدَّدَتْ طُرُقُ تَوْظِيفِهَا وَاخْتَلَفَتْ دَلَالَاتُ ذَلِكَ التَّوْظِيفِ وَلَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا الْوُقُوفُ عَلَيْهَا جَمِيعًا.

### 1-3-2-1- الرَّمْزُ الطَّبِيعِيُّ:

تُلَجِّئُ التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ، فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ، الشَّاعِرَ إِلَى أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عَنَاصِرِهَا الْجَامِدَةَ وَالْمُتَحَرِّكَةَ، الْمَيِّتَةَ وَالْحَيَّةَ، رُمُوزًا لِكَثِيرٍ مِنْ أَفْكَارِهِ وَرُؤَاهُ، فَقَدْ "كَانَتْ الطَّبِيعَةُ نَبْعًا لِلرَّمُوزِ وَالْأَسَاطِيرِ لَا نِهَآيَةَ لَهُ، لَقَدْ احْتَضَنَتْ مِنْدُ الْبَدْءِ، الْفِعْلَ الْإِنْسَانِيَّ تُثْبِرُهُ، وَتُنَمِّيهِ، وَتُحَاوِرُهُ، وَبَسَحِرْهَا وَجَلَّلَهَا الْعَامِضُ الطَّرِيَّ كَانَتْ مَصْدَرًا لِدَهْشَةِ الْإِنْسَانِ، وَمَبْعَثًا لِحَنِينِهِ وَإِحْسَاسِهِ بِالْجَمَالِ، كَانَتْ، بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، رَمَزًا لِتَشَوُّقِهِ إِلَى الْمَطْلَقِ وَالسَّامِيِّ وَالْبَعِيدِ".<sup>(4)</sup> وَيَرْتَفِعُ الشَّاعِرُ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ عَنَاصِرِ الطَّبِيعَةِ بِاللَّفْظَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعُنْصُرِ الطَّبِيعِيِّ، كَلْفِظَةِ (الْمَطْرِ) مَثَلًا مِنْ مَدْلُولِهَا

(1) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد العربي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 1992، ص: 39.

(2) علي جعفر العلاق: في حادثة النص الشعري، ص: 69.

(3) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 199.

(4) علي جعفر العلاق: في حادثة النص الشعري، ص: 51.

المعروف إلى مُستوى الرمز، فهو يُحاول من خلال رؤيته الشعورية أن يشحن اللفظ بمدلولات شعورية خاصةً وجديدة<sup>(1)</sup>، ويرتبط نوع من هذه الرموز بالأماكن التي تحمل دلالات شعورية خاصةً كـ(الأوراس).  
يُنشئ رمز(الأوراس)، الذي وظفه الشاعر العربي والإسلامي، في نماذج شعرية كثيرة ومتنوعة، فرمز (الأوراس) "الوشم الخالد في الذكرة الثورية العربية والإسلامية والإنسانية، هو شهادة ميلاد الثورة المعجزة، ومسقط رصاصها، وكعبة الثوار الميامين على امتداد الأزمنة واختلاف الأمكنة، مرادف الوطن الصامد المكافح، ومعادله الفني الذي حوله من مجرد حصن جبلي مبيع إلى فضاء جمالي أسطوري ممتع".<sup>(2)</sup> ومن تلك النماذج قصيدة حسن المراني في مجموعته الشعرية(سيده الأوراس) التي يقول فيها<sup>(3)</sup>:

من عمامة الأوراس  
تطلع سيده  
تترين بالكلم النبوي  
وبالشجر الباتني  
وبالبندقيه  
تزلزل، باسم المهيمن، كل القلاع العصيه  
تقول: انهضوا!  
من دمانا الزكية تُشرق شمس الصباح  
تقول: انفضوا  
عن محاجركم عجزكم وارفضوا  
واصنعوا مم عزائمكم  
شفرات الرماح!  
من عمامة الأوراس  
تطلع سيده  
ما أشد مهابتها  
ما أجل عزيمتها الماضيه  
الجياه انحنت  
تحت عصف الرياح

(1) عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 219.

(2) يوسف وغيلسي(شعرية الأوراس في القصيدة العربية المعاصرة)مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ع: 3، 2008، ص: 193.

(3) حسن المراني: سيده الأوراس، ص: 24.

وَهِيَ سَيْفٌ تَوَقَّدَ  
عِنْدَ سُرَادِقِ سَعْدٍ  
يَشْقُ الصُّفُوفِ  
لِيَنْهَلَ مِنْ كَبَدِ الطَّاعِيهِ  
لِفَاطِمَةَ كُلِّ هَذَا الْجَمَالِ  
وَهَذَا الْجَمَالِ  
لِفَاطِمَةَ كُلِّ هَذَا الْبَهَاءِ الْعَصِيِّ  
الَّذِي تَنْفِيًّا فِي خَافِقِيهِ الظُّلَالِ  
لِفَاطِمَةَ كُلِّ هَذَا الشُّمُوحِ  
الَّذِي أَحْطَأَتْهُ، زَمَانَ الْجَفَافِ، الرَّجَالِ  
وَهَذَا الصُّمُودِ الَّذِي  
تَسْتَحِمُّ عَلَى ضِفْتَيْهِ الْجِبَالِ

وَيَقُولُ فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ<sup>(1)</sup>:

مِنْ جِرَاحَةِ الْأُورَاسِ  
تَنْشُرُ سَيِّدَةً لِلرِّيَّاحِ مَوَاعِيدَهَا  
وَيُلَوِّحُ مِنْدِيلُهَا بِيَدِ  
وَيْدٍ، كَالْحَرِيرِ، تَقْلُ الْحَدِيدَا  
وَتَفْتَحُ عَصْرًا جَدِيدَا

وَمَنْ تَمَّ يُعَدُّ (الأوراس)، لِكثَافَةِ تَدَاوُلِهِ شِعْرِيًّا رَمَزًا عَامًّا اسْتَلْهَمَهُ الشُّعْرَاءُ فِي تَجَارِبِهِمُ الشُّعْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَاسْتَحْضَرُ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ لِلْمَاضِي الْأُورَاسِي الْحَالِمِ عَقْدًا شِعْرِيًّا ثَمِينًا، مُشْرِقًا مُتَأَلِّقًا مُعَلِّقًا عَلَى صَدْرِ الْقَصِيدَةِ الثَّوْرِيَّةِ، فِي الْوَاقِعِ الْعَرَبِيِّ الْمُظْلَمِ الْمُثْقَلِ بِالْحَيَاتِ وَالنَّكْسَاتِ هُوَ تَعْوِيضٌ نَفْسِيٌّ رَمَزِيٌّ لِهَذَا النِّقْصِ الرَّهِيْبِ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى نَفْسِيَّةِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمَهْزُومِ وَحَوَّلَهَا إِلَى مَفَازَةٍ مُوَحِّشَةٍ لَا يَعْرِفُ فِيهَا غَيْرَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ وَالْإِنْكِسَارِ...".<sup>(2)</sup> وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَفِي سِيَاقَاتِ التَّشَاوُحِ وَالْإِسْتِسْلَامِ فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَخْتَلِفُ فَإِنَّ اسْتِدْعَاءَ هَذَا الرَّمْزِ أَوْ اسْتَلْهَامَهُ وَمَا يُمَاتِلُهُ مِنْ رَمُوزِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَمَكْنَةِ التَّارِيخِيَّةِ فَإِنَّهُ اسْتِمْدَادٌ لِعُنَاصِرِ الْقُوَّةِ وَالْحَيَاةِ الْكَامِنَةِ فِي ذَاكِرَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْحَيَّةِ فَشُمُوحُ (الأوراس) وَصَلَابَتُهُ وَقُوَّتُهُ شُمُوحُ الْأُمَّةِ وَصَلَابَتُهَا وَقُوَّتُهَا وَإِنْ مَرَّتْ بِمَرَحَلَةٍ ضَعْفٍ عَصِيْبَةٍ فَنَهَضَتْهَا وَشَيْكَةً وَعَوَدَتْهَا مُرْتَقِبَةً وَانْتِفَاضَتْهَا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 32.

(2) يوسف وعليسى: (شعرية الأوراس في القصيدة العربية المعاصرة)، ص: 193.

مُنْتَظَرَةٌ، وَالشَّاعِرُ يَتَعَامَلُ مَعَ الرَّمْزِ بِإِجَابِيَّةٍ مِنْ هَذَا مُنْطَلِقِ التَّفَاوُلِ وَهُوَ مُنْطَلِقُ عَقِيدَتِهِ وَرُؤْيِيَّتِهِ، فَإِذَا خَاطَبَ (الأوراس) خَاطَبَهُ مُعْجَبًا وَمُؤْمِنًا بِأَنَّ الحِصْنَ المِعْطَاءَ الَّذِي أَخْرَجَ الرَّجَالَ بِالأَمْسِ يُخْرِجُهُمُ اليَوْمَ وَغَدًا وَمُبَشِّرًا بِالنَّصْرِ وَبِالْفَتْحِ، يَقُولُ العُمَارِيُّ (1):

أوراسُ يَا سَيْفًا يَثُورُ وَيَا خَيْوَلًا تُرْتَقَبُ  
أَشْرِقُ بِتَارِيخِ الجِهَادِ وَمُدَّ مَلْحَمَةِ الرَّهْبِ  
وَأَقْرَأُ عُيُونَ الشَّمْسِ تَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ الأَشْبِ  
وَخُضَّ السَّبَّاقَ فَإِنَّمَا العَايَاتُ تُدْرِكُ بِالحَيْبِ!  
أَشْرِقُ فَإِنَّ صَبَّاحَكَ الحُرِّ المُضِيِّ قَدْ أَقْتَرَبَ  
وَأَنْسَخَ بِآيَاتِ الجِهَادِ خُرَافَةَ القَوْلِ الكَذِبِ!

وَلَا يَقْتَصِرُ الرَّمْزُ العَامُّ عَلَى رَمَزِ (الأوراس) وَحْدَهُ، بَلْ يَتَّصِلُ بِ"رُمُوزِ تَارِيخِيَّةٍ قَدِيمَةٍ أَوْ حَدِيثَةٍ أَوْ شَعْبِيَّةٍ، أَوْ أُسْطُورِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ أَوْ إِنْسَانِيَّةٍ أَوْ مَا يَكُونُ مَزْجًا يَجْمَعُ بَيْنَ أَلْوَانٍ مِنْهَا، وَهَذِهِ كَلْمًا تَحْتَاجُ إِلَى تَحْدِيدِ قَسَمَاتِهَا وَمُكُونَاتِهَا الدَّلَالِيَّةِ الأَسَاسِيَّةِ لِتُقِيمَ جِسْرًا بَيْنَ عَالَمِ الشَّاعِرِ فِي تَجْرِبَتِهِ وَرُؤْيِيَّتِهِ وَأَفَاقِ يَصِلُ إِلَيْهَا القَارِيءُ". (2) وَقَدْ يَتَّصِلُ بِمَا لَهُ صِلَةٌ بِالتَّارِيخِ الأَدَبِيِّ وَالاِجْتِمَاعِيِّ. (3) وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الرُّمُوزِ فَتَلْحَقُ بِالرَّمْزِ الحَاصِّ فَهِيَ لَا تَحْيَا إِلَّا فِي سِيَاقِ القَصِيدَةِ لِأَنَّهَا بِنَاءٍ لِعَوِيٍّ يَسْتَمِدُّ قِيمَتَهُ مِنَ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ ثُمَّ مِنْ تَخْصِيصِهَا بِحَسَبِ تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ فِي مَوْقِفِ مِنَ المَوَاقِفِ أَوْ فِي رُؤْيِيَّةٍ لَهُ تُلَوِّنُ عَدَدًا مِنَ التَّجَارِبِ. (4)

وَقَدْ تَوَاتَرَ (الأوراس) فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَيْرَ أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَحْهُ صِفَةَ الرَّمْزِ الكُلِّيِّ أَوْ المِحْوَرِيِّ مَعَ احْتِفَازِهِ بِدِلَالَتِهِ الإِجَابِيَّةِ كَمَا كَانَ مُخْتَلِفٍ عَنِ بَقِيَّةِ الأَمْكِنَةِ، فَقَدْ ظَلَّ رَمْزًا جَزْئِيًّا شَارِكْتَهُ فِي وَظِيفَتِهِ رُمُوزٌ أُخْرَى كـ (سَعْدِ) وَ(الطَّاعِيَّةِ) وَ(فَاطِمَةَ)، وَإِنَّمَا وَظِفُهُ الشَّاعِرُ لِإِضَاءَةِ الرَّمْزِ المُرْكَزِيِّ فِي القَصِيدَةِ، وَهُوَ رَمْزُ (فَاطِمَةَ). فَيُمْكِنُ عَدُّ (فَاطِمَةَ) الرَّمْزِ الكُلِّيِّ فِي المَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ، وَقَدْ مَارَسَ إِلْحَاحَهُ عَلَى الشَّاعِرِ وَتَجَلَّى مِنْ خِلَالِ حُضُورِهِ اسْمًا وَصِفَةً وَضَمِيرًا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى اِهْتِمَامِهِ فَهُوَ يَظْهَرُ صَرَاحَةً بِلَفْظِهِ وَبِإِجَاءَاتِهِ وَظِلَالِهِ فِي السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ، إِنَّ رَمْزَ (فَاطِمَةَ) يَرْتَقِي إِلَى مُسْتَوَى الرَّمْزِ الفَنِّيِّ أَوْ الشَّعْرِيِّ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ إِشَارَةٍ بَاهِتَةٍ قَاصِرَةِ الدَّلَالَةِ أَوْ مُجَرَّدَ عِلَامَةٍ مَحْدُودَةِ المَعْنَى، إِنَّهُ رَمْزٌ مُوَحِّ وَهَذِهِ الحَاصَّةُ الإِجَابِيَّةُ تَجْعَلُهُ مُتَعَدِّدَ الدَّلَالَاتِ فَلَا يَتَّبَتُّ فِي دِلَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَإِنْ تَكُنْ إِحْدَاهَا أَعْلَقَ بِهِ مِنْ غَيْرِهَا، فَقِيمَةُ الرَّمْزِ إِجَابِيَّةٌ تُوقِعُ فِي النَفْسِ مَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ بِطَرِيقِ التَّسْمِيَةِ

(1) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 17.

(2) فايز الداية: جماليات الأسلوب، ص: 207.

(3) فايز الداية: علم الدلالة العربي، ص: 443.

(4) فايز الداية: جماليات الأسلوب، ص: 238.

والتصريح<sup>(1)</sup>. فـ(فاطمة) في القصيدة رمزُ الأصالة وقد جعلها الشاعر تطلع من عمامة الأوراس) و(العمامة) هي، أيضاً، رمزُ إسلاميٍّ وسمتُ عربيٌّ إذ ورد في الأثر ((أن العمائم تيجان العرب))، وورد فيه أيضاً ((أن العمائم وقار المؤمن)).<sup>(2)</sup> وقد قصد الأمراني بـ(فاطمة) فاطمة أنسومر (1830م-1863م) كما تدلُّ على ذلك عتبة العنوان (سيده الأوراس)، ويوصف العنوان علامةً جوهريةً تكمنُ وظيفته في تعيين مضمون العمل قبل أن تُحدد هويته أو تُبرز قيمته، وهذه أبرز وظائف العنوان.<sup>(3)</sup>

وكما تشيرُ إلى ذلك عتبة الإهداء بوصفها نصاً موازياً يشتملُ شبكةً من العناصر النصية والخارج نصية، التي تُصاحبُ النصَّ وتُحيطُ به، فتجعله قابلاً للتداول، إن لم يكن وفق مقصدية المؤلف، فعلى الأقل ضمن مسار تداولي لا ينزاح كثير عن دائرتها. فالنص الموازي، بهذا المعنى، يمثلُ سائحاً أو أفقاً يوجه القراءة ويحد من جموح التأويل، من خلال ما يساهم في رسمه من آفاق انتظارٍ محدّدة.<sup>(4)</sup> يقول الشاعر في الإهداء<sup>(5)</sup>:

إلى المجاهدة فاطمة أنسومر مرةً أخرى،  
الصوتُ المُحدّد عهد الملاحم الأولى  
إلى شهرزاد العربي وأخواتها  
وهنَّ يُصارعن ظلمات العرب.

وقد وظف الأمراني رمزين جزئيين لياضعة الرمز (فاطمة) أو لياضعة بنية الصورة، وهما رمز (سعد) و(الطاغية)، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك، حين يقول:

وهي سيفٌ توقد  
عند سرادق سعد  
يشقُّ الصفوف

لينهل من كبد الطاغية

والشاعر من خلال الرمزين يشيرُ إلى إحدى اللحظات المُشرقة في التاريخ الإسلامي، وهي معركة القادسية التي وقعت في سنة (15هـ/635م) بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة (رستم)، وقد انتهت بانتصار جيش المسلمين وهزيمة الفرس ومقتل (رستم)، وقد رمز الشاعر بالطاغية إلى (رستم).

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 203.

(2) مصطفى محمد الغماري: في النقد والتحقيق، ص: 17.

(3) نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 2007، ص: 45.

(4) المرجع نفسه، ص: 21.

(5) حسن الأمراني: سيده الأوراس، ص: 7.

فإن (فاطمة) بعد ذلك معين من الإيحاءات التي لا تنضب والتي تمتد إلى عمق تاريخنا الإسلامي وتاريخنا المعاصر (فاطمة) هي المرأة المسلمة في كل مكان، هي البنت والأخت والزوج والأم وهي الأمة والدولة، فالرمز يحمل شحنته الدلالية معه في أي سياق جاء، وليس عجيباً بعد ذلك أن يطلق الشاعر هذا الرمز بصيغة الجمع، ويعممه على كل النساء المسلمات المضطهدات اللاتي تجب إغاثتهن ليشير متلقيه برسالته الشعرية، فهو يعلم بما في هذا الرمز من دلالة قوية عريقة، يقول يوسف القرضاوي<sup>(1)</sup>:

مَنْ يَعْضِبُ لِلْبُكَرِ اغْتَضِبَتْ مِنْ عِلْجٍ يَقْضِمُهَا نَجَسًا!  
يَحْسِبُهَا مِثْلَ سِيحَارَتِهِ إِذْ يُحْرِفُهَا نَفْسًا نَفْسًا  
مَنْ لِي بِخِيُولِ صَلَاحِ الدِّينِ تَصُدُّ الْعُدُوَانَ الشَّرْسَا؟  
وَتُجِيبُ فَوَاطِمَ قَدْ صَرَخَتْ مَا أَلْفَتْ حَمَزَةَ أَوْ أَنْسَا

ويتأتى التعدد الدلالي الذي تخصص به بنية الرمز من الكثافة الشعورية والمعنوية التي يعبر عنها الرمز، ويقوم عليها؛ أي أن الإيحائية إذ تكون سمة للرمز، تكون أيضاً سمة للتجربة الجمالية من حيث الكثافة والعمق والتنوع. ولهذا فإن المجاننية أو الاعتباطية في طرح الرموز، لن تؤدي، بحال من الأحوال، إلى إيحائية ذات وظيفة جمالية-تعبيرية، فالإيحاء الجمالي إحاء مكثف ممتلي بموضوعه، يؤدي وظيفة يعجز عنها التناول المباشر للتجربة أو للظواهر والأشياء.<sup>(2)</sup> وبلا شك فإن مستوى التوظيف الفني للرمز العام يختلف من شاعر إسلامي إلى آخر، ودلالته تختلف من سياق شعري إلى آخر، فإذا في النص السابق يحمل دلالة الأبوة الأصيلة التي تنجب النساء والرجال وتحسن التربية أو دلالة المدرسة الأصيلة التي تخرج المجاهدين والمجاهدين فتحسن الإخراج، فإن (الأوراس) في قصيدة (الفجر) لمحمد منلا غزيل الحصن الذي يذود عن العقيدة ويحمي الإسلام، فهو يفجر الثورة وينادي إلى الجهاد ويحرر الأوطان، يقول الشاعر<sup>(3)</sup>:

جَزَائِرُنَا مُجَاهِدَةٌ      وَفِي أَوْرَاسٍ تُحْرِيرُ  
يُدْوِي فِي الذَّرَى الشَّمُّ      بِصَوْتِ الْحَقِّ تَكْبِيرُ  
تُكَافِحُ دُونَ عِزَّتِهَا      وَجَيْشُ الْكُفْرِ مَسْعُورُ  
صَلِيبِي تُحَرِّكُهُ      سَخَافَاتُ وَتَبَشِيرُ  
وَشَعْبِي صَابِرٌ يَقِظُ      عَلَى الْإِيمَانِ مَفْطُورُ  
يُدَافِعُ عَنِ عَقِيدَتِهِ      عَنِ الْإِسْلَامِ جُمُهورُ

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 86.

(2) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 72.

(3) محمد حسن بريغش: الأدب الإسلامي المعاصر، ص: 114.

إنَّ دِلَالَةَ الرَّمَزِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ السِّيَاقِ، فَحَمِيمَتُهُ الْحَمَالِيَّةُ وَهُوَئِهِ الْفَنِيَّةُ تَبْرُزَانِ فِي السِّيَاقِ الَّذِي يُسْتَعْتَمَدُ فِيهِ وَتَنْعَدِمَانِ فِي مَنْأَى عَنِ السِّيَاقِ، فَ"الرَّمَزُ بِارْتِبَاطِهِ بِالسِّيَاقِ الْفَنِيِّ، مُتَعَيِّرٌ وَمُتَّحِدٌ دَائِمًا، مِنْ حَيْثُ الْمَضْمُونُ. فَكُلُّ سِيَاقٍ يَفْرِضُ مَضْمُونًا خَاصًّا بِهِ. وَلَا يَجُوزُ التَّعَامُلُ مَعَ الرَّمَزِ الْفَنِيِّ بِمَعْرَلٍ عَنِ سِيَاقِهِ، وَكَأَنَّ لَهُ كِيَانًا عَامًّا مُشْتَرَكًا بَيْنَ النُّصُوصِ الشُّعْرِيَّةِ كَافَّةً، أَوْ كَأَنَّ الْكَيْنُونَةَ الْوَاقِعِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ تَفْرِضَ كَيْنُونَةً رَمَازِيَّةً مُحَدَّدَةً.<sup>(1)</sup>

وقَدْ وَظَّفَ الْعُمَارِيُّ رَمَزَ (الْأُورَاسِ) فِي مَوَاضِعَ مِنْ مَتْنِهِ الشُّعْرِيِّ تَرَاوَحَ بَيْنَ التَّوْظِيفِ الْجُزْئِيِّ وَالتَّوْظِيفِ الْكُلِّيِّ، فَهُوَ رَمَزٌ جُزْئِيٌّ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

إِقْرَأْ كِتَابَ النَّارِ مِنْ "أُورَاسِنَا"  
 شَمَمٌ يُضِيءُ جَبِينَهُ.. وَوَقَارٌ  
 وَاسْأَلْ عَنِ الصَّالِبِينَ عَذَابَهُ  
 يُنْبِئُكَ مَا الثَّوَرَاتُ؟ مَا الثَّوَارُ؟  
 كَانُوا الْجَهَادَا..

فِيَا أَصَالَةَ سَجَلِي..

وَتَمَرَّغِي فِي الزَّيْفِ.. يَا أُوزَارُ..

غَيْرَ أَنَّ الشَّاعِرَ جَعَلَهُ فِي قَصِيدَةٍ (وَسَلَّ الْأَمِيرَ... رَمَزًا كَلِمًا مُحَدَّدًا تَقُومُ عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ وَتَسِيرُ بَقِيَّةُ الرُّمُوزِ الْمُسْتَدْعَاةِ فِي فَلَكِهِ، فَهُوَ رَمَزٌ كَثِيفٌ الْإِيحَاءِ فِي سِيَاقِهِ الشُّعْرِيِّ يَهَيِّمُنْ دِلَالِيًّا عَلَى كُلِّ الرُّمُوزِ، فَأَصْبَحَ لُغَةً الْقَصِيدَةِ الْجَدِيدَةِ تِلْكَ "اللُّغَةُ الدَّاخِلِيَّةُ الَّتِي تَأْخُذُ بِالْمُتَلَقِّي بَعِيدًا عَنِ ظَوَاهِرِ الْمُسَمِّيَّاتِ لِيَتَعَمَّقَهَا، وَلِيَكُونَ تَأْثِيرَهَا فِي نَفْسِهِ مِنْ خِلَالِ أَعْمَقِ الْمُسْتَوَيَّاتِ حَتَّى تَتِمَّ عَمَلِيَّةُ التَّفَاعُلِ بَيْنَ هَذَا الْمُتَلَقِّي وَالنَّصِّ الشُّعْرِيِّ عَلَى الْوَجْهِ السَّلِيمِ مِنْ خِلَالِ هَذَا الشُّكْلِ مِنْ أَشْكَالِ التَّعْبِيرِ الَّذِي يَرْتَبِطُ بِغَيْرِهِ مِنْ أَسَالِبِ التَّعْبِيرِ الْأُخْرَى فِي حَمَلِ أَفْكَارِ الشَّاعِرِ وَمَا يَدُورُ فِي خَلْدِهِ".<sup>(3)</sup> وَقَدْ تَوَزَّعَ الرَّمَزُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَقَاطِعَ آتِيَةٍ، فَوَرَدَ فِي الْمَقْطَعِ الْاسْتِهْلَالِيِّ حَامِلًا دِلَالَةَ التَّحَدِّيِّ وَالسُّخْرِيَّةِ مِنْ كُلِّ النَّاتِبَاتِ<sup>(4)</sup>:

أُسْجُدْ لِرَبِّكَ وَاقْتَرِبْ وَإِلَيْهِ فِي الْجَلِيِّ أَنْبُ  
 وَقُلْ: الْجَزَائِرُ، وَأَرُوْ عَنِ خَيْلِ مُطَهَّمَةٍ عُرْبُ  
 خَيْلُ الْجَهَادِ الْوَرْدُ يَخْطُرُ فِي النَّوَاصِي وَاللَّهَبُ  
 خَيْلُ الْمَدَى الْفَهْرِيِّ يَا كَبْرَ الْجُدُودِ.. وَيَا نَسَبُ

(1) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 73.

(2) مصطفى محمد الغماري: عرس في مأثم الحجاج، ص: 20.

(3) جمال يونس لغة الشعر عند سميح القاسم، ص: 156.

(4) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 11.

يَطْوِي الْحُدُودَ صَهِيلَهَا فَتَحًا تَفْتَحَ بِالْعَجَبِ  
وَتَكَادُ تَشْرِبُهُ الرِّمَالُ يَكَادُ يَقْطُرُ كَالْحَبِّ  
نَعْمَ أَجَلٌ مِنَ الْأَلَى كَانُوا فَأَزْهَرَتِ الْكُتُبُ  
تَمَّوَجُ الصَّحْرَاءُ فِي أَيَّامِهِ الْخَضِرِ الْقُشْبِ  
وَتَرَى عَلَى أَيَّامِهِ أُرَاسَ يَهْزَأُ بِالثُّوبِ  
بِالْقَادِمِينَ مِنَ الظَّلَامِ عَلَى سَفَائِنٍ مِنْ رَهَبٍ  
وَوَرَدَ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي حَامِلًا دِلَالَةَ الثَّوْرَةِ وَالْمَقَاوِمَةِ وَالْفَتْحِ (1):

أُرَاسُ يَا سَيْفًا يُثُورُ وَيَا خَيْوَلًا تُرْتَقَبُ  
أَشْرِيقُ بِتَارِيخِ الْجِهَادِ وَمُدَّ مَلْحَمَةِ الرَّهَبِ  
وَاقْرَأْ عَيْوْنَ الشَّمْسِ تَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ الْأَشْبِ  
وَخُضِّ السَّبَّاقَ فَإِنَّمَا الْغَايَاتُ تُدْرِكُ بِالْحَبِّ!  
أَشْرِيقُ فَإِنَّ صَبَاحَكَ الْحُرِّ الْمُضِيِّ قَدْ اقْتَرَبَ  
وَأَنْسَخَ بِآيَاتِ الْجِهَادِ خُرَافَةَ الْقَوْلِ الْكَذِبِ!  
الْحُرُّ يُوَلِّدُ مِنْ جَدِيدٍ فِي الْمَآسِي لَأَ الطَّرْبِ  
لَا كَانَ مِنْ أَلْفِ الصَّبِيَّاعِ الْمُرِّ وَاحْتَرَفَ الطَّلْبِ  
الْحَقُّ يُدْرِكُ بِالْحَدِيدِ وَلَيْسَ يُدْرِكُ بِالْخَطْبِ  
وَوَرَدَ فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ حَامِلًا دِلَالَةَ الْإِقْدَامِ وَالْجُرْأَةِ وَالْغَضَبِ (2):

وَقَضَى الْجِهَادَ فَمَدَّ أُرَاسُ شُمُوسًا مِنْ غَضَبٍ  
وَأَمْتَدَّ مِنْ أَبْعَادِهِ سَبْعًا مُضِيئَاتٍ خُضْبٍ  
بِدِمَاءٍ مَنْ كَانُوا فَكَانَ الْوَعْدُ يَخْتَرِقُ الْحُجْبِ  
أَبْنَاءُ عُقْبَةَ كَبَّرُوا يَا خَيْرَ أَبْنَاءِ وَأَبِ  
جِيلًا حُسَيْنِيَّ الرَّسَالَةَ لَا يَزِيدِي اللَّقْبِ!  
حَمَلَ الدُّرُوبَ قَصِيدَةً عَطَشِي وَأَمَالًا قُشْبِ  
حَتَّى ارْتَوَتْ مِنْ جُرْحِهِ سُمُّ الدُّرُوبِ وَمَا شَرِبُ!  
لَا الْقَهْرُ يُثْنِي مِنْ خُطَاهُ وَلَا الشَّقَاءُ وَإِنْ حَزَبُ  
لَمْ تُعْرِهِ الْأَطْمَاعُ إِنْ يُعْرِى سِوَاهُ فَيَسْتَلْبُ  
مَنْ فَلَسْفُوكَ وَمَنْ تَمَارَوْا فِي انْتِمَائِكَ بِالرَّيْبِ؟

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 17.

(2) المصدر نفسه، ص: 17.

رَسَمُوا الْحَيَاةَ وَكَمْ تَهُونُ بِمَنْجَلِ صَدِيِّ خَرِبٍ!

وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الرَّمَزَ اسْتَقَلَّ بِالْقَصِيدَةِ وَأَقْصَى لِحِطَّةِ الْإِبْدَاعِ كُلِّ رَمَزٍ قَدْ يُشْرِكُهُ فِي وَطِيفَتِهِ، فَإِنَّ تَوَاتُرَ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ وَعَادَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ لِأَنَّهُ الرَّمَزُ الْمُحَوَّرِيُّ الَّذِي يُسْنَدُ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ، فَقَدْ جَاءَتْ فِي الْقَصِيدَةِ رُمُوزٌ جُزْئِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَاصْطِنَاعِيَّةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ تُعْنِي التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ بِدَلَالَاتٍ جَدِيدَةٍ كَمَا هُوَ وَأَضِحٌ فِي الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ مِنْ مِثْلِ (عُقْبَةَ) وَ(حُسَيْنَ) وَ(يَزِيدَ) وَ(الْمِنْجَلَ) وَ(الْمَرَايَا)، وَرُمُوزٌ دِينِيَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ كَـ(الْمَسِيحِ) أَوْ(عَيْسَى) وَ(مَرْيَمَ) فِي مَقْطَعٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ (1):

بِاسْمِ الْمَسِيحِ تَنْمَرُوا كَمْ بِاسْمِهِ قُضِيَ الْأَرْبُ!  
لِلطَّهْرِ مَرْيَمُ.. لِلسَّلَامِ وَليدُهَا.. لَا لِلحَرْبِ!  
كَمْ بِاسْمِهِ قُتِلَ السَّلَامُ وَبِاسْمِهِ اعْتَصَرَ العَنْبُ!  
عَيْسَى حَنَانِكَ إِنْ نُشِرْ.. فَلدِينِهِمْ نَارَ العَرَبِ

وَيَقْدَمُ رَمَزُ (الْأَمِيرِ)، رَمَزًا لِلجِهَادِ وَعُنْوَانًا لِلْإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَبْدُ القَادِرِ الجَزَائِرِيِّ (1808م- 1883م) فَقَدْ اسْتَدْعَاهُ الشَّاعِرُ بِالصِّفَةِ أَوْ بِاللَّقَبِ الَّذِي اشتهر به أَوْ بالدَّوْرِ الَّذِي يُمثَلُهُ، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ اخْتَارَ عَنْ قَصْدٍ أَنْ يَسْتَدْعِيَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهُ جَدِيرٌ بِهَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا يَرْتَبِطُ بِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الهَامَّةِ كَـ(أُمِّ البَنِينَ) وَ(خَضْرَاءَ)، فَهِيَ أَكْثَرُ الرُّمُوزِ حُضُورًا فِي الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ العُمَارِيُّ (2):

وَسَلِ الْأَمِيرَ يُجِبُّكَ تَارِيخٌ تَدَجَّى بِالْقُضْبِ!  
بِعَمَائِمِ الْأَحْرَارِ فِي لُغَةِ الجِهَادِ الْمُحْتَسَبِ!  
وَبِكُلِّ مَا تَهَبُ النُّفُوسُ وَمَا يَجُودُ بِهِ الحَسَبِ!  
لَمْ تُزْهِرِ الْأَيَّامُ إِلَّا فِي مَرَايَا الْقُشْبِ!  
وَسَلِ الْأَمِيرَ تَرَى الْأَمِيرَ يَدًا وَأَخْلَاقًا وَحُبًّا!  
فِي مُقَلَّتَيْهِ جَزَائِرُ أُمَّ المَعَاوِرِ التُّجُبِ  
لَا اللَّيْلُ يَحْجُبُهَا وَلَا ((خَضْرَاءُ)) عَنْهَا تَحْتَجِبُ  
((أُمُّ البَنِينَ)) قَصِيدَةٌ بِالرَّفْضِ تُكْتَبُ لَا الصَّخْبِ!  
((أُمُّ البَنِينَ)) سَأَلَهَا عْتَبَى وَنَجَّوَاهَا عَتَبُ  
عَنْ فَارِسٍ بِالكِبْرِ تُوجُّ لَنَا أَكَالِيلَ الذَّهَبِ

وَيَأْتِي رَمَزُ (خَضْرَاءَ) دَلَالًا عَلَى العَقِيدَةِ أَوْ دَلَالًا عَلَى الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ الرَّمَزُ الَّذِي أَكْثَرَ الشَّاعِرُ مِنْ تَدَاوُلِهِ حَتَّى غَدَا رَمَزُهُ الشَّخْصِيَّ، وَالرَّمَزُ الشَّخْصِيُّ هُوَ ذَلِكَ الرَّمَزُ الَّذِي يَتَكَرَّرُهُ الشَّاعِرُ ابْتِكَارًا مَحْضًا أَوْ يَقْتَلِعُهُ مِنْ حَائِطِهِ الْأَوَّلِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 12.

(2) المصدر نفسه، ص: 13.

أَوْ مِنْ مَبْنِيهِ الْأَسَاسِ لِإِفْرَغِهِ جُزْئِيًّا أَوْ كَلِّيًّا مِنْ شُحْنَتِهِ الرَّمِزِيَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ يَمْلَأُهُ بِدِلَالَةِ شَخْصِيَّةٍ أَوْ مَعْرَى ذَاتِيٍّ مُسْتَمَدٍّ مِنْ تَجْرِبَتِهِ الْخَاصَّةِ، وَفِي كُلِّ الْحَالَتَيْنِ يُصْبِحُ الرَّمُزُ ذَا نُكْهَةٍ شَخْصِيَّةٍ، يَعْذُو مُفْتَاَحًا مُهْمًّا يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ، وَفَضَّ الْمَعَالِيْقِ الَّتِي تُفْضِي إِلَى هَوَاجِسِهِ وَرُؤَاهِ وَانْشِعَالَاتِهِ".<sup>(1)</sup> فَالشَّاعِرُ يَلْمَسُ فِي (الْإِخْضِرَارِ) الْمَرْثِيِّ الْمَحْسُوسِ حَيَاةً وَخُصُوبَةً وَنَمَاءً وَحَمَالًا وَحَلَالًا وَسَلَامًا وَقُوَّةً وَيَلْمَسُ فِي عَقِيدَتِهِ (الْإِسْلَامِ) الْمَعْنَوِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ كُلَّ ذَلِكَ، وَمِنْ نَمَّةٍ جَعَلَ (خَضْرَاءَ) رَمْزًا لِلْعَقِيدَةِ، وَكَذَلِكَ يَنْشَأُ، فَهُوَ "تَرْكِيْبٌ لَفْظِيٌّ يَسْتَلْزِمُ مُسْتَوِيَيْنِ: مُسْتَوَى الصُّوْرِ الْحِسِّيَّةِ الَّتِي تُؤْخَذُ قَالِبًا لِلرَّمْزِ وَمُسْتَوَى الْحَالَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تَرْمُزُ إِلَيْهَا بِهِذِهِ الصُّوْرِ الْحِسِّيَّةِ. وَالْمَعْوَلُ فِي تَكْوِينِ الرَّمُزِ عَلَى وُجُودِ عِلَاقَةٍ تَرْبِطُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمُسْتَوِيَيْنِ، بِحَيْثُ إِذَا تَحَقَّقَتِ الصُّورَةُ الْحِسِّيَّةُ أَثَارَتْ تِلْكَ الْحَالَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تَرْمُزُ إِلَيْهَا".<sup>(2)</sup> وَبِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ اتَّخَذَ الشَّاعِرُ (الْمَنْجَلُ) رَمْزًا لِلْإِشْتِرَاقِيَّةِ - أَوْ لِلشُّيُوعِيَّةِ - وَ(الْمَنْجَلُ) وَ(الْمَطْرَقَةُ) مِنْ أَدْوَاتِ الطَّبَقَةِ الْعَامِلَةِ الَّتِي هِيَ مَرْكَزُ الثَّقَلِ فِي النِّظَامِ الْإِشْتِرَاقِيِّ، فَهُوَ فِي الْأَخِيرِ رَمُزٌ لِلتَّجَاهِ الَّذِي يُعَارِضُ الْإِسْلَامَ وَلَا يَتِمَاشَى مَعَ فِطْرَةِ هَذَا الْجَيْلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّاعِرُ.

وَإِذَا كَانَ فِي الْقَصِيدَةِ ثَوَابِتٌ رَمِزِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ أَوْ مَوْضُوعِيَّةٌ، فَإِنَّهَا الثَّلَاثَةُ الْآتِيَّةُ؛ مَوْضُوعَةُ (الْأُورَاسِ) وَمَوْضُوعَةُ (الْأَمِيرِ) وَمَوْضُوعَةُ (الْجَزَائِرِ). وَالْمَجَالُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ كُلِّ الرُّمُوزِ هُوَ قُطْبُ الصَّرَاحِ الدَّائِمِ: الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ. وَمِنْ الْمُلَاحِظِ أَنَّ رَمْزَ (الْأُورَاسِ) وَرَدَ فِي الْقَصِيدَةِ فِي الْمَقَاطِعِ الَّتِي تَرْتَفِعُ فِيهَا دَرَجَةُ الْإِنْفِعَالِ وَتَزْدَادُ حِدَّةُ الْإِنْفِعَالِ، فَرَمُزُ (الْأُورَاسِ)، بِقَدْرِ مَا هُوَ مُعَبِّأٌ بِإِحْوَائِهِ هُوَ مُعَبِّأٌ بِالْإِنْفِعَالِ؛ أَيَّ يَتَضَمَّنُ انْفِعَالًا أَكْثَرَ مِنَ الْفِكْرَةِ وَيَخْتَلِفُ عَنِ الرُّمُوزِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِتَقْدِيمِ الْمَفَاهِيمِ وَالْمَقُولَاتِ مُفْرَغَةً مِنْ أَيِّ شُعُورٍ أَوْ إِحْسَاسٍ، وَيَسْتَمَدُّ الرَّمُزُ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةَ الْإِنْفِعَالِيَّةَ مِنَ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي يُوظَّفُ فِيهَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَبْرَزِ مَقُومَاتِهَا وَعَلَى أَنَّهَا تَجْرِبَةٌ إِنْفِعَالِيَّةٌ فِي بَعْدٍ مِنْ أَبْعَادِهَا، فَالرَّمُزُ الشَّعْرِيُّ "لَا يُلْخِصُ فِكْرَةً أَوْ يُعْبِّرُ عَنِ رَأْيٍ، أَوْ يَطْرَحُ مَوْفِقًا فِكْرِيًّا؛ وَإِنَّمَا يُكْتَفَى انْفِعَالًا، وَيُعْبَّرُ عَنِ تَجْرِبَةٍ".<sup>(3)</sup>

### 1-3-1-3- الرَّمُزُ الْإِصْطِنَاعِيُّ:

إِنَّ تَعَامُلَ الشَّاعِرِ مَعَ الرَّمُزِ الطَّبِيعِيِّ لَا يَخْتَلِفُ عَنِ تَعَامُلِهِ مَعَ الرَّمُزِ الْإِصْطِنَاعِيِّ، إِذِ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ هَذَا مِنْ عَمَلِ الْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الطَّبِيعَةِ، وَيَبْقَى أَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا عِلَاقَتَهُ التَّأْرِيخِيَّةَ وَالْعَمَلِيَّةَ وَالْإِنْفِعَالِيَّةَ وَالْمَعْرِفِيَّةَ بِالْإِنْسَانِ".<sup>(4)</sup> وَ(الْمُخَيِّمُ) أَحَدُ هَذِهِ الرُّمُوزِ الْإِصْطِنَاعِيَّةِ، مُنْتَجٌ لِدَلَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهُوَ كَأَيِّ رَمُزٍ يَرْتَبِطُ بِتَجْرِبَةٍ شَعْرِيَّةٍ وَيَحْتَاجُ لِيَكُونَ فَاعِلًا وَمُنْتَجًا إِلَى سِيَاقٍ مُلَائِمٍ لِدَلَالَةِ الرَّاهِنَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا، فَالْوَاقِعُ أَنَّ "الرَّمُزَ إِذَا كَانَ لَهُ مَعْرَى فَإِنَّ

(1) علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، ص: 47.

(2) محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط: 3، 1984، ص: 203.

(3) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 72.

(4) المرجع نفسه، ص: 85.

هَذَا الْمَعْرَى يَخْتَلِفُ -نَوْعًا مِنَ الْإِخْتِلَافِ- مِنْ سِيَاقٍ إِلَى آخَرَ؛ لِأَنَّ الرَّمَزَ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَسِيلَةٌ لِتَحْقِيقِ أَعْلَى الْقِيَمِ فِي الشَّعْرِ، هُوَ أَشَدُّ حَسَاسِيَّةً بِالنَّسْبَةِ لِلسِّيَاقِ الَّذِي يَرِدُ فِيهِ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الصُّورَةِ أَوْ الْكَلِمَةِ. فَالْقُوَّةُ فِي أَيِّ اسْتِخْدَامٍ خَاصٍّ لِلرَّمَزِ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى الرَّمَزِ نَفْسِهِ بِمِقْدَارٍ مَا تَعْتَمِدُ عَلَى السِّيَاقِ". (1) فَيَأْخُذُ (المُخَيِّم) دِلَالَتَهُ كَرَمَزٍ مِنَ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تُؤَاكِبُ مُقَاوَمَةَ الشَّعْبِ الْفِلِسْطِينِيِّ لِلْمُحْتَلِّ الصَّهْيُونِيِّ، فَقَدْ تَحَوَّلَتْ كُلُّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَمَّتْ إِلَى فِلِسْطِينَ إِلَى رُمُوزٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْمَكَانِ، فَ-(الطُّفَلُ) فِي انْتِفَاضَتِهِ رَمَزٌ وَ-(الْحَجَرُ) الَّذِي بِيَدِ الْأَطْفَالِ رَمَزٌ وَ-(المِقْلَاعُ) رَمَزٌ، وَغَزَّةٌ رَمَزٌ وَالْقُدْسُ أَوْ الْأَقْصَى رَمَزٌ، وَفِي هَذَا السِّيَاقِ تَحَوَّلَ (المُخَيِّم) الْفِلِسْطِينِيُّ إِلَى رَمَزٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ شَمَخَ وَعَلَى آيَةِ أَرْضٍ قَامَ، فَهُوَ رَمَزُ الصُّمُودِ، يَقُولُ مَحْمُودٌ مُفْلِحٌ فِي قَصِيدَتِهِ (أَغْنِيَةُ صُمُودٍ لِلْمُخَيِّمِ الْفِلِسْطِينِيِّ) مُخَاطَبًا الْمُخَيِّمَ الْفِلِسْطِينِيَّ (2):

صَمَدَتْ وَصَارَ دَيْدُنُكَ الصُّمُودُ      وَلَوْ أَغْرَى الْعَيْدَ بِكَ الْعَيْدُ  
بَقِيَتْ وَأَلْفٌ مَجْزَرَةٌ تَوَلَّتْ      يَبِيدُ الْقَاتِلُونَ وَلَا تَبِيدُ  
وَقَفْتَ تُعَلِّمُ الْأَحْيَالَ لَحْنًا      فِدَائِيًّا فَيَكْتُمَلُ التَّشِيدُ  
سَمَوْتَ عَلَى الْقُبُودِ وَصَانِعِيهَا      وَهَلْ تَقْوَى عَلَى حُرِّ قُبُودِ  
خَرَجْتَ مِنَ الْخِيَامِ شَوَاطِئَ نَارٍ      تَلْظِي وَالطُّغَاةُ لَهَا وَقُودُ  
فَكَمْ جُرْحٍ أَصَابَكَ مِنْ لُثَامٍ      لَهُمْ قَوْلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ عَهْدُ

\*\*\*

إِذَا هَبَّ الْمُخَيِّمُ مِنْ غَدَاةٍ      فَسَوْفَ يَجِيئُكَ النَّبَأُ الْأَكِيدُ

\*\*\*

فَإِنْ قِيلَ الْمُخَيِّمُ قِيلَ طَوْدٍ      عَلَى أَدْيَالِهِ سَقَطَ الْعَيْدُ

فَقَدْ احْتَوَى الْمُخَيِّمُ عَلَى طَاقَةٍ إِيجَازِيَّةٍ غَيْرِ نَافِذَةٍ مُعَبَّرَةٍ عَنِ أَوْجَاعِ هَذَا الشَّعْبِ وَعَنْ عَزِيمَةِ صَلْبَةٍ لَا تَلِينُ فِي الْبَقَاءِ وَالتَّشَبُّثِ بِالْأَرْضِ، إِنَّهُ رَمَزٌ مُعَمَّمٌ بِالْحَيَاةِ وَبِالْحَرَكَةِ، وَمِنْ ثَمَّ أَمَكَّنَ أَنْ يُوصَفَ الرَّمَزُ بِأَنَّهُ حَيٌّ، أَيُّ مُحَمَّلٌ بِالْمَعْنَى، وَبِالتَّالِي يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ يَمُوتُ إِذَا وَجِدَتْ صِيغَةٌ أَفْضَلُ مِنْهُ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَضْمُونِهِ. (3) وَلَا تُوجَدُ صِيغَةٌ لُغَوِيَّةٌ صَالِحَةٌ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مُعَانَاةِ شَعْبٍ مَظْلُومٍ وَمُضْطَهَدٍ أَكْثَرَ دِلَالَةً مِنْ صِيغَةِ (المُخَيِّمِ).

وَيَرِدُ (المُخَيِّمُ)، فِي سِيَاقٍ آخَرَ، دَالًّا عَلَى الْإِنْكَسَارِ وَالتَّشَرُّدِ وَالضِّيَاعِ، فِي زَمَنِ يُنْفَى فِيهِ شَعْبٌ عَنْ أَرْضِهِ فَيَسْلُكُ دُرُوبَ اللُّجُوءِ وَيَمْلَأُهَا خِيَامًا وَبُؤْسًا، يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظَمُ (4):

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 200.

(2) محمود مفلح: إنما الصحوة، ص: 37.

(3) مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، القاهرة، ط: 4، (د، ت)، ص: 206.

(4) يوسف العظم: رباعيات من فلسطين، ص: 7.

بُعْثَرَتْ أَيَّامُنَا عَامًا فَعَامًا      وَزَرَعْنَا الْأَرْضَ بُؤْسًا وَخِيَامًا  
 وَطَوِينَا بَسْمَةَ الْعُمْرِ عَلَى      أَمَلِ الْعَوْدَةِ.. أَوْ نَقْضِي كِرَامًا  
 لِمَا تَسَلَّنِي يَا أَحْيِي فِي عَجَبٍ      لِمَا تَمَلُّ دُنْيَاكَ ابْتِسَامًا؟  
 أَنَا مُذْ مَزَّقَ قُدْسِي غَاصِبٌ      صَارَتْ الْبَسْمَةُ فِي شَرْعِي حَرَامًا؟

وَلَا عَجَبٌ أَنْ يَتَحَوَّلَ (الْمُخِيْمُ) أَوْ (الْحِيَامُ) إِلَى رَمَزٍ لِلْوَطَنِ الْمُؤَقَّتِ الْمَرْفُوضِ الَّذِي فَرَضَتْهُ الظُّرُوفُ الْقَاهِرَةُ عَلَى  
 الشَّعْبِ الضَّعِيفِ الْمُضْطَّهِدِ، فِي سِيَاقَاتِ اسْتِفْهَامِيَّةٍ تَعْجِيبِيَّةٍ إِنْكَارِيَّةٍ تَنْضَحُ مَرَارَةً وَأَسَى وَأَلْمًا عِنْدَمَا يَسْأَلُ الصَّعَاغُ  
 الْكِبَارَ عَنِ (الْوَطَنِ)، يَقُولُ وَلِيدُ قِصَابٍ فِي قِصِيدَةِ (خِيَمَةِ)<sup>(1)</sup>:

سَأَلَ الصَّعَاغُ عَنِ الْوَطَنِ      أَحْيَامُنَا هَذَا الْوَطَنِ؟  
 أَلَهَا يُعْنِي النَّاسُ مِنْ      مَهْدِ الْحَيَاةِ إِلَى الْكَفَنِ؟  
 أَلَهَا يُقَالُ: بِرُوحِنَا      نَفْدِيكَ فِي يَوْمِ الْمَحَنِ  
 وَتُقَدَّمُ الْمُهْجُ الْكَرِيمَةُ      إِنْ أُرِيدَ لَهَا ثَمَنٌ؟  
 أَحْيَامُنَا هَذَا الَّتِي      أَكَلَتْهَا أَلْسِنَةُ الْعَفَنِ  
 وَتَقَوَّعَتْ فِيهَا الْقَدَا      رَةٌ وَالْوَسَاخَةُ وَالْعَطَنُ  
 لِمَا أَمِنَ فِيهَا لِلتَّزْيِ      لِمَا حَيَاةٌ وَلَا سَكَنُ  
 أَهْيَ الَّتِي - إِنْ تُذَكَّرَ الْأُ      وَطَانُ يَا أَبَتِي - الْوَطَنِ؟

وَهَكَذَا يَتَكَرَّرُ الِاسْتِفْهَامُ فِي الْقِصِيدَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْقِصِيدَةِ مُؤَدِّيًا دِلَالَةَ الشَّكِّ فِي حَقِيقَةِ هَذَا الْوَطَنِ  
 الْمَزِيْفِ، وَوَرَدَتْ مُفْرَدَةً (الْحِيَامُ) تَسَعُ مَرَّاتٍ مُصَاحِبَةً لِمُفْرَدَةِ (الْوَطَنِ/الْمَوْطَنِ) الَّتِي وَرَدَتْ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ  
 الْمُخِيْمُ أَوْ تَكُونُ (الْحِيَامُ)، بِكُلِّ مُوَاصَفَاتِهَا السَّلْبِيَّةِ فِي الْقِصِيدَةِ، رَمْزًا مُعَادِلًا وَمُوَازِيًا وَبَدِيلًا لِلْوَطَنِ الْمَفْقُودِ بِكُلِّ  
 مُوَاصَفَاتِهِ الْإِيجَابِيَّةِ، عَلَى مُسْتَوَى الظَّاهِرِ فَقَطْ:

الْمُخِيْمُ (الْحِيَامُ)	=	الْوَطَنِ
-أكلتها ألسنة العفن، تقوَّعت فيها القذارة...		-السكينة،
-لا أمن فيها، لا حياة، لا سكن...		-الحماية،
-قوي إذا زحف المطر..		-الهناء،
يجرقها المصيف، ريح الشمال لم تبق منها أثر		-الكرامة،
تمتز تحت أمواج الخطر، يجرفها السيل، تعوي بها الريح،		-الصفاء،
رهن الردى،		-حضن الأمان،
-لا أمن، لا صدر حب،		-الأهل،
- لا هناء		-الصحب الكرام
-قدر الضعيف		

أَمَّا عَلَى مُسْتَوَى الْبَاطِنِ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ وَطْنًا فَكُلِّ مَلَاحِمِ (الْوَطَنِ) مُسْتَفَاءً، وَلِذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي آخِرِ

الْقِصِيدَةِ<sup>(1)</sup>:

(1) وليد قصاب: فارس الأحلام القديمة، ص: 48.

لِي مَوْطِنٌ - كَالْأَخْرِبِ - نَ - وَحُبُّهُ بَبْضُ الدَّمَاءِ  
وَحَيَامُنَا قَدْرُ الضَّعِيفِ - ف، وَبَعْدَهَا يَلِدُ الْمَسَاءُ

و(المخيم)، مِنْ هَذَا الْمَنْطُورِ الشُّعُورِيِّ، رَمَزٌ يُرَادُفُ الْمَعَانَةَ وَالْمَأْسَاءَ، وَبِمَاكَانَنَا "أَنْ نَرَى كُلَّ شَيْءٍ رَمَزًا، عَلَيَّ  
أَسَاسِ اتِّجَاهِنَا الشُّعُورِيِّ نَحْوَهُ". (2) فَالرَّمْزُ "يَتَضَمَّنُ فِي نَفْسِهِ عَنَّاصِرَ شُعُورِيَّةٍ وَأُخْرَى لَأَ شُعُورِيَّةٍ". (3) إِنَّ الْمَخِيْمَ  
لَيْسَ مَجْمُوعَةَ الْحَيَامِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ أَوْ تِلْكَ، فَهَذَا الْمُسْتَوَى الْحِسِّيُّ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نَرَاهُ وَإِنَّمَا هُوَ الْمَأْسَاءُ  
بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا وَتَقَاسِيمِهَا إِنَّهُ اقْتِلَاعٌ بِالْقَهْرِ لِشَعْبٍ مِنْ أَرْضِهِ وَقَذْفُهُ إِلَى مَصِيرٍ مَجْهُولٍ، وَإِنَّمَا هُوَ هَذَا الْمُسْتَوَى  
التَّجْرِيدِيَّ الْعَائِبِ الْحَافِلِ بِالذَّلَالَاتِ غَيْرِ الْمُنْتَهِيَّةِ وَالْعَامِرِ بِالْمَشَاعِرِ الْمُنْكَسِرَةِ، وَإِذَا تَحَقَّقَ فِي الرَّمْزِ هَذَانِ الْمُسْتَوَيَانِ؛  
الْحِسِّيُّ وَالتَّجْرِيدِيُّ، فَإِنَّ الْمُسْتَوَى التَّجْرِيدِيَّ الرَّمُوزَ لَأَ يَكُونُ مُحَدَّدًا بِكُلِّ قَسَمَاتِهِ وَأَبْعَادِهِ، لِأَنَّ أَسَاسَ الرَّمْزِ  
الِإِيحَاءُ، وَالِإِيحَاءُ ضِدُّ التَّقْرِيرِ الْمُبَاشِرِ لِلْأَفْكَارِ وَالْعَوَاطِفِ". (4)

تَنْتَمِي بَعْضُ الْأَمْكِنَةِ إِلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ الرَّمُوزِ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا أَثَرُ الْإِنْسَانِ، فَ"الْمَكَانُ فِي الْإِسْلَامِ لَهُ أَثَرٌ  
فِي تَشْكِيلِ مَعَالِمِ الْكِيَانِ الْمُسْلِمِ... فَالْقُلُوبُ الْمُؤْمِنَةُ تَظَلُّ مُعَلَّقَةً بِظِلَالِ وَأَطْيَافِ الْأَمْكِنَةِ الَّتِي تَحْمِلُ عِبْقَ التَّارِيخِ،  
وَبُطُولَاتِ الْإِسْلَامِ، وَأَمْجَادِ الْأَوَاتِلِ". (5) وَتَبَرُّزُ الْمَدِينَةِ كَرَمَزٍ حَافِلٍ بِالذَّلَالَاتِ خَاصَّةً إِذَا تَجَسَّدَتْ فِي مَدِينَةٍ بِذَاتِهَا  
لَهَا رَصِيدُهَا التَّارِيخِيُّ وَالثَّقَافِيُّ كَمَدِينَةِ (قَرْطَبَةَ) إِحْدَى حَوَاضِرِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ شَكَّلَتْ رَمَزًا كُلِّيًّا تَتَمَحَوَّرُ  
حَوْلَهُ تَجْرِبَةٌ شِعْرِيَّةٌ كَامِلَةٌ، مِثْلَمَا يَتَجَلَّى فِي قَصِيدَةِ (شَكُورَى قَرْطَبَةَ) يَقُولُ مُحَمَّدُ الْحَسَنَائِيُّ (6):

لَا تَسَلْ عَنْ نَسَبِي سَلْ بِقَايَا الْكُتُبِ  
عَنْ قُصُورٍ لَمْ تَزَلْ هَدَفًا لِلنُّوَبِ  
وَسَمَاءٍ أَفْقَرَتْ مِنْ طَرِيفِ الشُّهْبِ  
وَرِيَاضٍ صَوَّحَتْ بِرَحِيلِ السُّحْبِ  
وَحَضَارَاتٍ زَكَتْ وَحَكَتْ عَنْ حَلْبِي  
فَسْتَدْرِي أَنَّنِي كُنْتُ يَوْمًا (قَرْطَبَةَ)

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 49.

(2) مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ص: 206.

(3) المرجع نفسه، ص: 207.

(4) محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص: 304.

(5) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: 129.

(6) محمد الحسنائوي: عودة الغائب، ص: 55.

وَتَأْخُذُ (قُرْطَبَةَ) دِلَالَتَهَا الرَّمْزِيَّةَ مِمَّا مَثَلْتُهُ عَبْرَ التَّارِيخِ مِنْ مَرَارَةِ إِشْعَاعِ حَضَارِيٍّ أَضَاءَتْ لِقُرُونٍ قَبْلَ أَنْ تَنْطَفِئَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا تَزَالُ شَاخِصَةً حَيَّةً قَادِرَةً عَلَى الْإِيحَاءِ حِينَ تَكُونُ بُورَةَ الصُّورَةِ فِي هَذَا التَّشْخِيصِ الشُّعْرِيِّ لِلرَّمْزِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

لَا تَسْلَنِي مَنْ أَنَا فَالْتَشْدَى قَدْ يَعْبِقُ  
وَالْمَصَابِيحُ الَّتِي أُطْفِئْتُ قَدْ تَشْهَقُ  
فَإِذَا الدُّيَا سَنَا وَالْعَشَايَا مَشْرِقُ  
وَإِذَا الْمَاضِي هُنَا تَبْضَاتُ تُخْفِقُ  
وَإِذَا (غَرْنَاطَةٌ) مِنْ حَدِيدٍ تُخَلِّقُ  
وَبِحَسْبِي أَنِّي كُنْتُ يَوْمًا (قُرْطَبَةَ)

تُحَسِّدُ الْقَصِيدَةَ حُضُورًا خَاصًّا لِلْمَكَانِ الْمُتَأَلَّقِ سِوَاءَ أَكَانَ (غَرْنَاطَةَ) أَمْ كَانَ (قُرْطَبَةَ) الَّتِي حَظَّتْ بِهَذِهِ الْكُتَّافَةِ، فِي الْقَصِيدَةِ مِمَّا يَجْعَلُ مِنْهَا الرَّمْزَ الْمُحَوَّرِيَّ.

### 1-3-2- النَّسَقُ الرَّمْزِيُّ الْجُزْئِيُّ:

لَقَدْ تَمَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ مَعَايِيرَ نَقْدِيَّةً لِمُقَارَبَةِ الرَّمْزِ فِي النَّصِّ الشُّعْرِيِّ، وَهِيَ "تَعْتَمِدُ فِي جُمْلَتِهَا عَلَى دَرَجَتِي الْإِنْتِشَارِ وَالْكَثَافَةِ وَمَدَاهِمَا، إِذْ يُمَكِّنُ لِلرَّمْزِ أَنْ يَسْتَعْرِقَ الْقَصِيدَةَ بِأَكْمَلِهَا، وَيُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَشْغَلَ جُزْءًا هَامًا مِنْهَا يَقَعُ فِي جُمْلَةٍ مَقَاطِعَ أَوْ أُبْيَاتٍ. كَمَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ لَا يَمْتَدَّ بِهَذَا الشَّكْلِ، بَلْ يَظَلُّ مَحْضُورًا فِي نِطَاقٍ مَحْدُودٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ، الْأَمْرَ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي عَمَلِيَّةِ التَّشْكِيلِ الرَّمْزِيِّ وَيُحَدِّدُ مَدَاهَا نَوْعِيًّا.<sup>(2)</sup> وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ التَّوْظِيفَ الْجُزْئِيَّ لِلرَّمْزِ يَجْعَلُهُ لَا يَمْتَدُّ إِلَّا عَلَى جُزْءٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ، وَلَا يَشْغَلُ إِلَّا حِيزًا مِنْهَا لِيَتْرَكَ الْقَصِيدَةَ مُشْرَعَةً عِلْرَ رُمُوزٍ وَأَفْدَةٍ يَسْتَقْدِمُهَا الشَّاعِرُ بِمَا تَحْمَلُ مِنْ دِلَالَاتٍ، وَيَكُونُ تَوْظِيفُ الرَّمْزِ فِي هَذَا النَّسَقِ تَوْظِيفًا عَرَضِيًّا حَيْثُ تَسْتَوْقِفُ الشَّاعِرُ دِلَالَةَ مَا فِي الرَّمْزِ فَيَعْرِضُ لِلرَّمْزِ بِقَدْرِ مَا يَقْتَنِصُ تِلْكَ الدِّلَالَةَ أَوْ بِقَدْرِ مَا يَهْتَرُّ لِذَلِكَ الْمَوْقِفِ ثُمَّ يُوَاصِلُ تَجْرِبَتَهُ الشُّعْرِيَّةَ. وَتَنَوَّعُ الرُّمُوزُ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَسِيرُ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي بِنَاءِ نَسَقِهَا الرَّمْزِيِّ وَمِنْ نَمَازِجِ هَذَا النَّسَقِ الرَّمْزِيِّ الْجُزْئِيِّ:

### 1-2-3-1- الرَّمْزُ الْإِنْسَانِيُّ:

يَتِمُّثَلُ الرَّمْزُ التَّارِيخِيُّ فِي اسْتِدْعَاءِ شَخْصِيَّاتٍ ثَانَوِيَّةٍ مُسَاعِدَةٍ فِي إِطَارِ شَخْصِيَّةٍ مُحَوَّرِيَّةٍ كَاسْتِدْعَاءِ شَخْصِيَّةِ (أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ) فِي قَصِيدَةِ (الْقَبُورِ الرَّجَاحِيِّ) رِسَالَةً إِلَى ((مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ)) فَقَدْ تَرَأَفَقُ الشَّخْصِيَّةَ الْمُحَوَّرِيَّةَ الْمُسْتَدْعَاةَ، فِي الْقَصِيدَةِ، شَخْصِيَّةً ثَانَوِيَّةً أَوْ مُسَاعِدَةً تَسْتَحْضِرُهَا التَّجْرِبَةُ الشُّعْرِيَّةُ دَعْمًا لِلْمَوْقِفِ أَوْ لِلرُّؤْيِيَّةِ أَوْ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 56.

(2) صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، ص: 80.

للفكرة، وتَظَلُّ مَعَ ذَلِكَ شَخْصِيَّةً مُسَاعِدَةً لَا يَتَجَاوَزُ دَوْرَهَا وَفَاعِلِيَّتَهَا الْإِشَارَةَ أَوْ الْإِيحَاءَ بِدَلَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي جُزْءٍ مِنَ السِّيَاقِ، فَقَدْ اسْتَدْعَى صَابِرُ عَبْدِ الدَّائِمِ (1948م-....) شَخْصِيَّةَ (مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ)، وَتَعَامَلَ مَعَهَا كَشَخْصِيَّةٍ مَحْوَرِيَّةٍ فَهَيَّا لَهَا كُلَّ سِيَاقَاتِ الْقَصِيدَةِ وَاسْتَقْدَمَ إِلَى النَّصِّ كُلِّ الْأَحْوَاءِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ مَعَ مَوَاقِفِ الشَّخْصِيَّةِ وَأَبْعَادِهَا، فَكَانَ مُنَاسِبًا أَنْ تَتَسَلَّلَ إِلَى النَّصِّ إِحَالَاتٌ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ وَالشَّعْرِ، وَأَنْ تَتَدَخَّلَ عَلَيَّ وَعَنِي مِنَ الشَّاعِرِ شَخْصِيَّاتٍ تَارِيخِيَّةٍ مِنْ أَبْرَزِهَا شَخْصِيَّةُ (أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ) (\*) بِكُلِّ مَا تُمَثِّلُهُ مِنْ دِلَالَةٍ حَيَّةٍ نَابِضَةٍ وَبَعْدَ فَاعِلٍ مُؤَثِّرٍ، وَإِنْ لَمْ تَخْرُجْ عَنِ الْمَقْدَارِ الْمُخَصَّصِ لَهَا وَالْوِظْفِيَّةِ الْفَنِيَّةِ الْمَرْجُوَّةِ مِنْهَا. وَقَدْ وَجَدْتُ شَخْصِيَّةَ (أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ) بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دِلَالَاتٍ قَبُولًا حَسَنًا لَدَى الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ، فَظَهَرَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُتُونِهِمُ الشَّعْرِيَّةِ، فَنَظَمَ حَسَنَ الْأَمْرَانِي قَصِيدَتَهُ (اعْتَذَارًا إِلَى أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ).<sup>(1)</sup> الَّتِي يَسْتَدْعِي فِيهَا هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ مُعْتَدِرًا إِلَيْهَا وَإِلَى سَيْفِهَا رَمَزَ الْجِهَادِ، يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا<sup>(2)</sup>:

أُقَدِّمُ اعْتِذَارِي  
إِلَيْكَ يَا جَوْهَرَةَ الصَّحْرَاءِ..  
يَا لَوْلُؤَةَ الْبِحَارِ  
يَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ..  
يَا مَعْلَمَةَ الْفَتْحَيْنِ..  
يَا سَيِّدَةَ الْأَقْمَارِ

وَيَقُولُ فِي آخِرِهَا<sup>(3)</sup>:

لَأَنَّ هَذَا النَّاسَ فِي زَمَانِنَا  
تِيَابُهُمْ عُوَارٍ  
وَجُوهُهُمْ عُوَارٍ  
أُقَدِّمُ اعْتِذَارِي  
إِلَيْكَ يَا سَيْفَ أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ

(\*) أَبُو أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيُّ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ مِنْ أَكْبَابِ الصَّحَابَةِ، مَعْرُوفٌ بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ، مِنَ السَّابِقِينَ، فَقَدْ خَرَجَ مَعَ وَقْدِ الْمَدِينَةِ لِمَبَايَعَةِ النَّبِيِّ فِي مَكَّةَ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، نَزَلَ الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَهُ عِنْدَ هَجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ، فَأَقَامَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى بُنِيَ لَهُ مَسْجِدُهُ وَمَسْكَنُهُ، شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ مَعَ الرَّسُولِ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ أَيِّ مَعْرَكَةٍ مِنْ مَعَارِكِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَقَاةِ الرَّسُولِ إِلَّا مَعْرَكَةً وَاحِدَةً. وَلَمَّا جَاءَتْ مُحَاوَلَةُ فَتْحِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ سَنَةَ (52 هـ)، كَانَ أَبُو أَيُّوبَ مِمَّنْ خَرَجَ لِلْقِتَالِ، فَأُصِيبَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، وَقَدْ أَوْصَى قَائِدَ الْجَيْشِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَحْمِلَ جُثْمَانَهُ فَوْقَ فَرْسِهِ، وَيَمْضِيَ بِهِ أَطْوَلَ مَسَافَةٍ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ، وَهَنَالِكَ يَدْفِنُهُ، ثُمَّ يَزْحَفُ بِجَيْشِهِ عَلَى طُولِ هَذَا الطَّرِيقِ، حَتَّى يَسْمَعَ وَفِعَ حَوَافِرِ حَيْلِ الْمُسْلِمِينَ فَوْقَ قَبْرِهِ، فَيُدْرِكُ أَنْتَدُ، أَنَّهُمْ قَدْ أَدْرَكُوا مَا يَبْتَغُونَ مِنْ نَصْرٍ وَفَوْزٍ!، وَبِذَلِكَ تَوَى جُثْمَانَهُ فِي قَلْبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي أَسْطَنْبُولَ مَعَ سُورِ الْمَدِينَةِ وَبُنِيَ عَلَيْهِ، وَاكْتَشِفَ بَعْدَ فَتْحِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ سَنَةَ 857 هـ.

(1) حسن الأمراني: ثلاثية الغيب والشهادة، ص: 69.

(2) المصدر نفسه، ص: 69.

(3) المصدر نفسه، ص: 75.

وَإِذَا كَانَتْ فِكْرَةُ الْقَصِيدَةِ بِعَامَّةٍ اعْتِدَارًا إِلَى أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ وَسَيْفِهِ-رَمْزًا لِلْإِسْتِشْهَادِ وَالْجِهَادِ-  
وَاعْتِدَارًا إِلَى (اسْتَبُول) عَاصِمَةِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ-رَمْزًا لِمَجْدِهَا- وَتَذْكَيرًا بِأَسْبَابِ سُقُوطِهَا وَزَوَالِهَا، فَإِنَّ  
"اسْتِدْعَاءَ رُمُوزِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالنَّاسِ، اسْتَلْزَمَ تَدَاعِيَاتٍ فِكْرِيَّةً غَيْرَ مُبَاشِرَةٍ انْطَلَقَتْ مِنَ النَّصِّ وَوَعْنِي صَاحِبِهِ،  
وَإِذْرَاكِ الْمَلَامِحِ الرَّمَزِيَّةِ وَالصُّوْفِيَّةِ الْخَفِيَّةِ لِإِشَارَاتِ النَّصِّ، وَهَذَا اقْتَضَى إِعَادَةَ إِتْنَاهِ وَوَضْعَهُ فِي آفَاقِهِ الْفِكْرِيَّةِ  
وَإِلْبْدَاعِيَّةِ، مِنْ نَحْوِ اسْتِقْصَاءِ مَوْقِفِ الشَّاعِرِ مِنْ قَضِيَّةِ اسْتِنْفَافِ الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَعْدَ سُقُوطِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ  
عَامَ 1924م وَتَعْلِيلِ نَزْوَعِهِ إِلَى التَّصَوُّفِ". (1)

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ الرَّمَزِيِّ الَّذِي تَنَسَّمَ بِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ حِلَالِ حَشْدِ الرُّمُوزِ التُّرَاثِيَّةِ يَسْتَحْضِرُ الشَّاعِرُ،  
بِالاسْمِ وَبِالْقَوْلِ، رَمْزًا صُوفِيًّا مُتَمَثِّلًا فِي شَخْصِيَّةِ جَلَّالِ الدِّينِ الرَّومِيِّ (1207م-1273م) مُقْتَرِنًا بِرَمْزِهِ  
الصُّوفِيِّ (النَّاي) أَوْ بِالْأُخْرَى بِقِنَاعِهِ الَّذِي ارْتَبَطَ بِهِ فِي تِلْكَ الْمَلْحَمَةِ الشَّعْرِيَّةِ الرَّائِعَةِ (أَنْشُودَةُ النَّاي)؛ فَقَدْ انْتَقَلَ  
جَلَّالُ الدِّينِ الرَّومِيُّ بِـ (النَّاي) مِنْ مُسْتَوَى الرَّمَزِ إِلَى مُسْتَوَى الْفِنَاعِ وَأَفْضَى مِنْ حَلَالِهِ بِآلَامِ تَجْرِبَةِ الشُّوقِ  
وَالْوُصُولِ وَبِلْدَاذَتِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ بِكُلِّ مَرَاكِلِهِ وَمَنَازِلِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَيَجُولُهُ إِلَى ظَاهِرَةٍ بِطُولِيَّةٍ تَجْدُلُ الْغَيْبَ  
بِالشَّهَادَةِ مِنْ جِهَةٍ وَالْإِنْسَانَ بِالطَّبِيعَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فِي تَوَافُقٍ رَائِعٍ، وَقَدْ تَجَاوَزَ بِهَذَا الْفِنَاعِ الطَّبِيعِيِّ تَجْرِبَتَهُ  
الْمَحْدُودَةَ وَتَحَوَّلَ بِالنَّعْمِ الْأَرْضِيِّ إِلَى نَعْمِ سَمَاوِيِّ يَكْسُ أَحْزَانَ وَآلَامِ الرُّوحِ. (2) يَقُولُ الْأَمْرَانِيُّ فِي مَقْطَعٍ شَعْرِيٍّ  
يَسْتَرْفِدُ مُفْرَدَاتِهِ مِنْ مُعْجَمِ صُوفِيٍّ رُوحِيٍّ (3):

صُوفِيًّا الشَّهِيدُ شَاهِدُ  
يُبُوحُ لِلْعُشَّاقِ بِالْأَسْرَارِ  
رَأَيْتُ فِي مِحْرَابِهِ  
صَوْتًا نَدَى الرُّوحِ بِالتَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ  
يُرْطَبُ الشَّنْفَاهُ

(أَلَا اسْتَمِعِ لِلنَّايِ غَنَى وَبَكَى !)

كَانَ جَلَّالُ الدِّينِ  
وَنَائِيَهُ الْحَزِينِ  
يُنْمِنُ بِالْحُزْنِ وَالْفَرَحِ  
قَوْسَ قَرْحِ

(1) حامد صادق قنبي: (المضمون الفكري والشكل الإبداعي في اعتدالية الأمراني إلى أبي أيوب الأنصاري) مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، س: 5، ع: 58، 1430هـ/2009م، ص: 175.  
(2) جمال أمين: إيقاع التغيير في نماذج من الشعر الإسلامي المعاصر، مطبعة شروق أكادير، المغرب، ط: 1، 2005، ص: 27.  
(3) حسن الأمراني: ثلاثية الغيب والشهادة، ص: 71.

عَلَى جِبَاهِ الشَّجَرِ المَرْمِيِّ فِي شَوَاطِئِ البُوسْفُورِ  
وَالْمُتَحَفِ الحَرْبِيِّ - بِاسْمِ اللَّهِ -

كَانَ صَوْتُهُ الأَخْضَرُ يَعْلُو

نَاسِجًا مَلْحَمَةً خَضْرَاءَ

مِنْ رَحِمِ الحُرُوفِ والأَشْيَاءِ

يَتَعَانَقُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَرَسُمُهَا الشَّاعِرُ"الصَّوْتُ مَعَ الحَرَكَةِ وَيَجْتَمِعُ التَّعْمُ مَعَ اللَّوْنِ، إِنَّهُ يَسْتَدْعِي  
شَخْصِيَّةَ الإِمَامِ الصُّوفِيِّ جَلَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ، وَيَتَخَيَّلُ مَشْهَدًا لِحَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ فِي مَسْجِدِ أَيَا صُوفِيَا، هَذَا  
المَسْجِدُ الَّذِي لَمْ يَرَهُ جَلَالُ الدِّينِ الرُّومِيِّ عَلَى وَجْهِ الحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّهُ تُوْفِيَ قَبْلَ فَتْحِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ بِمَا يُقَارِبُ قَرْنَيْنِ  
مِنَ الزَّمَانِ، وَكَانَ (أَيَا صُوفِيَا) فِي حِينِهَا مَا يَزَالُ كَنِيسَةً بِيَزْنِطِيَّةَ. يَتَخَيَّلُ الأَمْرَانِي، وَيُرِيدُنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ مَعَهُ،  
صَوْتَ جَلَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ بِمَا يَمْتَلِئُ بِهِ مِنْ شَحْنَاتٍ رُوحَانِيَّةٍ وَدَفَقَاتٍ وَجْدَانِيَّةٍ وَهُوَ يُرَدِّدُ التَّسَابِيحَ وَيَتْلُو  
الآيَاتِ فِي الصَّلَوَاتِ، بِنَدَاوَةٍ تَطْرَبُ لَهَا الأَسْمَاعُ، وَتُحَلِّقُ بِهَا الأَرْوَاحُ صَاعِدَةً أَعْلَى فَأَعْلَى، مَعَ أَنِينِ نَائِهِ  
المَمْزُوجِ بِالْحُزْنِ عَلَى فِرَاقِ الأَحَبَّةِ وَالفِرْحِ بِشَوْقِهِ لِلِقَائِهِمْ.. يَدْعُونَا الأَمْرَانِي إِلَى الاسْتِمَاعِ: (أَلَا اسْتَمِعَ لِلنَّايِ  
غَنَى وَبَكَى).".<sup>(1)</sup> وَالأَمْرَانِي بِهَذَا الاسْتِدْعَاءِ يَجْعَلُ قَصِيدَتَهُ تَنَاصُّ مَعَ مُطَوَّلَةِ جَلَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ  
الشَّعْرِيَّةِ (أُنشُودَةَ النَّايِ) الَّتِي يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَهَا<sup>(2)</sup>:

اسْتَمِعْ لِلنَّايِ كَيْفَ يَقْضُ حِكَايَتَهُ!

إِنَّهُ يَسْنُكُو آلامَ الفِرَاقِ

فَيَأْتِي مُنْذُ قَطَعْتَ مِنْ مَنبَتِ العَابِ،

وَالرَّجَالُ وَالتَّسَاءُ قَدْ بَكَوْا لِشَدْوِي وَحِينِي

أُرِيدُ صَدْرًا مُمَزَّقًا مِنَ الفِرَاقِ،

حَتَّى أَشْرَحَ لَهُ آلامَ الاِسْتِيَاقِ

فَكُلُّ إِنْسَانٍ بَقِيَ بَعِيدًا عَنَ أَصْلِهِ،

يُعَاوِدُ البَحْثَ عَنَ زَمَانٍ وَصَلِهِ

لَقَدْ صرْتُ نَائِحًا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ،

وَعَدَوْتُ قَرِينًا لِلْبَائِسِينَ وَالسُّعْدَاءِ

وَفِي هَذِهِ المُطَوَّلَةِ الشَّعْرِيَّةِ يَخْطُ جَلَالُ الدِّينِ الرُّومِيِّ "مُذْكَرَاتِ حَمِيمِيَّةَ لِلرُّوحِ فِي عَذَابِهَا بِالامْتِنَاءِ  
وَالانْتِشَاءِ، وَيُوظِّفُ رَمْزَ (النَّايِ/الرُّوحِ) المُتَدَرِّجِ فِي رَمْزِيَّتِهِ مِنَ البَسِيطِ إِلَى المُرَكَّبِ، وَمِنَ السَّفْحِ المُحْدُودِ إِلَى

(1) حامد صادق قنبي: (المضمون الفكري والشكل الإبداعي في اعتدالية الأمراني إلى أبي أيوب الأنصاري)، ص: 188.

(2) جمال أمين: إيقاع التغيير في نماذج من الشعر الإسلامي المعاصر، ص: 24.

الأفق اللامحدود، مستوقفاً الإنسان الغافل ليصغي لقصّة الروح في تجارب ارتكاسها وتحليقها، مُعلناً عن ذلك باستخدامه الحيّ لضمير المتكلم المحتضن لذاته الحالمة في النأي، وهذا التحكّم في إعدان الخبر على مسرح المطوّلة دليل امتزاجه الوثيق بحياة النأي، ودليل علمه العميق بمضمون الحكاية المأسوية الطابع، التي تفيض حزناً، وتستثير جوهر الحزن العام... الحزن الحيّ الفاعل هو مضمونها المكثّر بالخصوبة.. حزن من الفراق، وهنا تنبثق الثنائية الأم (الافتراق والاشتياق) المتحكّمة في بنية القصيدة/العالم، والتي تتمحور حولها الرؤية الكونية في امتدادها الأفقي والعمودي".<sup>(1)</sup> ولعلّ الحزن الذي يدور في نفس المرابي في غمرة تأمله الصوفيّ في سياق القصيدة استدعى تلك الشخصية بأبرز رموزها (النأي)، وليس هذا الحزن، وحده، بل حزن على الماضي الإسلاميّ للأمة العريق العظيم التي تتمثل في عاصمة الخلافة بما تزخر به من علامات دالة على كلّ ذلك الماضي، والشاعر إذ يلبح أبواب الماضي لا ينسى أنّ هناك ثرائاً شعرياً مترعاً بالرموز الروحية التي تكهّرب الأوصال وتهزّ وجدان، وتدفع بالتالي إلى مزيد من الفاعلية في مواجهة التفكك والانحلال والهبوط... ومن أجل التوحد بين الراهن والماضي، وبينهما وبين الآتي،... ومن أجل إغناء المحاولة وتعميق شخصياتها الإسلامية".<sup>(2)</sup>

ويّضح من استدعاء المرابي لهذه الشخصية أنّ التراث الصوفيّ كان "واحداً من أهم المصادر التراثية التي استمد منها شاعرنا المعاصر شخصيات وأصواتاً يعبر من خلالها عن أبعاد من تجربته بشئى جوانبها الفكرية والروحية.. وحتى السياسية والاجتماعية. وليس غريباً أن يعبر شاعرنا المعاصر عن بعض أبعاد تجربته من خلال أصوات صوفية".<sup>(3)</sup>

وقد ألف غازي مختار طليمات مسرحية شعريّة من مشهدين بعنوان (وصية أبي أيوب الأنصاري)<sup>(4)</sup> كان محورها شخصية أبي أيوب الأنصاري فقد استخدمها محوراً لعمله المسرحيّ الشعريّ مستثمراً تلك الوصية التي أوصى بها أبو أيوب الأنصاري يزيد بن معاوية في محاولة فتح القسطنطينية. وفي الواقع يعدّ هذا النمط من أنماط استخدام الشخصية التراثية أشدّ هذه الأنماط تعقيداً وأكثرها دقّة، وأحوجها إلى مهارة فنية من الشاعر حتى يستطع أن يعبر بالشخصية التراثية ثخوم (التعبير عن الموروث) إلى (التعبير به) لأنّ الشاعر في إطار المسرحية يجد نفسه أكثر التزاماً بجوهر الملامح التراثية للشخصية التي يستخدمها حيث لا يتناولها مستغلةً، وإمّا يتناولها في إطار علاقاتها المُشابهة بسواها من الشخصيات وهي في الغالب علاقات تاريخية

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 26.

(2) عماد الدين خليل: في النقد التطبيقي، دار البشير عمان، ط: 1، 1419هـ-1998م، ص: 13.

(3) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 1997م، ص: 105.

(4) غازي مختار طليمات: (وصية أبي أيوب الأنصاري) مجلة الأدب الإسلامي، م: 4، ع: 15، س: 1418هـ/1997م، ص: 92.

مَعْرُوفَةٌ يَصْنَعُ عَلَى الشَّاعِرِ كَثِيرًا أَنْ يُحَوَّرَ فِي جَوْهَرِهَا، وَتَحْتَاجُ إِلَى بَرَاعَةٍ مُضَاعَفَةٍ حَتَّى يَتِمَّكَنَ الشَّاعِرُ مِنْ أَنْ يُضْفِيَ عَلَيْهَا الْمَلَامِحَ الْمُعَاصِرَةَ الَّتِي يُرِيدُ تَحْمِيلَهَا. (1)

بَلَغَتْ قَصِيدَةُ الْقَبْرِ الرَّجَاحِيِّ رِسَالَةً إِلَى ((مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ)) أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ سَطْرِ وَبَيْتٍ شِعْرِيٍّ، وَهِيَ تُنْدَرِجُ فِي التَّمَطِّ التَّفْعِيلِيِّ، وَيَنْتَظِمُ إِيقَاعُهَا عَلَى نَسَقِ (الرَّمَلِ) الَّذِي تَتَفَاوَتُ تَفَاعِيلُهُ عَدَدًا مِنْ سَطْرِ إِلَى آخِرٍ وَتَتَنَوَّعُ صُورُهُ وَحَدَثُهُ الْإِيْقَاعِيَّةِ (فَاعِلَاتُنْ)، اسْتِثْمَارًا لِإِمْكَانَاتِهَا الْإِيْقَاعِيَّةِ، بَيْنَ (فَعِلَاتُنْ، فَاعِلًا، فَعَلًا، فَاعِلَانِ..)، وَيَتَّحِدُ النَّسَقُ التَّفَقُويُّ أَوْ يَتَنَوَّعُ فِي سِيَاقَاتِ الْقَصِيدَةِ مَعَ الْمَيْلِ إِلَى النَّسَقِ الْمُقَيَّدِ.

وَهِيَ قَصِيدَةٌ مِنْ أَجْمَلِ مَا أَبْدَعَتْهُ فَرِيحَةُ الشَّاعِرِ، قَصِيدَةٌ مُفَعَّمَةٌ بِالرَّمْزِ كَثِيفَةٌ بِالذَّلَالَاتِ وَالْإِيْحَاءَاتِ نَدِيَّةٌ بِالشُّعُورِ، مُنْفَتِحَةٌ عَلَى التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ خِلَالِ التَّوْظِيفِ الرَّمَزِيِّ لِلشَّخْصِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَمْكَانَةِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْأَحْدَاثِ الْبَارِزَةِ. وَفِي هَذَا النَّصِّ تَمْتَدُّ شَخْصِيَّةُ ((مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ)) مِنْذُ عُنْوَانِهِ إِلَى آخِرِ دَالٍّ فِيهِ، وَقَدْ هَيْمَنَتْ عَلَى كُلِّ مَقَاطِعِ النَّصِّ.

وَقَدْ تَوَجَّهَ الشَّاعِرُ، فِي الْقَصِيدَةِ، بِالْخِطَابِ إِلَى الشَّخْصِيَّةِ مِنْ خِلَالِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشْرَةَ صِبْغَةً نِدَاءً (أَيُّهَا الْفَاتِحُ) وَمِنْ خِلَالِ صِبْغَةٍ الْإِضَافَةِ (مِنْ جُنُودِ الْفَاتِحِ الْقَائِدِ) وَمِنْ خِلَالِ تِسْعَةِ عَشْرَ ضَمِيرًا تُحِيلُ إِلَى الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَدْعَاةِ، وَقَدْ تَجَمَّعَ فِي الْقَصِيدَةِ مِنَ الْعَنَاصِرِ مَا يُؤَهِّلُ شَخْصِيَّةَ ((مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ)) لِتَتَحَوَّلَ إِلَى فَنَاحِ شِعْرِيٍّ، يَتَمَرَّكُزُ فِي الْقَصِيدَةِ وَيَجْعَلُ مِنْهَا فِضَاءً رَمَزِيًّا تَتَوَهَّجُ فِيهِ الرُّمُوزُ وَتَتَأَلَّقُ دِلَالَاتُهَا، فَقَدْ أَدْخَلَ ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ مُنْفَصِلًا وَمُتَّصِلًا وَاسْتَدْعَاءً شُخُوصٍ مِنَ التَّارِيخِ وَالتَّنَاصُ مَعَ الْوَقَائِعِ التَّارِيخِيَّةِ وَالتَّصُوصِ الْمُخْتَلَفَةِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ فِي قَصِيدَةِ (الْفَنَاحِ) الَّتِي تَتَوَعَّتْ عَلَمَاتُهَا بَيْنَ الْمُؤَنُودِ أَوْ (التَّجْوِي) وَالْحَوَارِ وَالسَّرْدِ الْمَشْحُونِ بِالْأَسْئَلَةِ وَالتَّأْرِيخَةِ.

فَقَصِيدَةُ (الْفَنَاحِ) تُبْنَى، أَسَاسًا، عَلَى "شَخْصِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ تُسْتَعَادُ أَوْ تُسْتَلْهَمُ أَوْ تُسْتَحْضَرُ ضَمْنَ تَضَافِرٍ وَجْهِيٍّ الصِّدْقِ التَّارِيخِيِّ وَالْفَنِيِّ مَعَ الْمَلْمُوسِيَّةِ الْوَاقِعِيَّةِ الْخَاصَةِ بِنْتِي الْقَصِيدَةِ... وَيُرْتَبِطُ التَّأْطِيرُ التَّارِيخِيُّ بِخِصَائِصِ النَّسَقِ الثَّقَافِيِّ الَّذِي تَتَحَرَّكُ فِيهِ الشَّخْصِيَّةُ إِنْسَانِيًّا وَدِينِيًّا وَمُوروثًا شَعْبِيًّا وَتَحْقِيقِيًّا تَارِيخِيًّا، مِثْلَمَا تَسْتَدْعِي مُرَاعَاةَ شُرُوطِ التَّمْثِيلِ الثَّقَافِيِّ وَاسْتِحْقَاقَاتِهِ، فَلَيْسَ بِالْمُسْتَطَاعِ رُؤْيَةُ الشَّخْصِيَّةِ بِمَعزِلٍ عَن تَارِيخِهَا الَّذِي يُشَكِّلُ إِطَارًا مَعْرِفِيًّا لَا سَبِيلَ إِلَى مُجَاوَزَتِهِ مِنْ أَجْلِ وَعِي دَوَافِعِ التَّفَنُّعِ، وَكَاسِيمَا ضَمَانَةَ التَّجْرُدِ مِنَ الدَّائِيَّةِ وَمَا يُلَازِمُهَا مِنْ غِنَائِيَّةٍ تَكَادُ تُلْغِي التَّارِيخِ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ. (2) وَمِنْ هُنَا، يَبْدَأُ الشَّاعِرُ الْقَصِيدَةَ بِمُخَاطَبَةِ شَخْصِيَّةِ ((مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ)) مُسْتَدْعِيًا إِيَّاهَا بِاللَّقَبِ الَّذِي يَقُومُ بِوُظُفِيَّتَيْنِ، فَهُوَ يُعَيِّنُ الشَّخْصِيَّةَ الْمَقْصُودَةَ وَيَصِفُهَا بِأَبْرَزِ الصِّفَاتِ الَّتِي عَلِقَتْ بِهَا فِي التَّارِيخِ،

(1) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص: 255.

(2) عبد الله أبو هيف: فنّاء المتنبي في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 2004، ص: 31.

وَيَتَخَلَّلُ هَذِهِ الْمُخَاطَبَةَ إِقْرَارًا وَاعْتِرَافًا بِالتَّفْرِيطِ فِي الْمَكْتَسَبَاتِ وَإِضَاعَةِ الْمُنْجَزَاتِ وَتَحُلُّ عَنِ الْمَسْئُولِيَّاتِ، وَدَعْوَةً إِلَى (الْفَاتِحِ) لِيَسْتَأْنِفَ دَوْرَهُ التَّارِيخِيَّ وَيَنْهَضَ بِوَجْهِهِ الدِّيْنِيَّ مَرَّةً ثَانِيَةً.

وَتُرْسَخُ الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْمَاضِيَّةُ (ضَيِّعْنَا مَفَاتِيحَ الْمَدَائِنِ!!!) دِلَالَةَ التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ، وَتُحِينُنَا هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُعْلَمَةُ بِثَلَاثَ عُلَامَاتٍ تَعْجَبُ (!!!) إِلَى زَمَنِ التَّرَاجُعِ الَّذِي بَدَأَ مَعَ سُقُوطِ الْأَنْدَلُسِ بِسُقُوطِ غِرْنَاطَةَ وَخُرُوجِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ آخِرِ مَلِكِ مُسْلِمٍ مِنْ قَصْرِهِ (الْحَمْرَاءِ) وَمَدِينَتِهِ (غِرْنَاطَةَ) بِأَكْبَرِ مُتَحَسِّرًا وَتَسْلِيمِ مَفَاتِيحِهَا، بَعْدَ تَوْقِيعِ وَثِيقَةِ الْإِسْتِسْلَامِ وَالسُّقُوطِ سَنَةَ (897هـ/1492م)، فَـ (المَفَاتِيحُ) رَمَزُ الْإِمْتِنَانِ وَالسِّيَادَةِ، وَإِضَاعَةُ (المَفَاتِيحِ) تَحُلُّ عَنِ هَذَا الْإِمْتِنَانِ وَفَقْدَانِ السِّيَادَةِ، وَيَتَّضِحُ أَنَّ تَوَاطُرَ التَّرْكِيبِ الْإِضَافِيِّ (مَفَاتِيحِ الْمَدَائِنِ) بِشَكْلِ مُلْفِتٍ لِلانْتِبَاهِ فِي مَقَاطِعِ الْقَصِيدَةِ يَصْنَعُ مِنْهُ رَمَزًا خَاصًّا مِنْ رُمُوزِ الشَّاعِرِ، فَالرَّمُوزُ الْخَاصَّةُ هِيَ "الْإِسْتِعْمَالَاتُ اللَّغَوِيَّةُ-الْمُفْرَدَةُ وَتَرْكِيبُهَا الْإِضَافِيُّ وَالْوَصْفِيُّ وَرَمَزِيَّتُهَا الْفَنِّيَّةُ-الَّتِي يُلْحِقُ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ سَوَاءً كَانَتْ مُفْرَدَاتٍ مِنْ أَصْلِ اشْتِقَاقِيٍّ وَاحِدٍ أَوْ كَلِمَاتٍ مِنْ إِطَارٍ دَلَالِيٍّ مُعَيَّنٍ وَانْفِعَالَاتٍ، أَوْ صُورٍ لِلْكَوْنِ أَوْ رُؤْيٍ تُلَوِّنُ الْأَشْيَاءَ". (1) وَفِي الْوَاقِعِ لَا يَسْتَطِيعُ خَلْقُ رَمَزٍ جَدِيدٍ سِوَى الذَّهْنِ الْمُرْهَفِ الْمُرْتَقِي الَّذِي لَا تُرْضِيهِ الرَّمُوزُ التَّقْلِيدِيَّةُ الْمَوْجُودَةُ فِعْلًا". (2) فَخُصُوصِيَّةُ الرَّمَزِ فِي هَذَا النَّسَقِ الشَّعْرِيِّ تَفْرِضُ عَلَى الْمُتَلَقِّيِّ "أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَأْوِيلِ مِثْلِ هَذِهِ الرَّمُوزِ الْخَاصَّةِ مِنْ غَيْرِ مَعْيَارٍ حَاسِمٍ فِي تَحْدِيدِ الْمُنْطَلَقِ الدَّلَالِيِّ لِلرَّمَزِ قَبْلَ تَحْلِيلِهِ فِي سِيَاقٍ وَتَجْرِبَةٍ يُجَسِّدُهَا النَّصُّ الْأَدْبِيُّ". (3) وَبِنَاءً عَلَى بَنِيَّةِ السِّيَاقِ كَكُلِّ فَقَدْ قَرَنَ الشَّاعِرُ رَمَزَهُ (المَفَاتِيحِ) بِدِلَالَةِ الْإِمْتِنَانِ وَالسِّيَادَةِ وَالْعِزَّةِ وَهِيَ دِلَالَةٌ غَيْرُ بَعِيدَةٍ عَنِ الْمَجَالِ الدَّلَالِيِّ الْمُهَيِّمِ عَلَى بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الَّذِي تَنْدَمِجُ فِي شَبْكَةِ اللَّغَوِيَّةِ مُفْرَدَاتٍ مِنْ قَبِيلِ (الْفَاتِحِ، الْفُتُوحَاتِ، جُنْدِيٍّ، قَائِدِ، سَيْفِ، الْخَيْلِ، الرُّمْحِ، الْبَحْرِ، السَّفَائِنِ، عَلِيٍّ، خَالِدِ...)، وَيَأْخُذُ الرَّمَزُ دِلَالَتَهُ هَذِهِ مِنَ التَّارِيخِ كَمَا سَيَتَّضِحُ فِي مَقْطَعِ آتٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ (4):

أَيُّهَا الْفَاتِحُ.. ضَيِّعْنَا مَفَاتِيحَ الْمَدَائِنِ!!!

وَنَسِينَا الْبَحْرَ.. وَالْمَوْجَ وَتَهْلِيلَ السَّفَائِنِ!!!

وَنَسِينَا الْخَيْلَ وَالرُّمْحَ.. وَأَسْرَارَ الْكَمَائِنِ

.....

أَيُّهَا الْفَاتِحُ أَقْبِلِ... أَنْتَ مَا زِلْتَ فَتَاهَا

انْزِعِ السَّيْفَ مِنَ الْغِمْدِ فَقَدْ تُهِنَا وَتَاهَا!!!

لَمْ يَزَلْ سَيْفُكَ فِي الْقَبْرِ الرَّجَاحِيِّ سَجِينَا

(1) فايز الداية: علم الدلالة العربي، ص: 443.

(2) مصطفى سوييف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ص: 207.

(3) فايز اداية: جماليات الأسلوب، ص: 208.

(4) صابر عبد الدايم: قصيدة: (القبو الزجاجي) مجلة الأدب الإسلامي، س: 2، ع: 7، محرم 1416هـ، ص: 106.

نَائِمًا فِي غَمَدِهِ يَحْرُسُ أَسْيَافَ الْخِلَافَةِ!!!  
وَأِلَى جَانِبِهِ سَيْفٌ عَلِيٌّ (ذُو الْفَقَارِ))  
ذَلِكَ الْبَاتِرُ فِي كُلِّ غَزَاةٍ سِيرَةَ الْكُفْرِ... صَدَاهُ وَشِعَافُهُ  
انظُرِ الْآنَ إِلَيْهِ...

وَضَعُوهُ حَلِيَّةً لِلزَّهْوِ.. وَاللَّهُوَ بِأَزْمَانِ الْفُتُوحَاتِ الْكِبَارِ!!!  
أَيُّهَا الْفَاتِحُ ضَيِّعْنَا مَفَاتِيحَ الْمَدَائِنِ!!!  
... خَالِدٍ... فِي عَصْرِنَا يُسَجَّنُ فِي قَبْرِ زُجَاجِيٍّ...  
وَلِلْفَارُوقِ وَالصَّدِيقِ ذِيكَ الْمَصِيرِ!!!  
... هَذِهِ أَسْيَافُهُمْ مَثْلُومَةٌ تَنْعَى إِلَيْنَا  
حَدَهَا الْمُعْتَالُ فِي جَوْفِ الْقُبُورِ!!!

وَيَسْتَحْضِرُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ أَرْبَعَ شَخْصِيَّاتٍ ثَانَوِيَّةٍ فِي التَّوْطِيفِ وَرَبِيسَةَ فِي أَدْوَارِهَا التَّأْرِيخِيَّةِ؛ وَهِيَ شَخْصِيَّةُ (عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، وَقَدْ اسْتَحْضَرَهَا الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ اسْمِهَا الْمُضَافِ إِلَى أَحَدِ لَوَازِمِهَا وَهُوَ (السَّيْفُ)، وَشَخْصِيَّتَا (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) وَ(أَبِي بَكْرٍ)، وَقَدْ حَرَّصَ عَلَى اسْتِدْعَائِهِمَا بِاللَّقَبَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ (الْفَارُوقِ) وَ(الصَّدِيقِ) لِمَا فِي اللَّقَبِ مِنْ إِضَافَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ تَنْعَتُ الشَّخْصِيَّةَ، وَأَمَّا الشَّخْصِيَّةُ الرَّابِعَةُ فَهِيَ شَخْصِيَّةُ (خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ) وَتَمَّ اسْتِدْعَاؤُهَا بِالِاسْمِ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الشُّخُوصُ إِجْجَابِيَّةً فِي مَرَجِعِيَّتِهَا التَّأْرِيخِيَّةِ وَفَاعِلَةٌ فِي حَرَكَةِ التَّأْرِيخِ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ أَوْرَدَهَا فِي سِيَاقٍ شِعْرِيٍّ يَنْضَحُ بِدَلَالَاتٍ سَلْبِيَّةٍ مِمَّا يُحَدِّثُ مُفَارَقَةً بَيْنَ الْأَدْوَارِ الْبُطُولِيَّةِ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ الْعَظِيمَةِ وَمُنْجَزَاتِهِمِ التَّأْرِيخِيَّةِ وَبَيْنَ الْمَصَائِرِ الَّتِي آَلَتْ إِلَيْهَا تِلْكَ الْمُنْجَزَاتُ وَتِلْكَ الرُّمُوزُ مِنْ فَقْدٍ وَإِهْمَالٍ وَإِحَالَةٍ إِلَى تَذْكَرَاتٍ مَحْفُوظَةٍ فِي الْمَتَاحِفِ.

يُظْهَرُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مَلْمَحٌ فَنِّيٌّ آخَرٌ مِنْ مَلَاحِجِ الْقَصِيدَةِ، فَهِيَ تَتَمَيَّزُ بِالْحَوَارِيَّةِ وَتَعُدُّدِ الْأَصْوَاتِ، وَهِيَ أَهْمُ سِمَةٍ فِي قَصِيدَةِ (القِنَاعِ) الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنَ الْمُونُولُوعِ الدَّرَامِيِّ صَوْتًا يُحَاوِرُ أَصْوَاتًا أُخْرَى وَيَسْتَشِيرُ مَعَهَا مَكُونَاتِ رُؤْيَاهِ طَلَبًا لِلْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْإِحَاطَةِ بِوَعْيِ التَّأْرِيخِ، وَيَنْعَمِرُ الشَّاعِرُ بِوَهْجِ الْوَعْيِ كُلَّمَا ابْتَعَدَ فِي تَرْكِيْبِ قَصِيدَةِ الْقِنَاعِ عَنْ ذَاتِيَّتِهِ، وَيَعْبُرُ تَعُدُّدُ الْأَصْوَاتِ عَنِ الصَّرَاعَاتِ الدَّائِرَةِ فِي فَلَكِ الشَّخْصِيَّةِ حَيْثُ ارْتِفَاعُ نَبْرَةِ التَّعْبِيرِ عَنْ قَضَايَا الْحَيَاةِ الْمُعَقَّدَةِ الشَّائِكَةِ". (1) وَالْحَوَارُ، هُنَا، يَجَسَّدُ صِرَاعًا بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ بَيْنَ الشَّاعِرِ الْمُمَثِّلِ لِمَاضِي الْفُتُوحَاتِ الْمَجِيدَةِ بِوَصْفِهِ جُنْدِيًّا مِنْ جُنُودِ الْقَائِدِ مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ، جَاءَ وَلَا يَحْمِلُ مَعَهُ سِوَى هُوِيَّتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَبَيْنَ الْجُنْدِيِّ الْإِنْكِشَارِيِّ الْمُمَثِّلِ لِحَاضِرِ الْمَهْزَائِمِ وَالرَّدَّةِ، جُنْدِيٍّ مُجَرَّدٍ مِنْ آيَةٍ هُوِيَّةٍ. وَيُصَوِّرُ هَذَا الْحَوَارُ الْوَاقِعَ الْمُرَّ وَالْحَالَ

(1) عبد الله أبو هيف: قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، ص: 33.

المأساوي الذي صارت إليه الأمة الإسلامية في عاصمة من العواصم التي احتضنت الخليفة الإسلامية، لقد جاء الشاعر طالباً الوصل والولوج إلى عالم الفتوحات المجيدة:

... جئت والقلب بأبواب الفتوحات معلق

لكنه جوبه بالمنع والصد وأغلق دونه باب إسلامبول (مدينة الإسلام)، وهو قد أضاع مفتاحها فيما أضاع من مفاتيح المدائن، وصدده جندي بلا هوية، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

... وأنا جئت إلى قصرِكَ ضيفاً ما معي إلا الهويه

إنَّهَا ((اللهُ ولا ربَّ سواه))

إنَّهَا لا إلهَ إلا اللهُ - مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهُ))

... جئت والقلب بأبواب الفتوحات معلق

جئت.. لكن

باب (إسلامبول) في وجهي معلق!!

صدّني عن بابك العالي

انكشاري بلا أي هويه

جاء من أرض الشتات الهمجية

... قلت إني..

من جنود الفاتح القائد حامي أرض المسلمين

قال: في القاعة لا يوجد إلا

بعض أشلاء من العهد الطعين

إنَّهَا رائحة من زمن

كان... صعوداً.. وأنحداراً.. وأنكساراً بين أيدي الخائنين..

إنَّهَا أطلال تاريخ.. وأشباح رجال...

سكنوا القبو الرخامي السجين!!!

ويكشف عنصراً الحوار في القصيدة عن نزعة درامية حين يدور الحوار بين الشاعر الذي يعترف بأنه جندي من جنود الفاتح والجندي الانكشاري. فالقصيدة تتميز بالدرامية التي تنهض بالقصيدة إلى أفق درامي عميق يمسرح الرؤيا في مشهدية، فقد طعت النزعة الغنائية على الشعر العربي تغليبا لبواعث الذات الشاعرة وتحليلاتها في صوغ انطباعي أو انفعالي أو تأملي متجرد عن التاريخ بخاصة أو المرجعية بعامة. ويتيح القناع بوصفه استحضاراً أو استدعاءً أو استلهاماً للتاريخ أو المرجعية موضوعية في فهم الفعل الإنساني في صراعاته الداخلية

(1) صابر عبد الدائم: قصيدة: (القبو الزجاجي) مجلة الأدب الإسلامي، س: 2، ع: 7، ص: 106.

وَالخَارِجِيَّةِ، وَيَضْمَنُ لَهُ زَمَكَانِيَّتَهُ أَوْ فَضَاءَهُ الرَّحِيبِ".<sup>(1)</sup> وَيَنْتَهِي الحِوَارُ إِلَى الإِقْرَارِ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ زَمَنِ الفُتُوحَاتِ وَمِنْ (إِسْلَامِبُول) غَيْرُ أَطْلَالِ تَارِيخٍ وَأَشْبَاحِ رِجَالٍ وَأَشْلَاءٍ وَرَائِحَةٍ مِنْ ذَلِكَ العَهْدِ، وَكُلُّ التَّجُومِ المُتَأَلِّقَةِ فِي سَمَاءِ الفُتُوحَاتِ أَضْحَتْ خَامِدَةً مُنْطَفِئَةً فِي قَبْوٍ مِنْ زُجَاجٍ مَعْرُوضٍ لِلْفُرْجَةِ.  
وَيَحَاوِرُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا المَقْطَعِ شَخْصِيَّةً حَدِيدَةً، مُسْتَدْعِيًا إِيَّاهَا مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً بِالقَبِّ المُعْبَرِ عَنِ المَدْحِ وَمَرَّةً بِالقَوْلِ، وَهِيَ شَخْصِيَّةُ أَمِيرِ الشُّعْرَاءِ (أَحْمَدُ شَوْقِي)، وَيُوسِّعُ مِنْ حِلَالِ المَقْطَعِ مَدَارَاتِ التَّنَاصُّ مَعَ التَّارِيخِ وَالشُّعْرِ وَالْقُرْآنِ، يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

رَحَلْتُ ذَاكَرَتِي فِي مُدُنِ الشُّعْرِ...

... وَأَصَعْتُ لِأَمِيرِ الشُّعْرَاءِ

فِي شُرُودٍ وَعِيَاءِ

((اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فِي الفَتْحِ مِنْ عَجَبِ

يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدُّ خَالِدِ العَرَبِ))

أَيُّ فَتْحٍ... يَا أَمِيرَ الشُّعْرِ فِي عَصْرِ الفُتُوحَاتِ العَقِيمَةِ؟

أَيُّهَا الفَاتِحُ... ((أَنَا.. قَدْ فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا..

كَانَ -بِالحَقِّ- مُبِينًا)..

... وَأَبُو أَيُّوبِ فَوْقَ السُّورِ مَا زَالَ يُكَبِّرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ.. اللَّهُ أَكْبَرُ.. اللَّهُ أَكْبَرُ

عُلِبَ الرُّومُ.. وَأَشْجَارُ الفُتُوحَاتِ تُهَلِّلُ

... وَالتَّوَاقِيسُ تَلَاشَتْ

وَالجِيَادُ الصَّافِنَاتُ الْمُؤْمِنَاتُ

فِي مِيَادِينِ الوَغَى تُصْهَلُ... بِالفَتْحِ تُحْمَحَمُ

وَعلَى الشَّاطِئِ تَخْتَالُ المَآذِنُ...

وَتُصَلِّي وَتُسَلِّمُ

إِنَّهُ المَاءُ يُسَبِّحُ

وَالنُّجَيْمَاتُ تُسَبِّحُ

وَالْمَنَارَاتُ تُسَبِّحُ

وَالْمَجَادِيفُ تُسَبِّحُ

إِنَّهُ اللَّهُ... فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ

(1) عبد الله أبو هيف: قناع المتنبى في الشعر العربي الحديث، ص: 27.

(2) صابر عبد الدايم: قصيدة (القبو الزجاجي) مجلة الأدب الإسلامي، س: 2، ع: 7، ص: 106.

وَقَدْ اسْتَدْعَى الشَّاعِرُ شَخْصِيَّةَ (أحمد شوقي) مِنْ حِلَالِ آيَةِ الْقَوْلِ أَوْ التَّنَاصُّ مَعَ شِعْرِهِ بِتَضْمِينِ مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَشَادَ فِيهَا بِـ (أتاتورك)، وَلَيْسَ الْعَرَضُ اسْتِدْعَاءَ الشَّخْصِيَّةِ بِقَدْرِ مَا هُوَ مَضْمُونُ الْبَيْتِ الَّذِي لَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ الشَّاعِرُ فَلَيْسَ شَيْءٌ فِي سِيرَةِ (أتاتورك) يَسْتَحِقُّ التَّنْوِيهِ وَقَدْ شَوَّهَ هُوِيَّةَ تُرْكِيَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهَذَا مَا تُؤَدِّيهِ بِنْيَةُ الْاسْتِنْفَهَامِ الْإِنْكَارِي (أَيُّ فَنَح... يَا أَمِيرَ الشُّعْرِ فِي عَصْرِ الْفُتُوحَاتِ الْعَقِيمَةِ؟) وَلَيْسَ مَا حَقَّقَهُ أَتَاتُورُكُ إِلَّا فَنَحًا عَقِيمًا إِذَا مَا قِيسَ بِالْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَمَا أَبْعَدَ الْمَسَافَةَ بَيْنَ خَالِدِ الْعَرَبِ (خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ) وَخَالِدِ التُّرْكِ. وَيَتَجَاوَزُ التَّنَاصُّ إِلَى الْإِقْتِبَاسِ الْحَرْفِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَيْثُ يَتَنَاصُّ لَفْظِيًّا مَعَ الْآيَةِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ الَّتِي يَسْتَدْعِيهَا السِّيَاقُ وَيَعْتَمِدُ إِلَى تَحْوِيرِهَا بِإِضَافَةٍ (قَدْ) وَ(كَانَ بِالْحَقِّ) وَيَتَنَاصُّ لَفْظِيًّا أَيْضًا مَعَ الْآيَةِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْأَعْلَى، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أَوْ الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ سُورَةِ النَّصْرِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِزْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. فَضَلْنَا عَنْ بَعْضِ الْمَفْرَدَاتِ وَالتَّرَاكِبِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي تُحِيلُ عَلَى آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَأَبْرَزُ اسْتِدْعَاءٍ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ يَتِمُّثَلُ فِي اسْتِنْفَهَامِ شَخْصِيَّةِ الْمُجَاهِدِ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَبِي الْأَنْصَارِيِّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ (وَأَبُو أَيُّوبَ فَوْقَ السُّورِ مَا زَالَ يُكَبَّرُ اللهُ أَكْبَرُ.. اللهُ أَكْبَرُ.. اللهُ أَكْبَرُ)، وَهِيَ أَلْصَقُ بِدَلَالَاتِ الْقَصِيدَةِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ وَبِرُؤْيَةِ الشَّاعِرِ، فَإِذَا كَانَتِ الْقَصِيدَةُ تَعْتَمِدُ عَلَى شَخْصِيَّةِ (مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ) بِوَصْفِهَا بِوَرَّةِ النَّصِّ وَمُحَوَّرِهِ فَإِنَّهَا تَرْتَكِزُ بِثِقَلٍ أَقْلٍ عَلَى شَخْصِيَّةِ (أَبِي أَيُّوبَ) بِوَصْفِهَا بِمُحَوَّرًا مُسَاعِدًا لَهَا وَيَتَوَافَقُ مَعَهَا، فَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الشَّخْصِيَّتَيْنِ تَقُومُ عَلَى التَّوَافُقِ لَا عَلَى التَّعَارُضِ. وَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ يُعِيدُ اسْتِدْعَاءَ شَخْصِيَّةِ (مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ) مُجَدِّدًا فِي الْقَصِيدَةِ فَإِنَّ شَخْصِيَّةَ (أَبِي أَيُّوبَ) لَا تَطْهَرُ بَعْدَ هَذَا الْمَقْطَعِ.

وَتَتَوَاتَرُ فِي سِيَاقِ اسْتِدْعَاءِ شَخْصِيَّةِ (مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ) فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مَجْمُوعَةٌ رُمُوزِ (الْجِرَادِ، قَارِ، أَزْرَقُ النَّابِ، مَصَّاصُ الدَّمَاءِ، الرِّيحُ الْعَقِيمِ...) تُظَلِّلُ الْمَشْهَدَ بِدَلَالَاتٍ قَاتِمَةٍ إِنَّهَا دَلَالَاتُ التَّعْرِيبِ وَالتَّشْوِيهِ وَالْمَسْخِ الَّذِي أَصَابَ عَاصِمَةَ الْخِلَافَةِ وَنَالَتْ مِنْ وَجْهِهَا الْإِسْلَامِيَّ الْأَبْيَضَ، إِنَّهُ (الْجِرَادُ) الَّذِي أَتَى عَلَى كُلِّ مَا هُوَ أَخْضَرُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَ(الْجِرَادُ) رَمَزٌ لِكُلِّ الْمُعْتَدِينَ الْوَافِدِينَ عَلَى الْمَدِينَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَيُّهَا الْفَاتِحُ (إِسْلَامُ بُول) يَعْزُوهَا الْجِرَادُ  
 وَجْهَهَا الْأَبْيَضُ الْقَوَا فَوْقَهُ قَارَ الْفَسَادِ  
 سَلَبُوهَا الْعَرِضُ.. وَالْأَرْضُ وَبَاعُوهَا جَهَارًا فِي الْمَزَادِ  
 جَاءَهَا مِنْ كُلِّ فَجٍّ أَزْرَقُ النَّابِ...  
 وَمَصَّاصُ الدَّمَاءِ  
 أَحْمَرُ الرَّغِيْبَةِ فِي عَيْنَيْهِ أَمْوَاجُ الدَّهَاءِ  
 أَصْفَرُ الْبِسْمَةِ فِي خَطْوَتِهِ رِيحُ الْفَنَاءِ  
 ...أَطْلَقَ الرِّيحَ.. الْعَقِيمَ

آيا صوفياً في مهبِّ الرِّيحِ  
شَيْخٌ جَذْرُهُ فِي الْأَرْضِ مَوْصُولٌ بِأَسْبَابِ السَّمَاءِ  
صُورَةُ الْعَذْرَاءِ فِي مِحْرَابِهِ تُعْشَى وَجُوهَ الْعَابِرِينَ  
مُتَحَفًّا صَارَ لِأَجْسَادِ عُرَاةٍ..  
يَصْلُبُونَ الْعُمَرَ إِثْمًا فِي مَسَاءَاتِ الْجُنُونِ  
خَطَفْتَنِي الرِّيحُ أَلْقَيْتَنِي ((بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)).. سَرَايِفُو...

جِبَالٍ مِنْ جَلِيدٍ وَدِمَاءٍ  
وَتِلْالٍ مِنْ عِظَامٍ وَفَنَاءٍ...  
أَيُّهَا الْفَاتِحُ ((إِسْلَامِيُول)) يَعْزُوهَا الْجِرَادُ..

وَفِي هَذَا الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ تُسْتَدْعَى شَخْصِيَّةً (مُحَمَّدُ الْفَاتِحُ)، وَيُجَدِّدُ الشَّاعِرُ تَوْجِيهَ الْخِطَابِ إِلَيْهَا، وَفِي الْمَقْطَعِ،  
أَيْضًا، يَظْهَرُ بِشَكْلِ أَكْثَرِ وَضُوحًا تَعْبِيرُ الشَّخْصِيَّةِ عَنِ حُلْمِ الْأُمَّةِ فِي إِعَادَةِ تَحْقِيقِ الْمَاضِي فِي الْحَاضِرِ أَوْ فِي  
الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ، الَّذِي يَنْتَصِبُ الْفَاتِحُ مُعَادِلًا رَمْزِيًّا لَهُ، وَتَتَفَاعَلُ النَّصُوصُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَيُّهَا الْفَاتِحُ.. هَلْ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُ الْمَدَائِنِ؟  
... الْمَحَارِبُ فَرَاعَاتٌ وَأَشْلَاءُ مَاذَنْ!!!  
وَالْمِصْلُونُ... يُعْلُونَ.. وَيَصْلُونَ سَعِيرًا!!!  
أُتْرَانَا :

نَفْتَحُ الْآنَ كِتَابَ الْمَاءِ... نَعْتَالُ الْهَجِيرَ  
أُتْرَانَا

... نُعْلِنُ الْآنَ اكْتِشَافَاتِ الْفُتُوحِ  
نَقْبِضُ الْآنَ عَلَى الْجَمْرِ وَنَعْتَالُ السُّفُوحِ  
أُمُّ تُرَانَا

لَمْ نَزَلْ نَعْدُوا حِمَاصًا.. وَكَمَا كُنَّا نَرُوحُ!!!  
وَمَفَاتِيحُ الْمَدَائِنِ

لَمْ نَزَلْ نَبْكِي عَلَيْهَا وَنُنُوحِ  
سُورَةَ الْفَتْحِ هَجَرْنَاهَا  
وَمَزَقْنَا صَدَاهَا...

وَتَرَاءَتْ فِي دِمَاءٍ وَقُرُوحِ  
كُلُّ أَشْجَارِ الْفُتُوحَاتِ أَرَاهَا  
عَارِيَاتٍ مِنْ رُؤَاهَا  
مِنْ ثَمَارِ الْفَتْحِ...

... فِي أَوْراقِهَا جَفَّتْ دِمَاءُ

كُنْتُ تَسْقِيهَا شَدَاهَا

أَيُّهَا الْفَاتِحُ أَقْبِلْ أَنْتَ مَارِلْتَ فَتَاهَا

انزِعِ السَّيْفَ مِنَ الْقَبْرِ الرَّجَاجِيِّ

فَقَدْ نُهِنَا وَتَاهَا... !!!

وَيَسْتَدْعِي الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنَ الْقَصِيدَةِ شَخْصِيَّةَ (أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ) الَّتِي تَخْتَبِي فِي الظِّلِّ وَيَمْتَدُّ إِجْحَاؤُهَا فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ مُفْرَدَاتٍ وَتَرَائِبِ اللَّغَةِ الْمُسِيرَةِ إِلَى سُقُوطِ غِرْنَاطَةِ وَتَسْلِيمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ لِمَفَاتِيحِ مَدِينَتِهِ (غِرْنَاطَةَ) وَخُرُوجِهِ بَاكِيًّا عَلَى ظَهْرِ مَرَكَبٍ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَقَدْ خَاطَبَتْهُ أُمُّهُ بِالْقَوْلِ: "ابْنُ كَالْتَسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ الرِّجَالِ". وَهِيَ الشَّخْصِيَّةُ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى رَمْزِ السُّقُوطِ وَالْإِنْحِدَارِ تَحَوَّلَتْ فِيهِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْكُبْرَى إِلَى دُوَيْلَاتٍ ضَعِيفَةٍ يُقَاتِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَتَرَبَّصُّ الْإِبْنُ بِأَخِيهِ وَأَبِيهِ غَافِلِينَ عَنِ الْأَعْدَاءِ الْمُتَرَبِّصِينَ.

وَفِي قَصِيدَةِ (عَلَى بَابِ غِرْنَاطَةَ) تَتَحَوَّلُ (غِرْنَاطَةُ) الْمَدِينَةُ/الْمَمْلَكَةُ إِلَى رَمْزٍ لِلْحُزْنِ وَالْأَلَمِ، فَيَسْتَلْهِمُ الشَّاعِرُ مَأْمُونُ فَرِيزِ حَرَّارِ شَخْصِيَّةَ (أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ) مِنْ خِلَالِ الدَّوْرِ أَوْ الْمَوْقِفِ، فَالشَّاعِرُ بِهِذِهِ الْأَلِيَّةِ يُخْفِي شَخْصِيَّةَ التَّارِيخِيَّةِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّصْرِيحِ بِاسْمِهَا، بَلْ يَتَوَارَى وَرَاءَ هَذَا الْقِنَاعِ التَّارِيخِيِّ لِإِعَادَةِ إِنتِاجِ الدَّلَالَةِ التَّارِيخِيَّةِ بِأَبْعَادٍ وَاقِعِيَّةٍ وَتَأْوِيلِهَا بِمَا يُنَاسِبُ التَّجْرِبَةَ الرَّاهِنَةَ، فَهَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ، بِرَغْمِ مَا تُمَثِّلُهُ مِنْ سَلْبِيَّةٍ، هِيَ شَخْصِيَّةٌ غَيْرُ عَادِيَّةٍ وَتُحْسَدُ حِقْبَةً زَمْنِيَّةً مُتَوَثَّرَةً وَغَيْرَ سَاكِنَةٍ، وَمِنْ هَذَا تَنَالُ دِلَالَتُهَا رَمْزِيَّتَهَا، وَالشَّاعِرُ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ الشَّخْصِيَّةَ بِالْعِلْمِ الدَّلَالِ عَلَيْهَا فَإِنَّ ارْتِبَاطَ الشَّخْصِيَّةِ بِـ (غِرْنَاطَةَ) عَنِ طَرِيقِ الْاِقْتِرَانِ الْاِسْتِدْعَائِيِّ يُعَيِّنُ كُنْهَهَا، يَقُولُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ:

(1):

عَلَى بَوَابَةِ الْأَحْزَانِ

وَقَفْتُ أَهْزُ أَغْصَانِي

تَعَرَّتْ... آه يَا أَيَّامَ حَرَمَانِي

مُشَقَّقَةٌ شَفَاهُ الْعُصْنِ مَخْرُوفَةٌ

بِرَاعِمُهُ كَأَطْيَافٍ مِنَ الذِّكْرَى

تُطَلُّ عَلَى رَبِيبِ الْعِزِّ... أَلْقَاهُ..

الرِّمَانُ عَلَى بَسَاطِ الشُّوْكِ.. عَرَاهُ

هُنَا فِي ظِلِّ أَغْصَانِي

(1) أحمد بسام ساعي: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ص: 96.

مَلَأْتُ مَجَامِرَ الْأَنْسَامِ بِالطَّيِّبِ  
بَنَيْتُ لِحُلُوةِ الْعُشَّاقِ مَحْرَابًا  
وَقَفْتُ بِيَابِ غِرْنَاطَةَ  
بَكَيْتُ بَكَيْتُ.. يَا غِرْنَاطَةَ الْأَحْزَانِ  
وَقَفَّتْ الدُّرُوبُ أَسَائِلَ الْعِمْدَانِ  
عَنِ الْأَهْلِ.  
رَأَيْتُ سَيُوفَنَا فِي مُتَحَفِ التَّارِيخِ.  
مُعَمَّدَةً عَلَى دَمِنَا..  
قَتَلْتُ أَحِي  
قَتَلْتُ أَبِي  
قَتَلْتُ ابْنِي  
وَأَحْرَ لَيْلَةَ كَانَتْ..  
وَضَعْتُ السَّيْفَ فِي نَحْرِي..

وَفِي السُّطُورِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْمَقْطَعِ تَتَجَلَّى الدِّرَامِيَّةُ حِينَ يَزْدَادُ تَمَاهِي الشَّاعِرِ مَعَ شَخْصِيَّةِ قِنَاعِهِ فِي هَذَا الْفِعْلِ  
الْمُحَدَّدِ الْمُتَكَرِّرِ (قَتَلْتُ... وَضَعْتُ السَّيْفَ فِي نَحْرِي..).

يُعَدُّ الضَّمِيرُ عَلَامَةً فَاصِلَةً بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقْطَعَيْنِ؛ فَاَلْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ يَهَيِّمُ فِيهِ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْمَفْرَدِ/الشَّاعِرِ، وَهُوَ  
يَنْدَمِجُ أحيانًا بِصَوْتِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَدْعَاةِ الَّتِي يَتَقَنَعُ أَوْ يَتَقَمَّصُ بِهَا الشَّاعِرُ، وَالْمَقْطَعُ الثَّانِي يَهَيِّمُ فِيهِ ضَمِيرُ  
الْمُتَكَلِّمِ/الْجَمَاعَةِ، وَفِيهِ يَظْهَرُ صَوْتُ الْقِنَاعِ أَوْ صَوْتُ الشَّخْصِيَّةِ التَّرَانِيمِيَّةِ بِجَلَاءٍ فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي أَوْ يَظْهَرُ  
صَوْتُ الشَّاعِرِ مِنْ وَرَاءِ قِنَاعِهِ بِدَايَةِ مَنْ السَّطْرِ الثَّلَاثِ. وَمِنْ خِلَالِ الْإِسْتِدْعَاءِ الْفَنِيِّ لِشَخْصِيَّةِ (أَبِي عَبْدِ اللَّهِ  
الصَّغِيرِ) فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَسْتَحْضِرُ شَخْصِيَّةَ (عَائِشَةَ الْحَرَّةِ) -أُمُّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ- بِوَسْطَةِ الْإِسْتِفَادَةِ تَنَاصِيًا مِنْ قَوْلِهَا  
الْمَأْتُورِ: "إِبْنُ كَالْتَسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ الرَّجَالِ".<sup>(1)</sup> لِيَمْتَنِّصَهُ وَيُعِيدَ إِتِنَاحَهُ فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ بِطَرِيقَةٍ  
مُخْتَلِفَةٍ لِكُونَ هَذَا الْمَلْفُوظِ مَرَكِزَ الْإِشْعَاعِ فِي النَّصِّ، فَ"الْإِمْتِنَاصُ مَرَحَلَةٌ أَعْلَى فِي قِرَاءَةِ النَّصِّ الْغَائِبِ وَهَذَا  
الْقَانُونُ الَّذِي يَنْطَلِقُ أَسَاسًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِأَهْمِيَّةِ النَّصِّ وَقِدَاسَتِهِ، فَيَتَعَامَلُ وَإِيَّاهُ تَعَامُلًا حَرَكِيًّا تَحْوِيلِيًّا لَا يَنْفِي الْأَصْلَ  
بَلْ يُسَهِّمُ فِي اسْتِمْرَارِهِ جَوْهَرًا قَابِلًا لِلتَّجْدِيدِ وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْإِمْتِنَاصَ لَا يُجَمِّدُ النَّصَّ الْغَائِبَ وَلَا يَنْقُدُهُ إِنَّهُ يُعِيدُ  
صَوْعَهُ فَحَسْبُ عَلَى وَفْقِ مُتَطَلِّبَاتِ تَارِيخِيَّةٍ لَمْ يَكُنْ يَعِيشُهَا فِي الْمَرَحَلَةِ الَّتِي كُتِبَ بِهَا وَبِذَلِكَ يَسْتَمِرُّ النَّصُّ غَائِبًا  
غَيْرَ مَمْحُودٍ بَدَلًا أَنْ يَمُوتَ".<sup>(2)</sup> يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ<sup>(1)</sup>:

(1) علي محمد محمد الصلاحي: التاريخ الإسلامي، مج: 2، دار الفجر للتراث، القاهرة، (د، ط)، 1426هـ-2005م، ص: 631.

(2) محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص: 251.

خَرَجْنَا كَالنِّسَاءِ نَحْرُهُ ثَوْبَ الدَّمْعِ  
رَكِبْنَا الْبَحْرَ بِالذُّلِّ  
فَلَيْتَ الْبَحْرَ لَمْ يَفْتَحْ لَنَا بَابَهُ  
سَبَايَانَا  
وَذِكْرَى مَجْدَنَا الْمَحْرُوقِ  
وَأَيَّامًا..  
طَوَيْنَاهَا  
طَوَاهَا سَيْفِنَا الْمَعْمُوسُ فِي دَمِنَا

تَوَعَّ الشَّاعِرُ، فِي الْحَدِيثِ بِصَوْتِ الشَّخْصِيَّةِ بِوَصْفِهِ رَاوِيًا فِي الْقَصِيدَةِ، بَيْنَ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الشَّخْصِيِّ (أَنَا/تُ) وَضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْجَمَاعَةِ (نَحْنُ/نَا)، فَ"ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ عَنِ الذَّاتِ الْفَرْدِيَّةِ بَلْ عَنِ الذَّاتِ الْجَمَاعِيَّةِ، وَمَا أَسْهَلَ أَنْ نَسْتَبْدِلَ مِنْهُ، حَيْثُ كَانَ، ضَمِيرَ الْجَمَاعَةِ، وَمَا مَعْنَى (أَخِي، وَأَبِي، وَنَحْرِي) هُنَا إِلَّا (إِخْوَتَنَا، وَأَبَاؤُنَا، وَنَحْوَرُنَا)، كُنَّا فِي الْأَنْدَلُسِ نَتَّحِرُ بِاسْتِمْرَارٍ، وَمَا قَتَلَ الْمُسْلِمَ لِأَخِيهِ إِلَّا الْبِدَايَةَ الَّتِي تَنْتَهِي بِقَتْلِهِ لِنَفْسِهِ، مِثْلَمَا يَقَعُ لِلْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ فِي شَتَّى أَصْفَاعِهِمْ، بَلْ إِنَّ الشَّاعِرَ كَانَ (يَسْتَرِيحُ) أَحْيَانًا مِنْ مَسِيرَةِ الضَّمِيرِ الْمَفْرَدِ عِنْدَ مُتَكَاتٍ مِنْ ضَمَائِرِ الْجَمَاعَةِ (سَيُوفُنَا، دَمِنَا، خَرَجْنَا، رَكِبْنَا، سَبَايَانَا، طَوَيْنَاهَا).".<sup>(2)</sup> وَسَوَاءٌ أَكَانَ الشَّاعِرُ عَبْرَ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَفْرَدِ فِي سِيَاقِ تَوْصِيْفِ الْفِعْلِ (قَتَلْتُ...) السَّلْبِيِّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الشَّخْصِيَّةُ الْمُسْتَدْعَاةُ أَمْ بِضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ أَوْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَعْظَمِ لِذَاتِهِ فِي سِيَاقِ تَوْصِيْفِ أَثَرِ الْفِعْلِ (خَرَجْنَا...)، فَإِنَّ اِزْدَوَاجِيَّةَ الضَّمِيرِ فِي الْقَصِيدَةِ تَرْتَبِطُ بِالذَّلَالَةِ وَتُؤَكِّدُ مَسْئُولِيَّةَ السُّقُوطِ وَالْهَزِيمَةِ الْمَشْتَرَكَةَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ، رُعَاةَ وَرَعِيَّةٍ، وَخَاصَّةً وَعَامَّةً.

وَإِذَا كَانَ (الْقِنَاعُ) فِي حَقِيقَتِهِ رَمْزًا يَلْحَأُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ لِيُضْفِي عَلَى صَوْتِهِ نَبْرَةً مَوْضُوعِيَّةً مُحَايِدَةً فِي سِيَاقِ دَرَامِيٍّ، فَإِنَّ (الْغِنَائِيَّةَ) قَدْ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ التَّدْفُقِ الْمُبَاشِرِ لِذَاتِ الشَّاعِرِ الرَّاوِي، وَرَغْمَ هَذِهِ الْغِنَائِيَّةِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي تَكَرُّرِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ الْمَشْحُونَةِ عَاطِفِيًّا (بَكَيْتُ...بَكَيْتُ) وَبُرُوزِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ بِشَكْلِ وَأَصْحِ (أَهْرُ أَغْصَانِي، حِرْمَانِي، بَنَيْتُ، وَقَفْتُ، فَتَشْتُ، أَحْيِي، أَبِي، ابْنِي، نَحْرِي...) فَإِنَّا نَحْسُ أَنَّهَا غِنَائِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْ نَاحِيَّةٍ، عَنِ الْغِنَائِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَأَنَّهَا غِنَائِيَّةٌ بِنَاءً لَا تَنْصَرِفُ إِلَى مُجَرَّدِ ذَرْفِ الْعَوَاطِفِ وَاسْتِدْرَارِ الْمَشَاعِرِ، أَوْ إِلَى مُجَرَّدِ التَّلَاعُبِ اللَّفْظِيِّ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ الْإِيهَامُ بِأَنَّا أَمَامَ لُغَةٍ جَدِيدَةٍ.<sup>(3)</sup>

(1) أحمد بسام ساعي: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ص: 97.

(2) المرجع نفسه، ص: 98.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وَيَأْتِي رَمَزُ (غَرْنَاطَةَ) مُكَرَّرًا مَرَّتَيْنِ لِأَنَّهُ جُزْءُ رَأْسٍ فِي بَنِيَةِ الصُّورَةِ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ، فَهُوَ الْبُورَةُ الْمُشَعَّةُ بِالْإِيحَاءِ، وَ(غَرْنَاطَةَ) هِيَ بَوَابَةُ الْأَحْزَانِ الَّتِي وَقَفَ بِهَا الشَّاعِرُ يَهْزُ الْأَغْصَانَ الْمَيْتَةَ الْعَقِيمَةَ وَقَدْ تَعَرَّتْ مِنْ أَوْرَاقِهَا كَمَا تَعَرَّتِ الْمَدِينَةُ مِنْ مَاضِيهَا الزَّاهِرِ وَمِنْ عَهْدِهَا الْمُرِقِ الْمُخْضَرِّ، وَقَدْ جَرَدَهَا الزَّمَانُ مِنْ كُلِّ ثَمَارِ الْفُتُوحَاتِ فَخَلَّتْ دُرُوبُهَا مِنْ وُجُوهِ الْأَهْلِ. وَقَدْ حَظِيَتْ (غَرْنَاطَةَ) "بَاهْتِمَامٍ كَثِيفٍ وَطَاغٍ مِنْ قِبَلِ الْحَسَاسِيَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ لَا يَكَادُ يَخْلُو دِيْوَانُ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ مِنْ مُنَاجَاةِ غَرْنَاطَةَ رَائِيًا أَوْ مُغْنِيًا أَوْ مُتَعَزِّلًا أَوْ مُحَاوِرًا".<sup>(1)</sup>

وَيُضْمِرُ الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ تَوْظِيْفِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ انْتِقَادًا مُوجَّهًا إِلَى الْوَاقِعِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاصِرِ، بِكُلِّ أبعادِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، الْوَاقِعِ الَّذِي يَدْعُمُ التَّشْتُّتَ وَالانْتِقَاسَ وَالصَّرَاعَ وَالتَّامُرَ.

وَيَسْتَدْعِي حَسَنَ الْأَمْرَانِي شَخْصِيَّةً (مُحَمَّدَ الْفَاتِحِ)، وَاكْتَفَى فِي اسْتِدْعَانِهَا بِالاسْمِ (مُحَمَّدَ) مُجَرَّدًا مِنَ النَّعْتِ الَّذِي طَالَمَا صَاحَبَهُ، وَهُوَ (الْفَاتِحِ)، وَتَرَكَ السِّيَاقُ يُفْصِحُ عَنِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَقْصُودَةِ (مُحَمَّدَ الْفَاتِحِ)، وَكَيْسَ سِيَاقِ الْقَصِيدَةِ وَبَعْضِ الْمُتَعَلِّقَاتِ الْمَصَاحِبَةِ لِلْاسْمِ كـ (إِسْتَبُولِ) وَ(فَشِيحْرَادِ) فَحَسَبُ، وَإِنَّمَا سِيَاقُ الْمَجْمُوعَةِ الشَّعْرِيَّةِ كُلِّهَا الَّتِي جَعَلَتْ مَأْسَاةَ مُسْلِمِي (الْبُوسْتَنَةِ) مَوْضُوعَهَا الشَّعْرِيَّةَ، وَعَيَْابُ النَّعْتِ الْمَشْهُورِ فِي هَذَا السِّيَاقِ يُخَالِفُ الْمُتَوَقَّعَ فِي الْاسْتِعْمَالِ وَيُنِيرُ الذَّهْنَ، فَالشَّاعِرُ يَتَوَجَّهُ إِلَى هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ بِالْخَطَابِ الْمُبَاشِرِ، وَيَدْعُوهَا لِتَقُومَ بِدَوْرِهَا الَّذِي قَامَتْ بِهِ سَابِقًا وَتُعِيدَ (الْفَتْحَ) وَ(مَوْلِدَ الْفَجْرِ) وَتَسْتَرْجِعَ لِقَبْهَا (الْفَاتِحِ) الْمَسْلُوبِ مِنْهُ فِي النَّصِّ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (الرُّؤْيَا)<sup>(2)</sup>:

يَا مُحَمَّدَ

دَعَّ عِيُونََ الْقَمَرِ النَّاعِسِ تَشْهَدُ

دَعَّ شِفَاهَ النَّهْرِ الظَّمَانِ تَشْهَدُ

مَوْلِدَ الْفَجْرِ عَلَى سَاعِدِ شَيْخٍ يَتَعَبَّدُ

مِثْلَ بَلْقَيْسِ الَّتِي أَبْصَرْتَ الْحَقَّ

وَقَدْ لَامَسْتَ الصَّرْحَ الْمَمْدَدَ

يَا مُحَمَّدَ

قُمْ إِلَى النَّهْرِ، وَصِلْ بَيْنَ مَشْكَاتَيْنِ: عَيْسَى وَمُحَمَّدَ

إِنَّ مَا بَيْنَ (فَشِيحْرَادِ) وَ(إِسْتَبُولِ) حَبْلٌ مُبْرَمٌ..

عَهْدٌ مَوْطَدٌ.

(1) محمد صابر عبيد: صوت الشاعر الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 2007، ص: 56.

(2) حسر على نهر درينا، ملحمة الإسلام في البوسنة، منشورات المشكاة، المغرب، (د، ط)، 1413هـ-1992م، ص: 37.

يَأْتِي الاستدعاء في هذا المقطع من خلال الحديث إلى الشخصية، حيث يكون صوت الشاعر مهيمنًا، فهو الراوي الوحيد في القصيدة، ويعتمد الخطاب في القصيدة على صيغة النداء وضمائر المخاطبة المستترية في بنى الأمر (دع، قم، صل..). ويتميز هذا النص القصير بكثافة الاستدعاء فيه، فنجد (بلقيس) ملكة سبأ في التناس مع القرآن من خلال امتصاص وإعادة إنتاج لآية الكريمة ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ فَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(1)</sup> ونجد رمزين قرآنيين؛ رمز (عيسى) ﷺ كرمز دال على المسيحية ورمز (محمد) ﷺ كرمز دال على الإسلام. ويستدعي الشاعر شخصية مهمة ليُعبر من خلالها عن تجربة معاصرة، ففي هذا المقطع والذي يليه يتفنع الشاعر بشخصية الرسول في هذا الموقف المعين، فقد استدعى الشاعر لحظات من الفترة الزمنية التي قضاها الرسول ﷺ في حراء، حين بدأ نزول الوحي عليه أول مرة، ولما استدعى الشاعر الموقف السري بحالته الماضية وإنما يفككه ويحوره بما يخدم موقفه الجديد ويبنى على أسسه نصًا جديدًا يظهر فيه صوت الشاعر متماهيًا مع صوت الشخصية المستدعاة، وفي هذه الحال يعدو (القناع) رمزًا فنيًا يوسع آفاق التأويل أمام المتلقي، يقول الشاعر في المقطع الثالث من قصيدة (الدخول إلى حدائق إقبال السندسية)<sup>(2)</sup>:

دُّرِّي

دُّرِّي

إِنِّي الْمَقْرُورُ فِي عِزِّ الظَّهِيرَةِ

وَأَنَا الْمَطْلُوبُ، دُونَ النَّاسِ، وَحَدِي يَا أَمِيرَهُ

دُّرِّي

دُّرِّي

وَاحْمِلِي أَوْتَارِكَ الْجَذَلِيِّ إِلَى رُوحِي

انْهَضِي شَامِخَةَ الرَّأْسِ، اتَّبِعِي

إِنِّي أَعْدَدْتُ أَعْرَاشَ الْبَقِيَّةِ

وَوَاضِحٌ أَنَّ الشَّاعِرَ يَسْتَدْعِي شَخْصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ خِلَالِ آيَةِ الدَّوْرِ، حِينَ يَتَقَاطَعُ مَعَ حَدَثِ بَدْءِ نَزُولِ الْوَحْيِ، فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حَبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَرَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَرَوَّدُ لِمَثَلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ

(1) سورة النمل، الآية: 44.

(2) حسن الأمراني: سأتيك بالسيف والأقحوان، ص: 50.

الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: ((مَا أَنَا بِقَارِيءٍ)) قَالَ: ((فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾. فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: ((زَمَلُونِي زَمَلُونِي)). فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَيْرَ: ((لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ نَفْسِي)). فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا بَنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بَنَ أَحِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟!)). قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى، وَفَتَرَ الْوَحْيَ. " (1)

يَصُوغُ الشَّاعِرُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْقِنَاعِ مُوقِفَهُ، وَيُعْلِنُ بِذَلِكَ عَنْ بَدْءِ رِسَالَتِهِ وَاحْتِيَاجِهِ إِلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ الْمُؤْمِنَةِ بِدَعْوَتِهِ لَتُسْنِدِهِ وَتَحْتَضِنُهُ فِي لَحْظَةِ الْبَدْءِ الْعَظِيمَةِ وَوِطْأَةِ الْمُهَمَّةِ الثَّقِيلَةِ، وَلِتَأْكِيدِ هَذِهِ الْفِكْرَةَ كَرَّرَ هَذَا الْاسْتِدْعَاءَ فِي قَصِيدَتِهِ (فِي الْبَدْءِ) حَيْثُ يَقُولُ (2):

وَمَنْ يَا تُرَى سَيْدُ تُرُنِي  
 إِنَّ أَنَا عُدْتُ لِلْبَيْتِ مُرْتَعِشًا  
 بَعْدَ لَيْلٍ طَوِيلٍ طَوِيلٍ؟  
 وَمَنْ سَيَكُونُ رَفِيقِي وَأَمْنِي  
 وَوَاحَةَ عُمْرِي إِذَا مَا خَرَجْتُ؟  
 وَمَنْ سَيُخَبِّئُ فِي صَدْرِهِ  
 سِرَّ حَلْمِي الْجَمِيلِ؟  
 وَيُنَكِّي عَلَيَّ شُرْفَةَ الذُّكْرِيَّاتِ  
 إِذَا أَنَا كُنْتُ الْقَتِيلِ؟

(1) الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، ص: 14.

(2) حسن الأمراني: سآتيك بالسيف والأقحوان، ص: 32.

وَيَبْدُو مِنَ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ أَنَّ الشَّاعِرَ يُحِيلُ الْمُتَلَقِّيَ عَلَى سُورَتَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ تَضَمَّنَتَا خِطَابَيْنِ يُحَدِّدَانِ الْمِهْمَةَ الَّتِي يُكَلِّفُ بِهَا، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَنَاصُّ خَفِيِّ تَكْشِيفُ عَنْهُ مُفْرَدَاتِ الْمَقْطَعِ (سَيِّدُتْرُنِي، بَعْدَ لَيْلٍ طَوِيلٍ...، إِذَا مَا خَرَجْتُ...)، يَتِمُّثَلُ الْخِطَابُ الْأَوَّلُ فِي سُورَةِ (الْمُدَّثِرِ) الَّتِي جَاءَ فِي آيَاتِهَا الْأُولَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2)﴾ وَالْخِطَابُ الثَّانِي فِي سُورَةِ (الْمُزْمَلِ) الَّتِي جَاءَ فِي آيَاتِهَا الْأُولَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّ سَنَلِقِيَ عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلًا (5)﴾. وَالْمَقْصُودُ بِـ ((الْمُدَّثِرِ)) وَ(الْمُزْمَلِ) النَّبِيُّ الْمُتَلَفِّفُ بِنَبِيَّاهِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ.

وَلَا يَسْتَدْعِي نَجِيبُ الْكِيْلَانِي - كَعْبِرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِدُونَ الرُّمُوزَ التَّارِيخِيَّةَ أَشْخَاصًا كَأَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ وَالْقَادَةِ الْفَاتِحِينَ وَأَحْدَاثًا كَالْوَقَائِعِ الْحَرَبِيَّةِ الَّتِي مَثَلَتْ مُنْعَطَفَاتٍ حَاسِمَةً فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ - الرُّمُوزَ التَّارِيخِيَّةَ أَوْ يَسْتَلْهِمُ الثَّرَاثَ الْإِسْلَامِيَّ اسْتِحَابَةً لِدَوَاعٍ فَنِيَّةٍ تُمَلِّهَا التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ وَالصَّوْغُ الْفَنِيُّ لِلْقَصِيدَةِ، وَالتَّشْكِيلُ الدِّرَامِيُّ لِلْفَضَاءِ الَّذِي تُوْطَفُ فِيهِ الشَّخْصِيَّاتُ، بَلْ يُحْيِي وَيَبْعَثُ هَذِهِ الرُّمُوزَ فِي وَعْيِ الْأُمَّةِ وَضَمِيرِهَا وَذَاكَرَتِهَا الْحَيَّةِ وَصَلًّا لِحَلَقَاتِ تَارِيخِهَا وَتَعَزِيزًا لِلانْتِمَاءِ إِلَيْهَا، وَتَأْكِيدًا لِرُؤْيَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ، وَفِي هَذَا الْمِضْمَارِ يَسْتَدْعِي شَخْصِيَّةَ (مَحْمُودِ الْغَزْنَويِّ) (\*) اسْتِدْعَاءً جُزْئِيًّا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي يَدْعُمُ فِيهَا الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْعَانَ ضِدَّ الْمُعْتَدِينَ الرُّوسِ، يَقُولُ (1):

((الغزْنَويِّ)) صَامِدٌ هُنَاكَ

عَلَى جَوَادِهِ

يُعَانِقُ الْأَفْلَاكَ

يَشُدُّ مِنْ عَزِيمَةِ الْمُجَاهِدِينَ

يُرْزَلُ الصُّخُورَ بِالنَّدَاءِ

وَيَرشِقُ الْمُجُونَ وَالْجُنُونَ

يَكْشِفُ سُوءَةَ الْعُصُورِ

وَسَبَّةَ الدُّهُورِ

.....

يَا أُمَّةَ الْأَفْعَانَ لَمْ يَزَلْ

(\*) هُوَ مَحْمُودُ بْنُ سَبِكْتِكِينِ (971م - 1030م) أَحَدُ الْمُلُوكِ الْغَزْنَويِّينَ، أَشْهَرُ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْأَلْقَابِ مِنْ بَيْنِهَا (بَطْلُ الْإِسْلَامِ) وَ(فَاتِحُ الْهِنْدِ) وَ(مُحَطَّمُ الْأَصْنَامِ) وَ(يَمِينُ الْمُؤْمِنِينَ) وَ(يَمِينُ الدَّوْلَةِ). غَزَا الْهِنْدَ وَأَمْتَدَّتْ مَمْلَكَتُهُ مِنْ بَخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ وَشَمَلَتْ أَفْغَانِسْتَانَ وَسَجِسْتَانَ وَخِرَاسَانَ وَطَبْرِسْتَانَ وَكَشْمِيرَ وَجُزءًا كَبِيرًا مِنَ الْوَلَايَاتِ الْوَارِقَةِ فِي الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْهِنْدِ، أَمَضَى مَحْمُودٌ عَمْرَهُ وَهُوَ يُحَارِبُ فِي الْهِنْدِ وَيَفْتَحُ أَقَالِيمَهَا الْوَاحِدَ تَلُوَ الْآخَرَ. وَقَدْ ارْتَفَعَتِ الدَّوْلَةُ الْغَزْنَويَّةُ إِلَى الْأَوْجِ بِفَضْلِ هِمَّتِهِ وَحُسْنِ قِيَادَتِهِ.

(1) نجيب الكيلاني: كيف أفلاك، ص: 29.

((العزّوثوي)) من العرين

مُؤذِنًا بِصِيحَةِ الْأَمَلِ  
يَنْدَاحُ مِنْ جِبَالِنَا الرَّنِينِ  
الْمَوْجُ يَسْحَقُ الصُّخُورَ  
يَكْتَسِحُ الْوَبَاءَ وَالرَّمَمَ  
يُطَهِّرُ الدِّيَارَ  
وَيَزْرَعُ الْهَمَمَ  
أَمَالَ أُمَّتِي بِلَا نَهَايَةِ  
وَنَحْنُ رَغَمَ كُلِّ كَبُوتَةٍ  
نَعْرِفُ نُقْطَةَ الْبِدَايَةِ

ويأخذ هذا الاستدعاء في القصيدة طريقة الحديث عن الشخصية مادام الشاعر يتوجه بالخطاب إلى أمة الأفغان خاصة والقراء عامة، ويبدو صوت الشاعر مهيمنًا على القصيدة بوصفه الراوي الوحيد له، بينما يختفي صوت الشخصية المستدعاة بوصفها موضوعًا خارجيًا يتحدث عنه الشاعر .

ويرد النسق الرمزي الجزئي في قصيدة (واعتصم) تلبية للموقف الذي يعبر عنه الشاعر، هذا الموقف الذي استدعى رمزين راسخين من التاريخ العربي والإسلامي؛ وهما رمز (عنترة) ورمز (المعتصم)، ومنح كل رمز أو شخصية حيزًا أو فضاءً محددًا من قصيدته تشرّ خلاله كل إحياءاتها، فيخص شخصية (عنترة) بالمقطع الأول، يقول محمد وليد مستدعيًا شخصية (عنترة) (1):

هَا عَنَتْرُ الْعَبْسِيِّ قَدْ مَاتَتْ بِهِ شَيْمُ الرَّجُولَةِ .  
قَدْ بَاعَ لِلنَّخَاسِ عِبْلَةَ كَالْإِمَاءِ ..  
وَرَا حَ يَنْهَشُ كُلَّ أَعْرَاضِ الْقَبِيلَةِ ..  
مَاتَتْ بِهِ رُوحُ الْإِبَاءِ ..  
رُوحُ النَّدَى وَالْكَبِيرِيَاءِ ..  
مَا عَادَ عَنَتْرُ يَفْتَدِي بِالرُّوحِ شُبَّانَ الْقَبِيلَةِ ..  
بَلْ رَا حَ يَنْدُلُ رُوحَهُ ..  
ثُمَّ لَتَجَارِ الْعُمُولَةَ ..

(1) محمد وليد: أشواق الغرباء، دار المطبوعات الحديثة، جدة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 117.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ الرَّمْزَ/الشَّخْصِيَّةَ(عَنْتَرَةَ)الَّذِي كَانَ مُمَثِّلًا لِلْبَطُولَةِ بِخِلَافِ مَا عُرِفَ عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ  
وَاسْتَقَرَّ فِي الذَّاكِرَةِ الْجَمَاعِيَّةِ وَفِي الْوَجْدَانِ وَالشُّعُورِ الْعَرَبِيِّينَ، فَعَمَدَ إِلَى مُعَارَضَةِ الْمَوْقِفِ الْمَأْثُورِ عَنْ(عَنْتَرَةَ)الَّذِي  
يَدُودٌ عَنِ الْقَوْمِ وَيَصُونُ الْأَعْرَاضَ وَيَحْمِي الْحِمَى.

وَيَخُصُّ شَخْصِيَّةَ(المُعْتَصِمِ)\*، وَالْمُعْتَصِمُ رَجُلُ النَّجْدَةِ وَالشَّهَامَةِ الْعَرَبِيَّةِ، يَحْيِزُ آخَرَ مِنَ الْقَصِيدَةِ، وَفَضَاءٍ  
تَسْتَقْبُ فِيهِ كُلُّ دَلَالَتِهَا، فَيَكُونُ مَوْضِعَ اسْتِدْعَائِهَا الْمَقْطَعُ الثَّانِي، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

مَا عَادَ صَوْتُ الْعَامِرِيَّةِ يَسْتَثِيرُ الْمُعْتَصِمَ..  
فَالْأَصْفَرُ الرَّثَانُ يَأْتِي بِالْعِمَايَةِ وَالصَّمَمِ..  
رَاحَتْ جُنُودُ الرُّومِ تَفْتَضُّ الْعَذَارَى فِي دِيَارِ الْقَادِسِيَّةِ..  
وَبُوسَطِ قَهْقَهَةِ السُّكَارَى.. غَابَ صَوْتُ الْعَامِرِيَّةِ..  
مَا كَانَ حَيْشُ الْعَابِثِينَ لِيَمْتَطِي رُكْبَ الْمَنَايَا..  
كَلَّا وَلَا امْتَشَقُ الْحُسَامَ الْمَشْرِفِيَّةِ..

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَرِدُ رَمْزُ(المُعْتَصِمِ) فَقَدْ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى "غَنَى فِي مَوْقِفِ الْمُعْتَصِمِ الَّذِي هَزَّتْهُ صِيحَةُ الْمَرَاةِ  
الْعَرَبِيَّةِ الْحُرَّةِ، فَجَنَّدَ الْجُنْدَ فَكَانَتْ عُمُورِيَّةً وَالْأُمُوتُورَةَ فِي نَجْدَةٍ لَا تُبْطِئُ، وَلَا تَبْعُدُ عَنْ ضَرْبَةٍ تُحِقُّ الْحَقَّ وَتَرُدُّ الْعَدْرَ  
وَالطُّعْيَانَ".<sup>(2)</sup> أَوْ يَلْجَأُ إِلَى غَنَى فِي مَوْقِفِ(عَنْتَرَةَ)، فَالشَّاعِرُ حِينَ يَجْمَعُ عُنْصُرَيْنِ ثُرَائِيَيْنِ فَاعِلَيْنِ فِي الْوَعْيِ  
الْجَمَاعِيِّ هَدَفَ إِلَى تَنْبِيهِ الْجَانِبِ الْأَسَاسِيِّ فِي الْمَوْقِفَيْنِ وَتَرْكِيضِ الصُّورَةِ الْمُضِيئَةِ فِي الرَّمْزَيْنِ لَكِنْ بِطَرِيقَةٍ تُفَاجِئُ  
الْمُتَلَقِّيَّ وَتُوَثِّرُهُ لِيُقَلِّبَ فِكْرَهُ بَيْنَ عَنَاصِرِ الْمَاضِي وَعَنَاصِرِ الْحَاضِرِ، بَيْنَ عَنَاصِرِ الْمَاضِي(الْغِيَابِ) بِدَوْرِهَا الْإِيْجَابِيِّ  
وَعَنَاصِرِ الْحَاضِرِ(الْحُضُورِ) بِدَوْرِهَا السَّلْبِيِّ، وَهَكَذَا تَعْمَلُ الْعَلَاقَاتُ الْحَاضِرَةُ عَلَى إِحْدَاثِ تَشْوِيْشٍ عَلَى الْمُتَلَقِّيِّ  
بِوَاسِطَةِ"التَّوْظِيْفِ الْعَكْسِيِّ لِلتُّرَاثِ"<sup>(3)</sup> أَيَّ مَا يُخَالِفُ الْمَرْجِعِيَّةَ التَّارِيخِيَّةَ بِالنَّسْبَةِ لِشَخْصِيَّةِ(عَنْتَرَةَ) أَوْ  
لِشَخْصِيَّةِ(المُعْتَصِمِ). فَبَعْدَ أَنْ يُفْرِغَ الشَّاعِرُ الشَّخْصِيَّتَيْنِ التُّرَاثِيَّتَيْنِ مِنْ دَلَالَتَيْهِمَا التُّرَاثِيَّةِ الْمُتْرَسِّبَةِ عَبْرَ السِّنِّينَ يُعِيدُ  
شَحْنَهُمَا مِنْ جَدِيدٍ بِدَلَالَاتٍ مُعَاَصِرَةٍ تَسِيرُ فِي الْإِتِّجَاهِ الْمُعَاكِسِ وَيُوحِي بِهَا السِّيَاقُ، وَإِذَا كَانَ تَوْظِيْفُ  
الشَّخْصِيَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ فِي الْمَثْنِ الشَّعْرِيِّ تَوْظِيْفًا طَرْدِيًّا يُرَاعِي فِيهِ الشَّاعِرُ الْحَقِيقَةَ التَّارِيخِيَّةَ وَالسِّيَرِيَّةَ وَالْمَوْضُوعِيَّةَ

(\*) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ الْمُهَدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ. كَانَتْ وَلَادَةُ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ سَنَةَ(179 هـ)، وَكَانَتْ  
وَفَاتُهُ فِي سَامِرَاءَ سَنَةَ(227 هـ). وَقَدْ أَشْهَرَ بِقِصَّةِ(وَأَمْعَنَصَاهُ)؛ فَلَا يَنْسَى التَّارِيخُ لِلْمُعْتَصِمِ فَتَحَ عُمُورِيَّةً سَنَةَ(223 هـ/ 838 م)، يَوْمَ  
نَادَتْ بِأَسْمِهِ امْرَأَةٌ عَرَبِيَّةٌ عَلَى حُدُودِ بِلَادِ الرُّومِ اعْتَدَى عَلَيْهَا، فَصَرَخَتْ قَائِلَةً: ((وَأَمْعَنَصَاهُ!))، فَلَمَّا بَلَغَهُ النَّدَاءُ كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ(( مِنْ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ، إِلَى كَلْبِ الرُّومِ، أَطْلُقْ سَرَاحَ الْمَرَاةِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، بَعَثْتُ لَكَ جَيْشًا، أَوْلُهُ عِنْدَكَ وَآخِرُهُ عِنْدِي، = ثُمَّ أَسْرَعَ إِلَيْهَا  
بِجَيْشِ جَرَّارٍ قَائِلًا: ((لَيْتَكَ يَا أَحْتَاهُ!))، وَقَدْ سَجَّلَ أَبُو تَمَّامٍ ذَلِكَ الْفَتْحَ الْعَظِيمَ - غَزَا الرُّومَ وَفَتَحَ ((عُمُورِيَّةً)) سَنَةَ(223 هـ) - فِي قِصِيدَةٍ  
رَاحَةً مَشْهُورَةً.

(1) المصدر نفسه، ص: 118.

(2) فايز الدياتية: جماليات الأسلوب، ص: 176.

(3) أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري، ص: 389.

لِلشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَدْعَاةِ وَيَحْفَظُ لَهَا دِلَالَتَهَا الْإِجَابِيَّةَ، فَهُوَ فِي الْقَصِيدَةِ يَسْتَحْدِمُ الشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّاتِ اسْتِحْدَامًا عَكْسِيًّا يُفَرِّزُ تِلْكَ الْمَفَارِقَةَ الْقَائِمَةَ عَلَى التَّبَايُنِ بَيْنَ الْمَلَامِحِ التَّرَاتِيْبِيَّةِ الْمُخْتَرَنَةِ فِي الذَّاكِرَةِ وَالْأَبْعَادِ الْمَعَاصِرَةِ الَّتِي يَقْصِدُ إِلَيْهَا، بَيْنَ الْمَوَاقِفِ الْأَصِيلَةِ الثَّابِتَةِ وَالْمَوَاقِفِ الْعَارِضَةِ الْمُهْتَزَّةِ، لِيُفْقِدَ الشَّخْصِيَّةَ دِلَالَتَهَا الْإِجَابِيَّةَ، وَيُحْدِثُ خَلْجَةً فِي وَعْيِ الْمُتَلَقِّي وَيَهْزُ اسْتِنَامَتَهُ لِلْوَاقِعِ وَاللِّمَاضِي فَيَحْفَظُهُ لِسُؤَالِ وَحَوَارِ ذَاتِهِ أَوَّلًا وَغَيْرِهِ ثَانِيًا.

وَيُنْهِئِي الشَّاعِرُ اسْتِدْعَاءَهُ لِشَخْصِيَّةِ (الْمُعْتَصِمِ) بِمَقْطَعٍ يَدْوُهُ بِصِيغَةِ التَّدْبِيَةِ الْمَشْحُونَةِ عَاطْفِيًّا فَيَتَفَجَّعُ عَلَيْهِ كَمَا تَفَجَّعَتِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ فِي (عَمُورِيَّة) فَأَجَابَهَا (الْمُعْتَصِمُ) مُلَبِّيًا فَلَا يَزَالُ الرَّجَاءُ مَمْدُودًا، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

وَأْمُعْتَصِمَاهُ..

نَامَتْ عَلَى الذَّلِّ الْجِبَاهُ..

وَالشُّمُّ مِنْ قَحْطَانِ..

وَالصَّيْدُ مِنْ عَدْنَانَ..

وَهَنُوَا.. وَهُمْ يَتَكَالِبُونَ عَلَى مَلَذَاتِ الْحَيَاةِ..

وَالْقَصِيدَةُ تَعْرِضُ صُورَةً مَنْسُوخَةً عَنِ وَاقِعِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حُكَاْمًا وَدُخْلَاءَ وَعَمَلَاءَ، تَحْتَ أَفْنَعَةٍ تَرَاتِيْبِيَّةٍ، أَشْخَاصًا وَأَحْدَانًا، بَعْدَ أَنْ نَسَبَتْ إِلَى تِلْكَ الْأَفْنَعَةِ أَفْعَالًا وَصِفَاتٍ لَيْسَتْ لَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لِتُسْقِطَ بَعْضَ مَلَامِحِ التَّجْرِبَةِ الْمَعَاصِرَةِ عَلَى التَّجْرِبَةِ الْقَدِيمَةِ الْمُسْتَحْضَرَةِ، وَبِذَلِكَ تَعَكِّسُ رُؤْيَا الشَّاعِرِ.

وَبِنِيَّةِ النَّصِّ غَنِيَّةً بِالْعَنَاصِرِ الرَّمَزِيَّةِ الثَّانَوِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالرَّمَزِينَ الْأَسَاسِيِّينَ كـ(عَبَلَةَ) وَ(النَّحَاسِ) وَ(الْقَبِيلَةَ) وَ(تُجَّارِ الْعُمُولَةِ) وَ(الْعَامِرِيَّةِ) وَ(الْأَصْفَرَ الرَّتَانَ) وَ(جُنُودِ الرُّومِ) وَ(الْقَادِسِيَّةِ) وَ(جَيْشِ الْعَابِثِينَ) وَ(قَحْطَانَ) وَ(عَدْنَانَ)، وَكُلُّ رَمَزٍ مِنْ هَذِهِ يَكْتَنِرُ دِلَالَتَهُ مِنَ السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ.

وَإِذَا كَانَ الرَّمَزُ مِحْوَرِيًّا فِي قِصَائِدٍ فَقَدْ يَكُونُ جُزْئِيًّا فِي أُخْرَى إِذَا وَجَدَ مَعَهُ رَمَزٌ أَوْ رَمُوزٌ تُسَهِّمُ مَعَهُ فِي إِبْدَاعِ الدَّلَالَةِ وَالتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَوْقِفِ وَلَا يَكُونُ تَنَاوُلَهَا تَنَاوُلًا عَابِرًا، فَقَدْ اسْتَقَلَّ الرَّمَزَانِ التَّارِيخِيَّانِ الْإِسْلَامِيَّانِ (الْمُعْتَصِمُ) وَ(مُحَمَّدُ الْفَاتِحُ) بِقِصَائِدٍ مُفْرَدَةٍ كَانَا فِيهَا الْمِحْوَرِ الَّذِي يَجْمَعُ خِيُوطَ الدَّلَالَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمَا وَرَدَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ رَمَزَيْنِ جُزْئِيَّيْنِ تَوَقَّفَتْ عَلَيْهِمَا التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي تَجْسِيدِ أَوْجَاعِ الْمُسْلِمِينَ فِي (سَرَايِفُو) أَوْ (الْبُوسْنَةِ)، يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَوَلِيدٌ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الْقَصِيدَةِ (لَوْلَاةُ الثُّغُورِ)<sup>(2)</sup>:

سَرَايِفُ كُنْتُ بَرِيْقَ التَّحْدِي.. بَعَيْنِ الصُّقُورِ..

وَأَحْمَلُ لَوْلَاةٍ فِي جَبِينِ الثُّغُورِ..

وَكَنْتُ مِضَاءَ السُّيُوفِ

(1) محمد ووليد: أشواق الغرباء، ص: 117.

(2) رابطة الأدب الإسلامي العالمية: ديوان البوسنة والهرسك، ص: 52.

وَبَبْضِ الْعَزَائِمِ مِلءَ الصُّدُورِ..  
وَكُنْتُ ضِيَاءَ الْحَيَاةِ..  
وَبُئِلَ الشُّعُورِ..

وَيَقُولُ فِي الْمَقْطَعِ الْخَامِسِ (1):

لَقَدْ عَبَّرَ ((الْفَاتِحُ)) الْيَوْمَ بَيْنَ الثُّغُورِ..  
كَطَيْفٍ بِهِ كَبْرِيَاءُ الْعُصْفُورِ..  
فَأَبْصَرَ فِي الْقَيْدِ أَحْفَادَهُ..  
وَأَجْهَشَ حِينَ رَأَى عَرْضَهُ فِي الْمَزَادِ الْكَبِيرِ..

\*\*\*

سَرَائِفُ قَدْ طَالَ لَيْلُ الظُّلْمِ..  
وَأَصْبَحَ نُورُ الثُّغُورِ شَدِيدَ الظُّلْمِ..  
وَلَيْسَ لَنَا مُعْتَصِمٌ،

فَقَدْ اسْتَدْعَى شَخْصِيَّةَ (مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ) الَّتِي حَرَّرَتْ يَوْمًا مَا إِنْسَانَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَقَدْ اتَّخَذَ (السَّرْدَ) وَسِيلَةً  
لِلْحَدِيثِ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ، بِوَصْفِهِ رَاوِيًا لِلْقَصِيدَةِ، وَلِيَجَسَّدَ مِنْ خِلَالِهَا هَذَا الدَّوْرَ الْمُتَحِيلَ الَّذِي تَقُومُ بِهِ،  
فَالشَّاعِرُ حِينَ يَسْتَخْدِمُ شَخْصِيَّةً ثَرَاتِيَّةً فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْدِمُ مِنْ مَلَامِحِهَا إِلَّا مَا يَتَلَاءَمُ وَطَبِيعَةَ التَّجْرِبَةِ الَّتِي يُرِيدُ التَّعْبِيرَ  
عَنْهَا مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ، فَهُوَ يُرْوِلُ هَذِهِ الْمَلَامِحَ التَّأْوِيلَ الَّذِي يُلَائِمُ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ، قَبْلَ أَنْ يُسْقِطَ عَلَيْهَا  
الْأَبْعَادَ الْمُعَاَصِرَةَ الَّتِي يُرِيدُ اسْتِقْطَاطَهَا عَلَيْهَا. (2) وَمَنْ تَمَّ يَصُوغُ الشَّاعِرُ مَوْقِفَهُ مِمَّا يَرَاهُ وَيُعَايِشُهُ عَلَى أَيْ مُسْتَوَى  
مِنَ الْمُسْتَوَيَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَيُحَدِّدُ مَوْقِعَهُ بِطَرِيقَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ بَعِيدًا عَنِ ذَنْبَتِهِ وَبِصَوْتٍ غَيْرِ صَوْتِهِ.  
وَتَلْتَقِي الْقَصِيدَةُ الْآتِيَةُ مِنْ حَيْثُ رُؤْيُهَا وَكَيْفِيَّةُ اسْتِدْعَاءِ الشَّخْصِيَّةِ، فَقَدْ اسْتَدْعَى أَحْمَدُ مَحْمُودٌ مُبَارَكٌ فِي  
مَقْطَعٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لَفَحَاتٍ مِنْ نَارِ الْبُوسْنَةِ شَخْصِيَّةَ (صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ)، يَقُولُ (3):

هِيَ الْقُدْسُ فِي الْأَسْرِ مُنْذُ سِنِينَ  
وَعِيمُ الْقُنُوطِ عَلَيْهَا جَنَمٌ  
تُنَادِي أَيَا نُصْرَةَ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْنُ لِنُصْرَتِهَا لَمْ نَقُمْ  
جِيُوشُ الطُّغَاةِ اسْتَبَاحَتْ حِمَانَا  
يُحَرِّكُهَا حَقْدُهَا الْمُضْطَرَمَّ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 53.

(2) عبد الله أبو هيف: قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث ص: 49.

(3) رابطة الأدب الإسلامي العالمية: ديوان البوسنة والهرسك، ص: 61.

وَلَكِنْ ((صَلَّاحٌ)) مَضَى عَهْدُهُ

وَأَمْجَادُنَا زَمَنٌ مُنْصَرِّمٌ

غَدَوْنَا نُجَاهِدُ بِالْكَلِمَاتِ

وَهَلْ يَرْجِعُ الْحَقُّ يَوْمًا كَلِمًا؟!

وَقَدْ اسْتُخْدِمَتِ الشَّخْصِيَّةُ، سِوَاءَ فِي ذَلِكَ شَخْصِيَّةِ (مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ) أَمْ شَخْصِيَّةِ (صَلَّاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ) اسْتِخْدَامًا جُزْئِيًّا، فَهِيَ عُنْصُرٌ فِي بِنْيَةِ الصُّورَةِ.

لَا تَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ "اسْتِرْجَاعَ الْحَدِيثِ بِتَفَاصِيلِهِ وَلَا يَحْتَمِلُ أَيْضًا إِعَادَةَ صِيَاغَتِهِ، إِذْ يَكْفِي التَّلْمِيحُ إِلَيْهِ أَوْ الْإِشَارَةُ وَاسْتِدْرَاجُ الْقَارِئِ لِكَيْ يَسْتَكْمِلَ الْحَالَةَ وَيَنْدِمِجَ شُعُورِيًّا مَعَ مَا تَخْلُقُهُ مِنَ الْإِيحَاءِ وَالْإِنْفِعَالِ".<sup>(1)</sup> أَيْ أَنَّ الصِّيَاغَةَ الرَّمُزِيَّةَ صِيَاغَةً إِيجَائِيَّةً، وَالْإِيحَاءُ فِيهَا مَرْهُونٌ بِأَمْرَيْنِ: قُدْرَةُ الشَّاعِرِ عَلَى تَمَثِيلِ أَفْكَارِهِ وَمَشَاعِرِهِ فِي صُورٍ وَأَوْضَاعٍ ذَاتِ أَصْلٍ مَادِّيٍّ، وَتَجَرُّدُ هَذِهِ الصُّورِ مِنْ بَعْضِ خَصَائِصِهَا الْحَسِيَّةِ الْمَعْهُودَةِ بِحَيْثُ تُؤْمَى إِلَى الْمُرَادِ وَلَا تَصِفُهُ، وَتَثْبِيرُهُ وَلَا تُسَمِّيهِ. وَثَانِيَهُمَا: اسْتِعْلَالُ الْمَوْسِقَى فِي خَلْقِ مَنَاحٍ نَفْسِيٍّ تَقْصُرُ عَنْهُ اللَّغَةُ بِدِلَالَتِهَا الْوَضْعِيَّةِ الضَّيِّقَةِ".<sup>(2)</sup> وَهَذِهِ السَّمَةُ (الْإِيحَاءُ) نَلَمَسْنَا فِي رَمْزِ إِسْلَامِيٍّ وَإِنْسَانِيٍّ هُوَ رَمْزُ (الْحُسَيْنِ) - ﷺ - وَفِي رَمْزِ مَكَانِيٍّ تَشَرَّفَ بِشَهَادَةِ (الْحُسَيْنِ)، وَهُوَ (كَرْبَلَاءُ). وَقَدْ وَرَدَ رَمْزُ (الْحُسَيْنِ) فِي مَثَلِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ سَخِيًّا بِإِيحَاءِ أَتِهِ وَأَصْدَائِهِ وَابْتِنَقَتْ أَشْعَثُهُ فِي نُصُوصٍ إِبْدَاعِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، فِي، مِمَّا يَجْعَلُ هَذَا الرَّمْزَ فِي حَاجَةٍ "إِلَى دِرَاسَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ لِكَثْرَةِ وُرُودِهِ فِي الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعَرَبِيِّ عُمُومًا، بَلْ فِي الْمَسْرُوحِ الشَّعْرِيِّ كَذَلِكَ حَيْثُ نَجِدُ أَكْثَرَ مِنْ مَسْرُوحِيَّةٍ شَعْرِيَّةٍ تَنَاوَلَتْ الْحَدِيثَ الْحُسَيْنِيَّ تَنَاوُلًا فَنِيًّا مُتَكَامِلًا".<sup>(3)</sup> وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الرَّمْزُ تَكَرَّرًا مَلْحُوظًا فِي شِعْرِ مُصْطَفَى الْعُمَارِيِّ وَحَدَهُ أَوْ مُصْطَحِبًا مَعَهُ كُلُّ الرُّمُوزِ التَّأْرِيخِيَّةِ الَّتِي ارْتَبَطَتْ بِهِ فِي (كَرْبَلَاءُ) تِلْكَ الْوَاقِعَةِ الْأَلِيْمَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ، عَبْرَ الزَّمَنِ، فِي الْوَجْدَانِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى رَمْزٍ غَنِيٍّ بِمَعَانِي الْأَسَى وَالْحُزْنِ وَالنَّدَمِ، وَإِلَى رَمْزِ الْحَيَاةِ وَالْحَدَلَانِ، فَقَدْ خُدِلَ الْحُسَيْنِ ﷺ مِنْ مُؤَيَّدِيهِ وَمَنْ دَعَاهُ إِلَى نُصْرَتِهِ. وَمَنْ حَلَّلَ هَذَا الرَّمْزَ نُسْتَدْعَى شَخْصِيَّةُ (الْحُسَيْنِ) رَمْزِ الْقَضِيَّةِ الْعَادِلَةِ، وَرَمْزِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ الْمَوْقِفِ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ<sup>(4)</sup>:

وَتَهْزَأُ (بَدْرُ) الْهَوَى بِالسُّجُونِ

أَسَافِرُ فِي (الْحَرِّ) وَ(الْقَرِّ)،

سَيْفُ (إِمَامِ)،

وَرُؤْيَا (حُسَيْنِ)

(1) عبد العزيز المقالح: صدمة الحجارة، دراسة في قصيدة الانتفاضة، دار الآداب، بيروت، ط: 1، 1992، ص: 188.

(2) محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص: 304.

(3) شلتاغ عبود: حقائق الشعر الإسلامي، ص: 153.

(4) مصطفى الغماري: قراءة في زمن الجهاد، ص: 12-15.

تُسَافِرُ كُلَّ الْمَوَاسِمِ إِنْ غَابَ وَجْهُ الْجِهَادِ  
وَتَعْدُو الْمَسَافَةَ ضَعْفَ (يَزِيدِ)، وَأَمْشَاجَ (ضَادُّ)  
وَمَا زَالَ غَدْرُ الْقُرُونِ  
وَسَيْفُ (عَلِيٍّ)،  
وَزَيْفُ (أُمِيَّةَ)،  
وَمَا زَالَ فِي الدَّرْبِ وَرْدُ (الْحُسَيْنِ)،  
وَشَوْكُ تَعَهَّدَهُ (ابْنِ سُمَيْهَةَ) !!

وَقَدْ يَأْخُذُ كُلُّ مَنْ (الْحُسَيْنِ) وَ(كَرْبَلَاءَ) بُعْدًا مُعَاصِرًا حِينَ تَصِيرُ شَخْصِيَّةَ (الْحُسَيْنِ) مُعَادِلًا رَمْزِيًّا لِلشَّعْبِ  
الْفِلِسْطِينِيِّ الَّذِي خَذَلَهُ مَنْ تَوَاعَدُوا بِنَصْرَتِهِ وَتَرَكَوهُ فِي (مِحْرَقَةِ) الصَّهَابِيَّةِ يَصْلَى سَعِيرَهَا وَيُوجِهُ لَهَا عَلَى مَرَأَى  
وَمَسْمَعٍ مِنْهُمْ وَأَنْصَرَفُوا إِلَى اقْتِسَامِ غَنَائِمِ التَّامِرِ، وَحِينَ تَصِيرُ (كَرْبَلَاءَ) مُعَادِلًا رَمْزِيًّا لِلْفِلِسْطِينِ الْمُحَاصِرَةِ فِي دِمَائِهَا،  
الْمَنْوَعَةِ مِنَ (الْمَاءِ)، إِنَّ فِلِسْطِينَ هِيَ (كَرْبَلَاءَ) الْعَصْرِ الْمُتَّحِدَةِ، يَقُولُ مُحَمَّدٌ مُفْلِحٌ فِي قَصِيدِ الْقَاتِلِ الْمُوهُوبِ لَأ  
يَتَرَفَّقُ<sup>(1)</sup>:

جئنا من الجرح القديم عصابةً تأتي الوفاق وفي الشتائم تَعْرِقُ  
سُفْيًا لَأَيَّامِ (الْحُسَيْنِ) فَإِنَّهَا كَالشَّمْسِ فِي لَيْلِ الْفَجِيعَةِ تُشْرِقُ  
تَحْنُو عَلَيْنَا ((كَرْبَلَاءَ)) بِكَفِّهَا وَعُيُونُهَا مِنْ أَجَلْنَا تَتَرَقَّرُ  
وَتَضُمُّ قَتْلَنَا أَسَىً وَتَحْرُقُ مَنْ ذَا يُشَاهِدُنَا وَلَا يَتَحَرَّقُ؟!  
فِي كُلِّ يَوْمٍ ((كَرْبَلَاءَ)) جَدِيدَةً فِيهَا التُّفُوسُ بِأَيِّ ذَنْبٍ تُزْهَقُ

وَيَظْهَرُ رَمْزُ (الْحُسَيْنِ) فِي السِّيَاقَاتِ الْمَاسَاوِيَّةِ لَيْسَ فِي فِلِسْطِينَ وَحْدَهَا وَإِنَّمَا فِي (البُوسْنَةِ) وَفِي كُلِّ مَكَانٍ  
وَمَوْقِعٍ تُسْفَكُ فِيهِ دِمَاءُ الْأَبْرِيَاءِ وَتُحَزُّ رُؤُوسُ الضُّعَفَاءِ، يَقُولُ صَابِرُ عَبْدِ الدَّائِمِ فِي قَصِيدَةِ (أَعْرَاسِ الشَّفَقِ)<sup>(2)</sup>:

صَوْتُ الْمَآذِنِ فِي ((سَرَائِفُوا)) تَحْمَدُ!!!

وَأِلَى رَبِّ الْفِرْدَوْسِ..

.. قَدْ صَعَدَتْ عَنَّا أُمَّةٌ

لَتَعُودَ بِالْقُرْآنِ كَوْنًا قَدْ تَوَحَّدَ

كُلُّ الْمَحَارِبِ انْتِفَاضَةً أُمَّةً تَهْوَى مُحَمَّدًا

كُلُّ الدِّمَاءِ حَدَائِقُ..

تُهْدِي عَطَايَاهَا مُحَمَّدًا

(1) محمود مفلح: إما الصحوة، ص: 82.

(2) صابر عبد الدائم: ديوان البوسنة والهرسك، الرابطة العالمية للأدب الإسلامي، ص: 66.

الشَّيْخُ كَالطَّوْدِ الْأَشْمِ..  
يُطِلُّ مِنْ بَرَكَ الدَّمَاءِ  
يَهْلُ فِي ثَوْبِ الْحُسَيْنِ  
سَيْفُ الْعَقِيدَةِ فِي يَدَيْهِ يَحْزُ أَعْنَاقَ الطَّرِيقِ..  
...أَمَامَ مَنْ يُلْقِ الصُّخُورَ.

عَلَى ضِيَاءِ الْقِبْلَتَيْنِ  
تَنْمُو بِعَيْنَيْهِ الْحُقُولُ الْمُثْمِرَاتُ..  
أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ

وَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ  
وَالطُّفْلُ يَنْفُضُ عَنْ جَنَاحَيْهِ الْمَوَاتِ..  
يَصِرُ شَمْسًا فِي نِذَاءِ الْمُصْطَفَى الْآتِي..  
... بِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ  
وَالنَّصْرُ يَبْزُغُ مِنْ حَيْنِ

.....

وَتَعُودُ تَصْهَلُ فِي ((سَرَايِفُو)) الْمَآذِنُ تَلْتَقِي..

بِالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا  
وَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا  
وَتُثْبِرُ نَقَعُ الْفَتْحِ.. تَشْهَدُ ضَوْءَ خَيْلِ اللَّهِ صُبْحًا  
وَيُطِلُّ ((أَحْمَدُ)) فِي يَدَيْهِ الْآيُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ  
وَيُبْثُّ فِي بَيْسِ الشَّرَّائِينَ الْإِرَادَةَ..

نَبْضَ آيَاتِ الْجِهَادِ  
يَتْلُو عَلَيْنَا سُورَةَ الْمَجْدِ الْكَلِيمِ..

وَقَدْ تَجْتَمِعُ فِي قَصِيدَةٍ مَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الرُّمُوزِ التَّارِيخِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ أَوْ تَتَرَاكُمُ وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَفْقَدُ قِيمَتَهَا  
الْأُسْلُوبِيَّةَ فِي التَّعْبِيرِ، وَلَا تُثْقَلُ بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ أَوْ تَكُونَ عِبْنًا عَلَيْهَا، وَنَجَاحُ الشَّاعِرِ فِي اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الرُّمُوزِ اسْتِخْدَامًا  
شَعْرِيًّا مَرْهُونًا بِطَرِيقَةِ الْاسْتِخْدَامِ وَكَيْفِيَّتِهِ لَا بِكَمِّيَّةِ وَعَدَدِ الرُّمُوزِ الْمُوظَّفَةِ، فَإِذَا لَمْ يُقْحِمِ الشَّاعِرُ رَمْزَهُ عَلَى السِّيَاقِ  
الشَّعْرِيِّ إِفْحَامًا، مُكْتَفِيًّا بِأَبْعَادِهِ الدَّائِيَّةِ أَوْ بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ مَعْرَى لَدَى الْآخَرِينَ، وَأَضْفَى عَلَيْهِ مِنْ مَوْفِهِ

الشُّعُورِيَّ وَمِنْ تَجْرِبَتِهِ الْخَاصَّةِ، وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُطِيقُ أَوْ مِمَّا تَتَّسِعُ لَهُ دَائِرَتُهُ<sup>(1)</sup>. نَجَحَ فِي ذَلِكَ التَّوْظِيفِ وَمَنْ أَمَثَلْتَهُ مَا وَرَدَ مِنْ رُمُوزٍ فِي قَصِيدَةِ (التَّنَارِ فِي سَرَائِفُو)، يَقُولُ مُحَمَّدُ الْحَسَنَّاوِي<sup>(2)</sup>:

عَبَرَ التَّنَارُ هُنَا، وَجَاسُوا فِي الدِّيَارِ  
بَعْدَادُ سَاخَتْ فِي سَرَائِفُو وَمَا شَبَعَ الْجِرَادُ  
اللَّيْلُ عَادَ  
وَالْحَقْدُ عَادَ  
وَالْمَوْتُ عَادَ  
وَالتَّارُ مِنْ شَمْسِ الشُّمُوسِ يُجَلِّلُ الدُّنْيَا سَوَادَ  
مَاذَا دَهَى الْإِفْرَنْجِ عَبَادَ الصَّلِيبِ؟!  
نَهَضُوا يَمِيطُونَ اللَّثَامَ عَنِ الْقُلُوبِ  
سَوْدَاءَ كَالْقَطْرَانَ كَالسَّرَطَانَ كَالثَّلْمُودِ كَالسَّمِّ الرَّعِيبِ  
نَهَضُوا مِنَ الْأُورَالِ وَالذَّنُوبِ  
وَمِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ  
يَسْتَأْسِدُونَ عَلَى بَنِي الْإِسْلَامِ، وَالْإِسْلَامُ مَسْلُوبُ التُّيُوبِ  
لَوْ حَنَجَرَ بِيَدِي  
لَوْ دَرِهَمٌ  
لَوْ شَمْعَةٌ  
لَأَضَاتُ لَيْلَ الْمُسْلِمِينَ،  
نَبَشْتُ قَبْرًا مِنْ قُبُورِ الْفَاتِحِينَ  
بَعَثْتُ حَطِينًا وَيَرْمُوكَا وَحَرْبَ الْقَادِسِيَّةِ مِنْ جَدِيدِ  
لَوْ حَنَجَرَ بِيَدِي  
لَقَتَلْتُ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ،  
بَعَثْتُ فِيهِمْ رُوحَ (مُعْتَصِمٍ) غَضُوبِ  
وَمِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ  
وَمِنْ فِلَسْطِينَ إِلَى سَرَائِفُو  
يَا أُمَّةَ عَبَثَتْ بِهَا، بِالْقُدْسِ مِنْ أَقْدَاسِهَا كَفُّ الْعَرِيبِ  
هَلْ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 208.

(2) المصدر نفسه، ص: 30.

مِنْ عَيْنِ جَالُوتٍ  
 مِنْ خَالِدٍ، مِنْ طَارِقٍ، مِنْ ظَاهِرٍ، مِنْ بَيْرَسٍ  
 لَمْ تَبْخَلِ الْأَرْحَامُ، وَالذُّنْيَا دَوْلُ  
 مَنْ أَنْجَبَ الْقَسَامَ يَوْمًا، يُنْجِبُ الْيَوْمَ عِيُونًا مِنْ حِجَارَةٍ  
 طَيْرًا أَبَابِيلَ تَكِيلُ الصَّاعَ صَاعِينَ لِعِبَادِ الْعِجْلِ  
 هَلْ مِنْ أَمَلٍ  
 يَا أُمَّةً عَبَّثَتْ بِهَا، بِالْقُدْسِ مِنْ أَقْدَاسِهَا كُلِّ الدُّوَلِ  
 حَتَّى الصَّرْبِ!

لَوْ حَنْجَرَ بِيَدِي  
 لَوْ دَرَهُمْ لَوْ شَمَعَةٌ  
 لَأَضَأْتُ لَيْلًا مِنْ عَجَبٍ  
 وَصَفَفْتُ أَطْفَالَ الْحِجَارَةِ مِنْ كَبُولٍ إِلَى حَلَبٍ  
 يَتَنَاوَبُونَ عَلَى قِيَاصَةِ الذَّهَبِ  
 يَسْتَوْفِدُونَ الْوَعْيَ فِي النَّاسِ الْحَشْبِ  
 لَهَبٌ، لَهَبٌ

وهذه الرُّمُوزُ اللَّامِعَةُ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ (معتصم، صلاح الدين، خالد، طارق، بيرس...) وَمِنْ الْأَحْدَاثِ  
 وَالْمَوَاقِعِ (القادسية، عين جالوت، حطين، اليرموك...) كَيْفَمَا اسْتُخْدِمَتْ فِيهِ عُنْوَانٌ عَلَى مَرَحَلَةٍ زَاهِرَةٍ وَحِقْبَةٍ ذَهَبِيَّةٍ  
 مِنَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَافِلِ بِالْأَحْدَاثِ الْعَظِيمَةِ وَالرِّجَالِ الْأَفْدَاذِ. وَقَدْ يَجْمَعُ النَّصُّ الشَّعْرِيَّ الْوَاحِدَ "حَشْدًا مِنْ  
 الشَّخْصِيَّاتِ وَالْمَوَاقِفِ وَالْأَحْدَاثِ التَّرَاتِيئِيَّةِ فِي بِنَاءِ شِعْرِيٍّ يَعْتَمِدُ الْمَفَارِقَةَ أَسَاسًا لِلتَّصْوِيرِ الَّذِي يُجَسِّدُ التَّنَاقُضَ بَيْنَ  
 الصُّورَةِ التَّرَاتِيئِيَّةِ وَوَقَاعِ الْحَيَاةِ الْمُعَاصِرَةِ".<sup>(1)</sup> وَمِنْ هَذِهِ النَّصُوصِ قَصِيدَةٌ (أَغْنِيَّةٌ فِي زَمَنِ الْإِنْكِسَارِ) لِمَأْمُونِ فَرِيزِ جَرَّارٍ،  
 يَقُولُ فِي اسْتِهْلَالِهَا<sup>(2)</sup>:

أَيَا زَمَنَ الْمَوْتِ وَالْإِنْدِتَارِ  
 وَيَا زَمَنَ الْإِنْكِسَارِ  
 تَمَرَّسَ تَارِيخُنَا بِالْبَلَايَا  
 وَلَكِنَّا بَعْدَ كُلِّ انْهِيَارِ  
 نَشُقُّ الظَّلَامَ بَيْرُكَانِ نَارِ  
 أَتَذْكُرُ يَوْمَ أَسَالَ الْفَرْنَجَةَ فِي حَرَمِ الْقُدْسِ أَنْهَارَ دَمِ

(1) صابر عبد الدائم: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: 96.

(2) مأمون فریز جرّار: (أغنية في زمن الإنكسار) مجلة الأدب الإسلامي، مج: 2، ع: 8، س: 2، 1416هـ/1995م، ص: 46.

وَطَافَ عَلَى شَرْقِنَا الْمُبْتَلَى غِيَوْمِ الْأَلَمِ  
وَكَانَتْ سَيُوفُ بَنِي الشَّرْقِ مَعْرُوزَةً فِي الْقُلُوبِ  
وَدَاحِسُ سَابِحَةً فِي دِمَانَا  
وَفِي لَحْمِنَا ذِكْرِيَّاتُ الْبَسُوسِ؟  
وَلَكِنَّا مِنْ رَمَادِ الْهَزِيمَةِ نَصْنَعُ مِعْرَاجَنَا  
وَفِي أَنْهَرِ الدَّمِ نَعْسِلُ عَصَرَ الذُّنُوبِ  
وَنُغْرِقُ شَمْسَ الْغُرُوبِ  
وَفِي حُلْكَةِ اللَّيْلِ نُؤَلِّدُ أَقْمَارُنَا  
وَيَنْهَضُ فَجْرٌ جَدِيدٌ

وَقَدْ وَرَدَتْ دِلَالَةُ الرَّمَزَيْنِ (دَاحِسِ) (\*) وَ(الْبَسُوسِ) مُتَسَجِّمَةً مَعَ السِّيَاقِ، فَهَمَّا رَمَزَانِ لِلْفِرْقَةِ وَالِاقْتِتَالِ بَيْنِ  
الإِخْوَةِ وَالِانْتِحَارِ الدَّاخِلِيِّ الَّذِي اسْتَنْزَفَ قُوَى الْأُمَّةِ وَجَرَّ الْوَيْلَاتِ عَلَى شَعُوبِهَا، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَنْطَوِي فِي  
ذَاتِهَا عَلَى طَاقَاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ تَخْبُوا وَلَا تَنْطَفِئُ وَفِي كُلِّ دَوْرٍ تَتَجَاوَزُ ضَعْفَهَا وَتَنْهَضُ مِنْ عَثْرَتِهَا لِتُوَاصِلَ الْمَسِيرِ  
وَتَسْتَمِرُّ فِي الْإِشْعَارِ، فَهِيَ أُمَّةٌ عِنَقَاءٌ تُؤَلِّدُ مِنْ رَمَادِهَا وَتُجَدِّدُ وَتُبْعَثُ بِاسْتِمْرَارٍ. وَعَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ بَنَى  
الشَّاعِرُ قَصِيدَتَهُ وَاسْتَدْعَى لَهَا كُلَّ الرُّمُوزِ الَّتِي تَصُبُّ فِي مَصَبِّ هَذِهِ الْفِكْرَةِ، وَيُعَادُ تَشْكِيلُهَا فَنِيًّا، فَاسْتَدْعَاءُ التُّرَاثِ  
وَتَشْغِيلُهُ فِي قَصِيدَةٍ مُعَاَصِرَةٍ يَقْتَضِي إِعَادَةَ إِبْدَاعِهِ مِنْ جَدِيدٍ حَتَّى يَتَحَوَّلَ إِلَى وَحْدَةٍ دِلَالِيَّةٍ تُشَكِّلُ مَعَ وَحَدَاتِ  
دِلَالِيَّةٍ أُخْرَى غَيْرَ تُرَاثِيَّةٍ تَمْطِيطًا لِنَوَاةِ النَّصِّ الدَّلَالِيَّةِ. (1) إِنَّ الشَّخْصِيَّاتِ التُّرَاثِيَّةَ الْمُتَعَدِّدَةَ فِي الْقَصِيدَةِ تَكْتَسِي  
صِيَغَاتٍ فَنِيَّةً وَجَمَالِيَّةً وَرَمْزِيَّةً وَتَحْتَفِظُ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ بِمِضَامِينِهَا التَّارِيخِيَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

نُعْنِي لِمَجْدِكَ يَا سَيْفَ زَنْكِي..

وَإِنْ غَالَهُ عَبْدُكَ الْقُرْمُطِيَّ

فَفِي حَلَبٍ كَانَ مِيعَادُ حَلْمِكَ يَقْتُلُهُ الْأَشْقِيَاءُ

وَيَحْمِلُ مَحْمُودٌ.. سَيْفَكَ يَنْهَضُ عَبْرَ

دِمَشْقَ إِلَى بَابِ مِصْرَ

يُلْبِي النَّدَاءُ

يَشُقُّ الطَّرِيقَ إِلَى حَرَمِ الْقُدْسِ يَحْسَبُ مَنْ

دِمْنَا ذِكْرِيَّاتِ الْهَزِيمَةِ

(\*) (داحس والغبراء) حرب وقعت بين عيس وذيبيان، دامت 40 سنة بسبب رهان على الفرسين (داحس) و(الغبراء) أيهما يكون له السبق. واستمرت حتى كاد يفني رجال الحيين، فسعى الأشراف بالصلح وتحمل الحارث بن عوف وهرم بن سنان ديوات القتلى من أموالهم وبهذا أطففت هذه النار وسكنت هذه الحرب.

(1) علي المتقي: القصيدة العربية المعاصرة بين هاجس التنظير وهاجس التجريب، ص: 209.

يَخْطُ عَلَى الْمَنَبْرِ الْوَعْدُ:

إِنَّا إِلَى قُدْسِنَا قَادِمُونَ

وَإِنْ طَالَ دَرْبٌ

فَهَا مَنَبْرُ الْوَعْدِ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ يَتَقَدَّمُ نَحْوَكُ عَمْرًا

وَيُولَدُ فِي الزَّمَنِ الصَّعْبِ.. يُوَسِّفُ..

يُولَدُ فَجْرٌ.. صَلاَحٌ...

لَنَا مَوْعِدٌ فِيكَ يَا سَهْلَ حَاطِنٍ

يَا ((عَيْنَ جَالُوتَ)) مَبْعَادُنَا يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ عَصْرِ

وَيَا سُورَ ((عَكَا)) عَلَى قَدَمَيْكَ تَكْسِرُ مَوْجَ الْعُرَاةِ

وَيُولَدُ فَجْرُكَ يَا ((قُدْسُ))...

فِيَا زَمَنَ الْإِنْكَسَارِ

وَيَا زَمَنَ الْوَهْنِ وَالْإِنْهِيَارِ

تَمَرَسَ تَارِيخُنَا بِالْفَرْنِجَةِ وَارْتَدَّ سَبِيلُ التَّارِ

فَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ دَمَارٍ

سَتُورِقُ أَشْجَارُنَا

تُبْرِعُ أَعْصَانُنَا بِالنَّهَارِ.

### 1-3-2-2-الرمز الطبيعي:

يَتَسَمُّ الرَّمْزُ الطَّبِيعِيُّ "بِكَوْنِ قِيَمَتِهِ الْجَمَالِيَّةِ مُتَبَدِّلَةً مُتَعَيِّرَةً، بِشَكْلِ دَائِمٍ، مِمَّا يَجْعَلُ تَارِيخَهُ مُسْتَمِرًّا وَغَيْرَ مُحَدَّدٍ نِهَائِيًّا. وَلَعَلَّ هَذَا مِمَّا يُمَيِّزُهُ مِنَ الرَّمْزَيْنِ الْأُسْطُورِيِّ وَالتَّارِيخِيِّ اللَّذَيْنِ يَمْتَلِكَانِ وُجُودًا مُحَدَّدًا فِي الذَّاكِرَةِ الْجَمَاعِيَّةِ، هَذِهِ الذَّاكِرَةُ الَّتِي تَفْرُضُ نَسَقًا مُعَيَّنًا فِي تَلْقَى هَذَيْنِ، أَيْ أَنَّهُمَا لَا يَتَّصِفَانِ بِالْحَيَوِيَّةِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا كُلُّ مِنَ الرَّمْزِ الطَّبِيعِيِّ وَالْإِصْطِنَاعِيِّ".<sup>(1)</sup>

يُشَكِّلُ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ نَسَقَهُ الرَّمْزِيِّ مِنْ عَنَاصِرٍ تَنْدَرِجُ فِي مَجَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، أَحَدُهَا الطَّبِيعَةُ، وَإِذَا كَانَتْ الطَّبِيعَةُ مُصَدَّرًا اسْتَمَدَّ مِنْهُ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ بَعْضَ أَشْكَالِهِ الرَّمْزِيَّةِ مُعْتَمِدًا عَلَى خَاصَّتِي التَّجْسِيدِ وَالتَّشْخِيصِ، فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مَنَبَعًا وَاحِدًا مِنْ مَنَابِعِ عِدَّةٍ أَتَى عَلَيْهَا فِي هَذَا الصَّدَدِ، ذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ الْوَاقِعِ بِالنَّسْبَةِ لِلشَّاعِرِ الْمُعَاصِرِ قَدْ أَصْبَحَ أَكْثَرَ رَحَابَةً وَعُمُقًا.<sup>(2)</sup>

(1) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 85.

(2) محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص: 311.

وَمِنْ أَبْرَزِ عَنَّا صِرِ الطَّبِيعَةِ (الرَّيْحِ) الَّذِي يَتَحَوَّلُ إِلَى رَمَزٍ دَالٍّ وَفَاعِلٍ فِي سِيَّاقِهِ الشَّعْرِيِّ، وَيَأْتِي رَمَزُ (الرَّيْحِ) إِمَّا دَالًّا عَلَى الْحَيَاةِ وَالنُّمُوِّ وَالخُصْبِ، فَهِيَ جَالِبَةٌ لِلْمَطَرِ، وَإِمَّا دَالًّا عَلَى الْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ، فَهِيَ جَالِبَةٌ لِلجَدْبِ وَالْعُفْمِ، وَبِخَاصَّةٍ لَمَّا تَرُدُّ بِهَذِهِ الصِّعَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الدَّلَالَتَيْنِ الْإِيجَابِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ تَتَأَرَّجِحُ دِلَالَةُ الرَّمَزِ.

وَقَدْ وُظِّفَ فِي الْقَصِيدَةِ دَالًّا عَلَى التَّغْيِيرِ الْمُنْتَظَرِ وَالثَّوْرَةِ الْمُنْشُودَةِ الَّتِي تَبْدُو فِي ظَاهِرِهَا هَلَاكًا وَتَدْمِيرًا وَإِفْتَاءً، وَتَبْدُو فِي بَاطِنِهَا إِحْيَاءً وَبِنَاءً وَبَعْتًا، فَرَمَزُ (الرَّيْحِ)، بِهَذَا التَّوْظِيفِ، يَحْمِلُ دِلَالَةً مُتَعَدِّدَةً وَإِيجَابِيَّةً. وَهَذِهِ دِلَالَةٌ تُلْمَحُّ فِي السِّيَاقِ الَّذِي وَظَّفَ فِيهِ الشَّاعِرُ رَمَزَهُ، فَالرَّمَزُ "ابْنُ السِّيَاقِ وَأَبُوهُ مَعًا لَا حَيَاةَ لَهُ خَارِجَهُ، وَهَذَا مَا يُبْعَدُهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ الْمُحَسَّمَةِ الَّتِي يَحْكُمُ عَلَيْهَا خَارِجُ النَّصِّ أَوْ تِلْكَ الَّتِي يَحْكُمُ عَلَيْهَا دَاخِلُهُ؛ لِأَنَّ الْإِفْرَادَ وَالتَّدَاوُلَ يَقْتُلَانِهِ، الْأَوَّلُ يَجْعَلُهُ اسْتِعَارَةً وَالثَّانِي يُعْرِضُهُ لِلجَدْبِ وَالتَّدْلِيسِ، وَفِي ظَنِّنَا إِنَّ أَحَدَ أَسْبَابِ الْقِيَمَةِ الشَّعْرِيَّةِ أَوْ الْإِنْفِعَالِيَّةِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الرَّمَزُ يَنْبُعُ مِنْ كَوْنِهِ بُوْرَةً عُلَاقَاتٍ مُكْتَفَمَةٍ فِي إِطَارٍ مُحَدَّدٍ، أَوْ بِنِيَّةٍ حَيَّةٍ يَصِحُّ التَّوَقُّفُ عِنْدَهَا وَتَأْمُلُهَا لِذَاتِهَا قَبْلَ أَنْ تُتَجَاوَرَ إِلَى غَيْرِهَا." (1)

إِنَّ رَمَزَ (الرَّيْحِ) يَأْخُذُ دِلَالَتَهُ وَيَقُومُ بِوِظِيفَتِهِ فِي بِنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي يَشْعَلُ فِيهَا حَيِزًا مُهِمًّا، وَيُجَسِّدُ جَانِبًا مِنْ فِضَائِلِهَا، فَقَدْ تَكَرَّرَ لَيْسَ تَقْوِيَّةً لِلدَّلَالَةِ وَتَأْكِدًا لِلْمَعْنَى وَإِنَّمَا لِارْتِبَاطِهِ بِالْإِنْفِعَالِ الشَّعْرِيِّ، يَقُولُ الْعُمَارِيُّ فِي قَصِيدَةِ (قَدْرٌ أَنْ نَعْشَقَ الشَّمْسَ) (2):

يُولَدُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ كَمَا تُولَدُ نَارٌ مِنْ حَجَرٍ!  
لَا تَقُولُوا: إِنَّ لِلرَّيْحِ مَا كُنَّا، وَمَا كَانَ الْمَطَرُ  
مِنْ رَبِيعِ الصَّحْوِ يَخْضُرُ الْمَطَرُ  
قَدْرٌ أَنْ نَعْشَقَ الشَّمْسَ  
وَأَنْ نَحْمِلَ آلَامَ الْبَشَرِ  
أَنْ تُنَاجِي طَيْفَ ذِكْرَانَا  
وَأَنْ نَحْلُمَ..  
وَالْحُلْمُ الظَّفَرُ

وَإِذَا كَانَتْ (الرَّيْحُ) تَحْمِلُ التَّغْيِيرَ، فَإِنَّ (الشَّمْسَ) تَأْتِي، فِي هَذَا السِّيَاقِ، رَمَزًا دَالًّا عَلَى الْحُرِّيَّةِ وَعَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الْقَيْدِ وَالْإِنْطِلَاقِ، أَوْ دَالًّا عَلَى الْحَقِّ، وَكَثِيرًا مَا يَرِدُ هَذَا الرَّمَزُ الطَّبِيعِيُّ بِهَذِهِ الدَّلَالَاتِ، يَقُولُ مُحَمَّدٌ مَفْلِحٌ (3):

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 229.

(2) مصطفى محمد العماري: قراءة في آية السيف، ص: 33.

(3) محمود مفلح: إنها الصحوة إنها الصحوة، ص: 57.

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ رِصَاصَتَيْنِ  
..وَتَبَزُّغُ الشَّمْسِ الَّتِي رَحَلَتْ  
..وَتَكْتُمِلُ الْقَصِيدَةَ  
ثُمَّ يَشْتَعِلُ الْحَوَارُ  
\*\*\*

الشَّمْسُ يَكْتُبُهَا الَّذِينَ تَمَزَّقَتْ أَجْسَادُهُمْ عَبْرَ الزَّنَازِنِ  
..أَذْمُنُوا الْإِيمَانَ فِي زَمَنِ التَّكْسُبِ  
..كَابَدُوا حَتَّى الشَّهَادَةِ  
أَوْغَلُوا فِي الْجُرْحِ حَتَّى الْإِخْضِرَارِ..

ويوظف الأمراني رمز (الرياح) بدلاً من رمز (الريح) الذي يحمل دلالةً سلبيةً تُناسبُ السياقَ الدالَّ على الهلاكِ، فَمَاذَا يُنْتَظَرُ مِنْ (رِيَا حِ) آتِيَةً مِنَ الْعَرَبِ مُثْقَلَةً بِالرِّصَاصِ، وَمُؤَدِّنَةً بِالْخَرَابِ وَمَحْوِ الْمَآذِنِ، وَمَا (الْمَآذِنُ) إِلَّا رَمْزٌ آخَرُ لِلْإِسْلَامِ الشَّامِخِ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ، وَإِذَا كَانَتِ (النَّارُ)، فِي أَوَّلِ سَطْرِ شِعْرِي مِنَ الْقَصِيدَةِ، رَمْزًا لِلْفِتْنَةِ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا ثِقَافَةُ الْعَرَبِ، فَـ(الرِّيَا حِ)، فِي هَذَا السِّيَاقِ، جَاءَتْ رَمْزًا لِلتَّغْيِيرِ الَّذِي تَحْدُثُهُ الْقِيَمِ وَالْعَقَائِدُ.<sup>(1)</sup> يَقُولُ فَالشَّاعِرُ فِي قَصِيدَتِهِ (احتفال)<sup>(2)</sup>:

تَأَجَّحَتِ النَّارُ فِي شُرُفَاتِ الْوَطَنِ  
فَسُدِّي التَّوَا فِدًا، سُدِّي التَّوَا فِدًا،  
إِنَّ الرِّيَا حِ تَجِيءُ مِنْ الْعَرَبِ مُثْقَلَةً بِالرِّصَاصِ  
وَطَعْمِ الْوَهْنِ  
وَمُدِّي الرِّدَاءِ  
نُفَكِّكَ-مَعَ الْفَجْرِ-أَزْرَارَ حُلْمٍ يُخْبِئُهُ الْقَلْبُ  
مُدِّي الرِّدَاءِ، وَلَا تَعْبِي بِزَيْبِ الْعَوَاصِفِ  
نُبَايِعَ عَلَيَّ أَنْ نُقَاتِلَ حَتَّى انْفِرَادِ السَّوَالِفِ  
تَأَجَّحَتِ النَّارُ... مُدِّي يَدِيكَ  
فَلَا صَبْرَ لِي كَيْ أُسَافِرَ وَحْدِي  
وَأَرْتَادَ حَرَّ الْهَوَاجِرِ وَحْدِي  
وَلَا أَيْدِي لِي كَيْ أُقَاتِلَ جَالُوتَ وَحْدِي  
وَهَذِي الرِّيَا حِ تَجِيءُ مِنْ الْعَرَبِ مُؤَدِّنَةً بِالْخَرَابِ

(1) سعيد الغزاوي: مقالات في النقد الإسلامي، تأصيل وتجريب، دار النشر الأحمديّة، الدار البيضاء، ط: 1، 1420-1999، ص: 48.

(2) حسن الأمراني: سأتيك بالسيف والأقحوان، تنعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1416هـ-1996م، ص: 37.

وَمَحَوِ الْمَآذِنِ وَالْعَنْدَلَاتِ  
 وَهَلْ يُطْفِئُ الدَّمَغَ طَعْمَ اللَّهْيَبِ؟  
 وَهَلْ يَغْسِلُ الدَّمَ هَذَا الدَّرْنَ؟  
 وَحِينَ رَأَيْتَكَ تَعْتَسِلِينَ بِنَهْرِ الحُرُوفِ  
 تَحَلَّيْتَ رُؤْيَا  
 تُؤَسِّسُ عَرْشَ الْمَسَاكِينِ  
 تَهْزَأُ بِالنَّطْعِ وَالْمَقْصَلِ  
 أَتَسْتَكْثِرِينَ إِذَا هِيَ الْأَيْكُ أُسْرَارَهُ  
 لَتَرْتَأَحَ عُصْفُورَةٌ مِنْ لُغُوبِ الْمَسَاءِ؟  
 أَتَسْتَكْثِرِينَ احْتِفَالَ الْقَصَائِدِ بِالسَّنْبَلِ؟

وفي سياق القصيدة المخبر عن المواجهة القائمة بين الشاعر/ الأمة والعرب تتولد مجموعة من الرموز أو العلامات التي تحولت إلى رموز دالة، فالرمز أفضل صيغة ممكنة للتعبير عن حقيقة مجهولة نسبياً، وكما يمكن أن توضح أكثر من ذلك بآية وسيلة أخرى، وعلى هذا الأساس يجب التمييز بين الرمز وبين العلامة، فإن العلامة تعبير عن شيء معروف ومعالمه محددة في وضوح. (1) وهكذا يتحول العلم (جالوت) إلى رمز دال على (العرب) بكل ما تستدعيه اللفظة من دلالات على الظلم، وتتحول بعض العلامات كـ (المآذن) و (العندلات) للدلالة على الإسلام وما يحققه من عدل وسلام وأمن، وتدل (السنبلة) على ثمار المقاومة و"الوعي والإيمان في كيان الأمة". (2)

وقد عدل الشاعر عن (الريح) إلى (الرياح) لأن ما يأتي من حضارة العرب من ثقافات وفلسفات قد يخذع المرأة المسلمة ويوهمها بالنفع والإفادة فتحسبه كذلك، وما هو في حقيقته إلا بريق يمنع الأبصار من الرؤية عما تحمله ثقافة تلك المدينة من تخريب وتشويه. فظاھرھا أنّھا ریح (لواقح) مخصبة، وباطنھا أنّھا ریح عقيمة مجدبة. لكن الشاعر يعود إلى رمز (الريح)، بهذه الصيغة، في المقطع الحادي عشر (-11-)، من قصيدة (الدُّخُولُ إِلَى حَدَاتِقِ إِقْبَالِ السُّنْدُسِيَّةِ) (3):

سَأَخْلَعُ نَعْلِي  
 إِذَا حَنَّ لَيْلِي  
 وَأُطْلِقُ نَحْوَ السَّمَوَاتِ  
 نَبْضَ افْتِقَارِي وَذُلِّي

(1) مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، القاهرة، ط: 4، (د، ت)، ص: 206.  
 (2) سعيد الغزاوي: مقالات في النقد الإسلامي، ص: 59.  
 (3) حسن الأمراي: سأتيك بالسيف والأقحوان، ص: 60.

سَأَرْسِلُ دَمْعًا  
تُضِيءُ مَصَابِيحَهُ طُرُقَاتِي

سَأَعْقِدُ حَلْفًا مَعَ الرِّيحِ

إِنْ هِيَ أَلْقَتْ ضَفَائِرَهَا الْمُشْتَهَاةَ عَلَى شُرْفَاتِي

وَإِنْ حَرَّكَتْ فِي الْهَزِيعِ الْأَخِيرِ سَتَائِرَ رُوحِي

لَتَنْهَضَ وَرَقَاءُ مِنْ بَيْنِ أَطْلَالِهَا

تُضَمِّدُ لِمَسْتَهَا مِنْ حُرُوحِي

وَإِذَا كَانَتْ الطَّبِيعَةُ النَّفْسِيَّةُ وَالرُّوحِيَّةُ لِلشَّاعِرِ تَكْمُنُ وَرَاءَ تَوْظِيفِهِ هَذَا الرَّمْزِ وَغَيْرِهِ فَإِنَّ الْأَيَّ إِجَاءٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَوْلِدَهُ الْمُبْدِعُ مِنَ الرَّمْزِ، يَجِدُ أَسَاسَهُ فِي إِحْدَى سِمَاتِ الشَّيْءِ مَنْظُورًا إِلَيْهَا مِنَ الذَّاتِ الْمُبْدَعَةِ فِي طَوْرِ مَنْ أَطْوَرَهَا. (1) وَأَبْرَزُ سِمَةِ لِلرِّيحِ هِيَ الْحَرَكَةُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى التَّعْيِيرِ، فَالشَّاعِرُ يَأْمَلُ أَنْ تُحَرِّكَ هَذِهِ الرِّيحُ سَتَائِرَ رُوحِهِ فَتَنْبُضَ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ فِي الْهَزِيعِ الْأَخِيرِ.

وَمِنَ الرُّمُوزِ الطَّبِيعِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ رَمْزُ (الْجِرَادِ)، وَإِذَا كَانَ هَذَا الرَّمْزُ قَدْ اشْتَرَكَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى التَّعْرِيبِ وَالتَّشْوِيهِ وَالْمَسْخِ فِي سِيَاقٍ شِعْرِيٍّ سَابِقٍ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ يَرِدُ دَالًا عَلَى الطَّوَاغِيَتِ الظُّلْمَةِ أَعْدَاءِ الْحَيَاةِ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (طِفْلَةَ الشَّهِيدِ) (2):

أَنَّ أَبِي هُنَاكَ فِي نَعِيمٍ..

أُمِّي تَقُولُ إِنَّهُ يُحِيطُ بِالْأَزْهَارِ بَيْنَنَا الْجَدِيدِ..

وَيَزْرَعُ الْحُقُولَ حَتَّى تَحْفَلَ الْحُقُولُ بِالْحَصِيدِ..

وَرُوحُهُ هُنَاكَ مِنْ خَلْفِ الْعُيُومِ..

تَقُولُ لِلْجِرَادِ لَنْ تَدُومَ..

### 1-3-2-3- الرَّمْزُ الْإِصْطِنَاعِيُّ:

إِنَّ الرَّمْزَ الْإِصْطِنَاعِيَّ، دَائِمًا، مَعْرُضٌ لِأَثَرِ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ عِلَاقَةَ مَا تَجْمَعُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَهَذَا الشَّيْءِ/الْكَائِنِ الْإِصْطِنَاعِيَّ، فَالشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ يُوظِّفُ الرَّمْزَ الْعَلَمَ الَّذِي يَتَوَزَّعُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَعْلَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَعْبُودَاتِ وَآلِهَةِ عَرَبِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ قَدِيمَةٍ، أَصْنَامًا وَأَوْثَانًا، كـ(هَيْبَل) فِي السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ قُرَيْشًا "قَدْ اتَّخَذَتْ صَنَمًا عَلَى بئرٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ يُقَالُ لَهُ ((هَيْبَل))". (3) وَ(العُزَّى) وَقَدْ "كَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ بِنَخْلَةٍ، وَكَانَ سَدَنَتَهَا وَحُجَابَهَا بَنُو شَيْبَانَ

(1) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 85.

(2) محمد وليد: أشواق الغرباء ص: 148.

(3) أبو محمد عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية، ج: 1، ضبط وتعليق: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، لبنان، ط: 1، 1424هـ-

2007م، ص: 87.

من سليم خلفاء بني هاشم".<sup>(1)</sup> و(اللآت) و"كأنت اللآت لتقيف بالطائف، وكان سادتها وحجابها بنو معتب من تقيف".<sup>(2)</sup>

وقد تحولت في القصيدة الإسلامية إلى رموز ثرية بالدلالة في سياقات شعورية وروحية وفكرية وعقدية. فقد تعامل الشاعر مع الرمز (هبل) بوصفه مقابلاً لكل نظام ظالم مستبد ومقابلاً لكل حاكم متجبر، أو زعيم معرور، وقد شكّل رمزاً كلياً محورياً-تردد أربع عشرة مرة- وبنية أساسية في القصيدة تعكس رؤيتها إلى الحاكم والمحكومين في وطنه الصغير أو في وطنه الكبير العربي والإسلامي، يقول سيد قطب رحمه الله (استشهد 1966م) في قصيدة (هبل.. هبل) التي تتألف من أربع مقاطع شعرية تبدأ بلازمة استهلاكية تتكرر في أول القصيدة وفي آخرها وفي بداية كل مقطع أو في أثنائه، يقول في المقطع الأول<sup>(3)</sup>:

هبل.. هبل

هبل.. هبل رمز السخافة والدجل  
من بعد ما اندثرت على أيدي الأباة  
عادت إلينا اليوم في ثوب الطغاة  
تنشق البحور تحرقه أساطير النفاق  
من قيدت بالأسر في قيد الحنا والارتزاق  
وتن يقود جموعهم... يا للخجل

ف(هبل) رمز للسخافة والدجل، يعود في ثوب الطغاة، وقد اندثر وحطم، يوم تمكن الحق وعلت دعوة التوحيد وزهق الباطل، إنه وثن حي قادر على قيادة الجموع كما يشخص في هذه الصورة الرمزية. وهو رمز للخيانة والجهالة نسجت حوله الأوهام والمزاعم، يقول الشاعر في المقطع الثالث<sup>(4)</sup>:

هبل.. هبل

رمز الخيانة والجهالة والسخافة والدجل  
هتافة التهريج ما ملأوا الثناء  
زعموا له ما ليس... عند الأنبياء  
ملك تجلبب بالضياء وجاء من كبد السماء  
هو فاتح... هو عبقرى ملهم  
هو مرسل... هو عالم ومعلم

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 89.

(2) المرجع نفسه، ص: 90.

(3) سيد قطب: ديوان سيد قطب، ص: 289.

(4) المصدر نفسه، ص: 290.

وَمِنَ الْجَهَالَةِ مَا قَتَلَ

و(هبل) رَمَزُ الْخِيَانَةِ وَالْجَهَالَةِ، انْخَدَعَ بِضَحِيحٍ ثَنَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْهَاتِفِينَ بِاسْمِهِ وَبِحَيَاتِهِ الَّذِينَ مِنْ حَوْلِهِ، جَعَلُوا مِنْهُ مَلَكًا وَفَاتِحًا وَعَبْقَرِيًّا مُلْهِمًا وَمُرْسَلًا وَعَالِمًا وَمُعَلِّمًا وَقَدْ صَدَّقَ تِلْكَ الْجَاهِلَاتِ الْقَاتِلَةَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

هَبْلٌ..هَبْلٌ

رَمَزُ الْخِيَانَةِ وَالْجَهَالَةِ وَالسَّخَافَةِ وَالذَّجَلِ  
صَيَّغَتْ لَهُ الْأَمْجَادُ زَائِفَةً فَصَدَّقَهَا الْعَبِيَّ  
وَاسْتَنْكَرَ الْكَذِبَ الصُّرَاحَ وَرَدَّهُ الْحُرُّ الْأَبِيَّ  
لَكِنَّمَا الْأَحْرَارُ فِي هَذَا الزَّمَانِ هُمْ الْقَلِيلُ  
فَلْيَدْخُلُوا السَّجْنَ الرَّهِيْبَ وَيَصْبِرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ  
وَلْيَشْهَدُوا أَقْسَى رِوَايَةٍ... فَلِكُلِّ طَاغِيَةٍ نَهَائَةٍ  
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَجَلٌ... هَبْلٌ... هَبْلٌ  
هَبْلٌ...هَبْلٌ

وبهذا الترديد الشعاري المكرر/المتناف السائح المنتظم على الوحدة الإيقاعية (متفاعلن=0//0//0) تنتهي القصيدة المتميزة ببنائه الهندسي وبرمزيتها وإيقاع قافيتها المتنوعة مؤكدة، فالملحوظ أن هذا التكرار يشكل إيقاعاً طقوسياً ساحراً شبيهاً بما يحدث في أداء الشعائر التعبديّة القديمة أمام الآلهة وأثناء أداء العبادات وتقديم القرابين، وهنا يكمن الشبه بين مشهد هذه الاحتفالية التبعديّة وبين مشهد الجماهير الشعبيّة (القطيع) التي تقدم فروض الولاء والطاعة والخضوع لمعبودها (الزعيم)، وبهذا يحمل الرمز دلالات سلبية مرتبطة بأجواء السخرية والهزء.

و(هبل) في الحقيقة رمز لكل حاكم طاغية، وهو دالّ فارق دلّالته كمعبود حجري-صنم أو وثن-إلى دلّالته كمعبود إنساني بشكل من الأشكال، وفي انتظار نهاية الطاغية فليصبر الأحرار على ألوان من الأذى.

وإذا كان (هبل) الرمز الجاهلي قد هيمن بأسمائه وصفاته وأفعاله، وألف حقلاً دينياً واضحاً في القصيدة، فإن دلّالته تتلون في كل مقطع مستقطبة كل الصفات والنوع التي يميز بها (طاغية) اليوم، وسدنته وحجابه الكثر الذين ملؤوا الرحاب نفاقاً في زمن قل فيه الأحرار الأباة، وبالإضافة إلى ذلك فإن الرمز يتحول إلى بؤرة الدلالة والإيحاء في بنية القصيدة/الصورة التي اتخذت من (التشخيص) أداة في إخراج المعنى وإنتاج الدلالة، إنّه الصورة/الرمز التي تقوم بوظيفتها بالتفاعل مع بقية المكونات الإيقاعية والتركيبيّة والدلاليّة، ولعلّ هذا التفاعل بين المكونات البنائية في سياق التجربة المحددة يشكل خصوصية بنية القصيدة، فاللما كان العمل الشعري يصدر عن تجربة خاصّة متميزة، فإن كل قصيدة-بالتالي- تحتفظ لنفسها بشخصية مستقلة ومتمردة تفرد التجربة التي

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تُعْبَرُ عَنْهَا، وَبِمَعْنَى آخَرَ إِنَّ لِكُلِّ قَصِيدَةٍ خُصُوصِيَّتَهَا الْبِنَائِيَّةَ/التَّكْوِينِيَّةَ، تَتَوَزَّعُ عَنَّاصِرُهَا وَتَنْتَضِمُ بِحُرِّيَّةٍ دُونَ أَنْ تَخْضَعَ لِاسْتِرَاطِيَجِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ سَلْفًا، فِي ظِلِّ هَذَا الْفَهْمِ تَتَّخِذُ الصُّورَةَ الشَّعْرِيَّةَ نَمَطًا أَوْ أَنْمَاطًا لَهَا تَخْتَلِفُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِأُخْرَى، وَتُصَبِّحُ الْقَصِيدَةُ-نَتِيجَةً لِهَذَا-بِنَاءً مُتَمَيِّزًا عَنِ غَيْرِهِ مِنْ أِبْنِيَّةِ الْقَصَائِدِ الْآخَرَى. (1)

وَقَدْ تَرَدَّدَ رَمُوزُ (هَبْل) فِي مَوَاضِعٍ مِنْ شِعْرِ الْعُمَارِيِّ مُنْفَرِدًا حِينًا وَمُسْتَقْطِبًا غَيْرُهُ مِنَ الرُّمُوزِ الَّتِي تَشْتَرِكُ مَعَهُ فِي الدَّلَالَةِ انْطِلَاقًا مِنْ رُؤْيِيَّتِهِ لَوَاقِعِ الْأُمَّةِ الَّتِي يُؤَكِّدُ أَنَّ نَفْسِيَّةَ الشُّعُوبِ لَا تَزَالُ قَابِلَةً لِاسْتِعْبَادِ بِشَكْلِ أَوْ بِآخَرَ، فَمَا تَزَالُ (الْأَصْنَامُ) ثَاوِيَّةً فِي الْأَعْمَاقِ وَمَا تَزَالُ (الْأَزْلَامُ) رَائِدَةً لِلشُّعُوبِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

وَلَمْ تَزَلْ فِي عُمَقِنَا الْأَصْنَامُ

وَلَمْ تَزَلْ تَرُودُنَا الْأَزْلَامُ

فَ-(الْأَصْنَامُ) أَوْ (الْأَزْلَامُ) هِيَ رُمُوزٌ لِلْحُكْمِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالرُّعَمَاءِ الْمُزَيَّفِينَ الَّذِينَ أَرَهَبُوا الشُّعُوبَ وَاسْتَأْتَرُوا بِكُلِّ خَيْرَاتِ الْأَوْطَانِ وَأَنْفَرَدُوا بِالسُّلْطَةِ وَالْحُكْمِ وَتَصَبَّوْا أَنْفُسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونَ اللَّهِ.

وَيَأْتِي (هَبْل) فِي الْقَصِيدَةِ رَمْزًا لِلطَّاعِيَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَنْخَلَعَ بَعْدَهَا وَلِي زَمَنُ (الطَّاغُوتِ) وَقَدْ أَطَلَّتْ تَبَاشِيرُ الْهُدَى وَالْحَقِّ مَعَ صِيحَاتِ الدُّعَاةِ وَانْتِفَاضَاتِ الْمُجَاهِدِينَ الْأَحْرَارِ، وَ(الطَّاغُوتِ) رَمْزٌ آخَرٌ لِلْعِبَادَةِ مِنْ دُونَ اللَّهِ سِوَاءِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ أَوْ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعُصُورِ. (3) وَهُوَ بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ الْمُطْلَقَةِ الَّتِي لَا تَنْحَصِرُ فِي مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ مِنْ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ قَدْ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاعِيَتٍ، وَهِيَ بِيُوتٍ تُعْظَمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ، لَهَا سَدَنَةٌ وَحُجَابٌ، وَتُهْدَى لَهَا كَمَا تُهْدَى لِلْكَعْبَةِ، وَتَطُوفُ بِهَا كَطَوَافِهَا بِهَا، وَتَنْحَرُ عِنْدَهَا. (4) يَقُولُ الْعُمَارِيُّ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةِ (زَمَنُ الطَّاغُوتِ وَلِي) (5):

زَمَنُ الطَّاغُوتِ وَلِي فَاتَّحَرَّ يَا هَبْلُ

إِنَّنَا بِالْحَقِّ أَوْلَى بِالضُّحَى نَكْتَحِلُ

كَمْ عَشَقْتَاهُ فَكُنَّا مَوْتِنَا فِيهِ الْوُجُودُ

حُلْمًا كَانَ أَغْنَا وَرُؤْيَى نَحْنُ وَلُودُ

وَيَتَكَرَّرُ الرَّمْزَانِ-(الطَّاغُوتِ) وَ(هَبْل)- فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ تَأْكِيدًا لِلْمَعْنَى بِالنَّظْمِ نَفْسِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (6):

فَاشْرَبِّي يَا جِيَادُ وَأَسْكُبِي الْجُرْحَ الْمُقَاتِلُ

(1) شكري الطوانسي: مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبي سنة، دراسة في بلاغة النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 1998، ص: 398.

(2) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 97.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج: 1، ص: 89.

(4) شلتاغ عبود: حقائق الشعر الإسلامي المعاصر، ص: 148.

(5) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 87.

(6) المصدر نفسه، ص: 89.

وَاطْرِحِي دَعْوَى الْحِيَاذِ      وَاسْكِنِي ذُعْرَ الْقَنَابِلِ  
لَيْسَ إِلَّا بِالْجِهَادِ      يُزْهِرُ الْفَجْرُ سَنَابِلِ  
زَمَنُ الطَّاعُوتِ وَلَى      فَاتَّحَرِّ يَا هُبَلُ  
إِنَّنَا بِالْحَقِّ أَوْلَى      بِالضُّحَى نَكْتَحِلُ

وَيَبْدُو أَنَّ (هَبَل) كَعَبْرِهِ مِنَ الرُّمُوزِ (اللَّات، الْعَزَى) فِي هَذَا الْمَقْطَعِ لَا تَتَكُونُ دِلَالَتُهُ مِنْ حِلَالِ السِّيَاقِ، فَ"الرَّمْزُ الْفَرْدُ لَا قِيَمَةَ لَهُ، وَإِنَّ الْقِيَمَةَ كُلَّ الْقِيَمَةِ لِلرَّمْزِ وَهُوَ يَعْمَلُ فِي نَسَقِهِ".<sup>(1)</sup> وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ تَتَحَوَّلُ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى الْحُكَّامِ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ زَبَانِيَةَ الْبَطْشِ وَرُؤُوسِ الضَّلَالِ الْمُتْرَبِّصِينَ بِالشَّبَابِ الْمُتَزِمِ بِعَقِيدَتِهِ، يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَلِيدٌ فِي قَصِيدَةِ (هَبَل)<sup>(2)</sup>:

هَبَلُ عَلَا فِي أَرْضِنَا.. يَا لَلْمَنِيَّةِ..  
وَعِظَامُهُ النَّخِرَاتُ قَدْ بُعِثَتْ..  
وَتَكَدَّسَتْ لِحْمًا..  
وَذِرَاعُهُ قَدْ طُبِقَتْ شَحْمًا..  
وَاللَّاتُ وَالْعَزَى نَمَتْ أَنْيَابُهُمْ..  
وَتَأَلَّقَتْ كَشْرَارَةَ أَحْدَاقِهِمْ..  
طَالَتْ أَظْفَرُهُمْ لَتَنْهَشَ فِي اللَّحُومِ الْأَدَمِيَّةِ..  
أَشْنَهَى الضُّحَايَا مَنْ يُصَلِّي الصُّبْحِ..  
أَوْ يَتْلُو الْهُدَى عِنْدَ الْعَشِيِّ..

إِنَّ الْإِيحَاءَ الَّذِي تَتْرُكُهُ الرُّمُوزُ الثَّلَاثَةُ (هَبَل، اللَّات، الْعَزَى) فِي الصُّورَةِ السَّابِقَةِ هُوَ نَفْسُهُ الْإِيحَاءُ الَّذِي يَتْرُكُهُ الرَّمْزُ الْمُخْتَلَفُ (الدَّجَال) الَّذِي يُوظِّفُهُ الْعُمَارِيُّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى بَطْشِ الطَّاعِيَةِ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (قِرَاءَةِ فِي آيَةِ السَّيْفِ)<sup>(3)</sup>:

كَمْ مَلَأُوا قُلُوبَنَا صَدِيدًا  
وَجَعَلُوا وَحَدَّثَنَا بَدِيدًا!  
حَتَّى اشْرَبَّ الْكُفْرُ فِي حَمَاةِ  
وَوَلَّوْا الْأَثِيرُ بِالْمَأْسَاةِ  
وَوَلَّغَ الدَّجَالَ فِي الدِّمَاءِ  
بَيْنَ السُّكُونِ الْمُرِّ وَالرِّيَاءِ

(1) نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص: 237.

(2) محمد وليد: أشواق الغرباء، ص: 114.

(3) مصطفى محمد الغماري: قراءة في آية السيف، ص: 95.

قَدْ وَجَدَ الْعُمَارِيُّ فِي رَمْزِهِ "وَسِيلَةً يُعْبَرُ بِهَا عَنْ حَالَةِ شُعُورِيَّةٍ إِزَاءَ مَوْقِفٍ مُعَيَّنٍ يَتَخَيَّرُ شَكْلًا حَسِيًّا يَكُونُ قَادِرًا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَالَةِ أَوْ نَقْلِهَا مِنَ الدَّاحِلِ إِلَى الْخَارِجِ أَوْ خَلْقِ بَدِيلٍ مَوْضُوعِيٍّ يُعَادِلُهَا، وَبِهَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ يَتَّصِفُ الرَّمْزُ، أَوَّلَ مَا يَتَّصِفُ بِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ صُورَةً مُبَاشِرَةً وَإِنَّمَا هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الرُّؤْيَةِ أَوْ الْحَدْسِ". (1) وَيُنَشِئُ رَمْزُ (الدَّجَالِ) صُورَةً مُفْرَعَةً مُرْعَبَةً لِلطَّاعِيَةِ الَّذِي ارْتَوَى مِنْ دِمَاءِ شَبَابِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيَأْخُذُ الرَّمْزُ دَلَالَتَهُ مِمَّا عُرِفَ عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ فِي التُّرَاثِ الدِّينِيِّ فَقَدْ تَوَاتَرَتِ الرُّوَايَاتُ حَوْلَ (الدَّجَالِ) وَصِفَتِهِ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ ف ر". (2)

وَيَرِدُ رَمْزُ (هُبْلِ) مُصْطَحِبًا جُمْلَةً مِنَ الرُّمُوزِ الَّتِي يَتَقَدَّمُهَا رَمْزُ (مَنَاءَ)، وَ(مَنَاءَ)، فِي الْأَصْلِ، كَانَتْ لِلأَوْسِ وَالخَزْرَجِ وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ... بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَوْ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَهَدَمَهَا. (3) أَمَّا فِي هَذَا السِّيَاقِ الْجَدِيدِ فَهِيَ "مُعَبَّرَةٌ عَنْ دَلَالَةِ الْأُلُوْهِيَّةِ الْمُنْحَرَفَةِ عَنِ الْأُلُوْهِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَقَدْ عَادَتْ تِلْكَ الْأُلُوْهِيَّةُ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى حَيَاةِ الْبَشَرِ، وَلَكِنْ بِوُجُوْهِ مُخْتَلِفَةٍ، فَقَدْ تَكُونُ الْمَالُ، وَقَدْ تَكُونُ الْعِلْمُ الَّذِي يَغْزُو الْفَضَاءَ وَيُصِيبُ الْإِنْسَانَ الْحَدِيثَ بِسُورَةٍ مِنَ الْإِنْبِهَارِ وَالْعَقْلَةَ وَنَسِيَانَ مَصْدَرِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ مَسْؤُولِيَّتِهِ وَوُظِيفَتِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ". (4) وَقَدْ تُوْظَفُ - كغَيْرِهَا مِنَ الْمَعْبُودَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ - رَمْزًا دَالًّا عَلَى كُلِّ سُلْطَةٍ تَقْهَرُ حُرِّيَّةَ الْإِنْسَانِ وَكُلِّ سُلْطَةٍ انْتَهَى بِهَا الْغُرُورُ وَالْعُجْبُ إِلَى الزَّعْمِ بِامْتِلَاكِ الْقُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَهِيَ الدَّلَالَاتُ الَّتِي يَشْحَنُ بِهَا مُحَمَّدٌ الْحَسَنَويُّ رَمُوزَهُ فِي قَصِيدَةِ (إِنْسَانَ الْعَصْرِ)، فَيَقُولُ (5):

كَأَنَّ مَجُوسِيَّةَ الْعَابِرِينَ كَأَنَّ (مَنَاءَ) كَأَنَّ (هُبْلَ)

أَفَاقُوا جَمِيعَ بَعْصَرِ الْفَضَاءِ وَعَزَوُ السَّمَاءِ بِأَبْهَى الْحُلِّ

وَإِذَا كَانَ الرَّمْزُ يَتَمَيَّزُ بِسِيَاقِهِ فَإِنَّ السِّيَاقَ لَا يَنْفِي أَنْ يَشْتَرِكَ عِدَّةُ شُعْرَاءَ أَوْ نُصُوصٍ فِي مَضْمُونٍ وَاحِدٍ لِهَذَا الرَّمْزِ أَوْ ذَلِكَ أَوْ أَنْ يُهَيِّمَنَّ مَضْمُونٌ مُحَدَّدٌ عَلَى مَرَحَلَةٍ مُعَيَّنَةٍ إِذْ إِنَّ هَذَا يَعُودُ إِلَى هَيْمَنَةِ هَاجِسِ اجْتِمَاعِيٍّ - جَمَالِيٍّ مُعَيَّنٍ عَلَى هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ أَوْ تِلْكَ، بِسَبَبِ الضَّرُورَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْإِيدْيُولُوجِيَّةِ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْإِشْتِرَاكَ يُفِيدُ فِي تَبْيَانِ نَبْضِ الْوَاقِعِ وَحَرَكَتِهِ فِي النُّصُوصِ الشُّعْرِيَّةِ. (6) وَهَذَا مَا يَكْشِفُ عَنْهُ رَمْزُ (هُبْلِ) وَأَشْبَاهُهُ فِي حِقْبَةِ جَنَمٍ فِيهَا هُوَ لَاءُ الزَّعَمَاءِ الْقَوْمِيُونَ بِذَرِيْعَةٍ أَوْ بِأُخْرَى عَلَى صَدْرِ الْأُمَّةِ وَقَعْدُوا بِهَا عَنِ الْإِنْطِلَاقِ الصَّحِيحِ وَالنَّهْضَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.

(1) نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية، ص: 226.

(2) المنذري: مختصر صحيح مسلم، ص: 436.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج: 1، ص: 90.

(4) شلتاغ عبود: حدائق الشعر الإسلامي المعاصر، ص: 149.

(5) محمد الحسنواي: عودة الغائب، ص: 70.

(6) سعد الدين كليب: وعي الحداثة، ص: 73.

وَلَعَلَّ نَظْرَةً عَامَّةً إِلَى أُنْسَاقِ الرَّمَزِ الْمُوظَّفَةِ فِي القَصِيدَةِ تَفْرِضُ الإِشَارَةَ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ "كَثْرَةُ دَوْرَانِ رُمُوزٍ بَعَيْنَهَا عَلَى أَقْلَامِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ دُونَ كَبِيرِ اخْتِلَافٍ فِي المَوَاقِفِ الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي تُسْتَخْدَمُ فِيهَا، مَعَ أَنَّ الرَّمَزَ دَاخِلَ القَصِيدَةِ كَالكَائِنِ العُضْوِيِّ يَحْيَا وَيَنْمُو وَيَتَحَرَّكُ، وَيَسْتَمِدُّ قِيمَتَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى العَطَاءِ التَّلْقَائِيِّ الحُرِّ غَيْرِ المَسْبُوقِ بِمَوَاضِعَةٍ أَوْ بِمَا يُشْبِهُ المَوَاضِعَةَ، فَإِذَا كَثُرَ تَدَاوُلُهُ بالإِشَارَةِ إِلَى مَضْمُونٍ وَاحِدٍ فَقَدْ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ مِنْ شَيْخُوخَةٍ أَوْ مَوْتٍ، فَيُضَيِّقُ إِجَاؤُهُ بِمَا يَنْتَابُهُ مِنْ اِبْتِدَالٍ، وَيُصْبِحُ أَقْرَبَ إِلَى الدَّلَالَةِ العُرْفِيَّةِ مِنْهُ إِلَى الإِنَارَةِ النَّفْسِيَّةِ".<sup>(1)</sup> فَالْقَصِيدَةُ حَاوَلَتْ أَنْ تُوظَّفَ الرُّمُوزَ المُكْرَّرَةَ بِدِلَالَاتٍ جَدِيدَةٍ تَتَنَوَّعُ غَالِبًا بِتَنَوُّعِ السِّيَاقِ وَالمَوْقِفِ الشُّعْرِيِّينَ، وَإِعَادَةُ الرَّمَزِ فِي مَقْطَعٍ مِنْ مَقَاطِعِ القَصِيدَةِ أَوْ فِي فِصَائِدٍ مِنَ المَجْمُوعَةِ الشُّعْرِيَّةِ الوَاحِدَةِ أَوْ فِي مَجْمُوعَاتٍ شُّعْرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ لِشَاعِرٍ أَوْ أَكْثَرَ لَهُ مَا يُبْرِهُ مِنَ الوَجْهَةِ الفَنِيَّةِ كَأَن يَكُونُ الشَّاعِرُ بِتَكَرُّرِهِ لِرَّمَزٍ بَعَيْنِهِ يَعْمَلُ عَلَى إِيجَادِ رَمَزٍ مَحْوَرِيٍّ أَوْ تَشْكِيلِ رَمَزٍ خَاصٍّ، وَكَأَن يَكُونُ الهَوَاجِسُ النَّفْسِيَّةُ وَالاِجْتِمَاعِيَّةُ وَالفِكْرِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ أَوْ الحِضَارِيَّةُ لِشَاعِرٍ أَوْ شُعْرَاءِ جِيلٍ أَوْ اتِّجَاهٍ وَرَاءَ اسْتِعْمَالِ رُمُوزٍ ثَقَافِيَّةٍ مُحدَّدةٍ فِي نِتَاجِ الشَّاعِرِ الوَاحِدِ أَوْ فِي نِتَاجِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ.

وَمِمَّا سَبَقَ يَبِينُ أَنَّ تَوْظِيفَ القَصِيدَةِ لِلرَّمَزِ يَرْجِعُ إِلَى كَوْنِهِ "أَدَاةً لَعُويَّةً تَحْمِلُ وَظَائِفَ جَمَالِيَّةً عِنْدَمَا تُسْهِمُ فِي تَشْكِيلِ تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ عَلَى نَحْوِ مُؤْتَلَفٍ مَعَ مُكوِّنَاتِ النَّصِّ الفَنِيِّ".<sup>(2)</sup> وَسِوَاءُ فِي ذَلِكَ أَكَّانَ الرَّمَزُ خَاصًّا أَمْ عَامًّا، وَسِوَاءُ أوردَ فِي شَكْلِ اللَّفْظِ المُفْرَدِ الَّذِي يُعَمَّقُ جَنَابَاتِ السِّيَاقِ الشُّعْرِيَّ المُفْتَحِ عَلَى إِجَاءَاتِ الرَّمَزِ، وَالَّذِي يُعَدُّ مَرَكِّزًا فِي الرَّمْزِيَّةِ؛ مِنْ حِلَالِ إِشَارَتِهِ إِلَى المَكَانِ أَوْ الحَادِثَةِ أَوْ العَلَاقَاتِ، أَمْ وَرَدَ فِي شَكْلِ العِبَارَةِ القَصِيرَةِ وَالتَّرْكِيبِ اللُّغَوِيِّ أَمْ وَرَدَ فِي شَكْلِ أَكْثَرِ اتِّسَاعٍ وَامْتِدَادٍ يُعْطِي القَصِيدَةَ أَوْ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْهَا، كَأَن يَرِدَ فِي شَكْلِ القِصَّةِ أَوْ الحِكَايَةِ.<sup>(3)</sup>

وَيَعُودُ، كَذَلِكَ، إِلَى "حَاجَةِ رُوحِيَّةٍ فِي الإِنْسَانِ أَوْ نَتِيجَةِ ضَعْفِ تَارِيخِيٍّ وَثَقَافِيٍّ، أَيْضًا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ تَعَقُّدُ الحَيَاةِ حَوْلَ الأَدِيبِ، وَاشْتَدَّ الإِبْتِدَالُ فِي مُحِيطِهِ السِّيَاسِيِّ وَالاِجْتِمَاعِيِّ وَالثَّقَافِيِّ اِزْدَادَ هُوَ إِمعَانًا فِي الرَّمْزِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ، بِوصْفِ ذَلِكَ نَوْعًا مِنَ الحِصَانَةِ الدَّائِيَّةِ وَالثُّورَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَيُعَدُّ ذَلِكَ اِحْتِجَاجًا عَلَى الأَوْضَاعِ الرَّاهِنَةِ وَرَفُضَةٍ لَهَا. بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا يَمْنَحُهُ التَّعْبِيرُ بِالرَّمَزِ مِنْ حُرِّيَّةِ الإِبْتِدَاعِ وَرَحَابَةِ التَّخْيِيلِ وَثَرَاءِ التَّأْوِيلِ وَالقُدْرَةِ عَلَى تَكْثِيفِ المَوَاقِفِ وَتَجْمِيعِ الحَالَاتِ".<sup>(4)</sup>

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر ص: 329.

(2) فايز الداية: جماليات الأسلوب، ص: 175.

(3) المرجع نفسه، ص: 175.

(4) عثمان حشلاف: الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، ص: 7.

وُنُتِبَتْ، هَهُنَا، ثَلَاثَ مَلْحُوظَاتٍ هَامَّةٍ؛ تَتَعَلَّقُ الْأُولَى بِكَوْنِ شُعْرَاءِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا يَصْدُرُونَ عَنْ مَذْهَبٍ رَمَزِيٍّ وَأَصِحَّ الْمَعْلَمِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الشُّعْرِ الْأُورُوبِيِّ الْحَدِيثِ وَالْمَذْهَبِ الرَّمَزِيِّ فِيهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَصْدُرُونَ عَنْ حَسِّ فِكْرِيٍّ يَدْفَعُهُمْ إِلَى التَّعَامُلِ مَعَ الْأَعْلَامِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ بِالْقَدْرِ الَّذِي تُعْبَرُ عَنْ رُؤْيَتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ وَالْعَلَاقَاتِ وَأَنْوَاعِ الصَّرَاحِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ. (1)

وَتَتَعَلَّقُ الْمَلْحُوظَةُ الثَّانِيَةُ بِالرُّؤْيَةِ الْمُتَمَيِّزَةِ الَّتِي انْطَلَقَ مِنْهَا الشُّعْرَاءُ الْإِسْلَامِيُّونَ فِي تَنَاوُلِ الرُّمُوزِ الْإِنْسَانِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِخَاصَّةِ الشَّخْصِيَّاتِ الْمَجَاهِدَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْقَادَةِ وَالْفَاتِحِينَ، فَقَدْ لَاقَتِ الرُّمُوزُ التَّارِيخِيَّةُ عُنْتًا عَلَى أَيْدِي أَصْحَابِ الْحَرَكَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ غَيْرِ الْمُتَمَرِّمَةِ بِخَطِّ الْإِسْلَامِ فَبَقَدَّرَ مَا قَدَّسَ الْأُورُوبِيُّونَ رُمُوزَ الْأَسَاطِيرِ الْيُونَانِيَّةِ فِي شِعْرِهِمُ الْحَدِيثِ وَتَبِعَهُمْ فِي تَقْدِيسِهَا الشُّعْرَاءُ الْعَرَبُ غَيْرُ الْإِسْلَامِيِّينَ، بِقَدْرِ مَا حَارَبَ هَؤُلَاءِ رُمُوزَ الْإِسْلَامِ وَالْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالسُّنَّةِ وَكُلِّ الْأَعْلَامِ الَّذِينَ سَارُوا فِي ظِلِّهَا، وَكَانَتْ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْمُتَمَرِّمِينَ مِهْمَةٌ خَطِيرَةٌ شَاقَّةٌ هِيَ إِعَادَةُ الْإِحْتِرَامِ وَالْقُدْسِيَّةِ لِهَذِهِ الرُّمُوزِ فِي نَفُوسِ الْقُرَّاءِ، وَقَدْ كَادَتْ تَتَشَوَّهُ حَقَائِقُهَا بِشَكْلِ أَصْبَحَ مِنَ الصَّعْبِ إِقْنَاعِ الْعَامَّةِ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ لَهَا وَقَدْ غَطَّنَتْهُ أَدْحِنَةُ الْمُعْرِضِينَ السَّوْدَاءِ. وَلَمْ يَكُنْ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ إِلَّا أَنْ يَسْتَوْحُوا التَّارِيخَ وَالْوَأَقِعَ اسْتِيحَاءً نَقِيًّا غَيْرَ مَشْوَّهِ، فَيَضَعُوا النِّقَاطَ عَلَى حُرُوفِهَا، وَالْأُمُورَ فِي مَوْضِعِهَا، فَيَكُونُ الرَّمْزُ ابْنَ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ قَبْلَ أَنْ تُصْهَرَهُ بَوْتَقَةُ الْخِيَالِ وَتُحَوَّلَهُ إِلَى صُورَةٍ. (2)

وَتَتَعَلَّقُ الْمَلْحُوظَةُ الثَّلَاثَةُ بِالتَّحْفُظِ أَوْ الْحَذَرِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الرَّمْزِ الْأَسْطُورِيِّ الَّذِي يَقِلُّ حُضُورُهُ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ نَمَازِجِهِ الرَّمْزُ (دوريس) \*الَّذِي وَظَفَهُ الْأَمْرَانِي فِي قَصِيدَتَيْهِ (إيكار) وَ(رَهين الحزن)، يَقُولُ فِي الْأُولَى (3):

أَرَى دُورِيسَ يَسْكُونُنِي مِثْلَ طَائِرِ بَرْقٍ  
كَأَنِّي أَفْتَحُ بَارِيسَ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
عَلَى صَهْوَةٍ مِنْ حِصَانِي الْجَمُوحِ  
(هِيَ السَّمْسُ مَرَّةً)  
وَدُورِيسَ فِي بَارِيسَ كَالنَّجْمَةِ الشَّارِدَةِ  
تُمَارِسُ غُرْبَتَهَا الْقُدْسِيَّةَ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ  
تُضِيءُ... تُضِيءُ.

.....

(1) شلتاغ عبود: حداثق الشعر الإسلامي المعاصر، دا الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1، 1422هـ-2002م، ص: 146.

(2) أحمد بسام ساعي: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ص: 100.

(\*) تقول الأسطورة إن (دوريس) إحدى حوريات البحر، تزوجت (نيروس) شيخ البحر وولدت له خمسين فتاة، كلهن ذات طبيعة إلهية بحرية.

(3) حسن الأمراني: ملكة الرماد، ص: 33.

أَحْنُ إِلَى نَخْلَةٍ فِي بِلَادِي  
وَصَوْتِ الْمُؤَذِّنِ يَحْدُو فُوَادِي  
وَتُصْبِحُ دُورِيسَ بَيْنَ الْعَوَاصِفِ مَفْتُونَهُ  
بِالْجُنُوبِ  
وَمَسْكُونَةَ بِالتَّوَهُجِ وَالْحُزْنَ الْمُتَوَجِّسِ ..  
حَتَّى الْجُنُونِ.

.....

كَأَنِّي أَخْطُ الْقَصِيدَ الْأَخِيرَ  
وَدُورِيسَ عُصْفُورَ حُزْنٍ  
عَلَى كَتْفِي حَطَّ ذَاتَ مَسَاءٍ  
وَأَوْدَعَنِي سِرَّهُ.. ثُمَّ طَارَ!

وَيَقُولُ فِي الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ<sup>(1)</sup>:

بَيْنَ دُورِيسَ وَذَاتِي  
زَوْرَقٌ مِنْ كَلِمَاتٍ  
أَيْنَ مَرَسَاتِكَ يَا زَوْرَقُ، يَا سِرَّ الْقَصِيدَةِ؟  
أَكْذَا نَدْفَعُ دَوْمًا نَحْوَ آفَاقِ جَدِيدِهِ؟  
أَنْتِ - مَنْ صَاعَكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ مَوْجِ الْبِحَارِ -  
أَنْتِ أَيْقَظْتَ لَهَيْبِ الشَّهْوَةِ الْبِكْرِ بِأَعْمَاقِي  
- لَكَ الْمَجْدُ -

وَأَوْقَدْتَ فَتِيلَ الشَّعْرِ فِي صَدْرِي  
- لَكَ الْمَجْدُ -

وَلَكِنِّي رَهِينُ الْحُزْنِ  
أَنْتِ يَا سَارِقَةَ الْمَوْجِ، وَيَا كَاشِفَةَ الْأَسْرَارِ لَنْ  
تَقْرَنِي شِعْرِي وَلَا بَعْضَ وَصَايَايَ وَلَنْ  
تَسْمَعِي طَائِرَكَ الْأَخْضَرَ يَتْلُو آيَةَ الْبَعْثِ  
عَلَى صَدْرِ الْوَطَنِ

وَلِهَذَا يَتَعَشَّنَانِي الْحُزْنَ  
وَكَأَنِّي لَا أَرَى غَيْرَ الْكَفْنِ!!

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 38.

وَبَصْرَفِ النَّظَرِ عَنِ نَجَاحِ الشَّاعِرِ أَوْ عَدَمِهِ فِي تَوْظِيفِ الرَّمْزِ وَاسْتِلْهَامِ الْأُسْطُورَةِ فِي الْقَصِيدَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ الْقَوْلَ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، إِنَّ الشُّعْرَاءَ الْإِسْلَامِيِّينَ يُقَلِّلُونَ مِنْ تَوْظِيفِ هَذَا التَّنَوُّعِ مِنَ الرَّمُوزِ فِي الْقَصِيدَةِ، فَهُمْ أَكْثَرُ الشُّعْرَاءِ ارْتِبَاطًا بِالْوَاقِعِ مِنْ خِلَالِ تَفْعِيلِ الرَّمْزِ التَّارِيخِيِّ، إِذْ إِنَّ هَذَا الرَّمْزَ لَا يَتَحَرَّكُ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي وَإِنَّمَا هُوَ حَاضِرٌ فِي وَجْدَانِ الْأُمَّةِ مُتَوَقِّدٌ فِي إِحْسَاسِهَا، وَلِهَذَا فَهُمْ أَكْثَرُ وَاقِعِيَّةً مِنْ أَوْلئكِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْوَاقِعِيَّةَ وَيَلْهَثُونَ وَرَاءَ الْأَسَاطِيرِ الْيُونَانِيَّةِ وَالْأُورُوبِيَّةِ وَالْأَشُورِيَّةِ وَالْفِينِيقِيَّةِ وَالْفِرْعَوْنِيَّةِ وَالْوَنبِيَّةِ".<sup>(1)</sup> وَإِذَا كَانَ الشُّعْرَاءُ الْإِسْلَامِيُّونَ يُوظِّفُونَ الصُّورَةَ الشُّعْرِيَّةَ الَّتِي تَمْتَّازُ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، بِالْوُضُوحِ الدَّلَالِيِّ وَالْمَقْصِدِيِّ وَعِظَمِ الدَّلَالِيَّةِ الدِّبْنِيِّ وَالْمَرْجِعِ التَّنَاصِيِّ وَارْتِكَازِهَا عَلَى الْإِنْزِيَّاحِ وَالرَّمْزِ بِكُلِّ أَنْمَاطِهِ الدِّبْنِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَعَدُّونَ عَنِ اسْتِخْدَامِ الْأَسَاطِيرِ الْوَنبِيَّةِ.<sup>(2)</sup> وَقَدْ تَبَيَّنَ الْمَوَاقِفُ مِنْ هَذَا الرَّمْزِ؛ فَيَرَى شِلْتَاغَ عُبُودَ أَنَّهُ "يُمَكِّنُ تَوْظِيفَ الْأُسْطُورَةِ لَيْسَ تَقْلِيدًا لِلشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ أَوْ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ تَوْسِيعًا لِدَائِرَةِ الرَّمْزِ فِي الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَوْسِيعًا لِدَائِرَةِ التَّأثيرِ وَالتَّشْوِيرِ".<sup>(3)</sup> ذُونَ أَنْ يُحَدِّدَ لِهَذَا التَّوظِيفِ شُرُوطًا أَوْ يَضَعُ لَهُ قِيُودًا عَلَى خِلافِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ الرَّبَاوِيِّ الَّذِي يُبْدِي رَأْيَهُ أَتْنَاءَ مُمَاحَظَتِهِ فِي تَقْدِيمِهِ لِدِيَّوَانِ (سَاتِيكَ بِالسَّيْفِ وَالْأَقْحَوَانِ) سَيِّطْرَةَ بِنِيَّةِ (الْإِحْتِرَاقِ) الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ أُسْطُورَةِ (العَنْقَاءِ) الْمُتَسَرِّبَةِ بِشَكْلِ مُكْتَفٍ إِلَى الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاوِرِ، يَقُولُ: "لَكِنْ لِمَاذَا يَتَكَيُّ شَاعِرٌ يَدْعُو إِلَى أَدَبِ إِسْلَامِيٍّ عَلَى الْأَسَاطِيرِ الْوَنبِيَّةِ؟ أَلَا يَتَعَارَضُ هَذَا مَعَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ؟ الْحَقُّ أَنَّ ثَمَّةَ تَعَارُضًا إِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ نَظْرَةً سَطْحِيَّةً، وَلَكِنَّا حِينَ نَنْظُرُ إِلَيْهَا دَاخِلَ تَجْرِبَةِ الْأَمْرَانِيِّ نَكْتَشِفُ أَنَّهُ أَعْطَاهَا حُمُولَةً إِيمَانِيَّةً إِسْلَامِيَّةً، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّاعِرَ الْإِسْلَامِيَّ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يُوظَّفَ مَا يَشَاءُ مِنَ الرَّمُوزِ كَيْفَمَا كَانَ. الْمُهْمُ أَنْ تَكُونَ الرُّؤْيَا الْإِسْلَامِيَّةُ حَاضِرَةً عِنْدَ التَّوظِيفِ أَوْ الْإِسْتِعَارَةِ".<sup>(4)</sup> وَهَكَذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ بِمَقْدُورِ الشَّاعِرِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ يُوظَّفَ أَيَّ رَمْزٍ أُسْطُورِيِّ بِشَرَطِ أَنْ يَضَعَهُ فِي سِيَاقٍ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَنْطَلِقُ مِنْهُ، هَذَا التَّصَوُّرُ الْمُتَفَرِّدُ الَّذِي يَتَّسِمُ بِالْوَاقِعِيَّةِ وَبِالتَّوَازُنِ وَبِالتَّوْحِيدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخِصَائِصِ الَّتِي تُشَكِّلُ قَاعِدَتَهُ الرَّاسِخَةَ وَتَمَاسُكُهُ الصَّلْبَ، وَهُوَ تَصَوُّرٌ لَا يُطَلِّقُ الْعَنَانَ لِلتَّصَوُّرِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَعْمَدُ إِلَى تَوْظِيفِ رَمُوزٍ وَنَبِيَّاتِ الشُّعُوبِ وَأَسَاطِيرِهَا الْمُنْحَرِفَةِ.

وَنَخْلُصُ، مِمَّا تَقَدَّمَ، إِلَى أَنَّ الصُّورَةَ الشُّعْرِيَّةَ مُكوِّنٌ مِنْ مُكوِّنَاتِ الْبِنِيَّةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَعَلَّ الْكِتَابَةَ بِالصُّورِ هِيَ الْقَانُونُ الْمَحُورِيُّ الَّذِي تَبْنِي عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ الْمُعَاوِرَةُ بِأَسْرَهَا، لِأَنَّ الشُّعْرَ يَتَنَزَّلُ فِي دَائِرَةِ الرُّؤْيَا وَيَكَادُ يَتَوَحَّدُ بِالْحَلْمِ. وَالصُّورَةُ هِيَ الشَّكْلُ الَّذِي يَسْتَجِيبُ لِلرُّؤْيَى. ذَلِكَ أَنَّ الْعِبَارَةَ الْخَبْرِيَّةَ تَقِفُ قَاصِرَةً وَلَا تُحِيطُ بِالرُّؤْيَا فَيَقُومُ الشَّاعِرُ بِتَفْجِيرِ الْعِبَارَةِ مِنَ الدَّاخِلِ فَتَأْتِي الصُّورُ بِمَثَابَةِ الصَّدَى الْمُبَاشِرِ لِذَلِكَ الْإِنْفِجَارِ، انْفِجَارِ

(1) شِلْتَاغَ عُبُود: حداثق الشعر الإسلامي المعاصر، ص: 172.

(2) جميل حمداوي: مدخل إلى الشعر الإسلامي، مكتبة المعارف، الرباط، ط: 1، 2010، ص: 37.

(3) شِلْتَاغَ عُبُود: حداثق الشعر الإسلامي المعاصر، ص: 173.

(4) حسن الأمراي: ساتيك بالسيف والأقحوان، ص: 17.

اللفظ العاجز عن استيعاب التجربة المفردة<sup>(1)</sup> ويتقدم التشخيص والتجسيد والتراسل والتضاد كأبرز وسائل بناء الصورة في نسقها المفرد والمركب وفي تمطيتها البلاغي وغير البلاغي. أما نسق الصورة الرمزية فهو يشكل بنية ذات خصوصية شعرية ليس على صعيد الصورة فحسب، وإنما على صعيد القصيدة ككل، فهو معادل فني رمزي للرؤية الفكرية والتفسيّة التي تصدر عنها القصيدة أو لوجهة النظر التي تجسدها التجربة المشحونة بالتوتر، أحياناً، وهي تجربة يتفاعل فيها الواقع والمثال والحاضر والماضي كأنعكاس للحظة الحضارية الراهنة. وإذا كان النسق الرمزي معادلاً فنياً، بصفة عامة، فإنه يمثل في بعض أشكاله موقفاً فنياً على أساس أن الموقف الفني الذي يصدر عنه الأديب يعكس رؤيته لحركة الحياة على أرضه ومحاور الصراع في واقعه، كما يفصح هذا الموقف عن مدى وعيه بأدوات التشكيل الجمالي للنوع الذي يمارسه<sup>(2)</sup>.

إن أهم ما وقف عليه البحث في مقارنة بنية الصورة الشعرية هو التنوع في توظيف الصور، فقد وظف الشاعر الإسلامي ثلاثة أنساق من الصور، هي نسق الصورة المفردة ونسق الصورة المركبة ونسق الصورة الرمزية، ويتبين من ذلك أن الصورة مكون أساسي من مكونات البنية الدلالية في القصيدة الإسلامية، فهي القانون المحوري الذي تقوم عليه، وهي الشكل الذي يستوعب الرؤية. وقد اعتمد الشاعر الإسلامي في بناء الصورة على مجموعة من الآليات أبرزها التشخيص والتجسيد والتراسل والتضاد، وأفاد من الأنماط البلاغية بشكل كبير، كالتشبيه والاستعارة. وأما نسق الصورة الرمزية فهو يشكل بنية ذات خصوصية شعرية ليس على صعيد الصورة فحسب، وإنما على صعيد القصيدة ككل، فهو معادل فني رمزي للرؤية الفكرية التي تصدر عنها القصيدة أو لوجهة النظر التي تجسدها التجربة المشحونة بالتوتر، أحياناً، وهي تجربة يتفاعل فيها الواقع والمثال والحاضر والماضي كأنعكاس للحظة الحضارية الراهنة. وإذا كان النسق الرمزي معادلاً فنياً، بصفة عامة، فإنه يمثل في بعض أشكاله موقفاً فكرياً وفنياً يعبر عن أصالة الشاعر الإسلامي، وهذا ما دفعه إلى استعماله فنياً في بعض التحارب، وقد نوع الشاعر في توظيف رموزه فجمع بين التراثية التاريخية والأدبية والدينية والصوفية والطبيعية وذلك من خلال نسقين واضحين؛ هما النسق الرمزي الجزئي والنسق الرمزي الكلي.

وقد بدا أثر التصور القرآني واضحاً في القصيدة الإسلامية، فكثيراً ما يوظف الشاعر الإسلامي عناصر الصورة القرآنية أو بالأحرى يوظف معجمها متأثراً ببنائها الفنية وآلياتها التصويرية من تخيل حسني وتجسيم وتشخيص.

(1) طه وادي: في بنية الشعر العربي المعاصر، ص: 97.

(2) المرجع نفسه، ص: 48.

## الفصلُ الثاني

بِنِيَةِ التَّنَاصِّ الشُّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ:

1- نَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الْخَاصِّ الْمُحَدَّدِ

2- نَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الْعَامِّ الْمُتَعَدِّدِ

يُعَدُّ التَّنَاصُ\* مُصْطَلَحًا حَدِيثًا وَأَدَاةً نَقْدِيَّةً فِي تَأْوِيلِ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ تَتَسِمُ بِالْخُصُوصِيَّةِ وَالْحُصُوبَةِ، وَيُشَكِّلُ أَحَدَ الْبَنَى اللَّغَوِيَّةِ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ، فَعَمَلِيَّةُ الْإِبْدَاعِ تَرْتَكِزُ عَلَى "مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبَنَى اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي تَتَسَرَّبُ مِنْ نَصٍّ إِلَى آخَرَ، عَبْرَ مَرَاوِجٍ زَمْنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَيْسَتْ الْقَصِيدَةُ الْمُعَاصِرَةُ، فِي بَعْضِ حَوَانِبِهَا، إِلَّا مَزِيجًا مِمَّا اسْتَقَرَّ فِي ذَاكِرَةِ الشَّاعِرِ الْمُبْدِعِ مِنْ مَخْزُونَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ مَعْرِفِيَّةٍ مُخْتَلِفَةِ الْمَصَادِرِ". (2) وَقَدْ

فَعَلَى مُسْتَوَى النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ بَدَأَ مَفْهُومُ التَّنَاصِ فِي الظُّهُورِ مَعَ الشُّكْلِيِّينَ الرُّوسِ، وَيُعَدُّ شَلُوفِسْكِيَّيْ أَوَّلَ مَنْ قَدَحَ شَرَارَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ مَعَ مِيخَائِيلِ بَاخْتِينَ (M. Bakhtine) (1890م-1975م) نَظْرِيَّةً نَقْدِيَّةً تَقُومُ عَلَى التَّدَاخُلِ بَيْنَ النُّصُوصِ، وَقَدْ اسْتَعْدَمَ بَاخْتِينَ مُصْطَلَحَ الْحِوَارِيَّةِ (Dialogisme) لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّنَاصِ. (3) وَالْوَاقِعُ أَنَّ مَفْهُومَ التَّنَاصِ نَشَأَ فِي سِيَاقِ الشُّكْلِ بِحَدُودِ الْأُسُسِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْفَلَسَفِيَّةِ الَّتِي اسْتَنْدَتْ إِلَيْهَا الْبِنْيُوتِيَّةُ، فَدِرَاسَةُ النَّصِّ كَمَوْضُوعٍ لُغَوِيٍّ أَكَّدَ وَجُودَ بِنْيَةٍ لَكِنَّهَا بِنْيَةٌ لَا مَرَكَّزَ لَهَا وَلَا تَعْرِفُ الْإِنْغِلَاقَ. (4) وَارْتَبَطَ التَّنَاصُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوْلِيَا كْرِيسْتِيْفَا (J. Kristiva) مِنْ خِلَالِ أبحاثٍ عَدِيدَةٍ لَهَا نُشِرَتْ بَيْنَ عَامَيْ 1966م وَ1967م فِي مَجَلَّتِي (Tel-Quel Critique) (5)، وَنُشِرَتْ فِي كِتَابَيْهَا سِيمِيُوتِيك (Semiotiké) وَنَصُّ الرِّوَايَةِ (Texte du roman) مُتَأَثِّرَةً بِأَعْمَالِ بَاخْتِينَ حَوْلَ الْحِوَارِيَّةِ. (6) فَكْرِيسْتِيْفَا ثَوَّكَّدَ حَقِيقَةَ التَّنَاصِ بِنَفْيِهَا لَوْجُودِ نَصٍّ يَكُونُ خَالِيًا مِنْ مُدَاخَلَاتِ نُصُوصٍ أُخْرَى. (7) وَكُلُّ نَصٍّ هُوَ "عِبَارَةٌ عَنِ لَوْحَةٍ فُسَيْفَسَائِيَّةٍ مِنَ الْإِقْتِبَاسَاتِ، وَكُلُّ نَصٍّ هُوَ تَشْرُبٌ لِنُصُوصٍ أُخْرَى". (8) وَيَتَحَدَّدُ التَّنَاصُ مِنْ خِلَالِ النَّظَرِ إِلَى النَّصِّ بِوصْفِهِ "جِهَازَ عِبْرَ لِسَانِي يُعِيدُ تَوْزِيعَ نِظَامِ اللِّسَانِ بِوَاسِطَةِ الرِّبْطِ بَيْنَ كَلَامٍ تَوَاصُلِيٍّ يَهْدَفُ إِلَى الْإِحْبَارِ الْمُبَاشِرِ وَيَبْنِي أَنْمَاطَ عَدِيدَةٍ مِنَ الْمَلْفُوظَاتِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِ أَوْ الْمُتَزَامِنَةِ مَعَهُ، فَالنَّصُّ إِذَنْ إِنْتَاجِيَّةٌ". (9) وَتَصِلُ كْرِيسْتِيْفَا إِلَى أَنَّ التَّنَاصَ "تَرَحَّالٌ لِلنُّصُوصِ وَتَدَاخُلٌ نَصِّيٌّ، فَبَيْنَ فَضَاءِ نَصٍّ مُعَيَّنٍ تَتَقَاطَعُ وَتَتَنَافَى مَلْفُوظَاتٌ عَدِيدَةٌ مُقْتَطَعَةٌ مِنْ نُصُوصٍ أُخْرَى". (10) وَتُوظَّفُ كْرِيسْتِيْفَا مُصْطَلَحًا آخَرَ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَبْدَأِ التَّنَاصِيِّ لِلنُّصُوصِ هُوَ مُصْطَلَحُ إِيدِيُولُوجِيَم (Idéologème) الَّذِي يُشِيرُ إِلَى "تِلْكَ الْوَضِيفَةِ لِلتَّدَاخُلِ التَّنَاصِيِّ الَّتِي

(\* تنوع مصطلحاته في اللغة العربية بين (التنصص) و(التنصيصية)، و(التدخال النصي)، و(التنصيصية)، و(البينصية)، و(التعالى النصي)، و(التفاعل النصي)، و(النص الغائب) و(تعالق النصوص) و(توارد النصوص) و(الحوار بين النصوص) و(النصية) و(الدلالة الثقافية) و(الصور الإشارية)، وتنوع في اللغات الأجنبية بين (Intertexte) أو (Intertextuality) أو (Intertextualité) أو (Transtextualité)، وعلى تعدد المصطلحات فإن دلالة (التعالق) أو (التفاعل) أو (التدخال) متضمنة في كل مصطلح بصورة أو بأخرى.

(1) أحمد طعمة حلي: التنصص بين النظرية والتطبيق، شعر البياتي نموذجاً، الهيئة العام السورية للكتاب، دمشق، 2007، ص: 5.

(2) دومينيك مونفانو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد بيجاتن، وزارة الثقافة، ط: 1، 2005، ص: 33.

(3) شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 2005، ص: 175.

(4) المرجع نفسه، ص: 172.

(5) أحمد طعمة حلي: التنصص بين النظرية والتطبيق، ص: 19.

(6) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ص: 322.

(7) المرجع نفسه، ص: 322.

(8) حوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، مر: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: 2، 1997، ص: 21.

(9) المرجع نفسه، ص: 21.

يُمْكِنُ قِرَاءَتَهَا مَادِيًا عَلَى مُخْتَلَفِ مُسْتَوِيَاتِ بِنَاءِ كُلِّ نَصٍّ مُمْتَدِّ عَلَى طَوْلِ مَسَارِهِ مَانِحَةً إِيَّاهُ مُعْطِيَاتِهِ التَّارِيخِيَّةَ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةَ".<sup>(1)</sup> فالإيديولوجيم هُوَ تَقَاعُظُ نِظَامِ نَصٍّ مُعَيَّنٍ مَعَ جَمِيعِ الْمَفْعُولَاتِ الَّتِي سِيَقَ عَبْرَهَا فِي فِضَائِهِ أَوْ الَّتِي يُحِيلُ إِلَيْهَا فِي فِضَاءِ النُّصُوصِ الْخَارِجِيَّةِ.<sup>(2)</sup>

وَدَرَسَتْ كَرِيسْتِيْفَا الْفِضَاءَ الْمْتَدَاخِلَ نَصِيًّا فِي شِعْرِ لُوتْرِيَامُون (Lautréamont) حَيْثُ تُمَيِّزُ ثَلَاثَةَ أَنْمَاطٍ مِنَ التَّرَابُطَاتِ أَوْ التَّصْحِيفَاتِ \*؛ بَيْنَ الْمَقَاعِ الشُّعْرِيَّةِ تَمَثُّلٌ فِي النَّفْيِ الْكُلِّيِّ الَّذِي يَكُونُ الْمَقْطَعُ الدَّخِيلُ فِيهِ مَنَفِيًّا كَلِيَّةً، وَمَعْنَى النَّصِّ الْمَرْجِعِيِّ مَقْلُوبًا، وَفِي النَّفْيِ الْمُتَوَازِي الَّذِي يَكُونُ فِيهِ يَظَلُّ الْمَعْنَى الْمُنْطَقِيَّةُ لِلْمَقْطَعَيْنِ هُوَ نَفْسُهُ إِلَّا أَنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ يُمْنَحَ النَّصُّ الْمَرْجِعِيُّ مَعْنَى جَدِيدًا، وَفِي النَّفْيِ الْجُزْئِيِّ الَّذِي يَكُونُ جُزْءًا وَاحِدًا فَقَطُّ مِنَ النَّصِّ الْمَرْجِعِيِّ مَنَفِيًّا.<sup>(4)</sup> وَتَنْتَهِي كَرِيسْتِيْفَا إِلَى عَدِّ الْحَوَارِ بَيْنَ النُّصُوصِ قَانُونًا جَوْهَرِيًّا، فَهِيَ نُصُوصٌ تَمَّ صِنَاعَتُهَا عَبْرَ امْتِنَاصِ النُّصُوصِ الْأُخْرَى، وَفِي الْآنِ نَفْسِهِ عَبْرَ هَدْمِ النُّصُوصِ الْأُخْرَى لِلْفِضَاءِ الْمْتَدَاخِلِ نَصِيًّا.<sup>(5)</sup> وَيَتَمَثَّلُ مَفْهُومُ التَّنَاصِّ فِي الْإِمْتِنَاصِ وَالتَّحْوِيلِ، وَهُوَ يَرْتَكِزُ عَلَى الْعِلَاقَةِ الْمُنْطَقِيَّةِ بَيْنَ النُّصُوصِ تَحْتَ مَا يُعْرَفُ بِتَنَاصِّ التَّأَلُّفِ وَتَنَاصِّ التَّخَالُفِ، وَهُوَ، بِهَذَا بِنَاءِ التَّمْطِينِ، يُعَدُّ تَنَاصًّا اقْتِنَاسِيًّا مُحَوَّرًا تُنْقَلُ فِيهِ بِنِيَّةٍ نَصِيَّةٌ مِنْ سِيَاقِهَا الْأَصْلِيِّ وَتُوضَعُ فِي سِيَاقٍ جَدِيدٍ، بَعْدَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِبَعْضِ التَّغْيِيرَاتِ مِنْ حَذْفٍ أَوْ إِضَافَةٍ أَوْ تَغْيِيرٍ فِي الْمَعْنَى بِالنَّفْيِ أَوْ التَّكْيِيدِ أَوْ التَّوَسُّعِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَشْكَالِ التَّغْيِيرِ.<sup>(6)</sup> وَيَأْخُذُ التَّنَاصُّ عِنْدَ حِيرَارِ جِينِيْت (G. Genette) مُصْطَلَحَ التَّعَالِي النَّصِّيِّ (Transtextualité)، وَهُوَ "مَا يَجْعَلُ النَّصَّ فِي عِلَاقَةٍ خَفِيَّةٍ أَمْ جَلِيَّةٍ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ النُّصُوصِ"، أَوْ هُوَ "التَّوَاجُدُ اللَّغَوِيُّ اللَّفْظِيُّ سِوَاءَ أَكَانَ نِسْبِيًّا أَمْ كَامِلًا أَمْ نَاقِصًا لِنَصٍّ فِي نَصٍّ آخَرَ".<sup>(7)</sup>

وَعَلَى مُسْتَوَى النُّقْدِ الْعَرَبِيِّ فَقَدْ عَرَّفَ مُحَمَّدٌ مَفْتَاخَ التَّنَاصِّ بِأَنَّهُ "تَعَالُقُ (الدُّخُولُ فِي عِلَاقَةِ نُصُوصٍ مَعَ نَصٍّ حَدِيثٍ بِكَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلَفَةٍ".<sup>(8)</sup> وَذَلِكَ وَقَدْ اسْتَحْلَصَ مَفْهُومَهُ لِلتَّنَاصِّ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي تَرَدَّدَتْ فِي النُّقْدِ الْعَرَبِيِّ، كَمَا فَسِّفَسَاءَ مِنْ نُصُوصٍ أُخْرَى أَدْمَجَتْ فِيهِ بِتَقْنِيَّاتٍ مُخْتَلَفَةٍ".<sup>(9)</sup> وَمِنْ هَذَا الْمَنْظُورِ فَإِنَّ مَفَاهِيمَ كَالْمُعَارِضَةِ وَالْمُعَارِضَةِ السَّاخِرَةِ وَالسَّرْقَةِ فِي النُّقْدِ الْعَرَبِيِّ وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَابَلَهَا فِي النُّقْدِ الْعَرَبِيِّ كَالْمُعَارِضَةِ، أَيْضًا،

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 22.

(2) المرجع نفسه، ص: 22.

(\*) وجدت كريستيفا من خلال مصطلح التصحيف (Paragramme) الذي وظفه دو سوسير (F. De Saussure) (1857م-1913م) في تصحيفاته (Anagrammes) التي سجلت تقاطع عدة خطابات دخيلة في اللغة الشعرية مجالاً لبناء خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية بتمتها بالتصحيفية (Paragrammatisme)، أي امتصاص نصوص متعددة داخل الرسالة الشعرية.

(3) المرجع نفسه، ص: 79.

(4) المرجع نفسه، ص: 79.

(5) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 22.

(6) المرجع السابق نفسه، ص: 28.

(7) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 121.

(8) المرجع نفسه، ص: 121.

وَالْمُنَاقِضَةِ، وَالسَّرِيفَةِ الْأَدْبِيَّةِ تَدْخُلُ جَمِيعًا ضِمْنَ التَّنَاصِّ، وَتَنْطَوِي تَحْتَ أَحَدِ الشُّكْلَيْنِ الْآتِيَيْنِ: شَكْلُ الْمَحَاكَاةِ السَّاحِرَةِ (التَّفْيِضَةِ) أَوْ شَكْلُ الْمَحَاكَاةِ الْمُقْتَدِيَّةِ (المُعَارِضَةِ)، وَيَكُونُ التَّنَاصُّ بِذَلِكَ شَيْئًا: "لَا مَنَاصَ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَا فِكَاكَ لِلإِنْسَانِ مِنْ شُرُوطِهِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ وَمُحْتَوَيَاتِهِمَا، وَمِنْ تَارِيخِهِ الشَّخْصِيِّ أَيْ مِنْ ذَاكِرَتِهِ، فَأَسَاسُ إِنتَاجِ أَيْ نَصِّ هُوَ مَعْرِفَةُ صَاحِبِهِ لِلْعَالَمِ، وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ هِيَ رَكِيزَةٌ تَأْوِيلِ النِّصِّ مِنْ قِبَلِ الْمُتَلَقِّيِّ".<sup>(1)</sup> وَيَتَحَوَّلُ الْكَاتِبُ أَوْ الشَّاعِرُ، مَعَ التَّنَاصِّ، إِلَى "مُعِيدٍ لِإِنْتِاجِ سَابِقٍ فِي حُدُودِ مِنَ الْحُرِّيَّةِ، سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ الإِنْتِاجُ لِنَفْسِهِ أَوْ لغيرِهِ".<sup>(2)</sup> مِمَّا يَجْعَلُ هَذَا الشُّكْلَ مِنَ التَّنَاصِّ يَأْخُذُ بَعْدًا دَاحِلِيًّا أَوْ خَارِجِيًّا، وَلَيْسَ لِلشَّاعِرِ حِيلَةٌ فِي التَّخَلِّيِ عَنْهُ.

وَتَنَاوَلُ مُحَمَّدٌ بَنِيْسٌ (1948م-...) مَفْهُومَ التَّنَاصِّ تَحْتَ مُصْطَلَحِ (النِّصِّ الْعَائِبِ)، بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، وَمِصْطَلَحِ (هَجْرَةِ النِّصِّ) وَ(التَّدَاخُلِ النَّصِّيِّ) وَ(النِّصِّ الأَثَرِ) وَ(النِّصِّ الصِّدْيِ)، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، يَنْطَلِقُ بَنِيْسٌ فِي تَعْرِيفِ النِّصِّ الْعَائِبِ مِنْ مَلَاخَظَةٍ وَقَعَ النِّصُّ الشَّعْرِيُّ، فَهُوَ اسْتِنَادًا إِلَى كَوْنِهِ بَنِيَّةً لِعُويَّةٍ مُتَمَيِّزَةً يَتَرَكَّبُ "مِنْ مُسْتَوِيَّاتٍ مُعَقَّدَةٍ مِنَ الْعَلَاتِقِ اللُّغَوِيَّةِ، الدَّاحِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ، الَّتِي تَتَحَكَّمُ جَمِيعَهَا فِي نَسْجِ تَرَابُطِهِ، وَبَنِيَّتِهِ عَلَى نَمُودَجٍ يَخْتَصُّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، مَهْمَا كَانَتْ صِلَاتُ الْقَرَابَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النُّصُوصِ اللُّغَوِيَّةِ الأُخْرَى، مِنْ شَعْرِيَّةٍ وَنَثْرِيَّةٍ، فِي اللِّحْظَةِ التَّارِيخِيَّةِ نَفْسَهَا الَّتِي كُتِبَ فِيهَا، أَوْ فِي الفَتْرَاتِ التَّارِيخِيَّةِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِ".<sup>(3)</sup> وَالإِقْرَارُ بِهَذِهِ الْعِلَاقَةِ اللُّغَوِيَّةِ بَيْنَ النُّصُوصِ هُوَ إِقْرَارٌ بِالْكِتَابَةِ نَفْسَهَا لِأَنَّ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ تَتَمُّ مِنْ خِلَالِ الْكِتَابَةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ النِّصَّ، عِنْدَمَا يَرْتَبِطُ بِالنُّصُوصِ الأُخْرَى، مِنْ خِلَالِ تَرَابُطَاتِهِ اللُّغَوِيَّةِ، يُحَقِّقُ لِنَفْسِهِ كِتَابَةً مُغَايِرَةً حَتْمًا لِلنُّصُوصِ الأُخْرَى، فَيُدمِجُهَا فِي أَصْلِهِ، وَيَضْغِطُهَا بَيْنَ نَيَّابِ الصَّوَائِتِ وَالصَّوَامِتِ بِطَرِيقَةٍ قَدْ لَمْ تَرَاهَا الْعَيْنُ الْمُجْرَدَةُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ كِتَابَةَ النِّصِّ هِيَ قِرَاءَةٌ نَوْعِيَّةٌ لِهَذِهِ النُّصُوصِ بَوْعِيٍّ خَاصٌّ يَتَحَكَّمُ فِي نَسَقِ النِّصِّ".<sup>(4)</sup> وَيُوظَّفُ بَنِيْسٌ فِي البَحْثِ عَنِ القِرَاءَةِ التَّوَعِيَّةِ لِلنِّصِّ الْعَائِبِ ثَلَاثَةَ مَعَايِيرَ، يَمْنَحُهَا صِبْغَةَ القَوَانِينِ، وَيَرَى أَنَّهَا مُحَدَّدَةٌ لِلوَعْيِ المِصَاحِبِ لِقِرَاءَةِ النِّصِّ الْعَائِبِ، وَهِيَ الإِجْتِرَارُ وَالإِمْتِنَاصُ وَالْحِوَارُ.

وَيَتَنَاوَلُ عَبْدُ اللَّهِ الغَدَامِيُّ مَفْهُومَ التَّنَاصِّ أَوْ بِمِصْطَلَحِهِ تَدَاخُلِ النُّصُوصِ أَوْ النُّصُوصِ المُتَدَاخِلَةِ فِي سِيَاقِ الحَدِيثِ عَنِ نَظْرِيَّةِ حَاكِ دَرِيدَا الَّتِي يُلْغِي مِنْ خِلَالِهَا وُجُودَ حُدُودٍ بَيْنَ نَصِّ وَآخَرَ، وَتَقُومُ هَذِهِ النَّظْرِيَّةُ "عَلَى مَبْدَأِ الإِقْتِبَاسِ وَمَنْ ثُمَّ تَدَاخُلِ النُّصُوصِ، لِأَنَّ أَيْ نَصًّا أَوْ جُزْءًا مِنْ نَصِّ لهُوَ دَائِمٌ التَّعَرُّضُ لِلتَّقْلِيلِ إِلَى سِيَاقِ آخَرَ فِي زَمَنِ آخَرَ، فَكُلُّ نَصٍّ أَدْبِيٍّ هُوَ خُلَاصَةٌ تَأْلِيفٍ لِعَدَدٍ مِنَ الكَلِمَاتِ، وَالكَلِمَاتُ هَذِهِ سَابِقَةٌ لِلنِّصِّ فِي وُجُودِهَا، كَمَا أَنَّهَا قَابِلَةٌ لِلإِنْتِقَالِ إِلَى نَصِّ آخَرَ، وَهِيَ بِهَذَا كُلِّهِ تَحْمِلُ مَعَهَا تَارِيخَهَا القَدِيمَ وَالمُكْتَسَبَ، وَهَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ بِشَكْلِ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 123.

(2) المرجع نفسه، ص: 125.

(3) محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت لبنان، ط: 1، 1979، ص: 251.

(4) المرجع نفسه، ص: 252.

مُطْلَقٍ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَأَيِّ مَكَانٍ، وَالْمَادَّةُ الْمُقْتَطَعَةُ تَنْفَصِلُ مِنْ سِيَاقِهَا لِتُقِيمَ مَا لَا يُحْصَرُ مِنَ السِّيَاقَاتِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي لَا تَحُدُّهَا حُدُودٌ، وَلِذَا فَإِنَّ السِّيَاقَ دَائِبُ التَّحْرُكِ، وَيُنْتَجُ عَنْ هَذَا أَنَّ أَيَّ نَصٍّ هُوَ خُلَاصَةٌ لِمَا لَا يُحْصَى مِنَ النُّصُوصِ قَبْلَهُ".<sup>(1)</sup> وَيَجْعَلُ الْغَدَامِيُّ مِنَ مُصْطَلَحِ النُّصُوصِ الْمُتَدَاخِلَةِ مُصْطَلَحًا سِيمِيُولُوجِيًّا تَفْكِيكِيًّا، يَرْتَكِزُ عَلَى "أَنَّ النُّصُوصَ تُشِيرُ إِلَى نُصُوصٍ أُخْرَى".<sup>(2)</sup> وَيَسْتَقِي الْغَدَامِيُّ مَفْهُومَهُ لِلتَّنَاصِّ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ السِيمِيُولُوجِيِّ الَّذِي تَتَضَافَرُ فِيهِ نَظَرِيَّةُ النُّصُوصِ الْمُتَدَاخِلَةِ مَعَ نَظَرِيَّةِ الْإِشَارَاتِ الْحُرَّةِ لِتَسْمَحَ لِلْإِبْدَاعِ الْأَدْبِيِّ كَيْ يَكُونَ إِبْدَاعًا فِي النَّصِّ نَفْسِهِ، يَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِ قِرَاءَةِ النَّصِّ.<sup>(3)</sup> وَالْوَاضِحُ أَنَّ الْغَدَامِيَّ لَمْ يَقُمْ بِصِيَاعَةِ مَفْهُومٍ خَاصٍّ لِلتَّنَاصِّ تَعْتَمِدُ مَكُونَاتِهِ عَلَى مَا عُرِفَ فِي الثَّرَاثِ وَتَجَسَّدَ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ كَفَنَّ الْمُعَارِضَاتِ وَعَظِيمِهَا، وَإِنَّمَا يَتَبَنَّى مَفَاهِيمَ التَّنَاصِّ الَّتِي صَاغَهَا كُلُّ مَنْ كَرِيسْتِيْفَا وَبَارْت وَشُولز وَكَيْتَش.<sup>(4)</sup>

### 1- بِنْيَةُ التَّنَاصِّ الشُّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ:

تُعْنَى الْقَصِيدَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُعَاَصِرَةُ بِتَوْظِيفِ التَّنَاصِّ بِمُخْتَلَفِ مَكُونَاتِهِ وَمَظَاهِرِهِ وَعَلَى تَنُوعِ مَصَادِرِهِ تَعْمِيقًا لِدَلَالَاتِهَا وَتَحْدِيدًا لِعَنَاصِرِهَا وَتَقْنِيَاتِهَا وَتَعْزِيزًا لِرُؤْيَا الشَّاعِرِ فِي قَضِيَّتِهِ أَوْ رُؤْيَتِهِ الَّتِي يَطْرَحُهَا.<sup>(5)</sup> وَقَدْ حَظِيَ النَّصُّ الثَّرَاثِي فِي تَحْلِيَاتِهِ الْأَدَبِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ، بِاهْتِمَامِ الشَّاعِرِ الْمُعَاَصِرِ، وَوَقَّعَتْ وَرَاءَ تَوْظِيفِهِ "مَجْمُوعَةٌ مِنَ الدَّوَائِعِ الثَّقَافِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالفَنِّيَّةِ، تَأَزَّرَتْ فِيهَا بَيْنَهَا وَأَنْصَهَرَتْ فِي بَوْتَقَةِ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَتْ الشَّاعِرَ يَنْظُرُ إِلَى الثَّرَاثِ كَيْتَبُوعٍ لِلْقِيمِ الرُّوحِيَّةِ وَالفَنِّيَّةِ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَمُدَّ الْقَصِيدَةَ بِطَاقَاتٍ حَيَوِيَّةٍ لَا تَنْضَبُ".<sup>(6)</sup> وَأَتَّسَعَتْ حَدَقَةُ الشَّاعِرِ الْمُعَاَصِرِ، وَتَنَامَتْ بَصِيرَتُهُ عَبْرَ دَائِرَةِ الْوُجُودِ كُلِّهِ، فَاسْتَقَى مَادَّتَهُ، عَبْرَ مَعَارِفِ جَمَّةٍ فِي عَصُورٍ مُتَفَاوِتَةٍ، إِذْ نَهَلَ مِنَ الْحَضَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَارِيخِيَّهَا وَثَرَاثِهَا الرُّوحِيَّ وَالْأَسْطُورِيَّ وَالشُّعْبِيَّ وَالْخُرَافِيَّ، مُتَوَسِّعًا أَيَّمَا تَوْسُّعٍ، مُثْرِيًا بِذَلِكَ تَجْرِبَتَهُ وَإِبْدَاعَهُ، فَعَمِلَ ذَلِكَ -جَمِيعُهُ- عَلَى تَوْسِيعِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ وَإِثْرَاتِهَا، فَلَمْ تُعَدَّ تَقْتَصِرْ عَلَى التَّضْمِينِ وَحَدِّهِ، وَإِنَّمَا شَرَعَتْ تَدُورُ فِي فِضَاءٍ كُلِّيٍّ يُعْجَبُ بِالرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ وَالْعَلَامَاتِ حَتَّى أَضْحَى التَّنَاصُّ مَنْظُورًا شَامِلًا وَدَائِرَةً مُتَّسِعَةً الْأَرْجَاءِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ الْقَصِيدَةُ الْحَدِيثَةُ أَقْدَرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهَا لِمَا تُثْمَلُهُ مِنْ حُرِّيَّةٍ وَمُرُونَةٍ يَصُبُّ فِيهَا الشَّاعِرُ كُلُّ مَا يَكْتَنِفُهُ بِبَصِيرَتِهِ وَوَجْدَانِهِ مِنْ إِرْهَاصَاتٍ وَرُؤْيَى حَبِيبَةٍ".<sup>(7)</sup> وَقَدْ تَجَسَّدَ التَّنَاصُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ مِنْ خِلَالِ نَمَازِجٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ النُّصُوصِ الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي يَتَّصِفُ فِيهَا النَّصُّ السَّابِقُ بِاتِّسَاقِهِ

(1) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص: 55.

(2) المرجع نفسه، ص: 321.

(3) المرجع نفسه، ص: 324.

(4) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 58.

(5) أحمد الرعي: أساليب القصيدة المعاصرة، دراسة حركة الشعر في الأردن وفلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:

1، 2007، ص: 134.

(6) عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1994، ص: 139.

(7) عبد العاطي كيوان: التناص القرآني في شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: 1، 1419هـ / 1998، ص: 11.

وَأَنْسِجَامِهِ مَعَ النَّصِّ اللَّاحِقِ، وَيَتَمَيَّزُ بِعُمُقِ دَلَالَتِهِ فِي سِيَاقِهِ الْجَدِيدِ، وَيَتَجَلَّى التَّنَاصُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مَظْهَرُهُ الْعَامُّ مِنْ خِلَالِ نَسَقَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، أَحَدُهُمَا التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ الْخَاصُّ أَوْ الْمُحَدَّدُ، وَيَقُومُ التَّنَاصُّ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ حِوَارٍ أَوْ عِلَاقَةٍ بَيْنَ نَصِّ شِعْرِيٍّ وَنَصِّ شِعْرِيٍّ آخَرَ مُحَدَّدٍ وَمُعَيَّنٍ ظَاهِرٍ أَوْ خَفِيِّ، وَيَبْرُزُ هَذَا النَّسَقُ فِي الْمَعَارِضَةِ الشُّعْرِيَّةِ، فَهِيَ بِوَصْفِهَا "حِوَارًا بَيْنَ نَصِّ لَاحِقٍ وَآخَرَ سَابِقٍ تَدْخُلُ فِي النَّوعِ الْخَاصِّ وَالظَّاهِرِ لِلتَّنَاصِّ".<sup>(1)</sup> وَمِنْ خِلَالِ نَسَقِ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الْخَاصِّ وَالْمُحَدَّدِ تَنْكَشِفُ الْعِلَاقَاتُ الْكَلِمِيَّةُ الَّتِي لَا تَحْدُثُ عَلَى الْمُسْتَوَى الشِّكْلِيِّ أَوْ الْفَنِّيِّ وَإِنَّمَا تَمَسُّ الْمُحْتَوَى أَوْ الْمَضْمُونِ وَمَا يُمَثِّلُهُ مِنَ الرَّؤْيِ وَالْمَوَاقِفِ وَالنِّيَّمَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ أَوْ الْمُخْتَلِفَةِ بَيْنَ النُّصُوصِ (المَعَارِضَاتِ وَالنَّقَائِضِ)، وَيَنْدَرِجُ هَذَا النَّسَقُ فِي مَفْهُومِ (التَّعْلُقِ النَّصِّيِّ) أَوْ (النَّصِيَّةِ الْمُتَفَرِّعَةِ) (Hypertextualite) الَّتِي أُرْسِي مَفْهُومَهَا فِي تَقَالِيدِ الشُّعْرِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ جِيرَارِ جِنِيْتِ (G. Genette).<sup>(2)</sup> وَالنَّسَقُ الثَّانِي هُوَ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ الْعَامُّ الْمُتَعَدَّدُ الَّذِي يَقُومُ التَّنَاصُّ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ حِوَارٍ أَوْ عِلَاقَةٍ بَيْنَ نَصِّ شِعْرِيٍّ وَنُّصُوصٍ أُخْرَى مُخْتَلِفَةٍ جِنْسًا وَنَوْعًا، وَمِنْ خِلَالِ نَسَقِ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الْعَامِّ وَالْمُتَعَدَّدِ تَنْكَشِفُ الْعِلَاقَاتُ الْجُزْئِيَّةُ الَّتِي تَرْتَبِطُ بَيْنَ النُّصُوصِ خَارِجَ إِطَارِ الْمَعَارِضَاتِ وَالنَّقَائِضِ، وَتَنْكَشِفُ عِلَاقَةُ حُضُورِ فَعَالٍ لِنَصٍّ أَوْ أَكْثَرَ دَاخِلَ نَصٍّ عَنْ طَرِيقِ مَا يُعْرَفُ بِالتَّضْمِينِ أَوْ الْاِقْتِبَاسِ أَوْ مَا يُعْرَفُ، أَيْضًا، بِالِاسْتِشْهَادِ (Citation) أَوْ السَّرْقَةِ (Plagiat) أَوْ التَّلْمِيحِ (Allusion)<sup>(3)</sup> وَغَيْرِهَا مِنْ صُورِ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ.

وَإِذَا كَانَ نَسَقُ التَّفَاعُلِ الْمُتَعَدَّدِ أَكْثَرَ كَثَافَةً فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِانْفِتَاحِهَا عَلَى نُّصُوصٍ مَتَّوَعَةٍ الْمَصَادِرِ فَإِنَّ نَسَقَ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الْمُحَدَّدِ أَقَلُّ كَثَافَةً لِارْتِبَاطِهِ عَادَةً بِنُّصُوصِ الْمَعَارِضَاتِ وَالنَّقَائِضِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ بِالْقِيَاسِ إِلَى النُّصُوصِ الْأُولَى.

(1) عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب التقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص: 59.  
(2) عمر عبد الواحد: دوائر التناص، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، ط: 1، 2003، ص: 14.  
(3) عمر عبد الواحد: دوائر التناص، ص: 13.

1- نَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِيِّ الْخَاصِّ الْمُحَدَّدِ

1-1- التَّفَاعُلُ النَّصِيُّ عَلَى مُسْتَوَى الْمَعَارِضَةِ الشُّعْرِيَّةِ

1-2- التَّفَاعُلُ النَّصِيُّ عَلَى مُسْتَوَى التَّقِيضَةِ الشُّعْرِيَّةِ

يَزْخُرُ الْمَتْنُ الشَّعْرِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْمَعَاوِرُ بِعَلَاقَاتِهِ النَّصِيَّةِ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِالْمَتْنِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ، وَتَكْشِفُ مُقَابَرَةَ هَذَا الْمَتْنِ عَنَ وُجُودِ نُصُوصٍ شَعْرِيَّةٍ تَتَطَلَّبُ قِرَاءَتُهَا "اسْتِحْضَارَ نُصُوصٍ أَوْ مَثُونٍ سَابِقَةٍ دَرَجَاتٍ مِنَ التَّطَلُّبِ قَدْ تَصَلُّ حُدَّ (الْإِفْتِقَارِ))، وَيَعْنِي ذَلِكَ اِرْتِبَاطَ اللَّاحِقِ بِالسَّابِقِ فِي فَهْمِهِ وَاشْتِعَالِهِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْبَارُودِيَا (الْمَحَاكَاةِ السَّاحِرَةِ) وَالْمَعَارِضَاتِ وَالتَّفَائِضِ (سِوَاةِ تَعَلُّقِ الْأَمْرِ بِالنَّصِّ كُلِّهِ أَوْ بِصُورَةٍ أَوْ صُورٍ مِنْهُ) وَصُولاَ إِلَى التَّضْمِينِ وَالْإِفْتِبَاسِ وَغَيْرِهَا مِنْ صُورِ الْبِنَاءِ عَلَى نُصُوصٍ سَابِقَةٍ، فَفِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ نَقُولُ إِنَّ الْمَدْخَلَ الْأَسَاسِيَّ هُوَ الْمَدْخَلُ التَّنَاصِيَّ، وَيَأْتِي الْمَدْخَلُ اللِّسَانِيُّ بِمَا فِيهِ مِنْ تَعْيِيرَاتٍ دَلَالِيَّةٍ وَتَوَازُنَاتٍ صَوْتِيَّةٍ تَابِعًا لَهُ خَادِمًا لِاسْتِرَاتِيَجِيَّتِهِ". (1)

وَيُمَثِّلُ الْمَصْدَرُ الْأَدَبِيُّ الشَّعْرِيُّ بِمُخْتَلَفِ تَحْلِيلَاتِهِ أَهَمَّ الْمَصَادِرِ لِلتَّنَاصِ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَهُوَ وَسِيلَةٌ الشَّاعِرِ الْإِسْلَامِيِّ لِبِنَاءِ قَصِيدَتِهِ وَإِعْنَاءِ إِيقَاعَاتِهَا وَإِثْرَاءِ دَلَالَاتِهَا وَتَرْسِيخِ مَوْقِفِهِ الْعَقْدِيِّ وَالْفِكْرِيِّ الَّذِي يُمَلِّيه التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ لِلَّهِ وَالْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ وَالْوُجُودِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، هَذَا التَّصَوُّرُ الْفَرِيدُ أَوْ الرُّؤْيُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَتَمَيَّزُ عَنَ كُلِّ الرُّؤْيِ وَتَخْتَلِفُ عَنَ كُلِّ التَّصَوُّرَاتِ. يُفِيدُ الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمَصْدَرِ مِنْ بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فِي أَبْرَزِ نَمُودَجٍ لَهَا وَأَكْمَلِ شَكْلِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ تَجْرِبَةُ الشَّاعِرِ الْقَدِيمِ وَهُوَ الْقَصِيدَةُ الْمَعْلُوقَةُ، فَيَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهَا الْفَنِيَّ وَيَبْنِي عَلَى شَكْلِهَا (الْعَمُودِيَّ) قَصِيدَتَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْفُخُ فِيهَا رُوحًا جَدِيدَةً غَيْرَ الرُّوحِ الْقَدِيمَةِ وَيَصُبُّ فِيهَا مَضْمُونًا فِكْرِيًّا إِسْلَامِيًّا غَيْرَ الْمَضْمُونِ الْجَاهِلِيِّ، وَيَدْعُ فَتَهُ عَلَى هُدَى مِنْ رُؤْيَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَيَتَجَسَّدُ ذَلِكَ التَّنَاصُ فِي ظَاهِرَةٍ مِنَ الظُّوَاهِرِ الَّتِي رَصَدَهَا التُّقَادُ الْعَرَبُ وَغَيْرُ الْعَرَبِ، وَالتِّي تَكْشِفُ عَنَ الْعَلَاقَاتِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ النُّصُوصِ وَإِن لَمْ يُوضَعْ لَهَا الْمَصْطَلَحُ الْجَمْعُ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهَا فَلَمْ تُؤَطَّرْ ضِمْنَ إِطَارٍ خَاصٍّ يُنظِّمُهَا وَيُمْكِّنُ مِنْ مُلَامَسَتِهَا فِي كَلِمَتِهَا وَيُقَدِّمُهَا لَنَا فِي إِطَارٍ كَلِمِيٍّ تَجْرِيدِيٍّ، وَعَدْرُهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ فِي رَصْدِهِمُ لِلْعَلَاقَاتِ بَيْنَ النُّصُوصِ لَيْسَ مِنْ تَصَوُّرٍ نَظْرِيٍّ مَلْمُوسٍ وَمُحَدَّدٍ، وَإِنَّمَا كَانَ أَسَاسُ بَحْثِهِمْ وَرَصْدِهِمُ لِلْعَلَاقَاتِ بَيْنَ النُّصُوصِ يَرْتَهُنُ إِلَى غَايَاتٍ تَقْوِيمِيَّةٍ وَتَقْيِيمِيَّةٍ خَاصَّةٍ، فَكَانُوا يُعَيِّنُونَ نَوْعَ (التَّفَاعُلِ النَّصِيَّ) الْقَائِمِ فَيُوجِدُونَ لَهُ مُصْطَلَحًا خَاصًّا يَخْتَلِفُ عَنَ غَيْرِهِ، فَكَانَتْ نَتِيجَةُ أَعْمَالِهِمْ -مَعَ مَا فِيهَا مِنْ جُهْدٍ كَبِيرٍ وَدَقِيقٍ فِي التَّقْصِي- قَاصِرَةً عَنِ الشُّمُولِ وَالتَّجْرِيدِ". (2) إِنَّ تِلْكَ الظَّاهِرَةَ تَتَجَسَّدُ فِي الْمَعَارِضَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى "مَحَاكَاةِ شَاعِرٍ لِشَاعِرٍ آخَرَ فِي قَصِيدَةٍ يَأْتِي بِهَا عَلَى وَزْنِ قَصِيدَةِ الشَّاعِرِ الْمَعَارِضِ وَقَافِيَتِهَا، وَذَلِكَ إِمَّا إِعْجَابًا بِهَا، كَمَعَارِضَةِ أَحْمَدَ شَوْقِي فِي قَصِيدَتِهِ (نَهْجُ الْبُرْدَةِ) لِابْرَدَةَ الْبُوصَيْرِيِّ، وَإِمَّا إِنْكَارًا لِمَا جَاءَ فِيهَا، كَمَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ

(1) عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب التقدي والبلاغي، ص: 5.

(2) المرجع نفسه، ص: 40.

طوقان مُعارضًا أحمد شوقي في قصيدة المعلم".<sup>(1)</sup> وَمِنْ خِلَالِ الْمُعَارِضَةِ يَتَحَلَّى التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ الْقَصِيدَةِ الْجَاهِلِيَّةِ (المُعلِّقَةِ) وَالْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ.

فَقَدْ لَجَأَ يُوْسُفُ الْعَظْمُ إِلَى مُعَارِضَةِ الْقَصَائِدِ الْمُعَلِّقَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، إِذْ يَقُولُ: "حَطَرَ لِي أَنْ أُعَارِضَ قَصَائِدَهُمْ، وَلَكِنْ بِرُوحِ إِسْلَامِيَّةٍ وَلِغَايَةِ إِيمَانِيَّةٍ، وَكَانَ هَذَا الدِّيْوَانُ (لَوْ أُسْلِمْتَ الْمُعَلِّقَاتُ) الَّذِي حَازَتْ فِيهِ مُجَازَفَةٌ كَبِيرَةٌ حِينَ أُعَارِضُ فُحُولَ الشُّعْرَاءِ، الَّذِينَ لَا يَجْرُؤُ شَاعِرٌ أَنْ يُعَارِضَهُمْ، وَلَكِنِّي فَعَلْتُ".<sup>(2)</sup> وَتُعَدُّ الْمُعَارِضَةُ ضَرْبًا مِنَ الْمُحَاكَاةِ، فَهِيَ تَدْخُلُ فِي التَّنَاصُّ الْأُسْلُوبِيِّ الَّذِي يَقْصِدُ فِيهِ الشَّاعِرُ إِلَى "إِقَامَةِ نَصٍّ جَدِيدٍ عَلَى خَلْفِيَّةِ نَصِّ سَابِقٍ، عَلَى مُسْتَوَى الْإِطَارِ أَوْ الشَّكْلِ الْخَارِجِيِّ، أَوْ هُوَ اسْتِلْهَامُ مَجْمُوعَةِ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُصَاغُ النُّصُوصُ النَّثْرِيَّةُ أَوْ الشُّعْرِيَّةُ بِالْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا، وَتَتَعَدَّدُ هَذِهِ الْوَسَائِلُ، فَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْبِنَاءِ الْهَيْكَلِيِّ لِلنَّصِّ السَّابِقِ، أَوْ بِالْجَانِبِ الْإِيقَاعِيِّ مِنْهُ كَالْوِزْنِ الشُّعْرِيِّ، أَوْ الْجَانِبِ الصَّوْتِيِّ كَالْقَافِيَةِ وَالرَّوْيِ، أَوْ بِتَكَرُّرِ بَعْضِ أَلْفَاظِ النَّصِّ السَّابِقِ وَتَرَكَيبِهِ وَحَرَسِ أَلْفَاظِهِ".<sup>(3)</sup> فَالْمُعَارِضَةُ، إِذَا، مِنَ التَّنَاصُّ الْقَصْدِيِّ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الشَّاعِرَ يَعِي مَا يَقُومُ بِهِ أَتْنَاءَ إِعَادَةِ كِتَابَةِ نَصِّ سَابِقٍ وَإِتْنَاجِ دَلَالَةٍ جَدِيدَةٍ.

وَيَتَضَحُّ أَثَرُ النَّصِّ الشُّعْرِيِّ الْجَاهِلِيِّ الْعَائِبِ فِي النَّصِّ الْإِسْلَامِيِّ الرَّاهِنِ فِي الْجَوَانِبِ الشَّكْلِيَّةِ الَّتِي تُجَسِّدُ بِنِيَّةِ الْفَنِّيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى التَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ وَالتَّرْكِيبِيِّ وَالْمَعْجَمِيِّ وَالصُّورِيِّ، وَقَدْ بَرَزَ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ، فِي هَذَا الْإِطَارِ، مِنْ خِلَالِ أَثَرِ السَّابِقِ فِي الْلَا حِقِّ عَلَى مُسْتَوَى الشَّكْلِ وَأَثَرِ الْلَا حِقِّ فِي السَّابِقِ عَلَى مُسْتَوَى الْمَحْتَوَى:

(نَصُّ جَاهِلِيٌّ ← نَصُّ إِسْلَامِيٌّ)

(نَصُّ إِسْلَامِيٌّ ← نَصُّ إِسْلَامِيٌّ)

تُمَثِّلُ هَذِهِ الْعَلَاقَةُ الْمُلَاحَظَةُ بَيْنَ النَّصِّينِ آيَةَ التَّحْوِيلِ الَّتِي يَنْهَضُ عَلَيْهَا كُلُّ حِوَارٍ تَنَاصِّيٍّ فَعَالٍ وَإِيْجَابِيٍّ تَكْشِفُ عَنْهُ مُقَابَرَةَ الْمُعَارِضَةِ الشُّعْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَحْتَ هَذَا النَّسَقِ كَنُوعٍ مِنَ التَّنَاصُّ أَوْ التَّعَلُّقِ النَّصِّيِّ، وَيَرْجِعُ إِدْرَاجُ الْمُعَارِضَةِ الشُّعْرِيَّةِ ضَمْنَ هَذَا النَّسَقِ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ صَرَّحَ بِهَا وَأَعْلَنَ عَنْهَا، وَإِذَا كَانَ التَّنَاصُّ ظَاهِرَةً لُغَوِيَّةً مُعَقَّدَةً تَسْتَعْصِي عَلَى الضَّبْطِ وَالتَّفْنِينِ إِذْ يَعْتَمِدُ فِي تَمْيِيزِهَا عَلَى ثِقَافَةِ الْمُتَلَقِّي وَسَعَةِ مَعْرِفَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى التَّرْجِيحِ، عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَوْشَرَاتٍ تَجْعَلُ التَّنَاصُّ يَكْشِفُ عَنْ نَفْسِهِ وَيُوجِّهُ الْقَارِئَ لِلْإِمْسَاكِ بِهِ، وَمِنْهَا التَّلَاعُبُ بِأَصْوَاتِ الْكَلِمَةِ وَالتَّصْرِيحُ بِالْمُعَارِضَةِ، وَاسْتِعْمَالُ لُغَةٍ وَسَطٍ مُعَيَّنٍ، وَالْإِحَالَةُ عَلَى جِنْسِ خَطَابِيٍّ بَرُمْتِهِ".<sup>(4)</sup> فَالتَّصْرِيحُ يُشِيرُ مُبَاشَرَةً إِلَى النَّصِّ الْمُتَحَاوِرِ مَعَهُ، وَتُصَنَّفُ مَسْأَلَةُ الْوَعْيِ بِالتَّنَاصُّ فِي نَوْعَيْنِ؛ نَوْعِ اعْتِبَاطِيٍّ غَيْرِ قَصْدِيٍّ، وَمَا يَنْدَرِجُ

(1) إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص: 412.

(2) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1421هـ-2001م، ص: 8.

(3) أحمد طعمة حلي: التناس بين النظرية والتطبيق، ص: 203.

(4) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 131.

فِيهِ لَيْسَ إِلَّا التَّضْمِينَاتِ مَجْهُولَةَ الصَّاحِبِ لِأَنَّهَا تَرُدُّ بِصُورَةٍ تِلْقَائِيَّةٍ أَوْ لَوَاعِيَّةٍ، وَتَقَعُ فِي النَّصِّ دُونَ اصْطِنَاعِ عِلْمَاتِ تَنْصِيصٍ. وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ لَا يَخْلُو مِنْهُ شِعْرُ شَاعِرٍ، أَوْ نَصُّ كَاتِبٍ، لِأَنَّ كُلَّ نَصٍّ مَبْنِيٌّ عَلَى ثَرَاتٍ ضَخْمٍ مِنْ نُصُوصٍ تَعَلَّعَتْ فِي بَنِيَّةِ اللُّغَةِ التَّارِيخِيَّةِ".<sup>(1)</sup> وَهَذَا النَّوعُ يُمَثِّلُ مَكُونَاتِ التَّنَاصِّ الَّتِي هِيَ جَمِيعُ النُّصُوصِ الْمُتَحَدِّرَةِ مِنْ نُصُوصٍ سَابِقَةٍ غَيْرِ حَاضِرَةٍ فِي أَثْنَاءِ الإِبْدَاعِ قَصْدًا.<sup>(2)</sup> وَنَوْعٌ قَصْدِيٌّ مَا يَكُونُ فِيهِ الْمُبْدَعُ وَاعِيًّا بِمَا يَسْتَحْضِرُ مِنْ نُصُوصٍ وَمَا يَصُوغُ مِنْ مُعْطِيَّاتٍ تَقَافِيَّةٍ وَمَا يَذْكَرُ مِنْ أَعْلَامٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ كَأَجْزَاءٍ مِنْ نُصُوصٍ غَائِبَةٍ أَوْ مُعْطِيَّاتٍ مِنْ حِكَايَاتٍ وَقِصَصٍ أَوْ إِشَارَاتٍ إِلَى قِضَايَا أَوْ إِقَاعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ، وَهَذَا النَّوعُ بِأَشْكَالِهِ يُمَثِّلُ مَظَاهِرَ التَّنَاصِّ.<sup>(3)</sup> وَلِهَذَا فَإِنَّ الْمَعَارِضَةَ مِنَ النَّوعِ الْقَصْدِيِّ الَّتِي يَكُونُ الشَّاعِرُ وَاعِيًّا بِهِ عِنْدَ مُمَارَسَتِهِ، وَيَتَوَزَّعُ النَّوعُ الْقَصْدِيُّ مِنَ التَّنَاصِّ عَلَى مُسْتَوَى الْمَعَارِضَةِ وَعَلَى مُسْتَوَى التَّقْيِضَةِ.

### 1-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ عَلَى مُسْتَوَى الْمَعَارِضَةِ الشَّعْرِيَّةِ:

وَيَتِمُّ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ عَلَى مُسْتَوَى الْمَعَارِضَةِ بَيْنَ سَبْعِ قِصَائِدَ إِسْلَامِيَّةٍ مُعَارِضَةٍ فِي دِيوَانِ (لَوْ أَسْلَمَتْ) الْمُعَلَّقَاتِ وَسَبْعِ قِصَائِدَ جَاهِلِيَّةٍ مُعَارِضَةٍ، هِيَ الْمُعَلَّقَاتُ الشَّهِيرَةُ، وَيُمَثِّلُ التَّفَاعُلُ أَوْ التَّعَالُقُ تَنَاصًّا بَيْنَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الإِسْلَامِيِّ وَالنَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْآخَرِ، وَقَدْ تَجَلَّى ذَلِكَ مِنْ حِلَالِ التَّصْنِيفِ الْآتِي:

#### 1-1-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ النَّصِّ الإِسْلَامِيِّ وَالنَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْجَاهِلِيِّ:

يَقُومُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الإِسْلَامِيِّ الَّذِي تُمَثِّلُهُ قِصَائِدُ الشَّاعِرِ الإِسْلَامِيِّ يُوسُفُ الْعَظْمِ الْمُعَارِضَةِ فِي دِيوَانِهِ (لَوْ أَسْلَمَتْ) الْمُعَلَّقَاتِ وَالنَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْجَاهِلِيِّ الَّذِي تُمَثِّلُهُ الْمُعَلَّقَاتُ الْجَاهِلِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ لِشُعْرَائِهَا الْمَعْرُوفِينَ، وَتَجْرِي الْمَقَارَبَةُ التَّنَاصِّ بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ كَمَا يَلِي:

#### 1-1-1-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي الْقِصِيدَةِ الشَّقِيقَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لِمَعْلَقَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

يَحْدُثُ هَذَا التَّفَاعُلُ بَيْنَ الْقِصِيدَةِ الْمَعْلَقَةِ لِمْرِئِ الْقَيْسِ وَالْقِصِيدَةِ الشَّقِيقَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لِمَعْلَقَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ، يَبْدُو مِنْ مَقَارَبَةِ النَّصِّ أَنَّ النَّصَّ الْحَاضِرَ الْمَعَارِضَ يَسِيرُ عَلَى الْمُنَوَالِ الإِيقَاعِيَّةِ لِلنَّصِّ الْغَائِبِ الْمَعَارِضِ، سِوَاءِ أَتَعَلَّقَ ذَلِكَ التَّشَاكُلُ بِالِإِيقَاعِ الْخَارِجِيِّ نَسَقًا وَتَقْفِيَّةً أَمْ تَعَلَّقَ بِالِإِيقَاعِ الدَّخَلِيِّ تَكَرَّرًا وَتَصْرِيحًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَنِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي بَدَتْ مُتَحَلِّيَّةً فِي تَكَرَّرِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ اللَّعُوبِيَّةِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى مُعْجَمِ النَّصِّ الْغَائِبِ وَالَّتِي تَتَمَيَّزُ بِجَرَسِهَا الْقَوِيِّ، وَهَذَا مَا تَكْشِفُ عَنْهُ الْمَقَارَبَةُ بَيْنَ النَّصِّينِ الْمُتَنَاصِّينِ:

#### أ- النَّصُّ الْغَائِبُ الْمَعَارِضُ:

(1) أحمد محمد قُدُور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص: 127.

(2) المرجع نفسه، ص: 127.

(3) المرجع نفسه، ص: 128.

وَيَتَمَثَّلُ فِي قَصِيدَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ الْمُعَلَّقَةِ، وَمَطْلَعُهَا<sup>(1)</sup>:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

يَقُومُ النَّصُّ العَائِبُ (المُعَلَّقَةُ) عَلَى نَسَقِ الطَّوِيلِ الإيقاعيِّ ذِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ المُوَحَّدِ، وَرَوِيهِ اللّامُ المَطْلُوقُ المُتَحَرِّكُ بِالكُسْرَةِ، وَيَبْلُغُ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ وَاحِدًا وَثَمَانِينَ بَيْتًا.<sup>(2)</sup> وَتَنَوَّعَ مَوْضُوعَاتُهُ أَوْ (تِيْمَانُهُ) مِنْ قِسْمٍ إِلَى آخَرَ، وَهِيَ تَنَوَّزَعُ عَلَى مَظَاهِرِ الطَّبِيعَةِ الحَيَّةِ وَالجَامِدَةِ كَمَوْضُوعَةِ (الطَّلَلِ)، وَمَوْضُوعَةِ (اللَّيْلِ) وَمَوْضُوعَةِ (الْفَرَسِ) وَمَوْضُوعَةِ (المَطَرِ)، وَكُلُّ مَا يَرْتَبِطُ بِهَذِهِ المَحَاوِرِ الكُبْرَى مِنْ مَوْضُوعَاتٍ ثَانَوِيَّةٍ. فَقَدْ "كَانَ امْرُؤُ القَيْسِ شَدِيدَ الحُبِّ لِابْنَةِ عَمِّهِ عُنَيْزَةَ، فَحَدَّثَ أَنَّ خَرَجَتْ هَذِهِ وَصَوَّاحِبُهَا إِلَى يَوْمٍ نَزَهَةَ أَتَّاحَ لَهُ أَنْ يَلْتَقِيَ بِهِنَّ وَيَرَى عُنَيْزَةَ فَوَصَفَ ذَلِكَ المُلْتَقَى وَضَمَّ إِلَيْهِ وَصَفَ الفَرَسَ وَالصَّيِّدَ وَالبَرَقَ وَالمَطَرَ، وَكُلَّهَا ذِكْرِيَّاتٌ أَلْفَ الشَّاعِرِ مُشَاهِدَتَهَا عَهْدَ لَهْوِهِ، بَعْدَ أَنْ طَرَدَهُ أَبُوهُ مِنْ بَيْتِهِ".<sup>(3)</sup> وَذَلِكَ المُلْتَقَى هُوَ يَوْمُ (دَارَةَ جُلْجُلِ) المَذْكُورِ فِي نَصِّ المُعَلَّقَةِ.<sup>(4)</sup>

ب- النَّصُّ الحَاضِرُ المَعَارِضُ:

وَيَتَمَثَّلُ فِي قَصِيدَةِ يُوسُفَ العَظْمِ الَّتِي يَنْعَتُهَا بِـ (الشَّقِيقَةَ الإِسْلَامِيَّةَ لِمُعَلَّقَةِ امْرِئِ القَيْسِ)<sup>(5)</sup>، وَيَقُولُ الشَّاعِرُ فِي شَأْنِهَا مِنْ خِلَالِ هَذِهِ العَبْتَةِ النَّصِيَّةِ: "أَمَّا حَفِيدَةُ قَصِيدَةِ (امْرِئِ القَيْسِ) فَقَدْ جَاءَتْ مُعَاصِرَةً عَلَى نَحْوِ آخَرَ مِنَ الأُسْلُوبِ وَالمَهْدَفِ وَالرِّسَالَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الكَرِيمَةِ".<sup>(6)</sup> وَهِيَ قَصِيدَةٌ تَقُومُ عَلَى النَّسَقِ الإيقاعيِّ ذَاتِهِ (الطَّوِيلِ) ذِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ المُوَحَّدِ ذَاتِهِ، وَرَوِيهِ اللّامُ المَطْلُوقُ المُتَحَرِّكُ بِالكُسْرَةِ، وَيَبْلُغُ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهَا اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا، وَتَنَوَّزَعُ مَوْضُوعَاتُهَا عَلَى مَوْضُوعَةِ (القُرْآنِ الكَرِيمِ) وَمَوْضُوعَةِ (الرَّسُولِ وَصَحَابَتِهِ) وَمَوْضُوعَةِ (الجِهَادِ) وَكُلُّ مَا يَرْتَبِطُ بِهَذِهِ المَحَاوِرِ الكُبْرَى مِنْ مَوْضُوعَاتٍ ثَانَوِيَّةٍ، يَقُولُ يُوسُفُ العَظْمِ<sup>(7)</sup>:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرٍ تَحَدَّرَ مِنْ عِلِّ وَقَوْلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ وَالْحَقِّ مَنْزَلٍ  
يَرِقُّ بِهِ قَلْبِي وَتَسْمُو خَوَاطِرِي وَتَصْنُفُو بِهِ نَفْسِي وَيَنْفَكُ مُعْضَلِي  
كِتَابٌ مِنَ الأَحْكَامِ وَالبَرُّ آيُهُ وَفَيْضٌ مِنَ الإِلْهَامِ وَالنُّورِ يَنْجَلِي  
تَسَامَى بِنَا فِي مَوْكِبِ المَجْدِ وَالعُلَى وَأَرْسَى لَنَا رُكْنَا مِنَ الحُكْمِ فَيَصَلِ  
يَتِيهِ عَلَى الأَكْوَانِ قَوْلًا وَحِكْمَةً وَيُحْيِي لَنَا الأَمَالَ غَيْرَ مُخَذَلِ  
وَيَأْتِيكَ بِالأَحْكَامِ وَالقَوْلِ مُجْمَلًا وَحِينًا تَرَى مِنْ حُكْمِهِ غَيْرَ مُجْمَلِ

(1) الزوزني: شرح المعلقات السبع، دار بيروت للطباعة والنشر، 1402هـ-1982م، ص: 7.

(2) المصدر نفسه، ص: 7.

(3) حنا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط: 5، 1970، ص: 11.

(4) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 5.

(5) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 60.

(6) المصدر نفسه، ص: 59.

(7) المصدر نفسه، ص: 60.

كِتَابٌ وَدُسْتُورٌ وَشِرْعَةٌ أُمَّةٌ بِهِ رُكُنٌ دِينِ الْحَقِّ وَالْبِرِّ يَعْتَلِي  
 وَحَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ تَحْمِيهِ عَصَبَةٌ طَلِعَتْهَا الصَّدِيقُ نَبْرَاسُهَا عَلِيٌّ  
 وَبَيْنَهُمَا الْفَارُوقُ يَسْمُو بَعْدَلَهُ وَعُثْمَانُ لَمْ يُحْجَمْ بِمَالٍ وَيَخْلُ  
 صَحَابَةٌ خَيْرِ الْخَلْقِ كَالنُّورِ حَوْلَهُ وَأَنْتَ تَمَامُ الْبَدْرِ يَا خَيْرَ مُرْسِلٍ  
 سَلَامٌ عَلَى الْأَبْرَارِ فِي مَوْطِنِ الثَّقَى وَقَدْ أَسْرَعُوا الرَّايَاتِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ

وَيَتَضَحُّ أَنْ بِنْيَةَ مَطْلَعِ النَّصِّ الْغَائِبِ أَوْ السَّابِقِ، أَيْ مَطْلَعِ قَصِيدَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ يُلُوحُ، حَلِيًّا، فِي بِنْيَةِ مَطْلَعِ  
 النَّصِّ الْحَاضِرِ أَوْ اللَّاحِقِ، أَيْ مَطْلَعِ قَصِيدَةِ يُوسُفَ الْعَظْمِ، مِمَّا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ يَسْتَدْعِي تَجْرِبَةَ شِعْرِيَّةً قَدِيمَةً  
 بِكُلِّ ثِقَلِهَا الْفَنِيِّ وَالْمَوْضُوعِيِّ وَالتَّصَوُّورِ الَّذِي تَصْدُرُ عَنْهُ، وَيَحَاوِلُ امْتِصَاصَهَا لِبَلُورَةِ تَجْرِبَةِ شِعْرِيَّةٍ نَاشِئَةٍ لَهَا رُؤْيُهَا  
 الْخَاصَّةُ، وَتَقْتَرِضُ مِنَ الرَّصِيدِ الْفَنِيِّ لِلتَّجْرِبَةِ الْأُولَى مَا يَنْهَضُ بِنْيَةَ الْقَصِيدَةِ، وَتَتَّخِذُ مَوْفِقًا فِكْرِيًّا وَشُعُورِيًّا مُعَايِرًا  
 يَعْضُدُهُ رَصِيدُ الْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخَالَفَةِ لِلْقِيَمِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيَتَبَيَّنُ مِنْ بِنْيَةِ الْمَطْلَعِ فِي كُلِّ مِنَ الْقَصِيدَتَيْنِ التَّدَاخُلُ النَّصِّيُّ  
 أَوْ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ الَّذِي يُؤَسِّسُ لِمَفْهُومِ "الْعَلَاقَةِ" حَيْثُ إِنَّ الْعَلَاقَاتِ التُّصَوِّفِيَّةَ تَتَّفَاعَلُ دَاخِلَ النَّصِّ بِتَحْرِيكِكَ مِنْ  
 الْقَارِي لِطَاقَاتِهَا الْمُخْبِوَةِ، وَإِذَا مَا تَحَرَّكَتْ فَإِنَّهَا تُؤَسِّسُ الدَّلَالََةَ التُّصَوِّفِيَّةَ الْمُنْتَبِقَةَ عَنْ فِعْلِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ، وَتَسَامَى  
 هَذِهِ الْحَرَكَةُ ذَاتُ الْوِظِيْفَةِ الْخَلَاقَةِ لِتَحْتَوِيَ الْقَارِيَّ فِيهَا فَتَشْكَلُ تَصَوُّرَاتِهِ التُّصَوِّفِيَّةَ مِثْلَمَا فَعَلَ هُوَ حِينَمَا شَكَّلَ  
 عِلَاقَاتِهَا".<sup>(1)</sup> وَيَكْشِفُ مَطْلَعُ النَّصِّ اللَّاحِقِ الْمَعَارِضَ النَّفْيَ الْكُلِّيَّ الَّذِي يُمَارِسُهُ التَّنَاصُّ، وَيُمَارِسُهُ الشَّاعِرُ، يَقُولُ  
 امْرُؤُ الْقَيْسِ:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ  
 وَيَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمِ:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرٍ تَحَدَّرَ مِنْ عَلٍ وَقَوْلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ وَالْحَقِّ مُنْزَلٍ

يَسْتَوْقِفُ امْرُؤُ الْقَيْسِ صَحْبَهُ لِلْبُكَاءِ مِنْ ذِكْرِي الْحَبِيبِ وَالْمَنْزِلِ الْكَاثِنِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلٍ،  
 وَيَسْتَوْقِفُ يُوسُفُ الْعَظْمِ صَحْبَهُ لِلْبُكَاءِ مِنَ الذِّكْرِ الْمُتَحَدَّرِ مِنْ عَلٍ وَمِنْ قَوْلِ الرَّحْمَنِ وَالْحَقِّ الْمُنْزَلِ مُقْتَبَسًا مِنْ  
 الْأَوَّلِ الْبِنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ (قَفَا نَبْكَ)، أَيْ جُمْلَةً فِعْلٍ الطَّلَبِ وَجَوَابِهِ، وَتَضَطَّلِعُ هَذِهِ الْبِنْيَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ (قَفَا نَبْكَ) بِالْإِعْلَانِ  
 عَنْ تَعَالُقِ نَصِّيِّ يَأْخُذُ شَكْلَ الْمَعَارِضَةِ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْمَعَارِضَةَ لَا تَقُومُ عَلَى الْمَشَاكَلَةِ لِأَنَّهَا تَفْتَحِمُ النَّصَّ الْمُعْطَى فَتَفْكَكُ  
 عِلَاقَاتِهِ، لِتُعِيدَ صِبَاغَتَهَا وَتَبْنِي لَهَا وَأَقْعًا جَدِيدًا".<sup>(2)</sup> فَإِنَّ اقْتِصَرَ التَّشَاكُلُ عَلَى الْبِنْيَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَالصَّوْتِيَّةِ فَإِنَّ التَّبَايُنَ  
 هَيْمَنَ عَلَى الْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ، وَوَطَّدَتِ الْبِنْيَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ الْمُقْتَبَسَةَ (قَفَا نَبْكَ مِنْ...) لِتَفَاعَلُ وَتَوَالِدُ دِلَالِيًّا حَدَدَتِ مَحَاوِرَهُ

(1) عبد الله الغدّامي: تشريح النصّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 2006، ص: 114.

(2) المرجع نفسه، ص: 118.

شِبْهُ الْجُمْلَةِ (مِنْ ذِكْرِي...) فِي النَّصِّ الْعَائِبِ وَمِنْ (ذِكْرِي...) فِي النَّصِّ الْحَاضِرِ، فَاسْتَوَى النَّصَانِ عَلَى ثُنَائِيَةِ (الضَّلَالِ/الهُدَى) فِي بِنْيَةِ تَنَاصُيَةِ تَخَالُفِيَّةٍ.

وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ النَّصَّ الْعَائِبَ لَمْ يَحْضُرْ فِي النَّصِّ الرَّاهِنِ عَلَى مُسْتَوَى الشَّكْلِ مِنْ إِبْقَاعٍ وَوَزْنٍ وَقَافِيَةٍ وَرَوِيٍّ وَتَصْرِيحٍ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا تَجَلَّى مِنْ خِلَالِ تَفْكِيكِ الْبُنَى اللَّغَوِيَّةِ الْمَشْكَلَةِ لَهُ وَإِعَادَةِ تَوْظِيفِهَا فِي بِنَاءِ تَجْرِبَةِ شِعْرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لِنَتِجِ دَلَالَاتٍ تَتَلَاءَمُ مَعَ سِيَاقَاتِهَا الشَّعْرِيَّةِ الرَّاهِنَةِ، وَإِنْ لَمْ تَتَخَلَّصْ مِنَ الْإِحَالَةِ إِلَى مَصْدَرِهَا الشَّعْرِيِّ الْأَوَّلِ، فَقَدْ وَجَدَتْ قَوَافِي أَمْرِي الْقَيْسِ فِضَاءً لَهَا فِي قَصِيدَةِ الْعَظْمِ كَمَا يَبِينُ الْجَدْوَلُ الْآتِي:

قافية النص العائب (المعارض)	البيت الشعري	قافية النص الحاضر (المعارض)	البيت الشعري
مترل-حومل	1	من عل-مترل	1
حنظل	4	حنظل	18
معوّل	6	معوّل	36
يجوّل	17	تحوّل	30
معجل	23	يعجّل	28
المتفضّل	26	المتفضّل	42
مرسل	36	مرسل	12
عل	53	علي	10
حنظل	61	حنظل	36
مرسل	69	مؤمل	38,33,25
متأملي	72	مترل	15
مترل	75	مغزلي	32
مغزل	78	معزل	24
بأعزل	60	ينجلي	3
تنجلي	27		

يُظْهِرُ أَثْرُ عِلَاقَةِ النَّصِّ السَّابِقِ فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ، إِضَافَةً إِلَى الْإِشْتِرَاكِ فِي الْمَفْرَدَاتِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي تُشَكِّلُ النَّسَقَ التَّقْفَوِيَّ، فِي صِيَاغَةِ بُنَى لُغَوِيَّةٍ إِفْرَادِيَّةٍ تُسْتَعْدَمُ فِي النَّصِّ الرَّاهِنِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّجَانُّسِ أَوْ التَّشَاكُلِ الصَّوْتِيِّ، أَيَّ أَنَّهَا تُحَاكِي مِنْ حَيْثُ نَسِجُهَا الصَّوْتِيِّ مَفْرَدَاتِ النَّصِّ الْأَوَّلِ كـ(حَبِيبٍ، مُعْضَلِي، يَنْجَلِي، فَيْصَل، مُجَمَّلِ، الْجَلِي، صَيْقَلِ، يَعْتَلِي، يَنْخَلِ، جَحْفَلِ، مُقْبَلِ، مُؤَجَّلِ، مُسْرَبَلِ، مَحْفَلِ، يُسَجَّلِ، عُذَّلِي، مُؤَمَّلِي، مُعَوَّلِي، مَعْقَلِي، يَصْطَلِي، مُبْطَلِ، مُكَبَّلِ، مِنْ عَلِ، الصَّبَابَةِ، الصَّحْبِ..)، فَمَفْرَدَةٌ (صَحْبِي) تَرُدُّ فِي النَّصِّ الْمَعَارِضِ لِمُؤَازَرَةِ الشَّاعِرِ فِي مَوْقِفِ وَجْدَانِيٍّ عَصِيبٍ تُهَيِّجُهُ ذِكْرُ الْحَبِيبِ وَالْمَنْزِلِ، وَهِيَ مِنْ حَيْثُ دَلَّلتُهَا أَقْرَبُ إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى الْجَمَاعَةِ الْمُعِينَةِ عَلَى اللَّهِ وَالْعَبَثِ بِلَا غَايَةٍ تُنْشَدُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ الْأَوَّلُ<sup>(1)</sup>:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ  
وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

(1) الزّوزي: شرح المعلقات السّبع، ص: 9.

وَتَرَدُّ فِي النَّصِّ الْمَعَارِضِ فِي صِيغَتِي (الصَّحْبِ) وَ(الصَّحَابَةِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى فَرِيقٍ مِنَ النَّاسِ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ وَأَزْرَوْهُ وَوَقَفُوا إِلَى جَنْبِهِ، وَجَعَلُوا نُصْرَةَ الْإِسْلَامِ غَايَتَهُمْ، فَقَدْ حُورَّتْ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْاجْتِمَاعِ عَلَى اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ إِلَى الدَّلَالَةِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى الْعَقِيدَةِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ الْمُعِينَةِ عَلَى الْحَقِّ وَعَلَى حَمْلِ الرَّسَالَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ الثَّانِي<sup>(1)</sup>:

وَ(طَبِيبَةً) تَزْهَوُ بِالْحَبِيبِ وَصَحْبِهِ وَكَانَتْ لِرِزْعِ الْمُصْطَفَى حِصْبًا مِثْلًا  
بِهَا أَنْبَتَ الْخَلْقُ خَيْرَ رِمَاحِهِ وَمِنْهَا مَشَى لِلْمُلْتَقَى خَيْرَ جِحْفَلٍ  
وَيَقُولُ<sup>(2)</sup>:

صَحَابَةٌ خَيْرُ الْخَلْقِ كَالنُّورِ حَوْلَهُ وَأَنْتَ تَمَامُ الْبَدْرِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ  
وَتَرَدُّ مُفْرَدَةً (الصَّبَابَةَ) فِي النَّصِّ الْغَائِبِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ الشَّوْقِ وَالْحَنِينِ إِلَى الْحَبِيبَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ<sup>(3)</sup>:

كَدَابِكَ مِنْ أُمَّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتْهَا أُمَّ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ  
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْنُفَلِ  
فَقَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي

وَهِيَ فِي النَّصِّ الْحَاضِرِ وَارِدَةٌ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ (صَبَابَاتٍ) وَبِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ (الصَّبَابَةَ) بِدَلَالَةِ مُحْوَرَّةٍ لِلإِشَارَةِ إِلَى الشَّوْقِ وَالْحَنِينِ الْمَضَاعَفَيْنِ إِلَى فِلِسْطِينَ وَقُدْسِهَا، فَهَمَّا مِنْ أَسْمَى الْبِقَاعِ الَّتِي يَصُبُّ إِلَيْهِ فُوَادُ الشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ، إِنَّهُ الْقُدْسُ بِفِلِسْطِينَ لَا أُمَّ الْحَوِيرِثِ وَجَارَتْهَا أُمَّ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ، إِنَّهُ الْوَطْنَ لَا الْمَرَّةَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(4)</sup>:

(فِلِسْطِينَ) أَنْتِ الْحُبُّ وَالْوُدُّ وَالْوَفَا وَإِنْ أَرْجَفَ الْحَسَّادُ أَوْ كَادَ عُذْلِي  
وَأَنْتِ صَبَابَاتِي وَوَحْيُ قَصَائِدِي وَمِنْ أَجْلِ فَجَرِ الْقُدْسِ أَعْدَدْتُ مِعْزَلِي

وَيَقُولُ<sup>(5)</sup>:

أَحْبَابِي لَا أَقْوَى عَلَى الْبُعْدِ وَالْجَفَا وَمَنْ لَمْ يَدُقْ طَعْمَ الصَّبَابَةِ يَجْهَلِ

وَمِنْ مَظَاهِرِ التَّدَاخُلِ النَّصِّيِّ اقْتِطَاعُ الشَّاعِرِ مُفْرَدَاتٍ مِنْ سِيَاقِهَا الْقَدِيمِ وَدَلَالَتِهَا الْمُعْجَمِيَّةِ الصَّرِيحَةِ وَإِدْمَاجِهَا فِي سِيَاقِ جَدِيدٍ بِدَلَالَةِ مَجَازِيَّةٍ إِيحَائِيَّةٍ، فَلَفْظَةُ (مِعْزَلٍ) فِي نَصِّ امْرِئِ الْقَيْسِ تُسْتَعْمَلُ فِي دَلَالَتِهَا الصَّرِيحَةِ فِي بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ<sup>(6)</sup>:

(1) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 62.

(2) المصدر نفسه، ص: 62.

(3) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 10.

(4) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 65.

(5) المصدر نفسه، ص: 65.

(6) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 40.

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيَّرِ غَدَوَةٌ مِنْ السَّيْلِ وَالْأَغْثَاءِ فَلَكَّةٌ مَعَزَلٌ  
وَلَكِنَّهَا فِي السِّيَاقِ الْجَدِيدِ تُسْتَخْدَمُ فِي بِنْيَةِ شِعْرِيَّةٍ أَكْثَرَ تَعْبِيرِيَّةٍ<sup>(1)</sup>:

وَأَنْتِ صَبَابَاتِي وَوَحْيِي قَصَائِدِي وَمِنْ أَجْلِ فَجَرِ الْقُدْسِ أَعَدَدْتُ مَعَزَلِي  
لَأَصْنَعَ ثَوْبًا مِنْ نَسِيَجِ عَقِيدَتِي وَأَلْبَسُ دِرْعَ الْعِزِّ وَهُوَ مُؤْمَلِي

وَعَلَى غِرَارِ هَذَا التَّوْظِيفِ، يُدْخِلُ النَّصُّ الْحَاضِرُ مُفْرَدَاتِ النَّصِّ الْعَائِبِ فِي نَسِيَجِهِ اللَّعْوِيِّ بِمُخْتَلَفِ الصِّيغِ،  
وَتَشْبِي هَذِهِ الصِّيغُ بِالنَّصِّ الْقَادِمَةِ مِنْهُ فَتَحْتَفِظُ فِي هِجْرَتِهَا بِشَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهَا الْأُولَى، كَمَا يَأْتِي فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(2)</sup>:

إِذَا قِيلَ: مَنْ لِلسَّيْفِ، أَبَدَى تَخَوُّفًا وَإِنْ قِيلَ: مَنْ لِلضَّيْفِ، ظَلَّ بِمَعَزَلٍ

وَتَكْمُنُ الوَظِيفَةُ الْجَمَالِيَّةُ وَالذَّلَالِيَّةُ لِهَذَا اللَّوْنِ مِنَ التَّنَاصِّ الْأَسْلُوبِيِّ فِي إِدْمَاجِ الْمُتَلَقِّي فِي أَجْوَاءِ النَّصِّ  
الْمُسْتَحْضَرِ حَيْثُ يَشْعُرُ وَكَأَنَّهُ أَمَامَ هَذَا النَّصِّ مُبَاشِرَةً دُونَ وَسِيطٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَبَاعُدِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ بَيْنَ  
الْمُتَلَقِّيِّ وَالنَّصِّ الْعَائِبِ، كَمَا يَهْدَفُ إِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ اللَّعْنَةِ السَّحْرِيَّةِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي تَمْتَعُ بِهَا بَعْضُ النَّصُوصِ  
الشَّعْرِيَّةِ.<sup>(3)</sup> وَيُؤَدِّي التَّنَاصُّ وَظِيفَةٌ أُخْرَى تَتَمَثَّلُ فِي إِقَامَةِ نَوْعٍ مِنَ الْمَوَازَنَةِ بَيْنَ نَصِيْنٍ يَتَأَسَّسَانِ عَلَى النَّمَطِ اللَّعْوِيِّ  
نَفْسِهِ وَيَنْضَبِطَانِ بِقَوَائِنِهِ، وَيُعَدُّ النَّصُّ الثَّانِي لَاحِقًا مِنْ حَيْثُ شَفَرْتُهُ اللَّعْوِيَّةُ بِالْأَوَّلِ، لِكِنَّهُمَا مُخْتَلِفَانِ فِي الدَّلَالَاتِ  
الثَّقَافِيَّةِ وَالذِّبِّيَّةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا الْعَلَامَاتُ اللَّسَانِيَّةُ فِي كِلَيْهِمَا، فَمَصْدَرُ الْأَوَّلِ الْوَاقِعُ الْعَرَبِيُّ الْجَاهِلِيُّ بِيئَةً وَثَقَافَةً وَفِيمَا  
وَمَصْدَرُ الثَّانِي الْوَاقِعُ الْعَرَبِيُّ الْإِسْلَامِيُّ بِيئَةً وَثَقَافَةً وَفِيمَا.

#### 1-1-1-2- التَّفَاعُلُ النَّصِيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الشَّقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمَعْلَقَةَ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادٍ:

يَحْدُثُ التَّفَاعُلُ النَّصِيُّ، هُنَا، بَيْنَ الْقَصِيدَةِ الْمَعْلَقَةِ لِعَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادٍ وَالْقَصِيدَةِ الشَّقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمَعْلَقَةَ عَنْتَرَةَ،  
وَيُلَاحَظُ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّنَاصِّ أَنَّهُ يَتَسَّعُ لِيَشْمَلَ الشَّكْلَ وَالْمُضْمُونَ مَعًا، فَهُوَ أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ يَكُونُ فِي  
الْمُضْمُونِ، فَالشَّاعِرُ يُعِيدُ إِتْنَاجَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ نَصُوصٍ أَوْ يَنْتَقِي مِنْهَا صُورَةً أَوْ مَوْقِفًا دَرَامِيًّا أَوْ تَعْبِيرًا ذَا قُوَّةٍ رَمَزِيَّةٍ،  
وَلَكِنَّ الْمُضْمُونَ لَا يَخْرُجُ عَنْ إِطَارِ الشَّكْلِ، بَلْ "إِنَّ الشَّكْلَ هُوَ الْمُتَحَكِّمُ فِي الْمُنَاصِّ وَالْمَوْجَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ هَادِي الْمُتَلَقِّي  
لِتَحْدِيدِ النَّوعِ الْأَدْبِيِّ وَإِلِدْرَاكِ التَّنَاصِّ، وَفَهْمِ الْعَمَلِ الْأَدْبِيِّ".<sup>(4)</sup> وَبِالشَّكْلِ وَالْمُضْمُونِ يُصْبِحُ التَّنَاصُّ "وَسِيلَةً تَوَاصُلَ  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْصُلَ الْقَصْدُ مِنْ أَيِّ حِطَابٍ لَعْوِيٍّ بِدُونِهِ، إِذْ يَكُونُ هُنَاكَ مُرْسَلٌ بِغَيْرِ مُتَلَقٍّ مُتَقَبَّلٍ مُسْتَوْعِبٍ مُدْرِكٍ  
لِمَرَامِيهِ".<sup>(5)</sup>، وَمِنْ دُونَ التَّنَاصِّ بَيْنَ الْقَصِيدَتَيْنِ لَا تُدْرِكُ تِلْكَ الْمَفَارِقَةَ الْقِيَمِيَّةَ الَّتِي يُحِيلُ إِلَيْهَا النَّصَّانِ.

(1) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 65.

(2) المصدر نفسه، ص: 64.

(3) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 216.

(4) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 130.

(5) المرجع نفسه، ص: 135.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ الشُّعْرِيَّةَ هِيَ إِنتَاجٌ وَإِعَادَةٌ إِنتَاجٍ لِلْمَعْنَى بِكَيْفِيَّاتٍ وَطَرَائِقٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهِيَ إِنتَاجٌ عَلَى أَسَاسٍ مَا عُلِقَ بِالذَّاكِرَةِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ وَمَحْفُوظَاتٍ، وَتَتَحَدَّدُ مِهْمَةُ الشَّاعِرِ فِي قِيَامِهِ بِعَمَلِيَّةِ هَدْمٍ وَبِنَاءٍ تَكُونُ فِيهَا التُّصُوصُ السَّابِقَةُ هِيَ مَادَّةَ هَذَا الِهْدْمِ وَالْبِنَاءِ، وَالنَّظَرُ إِلَى النَّصِّ كإِنتَاجٍ يَعْنِي "أَنْ نَعْتَبِرَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِعَادَةٌ بِنَاءٍ لِأَقْوَالٍ جَاءَتْهُ مِنْ مَنَاحٍ مُتَعَدِّدَةٍ".<sup>(1)</sup> وَإِنَّ الْمَعَارِضَةَ الْآتِيَةَ لكَذَلِكَ، وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يُنْتِجُ يُوسُفُ الْعَظْمُ نَصَّهُ الْحَاضِرَ الْمَعَارِضَ الثَّانِي مِنْ خِلَالِ مُحَاوَرَةِ النَّصِّ الْعَائِبِ الْمَعَارِضِ، فَيُعِيدُ إِنتَاجَ مَعْنَاهُ مُتَأَثِّرًا بِشَكْلِهِ مُخَالِفًا وَنَاقِيًا لِذِلَالَاتِهِ.

#### أ- النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ:

يَتِمَّتِلُ النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ أَوْ النَّصُّ الْمُتَنَاصُّ مَعَهُ فِي نَصِّ مُعَلَّقَةٍ عَنَّتَرَةَ بِنِ شَدَادِ الْعَبْسِيِّ الَّتِي يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا<sup>(2)</sup>:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ      أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ  
يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي      وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَأَسْلَمِي  
وَيَقُومُ النَّصُّ السَّابِقُ عَلَى نَسَقِ الْكَامِلِ الْإِيقَاعِيِّ ذِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ الْمُوَحَّدِ وَرَوِيهِ الْمِيمِ الْمَطْلُوقِ الْمُتَحَرِّكِ  
بِالْكَسْرِ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشُّعْرِيُّ فِي النَّصِّ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ بَيْتًا، بَدَأَهُ الشَّاعِرُ "بِذِكْرِ عِبْلَةَ وَبُعْدِ دَارِهَا، ثُمَّ وَصَفَ  
نَاقَتَهُ، وَنَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُ وَلَا يَجْرُؤُ أَحَدًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَبِأَنَّهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ فَيَكُونُ كَرِيمًا شَرِيفًا فِي شَرِبِهِ وَصَحْوِهِ،  
ثُمَّ وَصَفَ بَطْشَهُ، وَصَوَّرَ فَرَسَهُ تَصْوِيرًا جَمِيلًا رَفَعَهُ فِيهِ إِلَى دَرَجَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ".<sup>(3)</sup>

#### ب- النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ:

وَيَتِمَّتِلُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ فِي قَصِيدَةِ يُوسُفِ الْعَظْمِ الَّتِي يَصِفُهَا بِـ(الشَّقِيقَةِ الْمُسْلِمَةِ لِمُعَلَّقَةِ عَنَّتَرَةَ)<sup>(4)</sup>،  
يَقُولُ فِيهَا مِنْ خِلَالِ الْعَبْتَةِ النَّصِيَّةِ التَّالِيَةِ: "أَمَّا حَفِيدَةُ تِلْكَ الْمُعَلَّقَةِ أَوْ بِنْتُهَا الْمَعَاوِرَةُ الَّتِي آمَنْتُ وَأَسْلَمْتُ وَجَهَّهَا لِلَّهِ،  
الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَصَدَ بِهَا صَاحِبُهَا وَجْهَ اللَّهِ وَحَدَّهُ، فَقَدْ جَاءَتْ عَلَى نَحْوِ آخِرِ مِنَ الْأَهْدَافِ  
وَالْوَسَائِلِ، تَتَنَاوَلُ مَظَاهِرَ الْحَيَاةِ وَقَضَايَا السَّاعَةِ وَطُمُوحَاتِ الْأُمَّةِ الْيَوْمِ".<sup>(5)</sup> وَتَقُومُ الْقَصِيدَةُ عَلَى النَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ  
ذَاتِهِ (الْكَامِلِ) وَعَلَى النَّسَقِ التَّقْفُويِّ الْمُوَحَّدِ ذَاتِهِ ذِي الرَّوِيِّ (الْمِيمِ) الْمَطْلُوقِ الْمُتَحَرِّكِ بِالْكَسْرِ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشُّعْرِيُّ  
فِيهَا سَبْعَةَ وَخَمْسِينَ بَيْتًا، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلَكِهَا<sup>(6)</sup>:

(1) محمد مفتاح: دينامية النص، نظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 3، 2006، ص: 152.

(2) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 137.

(3) المصدر نفسه، ص: 136.

(4) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 43.

(5) المصدر نفسه، ص: 42.

(6) المصدر نفسه، ص: 43.

يَا دَارَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تَكَلِّمِي وَتَحَدِّثِي عَن كُلِّ بَرٍّ وَأَسْلَمِي  
وَإِذَا سَمِعْتَ مِنَ الْمَآذِنِ دَعْوَةَ تَنَسَّابُ فِي سَمْعِ الْغُفَاةِ التُّومِ  
فَاسْتَلْهِمِي مِنْ ذِكْرِ (أَحْمَدَ) مَوْقِفًا وَعَلَى شَفِيعِ الْخَلْقِ قُومِي سَلْمِي  
رُوحَ الْأَذَانِ تَعِيشُ فِي أَعْمَاقِنَا وَنِدَاؤُهُ يَسْمُو وَيَزْكُو فِي فَمِي  
اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ رِحَابِكَ أُرْسِلْتَ فَسَرْتَ كَعَطْرِ الرَّوْضِ يَعْبِقُ فِي دَمِي  
حَمَلْتَ لِكُلِّ الْخَلْقِ خَيْرَ رِسَالَةٍ وَزَهَتْ بِقَائِدِنَا الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ  
هَذِهِ سَبِيلُ الْحَقِّ أَشْرَقَ نُورُهَا يَسْمُو بِعِزَّتِهَا جَبِينُ الْمُسْلِمِ

تُحِيلُنَا بِنِيَّةِ الْمُطَّلَعِ فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ الْمَعَارِضِ عِنْدَ أَوَّلِ إِطْلَالَةٍ إِلَى النَّصِّ الْغَائِبِ السَّابِقِ أَيِ نَصِّ مُعَلِّقَةٍ عَنْتَرَةٍ، وَتَفْتَحُ النَّصَّ عَلَى مِصْرَاعِيهِ لِاسْتِقْبَالِ النَّصِّ الْقَدِيمِ الْمُسْتَدْعَى بِكُلِّ مَظَاهِرِهِ الْإِيقَاعِيَّةِ مِنْ نَسَقِ إِيقَاعِيٍّ وَتَقْفُوِيٍّ وَرَوِيٍّ وَتَكَرَّرٍ، وَلَا يَقْتَصِرُ أَثَرُ النَّصِّ السَّابِقِ فِي اللَّاحِقِ عَلَى الْإِطَارِ الشَّكْلِيِّ حَيْثُ يَبْدُو التَّفَاعُلُ التَّنَاصِيَّ بِجَلَاءٍ، وَإِنَّمَا يُنْشِئُ ذَلِكَ الْأَثَرَ قَرَابَةً أَوْسَعُ وَأَعْمَقُ هِيَ قَرَابَةُ بِنِيَّةِ أَوْ هَيْكَلٍ، حَيْثُ تَأْتِي مُعَلِّقَةٌ عَنْتَرَةٌ نَصًّا صَرِيحًا سَابِقًا، صَارَ مَجَالًا لِلِاحْتِنَاءِ وَالتَّدَاخُلِ التَّصَوُّصِيِّ، عَلَى مُسْتَوَى الْبِنِيَّةِ الْهَيْكَلِيَّةِ. وَهَذِهِ الْقَرَابَةُ هِيَ تَفَاعُلُ خَلْقٍ، بَيْنَ كِلْتَا الْقَصِيدَتَيْنِ، نَاتِجٌ عَنِ التَّوْحُدِ وَالِاتِّحَامِ بَيْنَ التَّجْرِبَتَيْنِ الْإِبْدَاعِيَّتَيْنِ الْقَدِيمَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ. (1) وَمَا يُبَيِّرُ هَذَا التَّوْحُدَ أَوْ انْصِهَارَ الشَّكْلِ الْقَدِيمِ فِي بِنِيَّةِ الشَّكْلِ الْمَعَاوِرِ كَوْنُ التَّنَاصِ مُمَارَسَةً فِي اللُّغَةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الشَّاعِرَيْنِ وَفِي الْجِنْسِ الشَّعْرِيِّ الْوَاحِدِ الَّذِي تَنْسُلُ مِنْهُ كُلُّ التَّجَارِبِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُدْمَجَةِ فِي دَائِرَةِ الشَّعْرِ الْعَمُودِيِّ ذِي الشَّطْرَيْنِ، وَلَكِنَّ بِنِيَّةَ الْمَضْمُونِ تَخْتَلِفُ فِي الْقَصِيدَتَيْنِ فَقَدْ صَرَفَ الشَّاعِرُ الْمَعَارِضُ قَصِيدَتَهُ إِلَى الْمَضَامِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَعْمَلُ عَلَى تَأْكِيدِ قِيمِهِ الْعَقْدِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ وَتَدْعُو إِلَى نَهْضَةِ الْأُمَّةِ. فَقَدْ اسْتَدْعَى نَصُّ يُوسُفَ الْعَظْمِ نَصَّ الْمَعَلِّقَةِ فِي الْبَيْتِ الْمِصْرَعِ حَيْثُ بَنَى مَطْلَعُهُ عَلَى مَنْوَالِ الْبَيْتِ الثَّانِي مِنَ الْمَعَلِّقَةِ مُسْتَعْدِمًا لِفَطْنِي الْعَرُوضِ وَالضَّرْبِ دُونَ تَحْوِيرِ (تَكَلِّمِي/أَسْلَمِي)، كَمَا يَتَّضِحُ فِي الْمَقَابَلَةِ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ، يَقُولُ عَنْتَرَةٌ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنَ الْمَعَلِّقَةِ:

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَأَسْلَمِي

وَيَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ (مِنَ الْمَعَلِّقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ):

يَا دَارَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تَكَلِّمِي وَتَحَدِّثِي عَن كُلِّ بَرٍّ وَأَسْلَمِي

وَمِنْ حَيْثُ الْبِنِيَّةُ التَّرَكِيبِيَّةُ لِلْمَطَّلَعِ فَقَدْ ظَهَرَتْ بِنِيَّةُ النَّدَاءِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةِ يُوسُفَ الْعَظْمِ عَلَى غِرَارِ مَطْلَعِ الْمَعَلِّقَةِ غَيْرَ أَنَّ مُنَادَى عَنْتَرَةٍ هُوَ دَارُ (عِبْلَةَ)، وَمُنَادَى يُوسُفَ الْعَظْمِ هُوَ دَارُ (أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ)، وَلَمْ يَكْتَفِ النَّصُّ الْمَعَارِضُ بِاسْتِيحَاءِ الْإِيقَاعِ وَبَعْضِ الْأَسَالِبِ فَحَسَبُ بَلِ اقْتِطَعَ بَعْضُ قَوَافِي النَّصِّ مِنْ سِيَاقِهَا الشَّعْرِيِّ الْأَوَّلِ وَأَعَادَ إِدْمَاجَهَا

(1) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 213.

فِي سِيَاقَاتٍ حَدِيدَةٍ مَشْحُونَةٍ بِدِلَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَمَا اسْتَعَانَ بِمُعْجَمِ الْمُعْلَقَةِ وَاسْتَخْدَمَ الْكَثِيرَ مِنْ مُفْرَدَاتِهِ اللَّغَوِيَّةِ فِي فِضَاءِ الْقَصِيدَةِ لِخَلْقِ جَوْ بُطُولِيٍّ وَحِمَاسِيٍّ وَدِرَامِيٍّ، تِلْكَ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى عَلَامَاتٍ دَالَّةٍ تَعَكِّسُ التَّفَاعُلَ وَالتَّبَادُلَ اللَّغَوِيَّ الْقَائِمَ بَيْنَ النَّصِّينِ، كَمَا يَتَضَحُّ فِي الْجَدْوَلِ الْآتِي:

البيت الشعري	قافية النص الحاضر (المعارض)	البيت الشعري	قافية النص الغائب (المعارض)
	تكلمي-اسلمي		تكلمي-اسلمي
1	فمي	2	الفم
4	دمي	62-30-14	الدم-دمي
5	المظلم	74-67	مظلم
45	العلقم	10	العلقم
48	محرم	36	محرم
46	المعصم	49	المعصم
52	تبسم	50	تبسم
34	مدمم	53	مدمم
41	مخيم	65	مخيم
51		143	

فَقَدْ اسْتَخْدَمَ النَّصُّ اللَّاحِقُ الثَّانِي بَعْضَ قَوَافِي النَّصِّ السَّابِقِ الْأَوَّلِ فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ كَاسْتِخْدَامِهِ لِلْقَافِيَتَيْنِ (مُخَيِّمٌ، الْمِعْصَمُ) فِي سِيَاقٍ تُنْتِجُ مِنْ خِلَالِهِ مَعْنَى غَيْرِ الَّذِي ارْتَبَطَ بِهِمَا فِي سِيَاقِهِمَا الْأَوَّلِ، فَهِيَ هُنَا تَشْتَرِكُ فِي الْإِحْيَاءِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ وَرُوحِ التَّضَامُنِ الْإِسْلَامِيِّ حَيْثُ يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

يَزْهَوُ بِهِمْ سَاحُ الْعَقِيدَةِ وَالْهُدَى وَعُرَى الْمَوَدَّةِ فِي رِحَابِ مُخَيِّمٍ  
وَيُحِيطُ بِي صَحْبِي بِرُوحِ أُخُوَّةٍ مِثْلَ السَّوَارِ يُلْفُ حَوْلَ الْمِعْصَمِ

وَقَدْ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى شَكْلِ قَدِيمٍ مِنْ أَشْكَالِ التَّنَاصُّ وَهُوَ التَّضْمِينُ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ التَّضْمِينُ الْبَدِيعِيُّ -لَا الْبَيَانِيُّ وَالتَّحْوِيُّ وَالْعَرُوضِيُّ- الَّذِي يَخْتَصُّ بِأَخْذِ شَاعِرٍ مِنْ شَاعِرٍ بَيِّنًا أَوْ بَعْضَ بَيْتٍ مِنَ الشُّعْرِ،<sup>(2)</sup> أَوْ هُوَ "فَصْدُكَ إِلَى الْبَيْتِ مِنَ الشُّعْرِ فَتَأْتِي بِهِ فِي آخِرِ شِعْرِكَ أَوْ فِي وَسْطِهِ".<sup>(3)</sup> أَوْ هُوَ "أَنْ يُضْمِنَ الشَّاعِرُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا".<sup>(4)</sup> فَالشَّاعِرُ يُضْمِنُ فِي النَّصِّ الثَّانِي الْمَعَارِضُ أَحَدَ أَشْطَرِ النَّصِّ الْأَوَّلِ كَالشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ نَصِّ مُعْلَقَةِ عَنْتَرَةَ، يَقُولُ عَنْتَرَةُ<sup>(5)</sup>:

وَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنْ ظَلَمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ

فَهَذَا الشُّطْرُ يَأْتِي فِي النَّصِّ الثَّانِي فِي سِيَاقٍ قَرِيبٍ مِنَ السِّيَاقِ الْأَوَّلِ إِذْ يَحْمِلُ مَعْنَى رَفْضِ الظُّلْمِ عَلَى فَرْقٍ فِي الدَّلَالَةِ، فَعَنْتَرَةُ يَأْبَى الظُّلْمَ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، بَيْنَمَا يَأْبَاهُ يُوسُفُ الْعَظْمُ فِي حَقِّ وَطْنِهِ وَأَبْنَاءِ أُمَّتِهِ، وَهَكَذَا يَحْتَفِظُ

(1) يوسف العظم: لو أسلمت الملققات، ص: 51.

(2) أحمد حسن حامد: التضمين في العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط: 1، 1422هـ-2001م، ص: 5.

(3) ابن رشيق: العمدة، ص: 106.

(4) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 410.

(5) الزوزني: شرح الملققات السبع، ص: 145.

التَّنَاصُ بِعَلَاقَتِهِ بِالنَّصِّ السَّابِقِ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ الجُرْئِيَّةُ فَالنَّفْسُ الأَبِيَّةُ تَرْفُضُ الظُّلْمَ مِنْ ذَوِي القُرْبَى، وَيَنْفَتِحُ عَلَى دَلَالَةِ السِّيَاقِ الجَدِيدِ فَالنَّفْسُ الأَبِيَّةُ الَّتِي تَنْشَأُ فِي رِحَابِ الإِسْلَامِ تَرْفُضُ الظُّلْمَ وَالمَدْلَةَ مِنَ المَحْتَلِّينَ وَالمُسْتَعْلِينَ، يَقُولُ يوسُفُ العَظْمُ<sup>(1)</sup>:

وَالظُّلْمُ كَأْسٌ إِنْ تَجَرَّعَهَا الفَتَى (مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلَقَمِ)

وَيَنْدَرِجُ هَذَا التَّنَاصُ فِي التَّنَاصِ الإِقْتِبَاسِيِّ المُنَصَّصِ الَّذِي يَعْمَدُ فِيهِ الشَّاعِرُ إِلَى نَصِّ مُسْتَقِلٍّ وَمُتَكَامِلٍ بِذَاتِهِ، سَوَاءً أَكَانَ بَيْتًا، أَمْ أَيْبَاتًا شِعْرِيَّةً كَامِلَةً، أَمْ شَطْرًا مِنْ بَيْتِ شِعْرِيٍّ، أَمْ جُمْلَةً نَثْرِيَّةً كَامِلَةً، فَيَقْتَطِعُهُ مِنْ سِيَاقِهِ، وَيَضَعُهُ فِي نَصِّهِ اللَّاحِقِ عَلَى حَالِهِ مِنْ دُونَ أَنْ يُغَيِّرَ فِي بَنِيَّتِهِ الأَصْلِيَّةِ لَأَبْزَادَةٍ وَلَا بِنِقْصَانٍ، وَلَا بِتَقْدِيمٍ وَلَا بِتَأْخِيرٍ، وَسَوَاءً فِي ذَلِكَ أَوْضَعُهُ ضِمْنَ عِلَامَتِي تَنْصِيصٍ أَمْ لَا".<sup>(2)</sup> وَهَذَا التَّفَاعُلُ بَيْنَ النِّصِّينِ مِنْ حِلَالِ التَّضْمِينِ وَإِنْ كَانَ يُؤَكِّدُ دَلَالَةَ النَّصِّ العَائِبِ فَإِنَّهُ يَتَجَاوَزُهَا بِدَلَالَةِ جَدِيدَةٍ وَلِيدَةٍ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الجَدِيدَةِ، وَفِي ذَلِكَ التَّنَاصُ وَالاسْتِدْعَاءُ تَعْضِيدٌ لِلْمَوْقِفِ الشَّعْرِيِّ فِي النَّصِّ الرَّاهِنِ

### 1-1-3- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي القَصِيدَةِ الشَّقِيْقَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ:

يَحْدُثُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ، هُنَا، بَيْنَ القَصِيدَةِ المُعَلِّقَةِ لِلَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ وَالقَصِيدَةِ الشَّقِيْقَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ لَبِيدِ، وَبِهَذَا التَّنَاصُ يُوَاصِلُ يوسُفُ العَظْمُ اسْتِدْعَاءَ نُصُوصِ الشَّعْرِ الجَاهِلِيِّ مُمَثَّلَةً فِي المُعَلِّقَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، مِنْ حِلَالِ مُعَارَضَتِهَا الوَاحِدَةَ تَلُو الأُخْرَى فَيَقِيمُ عَلَى أَنْقَاضِهَا نُصُوصَهُ الجَدِيدَةَ أَوْ مُعَلِّقَاتِهِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَيُصْهِرُ مَكُونَاتِهَا فِي بَوْتَقَةِ تَجْرِبَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ، وَبِوَاسِطَةِ الحِوَارِ وَالتَّحْوِيرِ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ يُوجِّهُ دِلَالَتَهَا إِلَى أَغْرَاضٍ غَيْرِ الَّتِي كَانَ يَقْصِدُ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ، مِمَّا يَجْعَلُ المُعَارَضَةَ الشَّعْرِيَّةَ فِي كُلِّ نَصٍّ مُعَارَضَةً مُفَارِقَةً مِ حَيْثُ المَعْنَى، وَيُؤَكِّدُ النَّصُّ هَذِهِ المُفَارِقَةَ وَبَيْنِهَا مِنْ حِلَالِ "وَقَفَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ جَاءَتْ كَافْتِحَامٍ تَشْرِيحِيٍّ لِلنَّصِّ القَدِيمِ، حَيْثُ تَمَّ تَمْزِيْقُهُ، وَإِعَادَةُ بِنَائِهِ".<sup>(3)</sup> فَالنُّصُوصُ المُعَارَضَةُ تُنْبِئُ عَنْ عَمَلِيَّةِ المُعَارَضَةِ وَإِنْ لَمْ يُخْبِرِ الشَّاعِرُ مُتَلَقِّيَهُ بِذَلِكَ لِاحْتِوَائِهَا عَلَى عِلَامَاتٍ وَإِشَارَاتٍ هِيَ بِمَثَابَةِ الدَّوَالِ الَّتِي تَسْتَحْضِرُ مَدْلُولَاتِهَا عِنْدَ التَّلَفُّظِ بِهَا، فَوَالنُّصُوصُ المُضْمَرَةُ أَوْ الَّتِي تَتَمَوَّقَعُ خَلْفَ النَّصِّ الرَّاهِنِ هِيَ جُزْءٌ مِنَ التَّرَاثِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يَبْحَثُ لَهُ عَنْ مَنَافِدِ فِي النَّصِّ الجَدِيدِ أَوْ عَنْ وُجُوهٍ وَأَقْنَعَةٍ مُعَاَصِرَةٍ، فَالشَّاعِرُ يَقِفُ "فِي مُوَاجَهَةِ سَافِرَةٍ مَعَ قَصِيدَةٍ مَعْرُوسَةٍ فِي قَلْبِ المَوْرُوثِ الشَّعْرِيِّ لِلقَارِي، وَهَذَا القَارِي فِي حَالَةِ اسْتِعْدَادِ صَارِمَةٍ لِإِطْلَاقِ حُكْمٍ قَاطِعٍ فِي هَذَا الأَمْرِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ المَوْرُوثَ حُطُورَةً كَبِيرَةً عَلَى المُبْدِعِ بِقَدْرِ مَا هُوَ مَدُّ حَضَارِيٍّ وَاسِعٌ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الحَالَةِ يَنْشَأُ صِرَاعٌ فَنِّيٌّ ذُو أَبْعَادٍ مَهُولَةٍ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالمَوْرُوثِ،

(1) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 51.

(2) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 168.

(3) المصدر نفسه، ص: 120.

فَالشَّاعِرُ مُوَاجِهٌ بِهَذَا الْعَطَاءِ الْعَظِيمِ مَخْزُونًا فِي ذَاكِرَةِ التَّارِيخِ، وَهِيَ عَظْمَةٌ لَهَا سُلْطَانٌ مُهَيِّمٌ قَدْ يَسْتَحُوذُ عَلَى الشَّاعِرِ وَيَحْتَوِيهِ، وَقَدْ يَطْمَسُهُ تَمَامًا، فَالشَّاعِرُ أَمَامَ تَحَدٍّ كَبِيرٍ فِي أَنْ يُثَبِّتَ نَفْسَهُ عَلَى التَّجْرِبَةِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَا مِنْ كَاتِبٍ يُقَدِّمُ عَلَى كِتَابَةِ نَصٍّ أَدَبِيٍّ إِلَّا وَيَضَعُ نَفْسَهُ فِي مُوَاجَهَةٍ مَعَ الْجِنْسِ الْأَدَبِيِّ لِذَلِكَ النَّصِّ".<sup>(1)</sup> وَيَتِمُّ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ النَّصِّينِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ:

#### أ- النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ:

يَتِمُّ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ فِي نَصِّ مُعَلِّقَةٍ لِبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ الَّتِي يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا<sup>(2)</sup>:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنَى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا

يَقُومُ النَّصُّ السَّابِقُ عَلَى نَسَقِ الْكَامِلِ الْإِقَاعِيِّ ذِي النَّسَقِ التَّقْفُويِّ الْمُوَحَّدِ الْمُطْلَقِ وَرَوِيهِ الْمِيمُ وَالْأَلْفُ الَّتِي قَبْلَهُ رِذْفٌ وَالْهَاءُ وَصَلُّ وَالْأَلْفُ بَعْدَ الْهَاءِ خُرُوجٌ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِي هَذَا النَّصِّ تِسْعَةً وَتَمَانِينَ بَيْتًا. وَيَبْدَأُ لِبَيْدِ نَصَّهُ هَذَا "بِوصْفِ الدِّيَارِ الْمُقْفَرَةِ وَالْأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ وَمَا فَعَلَتْ فِيهَا الْأَمْطَارُ، وَتَخَلَّصَ إِلَى الْغَزْلِ وَذَكَرَ نُورًا وَبَعْدَ مَقَرَّهَا، ثُمَّ إِلَى وَصْفِ نَاقَتِهِ... ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى وَصْفِ نَفْسِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ هُدُوءٍ وَاضْطِرَابٍ، وَوَصَفَ لِهَوَاهُ وَشَرْبِهِ الْخَمْرَ وَبَطْشَهُ وَسُرْعَةَ جَوَادِهِ وَكِرَمِهِ، وَأَنْتَهَى بِمَدْحِ قَوْمِهِ وَالْفَخْرِ بِكَرَمِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ".<sup>(3)</sup> وَيُهَاجِرُ هَذَا النَّصُّ الْجَاهِلِيَّ بِمَلَامِحِهِ الشَّكْلِيَّةِ لِيُقِيمَ عَلَى نُخُومِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَفِي وَسَطِهَا فِي النَّصِّ الْإِسْلَامِيِّ اللَّاحِقِ.

#### ب- النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ:

يَتِمُّ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ فِي قَصِيدَةِ يُوسُفَ الْعَظْمِ الْمُوصُوفَةِ بِـ(الشَّقِيقَةِ الْمُسْلِمَةِ لِمُعَلِّقَةِ لِبَيْدِ)<sup>(4)</sup>، وَقَدْ جَاءَتْ الْقَصِيدَةُ مِنْ حَيْثُ إِيقَاعُهَا الْخَارِجِيُّ عَلَى نَسَقِ إِيقَاعِيٍّ مُمَاتِلٍ لِنَسَقِ النَّصِّ الْمَعَارِضِ، فَهِيَ تَقُونُ عَلَى نَسَقِ الْكَامِلِ وَعَلَى نَسَقِ تَقْفُويٍّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ رَوِيهِ الْمِيمُ وَالْأَلْفُ الَّتِي قَبْلَهَا رِذْفٌ وَالْهَاءُ وَصَلُّ وَالْأَلْفُ بَعْدَهُ خُرُوجٌ، وَأَصْوَاتُ التَّقْفِيَةِ هَذِهِ مُلْتَزِمَةٌ مِنْ أَوَّلِ بَيْتٍ إِلَى آخِرِهِ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهَا تِسْعَةً وَخَمْسِينَ بَيْتًا، وَتَنْحَصِرُ مَوْضُوعَاتُهَا فِي ذِكْرِ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ وَمَدْحِ الرَّسُولِ وَذِكْرِ أَمْجَادِ أُمَّتِهِ وَذِكْرِ الْقُدْسِ وَوُجُوبِ تَحْرِيرِهَا وَالْحُزْنَ لِمَا آلَتْ إِلَيْهِ وَضُرُورَةَ التُّهُوسِ وَالثُّورَةِ فِي ضَوْءِ الْعَقِيدَةِ لِلْعُودَةِ إِلَى سَالِفِ أَيَّامِ الْمَجْدِ، يَقُولُ يُوسُفُ الْعَظْمُ فِي مُسْتَهْلَاقِهَا<sup>(5)</sup>:

زَكَتِ الدِّيَارُ وَقَدْ زَهَتْ أَعْلَامُهَا وَعَلَا بِمَكَّةَ عِزُّهَا وَمَقَامُهَا

(1) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص: 327.

(2) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 91.

(3) المصدر نفسه، ص: 90.

(4) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 24.

(5) المصدر نفسه، ص: 24.

والمصطفى الهادي ربيع قلوبنا يزجي صُفوفَ الفتح وهو إمامها  
في السلم حقل الخير موفور الجنى ولدى المعامع رُمحها وحسامها  
وإذا أطل ففي ركاب (محمد) ينجاب عن وجه الحياة ظلامها

إنَّ النَّصَّ اللَّاحِقَ يَلْتَفِتُ إِلَى النَّصِّ السَّابِقِ الَّذِي يُرْفِدُهُ وَيَمْنَحُهُ عُمَقًا وَأَصَالَةً فِي إِطَارِ الْجِنْسِ الْأَدَبِيِّ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ رَغْمَ انْتِمَائِهِ يُمَارِسُ اخْتِلَافَهُ أَوْ يُمَارِسُ نَفْيًا جُزْئِيًّا أَوْ كُلِّيًّا لِمَضْمُونِهِ، وَيَبْدَأُ هَذَا الْاِخْتِلَافَ مِنَ الْمَطَّلَعِ فَقَدْ حَوَّرَ الشَّاعِرُ فِي بَنِيَّةِ مَطَّلَعِ النَّصِّ الْأَوَّلِ حَيْثُ حَذَفَ الْفِعْلَ (عَفَت) وَأَضَافَ الْفِعْلَ (زَكَت) لِإِنتِاجِ تَرْكِيْبٍ جَدِيدٍ وَإِنتِاجِ دَلَالَةٍ جَدِيدَةٍ تَتَسَقُّ مَعَ السِّيَاقِ الْجَدِيدِ، فَالْفِعْلُ (زَكَت) دَالَ عَلَى الثَّمْرِ وَالرِّكَاتِ وَالْحَيَوِيَّةِ وَالْحَيَاةِ فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ الْأُولَى، وَهِيَ عَلَى خِلَافِ الدَّلَالَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْفِعْلُ (عَفَا) مِنْ انْمِحَاءِ وَزَوَالِ بِفِعْلِ الْهَجْرَةِ وَالرَّحِيلِ، وَقَدْ نَقَلَ لَفْظَةَ (مَقَامَهَا) فِي عَرُوضِ الْبَيْتِ إِلَى ضَرْبِهَا، وَحَافِظَ عَلَى التَّصْرِيحِ كَتَقْلِيدٍ وَزَنِيٍّ إِيقَاعِيٍّ. وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ تَتَعَلَّقُ بَنِيَّةُ الْمَطَّلَعِ بِالتَّنَاصُ الْاِقْتِنَاسِيِّ الْمَحَوَّرِ الَّذِي يَعْمَدُ فِيهِ الشَّاعِرُ إِلَى نَصِّ مُسْتَقِلٍّ وَمُتَكَامِلٍ بِذَاتِهِ، سَوَاءً أَكَانَ بَيْتًا أَمْ آيَاتًا شِعْرِيَّةً كَامِلَةً أَمْ شَطْرًا مِنْ بَيْتٍ شِعْرِيٍّ أَمْ جُمْلَةً نَثْرِيَّةً كَامِلَةً، فَيَقْتَطِعُهُ مِنْ سِيَاقِهِ، وَيَضَعُهُ فِي نَصِّهِ اللَّاحِقِ، بَعْدَ أَنْ يُغَيِّرَ فِي بَنِيَّتِهِ الْأَصْلِيَّةِ، فَيَزِيدُ فِيهَا أَوْ يُنْقِصُ، وَيُقَدِّمُ فِيهَا أَوْ يُؤَخِّرُ، سَوَاءً أَكَانَ هَذَا التَّغْيِيرُ أَوْ التَّحْوِيرُ بَسِيطًا أَمْ مُعَقَّدًا. (1) وَيُعَدُّ التَّنَاصُ فِي الْقَصِيدَةِ تَنَاصًا أُسْلُوبِيًّا.

وقد يكشفُ النصُّ عن محاكاته للنصِّ المتوارى عن طريق الإشارة إليه ببعض مفرداته المحورية البارزة كالمفردات التي تُشكّل القوافي، فالنصُّ الرَّاهِنُ يَحْرِصُ عَلَى تَقْفِيَةِ آيَاتِهِ بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ قَوَافِي النَّصِّ الْعَائِبِ تُقَارِبُ نِصْفَ قَوَافِي الْقَصِيدَةِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى الطَّابِعِ الْاِسْمِيِّ لِلتَّقْفِيَةِ، كَمَا يُبَيِّنُ هَذَا الْجَدْوَلُ:

(1) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 172.

البيت الشعريّ	قافية النَّصِّ الحاضر (المعارض)	البيت الشعريّ	قافية النَّصِّ الغائب (المعارض)
مطلع مصرّع	أعلامها-مقامها	مطلع مصرّع	مقامها-رحامها
55	حرامها	3	حرامها
13	كلامها	10	كلامها
9	أقلامها	8	أقلامها
23	سهامها	30	سهامها
25	ضرامها	39-31	ضرامها
28	إبرامها	29	إبرامها
14	سنامها	22	سنامها
38	قيامها	35	قيامها
36	قوامها	36	قوامها
43	نظامها	10	نظامها
56	تمامها	50	تمامها
6	قطامها	46	قطامها
35	مدامها	58	مدامها
59	حمامها	56	حمامها
5	ختامها	59	ختامها
4	ظلامها	65	ظلامها
16	أقدامها	71	أقدامها
18	أجسامها	73	أجسامها
34	أيتامها	77	أيتامها
7	أحلامها	82	أحلامها
58	حكّامها	86	حكّامها
81	إمامها	2	إمامها
24	كرامها	72	كرامها
17	زامها	62	زامها
32	عامها	87	عامها
43	قتامها	64	قتامها
37	سقامها	47	سقامها
41	صيامها	28	صيامها

فَهَذِهِ الْقَوَافِي الْمَشْتَرَكَةُ تُؤَدِّي إِلَى جَانِبٍ وَظِيْفَتِهَا الْإِيْقَاعِيَّةُ وَظِيْفَةٌ دَلَالِيَّةٌ فِي السِّيَاقِ الَّذِي تَحُلُّ فِيهِ، كَلْفِظَةٌ (نظامها) فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ نَصِّ لَبِيدِ الَّتِي تَرُدُّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْطِ الَّذِي يَنْتَظِمُ الْجُمَانَ وَالْدَّرَرَ، يَقُولُ لَبِيدٌ<sup>(1)</sup>:

وَنُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً كَجُمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا

وَهِيَ فِي النَّصِّ الْحَاضِرِ تَرُدُّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَنْهَجِ الْحَيَاةِ وَطَرِيقَةِ الْحُكْمِ، وَهِيَ دَلَالَةٌ اصْطِلَاحِيَّةٌ، يَقُولُ يُوسُفُ

الْعَظْمِ<sup>(2)</sup>:

قَدْ أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَبْرَ لِسَانِهَا وَبِهِ اسْتَقَامَ سَبِيلُهَا وَنِظَامُهَا

(1) الزَّوْزِيُّ: شرح المعلقات السبع، ص: 105.  
(2) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 25.

وَتَرْدُ لَفْظَةِ (حَرَامِهَا) فِي بَيْتِ لَبِيدٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْأَشْهُرِ الْحَرْمِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

دَمَنْ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْبِيئِهَا حَجَّجْ خَلَوْنَ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا

وَهِيَ عِنْدَ يُوسُفَ الْعَظْمِ تَحْمِيلُ الْمَعْنَى الْمُنَاقِضِ وَالْمُقَابِلِ لِلْحَلَالِ أَيْ مَا يُحْرِمُهُ الْإِسْلَامُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

فَمَتَى نُقِيمُ الصَّرْحَ مِنْ إِيْمَانِنَا لِيَزُولَ مِنْ رَكْبِ الْحَيَاةِ حَرَامِهَا

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ كُلَّ مُفْرَدَاتِ الْقَوَافِي تَنَائِي عَنْ دِلَالَتِهَا اللَّغَوِيَّةِ الصَّرِيحَةِ وَإِنَّمَا تَأْتِي لِتَقْتَسِمَ جُزْءًا مِنْ

دِلَالَةِ السِّيَاقِ، كَلَفْظَةِ (إِمَامِهَا) فَهِيَ فِي بَيْتِ لَبِيدٍ لِلْمُؤْتَمِّ بِهِ أَوْ الْمُقْتَدَى بِهِ فِي فِعْلٍ وَغَيْرِهِ، يَقُولُ لَبِيدٌ<sup>(3)</sup>:

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سَنَةٌ وَإِمَامُهَا

وَهِيَ تَرِدُ بِالْمَعْنَى نَفْسَهُ الْمَصْرُوفَ إِلَى شَخْصِ الرَّسُولِ، يَقُولُ يُونُسُ الْعَظْمِ<sup>(4)</sup>:

وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي رَيْعُ قُلُوبِنَا يُزْجِي صُفُوفَ الْفَتْحِ وَهُوَ إِمَامُهَا

وَهَكَذَا فَالنَّصُّ الرَّاهِنُ إِذْ يَتَنَاصُ مَعَ النَّصِّ الْعَائِبِ يُحَوِّرُ مِنْ دِلَالَةِ وَحَدَاتِهِ بِمَا يَفْتَضِيهِ الْمَوْقِفُ وَالتَّجْرِبَةُ

الشَّعْرِيَّةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْ رُؤْيَا إِسْلَامِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ رُؤْيَا الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ، فَالنَّصُّ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ يَنْفِي كُليًّا

الْمُضْمُونَ الْفِكْرِي الَّذِي يَنْطَوِي عَلَيْهِ النَّصُّ الْأَوَّلُ بِمَلَامِحِهِ التَّصَوُّرِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَفَلَسَفَتِهِ الْمُعِينَةِ لِلنَّاسِ وَالْحَيَاةِ

وَالْكُونِ.

#### 1-1-1-4- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الشَّقِيْقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ:

يَحْدُثُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ، هُنَا، بَيْنَ الْقَصِيدَةِ الْمُعَلِّقَةِ لِعَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ وَالْقَصِيدَةِ الشَّقِيْقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ

عَمْرٍو، وَإِذَا كَانَ التَّنَاصُ عَمَلِيَّةً مُعَقَّدَةً غَالِبًا وَغَيْرَ ظَاهِرَةً إِلَّا بِإِنْعَامِ النَّظْرِ. " (5) فَإِنَّهُ فِي الْمُعَارَضَةِ يَتَجَلَّى عَلَى

مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ أَوْ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ، وَتَشِي بِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَلَامَةٍ كَمَا يَتَّضِحُ فِي هَذَا النَّصِّ الْمُعَارِضِ

الَّذِي وَسَمَهُ يُوسُفُ الْعَظْمُ بِـ(الشَّقِيْقَةِ الْمُسْلِمَةِ لِمُعَلِّقَةِ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ)<sup>(6)</sup> حَيْثُ يَأْتِي التَّدَاخُلُ النَّصِّيُّ مُحَسَّدًا

عِلَاقَةً مَتِينَةً بَيْنَ نَصَّيْنِ يَتَضَمَّنُ فِيهَا النَّصُّ الثَّانِي اللَّاحِقُ النَّصَّ الْأَوَّلَ السَّابِقَ، إِنَّ بِنْيَةَ الْإِيْقَاعِ كَجُزْءٍ مِنَ الْبِنْيَةِ

الصَّوْتِيَّةِ السَّطْحِيَّةِ تَضْطَلِعُ بِوِظِيْفَةِ الْإِحَالَةِ الْمُبَاشِرَةِ إِلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي اسْتَقَى مِنْهُ النَّصُّ الرَّاهِنُ كِيَانَهُ اللَّغَوِيَّ وَالْفَنِّيَّ

مُعْجَمًا وَصُورَةً وَإِيْقَاعًا. وَبِهَذَا الْحُضُورِ الْمُعْلَنِ لِنَصِّ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ فِي نَصِّ يُوسُفَ الْعَظْمِ تَمَّ التَّنَاصُ عَلَى

مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ فَأَنْجَزَ تَشَاكُلًا بَيْنَ النَّصَّيْنِ وَانْتَفَى هَذَا التَّشَاكُلُ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ أَوْ الْمَوْضُوعِيَّةِ -

(1) الزُّوزِي: شرح المعلقات السَّبع، ص: 92.

(2) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 33.

(3) الزُّوزِي: شرح المعلقات السَّبع، ص: 115.

(4) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 24.

(5) أحمد محمد قُدُور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص: 131.

(6) المصدر نفسه، ص: 79.

المضمونية-، فالنص الثاني اللاحق يُرْسَخُ في ذهن المتلقي تصوُّراً خاصاً ورؤية متميزة ويعزز فيما إنسانية رفيعة سعى الإسلام إلى إذاعتها في المجتمع المسلم، وهي قيم سواء تعلق بالفرد أو الجماعة تُخالف ما اعتاده المجتمع الجاهلي. والتناص يُسمح للنص السابق المعارض باصطحاب النص السابق المعارض فهو ظلُّ الذي لا يفارقه وإن كان شاحباً كما يتبين فيما يأتي:

#### أ- النصُّ السابقُ المعارضُ:

يتمثل النصُّ السابقُ المعارضُ في نصِّ مُعلِّمةِ عمرو بنِ كلثوم التي يقول في مُستهلِّها<sup>(1)</sup>:

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْحِينَا      وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا  
مُشَعَّشَعَةً كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا      إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَحِينَا  
تَجُورُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ      إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا  
تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرْتَ      عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا

ويقوم نصُّ المُعلِّمةِ على نسق الوافر الإيقاعي ذي النسق التقفوي الموحد المطلق ورويه التُّون والياء قبله ردْفُ والألف بعده وصل، وقد بلغ النفس الشعري في هذه المُعلِّمة مائة وثلاثة أبيات، وتتضمن ذكرَ الخمرِ والحبيبة، ومخاطبتها ووصفها والدفاع عن قومه والمفاخرة والتَّهديد.<sup>(2)</sup>

#### ب- النصُّ اللاحقُ المعارضُ:

يتمثل النصُّ اللاحقُ المعارضُ في نصِّ قصيدة يوسف العظم التي يقول في مُستهلِّها<sup>(3)</sup>:

أَلَا هُبِّي بِرَبِّكَ تَبْهِينَا      فَنُورُ الْفَجْرِ أَوْشَكَ أَنْ يَبِينَا  
لِنَسْجُدَ لِلْمُهَيْمِنِ فِي خُشُوعٍ      وَنَرَكَعَ لِلَّذِي فَطَرَ الْجَنِينَا  
وَصَاغَ لَهُ مِنَ الْأَرْحَامِ دِرْعًا      أَوْدَعَ أُمَّهُ قَلْبًا حُنُونَا  
وَأَلْهَمَهَا الْمَحَبَّةَ وَالتَّقَانِي      وَفَجَّرَ صَدْرَهَا لَبْنًا سَحِينَا  
وَفِي الْأَذَانِ قَدْ آتَاهُ سَمْعًا      وَلِلْإِبْصَارِ قَدْ خَلَقَ الْعُيُونَا  
وَقَلْبُ الْأُمِّ لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ      إِذَا مَا أَنْجَبَتْ يَوْمًا بَنِينَا  
فَإِنْ حَضَرُوا تَذُوبٌ هَوَى وَحِبًّا      وَإِنْ غَابُوا تَذُوبٌ لَهُمْ حِينَا

وقد قدّم يوسف العظم لقصيدته بالعتبة النصّية الآتية، يقول: "وبعد فهذه مُعلِّمة (عمرو) التي ما عرضت لقصيدة إنسانية، ولا دعت إلى مقاييس عادلة، ولا قيم سامقة، ولكنها تغنت بالخمر، وشببت بالنساء، ومزحت في فخرها الصّدق بالكذب، والحقّ بالباطل! فماذا تقول حفيدتها اليوم في القرن الخامس عشر الميلادي بعد أن سرى الإيمان

(1) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 118.

(2) حنا الفاحوري: منتخبات الأدب العربي، ص: 22.

(3) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 79.

فِي عُرُوقِهَا، وَضَمَّخَ الْإِسْلَامَ أَنْفَاسَهَا بِعَطْرِ الْجِهَادِ وَالِاسْتِسْهَادِ فِي جِيلِ الْعَدِّ الظَّافِرِ بِإِذْنِ اللَّهِ. (1) فَهَذَا النَّصُّ الْمُوَازِي يُبْنِي عَلَى اخْتِلَافِ الْقِيمِ فِي الْقَصِيدَتَيْنِ الَّذِي يَعْكُسُ رُؤْيَا مَخْتَلِفَتَانِ فِكْرًا وَفَنًا، فَالْقِيمُ الْفَنِيَّةُ كَالصِّدْقِ فِي الْعَمَلِ الْفَنِيِّ تَطَالُهُ الرُّؤْيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي لَا تَتَوَقَّفُ عِنْدَ الْمَضَامِينِ.

يَقُومُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ عَلَى نَسَقِ الْوَافِرِ الْإِيقَاعِيِّ وَعَلَى نَسَقِ تَقْفَوِيٍّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ، رُوِيَهُ التُّونُ وَالْيَاءُ قَبْلَهُ رِذْفٌ وَالْأَلْفُ بَعْدَهُ وَصَلٌ، وَمَطْلَعُهَا مُصْرَعٌ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهَا تَسْعَةً وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا، وَتَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الصَّلَاةِ وَرِعَايَةِ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ وَنِعْمَةِ الْأُمِّ وَدَعْوَةَ إِلَى الصَّلَاحِ وَفَخْرًا بِالْأَمْجَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَدَعْوَةَ إِلَى نَهْضَةِ الشَّبَابِ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ لِذَخْرِ الْعَدُوِّ.

وَيَتَحَلَّى أَثْرُ التَّدَاخُلِ التَّنَاصِيٍّ فِي الْقَصِيدَةِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ مَحْوَرٍ، وَهُوَ عَلَى مَحْوَرِ الْإِيقَاعِ بِعُنَاوَرِهِ الْمُخْتَلِفَةِ أَوْضَحَ - كَالنَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ وَالتَّقْفَوِيِّ الْمُتَنَزِّمِ بِأَصْوَاتِهِ وَكَيْبِيَّةِ التَّصْرِيحِ فِي الْمَطْلَعِ؛ أَيْ تَصْيِيرِ آخِرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ مِثْلَ قَافِيَتِهَا (2) - إِنَّ هَذَا التَّدَاخُلَ يَسْلُكُ التَّنَاصُ فِي الْقَصِيدَةِ فِي التَّنَاصِ الْأُسْلُوبِيِّ، فَالشَّاعِرُ يَبْنِي نَصَّهُ الْحَاضِرَ عَلَى هَيْكَلِ النَّصِّ الْغَائِبِ مُحَاكَاةً وَمُحَاذَاةً لِأُسْلُوبِهَا إِيقَاعًا وَتَرْكِيبًا وَمُعْجَمًا، فَعَلَى مُسْتَوَى الْمُعْجَمِ يَظْهَرُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي الْإِفَادَةِ مِنَ الْبُنْيِ الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي تُشَكِّلُ النَّصَّ السَّابِقَ الَّذِي فَكَّكَتْ بِنْيَتَهُ، هُنَا، لِتُعَادَ صِيَاغَتُهُ صِيَاغَةً جَدِيدَةً تُعَبِّرُ عَنْ مَضْمُونِ دَلَالِيٍّ وَشُعُورِيٍّ مُخْتَلِفٍ وَمُنْسَجِمٍ مَعَ مَقْصِدِيَّةِ الشَّاعِرِ فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ الَّذِي تَتَجَاوَزُ دِلَالَتُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ الْمُسْتَوْحَاةَ مِنَ الْبِيئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِكُلِّ عُنَاوَرِهَا وَقِيمِهَا الْفِكْرِيَّةِ وَالْعَقْدِيَّةِ، فَقَدْ تَسَلَّلَتْ إِلَى بِنْيَةِ النَّصِّ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي تَتَوَزَّعُ عَلَى الْفَضَائِلِ، نَرُصِدُ مِنْهَا مَا شَكَّلَ الْقَافِيَةَ لَوْظِفَتَهُ الْإِيقَاعِيَّةَ وَالدَّلَالِيَّةَ فِي هَذَا الْجَدْوَلِ:

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 78.

(2) يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص: 174.

البيت الشعري	قافية النص الحاضر (المعارض)	البيت الشعري	قافية النص الغائب (المعارض)
مطلع مصرع	ببهيئا-بيينا	مطلع مصرع	اصبينا-أندرينا
4	سحينا	2	سحينا
46	يلينا	3	يلينا
38	مهينا	4	مهينا
8	العيونا	11	العيونا
2	الجنينا	14	جنينا
48	الجنونا	17	جنونا
7	حنينا	19	الحنينا
10	اليقينا	23	اليقينا
46	يلينا	41	يلينا
1	بيينا	40	بيينا
6	بنينا	48	بنينا
12	الجاهلينا	53	الجاهلينا
49	الجبيينا	59	الجبيينا
83	دينا	61	دينا
47	قرينا	66	القرينا
32	مقرنينا	86	مقرنينا
42-36	فيينا	101	فيينا
18	ساجدينا	103	ساجدينا

وَيَبْتَضِحُ مِنَ الْجَدُولِ أَنَّ مُفْرَدَاتِ النَّصِّ السَّابِقِ أَوْ الْعَائِبِ عَلَى مُسْتَوَى الْقَافِيَةِ تُمَثِّلُ نِسْبَةً (36.73%) مِنْ مَجْمُوعِ قَوَافِي النَّصِّ اللَّاحِقِ الْمُعَارِضِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ صَدَى النَّصِّ الْعَائِبِ أَقْوَى وَأَكْثَفُ فِي النَّصِّ الْحَاضِرِ، لَكِنَّ النَّصَّ الْحَاضِرَ الْمُعَارِضَ يُشْفِرُهَا بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَهُوَ مُمْتَصِّ لَهَا يَجْعَلُهَا مِنْ عِنْدِيَاتِهِ وَيُصَيِّرُهَا مُنْسَجِمَةً مَعَ فِضَاءِ بِنَائِهِ، وَمَعَ مَقَاصِدِهِ.<sup>(1)</sup> وَعَلَى مُسْتَوَى الْبُنَى التَّرَكِيبِيَّةِ فَقَدْ تَسَلَّتْ إِلَى النَّصِّ كِنْيَةً (أَلَا هُبِّي) الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى عَلَامَةٍ نَتَاصِيَّةٍ بَارِزَةٍ، وَرَدَتْ فِي مَطْلَعِ النَّصِّ<sup>(2)</sup>:

أَلَا هُبِّي بِرَبِّكَ نَبْهِيْنَا فَنُورُ الْفَجْرِ أَوْشَكَ أَنْ يَبِينَا

تَسْتَحْضِرُ بِنْيَةَ الْمَطْلَعِ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ حَيْثُ الشَّكْلُ اللَّغَوِيُّ مُفْرَدَاتٍ وَتَرَائِبٍ بِنْيَةِ مَطْلَعِ الْمَعْلَقَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَتُحِيلُ عَلَيْهِ مُبَاشَرَةً، وَتَنْفِي فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ مِنْ حَيْثُ الْمَضْمُونُ نَفِيًّا كَلِمًا مَا يَحْتَوِيهِ الْمَطْلَعُ الشَّعْرِيُّ الْجَاهِلِيُّ وَمَا تَحْتَوِيهِ الْقَصِيدَةُ بِرُمَّتِهَا مِنْ مَضَامِينٍ فِكْرِيَّةٍ وَوَجْدَانِيَّةٍ، أَيْ كُلِّ مَا دَعَا إِلَيْهِ النَّصُّ السَّابِقُ، فَقَدْ وَجَّهَ ذَلِكَ الْجَاهِلِيُّ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، دَعْوَةً حَثِيثَةً لِلْسَّاقِيَةِ لِنُجْعَلْ لَهُ بِالْخَمْرِ لِيَقْطَعَ صَحْوَهُ بِسُكْرِهِ، فَهَذَا أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ يَوْمَهُ، بَيْنَمَا بِنْيَةُ الْمَطْلَعِ فِي النَّصِّ الثَّانِي فُتْلَعِي وَتَنْسَخُ هَذِهِ الدَّعْوَةَ الْجَاهِلِيَّةَ وَيُثَبِّتُ دَعْوَةَ إِسْلَامِيَّةً، فَيَعْرِضُ عَلَى الْمُخَاطَبَةِ أَنْ تُعَجَّلَ بِتَنْبِيهِهِ لِلصَّلَاةِ لِيَسْتَيْقِظَ عَلَى الطَّاعَةِ وَيَصْحُو عَلَى الْإِيمَانِ وَبِهَذَا يَبْدَأُ يَوْمَهُ الْجَدِيدَ، فَالْتِدَاخُلُ أَوْ التَّلَقُّ النَّصْبِيُّ فِي هَذَا الْمَطْلَعِ يَتَحَلَّى مِنْ خِلَالِ اسْتِدْعَاءِ مَطْلَعِ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ لِمَا لَهُ مِنْ سُلْطَةِ شِعْرِيَّةٍ وَقِيَمَةِ أَدْبِيَّةٍ فِي الثَّرَاثِ الْأَدْبِيِّ، وَيَسْمَحُ لَهُ بِالتَّفَاعُلِ فِي سِيَاقِهِ الرَّاهِنِ، ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى إِزَاحَةِ حُمُولَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَشَحْنَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ وَإِدْرَاجِ أُخْرَى لَتَحْدُمَ مَقْصِدِيَّةَ الشَّاعِرِ فِي تَجْرِبَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ وَلِتَعْبَّرَ عَنْ رُؤْيَتِهِ وَمَوْقِفِهِ الْإِسْلَامِيِّ.

(1) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 121.

(2) يوسف العظم: لو أسلمت المعلمات، ص: 79.

وَتَرْدُ بَعْدَ الْمَطْلَعِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبُنَى التَّنَاصِيَةِ فِي ثَنَائِهَا النَّصِّ اللَّاحِقِ الْمَعَارِضِ، فَتَأْخُذُ شَكْلَ التَّضْمِينِ حِينَ يَدْخُلُ الشَّاعِرُ فِي تَرْكِيبَةِ بَيْتِهِ الشَّعْرِيِّ جُزْءًا مِنْ بِنْيَةِ شِعْرِيَّةٍ فِي النَّصِّ السَّابِقِ الْمَعَارِضِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَخَا الْأَوْثَانَ لَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا      وَلَا تَحْمِلْ لَوَاءَ الْمَارِقِينَا  
لَعَلَّ اللَّهَ يَشْرَحُ مِنْكَ صَدْرًا      فْتَمْضِي فِي ذُرُوبِ الصَّالِحِينَا  
وَإِنْ أَقْبَلْتَ تَسْأَلُ فِي حَمَانَا      فَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا  
بِأَنَّا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَجَرًّا      وَنَسْجُدُ لِلْمُهَيْمِنِ خَاشِعِينَا  
وَنَضْمَعُ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ نُورًا      لِنَخْرُجَ مِنْ كُهُوفِ الْجَاهِلِينَا

فَهَذَا الْمَقْطَعُ يَتَضَمَّنُ أَجْزَاءً مِنَ النَّصِّ السَّابِقِ كَتَضْمِينِ الشَّطْرِ أَوْ الْعَجْزِ (فَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا)، وَتُحِيلُ الْبِنْيَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ بوضوحٍ إِلَى النَّصِّ السَّابِقِ<sup>(2)</sup>:

أَبَاهِنْدُ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا      وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا  
بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا      وَنُصَدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْرَوِينَا

وَقَدْ أوردَ الشَّاعِرُ عَجْزَ الْبَيْتِ الثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ نَصِّ الْمَعْلُوقَةِ بِكَلِمَتِهِ دُونَ أَدْنَى تَحْوِيرٍ فِيهِ، وَقَدْ وَضَعَهُ بَيْنَ عِلْمَتَيْ تَنْصِيصٍ بَوْصَفِهِ (اسْتِشْهَادًا شِعْرِيًّا) (Citation) الَّذِي يُعْرَفُهُ جِيرَارُ جَنِيَّتٍ بِأَنَّهُ تَكَرَّرَ لِوَحْدَةِ نَصِيَّةٍ مِنْ خِطَابٍ فِي خِطَابٍ آخَرَ.<sup>(3)</sup> بَيْنَمَا يُورِدُ صَدْرَ الْبَيْتِ مُحَوَّرًا فَقَدْ حَذَفَ بِنْيَةَ النَّدَاءِ (أَبَا هِنْدُ) وَهِيَ كُنْيَةُ تَشْرِيْفٍ وَأَصَافَ بِنْيَةَ نَدَاءٍ أُخْرَى (أَخَا الْأَوْثَانَ)، وَهِيَ كُنْيَةُ تَحْقِيرٍ، وَوَضَعَ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ الثَّامِنِ مِنْ قَصِيدَتِهِ. وَيُشَكِّلُ هَذَا التَّدَاخُلَ تَنَاصًا اقْتِبَاسِيًّا كَامِلًا فِي الْأَوَّلِ وَجُزْئِيًّا فِي الثَّانِي فَالْنَّصُّ الرَّاهِنُ لَا يَخْضَعُ لِسُلْطَةِ النَّصِّ الْعَائِبِ خُضُوعًا كَامِلًا وَإِنَّمَا يُحَاوِرُهُ وَيُنْفِذُ مِنْ حِلَالِ التَّعْدِيْلَاتِ الَّتِي يُجْرِيهَا عَلَى بِنْيَاتِ النَّصِّ الْعَائِبِ مَشْرُوعَهُ الدَّلَالِيَّ. عَلَى أَنَّ أَيْتَاتِ الْقَصِيدَةِ لَا تَتَعَانَقُ مَعَ نَصِّ الْمَعْلُوقَةِ فَحَسَبُ، فَهَنَّاكَ حُضُورُ لِنَصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (لَعَلَّ اللَّهَ يَشْرَحُ مِنْكَ صَدْرًا)، فَمُفْرَدَاتُ هَذِهِ الْبِنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ تَرْدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى<sup>(4)</sup>: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَقَوْلُهُ<sup>(5)</sup>: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾. وَفِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(6)</sup>:

مَلَأْنَا الْكُونَ عَدْلًا وَأَنْطَلَقْنَا      نَقُودُ الرَّحْفِ وَالْفَتْحِ الْمَبِينَا

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 80.

(2) الزوزني: شرح المعاني السبع، ص: 122.

(3) جيار جنييت: مدخل لجامع النص، ص: 90.

(4) سورة الأنعام، الآية: 125.

(5) سورة الشرح، الآية: 1.

(6) يوسف العظم: لو أسلمت المعاني، ص: 85.

تَبْدُو الإِشَارَةَ الحَاطِطَةَ إِلَى النَّصِّ القُرْآنِيِّ مُتَّجِسِّدًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي مُخَاطَبَةِ رَسُولِهِ<sup>(1)</sup>: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، وَقَدْ تَكُونُ الإِشَارَةُ إِلَى مُطْلَقِ (الْفَتْحِ) أَوْ (الْفُتُوحَاتِ)؛ أَيَّ إِلَى الفُتُوحَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ الرَّائِدَةِ عَلَى طُولِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ الأَعْرَبِ. وَتُضْفِي بِنِيَّةِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ المُقْتَبَسَةِ جُزْئِيًّا وَالمُكْتَفَى فِيهَا بِبَعْضِ المَكُونَاتِ اللِّسَانِيَّةِ النَّصِّ الحَاضِرِ قُوَّةً فِي الإِيحَاءِ وَعُمُقًا فِي الدَّلَالَةِ، وَتَرِبُطُهُ بِأَهَمِّ مَصْدَرٍ يُشَكِّلُ الرُّؤْيَا الكَامِنَةَ خَلْفَهُ وَالتِّي تُوجِّهُ مَضَامِينَهُ الفِكْرِيَّةَ وَالشُّعُورِيَّةَ.

تُهَيِّمُنُ بِنِيَّةِ النَّصِّ المُتَسْتَرِّ، إِذَا، عَلَى النَّصِّ الحَلِيِّ لَفْظًا وَإِقَاعًا وَيَظَلُّ نَسَقُهَا اللِّسَانِيُّ الفَضَاءَ الَّذِي تَنُمُو وَتَتَحَرَّكُ فِيهِ التَّجْرِبَةُ الرَّاهِنَةُ وَتُنَجِزُ خُصُوصِيَّتَهَا، وَتَتَضَحُّ سَطْوَةَ النَّصِّ الغَائِبِ فِي كُلِّ النَّصِّ كَبِنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ مُضْمَرَةٍ أَوْ خَلْفِيَّةٍ يَتِمُّ الإِنْجَازُ أَوْ (الرَّسْمُ) الشُّعْرِيُّ عَلَى مَنَوَالِهَا أَوْ عَلَى تَرَسِيمَتِهَا أَوْ خُطَاطَتِهَا، وَقَدْ تَطْفُو عَلَى السَّطْحِ بَعْضُ مَكُونَاتِ تِلْكَ البِنِيَّةِ مِنَ المَلْفُوظَاتِ الشُّعْرِيَّةِ، فِي البَيْتِ السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ مِنَ القَصِيدَةِ تَأْتِي البِنِيَّةُ التَّرَكِيبِيَّةُ الوَاقِعَةُ مَفْعُولًا بِهِ (أَنْ يُقَرَّ الذَّلَّ فِينَا) - المَعْلَمَةُ بِعَلَامَتِي تَنْصِيصٍ تَأْكِيدًا عَلَى اقْتِبَاسِهَا - فِي عَجْزِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

وَدِينُ اللَّهِ يَرْفُضُ كُلَّ بَاغٍ وَيَأْبَى (أَنْ يُقَرَّ الذَّلَّ فِينَا)

مَلَأْنَا الكَوْنَ عَدَلًا وَأَنْطَلَقْنَا نَقُودَ الرِّحْفِ وَالفَتْحِ المَبِينَا

تَأْتِي هَذِهِ البِنِيَّةُ التَّرَكِيبِيَّةُ مِنَ البَيْتِ الوَاحِدِ بَعْدَ المَائَةِ مِنَ المَعْلَمَةِ، حَيْثُ يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

وَإِذَا المَلِكُ سَامَ حَسْفًا أَبِينَا أَنْ نُقَرَّ الذَّلَّ فِينَا

مَلَأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءُ البَحْرِ نَمَلُؤُهُ سَفِينَا

وَلَمْ يُعَيِّرِ النَّصُّ الثَّانِي مِنَ الشُّطْرِ الثَّانِي لِلبَيْتِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى هَذِهِ البِنِيَّةِ التَّرَكِيبِيَّةِ فِي نَصِّ المَعْلَمَةِ، إِلاَّ الفِعْلَ (أَبِينَا) بِصِيغَةِ المَاضِي المُسْنَدِ إِلَى الفَاعِلِ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ (نَا)، فَتَمَّ تَحْوِيرُهُ إِلَى صِيغَةِ (يَأْبَى) المُضَارَعَةِ المُسْنَدَةِ إِلَى الفَاعِلِ (دِينِ اللَّهِ)، فَقَدْ احْتَفَظَ بِمَادَّتِهِ وَتَصَرَّفَ فِي صِيغَتِهِ تَبَعًا لِلدَّلَالَةِ المُرَادِ إِنْتَاجُهَا، فَأَمْرُ المُسْلِمِ مَرْجِعُهُ كُلُّهُ إِلَى دِينِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَقِيرٍ وَحَلِيلٍ مِنَ الأُمُورِ، لَأِ إِلَى أَهْوَاءِ الإِنْسَانِ المُعْجَبِ بِنَفْسِهِ، فَرْدًا أَوْ جَمَاعَةً، وَفِي البَيْتِ الثَّانِي بَعْدَ المَائَةِ مِنَ نَصِّ المَعْلَمَةِ يُبْقِي النَّصُّ الفِعْلَ (مَلَأْنَا) وَحَدَهُ وَيُكْمِلُ البَيْتَ بِنِيَّةٍ جَدِيدَةٍ مُخَالَفَةً لَفْظًا وَمَعْنَى، وَيَقُومُ الفِعْلُ هُنَا مَقَامَ العَلَامَةِ الإِشَارِيَّةِ المُكْتَفَى الدَّلَالَةَ القَادِرَةَ عَلَى اسْتِحْضَارِ النَّصِّ البَعِيدِ وَالإِحَالَةَ إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ التَّلْفُظِ بِهَا، وَيَعُدُّ هَذَا التَّنَاصُّ مِنَ التَّنَاصِّ الإِقْتِبَاسِيِّ بِنُوعِيَّةِ الكَامِلِ وَالجُزْئِيِّ، وَتَكْمُنُ وَظِيفَتُهُ فِي جَعْلِ النَّصِّ المُتَشَكَّلِ مَفْتُوحًا عَلَى أَصْدَاءِ النُّصُوصِ الأُخْرَى السَّابِقَةِ، وَتَقُومُ أَلِيَّةُ التَّدَاعِي عَلَى اسْتِدْعَاءِ بَعْضِ التَّجَارِبِ الإِبْدَاعِيَّةِ المُوْغَلَةِ فِي

(1) سورة الفتح، الآية: 1.

(2) يوسف العظم: لو أسلمت العلقات، ص: 84.

(3) الزوزني: شرح العلقات السبع، ص: 135.

الْقِدَمِ أَوْ الرَّاهِنَةِ وَتَهْيِئَةً أَمْكِنَةً لَهَا فِي التَّجْرِبَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ الرَّاهِنَةِ، أَوْ تَوْطِينَ تِلْكَ التُّصُوصِ فِي النَّصِّ قَيْدَ التَّكْوُنِ لِإِخْصَابِ وَإِثْرَاءِ دَلَالَاتِهِ وَأَبْعَادِهِ.

#### 1-1-1-5- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الشَّقِيْقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى:

إِنَّ النَّصَّ الْمَعَارِضَ "مُدَوَّنَةٌ حَدَثَ كَلَامِيَّ ذِي وَظَائِفَ مُتَعَدِّدَةٍ".<sup>(1)</sup> وَلِذَا يَظْهَرُ التَّنَاصُّ فِيهِ عَبْرَ مُسْتَوِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَيُقَوِّمُ بِوَظَائِفَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَالنَّصُّ، فِي ضَوْءِ الْإِجْرَاءِ التَّنَاصِيِّ الَّذِي يُشْرَحُ جَسَدَهُ بَحَثًا عَنْ عِلَاقَاتِهِ وَارْتِبَاطَاتِهِ بَعِيْرِهِ، لَيْسَ مُجَرَّدَ الْبَيِّنَةِ اللَّغَوِيَّةِ وَالذِّلَالِيَّةِ، فَهُوَ فِي الْوَاقِعِ فِضَاءٌ تَتَعَارَفُ فِيهِ التُّصُوصُ أَوْ تَتَنَاقَرُ، وَتَتَنَافَسُ "مِمَّا يَجْعَلُ بَعْضَهَا يَقُوْمُ بِتَحْيِيْدِ الْبَعْضِ الْآخَرَ وَنَقْضِهِ".<sup>(2)</sup> وَيَقُوْمُ النَّصُّ الشَّعْرِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْمَعَارِضُ بِمِثْلِ هَذَا التَّحْيِيْدِ أَوْ الْإِزَاحَةِ وَالنَّقْضِ، وَهُوَ يَسْتَدْعِي النَّصَّ الْجَاهِلِيَّ الْقَدِيْمَ وَيَسْتَضِيْفُهُ، لِيُؤَسِّسَ نَصَّهُ الْمُخْتَلِفَ رُؤْيَةً وَمَضْمُونًا وَالْمُوَافِقَ شَكْلًا شَعْرِيًّا وَلُغَوِيًّا-فَكَلَاهُمَا تَقُوْمُ اللَّغَةُ عِيْنَهَا بِتَشْفِيْرِ بِنِيْتِهِمَا- وَيُرْسِخُ هُوِيَّتَهُ ضِمْنَ السِّيَاقِ الْأَدْبِيِّ وَالنَّقَافِيِّ. وَإِذَا كَانَ النَّصُّ الْمَعَارِضُ يَتَحَكَّمُ فِي مَضْمُونِهِ فَإِنَّ الشَّكْلَ هُوَ الْمُتَحَكَّمُ فِي الْمُنَاصِّ وَالْمُوجَّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ هَادِي الْمُنَلَّقِي لِتَحْدِيْدِ النَّوْعِ الْأَدْبِيِّ وَلِإِدْرَاكِ التَّنَاصِّ، وَفَهْمِ الْعَمَلِ الْأَدْبِيِّ".<sup>(3)</sup> وَتَأْسِيْسًا عَلَيَّ هَذَيْنِ الْمَبْدَأَيْنِ تَتِمُّ مُقَارَبَةُ التَّنَاصِّ فِي نَصِّ يُوسُفَ الْعَظْمِ (الشَّقِيْقَةِ الْمُسْلِمَةِ لِمُعَلِّقَةِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى) عَلَيَّ أُسْلُوبِ نَصِّ مُعَلِّقَةِ زُهَيْرٍ حَيْثُ يُشَكِّلُ كُلُّ مِنْهُمَا طَرَفِي هَذَا التَّفَاعُلِ.

#### أ- النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ:

يَتِمُّ النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ فِي نَصِّ مُعَلِّقَةِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى الَّتِي يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَهَا<sup>(4)</sup>:

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلَّمِ  
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيْعُ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ  
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خَلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ  
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِيْنَ حِجَّةً فَلَأَيَّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ  
أَثَافِي سَفْعًا فِي مُعْرَسِ مَرَجَلٍ وَنُؤْيَا كَجَذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلَّمِ  
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبِيعُ وَأَسْلَمِ

وَيَقُمُ النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ عَلَيَّ نَسَقِ الطَّوِيلِ الْإِيْقَاعِيِّ وَعَلَيَّ نَسَقِ تَقْفَوِيٍّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ، وَرُؤْيُهُ الْمِيْمُ وَمَجْرَاهُ الْكَسْرُ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ اثْنِيْنَ وَسَتِيْنَ بَيْتًا.<sup>(1)</sup> وَيَتَضَمَّنُ مَوْضُوعَاتٍ مُتَنَوِّعَةً كَمَوْضُوعَةِ الْأَطْلَالِ وَمَوْضُوعَةِ الرَّحِيْلِ وَمَدْحِ الْمُصْلِحِيْنَ وَنُصْحِ الْمُتَصَالِحِيْنَ وَمَوْضُوعَةِ الْحَرْبِ وَمَوْضُوعَةِ الْحِكْمَةِ.

(1) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 121.

(2) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 229.

(3) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 130.

(4) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 73.

## ب- النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ:

يَتِمُّثَلُّ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ فِي نَصِّ قَصِيدَةِ يُوسُفَ الْعَظَمِ الَّتِي يَصِفُهَا بِـ(الشَّقِيقَةَ الْمُسْلِمَةَ لِمُعَلَّقَةٍ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَى)، يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَهَا<sup>(2)</sup>:

لِسَانَ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ) فَحَدَّثَ بِقَلْبٍ صَادِقٍ الْحِسَّ مُلْهِمٌ  
وَخَاطِبُ عِبَادِ اللَّهِ دُونَ تَكْبُرٍ بِرِفْقٍ وَإِحْسَانٍ وَعِزَّةٍ مُسْلِمٌ  
وَعِشْ بِضَمِيرِ الْحُرِّ يَا بِي مَهَانَةً لَأَنَّ ضَمِيرَ الذُّلِّ يُشْرَى بِدِرْهِمٍ  
وَلَا تَبْتَسُّ يَوْمًا لِمَالٍ بَدَلْتَهُ إِذَا كَانَ فِي ذَاتِ اللَّهِ الْمُكْرَمِ

وَيَقُومُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ عَلَى نَسَقِ الطَّوِيلِ الْإِيقَاعِيِّ وَعَلَى نَسَقِ تَقْفُوِيٍّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ، رَوِيَهُ الْمِيمُ، وَمَجْرَاهُ الْكَسْرُ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ عَشْرِينَ بَيْتًا، أَيَّ أَنَّهُ يُمَثَّلُ نِسْبَةً (32.25%) مِنَ النَّصِّ الْمَعَارِضِ، وَيَضُمُّ مَوْضُوعَهُ طَائِفَةً مِنَ النَّصَائِحِ وَالْحِكْمِ.

وَيَسِرُّ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ عَلَى نَهْجِ النَّصِّ السَّابِقِ، أَيَّ عَلَى نَهْجِ الْمُعَلَّقَةِ فِي الْبِنَاءِ الْإِيقَاعِيِّ وَالصَّوْغِ اللَّعْوِيِّ لِمَضَامِينِهِ النَّصْحِيَّةِ وَالْحِكْمِيَّةِ، فَالنَّصُّ الْعَائِبُ مَائِلٌ فِي مَفَاصِلِ النَّصِّ الرَّاهِنِ، وَيُحَاوِلُ احْتِوَاءَ شَكْلِ التَّجْرِبَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ الَّتِي تُحَاوِلُ هِيَ كَيْبِيَّةٌ مُتَحَوِّلَةٌ أَنْ تَمْتَصَّهُ وَأَنْ تُخَضِّعَهُ لِقَانُونِهَا الْخَاصِّ وَتُعِيدُ إِتِنَاجَهُ مِنْ مُنْطَلَقِ رُؤْيَيْهَا الْمُتَمَيِّزَةِ، وَهَذَا مَا يُسْفِرُ عَنْ تَوَثُّرٍ بَيْنَ شَكْلِ النَّصِّ الْعَائِبِ السَّابِقِ وَمُحْتَوَى النَّصِّ الْحَاضِرِ اللَّاحِقِ، فَالنَّصُّ الْحَاضِرُ يَسْتَقْبِلُ الشَّكْلَ وَيُصَبُّ فِي قَالِبِهِ اللَّعْوِيِّ وَالْفَنِّيِّ مُحْتَوَاهُ الْإِبْدَاعِيَّ الْجَدِيدَ فِكْرًا وَشُعُورًا وَيَرْفُضُ أَوْ يَنْفِي نَفِيًّا كَلِمًا مُحْتَوَاهُ الْقَدِيمَ فِكْرًا وَشُعُورًا، فَلِلنَّصِّ الْحَاضِرِ شُرُوطُهُ وَلِلنَّصِّ السَّابِقِ شُرُوطُهُ.

وَقَدْ بَدَأَ يُوسُفُ الْعَظَمُ قَصِيدَتَهُ بِمَطْلَعٍ غَيْبٍ فِيهِ التَّصْرِيحُ، إِذْ لَمْ يَبْدَأْ مُعَارِضَتَهُ مِنْ أَوَّلِ بَيْتٍ بَلْ عَكَسَ التَّرْتِيبَ وَبَدَّلَ فِي نِظَامِ النَّصِّ السَّابِقِ وَأَنْطَلَقَ مِمَّا هُوَ فِي حُكْمِ الْأَخِيرِ، وَبِنَيْةِ الْمَطْلَعِ تَنَاصُّ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مَعَ بِنْيَةِ الْبَيْتِ السَّيِّئِ مِنَ النَّصِّ السَّابِقِ أَوْ نَصِّ مُعَلَّقَةٍ زُهَيْرٍ، وَهُوَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي الْإِمْتِنَاصِ وَالتَّحْوِيلِ أَوْ فِي التَّضْمِينِ وَالِاقْتِبَاسِ يَأْخُذُ شَطْرًا كَامِلًا وَيَقْتَضِعُهُ دُونَ تَحْوِيلٍ فِي بِنْيَتِهِ التَّرَكِيبِيَّةِ وَاللَّعْوِيَّةِ، وَيُعَلِّمُهُ بَعْلَامَةَ التَّنْصِيسِ، وَالْبَيْتُ الْمَرْجِعُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ يَتِمُّثَلُّ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ فِي الْمُعَلَّقَةِ<sup>(3)</sup>:

لِسَانَ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِّ

وَلَا يَتْرُكُ هَذَا الشَّطْرُ الْمُقْتَبَسُ دَلَالَتَهُ الَّتِي حَمَلَهَا فِي سِيَاقِهِ الشَّعْرِيِّ الْقَدِيمِ، فَلَا تَزَالُ مُعَلَّقَةً بِهِ وَلَا يَزَالُ رَهِينَةً لَهَا، فَالنَّصُّ الرَّاهِنُ لَمْ يَعْمَدَ إِلَى نَقْضِهَا أَوْ نَفْيِهَا، لَأَنَّ النَّصِّ الْمُسْتَحْلَبَ جِيءَ بِهِ لِيَعْمَلَ عَلَى تَعْضِيدِ دَلَالَةِ النَّصِّ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 73.

(2) يوسف العظم: لو أسلمت العلقات، ص: 98.

(3) الزوزني: شرح العلقات السبع، ص: 89.

الراهن، والفكرة المتضمنة في هذا الشطر المقتبس فكرة إنسانية عامة صائبة أثبتتها التجربة الفردية والخبرة الجماعية في الأزمنة المتعاقبة، وهي وليدة الملاحظة الدائمة لسُلوِك الإنسان، فلا حرج في تبنيها وقبولها وامتصاصها لإعادة إنتاجها في سياق ملئ، فهي، بهذا البعد، نصٌ موافق لرؤية الشاعر، ومن ثم فالتناص في هذا الموضع يعدُّ تناصاً اقتباسياً محوَّراً تُنقل فيه بنية نصية من سياقها الأصلي وتوضع في سياق جديد، بعد أن تتعرض لبعض التغييرات من حذف أو إضافة أو تغيير في المعنى بالتفني أو التأكيد أو التوسُّع أو غير ذلك من أشكال التغيير<sup>(1)</sup>. وإن كان التأكيد أوضح والتعزُّيد أقوى، كما أن التوسُّع يأخذ نصيبه في عملية التفاعل بالنظر إلى مضمون الآيات التي وردت بعد البيت الذي اشتمل على التناص.

ويُصطلح على هذا التضمين بالتناص الاقتباسي الكامل المنصص، ومن مظاهر التداخل النصي إقامة النسق التقفوي على غرار النسق التقفوي في النص السابق وإعادة استخدام مفرداته مُكرِّداً علاقته بالنص الغائب المحلَّق في فضائه والمشدود إليه، فقد مثلت الكلمات/القوافي المقطعة من جهاز النص الأول والمدمجة في جهاز النص الثاني نسبة (40%) من مجموع قوافي النص الثاني، فهذا النسق التقفوي الذي يلتزم به الشاعر يجعل بنية النص تتلمس طريقة التقفية في النص السابق مما يضطرُّها إلى الاقتراض أو الاستعارة من معجم المعلقة التقفوي كما يلاحظ في الجدول الآتي:

البيت الشعري	قافية النص الحاضر(المعارض)	البيت الشعري	قافية النص الغائب(المعارض)
15	الدم	9	الدم
99	مجرم	22	مجرم
3	درهم	32	درهم
14	سلمي	53	سلم
12	التكلم	59	التكلم
16	تسلم	19	نسلم
18	يندم	54	يندم
8	تكرم	57	يكرم

ومن ملامح التفاعل النصي البارزة على مستوى البنية النحوية والتركيبيَّة محاكاة البنى الشرطية في نص المعلقة شكلاً لا مضموناً والبناء على قوالبها شرطاً وجواباً، كما يتجلى في البنى الآتية<sup>(2)</sup>:

وَمَنْ ضَيَّعَ الْأَوْطَانَ يَجْنِي نَدَامَةً      وَمَنْ لَا يَصُونُ الدِّينَ وَالْعِرْضَ يَنْدَمُ

وَمَنْ لَا يُعِدُّ الْجَيْشَ فِي سَاحَةِ الْوَعَى      وَيَرْعَاهُ بِالْإِعْدَادِ وَالْحَزْمِ يُهْزَمُ

فهذه البنى موازية من حيث تأليف وتوزيع عناصرها اللسانية للبنى الشرطية في نص المعلقة الآتية<sup>(3)</sup>:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنِ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ      يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

وَمَنْ يَعْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ      وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ نَفْسُهُ لَمْ يُكْرَمْ

(1) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 22.

(2) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 101.

(3) الزوزي: شرح المعلقات السبع، ص: 88.

هَذَا مِنْ جِهَةِ الْمَبْنَى وَإِنْ بَدَأَ الْمَعْنَى مُخْتَلِفًا ظَاهِرِيًّا، فَلَا تَقْوَمُنَا مُمْلِحَةً التَّوَاصُلِ الْمَعْنَوِيِّ بَيْنَ النَّصِّينِ كَمَا يَبْرُزُ فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ، فَيُوسَفُ الْعَظْمُ فِي النَّصِّ الثَّانِي قَامَ بِتَوْسِعَةٍ وَتَمْطِيطِ الْمَعْنَى الْمَوْجَزِ فِي بَيْتِ زُهَيْرٍ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ وَالَّذِي تَجَسَّدُ نَوَائِهِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْأَهْلِ أَوْ الْحَرِيمِ، فَقَدْ اسْتَعَارَ الْحَوْضَ لِلْحَرِيمِ<sup>(1)</sup> أَوْ هُوَ اسْتِعَارَةٌ لِلْمَمْتَلَكَاتِ، وَالسَّيْفُ أَدَاةُ الدِّفَاعِ أَوْ الْقُوَّةِ، وَهَذَا الْوَعْيُ بِالْوُجُودِ وَضُرُورَةِ حِمَايَتِهِ عَلَى مُسْتَوَى الْفَرْدِ وَالْقَبِيلَةِ هُوَ أَقْصَى مَا كَانَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ يُدْرِكُهُ فِي لَحْظَتِهِ التَّارِيخِيَّةِ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ إِلَى أْبْعَدَ مِنْ هَذَا الْأَفْقِ، وَقَدْ تَشَرَّبَ النَّصُّ الثَّانِي هَذَا الْمَعْنَى النَّوَاءَ وَامْتَصَّهُ وَحَوَّرَهُ بِمَا يَنْتَاسِبُ مَعَ اللَّحْظَةِ التَّارِيخِيَّةِ الرَّاهِنَةِ مِنْ خِلَالِ الْيَتِي التَّمْطِيطِ وَالشَّرْحِ فَتَحَوَّلَ الذُّوْدُ عَنِ الْحِيَاضِ إِلَى الذُّوْدِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالْأَعْرَاضِ وَعَنِ الْعَقِيدَةِ فَهِيَ عَلَى رَأْسِ مَا يُدْفَعُ عَنْهُ، وَتَحَوَّلَتْ أَدَاةُ الدِّفَاعِ إِلَى جَيْشٍ يُعَدُّ لِهَذِهِ الْمِهْمَةِ، وَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى الضَّمِّيِّ مَعْنَى أَوْسَعِ هُوَ مَعْنَى الْوَطَنِ. وَكَمَا يَتَحَقَّقُ التَّنَاصُّ فِي الشَّكْلِ يَتَحَقَّقُ، أَيْضًا، فِي الْمَضْمُونِ إِلْغَاءً أَوْ إِقْرَارًا أَوْ تَجَاوُزًا-تَوَالِدًا وَإِتْنَاجًا-، وَهَكَذَا فَالتَّنَاصُّ يَتَّصِلُ بِعَمَلِيَّاتِ الْإِمْتِنَاصِ وَالتَّحْوِيلِ الْجَذْرِيِّ أَوْ الْجُزْئِيِّ لِعَدِيدِ مِنَ النُّصُوصِ الْمُتَمَدِّدَةِ بِالْقَبُولِ أَوْ الرَّفْضِ فِي نَسِيحِ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ الْمُحَدَّدِ وَبِهَذَا فَإِنَّ النَّصَّ الْأَدَبِيَّ يَنْدَرُجُ فِي فِئَةِ النَّصِّ يَتَسَرَّبُ خِلَالَهُ".<sup>(2)</sup>

#### 1-1-1-6- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الشَّقِيْقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ لَطْرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ:

إِنَّ النَّصَّ، بِاعْتِبَارِهِ تِلْكَ الْبِنْيَةَ الْمُعَلَّقَةَ الْمُكْتَفِيَةَ بِذَاتِهَا وَالْمَحْدُودَةَ الدَّلَالَةَ انْتَهَى دَوْرُهُ وَقَدْ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةَ فِي الْمُقَارَبَةِ التَّنَاصِيَّةِ، وَالْجَأَتْ مِهْمَةٌ فَهَمِّهِ وَتَفْسِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ إِلَى الْعَوْدَةِ إِلَى النُّصُوصِ الَّتِي أَنْجَبَتْهُ مِنْ خِلَالِ أَسْبَقِيَّتَيْهَا عَلَيْهِ وَأَسْنَدَتْهُ مِنْ خِلَالِ تَقَاطُعِهَا فِيهِ. وَإِذَا كَانَ التَّلَقِّيُّ هُوَ الَّذِي يَسْتَكْشِفُ، أَتْنَاءَ قِرَاءَتِهِ، النَّصَّ الْعَائِبَ، وَيُحَدِّدُ تِلْكَ الْحَيْوُطَ الَّتِي تُشَدُّهُ وَتَسْتَحْضِرُهُ دَاخِلَ النَّصِّ الْحَاضِرِ وَيَقُومُ بِإِضَاءَةِ الْعَلَاقَةِ الَّتِي تَرْتَبُ بَيْنَهُمَا وَفَقَ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ<sup>(3)</sup>، وَقَدْ يُسَهِّمُ الْمُبْدِعُ، أَحْيَانًا، فِي الْإِشَارَةِ إِلَى مَصَادِرِ نَصِّهِ وَمَرَاجِعِهِ بِوَاسِطَةِ مَا يُمَهِّدُ بِهِ أَوْ يُوْطِدُ بِهِ مِنْ نُصُوصٍ مُوَازِيَةٍ أَوْ عَتَبَاتٍ كَالْعَنَاوِينِ وَالْمُقَدِّمَاتِ، وَفِي النَّصِّ الْآتِي يَتَّخِذُ يُوسَفُ الْعَظْمُ مِنْ مُعَلِّقَةِ بْنِ الْعَبْدِ النَّصِّ/الْمَرْجِعِ أَوْ(الْمُعَارِضِ) الَّذِي يَبْنِي عَلَى مَعَالِمِ خُطَّاطَتِهِ الْمِعْمَارِيَّةِ نَصَّهُ الْحَاضِرِ أَوْ(الْمُعَارِضِ)، وَيُفْصِحُ عَنْ ذَلِكَ كَاشِفًا هَذَا الْمَرْجِعَ بِالْقَوْلِ: "عَلَى سَرِيرِ الشِّفَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ، اسْتَلْقَى الشَّاعِرُ يَوْمًا يُعَانِي مِنْ أَلَمٍ فِي سَاقِهِ.. وَفِي لَحْظَةٍ تَرُويحِ بَرِيءٍ رَاحَ يُتَابِعُ بَرْنَامَجًا أَدَبِيًّا عَلَى الشَّاشَةِ الصَّغِيرَةِ عَنْ حَيَاةِ(لَطْرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ)، وَمَعَ انْطِلَاقِ صَوْتِ الرَّأْوِيَةِ يَقُولُ:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرْفَقَةٍ نَهَمَدِ تُلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 88.

(2) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 240.

(3) مختار حَبَّار: (قراءة تناصية في قصيدة الياقوتة لسيد الشيخ) مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، ع: 1، س: 1، 1992، ص: 59.

كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ وَحْيٍ مُعَلَّقَةٍ طَرْفَةً وَلَكِنْ بِرُوحِ إِيمَانِيَّةٍ.. وَأَهْدَافٍ رَبَّانِيَّةٍ...".<sup>(1)</sup> وَيُظْهِرُ التَّفَاعُلُ النَّصِيَّ مِنْ خِلَالِ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ النَّصِّينِ:

أ- النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ:

وَيَتِمَّتِلُ النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ فِي نَصِّ مُعَلَّقَةٍ طَرْفَةً بِنِ الْعَبْدِ الَّتِي يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَهَا<sup>(2)</sup>:

لِخَوْلَةٍ أَطَّلَالَ بِبِرْقَةٍ نَهَمَدِ تُلُوحِ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ  
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِيَّ عَلَيَّ مَطِيهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ

يَقُومُ النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ عَلَى نَسَقِ الطَّوِيلِ الْإِيقَاعِيِّ، وَعَلَى نَسَقِ تَقْفُويِّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ، وَرُويُّهُ الدَّالُّ، وَمَجْرَاهُ الْكَسْرُ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ مِائَةً وَثَلَاثَةَ آيَاتٍ.<sup>(3)</sup> وَيَتَضَمَّنُ مَوْضُوعَاتٍ كَالْوُقُوفِ عَلَى الْأَطْلَالِ وَوَصْفِ خَوْلَةٍ وَوَصْفِ النَّاقَةِ وَوَصْفِ وَفَخْرٍ بِالنَّفْسِ، وَإِعْلَانٍ عَنِ مَبْدَأِهِ فِي الْحَيَاةِ.

ب- النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ:

وَيَتِمَّتِلُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ فِي قَصِيدَةِ يُوسُفَ الْعَظْمِ الَّتِي يَسْمُهَا بِـ(لَوْلَا ثَلَاثُ..)، وَيَقُولُ فِي

مُسْتَهْلَهَا<sup>(4)</sup>:

بِدَارَةَ إِيمَانٍ وَمِحْرَابِ مَسْجِدِ وَقَفْتُ أَنْجِي اللَّهُ صَمْتًا بِمُفْرَدِي  
يُنَاجِيهِ قَلْبِي فِي صَفَاءٍ، وَخَلْوَةٍ وَأَضْرَعُ فِي خَشْيَةِ مُوَحَّدٍ  
وَأَجَارُ حِينًا بِالِدُّعَاءِ وَقَدْ سَرَى نِدَاءُ بَجُوفِ اللَّيْلِ دُونَ تَرُدُّدِ  
إِلَهِي هَبْ لِي مِنْ عَطَائِكَ رَحْمَةً وَهَوْنٌ عَلَيَّ النَّزْعَ فِي يَوْمِ مَوْعِدِي  
وَبَدَّدْ ظِلَامَ الْقَبْرِ إِنْ ضَمَّ أَضْلَعِي لَعَلِّي أَرَى جَنَاتِ عَدْنٍ بِمِرْقَدِي

يَقُومُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ عَلَى نَسَقِ الطَّوِيلِ الْإِيقَاعِيِّ، وَعَلَى نَسَقِ تَقْفُويِّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ، وَرُويُّهُ الدَّالُّ، وَمَجْرَاهُ الْكَسْرُ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ آيَةً، وَيَتَضَمَّنُ مَنَاجَاةَ اللَّهِ وَالِدُّعَاءَ وَإِعْلَانًا عَنِ مَبَادِيِ الشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ فِي الْحَيَاةِ وَوَصْفِ خُلُقِهِ وَسِيرَتِهِ مَعَ الْخَلْقِ.

وَيَتَأَلَّقُ التَّفَاعُلُ النَّصِيَّ بِدَءًا مِنْ عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ (لَوْلَا ثَلَاثُ..) الْمَخَالِفِ لِطَرِيقَةِ الشَّاعِرِ فِي عُنْوَانِ قِصَائِدِهِ

الْمَعَارِضَةِ فِي هَذَا الدِّيْوَانِ، فَبِنِيَّةِ الْعُنْوَانِ تُحِيلُ إِلَى تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي أَعْلَنَ فِيهَا طَرْفَةً مَبْدَأَهُ الْعَامَّ فِي الْحَيَاةِ وَمَوْقِفَهُ

(1) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 109.

(2) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 45.

(3) المصدر السابق نفسه، ص: 45.

(4) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 110.

الثَّابِتَ وَمَا يُرْغَبُ فِي الْعَيْشِ وَمَا لَوْلَاهُ لَكَانَ الْمَوْتُ أَفْضَلَ وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ حَشِيَّةً، يَقُولُ طَرْفَةً مُوَضَّحًا مَوْقِفَهُ وَأُسْلُوبَ حَيَاتِهِ زَاجِرًا مِّنْ يَوْمِهِ<sup>(1)</sup>:

أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَعَى  
فَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي  
وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى  
فَمَنْهَنْ سَبَقِي الْعَاذِلَاتِ بِشُرْبَةِ  
وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَبَّبًا  
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالِدَّجْنُ مُعْجَبٌ  
وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟  
فَدَعْنِي أَبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي  
وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي  
كُمَيْتِ مَتَى مَا تُعَلُّ بِالْمَاءِ تُزْبِدِ  
كَسَيْدِ الْعَضَا تَبْهَتُهُ الْمُتَوَرِّدِ  
بِبَهْنَكَةٍ تَحْتَ الْخِبَاءِ الْمَعْمَدِ

تَتَّخِذُ بِنِيَّةِ الْعُنْوَانِ نَسَقًا تَرْكِيبِيًّا خَاصًّا هُوَ نَسَقُ الْبِنْيَةِ الشَّرْطِيَّةِ، فَذَكَرَ فِيهِ الشَّرْطَ وَحَذَفَ جَوَابَهُ، وَعَوَّضَ هَذَا الْمَلْفُوظَ الْمَحذُوفَ بِعَلَامَةِ الْحَذْفِ (..). الْمُسْتَفْزَعَةُ لِلْمُتَلَقِّيِّ وَالْمُحْفَزَةُ لِمَلْءِ فَرَاعِهَا بِمَعْنَى أَوْ دَلَالَةٍ تَنْسَجِمُ مَعَ قِرَاءَةِ تَأْوِيلِيَّةٍ تَقْتَرِبُ مِنْ مَقْصِدِ الشَّاعِرِ، وَلِلْعُنْوَانِ أَهْمِيَّتُهُ فِي الْقِرَاءَةِ أَهْمِيَّةٌ تَنْتُجُ عَنْ أَوْلِيَّةٍ تَلْقِيَّةٍ، وَهَذَا يَعْنِي "قِيَامَ مَسَافَةٍ مَائِزَةٍ بَيْنَ الْعَمَلِ وَعُنْوَانِهِ، بِمَا يَمْنَحُ الْإِثْنَيْنِ اسْتِقْلَالَهُمَا، بِنِسْبَةِ أَوْ بِأُخْرَى؛ لِيَسْتَقِلَّ الْعُنْوَانُ بِمَقَاصِدِ نَوْعِيَّةٍ وَيَفْرَضُ-بِالتَّالِي- اتِّصَالًا أَوْلِيًّا نَوْعِيًّا بَيْنَ (الْمُرْسَلِ) وَ(الْمُتَلَقِّيِّ). وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي يَنْصَبُ-أَسَاسًا- عَلَى الْعَمَلِ أَنْ يُفْرِدَ إِجْرَاءَاتٍ خَاصَّةً وَمُمَيِّزَةً، لِتَحْلِيلِ الْعُنْوَانِ عَلَى مُسْتَوِيَيْنِ، الْأَوَّلِ: مُسْتَوَى يُنْظَرُ فِيهِ إِلَى الْعُنْوَانِ بِاعْتِبَارِهِ بِنْيَةً مُسْتَقِلَّةً لَهَا اشْتِعَالُهَا الدَّلَالِيَّ الْخَاصُّ، وَالثَّانِي: مُسْتَوَى تَنْحَطِّي فِيهِ الْإِنْتَاجِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ لِهَذِهِ الْبِنْيَةِ حُدُودَهَا مُتَّجِهَةً إِلَى الْعَمَلِ، وَمُسْتَبِكَةٌ مَعَ دَلَائِلِيَّتِهِ دَافِعَةٌ وَمُحْفَزَةٌ إِنْتَاجِيَّتِهَا الْخَاصَّةُ بِهَا."<sup>(2)</sup>

فَعَلَى الْأَسَاسِ الْأَوَّلِ يَسْتَقِلُّ الْعُنْوَانُ بِوُضُوفِهِ الْخَاصَّةِ، وَيُنْشِئُ دَلَالَتَهُ الْمُمَيِّزَةَ الَّتِي لَا تَرْتَبِطُ بِأَيِّ سِيَاقٍ مُحَدَّدٍ وَتَعْمَلُ عَلَى إِثَارَةِ الذَّهْنِ فِي مُحَاوَلَةٍ جَادَّةٍ لِمَعْرِفَةِ مَضْمُونِ الشَّرْطِ وَكُنْهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ الْمَحْدَدَةِ بِالْعَدَدِ أَوْ الصِّفَةِ دُونَ الْمَعْدُودِ أَوْ الْمَوْصُوفِ وَمَاهِيَّتِهِ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ بِنْيَةُ الشَّرْطِ بَعْدَ الْأَدَاةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ مَبْتَدَأَ نَكْرَةٍ وَخَبْرًا مَحذُوفًا وَجُوبًا<sup>(3)</sup>، وَبِنْيَةُ الْجَوَابِ مَحذُوفَةٌ، هِيَ أَيْضًا، وَلِهَذَا الْحَذْفِ مُسَوِّغٌ دَلَالِيٌّ يَدْعُمُهُ مُسَوِّغٌ لِسَانِيٌّ إِذْ يُمَثَّلُ الْعُنْوَانُ "أَعْلَى اِقْتِصَادٍ لُغَوِيٍّ مُمَكِّنٍ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ عَلَى قَدَرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ، إِذْ إِنَّهَا-فِي الْمَقَابِلِ-سَتَفْرَضُ أَعْلَى فَعَالِيَّةٍ تَلْقُ مُمَكِّنَةً."<sup>(4)</sup> وَعَلَى الْأَسَاسِ الثَّانِي يَرْتَبِطُ الْعُنْوَانُ بِالْعَمَلِ أَوْ النَّصِّ وَيَأْخُذُ دَلَالَتَهُ مِنْهُ، فَدَلَالَةُ الْعُنْوَانِ لَهَا تَجَلِّيَاتُهَا فِي فَضَاءِ النَّصِّ. وَالشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يُحِيلُنَا إِلَى مَتْنٍ نَصِّهِ لِنَعْرِفَ الْمَحذُوفَ وَمُحْتَوَاهُ أَوْ مَعْنَاهُ فَ- الْمَعْنَى الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ كَلِمَةِ الْحَذْفِ يَبْغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الْفَارَقُ بَيْنَ مُفْرَرَاتِ النَّظَامِ اللَّغَوِيِّ وَبَيْنَ مَطَالِبِ السِّيَاقِ

(1) الزُّوزَنِي: شرح المعلقات السبع، ص: 60.

(2) محمد فكري حزار: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998، ص: 8.

(3) صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج: 2، دار الهداية، قسنطينة، الجزائر، ط: 2، 1410هـ-1990م، ص: 58.

(4) محمد فكري حزار: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، ص: 10.

الكلاميّ الاستعماليّ".<sup>(1)</sup> وفي مقابلة العنوان بنصّه، أو ما يُعنونه، فإنّه يبدو "شديد الفقر على مستوى الدلائل وأكثر غنى على مستوى الدلالة".<sup>(2)</sup> والعنوان بوصفه دالاً فإن صورته المادية، ملفوظة أو مكتوبة، لا تتعلّق مع تصوّر ذهنيّ مُحدّد فحسب، وإنما تختزن ماضيّ تعلّقاتها من جهة، وتنبّويّ على كفاءة الدخول في تعلّقات جديدة، وبهذا فهو يمثّل طاقة تدليل حرّ، هذا ما يدفع اللغة إلى مواجهته من خلال قانوني التّركيب الجمليّ والتّركيب النّصيّ بهدف ضبط تلك الطّاقة، وفي حالة تعطيل هذين القانونين فإنّ الطّاقة الدلاليّة للدّال تدفعه خارج علاقاته الحاضرة باتجاه علاقات الغياب، سواءً أكانت علاقات بدوّال أو نُصوص أو خطابات، وهذه حالة العنوان حيث يؤسّس التّناص نصّيته.<sup>(3)</sup> فعنوان القصيدة يدخل في علاقة تناصّ مع النصّ الجاهليّ القديم من خلال استدعائه ومحاوريته وتحويره إلى غير المعنى الذي أسسه سياقه الأوّل، والشّاعر الإسلاميّ إذ يحاور هذا النصّ القديم يعارضه من خلال نفيه معنويّاً، ويتخذ موقفاً مضاداً له ناتجاً عن رؤيةٍ مختلفة، يقول يوسف العظم<sup>(4)</sup>:

(ولولا ثلاثٌ هنّ من عيشة الفتى)      يهيمُ بها قلبي وربّ محمدٍ  
لَكَانَتْ حَيَاةَ الْمَرْءِ بؤْسًا وَوَحْشَةً      يعبُ كؤوسَ الذلِّ من شرِّ مورِدٍ  
فَمَنْهَنْ قَوْلُ الْحَقِّ لَيْسَ يَرُدُّنِي      عَنِ الْحَقِّ تَهْدِيدٌ بِحَدِّ مُهَنْدٍ  
وَمَنْهَنْ نُورُ الْفِكْرِ، وَالْفِكْرُ صَائِبٌ      أَرُدُّ بِهِ قَوْلًا لَأَرَعَنَّ مُلْحِدٍ  
وَمَنْهَنْ سَعْيُ الْمَرْءِ لِلْبِرِّ وَالتَّقَى      وَقَدْ هَمَّتِ الْعَيْنَانِ عِنْدَ التَّهْجِدِ

يتجلى التّناصّ في هذا المقطع في صورة التّضمين في الشّطر الأوّل، فقد أورد الشّاعر الشّطر الأوّل من البيت السّابع والخمسين بتمامه دون أيّ تحويرٍ ممّا يسلكه في التّناصّ الاقْتباسيّ الكامل، كما يتجلى التّناصّ من خلال بعض البنى التّركيبية التي جاءت على نسق البنى التّركيبية في النصّ الأوّل مثل (فمنهنّ قول الحقّ ليس يردّني...) و(ومنهنّ نور الفكر والفكر صائب...) و(ومنهنّ سعي المرء للبرّ والتقى...). فهذه البنى التّركيبية على نسق (فمنهنّ سبقي العاذلات بشربة...) و(وتقصير يوم الدجن والدجن معجب...)، ويوظف الشّاعر في النصّ الثّاني صيغة القسم الإسلاميّة (وربّ محمدٍ) على خلاف صيغة القسم في النصّ الأوّل الغائب إذ يقسم الشّاعر بصيغة مخالفة (وجدك)، وهذا التّواطؤ على هذه البنى اللسانية يبيّن احتذاء النصّ اللاحق للسّابق. وتمثّل هذه البنية النّصية موقف الشّاعر المسلم ونهجه في الحياة الذي يقف على طرفٍ نقيضٍ من موقف الشّاعر الجاهليّ كما يبرزه المتفاعل النّصيّ.

(1) تمام حسان: اللغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، ط: 2، 1418هـ-1998م، ص: 298.

(2) محمّد فكري جزار: العنوان وسميوطيقا الاتّصال الأدبيّ، ص: 23.

(3) المرجع نفسه، ص: 24.

(4) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 111.

وَيُلْمَحُ هَذَا التَّنَاصُ الْمُمْتَدُّ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ النَّصِّ الثَّانِي إِذْ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى تَوْظِيفِ الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ السَّابِعِ وَالْحَمْسِينَ الَّذِي اِكْتَفَى، سَابِقًا، بِشَطْرِهِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ أَدَّى هَذَا الشَّطْرُ أَوْ الْعَجْزُ وَظِيفَةَ جَوَابِ بِنْيَةِ الشَّطْرِ الْمَعْبَرِ عَنْهُ بِـ(لَوْلَا)، حَيْثُ يَقُولُ الشَّاعِرُ تَأْكِيدًا لِدَوْرِهِ فِي الْحَيَاةِ وَغَايَتِهِ مِنْ كُلِّ أَعْمَالِهِ<sup>(1)</sup>:

وَلَوْلَا طُمُوحِي فِي نَوَالٍ مَثُوبَةٍ أُمَهِّدُ لِلْعَلِيَاءِ كُلِّ مُمَهَّدٍ  
أُعْبِرُ عَنْ فِكْرِي بِشِعْرِي وَقَدْ غَدَا يَتِيهُ بِهِ فِي الْمُنْتَدَى كُلِّ مُنْشِدٍ  
وَأَرْفَعُ لِلْيَأْمَانِ وَالْحَقِّ رَايَةً وَرَبُّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي!

يَقَعُ النَّصُّ الْمُضْمَنُ بَيْنَ عَلَامَتَيْ التَّنْصِيفِ مِمَّا يَجْعَلُهُ تَنَاصًّا اقْتِبَاسِيًّا كَامِلًا، فَضْلًا عَنْ بِنْيَةِ الشَّطْرِ الَّتِي أَعَادَ النَّصُّ الثَّانِي تَوْظِيفَهَا لِلإِشَارَةِ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى مَا يَسْعَى إِلَيْهِ الشَّاعِرُ الْمُسْلِمُ مِنْ أَهْدَافِ سَامِيَةٍ وَغَايَاتِ جَلِيلَةٍ، وَتَتَصَدَّرُ الْمُقْطَعُ الشَّعْرِيَّ أَدَاةَ الشَّطْرِ (لَوْلَا) الَّتِي تَتَحَوَّلُ فِي هَذَا السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ إِلَى عَلَامَةٍ مُوحِيَةٍ تَنْطَلِقُ إِلَى الْمَصْدَرِ الْغَائِبِ الْكَامِنِ خَلْفَ النَّصِّ الَّذِي يَتَحَوَّلُ بِفِعْلِ الْإِمْتِصَاصِ وَالتَّحْوِيرِ إِلَى جُزْءٍ أَسَاسِيٍّ مِنْ بِنْيَةِ الدَّلَالَةِ فِي النَّصِّ الْحَاضِرِ.

وَعَلَى مُسْتَوَى التَّسْيِجِ اللُّغَوِيِّ لِلنَّصِّ تَظْهَرُ مُفْرَدَاتٌ آتِيَةٌ مِنَ النَّصِّ السَّابِقِ سِوَاءِ أَنْزَلَتْ فِي مَكَانِ الْقَافِيَةِ أَوْ فِي غَيْرِهِ مِنْ فِضَاءِ الْقَصِيدَةِ، وَهِيَ الْمَحْدَدَةُ بِحَسَبِ مَوَاضِعِهَا فِي الْجَدْوَلِ الْآتِي:

قافية النص الغائب (المعارض)	البيت الشعري	قافية النص الحاضر (المعارض)	البيت الشعري
تهمد-اليد	بيت مصرع	مسجد-مفرد	بيت مصرع
اليد	5-24-67	اليد	19
يدي	56-86	يدي	14
موعد	103	موعد	4
مورد	32	مورد	32
مفرد	35	مفرد	1
يهندي	4	يهندي	17

فَلْفِظَةُ (اليد) حَاضِرَةٌ فِي كِلَا النَّصِّينِ، وَتَخْتَلِفُ قِيمَتُهَا مِنْ حَيْثُ التَّوْظِيفُ الْفَنِّيُّ لَهَا، فَهِيَ تُوظَّفُ فِي سِيَاقِهَا الْقَدِيمِ بِدَلَالَتِهَا الْمُعْجَمِيَّةِ التَّصْرِيحِيَّةِ كَجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ، فَتَأْتِي فِي هَذِهِ الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ<sup>(2)</sup>:

يَشْقُ حُبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ

وَفِي الصُّورَةِ الْآتِيَةِ<sup>(3)</sup>:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَنَبَاهُ بِالْيَدِ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 114

(2) الزوزني: شرح المعاني السبع، ص: 64.

(3) المصدر نفسه، ص: 63.

أَمَّا النَّصُّ الثَّانِي فَيُوظَّفُهَا لِأَدَاءِ مَعَانٍ تَتَسَقُّ وَرُؤْيَيْتُهُ، فَهِيَ تَرُدُّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِفَّةِ وَالطُّهْرِ فِي قَوْلِهِ<sup>(1)</sup>:

وَأَنْ يَقْطِفَ الْجَلِيلُ الْجَدِيدُ ثِمَارَهُ لِيَحْيَا عَزِيزًا طَاهِرَ الْقَلْبِ وَالْيَدِ

وَتَأْتِي لَفْظَةً (يَدِي) فِي السِّيَافِينَ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ كَحُزْرٍ مِنْ بِنْيَةِ صُورَةَ الْبَدَلِ وَالْإِنْفَاقِ عَلَى اخْتِلَافٍ مَقْصِدِ الشَّاعِرِينَ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، فَالنَّصُّ الثَّانِي يَسْتَدْعِي الصُّورَةَ الْقَدِيمَةَ فِي النَّصِّ الثَّانِي، ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى نَقْضِهَا مِنْ حَيْثُ الْعَايَةُ الْمَرْجُوءَةُ، فَطَرْفَةٌ يُبَادِرُ إِلَى إِنْفَاقِ أَمْلَاكِهِ فَلَا مَنَاصَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا مَعْنَى، إِذَا، لِلْبُخْلِ وَتَرَكَ اللَّذَاتِ، يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِّي فِدَاعِنِي أُبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

بَيْنَمَا يُنْفِقُ يُوسُفُ مَالَهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ لِأَنَّ الْمَالَ فِي نَظَرِهِ مَالُ اللَّهِ وَيَرَى السَّعَادَةَ فِي وَقَايَةِ النَّفْسِ مِنَ الشُّحِّ، يَقُولُ<sup>(3)</sup>:

أَرَى الظُّلْمَ فِي الإِسْرَافِ لَكِنَّ شِيمَتِي تَجُودُ بِمَالِ اللَّهِ مَا حَلَّ فِي يَدِي

وَأَرْفُضُ شُحَّ النَّفْسِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ النَّفْسِ لَا شَكَّ يَسْعَدُ

وَتَعَكِّسُ الصُّورَتَانِ رُؤْيَيْتَيْنِ عَلَى طَرَفِي نَقِيضٍ، فَالْأُولَى تَتَوَقَّفُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَأَخْرِ مَحْطَّةٍ يَنْتَهِي إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ، وَلَا تَتَجَاوَزُهُ، وَكُلُّ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ سَوَاءٌ، وَالثَّانِيَةُ تَتَجَاوَزُ الْمَوْتَ إِلَى مَا بَعْدَهُ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ، هُوَ عَالَمُ الْجَزَاءِ، وَهُوَ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَمُنْتَهَى أَمَلِ كُلِّ مُسْلِمٍ. وَهَكَذَا تَشْتَرِكُ الصُّورَتَانِ فِي أَدَوَاتِهِمَا الْفَنِيَّةِ وَتَقْتَرِضُ اللَّاحِقَةَ مِنَ السَّابِقَةِ وَتَسْتَقِلُّ كِلْتَاهُمَا بِخَاصَّةٍ رُؤْيُويَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ عَنِ الْآخَرَى، وَيَنْدَرِجُ هَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّنَاصُّ الَّذِي يَرْتَبِطُ بِالصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ وَيَعَكِّسُ مَوْقِفًا مُحَدَّدًا وَزَاوِيَةً نَظَرٍ مُعَيَّنَةٍ فِي تَنَاصُّ الصُّورِ الإِشَارِيَّةِ الَّذِي يَتَلَخَّصُ مَفْهُومُهُ فِي أَنَّهُ "جَمَلٌ أَوْ عِبَارَاتٌ أَوْ أَسْمَاءٌ أَوْ شَخْصِيَّاتٌ تَرُدُّ فِي صَلْبِ النَّصِّ بِالْعَرَبِيَّةِ أَوْ بِالْأَجْنِبِيَّةِ لِفَتْحِهِ عَلَيْهَا وَالْحِوَارِ مَعَهَا فِي رُؤْيِيَّةٍ وَمَوْقِفٍ أَوْ قَضِيَّةٍ وَتَتَّخِذُ شَكْلَ الْأَقْنَعَةِ وَالْمَرَايَا وَالْكِتَابَاتِ وَالرُّمُوزِ وَالشَّخْصِيَّاتِ وَالتَّعْلِيقَاتِ أَوْ سِوَاهَا."<sup>(4)</sup>

#### 1-1-1-7- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الشَّقِيْقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ:

مَعَ التَّنَاصُّ "لَا يَعُودُ النَّصُّ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى نَفْسِهِ كَأَنَّهُ بِنْيَةٌ مُعَلَّقَةٌ بَلْ يَفْتَحُ وَعِيًّا عَلَى وَعِيٍّ، وَيَتْرَكُ الْقَارِئَ أَنْ يُوَارِنَ بَيْنَ وَضْعَيْنِ أَوْ مَوْقِفَيْنِ أَوْ رُؤْيَيْتَيْنِ فِي نَوْعٍ مِنَ الإِبْلَاحِ الْمَقْصُودِ."<sup>(5)</sup> وَهَذَا مَا يَتِمُّ مِنْ خِلَالِ التَّفَاعُلِ أَوْ التَّدَاخُلِ بَيْنَ النَّصِّ السَّابِقِ الْمُعَارِضِ وَالنَّصِّ اللَّاحِقِ الْمُعَارِضِ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ يُوسُفُ الْعَظْمُ بِالْعَبْتَةِ النَّصِيَّةِ الْآتِيَّةِ: "ثُطِّلُ عَلَيْنَا الْقَصِيدَةُ السَّابِعَةُ مِنَ الدِّيَوَانِ، وَقَدْ زَهَتْ بِاسْمِ (أَسْمَاءَ) ذَاتِ التَّطَاقُفِ بِنْتُ الصَّدِيقِ وَأُخْتِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ (عَائِشَةَ) وَأُمِّ الشَّهِيدِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ)، وَالْقَصِيدَةُ مُعَارِضَةٌ لِمُعَلِّقَةِ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ الْيَشْكُرِيَّ (شَاعِرِ بَنِي

(1) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 113.

(2) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 60.

(3) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 112.

(4) نعيم الياحي: أوهاج الحدائث، دراسة في القصيدة العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1993، ص: 212.

(5) المرجع نفسه، ص: 213.

تُعَلِّبُ) الَّتِي أَلْقَاهَا بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الْحَيْرَةِ (عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ) فِي مُبَارَزَةٍ شِعْرِيَّةٍ مَعَ (عَمْرُو بْنِ كَلْثُومٍ) شَاعِرِ (بَنِي تَعْلِبٍ)... وَ(أَسْمَاءُ) الْحَارِثِ هُنَا جَاهِلِيَّةٌ مَوْهُومَةٌ أَوْ مَعْلُومَةٌ، وَرَدَتْ عَلَى لِسَانِهِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ... وَهِيَ غَيْرُ أَسْمَاءِ الَّتِي بَدَأْنَا بِهَا قَصِيدَتَنَا، نُفَاحِرُ بِشَجَاعَتِهَا، وَنَعْتَرُ بِذِكْرَاهَا، يَوْمَ قَالَتْ فِي شُمُوحِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ الْأَبِيَّةِ لَوْلِدِهَا (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ) بَعْدَ أَنْ صَلَّى (الْحَجَّاجُ): أَمَا أَنْ لِهَذَا الْفَارِسِ أَنْ يَتْرَجَّلَ!...<sup>(1)</sup> وَيَتَّضِحُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ اسْتِدْعَاءِ النَّصِّ الْمَعَارِضِ الْعَائِبِ بِالطَّرِيقَةِ الْآتِيَةِ:

#### أ- النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ:

يَمَثُلُ النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ فِي نَصِّ مُعَلِّقَةِ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ، وَهُوَ الْمُتَّفَاعِلُ النَّصِّيُّ، وَيَسْتَهْلُهُ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ<sup>(2)</sup>:

أَذَنْتَنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ      رَبِّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ  
بَعْدَ عَهْدِنَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءُ      ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخُلْصَاءُ  
فَالْمُحْيَاةُ فَالْصَّفَاحُ فَأَعْنَا      قُ فَتَاقَ فَعَاذِبُ فَالْوَفَاءُ  
فَرِيَاضُ الْقَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُّر      بُبِ فَالشُّعْبَتَانِ فَالْأَبْلَاءُ  
لَا أَرَى مَنْ عَهَدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي      الْيَوْمَ دَلَّهَا وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ

وَيَقُومُ النَّصُّ السَّابِقُ أَوْ نَصُّ الْمُعَلِّقَةِ عَلَى نَسْقِ الْخَفِيفِ الْإِيْقَاعِيِّ وَعَلَى نَسْقِ تَقْفُويٍّ مَوْحَدٍ مُطْلَقٍ، رَوِيَهُ الْهَمَزَةُ وَمَجْرَاهَا الضَّمُّ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ بَيْتًا<sup>(3)</sup> وَيَتَّضِحُ وَفُوفًا بِالْدِيَارِ وَذَكَرَ أَسْمَاءَ وَوَصَفَ النَّاقَةَ وَالِدْفَاعَ عَنْ قَوْمِهِ وَتَعْدَادَ مَفَاخِرِهِ وَمَخَازِيِ أَعْدَائِهِ وَاسْتِمَالَةَ مَلِكِ الْحَيْرَةِ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ.<sup>(4)</sup>

#### ب- النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ:

وَيَمَثُلُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ فِي الْقَصِيدَةِ الشَّقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمُعَلِّقَةِ الْحَارِثِ الَّتِي يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلِهَا<sup>(5)</sup>:

مُذَّ تَبَاهَتْ بِالْمُصْطَفَى (أَسْمَاءُ)      وَمَشَّتْ فِي رِكَابِهِ الْعَلِيَاءُ  
وَحَنَّتْ رَايَةَ الْجِهَادِ عَلَيْنَا      وَتَسَامَى فِي الْخَافِقِينَ اللَّوَاءُ  
قَادَنَا لِلْعُلَى نَبِيٌّ كَرِيمٌ      دِينُهُ الْعَدْلُ وَالْتَّقَى وَالْوَفَاءُ  
سَيِّدُ الْخَلْقِ وَالْبَرَايَا جَمِيعًا      تَبَّاهَى فِي سَاحِهِ الْأَنْبِيَاءُ

(1) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 118.

(2) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 155.

(3) المصدر نفسه، ص: 155.

(4) حنا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، ص: 20.

(5) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 124.

وَيَقُومُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ عَلَى نَسَقِ الْخَفِيفِ الْإِيقَاعِيِّ وَعَلَى نَسَقِ تَقْفَوِيٍّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ، وَرَوِيهِ الْهَمْزَةُ وَمَجْرَاهُ الضَّمُّ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ تِسْعَةً وَثَلَاثِينَ بَيْتًا، وَتَضُمُّ مَدْحَ سَيِّدِ الْخَلْقِ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.<sup>(1)</sup> وَيَعْرَضُ فِيهَا إِلَى وَقَعِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُتَقَسِّمَةِ عَلَى ذَاتِهَا، وَمَا يَنْخَرُ فِي جَسَدِهَا مِنْ أَدْوَاءٍ وَيَسْرِي فِي عُرُوفِهَا مِنْ سُومٍ.

وَيَبْدُو النَّصُّ اللَّاحِقُ بِرُمَّتِهِ بِنِيَّةٍ تَنَاصِيَّةٍ لِأَنَّهُ يَسْتَلْهِمُ الْإِطَارَ الشَّكْلِيَّ وَالْبِنَائِيَّ لِنَصِّ مُعَلِّقَةِ الْحَارِثِ بْنِ حَلِزَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، نَسَقًا إِيقَاعِيًّا وَتَقْفَوِيًّا، وَتَسْتَوْحِي جَوْ الصَّرَاحِ الدَّائِرِ فِي ثَنَائِهَا وَمَا يَدُورُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ تَنَاحُرٍ وَتَقَائِلٍ وَوَقَائِعٍ لَا تَهْدَأُ إِلَّا لِتُشُورٍ، وَإِنَّ بَعْضَ أَبِيَاتِهَا تُمَثِّلُ حُضُورًا لِلْمُتَفَاعِلِ النَّصِيِّ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، حِينَ يَعْمَدُ الشَّاعِرُ إِلَى تَفْكِيكِ بِنِيَّةِ الْمُعْجَمِ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ وَاسْتِخْدَامِ بَعْضِ مُفْرَدَاتِهِ لِبَنَاتٍ فِي بِنَائِهِ الْجَدِيدِ، وَتَنْظُلُ هَذِهِ الْمُفْرَدَاتُ إِشَارَاتٍ إِلَى السِّيَاقِ الْأَوَّلِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ فِي بِنِيَّتِهِ وَخَضَعَتْ لِقَانُونِهِ، وَلَا تَزَالُ تَحْمِلُ شَحْنَةً مِنْ شَحْنَاتِهِ الدَّلَالَةِ. وَالشَّاعِرُ بِمُحَاوَرَتِهِ النَّصِّ الْآخَرَ يَصْنَعُ تَدَاخُلًا عَجِيبًا بَيْنَ النَّصِّينِ بِحَيْثُ يُسَاهِمُ فِي بِنَاءِ النَّصِّ عَبْرَ تَنَاعُمِ (هَارْمُونِيٍّ) يُعْنِي النَّصِّ، وَيُدَلِّلُ عَلَى قُدْرَاتِ الْمُبْدِعِ، وَرُبَّمَا يَأْتِي بِطَرِيقَةٍ حِوَارِيَّةٍ (الْمَعَارِضَاتِ) لِلتَّعْبِيرِ عَنْ رُؤْيَيْتَيْنِ قَدِيمَةٍ وَجَدِيدَةٍ لَكِنَّهُمَا مَعًا تَصْبِيَانٍ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ تَمْنَحُ النَّصِّ هُوِيَّتَهُ وَشَعْرِيَّتَهُ.<sup>(2)</sup> وَيَعِي الشَّاعِرُ هَذَا التَّفَاعُلَ بَيْنَ النَّصِّينِ، فَالنَّصُّ الرَّاهِنُ الْمُشْبَعُ بِالرُّؤْيِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُنْقَلَبُ بِأَوْجَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْومِهِمْ يُحَاوِلُ تَصْوِيرَ وَقَعِ الْأُمَّةِ الْمُرِيرِ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ، فَهِيَ أُمَّةٌ رِسَالَةٌ وَأَمْجَادٌ وَفُتُوحَاتٌ.

وَيَبْدَأُ التَّنَاصُ تَجَلِّيَاتِهِ مِنْ بِنِيَّةِ الْمُطَّلَعِ، حِينَ يَسْتَدْعِي الشَّاعِرُ بِالِاسْمِ (أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ) إِحْدَى الشَّخْصِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُهَمَّةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

مُدَّ تَبَاهَتَ بِالْمُصْطَفَى (أَسْمَاءُ) وَمَشَّتْ فِي رِكَابِهِ الْعَلِيَاءُ

فَاسْمُ الْعَلَمِ يَرِيبُ، أَوْلَا، النَّصُّ الثَّانِي فِي دَلَالَتِهِ الْأُولَى، بِالنَّصِّ الْأَوَّلِ، أَي بِنَصِّ مُعَلِّقَةِ الْحَارِثِ، فَالنَّصُّ اللَّاحِقُ قَائِمٌ عَلَى مُعَارِضَةِ النَّصِّ السَّابِقِ، وَيَرِيبُهُ ثَانِيًا بِمُصَدَّرِهِ التَّارِيخِيِّ الْإِسْلَامِيِّ إِذْ يَسْتَحْضِرُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ الشَّامِخَةَ وَيَسْتَوْحِي مَوْقِفَهَا الثَّابِتَ الرَّاسِخَ. وَهَكَذَا يُشَكِّلُ (الْعَلَمُ)، هُنَا، تَنَاصًا عَامِرًا بِالِدَّلَالَةِ، وَبِوَسَائِطِهِ يَنْفِي الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ وَيَنْقُضُ مَا اعْتَادَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ التِّزَامَهُ مِنْ قِيمِ شَعْرِيَّةٍ وَتَقَالِيدِ فَنِيَّةٍ. وَيُدْخِلُ الشَّاعِرُ فِي صَمِيمِ تَجْرِبَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ هَذَا الْعُنْصُرَ الشَّعْرِيَّ الْبِنَائِيَّ، وَهُوَ عَلَى عِلْمٍ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَتَوَفَّرَ فِيهِ لِيُؤَدِّيَ وَظِيفَتَهُ فِي سِيَاقِهِ الشَّعْرِيِّ، فَيَنْبَغِي لِتَنْهَضَ الشَّخْصِيَّاتُ الْمُسْتَدْعَاةُ بِدَوْرِهَا أَنْ تَحْمِلَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتُ فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ مَلَامِحَ الشَّخْصِيَّةِ وَالْعَامِّ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أَدَقَّ-الْفَرْدِيِّ وَالْجَمْعِيِّ، فَإِذَا هِيَ فَقَدَتْ وَجُودَهَا الرَّمِزِيَّ، وَفَقَدَتْ-تَبِيحَةً لِذَلِكَ-

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 123.

(2) أحمد حاسم الحسين: الشَّعْرِيَّة، ص: 97.

(3) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 124.

تأثيرها الشعري المنشود".<sup>(1)</sup> ويتضمن النص إشارةً تناصيةً أخرى صريحةً تفتح القصيدة على أفقٍ تاريخيٍّ يتصل بالتاريخ الإسلامي وسيرة الرسول الكريم، وذلك في قول الشاعر<sup>(2)</sup>:

وَسَمَتْ دَعْوَةُ الْإِخَاءِ لِعَمْرِي بِهَذَا قَدْ سَادَ فِينَا الْإِخَاءُ  
وَرَسُولُ الْأَنَامِ يَدْعُو الْأَسَارَى: اذْهَبُوا الْيَوْمَ أَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ!

فالشطر الثاني مُقتبسٌ من كلمة الرسول الخالدة للأسرى من قريش يوم فتح مكة، إذ قال رسول الله ﷺ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: أَخٌ كَرِيمٌ وَأَبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ! قَالَ: فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ ((لَا تَحْزِنَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ)).<sup>(3)</sup> ومن ثم فهو يحيل على تلك الواقعة اللامعة في فتح مكة، التي تجد قمة العفو والصفح عند التمكن والمقدرة، ويعضد التناص الإقباسي الكامل المنصص رؤيئة الشاعر، ويسند موقفه الداعي إلى الإخاء والمحبة.

إنَّ النُّصُوصَ الْمُعَارِضَةَ كَمَا يَبْدُو مِنَ التَّحْلِيلِ التَّنَاصِيِّ كَثِيرًا "مَا تَسْبَحُ فِي أَجْوَاءِ حُرَّةٍ بَعِيدًا عَنِ النُّصُوصِ الْمُحَاوِرَةِ؛ تَعْرُجُ عَلَيْهَا مِنْ حِينَ لآخِرٍ لِلتَّقَاتِ صُورَةٌ أَوْ صُورٌ أَوْ تَنَاسَاهَا إِجْمَالًا مُكْتَفِيَةً بِالِاتِّفَاقِ فِي الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَإِعْلَانِ النَّيَةِ فِي الْعُنْوَانِ وَالِاسْتِهْلَالِ".<sup>(4)</sup> وقد أشار الشاعر إلى نيته وعزمه على المعارضة المنطلقة من الرؤية الإسلامية في تلك العتبات النصية المدرجة في المدخل التناصي، وبناءً على مفهوم الامتنصاص كإجراء تناصيٍّ حيث يمتص النص الإسلامي النص الجاهلي أو أجزاء منه ويعيد إنتاجه من جديد بشكلٍ آخر يحتفظ من النص القديم ببعض أدواته الشعرية ويضيف إليها مضامين فكرية وشعورية ورؤى حضارية، فإنه يمكن النظر إلى هذه المعارضات الإسلامية على أنها ليست مجرد حوارٍ بسيطٍ بين نصٍّ سابقٍ وآخرٍ لاحقٍ، بل هي نموذجٌ للكتابة التناصية التي تقوم على قراءة النص النموذج، وتحويل مكوناته الفنية وإعادة كتابتها من جديد بما ينسجم وأسئلة المعارض ومقاصده المختلفة التي تتجاوز ما هو فنيٌّ إلى ما هو حضاريٌّ عامٌ.<sup>(5)</sup> وهذه المجاوزة تسمح بالقول إنَّ الشاعر الإسلامي حين يتناص من خلال المعارضة مع نصوصٍ شعريةٍ سابقةٍ أو معاصرةٍ لا تكمن غايته في مجرد التظلم على منوال نصوصٍ لغويةٍ وشعريةٍ مكافئةٍ، فعائنه ربط تلك النصوص بالسياق الثقافي الإسلامي والتحكّم في بنائها اللغوي والجمالي من أجل نقضٍ ونقدٍ محتواها الفكري والمضموني. ويقدم تناصُّ المعارضة أمام المتلقي

(1) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص: 204.

(2) يوسف العظم: لو أسلمت المعلقات، ص: 126.

(3) أبو الحسن علي الحسيني الندوي: السيرة النبوية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، المملكة العربية السعودية، ط: 5، 1403هـ—1983م، ص: 284.

(4) عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب التقدي والبلاغي، ص: 6.

(5) المرجع نفسه، ص: 12.

النَّصَّ وَنَقِيضَهُ أَوْ النَّصَّ وَبَدِيلَهُ الْجَدِيدَ، فَالنَّصُّ الثَّانِي الْمَعَارِضُ يَجْرُ النَّصُّ الْمَعَارِضَ الْأَوَّلَ حَيْثَمَا حَلَّ وَيُقَدِّمُ بِذَلِكَ رُؤْيَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ عَبْرَ أَدْوَاتٍ شِعْرِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ مُتَشَابِهَةٍ.

### 1-1-2- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ وَالنَّصِّ الشِّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ:

وَيَنُمُّ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ نَصَّيْنِ إِسْلَامِيَّيْنِ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَقْفٌ لِلتَّعْرِفِ عَلَى تَحْلِيَّاتِ التَّنَاصُ فِيهَا عَلَى تِلْكَ الَّتِي كَانَ نَصُّ الْبُرْدَةِ النَّصَّ الْغَائِبَ فِيهَا.

### 1-1-2-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (سَعَادٍ.. وَالسَّجِينِ) لِنَجِيبِ الْكِلَانِيِّ:

لَقَدْ كَانَتْ قَصِيدَةُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ "الْمُنْطَلَقَ الَّذِي انْطَلَقَ مِنْ شِعْرَاءِ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ فِي قَصَائِدِهِمْ، وَآيَةُ ذَلِكَ حِرْصٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْ تَشْتَمَلَ أَشْعَارُهُمْ فِي الْمَدِيحِ عَلَى قَصِيدَةٍ مُوَازِنَةٍ لِقَصِيدَةِ كَعْبٍ، فَكَانَ أَنْ اجْتَمَعَ لَدَيْنَا مِنْ ذَلِكَ عَدَدٌ وَافِرٌ مِنَ اللَّامِيَّاتِ الَّتِي عَوْرِضَتْ بِهَا لَامِيَّةُ كَعْبٍ.<sup>(1)</sup> وَهَذِهِ اللَّامِيَّاتُ الَّتِي عَوْرِضَ بِهَا لَامِيَّةُ كَعْبٍ لَا تَتَّفِقُ مَعَهَا -بَعْدَ اتَّفَاقِهَا فِي الْعَرَضِ الشِّعْرِيِّ- إِلَّا فِي الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَمَظَاهِرَ أُخْرَى كَالْتَّضْمِينَاتِ، وَتَخْتَلِفُ يَعَدُ ذَلِكَ فِي رُوحِهَا عَنِ الرُّوحِ الَّتِي صَدَرَ عَنْهَا كَعْبٌ فِي لَامِيَّتِهِ، فَشِعْرُ كَعْبٍ يَنْتَمِي إِلَى رُوحِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْجَاهِلِيِّ فِي مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظِهِ، بَيْنَمَا تَنْتَمِي اللَّامِيَّاتُ الْمَعَارِضَةُ إِلَى رُوحِ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي تَتَّجِهُ إِلَى اسْتِيفَاءِ الْكَلَامِ عَلَى صِفَاتِ الرَّسُولِ وَمُعْجَزَاتِهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِأَصْحَابِهِ.<sup>(2)</sup> وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ غَدَتْ الْبُرْدَةُ النَّصَّ السَّابِقَ الْغَائِبَ الَّذِي كَانَ لَهُ أَثَرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ.

وَقَدْ مَثَلَ التَّنَاصُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشِّعْرِ الْمُسْلِمِ الْمَعَاوِرِ "وَسَيْلَةً مِنْ وَسَائِلِ الْخَلْقِ وَالتَّعْبِيرِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الشِّعْرُ فِي وَضْعِ خَاصٍّ كَأَنْ يُورَدَ سَطْرًا أَوْ مَقْطَعًا لِشَاعِرٍ سَابِقٍ بَيْنَ ثَنَائِهِ كَلَامِهِ، أَوْ يَسْتَعْمِلُ لُغَتَهُ وَإِقَاعَهُ فِي تَضَاعِيفِ لُغَتِهِ وَإِقَاعِهِ."<sup>(3)</sup> وَهَذَا مَا يَهْدَفُ إِلَيْهِ نَجِيبُ الْكِلَانِيِّ (1931م-1995م) فِي تَنَاصُهِ مَعَ قَصِيدَةِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ (ت24هـ) اللَّامِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِقَصِيدَةِ الْبُرْدَةِ أَوْ الْبُرْدَةِ فَقَطْ.<sup>(4)</sup> وَتُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ النَّصَّ الْمُتَّفَاعِلَ نَصِيًّا أَوْ هِيَ النَّصُّ الْمَعَارِضُ، وَتُمَثِّلُ قَصِيدَةَ الْكِلَانِيِّ الْبِنِيَّةَ النَّصِّيَّةَ أَوْ النَّصَّ الْمَعَارِضَ، فَالْأَوَّلُ هُوَ النَّصُّ السَّابِقُ وَالثَّانِي هُوَ النَّصُّ اللَّاحِقُ وَهُمَا عُنْصُرَا التَّعْلُقِ النَّصِّيِّ:

### أ- النَّصُّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ:

(1) السيد إبراهيم محمد: قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط: 1، 1406هـ-1986م، ص: 213.

(2) المرجع نفسه، ص: 214.

(3) نعيم الياني: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي المعاصر، صفحات للدراسات ونشر، دمشق، سورية، ط: 1، 2008م، ص: 288.

(4) فؤاد أفرام البستاني: الروائع: كعب بن زهير، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط: 4، 1969، ص: 84.

يَتَحَسَّدُ النَّصَّ السَّابِقُ الْمَعَارِضُ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَنْشَدَهَا كَعْبٌ بْنُ زُهَيْرٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ. (1) بَعْدَمَا جَاءَ مُسْلِمًا تَائِبًا وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ نَوَعَّدَهُ وَأَهْدَرَ دَمَهُ لَمَّا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ هِجَاةٍ فِي الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ بَعْدَ إِسْلَامِ أُخِيهِ بُحَيْرٍ. (2) يَقُولُ كَعْبٌ فِي مُسْتَهْلَهَا (3):

بَأْتِ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ      مَتِيمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولٌ  
وَمَا سَعَادُ عَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا      إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ  
تَجَلُّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ      كَأَنَّهُ مِنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

تَقُومُ الْقَصِيدَةُ عَلَى نَسَقِ الْبَسِيطِ الْإِيْقَاعِيِّ وَعَلَى نَسَقِ تَقْفُوِيٍّ مَوْحَدٍ مُطْلَقٍ، وَرَوِيَهُ اللَّامُ وَمَجْرَاهُ الضَّمُّ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيَّ فِيهَا سِتِينَ بَيْتًا. (4) وَقَدْ يَخْتَلِفُ هَذَا الْعَدَدُ فِقْوَادُ الْبُسْتَانِيِّ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهَا قَصِيدَةٌ لَامِيَّةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ ذَاتِ 58 بَيْتًا. (5) أَمَّا مَوْضُوعُهَا فَقَدْ أَنْشَدَهَا كَعْبٌ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ... سَارَ فِيهَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الْقَدِيمَةِ كَمَا يَظْهَرُ مِنَ التَّقْسِيمِ:

1- بَدَأَ بِالْعَزْلِ فَذَكَرَ سَعَادَ وَوَصَفَهَا، وَأَشَارَ إِلَى إِخْلَافِهَا بِالْوَعْدِ (1-31).

2- تَخَلَّصَ إِلَى وَصْفِ النَّاقَةِ (13-33).

3- تَخَلَّصَ إِلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ وَوَصَفِ حَالَتِهِ هُوَ مِنَ الْإِضْطِرَابِ (34-37).

4- اعْتَذَرَ إِلَى النَّبِيِّ فِي مَدْحِهِ (38-58).

5- تَخَلَّصَ إِلَى مَدْحِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ (53-58). (6) فَهَذِهِ أَبْرَزُ مَوْضُوعَاتِ الْقَصِيدَةِ.

ب- النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمَعَارِضُ:

وَيَتِمُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْمُتَفَاعَلَةِ نَصِيًّا الَّتِي صَيَّغَتْ عَلَى صُورَةِ تَنَاصُّ الْمَعَارِضَةِ، وَهِيَ قَصِيدَةُ (سَعَادٍ.. وَالسَّجِينِ)

مِنَ مَدِينَةِ الْكِبَائِرِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلَهَا (7):

بَأْتِ سَعَادُ وَسَيْفُ الْجُورِ مَسْلُوبٌ      وَدَمْعُهَا بِشُعَاعِ الْحُبِّ مَجْدُوبٌ  
تَرْتُو إِلَى قَسْوَةِ الْقُضْبَانِ بَاكِيَةً      قَلْبِي يُعَانِقُهَا وَالْجِسْمُ مَعْرُوبٌ  
جَبِينُهَا كَجَبِينِ الْبَدْرِ مُؤْتَلِقٌ      وَرِيحُهَا بِأَرِيحِ الرَّوْضِ مَأْهُوبٌ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 84.

(2) السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، (د، ت) ج: 2، ص: 123.

(3) المصدر نفسه، ص: 124. والسيد إبراهيم محمد: قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، ص: 27. وفؤاد أفرام البستاني: كعب بن زهير، ص: 103.

(4) والسيد إبراهيم محمد: قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، ص: 27.

(5) فؤاد أفرام البستاني: كعب بن زهير، ص: 90.

(6) المرجع نفسه، ص: 90. والسيد إبراهيم محمد: قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، ص: 41.

(7) نجيب الكيلاني: مدينة الكبائر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1409هـ-1988م، ص: 35.

لَقَدْ تَعَالَى هَوَانًا عَنْ مُصَادَرَةٍ      فَالرُّوحُ بِالْفَرَحِ الْقُدْسِيِّ مَوْضُولٌ  
فِي رَوْضَةِ الْحُبِّ قَدْ هَامَتْ مَجْنَحَةً      وَلَحْنُهَا الْبِكْرُ تَكْبِيرٌ وَتَهْلِيلٌ  
سَيَّانٌ أَسْفَرَ وَجْهَهُ الْحُبُّ مُؤْتَلَقًا      أَوْ غَابَ عَنِّي وَآدَتُهُ التَّهَاوِيلُ  
قَدْ اسْتَحَالَ هَوَانًا لَهْفَةً وَمِنِّي      كَأَنَّمَا الْحُبُّ أَشْوَاقٌ وَتَرْتِيلٌ

تَقُومُ الْقَصِيدَةُ عَلَى نَسَقِ الْبَسِيطِ الْإِيْقَاعِيِّ وَعَلَى نَسَقِ تَقْفَوِيٍّ مُوَحَّدٍ مُطْلَقٍ، وَرَوِيَهُ اللَّامُ وَمَجْرَاهُ الضَّمُّ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشُّعْرِيَّ فِيهَا وَاحِدًا وَعِشْرِينَ بَيْتًا، وَتَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَ السَّجِينِ الْمُحِبِّ الَّذِي أُبْعِدَ عَنْ حَبِيبَتِهِ (سُعَادٍ) قَهْرًا تَحْتَ سَيْفِ الطُّغْيَانِ، وَحُبَّهُ حُبُّ رُوحِيٍّ قُدْسِيٍّ حُرًّا لَا تَخْتَفُهُ أَسْوَارُ الْأَجْسَادِ مَوْعُودٌ بِاللِّقَاءِ يَوْمَ يُحْرَرُ الْوَطْنَ مِنَ الطُّغَاةِ وَتَعْلُوهُ صَيِّحَاتُ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ.

تَسْتَحْضِرُ قَصِيدَةُ نَجِيبِ الْكَيْلَانِيِّ النَّصَّ الْإِسْلَامِيَّ الْقَدِيمَ الَّذِي قَدَّمَهُ الشَّاعِرُ شَهَادَةَ إِسْلَامِهِ وَتَوْبَتَهُ، وَكَانَ نَمُودَجًا لِلْمَعَارِضَةِ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، وَتَسْتَحْضِرُ بَنِيَّتَهُ الْإِيْقَاعِيَّةَ وَزْنَ وَتَصْرِيْعًا وَقَافِيَةً وَرَوِيًّا، كَمَا يُوضِّحُ ذَلِكَ الْجَدْوَلُ الْآتِي:

قافية النص الغائب (المعارض)	البيت الشعري	قافية النص الحاضر (المعارض)	البيت الشعري
متبول-مكبول	بيت مصرع	مسلول-مجدول	بيت مصرع
مجدول	1	مجدول	1
الأباطيل	19	الأباطيل	19
تضليل	11	تضليل	11
مقتول	13	مقتول	13
القبيل	5	القبيل	5
تهليل	10	تهليل	10
محمول	21	محمول	21
تبديل		تبديل	

وَتَشِي مَفْرَدَاتُ النَّسَقِ التَّقْفَوِيِّ فِي النَّصِّ الثَّانِي بِالعَلَاقَةِ التَّنَاصِيَّةِ فَقَوَافِيهِ لَا تَبْتَعِدُ عَن قَوَافِي النَّصِّ الْأَوَّلِ فَمَا لَمْ يَتَكَرَّرْ مِنْ تِلْكَ الْقَوَافِي صَبِغَ عَلَى أَبْنِيَّتِهَا الصَّرْفِيَّةِ سِوَاءَ أَكَانَ عَلَى صَبِغَةِ الْمَصْدَرِ أَوْ اسْمِ الْمَفْعُولِ كـ(تَرْتِيلِ، تَأْوِيلِ، تَنْكِيلِ، مَعْرُوزِ، مَاهُولِ، مَوْضُولِ...)، وَحَمِيعُهَا- وَبَعْضُ مِنْ مَفْرَدَاتِ مَعْجَمِ النَّصِّ الْأَوَّلِ تَوْظِيفُهُ فِي النَّصِّ الثَّانِي- قَدْ تَحَوَّلَ فِي فِضَاءِ النَّصِّ الثَّانِي وَصَارَ جُزْءًا مِنْهُ، وَإِنَّ لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنَ الْإِيْحَاءِ إِلَى سِيَاقِهِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا مَا يُعْزِزُ الْقَوْلَ بِأَنَّ التَّنَاصَاتِ الَّتِي يَنْتِجُ بِهَا الشَّاعِرُ نَصَّهُ أَوْ عَمَلَهُ نُعْدُّ جُزْءًا لَا يَنْجَزُّ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ وَلَبِنَةٌ فِي بِنَائِهِ الْمُتَمَاسِكِ، وَليْسَتْ مُجَرَّدَ اقْتِبَاسٍ أَوْ عُدْوَانٍ عَلَى أَمْلَاكِ الْآخَرِينَ، إِنَّهَا عُنْصُرٌ مُكُونٌ لِلتَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ وَنَسَقِهَا وَإِطَارِهَا الْعَامِّ، صَحِيحٌ أَنْ (الإِدَابَةُ) لَنْ تَكُونَ تَامَةً وَلَا كَامِلَةً بَيْنَ الْمَقْطَعِ الَّذِي نُزِعَ مِنْ نَسَقِهِ الْقَدِيمِ وَبَيْنَ النَّسَقِ الْجَدِيدِ الَّذِي وُضِعَ لَهُ- وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ- إِلَّا هَذَا، إِنَّ هَذَا هُوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مَا يَهَبُ الصُّورَةَ الْإِشَارِيَّةَ أَهْرَزَ مَلَامِحَهَا وَيُعْطِيهَا أَحْصَ خَصَائِصِهَا، فَالشَّاعِرُ عِنْدَمَا يَسْتَحْضِرُهَا يُرِيدُ أَنْ يُحْضِرَ إِلَى الْأَذْهَانِ مَضْمُونِ عَمَلِ سَابِقِ

أَوْ رُوحِهِ أَوْ مَوْفِقِهِ، وَيُرِيدُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنْ يُقِيمَ بَيْنَهُ وَيَبَيِّنَ صَاحِبَ النَّصِّ - الْقَدِيمِ - حَدِيثًا مُتَبَادِلًا أَوْ حِوَارًا. (1)

وَيَسْتَعِينُ الشَّاعِرُ لِإِحْدَاتِ الْمَفَارِقَةِ فِي الدَّلَالَةِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ فِي سِيَاقِهَا الْأَوَّلِ وَسِيَاقِهَا الثَّانِي بِوَاسِطَةِ إِدْمَاجِهَا فِي سِيَاقٍ يُضْنِي عَلَيْهَا إِجَابِيَّةً أَوْ سَلْبِيَّةً اعْتِمَادًا عَلَى دِلَالَةِ السِّيَاقِ، فَلَفْظَةُ (السَّيْفِ) الْمَسْئُولِ، كَدَالٍ لِسَانِي، رَمَزَ الْقُوَّةَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ تَنْتَفِي فِيهِ صِفَةُ الْإِعْتِبَاطِيَّةِ، فَمِنْ "مُمَيِّزَاتِ الرَّمْزِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ اعْتِبَاطِيًّا عَلَى نَحْوِ كُلِّيٍّ، فَهُوَ لَيْسَ فَارِعًا، إِذْ هُنَاكَ جَذْرٌ رَابِطَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ الدَّالِّ وَالْمَدْلُولِ، فَرَمَزَ الْعَدَالَةَ - الْمِيزَانَ - لَا يُمَكِّنُ اسْتِبْدَالَهُ اعْتِبَاطِيًّا بِأَيِّ رَمَزٍ آخَرَ - كَالْعَرَبِيِّ مَثَلًا. (2) فَهَذَا الرَّمْزُ يَرِدُ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ فِي الْقِسْمِ الْمُخَصَّصِ لِلْإِعْتِبَارِ وَمَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَدْحِ الْمُهَاجِرِينَ وَهُوَ يَحْمِلُ دِلَالَةً إِجَابِيَّةً إِذْ تَعْنِي سَيْفَ هُدًى وَعَدْلٍ وَنُصْرَةَ لِلْحَقِّ وَرَدَّعٍ لِلْبَاطِلِ وَإِضَاءَةً لِلَّيْلِ الظُّلْمِ وَمَا يُقَوِّي هَذِهِ الدَّلَالَةَ وَرُودُ لَفْظَةِ (الثَّوْرِ) مَكَانَ (السَّيْفِ) فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَادِرِ الثَّرَائِيَّةِ (3)، يَقُولُ كَعْبٌ (4):

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ مَسْئُولُ

بَيْنَمَا تَأْتِي هَذِهِ اللَّفْظَةُ/الدَّالُّ فِي النَّصِّ الثَّانِي بِدِلَالَةِ سَلْبِيَّةٍ تَمْتَدُّ مِنْ مَطَّلَعِ النَّصِّ إِلَى آخِرِهِ، إِذْ تَعْنِي سَيْفَ الظُّلْمِ الْمَسْئُولِ وَالْجُورِ الْمُسَلِّطِ عَلَى رِقَابِ الْأَبْرِيَاءِ الْعُزْلِ أَصْحَابِ الدَّعْوَةِ، فَهُوَ يُفَرِّقُ بَحْدَهُ شَمْلَ الْأَحْبَابِ وَيُشْتِتُ الْأُسْرَ، إِنَّهُ سَيْفُ الطُّغْيَانِ وَالطَّاعُوتِ وَالْجَلَادِ وَالْحَاكِمِ الظَّالِمِ، يَقُولُ الْكَيْلَانِيُّ (5):

بَأْتِ سَعَادٌ وَسَيْفُ الْجُورِ مَسْئُولٌ وَدَمْعُهَا بِشُعَاعِ الْحُبِّ مَجْدُولُ

يُقِيمُ النَّصُّ الثَّانِي بِنَيْتِهِ عَلَى التَّعَالُقِ مَعَ النَّصِّ الْأَوَّلِ فِيحَاوِرُهُ وَيَمْتَصُّ مَضْمُونَهُ مُعِيدًا إِتِنَاجَهُ وَكِتَابَتَهُ بِمَا يَلْتَأَمُّ سِيَاقَ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْجَدِيدَةِ، فَيَسْتَدْعِي إِطَارَ التَّجْرِبَةِ الْقَدِيمَةِ وَيَبْنِي نَصًّا يَسِيرٌ بِحَسَبِ مَقْصِدِيَّةِ الشَّاعِرِ عَلَى عَكْسِ اتِّجَاهِ النَّصِّ الْأَوَّلِ، فَسَيْفُ الرَّسُولِ ﷺ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ يُفْرَعُ إِلَيْهِ وَيُحْتَمَى بِهِ وَيُسْتَطْلُ بِعَدْلِهِ وَعَفْوِهِ وَفِي النَّصِّ الثَّانِي فَالسَّيْفُ الْجَلَادِ الَّذِي يُفْرَعُ مِنْهُ وَيُخْشَى وَيُصَلَّى بِظُلْمِهِ وَجُورِهِ، فَمِنْ خِلَالِ التَّنَاصُّ تَعَبَّرَتْ وَظِيفَةُ السَّيْفِ وَدَوْرُهُ، فَالشَّاعِرُ فِي النَّصِّ الثَّانِي يُمَارِسُ نَفْيًا كَلِمًا لِلْمَعْنَى عَبْرَ الْإِقْتِبَاسِ الْجَزْئِيِّ الَّذِي تَمَثَّلَ فِي بِنْيَةِ (بَأْتِ سَعَادٌ) الْإِسْتِهْلَاقِيَّةِ.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْبِنْيَةَ النَّصْبِيَّةَ أَوْ نَصَّ قَصِيدَةِ (سَعَادٌ.. وَالسَّجِين) تَنْفَاعِلُ شَكْلًا وَمَضْمُونًا مَعَ نَصِّ قَصِيدَةِ كَعْبِ، وَتَنْفَتِحُ عَلَى بِنْيَتِهَا عَلَى مُسْتَوِيَّاتٍ، أَنْطَلِقًا مِنْ بِنْيَةِ الْعُنْوَانِ الَّذِي يَرْتَكِرُ عَلَى نُثَائِيَّةِ طَرْفَاهَا (سَعَادُ الْمَرْأَةِ/الرَّمْزِ -

(1) نعيم الياحي: تطوّر الصورة الفنية في الشعر العربي المعاصر، ص: 288.

(2) فردينان دي سوسور: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مر: النص العربي مالك يوسف المطليبي، بيت الموصل، بغداد، 1988، ص: 87.

(3) السيد إبراهيم محمد: قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، ص: 38. والسيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج: 2، ص: 126.

(4) فؤاد أفرام البستاني: كعب بن زهير، ص: 114.

(5) نجيب الكيلاني: مدينة الكباير، ص: 35.

السَّحِينِ/الشَّاعِرِ)، وَقَدْ وَقَفَ سَيْفُ الْجَوْرِ بَيْنَهُمَا حَائِلًا دُونَ أَيِّ لِقَاءٍ مَأْمُولٍ عَلَى الْمَدَى الْمَنْظُورِ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ،  
وَوَقَفَ مَانِعًا لَأَيِّ عِلَاقَةٍ مَرْجُوءَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُقَامَ، فَالْفَصْلُ الْمَادِيُّ عَلَى غِرَارِ الْفَصْلِ الْمَعْنَوِيِّ فِي دِلَالَةِ (السَّيْفِ) فِي  
سِيَاقِيهِ الشُّعْرِيِّينَ، وَيُقَابِلُ ذَلِكَ الْفَصْلُ وَصْلَ مَعْنَوِيٍّ رُوحِيٍّ غَيْرِ مَنْظُورٍ. تَتَضَمَّنُ بِنْيَةُ الْمَطْلَعِ اسْمَ عَلَمٍ (سُعَادِ) الَّتِي  
تُعَدُّ الْكَلِمَةَ الْمَفْتَاخَ فِي كِلَا النَّصِّينَ، وَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنِ عَلَمِ (أَسْمَاءِ) فِي نَصِّ يُوسُفَ الْعَظَمِ الَّذِي يُخَصِّصُهُ وَيُعَرِّفُهُ فِي  
عَتَبَةِ التَّقْدِيمِ، وَعَلَى أَسَاسِ أَنَّ الشُّعْرَ لَا يَظْهَرُ مِنْ فِرَاقٍ، بَلْ فِي إِطَارِ الثَّقَافَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا الشَّاعِرُ. (1) فَإِنَّهُ  
يُمَكِّنُ مَقَارِبَةَ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ وَتَأْوِيلَ دِلَالَتِهِ اسْتِنَادًا إِلَى تَأْوِيلِ دِلَالَةِ الرَّمَزِ (سُعَادِ) فِي بِنْيَةِ مَطْلَعِ النَّصِّ الْأَوَّلِ وَتَحْلِيَاتِهِ  
فِي الْقِسْمِ الْمَخَصَّصِ لَوْصَفِهَا، فَـ (سُعَادِ) يُمَكِّنُ النَّظْرَ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا تَحْسِيدٌ لِلْإِحْسَاسِ بِالْمَاضِي الَّذِي يُدِيرُ عَنْهُ  
مُتَمَثِّلًا فِي حَيَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي انْتَهَتْ بِانْتِصَارِ الْإِسْلَامِ، فَسُعَادُ تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ صُورَةً مِنْ بَاطِلِ الْجَاهِلِيَّةِ الْمُدْبِرِ، وَهِيَ  
صُورَةٌ مِنَ الدُّنْيَا الْمُتَقَلِّبَةِ:

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوْنَ فِي أَنْوَابِهَا الْعُورُ  
وَهِيَ مُخْلَفَةٌ لِمَا يَنْتَظِرُهُ الْمَرْءُ مِنْ دَوَامِ الْعَهْدِ أَوْ الْحَالِ، فَهِيَ تُمَنِّي صَاحِبَهَا بِالْأَمَانِي الَّتِي لَا تَلْبَثُ أَنْ تَزُولَ،  
وَلِذَلِكَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَرْتَكِنَ الْإِنْسَانُ مِنْهَا إِلَى شَيْءٍ:

فَلَا يُعْرَتُكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنْ الْأَمَانِي وَالْأَحْلَامَ تَضَلِيلُ  
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْخَلَعُ بِالْكَلْبِيَّةِ مِنْ حَيَاتِهِ الْمَاضِيَّةِ، بَلْ يَظَلُّ مُتَعَلِّقًا بِهَا ذَاكِرًا لَهَا فِي نَفْسِهِ وَإِنْ أَدْبَرَتْ  
عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ سِرُّ تَعَلُّقِ الشَّاعِرِ بِالْحَبِيبَةِ الْمَفَارِقَةِ:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدَ مَكْبُولُ  
وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ طَيِّبَةً لَوْ أَنَّهَا دَامَتْ أَوْ صَدَقَ مَا يَنْتَظِرُهُ الْمَرْءُ مِنْهَا:

أَكْرَمَ بِهَا خَلَةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ التُّصْحَ مَقْبُولُ  
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا الَّتِي لَا يَطْمَعُنُ الْمَرْءُ مِنْهَا إِلَى شَيْءٍ فَمَوَاعِيدُهَا كَازِبَاتُ:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مِثْلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ. (2)

فَنَلِكَ قِرَاءَةً، وَهَذِهِ قِرَاءَةٌ تَأْوِيلِيَّةٌ ثَانِيَةٌ تُعْطِي (سُعَادِ) بُعْدًا آخَرَ مُخْتَلِفًا يُثْرِي دِلَالَتَهَا كَرَمَزٍ، فَهِيَ "تَصْوِيرٌ"  
كَذَلِكَ لِلْأَفْقِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُرِيدُ الشَّاعِرُ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ بِانْتِصَارِهِ عَنِ بَاطِلِ حَيَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى نُورِ الْإِسْلَامِ، فَسُعَادُ  
رَمَزٌ لَهُ وَاجِهَتَانِ، وَسُعَادُ الْأُولَى الْمَذْكُورَةَ فِي أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ غَيْرِ سُعَادِ الثَّانِيَةِ الَّتِي يَذْكُرُهَا فِي قَوْلِهِ:

أَمَسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبْلَغُهَا إِلَّا الْعَتَاقُ النَّجِيَّاتُ الْمُرَاسِيلُ

وَلَا بُدَّ لِلْوُصُولِ إِلَى سُعَادِ الْجَدِيدَةِ مِنَ التَّاهُلِ بِمَا يُوصَلُ إِلَيْهَا:

وَلَنْ يُبْلَغَهَا إِلَّا عُذَافِرَةٌ فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ

(1) السيد إبراهيم محمد: قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، ص: 69.

(2) المرجع نفسه، ص: 69.

فالوصول إليها يفتضي الاستعداد بأدوات مناسبة للرحلة الشاقة من ناقة قوية صبورة سريعة لا تُشبهه سائر الثوق، بل لها عليهن فضل وزيادة (في خلقها عن بنات الفحل تفضيل).<sup>(1)</sup>

وإذ يُحيل النصُّ الرَّاهنُ إلى النصِّ العائبِ الثريِّ بدلالة الرمز فيه يدعو إلى قراءة رمزه المقتبس (سعاد) في ضوء قراءة (سعاد) كعب، فوظيفة التناص فيه تعمل على تعضيد وتعزيز الفكرة بواسطة الأثر الذي تتركه قوة النصِّ السابق. إنَّ النصَّ الثاني أو نصَّ الكيلاني نموذج من أدب السُّجون في العصر الحديث، و"مضامين شعر السُّجون حملت الكثير من المواقف القديمة-الجديدة.. وهي تُشكل جماع ما سجَّله هؤلاء المسجونون على شكل بيانات وتقارير وبلغات إلى الرأي العام، وأبرز ما فيها أنها تنتمي إلى الأدب الهادف الباحث عن حلول لمشكلات الإنسان، وأنها تحملُ بذور التدمير المؤدي إلى الثورة، والرفض المتمثل في المواجهة العنيفة بين شعراء السُّجون وأرباب السلطة".<sup>(2)</sup> ويتميز شعر السُّجون بصياغة خاصة لرموزه، فكان اللجوء إلى الرمز في شعر السُّجون استدارةً فنيةً يديها السجين ليُعبّر عن مقصده.<sup>(3)</sup> فرمز (سعاد) عند الكيلاني يفهم ضمن تقاطع السياق التاريخي لتجربته الحاضرة وسياق تجرّبه كعب الماضي إنه الدعوة الإسلامية التي نهض بها جيل الصحوه وتصدى لها الحكام الظلمة، وانتهت برجالها إما إلى السجن والمعتقل وإما إلى المفصلة والمشقة، ولكن هذه الدعوة تأتي أن تُصاَدَر وتُسْتَحِيل إلى لهفة وأمنية إلى أن يحين الغد الذي تجتمع فيه الروح بالجسد في ربوع الوطن الحر، وفي ذلك يقول الكيلاني<sup>(4)</sup>:

وتلتقي الروح والأبدان في وطنٍ      تراجعت عن معانيه الأباطيلُ  
العدلُ يعمُرُهُ، والحبُّ يجمعُهُ      وفوق شطّيه تكبيرٌ ونهليلُ  
فلا خلودٌ لجلادِ بأمّتنا      وليس في سنة الرّحمن تبديلُ

وقد ضمن النصُّ الأوّل أو نصُّ كعب، كغيره من النصوص القديمة، القراءة وإعادة الكتابة والانتشار والفاعلية والإنتاجية في أمكنة مختلفة وأزمنة متعاقبة من خلال هجرته الدائبة بين الأنظمة اللغوية التي تُحدّد جنسه وطبيعته، فـ "هجرة النصِّ شرطٌ رئيسيٌّ لإعادة إنتاج ذاته، تمتدُّ عبر الزمان والمكان، وتخضع ثوابتُ النصِّ لمتغيرات دائمة".<sup>(5)</sup> وقد كان هذا النصُّ الإسلامي المهاجر نصًّا غائبًا أحالت إليه نصوصٌ شعرية إسلامية معاصرة كثيرة ومثلت نصوصًا لاحقة متعددة كقصيدة صلاح الدين عزيز (خمسون عامًا) التي يقول في مطلعها<sup>(6)</sup>:

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 70.

(2) سالم المعوش: شعر السُّجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط: 1، 2003، ص: 618.

(3) المرجع نفسه، ص: 619.

(4) نجيب الكيلاني: مدينة الكبائر، ص: 37.

(5) محمد بنيس: حدائث السؤال، ص: 97.

(6) بهجت عبد الغفور الحديثي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، 2003، ص: 245.

بَانتُ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَعْلُولٌ لَمْ يَشْفِهِ بَعْدَهَا بَرْدَى وَلَا التَّيْلُ

وَكَفَصِيدَةَ ذِي الثُّونِ يُونسُ (بُرْدَةَ عَصْرِيَّةً) الَّتِي يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا<sup>(1)</sup>:

بَانتُ وَمَسْرَى رَسُولِ اللَّهِ مَكْبُولٌ فَإِنْ تُعَدُّ يَخْتَطِفُ صَهْيُونَ عَزْرِيْلُ

عَادَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَعْسُولٌ بِدَمْعِهِ، وَدَمِي حَمْدٌ وَتَهْلِيلُ

وغيرها من نصوص لاحقة فرعية تناسلت عبر الأزمنة عن نص كعب المركزي<sup>(2)</sup>. الذي يعدُّ نموذجًا للتناصُّ

المباشر في القصيدة الإسلامية بكل طرقة تضمينًا ومعارضةً.

### 1-1-2-2- التفاعل النصي في قصيدة (الفتية الأبايل) ليوسف العظم:

يتأكد من خلال التفاعل النصي في قصيدة (الفتية الأبايل) أن النص الشعري هو في طبيعته اللغوية تاريخي لا

يتحقق إلا عبر نصوص أخرى كثيرة<sup>(3)</sup>. وبهذه الطريقة يتحقق التداخل النصوصي عبر "دخول نص، على شكل

مقاطع أو أجزاء يعاد ترتيبها للحوار بين النصين الغائب المستحضر، والراهن المستحضر<sup>(4)</sup>. فقد كانت القصيدة

نموذجًا للمتفاعل النصي أو للنص المركزي الذي تستحيل معه عملية الحوار عملية تحويل يحكمها مبدأ المماثلة

والمشابهة في الشكل والمضمون أو في أحدهما<sup>(5)</sup>. كما جسدت ذلك البنات النصية المتعددة التي أنشئت في

إطار نص المدح، خاصة، وفي خارج هذا الإطار، عامة، كقصيدة يوسف العظم (الفتية الأبايل!) في ديوانه (الفتية

الأبايل) التي يقول في مستهلها<sup>(6)</sup>:

حِجَارَةُ الْقُدْسِ نِيرَانٌ وَسَجِيلٌ وَفِتْيَةُ الْقُدْسِ أَطْيَارُ أَبَايِلُ

وَسَاحَةُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى تَمُوجُ بِهِمْ وَمَنْطِقُ الْقُدْسِ آيَاتٌ وَتَرْتِيلُ

وَالشَّعْبُ يَزْحَفُ إِيمَانًا وَتَضْحِيَةً مَا عَادَ يُوقِفُ زَحْفَ الشَّعْبِ تَنْكِيْلُ

تتداخل قصيدة (الفتية الأبايل!) نصيًا مع النص الغائب، أي مع قصيدة كعب، وتتفق معها في بنائها

الإيقاعية نسقًا إيقاعيًا ونسقًا تقفويًا وتشارك معها في بنيتها التركيبية والمعجمية وتنسجم من حيث موضوعاتها

معها مفصلاً وغرضًا، ولا تختلف معها إلا في موضوعاتها الرئيسية فهناك الرسول ﷺ وصحابته، وهنا فتية القدس

وأطفال الحجارة، وإلى جانب ذلك التفاعل النصي يرد التناصُّ مع القرآن الكريم، فالقصيدة (الفتية الأبايل!) تتضمن

إحالة إلى نص سورة الفيل التي يقول فيها الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 190.

(2) السيد إبراهيم محمد: قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي.

(3) أحمد محمد قذور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص: 131.

(4) المرجع نفسه، ص: 140.

(5) محمد مفتاح: دينامية النص، ص: 89.

(6) يوسف العظم: الفتية الأبايل دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط: 1، 1409هـ-1988م، ص: 13.

(7) سورة الفيل، الآيات: 1، 2، 3، 4، 5.

كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5) ﴿٥﴾،  
فَعُنْوَانُ الْقَصِيدَةِ يُحِيلُ إِلَيْهَا كَمَا يُحِيلُ الْمَطَّلَعُ مِنْ خِلَالِ مُفْرَدَتَيْ (سَجِّيلٍ) وَ(أَبَابِيلٍ) إِلَيْهَا أَيْضًا، وَذَلِكَ لِإِيقَاعِ الشَّبَهِ  
بَيْنَ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ الْمُرْسَلَةِ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ لِحِمَايَةِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ وَأَطْفَالِ الْحِجَارَةِ الْمُتَفَضِّضِينَ فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ  
الصَّهَابِيَّةِ لِحِمَايَةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَقَدْ جَعَلَ الشَّاعِرُ مِنْ نَصِّ السُّورَةِ عَتَبَةً نَصِيَّةً أَوْ مَنَاصًا (Paratexte) فِي مُقَدِّمَةِ  
الدِّيْوَانِ. (1)

وَمَا يُلَاحِظُ عَلَى بَنِيَّةِ النُّصُوصِ اللَّاحِقَةِ الْمَعَارِضَةَ أَنَّ التَّنَاصَّ تَحَسَّدَ فِي أَبْنِيَّتِهَا أَكْثَرَ وَضُوحًا مِمَّا تَحَسَّدَ فِي  
الْمَوَادِّ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي تَضُمُّهَا تِلْكَ الْأَبْنِيَّةُ، وَهِيَ الْمُلَاحِظَةُ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا مِيشَالُ أَرِيْفِي فِي تَفْرِيغِهِ بَيْنَ النَّصِّ وَالتَّنَاصِّ  
فَيَرَى أَنَّ الْمَادَّةَ الْمُعْطَاةَ هِيَ النَّصُّ، وَأَنَّ الْمَادَّةَ الْبَنَائِيَّةَ هِيَ التَّنَاصُّ. (2) وَهَذَا مَا يَسْهُلُ التَّنَبُّهُ لَهُ فِي بِنْيَةِ الْمَعَارِضَةِ  
وَالْمَنَاقِضَةِ.

### 1-2-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ عَلَى مُسْتَوَى التَّقِيضَةِ الشَّعْرِيَّةِ:

إِنَّ الْمَنَاقِضَةَ أَوْ التَّقِيضَةَ، بِوَصْفِهَا قَصِيدَةً يَقُولُهَا الشَّاعِرُ، يَبْدَأُهَا بِالتَّسْبِيبِ، ثُمَّ يُعَقِّبُهُ بِالْفَخْرِ، ثُمَّ يَتْلُوهُ بِهَجَاءِ  
شَاعِرٍ آخَرَ، وَقَدْ تُخْتَمُ الْقَصِيدَةُ بِمَدْحِ الْخَلِيفَةِ أَوْ الْأَمِيرِ، فَيَنْبِرِي الشَّاعِرُ الْآخَرُ، وَيَقُولُ قَصِيدَةً مِنْ نَفْسِ الْبَحْرِ  
وَالرَّوْيِيِّ، وَيَرُدُّ فِيهَا عَلَى مَنْ هَجَاهُ، وَيَقْلِبُ مَوَاضِعَ الْمَدْحِ ذَمًّا. (3) وَأَنَّ الشَّاعِرَ يَلْتَزِمُ فِيهَا "نَقْضَ الْمَعَانِي الَّتِي  
جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ شَاعِرٍ آخَرَ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ، عَلَى أَنْ تُكُونَ عَلَى الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ ذَاتِهِمَا. (4) هِيَ أَيْضًا مِنْ  
النُّوعِ الْقَصْدِيِّ فِي التَّنَاصِّ، وَيَتَجَلَّى فِيهَا التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بِالطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا الَّتِي يَتَجَلَّى مِنْ خِلَالِهَا فِي بَنِيَّةِ الْمَعَارِضَةِ.  
وَيَتِمُّ هَذَا التَّفَاعُلُ بِـ"دُخُولِ نَصٍّ فِي آخَرَ عَلَى نَحْوِ يَسْمَحُ لِلنَّاقِدِ وَالْقَارِئِ بِتَبْيِينِ الْحُدُودِ بَيْنَ النَّصِّينِ: الْمُسْتَحْضَرِ  
وَالْمُسْتَحْضَرِ، أَوْ الْعَائِبِ-وَهُوَ لَيْسَ بِعَائِبٍ كُلِّيًّا- وَالرَّاهِنِ. (5) وَهَذَا مَا يُلَاحِظُ بَيْنَ النُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
الَّتِي قَامَتْ عَلَى مَنَاقِضَةِ النَّصِّ الْعَائِبِ الْمُسْتَحْضَرِ الَّذِي تَمَثَّلَ فِي قَصِيدَةِ الطَّلَاسِمِ لِإِيلِيَا أَبِي مَاضِي.

### 1-2-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ وَالنَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْحَدِيثِ:

قَدْ يَكُونُ التَّنَاصُّ دَاخِلِيًّا حِينَ يُحَاوِرُ الْمُبْدِعُ نَصَّهُ السَّابِقَ فِي نَصِّهِ اللَّاحِقِ، وَقَدْ يَكُونُ خَارِجِيًّا حِينَ يَسْتَدْعِي  
نَصَّ الْآخَرَ عَلَى اخْتِلَافِ نَوْعِهِ وَمَصْدَرِهِ وَكَمَا يَتَّفَاعَلُ النَّصُّ الشَّعْرِيُّ الْحَدِيثُ مَعَ النَّصِّ الْآخَرَ الْقَدِيمِ أَوْ الْبَعِيدِ  
زَمَنِيًّا، أَيْ الْخَارِجِ عَنِ إِطَارِ الْعَصْرِ، فَإِنَّ النَّصَّ الْحَدِيثَ قَدْ يَتَّفَاعَلُ مَعَ النَّصِّ الْآخَرَ الْحَدِيثِ أَوْ الْقَرِيبِ زَمَنِيًّا، فَلَا

(1) يوسف العظم: الفتيحة الأبايل، ص: 3.

(2) بركات وائل: مفهومات في بنية النص، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط: 1996، ص: 91.

(3) ظافر القاسمي: نظرات في الشعر الإسلامي والأموي، دار التفانس، بيروت، ط: 1، 1398هـ-1977م، ص: 84.

(1) نايف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، دار التفانس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 2، 1418هـ-  
1998م، ص: 256.

(4) أحمد محمد قدور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص: 128.

يَخْرُجُ كُلُّ مِنَ النَّصِّينِ الْمُتَفَاعِلَيْنِ عَنِ إِطَارِ الْعَصْرِ الْوَاحِدِ، وَقَدْ مَثَلَ نَصُّ قَصِيدَةِ الطَّلَاسِمِ لَوْلِيدِ قَصَّابٍ مِنْ دِيَوَانِهِ (فَارِسِ الْأَحْلَامِ الْقَدِيمَةِ)<sup>(1)</sup> هَذَا التَّوَعُّعَ مِنَ التَّنَاصُّ الَّذِي يُسَلِّكُ فِي التَّنَاصُّ الْأُسْلُوبِيِّ، فَالشَّاعِرُ، هُنَا، يُقِيمُ نَصَّهُ الْمِثْلَ عَلَى خَلْفِيَةِ النَّصِّ السَّابِقِ وَيَبْنِيهِ عَلَى هَيْئَةِ شَكْلِهِ وَإِطَارِهِ الْخَارِجِيِّ فَتُظْهِرُ فِي هَذَا الْبِنَاءِ الْجَدِيدِ تِلْكَ الْوَسَائِلَ الشَّعْرِيَّةَ الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا النَّصُّ الْأَوَّلُ.

يَسْتَوْحِي وَلِيدُ قَصَّابِ رُبَاعِيَّاتِ الشَّاعِرِ الْمَهْجَرِيِّ إِبِلِيَا أَبِي مَاضِي (1891م-1957م) الْمُتَحَسِّدَةَ فِي قَصِيدَةِ (الطَّلَاسِمِ)<sup>(2)</sup> الَّتِي تَتَنَاصُّ بِدَوْرِهَا مَعَ رُبَاعِيَّاتِ الْخِيَامِ، وَتَسْتَحْضِرُ أَجْوَاءَ الشُّكِّ وَالْحَيْرَةِ وَالتَّرَدُّدِ وَالتَّسَاوُلِ، وَمُقَارَبَةِ النَّصِّينِ فِي إِطَارِ الْمُنَاقِضَةِ يَكْشِفُ عَنِ التَّعْلُقِ النَّصِّيِّ بَيْنَهُمَا فِي ضَوْءِ الْمِصْطَلَحِ (التَّعْلُقِ النَّصِّيِّ) الَّذِي يَقْتَرِحُهُ سَعِيدُ يَقْطِينِ لِلْعَلَاقَةِ النَّصِّيَّةِ (Hypertextualité) الَّتِي حَدَدَهَا جِيرَارُ جَنِيَّتْ كَأَحَدِ أَنْوَاعِ الْمُتَعَالِيَّاتِ النَّصِّيَّةِ الْخَمْسَةِ (مِعْمَارِيَّةِ النَّصِّ، وَالْمَنَاصِّ، وَالتَّنَاصُّ، وَالتَّعْلُقِ النَّصِّيِّ)<sup>(3)</sup> فَهَذِهِ الْعَلَاقَةُ تَقُومُ بَيْنَ نَصِّينِ يَكُونُ أَحَدُهُمَا النَّصُّ اللَّاحِقَ (ب) (Hypertexte)، وَيَكُونُ الثَّانِي مِنْهَا النَّصُّ السَّابِقَ (أ) (Hypotexte) وَيَجْعَلُ النَّصُّ اللَّاحِقُ مِنَ السَّابِقِ عَالَمًا لِإِنْجَازِ تَجْرِبَتِهِ النَّصِّيَّةِ.<sup>(4)</sup> وَهَذِهِ الْعَلَاقَةُ هِيَ عِلَاقَةُ تَحْوِيلٍ أَوْ مُحَاكَاةٍ.<sup>(5)</sup> وَيَفْضَلُ يَقْطِينُ مُصْطَلَحَهُ (التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ) عَلَى مُصْطَلَحِ جَنِيَّتْ (الْمُتَعَالِيَّاتِ النَّصِّيَّةِ) لِأَنَّهُ "أَعْمُ وَأَشْمَلُ مِنَ (التَّنَاصُّ) وَأَدْقُ مِنَ (الْمُتَعَالِيَّاتِ النَّصِّيَّةِ)"، كَمَا أَنَّ هَذَا الْمَفْهُومَ مَفْتُوحٌ عَلَى كُلِّ الْعَلَاقَاتِ الْكَائِنَةِ وَالْمُمْكِنَةِ.<sup>(6)</sup> وَقَدْ سَمَّى الْعَلَاقَةَ بَيْنَ النَّصِّينِ بِالتَّعْلُقِ النَّصِّيِّ، أَوَّلًا، عَلَى أَسَاسِ أَنَّ "القَاعِدَةَ فِيهَا أَنَّ الْكَاتِبَ مِنْ خِلَالِ قِرَائَتِهِ الْمُتَعَدِّدَةَ، يَتَعْلَقُ (بِالْمَعْنَى الْإِجْبَابِيَّةِ) لِلْكَلِمَةِ بِنَصِّ نَمُودَجٍ أَوْ كَاتِبٍ مُعَيَّنٍ، وَيَظَلُّ يَحْتَدِيهِ، وَيَسِيرُ عَلَى مَنَوَالِهِ فِي نَسْجِ تَجْرِبَتِهِ أَوْ التَّنْوِيحِ عَلَيْهَا. وَتَارِيخُ التَّجْرِبَةِ النَّصِّيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسِوَاهَا، يَمُدُّنَا بِنَمَازِجٍ ذَالَّةٍ عَلَى ذَلِكَ (مِثْلَ عِلَاقَةِ الْمَعْرِيِّ بِالْمُنْتَبِيِّ، أَوْ الْحَرِيرِيِّ بِالْهَمْدَانِيِّ)، أَوْ عِلَاقَةِ الْإِنِّيَادَةِ وَأَوْلَيْسِ بِالْأَوْدِيَسَا".<sup>(7)</sup> وَثَانِيًا عَلَى أَسَاسِ أَنَّ هَذَا التَّعْلُقَ لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدِّ الْمُحَاكَاةِ أَوْ السَّيْرِ عَلَى الْمَنَوَالِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَحَوَّلُ إِلَى الضَّدِّ، كَمَا نَجِدُ مِثْلًا مَعَ الْمُنَاقِضَةِ أَوْ الْمَجَاءِ أَوْ الْمَعَارِضَةِ، وَالْمِثَالُ الْمَشْهُورُ لِهَذَا التَّمَطِّ مِنَ الْعِلَاقَةِ فِي الْإِنْتِاجِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ مَا تُقَدِّمُهُ لَنَا التَّفَائِضُ بَيْنَ جَرِيرِ وَالْفَرَزْدَقِ، حَيْثُ يَعْمَدُ الشَّاعِرُ جَرِيرٌ مِثْلًا إِلَى اتِّخَاذِ قَصِيدَةِ لَلْفَرَزْدَقِ، فَيَنْسُجُ عَلَى وَزْنِهَا وَعَرُوضِهَا وَصُورِهَا وَأَسَالِيْبِهَا، وَلَكِنَّهُ يُحَوِّلُ كُلَّ مَا فِيهَا مِنْ قِيمٍ إِبْجَائِيَّةٍ (مَنَاقِبِ) إِلَى سَلْبِيَّةٍ (مَثَالِبِ). وَإِلَى جَانِبِ الْمُحَاكَاةِ وَالْمَعَارِضَةِ، يُمَكِّنُ الْحَدِيثُ عَنِ التَّحْوِيلِ حَيْثُ يَكُونُ الْإِنْطِلَاقُ مِنْ تَجْرِبَةِ

(1) ولید قصاب: فارس الأحلام القديمة، دار الثقافة، الدوحة، 1410هـ-1990م، ص: 53.

(2) إيليا أبو ماضي: الجداول، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 11، فبراير 1977، ص: 139.

(3) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 3، 2006، ص: 97.

(4) سعد يقطين: من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط: 1، 2005، ص: 96.

(5) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص: 97.

(6) سعد يقطين: من النص إلى النص المترابط، ص: 96.

(7) المرجع نفسه، ص: 96.

نَصِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِإِنْتِاجِ دِلَالَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ إِبْرَازِ تَصَوُّرٍ مُخْتَلِفٍ، وَيَتَجَاوَزُ هَذَا التَّحْوِيلُ هُنَا البُعْدَ الدَّلَالِيَّ إِلَى المَادَّةِ الحِكَايَةِ، وَطَرَائِقُ اشْتِعَالِ الخِطَابِ. (1) وَمِنْ خِلَالِ مُقَارَبَةِ التَّعْلُقِ النَّصِّيِّ بَيْنَ قَصِيدَةِ الطَّلَاسِمِ وَالتُّصُوصِ المُتَفَاعِلَةِ مَعَهَا يَتَضَحُّ التَّعَالِي النَّصِّيُّ كَعَلَاقَةٍ تَرْتَبُطُ نَصًّا سَابِقًا بِتُّصُوصٍ لَاحِقَةٍ بِشَكْلِ ظَاهِرٍ أَوْ خَفِيِّ.

### 1-1-2-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (الطَّلَاسِمِ) لِوَلِيدِ قِصَّابٍ:

وَيَجْرِي هَذَا التَّفَاعُلُ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ بَيْنَ:

#### أ- النَّصُّ السَّابِقُ المُنَاقِضُ:

إِنَّ عِلَاقَةَ التَّعْلُقِ النَّصِّيِّ تُحَدِّدُ النَّصَّ (أ) السَّابِقَ فِي قَصِيدَةِ (الطَّلَاسِمِ) لِإِيلِيَا أَبِي مَاضِي الَّتِي يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَهَا (2):

جئتُ، لَأَعْلَمَ مِنْ أَيِّ نَ، وَلَكِنِّي أَتَيْتُ  
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدًّا مِي طَرِيقًا فَمَشَيْتُ  
وَسَأَبَقِي سَائِرًا إِنْ شئتُ هَذَا أَمْ أَتَيْتُ  
كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِي؟ لَسْتُ أَدْرِي

\*\*\*

أَجْدِيدُ أَمْ قَدِيمٌ أَنَا فِي هَذَا الوُجُودِ؟  
هَلْ أَنَا خُرْتُ طَلِيقٌ أَمْ أَسِيرٌ فِي قِيودِ؟  
هَلْ أَنَا قَائِدٌ نَفْسِي فِي حَيَاتِي أَمْ مَقُودِ؟  
أَتَمَنِّي أَنَّنِي أَدْرِي وَلَكِنْ... لَسْتُ أَدْرِي

وَيَقُولُ الشَّاعِرُ فِي خِتَامِهَا (3):

إِنِّي جِئْتُ وَأَمْضِي وَأَنَا لَأَعْلَمُ  
أَنَا لُعْزٌ، وَذَهَابِي كَمَجِيئِي طَلَسَمُ  
وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللُّعْزُ لُعْزُ مُبْهَمُ  
لَأُجَادِلُ ذُو الحِجَا مَنْ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي

يَقُومُ النَّصُّ السَّابِقُ المُنَاقِضُ (أ) عَلَى نَسَقِ الرَّمَلِ الإِيقَاعِيِّ المَجْزُوءِ وَعَلَى نَسَقِ تَقْفُويٍّ مُنَوَّعٍ، يَخْتَلِفُ رَوِيهِ مِنْ رُبَاعِيَّةٍ إِلَى أُخْرَى فَالنَّصُّ قَائِمٌ عَلَى نِظَامِ المَقَاطِعِ أَوْ الأَقْسَامِ الرُّبَاعِيَّةِ حَيْثُ تَنْتَهِي الأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ الأُولَى مِنْ كُلِّ رُبَاعِيَّةٍ بِرَوِيٍّ مُتَمَاثِلٍ مُتَكَرِّرٍ مُخْتَلِفٍ عَنِ رَوِيِّ الرُّبَاعِيَّةِ الثَّانِيَةِ وَمَجْرَاهُ مُخْتَلِفٌ وَيَنْتَهِي البَيْتُ الرَّابِعُ بِرَوِيٍّ أُخَرَ

(1) المرجع السليق نفسه، ص: 97.

(2) إيليا أبو ماضي: الجداول، ص: 139 - 140.

(3) المصدر نفسه، ص: 176 - 177.

مُخْتَلِفٍ وَهُوَ (الرَّاءُ) - الصَّوْتُ الْمَجْهُورُ الْمَسِيْطِرُ عَلَيَّ غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْوَاتِ - وَمَجْرَاهُ الْكَسْرُ لِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ بَنِيَّةِ اللَّازِمَةِ الْمُتَكَرِّرَةِ، وَيَتَوَزَّعُ النَّصُّ عَلَيَّ وَاحِدَةً وَسَبْعِينَ رُبَاعِيَّةً (أَوْ مَقْطَعًا شَعْرِيًّا)، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ بَيْتًا، وَقَدْ قَسَمَهَا الشَّاعِرُ بِحَسَبِ مَوْضُوعَاتِهَا إِلَهَ "مَقْطُوعَاتٍ تَعْرِضُ بَعْضُ مَجْمُوعَاتِهَا لِمَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ الشَّكِّ الَّذِي يُرَاوِدُ فَكْرَ الشَّاعِرِ، وَالْعَجْزُ الَّذِي يُحْسِبُ بِهِ إِزَاءَ أَسْرَارِ الْكَوْنِ وَالنَّفْسِ وَالطَّبِيعَةِ، وَتَنْتَهِي كُلُّ مَقْطُوعَةٍ بِتَسْأُولٍ يُجِيبُ عَنْهُ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ: "لَسْتُ أَدْرِي"، وَفِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الْخَاتِمَةِ الْمُتَزَمَةِ يَبْنِي الشَّاعِرُ مَقْطُوعَتَهُ الْقَصِيرَةَ، الَّتِي لَا تَزِيدُ عَلَيَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ قَصِيرَةٍ مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ، بِنَاءٍ لُغَوِيًّا خَاصًّا يَقُودُهُ فِي نِهَآيَةِ الْبَيْتِ الرَّابِعِ إِلَى تِلْكَ الْعِبَارَةِ الْمُتَزَمَةِ".<sup>(1)</sup>

### ب- النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمُنَاقِضُ:

يَمْتَثِلُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمُنَاقِضُ (ب) بِحَسَبِ عِلَاقَةِ التَّعْلُقِ النَّصِّ فِي قَصِيدَةِ الطَّلَاسِمِ لِوَلِيدِ قَصَابِ الَّتِي يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَهَا<sup>(2)</sup>:

سَأَلَ الْعَبِيُّ عَنِ الْمَصِيرِ لِمَ قَدْ أَتَى؟ أَيْنَ الْمَسِيرُ؟  
وَمَضَى يُفَلِّسُ وَأَضْحَا تِ كَالصَّبَاحِ الْمُسْتَبِيرِ  
زَرَاعَ الشُّكُوكِ عَلَيَّ الدُّرُوبِ بِ لِيَخْدَعَ الْعَقْلَ الْعَرِيرِ  
زَعَمَ الْحَيَاةَ طَلَّاسِمًا يَجْتَاحُهَا وَهَمٌّ كَبِيرِ  
لَعِبَتْ بِهِ سُحْبُ الظُّنُونِ وَظُلْمَةُ الشَّكِّ الْمَرِيرِ  
وَالشَّكُّ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ نُونٌ وَدَاؤُهُ مَرَضٌ خَطِيرِ

يَقُومُ النَّصُّ اللَّاحِقُ الْمُنَاقِضُ عَلَيَّ نَسَقِ الْكَامِلِ الْمَجْزُوءِ، وَعَلَيَّ نَسَقِ تَقْفُويٍّ مُوَحَّدٍ مُقَيَّدٍ، رُويُهُ الرَّاءُ الْمُقَيَّدَةُ، وَقَدْ بَلَغَ النَّفْسُ الشَّعْرِيُّ فِيهِ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ بَيْتًا، تَتَضَمَّنُ سُخْرِيَّةً حَادَّةً لَادِعَةً مِنْ صَاحِبِهَا وَرُدُودًا عَلَيَّ أَسْئَلَةَ النَّصِّ الْأَوَّلِ مِنْ مُنْطَلَقِ إِيمَانِيٍّ، كَمَا تَضَمَّنَتْ دَعْوَةً إِلَى تَأْمُلِ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ آيَاتٍ دَالَّةٍ عَلَيَّ الْخَالِقِ وَشَاهِدَةٍ بِاللَّوْهِيبَةِ وَرُبُوبِيَّتِهِ.

وَتَنَحَّلِي عِلَاقَةَ النَّصِّ الثَّانِيِّ بِالْأَوَّلِ فِي حَانِبَيْنِ يَتَوَزَّعَانِ عَلَيَّ الشَّكْلِ وَعَلَيَّ الْمَضْمُونِ، فَالنَّصُّ اللَّاحِقُ الثَّانِي يَسْتَوْحِي بِنِيَّتَهُ الْإِيقَاعِيَّةَ مِنْ بَنِيَّةِ النَّصِّ الْأَوَّلِ فَيُقِيمُ إِيقَاعَهُ كَمَا تَقَدَّمَ عَلَيَّ نَسَقِ صَافٍ وَمَجْزُوءٍ، وَتَرِدُ آيَاتُهُ مَدُورَةً فِي مَحْمَلِهَا، وَيُقِيمُ قَوَافِيهِ عَلَيَّ رُويِ الرَّاءِ الَّذِي يُهَيِّمُنُ عَلَيَّ النَّسَقِ التَّقْفُويِّ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ، وَيَسْتَوْحِي بِنِيَّتَهُ

(1) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط: 3، (د، ت)، ص: 345.

(2) وليد قصاب: فارس الأحلام القديمة، ص: 53.

التَّرَكِيبِيَّةُ مِنْهُ فَيُكْثِرُ مِنْ صِيَاغَةِ الْبُنَى الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ الَّتِي تُعَدُّ ظَاهِرَةً أُسْلُوبِيَّةً فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ، وَيَسْتَمِدُّ بِنَيْتِهِ اللَّغَوِيَّةَ مِنْ مُعْجَمِهِ، مُفْرَدَاتٍ وَتَرَائِبٍ، كَمَا يَتَّضِحُ، مَثَلًا، فِي قَوْلِهِ الشَّاعِرِ فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ<sup>(1)</sup>:

مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ وَكَيْفَ جِئْتُ؟ وَعَشَيْتَ فِي لُغْزٍ عَسِيرٍ  
لَمْ قَدْ أَتَيْتُ؟ وَمَا يَكُونُ إِذَا انْقَضَى الْعُمُرُ الْقَصِيرُ؟  
رَدَدْتَ لَأَ أَدْرِي الْبِدَايَةَ وَالنَّهَائَةَ وَالْمَصِيرُ  
وَمَضَيْتَ تَجَحُّدًا فِي غُرُورِ طَلْعَةِ الصُّبْحِ الشَّهِيرِ  
أَلْبَسْتَ ثَوْبَ الْفَيْلُسُو فَلَ تَدْعِي الْعِلْمَ الْكَثِيرُ  
قَدْ عَشَعَشَيْتَ فِيكَ الشُّكُوكُ، فَلَنْ تُرَى أَبَدًا قَرِيرُ

وَيَبْنِي هَذَا النَّصُّ تَجْرِبَتَهُ مِنْ حِلَالِ الْوَسَائِلِ الشُّعْرِيَّةِ الْبِنَائِيَّةِ الْكَامِنَةِ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ، وَلَكِنَّهُ يَرْتَكِزُ عَلَى آيَةِ التَّحْوِيلِ فَيَتَّخِذُ مِنَ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ شَكْلًا وَمَضْمُونًا فِي نَصِّ الطَّلَاسِمِ إِطَارًا مُنَاسِبًا لِإِتْنَاجِ دِلَالَتِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي تَعَكِّسُ التَّصَوُّرَ الْإِسْلَامِيَّ الْمُخْتَلِفَ الَّذِي يَنْطَلِقُ مِنْهُ فَيَنْقُذُهُ مِنَ الضَّلَالِ وَالْحَيْرَةِ الشُّكِّ وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ فِي بَدَائِعِ الْخَلْقِ، عَلَى خِلَافِ مَا يَعْكِسُهُ النَّصُّ الْأَوَّلُ مِنْ تَصَوُّرٍ جَاهِلِيٍّ، فَالنَّصُّ الثَّانِي يَنْفِي تِلْكَ الْمَضَامِينِ الْفِكْرِيَّةَ الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ، وَتَتَخَلَّلُهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْإِشَارَاتِ الَّتِي تُحِيلُ إِلَى نُصُوصٍ دِينِيَّةٍ قُرْآنِيَّةٍ، فَقَوْلُ الشَّاعِرِ فِي الْمَقْطَعِ الثَّلَاثِ<sup>(2)</sup>:

مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ كَيْفَ جِئْتُ؟ نَسَيْتَ خَالِقَكَ الْقَدِيرُ؟  
وَعَمِيَّتَ عَنْ هَذِي الْخَلَا ئِقُ مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرُ؟  
أَجْهَلْتَ مَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ وَعَدَّتْ بِالطَّرْفِ الْحَسِيرُ؟  
وَنَظَرْتَ هَذَا الْكَوْنَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ مُنِيرُ؟

وقَوْلُهُ فِي الْمَقْطَعِ الرَّابِعِ<sup>(3)</sup>:

اللَّهُ أَبْدَعَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَظِيمٍ أَوْ يَسِيرٍ  
هَلَّا اقْتَدَيْتَ بِمَنْ حَذَا مِنْ بَعْرَةَ أَثَرِ الْبَعِيرُ؟  
أَرَأَيْتَ صُنْعًا لَأَ تَكُونُ نُ وَرَاءَهُ كَفُّ الْخَبِيرُ؟  
قَدْ جِئْتَ كَيْ تُبْنِي الْحَيَاةَ وَتَعْبُدَ اللَّهَ الْكَبِيرُ  
ثُمَّ انْتَقَالَ لِلْخُلُوعِ دِجَنَّةٍ أَوْ فِي سَعِيرُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 53.

(2) المصدر نفسه، ص: 54.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ففي هذه المقاطع تناصت اقتباسية مع آيات قرآنية فيها شيء من التحوير لتقوية لغة النص وتدعم الدلالة التي ينشئها، ففي (من رفع السماء) إحالة إلى قوله تعالى<sup>(1)</sup>: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾، وفي (عدت بالطرف الحسين) تحيل إلى قوله تعالى<sup>(2)</sup>: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)﴾. وتحيل البنية التركيبية (تعبد الله الكبير) إلى قوله تعالى<sup>(3)</sup>: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (5)﴾، وتحيل القول (حدًا من بكرة أثر البعير) إلى النص التراثي المتواتر لأحد الأعراب وقد سئل: "بماذا عرفت ربك؟ فقال: سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، البكرة تدل على البعير، والأقدام تدل على المسير، ألا تدل على اللطيف الخبير؟!".<sup>(4)</sup>

### 1-2-1-2- التفاعل النصي في قصيدة (رحلة الحياة) لوليد قصاب:

وتمثل قصيدة (رحلة في الحياة) لوليد قصاب نصًا لاحقًا مناقضًا يتعلّق بالنص السابق (الطلاسّم)، ويقوم النصّ اللاحق على نسق الرمل المجزوء، ويتجلى التفاعل على مستوى بنية الإيقاع فقد بنى النصّ الثاني إيقاعه على النسق الإيقاعي ذاته وعلى مستوى بنية التركيب فقد بنى بعض تراكيبه على صيغة الاستفهام الذي يعبر عن الحيرة والشك، وعلى مستوى المضمون بصورة أوضح، فقد قام الشاعر بالردّ على أسئلة الشاعر في النصّ السابق التي تبدو محيرة مقلقة مستعصية عن الإجابة، لكنّ النصّ اللاحق من منطلق التصور الإسلاميّ ينقّض ما أشاعه أبو ماضي من أفكار وينفي ذلك المضمون، يقول الشاعر<sup>(5)</sup>:

أَيُّهَا الْمَسْتَخْلَفُ الْقَادِمُ	لِلْأَرْضِ الْيَبَابِ
أَيُّهَا الْمَسْكُونُ عَزْمًا	دُونَهُ شَمُّ الْمِصَابِ
لَا تَقُلْ إِنَّ حَيَاتِي	خُدْعَةٌ مِثْلُ السَّرَابِ
أَيُّ مَعْنَى فِي قُدُومِي؟	أَيُّ مَعْنَى فِي ذَهَابِي؟
.....	.....
لَسْتُ أُدْرِي أَيُّ سِرٍّ	فِي مَجِيئِي، أَوْ إِيَابِي؟
.....	.....
أَيُّهَا السِّرُّ الَّذِي	يَهْبِطُ مِنْ نُورِ السَّمَاءِ

(1) سورة الغاشية، الآية: 17، 18، 19، 20.

(2) سورة الملك، الآية: 4.

(3) سورة البينة، الآية: 5.

(4) محمد بن عبد الكريم الجزائري: الدّين الإسلاميّ، عقيدة وشريعة، الزيتونة للإعلام والنشر، (د، ت)، ص: 18.

(5) وليد قصاب: أشعار من زمن القهر، ص: 78.

رِحْلَةُ الْعُمَرِ غِرَاسٌ وَحَصَادٌ، وَبِنَاءٌ

أَنْتَ مَا جِئْتَ لِتَمْضِي مِثْلَمَا يَمْضِي الْعُنَاءُ

لَا تُعَذِّبُكَ الشُّكُوكُ أَوْ تُخَالِجَكَ الطُّنُونُ

لَا تَكُنْ نَهْبًا لِجَحْدِ فَضْلِ، وَيَقِينِ

بِئْسَ أَنْ تَأْتِي

وَلَمْ تَعْرِفْ

لِمَاذَا أَتَيْتَ؟

بِئْسَ أَنْ تَنَأَى

وَلَمْ تَعْرِفْ

لِمَاذَا قَدْ نَأَيْتَ

بِئْسَ أَنْ تَجْرِي؟

وَلَا تَدْرِي

لِمَاذَا قَدْ جَرَيْتَ؟

سَعَيْكَ الْمَحْمُومُ

اعْرِفْ

لِمَاذَا قَدْ سَعَيْتَ

وَيَنْطَلِقُ الشَّاعِرُ فِي مَنَاقِضَةِ النَّصِّ السَّابِقِ مِنْ رُؤْيِيهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي لَا تُقَرُّ مَا يَرْسُمُهُ الْأَدَبُ وَيُشِيعُهُ مِنْ عَبَثِيَّةِ الْحَيَاةِ وَحَيْرَةِ الْإِنْسَانِ وَضِيَاعِهِ، فَهَذَا مَوْقِفٌ مُنْحَرِفٌ لَا يَقْرَهُ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ مِنْ وُجُوهِ عِدَّةٍ، فَالْإِنْسَانُ السُّوِيّ الْفِطْرَةَ الْمُتَفَتِّحُ الْبَصِيرَةَ الْمُهْتَدِي بِهُدَى الْإِيمَانِ، يَعْلَمُ إِجَابَاتِ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ وَكَثِيرٍ غَيْرِهَا مِمَّا يُلْحَقُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَيَتَطَلَّبُ الْجَوَابَ: مَنْ أَيْنَ؟ وَإِلَى أَيْنَ؟ وَلِمَاذَا؟ وَكَيْفَ؟ مَنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ وَمَا غَايَةُ الْوُجُودِ الْبَشَرِيِّ؟ وَمَا الْمَنْهَجُ الصَّحِيحُ لِلْحَيَاةِ؟ مَنْ أَيْنَ؟ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقْدَرُهُ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ. إِلَى أَيْنَ؟ إِلَى اللَّهِ إِلَى الْبَعْثِ وَالتَّشُورِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. مَا غَايَةُ الْوُجُودِ الْبَشَرِيِّ؟ عِبَادَةُ اللَّهِ بِالْمَعْنَى الْوَاسِعِ الشَّامِلِ، مَا الْمَنْهَجُ الصَّحِيحُ لِلْحَيَاةِ؟ هُوَ الْمَنْهَجُ الرَّبَّانِيُّ الْمُتَمَثِّلُ فِي الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالْمَأْخُذُ الرَّئِيسِيُّ عَلَى الْآيَاتِ-نَصِّ إِبِلِيَا أَبِي مَاضِي- مِنْ وَجْهَةِ الْفَنِّ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهَا تُوحِي بِأَنَّ هَذَا هُوَ (الْإِنْسَانُ) وَهَذَا قَدْرُهُ، وَهَذَا مَوْقِفُهُ، وَهَذِهِ أَرْزَمَتُهُ،

وَهَذِهِ مَأْسَاةُ حَيَاتِهِ، وَالْقَضِيَّةُ فِي وَاقِعِهَا أَنَّ هَذِهِ أَرْزَمَةُ الْإِنْسَانِ الْجَاهِلِيِّ -غَيْرِ الْمُسْلِمِ- وَمَأْسَاةُ حَيَاتِهِ، وَلَيْسَتْ أَرْزَمَةُ الْإِنْسَانِ كُلِّهِ وَلَا مَأْسَاةُ حَيَاتِهِ.<sup>(1)</sup> وَهَذِهِ هِيَ الرَّؤْيَةُ ذَاتُهَا الَّتِي تَتَّضِحُ فِي نَصِّ الْقَرَضَاوِيِّ الْآتِي.

### 1-2-1-3- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (أَنَا بِاللَّهِ عَزِيزٌ) لِيُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ:

يَتِمُّ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ نَصِّ مُنَاقِضٍ (أ) سَابِقٍ وَنَصِّ مُنَاقِضٍ (ب) لَاحِقٍ:

#### أ- النَّصُّ السَّابِقُ الْمُنَاقِضُ:

وَيَتِمُّ فِي نَصِّ الطَّلَاسِمِ لِأَبِي مَاضِي، فَهُوَ يُعَدُّ نَصًّا مَرَكِزِيًّا سَابِقًا تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَهُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ النَّصُوصِ اللَّاحِقَةِ، وَتَتَفَاعَلُ مَعَهُ، وَيَتَحَوَّلُ إِلَى ظِلٍّ يَلْزَمُهَا، فَهَذَا النَّصُّ الْغَائِبُ تَرَكَ أَثْرَهُ فِي أَكْثَرِ مِنْ نَصِّ شِعْرِيٍّ إِسْلَامِيٍّ، وَقَدْ حَاوَرْتُهُ تِلْكَ النَّصُوصُ نَاقِضَةٌ مَا يَتَبَنَاهُ مِنْ رُؤْيٍ مُخَالَفَةٍ مُحَاوَلَةٌ أَنْ تُقَدِّمَ رُؤْيَةً إِسْلَامِيَّةً وَاضِحَةً وَشَامِلَةً تُجِيبُ عَنْ كُلِّ مَا يُقْلِقُ الْإِنْسَانَ.

#### ب- النَّصُّ الْلاحِقُ الْمُنَاقِضُ:

وَيَتِمُّ فِي نَصِّ (أَنَا بِاللَّهِ عَزِيزٌ) لِلْقَرَضَاوِيِّ، فَهُوَ يُعَدُّ نَصًّا لَاحِقًا تَأْتِيًّا مِنْ بَيْنِ تِلْكَ النَّصُوصِ الَّتِي اسْتَضَافَتْ النَّصَّ الْغَائِبَ، وَيَقُومُ هَذَا النَّصُّ عَلَى نَسَقِ الرَّمْلِ الْإِيْقَاعِيِّ الَّذِي وَرَدَ مَجْزُوعًا، وَعَلَى نَسَقِ تَقْفُويٍّ مُوحَّدٍ، رُؤْيُهُ التَّاءُ وَجِرَاهُ الْكَسْرُ. وَقَدْ اسْتَدْعَى الشَّاعِرُ فِي هَذَا النَّصِّ شَخْصِيَّةَ الشَّاعِرِ الْمَهْجَرِيِّ (إِيلِيَا أَبِي مَاضِي) عَنْ طَرِيقِ الْعَلَمِ -كَرَمِزٍ لِلْحَيْرَةِ وَالشَّكِّ أَوْ رَمِزٍ لِلضَّلَالِ الْفِكْرِيِّ وَالْعَقَائِدِيِّ، مُتَحَدِّثًا عَنْ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ خِلَالِ ضَمَائِرِ الْعَيْبَةِ، وَلَا يُهَيِّمُنُ فِي النَّصِّ إِلَّا صَوْتُ الشَّاعِرِ، فَيَذْكُرُ اسْمَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ مُسْنِدًا إِلَيْهَا الْفِعْلَ (تَاهَ) الدَّلَالِ عَلَى التَّخْبِطِ فِي (فِيَا فِي الْفَلْسَفَاتِ)، وَيُخْبِرُ عَنْهَا بِالْفِعْلِ (بَاتَ) الَّذِي حَذَفَ اسْمَهُ وَعَوَّضَ بِضَمِيرِ الْعَيْبَةِ الْمُقَدَّرِ (هُوَ) فِي ثَلَاثَةِ آيَاتٍ وَتَأْتِي أَخْبَارُهُ دَالَّةً عَلَى الْحَيْرَةِ وَالْمُعَانَاةِ مِنَ الشُّكُوكِ الْمُظْلِمَاتِ وَأَنْتِفَاءِ مَعْرِفَةِ مَعْنَى الْحَيَاةِ أَوْ الْمَوْتِ، وَيُقَابِلُ هَذِهِ الضَّمَائِرَ الْغَائِبَةَ فِي هَذِهِ الْبُنَى التَّرْكِيبِيَّةِ بِنَى أُخْرَى يَكُونُ فِيهَا ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْبَارِزُ (أَنَا) هُوَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُ مَوْقِعَ الصَّدَارَةِ دَالًا عَلَى اطمئنانٍ وَثِقَةٍ وَيَقِينٍ فِي الْمَعْرِفَةِ الْحَرِزَةِ، فَالشَّاعِرُ يَدْرِي سِرَّ ذَاتِهِ وَيَدْرِي أَصْلَهُ وَمَصِيرَهُ وَغَايَتَهُ وَمَنْهَجَهُ فِي الْحَيَاةِ. وَيَرُدُّ الْفِعْلَ (أَدْرِي) -الْمُتَضَمِّنُ لِفَاعِلٍ مَحذُوفٍ مُقَدَّرٍ بِ- (أَنَا) -مُكْتَفًى مِنْ خِلَالِ تَكَرُّرِهِ فِي صِيغَةٍ مُثَبَّتَةٍ مُوجِبَةٍ تَأْكِيدًا لِلدَّرَايَةِ وَالْعِلْمِ وَرَدًّا عَلَى مَزَاعِمِ (إِيلِيَا) الَّذِي تَتَكَرَّرُ فِي قَصِيدَتِهِ الْبِنَى التَّرْكِيبِيَّةِ الْاسْمِيَّةِ (لَسْتُ أَدْرِي) الْمُنْفِيَّةِ أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً وَقَدْ اتَّخَذَتْ لَازِمَةً مُكَرَّرَةً فِي نِهَايَةِ كُلِّ مَقْطُوعَةٍ شِعْرِيَّةٍ.<sup>(2)</sup> وَتُسْمَرُ

(1) محمد قطب: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 172.

(2) إيليا أبو ماضي: الجداول، ص: 139.

الْبِنْيَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ (أُدْرِي) إِلَى التَّفْيِ الْكُلِّيِّ لِلْمَضْمُونِ الشَّعْرِيِّ فِي النَّصِّ السَّابِقِ الَّذِي يَتَكَيُّ فِي مَضْمُونِهِ عَلَى الْبِنْيَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ (لَسْتُ أُدْرِي)، وَالتَّفْيُ هُنَا مِنْ وَظَائِفِ تَنَاصُّ التَّخَالُفِ، يَقُولُ الْقِرَاضَاوِيُّ (1):

أَنَا أَغْنَى الْخَلْقِ بِالْحَقِّ، بِأَغْلَى الثَّرَوَاتِ  
لَا يُدَانِي كُلُّ مُلْكٍ إِلَّا أَرْضٍ إِحْدَى رَكَعَاتِي  
إِنْ يَكُنْ قَدْ تَاهَ (إِيلِيَا) فِي فَيَافِي الْفَلَسَفَاتِ  
بَاتَ حَيْرَانَ يُعَانِي مِنْ شُكُوكٍ مُظْلِمَاتِ  
بَاتَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى لِحْيَاةٍ أَوْ مَمَاتِ  
بَاتَ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْمَلْحِ وَالْعَذْبِ الْفُرَاتِ  
فَأَنَا أُدْرِي - وَأُدْرِي لِمَ أُدْرِي - سِرِّ ذَاتِي  
أَنَا أُدْرِي مَبْدَئِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَنَا آتِ  
أَنَا أُدْرِي أَيْنَ تَمْضِي رِحْلَتِي بَعْدَ الْوَفَاةِ  
أَنَا أُدْرِي غَايَتِي، أَعْرِفُ مِنْهَا حَيَاتِي  
حَسْبِي الْقُرْآنُ أَتْلُوهُ فَيُحْيِي لِي مَوَاتِي

بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ يَتَنَاصُّ النَّصُّ اللَّاحِقُ مَعَ النَّصِّ السَّابِقِ عَنْ طَرِيقِ اسْتِدْعَاءِ الشَّخْصِيَّةِ، لِيَكُونَ ذِكْرُ الْعَلَمِ مَدْعَاةً لِلنَّصِّ الْغَائِبِ الْمُرَادِ مُحَاوَرَتُهُ عَنْ وَعْيِي وَإِدْرَاكِ، فَإِنْ لَمْ تُخْبِرْ (إِيلِيَا) تَأْمُلَاتُهُ فِي أَرْجَاءِ النَّفْسِ وَأَنْحَاءِ الْكَوْنِ وَأَيَّاتِ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ وَلَمْ تَهْدِهِ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ الْإِسْلَامِيَّ وَهُوَ يُعِيدُ كِتَابَةَ هَذَا النَّصِّ وَيُعِيدُ إِتْسَاجَهُ بِمَا يَكْفُلُ لَهُ عَرْضَ رُؤْيَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ وَالْوُجُودِ وَالْخَالِقِ، قَدْ هَدَتْهُ كُلُّ تِلْكَ الْآيَاتِ الْمَبْتُوتَةِ فِي الْآفَاقِ وَفِي التُّفُوسِ وَفِي الْقُرْآنِ، فَآيُ الْقُرْآنِ كَفَلَتْ لِلْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْإِجَابَةَ الشَّافِيَّةَ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ (2):

شَرَحْتُ لِي أَصْلَ خَلْقِي بَعْضُ آيِ (الْمُرْسَلَاتِ)  
وَتَجَلَّى لِي مَصِيرِي إِذْ تَلَوْتُ (التَّارِغَاتِ)  
وَاسْتَبَّأْتُ غَايَتِي مِنْ آيَةٍ فِي (الذَّارِيَاتِ)  
أَنَا رُوحٌ، أَنَا نُورٌ لَا حَصَاةٌ فِي فَلَاةِ  
أَنَا شَمْسٌ لَيْسَ تَطْفَأُ بِهِيُوبِ الْعَاصِفَاتِ  
ذَلِكَ سِرِّي يَا زَمَانِي فَلَيْمَتْ غَيْظًا عِدَاتِي

(1) يوسف القرضاوي: المسلمون قادمون، ص: 68.

(2) المصدر نفسه، ص: 68.

فهذا النَّصُّ اللَّاحِقُ أَوْ الرَّاهِنُ يُقِيمُ عَلاَقَتَهُ بِالنَّصِّ السَّابِقِ نَصِّ (الطَّلَاسِمِ) لِإِيلِيَا أَبِي مَاضِي، وَيُجِيبُ عَنَ أَسْئَلَتِهِ تِلْكَ وَيَنْسَخُ نَفِيَهُ بِالْإِثْبَاتِ، يَقُولُ أَبُو مَاضِي فِي مُسْتَهْلِهِ نَصِّ السَّابِقِ<sup>(1)</sup>:

جئتُ، لَأَعْلَمَ مِنْ أَيِّ نَ، وَلَكِنِّي أَتَيْتُ  
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدًّا مِي طَرِيقًا فَمَشَيْتُ  
وَسَأَبَقِي سَائِرًا إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَتَيْتُ  
كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ تَطَرِيقِي؟ لَسْتُ أَدْرِي

وَيَقُولُ فِي خَتَامِهِ<sup>(2)</sup>:

إِنِّي جِئْتُ وَأَمْضِي وَأَنَا لَأَعْلَمُ  
أَنَا لُعْزٌ، وَذَهَابِي كَمَجِيِّي طَلَسْمُ  
وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللَّعْزَ لُعْزُ مِثْلِهِمْ  
لَأُجَادِلُ ذُو الْحِجَا مَنْ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي

وَعَلَى مُسْتَوَى التَّرْكِيبِ أَوْ عَلَى مُسْتَوَى الْمُعْجَمِ يَتَحَقَّقُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالِ الْمُفْرَدَاتِ وَالتَّرَاكِبِ اللَّغَوِيَّةِ ذَاتِهَا كَالْأَفْعَالِ الْوَارِدَةِ فِي نَصِّ أَبِي مَاضِي وَالْفَارِقُ بَيْنَ الاسْتِعْمَالَيْنِ أَنَّهَا تَرُدُّ فِي النَّصِّ الثَّانِي مُثَبَّتَةً لَأَنَّ مَنِيَّةً عَلَى عَكْسِ النَّصِّ الْأَوَّلِ فَـ(لَا أَدْرِي، وَلَسْتُ أَدْرِي، وَلَا أَعْلَمُ...) فِي النَّصِّ السَّابِقِ، أَيَّ عِنْدَ إِيلِيَا هِيَ (أَدْرِي، وَأَدْرِي لِمَ أَدْرِي...) فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ، أَيَّ عِنْدَ الْقَرَضَاوِيِّ، وَهُوَ بِإِثْبَاتِ الْأَفْعَالِ يُؤَكِّدُ يَقِينَهُ وَمَعْرِفَتَهُ كَمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ تَكَرُّرُ الْفِعْلِ (أَدْرِي) فِي النَّصِّ سِتِّ مَرَّاتٍ، وَتُبْرُزُ الْبِنْيَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ الْإِسْمِيَّةُ الْمُسْتَدْرَةُ بِالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ (أَنَا) الَّذِي تَرَدَّدَ سَبْعَ مَرَّاتٍ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، فَالشَّاعِرُ يَسْتَدْعِي النَّصِّ السَّابِقَ الشَّاكَّ الْمُنْكَرَ وَيُنَاقِضُهُ فِي الْآنِ نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى بِالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ الدَّلَالُ فِي (أَنَا أَدْرِي... أَنَا أَدْرِي... أَنَا أَدْرِي... أَنَا رُوحٌ... أَنَا نُورٌ... أَنَا شَمْسٌ...). يُمَارِسُ الشَّاعِرُ بِهَذَا الْبِنَاءِ الْجَدِيدِ لِلنَّصِّ السَّابِقِ تَحْوِيرًا كَامِلًا أَوْ نَفْيًا كَلْبًا وَيَسِيرُ فِي عَكْسِ اتِّجَاهِهِ، وَيَنْدَرِجُ هَذَا التَّنَاصُّ فِي التَّنَاصِّ الْاِقْتِبَاسِيِّ الَّذِي يَنْدَمِجُ فِيهِ نَصٌّ بَعِيدٌ مَعَ نَصٍّ حَاضِرٍ، وَلَا يَكْتَفِي النَّصُّ الْمُسْتَضِيفُ بِالْاِمْتِصَاصِ وَالتَّشْرِبِ بَلْ يُحَوِّرُ وَيُحَاوِرُ وَيُعَيِّرُ.

وَتَتَخَلَّلُ مُحَاوَرَةَ النَّصِّ السَّابِقِ تَفَاعُلَاتٌ نَصِيَّةٌ مُنْتَجَةٌ لِدَلَالَتِهَا، فَيَسْتَحْضِرُ الشَّاعِرُ نُصُوصًا قُرْآنِيَّةً تَدْعُمُ رُؤْيَتَهُ الْوَاضِحَةَ إِلَى الْإِنْسَانِ أَصْلَهُ وَمَصِيرَهُ وَدَوْرَهُ، تِلْكَ الرُّؤْيَةُ الَّتِي يَجْهَلُهَا أَبُو مَاضٍ وَيَتَشَكَّكُ فِيهَا أَوْ يَتَنَكَّرُ لَهَا، وَيَتِمُّ اسْتِحْضَارُ تِلْكَ النُّصُوصِ عَنَ طَرِيقِ ذِكْرِ أَسْمَاءِ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُهَا، فَـ(الْمُرْسَلَاتُ) اسْمُ السُّورَةِ

(1) إيليا أبو ماضي: الجداول، ص: 139 - 140.

(2) المصدر نفسه، ص: 176 - 177.

المكيّة المعروفة ويحيل الشاعر من خلالها إلى الآيات الأربعة من قوله تعالى<sup>(1)</sup>: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23)﴾. وهي آياتٌ تُحدّدُ أصلَ الإنسانِ وخلقِهِ، و(النَّازِعَاتُ) اسمُ السُّورَةِ المكيّةِ المعروفةِ، ويشيرُ الشاعرُ من خلالها إلى الآياتِ السَّبعةِ من قوله تعالى<sup>(2)</sup>: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾. وهي آياتٌ تُحدّدُ مصيرَ الإنسانِ، و(الذَّارِيَاتُ) اسمُ السُّورَةِ المكيّةِ المعروفةِ ويشيرُ الشاعرُ من خلالها إلى قوله تعالى<sup>(3)</sup>: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾، وهي آيةٌ تُحدّدُ دورَ الإنسانِ ووظيفتهُ في هذه الحياةِ. إنَّ هذه النُّصوصَ القرآنيّةَ تستقرُّ على مُستوى البنية العميقة للنصِّ الرَّهِنِ، وتُمثِلُ نصوصًا غائبةً تعضدُ رؤيةَ الشاعرِ في تقويضِهِ لرؤيةِ النصِّ المتناصِّ ونفْيِ مَقاصِدِهِ نفيًا كليًّا في إطارِ التَّحوِيلِ والتَّحويرِ الممارَسِ على مَضامينِ النصِّ السَّابِقِ. وتجلّى في هذا التَّفَاعُلِ المَلْحُوظِ عمليّةُ القِراءةِ وإِعادةِ الكِتَابَةِ؛ أي قِراءةِ النصِّ السَّابِقِ أوِ النَّصِّ (أ) وإِعادةِ كِتَابَتِهِ فِي النَّصِّ اللاحِقِ أوِ النَّصِّ (ب)، وسواءً في بِنْيَةِ المَعَارِضَاتِ أم في بِنْيَةِ المُنَاقِضَاتِ يَتَّخِذُ التَّعْلُقُ النَّصِّيُّ آليّةَ نَقْلِ القَالِبِ الفَنِّيِّ أوِ البِنَاءِ الشَّعْرِيِّ مَعَ التَّصَرُّفِ فِي المَحْتَوَى بِمَا يَخْدُمُ التَّجْرِبَةَ الشَّعْرِيَّةَ فَالشَّاعِرُ الإِسْلَامِيُّ يَنْفِي المَضْمُونِ (المَعَانِي) والمَشَاعِرِ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ التَّجْرِبَةُ وَمِنْ ثَمَّ يَخْتَلِفُ مَعَ الرُّؤْيِيَّةِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهَا تِلْكَ النُّصُوصُ المَعَارِضَةُ وَالمُنَاقِضَةُ، فَهِيَ تَتَعَارَضُ وَرُؤْيِيَّتُهُ الإِسْلَامِيَّةُ مِمَّا يَنْتُجُ عَنْهُ إِبْدَاعُ نَصٍّ يَلْتَزِمُ الإِطَارَ الفَنِّيَّ لِلجِنْسِ الأَدَبِيِّ وَيَرْفُضُ الرُّؤْيِيَّةَ الَّتِي تُشَكِّلُ مَحْتَوَاهُ.

(1) سورة المرسلات، الآيات: 20، 21، 22، 23.

(2) سورة النازعات، الآية: 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41.

(3) سورة الذَّارِيَاتِ، الآية: 56.

والملاحظ أن أحد القوانين الثلاثة\* التي أعلن عنها محمد بنيس لتحديد الوعي المصاحب لقراءة النصوص الغائبة-وهو القانون الثالث الذي يتمثل في الحوار-هو المعيار الذي ينطبق على قراءة كل من يوسف القرضاوي ووليد قصاب لنص الطلاسم للشاعر إيليا أبي ماضي، خاصة، ويوسف العظم في قراءته لنصوص المعلقات الجاهلية، وذلك على أساس أن الحوار في تخطيطه لقراءة الاجترار والامتصاص يعتمد التقدير المؤسس على أرضية علمية صلبة، تُحطم كل مظاهر الاستلاب، مهما كان نوعه وشكله وحجمه، فلا مجال لتفديس كل النصوص الغائبة مع الحوار، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل النص وإنما يعيره ويغيره في القديم أسسه اللاهوتية، ويعري في الحديث فتاعته التبريرية والمثالية، وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية علمية.<sup>(2)</sup> وقد يكون الحوار صالحا في قراءة النصوص الغائبة ما لم تكن نصوصا دينية-قرأنا أو حديثا-مما لا ينبغي التعامل معها من منظور النفي والتفدي والتقص أو المعارضة.

وتتصل هذه النصوص المندرجة ضمن نسق التفاعل النصي الخاص والمحدد بما اصطاح عليه جيران جنيت بـ(التعلق النصي)، وهي "شكل من أهم أشكاله التي تحقق حواراً شعرياً بين نصين محددين أحدهما سابق والآخر لاحق مشتق منه بواسطة تحويل جزئي أو كلي، ويبدو أن هذا الوضع الاعتباري الجديد الذي قد أكسبها طابعا كليا أهلها لاستيعاب باقي الأنواع النصية، وتوظيف بعض الأشكال التناسبية الجزئية على شكل بنيات نصية مأخوذة من النص المعارض نحو الاستشهاد الشعري والتضمن والاقتران وما شاكل ذلك من المتناسبات الدنيية والتاريخية والأدبية".<sup>(3)</sup> وقد وردت تلك البنيات النصية منصوصة أو معلمة بعلامتي التنصيص في سياقات النصوص اللاحقة المعارضة مما جعلها مفتوحة على كم من النصوص المختلفة المزدحمة في فضاءاتها.

(\* يوظف بنيس في البحث عن القراءة النوعية للنص الغائب ثلاثة معايير، بمنحها صبغة القوانين، ويرى أنها محددة للوعي المصاحب لقراءة النص الغائب، وتكمن هذه القوانين في الاجترار والامتصاص والحوار، وهي متعددة بتعدد مستويات الوعي المتحكم في قراءة كل شاعر لنص من النصوص الغائبة، فالقانون الأول(الاجترار)، كقراءة تسود، خاصة في عصور الانحطاط، يظهر في تعامل الشعراء مع النص الغائب بوعي سكوني يفتقد القدرة على اعتبار النص إبداعا لا نهائيا، ويسود بناء على هذا الاعتبار تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية المنفصلة عن البنية العامة للنص كحركة وسيورة، مما يجعل النص الغائب نموذجاً جامدا تضعف حيويته مع كل إعادة كتابة له بوعي سكوني، والقانون الثاني(الامتصاص)هو قراءة تتجاوز القراءة الأولى، وهو مرحلة أعلى في قراءة النص الغائب، ومن خلاله يبدو الإقرار بأهمية النص الغائب وقداسته والتعامل معه كحركة وتحويل قائمتين على تثبيت الأصل والمساهمة في استمراره كجوهر قابل للتجدد. فلا يجمد الامتصاص النص الغائب ولا ينقده في الوقت نفسه، فهو إعادة صوغ له وفق متطلبات تاريخية جديدة، وبأبي القانون الثالث(الحوار)متجاوزا لكل من القراءة الأولى والثانية، فهو مرحلة أعلى في قراءة النص الغائب، يتخذ من النقد المؤسس على أرضية علمية صلبة تحطم كل مظهر من مظاهر الاستلاب، مهما يكن نوعه وشكله وحجمه، أساسا ضروريا له، ومعه لا تفديس لكل النصوص الغائبة، فالشاعر، أو الكاتب، لا يتأمل هذا النص، وإنما يعيره، يغير في القديم أسسه اللاهوتية، ويعري في الحديث فتاعته التبريرية والمثالية، وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية علمية. وفي ضوء هذه القوانين رصد بنيس، على مستوى الذاكرة الشعرية، هجرة النص(الغائب) أو المتن الشعري العربي القديم والمعاصر والمغربي والأوروبي إلى المتن الشعري المغربي المعاصر. ورصد، على مستوى الحضارة العربية، حضور النص القرآني في هذا المتن لخصوصيته وتميزه وتنوع قراءته بين الاجترار والامتصاص والحوار. ينظر: محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص: 253. وما بعدها.

(1) محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص: 253.

(2) عبد القادر بقشي: التنصيص في الخطاب التقدي والبلاغي، ص: 59.

نَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِيِّ الْعَامِّ الْمُتَعَدِّدِ

يَقُومُ هَذَا النَّسْقُ، بِشَكْلِ وَاضِحٍ، عَلَى "عَلَاقَةٍ وَتَفَاعُلٍ بَيْنَ نَصِّ سَابِقٍ، وَآخَرَ لَاحِقٍ، وَكَاسِيَمَا تِلْكَ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْحَدِيثِ، وَنُصُوصِ الثَّقَافَةِ وَالتَّرَاثِ".<sup>(1)</sup> فَالتَّصُّ الشَّعْرِيُّ الْحَدِيثُ يُنْشِئُ شَبَكَةً مِنَ الْعَلَاقَاتِ الْجُزْئِيَّةِ الْحَوَارِيَّةِ مَعَ سِلْسِلَةٍ مُتَمَدَّةٍ مِنَ النُّصُوصِ التَّرَاثِيَّةِ الْمُتَفَاعِلَةِ مَعَهُ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ "الشَّعْرَ الْمُعَاوِرَ مُحَاوَلَةٌ لِاسْتِعَابِ الثَّقَافَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِعَامَّةٍ وَبَلُورَتِهَا وَتَحْدِيدِ مَوْقِفِ الْإِنْسَانِ مِنْهَا".<sup>(2)</sup> وَتَخْتَلِفُ تِلْكَ النُّصُوصُ مِنْ حَيْثُ مَصَادِرُهَا فَهُنَاكَ الْمُعْطِيَاتُ الشَّعْبِيَّةُ وَالشَّعَائِرِيَّةُ، وَهُنَاكَ الْمُعْطِيَاتُ الْأَسْطُورِيَّةُ وَالتَّارِيخِيَّةُ، وَهُنَاكَ الْمُعْطِيَاتُ الدِّينِيَّةُ، بِمَا فِيهَا مِنْ مَذَاهِبَ وَأَفْكَارٍ وَطَرَائِقَ سُلُوكِيَّةٍ. ثُمَّ هُنَاكَ الْمَعَارِفُ الْعَامَّةُ وَالخَبْرَاتُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَى زَمَنِ مَضَى دُونَ غَيْرِهِ، كَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَوَسَّعَ الْمَرْءُ فِي عَدِّ كُلِّ ثَمَرَاتِ الْعُلُومِ عَلَى اخْتِلَافِهَا مِنْ هَذَا التَّرَاثِ الَّذِي لَمْ تَتْرُكْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ، عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ لَدَى الْعَرَبِ، وَيُمَثِّلُ التَّرَاثُ الْأَدَبِيُّ أَوْسَعَ تِلْكَ الْمُعْطِيَاتِ، وَأَكْثَرَهَا أَثْرًا فِي الْحَيَاةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى امْتِدَادِ الْعُصُورِ".<sup>(3)</sup>

وَيُشَكِّلُ النَّصُّ الْأَدَبِيُّ مِثْلًا فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ وَالنَّصِّ الدِّينِيِّ مِثْلًا فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ أَكْبَرَ نِسْبَةً مِنَ النُّصُوصِ الْمُتَفَاعِلَةِ نَصِيًّا مَعَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاوِرِ، وَقَدْ يَتَقَدَّمُ النَّصُّ الدِّينِيُّ عَلَى غَيْرِهِ، وَذَلِكَ لِمَا يُشَكِّلُهُ الدِّينُ مِنْ حُضُورٍ قَوِيٍّ، لَدَى عَامَّةِ النَّاسِ، وَلِمَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ قُوَّةٍ تَأْثِيرِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، هَذَا بِالِإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِ الدِّينِ يُمَدُّ الشُّعْرَاءَ بِمَآذِجٍ أَدْبِيَّةٍ رَائِعَةٍ رُبَّمَا لَا يَجِدُونَهَا فِي مَصَادِرٍ أُخْرَى".<sup>(4)</sup> فَلَا غَرَابَةَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَدْخُلَ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ أَوْ النَّصُّ الشَّعْرِيُّ قَدِيمُهُ وَحَدِيثُهُ كَمَا كَوَّنَ بِنَائِي هَامًّا فِي بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيُؤَلَّفُ بِنِيَاتٍ تَنَاصِيَّةً ذَاتَ أبعادٍ جَمَالِيَّةٍ وَدِلَالِيَّةٍ، وَيَتَجَلَّى التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ الْمُتَعَدَّدُ فِي مَثْنِ الشَّاعِرِينَ الْإِسْلَامِيِّينَ مُحَمَّدَ عَلِيَّ الرَّبَاوِيِّ وَحَسَنَ الْأَمْرَانِيِّ بِصُورَةٍ أَوْضَحَ تَسْمَحُ بِمُقَارَبَتِهِ فِي نُصُوصٍ مِنْ شِعْرِهِمَا وَإِنْ كَانَ هَذَا النَّسْقُ مِنَ التَّفَاعُلِ أَوْ التَّلَقُّقِ النَّصِّيِّ أَكْثَرَ شُبُوعًا فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ سَابِقِهِ الَّذِي يَرْتَبِطُ بِالْمُعَارَضَةِ أَوْ الْمُنَاقِضَةِ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ. وَهَذَا النَّسْقُ يَسْمَحُ بِمُقَارَبَتِهِ اسْتِنَادًا إِلَى ثَلَاثَةِ جَوَانِبَ يُمَكِّنُ أَنْ تُتَّخَذَ إِطَارًا فِي مُقَارَبَةِ التَّنَاصِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَهِيَ:

1- النَّظَرُ فِي النَّصِّ الْعَائِبِ بِحَسَبِ مَرَجِعِهِ وَمَوْقِعِهِ مِنَ الثَّقَافَةِ، عَامَّةً، وَالْفَنِّ الْمُسْتَعْدَمِ فِيهِ، خَاصَّةً، وَصِلَتَهُ بِنُصُوصِ الشَّاعِرِ الْأُخْرَى.

(1) أحمد محمد قُدُور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، دمشق سورية، ط: 1، 1422هـ-2001م، ص: 136.

(2) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنيّة والمعنويّة، دار العودة، بيروت، 2007، ص: 14.

(3) المرجع نفسه، ص: 113.

(4) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظري والتطبيقي، ص: 99.

2-النَّظْرُ فِي الشَّكْلِ الدَّلَالِيِّ لِلتَّوْظِيفِ، وَهُوَ الشَّكْلُ الَّذِي يُنْبِئُ بِالنَّصِّ الْعَائِبِ، كَأَن يَكُونَ الشَّكْلُ نَصًّا مُحَدَّدًا، أَوْ مُفْرَدَاتٍ تُعَادُ صِيَاغَتَهَا، أَوْ مُعْطِيَاتٍ دَلَالِيَّةٍ دُونَ نَقْلِ أَيِّ مَبْنَى مِنَ النَّصِّ الْعَائِبِ، أَوْ إِشَارَةٍ مُرَكَّزَةٍ عَبْرَ (عنوان) النَّصِّ، أَوْ الْعَرْفِ عَلَى مُكَوِّنَاتِهِ الْمَوْسِيقِيَّةِ.

3-النَّظْرُ فِي وَظَائِفِ هَذَا الشَّكْلِ الْوَارِدِ أَوْ الْمَحَالِ عَلَيْهِ، مِنَ التَّوْحِي الْعُيُوبِ وَالْبَلَاغِيَّةِ/التَّقْدِيَّةِ وَالْمَوْسِيقِيَّةِ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي اسْتِخْرَاجِ ذَلِكَ كُلِّهِ يَكُونُ عَلَى السِّيَاقِ الدَّلَالِيِّ، وَمُعْطِيَاتِ الْعَمَلِ مِنْ دَاخِلِهِ. (1). وَيُمْكِنُ مَلَاخِظَةً هَذِهِ الْجَوَانِبِ فِي مُقَارَبَةِ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّصُوصِ الَّتِي تَتَنَوَّعُ فِيهَا مَصَادِرُ التَّنَاصُّ.

#### 1-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (العِيدِ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

تَمَثَّلُ مَصَادِرُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ فِي الْقَصِيدَةِ فِي ثَلَاثَةِ مَصَادِرِ شِعْرِيَّةٍ وَأُسْطُورِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ تَنْفَتِحُ عَلَيْهَا بَنِيَّةُ النَّصِّ وَيَتَّسِعُ أَفْقُهَا الدَّلَالِيُّ.

وَيَتَّسِعُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ مِنْ خِلَالِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ نَصٍّ وَنَصٍّ آخَرَ أَوْ مَجْمُوعَةٍ نُصُوصٍ قَادِمَةٍ مِنْ مَصَادِرٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَزْمَنَةٍ مُتَبَايِنَةٍ، وَيُصْبِحُ التَّنَاصُّ هُوَ الْفَضَاءُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ الْقَارِئُ النَّاقِذُ بِحُرِّيَّةٍ وَتَلْقَائِيَّةٍ، مُعْتَمِدًا عَلَى مَذْخُورِهِ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالثَّقَافَاتِ، وَذَلِكَ بِإِرْجَاعِ النَّصِّ إِلَى عَنَاصِرِهِ الْأُولَى الَّتِي شَكَّلَتْهُ وَصُورًا إِلَى فَكِّ شَفْرَاتِهِ، إِذْ إِنَّ ثِقَافَةَ الْمُبْدِعِ قَدْ تَكَوَّنَتْ عَبْرَ دُرُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَا يَسْتَطِيعُ تَبْيَإْنُهَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَبِذَلِكَ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِنَّ النَّصَّ حَصِيلَةَ ثِقَافِيَّةٍ وَحَضَارِيَّةٍ لِرِحْلَةِ الْأَدِيبِ عَبْرَ إِبْدَاعِهِ، بَلْ عَبْرَ حَيَاتِهِ كُلِّهَا. (2). وَذَلِكَ مَا يَتَجَلَّى فِي تَجْرِبَةِ الرِّبَاوِيِّ الشُّعْرِيَّةِ كَمَا تُمَثِّلُهَا هَذِهِ الْقَصَائِدُ، فِي دِيْوَانِهِ (الْمَوْلِدِ الْمُرْسِتِدْعِيِّ) الرَّبَاوِيِّ نُصُوصًا مُتَبَايِنَةً الْيَنَابِيعِ شِعْرِيَّةً وَأُخْرَى أُسْطُورِيَّةً دِينِيَّةً قُرْآنِيَّةً، مُثْرِيًا مِنْ خِلَالِ تَفَاعُلَاتِهَا تَجْرِبَتَهُ الرَّاهِنَةَ، وَمُسْتَهْمًا فِي صِيَاغَةِ الرُّؤْيَةِ الْكَلِمِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَمَا تَتَجَلَّى فِي مَتْنِهِ الشُّعْرِيِّ، إِنَّ نَصَّ (العِيدِ) يَتَحَوَّلُ إِلَى النَّصِّ الصَّدَى تَلْتَقِي فِيهِ أَصْدَاءُ النَّصُوصِ الْبَعِيدَةِ، وَيُعَدُّ الْمَصْدَرُ الشُّعْرِيُّ أَهَمَّ مَصْدَرٍ لِلتَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ فِي قَصِيدَةِ (العِيدِ)، يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

رَصَاصُ الْبِنَادِقِ أَخْطَأَ صُدُورَ الْعُدُوِّ،

وَلَكِنَّهُ قَدْ أَصَابَ صُدُورَ الْأَحِبَّةِ

آه! أَصَابَ الصُّدُورَا،

فَلَوْ نَحْنُ مِنْ مَازِنِ يَا أَحِبَّاءِ

لَمْ تَسْتَبِحْ طَلَقَاتُ الرِّصَاصِ الصُّدُورَا!

.....

أَنْتِ أَيَّتْهَا الْعَيْسُ، دُوسِي بِأَخْلَافِكَ الزَّرْقِ مَا

(1) أحمد محمد قدور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص: 140.

(2) عبد العاطي كيوان: التناص القرآني، ص: 17.

(3) محمد علي الرباوي: الولد المر، منشورات المشكاة، وحدة، المغرب، ط: 1، 1989، ص: 15.

قَدْ تَبَقَى أَمَامَكَ مِنْ وَشَوَّشَاتِ رَمَادِي، امْسَحِي كُلَّ  
ذَرَاتِهِ، أَوْ ضَعِيهَا عَلَى سَعْفِ النَّخْلِ سُنْبَلَةً تَحْتَرِقُ.

يَتَّخِذُ الرَّبَاوِي فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ مِنْ شَخْصِيَّةِ الشَّاعِرِ الْقَدِيمِ قِنَاعًا لَهُ يُعَبِّرُ مِنْ خِلَالِهِ عَنِ تَجْرِبَةِ مُعَاصِرَةِ  
مُمَاتِلَةٍ لِتِلْكَ التَّجْرِبَةِ الْقَدِيمَةِ، فَيَسْتَدْعِي الشَّخْصِيَّةَ بِالْقَوْلِ، وَيُدْرِجُ نَصَّهَا فِي سِيَاقِ نَصِّهِ الشُّعْرِيِّ الْجَدِيدِ، وَذَلِكَ  
لِلْمُنَاسَبَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ الْقَدِيمِ (قُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ) الَّذِي ظَلَمَ حِينَ أَغَارَ عَلَيْهِ بَنُو شَيْبَانَ وَأَخَذُوا لَهُ ثَلَاثِينَ  
بَعِيرًا، لِضَعْفِ قَبِيلَتِهِ وَعَدَمِ خَشْيَةِ الْآخَرِينَ لَهَا وَالْجُرْأَةِ عَلَى ظُلْمِهَا وَإِذَائِهَا، فَاسْتَجَدَّ أَصْحَابُهُ فَلَمْ يُنْجِدُوهُ، فَأَتَى  
بَنِي مَازِنٍ، فَرَكِبَ نَفْرًا مَعَهُ وَأَخَذُوا لِبَنِي شَيْبَانَ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَدَفَعُوا لَهَا، وَخَرَجُوا مَعَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ (1):

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ      بَنُو اللَّقِيظَةِ، مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ  
إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ حَشِنٌ      عِنْدَ الْحَفِيظَةِ، إِنْ ذُو لَوْتَةٍ لَأَنَا  
قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ      طَارُوا إِلَيْهِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا  
لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ      فِي النَّائِبَاتِ، عَلَى مَا قَالَ، بُرْهَانَا  
لَكِنَّ قَوْمِي، وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ      لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ، وَإِنْ هَانَا

تَنْطِقُ فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ أَوْ النَّصِّ الصَّدَى الذَّاتُ الْجَمَاعِيَّةُ الَّتِي يُعَبِّرُ عَنْهَا ضَمِيرُ الْجَمَاعَةِ الْمُتَكَلِّمَةِ (نَحْنُ)، وَفِي  
النَّصِّ السَّابِقِ أَوْ النَّصِّ الْأَثَرِ تَتَوَلَّى الذَّاتُ الْفَرْدِيَّةُ كَمَا تَظْهَرُ فِي ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُتَّصِلِ (تُ) (وَرِي) زَمَامَ الْخِطَابِ، وَإِنْ  
اِقْطَعَ الرَّبَاوِي بَعْضًا مِنْ بَيْتٍ مِنْ سِيَاقِهِ الْقَدِيمِ وَأَجْرَى عَلَيْهِ تَعْدِيلًا وَتَحْوِيرًا بِحَذْفٍ وَإِضَافَةٍ عَنَّا صِرَاحًا جَدِيدَةً إِلَيْهِ،  
لِيَزْرَعَهُ فِي سِيَاقِهِ الْجَدِيدِ مُتَّفَاعِلًا مَعَ التَّجْرِبَةِ الْجَدِيدَةِ، فَإِنَّ مَقْصِدِيَّتَهُ تَنْصَرِفُ إِلَى دَلَالَةِ النَّصِّ السَّابِقِ الَّذِي وَجَدَ فِيهِ  
الشَّاعِرُ مَلْمَحًا مُشْتَرَكًا وَبَعْدًا مِنْ أَبْعَادِ تَجْرِبَتِهِ، فَالشَّاعِرُ الْقَدِيمُ سَاءَ الظُّلْمُ الْوَاقِعُ عَلَيْهِ فِي سَلْبِ إِبِلِهِ وَسَاءَ  
اِتِّمَانُهُ إِلَى قَوْمِ ذَوِي عَدَدٍ وَهُمْ أَذْلَاءُ لَا يَتَنَاصَرُونَ وَلَا يَدُودُونَ عَنْ حِمَاهُمْ، وَالشَّاعِرُ الْحَدِيثُ، الْيَوْمَ، يَسُوؤُهُ  
الظُّلْمُ الَّذِي يَلْقَاهُ وَيَلْقَاهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ الْمَعْمُورَةِ وَهُمْ كَثِيرُو الْعَدَدِ عَدِمُوا النَّفْعَ كَالْعُنَاءِ صَدَقَ فِيهِمْ ظَنُّ رَسُولِ  
اللَّهِ. إِنَّ الْبِنِيَّةَ النَّصِيَّةَ أَوْ النَّصَّ الْحَاضِرَ:

فَلَوْ نَحْنُ مِنْ مَازِنٍ يَا أَحِبَّاءَ

لَمْ تَسْتَبِحْ طَلَقَاتُ الرِّصَاصِ الصُّدُورِ!

تَتَعَالَقُ مَعَ بِنِيَّةِ الْمُتَّفَاعِلِ النَّصِيِّ أَوْ النَّصِّ الْقَدِيمِ:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ      بَنُو اللَّقِيظَةِ، مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

وَمَعَ التَّحْوِيرِ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ النَّصُّ فَهُوَ لَا يَزَالُ يَحْتَفِظُ فِي مُسْتَوَاهِ الْأُفْقِيِّ بِبَعْضِ الْعَنَاصِرِ اللَّسَانِيَّةِ الْآتِيَةِ مِنْ  
سِيَاقِهَا الْأَوَّلِ كـ (لَوْ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّمَنِّيِّ، وَ(مَازِنٍ) رَمَزُ الْمَنَعَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْبِنِيَّةِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُنْفِيَّةِ (لَمْ تَسْتَبِحْ)،

(1) فخر الدّين قباوة: المورد التّحوي الكبير، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط: 4، 1407هـ-1987م، ص: 105.

وَيُزِيحُ بَعْضَ الْعَنَاصِرِ اللَّسَانِيَّةِ (إِبْلِي) وَ(بُنُو اللَّقِيْطَةِ) الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالتَّجْرِبَةِ السَّالِفَةِ وَلَيْسَ لَهَا دَوْرٌ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ، وَيُحِلُّ مَكَانَهَا عَنَاصِرَ جَدِيدَةً (طَلَقَاتُ الرَّصَاصِ) وَ(الصُّدُورِ)، وَهِيَ أَكْثَرُ دَلَالَةٍ وَإِيْجَاءٍ فِي التَّجْرِبَةِ الْجَدِيدَةِ، وَتَحْمَلُ بِنِيَّةَ التَّرْكِيبِ فِي الْبِنِيَّةِ النَّصِيْبِيَّةِ الدَّلَالَةَ عَلَى التَّعْلِيْقِ فِي الْحَاضِرِ وَتَحْمَلُ فِي الْمُتَفَاعَلِ النَّصِيْبِيَّةِ الدَّلَالَةَ عَلَى التَّعْلِيْقِ فِي الْمَاضِي، وَيُشِيرُ السِّيَاقُ الْعُيُوْبِيُّ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ الْإِنْزِيَاْحِيِّ إِلَى اسْتِيْحَاةِ الْأَرْوَاحِ وَالتُّفُوسِ بِالْقَتْلِ كَاسْتِيْحَاةِ الْإِبْلِ لِتَعَدُّرِ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى (مَازِن) رَمَزِ الْمَنَعَةِ وَالْعِزَّةِ. يَسْتَحْضِرُ الرَّبَاوِيُّ النَّصَّ الشَّعْرِيَّ الْقَدِيمَ وَيُعِيدُ تَوْظِيْفَهُ بِأَكْثَرِ بٍ مِنْ حُمُولَتِهِ الشُّعُورِيَّةِ وَالْوَجْدَانِيَّةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْإِحْسَاسِ الْمُرِّ بِالتَّفَاهَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالضَّعْفِ فِي فَقْدِ النَّاصِرِ وَالْمَعِينِ وَالْمُعِزِّ، وَالشُّعُورِ الْمُؤَلِّمِ لِإِهْمَالِ الْأُمَّةِ لِحُزْرِ مِنْهَا وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ وَتَرْكِهِ لِمَصِيرِهِ الْمَجْهُولِ.

وَيَأْخُذُ التَّفَاعُلُ النَّصِيْبِيُّ بَعْدًا آخَرَ حِينَ يُنْظَرُ إِلَيْهِ بِوَصْفِهِ سِيَاقًا أَدْبِيًّا خَلَاقًا يَمْحُو الْفَوَاصِلَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ فِي عَمَلِيَّةِ صَهْرِ لِكُلِّ الْعَنَاصِرِ الْمُؤَهَّلَةِ لِإِتْنَاجِ نَصٍّ أَكْثَرَ إِبْدَاعًا وَأَكْثَرَ انْفِتَاحًا، وَهَذِهِ سِمَةٌ بَارِزَةٌ لَا تُخْطِئُهَا الْمُلَاحَظَةُ فِي مَتْنِ الرَّبَاوِيِّ الشَّعْرِيِّ حِينَ يَعْدُو نَصُّهُ مُفْتَرَقَ طُرُقٍ تَلْتَقِي عِنْدَهُ التُّصُوصُ الْمُخْتَلِفَةُ فِي سَيَرُورَتِهَا الدَّائِمَةِ وَتَمَمُّوعِ بِحَسَبِ قَوَانِينِهِ الدَّاخِلِيَّةِ الْمُنْظَمَةِ وَالْبَانِيَّةِ لِلنَّصِّ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ التُّصُوصُ رُكَاْمًا مُكَدَّسًا فِي ذَاكِرَةِ النَّصِّ دُونَ فَاعِلِيَّةٍ أَوْ دِيْنَامِيَّةٍ وَاعِيَّةٍ، فَهَذِهِ التُّصُوصُ لَا يُعَادُ إِتْنَاجُهَا مُفَكِّكَةً لَا تَجْمَعُ أَجْزَاءَهَا آيَةً عِلَاقَةً، فَمِنَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْجَاهِلِيِّ إِلَى الْعَبَّاسِيِّ يُنْشِئُ الرَّبَاوِيُّ نَصًّا مُمَيِّزًا ذَا قُدْرَةَ فَائِئِمَّةٍ عَلَى الدَّلَالَةِ وَالْإِيْجَاءِ وَقَدْ اسْتَشْمَرَ كُلَّ آليَّاتِ الْغِنْتَاجِ النَّصِيْبِيِّ مِنَ الْإِمْتِصَاصِ وَالتَّحْوِيلِ وَالتَّخْوِيرِ فِي سَبِيلِ بِنَاءِ وَاقِعِ نَصِيْبِيٍّ مُخْتَلِفٍ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

مَنْ إِلَيْكَ شَكَا بَتَحْمُحِمِهِ؟ وَاهِمٌ أَنْتَ لَا تَطْلُبُ  
 الْبِيدَ غِيْمَكَ إِلَّا إِذَا أَخْرَجْتَ ثِقْلَهَا الْأَرْضُ، تَذَكَّرَهَا  
 وَصَوَارِمُهُمْ مِنْ دِمَائِكَ تَقْطُرُ، تَذَكَّرَهَا هَلْ وَدِدْتَ عِنَاقَ  
 الصَّوَارِمِ إِذْ لَمَعَتْ مِثْلَ بَارِقِ ثَعْرِ حَبِيْبَتِكَ الْمُبْتَسِمِ؟  
 أَمْ هَلْ وَدِدْتَ الدُّخُولَ إِلَى مَمْلَكَاتِ الثَّلُوجِ؟  
 وَاهِمٌ أَنْتَ، هَلْ يَنْسُجُ الْكُرُّ وَالْفَرُّ أَجْنِحَةً  
 فِي زَمَانِكَ هَذَا؟ هَلْ يَنْسُجُ الْكُرُّ وَالْفَرُّ عُشًّا يَقِيْكَ  
 لَهَيْبِ الثَّلُوجِ؟  
 وَاهِمٌ أَنْتَ، هَلْ كَبِدٌ لِكَبِيرِ الْعَشِيْرَةِ؟  
 هَلْ كَبِدٌ لِلْحَجَرِ؟  
 فَتَسَلَّلْ إِلَى عُمُقِ أَحْشَائِكَ الْآنَ، فَتَشْ  
 أَتَلْقَى بِهَا كَبِدًا؟

(1) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 19.

يَحْدُثُ التَّعْلُقُ النَّصِّيُّ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مَعَ نَصِّ الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادٍ مِنْ حِلَالِ عَمَلِيَّةِ اجْتِزَاءِ لِبَعْضِ مُفْرَدَاتٍ وَتَرَائِبِ نَصِّ مُعْلَقَتِهِ ذَاتِ اللُّغَةِ الْقَوِيَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَافْتِكَارِهَا مِنَ الصِّيَاغَةِ الشُّعْرِيَّةِ لِلشَّكْلِ الْعَمُودِيِّ لِتَنْتَظِمَ فِي الصِّيَاغَةِ الشُّعْرِيَّةِ لِلشَّكْلِ الْحُرِّ، وَقَدْ هَيَّأَ لَهَا الشَّاعِرُ السِّيَاقَ الْمُلَائِمَ لِلْحُلُولِ فِيهِ وَإِنْتِجَ دِلَالَتَهَا، هَذَا السِّيَاقَ الَّذِي تُحْيِمُ عَلَيْهِ مَوْضُوعَةٌ (تَذَكُّرِ الْحَبِيْبَةِ وَسَطِ الْمَعْرَكَةِ)، وَفِي مُحَاوَرَةٍ لِلنَّفْسِ عَلَى غِرَارِ مُحَاوَرَةِ عَنْتَرَةَ لِفِرْسِهِ، يَقُولُ<sup>(1)</sup>:

فَازَوْرٌ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلْبَانِهِ      وَشَكَاَ إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمُّمِ  
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى      وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

وَيَقُولُ<sup>(2)</sup>:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ      مَنِّي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي  
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا      لَمَعَتْ كَبَارِقِ نَعْرِكِ الْمُبْتَسِمِ

تَتَخَلَّقُ دَاخِلَ بِنِيَّةِ النَّصِّ الْلاحِقِ لُغَةً رَمَزِيَّةً جَدِيدَةً نَاتِجَةٌ عَنِ تَفَاعُلِ الدَّلَالَةِ وَتَفَاعُلِ السِّيَاقَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، وَيَتَحَوَّلُ سِيَاقُ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ الْجَدِيدَةِ الْمَرْجِعِ الْوَحِيدِ الَّذِي يَمْنَحُ الدَّوَالِ النَّصِيَّةَ مَدْلُولَاتِهِ فِي فِضَاءِ النَّصِّ. فَهَذَا الْمَرْجِعُ هُوَ الَّذِي يَرِضُدُ حَرَكََةَ النَّصِّ الْمُعَادِ كِتَابَتَهُ فِي هِجْرَتِهِ الدَّائِمَةِ وَيُحَدِّدُ فَاعِلِيَّتَهُ وَ"أَيْسَ بِمَقْدُورِ أَيِّ نَصٍّ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا خَارِجَ إِعَادَةِ إِنتِجَ ذَاتِهِ، وَمُنْتَوِجِيَّتِهِ. وَهَذِهِ الْفَاعِلِيَّةُ تَتَوَهَّجُ مِنْ حِلَالِ الْقِرَاءَةِ، لِأَنَّ النَّصَّ حِينَ يَفْقَدُ قَارِئَهُ يَتَعَرَّضُ لِلإِلْغَاءِ، وَحَتَّى يَكُونَ النَّصُّ فَاعِلًا، مُنْتَجًا لِذَاتِهِ بِاسْتِمْرَارٍ، أَيِّ مَقْرُوءًا، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُهَاجِرَ بَيْنَ أَنْظِمَةٍ هِيَ مِنْ طَبِيعَةِ دَلِيلِ إِنتِجَ... بِأَتْجَاهِ تَحْقِيقِ سُلْطَنَتِهِ".<sup>(3)</sup> لَقَدْ أَصْبَحَتْ هِجْرَةُ النَّصِّ أَسَاسَ فَاعِلِيَّتِهِ النَّصِيَّةِ، وَأَسَاسَ تَحَوُّلِهِ مِنْ (نَصٍّ مُهَاجِرٍ) إِلَى (نَصٍّ غَائِبٍ) "تَتَفَكَّكُ ذَرَاتُهُ لِتَتَرَكَّبَ مَرَّةً أُخْرَى وَفَقًا لِقَوَانِينِ أُخْرَى، فِي نُصُوصِ أُخْرَى تَتَسَّعُ بِحَسَبِ مَدَى سُلْطَةِ النَّصِّ، وَوَفَقًا لِإِمْكَانِيَّاتِهِ فِي الْهِجْرَةِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهَا".<sup>(4)</sup> وَتَتَحَقَّقُ هَذِهِ السُّلْطَةُ وَالْقُدْرَةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُصُوصِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ، فَهُوَ يُمَثِّلُ النَّصَّ الْغَائِبَ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ الْحَدِيثِيَّةِ، كَمَا يَتَحَلَّى فِي هَذَا النَّصِّ الصَّدَى حَيْثُ تُنْطَوِي الْعِلَاقَةُ التَّنَاصِيَّةُ تَحْتَ إِطَارِ التَّنَاصِ الْجُزْئِيِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(5)</sup>:

هُوَ الْعِيدُ عِيدٌ  
بِأَيَّةِ حَالٍ يُعُودُ؟

- (1) أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، دار صادر بيروت، (د، ت) ص: 168. وطرفة بن العبد: شرح ديوان طرفة بن العبد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1418هـ/2007م، ص: 88.  
(2) وأبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص: 169. والزوزني: شرح المعلقات السبع، ص: 152.  
(3) محمد بنيس: حدائث السؤال، ص: 97.  
(4) المرجع نفسه، ص: 98.  
(5) محمد علي الرباوي: الولد المرء، ص: 22.

بَمَا قَدْ مَضَى أُمُّ بَأْمَرٍ جَدِيدٍ؟

أَمَّا الْأَحِبَّةُ، فَالْبَيْدُ دُونَهُمْ،

وَأَمَّا ثَبِيرٌ، فَمَا عَادَتِ الْعُصْمُ تَأْمَنُ فِيهِ،

وَأَمَّا حِرَاءٌ، فَإِنَّ الصَّنُوبَرَ يُورِقُ فِي حَوْفِهِ، ثُمَّ يَمْتَدُّ بَيْنَ

المُحِبِّينَ، أَعْصَانُهُ تَتَسَلَّلُ جَهْرًا إِلَى صَدْرِ عَشِيْقٍ،

عَسَاهَا تَفْكُ طَلَّاسِمَ دَقَاتِ الْقُلُوبِ، وَأَمَّا الْجُنُودُ، فَمَا

عَسَكْرُوا فِي الثُّغُورِ، وَمَا زَيَّنُوا بِالِدَمَاءِ الثُّغُورًا.

وَلَكِنَّهُمْ عَسَكْرُوا مُوهِنًا فِي الْبُيُوتِ، وَعِنْدَ الصُّحَى

طَارَدُوا فِي الْحُقُولِ الطُّيُورًا.

هُوَ الْعَيْدُ، مَنْ سَرَّهُ الْعَيْدُ هَذَا الْجَدِيدُ فَإِنِّي بَأَزْهَارِهِ

مَا لَقِيتُ السُّرُورًا؟

هُوَ الْعَيْدُ، مَنْ سَرَّهُ الْعَيْدُ، وَالصَّحْبُ لَيْسُوا حُضُورًا؟

يُحِيلُ النَّصُّ، بِلَا شَكِّ، إِلَى نَصِّ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ، وَهُوَ قَصِيدَتُهُ (عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدُ)<sup>(1)</sup>:

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدُ بَمَا مَضَى أُمُّ لَأْمَرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ

أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ بِيَدًا دُونَهَا بِيَدُ

قَدْ وَجَدَ نَصُّ الْمُتَنَبِّيِّ، عَامَّةً، طَرِيقَهُ إِلَى الْمَتَنِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاَصِرِ، وَقَدْ وَجَدَ هَذَا النَّصُّ طَرِيقَ هِجْرَتِهِ

إِلَى مَتَنِ الرَّبَاوِيِّ، فَتَفَكَّكَتْ عَنَّا صِرُهُ لِسَجْمَعٍ مِنْ جَدِيدٍ فِي بِنْيَةِ جَدِيدَةٍ تَضْبُطُ قَوَائِنَ النَّصِّ الرَّبَاوِيِّ عَنَّا صِرَهَا

وَعَلَّاقَاتِهَا فِي سِيَاقٍ وَجَدَانِيٍّ ذَاتِي يَشْفُ عَنْ حُزْنٍ عَمِيقٍ عَامٌّ وَوَجَعٍ دَفِينٍ يَسْتَبْعِدُ كُلَّ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ الْفَرَحِ

وَالسُّرُورِ فِي غِيَابِ الْأَحِبَّةِ، وَتُوَدِّي الْبُنَى الْإِسْتِفْهَامِيَّةَ دِلَالَةَ الْحُزْنِ وَالْأَسَى فِي النَّصِّ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ وَهِيَ مِنْ

تَحْلِيَّاتِ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ. وَعَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ فَإِذَا كَانَ الْمُتَنَبِّيُّ فِي النَّصِّ السَّابِقِ مَنْ

شَاءَ الْبُعْدَ عَنْ أَحِبَّتِهِ وَالنَّأْيَ عَنْهُمْ عَبَّرَ كُلُّ هَذِهِ الْبَيْدِ، فَإِنَّ الرَّبَاوِيِّ، فِي نَصِّهِ اللَّاحِقِ، اخْتَارَ أَحِبَّتَهُ وَصَحْبَهُ الْبُعْدَ

عَنْهُ، وَيُخَاطَبُ الْمُتَنَبِّيُّ عَيْدَهُ (التَّكْرَةَ) وَقَدْ تَكَرَّرَ مَرَّتَيْنِ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ ذَلًّا عَلَى حَرَارَةِ الشُّعُورِ بِهِ بِوَأَسِطَةِ

الْإِسْتِفْهَامِ الْمَوْجَّهِ إِلَى الْعَيْدِ (بِأَيَّةِ حَالٍ...؟) وَضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ الْمَذْكُورِ (عُدْتَ) وَالنِّدَاءِ (يَا عَيْدُ)، وَتَأْتِي هَذِهِ الْبُنَى اللَّغُويَّةُ

مُوحِيَةً بِإِقْبَالِهِ عَلَى الْعَيْدِ وَاحْتِفَالِهِ بِهِ لِأَنَّ الْعَيْدَ مَوْعِدُ الْمَسْرَاتِ وَالْأَفْرَاحِ وَمُلْتَقَى الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ، بَيْنَمَا يَعْكُسُ

الرَّبَاوِيُّ فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ مَجْرَى الْخِطَابِ فَيُخَيِّرُ عَنِ الْعَيْدِ (هُوَ الْعَيْدُ)، وَيَسْتَفْهَمُ غَيْرَهُ عَنْ حَالِهِ (بِأَيَّةِ حَالٍ يَعُودُ...؟)،

وَيَسْتَحْدِمُ ضَمِيرَ الْعَائِبِ (يَعُودُ...)، وَتَرْدُ هَذِهِ الْبُنَى اللَّغُويَّةُ مُوحِيَةً بِإِنْصِرَافِهِ عَنِ الْعَيْدِ وَعَدَمِ الْإِحْتِفَالِ بِهِ.

(1) أبو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ: شرح ديوان أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ، شر: مصطفى سبيتي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط: 3، 2007م-

إِنَّ النَّصَّ اللَّاحِقَ يُوظَّفُ بَعْضَ وَحَدَاتٍ مُعْجَمِ النَّصِّ السَّابِقِ لِيَقِيمَ عَلاَقَتَهُ بِهِ وَيُحَوِّرَ فِي خُطَاطَةِ بِنَائِهِ، وَهُوَ بِهَذَا الصَّنِيعِ يَخْضَعُ لِسُلْطَةِ النَّصِّ الْعَائِبِ طَوْرًا وَيَخْضَعُ لِسُلْطَةِ نَصِّهِ طَوْرًا آخَرَ، وَإِذَا كَانَ نَصُّ الْمُتَنَبِّيِّ رَهِينَ سِيَاقَاتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ فَإِنَّ نَصَّ الرَّبَاوِيِّ رَهِينُ شُرُوطِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ مِمَّا يَجْعَلُ قِرَاءَةَ النَّصِّ الْأَوَّلِ أَوْ السَّابِقِ تَخْتَلِفُ فِي آيَاتٍ تَأْوِيلُهَا عَنْ قِرَاءَةِ النَّصِّ الثَّانِي أَوْ اللَّاحِقِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ دِلَالَةُ الدَّوَالِّ فَيَصِيرُ مَدْلُولُ (الْأَحِبَّةِ) فِي السِّيَاقِ الْأَوَّلِ غَيْرَ مَدْلُولِ (الْأَحِبَّةِ) فِي السِّيَاقِ الثَّانِي، وَمَدْلُولُ (الْبَيْدِ) غَيْرَ (الْبَيْدِ) فِي كِلَا الْمَوْضِعَيْنِ. إِنَّ الرَّمزَ اللَّسَانِيَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى رَمَزٍ سِيمِيَّائِيٍّ كَتَنيفِ الدَّلَالَةِ (ثَبِيرٍ، حِرَاءٍ، صُنُوبٍ، الْجُنُودِ، الثُّغُورِ...).

وَتَتَنَوَّعُ التَّدَاخُلَاتُ النَّصْبِيَّةُ فِي نَصِّ (العِيدِ)، فَيُزِيحُ نَصُّ امْرِئِ الْقَيْسِ نَصَّ الْمُتَنَبِّيِّ إِلَى حِينٍ ضَارِبًا بِجُدُورِهِ فِي التَّجْرِبَةِ الرَّاهِنَةِ مُسْتَوْتًا فِيهَا، وَيَطْوِي التَّنَاصُ الْمَسَافَةَ الشَّاسِعَةَ بَيْنَ النَّصِّينِ وَالْعَصْرَيْنِ وَيَحْتَزِلُهَا فِي النَّصِّ الْجَدِيدِ، بَعْدَ أَنْ تُعِيدَ الْبِنْيَةَ اللَّغَوِيَّةُ صَهْرَ الْعَنَاصِرِ الْمُتَفَرِّقَةِ مُفْرَدَاتٍ وَتَرَكَيبَ وَصُورٍ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ مُسْتَضِيفَةً بَيِّنِينَ مِنْ نَصِّ الْمُعَلَّقَةِ الشَّهِيرَةِ، وَهُمَا الْبَيْتُ<sup>(1)</sup>:

وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ

وَالْبَيْتُ<sup>(2)</sup>:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَائِينِ وَبَلِّهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ  
يَسْتَحْضِرُ الرَّبَاوِيُّ صُورَةَ الْأَوْعَالِ الْعُصْمِ الْمُفْرَعَةِ وَقَدْ أَنْزَلَهَا مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ مَا تَطَايَرَ مِنْ رَشَاشِ الْعَيْثِ الْمَفْرُطِ فِي الْأَنْصِبَابِ، وَبَعْدَ تَفْكِيكِهِ لِبِنْيَةِ الصُّورَةِ وَفَصْمِ عَلاَقَتِهَا يُعِيدُ دَمَجَ عَنَاصِرِهَا اللَّسَانِيَّةِ (العُصْمِ، ثَبِيرًا...). فِي بِنْيَةِ أُخْرَى ضَمَّنَ عَلاَقَاتٍ جَدِيدَةً عَمِلَتْ عَلَى انْزِيَاكِ دِلَالَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الْأُولَى إِلَى دِلَالَاتٍ عَارِضَةٍ يُحَدِّدُهَا السِّيَاقُ وَالْمَقَامُ، فَـ(ثَبِيرٍ) فِي (وَأَمَّا ثَبِيرٍ، فَمَا عَادَتِ الْعُصْمُ تَأْمَنُ فِيهِ) لَيْسَ عَلاَمًا أَوْ جَبَلًا إِنَّهُ فِي السِّيَاقِ الْجَدِيدِ الْوَطَنُ وَقَدْ فُقِدَ فِيهِ الْأَمْنُ وَذَاعَ الظُّلْمُ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْعُصْمُ أَوْ الْأَوْعَالُ سِوَى الرَّجَالِ الْأَحْرَارِ الْمُطَارِدِينَ بِلَا ذَنْبٍ أَوْ جَرِيرَةٍ. يَتِمُّ التَّفَاعُلُ النَّصْبِيُّ هُنَا عَبْرَ الْيَتِيِّ التَّحْوِيرِ وَالتَّحْوِيلِ. وَيَكْشِفُ التَّنَاصُ فِي الْمَقْطَعَيْنِ الشَّعْرِيَّيْنِ السَّابِقَيْنِ عَنْ مِلْحَظَةٍ تَشْمَلُ الْمَثَنَ الشَّعْرِيَّ الرَّبَاوِيِّ كُلَّهُ فَالتَّنَاصُ لَا يَتَوَقَّفُ فِي دَرَجَةِ تَنَوُّعِهِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْكَيْفِيِّ لَكِنْ عَلَى الْمُسْتَوَى الْكَمِّيِّ أَيْضًا فُنُصُوصُهُ تَرْتَفِعُ فِيهَا نِسْبَةُ النُّصُوصِ الْمُتَدَاخِلَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، مِمَّا يُضْفِي عَلَى نَصِّهِ قُوَّةً فِي الْإِيحَاءِ وَغِنَى فِي الدَّلَالَةِ، وَهِيَ مِنَ الْعَوَامِلِ الَّتِي تَشْدُّ الْمُتَلَقِّيَّ وَتَهْزُهُ وَتُثْبِرُهُ فَضْلًا قُدْرَةَ الشَّاعِرِ الْفَنِيِّ عَلَى إِيقَاعِ التَّلَاحُمِ الْعُضُويِّ وَالتَّمَاسُكِ وَالْإِتْسَاقِ فِيمَا بَيْنَهَا كَوَحْدَاتٍ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ.

وَيَصِلُ النَّصُّ اللَّاحِقُ ذُرْوَةَ تَنَامِيهِ فِي الْمَقْطَعِ رَقْمِ (7) الَّذِي يَتَكَرَّرُ فِيهِ السُّطْرَانِ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي كَلَازِمَةً اسْتِهْلَالِيَّةً

مَعَ تَغْيِيرِ طَفِيفٍ فِي بِنْيَتِهَا، فَفِي الْمَقْطَعِ رَقْمِ (3) يَقُولُ الرَّبَاوِيُّ<sup>(1)</sup>:

(1) امرؤ القيس: الديوان، ص: 61.

(2) المصدر نفسه، ص: 62.

اشْتَعَلْتُ مِرَارًا،

وَهَا أَنْذَا أَحْتَرِقُ.

هَذِهِ الرِّيحُ تَجْمَعُنِي مِنْ رَمَادِي،

تَقُولُ: انْطَلِقْ أَيُّهَا الْوَلَدُ الْغَمْرُ

لَكِنَّمَا قَبْلَ أَنْ انْطَلِقَ

أَحْتَرِقُ.

بَيْنَمَا وَضَعَ (أَخِيرًا) بَدَلًا مِنْ (مِرَارًا) لِلدَّلَالَةِ عَلَى اكْتِمَالِ التَّجْرِبَةِ وَالْوُصُولِ إِلَى الضَّفَافِ بَعْدَ الْمُعَانَاةِ وَالْمُكَابَدَةِ، وَهَذَا التَّحْوِيرُ الْجَزْئِيُّ فِي بِنْيَةِ السُّطْرَيْنِ الْمُكَرَّرَيْنِ يُشِيرُ إِلَى تَنَاصُّ دَاخِلِيٍّ يُجْرِيهِ الشَّاعِرُ دَاخِلَ بِنْيَةِ قَصِيدَتِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْمَقْطَعِ رَقْم (7) (2):

اشْتَعَلْتُ أَخِيرًا،

وَهَا أَنْذَا أَحْتَرِقُ،

هَذِهِ الرِّيحُ مِنْ صَدْرِ سَارَةٍ - هَذَا الصَّبَاحَ - تَهْبُ

وَمِنْ صَدْرِي صَحْبِي الْمَسَاكِينِ - هَذَا الصَّبَاحَ - تَهْبُ،

وَتَجْمَعُنِي مِنْ رَمَادِي، تَقُولُ انْطَلِقْ أَيُّهَا الْوَلَدُ الصَّلْدُ.

لَبَيْكَ إِنِّي سَأَنْطَلِقُ:

إِنِّي أَمْرُؤٌ عَاهَدَنِي خَلِيلِي

أَلَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ.

إِنِّي أَمْرُؤٌ بِحَبِّي الْمَسْئُولِ

أَنْفُخُ فِي الرَّمَادِ، وَالطُّلُولِ؛

فَيَزْهَرُ النُّوَارُ فِي الْحُقُولِ،

وَيَمْتَطِي حِصَانَهُ خَلِيلِي.

فَأُبْصِرُ كَفَّ الرِّيَاحِ اللُّوَاحِ

تَجْمَعُنِي حَبَّةً، حَبَّةً مِنْ رَمَادِي،

تَقُولُ انْطَلِقْ

أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرُّ

إِنِّي انْطَلَقْتُ، انْطَلَقْتُ انْطَلَقْنَا،

فَمَنْ مَعَنَا مِنْكُمْو يَنْطَلِقُ؟!

(1) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 18.

(2) المصدر نفسه، ص: 24.

إنَّ التَّنَاصَّ يَخْتَلِفُ نَوْعُهُ بِحَسَبِ الْجِنْسِ الْأَدَبِيِّ، وَالْمَهْمُ فِيهِ "الطَّرَائِقُ الْفَنِيَّةُ الَّتِي تَجْعَلُ النُّصُوصَ الْمَرْجِعِيَّةَ طَيِّعَةً تَقْبَلُ الدُّخُولَ فِي النَّصِّ الْجَدِيدِ دُونَ مَقَاوِمَةٍ، بِحَيْثُ تُصَلُّ دَرَجَةَ الذُّوْبَانَ فِيهِ وَإِمْدَادَهُ بِالْقِيمِ الْجَوْهَرِيَّةِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا دُونَمَا إِحَالَةً عَلَى أَصْلِهَا بِذِكْرِ اسْمٍ عَلَمٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ. وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَكُونُ إِضَاءَةُ الْمَرْجِعِيَّةِ ضَرْوِيَّةً لِقِيَمَةٍ خَاصَّةٍ يُمَثِّلُهَا الدَّالُّ، فَيَكُونُ لِلْإِحَالَةِ عَلَى اسْمِ الْعَلَمِ أَوْ الْمَكَانِ حِينَتِ مَا يُبْرِرُهُ فَنِيًّا، وَيَكُونُ الْحَدَثُ الْأُسْطُورِيُّ أَوْ التَّارِيخِيُّ هُوَ مَرَكَزُ النَّبْضِ وَالْحَيَوِيَّةِ دَاخِلَ النَّصِّ الْجَدِيدِ، وَهَذَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ نُطْلَقَ عَلَيْهِ: الْإِمْتِصَاصُ وَإِعَادَةُ الْإِنْتِاجِ". (1) وَالتَّنَاصُّ الَّذِي يُلْمَحُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ نَصِّ (العِيدِ) يُعَيَّبُ فِيهِ أَيُّ دَالٍّ وَاضِحٍ عَلَى مَصْدَرِهِ وَمَرْجِعِهِ، وَلَا يُحِيلُ عَلَى هَذَا الْمَرْجِعِ إِلَّا تِلْكَ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تُصَوِّرُ جَوَّ الْأُسْطُورَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، فَالِإِشْتِعَالُ وَالِإِحْتِرَاقُ وَالرَّمَادُ وَالْإِنِّطْلَاقُ... تَسْتَدْعِي أُسْطُورَةَ (العَنْقَاءِ) (2)، الطَّائِرُ الَّذِي يَحْرِقُ نَفْسَهُ فِي عَشْتِهِ وَمِنْ رَمَادِهِ يَخْرُجُ وَكَلْدُهُ، وَتُشِيرُ هَذِهِ الْأُسْطُورَةُ إِلَى التَّجَدُّدِ وَالْإِنْبِعَاثِ الدَّائِمِ وَالْمُسْتَمِرِّ، أَوْ (فَنِيقِ) وَهُوَ طَائِرٌ مَوْطَنُهُ بَعْلَبَكُ يَحْتَرِقُ كُلَّمَا أَدْرَكَهُ الْهَرَمُ، لِيُبْعَثَ حَيًّا مِنْ رَمَادِهِ. (3) وَهُوَ مِثْلُ (تَمُوزِ) رَمَزَانَ أُسْطُورِيَّانِ قَدِيمَانِ يَرْمُزَانِ إِلَى تَجْدِيدِ الْحَيَاةِ وَالطَّبِيعَةِ عَبْرَ الْمَوْتِ. (4) فَالرِّبَاوِيُّ يَقُومُ بِاسْتِعَارَةِ إِطَارِ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الْأُسْطُورِيَّةِ الْخُرَافِيَّةِ، وَإِنْ لَمْ يُصْرِّحْ بِذَلِكَ عَلَى اعْتِبَارٍ أَنَّ هَذِهِ الْإِسْتِعَارَةَ شَكْلٌ مِنَ التَّنَاصُّ اللَّوَاوِيِّ، لِيُعْبَرَ عَنْ تَجْرِبَتِهِ الْخَاصَّةِ، فَلَا يَظْهَرُ فِي سِيَاقِ قَصِيدَتِهِ إِلَّا تِلْكَ الْأَحْوَالُ مِنَ الْإِسْتِعَالِ وَالِإِحْتِرَاقِ وَإِعَادَةِ إِحْتِرَاقِ حَتَّى يَنْتَهِيَاً لِلْإِنِّطْلَاقِ مُجَدِّدًا مِنْ كَوْمَةِ الرَّمَادِ الَّذِي تَذْرُوهُ الرِّيحُ. وَهَذِهِ الصُّورَةُ الْعَضُويَّةُ الْمُتَنَامِيَّةُ الْقَائِمَةُ كُلُّ عَنَاصِرِهَا عَلَى الْإِيحَاءِ وَالْإِيْمَاءِ لِمَا تَتَّضَمَّنُهُ مِنْ طَاقَاتٍ رَمَزِيَّةٍ تَسْتَدْعِي هَذَا الْجَوَّ الْأُسْطُورِيَّ وَطَقَسَ الْحَيَاةَ وَالتَّجَدُّدَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالِإِحْتِرَاقِ. وَيَدُلُّ تَكَرُّرُ مَشْهَدِ (البَعْثِ الْمُتَجَدِّدِ) مِنْ خِلَالِ الْإِسْتِعَالِ وَالِإِحْتِرَاقِ وَالرَّمَادِ وَالرِّيحِ عَلَى اتِّحَادِ الشَّاعِرِ بِالرَّمْزِ الْأُسْطُورِيِّ (العَنْقَاءِ) أَوْ (الفَنِيقِ) وَحُلُولِهِ فِيهِ، خَاصَّةً عِنْدَمَا تَتَرَى الْقَصِيدَةَ بِمُسُوحِ صُوفِيَّةٍ.

يَبْنِي الرِّبَاوِيُّ تَجْرِبَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ الْحَدِيثَةَ بِهَذَا الْإِسْتِخْدَامِ التَّنَاصُّيِّ الْبِنَائِيِّ لِمَنَاخِ الْأُسْطُورَةِ، وَهُوَ يَسْتَلْهِمُ مَضْمُونِ الْأُسْطُورَةِ وَيُحَوِّلُهَا إِلَى بِنْيَةٍ فَاعِلَةٍ دَاخِلِ بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ غَيْرِ شَادَّةٍ أَوْ مُنَاقِضَةٍ لِلرُّؤْيِيَّةِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْهَا، فَهُوَ يُوظِّفُ الرَّمْزَ الْأُسْطُورِيَّ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ تَجْرِبَةٍ مُعَاصِرَةٍ، تَقْرَأُ الْقَصِيدَةَ فَإِذَا هِيَ أُسْطُورَةٌ تَتَّخِذُ لَهَا مَضْمُونًا جَدِيدًا يَقْرِضُهُ السِّيَاقُ الْعَامُّ، وَتُعْبَرُ عَنْ تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ الَّذِي يَقْمَمُ الشَّخْصِيَّةَ أَوْ يَتَنَاوَلُ الْحَدَثَ لِيُعْبَرَ مِنْ خِلَالِهِمَا أَوْ مِنْ خِلَالِ أَحَدِهِمَا تَعْبِيرًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ عَنْ إِحْسَاسَاتِهِ، وَيُحَاكِي الشَّاعِرُ الْفِعْلَ الْأُسْطُورِيَّ لَا مَاضِيَهُ، وَلِذَلِكَ تَخْرُجُ

(1) عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، ص: 179.

(2) إمام عبد الفتاح إمام: معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د، ت)، مج: 3، ص: 127.

(3) شربل داغر: الشَّعْرِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ الْحَدِيثَةُ، ص: 166.

(4) المرجع نفسه، ص: 166.

الأسطورة عَلَى كَوْنِهَا تَارِيحًا". (1) وَضَمَّنَ هَذَا السِّيَاقِ النَّصِّيَّ يَسْتَعْدِمُ الرَّبَاوِي النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ مِنْ خِلَالِ الْعِبَارَةِ (الرِّيَاحُ اللَّوَّاحُ) الَّتِي تُحِيلُ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ (2): ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾، وَهِيَ الرِّيَّاحُ الْمُنْتَجَةُ الْمُخْصَبَةُ الَّتِي تَبْعَتْ الْحَيَاةَ وَالتَّجَدُّدَ فِي الْأَرْضِ بِحَلْبِ الْمَاءِ وَبِتَلْقِيحِ الشَّجَرِ، وَهِيَ عَكْسُ الرِّيحِ الْعَقِيمِ الْمُحْدَبَةِ الْمُدْمَرَةِ، فَدِلَالَةُ الْمُتَفَاعِلِ النَّصِّيِّ إِبْجَائِيَّةٌ مُنْسَجِمَةٌ مَعَ الْمُتَفَاعِلِ النَّصِّيِّ الْأَوَّلِ الَّذِي يَبْدُو أُسْطُورِيًّا خُرَافِيًّا. وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّنَاصِيحِ أَنَّ الْأَوَّلَ غَيْرُ مُبَاشِرٍ مُسْتَنْبِطٌ مِنَ النَّصِّ وَقَائِمٌ عَلَى تَنَاصُفِ الْفِكْرَةِ أَوْ الْمَعْنَى بَعِيدًا عَنِ اللَّفْظِ الْمُبَاشِرِ الدَّلَالِ، وَالثَّانِي مُبَاشِرٌ مَجْزُوءٌ وَمُحَوَّرٌ اِكْتَفَى فِيهِ بِجُزْءٍ مِنَ النَّصِّ السَّابِقِ، وَفِي كِلَيْهِمَا تَعْبِيرٌ عَنِ رَغْبَةِ الشَّاعِرِ فِي الْإِنْطِلَاقِ وَالْإِنْبِعَاطِ مِنْ جَدِيدٍ لِلثَّوْرَةِ وَالتَّغْيِيرِ.

فَالْتَنَاصُ كَظَاهِرَةٍ فِي شِعْرِ الرَّبَاوِي كَمَا كَشَفَتْ مُقَابَرَةُ النَّصِّ يَتَعَدَّى كَوْنُهُ مُجَرَّدَ حُضُورٍ لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ التُّصُوصِ يَتَوَخَّى مِنْهَا اخْتِبَارَ الْمَحْفُوظَاتِ الْأَدْبِيَّةِ وَغَيْرِهَا إِلَى كَوْنِهِ آليَّةً مِنْ آلياتِ تَعْمِيقِ التَّجْرِبَةِ وَتَغْدِيَّتِهَا وَإِغْنَائِهَا بِالذَّلَالَاتِ. (3)

## 1-2- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (فَصَلْ مِنْ كِتَابِ الشَّدَّةِ) لِلرَّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

يَكْشِفُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (فَصَلْ مِنْ كِتَابِ الشَّدَّةِ) عَنِ الْعَلَقَاتِ الدَّلَالِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ بَيْنَ التُّصُوصِ الْمُتَدَاخِلَةِ فِي النَّصِّ الرَّاهِنِ مِمَّا يَجْعَلُ الْمَدْلُولَ الشَّعْرِيَّ فِيهَا يُحِيلُ إِلَى مَدْلُولَاتٍ خَطَائِيَّةٍ مُعَايِرَةٍ، بِشَكْلِ يُمَكِّنُ مَعَهُ قِرَاءَةَ خَطَابَاتٍ عَدِيدَةٍ دَاخِلِ الْقَوْلِ الشَّعْرِيِّ، هَكَذَا يَتِمُّ خَلْقُ فِضَاءٍ نَصِّيٍّ مُتَعَدِّدٍ حَوْلَ الْمَدْلُولِ الشَّعْرِيِّ، تَكُونُ عَنَاصِرُهُ قَابِلَةً لِلتَّطْبِيقِ فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْمَلْمُوسِ، هَذَا الْفِضَاءُ النَّصِّيُّ سُنْسَمِيَّةٌ فَضَاءٌ مُتَدَاخِلًا نَصِيًّا". (4) وَالْمَدْلُولُ الشَّعْرِيُّ أَوْ الدَّلَالَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي هَذَا الْفِضَاءِ الْمُتَعَدِّدِ لَا تُنْجِزُ فِي إِطَارِ لِسَانٍ مُعَيَّنٍ أَوْ (سَنَنِ مُحَدَّدَةٍ) وَإِنَّمَا هِيَ حَصِيلَةٌ تَقَاطِعُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الشَّفَرَاتِ فَلَا يُمَكِّنُ اعْتِبَارُ الْمَدْلُولِ الشَّعْرِيِّ نَابِعًا مِنْ سَنَنِ مُحَدَّدٍ، إِنَّهُ مَجَالٌ لِتَقَاطِعِ عَدَّةِ شَفَرَاتٍ (عَلَى الْأَقْلِ اثْنَيْنِ) تَجِدُ نَفْسَهَا فِي عِلَاقَةٍ مُتَبَادَلَةٍ". (5) وَفِي هَذَا الْفِضَاءِ الْمُتَدَاخِلِ نَصِيًّا يَتَجَلَّى الْمُسْتَوَى الْكَمِّيُّ مِنَ التَّفَاعُلَاتِ النَّصِّيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّذِي يَتَّخِذُ أَشْكَالًا تَنَاصِيَّةً مُتَنَوِّعَةً تَتَوَزَّعُ عَلَى النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَالشَّعْرِيِّ كَمَا يَتَجَلَّى فِي قَصِيدَةِ (فَصَلْ مِنْ كِتَابِ الشَّدَّةِ)، يَقُولُ الرَّبَاوِيُّ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْهَا (6):

لَقَدْ سَحَمْتَ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي عَبْرَةً،  
وَحَقَّقَ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَيَّ صَحْبِي

(1) خليل الموسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، ص: 112.

(2) سورة الحجر، الآية: 22.

(3) حسني المختار: (التنصيص قراءة في "العيد") مجلة المشكاة، المغرب، ع: 18، س: 5، 1994/1414، ص: 26.

(4) جوليا كريستيفا: علم النص، ص: 78.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) محمد علي الرباوي: الولد المرء، ص: 25.

.....  
وُقُوفًا بَعَارِ حِرَاءِ الْمُعَذَّبِ - صَحْبِي - لَعَلَّ بِهِ  
أَثْرًا لِلْأَحِبَّةِ.

هُمُو دَخَلُوا، رَكَعُوا رَكَعَتَيْنِ، وَفِي السَّجْنِ  
أَنَّهُمُو تَشَهُدُهُو، ثُمَّ قَالُوا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ السَّلَامَ  
مَلَائِكَةٌ تَلَالُأُ بَيْنَ شِفَاهِهِمُو سُورَةَ الْفَتْحِ، إِنَّا فَتَحْنَا  
طَرِيقًا إِلَى الْفَجْرِ بِالرَّاحِلِينَ مَعَ الْفَجْرِ، لَا تَعْجَبُوا  
أَنْ سَمِعْتُمْ زَغَارِيدَ أُمِّي، فَأُمِّي قَدْ أَلْفَتْ اخْتِطَافَ بَنِيهَا،  
وَلَكِنْ نُصِرْتُ عَلَى أَنْ تَظَلَّ وَكُودًا.

يَزْخَرُ الْمَقْطَعُ بِإِشَارَاتٍ تَرِيَّةٍ إِلَى نُصُوصٍ سَابِقَةٍ مُخْتَلِفَةِ الْمَصَادِرِ تُشَكِّلُ فِضَاءً مُتَدَاخِلًا نَصِيًّا، يَتَقَدَّمُهَا الْمُتَفَاعِلُ  
الشَّعْرِيُّ فَالْمُفْرَدَاتُ اللُّغَوِيَّةُ (وُقُوفًا، صَحْبِي...) تَسْتَحْضِرُ مَشْهَدَ الْوُقُوفِ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالذَّبَابِ وَالْمَنَازِلِ الَّتِي لَهَا  
مَكَانَتُهَا الْخَاصَّةُ فِي النَّفْسِ وَوَقْعُهَا الْمُمَيِّزُ فِي ذَاكِرَةِ الشَّاعِرِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ، فَهُوَ تَقْلِيدٌ أَشْبَهُ بِالطَّقْسِ عِنْدَهُ،  
وَقَدْ تَوَاتَرَتْ هَذِهِ الْمُفْرَدَاتُ فِي نُصُوصٍ لَا تُحْصَى، بَدَأَ مِنْ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الَّذِي يَسْتَوْقِفُ صَحْبَهُ فِي مُعَلَّقَتِهِ أَوْ  
قَبْلَهُ، وَالنَّصُّ الْمُتَفَاعِلُ هُنَا وَالْأَقْرَبُ فِي هَذَا السِّيَاقِ هُوَ مَطْلَعُ مُعَلَّقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، فَقَدْ ضَمَّنَ الرَّبَاوِيُّ مَتْنَهُ كَثِيرًا  
مِنْ نُصُوصِهِ مِنْ خِلَالِ التَّنَاصُّ الْجُزْئِيِّ الْمُحَوَّرِ، وَهُوَ نَصُّ مَطْلَعِ الْمُعَلَّقَةِ يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَحْمَلُ  
يَسْتَوْقِفُ الرَّبَاوِيُّ صَحْبَهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَصْدَرِ (وُقُوفًا) الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ إِطَالَةَ الْوُقُوفِ بِـ (حِرَاءِ) يَتَنَسَّمُ  
أَثْرَ أَحَبَّتِهِ الَّذِي يَتَضَوَّعُ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْخَالِدِ مَهْبُطِ الْوَحْيِ وَالْإِيمَانِ، وَقَدْ يَكُونُ (حِرَاءِ) الْمَسْجِدِ الَّذِي عَهْدَ فِيهِ  
الشَّاعِرُ لِقَاءَ الْأَحِبَّةِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا وَتُشْتَّتْ شَمْلُهُمُ الْحَادِنَاتُ. وَيَتَحَسَّدُ الْمُتَفَاعِلُ النَّصِيَّ الشَّعْرِيُّ الثَّانِي فِي بَيْتِ  
حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ:

لَقَدْ سَفَحَتْ مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكَ عَبْرَةً وَحُقَّ لِعَيْنِي أَنْ تُفِيضَ عَلَى سَعْدِ  
فَقَدْ حَذَفَ مُفْرَدَاتٍ وَأَضَافَ مَكَانَهَا أُخْرَى، فَعِوَضًا عَنْ (سَفَحَتْ) وَضَعَ الْفِعْلَ (سَجَمَتْ) وَعِوَضًا عَنْ  
الْعَلَمِ (سَعْدِ) وَضَعَ (صَحْبِي)، وَدُونَ أَنْ يُعَيَّرَ فِي وَظِيفَتِهَا النَّحْوِيَّةِ أَوْ يُعَيَّرَ فِي إِيقَاعِ الْبَيْتِ، وَيَعُدُّ هَذَا التَّنَاصُّ تَنَاصًّا  
تَامًا مُحَوَّرًا، فَالشَّاعِرُ يَتَصَرَّفُ فِي بِنْيَةِ الْبَيْتِ تَصَرُّفًا مُحَدِّودًا لَا يُلْغِي مَعَالِمَهَا وَلَا يَطْمِسُ مَلَامِحَهَا.

(1) امرؤ القيس: الديوان، ص: 31.

وَيُحِيلُ الْمَقْطَعُ إِلَى النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي اسْتَدْعَاهُ الشَّاعِرُ عَنْ طَرِيقِ ذِكْرِ اسْمِ السُّورَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَهُوَ نَصُّ سُورَةِ الْفَتْحِ وَذَكَرَ مَلْفُوظٍ مِنْ مَلْفُوظَاتِهَا، هُوَ قَوْلُهُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ<sup>(1)</sup>: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (1) لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا (3) وَيُزِيحُ الشَّاعِرُ بَعْضَ عَنَاصِرِ الْبِنْيَةِ السَّابِقَةِ لِجَلِّ مَكَانِهَا عَنَاصِرُ أُخْرَى، فَتَأْخُذُ بَعْدَ تَحْوِيرِهَا الشَّكْلَ الْآتِي (إِنَّا فَتَحْنَا طَرِيقًا إِلَى الْفَجْرِ بِالرَّاحِلِينَ مَعَ الْفَجْرِ)، إِنَّهُ بِهِذَا التَّحْوِيرِ يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِ الْآيَةِ وَيَبْحَثُ عَنْ مَبْنَى أَكْثَرِ إِجَاءٍ بِالْمَعْنَى، إِنَّ النَّصَّ بِهِذَا التَّنَوُّعِ التَّنَاصِي، شَكْلًا وَمَصْدَرًا، يُدُلُّ عَلَى طَبِيعَةِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ فِي تَوَاصُلِهِ مَعَ التَّرَاثِ حَيْثُ يَصِيرُ هَذَا التَّوَاصُلُ مِنْ خِلَالِ الْأَدَاةِ التَّنَاصِيَّةِ سِمَةً مُلَازِمَةً لَهُ، فَهُوَ نَصٌّ يَنْفَتِحُ عَلَى الْآخِرِ وَلَا يَقْطَعُ صِلَتَهُ بِمَاضِيهِ، وَيُفَعِّلُ التَّرَاثَ بِمُخْتَلَفِ جَوَانِبِهِ فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ وَالْأَدَبِيِّ وَالثَّقَافِيِّ الْمُعَاصِرِ، وَيَمْنَحُهُ الْحَرَكَةَ وَالْحَيَوِيَّةَ بِقَدْرِ مَا يَكْتَسِبُهُمَا مِنْهُ.

يَنْفَتِحُ الْمَقْطَعُ الثَّانِي مِنَ الْفَصِيدَةِ عَلَى الْعَوَالِمِ الشَّعْرِيَّةِ التَّرَاثِيَّةِ بِمَا يَتَكَيُّ عَلَيْهِ مِنْ إِشَارَاتٍ نَصِيَّةٍ وَمُفْرَدَاتٍ لُغَوِيَّةٍ تَضْرِبُ، عَمُودِيًّا، بِعَلَاقَاتٍ فِي عَمَقِ التَّرَاثِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ وَتَتَجَاوَرُ، أُفْقِيًّا، مَعَ مُفْرَدَاتِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ الرَّاهِنَةِ الْمَشْحُونَةِ، أَنْفَعَالًا وَإِجَاءً، بِالْمِ الْعَتَابِ وَالتَّأْنِيبِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

نَبَيْتٌ عَلَى مَعَارِي فَاحِرَاتٍ  
 بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمُ الْعِبَاطِ،  
 وَهُمْ يَقْضُونَ لَيْلَتَهُمْ بِقَبْوِ  
 عَلَى جَمْرِ الْعَضَا، وَعَلَى السِّيَاطِ،  
 أَلْفَنَّا الدَّفَاءَ فِي هَذَا الْفِرَاشِ  
 وَنَحْنُ أَحْسَادٌ مُغْطَاةٌ بِأَشْجَارِ النَّمِاطِ،  
 كَأَنَّا نَحْنُ لَنْ نُدْعَى إِلَى الْجَلِيِّ  
 كَأَنَّ ثِيَابَنَا الْبَيْضَاءَ لَنْ تَنْدَى،  
 وَنَحْنُ نَحْوُضُ أَمْوَاجِ الْبِحَارِ الْمَوْجِ،  
 يَا نَفْسِي الرَّقِيقَةَ خَلَّصِينِي مِنْ سَكَكِينِي،  
 خُذِينِي، ثُمَّ رُشِّنِي بِأَحْلَامِ الرِّيَاحِينِ،  
 خُذِينِي زَلْزَلِي ذَاتِي بِآيَاتِ مِنَ الْأَنْفَعَالِ وَالرَّعْدِ،  
 دَعِي لَهَبَ الثَّلُوجِ يَحُطُّ فِي حَسَدِي،  
 لَعَلَّ الثَّلْجَ يَحْمِينِي

(1) سورة الفتح، الآيات: 1، 2، و3.

(2) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 27.

إِذَا ضَيْفًا نَزَلْتُ عَلَى صَحَابَتِي الْمَسَاكِينِ.

فَمِنْ خِلَالِ التَّنَاصُّ الْقَائِمِ عَلَى شَكْلِ الْإِسْتِشْهَادِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يُسْهِمُ فِي إِتْجَاحِ دَلَالَةِ جَدِيدَةٍ تَبْتَنِقُ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَتَنْزَاحُ عَنْهُ فِي الْآنِ نَفْسِهِ بَعْدَمَا التَّحَمَّتْ بِنَيْبَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَبَيَّتُ الْمُنْتَخِلَ الَّذِي يَتَنَاصُّ مَعَ الْقَصِيدَةِ<sup>(1)</sup>:

أَبَيْتُ عَلَى مَعَارِي فَاحِرَاتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ الْعِبَاطِ  
يُنْجِزُ الْمُفَارِقَةَ مِنْ حَيْثُ دَلَّلتُهُ عَلَى التَّرْفِ وَالرَّخَاءِ فِي مُقَابِلِ النَّصِّ الَّذِي زَرَعَ فِيهِ، وَهُوَ بِرُمَّتِهِ لَوْمٌ وَعِتَابٌ  
وَعَنِيفٌ يُوَجِّهُهُ الشَّاعِرُ إِلَى نَفْسِهِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَى الرَّاحَةِ وَالذَّفْعِ، وَلَا تَعْبَأُ بِمَنْ بَيَّيْتُ فِي قَبْوِ عَلَى الْجَمْرِ وَالسِّيَاطِ،  
وَقَدْ حَوَّرَ الشَّاعِرُ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ الْمُسْتَشْهَدِ بِهِ تَحْوِيرًا لَا يَسِيرًا لَا يَضُرُّ بِنْيَتَهُ التَّرَكِيبِيَّةَ أَوْ الدَّلَالِيَّةَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ وَإِنْ كَانَ  
يَحْمِلُ بَعْضَ الْمَعَانِي الْإِضَافِيَّةِ النَّاتِجَةِ عَنْ ذَلِكَ التَّحْوِيرِ، فَقَدْ نَقَلَ الشَّاعِرُ (أَبَيْتُ) فِي نَصِّ الْمُنْتَخِلِ إِلَى (بَيَّيْتُ)، وَحَرْفُ  
الْمُضَارَعَةِ (أ) يُشَخِّصُ الْفَرْدَ الْمُتَكَلِّمَ، وَحَرْفُ الْمُضَارَعَةِ (ن) يُشَخِّصُ الْجَمَاعَةَ الْمُتَكَلِّمَةَ، فَقَدْ اسْتَجَابَ جَمِيعُ الْأُمَّةِ إِلَى  
اللَّهُوِ وَالذَّعَةِ وَاسْتَكَانُوا إِلَى الْمَنَاعِ الرَّائِلِ وَتَرَكُوا ثَلَّةً مِنْهُمْ تَدْفَعُ ثَمَنَ لَهْوِهِمْ وَعَبَثِهِمْ وَتَفَاعَسِهِمْ. وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا  
الشَّكْلَ مِنَ التَّفَاعُلِ يَدْعُمُ مَبْدَأَ الْاجْتِرَارِ الَّذِي يُفْقَدُ النَّصَّ الْعَائِبَ حَيَوِيَّتَهُ مِنْ خِلَالِ التَّنْظَرَةِ إِلَيْهِ بَوَعِي سُكُونِيٌّ  
يَجْعَلُهُ إِبْدَاعًا مُنْتَهِيًّا وَيُمَجِّدُ أَوْ يُقَدِّسُ فِيهِ شَكْلَةَ الثَّابِتِ.

يُوظَّفُ الرِّبَاوِي نُصُوصَهُ الْعَائِبَةَ فِي سِيَاقَاتٍ مُلَائِمَةٍ بَوَعِيٍّ لُغَوِيٍّ وَحَمَالِيٍّ وَإِيقَاعِيٍّ مُعَبِّرٍ عَنْ مَسَارِ  
وِخْصُوصِيَّةِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَمْتَحُ مِنَ الْمَاضِي الْمَتَأَلِّقِ لُغَوِيًّا وَفَكْرِيًّا وَحَضَارِيًّا وَإِنْسَانِيًّا وَتَسْتَوْعِبُ الْحَاضِرَ  
الْمُتَرَدِّيَّ عَلَى كُلِّ الْمُسْتَوِيَّاتِ، فَوَعِيُّ الْمَاضِي بِكُلِّ أَعْبَادِهِ شَرْطُ تَعْيِيرِ الْحَاضِرِ وَبِنَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَتَفَاعَلُ الْقَصِيدَةُ مَعَ  
النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي الْمَقْطَعِ السَّابِقِ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَسُورَتِي (الْأَنْفَالِ) وَ(الرَّعْدِ)، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ  
يَسْتَحْضِرَ دَلَالَاتِ بَعْضِ الْآيَاتِ فِي هَذِهِ السُّورِ لِتَعْضُدَ دَلَالَةَ السِّيَاقِ الْحَالِيِّ الَّذِي يَسْتَشْعِرُ فِيهِ اللُّومَ وَالْعِتَابَ وَهُوَ  
قَاعِدٌ فِي دَارِهِ وَإِخْوَانُهُ يَكْتُونُونَ بِحَمْرِ الْعَضَا وَلَهَيْبِ السِّيَاطِ.

### 1-3- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (سَبُو... مُمَزَّقٌ قَمِيصُهُ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

إِنَّ النَّصَّ الْمُنْدَاحِلَ هُوَ نَصٌّ يَتَسَرَّبُ إِلَى دَاخِلِ نَصٍّ آخَرَ، لِيُجَسِّدَ الْمَدْلُولَاتِ، سَوَاءً وَعَى الْكَاتِبُ بِذَلِكَ أَوْ لَمْ  
يَع. <sup>(2)</sup> وَهَذِهِ النُّصُوصُ الْمُنْدَاحِلَةُ هِيَ الَّتِي تَصْنَعُ النَّصَّ الَّذِي يَتَأَلَّفُ مِنْ نُّصُوصٍ مُتَضَافِيَّةٍ التَّعَاقُبِ عَلَى الذَّهْنِ،  
مُنْسَجَبَةٍ مِنْ تَقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَمُنْدَاحِلَةٍ فِي عِلَاقَاتٍ مُتَشَابِكَةٍ مِنَ الْمَحَاوِرَةِ وَالتَّعَارُضِ وَالتَّنَافُسِ. <sup>(3)</sup> وَكَذَلِكَ صِفَةُ  
قَصِيدَةِ (سَبُو سَيِّدِ الْعُشَاقِ) الَّتِي يَبْدُو بِمَظْهَرِ النَّصِّ الْفُسَيْفَسَائِيِّ الَّذِي تَحْتَمِعُ فِي فَضَائِهِ نُّصُوصٌ مُخْتَلِفَةٌ دِينِيَّةٌ وَشَعْرِيَّةٌ  
مُتَفَاعِلَةٌ ذَاتُ إِجْمَاعَاتٍ صُوفِيَّةٍ أَوْ مُسْتَدْعَاةٌ لِإِتَارَةِ هَذِهِ الْإِجْمَاعَاتِ. يَبْدَأُ الرِّبَاوِيُّ نَصَّهُ بِنَيْبَةٍ تَرَكِيبِيَّةٍ اسْمِيَّةٍ

(1) الزمخشري: أساس البلاغة، ص: 574.

(2) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص: 321.

(3) المرجع نفسه، ص: 323.

سبو...مَمَزَقَ قَمِيصَهُ تُوحِي بِسُكُونِ النَّصِّ وَأَعْدَامِ حَرَكَتِهِ حِينَ يَتِمُّ الْوَصْفُ بِهَا مِمَّا يَتَنَافَى وَدَلَالَةَ  
سَبْوِ النَّهْرِ الْعَاشِقِ السَّارِي لَوْلَا الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِيهَا بِمُسْنَدٍ مُشْتَقٍّ يَحْمِلُ حَرَكَتَهُ فَعَلَهُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي  
مُسْتَهْلَهَا(1):

سبو...مَمَزَقَ قَمِيصَهُ

مَا بَيْنَ فَاسٍ وَالْقَنْيِطْرَةَ.

.....

رَأَيْتُهُ فِي سَاحَةِ أَفْلُورِنَسَا

شَابًّا لَعَيْنِهِ اسْتَعَارَ زُرْقَةَ السَّمَاءِ،

وَرَشَّ بَلُورَ الشَّدَا عَلَى شَجِيرَاتِ مُحْيَاهِ الصُّوْحِ،

سبو...هُوَ الْآنَ قَتِيلُ الْأَعْيُنِ الثُّجَلِ،

لِفَاسٍ كُلُّ هَذِهِ الْعُيُونِ الْفَاتِنَاتِ الْقَاتِلَاتِ الْمُحْيِيَّاتِ،

طُوبَى لَهَا، فَسَيِّدُ الْعُشَّاقِ مَنْ قَتَلَهَا،

لِحُبِّهَا عَلَى سَبْوِ نَهْيٍ وَأَمْرٍ،

طُوبَى لَهَا، فَسَيِّدُ الْأَنْهَارِ قَدْ ذَاعَ لَهُ سِرُّ،

لَكِنَّهَا مَعْشُوقَةٌ تَغْلِقُ بَوَابَ عَيْنَيْهَا الْكَبِيرَتَيْنِ

دُونَ عَاشِقِيهَا، وَهُمُوكُثُرٌ.

مِنْ خِلَالِ مَوْضُوعَةِ الْعَشِقِ يَتَدَاخَلُ النَّصَانُ فِي مَقْطَعٍ يَمْتَزِجُ فِيهِ الْوَصْفُ بِالسَّرْدِ لِتَوَطُّئَةِ الْفَضَاءِ النَّصِيِّ  
لِلتَّفَاعُلَاتِ الْمُمَكِّنَةِ بَيْنَ نَصِّ الْمُتَنَبِّيِّ وَنَصِّ الرَّبَاوِيِّ حَيْثُ تُسْنَدُ الْفَاعِلِيَّةُ الْمَزْدَوَجَةُ مِنْ خِلَالِ ثَنَائِيَّةِ (الإماتة/الإحياء)  
لِلْأَعْيُنِ الثُّجَلِ الْمَوْصُوفَةِ بِـ(الْفَاتِنَاتِ الْقَاتِلَاتِ الْمُحْيِيَّاتِ)، وَيُمَسِّي (سبو) سَيِّدَ الْعُشَّاقِ قَتِيلَ فِتْنَتِهَا، هَذَا الْوَصْفُ الَّذِي  
يَرْتَدُّ بِالذَّاكِرَةِ إِلَى مَا تَرَسَّبَ فِيهَا مِنْ مَحْفُوظٍ قَدِيمٍ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ مِمَّا يَكْشِفُ عَنْ تَفَاعُلِ نَصِيٍّ وَاضِحٍ وَإِنْ  
كَانَ بِصُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ مُحَوَّرَةٍ مَعَ النَّصِّ الْمُتَنَاصِّ أَوْ الْعَائِبِ الْمُتَمَثِّلِ فِي قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ (2):

بِأَبِي الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا      اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِيَا

الْمَنْهَبَاتُ قُلُوبَنَا وَعَقُولُنَا      وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا

النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيِيَا      تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَابَا

وَقَدْ اكْتَفَى الرَّبَاوِيُّ مِنَ الْقَوْلِ بِشَطْرِ مَنْ الْبَيْتِ مَعَ اسْتِبْدَالِ كَلِمَةِ (النَّاعِمَاتِ) فِي نَصِّ الْمُتَنَبِّيِّ بِـ(الْفَاتِنَاتِ) فِي  
نَصِّهِ وَكِلَاهُمَا مِنَ الصَّيْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ نَفْسَهَا وَلَا يُصِيبُ الْإِيقَاعُ أَيُّ كَسْرٍ بِهِذَا الْاسْتِبْدَالِ، وَيَقُومُ النَّصُّ الْمُسْتَحْضَرُ

(1) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 28.

(2) أبو الطيب المتنبّي: الديوان، مج: 1، ج: 1، ص: 122-123.

بَسَحِبِ دِلَالَةِ السِّيَاقِ الْقَدِيمِ الدَّالِ عَلَى التَّيِّهِ وَالذُّهُولِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْعِشْقِ مِنْ حَالَاتٍ إِلَى السِّيَاقِ الْجَدِيدِ لِنُجْبَرِ عَنْ رُؤْيَةِ الشَّاعِرِ إِلَى (النَّهْرِ) الْعَاشِقِ الدَّاهِلِ النَّائِهِ، وَقَدْ نَهَبَ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ عَلَى عَادَةِ غِيَابِ الْمُتَصَوِّفِ وَشُرُودِهِ وَأَنْصَرَفَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى مَحْبُوبِهِ، أَوْ عَلَى عَادَةِ الشُّعْرَاءِ الْمَجَانِينِ فِي ثُرَاتِنَا الشُّعْرِيِّ. وَقَدْ يَنْفَتَحُ الْفَضَاءُ الْمُتَدَاخِلُ عَلَى نَصٍّ آخَرَ خَاضَ فِي تَجْرِبَةٍ شِعْرِيَّةٍ ذَاتِيَّةٍ مُمَاتَلَّةٍ، هُوَ نَصُّ أَبِي فِرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ الَّذِي يُمَثِّلُ نَصًّا غَائِبًا نُومِيٌّ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمَلْفُوظَاتِ، يَقُولُ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيُّ (1):

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتِكَ الصَّبْرُ      أَمَا لِلهُوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ؟  
بَلَى أَنَا مُشْتَاقٌ، وَعِنْدِي لَوْعَةٌ      وَلَكِنَّ مِثْلِي لَا يُدَاعُ لَهُ سِرٌّ  
تُسَائِلُنِي مَنْ أَنْتَ وَهِيَ عَلِيمَةٌ      وَهَلْ بَفَيْتَ مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرٌ  
فَقَلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهُوَى      قَتِيلُكَ قَالَتْ أَيُّهُمْ فَهْمٌ كَثُرٌ

يَحْدُثُ التَّنَاصُّ وَيَسْرَبُ نَصُّ أَبِي فِرَاسٍ إِلَى نَصِّ الرَّبَاوِيِّ عَنْ طَرِيقِ مَوْضُوعَةِ (العِشْقِ) أَوْ (الهُوَى) الَّذِي أَوْدَى بِحَيَاةِ (النَّهْرِ)، فَهُوَ مِنْ قَتَلَى الْحُبِّ الْإِلَهِيِّ الَّذِي صَارَ لَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَى الْعَاشِقِ، فَقَدْ تَحَرَّرَ (الهُوَى) مِنْ بُعْدِهِ الْمَادِيَّ الْجَسَدِيِّ الصَّرْفِ إِلَى الْهُوَى الرُّوحِيِّ الَّذِي يَسْتَمِدُّ طَاقَتَهُ مِنْ مَدَدِ فَيْضِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيَتَّخِذُ التَّنَاصُّ عِلَاقَةَ النَّفْيِ فِي نَصِّ أَبِي فِرَاسٍ لَيْسَ لِلهُوَى نَهْيٌ وَلَا أَمْرٌ عَلَى (العِشْقِ)، وَهُوَ صَاحِبُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ فِي نَصِّ الرَّبَاوِيِّ، يَشْتَرِكُ النَّصَّانِ فِي ظَاهِرِ (المَوْضُوعَةِ) مِمَّا يَجْعَلُ الشَّاعِرَ يَسْتَدْعِي النَّصَّ السَّابِقَ وَيُفَكِّكُهُ مُمْتَصًّا لِمَعْنَاهُ وَمُنْتَجِحًا لِلدَّلَالَةِ شِعْرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ تَسْجِمُ مَعَ اتِّجَاهِ السِّيَاقِ. وَالشَّاعِرُ مِنْ حِلَالِ تَصْرُفِهِ فِي بِنْيَةِ التَّنَاصُّ يُحَوِّرُ جُزْئِيًّا فِي النَّصِّ وَيُوزَعُ شَيْئًا مِنْ عَنَاصِرِهِ فِي نَصِّهِ الْجَدِيدِ عَلَى أَسَاسِ عِلَاقَةِ النَّفْيِ وَالِاخْتِلَافِ فَـ (لِحَبِّهَا عَلَى سَبْوِ نَهْيٍ وَأَمْرٍ/طُوبَى لَهَا، فَسَيِّدُ الْأَنْهَارِ قَدْ ذَاعَ لَهُ سِرٌّ وَعَلَى أَسَاسِ التَّوَكِيدِ وَالتَّشَابُهِ (طُوبَى لَهَا، فَسَيِّدُ الْعُشَاقِ مِنْ قَتَلَاهَا/لَكِنَّهَا مَعْشُوقَةٌ تَعْلُقُ بَوَابَةَ عَيْنَيْهَا الْكَبِيرَتَيْنِ/دُونَ عَاشِقِيهَا، وَهُمُ كَثُرُ)، وَلِلتَّشْخِيصِ الَّذِي نَقُومُ عَلَيْهِ صُورَةُ النَّهْرِ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بِالتَّنَاصُّاتِ النَّصِيَّةِ فَهُوَ بِدَوْرِهِ يَذْهَبُ بِنَا بَعِيدًا فِي عَوَالِمِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَمَا يَبْدُرُ مِنْهُ مِنْ شَطْحَاتِ.

إِنَّ التَّوْظِيفَ الْمُتَمَيِّزَ لِلنُّصُوصِ الْمُتَدَاخِلَةِ فِي النَّصِّ الْجَدِيدِ يُمَكِّنُهَا مِنَ الْإِسْهَامِ فِي "خَلْقِ مُعَادِلِ مَوْضُوعِيٍّ، أَيْ فِي خَلْقِ عَالَمٍ فَنِّيٍّ مُوَازٍ لِلوَاقِعِ، صِلَتُهُ بِمَوْضُوعِهِ صِلَةُ الرَّمْزِ، وَيُضْفِي عَلَى التَّجْرِبَةِ تَمَاسُكًا وَيُضِيفُ إِلَيْهَا أَبْعَادًا دَرَامِيَّةً". (2) وَقَدْ مَهَّدَ سِيَاقُ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ لِلنَّصِّ بِأَنْ يَتَمَاسَّ مَعَ نُصُوصٍ أُخْرَى يَسْتَدْعِيهَا الشَّاعِرُ مِنَ الْمَاضِي، وَبِوَسْطَةِ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ الثَّرَائِيَّةِ السَّرِيَّةِ وَالشُّعْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ يَبْنِي صُورَةَ جَدِيدَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنْ تَجْرِبَةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْمَقْطَعِ السَّادِسِ مِنَ الْقَصِيدَةِ نَفْسَهَا يَقُولُ الشَّاعِرُ (3):

(1) أبو فراس الحمداني: الديوان، شر وتو: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 5، 2003م - 1424هـ، ص: 64.

(2) عمر عبد الواحد: دوائر التناس، ص: 58.

(3) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 33.

يَا رَاحِلًا سَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا، فَوَاحِدًا،  
سَلِّمْ عَلَى الَّذِينَ بَاتُوا بِالْمُحِيطِ هُجْدًا،  
سَلِّمْ عَلَى الَّذِينَ مَزَقُوا هُنَاكَ رُكْعًا، سَجْدًا،  
هُمْ نَفَرُوا فِي الْحَرِّ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ،  
وَحِينَمَا تَرَاقَصَتْ فِي حِينَا عَرَائِسُ الظُّلَالِ،  
وَنَحْنُ دَائِمًا إِلَى لَهِيْبِهَا صُعْرُ.

هُمْ نَفَرُوا، وَالظَّمَا الْقِتَالُ يَسْتَوِطُنُهُمْ، وَالْجُوعُ، وَالْفَقْرُ.  
هُمْ نَفَرُوا فِي زَمَنِ الْعُسْرَةِ، أَعْطُوا نَاضِحًا  
فَارْتَحَلُوهُ، اتَّخَذُوا الرِّصَاصَ زَادًا لَهُمُ  
وَعِنْدَ إِشْرَاقِ الدُّجَى قَدْ خَرَجُوا:

يَا حَبْدَا الْجَنَّةِ وَأَقْتِرَابُهَا،  
طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا.

يَسْتَلْهُمُ الشَّاعِرُ نَصًّا مِنَ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَيُعِيدُ قِرَاءَتَهُ مُحَوَّلًا لِتِلْكَ التَّجْرِبَةِ الْجَمَاعِيَّةِ إِلَى تَجْرِبَةٍ خَاصَّةٍ تَرْتَبِطُ  
بِجَمَاعَةٍ مُعَيَّنَةٍ نَفَرَتْ فِي زَمَنِ الْعُسْرَةِ وَاتَّخَذَتْ الرِّصَاصَ زَادًا، بَيْنَمَا تَخَلَّفَ غَيْرُهَا وَرَكَنَ إِلَى الرَّاحَةِ وَالظِّلِّ، وَقَدْ  
وَجَدَتْ تِلْكَ النُّصُوصُ مَنْفَذَهَا عَبْرَ مَوْضُوعَةِ (التَّفْيِينِ) الْمُؤَكَّدَةِ بِالْبَيِّنَةِ التَّكْرَارِيَّةِ (هُمْ نَفَرُوا...)، الَّتِي تُشِيرُ إِلَى زِيَادَةِ  
الْإِنْفِعَالِ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الْخَاصَّةِ، وَهِيَ بِنِيَّةٍ نَحْوِيَّةٍ تُتَّاسَسُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِالضَّمِيرِ وَالْإِحْبَارِ عَنْهُ بِجُمْلَةٍ  
فِعْلِيَّةٍ مَاضِيَّةٍ، وَإِذَا كَانَتْ بَعْضُ الْمَلْفُوظَاتِ فِي النَّصِّ تَتَجَاوَزُ نَصَّ السِّيَرَةِ إِلَى النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ وَجَدَ  
فِي النُّصُوصِ السَّابِقَةِ مَلَامِحَ دَلَالِيَّةٍ تَنْطَبِقُ عَلَى التَّجْرِبَةِ الْمَعَاصِرَةِ فِي فِي نَصِّهِ اللَّاحِقِ.  
وَيَتَضَمَّنُ النَّصُّ نَقْلًا جُزْئِيًّا مُحَوَّرًا لِنُصُوصِهِ الْمَرْجِعِيَّةِ فَضْلًا عَنِ التَّنَاصُّ التَّامِ الْمُتَمَثِّلِ فِي تَضَمِينِهِ لِقَوْلِ جَعْفَرِ  
بْنِ أَبِي طَالِبٍ ذِي الْجَنَاحَيْنِ عليه السلام يَوْمَ مَوْتِهِ الَّذِي أُسْتَشْهِدَ فِيهِ (1):

يَا حَبْدَا الْجَنَّةِ وَأَقْتِرَابُهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا  
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا عَلَيَّ إِذَا لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

إِنَّ النَّصَّ اللَّاحِقَ نَصٌّ خِصْبُ الدَّلَالَةِ يَنْطَلِقُ مِنْ رُؤْيَةٍ خَاصَّةٍ، فَهُوَ نَصٌّ مُتَنَاصٌّ مُنْفَتِحٌ بِلَا حُدُودٍ لِأَنَّهُ نَصٌّ  
تَتَوَارَدُ عَلَى مُنْشِئِهِ، كِتَابَاتٌ سَابِقَةٌ، وَمَعَاصِرَةٌ، وَتَتَرَاوَدُّ عَلَيْهِ أَنْسَقُهُ وَبِنِيَّاتٍ تَتَزَاحَمُ، وَتَتَحَاشَدُ مِنْ نُصُوصِ سَالِفَةٍ أَوْ  
مُحَايِثَةٍ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ النَّصَّ يَجِبُ أَنْ يُكُونَ زَاوِيَةً رُؤْيِيَّةً، يَسْتَشْفُ مِنْ خِلَالِهَا الْأَدِيبُ مُعْطِيَاتِ الْمَاضِي وَأَبْعَادَ  
الْحَاضِرِ، وَأُفُقَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَالنَّصُّ الْمُتَنَاصُّ إِنْ لَمْ يُحَقِّقْ هَذِهِ الثَّلَاثِيَّةَ (الْمَاضِي، الْحَاضِرِ، الْمُسْتَقْبَلِ) يَكُونُ نَصًّا

(1) ابن رشيقي: العمدة، ج: 1، ص: 26.

عَقِيمًا". (1) وَلِهَذَا يَنْفَتِحُ هَذَا الْمَقْطَعُ وَيَتَدَاخَلُ مَعَ نُصُوصِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِمَعَارِيزِهَا وَفُتُوْحَاتِهَا، وَيَصِلُ تَارِيخَ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ الْأُولَى النَّاهِضَةَ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ وَإِبْلَاغِ الرَّسَالَةِ وَالْجِهَادِ بِحَاضِرِ الْأُمَّةِ وَوَاقِعِهَا الْيَوْمَ، وَهِيَ تَتَقَاعَسُ عَنِ الدَّفَاعِ عَنَ أَرْضِيهَا وَأَعْرَاضِهَا، وَتَتَعَلَّلُ بِشَتَّى الْعِلَلِ. إِنَّ هَذَا الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيَّ مِنَ النَّصِّ يَدْخُلُ فِي عِلَاقَةٍ مَعَ النَّصِّ السِّيَرِيِّ الَّذِي رَصَدَ فَتْحَ (مَكَّةَ) مِنْ خِلَالِ الْمَلْفُوظِ (سَلَّمَ عَلَى الَّذِينَ مُزَّقُوا هُنَاكَ رُكْعًا، سُجَّدًا). فَفِيهِ إِحَالَةٌ إِلَى اسْتِعَاثَةِ عَمْرُو بْنِ سَالِمِ الْخَزَاعِيِّ بِالرَّسُولِ ﷺ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَوَقَّفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْشَدَ آيَاتًا يَنْشُدُهُ فِيهَا الْحِلْفَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَزَاعَةَ، وَسَأَلَهُ النَّصْرَ وَالنَّجْدَةَ وَأَخْبَرَ بِأَنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُوهُ الْمَوْعِدَ، وَتَقَضُوا الْمِيثَاقَ وَأَنْتَهُمُ يَبْتَئُونَ وَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ وَقَتْلُوا رُكْعًا وَسُجَّدًا، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ نَصَرْتُمْ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ. (2) وَمِمَّا قَالَهُ عَمْرُو بْنُ سَالِمِ الْخَزَاعِيِّ (3):

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حَلْفَ أَيِّنَا وَأَيِّهِ الْأَتْلَدَا  
 قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ثَمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَزَعْ يَدَا  
 فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

.....  
 هُمْ يَبْتَئُونَ بِالْوَتِيرِ هُجْدًا وَقَتْلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدًا

وَتَتَحَلَّلُ النَّصُّ مُفْرَدَاتٍ دَلَّةً عَلَى سِيَاقِهَا الْقُرْآنِيِّ كَنَصِّ غَائِبٍ مِثْلَ قَوْلِهِ (هُمُ نَفَرُوا، وَالظَّمَا الْقِتَالُ يَسْتَوْطِنُهُمْ، وَالْجُوعُ، وَالْفَقْرُ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (4): ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. وَتُحِيلُ الْعِبَارَةُ (هُمُ نَفَرُوا فِي الْحَرِّ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ... وَحِينَمَا تَرَاقَصَتْ فِي حِينَا عَرَائِسُ الظَّلَالِ... وَنَحْنُ دَائِمًا إِلَى لَهَيْبِهَا صَعْرًا...) إِلَى غَزْوَةِ (تَبُوكَ)، وَالْمُسَمَّاةِ بِغَزْوَةِ الْعُسْرَةِ (5) الَّتِي وَقَعَتْ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ، وَقَدْ غَزَاهَا الرَّسُولُ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ وَاسْتَقْبَلَ سَفْرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ يَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَكَانَ الزَّمَنُ زَمَنَ عُسْرَةِ النَّاسِ وَجَدْبِ الْبِلَادِ. (6) وَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مَنْ تَخَلَّفَ. فَتَعَلَّلَ الْمُنَافِقُونَ بِعِلَلٍ وَكَرِهُوا الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِشْفَاقًا مِنْ

(1) عصام شرتح: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص: 173.

(2) أبو الحسن علي الحسيني الندوي: السيرة النبوية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جد المملكة العربية السعودية، ط: 5، 1404هـ-1983م، ص: 284.

(3) يحيى الجبوري: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 5، 1419هـ/1998م، ص: 286.

(4) سورة التوبة، الآية: 120.

(5) الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، دار الإمام مالك، الجزائر، ط: 1، 1428هـ-2007م، ص: 396.

(6) المصدر نفسه، ص: 397. وأبو الحسن علي الحسيني الندوي: السيرة النبوية، ص: 318.

العدو القوي القاهر، وفراراً من الحر الشديد، زهداً في الجهاد وشكاً في الحق<sup>(1)</sup>. وقد نزل في ذلك قوله تعالى<sup>(2)</sup>: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، إن النص القرآني يندمج في بنية النص الراهن محتفظاً ببعض العناصر اللسانية التي تؤكد الصلة بين النصين كلفظة (صعر) التي تُحيل إلى حديث توبة كعب بن مالك ومنه قوله: "...وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْعَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ النَّمَارُ وَالظَّلَالُ. فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُنَ وَطَفِقْتُ أُعْذُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ. فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْعَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأَذْرِكَهُمْ. فَبِأَيْ لَيْتِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي. فَطَفِقْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوصًا عَلَيْهِ فِي التَّفَاقُ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ...".<sup>(3)</sup> وقد وردت في غير هذه الرواية بصيغة (صعر) أي ميالون. إن النص القرآني يقوي الدلالة ويدعم الرؤية التي يقوم عليها النص المتناص. وتلتقي الإشارات النصية إلى وقائع التاريخ الإسلامي وأحداث السيرة النبوية كـ (مؤتة) و(تبوك) وفتح (مكة) في هذا النص من خلال قراءتها وإعادة إنتاج دلالاتها المتفاعلة بما يعبر عن الرؤية الجديدة والموقف الجديد من التخلف والتخلف عن مؤازرة ونصرة المجاهدين والمقاومين والمتنفضين في فلسطين وفي كل بلاد الإسلام.

#### 1-4- التفاعل النصي في قصيدة (العصافير تنتفض للرباوي وتعدّد مصادرِه):

إن النص يوصف دائماً بأنه ليس ذاتاً مستقلة أو مادةً موحدة، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى، ونظامه اللغوي، مع قواعده ومعجمه، جميعها تسحب إليها كمّاً من الآثار والمقتطفات من التاريخ، ولهذا فإن النص يشبه في معطاه جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تُحصى من الأفكار والمعتقدات والإرجاعات التي لا تتألف، إن شجرة نسب النص حتماً لشبكة غير تامة من المقتطفات المستعارة شعورياً أو لا شعورياً، والموروث يبرز في حالة تهيج، وكل نص حتماً نص متداخل<sup>(4)</sup>.

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 318

(2) سورة التوبة، الآية: 81.

(3) المنذري: مختصر صحيح مسلم، دار الإمام مالك، الجزائر، ط: 1، 1428هـ-2007م، ص: 407.

(4) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص: 321.

تَنْدَرِجُ الْعَلَاقَةَ النَّصِيَّةَ الَّتِي تَخْتَزِلُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ قَصِيدَةِ (العَصَافِيرِ تَنْتَفِضُ) الَّتِي تُمَثِّلُ النَّصَّ الرَّاهِنَ الَّتِي يَقُولُ

الرِّبَاوِي فِي مُسْتَهَلِّهَا<sup>(1)</sup>:

أَيُّهَا الْأَطْفَالُ يَا زَهْرَ أَرْضِينَا السَّلْبِيَّةَ،  
أَنْتُمْ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ الَّتِي أَرْسَلَهَا الرَّحْمَنُ  
تَرْمِي عَسْكَرَ الطَّاغُوتِ رَمِيًّا بِالْحِجَارَةِ،  
أَنْتُمْ الطَّيْرُ الَّتِي فِي زَمَنِ الْمَحَلِّ  
تَرُشُّ الرَّمْلَةَ الْعَطْشَى بِأَنْدَاءِ الْبِشَارَةِ،  
أَنْتُمْ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ أَقْذِفُوا  
فِي رَكْبِ اللَّيْلِ الْحِجَارَةَ،  
إِنَّهَا أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الشَّعْرِ وَكُلِّ الْكُتُبِ،

وَبَيْنَ نَصِّ السُّورَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُسْتَدْعَى، وَهُوَ نَصُّ (سُورَةِ الْفِيلِ)، فَالنَّصُّ الشَّعْرِيُّ فِي إِطَارِ التَّعَلُّقِ النَّصِّيِّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى أَسَاسِ الْجَمْعِ بَيْنَ رُؤْيَةِ النَّصِّ السَّابِقِ وَمَقْصِدِهِ وَالنَّصِّ الْلَاحِقِ وَمَقْصِدِهِ وَلَوْ جُزْئِيًّا، حَيْثُ يُدِيرُ الشَّاعِرُ مَقْطَعَهُ عَلَى رَمَزٍ لِعَوِيٍّ مِحْرُورِيٍّ (الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ)، هُوَ التَّوَاتُؤُ الدَّلَالِيَّةُ لِلْقَصِيدَةِ، الَّتِي تَرْمِزُ إِلَى أَطْفَالِ الْحِجَارَةِ الْمُتَنْفِضِينَ فِي فَلَسْطِينَ، وَيُحِيلُ هَذَا الرَّمْزُ إِلَى فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى<sup>(2)</sup>: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)﴾. فَأَطْفَالُ الْإِنْتِفَاضَةِ يَقْدِفُونَ الصَّهَابَةَ الْيَهُودَ وَيَدْفَعُونَ عَنْ قُدْسِهِمْ كَمَا قَدَفَتِ الطَّيْرُ الْمُرْسَلَةُ أَصْحَابَ الْفِيلِ دِفَاعًا عَنِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ. وَيَتَجَلَّى غِنَى النَّصِّ الدَّلَالِيِّ فِي انْفِتَاحِهِ عَلَى نَصِّ شِعْرِيٍّ قَدِيمٍ كَمَا يَبْدُو فِي السَّطْرِ الشَّعْرِيِّ الْأَخِيرِ فِيهِ إِحَالَةٌ وَأَضْحَةٌ إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ فِي فَتْحِ عَمُورِيَّةِ<sup>(3)</sup>، وَمَطْلَعُهَا:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

وَيَتِمُّ التَّنَاصُّ عَبْرَ الْإِمْتِصَاصِ الْقَائِمِ عَلَى تَفْكِيكِ الْبُنَى الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ وَمُحَاوَلَةِ بِنَاءِ نَصِّ جَدِيدٍ مِنْ مَجْمُوعِهَا فِي تَأْكِيدِ الدَّلَالَةِ وَتَقْوِيَّتِهَا مَعَ التَّصَرُّفِ فِي عَمَلِيَّةِ الْبِنَاءِ وَالْإِنْتِجَاحِ وَإِحْلَالِ الْعُنَاصِرِ الْمُنَاسِبَةِ لِلتَّجْرِبَةِ الْجَدِيدَةِ، فَلَمْ يُحَوِّرِ الشَّاعِرُ وَلَوْ يُجْرَ عَلَيْهَا أَيُّ تَعْدِيلٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَقْلِبَ دَلَالَتَهَا مِنَ الْإِيجَابِ إِلَى النَّفْيِ بَأَنْ يَعْمَدَ إِلَى نَفْيِ الْمَعْنَى نَفْيًا جُزْئِيًّا أَوْ كُلِّيًّا، فَفِي كِلَا السِّيَاقَيْنِ يَتَحَقَّقُ تَمْجِيدُ الْقُوَّةِ لَا الْكَلَامِ سِوَاءً أَكَانَ رَمَزَ هَذِهِ الْقُوَّةِ السَّيْفِ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ أَوْ الْحِجَارَةِ فِي النَّصِّ الثَّانِي، وَيَحْتَفِظُ النَّصَّانُ بِالْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى ثَنَائِيَّةِ (الْحِجَارَةِ/الشَّعْرِ) فِي نَصِّ الرِّبَاوِيِّ أَمْ عَلَى ثَنَائِيَّةِ (السَّيْفِ/الْكُتُبِ) فِي نَصِّ أَبِي تَمَّامٍ، فَالْنَّظْرَةُ مُتَمَاثِلَةٌ. وَيَنْعَكِسُ

(1) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 54.

(2) سورة الفيل، الآية: 3.

(3) حتا الفاحوري: منتخبات الأدب العربي، ص: 204.

مَوْفِقُ الشَّاعِرِ فِي النَّصِّ الثَّانِي الَّذِي يَشْعُرُ صَاحِبُهُ بِالتَّقْصِيرِ وَالتَّفْرِيطِ وَرَبَّمَا التَّخَاذُلِ - وَهُوَ شُعُورٌ يَنْسَحِبُ عَلَى  
عُمُومِ الْأُمَّةِ لَا عَلَى شَخْصِ الشَّاعِرِ وَحَدَهُ - وَاهْرُوبُ مِنَ الْمَوَاجَهَةِ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْعَلَاقَاتِ النَّصِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ كَهَذِهِ  
الْعَلَاقَةِ النَّصِيَّةِ الَّتِي تَتَجَلَّى فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَيُّهَا الْأَطْفَالُ يَا سَرَبَ سَنَابِلِ،  
أَيُّهَا الْأَطْفَالُ يَا زَهْرَ أَرْضِينَا الْحَبِيبَةِ،  
يَوْمَكُمْ هَذَا ثِقَافٌ، غَدُكُمْ أَيْضًا ثِقَافٌ، يَوْمُنَا،  
نَحْنُ قِحَافٌ، فَأَضَعْنَاكُمْ صِعَارًا، ثُمَّ حَمَلْتُمْ كِبَارًا ثَقَلِ  
مَا يَنْزِفُ مِنْ أَجْسَادِنَا الْمُرْتَبِكَةِ.

نَحْنُ يَا زَهْرَ أَرْضِينَا تَخَلَّفْنَا وَلَمْ نُسْرِجْ جِيَادًا،  
لَمْ نُسَافِرْ فِي تَضَارِيسِ الْجِرَاحَاتِ الَّتِي تُزْهِرُ فِي  
أَفْئِدَةِ الْأَشْجَارِ جَهْرًا. نَحْنُ ضَيِّعْنَا بِلَادًا. نَحْنُ  
لَمْ نُسْرِجْ جِيَادًا، نَحْنُ لَمْ نُرْسِلْ دِمَاءَ نَحْنُ فِي كُلِّ  
صَلَاةٍ قَدْ دَعَوْنَا.. وَرَجَوْنَا الْعَيْثَ، لَكِنَّا نَسِينَاكُمْ جَمِيعًا  
فِي دُعَانَا؛ شَغَلْتَنَا عَنْ أَرْضِيكُمْ أَرْضِينَا، وَعَنْ كُلِّ  
أَهَالِيكُمْ أَهَالِينَا، وَعَنْكُمْ يَا أَحِبَابَنَا شَغَلْنَا بِكَرَاسِينَا  
الَّتِي نَحْتَلُّهَا فِي الْبِرْلَمَانِ.

شَغَلْتَنَا عَنْكُمْ أَنْفُسُنَا،

شَغَلْتَنَا عَنْكُمْ أَوْلَادُنَا،

فَاسْتَعْفِرُوا اللَّهَ لَنَا، اسْتَعْفِرُوا اللَّهَ لَنَا.

وَالنَّصُّ اللَّاحِقُ، دَائِمًا، كَمُمْتَصٍّ لِلنُّصُوصِ السَّابِقَةِ يَجْعَلُهَا مِنْ عِنْدِيَاتِهِ وَيُصَيِّرُهَا مُنْسَجِمَةً مَعَ فَضَاءِ بِنَائِهِ،  
وَمَعَ مَقَاصِدِهِ.<sup>(2)</sup> وَيُحَوِّلُهَا بِتَمْطِيطِهَا أَوْ تَكْتِيفِهَا بِقَصْدٍ مُنَاقِضَةٍ خَصَائِصِهَا وَدِلَالَاتِهَا أَوْ بِهَدَفٍ تَعْضِيدِهَا.<sup>(3)</sup>  
فَيَسْتَحْضِرُ الرَّبَاوِي نَصَّ امْرِئِ الْقَيْسِ الَّذِي نَظَّمَهُ يَوْمَ جَاءَهُ رَسُولُ أَبِيهِ، وَكَانَ قَدْ طَعَنَهُ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ، وَأَخْبَرَهُ  
خَبْرَ أَبِيهِ فَلَمَّا رَأَهُ لَمْ يَبْكْ وَلَمْ يَجْزَعْ، دَفَعَ إِلَيْهِ سِلَاحَ أَبِيهِ وَخَيْلَهُ وَوَصِيَّتَهُ امْتِنَالًا لِأَمْرِهِ، فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ<sup>(4)</sup>:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دُمُونُ! دُمُونُ! إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونَ

وَإِنَّا لِأَهْلِنَا مُحِبُونَ

(1) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 57.

(2) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 121.

(3) المرجع نفسه، ص: 121.

(4) امرؤ القيس: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1392هـ-1972م، ص: 14.

ثُمَّ قَالَ: "ضَيَّعَنِي أَبِي صَغِيرًا وَحَمَلَنِي دَمُهُ كَبِيرًا لَا صَحْوَ الْيَوْمِ وَلَا سُكْرَ غَدَا، الْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ، الْيَوْمَ قِحَافٌ، وَغَدًا نِقَافٌ".<sup>(1)</sup> فَالشَّاعِرُ يَسْتَدْعِي هَذَا النَّصَّ وَيُجْرِي عَلَيْهِ تَحْوِيرًا لِيُنَاسِبَ الْمَوْقِفَ الْجَدِيدَ وَالْوَاقِعَ الرَّاهِنَ فَعَوَضَ أَنْ يَتَوَلَّى هَؤُلَاءِ الْآبَاءَ الْكِبَارُ مُجَابَهَةَ الْعَدُوِّ وَإِخْرَاجَهُ مِنْ أَرْضِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى يَتَخَلَّفُونَ وَيَعْتَذِرُونَ وَيُحْمَلُونَ هَذِهِ الْمُهْمَةَ الْأَبْنَاءَ وَالْأَطْفَالَ الصَّغَارَ، وَإِذَا كَانَ امْرُؤُ الْقَيْسِ الْإِبْنِ الَّذِي يُخْبِرُ بِلِسَانِهِ عَنْ تَضْيِيعِ أَبِيهِ لَهُ صَغِيرًا وَتَحْمِيلِهِ دَمَهُ كَبِيرًا، فَالشَّاعِرُ يَتَكَلَّمُ بِضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ وَيُخْبِرُ بِلِسَانِهِ عَنْ تَضْيِيعِهِمْ لِأَبْنَائِهِمْ صَغَارًا وَتَحْمِيلِهِمْ الْمُهْمَةَ الْكَبِيرَى، فَقَدْ وَلُوا الْأَدْبَارَ عَنْ مُجَابَهَةِ الْيَهُودِ وَتَحْرِيرِ الْقُدْسِ وَهُمْ يَرْجُونَ، الْيَوْمَ، أَنْ يَنْهَضَ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ الصَّغَارُ بِهَذَا الْوَاجِبِ وَلَمْ يُعِدُّوا لَهُمُ الْعُدَّةَ وَلَا الْعَدَدَ، فَيُحَوِّرُ الرَّبَاوِي النَّصَّ السَّابِقَ مِنْ ((الْيَوْمَ قِحَافٌ وَغَدًا نِقَافٌ)) إِلَى ((يَوْمُكُمْ هَذَا نِقَافٌ، غَدُكُمْ أَيْضًا نِقَافٌ، يَوْمَنَا، نَحْنُ قِحَافٌ)) فَيَوْمُ الْأَطْفَالِ مُضَارَبَةٌ بِالسُّيُوفِ لِهَامَاتِ الْعَدُوِّ وَقِتَالٌ، وَغَدُهُمْ مُضَارَبَةٌ وَقِتَالٌ، فَهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَمَّا الْآبَاءُ الْكِبَارُ فَيَوْمُهُمْ شُرْبٌ وَغَفْلَةٌ وَلَهُوَ فَلَا هَمَّ لَهُمْ سِوَى اللَّهْوِ وَإِضَاعَةِ الْحُقُوقِ فَهُمْ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَفِي هَذَا التَّحْوِيرِ لِلدَّلَالَةِ النَّصَّ وَبَعْضَ مُفْرَدَاتِهِ مِنْ خِلَالِ التَّصْرِفِ فِي الْمَعْنَى وَتَقْسِيمِ الْأَدْوَارِ (امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ قِحَافٌ وَنِقَافٌ) وَالشَّاعِرُ فِي يَوْمِهِ (قِحَافٌ)، وَالْأَطْفَالُ فِي يَوْمِهِمْ وَغَدِهِمْ (نِقَافٌ وَنِقَافٌ)، وَمِنْ خِلَالِ التَّصْحِيفِ أَوْ الْمُجَانَسَةِ (نِقَافٌ/نِقَافٌ) حِوَارٌ بَيْنَ النَّصِّينِ. وَكَمَا يَنْفَتِحُ الْمَقْطَعُ الشَّعْرِيُّ عَلَى هَذَا النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْقَدِيمِ وَعَلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْفَرْدِيَّةِ يَنْفَتِحُ عَلَى النَّصِّ الْقِرَائِيِّ وَعَلَى وَاقِعَةِ جَمَاعِيَّةٍ مِنْ خِلَالِ التَّنَاصُّ مَعَ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ غَزْوَةِ (تُبُوكَ) وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْخُرُوجِ فِيهَا، وَيَتِمَّتْ لِنَصِّ الْقِرَائِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى<sup>(2)</sup>: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ هَذِهِ التَّنُصُوصَ الْمُتَنَاصِّةَ تَنْصَهَرُ فِي بَوَاقِي النَّصِّ الْحَالِيِّ وَتَشَابَهُتْ مَعَ سِيَاقَاتِهِ اللَّغَوِيَّةِ وَالشَّعْرِيَّةِ وَتَتِمَّاهَى مَعَ إِيقَاعِهِ وَتَذُوبُ فِي بِنْيَتِهِ السُّطْحِيَّةِ وَالْعَمِيقَةِ وَتُثْرِيهِ بِإِجْمَاعَاتٍ وَظِلَالٍ وَاسِعَةٍ وَكثِيفَةٍ، وَلَا تَظَلُّ نَشَارًا أَوْ مُجَرَّدَ مُلَصَّصَاتٍ تُزِينُ مَظْهَرَهُ اللَّفْظِيَّ.

### 1-5- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (التُّهْمَةِ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

إِنَّ التَّفَاعُلَ النَّصِّيَّ فِي الْمَتْنِ الشَّعْرِيِّ يَتَحَوَّلُ إِلَى ظَاهِرَةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ، وَكُلُّ ظَاهِرَةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ تَنْبَتُ مِنْ نَصٍّ مَا هِيَ قَضِيَّةٌ وَجُودٌ وَحُضُورٌ فِي كُلِّ أُسْلُوبٍ جَدِيدٍ تَنْشَأُ دَاخِلِيًّا كَجَدَلِيَّةٍ تَقْوِيضِيَّةٍ لِلنَّصِّ الْآخَرِ، أَوْ أَنَّهَا مُعَارَضَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ مَخْفِيَّةٌ لِلأُسْلُوبِ الْآخَرِ.<sup>(3)</sup> وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ يُمَكِّنُ يُشَكِّلُ التَّنَاصُّ فِي النَّصِّ ظَاهِرَةً أُسْلُوبِيَّةً قَدْ تَعَكَّسَ مَا يُنْعَتُ بِـ(الْخُضُوعِ لِلآخَرِ)، وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ النَّصَّ اللَّاحِقَ أَوْ الْمُتَدَاخِلَ نَقِيضًا وَنَفِيًّا دَائِمًا لِلأَوَّلِ كَمَا يَبْدُو مِنْ قَوْلِ

(1) المصدر نفسه، ص: 14.

(2) سورة: الفتح، الآية: 11.

(3) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص: 322.

الغذامي: "التأقذ ينطلق، كما المؤلف، من نصوص موجودة مسبقاً، ولكن بينما تكون جدارة الأخير في التحويل الذي يخضعها له، فإن جدارة الأول، على العكس، لا تتحقق إلا إذا اختزل هذا التحويل إلى حد الأدنى، إن مثالي التداخل النصي الممارس من قبل هذا وذلك هما على طرفي نقيض".<sup>(1)</sup> إن إنتاج الدلالة الشعرية في المتن الرباوي يتوقف على العلاقات التناسبية التي تتوزع على مستويات متعددة تبدأ باللفظة المفردة والجملة المركبة وتنتهي بالنص المكتمل، بصورة جلية، حيناً وبصورة رامزة، حيناً آخر. وينفرد النص القرآني بالجانب الأوفى من علاقات التناص لا يضاهاه في ذلك إلا النص الشعري، ففي قصيدة (الثهمة) يفتح السياق الشعري على آيات من القرآن الكريم تمثل النص السابق الممتص، يقول الرباوي<sup>(2)</sup>:

مرَّ بهَذَا الشَّارِعِ؛  
فَارْتَعَشَتْ أَفْنَدَةُ الْأَشْجَارِ الزَّرْقَاءِ،  
مَرَّ بِهِذِي الْمَقْهَى،  
فِي هَذَا الْحَيِّ الضَّائِعِ؛  
فَامْتَدَّ الزَّلْزَالُ إِلَى كُؤُوسِ الزُّبْنَاءِ،  
انْكَسَرَتْ كُلُّ زُرَابِيهَا الْمَبْثُوثَةِ،  
كُلُّ السُّرْرِ الْمَرْفُوعَةِ، فَاحْتَرَقَتْ عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا،  
وَتَحَوَّلَ النَّادِلُ مِرَاءً حَشِييَّةً.

إن الشاعر متأثر بالبيان الرأني والأسلوب الوصفي فيه فيقتبس من قوله تعالى<sup>(3)</sup>: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاعِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزُرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ (16)﴾، إن الملفوظات أو العلامات اللسانية التي أحالت على النص القرآني تمثل النص الأثر الذي انتهى أثره إلى صدى متردداً في هذا النص، وقد وجدت آيات قرآنية أحرص صداها في المقطع الرابع من القصيدة، يقول الشاعر<sup>(4)</sup>:

يَرَحُلُ الْمَاءُ وَيَبْقَى الْبَحْرُ لِلأَرْضِ سَجِينًا، آه يَا  
أَيْتَهَا النَّفْسُ أُخْرِجِي مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ، ارْكَبِي مَتْنِ حِصَانٍ  
بِحَنَاحَيْنِ، ارْجِعِي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. ثُمَّ ادْخُلِي دَائِرَةَ  
العِشْقِ، أَتْبِعِينِي فَأَنَا آتِسْتُ نَارًا؛ عَلْنَا مِنْهَا سَنَاتِي

(1) تزفيتان تودوروف: نقد التقاد، رواية تعلم، تر: سامي سويدان، مرا: ليليان سويدان، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط: 1، 1986، ص: 137.

(2) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 36.

(3) سورة العاشية، الآيات: 12، 13، 14، 15، 16.

(4) محمد علي الرباوي: الولد المر، ص: 39.

بشهابِ قَبَسٍ، أَوْ عَلْنَا نَلْقَى عَلَى النَّارِ هُدًى. هَيَّا  
 أَتَّبِعُنِي وَأَسْتَعِدِّي، رَبُّمَا حُبُّكَ مَوْلَاكَ. اسْتَعِدِّي هُوَ أَنْ  
 حُبُّكَ قَدْ يُلْقِي عَلَيَّ ذَاتِكَ قَوْلًا ثَقِيلًا.  
 اسْتَعِدِّي، لَا تَكُونِي خَائِفَةً،  
 اسْتَعِدِّي، وَأَبْتِي حَتَّى تَهَبَّ الْعَاصِفَةَ.

فَالنَّصُّ يَكْشِفُ عَنْ عُلَاقَاتِهِ النَّصُوصِيَّةِ بِأَنْ يُحِيلَ إِلَى مَصْدَرِهِ الْقُرْآنِيِّ مِنْ حِلَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى (1): ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ  
 الْمُطْمَئِنَّةُ (27) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى (2) -  
 ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ مُوسَى (3) ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ  
 آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ  
 تَصْطَلُونَ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى (4): ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى  
 النَّارِ هُدًى﴾. فَتِلْكَ الْمَلْفُوظَاتُ الَّتِي تَوَاحَدَتْ فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ أَحَالَ كُلُّ مَلْفُوظٍ مِنْهَا إِلَى نَصٍّ مُحَدَّدٍ مِنَ  
 الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَغَنِيَتْ بِذَلِكَ دِلَالَتُهُ.

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ فِي يَأْخُذُ مَكَانَهُ فِي بَنِيَّةِ الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِأَشْكَالٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ وَمُتَّوَعَةٍ  
 فَهُوَ حَاضِرٌ عَلَى مُسْتَوَى الْكَلِمَةِ الْمُرَدَّةِ، وَعَلَى مُسْتَوَى الْجُمْلَةِ وَالآيَةِ، وَأَحْيَانًا أُخْرَى يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى إِعَادَةِ إِتْيَاجِ  
 جَوِّ الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ ضِمْنَ السِّيَاقِ الَّذِي يَخْدُمُ الْبِنَاءَ الشَّكْلِيَّ وَالِدَّلَالَةَ الَّتِي يَرْمِي إِلَيْهَا فِي كُلِّ تَوْظِيفٍ. (5) وَمِنْ  
 طَرَائِقِ التَّوْظِيفِ الْقُرْآنِيِّ أَنْ يَجْعَلَ الشَّاعِرُ الْعِبَارَةَ الْقُرْآنِيَّةَ عُنْوَانًا لِقَصِيدَةٍ أَوْ عَتَبَةً نَصِيَّةً لِيُنْظَمَ فِي ضَوْئِهَا دِلَالَتِهَا  
 وَإِشَارَاتِهَا قَصِيدَتُهُ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا الشَّاعِرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَسَنُ حَبْنَكَةَ الْمِيدَانِيَّ (6) وَقَدْ يَتَجَاوَزُ مَجَالَ  
 التَّوْظِيفِ حُدُودَ الْكَلِمَةِ وَالْعِبَارَةِ لِيَشْتَمَلَ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ أَوْ الْقِصَّةَ الْقُرْآنِيَّةَ مِنْ حَيْثُ سَرَدُ الْحَدِيثِ، أَوْ الْإِكْتِفَاءُ  
 بِاسْتِلْهَامِ أَجْوَاءِ الْقِصَّةِ.

## 1-6- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (الْكَاسِ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

يَتَفَاعَلُ نَصُّ قَصِيدَةِ (الْكَاسِ) بِوَصْفِهِ نَصًّا لَاحِقًا مَعَ نَصِّينِ سَابِقَيْنِ شَعْرِيَّيْنِ، يَتَمَرَّكُزُ الْفَضَاءُ النَّصِّيُّ لِلأَوَّلِ فِي  
 مَوْضُوعَةِ (الْوَطَنِ) أَوْ الْبَلَدِ بِلُغَةِ الشَّاعِرِ وَإِنْ جَارَ أَهْلُهُ وَإِنْ قَطَعُوا حَبْلَ الْوَصْلِ، وَالْعِلَاقَةُ بَيْنَ النَّصِّينِ، كَمَا تَبَدَّى

(1) سورة الفجر، الآية: 27، 28، 29، 30.

(2) سورة المزمل، الآية، ص: 5.

(3) سورة القصص، الآية: 29.

(4) سورة: طه، الآية: 10.

(5) عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، ص: 144.

(6) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ديوان أقباس، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 1406هـ-1986م، ص: 108.

وديوانه: آمنت بالله، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1400هـ-1980م، ص: 7 وما بعدها.

فِي الْفِعْلِ الشُّعْرِيِّ، تَعْتَمِدُ تَحْوِيلَ النَّصِّ الْمَهَاجِرِ فِي النَّصِّ الْمَهَاجِرِ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَا يَسُودُ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ أَيِّ نَصِّينِ إِطْلَاقًا، إِلَّا أَنْ قَانُونَ التَّحْوِيلِ، فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، هُوَ الْإِمْتِصَاصُ. (1) حَيْثُ تَمْتَصُّ الْقَصِيدَةُ الْبَيْتَ الشُّعْرِيَّ مُسْتَحْضِرَةً مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ وَتِلْكَ النَّظْرَةُ الْمُتَسَامِحَةُ الْمُتَجَاوِزَةُ إِلَى الْأَهْلِ وَتُعِيدُ إِنتَاجَ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَإِدْمَاجَ ذَلِكَ الْمَبْنَى فِي بَنِيَّةٍ أَكْبَرَ وَلِدَلَالَةٍ أَوْسَعٍ فَكَمَا يَتَبَيَّنُ فِي الْمَقْطَعِ الشُّعْرِيِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (2):

جَسَدِي مَا زَالَ بِقَلْبِي يَتَسَكَّعُ هَذَا  
الصَّدَأُ الْفَتَانُ، فَكَيْفَ تُطَهَّرُ سَاحَةُ هَذَا  
الْقَلْبِ الْأَحْزَانُ؟ وَأَتَى لِي أَنْ أَحْتَمِي  
الآنَ بِسِتْرِ جَنَاحِي مَلَكِي، وَحَبِيبِي، وَأَنَا  
مَا زِلْتُ عَلَى كَتْفِي أَحْمِلُ أَحْجَارَكَ؟ هَا  
ظَهْرِي يَتَقَوَّسُ كَالْتَّخْلَةِ، إِذْ تَسْجُدُ يَوْمًا  
لِعَزِيفِ الرِّيحِ، وَهَا بَيْنَ ضُلُوعِي يَقْصِفُ  
رَعْدٌ وَتَهْبُ رِيَاحٌ. لَكِنَّ النَّهْرَ الصَّافِي  
لَمْ يَحْمِلْ هَذِي الذَّاتَ بَعِيدًا. يَا جَسَدِي  
أَنَا مَا زِلْتُ عَلَى كَتْفِي أَحْمِلُ أَحْجَارًا  
عِنْدَ طُلُوعِ الْعَضْبِ الْجَبَّارِ عَلَى بَلَدِي  
الْمَسْرُوقِ جَهَارًا. بَلَدِي أَعْشَبَ وَادِيهِ وَنَمَا  
بِهِ الزَّهْرُ الْفَاتِنُ، لَكِنَّ أَسْأَلُهُ خُبْرًا  
يُعْطِينِي حَجْرًا. بَلَدِي هَذَا الْمَسْرُوقِ وَإِنْ  
جَارَ عَلَيَّ عَزِيزٌ، وَالْأَهْلُ وَإِنْ قَطَعُوا  
حَبْلَ الْوَصْلِ عَلَيَّ كِرَامًا.

إِنَّ الشُّعُورَ بِالِاغْتِرَابِ وَالِاضْطِهَادِ فِي النَّصِّ اللَّاحِقِ كَانَ عَامِلًا نَفْسِيًّا وَرَاءَ الْعَلَاقَةِ النَّصِيَّةِ الَّتِي امْتَدَّتْ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ النَّصِّ السَّابِقِ الْقَدِيمِ:

بِلَادِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ وَأَهْلِي وَإِنْ ضُنُّوا عَلَيَّ كِرَامًا  
وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ هَذِهِ الْعَلَاقَةَ النَّصِيَّةَ تَتَجَلَّى عَلَى مُسْتَوَى التَّرْكِيبِ فَقَدْ خَضَعَتْ بَنِيَّةُ النَّصِّ الْمُسْتَدْعَى فِي بَنِيَّتِهَا  
السُّطْحِيَّةِ فِي النَّصِّ الثَّانِي لِلنَّسَقِ التَّحْوِيلِيِّ الَّذِي اسْتَقَامَتْ بِمَوْجِبِهِ بَنِيَّةُ الْجُمْلَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ، وَتَتَجَلَّى  
هَذِهِ الْعَلَاقَةُ، أَيْضًا، عَلَى مُسْتَوَى الْمُعْجَمِ فَالشَّاعِرُ بَعْدَ أَنْ فَكَّكَ بَنِيَّةَ الْبَيْتِ احْتَفَظَ بِوَحْدَاتِهَا لِإِعَادَةِ تَوْظِيفِهَا فِي هَذَا

(1) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، ج: 3، ص: 200.

(2) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوّارة، ص: 15.

السِّيَاقِ الَّذِي لَمْ تَخْتَلِفْ فِيهِ نَظْرَةُ الشَّاعِرِ الْحَدِيثِ عَنِ رُؤْيَا سَلْفِهِ الْقَدِيمِ، وَبِهَذَا يَكُنْ قَدْ حَوَّرَ النَّصَّ جُزْئِيًّا مِنْ خِلَالِ تَنَاصُّ تَضْمِينِيٍّ أَوْ اقْتِبَاسِيٍّ.

وَيَتَضَحُّ التَّدَاخُلُ النَّصِّيُّ الْقَصِيدَةِ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ مِنْهَا الَّذِي شَكَلَ حَقْلًا دَلَالِيًّا التَّقْتُّ فِيهِ مُفْرَدَاتُ الشَّرَابِ مِنْ كَأْسٍ وَظَمًا مِمَّا يُصَوِّرُ مَجْلِسَ مُعَاقَرَةِ الْخَمْرِ وَلَكِنَّهَا خَمْرٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، فَهَذَا السِّيَاقُ سَمَحَ لِنَصِّ أَبِي نَوَاسٍ أَنْ يَتَسَرَّبَ دَاخِلَ نَصِّ الرَّبَاوِيِّ وَيَتَدَاخَلَ مَعَهُ، يَقُولُ الرَّبَاوِيُّ<sup>(1)</sup>:

أَهْ خَلِيلِي نَاوِلْنِي الْكَأْسَ، فَإِنَّ عِظَامِي  
تَشْكُو ظَمًا قَتَالًا. نَاوِلْنِي الْكَأْسَ عَسَاهَا  
تَمَخَّرُ أَدْعَالَ رَمَادِي. نَاوِلْنِيهَا.. قَدْ  
يَنْفَدُ مَا بَقَرَارَتِهَا. وَتَظَلُّ ضُلُوعِي تَبْحَثُ  
عَنْ كَأْسٍ أُخْرَى تُطْفِئُ مَا بِخِمَائِلِهَا مِنْ  
لَهَبٍ تَحَاجُّ. نَاوِلْنِي الْكَأْسَ، وَلَا تَسْقِي  
فِيَا فِي ذَاتِي سِرًّا إِنْ أَمَكَنَ أَنْ تَسْقِيهَا  
بِالْجَهْرِ، فَلَيْسَ عَلَيَّ الْمَجْثُونِ مَلَامُ  
نَاوِلْنِي الْكَأْسَ وَلَا تَسْأَلْ مَا فَعَلْتُ  
بِشَوَارِعِي الْأَيَّامِ.

فَالنَّصُّ يَتَعَالَقُ مَعَ نَصِّ أَبِي نَوَاسٍ وَمَوْضُوعَتُهُ (الْخَمْرُ) ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فِيمَا نَصَّ الرَّبَاوِيُّ مَوْضُوعَتَهُ الْكَأْسُ أَوْ (الْخَمْرُ) فِي الظَّاهِرِ لِأَنَّ مَا يُرَادُ يَتَجَاوَزُ الْمُسْتَوَى الْمَحْسُوسَ مِنَ التَّجْرِبَةِ، أَيَّ أَنَّ الشَّاعِرَ يُوظِّفُ الْكَأْسَ تَوْظِيفًا مَجَازِيًّا كَمَا سَيَتَضَحُّ لَاحِقًا، وَالنَّصُّ النَّوَاسِيُّ أَوْ النَّصُّ السَّابِقُ الْمَقْصُودُ هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو نَوَاسٍ:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكَنَ الْجَهْرُ

وَالوَاضِحُ أَنَّ الرَّبَاوِيَّ لَا يَتَعَامَلُ مَعَ هَذِهِ التُّصُوصِ عَنْ طَرِيقِ الْاجْتِرَارِ وَإِنَّمَا عَنْ طَرِيقِ الْإِمْتِصَاصِ فَيُعِيدُ إِتِنَاجَهَا وَكِتَابَتَهَا بَعْدَ إِجْرَاءِ بَعْضِ التَّحْوِيرِ عَلَيْهَا فِي سِيَاقِهَا الشَّعْرِيِّ الْجَدِيدِ لِتُنْتِجَ دَلَالَاتٍ شَعْرِيَّةً هِيَ حَاصِلُ التَّدَاخُلِ النَّصِّيِّ وَانْفِتَاحِ السِّيَاقِ. وَإِذَا كَانَتْ مُفْرَدَاتُ النَّصِّ الْغَائِبِ تَحْمِلُ دَلَالَاتٍ حَقِيقِيَّةً صَرِيحَةً وَتُعَبِّرُ عَنْ تَجْرِبَةٍ حِسِّيَّةٍ مُبَاشِرَةٍ عَنِ الْخَمْرَةِ وَأَثَرِهَا فِي الشَّرَابِ وَإِنْ حَمَلَتْ بَعْضَ الدَّلَالَةِ وَعَبَّرَتْ عَنْ قَصْدٍ حَيْثُ يَتَعَمَّدُ الشَّاعِرُ مُخَالَفَةَ ذَلِكَ التَّقْلِيدِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ الَّذِي يَسْتَلْهِمُ (الطَّلُّ) شَرَارَاتِ الْإِبْدَاعِ وَالْقَوْلِ وَتَكْرِيسِ تَقْلِيدِ آخَرَ يَسْتَلْهِمُ الْخَمْرَةَ، فَإِنَّهَا فِي نَصِّ الرَّبَاوِيِّ حَافِلَةٌ بِطَاقَاتٍ إِيجَازِيَّةٍ وَإِمْكَانَاتٍ رَمْزِيَّةٍ تَتَخَلَّصُ مِنْ حِسِّيَّةِ التَّجْرِبَةِ وَتَتَحَرَّرُ

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 20.

مِنْ مَادِيَّتِهَا وَتَنْقَلِبُ رُمُوزًا إِلَى عَالَمٍ رُوحِيٍّ عُلُويٍّ، فَمَا (الكأس) وَ(الخمر) وَ(السُّكْر) وَ(السُّر) وَ(الجَهْر) إِلَّا دَوَالٌ أَوْ رُمُوزٌ عَلَى حَالَاتٍ تَعْتَرِي الشَّاعِرَ الْمُؤْمِنَ الْمُتَّصِفَ وَأَحْوَالٍ يَنْطَلِعُ إِلَى الْإِتِّصَافِ بِهَا وَالتَّحَلِّي بِمَوْجِبَاتِهَا.

### 1-7- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (العَاشِقِ الْمَلْحَاحِ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

تَنَوَّعُ مَصَادِرُ النَّصِّ وَتَنَفَّوَتْ فِي تَجَلِّيِّهَا وَتَخْفِيَّتِهَا لَكِنَّ النُّصُوصَ الْقَادِمَةَ تَضَعُ، جَمِيعًا، رِحَالَهَا فِي النَّصِّ، وَتَأْتِي قَصِيدَةُ (العَاشِقِ الْمَلْحَاحِ) نَمُودَجًا لِلْعَلَاقَةِ الْخَفِيَّةِ بَيْنَ النُّصُوصِ الَّتِي لَا تَتَّضِحُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، لِأَنَّ النَّصَّ الثَّانِيَّ يَعْمَدُ إِلَى طَمَسِ أَثَرِ النَّصِّ الْأَوَّلِ الَّذِي سُرِعَانَ مَا يَكْشِفُ عَنْ نَفْسِهِ، كَالنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْحَاضِرِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ حَيْثُ يَسْتَلْهِمُ الشَّاعِرُ قِصَّةَ زَكَرِيَاءَ وَمَرِيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَمَا يَرُويهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ دُونَ الْإِفْصَاحِ الْمُبَاشِرِ عَنِ ذَلِكَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

عَجَبًا!..

هِيَ فَاكِهَةٌ الصَّيْفِ تُزْهِرُ  
فِي شَفْتَيْكَ صَبَاحَ مَسَاءِ،  
وَمَا زَالَ فِي حَقْلِنَا  
يَتَسَكَّعُ عَرْشُ الشِّتَاءِ!  
فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْكَ هَذِي الْفَوَاكِهِ؟  
مِنْ أَيْنَ يَا طِفْلَتِي الرِّزْقُ جَاءَ  
وَهَذَا الْجَفَافُ  
يَمُدُّ أَصَابِعَهُ فِي اتِّجَاهِ الْقُرَى!؟

وَتَبْتَنِقُ دِلَالَهُ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ مِنَ التَّوْطِيفِ لِبِنْيَةِ الْقِصَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَتَبْتَنِقُ التَّفَاعُلَ النَّصِّيَّ بِامْتِصَاصِ جُزْءٍ أَوْ مَشْهَدٍ مِنَ النَّصِّ/الْقِصَّةِ، أَيْ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَتَسْقِطُهَا عَلَى التَّجْرِبَةِ الْخَاصَّةِ فَيُعِيدُ كِتَابَتَهَا فِي نَصِّ يُصَوِّرُ الْمَعَانَةَ الرَّاهِنَةَ، وَتَتَحَوَّلُ مُفْرَدَاتُ ذَلِكَ النَّصِّ إِلَى رُمُوزٍ تَتَقَدُّ إِشَارَةً وَإِيمَاءً لَيْسَ فَقَطُ إِلَى ذَاتِ الشَّاعِرِ وَمَوْقِفِهِ وَرُؤْيِيَّتِهِ وَإِنَّمَا إِلَى هُمُومٍ جَمَاعِيَّةٍ، وَهَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي تَقِفُ خَلْفَ هَذَا النَّصِّ وَتُرْسِلُ ظِلَالَهَا وَإِجَاءَاتِهَا دُونَ أَنْ تَطْلُبَ بِقُوَّةٍ هِيَ قَوْلُهُ ﷻ<sup>(2)</sup>: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وَإِذَا كَانَتْ لَفْظَةً (الرِّزْقِ) فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ وَحَدَّهَا لَا تَكْشِفُ عَنِ التَّدَاخُلِ رَغْمَ أَنَّ الْمَقْطَعِ يُفَسِّرُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ فَإِنَّ الْجُمْلَةَ الْإِعْتِرَاضِيَّةَ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ نَفْسَهَا تُوَضِّحُ ثَقْوَى هَذَا التَّدَاخُلِ وَتَكْشِفُ عَنْهُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(3)</sup>:

(1) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوارة، ص: 33.

(2) سورة: آل عمران، الآية: 37.

(3) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوارة، ص: 34.

أرسلت دموعي .

آه.. كم أرسلت خمائلها

-وأنا في المحراب- إلى محبوبي

كم أرسلت خمائلها،

كم كنت وقفت ذليلاً قدامه .

إذ أعلم رحمته سابقة غضبه .

فأنا يكفيني عزاً بهواه ذلي وخضوعي .

هو مني بي أولى .

لك في أمري الحكم،

فما شئت أصنع يا مولاي .

ولما تكفني القصيدة بهذه الإشارات التناصبية إلى النص القرآني، ففي كل مقطع يزداد النص وضوحاً وظهوراً على البنية السطحية من خلال الدوال التي تحيل إليه، كما يبدو في المقطعين الآتيين حيث تتركز دلالة النص القرآني في لفظة (فرداً)، وهي ذات ثقل دلالي وإحالة مباشرة على مصدره، يقول الشاعر<sup>(1)</sup>:

أحياناً يتسلفني الضعف،

فتستسلم ذاتي لعلائله العذبة .

فأقول: أيا محبوبي

لا تذر العاشق فرداً .

أنت وعدت ووعدك متسع .

ألمح ساحله الأخضر في ذاتي .

الملفوظان (لا تذر) و(فرداً) من مفردات المعجم القرآني، وتختزان إشارة إلى قوله تعالى على لسان زكرياء عليه السلام<sup>(2)</sup>: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، ويحيل سياق الدعاء إلى قول الله تعالى<sup>(3)</sup>: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، إن النص يفتح على النص القرآني ويجعل من معجمه اللغوي وسيلةً فنيةً جماليةً للتعبير عن التجربة الشعرية، فكراً وشعوراً، فيوظفها بالطريقة التي توافق السياق والمقام فتتداخل في هذا الفضاء النصي الأحداث والأزمنة والأشخاص، وتؤكد بنية التداخل في النص الرباوي أن من أبرز سمات القصيدة الإسلامية أن ينظر صاحبها إلى واقع من خلال الزمن

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 35.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 89.

(3) سورة آل عمران، الآية: 38.

الماضي الذي يُعدُّ إرثاً رؤيويًا وتَشكيليًا لا يجوزُ التنازلُ عنه؛ لأنَّه المعينُ الدلاليُّ والإيجائيُّ على الإبداع، والمؤازرُ على تشكيلِ الرؤى والمواقفِ ويتمُّ كلُّ ذلكِ في إطارِ التَّواصلِ الرُّوحيِّ أو النَّفسيِّ بينَ موقَفينِ يتداخَلانِ في إطارِ الغائبِ الحالِّ في الحاضرِ".<sup>(1)</sup> وقد تمَّ هذا التَّواصلُ الرُّوحيُّ من خلالِ اتِّخاذِ الرباويِّ من شخصيَّةِ زكرياءَ عليه السلام، كما تُصوِّرها القِصَّةُ القرآنيَّةُ قناعًا يُخبرُ به عن بعضِ آماله، فتعدُّو شخصيَّةَ زكرياءَ/القناعِ "المُتحدِّثِ الأساسيِّ في القِصَّةِ، أمَّا الشَّاعرُ المُبدعُ فإنَّه لا يظهرُ إلَّا قليلًا، وذلكِ لتوضيحِ موقِفِ أو فكرةٍ".<sup>(2)</sup> وفي هذه الحالِ يتَمَمُّ الشَّاعرُ شخصيَّةَ النَّبيِّ ويُفوضُها للتكلمِ عنه، أو يتكلَّمُ بلسانها عن همِّه وحاجته، وقد تشابهَ الموقِفانِ وتماثلا في تطلُّعِ كليهما إلى الإبنِ أو الولدِ أو الدرِّيَّةِ والتَّوجُّهِ إلى الله الرَّازِقِ عليه السلام بالدُّعاءِ، ولكنَّ الرباويِّ يُمارِسُ تحويرًا فنيًا مُثيرًا في التَّعاملِ مع النَّصِّ القرآنيِّ إذ يثبتُ دلالتَه السَّابِقَةَ أولًا ثمَّ يضيفُ إليها ما يولِّدُ الدَّلالةَ الطَّارئةَ المُستحييَّةَ للسِّياقِ الرَّاهنِ، فالمفردةُ القرآنيَّةُ أو التَّركيبُ المُتفاعلُ نصيًّا يَخْتَصِرُ المسافةَ بينَ الأشخاصِ ويُقرِّبُ بينَ المواقِفِ، وبذلكِ يلمحُ الشَّاعرُ في نصِّهِ دلالاتٍ تُنطبقُ على الواقعِ وهذا ما يمنحُه قُدرةً على التَّأويلِ المُكتشفِ وقُدرةً على القِراءةِ المُبدعةِ. وتوضُّحُ بنيةِ النَّصِّ، في المقطعِ الآتي، التَّفاعلِ الإيجابيِّ بينَ النَّصِّينِ وبينَ الشَّاعرِ وقناعه، يقولُ الشَّاعرُ<sup>(3)</sup>:

مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ رَمَزًا وَإِشَارَةً  
مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ حُبِّي  
فَابْعَثْ لِي مِنْكَ إِشَارَةً  
مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ حَبِيبِي  
هَلْ فِي بَلَدِي  
مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ؟

إنَّ الشَّاعرَ بهذا التَّحوِيلِ الإمتصاصيِّ يَسْتَوْحِي الآيةَ الكريمةَ<sup>(4)</sup>: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبَّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾، ويُعيدُ بناءها بشكلٍ مُختلفٍ لا يُنْقَضُ

(1) عمر بوقرورة: (التجربة اللغوية في شعر محمد علي الرباوي) مجلَّة الأدب الإسلامي، تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ-1996م/1997م، مج: 4، ع: 13، ص: 59.

(2) أحمد طعمة حلي: النَّصَّاص بين النَّظريِّ والتَّطبيقيِّ، ص: 226.

(3) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوارة، ص: 36.

(4) سورة آل عمران، الآية: 41.

مَعْنَاهَا وَلَا يَنْفِيهِ وَلَا يُحَاوِرُهُ بِالْمَفْهُومِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ بَنِيْسٌ\*، وَإِنَّمَا يُعَضِّدُهُ وَيُوقِرُّهُ وَيُجِلُّهُ، فَالرِّبَاوِيُّ قَدَّمَ  
 الْإِمْسَاكَ عَنِ الْكَلَامِ مِنْ خِلَالِ بِنْيَةِ (النَّفْيِ) الْمُؤَكَّدَةِ بِالتَّكْرَارِ اللَّفْظِيِّ (مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) بِوَصْفِهِ صَوْمًا  
 وَعِبَادَةً وَامْتِثَالًا لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ وَالْمَقْصُودُ هُنَا شُكْرُ النِّعْمَةِ، أَيْ نِعْمَةِ الْوَالِدِ، ثُمَّ يَطْلُبُ مِنْ مَوْلَاهُ إِشَارَةَ الْقَبُولِ بَيْنَمَا  
 زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا تُخْبِرُ الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ طَلَبَ الْآيَةَ فَكَانَ الرَّدُّ الْإِلَهِيُّ بِأَنْ لَا يُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيَنْصَرِفَ إِلَى ذِكْرِ  
 رَبِّهِ، وَيُضَيِّفُ الرِّبَاوِيُّ إِلَى الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ دَلَالَةً جَدِيدَةً تُثْرِي السِّيَاقَ بَعْدَ أَنْ هَيَّأَ لَهَا مَكَانًا مُنَاسِبًا فِي هَذَا الْفَضَاءِ  
 التَّنَاصِيٍّ، وَذَلِكَ مَا أَفَادَتْهُ بِنْيَةُ الْإِسْتِفْهَامِ الدَّالَّةِ عَلَى النَّفْيِ (هَلْ فِي بَلَدِي مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ)، وَهِيَ تُوصِفُ لِمَوَاقِعِ  
 سِيَاسِيٍّ قَاهِرٍ يُمَارِسُ فِيهِ الْحَاكِمُ تَكْمِيمَ الْأَفْوَاهِ فَلَا تَسْتَطِيعُ حَتَّى الصَّرَاحِ مِنْ لَهَيْبِ سَوَاطِحِ الظَّالِمِ.  
 وَيُعَدُّ الْمَقْطَعُ الْآتِي تَنْمَةً لِلأَوَّلِ، وَهُوَ يَنْفَتِحُ عَلَى نَصِّ الْآيَةِ الْغَائِبَةِ أَوْ النَّصِّ الْأَثَرِ لَكِنَّ صَدَاهُ مُنْتَشِرٌ فِي فَضَاءِ  
 هَذَا الْمَقْطَعِ<sup>(1)</sup>:

حَبِيبِي ...

كَيْفَ أَكَلَّمْتُ مَنْ لَا أَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ

فِي زُرْقَةِ هَذَا الْبَحْرِ،

وَيَبْقَى عِنْدَ الشَّطِّ مَحَارَةً؟

مَا كَلَّمْتُ النَّاسَ حَبِيبِي

فَابْعَثْ مِنْكَ بَشَارَةً.

وَيَرِدُ فِي الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَصِيدَةِ تَدَاخُلٌ نَصِّيٍّ آخَرَ مَعَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ يَتَمُّ مِنْ خِلَالِ الْإِفْتِبَاسِ الَّذِي لَا  
 يُنْقَلُ فِيهِ اللَّفْظُ الْمُقْتَبَسُ عَنْ دِلَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى دِلَالَةِ أُخْرَى، فَالشَّاعِرُ يُوظِّفُ بِنْيَةَ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا  
 يَقِفُ عِنْدَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ بَلْ يَسْتَمِدُّ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ كَمَا يَتَّبِينُ فِي قَوْلِهِ<sup>(2)</sup>:

يَا مَحْبُوبِي

أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَيْكَ وَصُولِي.

هَذَا ذُلِّي يَطْهَرُ بَيْنَ يَدَيْكَ.

هَذَا حَالِي لَا يَخْفَى يَا مَوْلَايَ عَلَيْكَ.

بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَأَنْصُرْنِي.

لَا تَتْرُكْنِي

(\* يَرَى بَنِيْسُ أَنَّ الْحَوَارِ الَّذِي هُوَ فِي جَوْهَرِهِ نَقْدٌ لِلنَّصِّ الْغَائِبِ وَتَخْرِيبٌ لِكُلِّ مَفَاهِيمِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ الْمَهَادَنَةَ، وَلَا يَرْتَاحُ لِلْإِحْتِرَامِ،  
 وَمَعَهُ لَا تَقْدِيسَ لِلنُّصُوصِ الْغَائِبَةِ، عَلَى عَكْسِ الْإِمْتِنَاعِ الَّذِي هُوَ قَبُولٌ لِلنَّصِّ الْغَائِبِ، وَتَقْدِيسٌ لَهُ وَإِعَادَةٌ كِتَابَتِهِ بِطَرِيقَةٍ لَا تَمَسُّ جَوْهَرَهُ،  
 فَالْإِمْتِنَاعُ يَعْبُرُ عَنِ قَنَاعَةٍ رَاسِخَةٍ بِأَنَّ هَذَا النَّصَّ غَيْرَ قَابِلٍ لِلنَّقْدِ، أَيْ لِلْحَوَارِ.

(1) مُحَمَّدٌ عَلِيُّ الرِّبَاوِيُّ: الْأَحْجَارُ الْفَوَارَةُ، ص: 38.

(2) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص: 47.

طَرْفَةً عَيْنٍ يَا مَوْلَايَ إِلَى نَفْسِي.

لَا تَجْعَلْهَا أَكْبَرَ هَمِّي..

لَا تَجْعَلْهَا أَكْبَرَ هَمِّي..

إِنَّ الْقَصِيدَةَ تُحِيلُ إِلَى نُصُوصٍ دِينِيَّةٍ غَائِبَةٍ حَاضِرَةٌ أَوْلَاهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَنَائِنَاهَا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ، فَلِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَفْظًا وَمَعْنَى، أَثَرٌ وَاسِعٌ وَقَوِيٌّ فِي الْمَثَنِ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى مَا تَمَيَّزَ بِهِ لُغَتُهُ الْمُعْجَزَةُ مِنْ "إِشْعَاعٍ وَتَجَدُّدٍ، وَلَمَّا فِيهَا مِنْ طَاقَاتٍ إِبْدَاعِيَّةٍ، تَصِلُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْمُتَلَقِّي، بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ قَابِلِيَّتُهَا الْمُسْتَمِرَّةُ لِإِعَادَةِ التَّشْكِيلِ وَالصِّيَاغَةِ، مِنْ حَدِيدٍ، بَحِيثٌ يَسْتَطِيعُ عِدَّةُ شُعْرَاءٍ أَنْ يَسْتَمِرُّوا الْآيَةَ الْوَاحِدَةَ، مِنْ خِلَالِ إِسْقَاطِ مَعْرَاهَا، أَوْ شَكْلِهَا، عَلَى أَرْمَانِهِمُ الْخَاصَّةِ، لِنُجْبَرِ عَنْ تَجَارِيهِ الْفَرْدِيَّةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَلْتَمِزُوا صِيعَةً وَاحِدَةً".<sup>(1)</sup> فَالشَّاعِرُ، وَهُوَ يَمُرُّ بِتَجْرِبَةٍ ذَاتِيَّةٍ خَاصَّةٍ يُدْرِكُ، هُنَا، عُمُقَ الْعِلَاقَةِ الَّتِي تَجْعَلُ تَجْرِبَتَهُ شَدِيدَةً الشَّبَهَ بِتَجْرِبَةِ نَبِيِّ اللَّهِ زَكَرِيَاءَ عليه السلام، فَيَلْجَأُ إِلَى هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ مُتَّخِذًا إِيَّاهَا فِنَاعًا لِلتَّعْبِيرِ عَنْ تَجْرِبَتِهِ لِتَوْفُرِهَا عَلَى مَلْمَحٍ مِنَ الْمَلَامِحِ الْمُلَائِمَةِ لِتَجَبُّهِ الْمَعَاوِرَةِ، وَيَتِمَثَّلُ فِي إِنْجَابِ الْوَلَدِ بَعْدَ طُولِ صَبْرٍ وَانْتِظَارٍ. وَبِذَلِكَ يُحِيلُ هَذَا النَّصُّ إِلَى النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَقْصُّ قِصَّةَ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ - كَمَا تَقَدَّمَ -، فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ يَقُولُ الْحَقُّ عز وجل:<sup>(2)</sup> ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، وَيَقُولُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ<sup>(3)</sup>: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وَيَقُولُ<sup>(4)</sup>: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، وَيَقُولُ<sup>(5)</sup>: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ الْمَضَامِينَ الشُّعُورِيَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ فِي سِيَاقَاتِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ تُسَعِّفُ الشَّاعِرَ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الْمَعَاشَةِ وَتَسْتَجِيبُ إِلَى تَطَلُّعَاتِهِ إِلَى الْوَلَدِ، وَهِيَ سِيَاقَاتٌ تَتَجَلَّى خِلَالَهَا الْقُدْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْخَارِقَةُ وَالْإِرَادَةُ الْمُعْجَزَةُ الْقَادِرَةُ عَلَى خَرْقِ الْعَادَةِ وَتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْيَأْسِ، فَكَمَا وَهَبَ اللَّهُ عز وجل زَكَرِيَّا وَلَدًا عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ وَزَوْجِهِ سَيِّهَبُ الشَّاعِرِ وَلَدًا، فَكُلًّا النَّصِّينِ الْمُتَدَاخِلِينَ يَنْسَجِمَانِ فِي إِتْبَاحِ الدَّلَالَةِ، فَالدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَفْلُ.

#### 1-8- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (الدَّارِ الْبَيْضَاءِ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

يَتَجَلَّى التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (الدَّارِ الْبَيْضَاءِ) مِنْ خِلَالِ الْمَقْطَعِ الشَّعْرِيِّ الْآتِي الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ (هَجْرَةِ) نَصِّ أَحْمَدَ شَوْفِي إِلَى مَثَنِ الرِّبَاوِيِّ الشَّعْرِيِّ، وَهِيَ هَجْرَةٌ لَا تَخْفَى عَلَى الْقَارِئِ وَلَا تَشْدُّ عَنْ شَرْطِ الْكِتَابَةِ، فَإِذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ الْبِنْيَةِ النَّصِّيَّةِ تَصْدُرُ عَنْ مَعْرِفَةِ بَتَارِيخِ الْبِنْيَةِ فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ أَنْ تَكُونَ عَلِيمَةً بِالتَّدَاخُلِ النَّصِّيِّ وَالْهَجْرَةِ

(1) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظري والتطبيقي، ص: 100.

(2) سورة الأنبياء: الآية، ص: 89.

(3) سورة آل عمران: الآية، ص: 38.

(4) سورة مريم: الآية، ص: 7.

(5) سورة مريم: الآية، ص: 10.

النَّصِيَّةِ مَهْمَا كَانَ الْعِلْمُ نَسْبِيًّا وَقَاصِرًا، إِنَّ النَّصَّ لَا يُكْتَبُ إِلَّا مَعَ نَصٍّ آخَرَ أَوْ ضِدِّهِ، بِذَلِكَ تُخْبِرُنَا الْحَدَاثَةُ الشَّعْرِيَّةُ عُمُومًا، فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرِهِ، فَالنَّصُّ الْمُضْمَرُّ يَعْنِي بِكُلِّ بَسَاطَةٍ أَنَّ النَّصَّ لَا يُوْحُ وَلَا يُصْرِّحُ بِالضَّرُورَةِ. وَهَكَذَا فَإِنَّ الْكِتَابَةَ مَعَ نَصٍّ مِنَ النَّصُوصِ، وَالصُّدُورَ عَنْهُ، هُوَ مَا نَقَصِدُهُ مِنَ الْهَجْرَةِ". (1) يَقُولُ الرَّبَاوِيُّ (2):

يَا دَارُ خَدَعُوكِ إِذْ قَالُوا  
بِأَنَّكَ كَالضُّحَى الْفَتَّانِ، أَوْ كَالتَّحْمَةِ الْعَدْرَاءِ.  
كَمْ غَرَّ الثَّنَاءُ الْمُرُّ مِنْ صَفْصَافَةِ حَسَنَاءِ.  
خَدَعُوكِ يَا وَحْشِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ إِذْ سَمُوكِ بِالْبَيْضَاءِ.  
مِنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ الْبَيَاضُ وَأَنْتِ مَقْبَرَةٌ تَضُمُّ مَوَاجِعَ  
الْفُقَرَاءِ؟

مِنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ الْبَيَاضُ وَهَذِهِ الْأَشْجَارُ  
مَا عَرَفَتْ رَوَايَا الْمُنْزَنِ أَسْوَقَهَا  
وَلَا شَمَّتْ نَسِيمَ ضِيَاءِ  
مِنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ الْبَيَاضُ الْيَوْمَ  
يَا دَارًا رَمَتْ بِكُبُودِهَا فِي لُحَّةِ الرَّمَضَاءِ

إِنَّ النَّصَّ اللَّاحِقَ أَوْ الْمُهَاجَرَ إِلَيْهِ، مَا دَامَ الْحَدِيثُ عَنْ هَجْرَةِ النَّصُوصِ، يُحِيلُ إِلَى النَّصِّ السَّابِقِ أَوْ الْمُهَاجِرِ أَوْ النَّصِّ الْمَشْرُوطِ عِنْدَ الْكِتَابَةِ، وَهُوَ نَصُّ أَحْمَدَ شَوْقِي الَّذِي يَتِمُّثَلُ فِي مَطْلَعِ مَقْطَعِ غَزَلِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ مَدْحِيَّةٍ، يَقُولُ فِيهِ (3):

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ: حَسَنَاءُ؛ وَالْعَوَانِي يُعْرَهُنَّ الثَّنَاءُ

وَبِهَذِهِ اللَّغَةِ ذَاتِ الْكثَافَةِ الدَّلَالِيَّةِ الْمُنْفَتِحَةِ عَلَى تَجَارِبِ شَعْرِيَّةِ ثَرِيَّةٍ يَصْعَبُ مَلَا حَقَّتْهَا يَضْرِبُ الشَّاعِرُ بِأَوْتَادِ تَنَاصَاتِهِ فِي أَغْوَارِ لُغَةِ النَّصُوصِ الْبَعِيدَةِ وَفِي ضِغَافِ النَّصُوصِ الْقَرِيبَةِ، وَفِي هَذَا السِّيَاقِ الْإِسْتِفْهَامِيِّ التَّقْدِيِيِّ يُلْحَأُ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ إِلَى مُسْتَوْدَعِ الذَّاكِرَةِ يُجْمَعُ بَعْضُ مَوَادِّهِ لِبِنَاءِ قَصِيدَتِهِ عَلَى ضَوْءِ مَعْمَارِيَّةٍ إِيقَاعِيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ تَفْرَضُ تَمَيِّزَهَا فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوِرِ، فَالنَّصُّ الشَّعْرِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْمَعَاوِرُ عَلَى غَرَارِ النَّصِّ الْمَعَاوِرِ، كَكُلِّ، فَهُوَ "مَكُونٌ مِنْ أَفْكَارٍ أَوْ صُورٍ أَوْ لُغَاتٍ أَوْ إِيقَاعَاتٍ وَنُصُوصٍ سَابِقَةٍ، وَلَيْسَ النَّصُّ الْمَعَاوِرُ سِوَى تَشْكِيلِ عَضْوِيٍّ حَدَاثِيٍّ لِنُصُوصٍ قَدِيمَةٍ قَدْ وَظَّفَهَا الشَّاعِرُ تَوْظِيفًا مُعَاوِرًا". (4) وَالشَّاعِرُ يَمْلِكُ مِنَ الْخِبْرَةِ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ انْتِقَاءِ

(1) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، ج: 3، ص: 197.

(2) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 18.

(3) أحمد شوقي: الشوقيات، ج: 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 10، 1404هـ/1984م، ص: 112.

(4) خليل الموسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، ص: 114.

النُّصُوصِ الْمُسْتَدْعَاةِ مَا يُفِيدُهُ فِي صِيَاغَةِ تَجَرُّبَتِهِ الْمُعَاوِرَةِ وَيُلَائِمُ سِيَاقَهُ الرَّاهِنَ الْجَدِيدَ، وَنَصُّ الرِّبَاوِيِّ يَمْتَصُّ تِلْكَ الْمُقَدِّمَةَ الْعَزَلِيَّةَ الَّتِي افْتَتَحَ بِهَا أَحْمَدُ شَوْقِي إِحْدَى قَصَائِدِهِ لِتَنْدَمِجَ فِي حِطَابِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ (الدَّارِ الْبَيْضَاءِ) الْمَحْدُوعَةِ، فَيُحَاطِبُهَا حِطَابَ الْأُنْثَى الَّتِي غَرَّهَا تَنَاءٌ وَوَصَفُ الْعُشَّاقِ لَهَا بِالْحُسْنَاءِ فَتَنَكَّرَتْ لِأَبْنَائِهَا وَفَلذَاتِ أَكْبَادِهَا وَرَمَتْهُمْ فِي لَطَى الرَّمْضَاءِ، وَأَتَى لَهَا الْحُسْنُ وَالْبِيَاضُ وَهِيَ مَقْبَرَةُ الْفُقَرَاءِ؟ وَقَدْ تَصَرَّفَ الشَّاعِرُ فِي مَوَادِّ الْمُتَفَاعِلِ النَّصِيِّ وَرَتَّبَهَا فِي بِنَائِهِ اللَّغَوِيِّ الْجَدِيدِ فِي مَوَاضِعَ مُحَدَّدَةٍ فَتَدُلُّ مِنْ نَاحِيَةٍ، عَلَى مَصْدَرِهَا، وَتَخْدُمُ مِنْ نَاحِيَةٍ، سِيَاقَهُ الْحَاضِرِ فِي هَذِهِ الْبِنْيَةِ النَّصِيَّةِ. وَقَدْ وَرَّعَ الشَّاعِرُ بَيْتَ شَوْقِي الْعَمُودِيِّ السَّابِقِ فِي أُسْطُرٍ شِعْرِيَّةٍ مُحَوَّرًا بِذَلِكَ اقْتِبَاسَهُ وَمُمْتَصًّا لَهُ وَمُنْتَجًّا لَهُ فِي كِتَابَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ، فَلَمْ يُبْقِ مِنْ بَيْتِ شَوْقِي إِلَّا الْفِعْلَ (خَدَعُوكَ مَرَّتَيْنِ))، وَالْمَصْدَرَ (التَّنَاءَ) وَالْفِعْلَ (غَرَّ)، وَقَدْ اضْطَلَعْتُ هَذِهِ الْمَلْفُوظَاتُ بِالِاحْتَالَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَصْدَرِ الشَّعْرِيِّ لِلتَّنَاصُ.

### 1-9- التَّفَاعُلُ النَّصِيُّ فِي قَصِيدَةِ (كَأْسٍ مِنْ رَمَادٍ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

يَجِدُ الْمَتْنُ الشَّعْرِيُّ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ صَدَاهُ فِي التَّجَرُّبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهَذَا الصَّدَى أَوْضَحُ فِي مَتْنِ الرِّبَاوِيِّ الَّذِي سَعَى كَعْيَرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ الْمُعَاوِرِينَ إِلَى "قِرَاءَةِ الْمُرُوثِ الشَّعْرِيِّ بَعَيْنٍ مُتَّحِدَةٍ، وَقَلْبٍ مُتَّفَاعِلٍ مَعَ وَقَائِعِ الْعَصْرِ، وَأُذُنٍ تُحَاوِلُ اسْتِيعَابَ دِينَامِيَّةِ التَّغْيِيرِ فِي مَجَالِ الْإِقْيَاعِ".<sup>(1)</sup> وَتُسْفِرُ عِلَاقَةُ النَّصِّ الْأَثَرِ بِالنَّصِّ الصَّدَى عَنْ تَدَاخُلِ نَصِّيٍّ يَتَسَعُّ لِأَكْثَرِ مِنْ نَصٍّ قَدْ تَقَاطَعَ فِي نَسِيجِ الْقَصِيدَةِ وَتَحَوَّلَ فِي بِنْيَتِهَا بِوَاسِطَةِ قَانُونِ الْإِمْتِنَاصِ، يَقُولُ الرِّبَاوِيُّ فِي قَصِيدَةِ (كَأْسٍ مِنْ رَمَادٍ)<sup>(2)</sup>:

تَكْبُرُ فَرَحُتِكَ الْمَخْضَرَةُ:

حِينَ يَرِشُ الْأَهْلَ

-وَمَا لَكَ أَهْلُ-

جَدَوْلُكَ الْبَاسِمُ بِالْدَفِّءِ، فَتَشْتَعَلُ

أَقْمَارُ الْحُزْنِ بِهَيْكَلِ ذَاتِي الْمُرَّةِ..

هَلْ يَفْرَحُ غُصْنٌ مَقْطُوعٌ مِنْ شَجَرِهِ؟

حَسِبْتُ الْأَهْلَ لَمَّا أَجَّ وَقَدْ الْبِيدِ أَشْجَارًا،

فَقُلْتُ لِهَذِهِ الْوَجَنَاءِ: غَدِي السَّيْرُ إِنَّ أَمَامَنَا عُشْبًا وَأَطْيَارًا،

وَلَكِنْ، حِينَمَا أَلْقَيْتَ رَحْلِي، عِنْدَمَا لَاحَتْ مَضَارِبُهُمْ،

كَلَابَهُمْ ارْتَمَتْ غَضَبِي عَلَيَّ، وَأَضْرَمَتْ نَارًا،

فَيَا لَيْتَنِي إِلَى قَوْمٍ سِوَاهُمْ مِلْتُ أَوْ لِي دُونَهُمْ

(1) محمد بنيس: ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب، ص: 256.

(2) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 21.

أهلون: أشجار.. وأطيّار.. وعرفاء..

لها قلبٌ تُخبئُ حُبنا فيه وأسرار،

(...)

حالكٌ أشبهتُ حالي: كلانا مفردٌ كالنّاقةِ الجرباءِ

بينَ مجاهلِ الصّحراءِ

لأهلنا ولأدارا.

إن غنى النَّصِّ بادٍ بإحالاته إلى مثنونٍ شعريّةٍ متنوّعةٍ فتكادُ كلُّ لفظةٍ فيه تُخفي ناصبًا، وكثيرًا ما يُحيلُ النَّصُّ إلى المتنِّ الشعريِّ القديمِ، فنصُّ لاميةِ الشَّنْفَرِيِّ نصٌّ متمرّكٌ خلفَ هذا النَّصِّ والتداخُلِ واضحٌ من اقتحامه للنَّصِّ بمُعجمه اللُّغويِّ الذي حوّرَ الشّاعرُ في بعضِ مفرداته، فالسّطرانِ الشّعريّانِ (فيما ليّتي إلى قومٍ سواهم ملّت أو ليّ دُونهم/أهلون: أشجار.. وأطيّار.. وعرفاء..) يُحيلان إلى نصِّ الشَّنْفَرِيِّ الذي يقولُ في مُستهله<sup>(1)</sup>:

أقيموا بني أمي صدورَ مطيّكم      فإني إلى قومٍ سواكم لأميلُ  
فقد حمت الحاجاتِ والليلُ مُقمرٌ      وشدّت لطيّاتٍ مطايا وأرحلُ

.....

وليّ دُونكم أهلون سيّد عمّلس      وأرقتُ زهُلولٌ وعرفاء جيلُ  
هم الأهلُ لا مُستودعُ السرِّ ذائعٌ      لديهم، ولأالجاني بما جرّ يُخدلُ

ولعلَّ الشُّعورَ بالاغترابِ بينَ الأهلِ وإنكارِ الأصحابِ هو ما دعا إلى استحضارِ نصِّ اللّاميةِ التي أفصحَ فيها الشَّنْفَرِيُّ عن مثلِ هذا الشُّعورِ فاخترارَ الفلاةِ ووُحوشها عن مُجتمعِ النَّاسِ.

ويظهرُ في المقطعِ الشعريِّ الأخيرِ ما يدلُّ على قولِ طرفةِ بنِ العبدِ، فالسّطرُ الشعريُّ (حالكٌ أشبهتُ حالي: كلانا مفردٌ كالنّاقةِ الجرباءِ) يُحيلُ إلى قولِ طرفةِ في مُعلّته<sup>(2)</sup>:

وما زالَ تشرايبي الخُمورَ ولذتي      وبيعي وإنفاقي طريفِي ومثلي  
إلى أن تحامنتي العشيّةُ كلُّها      وأفردتُ أفرادَ البعيرِ المُعبّدِ

ويأتي هذا التّناصُّ في سياقِ الشُّعورِ ذاته، وقد اعتمدَ الشّاعرُ الامتناصَّ وسيلةً لاستدعاءِ النَّصِّ الشعريِّ القديمِ وتوظيفه في السّياقِ الجديدِ.

ويقولُ الرِّبَاويُّ في مَقْطَعٍ آخرٍ مِنَ القَصِيدَةِ<sup>(3)</sup>:

أنتَ قريبٌ يا ربُّ، ولكنَّ عَنَّا أبعدك الحُكَّامُ الفُجَّارُ  
حينَ تَأجَّجُ نُورُكُ فينا، كانَ الفاروقُ، ونحنُ الأنصارُ

(1) حنا الفاحوري: منتخبات الأدب العربي، ص: 9.

(2) الزوزني: شرح المُعلّقات السَّبْع، ص: 59.

(3) محمد علي الرِّبَاوي: أول الغيث، ص: 23.

حِينَ تَحَجَّرَتِ الْأَطْيَارُ بِدَاخِلِنَا رَفَضْتَنَا هَذِي الْأَشْجَارُ،  
فَخَلَعْنَا الْفَارُوقَ، وَنَصَبْنَا الْحَجَّاجَ وَدَبَّجَتِ الْأَشْعَارُ:  
يَا حَجَّاجُ تَسْكَعُ بَعَوَاصِمِنَا الْمُنْهَارَةَ، أَنْتَ تَشَاءُ وَلَيْسَ الْأَقْدَارُ  
لَكَ فِينَا الْحُكْمُ الشَّاسِعُ فَاحْكُمْ أَنْتَ الْوَاحِدُ أَنْتَ الْقَهَّارُ  
يَتَضَمَّنُ الْمَقْطُوعُ إِحَالَةً إِلَى قَوْلِ ابْنِ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ الْمُعَزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ<sup>(1)</sup>:

مَا شِئْتَ لِمَا شَاءَتْ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ  
وَكَأَنَّمَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَكَأَنَّمَا أَنْصَارُكَ الْأَنْصَارُ  
وَيَقُولُ الرَّبَاوِيُّ أَيْضًا مُتَنَاصًّا مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ<sup>(2)</sup>:

يَا ظَلِيمَةً تَحْرُقُ قَرْنَيْهَا شُمُوسُ هَذِهِ الْبَيْدَاءِ.

ابْتَسِمِي فَرُبَّمَا تَهْجُرُ ذَاتِي كِبْرِيَائِي.

ثُمَّ اسْتَسْلِمُ سِرًّا لِلْبُكَاءِ

وَاللُّدْعَاءِ

ابْتَسِمِي.. فَحِينَمَا تَبْتَسِمِينَ كَاللَّظِي، أُدْرِكُ ضَعْفِي،

وَحَقِيقَتِي، فَأَسْتَسْلِمُ كَالطِّفْلِ لَزَهْرَةِ الْبُكَاءِ.

هِيَ الدُّمُوعُ حَمْرَةٌ تُدْنِي الْفُؤَادَ مِنْ مَقَامِ الشُّوقِ وَالرَّجَاءِ.

ابْتَسِمِي حَتَّى أَهْزِنِي فَتَسَاقِطُ أَحْجَارِي، وَيَصْفُو جَسَدِي،

تَرَقَّ نَفْسِي، ثُمَّ ارْتَمِي كَهَذَا الْبَحْرِ فِي حَمْرِ الصَّلَاةِ.

فَالسَّطْرُ الشَّعْرِيُّ (ابْتَسِمِي حَتَّى أَهْزِنِي فَتَسَاقِطُ أَحْجَارِي، وَيَصْفُو جَسَدِي) يُحِيلُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حِطَابِ

مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ<sup>(3)</sup>: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَنِيئًا﴾. إِنَّ التَّدَاخُلَ النَّصْبِيَّ الْكَثِيفَ فِي هَذِهِ  
الْقَصِيدَةِ يَمْنَحُهَا كَثَافَةً فِي الْمَعْنَى وَخُصُوبَةً فِي الدَّلَالَةِ تَخْرُجُ بِالْقَصِيدَةِ عَنْ إِطَارِ التَّجْرِبَةِ الرَّاهِنَةِ الصَّبِيحِ وَتَنْطَلِقُ  
بِهَا فِي آفَاقٍ لَا حُدُودَ لَهَا.

#### 10-1- التَّفَاعُلُ النَّصْبِيُّ فِي قَصِيدَةِ (إِغَاثَةِ الْأُمَّةِ بِكَشْفِ الْعُمَّةِ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

تَتَمَيَّزُ الْقَصِيدَةُ عَلَى غِرَارِ قِصَائِدِ الرَّبَاوِيِّ بِبِنْيَتِهَا التَّنَاصِبِيَّةِ وَفَضَائِلِهَا الدَّلَالِيَّةِ غَيْرِ الْمَحْدُودِ، الَّذِي يُشَكِّلُ الْمَصَدَّرُ

الْقُرْآنِيُّ أَهَمَّ عَنَاصِرِهِ وَأَقْوَاهَا عَلَى إِتْنَاجِ الْمَعْنَى، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِيهَا<sup>(4)</sup>:

عَجِبْتُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَا قَلْبَ، عَجِبْتُ سَنَابِلُهَا الْخَضْرَاءُ

(1) ابن هاني: ديوان ابن هاني، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ص: 146. ومحمد اليعلاوي: ابن هاني المغربي الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، 1405هـ-1985م، ص: 129.

(2) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 25.

(3) سورة مريم، الآية: 25.

(4) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 31.

تَطَوَّقُهَا سُنْبَلَةٌ عَجْفَاءُ. عَجِبْتُ لَهَا، مَا أَحْمَرَّتْ وَحَتَّتْهَا سَبْعَ سِنِينَ  
وَلَا تُشْهَرُ أَشْجَارَ مَرَارَتِهَا فِي وَجْهِ الطَّاغُوتِ الْمُتَجَبَّرِ.. قَاسِ كَمْ  
هُوَ قَاسِ شَجَرِ الخَوْفِ الدَّامِسِ مُذْ غَرَسُوهُ بِأَفْنَدَةِ البَلَدِ المُنْهَارِ  
وَهَا ثَمَرُهُ يَتَدَوَّقُهَا العُظْمَاءُ الشُّرَفَاءُ فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ تَشْرَبَ عَيْنَاهُ  
ظِبَاءَ الجَنَّةِ وَالعَالَمِ تَمَضُّعُهُ أَدْغَالِ العَتَمَةِ.

يَتَضَمَّنُ النَّصُّ بِنَى مُفْرَدَةً وَأُخْرَى تَرْكِيبِيَّةً مِنَ الحَقْلِ القُرْآنِيِّ وَيَحْتَفِظُ بِعَنَاصِرٍ وَعَلَاقَاتِ النَّصِّ العَائِبِ الحَاضِرِ  
الَّذِي يُشَكِّلُ بَعْضَ دَلَالَاتِ القَصِيدَةِ، وَتِلْكَ البُنَى المُخْتَلِفَةُ تُحَدِّدُ بِوَضُوحِ النَّصِّ السَّابِقِ، فـ(سَنَابِلُهَا الخَضْرَاءُ،  
سُنْبَلَةٌ عَجْفَاءُ، سَبْعَ سِنِينَ) تُحِيلُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (1): ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ  
عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ المُفْرَدَاتُ  
اللُّغَوِيَّةُ تُشِيرُ إِلَى دِلَالَةِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ فَإِنَّهَا تُنْتِجُ دِلَالَةً شَعْرِيَّةً مُفَارِقَةً أَشَدَّ ارْتِبَاطًا بِالسِّيَاقِ الجَدِيدِ أَيْ بِالوَاقِعِ  
الاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ، وَإِذَا كَانَ لِلعَدَدِ فِي النَّصِّ القُرْآنِيِّ دِلَالَتُهُ عَلَى السِّنِّ السَّبْعَةِ المُخْصِبَةِ - وَهُوَ مَا تُفَسِّرُ  
بِهِ (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ) أَوْ (سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ) - وَفِي دِلَالَتِهِ عَلَى السِّنِّ السَّبْعِ المُجْدِبَةِ الصَّعْبَةِ - وَهُوَ تَفْسِيرُ (سَبْعُ  
عِجَافٍ) أَوْ (أُخَرَ يَابِسَاتٍ) - فَإِنَّ الشَّاعِرَ وَظَفَّ صِيعَةَ الجَمْعِ (سَنَابِلُهَا الخَضْرَاءُ) وَصِيعَةَ المُفْرَدِ (سُنْبَلَةٌ عَجْفَاءُ) وَوَضَفَّ  
(سَبْعَ سِنِينَ) فِي الجُمْلَةِ (مَا أَحْمَرَّتْ وَحَتَّتْهَا) لِلدِّلَالَةِ عَلَى الشُّحُوبِ وَالاِصْفَرَارِ الَّذِي يَظْهَرُ فِي وُجُوهِ الجَائِعِينَ  
الجَائِفِينَ الَّذِينَ تَنْفَرِدُ قَلَّةً قَلِيلَةً بِخَيْرَاتٍ وَطَنِهِمُ الكَثِيرَةَ وَلَا يَنْتَفِضُونَ وَلَا يَثُورُونَ فِي وَجْهِ الطَّاغُوتِ وَقَدْ غَرَسَ  
الخَوْفُ فِي أَفْنَدَتِهِمْ، وَالشَّاعِرُ يَتَعَامَلُ مَعَ النَّصِّ القُرْآنِيِّ مِنْ خِلَالِ امْتِصَاصِهِ وَتَحْوِيرِهِ وَتَحْوِيرًا جُزْئِيًّا لَا يُعَيِّرُ مِنْ دِلَالَتِهِ  
وَلَا يَتَنَاقِضُ مَعَهَا، وَإِنَّمَا يُفِيدُ مِنْ قُدْرَةِ بِنْيَتِهِ عَلَى الإِيحَاءِ المُؤَثِّرِ وَإِنَارَةِ المُتَلَقِّ وَجَدَانِيًّا.  
وَيَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مَقْطَعٍ آخَرَ مِنَ القَصِيدَةِ مُتَحَوِّلًا إِلَى المُصَدَّرِ الشَّعْرِيِّ، وَهُوَ المُصَدَّرُ الثَّانِي فِي بِنَاءِ  
القَصِيدَةِ (2):

يَا لَيْلُ البَلَدِ المُنْخُورِ مَتَى غَدُهُ؟  
أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ؟  
كُلُّ البُلْدَانِ انْتَفَضَتْ  
إِلَّا بَلَدِي كَثُرَتْ عُوْدُهُ.  
نَخَلْتُهُ المَمْدُودَةَ كَالآه لَكُمْ هَزَّتْ  
فَتَسَاقَطَ مِنْ تَدْيِيهَا الحَجَرُ

(1) سورة يوسف، الآية: 46.

(2) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 33.

سَنَظَلُّ نَهْزُ الْجِدْعَ نَهْزُ، فَهَزُّوا مَعَنَا  
لَسْنَا الْأَشْجَارَ الْجَوْفَاءَ، وَلَكِنَّا  
بِاسْمِ اللَّهِ نَهْدُ جِدَارَ الْخَوْفِ الرَّابِضِ فِينَا  
فَنُعِيدُ الْمَجْدَ لِهَدْيِ الْأُمَّةِ.

يَتَّضِحُ التَّدَاخُلُ النَّصِّيُّ فِي بَدَايَةِ هَذَا الْمَقْطَعِ مَعَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يَسْتَدْعِيهِ الشَّاعِرُ.

#### 11-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (مَدَدٌ مِنْ مِشْكَاةِ الْغَيْبِ) لِلرِّبَاوِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

إِنَّ مُقَارَبَةَ بِنْيَةِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ فِي نَمُودَجِهَا الرِّبَاوِيِّ "لَا يَعْنِي أَنَّ هَذَا النَّصَّ يَنْسُجُ تَمِيزَهُ مِنْ خِلَالِ تَرْكِيْبِهِ الدَّاخِلِيِّ، مُنْفَصِلًا فِي ذَلِكَ عَنْ كُلِّ عِلَاقَةٍ خَارِجِيَّةٍ بِالنُّصُوصِ الْأُخْرَى، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ مِنْ هَذَا التَّحْدِيدِ هُوَ اعْتِبَارُ النَّصِّ كَشَبَكَةٍ تَلْتَقِي فِيهَا عِدَّةُ نُصُوصٍ، اسْتَطَاعَ الشَّاعِرُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهَا كَنْزَهُ الشَّعْرِيِّ، وَذَاكَرْتَهُ الشَّعْرِيَّةَ، وَهِيَ نُصُوصٌ لَا تَقِفُ عِنْدَ حَدِّ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ بِالضَّرُورَةِ، لِأَنَّهَا حَصِيلَةُ نُصُوصٍ يَصْعَبُ تَحْدِيدُهَا، إِذْ يَخْتَلِطُ فِيهَا الْحَدِيثُ بِالْقَدِيمِ".<sup>(1)</sup> وَفِي فِضَاءِ هَذَا النَّصِّ الْخِصْبِ يَتَدَاخَلُ النَّصُّ الشَّعْرِيُّ وَالْقُرْآنِيُّ وَتَتَفَاعَلُ دَلَالَتُهُمَا فِي بَوْتَقَةِ النَّصِّ الرَّاهِنِ مُنْتَجَةً دَلَالَاتٍ شَعْرِيَّةً خَاصَّةً هِيَ خُلَاصَةٌ لِتَجْرِبَةٍ شَعْرِيَّةٍ عُنْوَانُهَا (المُجَاهِدَةُ) أَوْ الصِّرَاعُ مَعَ النَّفْسِ وَمَعَ الدُّنْيَا وَمَعَ الْوَسْوَاسِ، فَقَصِيدَةُ (مَدَدٌ مِنْ مِشْكَاةِ الْغَيْبِ) هِيَ النَّصُّ الشَّبَكَةُ حَيْثُ تَتَقَاطَعُ النُّصُوصُ، يَقُولُ فِي الشَّاعِرِ فِي مُسْتَهَلِّهِ<sup>(2)</sup>:

أَطَاعِنُ حَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا ذَاتِي.

فَتَأْسِرُنِي سِرًّا

وَتَكْسِرُ مِرَاتِي.

تُعَازِلُنِي الدُّنْيَا،

فَأَحْتَلُّ عَرَشَهَا.

وَلَكِنَّهَا الْمَصْبَاحُ يُفْنِي فَرَاشَاتِي.

فَمَنْ يُنْقِدُ الْمَأْسُورَ مِنْ وَهْجِ ضَوْئِهَا

وَيُرْسِلُ شَطًّا تَنْطَفِي فِيهِ مَوْجَاتِي.

فَالسَّطْرُ الشَّعْرِيُّ الْأَوَّلُ يَكْشِفُ عَنْ امْتِصَاصٍ وَتَحْوِيلٍ لِبَيْتِ الْمُتَنَبِّيِّ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ<sup>(3)</sup>:

أَطَاعِنُ حَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ

(1) محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص: 251.

(2) المصدر نفسه، ص: 35.

(3) أبو الطيب المتنبي: الديوان، شر: أبي البقاء العكبري، مج: 2، ج: 2، دار الفكر، (د، ت) ص: 123.

وَهُوَ تَحْوِيلٌ يُمَسُّ الشَّطْرَ الْأَوَّلَ مِنْ بَيْتِهِ دُونَ الثَّانِي عَلَى أَسَاسٍ أَنَّهُ مِنَ التَّنَاصِّ الْاِقْتِبَاسِيِّ الْمَحَوَّرِ الْجُزْئِيِّ، فَقَدْ أَرَاكَ لَفْظَ (الدَّهْرِ) فِي النَّصِّ السَّابِقِ وَأَدْرَجَ لَفْظَ (ذَاتِي):

أُطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ  
أُطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا ذَاتِي

إِنَّ الْمُتَنَبِّيَّ يُطَاعِنُ خَيْلًا الدَّهْرُ أَحَدُ فَوَارِسِهَا وَحِيدًا وَلَيْسَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ إِلَّا الصَّبْرُ، وَالرِّبَاوِيُّ يُطَاعِنُ خَيْلًا أَحَدُ فَوَارِسِهَا ذَاتَهُ وَحِيدًا وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا مَوْلَاهُنَّ وَإِنْ كَانَ الْمُتَنَبِّيُّ قَدْ فَهَرَ ذَاتَهُ بِطُمُوحِهِ اللَّامِحْدُودِ وَأَرَادَ أَنْ يَبْلُغَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ الزَّمَنُ، فَالرِّبَاوِيُّ لَا تَزَالُ ذَاتُهُ خَصْمًا عَنِيدًا لَا يَسْتَسَلِّمُ وَلَا يَذِلُّ وَلَا تَزَالُ نَفْسُهُ الْمَطْبُوعَةُ عَلَى الْمَلْعِ وَالْجَزَعِ تَعَوُّقُهُ عَن شُكْرِ مَوْلَاهُ. وَلَكِنَّ التَّنَاصَّ يُوحِي بِالْفَرْقِ بَيْنَ تَحْرِيَّتَيْنِ الْأُولَى هِيَ جِهَادٌ أَصْعَرُ بِالْمُقَارَنَةِ بِالثَّانِيَةِ فَهِيَ جِهَادٌ أَكْبَرُ. هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَالْأُولَى مُغَامَرَةٌ لِإِخْضَاعِ مَالٍ يَخْضَعُ وَقَهْرٍ مَا لَا يَقْهَرُ وَالثَّانِيَةُ مُحَاوَلَةٌ لِإِخْضَاعِ مَا يُمَكِّنُ إِخْضَاعَهُ وَقَهْرٍ مَا يُمَكِّنُ قَهْرَهُ.

وَيَرِدُ تَدَاخُلٌ نَصِيٍّ آخَرَ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنَ الْقَصِيدَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

هَا أَنْذَا السَّاعَةَ بَيْنَ الْأَهْلِ  
عَصِيَّ اللَّفْظِ،  
أَخَوْفًا أَمْ فَرَحًا؟  
هُوَ ذَا الرَّمْزِ يَلْفُ كَلَامِي الْيَوْمَ  
أَخَوْفًا أَمْ فَرَحًا؟  
مَا عُدْتُ أُكَلِّمُ فِي الْحَيِّ سِوَايَ  
فَهَلْ اسْتَسَلَّمْتُ لَوْ قَدِ الْفَرَحَةَ يَا مَوْلَايَ  
إِنْ كَانَتْ حَقًّا هِيَ مَا يَسْكُنُ عَبْدَكَ؟  
وَهَلْ اسْتَسَلَّمْتُ لَجَوْفِ الْخَوْفِ الْفَاجِرِ  
إِنْ كَانَ الْخَوْفُ حَبِيبِي  
هُوَ مَا يَتَسَكَّعُ فِي هَذَا الْقَلْبِ الْخَفَاقِ؟  
لِمَاذَا حِينَ تَسَلَّلْتَ الْبُشْرَى  
نَحْوَ خَرَائِبِ قَلْبِي  
-وَأَنَا عُودٌ يَتَقَوَّسُ كَالْآه-

لِمَاذَا

-وَأَنَا مَا نَادَيْتُ حَبِيبِي فِي الْمِحْرَابِ-

(1) محمد علي الرباوي: أول الغيث، ص: 40.

أَمْتَدَّتْ أَدْعَالُ الْخَوْفِ الْكَاسِرِ  
أَوْ رُبَّمَا هِيَ أَدْعَالُ الْفَرَحَةِ يَا مَوْلَايَ  
إِلَى مَمْلَكَتِي الْخَضْرَاءِ  
فَأَنْسَتَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الْبَيْضَاءِ؟  
هَلْ أَقْدِرُ أَنْ أَعْبُرَ هَذَا الْأَدْعَالَ الْفَتَّاكَةَ  
إِنْ عَنِّي أَنْتَ تَخَلَّيْتَ؟

لِمَاذَا يَا مَوْلَايَ خُلِقْتُ هَلُوعًا  
إِنْ مَسَّ جَنَابِي الْمَحَلُّ جَزُوعًا  
أَوْ مَسَّ جَنَابِي الْوَبْلُ جَزُوعًا  
أَذْرِكُنِي  
مِنْ وَسْوَاسِي الْخَنَاسِ، وَعَلَّمَنِي  
أَنْ أَمَلَأَ دُنْيَايَ بِحَمْدِكَ.

إِنَّ السُّطُورَ الْأَحِيرَةَ مِنَ الْقَصِيدَةِ تَكْشِفُ عَنِ التَّفَاعُلِ مَعَ نَصِيحِ قُرْآنِيِّينَ، فَقَوْلُهُ:

لِمَاذَا يَا مَوْلَايَ خُلِقْتُ هَلُوعًا  
إِنْ مَسَّ جَنَابِي الْمَحَلُّ جَزُوعًا  
أَوْ مَسَّ جَنَابِي الْوَبْلُ جَزُوعًا

يُحِيلُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (1): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ  
مُنُوعًا (21)﴾، فَهَذَا النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ تَمَّ تَوْظِيْفُهُ بِتَحْوِيلِهِ عَنْ طَرِيقِ امْتِنَاصِ مَعْنَاهُ، فَظَلَّ جَوْهَرُهُ ثَابِتًا لَمْ يَنْلُهُ أَيُّ  
تَحْوِيلٍ مَعَ الْاِحْتِفَاطِ بِبِنْيَتِهِ بِشَكْلِ كَبِيرٍ، فَالطَّبِيعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ لَا تَتَجَرَّدُ مِنْ صِفَتِي الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ وَالْمَنْعِ، وَالشَّاعِرُ كَأَحَدِ  
أَفْرَادِ الْجِنْسِ الْإِنْسَانِيِّ فَلَا يَتَنَصَّلُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ حَيْثُ الْأَصْلُ. وَإِذَا كَانَتْ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُصِفُ جَزَعُ  
الْإِنْسَانَ، بِالِاسْمِ الظَّاهِرِ وَالْبِزْمِيرِ الظَّاهِرِ الْمُتَّصِلِ، حِينَ ابْتِلَائِهِ بِالشَّرِّ وَمَنْعِهِ وَحِينَ ابْتِلَائِهِ بِالْخَيْرِ فَلَا يُؤَدِّي حَقَّ  
اللَّهِ، فَالشَّاعِرُ يَصِفُ ذَاتَهُ بِالْبِزْمِيرِ الظَّاهِرِ الْمُتَّصِلِ، فَهُوَ جَزُوعٌ فِي الْحَالَيْنِ (الْمَحَلُّ) وَالْوَبْلُ، وَهَذَا حَالُ ذَاتِهِ فِي هَذِهِ  
اللَّحْظَاتِ النَّفْسِيَّةِ فَالْمَحَلُّ حَالُ (الْخَوْفِ) الَّذِي يَعْتَرِيهِ وَالْوَبْلُ حَالُ (الْفَرَحَةِ) الَّذِي يَنْتَابُهُ، وَهُوَ يُجَاهِدُ النَّفْسَ الْعَافِلَةَ عَنْ  
شُكْرِ النُّعْمَةِ، وَالشَّاعِرُ بِامْتِنَاصِ الْمَعْنَى الْأَسَاسِيَّةِ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنْتَجَّ دَلَالَةً شِعْرِيَّةً جَدِيدَةً تَتَطَابَقُ مَعَ سِيَاقِ  
التَّجْرِبَةِ الْحَاضِرَةِ رَغْمَ أَنْ بِنْيَةَ نَصِّهِ التَّرْكِيْبِيَّةَ وَالْإِيقَاعِيَّةَ وَالْمُعْجَمِيَّةَ تَتَمَثَّلُ مَعَ بِنْيَةِ الْآيَةِ فِي تَرْكِيْبِهَا وَإِيقَاعِهَا  
وَمُعْجَمِهَا.

(1) سورة المعارج، الآيات: 19، 20، 21.

## 1-12- التفاعل النصي في قصيدة (الفرح المشتعل) للرباوي وتعدد مصادره:

إن لحظة الإبداع الشعري تستقطب كل الرواسب الأدبية وكل المحفوظات الراكدة في ذاكرة الشاعر، وتعيد إليها الحياة والحركة حين تُصهرها في نص جديد نابض بالحياة، وهي اللحظة التي تفتح فيها التجربة المتولدة على التجارب السابقة التي تبحث لها عن موضع في هذه التجربة، وبناءً على ذلك تتعدد النصوص وتتداخل في النص الجديد الذي يفرض قانونه المنظم، ولا يزال النص القرآني عنصراً فاعلاً في تجربة الرباوي ومُسهمًا في تشكيلها، ففي قصيدة (الفرح المشتعل) يرد التفاعل قوياً مع نص الآية القرآنية، يقول الشاعر في هذا المقطع منها<sup>(1)</sup>:

يا ذاتي، ما عدتُ أحسُّ بخطوكِ فوق رُبَا  
جسدي يتأججُ ناراً. ما عدتُ - كما بالأمسِ  
أراك، ملامحك المألوفة تهربُ مني. كيف أُعيدُ  
إلى عيني جداولها الرقاقة؟ كيف أُعيدُ إليَّ  
القوة حتى أجمع بين الصخرة وبينك في  
مأذبة لا يحضرها إلاناً؟ أتمردتُ عليك أنا،  
أم أنتِ تمردتِ علي؟ فهل لي أن أعرف من  
منا المسؤُول؟ ومن منا القاتل؟ من منا  
المقتول؟ هي الساعة قامت، وكلانا من  
أشراط الساعة. يا ذاتي زلزلة الساعة شيءٌ  
أرعب هذا البلد المقهور، وأرعبنا معه،  
فالناس سُكاري في الطرقات، وما هم  
بسكاري. لكنَّ عذاب القهر شديد، وعذاب  
الجوع مرير، وعذاب الوحدة القهار.

تمتاز لغة المقطع الشعري بمفردات وتراكيب تامة أو ناقصة محوِّرة ذات صلة بالحقل الديني قرآناً أو حديثاً، مما يجعل البحث في آليات إنتاج أو تلقي النص محوراً لدراسة العلاقة بين النصوص لمحاولة فهم النص وتفسيره في ضوء اعتبار أن التناص سمة من سمات النصية (Texture)، وأنه إحدى الطرق التي يترابط بها النص مع النصوص السابقة عليه. (2) وبوصف التناص سمة النص الشعري يرتبط هذا النص بنص سابق عليه هو نص

(1) محمد علي الرباوي: الأحجار الفوارة، ص: 94.

(2) عزة شبل محمد: علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 74.

الآية الكريمة الممتثلة في قوله ﷺ<sup>(1)</sup>: ﴿يَأْيَهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(1)</sup> يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾<sup>(2)</sup>. وقد توزعت عناصرها سافرة في النصِّ اللاحق، ولكنَّ الشاعِر وهو يتماسُّ مع النصِّ القرآنيَّ يحوِّر في بِنْيَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ فَيَزِيحُ عَنَّا صِرًا وَيُدْمِجُ أُخْرَى لِيَتَحَوَّلَ النَّصُّ الْمُنْتَجِعُ عَن دِلَالَةِ النَّصِّ السَّابِقِ وَيَنْطَبِقُ مَعَ مَقَاصِدِ الشَّاعِرِ وَدِلَالَاتِ السِّيَاقِ بِكُلِّ مَا يَحْفُهُ مِنْ شُرُوطِ نَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، فَتُصْبِحُ (زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ) الْمُنْتَظَرَةُ فِي هَذَا الْبَلَدِ غَيْرَ تِلْكَ الَّتِي تُنذِرُ بَفَنَاءِ الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ، وَإِنَّمَا (زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ) الَّتِي تُفَجِّرُ شَرَارَاتِ الثَّوَرَةِ وَالتَّعْيِيرِ الَّتِي تُنْهِي أَنْظِمَةَ الْقَهْرِ وَالْجَبْرُوتِ، وَ(النَّاسُ سُكَارَى) لِمَا مِنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ وَشِدَائِدِهَا بَلْ مِنْ أَهْوَالِ الْقَهْرِ وَالْجُوعِ. فَ(الرِّبَاوِي) يُتَقَنَّ إِذْ مَاجَ النَّصِّ السَّابِقِ فِي نَسِيحِ نَصِّهِ وَيُفِيدُ مِنْ مَلَامِحِهِ الدَّلَالِيَّةِ وَيَفْتَحُ نَصَّهُ عَلَى آفَاقٍ إِيجَائِيَّةٍ تُعْرِي بِالْقِرَاءَةِ وَالتَّأْوِيلِ وَلَا تَقْنَعُ بِتَأْوِيلٍ وَاحِدٍ وَنِهَائِيٍّ، فَنَصُّ الرِّبَاوِيِّ حَمَلٌ أَوْجُهُ، وَحَقِيقَةُ التَّنَاصُّ فِي تَجْرِبَتِهِ الْإِبْدَاعِيَّةِ الْفَرِيدَةِ "أَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الْبِضَاعَةِ الَّتِي تُرَدُّ إِلَى أَهْلِهَا، بَلْ قَوْمُهُ الْحَوَارِيُّ بَيْنَ الْوَاقِعِ الْآنِي وَالذَّاكِرَةِ الْحَيَّةِ النَّقَادَةِ الْمُنْتَفِيَّةِ".<sup>(2)</sup> وَتَكْشِفُ الْبَنَى النَّصِّيَّةُ فِي الْمَتْنِ الرِّبَاوِيِّ طُرْفًا مُخْتَلِفَةً فِي التَّنَاصُّ وَكَيْفِيَّاتٍ مُتَّوَعَةً تَتَنَاوَلُ الْمَحْتَوَى وَالشَّكْلَ وَتَمْتَدُّ إِلَى عَدِيدٍ مِنَ الْمَصَادِرِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشُّعْرِيَّةِ خَاصَّةً.

### 1-13- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (الْمَجْنُونِ) لِلْأَمْرَانِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

لَقَدْ غَدَا التَّنَاصُّ إِحْدَى الظُّوَاهِرِ الْفَنِّيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ الَّتِي أَفَادَتْ مِنْهَا الْقَصِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمَعَاصِرَةَ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ كَثِيرَةٌ الشُّبُوعِ فِي قِصَائِدِ الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ، فَقَدْ وَظَفَهُ حَسَنُ الْأَمْرَانِيِّ بِوَصْفِهِ فَضَاءً جَمَالِيًّا تَتَصَارَعُ فِيهِ عَلَى نَحْوِ مَا رُوِيَ وَأَفْكَارٌ، وَإِقَاعَاتٌ وَعَلَاقَاتٌ، وَأَسَاقٌ وَأَتَّجَاهَاتٌ، تَتَمَاطِلُ أَوْ تَتَقَابَلُ أَوْ تَتَمَازَجُ.<sup>(3)</sup> وَهُوَ فِي مَتْنِهِ الشُّعْرِيِّ أَحَدُ الْمَلَامِحِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ تَجْرِبَتَهُ الشُّعْرِيَّةَ خَاصَّةً مَا تَعَلَّقَ بِظَاهِرَةِ التَّنَاصُّ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي يَتَمَوَّقَعُ فِي نَسِيحِ النَّصِّ فِي صُورَةٍ لَفْظِيَّةٍ مُفْرَدَةٍ أَوْ فِي صُورَةٍ تَرْكِيْبِيَّةٍ، يُمَثِّلَانِ إِشَارَةً وَاضِحَةً أَوْ خَاطِطَةً. فَفِي النَّصِّ الْآتِي يَتَجَلَّى التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ مِنْ حِلَالِ اسْتِدْعَاءِ الْأَمْرَانِيِّ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةِ (الْمَجْنُونِ)<sup>(4)</sup>:

تَنْهَضُ مِنْ مَمْلَكَةِ اللَّهِ  
كَمَشْنَكَاةٍ بِهَا مِصْبَاحُ  
يَصْعَدُ مِنْ عِيُونِهَا: حَيَّ عَلَى الْفَلَّاحِ  
تُجِيبُهَا الْمَادِنُ السَّمَاءُ

(1) سورة الحج، الآية: 2-1.

(2) عبد القادر بقشي: التَّنَاصُّ فِي الْخُطَابِ التَّقْدِيِّ وَالبَلَاغِيِّ، ص: 6.

(3) عبد العاطي كيوان: التَّنَاصُّ الْقُرْآنِي، ص: 41.

(4) حسن الأمراني: ثلاثية الغيب والشهادة، ص: 16.

فِي وَجْدَةٍ..

فِي بَعْدَاد

أَوْ فِي النَّاصِرَةِ

فَيَفْرَعُ الْمُلُوكَ وَالْقِيَاصِرَةَ

فَالوَاضِحُ أَنَّ النَّصَّ يَدْخُلُ فِي عِلَاقَةٍ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ مُتَمَثِّلًا فِي الْمَلْفُوظِ (كَمِشْكَاةٍ بِهَا مِصْبَاحٌ)، فَهَذَا الْمَلْفُوظُ بِنِيَّةٍ تَرْكِيبِيَّةٍ مُحَوَّرَةٌ أَوْ مُقْتَبَسَةٌ جُزْئِيًّا عَنِ الْآيَةِ الْوَارِدَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (1): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تَوَّرَّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وَتَلَعَبُ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ (ك-) الَّتِي مَهَّدَتْ لِلنَّصِّ بِالْحُلُولِ فِي السِّيَاقِ الشَّعْرِيِّ الْجَدِيدِ دَوْرَ الرَّابِطِ بَيْنَ النَّصِّينِ فَمَا يَصْعَدُ مِنَ الْمَآذِنِ مِنْ كَلِمَاتِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَمِنْ دَعْوَةٍ إِلَى الصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ هُوَ النَّورُ الَّذِي يُشْبِهُ فِي انْتِثَاقِهِ وَأَنْبِعَاتِهِ نُورَ الْمِصْبَاحِ الْمَشْعُوعِ فِي الْمِشْكَاةِ، وَهُوَ النَّورُ الَّذِي يُفْرَعُ الظُّلْمَةَ. وَهِيَ كَلِمَاتٌ تَعْلُو فِي كُلِّ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَيَجْتَمِعُ حَوْلَهَا وَعَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ. وَفِي هَذَا التَّنَاصُّ الْقُرْآنِيِّ تَعْضِيدٌ لِلدَّلَالَةِ النَّاشِئَةِ وَتَقْوِيَةٌ لِمَعْنَى النَّصِّ بِرَبْطِهِ بِالنَّصِّ الْمُقَدَّسِ الْخَالِدِ: الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

#### 1-14- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (مَمْلَكَةِ الرَّمَادِ) لِلأَمْرَانِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

يُمَثِّلُ الْمَصْدَرُ الشَّعْرِيُّ-الْقَدِيمُ مِنْهُ تَحْدِيدًا-الْمَصْدَرَ الثَّانِيَّ بَعْدَ الْمَصْدَرِ الدِّينِيِّ أَهْمِيَّةً وَأَثْرًا فِي الشَّاعِرِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَحْفَلُ بِالتُّرَاثِ الْأَدَبِيِّ وَيُغِيدُ مِنْهُ عَلَى مُسْتَوِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَالْنَّصُّ الْآتِي يَتَنَاصُّ أَوْ يَتَعَلَّقُ بِنَصِّ الْمُتَنَبِّيِّ، يَقُولُ حَسَنُ الْأَمْرَانِيِّ فِي (مَمْلَكَةِ الرَّمَادِ) (2):

كَذَبْتَنِي يَا نَفْسُ أَيْنَ عَهْدُكَ الْقَدِيمُ؟

أَيْنَ الَّذِي وَعَدْتَنِي مِنْ تَوْبَةٍ نَصُوحِ

كُلِّ مَرَآكِبِي الَّتِي أَعَدَّدْتُهَا لِلرِّيحِ

وَأَشْرَعْتَ بَوَابِنَا سُدُومَ

أَصْخَرَةً أَنَا، فَلَا تُحَرِّكِ الْأَوْتَارُ

مَشَاعِرِي.. وَلَا تَهْزِنِي الْإِحْسَاسُ مِنْ قَلْبِي

خَوَابِي النَّارِ؟

وَيَتَحَسَّدُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ بَيْنَ النَّصِّينِ فِي السُّطْرَيْنِ الشَّعْرِيَيْنِ (أَصْخَرَةً أَنَا، فَلَا تُحَرِّكِ الْأَوْتَارُ مَشَاعِرِي) حَيْثُ يُحِيلَانِ إِلَى نَصِّ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ فِي قَصِيدَتِهِ (بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عِيدُ)، وَالَّتِي يَرِدُ فِيهَا قَوْلُهُ (1):

(1) سورة النور، الآية: 35.

(2) حسن الأمراني: مملكة الرماد، ص: 44.

يَا سَاقِيَّ أَحْمَرَ فِي كُؤُوسِكَمَا أَمْ فِي كُؤُوسِكَمَا هُمْ وَتَسْهِيْدُ  
أَصْحْرَةَ أَنَا! مَالِي لَا تُحْرِكْنِي هَذِي الْمَدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيْدُ

وَبِهَذَا التَّوْظِيْفِ يَكُونُ التَّنَاصُ "هُوَ انْفِصَالُ نَصِّ قَدِيمٍ/آخَرَ عَنِ بَنِيْتِهِ/مَسَافِهِ/زَمَانِهِ، لِلدُّخُولِ فِي نَصِّ حَدِيدٍ لَيْسَ كَشَاهِدٍ أَوْ لِإِظْهَارِ مَقْدَرَةٍ بَلْ كَعُنْصُرٍ بِنَائِي يُسَاهِمُ فِي نَسِيْجِ النَّصِّ وَتَشْكِيلِ عِلَاقَتِهِ وَإِغْنَاءِ دِلَالَتِهِ وَأَفْكَارِهِ بِحَيْثُ يَكْتَسِبُ هُوِيَّةً جَدِيْدَةً نَاتِجَةً عَنِ صَهْرِ هُوِيَّتِهِ الْقَدِيْمَةِ بِهَذِهِ هُوِيَّةِ الْجَدِيْدَةِ، فَهُوَ تَفَاعُلٌ وَتَصَاهُرٌ وَأَنْسِجَامٌ".<sup>(2)</sup> فَقَدْ وَجَدَ نَصُّ الْمُتَنَبِّيِّ هُوِيَّتَهُ الْجَدِيْدَةَ فِي نَصِّ الْأَمْرَانِيِّ وَأَخَذَ دِلَالَتَهُ مِنْ سِيَاقِهِ الْجَدِيدِ، وَلَعَلَّ السِّيَاقَ الْوَجْدَانِيَّ وَالْعَاطِفِيَّ فِي النَّصِّ الثَّانِي الَّذِي أَمْلَتْهُ التَّجْرِبَةُ الشَّعْرِيَّةُ هُوَ الَّذِي فَصَلَ نَصَّ الْمُتَنَبِّيِّ عَنِ بَنِيْتِهِ وَنَقَلَهُ مِنْ زَمَنِهِ إِلَى زَمَنِ التَّجْرِبَةِ وَوَجَّهَهُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الرُّوِيَّةِ وَالْمَوْقِفِ اللَّذِيْنَ يَعْكِسُمَا النَّصُّ، وَقَدْ احْتَفَظَ الشَّاعِرُ بِعَنْصَرِ الْبَنِيَّةِ الْقَدِيْمَةِ الَّتِي تَشْتَرِكُ فِيهَا التَّجَارِبُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْمُوَافِقَةُ لِلرُّوِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاسْتَبْعَدَ الْعَنْصَرُ (الْمَدَامُ) الَّتِي تَتَنَافَى وَالرُّوِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ.

#### 1-15- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيْدَةِ (دَمِ الشُّهْدَاءِ) لِلْأَمْرَانِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

يُصْبِحُ التَّنَاصُ فِي التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ عُنْصُرًا مُهِمًّا لِلشَّعْرِيَّةِ، فَالْكَلِمَةُ أَوْ الْعِبَارَةُ لَا تَكُونُ شَعْرِيَّةً إِلَّا إِذَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُحِيلَنَا إِلَى أُسْرَةِ كَلِمَاتٍ أُخْرَى مَوْجُودَةٍ سَلْفًا، وَكُلُّ نَصٍّ هُوَ تَنْوِيْعٌ عَلَى بَنِيَّةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ تَعْدِيْلٍ لَهَا وَمِنْ ثَمَّ يُخْفِي فِي دَاخِلِهِ نَصًّا آخَرَ.<sup>(3)</sup> وَعَوِضَ الدُّخُولِ فِي عِلَاقَاتٍ مَعَ الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ يَقُومُ النَّصُّ الْأَدْبِيُّ عَلَى مَقُولَةٍ أَنَّهُ مُلْتَقَى نُصُوصٍ أَوْ مَكَانٍ تَبَادُلٍ يَخْضَعُ لِنَمُودَجٍ خَاصٍّ هُوَ لَعَةُ الْإِيْحَاءِ، مِمَّا يَدْفَعُ إِلَى تَعْرِيفِ التَّنَاصِ بِأَنَّهُ "مَجْمُوعَةٌ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَتَدَاخَلُ فِي نَصٍّ مُعْطَى".<sup>(4)</sup> وَفِي ضَوْءِ أَنَّهُ "يُمْكِنُ لِنَصٍّ أَنْ يَحْمِلَ فِي مَضْمُونِهِ نَصًّا آخَرَ".<sup>(5)</sup> وَهَكَذَا فَإِنَّ التَّنَاصَ مِنْ حِلَالِ تَفَاعُلَاتِهِ فِي قَصِيْدَةِ (دَمِ الشُّهْدَاءِ) يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ نُصُوصًا وَيُقَدِّمُهَا بِطَرِيْقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(6)</sup>:

دَعِينِي أَنْطَلِقُ فَالْبَحْرُ يَدْعُونِي  
وَيَدْعُونِي الْبَنْفَسَجُ وَاخْتِلَاجُ الْوَجْدِ  
فِي مُهَجِ الْعَرَاكِينِ  
دَعِينِي أَحْتَرِقُ تَطْفَحُ شَرَائِبِي  
بِأَمْرِ لَسْتُ أَذْكَرُهُ

(1) أبو الطيب المتنبي: الديوان، مج: 2، ج: 2، ص: 86.

(2) أحمد حاسم الحسين: الشعرية، قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 2001، ص: 97.

(3) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 24.

(4) المرجع نفسه، ص: 91

(5) المرجع نفسه، ص: 92.

(6) حسن الأمراي: مملكة الرماد، ص: 56.

وَشِعْرٌ لَوْ رَأَى وَسَمِيهَ حَسَّانَ  
مَا غَنَى بِجَلْقٍ وَأَنْتَشَى طَرْبَا  
وَلَا قَالَ ابْنُ هَانِي: أَسْقِنِي الْعَرَبَا  
أَلَا يَا بَحْرُ يَا أَسْرَارَ أَسْرَارِي  
جُدُورِي مِنْ رِمَالِكَ فِيكَ مُمْتَدَّةٌ  
إِلَى وَجْدِهِ

وَوَجْدَةٌ طِفْلَةٌ سَمْرَاءُ  
تَرْعَى فِي رُبَى الْقَلْبِ  
تَقُولُ إِذَا احْتَوَانَا اللَّيْلُ تَحْتَ هَيْكَلِ الرَّبِّ:  
"أَبْتِي، إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَوْغَلْتُ وَأُمِّي  
لَدَفَقَةٌ مِنْ ضِيَاءِ  
لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّيْجِ عَلَيْهَا  
قَلَائِدُ الشُّهَدَاءِ"  
عَرُوسٌ مِنْ بَنَاتِ الزَّيْجِ لَيْلَتُنَا  
قَلَائِدُهَا دَمُ الشُّهَدَاءِ.

يَحْمِلُ النَّصُّ اللَّاحِقُ أَكْثَرَ مِنْ نَصِّ سَابِقٍ، وَيَتَضَمَّنُ إِشَارَاتٍ تَنَاصِيئَةً تَجْعَلُهُ يَنْفَتِحُ عَلَى قَوْلِ حَسَّانِ بْنِ تَابِتٍ  
كَنْصٍ أَوَّلِ اسْتَدْعَاةِ الشَّاعِرِ، وَهُوَ النَّصُّ:

أَنْظُرْ خَلِيلِي بِيَطْنٍ جَلِقَ هَلْ تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ  
وَيَنْفَتِحُ عَلَى قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ كَنْصٌ ثَانٍ اسْتَدْعَاةِ الشَّاعِرِ، وَهُوَ النَّصُّ:

وَلَا الْأَرَاذِلُ إِلَّا مَنْ يُوقِرُنِي مِنَ السُّقَاةِ وَلَكِنْ اسْقِنِي الْعَرَبَا  
وَيَنْفَتِحُ بِشَكْلِ أَوْضَحَ عَلَى قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ الَّذِي نَظَّمَهُ فِي (إِعَادَةِ ذِكْرِي وَوَصْفِ لَيْلَةٍ، كَنْصٌ ثَالِثٌ  
اسْتَدْعَاةِ الشَّاعِرِ، وَهُوَ النَّصُّ<sup>(1)</sup>):

عَلَّلَانِي فَإِنَّ طَيْبَ الْأَمَانِي فَنَيْتُ وَالزَّمَانَ لَيْسَ بِفَانٍ

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّيْجِ جَ عَلَيْهَا قَلَائِدٌ مِنْ جُمَانٍ  
وَقَدْ حَوَّرَ الشَّاعِرُ تَحْوِيرًا جُزْئِيًّا فِي النَّصِّ السَّابِقِ لِيُلائِمَ سِيَاقَ النَّصِّ الْجَدِيدِ وَدَلَّالَتُهُ.

(1) حنا الفاحوري: منتخبات الشعر العربي، ص: 362.

إنَّ التَّنَاصَّ سِمَةَ المَتَنِ الشُّعْرِيِّ الإِسْلَامِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ، فَحَسَنُ الأَمْرَانِي نَسَمِعُ فِي مَتْنِهِ أَصْدَاءُ نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ وَنَلْمَسُ آثَارَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا المَتَنِ الشُّعْرِيِّ اللَّامِعِ إِجْهَاءً وَرَمَزًا، فَالأَمْرَانِي يَسْتَدْعِي النَّصَّ الدِّينِيَّ أَوْ القُرْآنِيَّ وَيَعِي دِلَالَتَهُ لِيُنتِجَ دِلَالَتَهُ الجَدِيدَةَ فِي بَنَى جَدِيدَةً، وَتَوْظِيفُ النَّصِّ الدِّينِيَّ فِي الشُّعْرِ يُعَدُّ مِنْ أَنْجَحِ الوَسَائِلِ، وَذَلِكَ لِخَاصِيَّةِ جَوْهَرِيَّةٍ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ تَلْتَقِي مَعَ طَبِيعَةِ الشُّعْرِ نَفْسِهِ، وَهِيَ أَنَّهَا مِمَّا يَنْزَعُ الذَّهْنَ البَشَرِيَّ لِحِفْظِهِ وَمُدَاوَمَتِهِ تَذَكُّرِهِ، فَلَا تَكَاذُ ذَاكِرُهُ الإِنْسَانَ فِي كُلِّ العُصُورِ تَحْرِصُ عَلَى الإِمْسَاكِ بِنَصِّ إِلا إِذَا كَانَ دِينِيًّا أَوْ شِعْرِيًّا. وَهِيَ لَا تُمَسِّكُ بِهِ حَرِصًا عَلَى مَا يَقُولُهُ فَحَسَبُ، وَإِنَّمَا عَلَى طَرِيقَةِ القَوْلِ وَشَكْلِ الكَلَامِ أَيضًا. وَمِنْ هُنَا يُصْبِحُ تَوْظِيفُ التُّرَاثِ الدِّينِيَّ فِي الشُّعْرِ تَعْزِيزًا قَوِيًّا لِشَاعِرِيَّتِهِ وَدَعْمًا لِاسْتِمْرَارِهِ فِي حَافِظَةِ الإِنْسَانِ".<sup>(1)</sup> وَلِهَذَا العَرَضُ يَأْتِي نَصُّ (مَقَامِ الحُزَنِ) مُتَنَاصًّا مَعَ نَصِّ قُرْآنِيٍّ فِي مَطْلَعِهِ وَآخِرَ شِعْرِيٍّ فِي خَاتِمَتِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

آتِي إِذَا نُودِي:

أَنْ بُوْرِكَ مَنْ فِي النَّارِ

طَبِيعَةٌ تَدْعُونِي

وَيَدْعُونِي إِذَا ظَمِئْتُ لِلنَّوَارِ

صَاحِبُهَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

أَنْ أَسْرِجَ الحَيْلَ، وَأَنْ أَمْتَشِقَ الحُسَامِ

إِنْ صَادَرُوا حَتَّى مِنْ الحَنَاجِرِ الكَلَامِ

- يَا أَيُّهَا الفَارِسُ!

دُلَّنِي إِذَنْ عَلَى طَرِيقِ الجَنَّةِ

- لَمْ أَرِ إِلا، يَا سَلِيلَ الحُزَنِ، أَنْ تَسِيرَ

فَوْقَ شَفَرَاتِ المُزْنِ وَالْأَسِنَّةِ

أَقُولُ: لَأَ تَحْزَنَ إِذَا دَاهَمَكَ الحِصَارُ

وَبَشَّرِ الصَّحَابَ حِينَ يُولَدُ العُجْبَارُ

أَخْرُجُ مِنْ خَوْفِي

وَمِنْ صَمْتِي

وَمِنْ تَرُدُّدِي

أَدْخُلُ فِي تَهْجُدِي

تَوْحُدِي:

(1) صلاح فضل: إنتاج الدلالة الشعرية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط: 2، 2002، ص: 43.

(2) حسن الأمراني: مملكة الرماد، ص: 77.

يَا نَفْسُ لَا تُرَاعِي،  
 أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ  
 لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّه  
 إِنَّ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ  
 مَا لِي أَرَاكَ تُكْرَهِينَ الْجَنَّةَ  
 قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتُ مُطْمَئِنِّتَهُ  
 هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَتِّهِ".

إِنَّ النَّسِيحَ اللَّغَوِيَّ لِهَذَا النَّصِّ الْمُمَيِّزِ تَتَقَاطَعُ فِيهِ خِيُوطُ نَصِيئَةٍ قُرْآنِيَّةٍ وَشِعْرِيَّةٍ وَتَمَنُّحُهُ صُورَتُهُ الشَّكْلِيَّةَ وَالذِّلَالِيَّةَ الْقَائِمَةَ عَلَى تَحْوِيلِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ عَنْ طَرِيقِ الْإِمْتِنَاصِ وَالِاسْتِشْهَادِ بِالنَّصِّ الشَّعْرِيِّ الَّذِي لَا يُؤَدِّي وَظَيْفَةَ التَّعْضِيدِ أَوْ إِقَامَةَ التَّوَاصُلِ وَإِنَّمَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى دِلَالَةِ أُخْرَى، فَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَحْمِلَ النَّصُّ الْمُسْتَشْهَدُ بِهِ دِلَالَتَهُ الْقَدِيمَةَ وَأَنْ يَحْمِلَ دِلَالَةً ثَانِيَةً فَبَعْدَ تَغْيِيرِ مَوْقِعِهِ الْأَوَّلِ وَمُفَارَقَةِ بَنِيَتِهِ النَّصِيئَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَحُلُولِهِ فِي سِيَاقِ النَّصِّ الْجَدِيدِ يُحَدِّدُ دِلَالَتَهُ. وَفِي هَذَا السِّيَاقِ الصُّوفِيِّ الرَّمَزِيِّ يَخْتَارُ الْأَمْرَانِي مَوْعِدَ قُدُومِ وَطُلُوعِهِ وَيَجْعَلُ مِنْ مَلْفُوظِ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ عِلْمًا هَذَا الْمَجِيءِ، وَيَتَفَاعَلُ مَعَهَا نَصِيئًا بِوَصْفِهَا نَصًّا أَوَّلًا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُخَاطَبَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (1): ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَإِذَا كَانَ التَّدَاءُ وَالنَّارُ فِي الْآيَةِ إِشْعَارًا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِعْدَادًا لِتَقْبُلِ الرِّسَالَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمِهْمَةِ، فَهَمَّا، بِالنَّسْبَةِ إِلَى الشَّاعِرِ الْحَافِزَانَ عَلَى التُّهُوسِ بِالْوَجَابِ وَالسَّعْيِ فِي التَّبْلِيغِ بِالْوَسِيلَةِ الْمُنَاسِبَةِ. وَهَذَا مَا يُعَزِّزُهُ مَنْطُوقُ النَّصِّ مِنْ خِلَالِ الْإِشَارَاتِ النَّصِيئَةِ كـ(طِيبَةٍ) وَ(صَاحِبِهَا). وَيَتَنَاصُ الشَّاعِرُ مَعَ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَوْمَ مُرُوتَةَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ جَعْفَرٍ، فَقَدْ أَخَذَ الرَّأْيَةَ، وَخَاطَبَ فَرَسَهُ قَائِلًا (2):

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ فَلَ تُكْرَهَنَّه  
 إِنَّ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ مَا لِي أَرَاكَ تُكْرَهِينَ الْجَنَّةَ  
 جَعْفَرُ، مَا أَطِيبَ رِيحَ الْجَنَّةِ

وَيُعَدُّ التَّنَاصُ هُنَا تَنَاصًا اقْتِبَاسِيًّا كَلِمًا مُنَصَّصًا غَيْرَ مُحَوَّرٍ، وَيَأْتِي اسْتِدْعَاءُ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ تَقْوِيَةً لِلدِّلَالَةِ النَّصِّ الْجَدِيدِ فِكْرًا وَشُعُورًا وَلِدَعْمِ الْمَوْقِفِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ الشَّاعِرُ، وَهُوَ أَكْثَرُ وَضُوحًا فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يُمَجِّدُ الْإِقْدَامَ لَا الْإِحْجَامَ وَالْإِصْرَارَ لَا التَّرَاحِي وَيُعَلِّي مِنْ شَأْنِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَذَلِكَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الشَّطْرُ الْمَحْدُوفُ (جَعْفَرُ مَا أَطِيبَ رِيحَ الْجَنَّةِ)، وَيَلْمَحُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى مَا كَانَ فِي نَفْسِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حَشِيئَةِ (فِرْعَوْنَ).

(1) سورة النمل، الآية: 8.

(2) نايف معروف: الأدب الإسلامي، ص: 210.

إِنَّ الْأَمْرَانِي إِذْ يُقِيمُ هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ نَصِّهِ وَالنُّصُوصِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّابِقَةِ فَهُوَ يَمْتَصُّ مِنْهَا نَسْغَ الْحَيَاةِ الْخَالِدَةِ، فَ"التَّنَاصُّ ضَرُورَةٌ لِرَبْطِ الْعَمَلِ الْأَدْبِيِّ بِالْحَيَاةِ عِبْرَ الْإِسْتِعَانَةِ بِالنُّصُوصِ الْأُخْرَى الْحَيَّةِ سِوَاءِ أَنْتَمَّتْ لِعَمَلِ أَدْبِيٍّ أَوْ فَوْلكُورِيٍّ أَوْ أُسْطُورِيٍّ أَوْ دِينِيٍّ أَوْ حَتَّى فِي حَدِّهِ الْأَدْنَى-التَّعْبِيرَاتِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ فِي اللُّغَةِ، فَالتَّنَاصُّ يَجْعَلُ النَّصَّ الْجَدِيدَ الَّذِي يَسْتَعِينُ بِهِ نَصًّا مَأْلُوفًا مِنْ نَاحِيَةٍ، وَثَرِيًّا بِاسْتِجْلَابِ عَوَالِمٍ أُخْرَى إِلَى عَالَمِهِ".<sup>(1)</sup> وَلَا يَفْتَقِرُ نَصُّ الْأَمْرَانِي إِلَى هَذِهِ التَّعَالِقَاتِ النَّصِيَّةِ فَهِيَ جَانِبٌ مِنْ خُطَّةِ كِتَابَتِهِ الشُّعْرِيَّةِ، وَهُوَ يَعُودُ إِلَى مَصَادِرَ كَثِيرَةٍ التَّنَوُّعِ مِنْهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى الْمَصْدَرِ الْأُسْطُورِيِّ، فَقَدْ وَرَدَتْ فِي شِعْرِهِ إِشَارَةٌ إِلَى (دُوريس) إِحْدَى حُورِيَّاتِ الْبَحْرِ كَمَا تَقُولُ الْأُسْطُورَةُ-وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الرَّمَزِ-يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(2)</sup>:

فَمَا بَالُ قَلْبِي يَنْزِفُ،

يَجْمَحُ كَالْمُسْتَجِيرِ

كَأَنِّي أَخْطُ الْقَصِيدَ الْأَخِيرَ

وَدُوريسُ عُصْفُورٌ حُزِنٌ

عَلَى كَتْفِي حَطَّ ذَاتَ مَسَاءٍ

وَأُودَعَنِي سِرَّهُ.. ثُمَّ طَارَ!

وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (رَهِينِ الْحُزْنِ)<sup>(3)</sup>:

بَيْنَ دُوريسَ وَذَاتِي

زُورَقٌ مِنْ كَلِمَاتٍ

أَيْنَ مَرَسَاتِكَ يَا زُورَقُ، يَا سِرَّ الْقَصِيدَةِ؟

أَكْذًا نَدْفَعُ دَوْمًا نَحْوَ آفَاقِ جَدِيدِهِ؟

أَنْتَ-مَنْ صَاغَكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ مَوْجِ الْبِحَارِ-

أَنْتَ أَقْبَضْتَ لَهَيْبِ الشُّهُوَةِ الْبِكْرِ بِأَعْمَاقِي

-لَكَ الْمَجْدُ-

إِنَّ التَّنَاصُّ فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعِ يَدْعُمُ الْبُعْدَ الْإِنْسَانِيَّ فِي التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ وَلَا يَعْزِلُهَا فِي زَاوِيَةٍ ضَيِّقَةٍ فَوْمِيَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا مَا دَامَتْ رُؤْيَةُ الشَّاعِرِ هِيَ الضَّابِطُ لِكُلِّ تَوْظِيفٍ نَصِّيٍّ يَنْسَجِمُ مَعَ السِّيَاقِ الشُّعْرِيِّ بِمَفْهُومِهِ الْوَاسِعِ لَا كَسِّيَاقٍ مُنْحَصِرٍ فِي مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي تَكْتَنِفُ مَضْمُونًا شِعْرِيًّا، وَبِهَذَا الْإِسْتِدْعَاءِ الْمَفْتُوحِ عَلَى مَصَادِرَ كَثِيرَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ تَسْمُو التَّجْرِبَةُ الشُّعْرِيَّةُ بِشَاعِرِهَا إِلَى آفَاقٍ مُتَشَعِّبَةِ الْأَرْجَاءِ، فَالْكَوْنُ مَسْرُوحُهُ، وَالْوُجُودُ كُلُّهُ مَكَانُهُ،

(1) عزة شبل محمد: علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 77.

(2) حسن الأمراني: مملكة الرماد، ص: 37.

(3) المصدر نفسه، ص: 38.

وَالطَّبِيعَةُ مَلَاذُهُ، وَأَحْدَاثُ عَصْرِهِ فَلَقَهُ الدَّائِمُ، وَنَفْسُهُ الْمُتَلَاعَةُ النَّائِرَةُ شَقَاؤُهُ الْأَبَدِيُّ، لَا تَكَادُ تَسْتَقِرُّ فِي مَوْضِعٍ مَا، فَهِيَ فِي حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ، عَبْرَ انْتِقَالَاتِهَا فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، حَتَّى إِذَا كَانَ مَخَاضُهَا الْجَدِيدُ، وَقَدْ وَشَحَ بِرُؤْيَيْهَا الثَّاقِبَةِ الْكَاشِفَةِ إِلَى وَاقِعِهَا وَعَصْرِهَا، أَخْرَجَتْهُ لِلنَّاسِ، فَجَاءَ صَدَى لِنَتِكَ الرُّؤْيَةِ وَمِعْيَارًا حَقِيقِيًّا عَلَيْهَا. (1)

#### 1-16- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (الْبُسْتَا) لِلْأَمْرَانِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

وَنَصِلُ مَعَ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُمَيِّزَةِ إِلَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّ النَّصَّ الْأَدْبِيَّ يَمْلِكُ دَلِيلًا مَرَجِعِيًّا، وَهُوَ "لَا يَقْتَضِي أَبَدًا أَنْ يَكُونَ النَّصُّ الْأَدْبِيُّ مَحْرُومًا كَلْبًا مِنْ عِلَاقَاتٍ مَعَ الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ، لَكِنَّ هَذِهِ الْعِلَاقَاتِ هِيَ غَيْرُ مَا يَكُونُ بَيْنَ الرَّمْزِ وَالْمَرَجِعِ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تُوصَفَ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلَفَةٍ". (2) إِنَّ تِلْكَ الْعِلَاقَاتِ تَرْبِطُهُ بِنُصُوصِ سَابِقَةٍ، مِمَّا يَجْعَلُ التَّنَاصُ "مَكَانًا لظُهُورِ مَضْمُونِ الدَّلَالَةِ الْإِيحَائِيَّةِ". (3) وَيَتَجَسَّدُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ أَوْ التَّعَالُقُ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ حِلَالِ اسْتِدْعَاءِ الْأَمْرَانِيِّ لِنَصِّ شِعْرِيٍّ إِسْلَامِيًّا لِبِنَاءِ رُؤْيَيْهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ، فَهُوَ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنَ الْقَصِيدَةِ (4):

فَمَاذَا أَقُولُ

وَقَدْ نَبَتَ الْعَوْسَجُ الْمُرُّ فَوْقَ لِسَانِي

عُمَيْرَةَ وَدَّعَ.. كَفَى الشَّيْبَ..

لَا! بَلْ كَفَى الْمَوْتَ..

مَنْ سَيَصُونُ شُعَاعَ الضَّمِيرِ؟

وَمَنْ يَحْضُنُ الْأَمَلَ الْمُسْتَجِيرِ؟

سَلَامٌ عَلَيْكَ!

فَحَزَنِي مِنَ الْكَلِمَاتِ أَجَلٌ وَأَعْلَى

رَجَعْتُ وَقَدْ طَوَّقَ الْحُزْنَ مِنِّْي

الْكِيَانَ الشَّرِيدَ

قَدْ اسْتَدْعَى نَصًّا شِعْرِيًّا بِصُورَةٍ مُحَوَّرَةٍ لِلشَّاعِرِ الْمُخَضَّرِ سَحِيمِ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ مُتَمَثِّلًا فِي بَيْتِهِ (5):

عُمَيْرَةَ وَدَّعَ إِنْ تَحَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبَ وَالْإِسْلَامَ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

اِكْتَفَى الشَّاعِرُ مِنْ هَذَا التَّنَاصِ الْاِقْتِبَاسِيِّ الْمَحَوَّرِ بِإِيرَادِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى (عُمَيْرَةَ وَدَّعَ) مِنَ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْ بَيْتِ

سَحِيمِ وَالْجُمْلَةِ الْأُولَى (كَفَى الشَّيْبَ) مِنْ شَطْرِهِ الثَّانِي وَتَرَكَ بَقِيَّةَ الْمَبْنَى لِلدَّلَالَةِ الْمُقْتَسِسِ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدْرَكَ

بِـ (بَلْ) لِيُؤَسِّسَ مَعْنَى مُنَافِيًا لِلأَوَّلِ أَوْ مُضَافًا مِنْ حِلَالِ تَرْكِيْبِهِ الْجَدِيدِ (كَفَى الْمَوْتَ)، وَهَذَا مَا يَرْتَفِعُ بِتَحْوِيلِهِ مِنْ

(1) عبد العاطي كيوان: التناص القرآني، ص: 47.

(2) بركات وائل: مفهومات في بنية النص، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط: 1996، ص: 89.

(3) المرجع نفسه، ص: 90.

(4) حسن الأمراني: ثلاثية الغيب والشهادة، ص: 43.

(5) يحيى الجبوري: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص: 253.

مُجَرَّدِ الْإِمْتِصَاصِ لِلنَّصِّ السَّابِقِ إِلَى مُسْتَوَى الْحِوَارِ حِينَ يَنْفِي الْمَعْنَى وَيُعَارِضُهُ لِإِنْتِاجِ دِلَالَةِ شِعْرِيَّةٍ غَيْرِ مُتَّفِقَةٍ مَعَ السَّابِقَةِ. وَالشَّاعِرُ الْقَدِيمُ اتَّخَذَ مِنَ الشَّيْبِ نَاهِيًا لِلِاقْلَاعِ عَنْ كُلِّ مِلْدَاتِ الْحَيَاةِ وَطَبِيبَاتِهَا وَعَنِ الْقُعُودِ أَمَّا الْأَمْرَانِي فَيَكْفِيهِ الْمَوْتُ نَاهِيًا لِيَكْفَى عَنِ الصَّمْتِ.

17-1- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ مَا يَزَالُ يُسَلِّمُ مَفَاتِيحَ غَرْنَاطَةَ) لِعَبْدِ الْقَادِرِ حَدَّادٍ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ: وَلَا يَقِفُ التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ الْعَامُّ الْمُتَعَدِّدُ عَلَى التَّنَاصُّ الدِّيْنِيِّ وَالْأَدْبِيِّ وَالْأَسْطُورِيِّ بَلْ يَتَجَاوَزُ إِلَى الْوَقَائِعِ التَّارِيخِيَّةِ-الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ-الَّتِي يَسْتَدْعِيهَا الشَّاعِرُ أَشْخَاصًا وَأَحْدَاثًا وَأَمْكِنَةً وَأَقْوَالًا خَالِدَةً، فَالتَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ يَعُدُّ أَحَدَ مَصَادِرِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَثِيرَةِ الْخُصُوبَةِ وَالْعَنِيَّةِ بِالِدَّلَالَةِ وَالْإِيحَاءِ عَلَى مُسْتَوَى التَّنَاصُّ وَالرَّمْزِ، فَكَثِيرًا مَا لَجَأَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ مُسْتَدْعِيًا أَجْوَاءَ الْعَطْرَةِ بِالْمَفَاخِرِ وَالْأَمْجَادِ وَمُسْتَلْهِمًا اِتِّصَارَاتِهِ الْخَالِدَةَ وَمُنْجَزَاتِهِ الْعَظِيمَةَ وَشَخْصِيَّاتِهِ النَّادِرَةَ، سَوَاءً أَتَجَلَّى ذَلِكَ التَّارِيخُ فِي لَحَظَاتِ الْقُوَّةِ وَالْأَلَقِ أَمْ تَجَلَّى فِي لَحَظَاتِ الضَّعْفِ وَالخُفُوتِ. فَالتَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ مَرَّ بِأَوْقَاتٍ عَصِيْبَةٍ مِمَّا دَفَعَ بِالشَّاعِرِ الْإِسْلَامِيِّ، وَهُوَ يَرَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ تُعْتَصَبُ وَأَهْلُهَا يُفْتَلُونَ وَيُفْنُونَ وَيُشْرَدُونَ، إِلَى اسْتِحْضَارِ الْمَآسِي الْقَدِيمَةِ الْعَالِقَةِ بِالذَّاكِرَةِ وَالَّتِي لَا تَزَالُ الْقُلُوبُ تَنْزِفُ لَهَا دَمًا كَمَا سَاةِ الْأَنْدَلُسِ الْأَلِيمَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ مَعَ الْآيَامِ فِي وَجْدَانِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ إِلَى رَمْزٍ دَالٍّ عَلَى الضِّيَاعِ وَالتَّشْرُدِ وَالْإِنْهَزَامِ نَتِيجَةَ الْإِنْفِسَامِ وَالْإِقْتِتَالِ وَالتَّأْمُرِ لِأَجْلِ الْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ الصَّيْقَةِ الْعَاجِلَةِ أَوْ هُوَ بِالْآخَرَى "رَمْزُ الْوَطَنِ الضَّائِعِ"<sup>(1)</sup> فِي الْآنِ الَّذِي يَرْمُزُ فِيهِ إِلَى تَضْيِيعِ وَتَقْصِيرِ وَتَفْرِيطِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْحُكَّامِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَهَا هِيَ فِلَسْطِينُ السَّلْبِيَّةُ تَسْتَعِثُ وَلَا مَنْ يُغِيثُ إِلَّا دِمَاءُ أَهْلِهَا.

إِنَّ نُصُوصًا كَثِيرَةً فِي الْمَثْنِ الشَّعْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ تَزْخُرُ بِالتَّنَاصُّ مَعَ ذَلِكَ الْحَدَثِ التَّارِيخِيِّ الْجَلِيلِ (سُقُوطُ غَرْنَاطَةَ) مِنْ حِلَالِ الْإِحَالَةِ إِلَى الْمَكَانِ الْمَفْقُودِ (الْأَنْدَلُسِ) أَوْ إِلَى إِحْدَى مُدُنِهِ أَوْ إِمَارَاتِهِ وَبِخَاصَّةِ (غَرْنَاطَةَ) أَوْ الْإِشَارَةَ إِلَى أَبْرَزِ شَخْصِيَّاتِ تِلْكَ الْحَقْبَةِ الَّتِي عَاصَرَتْ ذَلِكَ الْحَدَثِ وَأَسْهَمَتْ فِيهِ وَبِخَاصَّةِ شَخْصِيَّةِ (أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ) الَّذِي سَلَّمَ مَفَاتِيحَ مَمْلَكَتِهِ لِلْفَرَنْجَةِ. وَمِنَ النُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَتَنَاصُّ مَعَ هَذَا الْحَدَثِ التَّارِيخِيِّ نَصُّ الشَّاعِرِ عَبْدِ الْقَادِرِ أَحْمَدِ الْحَدَّادِ (1945م-.....) الْمُتَمَثِّلُ فِي قَصِيدَتِهِ (أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ مَا يَزَالُ يُسَلِّمُ مَفَاتِيحَ غَرْنَاطَةَ) الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاضِيِ وَالْحَاضِرِ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، فَهُمَا لَا يَخْتَلِفَانِ فِي الْجَوْهَرِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الْأَعْرَاضُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ<sup>(2)</sup>:

فِي بَحْرِ الشَّفَقِ الْوَرْدِيِّ،

عَلَى الْأَفْقِ الْعَرَبِيِّ الْعَارِقِ فِي حُلْمِ الْأَمْنِ الرَّاهِرِ،

كَانَتْ غَرْنَاطَةُ تَنْجَلِي فِي زَيْنَتِهَا الْأَحْلَى،

يَتَرَاقِصُ فِي عَيْنَيْهَا فَرَحٌ طُفُولِيٌّ،

(1) أحمد طعمة حلي: التناص بين النظرية والتطبيق، ص: 113.

(2) عبد القادر أحمد الحداد: من الشعر الإسلامي الحديث، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 1409هـ-1989م، ص: 293.

يُوقِظُ فِيهَا أَحْلَامَ طُفُولَتِهَا...الأولى!  
وَعَلَى الْأَسْوَارِ يَهِيمُ شِعَاعُ خَمْرِي اللَّوْنِ، فَيَلْتَهُبُ الْقَصْرُ  
بِبَعْضِ الرَّغَبَاتِ..الْحَجَلَى!!  
وَالْحَارِسُ-يَالْغَرَابَتَهُ- مَشْغُولٌ بِهَوَايَتِهِ الْفُضْلَى،  
...يَحْلُمُ بِالْحَلِّ الْأَمْتَلِ لِلْكَلِمَاتِ الْمُتَقَاطِعَةِ الْمُنْشُورَةِ فِي  
الرَّأْوِيَةِ السُّفْلَى!؟

وَعَلَى الْأَبْهَاءِ الْخَلْفِيَّةِ  
كَانَ أَبُو(عَبْدِ اللَّهِ)الْمُتَخَاذِلُ آخِرُ مَمْلُوكٍ  
فِي مَمْلَكَةِ الْأَنْدَلُسِ الْمَسِيئَةِ،  
يَنْحَرُ بِتَأْتُهُ الْبَاكِي  
قُدْسَ طَهَارَةِ غَرْنَاتِهِ!  
رَأْيُكَ مِثْلَ النَّسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا  
لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ الرَّجَالِ!

.....

كَانَتْ غَرْنَاتُهُ..حُبِّي!

وَالطَّيْرُ-الْمَاهِمُ فِي فَلَوَاتِ الدَّرْبِ الْمُوَحِّشِ

فِي اللَّيْلِ حَوَالِيهَا-...قَلْبِي!

يَبْدَأُ التَّنَاصُّ بِمَدِّ عِلَاقَاتِهِ مِنَ الْعُنْوَانِ الَّذِي يَسْتَدْعِي شَخْصِيَّةَ(أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ)، وَلَكِنَّهُ يُدْمِجُهَا فِي  
تَرْكِيْبٍ مَنْسُوخٍ بِالنَّاسِخِ الْفِعْلِيِّ الْمَضَارِعِ(مَا يَزَالُ)وَحَبْرُهُ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ فَعَلُهَا مُضَارِعٌ، وَفِي كِلَا الْبَنِيَتَيْنِ دَلَالَةٌ عَلَى  
اسْتِمْرَارِ حَرَكَةِ الْمَعْنَى وَالشُّعُورِ مَعًا وَاسْتِمْرَارِ الْحَدَثِ وَتَوْكِيدِ لَهُ، فَ(أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّخْصِيَّةِ الرَّمَزُ الَّتِي لَا تَزَالُ  
حَيَّةً خَالِدَةً مُوَحِيَّةً تَقُومُ بِتَسْلِيمِ مَفَاتِيحِ غَرْنَاتِهِ، فَفَدَتْ غَدَتَ شَخْصِيَّةِ(أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ)مُزْدَوِجَةَ الدَّلَالَةِ، فَدَلَّالَتُهَا  
الْخَاصَّةُ(الْحَقِيقِيَّةُ)تُحِيلُ عَلَى التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ أَوْ الْوُجُودِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ الَّذِي كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرُ آخِرَ  
مُلُوكِ بَنِي الْأَحْمَرِ أَحَدِ رِجَالِهِ، وَدَلَّالَتُهَا الْمَطْلُوقَةُ(إِيحَائِيَّةٌ)تُحِيلُ عَلَى الْوَاقِعِ الَّذِي يَرْمِزُ فِيهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرُ إِلَى  
كُلِّ حَاكِمٍ يَتَشَبَّهُ بِفِعْلِهِ فِي تَسْلِيمِ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَعْدَائِهِمْ مِنْ(فِرْنَجَةِ)الْيَوْمِ وَإِنْ اخْتَلَفَ الطَّرُقُ وَالْكَيفِيَّاتُ،  
وَتَرْمِزُ فِيهِ تَبَعًا إِلَى ذَلِكَ(غَرْنَاتُهُ)الْمَدِينَةُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ كُلُّ مَدِينَةٍ تَتَعَرَّضُ لِلْسَلْبِ وَالْفَقْدِ. وَتَتَضَمَّنُ الْقَصِيدَةُ فِي نَسِيحِهَا  
الْمُغَوِيَّ وَالذَّلَالِيَّ نَصًّا مُقْتَبَسًا اقْتِبَاسًا كَامِلًا مُنْصَبًّا فَقَدْ قَصَدَ الشَّاعِرُ إِلَى نَصِّ تَارِيخِيٍّ سَابِقٍ مُسْتَقِلٍّ تَمَثَّلَ فِي قَوْلِهِ  
أَمَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّهِيرَةِ لِابْنِهَا وَقَدْ شَكَاهَا ضِيَاعَ مُلْكِهِ(رَأْيُكَ مِثْلَ النَّسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا..لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ  
الرَّجَالِ!)، وَوَضَفَهُ بَعْدَ امْتِصَاصِهِ وَإِعَادَةِ إِتِنَاجِهِ دُونَ تَحْوِيرِ فِي بَنِيَتِهِ اللَّفْظِيَّةِ أَوْ الْمَعْنَوِيَّةِ وَوَضَعَهُ بَيْنَ عَلَامَتَيْ تَنْصِيصِ

لَعَايَةِ دَلَالِيَّةٍ وَجَمَالِيَّةٍ، وَقَدْ وُظِّفَتْ هَذِهِ الْبَنِيَاتُ التَّنَاصِيَّةُ الْكَثِيفَةُ الْإِيحَاءِ فِي وَحَدَاتٍ وَصَفِيَّةٍ سَرْدِيَّةٍ تَتَقَصَّى أَبْعَادَ الْحَادِثَةِ وَتَفَاصِيلَ الْمَأْسَاةِ لِإِنَارَةِ الْمُتَلَقِّي.

#### 1-18- التَّفَاعُلُ النَّصِّيُّ فِي قَصِيدَةِ (الْبُكَاءِ عَلَى غَرْنَاطَةَ) لِمُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْفَقِيِّ وَتَعَدُّدُ مَصَادِرِهِ:

تَنْدَرِجُ قَصِيدَةُ (الْبُكَاءِ عَلَى غَرْنَاطَةَ) لِلشَّاعِرِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْفَقِيِّ فِي التَّنَاصُ التَّارِيخِي إِذْ تُحِيلُ إِلَى حَدَثٍ مِنْ وَقَائِعِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، فَفِي مَطْلَعِهَا اسْتِدْعَاءٌ لِسُقُوطِ (غَرْنَاطَةَ) مِنْ خِلَالِ اسْتِدْعَاءِ بِالْقَوْلِ لِأُمِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ وَمَنْ تَمَّ اسْتِدْعَاءُ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ وَمِنْ خِلَالِ هَذَا الْحِوَارِ بَيْنَ الْأُمِّ وَأَبْنِهَا، فَحِينَمَا انْهَزَمَ حَيْشُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ آخِرَ مُلُوكِ غَرْنَاطَةَ، رَجَعَ إِلَى أُمِّهِ بَاكِئًا، يَشْكُو إِلَيْهَا ضَيَاعَ مُلْكِهِ وَانْتِصَارِ النَّصَارَى، فَقَالَتْ لَهُ كَلِمَتَيْهَا الْمَشْهُورَةَ الَّتِي مَا زَالَتْ تُدَوِّي فِي أُذُنِ الدَّهْرِ (أَبْنُكَ مِثْلَ النِّسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا.. لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ الرِّجَالِ)، وَفِي هَذَا الْعَصْرِ تَتْلُو (غَرْنَاطَةَ) فِي الضِّيَاعِ وَالْفَقْدِ أَمَاكِنُ أُخْرَى مِنْ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ<sup>(1)</sup>:

أَبْنُكَ مِثْلَ النِّسَاءِ مُلْكًا أَضِيْعًا أَنْتَ أَهْمَلْتَهُ فَأَضْحَى صَرِيْعًا  
وَطَنْ لَمْ يَدُدْ رِجَالَكَ عَنْهُ بَلْ قَوَارِيرُ قَدْ عَشَقْنَ الْخُنُوعَا  
كُلُّ مَا قَدْ بَنَاهُ كُلُّ جُدُودِي دُكَّ، وَاحْسَرْتَاهُ، دُكًّا مُرِيْعًا  
سَنَوَاتٌ مِنَ الْبَطُولَاتِ تُمَحِي كَيْفَ تُمَحِي؟ أَنْتَ صِرْتَ خَرِيْعًا؟  
لَسْتَ مَنِّي وَلَسْتَ قَطُّ وَلِيْدِي كَيْفَ أَرْضَى.. أَنَا.. وَلِيْدًا جَزُوعًا؟!  
قَدْ زَرَعْتَ الْأَسَى بِقَلْبِي جِبَالًا فَاحْصِدِ الْيَوْمَ مُرَّهُ وَالضَّرِيْعَا  
وَأَبْنُكَ مِثْلَ النِّسَاءِ وَالطَّمَّ خُدُودًا وَأَنْتَظِرُ طَعْنَةً تَمُجُّ النَّجِيْعَا!

وَتَرْدُ فِي الْمَقْطَعِ الثَّانِي مِنَ الْقَصِيدَةِ إِشَارَةٌ إِلَى (عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ) الْمَعْرُوفِ بِـ (صَقْرٍ قُرَيْشِي):

فِي فُؤَادِي مِنَ اللَّطَى زَفَرَاتٌ لَفْحَهَا حَارِقٌ يُذِيبُ الضُّلُوعَا  
وَبِعِيْنِي مِنْ سَوَادِ اِنْسِحَاقِي مَا سَيِّدُكِي الْبِيْاضَ فِيْهَا سَرِيْعَا  
أَيْنَ بَيْتِي؟ مَرَابِعِي؟ ذِكْرِيَاتِي؟ أَيْنَ مُلْكُ بِنَاهُ (صَقْرٍ) بَدِيْعَا؟  
لَا أَرَى فِي السَّمَاءِ إِلَّا ظَلَامًا لَا أَرَى فِي الدِّيَارِ إِلَّا صُدُوعَا

وَيُعَدُّ التَّنَاصُ فِي الْقَصِيدَةِ تَنَاصًا اقْتِبَاسِيًّا مُحَوَّرًا (أَبْنُكَ مِثْلَ النِّسَاءِ مُلْكًا أَضِيْعًا) أَوْ (أَبْنُكَ مِثْلَ النِّسَاءِ وَالطَّمَّ خُدُودًا)، وَيَجْمَعُ النَّصُّ مِنْ خِلَالِ اسْتِدْعَاءِ شَخْصِيَّةِ صَقْرٍ قُرَيْشِي بِلِقْبَانِهَا بَيْنَ تَارِيخِيْنِ مُتَضَادِّيْنِ أَحَدُهُمَا يُمَثِّلُ لِحَطَّاتِ التَّوَهُجِ وَالتَّلَاقِ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ فِي هَذَا الْمَدِّ الْحَضَارِيِّ الْإِنْسَانِيِّ، وَالْآخَرُ يُمَثِّلُ لِحَطَّاتِ الْأُفُولِ فِي انْحِسَارِ هَذَا الْمَدِّ الْحَضَارِيِّ الْعَظِيمِ، وَالشَّاعِرُ عَبَّرَ هَذَا التَّنَاصُ حَاوِلًا أَنْ يَمْتَصَّ تِلْكَ الْمَقُولَةَ التَّارِيخِيَّةَ وَيُعِيدَ إِتْسَاجَ دِلَالَتِهَا وَمَعْرَاها وَيُعِيدَ صِيَاغَةَ الْمَوْقِفِ الْمُنَجَّزِ فِيْهَا بِوَاسِطَةِ تَقْنِيَةِ الْحِوَارِ الْقَصِصِيِّ الَّذِي شَخَّصَ دِلَالَاتِ الْمَوْقِفِ

(1) محمد عبد القادر الفقي: (البكاء على غرناطة) مجلة الأدب الإسلامي، مج: 1، ع3، 1415هـ-1994م، ص: 56.

القديم، الذي كانت فيه الأمُّ تُعَنَّفُ وتُلومُ وتُوبَّخُ الابنَ المضيعَ بل تَتَبَّرُ من أُمومته وتَسبِّه إليها، وأضفت عليه البنى الإنشائية حركيةً ودراميةً وإحساساً بالفجعة فقد تعامل الشاعر الإسلامي مع شخصية (أبي عبد الله الصغير) بوعيٍّ فنيٍّ ووضعها في سياقٍ شعريٍّ أثار كثيراً من الدلالات وحرك بعضاً من الانفعالات وأرانا، بطريقةً فنيةً، الماضي حاضراً والحاضر ماضياً. وإذا نظرنا إلى الشخصية من حيث الاستدعاء العرضي أو الاستغراق الكلي، أي استخدام الشخصية التراثية بشكلٍ جزئيٍّ لا يتعدى الإشارة العابرة إلى اسمها أو تخصيص فقرة لها من القصيدة في أحسن الأحوال.<sup>(1)</sup> أو أن يستدعي الشاعر الشخصية التراثية ويخصها بقصيدة كاملة أو بديوان.<sup>(2)</sup> فإن شخصية (أبي عبد الله الصغير) قد ظفرت بمكان البؤرة المركزية في القصيدتين وقد ألفت بظلالها على امتداد أبيتها أو سطورها الشعرية لما لها من قوة الإيجاء السلبي ولكونها معادلاً لبعد من أبعاد التجربة الإبداعية وجزء من الرؤية الشعرية إلى واقع الأمة حكماً ومحكوماً. أمّا شخصية (صقر) أو عبد الرحمن الداخل على ما تتحلّى به من دلالة إيجابية فإن الشاعر في القصيدة الثانية قد مرَّ بها منصصاً إياها دون استنطاق لدلالاتها، لأن الأولى كانت بؤرة الدلالة من حيث الحدث التاريخي المأساوي الذي ارتبط بها وما تعايشه الأمة راهناً من أحداثٍ قد تكون مماثلة، ومن حيث وظيفتها في النص، بينما لم تكن للثانية هذه القيمة الفنية أو الوظيفة ذاتها في بناء القصيدة الدلالي، وإن كانتا في وسلة فنية عبر التناسل لإنتاج الدلالة المقصودة.

ويمكن القول في نهاية هذا الفصل إن التناسل لم يكن ظاهرةً أسلوبيةً نصيةً تخص أي نصٍّ فحسب، ولأن المميز الفني القوي<sup>(3)</sup> المتن الرباوي أو الأمراني وحدهما، بل هو ظاهرةً أسلوبيةً تسم بميسمها النص الشعري الإسلامي المعاصر، كذلك، وهو إحدى سماته الفنية القوية مهما تنوعت مصادره. وقد أسفر رصد نماذج من المتن الشعري الإسلامي عن أن الشاعر الإسلامي يستحضر النصوص العائبة بطرقٍ مختلفة ويمنحها فرصة إعادة إنتاج ذواتها واستمراريتها في سياق المتن الشعري الإسلامي، وقد أصبحت عملية فهم وتفسير وتأويل دلالات رموز هذا المتن رهينة بالعودة إلى تلك النصوص على اختلاف مصادرها. وقد تجلّى التفاعل أو التداخل النصي، في القصيدة الإسلامية المعاصرة، بالنظر إلى طبيعة العلاقة بين النص اللاحق والنص السابق في نسقين متميزين من التفاعل حاول البحث رصدهما ووصفهما وتحليلهما واستكناه خصوصيتهما الأسلوبية في إنتاج الدلالة الشعرية، وذلك في الفصل السابق، فوقف أولاً على نسق التفاعل النصي الخاص المحدد الذي رصده العلاقات النصية الكلية، ويقوم التناسل فيه بين نصٍّ لاحقٍ ونصٍّ سابقٍ وتكون العلاقة بينهما مقتصرةً عليهما فلا يتعدى التناسل السابق

(1) عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، ص: 185.

(2) المرجع نفسه، ص: 165.

(3) عمر بوقرورة: (التجربة اللغوية في شعر محمد علي الرباوي) الأدب الإسلامي، مج: 4، ع: 13، ص: 59.

المُحدَّد الظاهر أو المضمَر، غالبًا، وقد تجسَّد هذا النسقُ بِشكْلِ خاصٍّ في تناصِّ المعارِضةِ أو التَّقِيضَةِ، ففِيهِ يَكُونُ النَّصُّ اللَّاحِقُ بِنِيَّةِ نَصِيَّةٍ تُبْنَى عَلَى نُمُودِجِ النَّصِّ السَّابِقِ الَّذِي يَتَحَوَّلُ إِلَى مُتَفَاعِلٍ نَصِيٍّ ذِي سُلْطَةِ عَلَى النَّصِّ الْحَاضِرِ الْمُنْجَزِ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمُتَفَاعِلُ النَّصِيُّ نَصًّا جَاهِلِيًّا زَمَنًا وَرُؤْيِيًّا وَإِسْلَامِيًّا زَمَنًا وَرُؤْيِيًّا وَمُعَاصِرًا زَمَنًا لَا رُؤْيِيًّا، وَقَدْ شَمِلَ التَّفَاعُلُ النَّصِيُّ، فِي إِطَارِ هَذَا النَّسَقِ الْخَاصِّ الْمُحَدَّدِ، الْبِنِيَّةَ الْكُلِّيَّةَ لِلنَّصِّ اللَّاحِقِ - أَوْ الْمَعَارِضِ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ - عَلَى أَسَاسِ أَنَّ مَفْهُومَ الْمَعَارِضَةِ لَا يَخْرُجُ عَنِ "اتِّحَادِ الْقَصِيدَتَيْنِ الْمُتَعَارِضَتَيْنِ (المُعَارِضَةِ وَالْمَعَارِضَةِ) فِي النَّسَقِ الْإِقَاعِيِّ وَالتَّقْفُويِّ، وَتَمَاطُلِهِمَا فِي الْعَرَضِ الْعَامِّ أَوْ الْمَوْضُوعِ؛ حَيْثُ تَكُونُ الْقَصِيدَةُ الْمَعَارِضَةُ إِنَّمَا قِيلَتْ إِعْجَابًا بِالْقَصِيدَةِ الْمَعَارِضَةِ فِي فِيمَتِهَا الْأُسْلُوبِيَّةِ وَجَوْدَتِهَا الْفَنِيَّةِ".<sup>(1)</sup> وَعَلَى أَسَاسِ أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْحِوَارِ بَيْنَ نَصٍّ وَنَصٍّ أَوْ بَيْنَ نَصٍّ مَرَكَزِيٍّ وَنَصٍّ فَرَعِيٍّ<sup>(2)</sup>، وَهُوَ حِوَارٌ يَحْكُمُهُ مَبْدَأُ الْمِثَالَةِ وَالْمِشَابَهَةِ فِي الشَّكْلِ لَا الْمَضْمُونِ، وَكَيْسَتْ الْمَعَارِضَةُ ضَرْبًا مِنَ (الاجْتِرَارِ) بِمُصْطَلَحِ مُحَمَّدِ بَنِيْسِ الَّذِي يَرَى أَنَّ إِعَادَةَ كِتَابَةِ النَّصِّ الْعَائِبِ فِي النَّصِّ تَتِمُّ مِنْ حِلَالِ "قَوَانِينِ ثَلَاثَةٍ هِيَ: الْاجْتِرَارُ وَالْإِمْتِصَاصُ وَالْحِوَارُ."<sup>(3)</sup> فَالشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ، كِيُوسُفُ الْعَظْمِ، يَسْتَمِدُّ فِي نَصِّهِ (مَنْتَهُ أَوْ جُمْلَةٍ نُصُوبِهِ) مِنْ مُفْرَدَاتِ مُعْجَمِ النَّصِّ السَّابِقِ (جُمْلَةٍ نُصُوبِ) وَيَبْنِي نَسَقَهُ الْإِقَاعِيَّ عَلَى نَسَقِهِ الْإِقَاعِيِّ (وَرَتَا وَقَافِيَةً وَرُويًا وَتَصْرِيْعًا)، وَيُؤَلِّفُ بِنَاهُ التَّرَكِيبِيَّةَ فِي ضَوْءِ الْعَلَاقَاتِ التَّرَكِيبِيَّةِ لِلنَّصِّ السَّابِقِ وَيُقِيمُ أُنْسَاقَ الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ، أَحْيَانًا، عَلَى نَسَقِ صُورِ النَّصِّ السَّابِقِ وَيُؤَسِّسُ رُؤْيِيَّتَهُ وَرُويَاهُ، بِكُلِّ رُمُوزِهَا، مِنْ تَصَوُّرِهِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُتَمَيِّزِ وَإِنْجَازِهِ الْحَضَارِيِّ الْفَرِيدِ، وَيَرِدُ التَّنَاصُّ، فَوِي النَّسَقِ الْخَاصِّ الْمُحَدَّدِ، مُتَجَرِّدًا مِنْ أَيِّ عِلَامَةٍ نَصِيَّةٍ شَكْلِيَّةٍ أَوْ حَظِّيَّةٍ تُقَيِّدُهُ وَتُبْرِزُهُ كَعِلَامَتِي التَّنْصِيصِ أَوْ الْهَلَالَيْنِ الْمَزْدُوجَيْنِ أَوْ مُقَيِّدًا بِهِذِهِ الْعِلَامَةِ الْخَطِّيَّةِ الَّتِي تُبْرِزُهُ كَبِنِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ مُتَمَوِّضَةٍ فِي هَذَا السِّيَاقِ، وَهَذَا عَلَى مَنَوَالِ (التَّضْمِينِ) أَوْ (الاسْتِشْهَادِ الشُّعْرَوِيِّ). وَقَدْ اتَّضَحَ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى فَضَاءَاتِ نَصِيَّةٍ لِتَسْعَةِ نُصُوبِ شِعْرِيَّةٍ أُخْتِيرَتْ كَمَتْنٍ لِلْمُقَارَبَةِ التَّنَاصِيَّةِ.

وَقَفَ الْبَحْثُ ثَانِيًا عَلَى نَسَقِ التَّفَاعُلِ النَّصِيِّ الْعَامِّ الْمُتَعَدِّ الَّذِي رَصَدَ الْعَلَاقَاتِ النَّصِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ، وَيَقُومُ التَّنَاصُّ فِيهِ بَيْنَ نَصٍّ ثَانٍ حَاضِرٍ وَمَجْمُوعَةٍ نُصُوبِ أُولَى سَابِقَةٍ، وَتَكُونُ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّصِّ الثَّانِي الْحَالِي مُتَشَعَّبَةً، فَفِي هَذَا النَّسَقِ يَتَّسِعُ التَّنَاصُّ لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ النُّصُوبِ الظَّاهِرَةِ وَالْمُضْمَرَةِ الْخَفِيَّةِ وَالْمُتَعَدِّدَةِ الْمَصَادِرِ، وَقَدْ تَمَثَّلَ هَذَا النَّسَقُ فِي أَغْلَبِيَّةِ أَشْكَالِ التَّنَاصِّ كَالْتَّنَاصِّ الْإِقْتِبَاسِيِّ بِأَنْوَاعِهِ وَالتَّنَاصِّ الْإِشَارِيِّ وَالتَّنَاصِّ الْإِمْتِصَاصِيِّ وَالتَّنَاصِّ الْأُسْلُوبِيِّ وَالتَّنَاصِّ الشَّخْصِيَّاتِ، وَفِيهِ يَكُونُ النَّصُّ اللَّاحِقُ بِنِيَّةِ نَصِيَّةٍ تُبْنَى اسْتِدْعَاءِ النُّصُوبِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى مُتَفَاعِلَاتِ نَصِيَّةٍ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمُتَفَاعِلَاتُ النَّصِيَّةُ نُصُوبًا دِينِيَّةً (قُرْآنِيَّةً وَحَدِيثِيَّةً) وَنُصُوبًا شِعْرِيَّةً قَدِيمَةً

(1) عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب التقدي والبلاغي، ص: 67.

(2) محمد مفتاح: دينامية النص، ص: 89.

(3) محمد بنيس: حادثة السؤال، ص: 85.

وَحَدِيثَهُ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُتَفَاعِلَاتِ النَّصِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمَصَادِرِ، وَقَدْ حَلَّ التَّنَاصُ، فِي إِطَارِ هَذَا النَّسَقِ الْعَامِّ الْمُتَعَدِّدِ، فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْبِنْيَةِ الْكُلِّيَّةِ لِلنَّصِّ الْلَاحِقِ أَوْ فِي مَقَاطِعِ شِعْرِيَّةٍ مِنَ الْبِنْيَةِ نَفْسِهَا مُسْتَجِيبًا لِدَوَاعِ دَلَالِيَّةٍ وَجَمَالِيَّةٍ، وَقَدْ وَسَمَ التَّنَاصُ الْقَصِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِطَابَعِ التَّعَدُّدِ الدَّلَالِيِّ وَالتَّوْظِيفِ الرَّمْزِيِّ الَّذِي تُفَسِّرُهُ كَثَافَةُ النُّصُوصِ الْمُتَدَاخِلَةِ، وَقَدْ شَكَلَ ظَاهِرَةً تَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُتَلَقِّي قَارِنًا وَنَاقِدًا إِعْدَادَ عُدَّتِهِ مِنْ سَعَةِ الثَّقَافَةِ وَصِحَّةِ الْمَفَاهِيمِ وَصَلَاحِيَةِ الْأَدْوَاتِ لِلْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَالْمُقَارَبَةِ، فَالتَّنَاصُ كَمَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ، فِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ الْأَدْوَاتِ وَالْمَفَاهِيمِ الْإِجْرَائِيَّةِ أَوْ الْمَدَاخِلِ التَّقْدِيَّةِ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ تَأْوِيلِ النَّصِّ، أَوْ هُوَ الْفَضَاءُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ الْقَارِئُ النَّاقِدُ بِحُرِّيَّةٍ وَتَلْقَائِيَّةٍ، مُعْتَمِدًا عَلَى مَذْخُورِهِ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالثَّقَافَاتِ، وَذَلِكَ بِإِرْجَاعِ النَّصِّ إِلَى عَنَاصِرِهِ الْأُولَى الَّتِي شَكَّلَتْهُ وَصُورًا إِلَى فِكِّ شَفْرَاتِهِ، إِذْ إِنَّ ثِقَافَةَ الْمُبْدِعِ قَدْ تَكَوَّنَتْ عَبْرَ دُرُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَا يَسْتَطِيعُ تَبْيَانُهَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ".<sup>(1)</sup> فَالتَّنَاصُ وَسِيلَةٌ مُنَاسِبَةٌ فِي كَشْفِ دَلَالَاتِ النَّصِّ مِنْ خِلَالِ الْعُودَةِ انْطِلَاقًا مِنْ عُلَاقَاتِهِ إِلَى النُّصُوصِ السَّابِقَةِ الْمُتَفَاعِلَةِ فِي بَنِيَّتِهِ.

(1) عبد العاطي كيوان: التناص القرآني، ص: 17.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تَخْتَلِفُ الصِّيَاغَةُ اللُّغَوِيَّةُ لِمُصْطَلَحِ (الأدب الإسلامي) مِنْ بَاحِثٍ إِلَى آخَرَ لَكِنَّ مَا هَيْتُهُ تَظَلُّ وَاحِدَةً، فَهُوَ التَّعْبِيرُ  
الفَنِيُّ الهَادِفُ النَّاشِئُ عَنِ امْتِنَاءِ النَّفْسِ بِالمَشَاعِرِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ التَّعْبِيرُ عَنِ الإِنْسَانِ وَالحَيَاةِ وَالكَوْنِ المُتَرَمِّمِ بِالتَّصَوُّرِ  
الإِسْلَامِيِّ قُرْآنًا وَسُنَّةً، فَهُوَ رُؤْيَةٌ وَتَصَوُّرٌ خَاصٌّ لِكَوْنِ وَالحَيَاةِ وَالإِنْسَانِ فِي المَرْتَبَةِ الأُولَى قَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَكْلًا فَنِيًّا؛  
قَصِيدَةً أَوْ قِصَّةً أَوْ رِوَايَةً أَوْ مَسْرُوحِيَّةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَشْكَالٍ وَأَجْنَاسٍ.

وَقَدْ قَدَّمَ (الأدب الإسلامي) إِبْدَاعًا ذَا خُصُوصِيَّةٍ، وَشَكْلًا أَدْبِيًّا نَسِيحًا وَحَدَهُ مِنَ القِيَمِ التَّعْبِيرِيَّةِ، الفِكْرِيَّةِ  
وَالتَّشْعُورِيَّةِ المُتَقَاعِطَةِ لِحِمَّةٍ وَسَدَاةٍ، مُرْتَكِزًا عَلَى التَّصَوُّرِ الَّذِي يُكَوِّنُهُ الأَدِيبُ المُبْدِعُ عَنِ الحَيَاةِ وَالإِنْسَانِ وَالكَوْنِ،  
وَهُوَ تَصَوُّرٌ يَسْتَمِدُّ رُؤَاهُ مِنَ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الوَقْتِ الَّذِي يَسْتَوْفِي شُرُوطَهُ الفَنِّيَّةَ مِنْ أَشْكَالٍ وَفُنُونِ الأَدَبِ  
وَجَمَالِيَّاتِ اللُّغَةِ، وَهُوَ يُرْفِدُ الأَدَبَ المُعَاوِرَ بِتَجَارِبِ ثَرِيَّةٍ وَيُسَهِّمُ فِي دَفْعِهِ إِلَى الكَشْفِ وَالإِبْدَاعِ. وَالتَّشْعُرُ  
الإِسْلَامِيُّ المُعَاوِرُ أَحَدُ فُنُونِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ الأَصِيلَةِ وَوَجْهٌ مِنْ وَجُوهِهِ المُشْرِقَةِ، إِنَّهُ الشَّعْرُ الَّذِي يُوظَّفُ أَدَوَاتِ  
اللُّغَةِ أَحْسَنَ تَوْظِيفٍ وَيَسْتَشْمِرُ جَمَالِيَّاتِ القَصِيدَةِ أَجْوَدَ اسْتِشْمَارٍ وَيُطَوِّعُهُمَا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ مَوْضُوعَاتِهِ تَعْبِيرًا مُتَمَيِّزًا  
مُتَوَهِّجًا مُتَالِقًا فِكْرًا وَشُعُورًا، يَصْدُرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ عَنِ رُؤْيَتِهِ الإِسْلَامِيَّةِ الأَصِيلَةِ.

وَقَدْ أَسْفَرَتْ مُقَارَبَةُ الشَّعْرِ الإِسْلَامِيِّ المُعَاوِرِ تَحْتَ عُنْوَانِ (القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ المُعَاوِرَةِ بِنَيْتِهَا وَدَلَالَتِهَا) عَنِ  
مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَتَائِجِ تَتَوَزَّعُ عَلَى المُسْتَوِيَّاتِ الثَّلَاثَةِ الإِتْيِيَّةِ، فَعَلَى مُسْتَوَى بِنْيَةِ الإِيقَاعِ فَقَدْ كَشَفَ البَحْثُ عَنِ تَنَوُّعِ  
بِنْيِ الإِيقَاعِ الخَارِجِيِّ بِتَنَوُّعِ الأَنْسَاقِ الإِيقَاعِيَّةِ المُوظَّفَةِ فِي القَصِيدَةِ، فَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ الإِسْلَامِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ -فِي  
حُدُودِ المَتْنِ- ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَرْزًا أَوْ نَسَقًا إِيقَاعِيًّا مِنْ مَجْمُوعِ السَّنَةِ عَشَرَ وَرْزًا المَعْرُوفَةَ فِي عَرُوضِ القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ،  
وَيَرْجِعُ هَذَا التَّوظِيفُ إِلَى اعْتِبَارَاتٍ فَنِّيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ قَائِمَةٍ عَلَى أُسَاسِ المُرُونَةِ الَّتِي تَنْسِمُ بِهَا الأَنْسَاقُ الإِيقَاعِيَّةُ مِنْ حَيْثُ  
انْسِحَامُهَا مَعَ طَبِيعَةِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ خَاصَّةً الأَنْسَاقَ الصَّافِيَّةَ، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى القَصِيدَةِ ذَاتِ النَّسَقِ الإِيقَاعِيِّ المُفْرَدِ -  
عَمُودِيَّةً وَحُرَّةً- وَاسْتَعْمَلَ القَصِيدَةَ المُتَعَدَّدَةَ الأَنْسَاقِ مِنْ حِلَالِ المَزْجِ بَيْنَ الأَنْسَاقِ الإِيقَاعِيَّةِ أَوْ الأَوْزَانِ المُخْتَلِفَةِ فِي  
بِنْيَةِ القَصِيدَةِ الوَاحِدَةِ وَالتَّنَوُّعِ بَيْنَ صُورِهَا الإِيقَاعِيَّةِ (نَفَاعِيلِهَا)، وَاسْتَحْدَمَ القَصِيدَةَ المُتَعَدَّدَةَ الأنْمَاطِ مِنْ حِلَالِ  
المَزَاجَةِ بَيْنَ النَّمَطَيْنِ العَمُودِيِّ وَالحُرِّ فِي بِنْيَةِ القَصِيدَةِ الوَاحِدَةِ، وَقَدْ أَفْضَى هَذَا التَّنَوُّعُ الإِيقَاعِيُّ المُتَعَدَّدُ وَذَلِكَ  
التَّوظِيفُ الفَنِيُّ إِلَى إِثْرَاءِ بِنْيَةِ الإِيقَاعِيَّةِ بِمَا يَعْكَسُ الدَّلَالَةَ المُنتَجَةَ وَالشُّعُورَ الكَامِنَ فِي التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ المُتَكَوِّنَةِ مِنْ  
قَصِيدَةٍ إِلَى قَصِيدَةٍ. وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ أَنْسَاقًا مُتَنَوِّعَةً مِنَ التَّفْهِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ العَمُودِيَّةِ وَالحُرَّةِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا  
التَّنَوُّعُ فِي القَصِيدَةِ العَمُودِيَّةِ الَّتِي تَلْتَزِمُ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ المُوَحَّدَ مُتَجَاوِزَةً رَتَابَتَهُ بِوَاسِطَةِ التَّنَوُّعِ فِي الأَنْسَاقِ الجُزْئِيَّةِ،  
وَتَلْتَزِمُ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ المُنَوَّعَ فِي إِطَارِ السَّطْرِ فَيَتَنَوَّعُ النَّسَقُ التَّفْقُويُّ فِي مَوْضِعِهِ وَفِي شَكْلِهِ. وَفِي القَصِيدَةِ الحُرَّةِ  
فَقَدْ التَّرَمَّ الشَّاعِرُ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ المُوَحَّدَ فِي إِطَارِ السَّطْرِ وَفِي إِطَارِ الجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ مِنْ حِلَالِ القَافِيَةِ المُتَابِعَةِ أَوْ  
المُتَوَالِيَةِ فِي النَّسَقِ التَّفْقُويِّ السَّطْرِيِّ وَالجُمْلِيِّ، وَالتَّرَمَّ النَّسَقَ التَّفْقُويَّ المُنَوَّعَ مِنْ حِلَالِ نَسَقِ التَّفْقِيَّةِ المُتَقَاعِطَةِ أَوْ

المتناوبية ونسق التَّفْصِيَةِ الْمُتَعَيِّرَةِ أو المُرْسَلَةِ، إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ وَوَضَفَ نَسَقًا جَدِيدًا مِنَ التَّفْصِيَةِ وَهُوَ النَّسَقُ التَّفْصِيِيُّ الْمُنَوَّعُ الَّذِي يُلَاحِظُ فِي الْقَصِيدَةِ الْمُتَعَدَّدَةِ الْأَنْمَاطِ. وَإِذَا هَيَمَنَ النَّسَقُ التَّفْصِيِيُّ الْمَطْلُوقُ عَلَى قَافِيَةِ الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ فَإِنَّ النَّسَقَ التَّفْصِيَّ الْمُقَيَّدَ هُوَ سِمَةٌ قَافِيَةُ الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ، وَقَدْ نَوَّعَ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ فِي رَوِيِّهِ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى صَوْتٍ ثَابِتٍ تَرْتَكِزُ عَلَيْهِ نِهَآيَاتُ الْآيَاتِ فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ، فَشَكَّلَ (الرَّوِيَّ) فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ أَرْوَاحًا صَوْتِيَّةً ذَاتَ مَرْدُودٍ إِيقَاعِيٍّ دَلَالِيٍّ طَرَفُهَا الْأَسَاسُ صَوْتُ الرَّوِيِّ وَطَرَفُهَا الثَّانَوِيُّ الصَّوْتُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي فَلَكَهِ وَيُنْجِزُ كَثَافَةً صَوْتِيَّةً مَلْحُوظَةً. وَأَصْوَاتُ الرَّوِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَاضِعَةٌ لِلْمَعْيَارِ فِي شُيُوعِ الْأَصْوَاتِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِنْ انْزَاحَ بَعْضُهَا عَنِ هَذَا الْمَعْيَارِ فِي سِيَاقَاتٍ شِعْرِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِيْقَاعِ الدَّخِلِيِّ فَقَدْ تَمَّتْ مُقَارَبَتُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ مُسْتَوِيَّاتٍ؛ عَلَى مُسْتَوَى (التَّكْرَارِ الصَّوْتِيِّ)، وَعَلَى مُسْتَوَى (التَّصْرِيحِ)، وَعَلَى مُسْتَوَى (التَّدْوِيرِ)، وَتَجَلَّتْ أُنْسَاقُ التَّكْرَارِ الصَّوْتِيِّ فِي تَكَرُّرِ مَجْمُوعَاتٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ فِي صِفَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ صِفَاتِهَا الصَّوْتِيَّةِ، وَهُوَ تَكَرُّرُ يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ الشَّعْرِيُّ وَالشَّعُورِيُّ فِي لَحْظَةِ الْإِبْدَاعِ، وَيُنْبِئُ عَنِ دِلَالَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَحَقَّقَ نَسَقُ (التَّصْرِيحِ) فِي الْقَصِيدَةِ قِيَمًا صَوْتِيَّةً وَنَعْمِيَّةً وَأَكَّدَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالدَّلَالَةِ وَبَيْنَ الصَّوْتِ وَالطَّاقَةَ الشَّعُورِيَّةَ الْمُتَدَفِّقَةَ فِي الْقَصِيدَةِ، وَوَضَفَ الشَّاعِرُ نَسَقَ (التَّدْوِيرِ) فِي الْقَصِيدَةِ بَعْدَهُ نَسَقًا إِيقَاعِيًّا دَلَالِيًّا لَهُ وَظِيفَتُهُ فِي وَصَلِ شَطْرِي الْبَيْتِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَمُودِيَّةِ وَوَصَلِ السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْحُرَّةِ مُسَآيِرًا فِي ذَلِكَ الشُّعُورِ وَالدَّلَالَةِ مَعًا.

وَقَدْ بَيَّنَّ الْبَحْثُ أَنَّ الشَّاعِرَ الْإِسْلَامِيَّ يَسْتَمِدُّ فِي بِنَاءِ قَصِيدَتِهِ إِيقَاعِيًّا مِنْ رَصِيدَيْنِ هَامَيْنِ؛ رَصِيدِ الْفَاصِلَةِ فِي الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَتَكُونُهَا الْإِيْقَاعِيُّ وَرَصِيدِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ بِكُلِّ أَشْكَالِهَا الْإِيْقَاعِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ، وَيَسْعَى إِلَى أَنْ يَسْتَمِرَّ كُلَّ الْإِمْكَانَاتِ الْإِيْقَاعِيَّةِ الْمُتَاحَةِ، وَيُمَارِسُ كُلَّ تَجْرِبٍ مَشْرُوعٍ سَوَاءً أَمَسَ ذَلِكَ التَّجْرِبِ الْقَصِيدَةَ الْعَمُودِيَّةَ أَمْ الْقَصِيدَةَ الْحُرَّةَ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْبَيْنَةَ الْإِيْقَاعِيَّةَ فِي كِلَيْهِمَا تَقُومُ عَلَى الصُّورَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ أَوْ (التَّفْعِيلِ) فِي حَدِّهَا الْأَدْنَى، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ فِي "الْكَمِّ"، وَقَدْ حَرَّبَ قَبْلَ هَذَا الشَّكْلِ الشَّعْرِيُّ الْجَدِيدِ؛ أَي قَصِيدَةَ التَّفْعِيلِ أَشْكَالًا شِعْرِيَّةً كَثَلَتْ الَّتِي عُرِفَتْ فِي الثَّرَاثِ مِنْ مُزْدَوِجَاتٍ وَمُرْبَعَاتٍ وَمُخَمَّسَاتٍ وَمَوْشَّحَاتٍ.

وَعَلَى مُسْتَوَى بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ دَرَسَ الْبَحْثُ بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ الشَّعْرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ بِنْتَيْنِ أُسَاسِيَّتَيْنِ، هُمَا: بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الْحَبْرِيِّ؛ وَقَدْ ضَمَّ، أَوَّلًا، بِنْيَةَ التَّرْكِيبِ الْإِسْمِيِّ وَالَّذِي يُلَاحِظُ عَلَى بِنْيَتِهِ بِمُخْتَلَفِ أُنْسَاقِهَا التَّرْكِيبِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ هُوَ تَنْوِيعُ الْأُنْسَاقِ التَّرْكِيبِيَّةِ بِمَا يَخْدُمُ الدَّلَالَاتِ الشَّعْرِيَّةَ وَالْعَايَاتِ الْفَنِيَّةِ الَّتِي يَتَوَخَّأُهَا الشَّاعِرُ، وَهَذَا التَّنْوِيعُ يُلْغِي الرِّتَابَةَ الَّتِي تَسْمُ النَّصَّ الَّذِي تَنْتَظِمُ بِنَاؤُهُ التَّرْكِيبِيَّةَ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ثَابِتٍ، وَيُؤَدِّي إِلَى إِثْرَاءِ الْقَصِيدَةِ بِتَعَدُّدِ الْأُنْسَاقِ وَاخْتِلَافِ الدَّلَالَاتِ. وَيُعَدُّ التَّنْوِيعُ فِي الْأُنْسَاقِ التَّعْبِيرِيَّةِ اسْتِمَارًا لَطَاقَاتِ اللُّغَةِ الْكَامِنَةِ وَإِمْكَانَاتِهَا الْإِبْدَاعِيَّةَ بِوَسِطَةِ الْإِنْزِيَّاحَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ الدَّالَّةِ مِنْ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ وَحَدْفٍ وَذِكْرٍ وَغَيْرِهَا. بِالْإِضَافَةِ إِلَى

ذَلِكَ فَإِنَّ تَوْظِيفَ الشَّاعِرِ لِلأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ الإِسْمِيَّةِ فِي صِيَاغَةِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ بِمَا تَتَّسِمُ بِهِ مِنْ قِصْرِ فِي العَالِبِ مُتَنَاسِبٍ مَعَ طَبِيعَةِ هَذِهِ الأَنْسَاقِ ذَاتِ السِّمَةِ التَّقْرِيرِيَّةِ وَالدَّالَّةِ عَلَى الثَّبُوتِ، كَمَا أَنَّ تَوْظِيفَهُ لِلأَنْسَاقِ الفِعْلِيَّةِ المُضَارِعِيَّةِ بِكثَافَةٍ فِي جُمْلَةٍ خَبَرِ المُبْتَدَأِ أَوْ فِي خَبَرِ الإِسْمِ المَنْسُوخِ دَالٌّ عَلَى مِيلِهِ إِلَى إِسْبَاحِ صِفَةِ التَّجَدُّدِ وَالحُدُوثِ عَلَى دِلَالَاتِ بَعْضِ بَنِي قَصِيدَتِهِ، فَالْتَسُّقُ الفِعْلِيُّ بِمَا يَمْتَّازُ بِهِ مِنْ دِلَالَةٍ عَلَى التَّجَدُّدِ هُوَ الأَكْثَرُ إِثَارَةً فِي التَّعْبِيرِ عَنِ مَضَامِينِ التَّجْرِبَةِ الشُّعْرِيَّةِ، وَلاشَكَّ أَنَّ هَذَا التَّوْظِيفَ الفَنِّيَّ لِلأَنْسَاقِ التَّرَكِيبِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ وَهَبَ القَصِيدَةَ حُصُوصِيَّتَهَا الأُسْلُوبِيَّةَ وَالتَّعْبِيرِيَّةَ. وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِبِنْيَةِ التَّرَكِيبِ الفِعْلِيِّ بِنَسَقِيهِ المَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ وَالمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ فَيُلاحِظُ فِي بِنْيَتِهِ أَنَّهَا مُكوِّنٌ تَعْبِيرِيٌّ شَدِيدُ الأَرْتِبَاطِ بِالبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ وَالتَّفْسِيحِ وَالشُّعُورِيَّةِ، وَقَدْ وُظِّفَ فِي سِيَاقَاتِ شُعْرِيَّةِ تَمْنَحُ القَصِيدَةَ حَرَكَتَهَا الشُّعُورِيَّةَ وَتُكْسِبُهَا فَاعِلِيَّتَهَا الشُّعْرِيَّةَ فَضْلاً عَنِ دِلَالَتِهَا الإِيحَائِيَّةِ وَالتَّصَوُّرِيَّةِ المُرتَبِطَةِ بِهِ، وَهِيَ دِلَالَاتٌ لا تَنْهَضُ بِبِنْيَةِ التَّرَكِيبِ الإِسْمِيِّ بِأَدَائِهَا. وَيُمْكِنُ القَوْلُ بِالأَسْتِنَادِ إِلَى مُقَارَبَةٍ نَمَاجٍ مِنَ البُنْيِ الفِعْلِيَّةِ إِنَّ البِنْيَةَ الفِعْلِيَّةَ أَحَدَ مَصَادِرِ حَيَوِيَّةِ القَصِيدَةِ، بِشَكْلِ خَاصٍّ، وَدِعَامَةٌ أُسَاسِيَّةٌ فِي بِنْيَةِ التَّرَكِيبِ بِشَكْلِ عَامٍّ.

وَقَدْ كَشَفَ البَحْثُ عَنِ فَاعِلِيَّةِ بِنْيَةِ التَّرَكِيبِ الإِنْشَائِيِّ فِي القَصِيدَةِ مُمَثَّلَةً فِي بِنْيَةِ الإِسْتِفْهَامِ، فَهِيَ بِنْيَةٌ لَهَا حُصُوصِيَّتُهَا الأُسْلُوبِيَّةُ وَحَيَوِيَّتُهَا التَّعْبِيرِيَّةُ فِي اللُّغَةِ وَهِيَ مِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ اللُّغَةِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنِ الحَيَوِيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ، تَتَصَدَّرُ بِبِنْيَةِ الإِسْتِفْهَامِ الإِنْشَاءِ الطَّلْبِيِّ وَتَتَقَدَّمُ عَلَى بَقِيَّةِ أَنْوَاعِهِ لِكثَافَةِ تَوَاطُرِهَا، فَقَدْ شَكَّلَ الإِسْتِفْهَامُ بِنْيَ تَكَرَّرِيَّةً مِنْ حَيْثُ تَوَاطُرُهُ المَلْحُوظُ وَمِنْ ثَمَّ كَانَ مَلْمَحًا أُسْلُوبِيًّا، وَازْتِيَاحًا شُعْرِيًّا انْحَرَفَتْ فِيهِ البُنْيُ عَنِ دِلَالَتِهَا الأَصْلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ إِلَى دِلَالَاتِ سِيَاقِيَّةٍ إِيجَائِيَّةٍ أُخْصِبَتْ بِبِنْيَةِ الدَّلَالَةِ فِي القَصِيدَةِ وَأَكْسَبَتْ بِبِنْيَةِ التَّرَكِيبِ حُصُوصِيَّةً فِي الأَدَاءِ.

وَيَبْدُو أَنَّ تَأَثَّرَ الشَّاعِرِ الإِسْلَامِيِّ بِتَّرَكِيبِ الآيَةِ القُرْآنِيَّةِ وَأُسْلُوبِهَا صِيَاغَتِهَا فِي أَكْثَرِ مَوَاضِعِ مِنَ المَثْنِ الشُّعْرِيِّ الإِسْلَامِيِّ يَحْمِلُ دِلَالَةً بِالعَةِ الأَهْمِيَّةِ إِذْ تَدُلُّ عَلَى الرُّغْبَةِ فِي التَّسْجِ عَلَى مَنَوَالِهَا وَالأَرْتِقَاءِ إِلَى مُسْتَوَاهَا التَّنْظِمِيِّ المُعْجَزِ، وَبَقَدْرِ مَا يَسْتَمِدُّ مِنْ بَيَانِهَا يُحَقِّقُ أَصَالَتَهُ وَيَجِدُّ ذَاتَهُ وَيُحَسُّ بِأَنْمَائِهِ.

وَعَلَى مُسْتَوَى بِنْيَةِ الدَّلَالَةِ دَرَسَ البَحْثُ بِنْيَةَ الدَّلَالَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ مِنْ حِلَالِ بِنْيَتَيْنِ رَئِيسَتَيْنِ، هُمَا: بِنْيَةُ الصُّورَةِ الشُّعْرِيَّةِ؛ وَعَلَى هَذَا المُسْتَوَى فَقَدْ نَوَّعَ الشَّاعِرُ فِي تَوْظِيفِ صُورِهِ، فَوُظِّفَ ثَلَاثَةُ أَنْسَاقٍ مِنَ الصُّورِ، هِيَ: نَسَقُ الصُّورَةِ المُفْرَدَةِ وَنَسَقُ الصُّورَةِ المُركَّبَةِ وَنَسَقُ الصُّورَةِ الرَّمْزِيَّةِ، وَيَتَبَيَّنُ أَنَّ الصُّورَةَ مُكوِّنٌ أُسَاسِيٌّ مِنْ مُكوِّنَاتِ البِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَهِيَ القَانُونُ المَحْوَرِيُّ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ، وَهِيَ الشَّكْلُ الَّذِي يَسْتَوْعِبُ الرُّؤْيِيَّةَ. وَقَدْ اعْتَمَدَ الشَّاعِرُ الإِسْلَامِيُّ فِي بِنَاءِ الصُّورَةِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الآلِيَّاتِ أَبْرَزُهَا التَّشْخِيصُ وَالتَّجْسِيدُ وَالتَّرَاسُلُ وَالتَّضَادُّ، وَأَفَادَ مِنَ الأنْمَاطِ البَلَاغِيَّةِ بِشَكْلِ كَبِيرٍ، كَالتَّشْبِيهِ وَالأَسْتِعَارَةِ. وَأَمَّا نَسَقُ الصُّورَةِ الرَّمْزِيَّةِ فَهُوَ يُشَكِّلُ بِنْيَةً ذَاتَ حُصُوصِيَّةٍ شُعْرِيَّةٍ لَيْسَ عَلَى صَعِيدِ الصُّورَةِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا عَلَى صَعِيدِ القَصِيدَةِ كَكُلِّ، فَهُوَ مُعَادِلٌ فَنِّيٌّ رَمْزِيٌّ لِلرُّؤْيِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَصَدَّرُ عَنْهَا القَصِيدَةُ أَوْ لَوَجْهَةِ النَّظَرِ الَّتِي تُجَسِّدُهَا التَّجْرِبَةُ

المشحونة بالتوتر، أحياناً، وهي تجرّبة يتفاعل فيها الواقع والمثال والحاضر والماضي كأنعكاس للحظة الحضارية الراهنة. وإذا كان النسق الرمزي معادلاً فنياً، بصفة عامة، فإنه يمثّل في بعض أشكاله موقفاً فكرياً وفنياً يعبر عن رؤية الشاعر الإسلامي وتنعكس الخلفية الفكرية والعقدية للأدب الذي تجسّده، وقد نوع الشاعر في توظيف رموزه فجمع بين التراثية التاريخية والأدبية والدينية والصوفية والطبيعية وذلك من خلال نسقين واضحين؛ هما النسق الرمزي الخاص والنسق الرمزي العام.

وأثر التصوير القرآني ملحوظ في هذا المتن الشعري فكثر ما يوظف الشاعر الإسلامي عناصر الصورة القرآنية أو بالأحرى يوظف معجمها متأثراً بناها الفنية وآلياتها التصويرية من تخيل حسي وتجسيم وتشخيص. وإلى جانب ذلك يتألق الرمز في هذا المتن ويعدّ الرمز القرآني والإسلامي في طليعة الرموز التي يستدعيها الشاعر ويستلهمها ويستدرجها إلى قصيدته.

وعلى هذا مستوى بنية التناص فقد كشف البحث أن التناص هو المميز الفني الأوضح للنص الشعري الإسلامي، وقد أسفر رصد ووصف نماذج من المتن الشعري الإسلامي عن أن الشاعر الإسلامي ما فتى يستحضر النصوص الغائبة بطرق مختلفة ويمنحها فرصة إعادة إنتاج ذواتها في سياق المتن الشعري الإسلامي، وقد أصبحت عمليّة فهم وتفسير وتأويل دلالات رموز المتن رهينة بالعودة إلى تلك النصوص على اختلاف مصادرها، وقد سمّ التناص القصيدة الإسلامية بطابع التعدد الدلالي والتوظيف الرمزي الذي تُفسره كثافة النصوص المتداخلة، فالشاعر الإسلامي يستثمر التناص على اختلاف أشكاله في القصيدة الإسلامية بوصفه تقاطعاً وتداخلاً بين النصوص المختلفة إلى درجة أصبح فيها ملمحاً مشرقاً من أبرز ملامح الشعر الإسلامي، وقد ينوع الشاعر الإسلامي في طريقة تعامله مع النصوص السابقة فقد يحافظ على بنية النص السابق وقد يعدّل فيها وينسج أفكاره وينقل أغراضه على منوالها، ويشكل النص القرآني والحديثي والنص التراثي الإسلامي المتنوع أكثر النصوص المتفاعلة مع القصيدة الإسلامية المعاصرة. وقد وقف التصور الإسلامي خلف كل هذه الأدوات الشعرية-وليس خلف التناص وحده- ووجهها لتعبّر عن رؤية الشاعر الأصلية التي يلتقي عندها الفكر والفن ويتوهج الشعور في قصيدة تُمنع المتلقي وتثيره وتفيدّه.

وبعد، فإن البحث قد طمح إلى مقارنة القصيدة الإسلامية المعاصرة بنية ودلالة في حدود المتن الذي اتسع لأكثر من ثلاثين ديواناً شعرياً ولأكثر من خمسة عشر شاعراً إسلامياً، ولا يمثّل مجموع قصائد المتن المنتخب إلا نسبة ضئيلة من مدونة الشعر الإسلامي المعاصر مما يجعل هذه القصيدة في حاجة إلى مقاربات متنوعة تتوسّل بأدوات منهجية مختلفة وتهدف إلى الكشف عن بناها الأسلوبية ووظائفها الجمالية وأبعادها الدلالية. وفي سبيل

تلك العاية فحسبُ البحثِ الرَّاهِنِ أَنْ يَكُونَ لَبَنَةً فِي صَرَحِ الْمَشْرُوعِ النَّقْدِيِّ الَّذِي يُوَكِّبُ تَجْرِبَةَ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ  
الْمُعَاصِرِ أَوْ أَنْ يَكُونَ مَعْلَمًا عَلَى الطَّرِيقِ لِمَنْ يَرُودُ سَمَاءَ هَذَا الْأُفُقِ الْأَصِيلِ الْمُتَأَلَّقِ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فَهْرُسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## أولاً: المصاَدِرُ:

- 1- القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 1423هـ-2002م.
- 2- المنذري: مختصر صحيح مسلم، دار الإمام مالك، الجزائر، ط: 1، 1428هـ-2007م.
- 3- الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، دار الإمام مالك، الجزائر، ط: 1، 1428هـ-2007م.
- 4- ابن العبد(طرفة): شرح ديوان طرفة بن العبد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1418هـ/2007م.
- 5- أبو ماضي(إيليا): الجداول، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 11، فبراير 1977.
- 6- الأُمَرائي(حسن): سيّدة الأوراس، الشركة المركزية للطباعة، وجدة، ط: 1، 1416هـ/1995م.
- 7- : مملكة الرّماذ، المطبعة المركزيّة، وجدة، (د، ط)، 1987م.
- 8- : ثلاثية الغيب والشّهادة، المطبعة المركزيّة، وجدة، 1989م.
- 9- الأُميري(عمر بهاء الدّين): سبحات ونفحات، بنك الرّياض، (د، ط)، (د، ت).
- 10- الأندلسي(بن هاني): ديوانُ ابن هاني، دار صادر، بيروت، (د، ت).
- 11- الحمداني(أبو فراس): الدّيونان، شر وتق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 5، 2003م-1424هـ.
- 12- التهامي(محمد): يا إلهي، دار البشير، عمان، الأردن، ط: 1، 1414هـ-1994م.
- 13- الرباوي (محمد علي): الأحجار الفوّارة، منشورات المشكاة، وجدة، المغرب، ط: 1، 1991.
- 14- : أوّل الغيث، منشورات المشكاة، وجدة، المغرب، ط: 1، 1995.
- 15- : الولد المرّ، منشورات المشكاة، وجدة، المغرب، ط: 1، 1989.
- 16- العشماوي(عبد الرحمن): قوافل الرّاحلين، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط: 1، 1428هـ/2007م.
- 17- : يا ساكنة القلب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 2، 1426هـ-2005م.
- 18- : القدس أنت، مكتبة العبيكان، الرّياض، السّعوديّة، ط: 1، 1424هـ-2003م.
- 19- : عناقيد الضّياء، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 2، 1424هـ/2003م.
- 20- : صراع مع التّفنّس، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط: 2، 1423هـ/2006م.
- 21- : إلى أمّتي، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط: 1، 1423هـ/2002م.
- 22- : نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط: 2، 1423هـ/2006م.
- 23- : عندما يثنّ العفاف، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط: 2، 1424هـ/2003م.
- 24- : يا أمّة الإسلام، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط: 3، 1427هـ/2006م.
- 25- العظم(يوسف): الفتية الأبايل، دار الفرقان للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط: 1، 1409هـ-1988م.
- 26- : ربّاعيات من فلسطين، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط: 2، 1403هـ-1983م.
- 27- : لو أسلمت المعلّقات، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1421هـ-2001م.
- 28- الغزالي(محمد): ديوان محمّد الغزالي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).
- 29- الغماري(مصطفى محمد): مقاطع من ديوان الرّقض، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989.
- 30- : العيد والقدس والمقام، مؤسّسة الشّروق للإعلام والنّشر، (د، ط)، (د، ت).

- 31- قراءة في آية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1983.
- 32- بوح في موسم الأسرار، مطبعة لا فوميك، الجزائر، (د، ط)، أبريل 1985.
- 33- قصائد مجاهدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1982.
- 34- عرس في مأتم الحجّاج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1982.
- 35- القرضاوي (يوسف): المسلمون قادمون، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، (د، ط)، 2000.
- 36- نفحات ولفحات، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط: 1، 1422هـ-2001م.
- 37- الكيلاني (نجيب): كيف ألقاك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1407هـ-1987م.
- 38- مدينة الكبائر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1409هـ-1988م.
- 39- المتنبي (أبو الطيب): الديوان، شر: أبي البقاء العكبري، دار الفكر، (د، ط)، (د، ت). ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 3، 2007م-1428هـ. ودار صادر، بيروت، 2006.
- 40- الميداني (عبد الرحمن حسن حبنكة): ديوان أقباس، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 1406هـ-1986م.
- 41- آمنت بالله، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1400هـ-1980م.
- 42- التحوي (عدنان علي رضا): ملحمة الغرباء، دار التحوي للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1408هـ-1987م.
- 43- امرؤ القيس: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1392هـ-1972م.
- 44- خليل (عماد الدين): ابتهالات في زمن الغربة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 1427هـ-2006م.
- 45- رابطة الأدب الإسلامي: ديوان البوسنة والهرسك، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط: 2، 1414هـ-1993م.
- 46- رابطة الأدب الإسلامي: من الشعر الإسلامي الحديث، مختارات من شعر الرابطة، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1409هـ-1989م.
- 47- شوقي (أحمد): الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 10، 1404هـ/1984م.
- 48- قصاب (وليد): فارس الأحلام القديمة، دار الثقافة، الدوحة، 1410هـ-1990م.
- 49- صورٌ من بلادي، المكتبة الحديثي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط: 2، 1416هـ-1986م.
- 50- أشعار من زمن القهر، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: 1، 1415هـ-1994م.
- 51- مفلح (محمود): إنها الصحوة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط: 2، 1412هـ-1991م.
- ثانياً: المراجع:
- 1- إبراهيم (عبد الرحمن خليل): دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول (ص)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1971م.
- 2- إبراهيم (رجب عبد الجواد): موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، (د، ط)، 1423هـ-2003م.
- 3- ابن جعفر (قدامة): نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: 1، 1398هـ-1978م.

- 4- ابن عزوز(محمد): معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، 1427هـ-2006م.
- 5- ابن جنّي: الخصائص، تح: محمد عليّ النّجار، دار الهدى، بيروت، لبنان. (د، ط)، (د، ت).
- 6- ابن خلدون(عبد الرّحمن): مقدّمة ابن خلدون، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط: 1، 1426هـ/2005م.
- 7- ابن ذريل(عدنان): التّقد والأسلوبيّة، بين التّظرية والتّطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1989.
- 8- ابن عقيل: شرح ابن عقيل، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1411هـ-1990م.
- 9- ابن كثير(إسماعيل بن عمر): تفسير القرآن العظيم، ج: 3، دار صبح، دمشق، ط: 5، 1430هـ-2009م.
- 10- ابن مالك(رشيد): قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائيّ للتّخصص، دار الحكمة، الجزائر، (د، ط) 2000.
- 11- ابن هشام: مغني اللّبيب عن كتب الأعراب، تح: صلاح عبد العزيز عليّ السيّد، دار السّلام للطباعة والتّشيع والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط: 2، 1429هـ-2008م.
- 12- أبو العدوس(يوسف): الأسلوبيّة، الرّؤية والتّطبيق، دار المسيرة للتّشيع والتّوزيع والطّباعة، الأردن، ط: 1، 1427هـ-2007م.
- 13- أبو ديب(كمال): جدليّة الخفاء والتّجليّ، دراسات بنيويّة في الشّعير، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 3، 1984.
- 14- : البني المولّدة في الشّعير الجاهليّ، دار الشّؤون التّقافية العامّة، بغداد، العراق، ط: 1، 1988.
- 15- أحمد(أحمد عثمان): الملقّات دراسة أسلوبيّة، دار طيبة للتّشيع والتّوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2007.
- 16- أحمد(محمد فتوح): الرّمز والرّمزيّة في الشّعير المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط: 3، 1984.
- 17- إسماعيل(يوسف): بنية الإيقاع في الخطاب الشّعيريّ، وزارة التّقافة، (د، ط)، 2004.
- 18- إسماعيل(عزّ الدين): الشّعير العربيّ المعاصر، قضاياها وظواهره الفنيّة والمعنويّة، دار العودة، بيروت، (د، ط)، 2007.
- 19- البستاني(فؤاد أفرام): الرّوائع: كعب بن زهير، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط: 4، 1969.
- 20- الباشا(عبد الرّحمن رأفت): نحو مذهب إسلاميّ في الأدب والتّقد، دار الأدب الإسلاميّ للتّشيع والتّوزيع، القاهرة، ط: 4، 1418هـ-1998م.
- 21- التّيمي(صبيح): هداية السّالك إلى ألفيّة ابن مالك، دار الهداية، قسنطينة، الجزائر، ط: 2، 1410هـ-1990م.
- 22- الجبوري(يحيى): شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والتّشيع والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط: 5، 1419هـ/1998م.
- 23- الجدع(أحمد): دراسات في الشعر الإسلاميّ، دار الضّيّاء للتّشيع والتّوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1422-2001.
- 24- الجدع(أحمد عبد اللطيف) وجرار(حسني أدهم): شعراء الدّعوة الإسلاميّة في العصر الحديث، ج: 1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 2، 1401هـ-1981م.
- 25- الجرجاني(عبد القاهر): أسرار البلاغة، تح: محمّد الفاضلي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1424هـ-2003م.
- 26- الجزائري(محمّد بن عبد الكريم): الدّين الإسلاميّ، عقيد وشريعة، الرّيتونة للإعلام والتّشيع، (د، ط)، (د، ت).
- 27- الجندي(أنور): خصائص الأدب العربيّ في مواجهة نظريّات التّقد الأدبيّ الحديث، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- 28- الحاوي (إبراهيم): حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1404هـ/1984م.
- 29- الحديثي (بهجت عبد الغفور): القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط: 1، 2003.
- 30- الحسين (أحمد حاسم): الشعرية، قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي، الأوتل للنشر والتوزيع، دمشق، ط: 1، 2001.
- 31- الحنين (ناصر بن عبد الرحمن): الالتزام الإسلامي في الشعر، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1424هـ-2004م.
- 32- الداية (فايز): جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1416هـ-1996م.
- 33- الراجحي (عبد): التطبيق التحوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1407هـ-1988م.
- 34- الرويلي (ميجان) والبازعي (سعد): دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط: 2، 2000.
- 35- الزعي (أحمد): أساليب القصيدة المعاصرة، دراسة حركة الشعر في الأردن وفلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 2007.
- 36- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1424هـ-2004م.
- 37- الزوزني: شرح المعلقات السبع، دار بيروت للطباعة والنشر، (د، ط)، 1402هـ-1982م.
- 38- الساريسي (عمر عبد الرحمن): مقالات في الأدب الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1417هـ-1966م.
- 39- السعدني (مصطفى): التجريب في الشعر العربي المعاصر "بين التجريب والمغامرة"، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت).
- 40- البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت).
- 41- التجريب في الشعر العربي المعاصر، قراءة في النص، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت).
- 42- البناء اللفظي في لزوميات المعري، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت).
- 43- السعران (محمود): علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).
- 44- الطرابلسي (محمد الهادي): خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، الجمهورية التونسية، (د، ط)، 1981.
- 45- العبد (محمد): إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوب، دار المعارف، القاهرة، ط: 1، 1988.
- 46- العشماوي (عبد الرحمن صالح): علاقة الأدب بشخصية الأمة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1423هـ/2002م.
- 47- العلق (علي جعفر): في حداثة النص الشعري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 2003.
- 48- العيد (مبنى): في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، دار الآداب، بيروت، ط: 4، 1999.
- 49- الغدامي (عبد الله): الخطيئة والتكفير، من النبوية إلى التشريحية، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت.
- 50- تشريح النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 2006.

- 51- الفاخوري(حنّا): منتخبات الأدب العربيّ، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط: 5، 1970.
- 52- القاسمي(ظافر): نظرات في الشعر الإسلاميّ والأمويّ، دار التفائس، بيروت، ط: 1، 1398هـ-1977م.
- 53- القاعود(حلمي محمد): الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني دراسة نقدية، دار البشير، عمّان، الأردن، ط: 1، 1416هـ-1996م.
- 54- : الأدب الإسلاميّ الفكرة والتطبيق، دار النشر الدولي، الرياض، ط: 1، 1428هـ-2007م.
- 55- القرشي(أبو زيد): جمهرة أشعار العرب، دار صادر بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- 56- القرطاجني(أبو الحسن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق وتحم: محمد الحبيب بن الخوجعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1981.
- 57- القزويني(الخطيب): الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد القادر الفاضليّ، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط: 1، 1422هـ-2001م.
- 58- القط(عبد القادر): الاتجاه الوجداني في الشعر العربيّ المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط: 3، (د، ت).
- 59- القيرواني(ابن رشيق): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج: 1، 1424هـ-2004م.
- 60- الكيلاني(نجيب): الإسلام والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، 1407هـ-1987م.
- 61- : مدخل إلى الأدب الإسلاميّ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 2، 1413هـ-1992م.
- 62- : أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 4، 1419هـ-1998م.
- 63- اللبدي(محمد سمير نجيب): معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- 64- المخزومي (مهدي): في النحو العربيّ نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط: 2، 1406هـ-1986م.
- 65- المساوي(عبد السلام): البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د، ط)، 1994.
- 66- المسدي(عبد السلام): الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط: 2، 1982.
- 67- : قراءات مع الشّابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د، ط)، (د، ت).
- 68- المعوش(سالم): شعر السّجون في الأدب العربيّ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط: 1، 2003.
- 69- الملائكة (نازك): قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 6، 1981.
- 70- الموسى(خليل): الحداثة في حركة الشعر العربيّ المعاصر، مطبعة الجمهورية، دمشق، سورية، ط: 1، 1991.
- 71- النحوي(عدنان علي رضا): تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلاميّ منها، دار النحويّ للنشر والتوزيع، السعودية، ط: 2، 1414هـ-1994م.
- 72- التدوي(أبو الحسن عليّ الحسيني): نظرات في الأدب، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1408هـ-1988م.
- 73- : السيرة النبوية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، المملكة العربية السعودية، ط: 5، 1403هـ-1983م.
- 74- الهاشمي(محمد عادل): الإنسان في الأدب الإسلاميّ، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، (د، ط)، (د، ت).

- 75- الهاشمي (عابد توفيق): الوجيز في الأدب الإسلامي المعاصر وتاريخه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 1، 1420هـ-2000م.
- 76- الهاشمي (علوي): فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 2006.
- 77- الهاشمي (السيد أحمد): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).
- 78- الورقي (السعيد): لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط: 3، 1404هـ-1984م.
- 79- الوشمي (عبد الله صالح): جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1426هـ-2005م.
- 80- اليافي (نعيم): أوهج الحدائث، دراسة في القصيدة العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1993.
- 81- : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي المعاصر، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط: 1، 2008.
- 82- اليعلاوي (محمد): ابن هانئ المغربي الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، 1405هـ-1985م.
- 83- القوال (انطوان محسن): الموشحات الأندلسية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 3، 1424هـ-2003م.
- 84- إمام (إمام عبد الفتاح): معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- 85- أمين (بكري شيخ): التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط: 2، 1396هـ-1986م.
- 86- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، مكتبة الأجلو المصرية، ط: 5، 1979.
- 87- : موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط: 4، (د، ت).
- 88- أنيس (إبراهيم) وآخرون: المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، لبنان، ط: 2، 1410هـ-1990م.
- 89- بدر (عبد الباسط): دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1413هـ-1993م.
- 90- بريغش (محمد حسن): في الأدب الإسلامي المعاصر، دراسة وتطبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1418هـ.
- 91- بقشي (عبد القادر): التناسق في الخطاب التقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007.
- 92- بكار (يوسف حسين): بناء القصيدة في التقدي العربي القديم، في ضوء التقدي الحديث، دار الأندلس، بيروت، ط: 2، 1982.
- 93- بليث (هنريش): البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان (د، ط)، 1999.
- 94- بنيس (محمد): ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت لبنان، ط: 1، 1979.
- 95- : حدائث السؤال، بخصوص الحدائث العربية في الشعر والثقافة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان/الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 1988.
- 96- : الشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 1996.
- 97- بو نجمة (محمد): الرمزية الصوتية في شعر أدو نيس، الدلالة الصوتية والصرفية، مطبعة الكرامة، المغرب، (د، ط)، (د، ت).

- 98- تقي(علي): القصيدة العربية المعاصرة بين هاجس التنظير وهاجس التجريب، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط: 1، 2009م.
- 99- تودوروف(تزيفيتان): نقد التقد، رواية تعلم، تر: سامي سويدان، مرا: ليليان سويدان، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط: 1، 1986.
- 100- جرّار(مأمون فريز): نظرات إسلامية في الأدب والحياة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1414هـ-1993م.
- 101- : خصائص القصّة الإسلاميّة، دار المنارة، للنشر والتوزيع، جدّة، ط: 1، 1408هـ-1988م.
- 102- جزار(محمد فكري): العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة العامّة المصرية للكتاب، 1998.
- 103- جيرو(بيير): الأسلوب والأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي لبنان، (د، ط)، (د. ت).
- 104- حامد(أحمد حسن): التضمين في العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط: 1، 1422هـ-2001م.
- 105- حجازي(محمد فهمي): علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، الهيئة المصرية العامّة للتأليف والنشر، القاهرة، (د، ط)، 1970.
- 106- حرّكات(مصطفى): نظرية الوزن، الشعر العربيّ وعروضه، دار الآفاق، الجزائر، (د، ط)، 2005.
- 107- حسان(تمام): البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1413هـ-1993م.
- 108- : اللغة العربية، معناها ومبناها، عالم الكتب، ط: 3، 1418هـ-1998م.
- 109- حلي(أحمد طعمة): التناص بين النظرية والتطبيق، شعر البياتي نموذجاً، الهيئة العامّة السورية للكتاب، دمشق، (د، ط)، 2007.
- 110- حميدة(مصطفى): نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوبنجان، القاهرة، ط: 1، 1997.
- 111- خليل(عماد الدين): في التقد الإسلاميّ المعاصر، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط: 1، 1428هـ-2007م.
- 112- : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلاميّ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط: 1، 1428هـ-2007م.
- 113- داود(محمد محمد): العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2001.
- 114- دي سوسور(فردينان): علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مر: النصّ العربيّ مالك يوسف المطليبي، بيت الموصل، بغداد، (د، ط)، 1988.
- 115- رابطة الأدب الإسلاميّ العالمية: تعريف برابطة الأدب الإسلاميّ العالمية، الرابطة، ط: 2، 1412هـ.
- 116- ساعي(أحمد بسّام): الواقعية الإسلامية في الأدب والتقد، دار المنارة للنشر، جدّة، ط: 1، 1405هـ-1985م.
- 117- سلمان(محمد علوان): الإيقاع في شعر الحدائث، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط: 1، 2008.
- 118- سليمان(أماي داود): الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط: 1، 1423هـ-2002م.
- 119- سليمان(فتح الله أحمد): الأسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

- 120 - شبّانة(ناصر): المفارقة في الشّعر العربيّ الحديث، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط: 1، 2002.
- 121 - شرتح(عصام): ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 2005.
- 122 - شريم(حوزيف ميشال): دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط: 2، 1407هـ-1987م.
- 123 - صادق(رمضان): شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)، 1998.
- 124 - طحان(ريمون): الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 2، 1981.
- 125 - طليمات(غازي محتار): في علم اللّغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنّشر، دمشق، ط: 3، 2007.
- 126 - عاشور(المنصف): التّركيب عند ابن المقفّع في مقدّمات كلية ودمنة، دراسة إحصائية ووصفية، دم ج، الجزائر، (د، ط)، 1982.
- 127 - عبابنة(سامي محمّد): التّفكير الأسلوبيّ، رؤية معاصرة في التراث التقديّ والبلاغيّ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: 1، 2007.
- 128 - عباس(فضل حسن): البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط: 10، 1427هـ/2005م.
- 129 - عباس(إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 5، 1978.
- 130 - عبد الدّائم(صابر): موسيقى الشّعر العربيّ بين الثّبات والتّطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- 131 - : الأدب الإسلاميّ بين النّظرية والتّطبيق، دار الشّروق، القاهرة، ط: 2، 1422هـ-2002م.
- 132 - عبد اللّطيف(محمد حماسة): ظواهر نحوية في الشّعر الحرّ، دار غريب للطباعة والنّشر، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- 133 - : البناء العروضيّ للقصيدّة العربيّة، دار الشّروق، القاهرة، ط: 1، 1420هـ-1999م.
- 134 - عبد المطلب(محمد): البلاغة العربيّة، قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنّشر، لونغمان، مصر، ط: 1، 1997.
- 135 - : البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية للنّشر لونغمان، مصر، ط: 1، 1994.
- 136 - عبد الواحد(عمر): دوائر التّناس، دار الهدى للنّشر والتّوزيع، المنيا، مصر، ط: 1، 2003.
- 137 - عبود(شلتاغ): حدائق الشّعر الإسلاميّ المعاصر، دار الملاك للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1422هـ-2002م.
- 138 - : الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلاميّ، دار المعرفة، دمشق، ط: 1، 1412هـ-1996م.
- 139 - عبید(محمد صابر): القصيدة العربيّة الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 2001.
- 140 - : جماليات القصيدة العربيّة الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (د، ط)، 2005.
- 141 - عروي(محمد إقبال): جمالية الأدب الإسلاميّ، الدار البيضاء، ط: 1، 1986.
- 142 - عسران(محمود): موسيقى الشّعر، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، (د، ط)، 2006.
- 143 - علي(ناصر): بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط: 1، 2001.
- 144 - عمارة(خليل أحمد): في نحو اللّغة العربيّة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدّة المملكة العربيّة السّعودية، ط: 1، 1404هـ-1984م.

- 145- عمر(أحمد مختار) : دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، (د.ت).
- 146- عيد(رجاء): البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د، ط)، (د، ت).
- 147- فارع(شحدة) وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط: 1، 2000.
- 148- فضل(صلاح): إنتاج الدلالة الشعرية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط: 2، 2002.
- 149- : بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع: 164، صفر 1413هـ/أغسطس، آب 1992م.
- 150- : أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط: 1، 1995.
- 151- قباوة(فخر الدين): المورد التحوي الكبير، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط: 4، 1407هـ-1987م.
- 152- قدور(أحمد محمد): مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط: 2، 1419هـ-1999م.
- 153- : اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، دمشق سورية، ط: 1، 1422هـ-2001م.
- 154- : المختار في الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1414هـ-1993م.
- 155- قصاب(وليد): في الأدب الإسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: 1، 1419هـ-1998م.
- 156- : من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، (د، ط)، 2008.
- 157- قطب(سيد): في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، القاهرة، ط: 10، 1413هـ.
- 158- : النقد الأدبي أصوله ومنهاجه، دار الشروق، القاهرة، ط: 8، 1424هـ-2003م.
- 159- : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط: 16، 1426هـ-2005م.
- 160- قطب(محمد): منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط: 2، 1427هـ-2006م.
- 161- : من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط: 1، 1423هـ-2003م.
- 162- كريستيفا(جوليا): علم النص، تر: فريد الزاهي، مر: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 1997.
- 163- كشك(أحمد): القافية تاج الإيقاع الشعري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2004.
- 164- كليب(سعد الدين): وعي الحداثة، دراسات جمالية في الحداثة العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1997.
- 165- كيوان(عبد العاطي): التناص القرآني في شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: 1، 1419هـ / 1998.
- 166- ماضي(شكري عزيز): في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 2005.
- 167- محمد(السيد إبراهيم): قصيدة(بانة سعاد) لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط: 1، 1406هـ-1986م.
- 168- محمد(عزة شبل): علم لغة النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 1، 1428هـ-2007م.

- 169- محمود(عبد الباسط): دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضي، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، (د، ط)، 2005.
- 170- مرتاض(عبد المالك): تحليل الخطاب السردّي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية(زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د، ت).
- 171- معروف(نايف): الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار التفانس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 2، 1418هـ/1998م.
- 172- مفتاح(محمد): تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط: 3، يوليو 1992.
- 173- : دينامية النصّ، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 3، 2006.
- 174- ناصف(مصطفى): نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- 175- ناظم(حسن): البنى الأسلوبية، دراسة في (أنشودة المطر) للسيّاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: 1، 2002.
- 176- مونقانو(دومينيك): المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، وزارة الثقافة، ط: 1، 2005.
- 177- هنداوي(عبد الحميد أحمد يوسف): الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1423هـ-2002م.
- 178- وائل(بركات): مفهومات في بنية النصّ، دار معدّ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، (د، ط)، 1996.
- 179- وادي(طه): جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية العالمية للنشر لوّنجمان، مصر، ط: 1، 2000.
- 180- ويس(أحمد محمد): الانزياح في التراث التقديّ والبلاغيّ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 2002.
- 181- ياكسون(رومان): قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1988.
- 182- يعقوب(إميل بديع): المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1411هـ/1991م.
- 183- يقطين(سعيد): انفتاح النصّ الروائيّ، المركز الثقافيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط: 3، 2006.
- 184- : من النصّ إلى النصّ المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعليّ، المركز الثقافيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 2005.
- 185- يونس(جمال): لغة الشعر عند سميح القاسم، مؤسسة التوري، دمشق، ط: 1، 1991.
- ثانياً: المجلّات:
- مجلة الأدب الإسلاميّ:
- 1- إبراهيم(عبد الحميد): (الأدب الإسلاميّ والخروج من المأزق)مجلة الأدب الإسلاميّ، رابطة الأدب الإسلاميّ العالمية، مؤسسة الرّسالة، بيروت، س: 03، ع: 11، ربيع الأول 1417هـ-1996م.
- 2- أبو الرضا(سعد): (الأدب الإسلاميّ بين المفهوم والتّعريف والمصطلح)مجلة الأدب الإسلاميّ، س: 02، ع: 07، محرّم 1416هـ-1995م.

- 3- أبو صالح(عبد القدّوس): (شبهة المصطلح)مجلة الأدب الإسلامي، س: 02، مج: 02، ع: 08، ربيع الثاني 1416هـ/1995م.
- 4- الجندي(أنور): (من أسلمة الأدب العربيّ إلى إنشاء أدب إسلاميّ) مجلة الأدب الإسلاميّ، س: 02، ع: 07، محرم 1416هـ.
- 5- الفقهي(محمد عبد القادر): (البكاء على غرناطة)مجلة الأدب الإسلاميّ، مج: 01، ع: 03، 1415هـ-1994م.
- 6- بوقرورة(عمر): (التجربة اللغوية في شعر محمد عليّ الرباوي) مجلة الأدب الإسلاميّ، مج: 04، ع: 13، 1417هـ-1996م/1997م.
- 7- حنطور(أحمد محمد علي): (مصطلح الأدب الإسلاميّ بين أيدي الدارسين)مجلة الأدب الإسلاميّ، س: 02، ع: 05، رجب 1415هـ.
- مجلة المشكاة:
- 8- الرباوي (محمد علي): (أوراق مهربية من زمن الحصار-دراسة تحليلية-)مجلة المشكاة، المغرب.
- 9- المختار(حسني): (التناص قراءة في "العيد")مجلة المشكاة، المغرب، ع: 18، س: 5، 1994/1414.
- 10- فتح الباب(حسن): (الإيقاع المتوتر على قيثارة الاغتراب والحنين في ديوان "الأعشاب البرية")مجلة المشكاة، المغرب، مج: 8، ع: 29، 1998/1419.
- مجلة تجليات الحداثة:
- 11- حبار(مختار):(قراءة تناصية في قصيدة الياقوتة لسيد الشيخ)مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، س: 01، ع: 01، 1992.
- مجلة عالم الفكر:
- 12- السبيل(عبد العزيز): (ثنائية النصّ، قراءة في رثائيات مالك بن الرب)مجلة عالم الفكر، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج: 27، ع: 10، يوليو/سبتمبر 1998.
- 13- المطوي(محمد الهادي): (شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق)مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج: 28، ع: 01، سبتمبر 1999.
- مجلة فصول:
- 14- فضل(صلاح):(طراز التوشيح بين الانحراف والتناص)مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مج: 8، ع: 1 و2، ماي 1989.

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ-ل	المقدّمة:
2	المدخل: الأدب الإسلامي: النشأة والتّعرّف:
2	1- الأدب الإسلامي: المصطلح والمفهوم:
40	2- القصيدة الإسلامية: البنية والخصائص:
47	الباب الأول: بنية الإيقاع الشعري في القصيدة الإسلامية
48	توطئة:
50	الفصل الأول: بنية الإيقاع الخارجي في القصيدة:
51	أولاً: بنية الوزن:
52	1- الأنساق الإيقاعية في القصيدة:
103	2- الأنماط الإيقاعية في القصيدة:
116	ثانياً: بنية القافية:
119	1- الأنساق التفويضية في القصيدة العمودية:
164	2- الأنساق التفويضية في القصيدة الحرة:
182	ثالثاً- بنية الروي:
183	1- بنية الروي في القصيدة:
185	2- وظيفة الروي في القصيدة:
196	الفصل الثاني: بنية الإيقاع الداخلي في القصيدة
198	أولاً: بنية التكرار:
202	1- الصّوت المهموس في القصيدة:
218	2- الصّوت المجهور في القصيدة:
223	3- الصّوت المهموس والمجهور:
228	ثانياً: التصريح:
230	1- التصريح الاستهالي:
235	2- التصريح الداخلي:
245	ثالثاً: التدوير:
246	1- التدوير في البيت الشعري:
249	2- التدوير في السطر الشعري:
263	الباب الثاني: بنية التركيب الشعري في القصيدة الإسلامية:
264	توطئة:
267	الفصل الأول: بنية التركيب الخبري:
268	1- بنية التركيب الخبري:
268	1-1- بنية التركيب الاسمي:
315	2-1- بنية التركيب الفعلي:

354	الفصلُ الثاني: بنيةُ التَّرَكِيبِ الإنشائيِّ
356	1- بنيةُ الاستفهامِ في القصيدة:
375	1-1- بنيةُ الاستفهامِ المفردِ البسيط:
379	2-1- بنيةُ الاستفهامِ المتعددِ المركَّب:
403	البابُ الثالثُ: بنيةُ الدلالةِ الشعريَّةِ في القصيدةِ الإسلاميَّةِ
404	توطئة:
405	الفصلُ الأوَّلُ: بنيةُ الصورةِ الشعريَّةِ في القصيدة:
408	1- بنيةُ الصورةِ الشعريَّةِ في القصيدة:
410	1-1- نسقُ الصورةِ المفردة:
461	2-1- نسقُ الصورةِ المركَّبة:
493	3-1- نسقُ الصورةِ الرمزيَّة:
574	الفصلُ الثاني: بنيةُ التَّنَاصِّ الشعريِّ في القصيدة:
578	1- بنيةُ التَّنَاصِّ الشعريِّ في القصيدة:
580	1-1- نسقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ الخاصِّ المُحدَّد:
633	2-1- نسقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ العامِّ المتعدد:
687	الخاتمة:
693	فهرسُ المصادرِ والمراجع:
705	فهرسُ الموضوعات:

## مُلَخَّصُ البَحْثِ:

القَصِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ المَعَاصِرَةُ - بِنَيْتِهَا وَدَلَالَتِهَا -

قَدَّمَ (الأدبُ الإِسْلَامِيُّ) إِبْدَاعًا ذَا خُصُوصِيَّةٍ مُرْتَكِزًا عَلَى التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ لِلإِنْسَانِ وَالكَوْنِ وَالحَيَاةِ المُسْتَمَدِّ مِنَ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، ذَلِكَ التَّصَوُّرُ الَّذِي يَنْطَلِقُ مِنْهُ الأَدِيبُ المُسْلِمُ مُسْتَوْفِيًا شُرُوطَ الأَدَبِ الفَنِيَّةِ، وَيُعَدُّ الشَّعْرُ الإِسْلَامِيُّ المَعَاصِرَ أَحَدَ فُنُونِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ الأَصِيلَةِ وَوَجْهَهُ مِنْ وَجُوهِه المُشْرِقَةِ، إِنَّهُ الشَّعْرُ الَّذِي يُوظَّفُ أَدَوَاتُ اللُّغَةِ أَحْسَنَ تَوْظِيفٍ وَيُطَوِّعُهَا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ رُؤْيِيَّتِهِ تَعْبِيرًا مُتَمِّيزًا مُتَوَهِّجًا مُتَأَلِّفًا فِكْرًا وَشُعُورًا، وَقَدْ تَنَاوَلَ البَحْثُ هَذَا الشَّعْرَ بِالدِّرَاسَةِ تَحْتَ عُنْوَانِ (القَصِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ المَعَاصِرَةُ - بِنَيْتِهَا وَدَلَالَتِهَا)، فَأَنْجَزَ فِي المَدْخَلِ مُقَابَرَةً اصطِلَاحِيَّةً تَنَاوَلَتْ مُصْطَلَحَ (الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ) الَّذِي تُعَدُّ القَصِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ أَحَدَ أَجْنَاسِهِ، بِالوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ كَاشِفَةً عَنِ دَلَالَتِهِ وَالسِّيَاقِ التَّارِيخِيِّ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَمُشِيرَةً إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الخِصَائِصِ الَّتِي تُحَدِّدُ بِنَيْتِهَا المَفْهُومِيَّةَ أَوْ التَّصَوُّرِيَّةَ. وَتَنَاوَلَتْ ثَانِيًا مُصْطَلَحَ (الشَّعْرُ الإِسْلَامِيُّ) مِنْ خِلَالِ مُصْطَلَحِ (القَصِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ) مُبَيِّنَةً دَلَالَتَهَا وَأَبْرَزَ سِمَاتِهَا.

وَتَنَاوَلَ فِي البَابِ الأَوَّلِ (بِنَيْةِ الإِيقَاعِ الشَّعْرِيِّ فِي القَصِيدَةِ) بِوَصْفِهَا إِحْدَى مُكَوِّنَاتِ القَصِيدَةِ الرَّئِيسَةِ، سِوَاءَ مَا تَشَكَّلَ مِنْهَا فِي إِطَارِ البِنْيَةِ الإِيقَاعِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ أَوْ الكَلَّاسِيكِيَّةِ للقَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ؛ أَيَّ فِي إِطَارِ التَّمَطِّ العَمُودِيِّ أَمْ مَا تَشَكَّلَ فِي إِطَارِ البِنْيَةِ الإِيقَاعِيَّةِ المَعَاصِرَةِ؛ أَيَّ فِي إِطَارِ التَّمَطِّ الحُرِّ أَوْ التَّفْعِيلِيِّ، وَكَشَفَ عَنِ أَشْكَالِ الإِيقَاعِ المُتَوَلِّدَةِ عَنِ تَحْوِيلِ عَنِ طَرِيقِ مَا يُعْرَفُ فِي عِلْمِ العُرُوضِ بِالزَّحَافَاتِ وَالعَلَلِ، وَعَنِ طَرِيقِ الدَّمْجِ بَيْنَ الأَوْزَانِ أَوْ البُحُورِ أَوْ الدَّمْجِ بَيْنَ التَّمَطِّينِ العَمُودِيِّ وَالحُرِّ مُحَاوَلًا رِبْطَ التَّشْكِيلِ الإِيقَاعِيِّ بِالتَّشْكِيلِ الدَّلَالِيِّ فِي القَصَائِدِ المُخْتَلِفَةِ، وَرَصَدَ الإِيقَاعَ النَّاشِئَ عَنِ بِنْيَةِ البَيْتِ الشَّعْرِيِّ مِنْ خِلَالِ التَّدْوِيرِ وَالتَّصْرِيعِ، وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ دَرَسَ الأُنْسَاقَ التَّفْصِيَّةَ وَأَهَمَّ الأَصْوَاتِ المُشْكَلَةَ لِرُؤْيَاتِهَا، وَوَصَفَ الأُنْسَاقَ الصَّوْتِيَّةَ البَارِزَةَ الَّتِي شَكَّلَتْ انْزِيَا حَاتِ أُسْلُوبِيَّةً مِنْ خِلَالِ مُعْدَلَاتِ تَكَرَّرِهَا فِي قَصَائِدِ المَثْنِ الشَّعْرِيِّ.

وَتَنَاوَلَ البَحْثُ فِي البَابِ الثَّانِي (بِنَيْةِ التَّرْكِيبِ الشَّعْرِيِّ فِي القَصِيدَةِ) فِدْرَسَ البُنْيَ التَّرْكِيبِيَّةَ المُتَعَدِّدَةَ وَرَصَدَ الوُطَائِفَ الأُسْلُوبِيَّةَ التَّعْبِيرِيَّةَ وَالدَّلَالَاتِ الَّتِي تَنْتُجُ عَنِ أَنْسَاقِ التَّرَاكِيِبِ فِي السِّيَاقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، فَوَقَفَ عَلَى بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الخَبْرِيِّ الَّتِي تَحَسَّدَتْ فِي بِنْيَتَيْنِ رَئِيسَتَيْنِ؛ هُمَا بِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الإِسْمِيِّ وَبِنْيَةُ التَّرْكِيبِ الفِعْلِيِّ فَوَصَفَ وَحَلَّلَ أَنْمَاطًا مِنَ البُنْيِ الإِسْمِيَّةِ وَالفِعْلِيَّةِ كَاشِفًا عَنِ دَلَالَتِهَا المُتَعَدِّدَةِ فِي السِّيَاقِ، وَوَقَفَ عَلَى بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ الإِنشَائِيِّ وَالتَّنَوُّعِ البُنْيِ الإِنشَائِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ فَقَدْ تَنَاوَلَ كَمَوْضُوعٍ لِلْمُقَابَرَةِ بِنْيَةَ الاسْتِفْهَامِ، فَهِيَ بِنْيَةُ أُسْلُوبِيَّةٍ مُمَيَّزَةٌ تُثِيرُ المُتَلَقِّيَّ وَتَفْتَحُ لَهُ آفَاقًا وَاسِعَةً لِلإِسْتِفْهَامِ فِي إِنتَاجِ الدَّلَالَةِ وَفِي إِعَادَةِ القِرَاءَةِ وَتَأْوِيلِ المَقْرُوءِ وَمَلْءِ الفَرَاقَاتِ النَّصِيَّةِ المُحْتَمَلَةِ، عَلَى مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ تِلْكَ البِنْيَةُ مِنْ تَحْوِيلَاتٍ وَانْزِيَا حَاتٍ. وَإِذَا كَانَ البَحْثُ قَدْ اتَّخَذَ مَفْهُومَ الانْزِيَا حِ الأُسْلُوبِيِّ أَدَاةً إِجْرَائِيَّةً فِي مُقَابَرَةِ الإِيقَاعِ فَإِنَّهُ قَدْ أَفَادَ مِنْهَا فِي مُقَابَرَةِ البُنْيِ التَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي يُعَدُّ الانْزِيَا حُ سِمَةً شَعْرِيَّةً مِنْ سِمَاتِهَا.

وَتَنَاوَلَ البَحْثُ فِي البَابِ الثَّالِثِ (بِنَيْةِ الدَّلَالَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ)، فِدْرَسَ بِنْيَةَ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، كَمَكُونِ فَاعِلٍ مِنْ مُكَوِّنَاتِ البِنْيَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فِي ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ صُورِيَّةٍ؛ هِيَ نَسَقُ الصُّورَةِ المُفْرَدَةِ وَنَسَقُ الصُّورَةِ المُرَكَّبَةِ وَنَسَقُ الصُّورَةِ الرَّمْزِيَّةِ، فَالصُّورَةُ لَا تَقُومُ بِوُظُوفِهَا الأُسْلُوبِيَّةِ تَجْسِيدًا وَتَحْسِيمًا وَتَشْخِصًا وَعَبْرَ ذَلِكَ إِلاَّ عَلَى المُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ، وَدَرَسَ بِنْيَةَ التَّنَاصُّ الشَّعْرِيِّ فِي القَصِيدَةِ بِوَصْفِهَا إِحْدَى الأَدَوَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الهَامَّةِ فِي انْفِتَاحِ القَصِيدَةِ، وَقَدْ تَنَاوَلَ نَمَازِجَ مِنَ التَّنَاصُّ فِي القَصِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مُصَنَّفًا إِبَاهَا فِي نَسَقَيْنِ؛ هُمَا نَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ المُحَدَّدِ الخَاصِّ وَيُمَثِّلُ نَاصُّ (المُعَارَضَةُ) تَحْدِيدًا، وَهُوَ شَكْلٌ مِنَ التَّنَاصُّ الشَّعْرِيِّ يَمَسُّ البِنْيَةَ وَالدَّلَالَةَ أَوْ المَبْنَى وَالمَعْنَى مَعًا، وَنَسَقُ التَّفَاعُلِ النَّصِّيِّ المُتَعَدِّدِ العَامِّ وَيُمَثِّلُ أَشْكَالَ التَّنَاصُّ المُخْتَلِفَةِ المَصَادِرِ تَارِيخِيًّا وَدِينِيًّا وَأَدَبِيًّا، تِلْكَ المَصَادِرُ الَّتِي تُحِيلُ إِلَيْهَا نُصُوصُ المَثْنِ الشَّعْرِيِّ الإِسْلَامِيِّ.

**Abstarct**  
***The Islamic Modern Poem***  
***Structure and Significance***

*The Islamic literature presented a creativity that reflected the idiosyncrasies of the best nation in the world named the Islamic nation. This form of literature was inspired from the Islamic faith and the conditions of artistic forms of literature and the aesthetics of language.*

*Our research work which is entitled “the contemporary Islamic poem: its structure and its significance”, is organized into an introduction, three parts and a conclusion.*

*In the introduction, we have introduced the notion of Islamic literature in general and the Islamic poem in particular with focus on its implication and its historical context.*

*The first part of our work which includes two chapters deals with the structure of the external rhythm of the poem including the different forms of this rhythm. Then, we have discussed the internal rhythm of the poem where we have described the outstanding audio formats and the implications arising from this rhythmic poetic tone in different contexts.*

*The second part is also divided into two chapters which deal with the poetic structure of the Islamic poem. In The first chapter, we have discussed the syntactic structure of the declarative style which is based mainly on two forms: verb structure and noun structure. In The second chapter, we have discussed the structure of the composition style with a focus on the interrogative form.*

*The third part dealt with the structure of the poetic significance in the Islamic poem. The discussion went through two chapters. In chapter one, we have discussed the structure of the poetic image in the poem which is one of the main poem’s constituents. The focus was on the role of this image in reaching the poet’s objectives. However, chapter two dealt with the structure of the poetic intertextuality which is one of the important tools of the openness of the poem on the Arabic and Islamic heritage in general. The concept of intertextuality and its importance in studying the poem has been widely discussed.*

*All in all, in our research work, we wanted to approach the different characteristics of the contemporary Islamic poem from two points: its structure and its significance.*